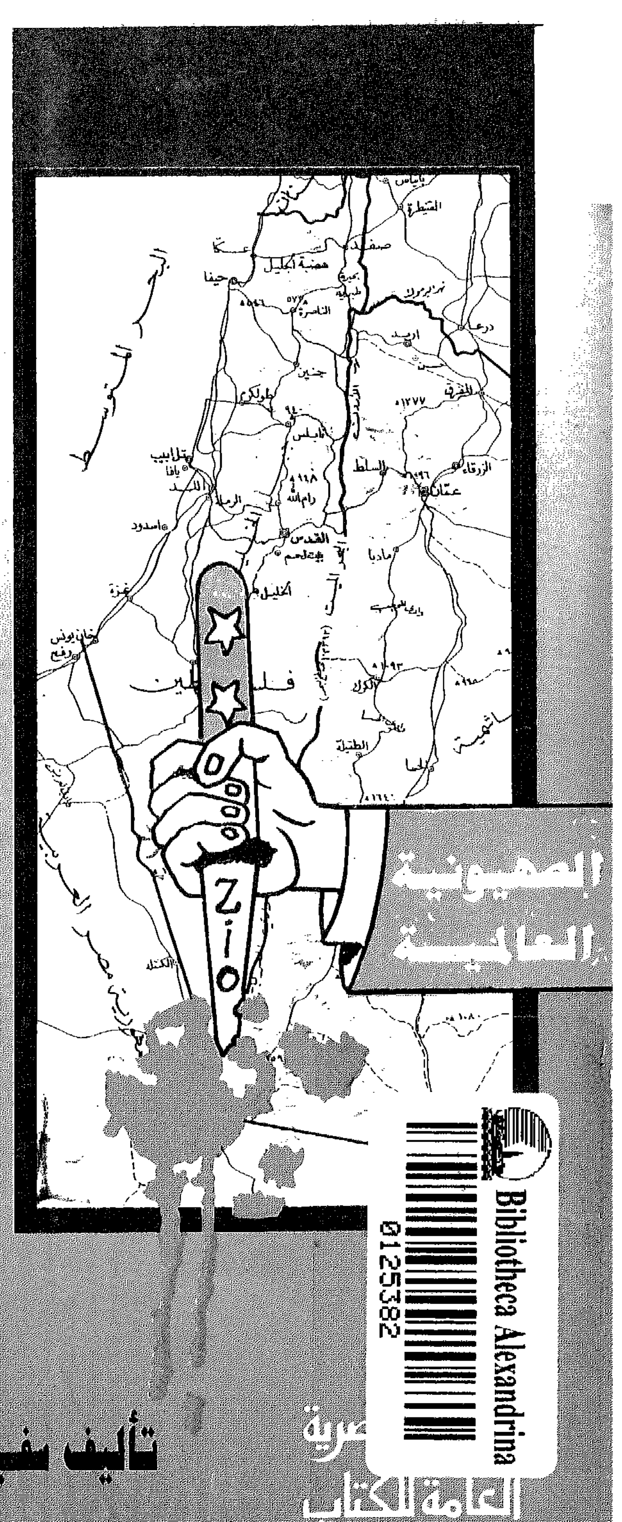
المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية

(١٩٠٠ ق.م - ١٩٩٥م)

الجزء الأول



من العهد القديم إلى قيام دولة اسرائيل

١٩٠٠ق م - ١٩٤٨م

تأليف سفير / د. حسين شريف

صرية
العامة للكتاب

يستعرض الكتاب فى أجزائه الأربعة حياة اليهود، الدينية والاجتماعية والسياسية، خلال ما يقرب من أربعين قرناً، منذ عهود آبائهم الأولين، مروراً بحياتهم تحت حكم السلوقيين والبابليين والرومان، وما تلا ذلك من موجات الشتات الكبرى، وكذلك ظروف حياتهم فى العصور الوسطى، وأوضاعهم منذ بداية العصر الحديث حتى ظهور الصهيونية، وما انتهى إليه نشاط زعمائها بالتواطؤ مع القوى الاستعمارية من زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وهذا الكتاب ثمرة مجهودات استمرت أكثر من ٢٥ عاماً من البحث والاطلاع أثناء عملى الطويل بالسلك الدبلوماسى، وإقامتى لفترات طويلة بالخارج ـ مما أتاح لى فرصة الاطلاع على العديد من المراجع التى تناولت حياة اليهود والصهيونية والعرب، ومشكلات الشرق الأوسط بالتفصيل، وقد كان محظور دخولها إلى البلاد العربية، إذ كان مجرد اقتنائها من قبل أى فرد يعد جريمة لا تغتفر.

وما كان لهذا الكتاب أن يظهر فى أى فترة سابقة، ولكن حان له أن يرى النور الآن فى ظلال الديمقراطية ـ فى عهد الرئيس مبارك ـ حيث أصبحت حرية الرأى والنشر بما يكفل تفاعل الأفكار والآراء الذى يثرى حياتنا الفكرية والثقافية، ويسمح بعرض الرؤية الصحيحة فى كل مجال.

المفهوم السياسى لليهود عبر التاريخ
من العهد القديم إلى مفاوضات
السلام الشرق أوسطية
١٩٠٠ ق . م / ١٩٩٥م

الجزء الأول

من عهد الآباء الأوليين

إلي قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨

تأليف

سفير/ د. حسين شريف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥



الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

محتويات الكتاب

الجزء الأول

١٤ـ المرحلة الثانية للصهيونية «العالمية» ١٩٤٠ـ ١٩٤٨«بن جوريون» فى الولايات المتحدة وقرارات مؤتمر «بلتمور».

١٥ـ اضطهاد النازية لليهود واستغلال الصهيونية لمعاناة اليهود فى أوروبا.

١٦ ـ الخلاف بين حكومة العمال البريطانية والصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية.

١٧ ـ دور المنظمات الارهابية فى قيام دولة إسرائيل.

١٨ ـ عرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة.

١٩ ـ موقف الولايات المتحدة من قيام دولة إسرائيل.

٢٠ ـ تقييم.

الرجلان اللذان اقاما دولة إسرائيل

١ ـ «حاييم وإيزيمان».

٢ ـ «دفيد بن جوريون».

كلمة المؤلف

يرتبط التصرف الصحيح في أمرٍ من الأمور بالمعرفة المستوعبة لموضوعه، ولا يتيسر اتخاذ القرار المناسب في مشكلة من المشكلات إلاّ من خلال الإحاطة بهذه المشكلة، وإذا كان ذلك أمراً مسلّماً به على المستوى الفردى، فهو أكثر ضرورة حين يتصل بشئون العلاقات بين دولة وأخرى، أو بين شعب وشعب وأمة وأمة. وقد لوحظ فى فترة سابقة أن معلومات ناقصة أو خاطئة أدت إلى قرارات متسرعة ونتائج وخيمة، سواء فى السلم أو الحرب، فى علاقاتنا من بعض القوى فى المنطقة. ولم يكن سبب النقص أو الخطأ فى تلك المعلومات هو الندرة فيها أو فى مصادرها بل كان راجعاً إلى شئ من الاستهانة بقدرات الخصوم والتهوين من شأنهم، سواء على المستوى الفكرى الخاص والعام أو على المستوى الشعبى وكذلك على المستوى السياسى والاقتصادى.

ومن ثم كان علينا أن نتعرف - دون أن نغالط أنفسنا - على حقيقة الآخرين وتوجهاتهم وأفكارهم وصياغتهم لتاريخهم، كمدخل صحيح للتعامل معهم، ومن هنا كان التفكير فى التعرف على رؤية الآخرين لأنفسهم، ورؤيتهم لنا فى مرآة تاريخهم ، سواء كانت هذه

النظرة بما يعجبنا أو يزعجنا، أو كانت صحيحة أو مغلوطة من وجهة نظرنا، أو مخالفة لما نراه نحن فى مرآة تاريخنا. وينطبق هذا على ما تضمه هذه الصفحات من أخبار أو معلومات أو آراء عن تاريخ اليهود حسبما كتبه بعض الأوربيين المتعاطفين، أو اليهود أنفسهم، وبخاصة ما جاء بقلم «ابا إيبان» وزير خارجية إسرائيل الأسبق فى كتابه «شعبى». وقد بدا من المناسب ألا نشير فيما أطلعنا عليه أو قرأناه فى هذه المراجع، بل عرضنا فى إيجاز ما أوردته دون أن نحمل عواطفنا، ومهما كان ماقرأناه غير منصف لنا ولتاريخنا، حتى نتعرف على طريقتهم فى التفكير، وعلى أسلوبهم فى كتابة تاريخهم، لنكون على بينة من مقاصدهم، وما تنتهى إليه أغراضهم.

وفى الوقت نفسه بدا من الضرورى أن يكون لنا تعقيب يبين وجهة نظرنا فيما قرأناه من أخبارهم التى صاغوها من وجهة نظرهم، وآرائهم التى طرحوها تعبيرا عن فكرهم واعتقادهم. ولذلك سيجد القارئ تعليقات محددة بعد كل فصل تبين الإعتراضات التى تكشف التحيز، أو الخطأ العابر، أو المغالطات من جانبهم.

ولاشك أن بعض ماكتبوه لا يرضينا، ولا يتوافق مع مشاعرنا، بل قد يلحق الأذى بنفوسنا، لأنه يمس جانباً من أفكارنا ومعتقداتنا، ولذلك لزم التعليق عليه، وإيضاح موقفنا منه. وكان من اليسير حذف بعض الجمل أو تعديل بعض الفقرات أو تقويم بعض الأفكار، ولكننا آثرنا أن تبدو آراؤهم عنا وعنهم كما صاغوها بأنفسهم، لنعرفها على حقيقتها التى يتصورونها، ليأتى تعقيبنا فى موضعه الصحيح، وقد تأسينا فى ذلك بمنهج (القرآن الكريم) فى عرضه لمواقف الخصومة والمعاندين إذ لوحظ أنه يسوق أقوالهم - مهما كانت تحمل من شطط أو تجريح أو هجوم على الحق بالباطل - ثم يثنى بالرد على مفترياتهم وأوهامهم.

أما الجانب الآخر، فيستدعى شجاعة فائقة من جانبنا، حتى نطرح حقائقه الأليمة، إذ يعرض الإصرار من طرف، والتراخى من طرف آخر، واليقظة فى ناحية والغفلة فى الناحية الأخرى. إن الشجاعة التى ينبغى أن يتذرع بها الكاتب والقارئ هنا، توجب أن نقول فى مرارة: «إن الإصرار واليقظة كانا من نصيب الخصوم، وأن التراخى والغفلة كانا من نصيبنا، فبينما أصروا على إقامة كيانهم، تراخينا نحن فى الحفاظ على كياننا، وبينما تسلحوا باليقظة فأدركوا طبيعة المتغيرات العالمية، كانت غفلتنا كفيلة بحجب عيوننا عما يجرى فى الواقع، وما تحمله موجات التغيير المتلاحقة حتى أفقنا ذات يوم من سنة ١٩٤٨، فإذا الأرض قد ضاعت، وإذا هؤلاء قد سادوها. فبينما دأبوا خلال أحقاب الزمان ليؤسسوا لهم دولة، خاضوا فى سبيلها غمرات الصعاب، دأبنا نحن على الفرقة والتمزق. لقد صحونا على تقدمهم وتخلفنا، وعلى قوتهم وضعفنا، وعلى قدرتهم وتخاذلنا. وظهر لنا أنهم كانوا يعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا، وتبين أنهم درسوا أحوالنا وأدركوا جوانب الضعف فينا ـ ومن ثم استطاعوا أن يدخلوا علينا من أقطارنا، لأنهم علموا وجهلنا، وعملوا وكسلنا، فحين استخدموا الأسلحة الحديثة، استخدمنا نحن الأسلحة الفاسدة، وإذ كانوا على دراية بأساليب أحدث التكنولوجيا كنا نحن نرتجل الخطب الحماسية، وأشعار الفخر، ونقول «حنا للسيف» وهم يجربون الصواريخ.

وحين شغلتنا الزعامات، فكلنا لها المديح، ورفعناها إلى مراتب القداسة، كانوا هم يعتمدون على الديمقراطية فى كل شئونهم.

ومع اعتصار الأسى والأسف للنفس، ينبغى أن نشير إلى مثل من عندهم: إن «بن جوريون» الذى يعتبرونه نبيهم المسلح لأنه أفنى عمره مقاتلاً من أجل مجدهم، انتهى به الأمر إلى صحراء النقب

يقضى فيها سنواته الأخيرة، لأنهم سحبوا منه الثقة عندما استشعروا ـ احتمالاً ـ أن سلوكه السياسى تشوبه نوازع تناقض ما تعاهدوا عليه من حرية وديمقراطية، ولم يشفع له ماضيه الذى يقدسونه، ولا جهده الذى يقدرونه، ولم تحتشد جحافل المظاهرات تطالب ببقائه فى زعامتهم، ولم يطالب فرد واحد بمنحه ميزات الزعامة وأبهة الرياسة، فمضى إلى مزرعةٍ فى هدوء، وانسحب من حياتهم دون ضجيج أو عجيج.

إن هذه الكلمات الساخنة قد لا تتناسب مع موضوع علمى، ولكن ليعذرنى القارئ إذ يبدو أنها لازمة للتعبير عن واقع أليم، ولتكون أيضاً مدخلاً لليقظة عند قراءة الصفحات التالية وعند قراءة لمحات من تاريخ الإسرائيليين، لعلنا نصر على أن تكون خطوات مستقبلنا فى الطريق الصحيح.

والله ولى التوفيق.

سفير . د/ حسين شريف

القسم الأول

اليهود فى العهد القديم

الفصل الأول

عصر الآباء الأولين

الفصل الثانى

عصر القضاة والملوك

الفصل الثالث

سقوط الملكية

الفصل الرابع

عصر النبوة والأنبياء

الفصل الأول

عصر الآباء الأولين

اليهود فى العهد القديم

(١) عصر الآباء « الأولين »

ينفتح التاريخ اليهودى على ضوء فترة تلتقى فيها الأسطورة بالحقيقة، ولقد دخلت الأسطورة بعمق فى التجربة الإنسانية حيث اكتسبت واقعيتها. إن ما يعتقد الإنسان أنه حدث فى الشرق الأوسط ليس أقل تكوناً أو تشكلاً مما هو معروف أنه حدث فعلاً.

إن الحقيقة والأسطورة ليلتقيان لوصف بزوغ إسرائيل جزءاً من الشرق الأوسط فيما بين النيل والفرات.

وكانت مصر تتمتع عند مولد إسرائيل على مدى قرون وقرون بحياة مستقرة راسخة آمنة. ولم يكن الفراعنة سادة أسرة حاكمة فحسب، بل كانوا كذلك رسل حضارة عظيمة، إذ تقوم الأهرام شاهدة على عظمة فطرية راسخة، حيث امتد النفوذ السياسى لمصر الفرعونية من أعالى النيل فى النوبة إلى عبر فيافى سيناء حتى كنعان وسوريا. وكان المد الفرعونى يصل أحياناً غرباً إلى ليبيا،وإن كان النفوذ الفرعونى بالنسبة إلى دلتا النيل وشرقها يصطدم دائماً بالإمبراطوريات التى تعاقبت فى « أرض الفراتين». كان السوريون

قد بدأوا التاريخ المعروف فى نطاق صار مهداً للإمبراطوريات والثقافات. إذ خضعت «سومر» فى الألف الثالثة قبل الميلاد للحكم «الأكادى» الذى اجتاح الشرق بين النهرين ليؤسس أقوى إمبراطورية عرفها الإنسان فى ذلك الزمان. وكانت موجة الغزو التالية من الغرب، حيث اجتاحت قوة «العموريين» قوة «الأكاديين» وأسست دولة بلغت ذروتها بظهور «بابل» امتدت حقبة زاهرة. فلما بدأ التاريخ العبرى كانت «سومر» و«اكاد» و«بابل» قد خلفت من ورائها الحقبة الأولى، حيث نشأت مدن وحضارة وتقدم فى مجال الزراعة. وقد ظهرت حضارة «بابل» فى حياة وأعمال «حمورابى» الذى اتخذ فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد لقب «ملك بابل وسومر وأكاد» وثلاثة أرباع العالم. وقد سن قانوناً مدنياً ، كشف عنه سنة ١٩٠١ ، ومعروض الآن فى متحف «اللوڤر» بباريس. ويصف «حمورابى» بكل فخر حقبة حكمة بقوله : «لقد قدمت مياها دائمة لأرض سومر وأكاد، ووحدت شعوبها المتفرقة، وأنعمت عليهم بالبركة والفيض، وفى مساكن هادئة جعلتهم يعيشون».

وكانت القبائل العبرية كما يروى العهد القديم «التوراة» قد خرجت من أرض النهرين. فلم تكن من ثم قبائل بدوية بدائية، بل نتاج حضارة قديمة نشأت فى بلاد سومر وأكاد وبابل، حيث أخذوا ثقافة بلاد النهرين، ثم الحضارة المصرية. غير أن المنزل الذى استقروا فيه ونعموا فيه بالشهرة الأبدية إنما يقع بين الإمبراطوريات التى امتدت فى الشرق القديم، إذ نجدهم بعد نشأتهم فى بابل وحلولهم مصر، حيث يكافحون لإنشاء وطن قومى فى ركن من الأرض بين النيل والفرات إذ يكونون معبراً حيناً أو إسفيناً بين الإثنتين أحياناً، فيعيشون فى ظل هذه أو تلك، ولكنهم دائماً يعيشون وينتعشون (١).

(١) رأى أغلب المؤرخين اليهود والغربيين.

وقد أطلق المؤرخون على هذه المنطقة «الهلال الخصيب» وإن بالغ الاسم فى صفتها.. ذلك أن مع كل بوصة من الخصب مساحات شاسعة من الرمال والصخور، ولذلك كانت معبراً للتجارة والأفكار على السواء. واحتل العبريون ركناً من هذا الهلال الخصيب وعرفوا أمن مصر وبلاد النهرين، ولكن التاريخ كذلك يسجل هجرة مفاجئة نحو الجنوب الغربى من الهلال الخصيب.

ويذكر المؤرخون اليهود أن وحدة الشعب العبرى دعمت عبر العصور عقيدتهم بأنهم من نسل جد واحد،وقد كانت من حول أطراف الهلال الخصيب أيام «حمورابى» فى بابل هجرات معروفة . كما ورد فى العهد القديم أن إبراهيم وأسرته قد هاجروا من «أور» فى الجنوب الغربى من أرض النهرين إلى حران مركز عمران «عمورى» فى الشمال الغربى حيث تلقى تعاليم ربه بترك وطنه إلى موطن آخر،ليستأنف حياةً وتاريخاً اختص به.

ويتحرك إبراهيم إلى فلسطين موطن الكنعانيين حيث أورث الأرض ما بين «دان»، و «بئر سبع».

وكان إبراهيم عليه السلام - آرامياً (١) تائهاً، فانحدر إلى مصر وتغرب هناك (تثنيه الاشتراع ٢٦:٥)، وظل تائها يتنقل من مكان إلى آخر بين فلسطين ومصر والأردن (دون أن يتملك فى أرض فلسطين سوى «مغارة المكفيلة» مدفناً لزوجته سارة ولأسرته (تكوين ٢٣:٢ - ٢٠).

وقد اعترف إبراهيم، بعد هجرته إلى أرض كنعان بـ ٥٥ سنة، بأنه غريب ونزيل (تكوين٢٣ : ٤).. وظلت هذه المغارة، والحقل المحيط بها، الملكْ الوحيد لنسل إبراهيم إلى حين دخول هذا النسل

(١) وآرام هو الأسم الذى أطلقه الكتاب المقدس على بلاد سوريا وما بين النهرين - العراق - ، والآراميون فى الكتاب المقدس ينتسبون إلى آرام بن سام. فهم والكنعانيون من سكان سوريا والعراق.

إلى أرض كنعان بواسطة «يشوع بن نون»،وذلك بعد ٦٧١ سنة من تاريخ هجرة إبراهيم.

﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم، إنه كان صديقاً نبياً ﴾.
(سورة مريم- الآية ٤١)

ومن نسل إبراهيم كان يعقوب (أو إسرائيل) ومن يعقوب كان إثنا عشر ولداً هم أسباط إسرائيل، أو «بنو إسرائيل» الذين آووا فى أرض كنعان أرضهم وميراثهم. فلما اضطرتهم المجاعة إلى الرحيل إلى مصر ظلوا يعتبرون أنفسهم «غرباء» أو «ضيوفاً» فى هجرة مؤقتة.

ويذكر أبا إيبان فى كتابه (شعبى) أنه ما من سبب مقنع لهجرة الجد الأكبر إبراهيم من بلاد النهرين حيث الحضارة والحياة المتقدمة. أما آباء اليهود من نسل إبراهيم ويعقوب، فقد رويت - من بعد قصة الخلق والطوفان مباشرة فى سفر التكوين - سيرتهم التى تغلغلت، كما تغلغل تاريخهم - من هجرة إبراهيم إلى أرض كنعان إلى غربة إسرائيل وبنيه فى مصر - عميقة فى عقليتهم وخيالهم. ولئن آمن المسيحيون والمسلمون بقصة إبراهيم واتخذوه الأب الروحى، فهو عند اليهود وفى عقيدتهم الأب الوحيد. شأن امتياز اليهودية التى آمنت بالوحدانية منذ أن بشربها إبراهيم عليه السلام، والتى نجدها واضحة فى سفر التثنية الذى وضع إبان قيام الدولتين الشمالية والجنوبية. ففى أيام داود وسليمان وضعت أقدم الأجزاء فى العهد القديم، وأثناء قيام الدولتين جمعت أخبار القبائل وقصصهم بدافع من الأنبياء ثم أضيفت إلى هذه القصص قصص أخرى، وشرحت شروحا تتفق والأهداف التى جمعت من أجل تحقيقها، إلا أن هذه القصص أثارت كثيراً من الخلافات يبن الدولتين، كما يتضح هذا من تكرار القصص وتضاربها. فمثلاً فى قصة الطوفان: تنص

الآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين على أنه دام أربعين يوماً وأربعين ليلة، بينما نقرا فى الآيَة الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع فى السفر نفسه أنه دام مائة وخمسين يوماً. كذلك قصة الخلق مثلاً جاءت فى الآية السابعة والعشرين الإصحاح الأول وفيها: كان الإنسان آخر الخلق، وعرض لنفس القصة فى الإصحاح الثانى (ى ٤ - ٢٥) فكان الإنسان هو الأول، وبعده جاءت الأشجار فحيوانات الحقول فطيور السماء. وفى سفر التكوين (ى ١٧ - ٢٢) نفهم أن طوفاناً قضى على كافة البشر لَم يحدث، وذلك لأن النص يقول: إن «لامك» يرجع إلى نسله جميع سكان الخيام ورعاة الماشية، وكل ضارب بالعود والمزمار وآلة نحاس وحديد، وأن سلسلة النسب لم تقطع بين هؤلاء الناس وبين«لامك» الذى عاش قبل الطوفان، و لا بينه وبين الإنسان الأول.

ويحدثنا سفر التكوين أيضاً فى إصحاحيه التاسع الآية (١٩) والإصحاح العَاشر الآيات (١ - ٣٢) أن الأرض كانت عامرة بالسكان، وكان ذلك العمران شيئاً طبيعياً، بينما نجد فى نفس السفر الإصحاح الحادى عشر الآيات (٤ - ٩) إن انتشار السكان علَى الأرض كان عقوبة ولم يكن شيئاً طبيعياً، ومثل هذه المفارقات كثيرة بين قصص العهد القديم. وقد أثرت كثيراً فى نفسية المجتمع الإسرائيلى كما تبدو فى عاداته وتقاليده وطقوسه الدينية وقصصه المتصلة بأعياده وأخباره الخاصة بسير آبائه وكتابه المقدس. وخير مظهر تتجلى فيه هذ الحقائق ظهور الأنبياء فى المجتمع الإسرائيلى.

ويبدأ القصص اليهودى بما وقع فى «بيت إسرائيل» من تمزق أدى إلى حمل ابنه يوسف إلى مصر، حيث يبلغ فيها منزلة رفيعة فى الدولة، وحيث يأتيه إخوته ليقيموا فى مصر، ثم تمضى بهم

قرون فى مصر قبل أن ترى سلالتهم أرض آبائهم وميراثهم الموعود فى كنعان، كانوا أول عهدهم بمصر أحراراً آمنينٍ فى أرض زراعية بعيداً عن أرض كنعان، ولكنهم ما لبثوا أن ضرِب عليهم القهر والعبودية.

ويبدو أن مشكلة الزراعة غير الآمنة فى أرض «كنعان» كانت السبب فى جلب المزيد من الإسرائيليين إلى مصر، حيث يلتحمون فى المجموعة السامية الأخرى. وبالرغم من التمازج بين المصريين والكنعانيين فترة حكم «الهكسوس»إلا أن الثقافة والحياة الاجتماعية الإسرائيلية ظلت فى عزلة منفصلة. وكان هذا يرجع إلى بغض المصريين لليهود، حتى فى عهد حكم «يوسف» وفقاً لما جاء فى التوراة «لا يأكل المصريون الخبز مع اليهود». كان هذا بغضاً من المصريين وقد شجع هذا اليهود على الاحتفاظ بحياتهم فى «كنعان» حية فى ذاكرتهم.

ومن البديهى أن اليهود عاشوا منعزلين عن المجتمع المصرى. ويشير (سفر الخروج) إلى انهيار الأمن بالنسبة للإسرائيليين فى عهد أحد الفراعنة، الذى يمكن أن يكون رمسيس الثانى، بعد انهيار حكم الهكسوس فى القرن السادس عشر قبل الميلاد، فقد حرموا مرتباتهم وأجبروا على الاشتراك فى العمل فى بناء المدن الجديدة كعبيد، ولم يكن لهم خيار فى البقاء أو الخروج .. وأثناء حياة القهر هذه ظهر بينهم قائد، أصبح المؤسس للأمة الإسرائيلية والدين اليهودى على السواء.

ثورة العبرانيين بقيادة موسى عليه السلام

ولد «موسى» فى ظل حياة مصرية وتقاليد مصرية .. وإن كان

من سلالة عبرية. وقد أعطى الإله اليهودى (YAHWEH) «يهوه»[1] شخصية محددة مقدسة فى ضمير شعبه. وقد نظم القبائل شبه البدوية للثورة. وقد التجأ إلى الذاكرة الحية رغم عدم وضوحها للحرية الرعوية فى أرض الميعاد. ونجح فى الخروج بشعبه عبر سيناء إلى أرض كنعان، حيث كان عليهم بناء أمتهم التى تحمل شاهداً حيا على عقيدتهم .

ووصف بزوغ هذه العقيدة بأنه «ثورة فى عالم الفكر الإنسانى» إذا رأت العقائد السابقة أن قدر الإنسان إنما يخضع لنواميس الطبيعة وظواهرها المادية من شمس وهواء وخصب ومطر ومن ثم اتخذ منها أربابا.

أما إبراهيم فقد رفض عبادة الأصنام، ولم يكن ربه هو الواحد الأحد؟ المحيط بالوجود الذى لا تدركه العقول، ولكنه إنما كان إله أسرة إبراهيم دون سواها، وذلك على العكس من عقيدة «موسى» التى كانت أقل سذاجةً وانغلاقاً (٢). وقد ظهرت الأفكار الوثنية واضحة فى صرخة الفيلسوف الرومانى «ماركوس اوريليوس» إذ يقول: «فوق وتحت، أمام وخلف ودوران، تلك هى نغمة الكون الرئيسية والتى لا معنى لها ، ولذلك آمنت العقيدة اليهودية منذ موسى الى الآن أن الله مبدع قوى الطبيعة، بعيدا عن إيقاعها الدوار حيث لاتتجلى بها الإرادة الربانية فى الطبيعة فى التاريخ الإنسانى. إذ التقدم لا التكرار هو قانون الحياة وإذ يتخذ الله فى الفكر الموسوى صفة «إنى أنا»

---

(١) يسمى (YAHWEH) أو (JEHOVAH) وهو الله. وهو يهوه، أو ادوناى،و يقال إن الله أوحى به إلى موسى على جبل حوريب.

(٢) رأى أبا إيبان فى كتابه (شعبى) .

الواحد الذى لا تحيطه صفة. و«إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا» . (سورة الاحزاب ـ الآية ٧).

إن لدى الإنسان القدرة على نبذ الشر واختيار الخير.. وإذا قارنا بين فكرة الإله فى اليهودية وفكرة الإله عند كل من بلاد النهرين ومصر، لوجدنا صورة الإله أحيانا فى شكل تمثال مركب فى رأس إنسان وجسم حيوان، وربما صور أحيانا فى منزلة أدنى من منزلة البشر.

وما زال الفكر الموسوى لإسرائيل وحدها. وهى ضد الوثنية والشرك، ومن ثم فهى عالمية بكافة المعانى.

وكان صاحب الدين الجديد كذلك قائداً لشعبه نحو الحرية. إذ كان يؤمن بأن الخلاص إنما يتمثل فى الثورة على العبودية وعلى الفكر المصرى. وما كانت قصة «الخروج » من مصر خلاصا من العبودية فحسب.. بل كانت حدثا خطيرا فى التاريخ اليهودى. وقد أشار كل من «بنجامين فرانكلين» و«توماس جفرسون» حين استطلعا الرأى فى شعار الوحدة الأمريكية، أن يمثل خاتم الولايات المتحدة الرسمى هجرة بنى إسرائيل فى الطريق المنشق فى لج الماء فى طريقهم الى الحرية. وذلك ما يعبر عن «مقاومة الظلم طاعةً لله».

التيه

خلت القرون الثلاثة من تاريخ بنى إسرائيل بين القرنين السادس عشر والثالث عشرق.م مما يشير إليهم، إلا ماورد عنهم فى التوراة، وكذلك لم يشر تاريخ مصر إلى حياة اليهود فى مصر، وقد يعزى ذلك إلى أن حكم «الهكسوس» كان أسوأ من أن يوصف، ومع

ذلك فقد أصبح مقبولا أن الهجرة الإسرائيلية إلى مصرقد وقعت خلال القرن الثامن عشر ق.م أو بعده. وأن الخروج كان خلال القرن الثالث عشر ق.م وفى حكم رمسيس الثانى (١٢٩٠ - ١٢٢٥ق.م) وكذلك لم يكن عدد المهاجرين الى مصر، أو عدد المهاجرين منها، محددا وواضحا - إذ لايمثل ماورد فى ذلك الحق والمنطق.

بدأ خروج بنى إسرائيل من الشمال الشرقى من دلتا النيل حتى جبل سيناء أو «جبل حوريب» الذى لا يزال سرا يقال إنه تحلل فى جرانيت جبل شبه جزيرة سيناء الجنوبى. وباءت بالفشل محاولات الإسرائيليين فى الوصول إلى كنعان، حيث اضطروا إلى العودة إلى سيناء وعاشوا فى الصحراء حياة البداوة رعاة تائهين.

العبادة والمقدسات الدينية اليهودية
فى عهد (موسى وهارون)

ذكر فى سفر الخروج أن «يهوه» تجلى على موسى فى سيناء، ويذكر العهد القديم أن من بين أتباع «يهوه» المدينيين وكبير كهنتهم «يثرو» والذى كان يرعى قطعانه بالقرب من الجبل الذى يقيم فيه الإله «يهوه» (١)، وأن موسى هرب من مصر لاجئاً إلى «يثرو» إلى المدينيين ومن ثم يقترن بابنة «يثرو» وهى «صفوره»، ويذكر سفر العدد (٢) أنها كوشية. و «صفوره» هذه هى التى علمت موسى الختان، وفى المكان المقدس للكاهن «يثرو» تجلى «يهوه» لموسى، فقدم «يثرو» و«موسى» و«هارون» القرابين ليهوه. وعن «يثرو» كما تذكر التوراة أخذ موسى تشريعاته القانونية، كما أن وظيفة «اللاوى»

(١) خروج ٣ ى ١.
(٢) إصحاح ١٢ ى ١.

تعبر عن وظيفة الكاهن المدينى والحاخام الإسرائيلى. وبذلك يمكن القول بأن أصول الكهنوتية الإسرائيلية ترجع إلى موسى، ولم تكن قبله فى المجتمع الإسرائيلى كهانة لأنه لم تكن هناك طقوس دينية يهودية، كما لم يعرف المجتمع الإسرائيلى القرابين وتقديمها، ولو أن الأخبار التى وردت فى العهد القديم تحدثنا عن القرابين التى كان يقدمها الآباء الأولون إلا أنهم لم يعرفوا كهنة، وكانوا هم أنفسهم يتولون هذه المهمة وذلك لأن عبادة «يهوه» كانت عبادة عائلية وليست شعبية. كما أن الشعب الإسرائيلى لم يكن قد وجد بعد، فليست هناك حاجة إلى خلق كهنوتية عامة. وأول من أوجدها هو موسى، لذلك تعتبره الديانة الإسرائيلية أول كاهن. وقد قام بهذا الدور عند إتمام العهد(1) وتسلم ككاهن ـ أى كسادن للخيمة المقدسة ـ المعجزة من «يهوه»(2).

وقد ظلت هذه الصفة ملازمة له حتى بعد أن عين أبناء لاوى (اللاويين) لخدمة «يهوه»(3) ثم نجد موسى بعد ذلك يتنازل عن الكهنوتية لأخيه «هارون» وأولاده(4). «ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا سورة الفرقان ـ الآية ٣٥»، وهارون هوالذى كان يرسم الكهنة بأمر الله، لذلك نجد الكهنة ينقسمون إلى فريقين: كاهن يسمى «كوهين» وآخر يسمى «ليڤى» واللفظان يعبران قديماً عن مدلول واحد، لكن فيما بعد فرق المجتمع بين «كوهين» و«ليفى» أو «لاوى» للكاهنة.

وفى العهد القديم نجد بقايا لاستخدام لفظ «لاوى» فى هذا المعنى، حيث يطلق سفر الخروج على هارون لفظ (اللاوى)(5) أى الكاهن، وهو فى هذا اللَقب يشبه موسى تماماً كما جاء فى سفر الخروج.

---

(1) خروج ٢٤ ى ٦ .
(2) خروج ٣٣ ى ٧ .
(3) خروج ٣٢ ى ٢٦ .
(4) القضاة ١٨ ى ٣٠ .
(5) خروج ٢٩ .

التابوت المقدس (تابوت العهد)

«التابوت المقدس» أو كما سمي فيما بعد باسم «تابوت العهد» أو كما عرف قديماً «تابوت إله إسرائيل»، أو «تابوت يهوه»، و«تابوت يهوه قائد الجيوش»، وتسمية أخرى وهى «تابوت الشهادة» وكان يؤتى بتابوت العهد إلى معسكر الجيش فيستقبل بالتهليل والتكبير ليتحقق النصر، ويقع الذعر فى قلوب الأعداء الذين كانوا يقولون «إله العبريين حضر إليهم فى المعسكر».

والآن نتساءل حتى اليهود أنفسهم، كيف أن تابوتاً تصير له مثل هذه المكانة ؟ والجواب أن الإسرائيليين نظروا إلى التابوت على أنه عرش «يهوه» الذى يجلس عليه، أو على أنه قد نقش عليه اسم يهوه قائد القوات. واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد فى موقعة «أفيق» عام ١٠٥ ق.م.

ومن المقدسات الإسرائيلية أيضاً «خيمة مقدسة» أقامها موسى خارج المعسكر ليتلقى فيها الوحى أو ليستقبل الله، وكان يقوم فتى موسى «يشوع» بحراستها، ويطلق على هذه الخيمة اسم «خيمة الاجتماع» أو كما تسمى فى العبرية «أوهل موعيد» أى الخيمة التى يجتمع فيها الآلهة لتخطيط مصائر القوم.

العودة إلى كنعان

وبعد موت «موسى» خلفه «يوشع» فى قيادة الشعب اليهودى، وهو الذى اتبع خطة غير مألوفة باختراق كنعان من طرفها الشرقى، حيث نتج عن هذا الغزو استقرار عبر الأردن، ولما كان لا يوجد فى مصر تنظيم قبلى فمن الصعب تحرير القبائل التى اشتركت فى «الخروج» أو فى الغزو .. فقد عاش الإسرائيليون بعد الغزو حياة غير سهلة مع جيرانهم، ربما للشعور الذى ينتابهم بالتخوف من الهزيمة والضياع.

على أن التوراة إذ تروى دخول الإسرائيليين كنعان لا تعده غزواً بل عودة قبائل إلى ماضٍ لا ينسى.

وها هى التوراة نفسها تحدثنا أن «يشوع» - فتى موسى وخليفته - يأمر قومه اليهود بعد الاستيلاء على «أريحا» أن: «اقتلوا كل من فى المدينة من رجل وامرأة، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها» (التوراة سفر يوشع ٢٢ - ٣٩)، ثم تحدثنا التوراة بعد ذلك أن موكب الخراب قد انتقل - وعلى رأسه يشوع - من «أريحا» إلى «عاى» فيقتل كل أهلها، حتى تفاخر التوراة بأنه: «لم يبق منهم شارد ولا متقلب» وبلغ عدد القتلى ١٢ ألفاً هم جميع أهل «عاى» ثم أحرق يشوع «عاى» «وجعلها تلاً أبدياً خراباً».

وتضم هذه المساحة الضئيلة من الأرض - التى استولى عليها «يوشع» فيما بين البحر المتوسط وصحراء العرب وحدود سوريا فى الشمال وشبه جزيرة سيناء فى الجنوب - ألواناً شتى من المناخ والتضاريس، حيث نطاق خصيب من حول نهر الأردن، ونطاق غنى من غابات فى الجليل، ثم سهل ساحلى، مع مناخ مدارى فى الجنوب إلى أمطار شتوية منتظمة فوق المرتفعات.

وقد حمل هذا الإقليم عديداً من الأسماء، فقد سماه الأكاديون «عمورو» بمعنى «الغرب» فى الأكادية أو أرض العموريين، وسماه المصريون «رتنو». ولكنهم سموه كذلك «كنعان» أيام الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. وهو الاسم الذى أطلقه العبريون على هذه المنطقة.

ولقد كان لجغرافية فلسطين أثر فى التنظيم القبلى.. إذ ساعد تنوع تضاريسها - من مرتفعات جبل «حرمون» وثلوجه إلى أشد المناطق انخفاضاً فى العالم حول البحر الميت - على انتشار القبائل فى تلك المناطق، واختلاف طبيعة حياتها.

وفى هذا المكان استطاع الإسرائيليون أن يكونوا أمة زراعية صغيرة، ولم يكن هناك كما تشير التوراة ملك لإسرائيل، بل كان كل يفعل ما يراه ملائماً وفقاً لهواه.

فكانت الفترة التى استولى اليهود فيها على بعض الأراضى فى فلسطين غير هادئة، بل كانت مليئة بالحروب والاضطرابات، لأنهم كانوا دخلاء فيها.

ولقد مات «يشوع بن نون». ولم يتمكن من تحقيق حلم «موسى»، فقد بقيت أرض كثيرة للامتلاك منها: «أرض الجبليين» وكل لبنان نحو شروق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان (يشوع ١٣ - ١و٥ و٦)، ومات موسى قبله وفى أعماق نفسه حسرة لمشاهدة أرض الميعاد «وتضرعت إلى الرب فى ذلك الوقت قائلاً: دعنى أعبر وأرى الأرض الجيدة فى عبر الأردن هذا الجبل الجيد، ولبنان» (تث ٣: ٢٣و٢٥).

وبين غزو كنعان وبين إنشاء ملك شاءول (١٢٣٠ - ١٠٢٣ق.م) وذلك فيما وصف فى التوراة بعصر القضاة - لم تكن إسرائيل بعد أن دخلت كنعان قد أحرزت بعد مقومات الأمة .. إذ كان عليها أن تقضى زمناً حتى تتحول من شبه رعوية إلى مجتمع زراعى، وإلى وضع سياسى خاص بها لتتحول من قبيله إلى أمة بحكم اتصالها بشعب كنعان، واختلاف نوعية المجتمع الإسرائيلى نفسه.

الفصل الثانى

عصر القضاة والملوك

عصر القضاة والملوك

كان اليهود يلجأون إلى قاضٍ في فترات الأزمات... وكان حارساً عاماً على مصالح الشعب، عرافاً، قائداً عسكرياً، ومخلصاً، كل في واحد. ولئن كان «سفر القضاة» سجلنا الوحيد لهذه الحقبة، فليس لدينا تاريخ واضح محقَق عنها، ذلك أن بعض القضاة لم يصلنا من تاريخهم إلا أسماؤهم، كما لم يحدث أن استطاع أحد منهم حكم إسرائيل جميعا.. ومع أن الأزمة الفلسطينية كانت طارئة فلم تستطع القبائل مواجهتها.

ويذكر المؤرخون اليهود «كان الفلسطينيون شعباً إغريقياً مطرودين من جزيرة كريت، ومن شواطئ آسيا الصغرى أمام غزاة من الشمال. فلما فشلوا في الاستقرار في مصر ثبتوا أقدامهم على شاطئ فلسطين بالقوة حول خمس مدن هي: غزة، وعسقلان، وأشدود، وعقرون، وجت،كما احتلوا أخصب البلاد في المنطقة، بفضل ما كانت لديهم من أسلحة عظيمة، إذ ورثوا عن الحيثيين سر صناعة الحديد وتحويله إلى أسلحة.. وما كانوا عليه من بنيان جسمي قوي.

ولم يكن للإسرائيليين أن يقاوموهم .. وبعد هزيمتهم في موقعة

أفــيق (APHEK) وبعد سقوط تابوت عهد الرب فى الموقعة فى يد الفلسطينيين سنة ١٠٥٠ ق. م كـان الدرس واضحـاً وهو أن على الإسرائيليين أن يكون لهم قائد يحميهم من اضطهاد الفلسطينيين.

عصر الملكية لدى اليهود «شاؤول»

هناك كثير من الإشارات فيما ينسب إلى «شاؤول» (أول ملك على اليهود) وما كان لصموئيل فى ذلك من دور. فقد طلب الإسرائيليون من «صموئيل» أن يختار لهم ملكاً. فنهاهم عن ذلك ناصحاً بأن الملك سوف يستغلهم، وطفق يعدد لهم مساوئ الحكم الملكى. ولكن اليهود أصروا على أن يكون لهم ملك يحكم بينهم ويقودهم فى المعارك. فكان أن انصاع صمويل لصوت الشعب. فكان أول ملك اختاره «شاؤول» ابن «قيس» وكان شاباً قوياً لم يكن مثله بين أبناء إسرائيل. وكان قد حقق انتصاراً على الفلسطينيين مما دفع القبائل الإسرائيلية المختلفة إلى المناداة به ملكاً، وكانت مدة ملكه سلسلة من الحروب ضد الفلسطينيين (١).

وفى حروبه هذه لم يحاول مرة إعلان التعبئة العامة أو حرص على فرض ضرائب جديدة وكان هذا الملك يقتات من عمله الخاص فى حقله ولم يتخذ لنفسه قصراً أوحاشية وكان يكتفى بدعوة ضباطه إلى منزله، كما أنه اعتاد أن يعقد مجلس الحرب فى ظلال الشجرة المقدسة.

وقد بدأ حكم «شاؤول» بالكفاح ضد الفلسطينيين. إذ شُغِلَ فى أعوام حكمه الأولى ببناء جيش قوى، جلب له الكثير من قَبيلته «بنيامين» وحقق به النصر فى «مخماس» مع عدد آخر من الانتصارات التى أدت إلى خروج الفلسطينيين من كل من «بنيامين» و«أفرايم» وإلى عدد من الإغارات على جيران آخرين منهم

(١) صموئيل الأول ٩ ـ ١٤.

«المؤابيون» و«العمونيون» و «الآراميون» فى الشرق والجنوب الشرقى ثم «العماليق» فى الجنوب.

وكان «شاؤول» يوزع الأراضى المستولى عليها من العدو على رؤساء «البنياميين»، لذلك كان حكمه كملك حكماً قبلياً، وبينما كانت قبيلته تكون قلب جيشه إذ به يجمع الرجال الأقوياء من مختلف القبائل حول قبيلته، ومن بين هؤلاء الرجال الأقوياء. كان «داود» وهو من قبيلة يهوذا.

ولقد ملأ «شاؤول» الحلقة المفرّغة بين حكم القضاة البدائى وبين إنشاء الملكية الكاملة تحت حكم «داود» ولعله كان الشخصية التراجيدية فى قَصَص التوراة.

على أنه لم يصلنا إلا القليل عن إدارة الدولة فى عهد «شاؤول» ويبدو أن الوحدة بين أجزاء دولته ظلت ناقصة إذ انحصرت سلطته الكاملة وسط البلاد، على حين وصلت سلطته إلى مناطق الحدود بالتدريج. وقد كان مقره موطنه الأصلى «جبعة» فى أرض «بنيامين».

وفى أواخر حياته أصيب بلوثة عقلية فاتهم كثيرين من الإسرائيليين بالخيانة، كما أن من بين الذين حل بهم غضبه كان «داود» الذى عينه «شاؤول» مساعداً له وزوجه ابنته وجعله أحد كبار قواده، وأخيراً حاول «داود» بمساعدة ٦٠٠ مغامر تأسيس مملكة لنفسه فى أقصى جنوب يهوذا، إلاّ أنه فشل واضطر للهرب إلى الفلسطينيين والانضمام إليهم ووضع سيفه فى خدمتهم ضد مواطنيه السابقين.

ويذكر العهد القديم أن «شاؤول» لقى وأبناؤه حتفهم فى حرب ضد الفلسطينيين الذين مثلوا بجثثهم وعلقوها على حيطان «بيت

شام، وعاد قلب فلسطين إلى الفلسطينيين ثانية وطردوا الإسرائيليين الذين كانوا قد استقروا هناك.

وهكذا نجد أن الأعمال التى قام بها «شاؤول» والخاصة بالوحدة بين الشمال والجنوب وتحرير الإسرائيليين من الاستعباد قد ذهبت مع الريح، ولو أن النظام الملكى ظل قائماً.

الملك «داود»

استطاع «داود» وهو ابن «يسى» أحد مزارعى قبيلة «يهوذا» التى كانت عدو شاؤول الوحيد بالداخل. أن يحرز انتصاره على «جليات الفلسطينى»، ثم بزغ نجمه حتى صار أحد أركان جيش «شاؤول» يذهب معه فى حروبه حيث ذهب. ثم تزوج ابنته وصار صديقاً حميماً لابنه «يوناثان» وقد أصبحت غاراته الجريئة على الأعداء نغمة الملاحم الشعبية.

غير أن «شاؤول» قد بدأ يخشى شعبية «داود» فلما استشعر «داود» الخطر يحدق به حتى فر إلى موطنه فى مرتفعات «يهوذا» وعاش أعوامه التوالى كخارج على القانون، وإلى ذلك أشارت التوراة إذ أجبر «داود» على اللجوء إلى الفلسطينيين. حيث شهد الحرب التى خاضها «شاؤول» وأبناؤه الثلاثة وجرحوا فيها جروحاً بليغة رفض حارسهم الفلسطينى أن يعجل بالإجهاز عليهم تخلصاً من الموت البطىء. فلما رفض حارسهم أخذ شاؤول سيفه واندفع إليه. وشهد «داود» مأساة موت الملك وأبنائه الثلاثة.

وقد ورث «ايشبوشث» الملك عن أبيه. فنقل مقره إلي «محنايم» شرق الأردن. وأصبح «داود» فى وضع يجعله يسعى للملك فحمل بجيشه على «حبرون» فدخلها بعون الفلسطينيين الذين سعدوا بالخلاف الداخلى فى إسرائيل. وكانت قبائل «يهوذا» ترى فى «داود»

زعيماً لها ،كما كانت على استعداد لقبوله ملكاً. غير أن «داود» كان طموحاً حريصاً على استكمال ما بدأه «شاؤول» من توحيد قبائل إسرائيل كلها لا «يهوذا» وحدها تحت سلطاته. وقد كان وضع الإسرائيليين غير مكين بعد انكسارهم أمام الفلسطينيين في جبل «جلبوع» ولكنهم كانوا مصممين على إرساء دعائم مملكة لهم. وكان على «داود» في سبيل تثبيت ملكه أن يحاول حل المشاكل الداخلية والخارجية جميعاً. وأن يخوض لذلك غمار حروب متعددة. ساعده موقف «ابنير» (ABNER) قائد جيوش «إيشبوشث» إذ أحس بالفارق بين سيده وبيين داود. ثم ما تبع ذلك من خروج الكثير على «ايشبوشث» حتى أحدقت به العزلة.

وانتهز «داود» هذه الفرصة وأعلن قيام دولة مستقلة في الجنوب وسكانها خليط من إسرائيلي «يهوذا» وبعض أفراد قبيلة «كالب». واتخذ «داود» مدينة «حبرون» عاصمة لمملكته الجديدة، كما أطلق على مملكته هذه «يهوذا» نسبة إلى قبيلة «داود» نفسه. لذلك نشبت حرب بين «ايشبوشث» وبين «داود» دامت زهاء سبعة أعوام وانتهت لصالح «داود» بفضل حادثي قتل و خيانة، أولهما ضد (أبنير) ابن عم (شاءول) وأحد قواده العظام، كما نجح في تدبير مؤامرة لقتل «ايشبوشث» وقد نفذها قائدان من البنياميين، وبذلك توج نفسه ملكاً على إسرائيل ثم أخذ يعمل لتوحيد البلاد وتكوين جيش قوى وإجلاء الفلسطينيين(١)، وانتصر «داود» عليهم واستولى على «أورشليم» التي كانت العقبة في اتحاد الجنوب مع الشمال،وفضلاً عن هذا كان يطمع في اتخادها مقراً له لأنها ليست شمالية فتغضب الجنوبيين أو جنوبية فتغضب الشماليين بل مدينة وسطى محايدة فتحتها قوات مشتركة من الشماليين والجنوبيين وأقام فيها «داود» وأصبحت قلعتها

(١) صموئيل الثاني، ١ ى ١٩و٢٧ .

«صهيون» تعرف بإسم «مدينة داود» واستطاع بمساعدة عمال وفنيين كنعانيين بناء قصر له فيها.

أما جهاز مملكته الإدارى فكان بسيطاً جداً وجيشه يتكون من عنصرين:

١ ـ «صبا» وهم مجموعة من الرجال الأشداء من مختلف القبائل، وكانوا يستدعون عن طريق النفير أو رفع الأعلام أو إشعال النيران فوق قمم الجبال ولا يرتدون زياً رسمياً، أما عددهم ومدة خدمتهم فموضع خلاف.

٢ ـ نفر من الجيش النظامى وعدد رجاله ستمائة مقاتل وكانوا قد تجمعوا حول «داود» عندما نفاه «شاؤول» وهم «جبوريم» أو «جبورى داود» أو «كريتى بليتى»نسبة إلى عشيرتين فلسطينيتين، ومعظم أفراد هذا الحرس من الأجانب وبخاصة من العشيرة المعروفة «جيتيم» نسبة إلى مدينة (جات) وكانوا يكونون بزعامة قائدهم «اتاى» فرقة من جيش «داود» وكان هذا الجيش يعيش على السلب والنهب.

وقد انتهز «داود» الضعف المؤقت لكل من مصر وآشور ليبنى حدوداً قوية لملكه. فأمن ملكه وحدوده، بغارات على الدويلات المجاورة.

وقد امتد حكم «داود» أربعين عاماً، وكانت أعوام حرب. حتى تمكن من توطيد ملكه من حدود مصر وخليج العقبة إلى نهر الفرات.

لكن أيام «داود» لم تنته كما بدأت، ففى النصف الثانى من سنى حكمه تعرض لكثير من المؤامرات بسبب وراثة العرش فنجد ابنه الأكبر «أمنون» يقتل بيد أخيه أبشالوم» الذى ثأر لأخته «تامار» التى فض «أمنون» بكارتها ثم ألقى بها خارج الباب. فبقتل (أمنون)

تخلص «أبشالوم» أيضاً من منافسة «أمنون» له فى اعتلاء العرش. لكن «داود» تألم لهذا الحادث فطرد «أبشالوم» الذى قام بثورة ضد «داود» مما اضطر الملك إلى الهرب إلى شرق الأردن ومعه حرسه الخاص «جبوريم» وانتصر قائد هذا الحرس على «أبشالوم» وذبحه واسترد «داود» مملكته. لكن ليس معنى هذا أن الأمر قد استتب «لداود» وذلك لأن رجال قصره انقسموا إلى حزبين حزب يؤيد «أدونيا» الابن الأكبر «لداود» وينادى بأحقيته فى وراثة العرش، وكان داود يميل إلى هذا الرأى وحزب يناصر الابن العاشر «سليمان» وذلك بفضل المساعى التى بذلتها أمه الجميلة أقرب النساء إلى قلب الملك. ولما شعر «أدونيا» بهذا الخطر الذى يتهدده قرر إعلان نفسه ملكاً قبل وفاة الملك «داود» إلا أن « بت - شبع» أم سليمان طلبت إلى الملك الشيخ أن يهدى العرش إلى «سليمان» فخشى «أدونيا» العاقبة وهرب واستجار بالمذبح راجياً العفو.

ثم مات «داود» بعد هذا الحادث بزمن قصير وكان شخصية تجمع كثيراً من المتناقضات، كان قوياً جباراً إذا ما تطلب الموقف الشدة.

وتُصَوِر التوراة «داود» - على أنه كان شديد القسوة، فتروى أن «داود» قد جمع كل الشعب وذهب إلى (ربة) عاصمة «عمون» وهى عمان الحالية، وحاربها وأخذها .. وأخرج غنيمة من المدينة كثيرة جداً. وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد. وأحرقهم فى أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون. ثم رجع «داود» وجميع الشعب إلى «أورشليم».

وهكذا تنسب التوارة إلى «داود» أنواعاً من التعذيب لم يعرفها الإسرائيليون من قبل رغم ما يعرفه قراء التوراة من وحشية اليهود التى لا أثر للرحمة فيها. ومدى استهانتهم بالروح البشرية - فالإحراق

بالأفران بالقاء القوم فى أتون النار، وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار، ووضعهم تحت نوارج الحديد وفئوسها هذا غير مقبول ولا مستساغ من أطغى الطغاة.

أما مع أولاده ونسائه فقد كان ضعيفاً جداً، هذا إلى جانب أنه كان شاعراً وموسيقياً وخطيباً. وبينما العهد القديم والتوراة عدد سيئات النبى «داود»، فإن القرآن الكريم قد خصه بالآية الكريمة

﴿ وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً ﴾.

(سورة الإسراء الآية ٥٥)

الملك «سليمان»

اختار «داوود» وهو على فراش الموت ابنه «سليمان» من أحب نسائه إليه «بت ـ شبع» وهى زوجة «أوريا الحثى» أحد ضباط «داود» والمقربين إليه.

وإلى قصتها مع «داود» عليه السلام يشير القرآن الكريم بالآية الكريمة:

﴿ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وأن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن «داود» أنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب ﴾.

(سور «ص» آية ٢٣ ـ ٢٤)

وقد ملك «سليمان» على إسرائيل وقرر أن يحكم حكماً مطلقاً، وقد كلفه تحقيق هذه الرغبة أن يقضى على العناصر التى قد تعارضه، فقتل أخاه الابن الأكبر والوريث الشرعى «أدونيا» كما

تخلص من كبير الحاخاميين حتى لا يثير الأحكام الشرعية ضد «سليمان» إذا ما خالفها. لقد ورث «سليمان» ملكاً ويجب المحافظة عليه وتحويله إلى وسيلة لتقوية سلطانه وتحقيق رغباته فاستغل «سليمان» ملكه ليكون مصدراً لثرائه وأبهته، فحكم البلاد حكماً مطلقاً ولم يخض «سليمان» غمار حروب كثيرة، فقد بلغ «داود» بالمملكة حدوداً لن يستطيع «سليمان» تجاوزها، وللمحافظة علي حدودها لم يستخدم جيشاً أو أسلحة بل سلك طريقاً آخر ألا وهو طريق الدبلوماسية والمصاهرة فتزوج من بنات ملوك «العمونيين» و «الموابيين» و«الآراميين»، و«الكنعانيين» و«الحيثيين»، بل واقترن بإحدى بنات «فرعون» فحصل عن طريق إتمام هذا الزواج على فتح الطريق إلى البحر المتوسط. وكان «سليمان» يضع فى الاعتبار ضعف مصر فى هذا الوقت (١٠٠٠ ق.م) وتقسيم أرض النهرين إلى دويلات عديدة. فاستطاع ضم بعض المدن ذات المنزلة الاستراتيجية الهامة فضم كلاً من «جاذر»، و«مجدو» على الطريق بين مصر ودمشق. ثم «تدمر» وهي باب طريق القوافل إلى البحر الأحمر و«حران». وعلى الرغم من أن إسرائيل كانت دولة زراعية فقد وجد «سليمان» أن التقدم فى الميدان التجارى أمر يسير، فعمد إلى إنشاء أسطول عظيم، وجعل «عصيون جابر» الميناء الرئيسى فى خليج العقبة.

وقد شجع «سليمان» كذلك الاكتشافات الجغرافية، فأبحرت سفنه حتى وصلت إلى اسبانيا وبهذ اجعل منطقته حلقة اتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.

واستطاع «سليمان» كذلك أن يحمل ملكة سبأ على أن تهرع إليه مقدمةً هداياها وجمالها لتتزوجه وتعقد اتفاقات تجارية مع دولته.

وبعد أن أمن «سليمان» مملكته خارجياً أخذ يعمل لتأمين عرشه داخلياً وبخاصة فهو يعرف تماماً أن أهم مشكلة واجهت «داود» هى

طموح بعض القبائل إلى التمتع بنوع من الحكم الذى يضمن للشعب إبداء رأيه فيما يتخذه الملك من قرارات، قد تؤذى الشعب. ولاشك فى أن تحقيق هذه الرغبة يتعارض مع رغبة «سليمان» فى الحكم المطلق، لذلك ركز «سليمان» جهوده فى تفتيت أى تحالف قد يقوم بين هذه القبائل، كما مزق الحدود بينها ليخلق منها مشكلة دامية تفرق بين هذه القبائل وتشغلها عن الانتباه «لسليمان» وما يتخذه من مخالفات شرعية. فقسم المملكة إلى اثنتى عشرة محافظة، على كل محافظ أن يتولى جمع الضرائب التى يحتاج إليها الملك، كما فرض على كل محافظ إعاشة الملك، وحاشيته وجيشه وخيله شهراً.

ويذكر سفر الملوك الأول أن «سليمان» عين موظفين من حاشيته والمخلصين لهَ لتوعية القبائل وتوجيهها لخدمة الملكية وأن العاصمة الوحيدة التى يجب على الشعب الاتجاه إليها هى «أورشليم» ولكى تسيطر «أورشليم» على سائر المدن والعواصم المحلية للمحافظات المختلفة يجب أن تزخر بالعظمة والأبهة، وقد نجح «سليمان» فى تحقيق هذه الغاية وبلوغها، فأكثر من المبانى الحكومية والملكية كما حصن المدينة وأمدها بقناة تحمل إليها المياه كما ختم مشروعاته العمرانية ببناء آخر جعل من أورشليم المدينة الرئيسية ومدينة المستقبل أعنى إقامة المعبد على تل (موريا) وهكذا تبلورت العبادات فى مكان بعينه أصبح المنارة التى تضىء للقوم طريقه.

معبد «سليمان»

شيد «سليمان» معبداً لعبادة الإله «يهوه»، وانتقده بعض الأنبياء المتأخرين وبخاصة لكثرة البذخ الذى يتجلى فيه[1] وهو من الناحية الدينية لا يتميز عن غيره من المقدسات الأخرى التى وجدت فى «سماريا أوسيلو»[2]، فالمعبد السليمانى فى نظر هؤلاء الأنبياء عديم القيمة.

---

(١) أرميا ٧ .
(٢) أرميا ٧ ى ١٢ وفيما ١ ى ١٠

ومن مساحة المعبد نتبين أنه لم يشيد لكي يتسع لاجتماع القوم بل ليكون بيتاً لسكن الله، هذا ويعتبر معبد سليمان مبدأ تحول في الطقوس الإسرائيلية فقبله لم يكن هناك بيت مقدس يحمل اسم «يهوه» لذلك كان الشعب الإسرائيلي يصعد إلى المرتفعات ويؤدي طقوسه الدينية لكن الآن بعد أن أوجد المعبد الذي يحمل اسم الله أصبحت تأدية الطقوس خارجه باطلة وكأنها عبادة وثنية (١).

لكن قيام المعبد لم يقض على الأماكن المقدسة الأخرى التي كانت منتشرة في البلاد وبخاصة فإن الدولة الشمالية لم تعترف بهذا المعبد لأن لها معابدها الخاصة في «بيتئيل» و«دان» وفي البيت الملكي. وكانت هذه الأماكن تقوم بدور مهم في سبيل تأدية الطقوس الدينية، كذلك نجد ملوك مملكة «يهوذا» حتى عصر الملك «حزقيال» يحافظون على الأماكن المقدسة الأخرى القائمة على المرتفعات ولا يحاولون القضاء عليها، وعلى النقيض من ذلك نجد النبي «إلياس» يبني المذبح الذي تهدم على «الكرمل» ولما ثار أنبياء مثل «عاموس» و«هوشيع» و«ميخا» و«أشعيا» ضد هذه المبالغة في العبادات لم يقصدوا هذه المبالغة في العبادات بل أماكن العبادة ذاتها وأنها أدنى من المعبد، بل نظروا إلى تهالك الشعب على تقديم القرابين وغيرها وهي ليست كل ما يطلبه الله من عباده، وكانت عظاتهم لا تدعو إلى هدم المذابح وتقديم القرابين إلى معبد «أورشليم» بل كانوا يبشرون بأن الله لا يرجو منهم شيئاً غير العمل الصالح وحب الآخرين والتواضع.

---

(١) الملوك الأول ٣ ى (٢) وتثنية ١٢ ى ١٠.

ومع مضى الزمن نجد (المعبد السُليمانى) يكتسب قلوب سكان مملكة «يهوذا» كمعبد ملكى. فالنظام الملكى خدم المجتمع الإسرائيلى خدمات جليلة فهو الذى جمع بينهم ووحد صفوفهم سياسياً واجتماعياً، ولما شيد «سليمان» المعبد، جمع معبده قلوبهم فقصدوه من مختلف الجهات، فتعارف الإسرائيليون وتآخوا واجمعوا على طقوس واحدة وعبادة واحدة، ولم تتح الفرصة للخلافات العقائدية المتوارثة للظهور ثانية فتسبب الفرقة والانقسامات. وكان يعاون الملك ويشاركه فى هذه الاحتفالات خدمه وكبار موظفى الدولة، ويحيط الشعب ومليكه بأقدس ما جاءهم عن آبائهم الأولين «التابوت المقدس».

ولما توارت «سماريا» من المسرح السياسى أخذت مكانة (المعبد الأورشليمى)تزداد سمواً وشهرة. وانفرد بالمكانة الدينية فى جميع أنحاء البلاد، وتنكر «يهوه» للمقدسات القديمة واعترف بـ «صهيون» فتحول الرأى العام الإسرائيلى إلى الفكرة الصهيونية وآمن بأن «صهيون» مقر الإله ولن يزول (أرميا ٧ى ٤).

لكن معبد «أورشليم» بالرغم من حسناته العديدة إلا أنه ابتعد عن العقيدة الإسرائيلية اليهودية بسبب الأصول الطقسية التى باشرها وحرض الشعب على الإيمان بها، وهذه الطقوس هى فى الواقع طقوس كنعانية.

شهد عصر «سُليمان» تقدماً مادياً كبيراً. إذ تزايد عدد المدن والقرى. وتضاعف عدد السكان فوصل إلى ٨٠٠ر٠٠٠ نسمة. ولكن ذلك إنما أقام فى وجهه مشاكل مالية اضطرته إلى فرض ضرائب على الشعب، إلى جانب سيطرته على قرابة اثنتى عشرة مقاطعة فى الجليل.

واستغل «سليمان» شمالاً وجنوباً علاقاته الودية من ناحية ومهاراته السياسية من ناحية أخرى، فقد نجح تجار «سليمان» فى احتكار التجارة المصرية سلعاً ونقلاً، كما أجبر «سليمان» القبائل الشمالية على شراء حاجياتهم من تجاره الخصوصيين، وبالغ «سليمان» فى احتكار وسائل كسب العيش فلم يترك وسيلة من وسائل الرزق إلاّ وسيطر عليها، حتى رسوم المرور التى كانت من قبل حرة فاحتكرها وفرض أتاوة عليها محتجاً ببعض الطرق التى عبدها وزودها ببعض المحطات. واستغل «سليمان» الصداقة القديمة بين والده والفينيقيين فاشترك معهم فى أسفارهم البحرية إلى جنوب إسبانيا، وأمده الفينيقيون بالملاحين وبناة السفن الذين شيدوا له أسطوله التجارى الذى كان يخرج من «إيلات» وغيرها من خليج العقبة إلى المدن الساحلية فى الجزيرة العربية وإفريقيا والهند، وهكذا عادت تلك الأسفار وهذه التجارة على «سليمان» بالخير العميم.

والنتيجة المنتظرة لهذا الاحتكار الملكى للاقتصاد العام للمملكة إثراء الحاشية والطبقة الخاصة التى أسند إليها الملك هذه الأعمال الاقتصادية، فظهرت فى المجتمع الإسرائيلى طبقة قوامها الحاشية والموظفون التجاريون، وقد أصبحت هى صاحبة الجاه والثروة وسال الذهب فى خزائنها فتطورت الحياة الاجتماعية الصاخبة فى المدن التى أخذت تشتهر بالصخب والملذات.

أما السواد الأعظم من الشعب فقد انزوى واكتفى بالزراعة والمهن الصغيرة التى لا تقوم بأوده لاضطراب ميزان الحياة الاقتصادية وظهور طبقة غنية تشترى كل حاجياتها بأفدح الأثمان فى حين عامة الشعب تئن وترزح تحت نير ارتفاع الأسعار وتكاليف الحياة فتمزق المجتمع الإسرائيلى داخلياً فأوجد هذا الوضع حالة تذمر ضد «سليمان»، واستغلت المعارضة الساخطة تهاون «سليمان» الدينى

وأقامت كثيراً من دور العبادات الأجنبية فى البلاد، ووردت كذلك أفكار دينية جديدة. فقد انتشرت عبادة «يعل» وغير يعل فى إسرائيل. واتهم «سليمان» بمحاباته لقبائله فى الجنوب، مما اضطر القبائل الشمالية إلى التمرد ضده حين فرض العمل الإجبارى عليهم. وتكتل معظم (الأسباط الإسرائيلية) ضد هذا الحكم المطلق فظهرت فى أواخر عهد حكم «سليمان» فى مدينة (سيلو) حركة ثورية عارمة مناهضة لسليمان» وسياسته، وتزعم هذه الثورة النبى (أخِيّا). وناصره «يربعام» الذى اشتهر بقسوته الوحشية إبان توليه منصب إدارة العبيد فأعجبت هذه القسوة «سليمان» فعينه فى إدارة السخرة فى سبط «أفرايم». ولما انضم إلى الثوار حاول «سليمان» قتله فهرب إلى مصر بعد أن أعطى الإشارة لاندلاع الثورة التى ناصرتها مصر بخاصة، فالفرعون الجالس على عرشها لم يكن صهر «سليمان». وعملت مصر على توسيع رقعتها فثار «الآراميون» و «الأدوميون» وقوى الثورة التى انتشرت فى جيش «سليمان» فأصبح غير قادر على خوض غمار حرب أهلية تساندها مصر التى أدركت فى قوة إسرائيل فى عهد «سليمان» خطراً يهددها.

وهكذا أدت الاضطربات الداخلية والأخطار الخارجية ثم موت «سليمان» إلى الكارثة الخطيرة التى تردت فيها إسرائيل، فالوحدة التى نجح «داود» بعد جهد فى تحقيقها تلاشت، والمجتمع الذى لم يعرف النظام الطبقى أصبح فى عهد «سليمان» سادةً وعبيداً أصبح رأسمالية ملكية مستولية على كل شئ وشعباً أثقل الفقر والمرض كاهله فأسلمت هذه الكوارث المجتمع الإسرائيلى إلى يد أعدائه، فما خرج من سبى إلا ليتردى فى غيره حتى جاء «تيتوس» فى القرن الأول الميلادى عام ٧٠ وضربه الضربة القاضية فتشرد فى مختلف بلاد العالم تتلقفه الأحداث وتنتابه المصائب.

على أن التاريخ يذكر - رغم قصر حكم «سُليمان» - أنه وحد العقليات بين أبناء أمته. وقد أوردت التوراة مظاهر إعجاب هذه الأمة به، بما خلف لها من تراث من الأساطير والحكم والأمثال وأغاني الحب وغيرها.

فقد ذكره القرآن الكريم:

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾

(سورة النساء الآية ١٦٣).

وقال الله تعالى:

﴿ وداود وسُليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لكم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾

(سورة الأنبياء الآية ٧٨، ٧٩).

وقال الله تعالى:

﴿ ووهبنا لداود سليمان نِعْمَ العبد إنه أواب ﴾

«سورة ص الآية ٣٠».

الفصل الثالث

سقوط الملكية

سقوط الملكية

ثلاثة ملوك فرضوا على إسرائيل شخصيتهم حتى أصبحت تعرف بأسماء «شاؤول» و«داود» و«سليمان» الذين تعاقبوا خلال ثلاثة قرون على حكم شعب إسرائيل عصر الملك الأول - عصر البطل - «شاؤول»، وعصر «داود» هو عصر «المزامير»، ثم عصر «سليمان» الحكيم.

إلا أن حكم هؤلاء الملوك لم يترك أثراً يذكر فى الملكية ذاتها، لقد جاء بعد «سليمان» ابنه (رحبعام) وحاول أن يستفيد من كل أبهة الملك وجاهه إلا أنه فشل فى تثبيت مبدأ الوراثة بالرغم من مساندة سبطى «يهوذا» و «بنيامين» لبيت «داود». لقد ناصر السبطان بيت «داود» لا الملكية ومبدأ الوراثة وذهبت بقية الأسباط النازلة فى قلب المملكة وشمالها بعيداً فأنكرت (الملكية) ولم تعترف به ملكاً عليها، فما كان منه إلا التمادى فى علوائه واستبداده، وبدلاً من الأخذ بنصيحة أحد مستشاريه العقلاء وحكمته، قد أخذ بنصيحة أخرى أخذ فيها بالتهديد والوعيد. فكانت سياسته مؤدية إلى إنهيار ملكه واضطراره إلى الهرب إلى القدس.

وحدث أن (يُربعام) الذى ثار فى وجه استبداد «سُليمان» ولجأ إلى مصر لم يكد يعلم بوفاته حتى عاد إلى وطنهِ وقاد الثائرين ضد حكم الفرد المستبد الذين أجمعوا على اختيار «يُربعام» ملكاً، وهكذا تفككت أواصر المملكة وقامت فى البلاد دولتان؛ إسرائيل فى الشمال وتسمى أيضاً دولة «أفْرايم» أو «سماريا»، ويهوذا» فى الجنوب.

ولئن بدت نذر الانفصال فى عهد «سُليمان» فلم يعد بعد موته ممكناً تجنب الدولة الانقسام إلى دولتين منفصلتين سياسياً وتاريخياً، وقد كانت إسرائيل أكبر وأثرى. ولكنها لم تعمر أكثر من مائتى عام. على حين كان قدر «يهوذا» مختلفاً، كانت أصغر وأقل ثراءً. وكان لها فرصة الاستقرار العقدى والدينى الذى تمثل فى معبد «القدس» حيث ساعد موقعها الجغرافى على عدم إغراء المعتدين.

المملكة الشمالية (سماريا)

كان (يربعام) أول الملوك التِسعة عشر الذين حكموا إسرائيل خلال القرنين التاليين. ويذكر «يربعام» فى سِفر الملوك أنه هو الذى فتح الطريق مرة أخرى أمام عبادة «بعل»، وبعض مظاهر العبادة الوثنية فى إسرائيل. فلم يكتمل لإسرائيل المظهر الدينى الخالص أبداً، لكثرة الاحتكاك بالأجانب. وقد وفق «يربعام» سياسته على هذا الواقع.

ومن أسباب ضياع دولة «سماريا» عدا إقحام نفسها فى السياسة الخارجية لجاراتها الخلافات الدينية التى فصلتها ثم عزلتها عن دولة «يهوذا» دينياً مما اضطرها إلى الارتماء فى أحضان جاراتها عقائدياً وثقافياً حتى أصبحت وكأنها أجنبية فملكها «يربعام» الثائر ضد أسرة «داود» واللاجئ إلى مصر لا يتوانى منذ اعتلاء عرش دولة إسرائيل

أو «سماريا» في تفتيت الوحدة التي بدأها «داود» بين مختلف أسباط المجتمع الإسرائيلي ثقافياً وعقائدياً، فقاوم معبد «أورشليم» ليجرده من أهميته الدينية كمركز رئيسي للعقيدة وطقوسها وذلك عن طريق تدعيم معبدي (بيثئيل) و(دان)، ومنحهما الصفة المقدسة.

وهكذا أخذ الشعب الإسرائيلي يعود ثانية إلى الطقوس القريبة إلى الوثنية منها إلى الوحدانية، وهذا الانحراف الديني دفع كثيرين من «اللاويين» وغيرهم من المتدينين إلى مغادرة البلاد والهجرة إلى يهوذا.

ثم كان لكل من «عمري» (OMRI) «يربعام الثاني» دور في تطوير السياسة في المملكة الشمالية. وإقامة نوع من الصداقة مع «يهوذا» فاستطاع «عمري» أن يوسع من حدود مملكته وأن يوطد علاقته «بالفينيقيين»، وتلك صور خاصة في زواج ابنه «آخاب» من ابنته «ازابل» بنت «أثبعل» ملك صيدا، وقد كان هدفه مقاومة القوة التي قامت في دمشق، قوة الآراميين.

غير أن الفوارق الطبقية، زادت اتساعاً خلال هذه الحقبة فزاد الفقير فقراً والغني غنى.

وفضلاً عن ذلك فقد ازدادت الأزمة الدينية، فقد جلبت «ازابل» معها دينها الوثني الذي حرصت على نشره والتبشير به في الناس، فكان أن تعرضت هي وزوجها بهذالكراهية الأنبياء. فاتهم النبي «إيليا» وجماعته «آخاب» بأنه يتبع دين زوجته. وأنه يعرض إسرائيل لغضب أهلها مما لم يفعله ملك قبله.

وقد تعرضت إسرائيل لغزو «آرامي» في عهد «بن حدد الثاني» ملك «آرام»حيث نصح الشيوخ «آخاب» بالمقاومة فنجح في المرة الأولى وأخذ «بن حدد» أسيراً في غزوه الثاني إلا أنه أطلق سراحه بعد ذلك.

وكانت الحياة تتصل بالعقيدة اتصالاً وثيقاً فانقسم المجتمع الإسرائيلي على نفسه إلى قسمين: قسم بزعامة (يوناداب بن ركب) ويعرف أنصاره بـ «الركابيين» وكانوا يدعون إلى التقشف ومقاومة التبرج والبذخ أوحياة الترف والانحلال الخلقى، وكانوا ينادون بهجر المدن لفسادها والحياة فى القرى المقامة من الخيام لبساطتها وبعدها عن زخرف الحياة.

أما المعارضة فقد تجمعت حول شخصية النبى (إلياهو) الذى عارض هذا الوضع الجديد للشعب الإسرائيلي وعقيدته، وقال إنه العامل الرئيسي للانحلال، لذلك سعى جاهداً لتحطيمه فاندفع النبى (إلياهو = إلياس) واعظاً ومنذراً ومن ثم اختفى فجأة فى الصحراء، معتكفاً ليجمع قواه الروحية ويعادو الكرة مرة أخرى، وقد أمده الله بقوته مخلصاً لربه ورسالته وتجمع حوله بعض الأنصار الذين بهرتهم شجاعته وإيمانه واتخذوه مثالاً رفيعاً وتسمت هذه الجماعة باسم (نزيريم = نذر)، وقبل أن يتوارى النبى «إلياس» اختار خليفته وهوالنبى (إليشع = إليسع) كما ترك جماعة منظمة قوية وهى الـ (نزيريم) التى نجحت وحطمت الأسرة الملكية الطاغية أسرة «عمرى». وإبان حكم (يهورام) آخر ملوك أسرة «عمرى» ظهرت آثار المجهودات التى بذلها كل من النبى «إلياس»، والنبى «إليسع» فظهر قائد جديد طمع فى الحصول على العرش والجلوس عليه.

هذا القائد هو (يهو) وقد سلك مسلك سابقيه عند رغبتهم فى اغتصاب العرش فحاول إبادة أسرة (عمرى) تحقيقاً لنبوءة النبى «إلياس» أو «إليسع»، لذلك عطل عبادة «بعل» كما قتل إزابل زوجة «آخاب» وأبناءها جميعاً وكثيرين من كهنته وهكذا اختفت فينيقيا من المسرح السياسى فى دولة إسرائيل أو سماريا. ثم أن حكم الفرد وما

يستتبعه من حجر على الحريات المختلفة انتهى إلى ما انتهت إليه سائر الحكومات الفردية المستبدة، فقد ثار الشعب الاسرائيلى المضطهد وخرجت منه جماعة (نزيريم) المعارضة لحكومة الفرد المستبد ولكل مذهب اجتماعى دخيل سواء كان تقليداً أو عادة أو عقيدة، فقد نظرت إلى مثل هذه المذاهب المستوردة نظرة عداء وبغض وكراهية.

وهكذا نجد المجتمع الإسرائيلى لا يخرج من دوّامة إلاّ وتتلقفه أخرى وتتحول إسرائيل إلى مسرح للانقلابات السياسية فلا يكاد يتربع ملك على عرشها حتى يقتله آخر ويحل محله معتقداً أو مدعياً أنه يحرر الشعب ويأخذ بيده إلى العزة والرفاهية.

إذ شهدت المملكة خلال حكم «يُربعام الثانى» عهداً أعادها إلى قديم قوتها وثرائها، غير أنه مع زيادة الثراء وإزدياد حدة الفوارق بين الطبقات زادت حدة الفساد الخلقى. فبينما تمتع الأثرياء بثرائهم شهد الفقراء من يتجر فيهم. وقد أنذر رجال الدين مثل «عاموس» و«هوشع» إسرائيل فإن عليها أن تعود إلى الله حتى تخلص مما تردت فيه.

ولقد تعاقب على عرشها من بعد «يربعام الثانى» ملوك ستة لم يدم الملك لأحدهم سوى شهر واحد. ثم تشتعل الحرب فى المنطقة. وتتحلل إسرائيل بالتدريج حتى استطاع الآشوريون الاستيلاء على مناطق منها إلى أن تمكن مليكهم «سرجون الثانى» من مقاومة «السامرة» ويحتل المدينة سنة ٧٢١ ق. م، وينتهى بذلك استقلال المملكة الشمالية دفعة واحدة.

وقد كان من نتيجة ذلك شتات آخر لقبائل إسرائيلية عشر توزعت فى أنحاء العالم، ولم يحتفظ سوى القليل منها بعقيدتهم،

وتزاوج الأجانب ممن هبط إسرائيل مع أهلها وانصهروا فى تقاليدهم تدريجياً. ومن ثم ظهر عنصر جديد نسب إلى العاصمة «السامرة» فسموا بـ «السامريين» وقفوا بعنف ضد العبريين. وأصبحت «السامرة» مقاطعة آشورية تحت سلطان حكام آشوريين وضاعت بذلك القبائل العشر، سياسياً وروحيا ضياعاً تاماً.

مملكة «يهوذا»

كانت «يهوذا» تفتقد كأى دولة فقيرة - لاملاحة ولا بحارة خارجية خاصة بها - لكل عناصر التقدم والرقى، فاضطرت لضمان حياتها وبقائها إلى العودة للزراعة ثانية.

وأخذت الدولة تفقد تدريجياً علاقاتها الخارجية، ومن ثم أصبحت مسرحاً لحروب طاحنة بسبب وضعها السياسى الشاذ وتعرضها لضربات خصومهامن الآشوريين وغيرهم مما اضطرها إلى محاولة الاحتماء بآشور فضاع استقلالها.

وكانت «يهوذا» وقتذاك ليست الدولة المستقلة ذات السيادة بل دويلة يتقاسمها الأمراء والكهنة والأنبياء، وكانت كل طائفة من هذه الطوائف متباينة فيما بينها من حيث النشأة والتطور إلا أنها كانت حريصة على مصالحها الخاصة وعلى زيادة ثرائها.

وكانت هذه الطبقات ، فى الواقع، هى التى توجه السياسة الخارجية غير مكترثة بمصالح الشعب إذا ما تعارضت ومصالحها الخاصة. وقد أسهمت فى إقامة المملكة الجنوبية قبيلتا «بنيامين» و«يهوذا» التى أضفت اسمها على المملكة، وقد كان من حظها تقلص مساحتها وعزلتها وتدنى منزلتها، سواء حليفاً أو عدواً، بالقياس إلى القوى المتصارعة فى الشرق الأدنى. وذلك مع تعرضها لتهديد جارتها الجنوبية مصر.

ولقد استطاع «آسا» ملكها أن يوقف زحف مصر الجنوبى. وأن يوغر صدر ملك «آرام» على إسرائيل، فضمن بذلك حدود مملكته الشمالية والجنوبية. وقد استطاع «يهو شافاط» ابن «آسا» أن يوطد ملك «يهوذا»، وأن يحسن علاقته بإسرائيل فزوج ابنه «يهورام» لابنة «آخاب» من «إزابل» «عثليا»، ولكنها لم تستطع بعد وفاته أن تستولى على السلطة باعتبارها أجنبية وكان الملك لابنه الطفل.

يهوذا تحت السلطان الآشورى

وقد وجدت «يهوذا» نفسها بعد تبعية المملكة الشمالية لآشور تنجرف إلى صراع القوى فى العالم القديم، حتى إذا كان عهد «آحاز» إذا باستقلالها الوهمى يشترى بالجزية من آشور. فكان أن فقدت «يهوذا» ما كانت تحظى به من حماية اكتسبتها من موقعها الجغرافى المنعزل. وشهدت السنون المائة والعشرون التى أعقبت ذلك صراع «يهوذا» من أجل بقائها وذلك ضد قوة «الآشوريين» أولاً ثم ضد وريثتيها «بابل» الجديدة ومصر ثانياً.

وقد وجدت «يهوذا» عزماً فى ملكها «حزقيا» الذى دخل فى معاهدة مع «بابل» آملاً بالتحالف معها فى توجيه ضربة لآشور، وكذلك حاول المصريون صد تقدم الآشوريين لولا هزيمتهم فى «عقرون»، غير أن «يهوذا» لم تتمكن من البقاء إلا تحت سيطرة آشور، حيث ساد السلام المنطقة أمداً يسيراً.

ووقعت أحداث كثيرة وإصلاحات، فى عهد «يوشيا» (٦٤٠ - ٦٠٩ ق. م)، يسرها تغيير الأحوال الخارجية إذ تهاوت آشور، بعد الذى لحق بها من ضعف بما تعرضت له من غزو الشمال أمام «بابل» الجديدة ومصر فى الجنوب، ثم كان لاكتشاف شريعة «موسى» فى المعبد وما بها من نظم اجتماعية وروحية أثره فى إثارة

الحماس الديني، فكان أن أعلن أنه القانون الذى يذكر العبرانيين دائماً بأنهم شعب القدس مدعو إلى مصير واحد.

وقد لقى «يوشيا» أول الأمر تأييداً من «آرميا» وإن كان قد تخلى عن تلك الإصلاحات حين رأى أنها لم تكن بذات أثر عميق فى الناس. وبدا كأنما استدار التاريخ دورة كاملة، فقد ترك بنو إبراهيم شواطئ الفرات فى فجر التاريخ وها هم هؤلاء يعودون سجناء متغيبين. وإذا «يهوذا» فى سلام، ولكنها مهجورة خاوية.

الفصل الرابع

عصر النبوة والأنبياء

عصر النبوة والانبياء

كانت حركة النبوة أقوى أصول الفكر العبرى، كما كانت في جوهرها دينية الطابع، ولكنها كذلك تجاوزت مصطلح الشعائر والأخلاق لتصبح فلسفة متينة للسلوك الفردى والاجتماعى.

والنبوة مصدرها الشعور الدينى المرهف، والجلاء الروحى، وإدراك الأمور التى قد تؤدى إلى انهيار المجتمع سياسيا وثقافيا واجتماعيا، فهى عنصر مزدوج دينى ودنيوى، إذ تجمعت أسفار الأنبياء على مدى يجاوز مائتين وخمسين عاما، شملت سقوط إسرائيل ويهوذا، فلقد ظل الأنبياء أجيالا ينذرون بانهيار الدولة العبرية. إذ قدموا إجابات عن الأسئلة التى دارت حول قدر اليهود. وكانت نظرتهم إن الله قد دمر خلقه. ولكن إسرائيل إذا كانت فيما يبدو قد انتهت، فإن اليهودية دينا وعقيدة قد بدأت فى أرض فلسطين، أما كتابات الأنبياء التى تواترت بالسماع فهى فى العرف السائد من عمل الأنبياء أنفسهم، غير أن علينا لتقدير القيمة القاطعة فى تلك الكتابات، أن نتناول مسئولية من جاء بعد من الحواريين، إن كانوا اقتصروا على الرواية وترتيب الكتب، أم كانت لهم يد فى

التأليف نفسه، وهل حرفت النبوءة لتجلو أفكاراً متأخرة، كما يقول «عاموس». ويستنتج من ذلك أن كلماته إنما جاءته عن فرض لا عن تعليم.

فاذا كانت للنبوءة التقليدية أن تتخذ وحدة بارزة فى الفكر اليهودى، فمن المهم أن نتذكر أنها تمتد ثلاثة قرون من التجربة المزاجية العنيفة.

لقد تميزت الظروف السياسية والاجتماعية التى عاشها الأنبياء بتقلبات حادة، وماكان لنبى أن يتعدى قدره البشرى، إذ يعتبر نفسه مختارا من عند الله رسولاً لشعبه. غير أن هذا لا يؤدى به إلى الشعور بأنه أكثر من إنسان. فهو يترك نفسه ينفعل غاضبا وتهزه مشاعره، وهو عرضة لحظات للضعف والتردد، ولكنه متفرد ينادى بقوة بأفكار تعبر عن فلسفته ومزاجه.

حتمية الأخلاق

لم يكن الأنبياء أول من دعا إلى الأخلاق. فلقد كان الخير والشر قائمين مبادئ وفكرا قبل أن يتجليا للعيان، ذلك أن جوهر أمر الله - كما قالوا - لم يكن شعائر بل أخلاقا، وماكان صلاح الإنسان إلا الاهتداء إلى قضاء الله فى الأرض.

وقد كانت تعاليم الله للإنسان أن «بغضت كرهت أعيادكم». وقد يبدو هذا غريبا على مستمعى الانبياء، إذ كان متوقعا أن يكون الله راضيا عن أضاحيهم المقربة إليه. فقد أنعم الله على الإنسان بالعقيدة، فعليه أن يتبعها حيث لاتوجد معرفة بالله على الأرض.

ومن هنا كذلك كان الهجوم العنيف على الوثنية بكافة أشكالها. فإن الزنا والخمر تذهب بقلب الإنسان. لانها تقتل الرحمة والتواضع، ولذلك فقد اعتبرت الوثنية، مصدرا لكل الشرور الاجتماعية فى العالم.

العدل الاجتماعى والسياسى

على أن هذه الأخلاق ازداد الطلب عليها إلحاحا، فقلت فرص تركها لاختيار الأفراد، فإذا الأخلاق لأول مرة فى التاريخ تعد عاملا حاسما فى حياة الأمة.

واذا بالتوراة تتناول كثيرا من مبادئ الاجتماع والسياسة، كما فى الاصحاح الثانى (١٢•١٥) والأول (١٠ ـ ١١ ـ ١٥ـ ١٧) من سفر «اشعيا» والاصحاح الثالث (١٢) من سفر «ميخا».

وتشير نصوص التوراة كذلك إلى ماسوف ينزل «بأشور» من عقاب لا على أعمالها، بل لغطرسة ملوكها. وكذلك إسرائيل إذا آمنت بالقوة العسكرية وتجبرها، فهى ترتكب عندئذ خطية تنطوى على عدم الثقة بالله.

وتتعرض النبوة بالنقد السياسى، فترى أن إسرائيل ترتكب نفس الخطيئة التى سوف تعاقب آشور عليها، من ثم يصبح القتال فى سبيل الاستقلال علامة على تحدى الله، اما التسليم على العكس فهو طريق الخلاص الوحيد. (ارميا: ٣٨: ١٧).

وفكرة الخلاص النهائى هى مركز الفكر النبوى. وهى تبدو نفسيا وكأنما هى تعبير عن رفض الأنبياء قبول نهاية إسرائيل. ذلك أن أفكارهم إنما تدور حول أن سمو إسرائيل ليس هو العظمة والقوة بل إن على اسرائيل ان تحكم العالم، لابقوة السلاح ولكن بروحانياتها دون

سواها. فقد حمل الشعب المختار رسالة، وعن طريق إسرائيل سوف يتعلم البشر معرفة الله، ويتبعون تعاليمه.

ومهما يكن من شئ فلم يكن الأنبياء من أصحاب مذهب المدينة الفاضلة، فان لم يمكن الوصول لهذا الهدف، فعلى الأقل يتبين طريقه وربما يأتى فى «نهاية الأيام».

وما كان لنعمة الله أن تكون للإنسان وحده، ولكنها كذلك لسائر الكائنات الحية، كما أن هناك كذلك فكرة بأن الستار سوف يرفع فى «نهاية الأيام» عن أبدية عالمية، فلا يحارب الناس عندئذ بعضهم بعضا.

إن مجئ الأنبياء ظاهرة تاريخية عالمية تقع فى مختلف العصور. وفى المجتمع الإسرائيلى نجد النبوة تنتشر انتشارا واسعا، وقد ظهر الأنبياء من مختلف طبقات الشعب، لذلك فهم يختلفون فيما بينهم فى نبؤاتهم وأعمالهم، فنبوة «دبورا» بدائية بسيطة تتركز فى الدعوة إلى وحدة الشعب عقائديا بخلاف نبوة «شموئيل» فمتعددة النواحى فهو نبى وصوفى ويمثل الحب الإلهى صادقا.

وفى عصر «داود» نجد نوعاً هادئا من الأنبياء أمثال «ناثان» و «جاد»، و«اخيا» الذى يتميز باهتمامه بالسياسة فى العصر السليمانى، ثم النبى «الياهو» الذى طالبه الشعب بالمعجزات، وكان من دعاة طهارة العقيدة ونقائها. وكان من اتباع طائفة الـ (نزيريم) معارضا للملكية المطلقة، ثم جاء بعده النبى «اليشع» فلخص رسالته فى عبارته المشهورة «القضاء على أسرة عمرى الملكية». وفى القرن الثامن ق.م ظهر امثال «عاموس» و «هوشيع» فى دولة «سماريا» و«أشعيا» و«ميخا» فى دولة يهوذا.

ويتميز أبناء المجتمع الإسرائيلى بظاهرة مشتركة وهى مثالية الصلات بين الحياتين الدنيوية والأخروية، أى الصلة بين الوجودية وهدفها وبين الجوهر الإلهى، والوصول إلى هذه الغاية من عمل الأنبياء وإليهم يرجع الفضل فى بعث هذه الفكرة. فالإنسان يخرج من دائرته الخاصة ليتصل بالله فى الوجود، وهذه هى الفكرة الأساسية للنبوة، والله هو منظم الحياة، وهو ينظمها تنظيما لايجعل منها هدفا أو وسيلة للحصول على منافع، بل للأخلاق.

وهكذا نجد الأنبياء يخضعون الحياة الإنسانية فى كل ألوانها إلى هذه الدعائم التى تقوم عليها الوحدانية.

وتذكر التوراة أن النبى «ارميا» جاءته النبوة شابا وكان يعيش بين شعوب متناحرة، ودول متحاربة تتكالب على توسيع رقعة بلادها على حساب الآخرين، ويسائل «ارميا» نفسه عن هذه الأحداث أتقع اعتباطا أم تقديرا من الله العزيز الحكيم، لاشك فى أنها من صنع الله وذلك لأن لهذه الأحداث هدفها وغايتها، فاستخدام القوة إذن وسيلة من وسائل الله لتحقيق غاية خاصة، ولما تضعف القوة وتصبح غير قادرة على الحياة يقضى عليها الضعف لا القوة، فهنا ضعف يقضى على قوة عاجزة عن الحياة. فهذا الضعف وهذه الفوضى أو بتعبير آخر إنعدام القوة الرادعة، يجب أن تعوضها الإنسانية بالأخلاق والسير فى الطريق المستقيم، فالدين وحده هو الذى يفصل بين الحق والباطل والظلم والعدل. وترتب على هذه الرسالة النبوية أن البقية الباقية من المجتمع الإسرائيلى والتى لجأت إلى يهوذا استغنت عن الزعامة السياسية واستسلمت للدول القوية المحيطة بها وأعادت بناء كيانها لا على أسس قد يتغلب عليها الخصم، أعنى القوة، بل بإرساء

قواعد كيانها على العناصر الحقيقية الخالدة، وذلك لأن سلامة الأمة تقوم على الاستقرار والثقة، لذلك آثر الاسرائيليون العودة إلى المجالين الروحي والعقلي أو الثقافي.

وحدث عام ٦٢٣ ق.م. أن حاول الملك «يوشيا» ـ هذا الملك الذى هزم شر هزيمة فى موقعة «مجيدو» وقتله الفرعون المصرى «نيخو» ـ ادخال إصلاح على المعبد الذى تقام فيه الطقوس لعبادة «يهوه» فعثر على وثيقة لانعرف عمرها وهى عبارة عن نسخة أخرى بأسلوب خاص للشريعة المدونة، والنص الجديد تكرار وتجديد للشريعة القائمة، وهى تعالج صلة الإنسان بالله والمجتمع، وهى فى صورة عظات وضعت على لسان «موسى» عليه السلام قبل موته وأهم

محتوياتها:

١ـ العهد القديم ميثاق بين الله وشعبه المختار.

٢ـ يتعهد الشعب بطاعة الله.

٣ـ كينونة الشعب تتوقف على مدى طاعته أو عصيانه لربه.

٤ـ الله يفعل بهذا الشعب مايريد.

٥ـ الله لايحده زمان وهو أقوى القوى.

٦ـ كينونة الشعب صلته بالسماء والأرض ومرجع هذا سلطان الروح والعقل.

٧ـ مجئ الإنسان إلى هذا العالم ليس مصادفة فلا يخشى الانسان وجوده فهناك عنصرإلهى رفيع هو سر الوجود.

٨ ـ الحياة وجود.

٩ـ الوجود وسيط لمعرفة الله خالق الكون، وليس لله شكل، هكذا هو الله.

١٠ـ الوجود متصل بالأرض وهو العدالة التى تربط البشرية.

١١ـ الظلم مظهر القوة التى هى سبب التفاوت وعدم المساواة.

هذه هى أهم تعاليم هذه الوثيقة وهى ولاشك ميثاق اجتماعى خطير، ينظم الحياة، والعلاقة بين أفراد المجتمع الإسرائيلى ، وذلك لانها تعنى، كما عنيت شريعة «حمورابى» بالجزاء والعمل والأجور والخدمات الاجتماعية للمحتاجين وتشجيع الزواج والحث على احترام الوالدين والأرامل واليتامى، ومن تعاليم هذه الوثيقة نتبين أن مملكة الله هى هذه الدنيا والتى هى مملكة الإنسان أيضا. هذه هى حقيقة ديانة المجتمع الاسرائيلى الذى انقسم على نفسه حولها، وبخاصة عندما حاول بعض اليهود القول بأن حياة الإنسان فى هذه الدنيا تمهيد لحياة أخرى، والواقع أن اعتبار الحياة قنطرة إلى أخرى يتعارض مع نصوص (العهد القديم)، ففى سفر أشعيا)[1] نقـرأ «ان الهاوية لاتحمدك، الموت لايسبحك، لايرجو الهابطون إلى الجب أمانتك. الحى الحى هو يحمدك، كما أنا اليوم، الأب، يعرف البنين حقك».

(١) الاصحاح ٣٨ ى ١٨.

القسم الثانى

اليهود والإمبراطوريات القديمة

الفصل الأول
المنفى والميعاد

الفصل الثاني
اليهود فى العصر الهلينى

الفصل الثالث
اليهود تحت السيطرة الرومانية

الفصل الأول

المنفى والميعاد

اليهود والإمبراطوريات القديمة

المنفى و الميعاد

ليس من السهل التحقق من عدد الذين ذهبوا إلى المنفى. ولكن المحقق أن عددا كبيرا منهم قد خرج إلى دار الهجرة، زعماء سياسيين ورجال دين ومهرة فنيين، وإن كان هؤلاء الفنيون قد استبقوا فى دولة «بابل»، ومع ذلك فقد دافعوا عن عزلتهم وشخصيتهم فيما يحيط بهم من غربة بين غرباء. وعلى الرغم من أنهم شاركوا فى الحياة السياسية والاجتماعية للوثنيين الا أنهم رفضوا مذهب الوثنيين الدينى. وكان هذا بإيمان واحد، وهو أن موقفهم هو الذى يحدد بقاء مذهب التوحيد الذى يعتنقونه أو ضياعه.

واستطاع الإسرائيليون الاحتفاظ بشخصيتهم وتميزهم الروحى عبر آلاف السنين، سواء فى المنفى أو داخل دولة «بابل» لاعتبارهم «اليهودية» نظاما عقائدياً، وفلسفة حياة أيام الخضوع للحكم البابلى.

فقد ظلت قضية «الشخصية» أو «الذوبان»، تحكم تاريخ الأمة قرونا طويلة. ولم يكن لتحل فى الهجرة الأولى ولا فيما تلاها من هجرات.

ولقد كان لنفوذ البيئة البابلية قوة. وكان القرن السادس ق.م أحد الحقب التاريخية المهمة.

فقد وقعت امبراطورية بابل الجديدة التى أسست على أطلال الإمبراطورية الآشورية فريسة سهلة للملك (cyrus) «كورش[1]»، حيث امتدت حدود الإمبراطورية الفارسية التى ابتلعت بابل الجديدة، من الهند وأواسط آسيا إلى مصر وشبه جزيرة البلقان.

ونضيف كذلك ماحل بالإسرائيليين بعد دمار ديارهم، حيث يعتقد البعض أن آلهة «بابل» قد هزمت إله إسرائيل. وقد حثهم النبى «أرميا» على العيش فى سلام فى واقعهم الجديد. وذلك فضلا عن صوت آخر هو صوت النبى «حزقيال»، الذى حمل على المنفيين إلى بابل وأصبح صوتهم، فآمن بأن المنفى مؤقت ودافع عن فكرة العودة. ولقد شهدت هذه الفترة جمع التوراة، إذ يفترض الكثير من العلماء أن الجزء التاريخى من التوراة من أول «سفرالتكوين» حتى «سفر الملوك»، ربما كتب خلال هذه الفترة من المنفى.

وقد حال المنفى بين الناس وبين أداء شعائرهم وقرابينهم فى معبدهم.

(يهوذا بعد السقوط)

اختفت الأرض التى تركها من ورائهم كتاب أخبار الأيام على مدى خمسين عاما، ومع ذلك فلم يكن ثمة مايسجل إلا الخراب

---

(١) (كورش) حاكم فارسى تولى الحكم سنة ٥٥٩ق.م.

والآلام. ولم يكن للدولة المنهوبة من مصادر القوة ماتستمد منه البعث والحيوية، ولم تعد «بابل» توطن «يهوذا بالعناصر الأجنبية كما فعلت آشور فى شمال إسرائيل. غير ان أهل مملكتى «مؤاب وآدوم» اللتين تحطمتا على يد «نبوخذ نصر»، قد اخترقوا مرتفعات «يهوذا» للإقامة الدائمة فى أجزائها الجنوبية، ولم يعد لمصر بعد سنة ٥٨٦ق.م أى دور فى شئون فلسطين أو حتى قيام البطالمة على الأقل.

على أن حكام الفرس كانوا أكثر حكام العالم القديم المستبدين سماحة، مع العناصر العرقية التى كانت تحيا تحت سلطانهم.

العودة إلي «صهيون»

وبسقوط «بابل» أصبحت فلسطين وسوريا جزءا من الإمبراطورية الفارسية وظلتا كذلك حتى هزمت فارس على يد «الإسكندر الاكبر» سنة ٣٣٢ ق.م، ولم يصلنا من الشواهد الأثرية ما يلقى الضوء على هذين القرنين من الحكم الفارسى لفلسطين. وقد كان فى كتب المؤرخ الإغريقى «هيرودوت»، أن ظهر اسم «فلسطين» لأول مرة دلالة على شعب، ولم يكن يطلق من قبل إلا على النطاق الذى يمثله الفلسطينيون.

وقد قدر «لكورش» الذى تولى عرش فارس سنة ٥٥٩ دور فى التاريخ اليهودى، إذ فى حكمه تحققت رؤيا النبوة فى العودة إلى «صهيون». فما أن وضع يده على القدس، حتى سمح بعودة اليهود إلى «يهوذا».

غير أن يهود «بابل» لم يهبوا يدا واحدة لمواجهة هذا التحدى. ولم تذهب سوى أقلية لاتجاوز خمسين ألفا فى الموجة الأولى. ولكنهم كانوا أولى عزم «مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الرب الذى فى «أورشليم»وكل الذين حولهم أعانوهم بآنية فضة وبذهب وبأمتعة وبهائم وبتحف، فضلا عن كل ماتبرع به. غير أن البلد التى عاد إليها الإسرائيليون من السبى، لم تعد الأرض التى تفيض لبنا وعسلا.

كان أول عمل للعائدين من السبى هو إقامة المعبد (معبد رزوبابل[1])، وقد شيد «رزوبابل ويشوع» «مذبح المحرقات» فى مكانه[2]. كما أن المعبد الجديد اختلف عن معبد «حزقيال» فلم يفصل بين العامة ورجال الدين. كما أن أدوات المعبد سقط منها «تابوت العهد»، لذلك كان مكان قدس الأقداس خاليا، واستعيض عن التابوت بحجر كان يضع عليه كبير الكهنة المبخرة يوم الاحتفال بعيد الغفران وظل هذا المعبد قائما حتى هدمه «انطيوخوس الرابع ابيفانوس» ملك سوريا، وكان ذلك عام ١٦٩ق.م. مما سبب ظهور الحركة المكابية واسترد «يهوذا المكابى» أورشليم وأمر بإعادة بناء المعبد، كما سيجه بأسوار عالية وأبراج حصينة، ومنذ ذلك الحين يعرف ببرج أورشليم الحصين.

إصلاحات «عزرا ونحميا»

تشمل الأحداث فى يهوذا من بعد تكريس المعبد للظلام، وأن

---

(١) عزرا٣.
(٢) عزرا٣ ى ٣.

ازدياد مايعرف عن قوة المجتمع المتنامية فى «بابل» الذى كان يعمل على إنقاذ الوطن الأم من التدهور. فلما أن وصلت الأخبار بما تعانيه يهوذا، سارع اليهود فى «بابل» للإنقاذ. واحتل اثنان منهما طليعة العمل هما «نحميا» سنة ٤٤٤ و «عزرا» سنة ٣٩٧ فجاءا إلى القدس حيث اطلعا على طبيعة الحياة، وقد ساعد «نحميا» على إعادة تركيب الدولة السياسى، على حين أسس «عزرا» حياتها الروحية.

كان مشروع «نحميا» الأول هو إعادة بناء أسوار القدس. ولما كان الخوف من أن يعد هذا العمل ضد السامرة، كان العمال يعملون «بداتبنى ويدا تحمل السلاح» وبقى «نحميا» فى (القدس) اثنى عشر عاما، عاد بعدها إلى «بابل». ثم رجع بعد ذلك إلى «يهوذا» مرة أخرى، ليجد التدهور قد عاد إلى ماكان عليه.

أما «عزرا»، فقد حمل معه التوراة، وحارب التزاوج بين اليهود وغير اليهود.

ومن ثم استطاع المجتمع اليهودى داخل الإمبراطورية الفارسية أن ينمى معتقداته وقيمه.

الفصل الثانى

اليهود فى العصر الهلينى

العصر الهلنستى

كان العصر الهلنستى عصراً انصهرت فيه الحضارات الشرقية القديمة فى حضارة الإغريق، وقد سلمت الشعوب القديمة شخصيتها لنوعٍ جديد من الحياة والتفكير وفى تقليد استمر ضد التيار. فلم يستطع غروب عهد الإغريق، ولابزوغ قوة الرومان أن يهز من بقاء اليهود، ويرجع هذا لموقف اليهود ضد كل من الثقافتين (١).

فبينما كانت قوات «الإسكندر الأكبر» تسيطر على أنحاء من «آسيا» سنة ٣٣٢ ق . م، كانت «يهوذا» تعيش فى أمان فى ظلال الحكم الفارسى.

على أن غزوات «الإسكندر» العسكرية لا تعطى القصة الكاملة لما حققه، لقد رأى فى نفسه وريثاً لقوة يجب أن تسود وتمتد. وقد شجع «الإسكندر» على التزاوج، وزوج عدد من قواده من أميرات فارسيات.

ويعتبر «الإسكندر»، حامى العلماء، وأغلبهم كان مثله من تلاميذ «أرسطو»، غير أن القليل من أعمالهم الأصلية وصل إلينا، وإن بقيت مهارتهم التقنية فيما خلفوا من آثار، وذلك فى الطرق البرية والبحرية والمدن الشهيرة من عصر «الإسكندر».

---

(١) رأى أغلب المؤرخين اليهود ومنهم أبا إيبان

وقد استمر التوسع حتى بعد وفاته سنة ٣٢٣ ق . م. إذ أُنشئت في فلسطين وحدها ثلاثون مدينة بما تضم من معابد وملاعب رياضية ومسارح.

البطالمة في «يهوذا»

خضعت فلسطين بعد وفاة «الإسكندر» لنظامي حكم متعاقبين: الإمبراطورية البطلمية في الجنوب، وكانت مصر مركزها حيث حكمت فلسطين فيما يزيد على القرن. من سنة ٣٠٢ ق. م إلى سنة ١٩٨ ق. م، والإمبراطورية السلوقية في الشمال ومركزها «بابل».

وقد رأى الإغريق في اليهود شعباً غريباً وإن تعاطفوا مع تعاليمهم الروحية، إذ اكتشفوا فيهم أمة من الفلاسفة، تحاول اكتشاف أسرار الكون والإنسان. بل لقد تعاطف الإغريق أكثر مع مبادئ اليهود، وخاصة في «إسبرطة» المدينة التى أوى إليها «ياسون» الحاخام اليهودى حين أبعد من القدس.

وكان من بين اليهود من حاد عن الثقافة الإغريقية، وآخرون مالوا إليها، ولكن الطبقة العليا من المثقفين كانت أقرب إلى الاتجاه الثاني الذي يميل إلى الانصهار في الثقافة الإغريقية.

يهود الإسكندرية

شهدت مصر الهجرة اليهودية، حيث قدم اليهود في الإسكندرية ثقافة تتسم بالخصائص اليهودية والهلنستية التى تأثرت بفلسفة العالم القديم. وكان اليهود قد نزحوا إلى الإسكندرية منذ أنشئ الميناء سنة ٣٣١ ق. م حيث أجبر كثير من اليهود في «يهوذا» على الرحيل إلى الإسكندرية أيام حكم «بطليموس الأول» (٣٢٣ ـ ٢٦٣ ق.م).

وفي مصر تمتع اليهود تحت حكم البطالمة بكل الحرية الدينية والثقافية، حيث أُعفوا من كافة الإلتزامات التى تتعارض مع دينهم، ولم تفرض عليهم مظاهر الإجلال المقدسة للملك.

وكانت الهلينية فى نظر المتشددين من يهود القدس إنما تعنى الوثنية، فلم يتغلغل الفكر الإغريقى فى صميم الحياة اليهودية كما لم يكن لدى كثير من اليهود معرفة باللغة الإغريقية.

وكان المجتمع اليهودى بعامة ينعزل بإرادته عن الانصهار فى المجتمع الإغريقى.

وكان تعداد سكان الإسكندرية يومئذ قرابة نصف المليون، يُشَكِّلْ اليهود بينهم أقلية صغيرة وإن احتلوا خمس المدينة. كان لليهود حى فى الإسكندرية هو حى «الدلتا» أى الحى الرابع، وكانت لهم تنظيماتهم الاجتماعية الخاصة ومنظماتهم القانونية، رغم اضطرارهم فى الأمور التجارية إلى الالتزام بالقانون الهلينى القائم.

وكانت الإسكندرية يومئذ تتمتع بمركز حضارى رفيع، كان لها متحفها وجامعة للآداب والعلوم وكان أروع ما تفخر به مكتبتها، وأصبحت مصر - ذلك البلد الذى أنتج ورق البردى - مصنعا للكتب لكافة دول البحر المتوسط. وقد وقع فى أيدى اليهود ممن يعرفون الإغريقية مخطوطات لتعاليم «أفلاطون» و«أرسطو»، ومع ذلك فلم يستطع اليهود كسب الجنسية السكندرية لأنها إنما كانت تعطى للذين يتركون دينهم ويعبدون إله المدينة.

اليهود تحت حكم «السلوقيين»

لم يدع السلوقيون اليهود فى عزلتهم الروحية، إذ تملق الحزب الحاكم فى القدس كل ما هو إغريقى ونفر من كل ما هو يهودى أصيل، ولم يكن «أنطيوخوس الرابع»، حين اعتلى العرش خلفاً لأخيه، يفرض الهلينية دائماً على المجتمع اليهودى. لقد أوجد نوعاً من تربة صالحة كانت أعدت من قبل، فأدخل عادات وثنية بين اليهود وفى قرى «يهوذا»، ونهب المعبد ليمول حملاته العسكرية على

مصر. وقرر أن تُسَاسْ «يهوذا» شأن سائر المقاطعات. ومن ثم أوجب إكراه اليهود على الخروج عن خاص شئونهم.

وكان «ياسون»، الحاخام الأكبر قد استطاع كسب منصبه برشوة «أنطيوخوس» ثم خلفه على منصب الحاخام الأكبر «منلاوس» ثم كان إثر شائعة ذاعت فى القدس بموت «أنيوخوس» بعد هزيمته أمام «مصر» أن ارتد على «يهوذا» بجيش كبير ، فسفك دماء الآلاف من أهلها وانتهك حرمة المعبد وحرم الأركان المقدسة فى الشريعة اليهودية.

ثورة المكابيين

لم يمنع اليهود من ممارسة عقيدتهم من قبل، وهاهم هؤلاء القوم ينفرون بسلاحهم حيث انطلقت شرارة الثورة بقرية صغيرة جنوب القدس تسمى (مودين) عند سفح جبل «يهوذا»، وتمكنوا من إقامة دولة فى «يهوذا»، مستقلة برئاسة «ماتاتيا»، تتمع بالحرية الدينية على امتداد الحدود الموضوعة.

ثم تولي من بعد وفاة «ماتاتيا» سنة ١٦٧ ق . م ابنه يهوذا المسمى «مكابى» - ويعنى المطرقة - قيادة التمرد حيث نهض فى ضباب الزمان قائداً من كبار القادة العسكريين فى التاريخ.

كانت حركته شأن سائر الحركات الدينية، صراع الأقلية ضد الأغلبية. وكان بعد سنوات ثلاث من قتال ضار أن تحررت «القدس»، وعاد المعبد تارة أخرى ليخدم الشعائر الدينية. ويذكر التاريخ اليهودى هذا الحدث باسم «حانوقا» عيد «الضياء»، وقد كان إلى جانب تأثيره المباشر أنه قام رمزاً على كفاح أمة تسعى لتثبيت شخصيتها الروحية ضد القوى الأكبر.

وكان بعد وفاة «شمعون» سنة ١٣٥ ق. م أن اعتلى ابنه «يوحنا» العرش. وكانت سياسة التوسع العدوانى التى اتبعها قد ساعدت على

الامتداد عبر «الأردن» و«سامرا» و«آدوم» فهو المسئول عن فصل كامل من التاريخ اليهودى. ولكنه أوجد نوعاً من النبلاء ورجال الدين يقفون معاً ضد الشعب.

سقوط الحشمونيين (١)

كان «أرسطو بوليس» خليفة «يوحنا» على المُلك وحاخاماً أكبر، استولى على العرش بعد أن قتل أمه ، وأخاه الأكبر، برغم أن ملكه لم يدم أكثر من عام واحد. وخلفه أخوه «الكسندرا جاياناى» الذى سجن أخاه وظل فى الحكم سبعة وعشرين عاماً. وعلى الرغم مما عرِف عن حكمه من سوء وقسوة فقد قاد حربين، متوسعاً فى حدوود ملكه، ولكنه لم يوفر الأمن لمواطنيه، وثار «الفريسيون» عليه علناً واستدعوا ملك سوريا ليؤيدهم ضد مليكهم. وفى الظروف هذه يخرج «الكسندرا جاياناى» من «يهوذا» ليعود لها فقط بعد ست سنوات.

ثم تولت الملك بعد وفاته ، زوجته «سالومى الكسندرا»، وتتميز سنوات حكمها التسع بإزدهار لم تشهده البلاد على امتداد ثمانين عاماً. وتعتبر آخر ملوك «يهوذا» المستقلين. واستمر العداء بين الفريسيين والصدوقيين (٢) بعد وفاتها سنة ٦٧ ق. م واصطرع إبناها «هيركانوس» و«أرسطو بوليس» على الملك.

الفريسيون (٣) والصدوقيون

كانت الدوافع وراء تاريخ «يهوذا» السياسى دينية دائماً، وكان رجال الدين والكتبة يداً واحدة. وعندما تفرقا فى عهد المكابيين. خرج عن رجال الدين الصدوقيون، وعن الكتبة الفريسيون.

---

(١) .الحشمونيون هم عشيرة المكابيين أنفسهم.

(٢) (SUDDUCEES) صدوقى لا يعتقد بالبعث أو بالآخرة.

(٣) أصل الكلمة (PHARISEES) وأشك فى أن يكون الكاتب قد عنَى بها ما هو معروف الان بـ «الطبقة المتوسطة»، وليست الزنادقة (الفريسيون هم المتشددون فى الدين).

ويمكن التعرف على الفوارق بين الجماعتين بالاهتداء إلى طبيعة وضعهم الاجتماعى وموقفهم من القانون. فقد كان الفريسيون مستعدين للتضحية بالقوة السياسية من أجل المجد الروحى. ويحمل اسمهم معنى «التَركْ أو النبذ» ومعناها «المنعزل». ويكون الترك أو النبذ هنا بمعنى الاعتزال.

على حين مَثَّلتْ «الصدوقية» طبقة رجال الدين والأرستقراطية، إذ حاولوا حمل «يهوذا» على أن تكون «هلينية»،وعلى الرغم من أنهم كانوا أقلية فقد كانت قوتهم السياسية كبيرة فى بعض الأحيان.

وقد إزداد الخلاف حده بين الجماعتين تحت حُكم «الحشمونيين». ولقد تمركز العمل الدينى للصدوقيين فى المعبد وقرابينه. ولم ينكر الفريسيون المعبد ولا امتيازاته لطبقة رجال الدين.

وقد كانت جماعة الغُلاة الـ « ZEALOTS» الزيلوت، واحدة من نشاط الفريسيين الفدائى.

الترجمة السبعينية وفيلون (١)

ترك الإبداع اليهودى خلال العصر «الهلنستى» آثاراً هامة أكثرها أدبية ، وإن ظلت غير معروفة فى فلسطين. وقد احتفظت الكنيسة المسيحية بالكتب التى أنتجها العصر الهلنستى ولم يشملها كتاب اليهود المقدس.

على أن أهم الأحداث الفكرية فى العصر «الهلنستى» بالنسبة لليهود، إنما كانتِ ترجمة «العهد القديم» إلى الإغريقية. وكانت هذه الترجمة التى عرِفتْ باسم «الترجمة السبعينية» نتاَجْ جماعة من الإسكندرية أعانتهم جماعة من علماء فلسطين، بدأوا مشروعهم فى

(١) (SEPTUAGINT)، هى الترجمة اليونانية السبعينية للتوراة. وأما عن PHILO، ، اسم إغريقى. (فيلون: فيلسوف يهودى سكندرى شهير).

القرن الثالث ق . م ويتمثل المزج بين التقاليد اليهودية والفلسفة اليونانية أروع ما يكون عند «فيلون» السكندرى الذى عاش بين حقبتى القديم والجديد. ومن المعروف أنه زار القدس ضيفاً على «أجريباس» وكانت التوراة فى نظره اسماً للحكمة. فقد جمع «فيلون PHILO» فى شخصه قمة التطور الهلنسنى لليهودية وآمن بألا تعارض بين العقيدة والفلسفة، ولكنه لم يستطع إقناع يهود عصره بذلك.

ويبدو أن قلة من الأميين قد سلّموا بما نادى به من أن شريعة «موسى» هى شريعة الفطرة وأن اليهودية دين عالمى. وقد وصفه أحد المؤرخين المحدثين بأنه: «رجل واسع المعرفة ذو أهداف نبيلة وشخصية عظيمة لا فائدة منها». ذلك أن الجسر الذى بناه لم يستعمله من بناه من أجلهم وإنما استخدمه الميسحيون حين أقبلوا على النهوض بعقيدتهم. وأصبح فكر «فيلون PHILO»، نقطة البداية للفلسفة المسيحية فى العصور الوسطى. ذلك أنه لم يكن مدوناً لدى الأجيال اللاحقة من اليهود. أما عند علماء المسيحيين، فقد كان وما زال شخصاً بارزاً.

تعليق

عن المصادر للمؤلفين والمؤرخين اليهود:

الملاحظة الأولى التى تسترعى الانتباه، هى: إغفال مراجعهم، رغم أن كتبهم مليئة بالأخبار التاريخية ،وتعد مرجعاً تاريخياً - فى نظرهم ونظر غالبية الشعب اليهودى على الأقل - ذلك أن دراسة التاريخ، تفرض على المؤرخين إغفال ما لا يستند إلى وثائق ومصادر علمية صحيحة. وليس منطقياً أن تعى ذاكرة الإخباريين

اليهود تلك الأرقام والحوادث منذ أقدم العصور دون الرجوع إلى كثير جداً من مصادر التاريخ.بينما لم يذكروا من مراجعهم سوى العهد القديم.

على أن المؤلفات اليهودية - برغم كل محاولات التزييف فيما تناولوا مَن أخبار - قد استطاعت استعراض تاريخ اليهود عبر العصور القديمة بقدرة وبراعة الأسلوب. ولكنهم رغم طول باعهم فى تحريف الحقائق التي يدعم بها الفكر اليهودى الحديث، لم يستطيعوا إنكار وقائع أخرى تدين اليهود شعباً وعنصراً، وهى حقائق يعرفها العالم أجمع. فعمدوا إلى إضفاء سمة «التحقيق العلمى» إلى كتبهم. وسوف نعرض لذلك فى حينه.

فلم تَرِدْ كلمة «يقال» فيما عرضوا له من عصور تسبق الميلاد. فى حين أنَه ما من مصدر تاريخى واحد عنها، يجرؤ فيه مؤلفه على الجزم بواقعة واحدة دون تردد يبديه أكثر من مرة.

والسبب البديهى الذى لا يَخفى على أحد هو: قلة ما وصل إلينا من مصادرِ ووثِائق عن حقب التاريخ القديم وخاصة عن الحضارات الشرقية، وقصص الأنبياء. بل إن هناك أخباراً عن تاريخ الإسلام، وهو عصر متأخر كثيِراً عن العصر القديم الذى تناوله المؤرخون اليهود والغربيون لم يزعم الرواة الجزم بحدوثها ، ومن ثم ترويها المصارد المتعددة بروايات متعددة.

وقد كان على المؤلفين اليهود والغربيين كذلك أن يتحلوا بما ينبغى من التحرز عند سرد قصص أنبيائهم فلا يقطعون بصحة ماروى اكثره بالرواية والسماع، ولذلك فلا مناص من السؤال، لمن وضعت هذه المؤلفات؟ اهى للقارئ اليهودى العادى؟ أم هى لقراء العالم العاديين ؟ ام هل هى للمثقفين الواعين؟ أم للدارسين المتخصصين؟.

أما القارئ اليهودى العادى فهو إن لم يعرف حقيقة تاريخه فهو لن يقرأ هذه المجلدات، ولن يهتم كثيراً بما أورد من أرقام ووقائع وتحليل، إذ هو مشغول بأمور أكثر فائدة له من الناحية المادية .

فإن كان المقصود هو القارئ العالمى العادى، فهو كذلك لن يصل به الاطلاع الواسع إلى قراءة مجلدات مثل هذه عن تاريخ اليهود. وأما إن كان للمثقفين الواعين، فلسوف يكتشفون زيف الوقائع التى زيفت عن نطاق تخصصهم وحقائق تاريخ حياة شعوبهم.

لم يكن إلى إخفاء مجد مصر أيام الفراعنة من سبيل وإن حاول المؤلفون اليهود بعد ذلك إبراز ما تعرض له اليهود، وتصويرهم بصورة المضطهدين من العبيد، وإن أدرك ان الإسراف فى تزييف الحقائق هنا أو إنكارها خليق أن يفقد كتبهم صفة «التحقيق العلمى»، ذلك أن العالم على إختلاف مجتمعاته وثقافاته ، إنما يدون عن مجد التاريخ الفرعونى.

والعجيب هنا ما يذكره المؤلفون اليهود عن دين «إبراهيم» وربه، وما زعموا من أنه دين خاص ورب خاص، فلم يعبد الله الواحد رب كل شئ، وفى ذلك يتضح أمران:

- تجاهل المؤلفون اليهود كنه رسالات الأنبياء والرسل قبل موسى وعيسى ، ومحمد عليهم السلام.

- وهم يتجاهلون ذلك حتى يخرجوا بما يزعم من أن التوحيد (MONOTHEISM) ، لم يعرف قبل موسى، وهو تزييف لا يقبله الجاهل للتاريخ [1].

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب (موسى والتوحيد) تأليف «فرويد» ترجم محمد العزب موسى حيث يوضح فرويد أن التوحيد فكرة مصرية.

ويشير «أبا إيبان» في مؤلفه «شعبي» كذلك إلى مدى الاحترام الذي يوليه اليهود لله. على حين يصور أهل بلاد «النهرين» إلههم أحياناً في شكل حيوان أو طير أقل مستوى من الإنسان، ونسى من عاقبهم «موسى» لعبادتهم «العجل». وإن كان أقر بأن بعض اليهود - بل كثيراً منهم - تركوا ديانتهم وإلههم إلى الوثنية. ونسى أو تناسى في كل ما ذكر ماذا فعل اليهود بـ «المسيح»، بل وينسى ماذا فعلوا بـ «موسى» ،نبيهم الذين يتشدقون به الآن.

ونسى من ناحية أخرى أن اليهودية لم تقدم للعالم حضارة متميزة بعينها، إن العبرية لم تسهم في العالم بمعلم الآداب، على العكس من ذلك. قدمت بلاد النهرين حضارة بابل العريقة وحاكمها الشهير «حمورابي» الذي وضع شريعة مدنية تعد من الشرائع ذات المنزله، وما زال نصها في متحف اللوفر محفوظا منذ اكتشف في العقد الأول من القرن العاشرين.

أما الحضارة المصرية فهي وإن بدأت في الدين بالتعدد فقد عرفت الاله الواحد. على عهد اخناتون . وقد شهد «فرويد» عالم النفس الشهير وهو يهودي بأن اليهود أخذوا فكرة الإله الواحد عن المصريين.

الحقيقة التي ترد على «ابا ايبان» ادعاءه ومزاعمه من بغض المصريين لليهود ما أورده بقلمه واعترف به عن وضع اليهود في مدينة الإسكندرية منذ بنيت في القرن الثالث قبل الميلاد. إذ يذكر أن اليهود وإن كانوا اقلية فقد كانوا يملكون خمس المدينة. وإنهم كانوا يميلون إلى الانعزال بعقيدتهم ولغتهم. ولا يعترف بذلك عن وضع اليهود في الإسكندرية وحدها، ولكنه يذكره وهم في سلطان مختلف الممالك سواء بلاد الرافدين أو مصر.

ويشهد التاريخ الحديث والمعاصر فى كافة مدن الدنيا وما فيها من أحياء خاصة باليهود، اذ تعرف كل مدن الدنيا انعزال اليهود التام عن المجتمعات التى يعيشون فيها، وتعرف كل مدن الدنيا انتفاء ولاءاليهود للدول التى تؤويهم.

والتفسير الذى أغفله المؤرخون اليهود، أن اليهود يتخذون من قولة (الشعب المختار) ستاراً للعزلة، وفى عزلتهم يتكاتفون فيما بينهم. وفى تكاتفهم تحقيق لأهداف اقتصادية وسياسية ظهرت فى كافة الدول التى انقلبت عليهم، وطاردتهم فى العصر الحديث.

كذلك ، أسقط عمداً من المؤرخين اليهود كراهية أهل الإسكندرية لليهود، بسبب تدخلهم فى شئون السياسة، وانعزالهم فى الحى الرابع الذى تقوقعوا فيه وأتباعهم سياسة (الربا)، مما أدى إلى حروب أهلية بين «السكندريين» و«اليهود» خلال القرنين الأول، والثانى الميلاديين.

الفصل الثالث

اليهود تحت السيطرة الرومانية

اليهود تحت السيطرة الرومانية

لم يكن لأى من الدول فى البحر المتوسط، أن تحلم بتحدى سلطان الإمبراطورية الرومانية وقوتها، فقد نمت من دولة صغرى، إلى إمبراطورية كبرى. وقد تحدث المؤرخ الرومانى «بولييوس» فيما كتب عن تاريخ العالم ما بين عام ٢٢٠ ـ ١٤٥م. يقول: «لا أظن أحدا من الغباء بحيث يمنعه من معرفة كيف استطاع الرومان فى أقل من ٥٣ سنة أن يخضعوا لحكومتهم العالم المأهول كله أو جله، ذلك عمل ليس له فى التاريخ مثيل».

فقد كان الرومان يغزون الإمبراطورية الهلينية على حين كانت الثقافة اليونانية مع ذلك تغزو روما. حتى أصبحت اليونانية لغة المثقفين. وغدا الكتّاب الرومان يقدمون مسرحيات من الملهاة والمأساة اليونانية لقومهم الرومان، بل كتب بعض مؤرخى الرومان تاريخ دولتهم بلغة اليونان، وذلك فضلا عن أثر الفن اليونانى فى المعمار والنحت، بحكم ما كان يجلب من المعلمين من اليونان.

وقد شهدت الحالة الاقتصادية تغييرا كبيرا فى ظل الهيمنة الرومانية، ولم يستطع القانون الرومانى حل الكثرة الكثيرة من

المشاكل التى نشأت فيما دخل تحت نفوذهم من أقاليم كانت تحت يد حكام محليين يتمتعون باستقلال تام، فكان أن ازدهرت الدكتاتورية فى هذا الجو، وكان على رأسهم «القيصر» الذى كان دكتاتورا، بل بمثابة (إله). ذلك أن النتائج العاجلة للنصر، كانت صراع الطبقات والأقليات، وبهذا كان دمار الإمبراطورية. فقد اغتال الرومان قيصر باسم حرية الشعب. وبدأ الصراع على ميراث السلطة التى اقتسمها زمنا كل من «أنطونيوس واوكتافيوس» ولكنها كانت مسألة وقت قبل أن يصطدم الرجلان، وقد كان فى عهد الرومان أن اندمج شرق البحر المتوسط وغرب آسيا، ثم أضيف إليهما غرب البحر المتوسط، حيث انقسمت من بعد هذه الإمبراطورية قسمين، الشرق الهلنستى والغرب الرومانى. وقد أدى هذا التقسيم إلى وقوع الإمبراطورية بين شقيها الغربى والشرقى، ثم نظام المسيحية بين الكنائس الشرقية والغربية.

عهد «هيرودس» (ملك اليهود عند ميلاد المسيح) :

ولد «هيرودس» ليحكم، ولما تولى «هيرودس» الملك (٣٧ـ٤ ق.م) لم يعجبه المعبد القديم وبخاصة إنه كان من المولعين بتشييد المبانى الجميلة، وقرر بناء معبد جديد فشرع فى بنائه عام ١٩ ق.م. وتم بناؤه أيام (البينوس) فيما بين عامى ٦٣ ـ ٦٤م، ويمتاز هذا المعبد بالقاعة الخاصة بالحريم الإسرائيليات، وذلك لأن «هيرودوس» سمح للإسرائيلية بزيارته، أما فن البناء فكان يونانيا.

ففى عامه الخامس عشر حارب المتمردين اليهود فى الجليل، اذ لم يقبله الشعب كحاكم لصداقته بالرومان. ورغم زواجه من أميرة (مكابية) الا أنه اعتبر (العائلة الحشمونية) من أعدائه، فطردهم ثم

قتل زوجته، بل قتل من بعد ذلك ابنيه من زوجته «مريام».

وقد حمله موقفه من شعبه على الاعتماد على الأجانب، وملأ البلاد ضد شعبه بالعملاء، لاضد أعدائه. وكان يعتمد على علاقاته الخارجية، خاصة بعد أن حازثقة الإمبراطور «أغسطس» الذى سمح له بتوسيع ملكه، فأنشأ مدنا جديدة فى «سباستى» المدينة الملكية التى سماها قيصرية على اسم سيده القيصر «أغسطس». وكان اهتمامه بالمبانى كبيرا، فأنشأ العديد من البنايات إلى جانب رصفه لبعض طرقات إحدى المدن بالحجارة الصغيرة الملونة.

ثم آل حكم البلاد من بعد وفاة «هيرودس» فى العام الرابع قبل الميلاد إلى وال رومانى من غير أبناء «هيرودس» وإن كانوا أمراء يملكون السلطة فى بعض الانحاء. ثم مضت فترة قصيرة قبل أن تدخل البلاد تحت حكم ملك يهودى هو «أجريباس الأول» الذى تولى الحكم من سنة ٤١ إلى ٤٤ م.

كان «هيرودس» يعرف أنه واحد من كبار عملاء روما واثريائها. إذ فرض ضرائب باهظة على الفقراء. واستغل الأغنياء استغلالا حمل وفدا منهم على اللجوء إلى «أغسطس» شاكين ظلمه. فضلا عن أن هيرودس «ارخيلوس» كان يعرف بـ «الأحمق».

وقد أدى افتقاد الروابط بين الشعب والسلطة الحاكمة إلى تطلع الشعب المغلوب على أمره إلى الدين واللجوء إليه، حيث ظهر فيه رجلان هما «شماعى» و «هيلل» كان لهما فى عصرهما أثرهما العميق فى تقدم اليهودية، على حين انتشر تأثيرهما فى مناهج المدارس الفكرية التى عرفت فيما بعد باسم (بت هيلل) و (بت شماعى)، وقد عرف عن «شماعى» أنه كان ذكيامحافظا، على حين

كان رفيقه «هيلل» فقيرا محبوبا للكافة، كما اشتهر عنه قوله: «لاتفعل بغيرك مالا تحب أن يفعل بك».

روما والقدس

ثم كان بعد انقضاء عهد «أرخيلوس» أن ارتدت يهوذا إمارة رومانية تحت حكم مندوب - ودالٍ - إمبراطورى من العسكريين له سلطة دستورية. وقد جعل مقره «قيصرية» وفى سبيل ذلك أبدى «أغسطس» سماحة مع اليهود، فمنحهم من الحقوق ما كان منحهم «يوليوس قيصر» من حرية العبادة وارسال نذور العبادة للقدس والإعفاء من التجنيد الإجبارى.

ولكن هؤلاء الولاة كانوا كما قيل فى «فلورس» حاكم سوريا: «فقير دخل سوريا وهى ثرية - ثرى ترك سوريا فقيرة».

ثم خلف من بعد «أغسطس «كاليجولا» المجنون.. الذى اغتيل بعد ثورة أدت إلى توتر العلاقة بين الرومان واليهود، حيث أخذ اليهود بالشبهات، ثم كان عام ٦٦ أن أدى حكم «فلورس» وما اتسم به من جبروت، إلى تمرد فى «قيصرية» أدى إلى الحرب اليهودية الكبرى.

ولقد كان لجماعة الزيلوت المتحمسين (Z EALOTS) فى هذه الحرب دور كبير، إذ استطاع «العازر» قائد الجماعة إعلان الثورة ضد روما. دونما مساعدة من «أجريباس» أو «فلورس».

الحرب اليهودية الاولى:

واجهت روما الحرب بأحسن عتادها وأقدر قوادها «فسباسيان» وأحدث خططها، على حين دخل اليهود الحرب بأسلحة قليلة وحقد كثير أدى إلى استمرار الحرب سبع سنوات.

وقد بدأت المرحلة الأولى فى الجليل حين كان «يوسف فلافيوس»

قائد دفاع الجليل، حيث استسلمت مدينة بعد أخرى لروما بغير مقاومة غالبا. وهرب بطل هذه المنطقة «يوناتان» بمجموعته من «الزيلوت» حتى وصل إلى القدس. وأشعل بوصولهم نار الحرب الأهلية، فكان بمساعدة بعض «الأدوميين» ان أصبح «يوناتان» سيد (القدس). وقد انتظر «فسباسيان» أملاً فى أن تقضى الحرب الاهلية على اليهود فيما بينهم. ولكنه ما أن أعاد عملياته فى ربيع ٦٨ حتى بلغته الأنباء بانتحار «نيرون» فى روما، فقرر العودة فورا إليها حيث أعلن إمبراطورا، فاستأنف ابنه «تيتوس» عام ٦٩ الحرب على القدس التى تزعمها ثلاثة هم «يوناتان وشيمون بن جيورا» و«العازر بن شيمون» وكانت حربا غير متعادلة إذ حوصرت المدينة وعانى أهلها كثيرا حتى سقطت عام ٧٠م.

وكانت «ماسادا»[١] هى القلعة الأخيرة التى ظلت فى يد اليهود، حتى سقطت بعد انتحار حاميتها المؤلفة من ٩٦٠ جنديا، مؤثرين الموت على ماضرب عليهم من عبودية وإذلال. ولم يبق إلا امرأتان وخمسة أطفال يرددون قصة البطولة التى شهدوها.

وفى روما استقبل «تيتوس» استقبال الأبطال، حيث أقيم له قوس نصر كان رمزا لمقاومة اليهود أكثر منه رمزا لنصر الرومان.

أما فى فلسطين فقد قسم الناس جماعات وفق ولائهم لروما، غير أن هدم المعبد قد كان موضوعا لمصادر عديدة، وأقوال متضاربة، إذ نسب بعض المؤرخين إلى «تيتوس» أوامر أصدرها بألا يمس، وأن بعض جنوده عصوا أوامره، على حين روى بعض آخر إن «تيتوس»

---

(١) اسمها العربى «المصعدة».

أعلن عن عزمه على هدمه بيده، وأنه استولى على اوانى المعبد وأخذها وعرضها فى روما فى مسيرة النصر التى قام بها، وخلفه جموع الأسرى مكبلين فى الأغلال. وقد سجل هذا النصر على قوس النصر، الذى أمر بتشييده فى روما عام ٨٣ م، أما البقية الباقية من الإسرائيليين فقد هاموا على وجوههم فى أنحاء الأرض.

«جوزيف فلافيوس»:

اسمه لدى المؤرخين «يوسيفوس»، وهو مؤرخ يهودى شهير، ولد بالقدس عام ٣٧ لأسرة متدينة، واشتهر بعلمه، كما روى عنه أنه أرسل سنة ٦٤ للدفاع عن السجناء اليهود، حيث استطاع كسب العفو عنهم بعون من زوجة «نيرون»، وكذلك أسهم فى الحرب اليهودية، لولا انه هرب بعد حصاره، ثم استسلم «لفسباسيان». وقد خلف عددا من المؤلفات الهامة، منها كتاب عن الحرب اليهودية.

ثورة باركوخبا:

اشتبك اليهود بعد الحرب اليهودية مرتين مع الرومان، كانت أولاهما فى عهد «تراجان»، حيث اشتعلت ثورتهم فى الاسكندرية وقبرص وقورينة، كما شبت فى بعض قرى فلسطين، وكانت أكثر ضراوة بزعامة باركوشيبا فى عهد «هادريان».

على أن القدس قد عادت، بعد الحرب التى عانت منها كثيرا إلى طبيعتها، وذلك أنها قبل سقوط المعبد لم تكن مركزا روحيا فحسب بل كانت القلب التجارى والاقتصادى للبلاد جميعا، وقد تملك الرومان الأرض كلها ليوزعوها على من دبروا لاستيطانهم هناك من الأجانب، وتركز اليهود من ثم فى قيصرية حيث بنوا مركزا روحيا لهم "JEHOVAH" وإن كان ذلك مرحلة مؤقتة، إذ أبوا الاستسلام لانهيار المعبد متطلعين إلى العودة إلى القدس.

وقد فكر «هدريان» بعد ذلك فى تعمير القدس، وبناء المعبد لتكون مدينة رومانية تسمى «إليا كابيتولينا»، لا مركزا روحيا لليهود، ومع ذلك فقد حاول الحاخام «عقيبا بن يوسف» زعيم البلاد الروحى مفاوضة الإمبراطور الذى صمم على ما رأى وبدأ الإعداد للعمل فى بناء القدس الرومانية، حيث لم يجد اليهود مناصا من الثورة بقيادة «شيمون باركوخبا» سليل «داود» الذى رأوا فيه «المسيح» فتتبعه الناس ومنهم «عقيبا» الذى سماه «باركوخبا» ابن النجم[1]، وقد ذكرت كثير من الروايات شخصية «باركوخبا» فقدرت شجاعته وقوته وشخصيته التى قادت بعد ذلك الجماهير فى حرب العصابات. وقد وجدت من هذا العصر أثار كثيرة، منها مجموعة من أوراق البردى، يعتقد أنها رسائل بالعبرية والآرامية واليونانية موقعة من «باركوخبا» وكذلك عثر على عملات تحمل إشارات عليها «الحرية ليهودية[2] شيمون أمير إسرائيل».

وقد كان أن استطاع اليهود العودة إلى القدس، حيث قدمت الذبائح رغم هدم المعبد، ولكنها مالبثت أن عادت تارة أخرى إلى ايدى الرومان وقتل «باركوشيبا» وكثير من اتباعه، وهزم الاستقلال اليهودى آخر الأمر، ومع ذلك فسوف يظل نضال «باركوشيبا» حيا فى التاريخ مسجلا فى قلوب اليهود، بطولات وذكريات وآمالا عظاما. (رأى المؤرخين اليهود والغربيين)

وكان اليهود حين مولد المسيحية، قد خرجوا إلى ما وراء حدود فلسطين مستوطنين معظم بلاد العالم المتحضر آنذاك، اذ امتدت

---

(١) أى نجمة داوود. (٢) لم يذكر اسم اسرائيل على الاطلاق.

مجتمعاتهم من إيطاليا إلى قرطاجنة فى الغرب، إلى أرض الفراتين فى الشرق، ومن البحر الأسود فى الشمال إلى اثيوبيا فى الجنوب، حيث عاش نحو أربعة ملايين يهودى فى الدولة الرومانية خارج فلسطين(١) وفى بابل.

فضلا عن قرابة نصف المليون من السامريين والإغريق والأنباط 'NABATEANS'' وكان اسم فلسطين معروفا متداولا من قديم. وقد ورد كذلك فى الكتاب المقدس دلالة على أرض الفلسطينيين فى نطاق ساحلى عند وادى شارون، وإن كان الرومان عند غزوهم البلاد سنة ٦٣ ق.م، قد اتخذوا من اسم منطقة يهوذا علما على البلاد كلها. وكان التلمود يشير اليها باسم «الأرض».

وظلت القدس بعد الشتات، بحكم عقيدتهم، «مركز العالم» ومركزا للحاخام الاكبر، وكان لمعبدها منزلة كبرى، وإن لم يكتمل بناؤه بعد أن هدمه «تيتوس». أما سكانها فلم تجاوز عدتهم ١٢٠,٠٠٠ يذوبون عادة فى أمواج حجاجها الذين قد يفوقون أهلها أحيانا.

ولقد كانت اللغة الغالبة يومئذ هى الآرامية بلهجاتها المختلفة على حين كانت العبرية لغة الكتبة والمثقفين.

وكان الاقتصاد يقوم على الزراعة وما ينتج من مقادير وافرة من القمح والشعير، أغلبها من الجليل على حين كانت التجارة فى أيدى الاغريق.

الحكومة الداخلية (المحلية) :

كانت السلطة المدنية اليهودية فى يد مجلس من سبعين عضوا من الشيوخ، مما يعرف باسم «السانهدرين» ويرجع أصله إلى «موسى»

(١) الرقم مبالغ فيه.

الذى طلب الله إليه سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل، وكان الحاخامات كذلك أمراء حاكمين بيدهم سلطان وراثى مدى الحياة. غير أن منزلتهم قد ضعفت تحت حكام الرومان الذين كانوا يعينونهم أو يعزلونهم كما يشاءون.

السكان اليهود:

وردت تقديرات كثيرة عن عدد اليهود أيام الحكم الرومانى، وإن كان مشكوكا فيها. إذ كان اليهود فى العصر الهلنستى موزعين فى انحاء العالم الإغريقى بأسرة بحيث ذكر مؤلف النبوأت السبيلية سنة ١٤٠ ق.م أن الإرض كافة والمياه ملأى باليهود. وقال «استرابون» المعاصر «لهيرودس»، من الصعب أن ترى مكانا وحيدا فى العالم ليس فيه يهود، ويضيف «يوجوسيفوس»، ما من شعب فى العالم لاتجد بينه طائفة من إخواننا «ويصف «فيلون» القدس بأنها «مركز الإمة المبعثرة» (الدياسورا).

أما الإغريق والرومان فقد بلغوا فى القرن الأول ق.م، فيما قدر مابين ٦٠ و ٧٠ مليونا منهم ٧,٥ مليون فى مصر، وقيل إن عدد سكان الإسكندرية ربما جاوز المليون منهم الخمسان من اليهود. (الرأى الشخصى أن هذه الأرقام مفرطة فى المبالغة).

مراكز شتات جديدة:

لامناص من التفريق بين اصطلاحين فى تاريخ اليهود القديم. هما «المنفى "EXILE" والشتات "DIASPORA"، إذ يعنى الأول الهجرة الاجبارية، ويعنى الثانى الهجرة الاختيارية كما يقول الجغرافيون. ذلك أن الشتات قديم قدم الشعب اليهودى نفسه، حيث كانت لهم مواطن استيطان خارج فلسطين أيام الملوك، إذ قصد

تجارهم مصر جلبا للجياد، وذهبوا إلى دمشق لفتح محال تجارية صغيرة. ونشأت تجمعات أخرى لعبودية القبائل العشر ٧٢٢ ق.م، ونفى «يهوذا» إلى مصر وبابل سنة ٥٨٦. ولقد هرب بعض العبيد من اليهود إلى مصر وأقاموا فى مدينة «تفنيس»، وكان من بينهم النبى «أرميا».

لقد كان المنفيون ضحايا الغزو الأجنبى، واعتبرهم الغزاة جزءا من الغنائم. ولكن هناك عددا من اليهود الذين اقتنعوا بالهجرة املا فى التجارة الناجحة. ثم صارت زيادة عدد السكان سببا رئيسيا فى الهجرة. ويقول «فيلون» PHLIO مامن بلد يستطيع رعاية اليهود لعددهم الكبير.

بعد ثورة باركوخبا:

كانت آخر مقاومة مسلحة لليهود ضد الرومان بين سنتى ١٣٢ ـ ١٣٥ ميلادية، تحت قيادة «باركوخبا». ولئن تهدمت كثير من المدن فقد ظل البعض متمسكا بالأرض مرتبطا بها.

وقد محا الرومان اسم «يهوذا» من الاستعمال الرسمى، مختارين للبلاد اسم فلسطين، وسميت القدس التى كانت مغلقة على اليهود باسم «ايليا كابيتولينا»، وشددت الحراسة حتى لايجرؤ يهودى ان يقترب باكيا من حطام المعبد، حيث لم يبق منه الا حائطه الغربى عند سفح جبل «موريا».

ولقد تبع هذا الإجراء بالنسبة لليهود، إجراء آخر بالنسبة للحياة الثقافية والعقائدية، فقد حرمت بحكم القانون الكثير من العادات والتقاليد اليهودية. ذلك أن الرومان كانوا يؤمنون بأن التمسك بالمبادئ والعقائد ربما يلم الشمل مرة أخرى.

ولقد تمتع اليهود أيام سقوط (بابل الجديدة) باستئناف حياتهم الروحية، رغم فقد انهم الاستقلال السياسى، واستطاعوا بعد ذلك ان يزرعوا بذور مبادئهم مرة أخرى على يد «يوحنا بن زكاى» الذى طلب من «فسباسيان» مبنى مدرسة «يافنه»، ولم يكن الأخير يدرك أنه قد ساعد بذلك على وضع البذرة مرة أخرى لكى تنمو وتؤتى أكلها بعد حين.

ثم كان بعد سقوط «يافنه» أن انتقلت الفكرة إلى الجليل حيث انشئت مدرسة جديدة فى (أوشا) وأنشئ مجلس اعلى لليهود (SAN-HEDRIN) برئاسة الحاخام «شيمون بن جامليل» الذى عرف باسم جديد «نحسى» . (NASI)

وتعاون الرومان فى سعيهم نحو السلام مع هذا الحبر الجديد. حيث وضع من ثم حجر أساس الحاخامية الفلسطينية التى قادت الحركة أجيالا طوالا.

ثم أصبحت المدن اليونانية فى الجليل بعد ذلك بقليل مراكز دراسة جذبت العلماء والدارسين من كافة أنحاء البلاد، وقد اعلنت دعوة عامة «للذين أكملوا دراستهم أن يعاونوا فى التدريس، وللذين لم يكملوها أن يأتوا ليتعلموا»، وذلك إلى جانب العديد من المدارس الاخرى مثل مدرسة «تكوا» التى أنشأها الحاخام «شيمون بن يوكاى» والمدرسة التى أنشأها الحاخام «بوناتان بن ناباشا» فى أماكن أخرى. وكان المعلمون غاية فى الفقر يعتمدون فى معاشهم على الصناعات اليدوية أو على نسخ التوارة. وكان الحاخام «مائير» هو الشخصية الحية من بينهم، ويقال إنه كتب مرة (سفر استير) من ذاكرته دونما خطأ واحد. ويعرف عنه كذلك قوله «لاتنظر إلى الإناء بل إلى

مايحتويه.. فكم من أوعية جديدة تحوى نبيذا قديما وكم من أوعية قديمة لاتحوى شيئا».

عمل الحاخامات:

لقد كان فقد المعبد تجربة قاسية للشعب اليهودى، حيث بذلت جهود كبيرة لتخليد ذكراه، فسجل الحاخامات بعامة كافة الأحداث مؤرخة به. وقد بدأت من فلسطين الهجرة التى أزعجت الحاخامات فقرروا أن «على الإنسان أن يعيش فى فلسطين، ولو فى مدينة قليلة السكان، وأن ذلك أفضل من المعيشة خارجها ولو فى مدينة يهودية خالصة، إن العيش فى «يهوذا» يساوى الالتزام بكل تعاليم التوراة، فاذا الذى يد فن فى فلسطين كمن دفن تحت محراب الكنيس..».

الحاخام يهوذا والمشنا:

كان مجلس أوشا "Usha" ذا منزلة عالية. إذ أنشأ معبدا قوميا اعترف بسلطته حتى الزعماء الروحيين المعارضين، ومن ثم نجح الحاخام «شيمون بن جامليل» فى ارساء حاخامية ابنه «يهوذا» "JUDAH"الذى أنشأ وضعا غير متزن مع أى من «الـ NESIIM النسيم «والذى عرف فى التاريخ اليهودى باسم «رابى RABBI" قضى حياته الأولى فى «أوشا»، ثم فى بيت شيريم التى حظيت شهرة به، ثم اضطر أواخر حياته إلى تركها إلى «زيبورى» لأسباب صحية. وكان الكافة حتى خادمته يتحدثون العبرية. ولقد امتد نشاطه زهاء خمسين عاما، وكان عمله العظيم فيها إكمال الشريعة الشفوية «التى سميت «المشناه» وهى الوثيقة الخطيرة فى ذلك الزمان.

وكان مع «التوراة» جنبا إلى جنب قدر هائل تتناقله بالرواية الأجيال من «الشريعة الشفوية» والتى تحكم حياة الفرد بما يجب ومالا

يجب أن يفعله التزاماً بمبادئ «التوراة». وقد تولى الحاخام «عقيبا» ترتيب هذا الفكر الشعبى فى عمل منظم. ثم أعقبه تلميذه الحاخام «مائير» فراجع عمل استاذه دون تسجيله. ومن بعده «يهودا هاناسى» الذى إليه تنسب «المشناه» اذ جمع «يهودا» أحاديث لما يقرب من مائة وخمسين عالما، وقرابة ثلاثة عشر عملا سابقا. قسمت ستة أقسام هى (البذور. الأعياد، النساء، الاضرار، المقدسات، الطهارة) وقسم كل منها بعد ذلك إلى رسائل. وفصول. وفقرات وقد اشتهر هؤلاء العلماء من «هلل» وخلفائه حتى «يهوذا» باسم المعلمين، أو كما هو بالآرامية «تنائيم» (TANNAIM) (يبدو إن هؤلاء هم المعروفون باسم حكماء صهيون).

(التلمود) وتطوره:

كان النص الرئيسى للدراسة هو «المشنا» (المشنا: هو كتاب التعاليم التقليدية عند اليهود). وقد وجد بعض علماء بابل أن الكثير من التفسيرات فى «المشنا» إنما ترجع خاصة إلى مأثورات الفلسطينيين التى لم يطرأ عليها سوى بعض محاولات للتفسير فى بابل. ولذلك فقد شعروا بأن لهم الحق فى اتباع طريقهم الخاص. فظهرت تبعا لذلك مدرستا «سورا وبومبديتا» الشهيرتان.

ثم ظلت كل من مدارس فلسطين وبابل تعمل فى المشناه زمنا حتى اكتشفت فيما بعد أن «المشناه» لم تشمل كافة ما هو متاح من الشريعة كما لم تشمل القوانين الملحقة (هالاخوت). وكان عملهم جمع هذه الملاحق وتصنيفها ووضعها فى صورتها النهائية ومن ثم ظهرت «الجمارا»، ومن «المشنا» والجمارا معا يتألف التلمود.

ثم واصلت كل من المدرستين الفلسطينية والبابلية عملها مستقلة بعضها عن بعض، وذلك من لقاءات الحاخامات وتبادل الآراء، إذ بدأ «يوناثان بار ناباشا» ١٩٩ ـ ٢٧٩» التلمود الفلسطيني الذى يعرف كذلك باسم (التلمود الأورشليمى)، وانتهى العمل فيه فى أواسط القرن الرابع، إذ تبين بمقارنته بتلمود بابل مافيه من نقص وافتقاد الدقة، ولكنه على كل حال يعد مصدرا مهما عن اليهود الفلسطينيين. ومن ثم منزلته التاريخية. اذ يتجلى فى التلمود البابلى زهاء عشرة قرون من حياة اليهود فى فلسطين وبابل. وهو سجل للمثقفين اليهود والأعمال المدينة، كما أنه رغم كلمة التوراة، وهى كلمته الاولى، يطوف بعيدا فى عوالم القصص الشعبية والأساطير والحكايات والشعر.

ويعالج التلمود المشاكل الفقهية بطريقة المقابلة التى تعرض للحقيقة ونقيضها، مستعرضة كافة مايؤيدها أو يعارضها من الرؤى، وفى سبيل سند منطقى لاتباع قانون بذاته، ولكن التلمود لم يكتمل تصنيفه إلا عند نهاية القرن الخامس. وهناك الآن نسخة واحدة للتلمود فى (متحف ميونيخ) وقد كتبت فى منتصف القرن الرابع عشر.

وإذا كانت التوراة هى الكتاب الأبدى. فالتلمود هو الصاحب اليومى.

القسم الثالث

اليهود والعهد الجديد

الفصل الأول:-

اليهود فى العصر المسيحى

الفصل الثانى:-

اليهود فى العصر الإسلامى

الفصل الأول

اليهود فى العصر المسيحى

العهد الجديد

(اليهود) فى العصر (المسيحى)

ظهور المسيحية :

ولد «المسيح الناصرى» عليه السلام فى فترة قلقة، تعاقب فيها الأمراء بالصراع وسفك الدماء. ويذكر الكتّاب اليهود أن «المسيح» كان (يهوديا فريسيا) عاش بين عامة أهل «الجليل» متحدثا باسمهم، ولا يرى انه رسول لغير بنى إسرائيل، وكان يهوديا بالفعل والكلمة. فقد اتبع الشريعة اليهودية حج إلى (القدس)، كما كان يتلو الأدعية حين تناول النبيذ. وقد أعلن بنفسه أنه لم يأت لينقض الناموس بل ليضعه موضع التنفيذ. وقد استعمل مصطلح «المسيح ومصطلح «ملك اليهود» بمعناهما الروحى، وإن أثارا فى الجو المعاصر معانى الثورة.

وكان من بعد رفعه ان بدأ رهط صغير من أتباعه ينشرون بين «يهود فلسطين» مبادئه التى أصبحت مبادئ دين جديد. وقد تسمى «شاءوول» الطرسوسى باسم«بولس» فى العهد الجديد، وكان على العكس من «المسيح» متأثرا أشد التأثر بالثقافة اليونانية الرومانية،

فكان أن حولت عبقريته ذلك الدين الجديد إلى دين عالمى، بأن طور مبادئه الأساسية بما جعله المؤسس المثقف للمسيحية[1].

حيث استطاع وبالتدريج أن يكسب عددا كبيرا من اليهود للمسيحية، وظلت العقيدة الجديدة تنتشر بين الرومان من العقيدة الام «اليهودية».

﴿ قال الله تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾. صدق الله العظيم. (سورة البقرة ٢٥٣)

ولولا ترجمة الإنجيل إلى اليونانية لما استطاعت المسيحية أن تصبح دينا عالميا فى ثلاثة قرون، وكانت المسيحية الأولى أقرب إلى اليهودية رغم سكوت كل من الطرفين عن الإقرار بذلك. لقد اعطت اليهودية للمسيحية «الإله» الواحد الحى، وأسهمت فيها بكتاب مقدس هو (عهدها الخاص)، من ثم فتح الطريق أمام «العهد الجديد» (رأى أغلب المؤرخين (اليهود) وعلى رأسهم «أبا إيبان»).

وأخذ المسيحيون الأوائل فى رحلتهم لنشر الدين الجديد «العهد القديم» نصا لهم. لقد اعطت إسرائيل للمسيحية أنبياء الحق، كما أعطتهم الأعتقاد فى «المسيح».

إن الملامح الهامة فى التراث اليهودى هى نظرتها للتاريخ. فقد اعتقد الكثيرون فى عصر ذهبى فى الماضى مع فجر التاريخ، ولكن إسرائيل وحدها تعتقد فى عصر ذهبى فى المستقبل (رأى أبا إيبان والصهيونية).

(١) أبا إيبان فى كتابه «شعبى».

وقرر الإمبراطور «قسطنطين» بعد اعتناقه المسيحية سنة ٣١٣ إنشاء عاصمة جديدة فى الشرق، هى القسطنطينية، مع رغبته كذلك فى الاحتفاظ بروما. غير أنه بدلا من ذلك نجح فى إنشاء الإمبراطورية البيزنطية، حيث نزل الستار تدريجيا على روما. وإن أتاحت الإمبراطورية المحتضرة مولد «البابوية» التى تولت مسئوليات الدولة. ثم اعلنت المسيحية دينا للدولة فى عهد «ثيودسيوس الكبير» وقد كان لنقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية البيزنظية أهمية سياسية كبرى، بما أدى إليه من تمزق الإمبراطورية الرومانية وانقسام الكنيسة إلى قسمين شرقى وغربى.

وكان على المسيحية عندئذ أن تفرض نفسها بالقوة. ويتحدث «توينبى» عن الأسلوب الذى اتسم به أنصار الكنيسة من مجافات للأخلاق، من فرض عقيدة بالقوة السياسية. ويشير «ملر» إلى ان المسيحية هى التى أدخلت ماوصفه «توينبى».. بالعدوان الخلقى.

(اليهود) تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية:

عانى اليهود خلال مدة القرن والنصف التى سبقت ظهور الاسلام. فقد كان عليهم أن يتحملوا الإهانة والتحقير، حتى استعادوا دورهم الهام فى عهد الإمبراطورية الإسلامية العظيم[١]. لقد عانوا فى عهد الفرس والبيزنطيين. إذ توزع اليهود من مكان لمكان فى القرن السادس، فإما أن يجبروا على التعميد أو ينزعوا من أرضهم بالقوة، وأصبحت فلسطين دولة مسيحية بنهاية القرن الرابع مما أدى إلى توافد افواج من الحجاج المسيحيين كان اليهود يؤدون لهم دور المرشد لسياحى. على حين بدأ المسيحيون ينقلون رفات قديسيهم، كما بنوا الكنائس حول مقابرهم.

---

(١) أبا إيبان فى كتابه «شعبى».

أوضاع (اليهود) فى العالم المسيحى

وكان فى القرن العاشر أن أصبحت أوربا وعاء التاريخ اليهودى الأكبر، ولم يكن فى العالم فى بداية هذه السنين الألف سوى مليون ونصف مليون من اليهود. وأن فلسطين وإن هبطت اهميتها عما كانت عليه من قبل، فقد ظل عدد اليهود فيها يتلقى ما يغذيه من تيار المهاجرين المتدينين. ثم كان فى نهاية القرن الخامس عشر أن تشكلت تجمعات كبيرة فى «بولندا» حيث الوطن الجديد «للاشكنازيم» أو اليهود الشماليين، وكذلك فى تركيا حيث عاش «السفارديم» أو يهود اسبانيا. وكان اليهود قد هبطوا شمالى أوربا تجارا وأصحاب صناعات يدوية، إذ لم يسهموا منذ كانوا فى «بابل» وفلسطين فى حياة الزراعة بحكم إزدرائهم الزراعة، وذلك فضلا عما ألهمهم من إزدراء المسلمين الرسمى للفلاحة. كانت القوانين فى أوربا تحرمهم تملك الارض، على حين كانوا ملزمين بقرار الكنيسة تحريم العمل عليهم أيام الآحاد، وهم كانوا لا يعملون كذلك أيام السبت، لذلك كانت زراعتهم تتعرض للضرر لامتناع العمل فيها يومين متعاقبين. كذلك كان اليهود يفقدون أرضهم لطردهم منها، وذلك كله إنما يفسر ترك اليهود الزراعة إلى العمل بالتجارة. غير أن (اليهود) فى أسبانيا المسيحية كانوا يشتركون فى فلاحة البساتين والكروم وفيما يتصل بالزراعة من صناعات، فضلا عن صناعة النسيج وإنتاج الدقيق. فكان أن تطورت تجارة اليهود تطورا سريعا، واكتسبوا خبرة هائلة فى التجارة الخارجية، حيث تولوا فيها دور الوساطة، بين العالم الإسلامى والعالم المسيحى، وذلك بحكم حرص الغرب على اجتلاب المنتجات الشرقية الراقية، فكان ان حل اليهود محل السوريين

أصحاب هذا الدور فى القرنين الخامس السادس الميلاديين . وكانت مهارة اليهود تكمن فى تعاملهم فيما بينهم بلغة واحدة هى العبرية، التى اصبحت ضرورية للأهداف العملية. وفى القرن التاسع كانت هى اللغة التجارية بين باريس وبغداد أو القاهرة. وكانت الوحدة الأساسية للشريعة اليهودية عاملا أساسيا أكسب اليهود ميزة يتفوقون بها على منافسيهم فى تنمية العلاقات التجارية.

ولعل أهم ما اشتغل به اليهود فى العصور الوسطى إقراض المال (بالربا) الذى يحرمه الإسلام كما ترفضه المسيحية.

واتبعت الجاليات اليهودية التى نشأت حديثا فى غرب أوربا قوانين التلمود فى حياتها اليومية وساعد على ذلك اتجاه اليهود منذ العصور الوسطى إلى الحياة فى أحياء خاصة منعزلة عن غيرهم من السكان «جيتو». وكان فى داخل الأحياء اليهودية نظام قانونى خاص يستن التقاليد والأعراف القديمة. وقد شعر اليهود داخل هذه القلاع الروحية مع أقرانهم اليهود فى الأحياء القائمة فى البلدان الأخرى بما هو أقوى فى تجمعهم بما يربطهم من وشائج المسيحيين الذين يعيشون معهم فى البلد نفسه، ولم يشركوا مواطنيهم من غير اليهود إحساسا بالتعاطف أو التفهم لأسلوب حياتهم ومشاكلهم.

وتتوافر الدلائل ابتداء من القرنين العاشر والحادى عشر، على ماكان من جاليات يهودية قوية فى كل مدينة مهمة فى فرنسا والمانيا. وكان استقرار هذه الجاليات على نحو واحد، حيث كان اليهود يدعون أ ويسمح لهم بالإقامة فى المدينة، من منطلق الإحساس بأنهم سوف يسهمون فى التنمية الاقتصادية للمنطقة، ثم

تصدر التشريعات التى تنظم وضعهم القانون بمنحهم حقوقا، وفرض بعض القيود عليهم. وكان عليهم مقابل الحماية أن يقسموا يمين الولاء للسلطة القائمة، ويؤدوا مبالغ من المال منتظمة لها. ومن ثم أصبح الاعتماد التام المباشر لليهود على السلطة القائمة اساسا لوضعهم ونظامهم القانونى. وتطور عدد ووضع اليهود بتطور كل من فرنسا وألمانيا ونموهما. وقد كان هناك باستثناء حالات قليلة من اضطهادهم والعدوان على حقوقهم - قبول عام لهم لمهارتهم فى التجارة وشئون الاقتصاد.

عصر الاضطهاد

وكان يسود علاقتهم بالمسيحيين الود. وازدهرت حياة اليهود الثقافية فى ظل هذا الوضع وظهر من بينهم علماء كبار. ثم ما أن بدأت النزعة القومية تظهر فى ألمانيا وفرنسا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر، حتى بدأ وقوع اليهود ضحية الاضطهاد، إذ لم تعد هناك من حاجة ماسة اليهم، وبدأ وضعهم عندئذ يتحدد على يد (كنيسة روما) وممثليها، إذ اتبعت سياسة مزدوجة، قوامها الإصرار على التسامح والاعتدال فى معاملتهم اليهود من ناحية، مع محاولة اقناعهم بالتحول للمسيحية.

وقد تركز تاريخ اليهود فى الجزر البريطانية فيما بين عامى ١٠٦٦، ١٢٩٠ حين صدر قرار طردهم. وكان قد طلب إليهم من قبل القدوم إلى بريطانيا والاستقرار فيها لتطوير سوق المال فتحولوا إلى طبقة من المرابين التابعين للملك، مهمتهم الرئيسية توفير الاموال لتمويل المشروعات الاقتصادية والسياسية. وكان عددهم

صغيرا حيث لم يتعد فى عام ١٢٠٠ حوالى ٢٥٠٠ أسرة، ورغم أنهم كانوا يمثلون عشر الواحد فى المائة من عدد السكان، فقد بلغ ما كانوا يؤدون من ضـــرائب ثلاثة آلاف جنيـــه، أو حـــوالى $\frac{1}{7}$ إيرادات الضرائب. وكـان معظمهم قد قدم من فرنسا، مع أقلية قدمت من اسبانيا وايطاليا والمغرب. وكانوا يتحدثون الفرنسية فيما بينهم واعتبروا خدما للملك، وسمح لهم بقدر كبير من الحرية فى تسيير امورهم.

وكانوا بعامة أقل الجاليات اليهودية فى أوربا عددا وثقافة، إذ بلغ عددهم عند صدور مرسوم بطردهم ١٦ ألف نسمة، وآلت أغلب ممتلكاتهم إلى التـاج. إلا بعض أمـلاكـهم المنقـولة التى سمح لهم بأخذها.

وفى إيطاليا جنوبى روما تركزت الجاليات اليهودية الرئيسية، حتى القرن الثالث عشر، حيث كانوا حلقة وصل مهمة لنقل الثقافة اليهودية من الشرق إلى الغرب، مما بوأهم منزلة ثقافية وما صحب ذلك من نمو، وازدهرت الصناعة والتجارة المحلية وإنشاء المدن والكاتدرائيات، حتى بدأ وقوع اليهود ضحية الاضطهاد.

وكان اليهود فى أوربا المسيحية خلال العصور الوسطى يعدون بصفة عامة طائفة متميزة بدينها وعنصرها، ينبغى أن تخضع لما كان يخضع له المسيحيون من قوانين، وإن تركت لهم الحرية فى تسيير أمورهم إعمالا لمواثيق خاصة كان هدفها الاساسى اجتذابهم للاستقرار والتصدى لشئون الاقتصاد والمال، وذلك فى نطاق خاص مرسوم هو الاقراض، ولذلك وجدت الكنيسة نفسها، تأكيدا لنفوذها،

مضطرة لمواجهة الجنوح عن الدين. فشملت يهود أوربا بعقابها ضمن كل من عد مارقا. ومن ثم حرم عليهم مزاولة أى سلطة على المسيحيين، ولم يسمح للأمراء بتعيينهم فى أى منصب، وعزلوا اجتماعيا وأجبروا على البقاء فى منازلهم مع غلق نوافذهم خلال عيد الفصح، والزموا بدفع ضريبة سنوية خاصة فى هذه المناسبة. كما لم يسمح لهم بالسكن مع المسيحيين فى حى واحد، وكان ذلك تمهيدا لإلزامهم اختياريا باتخاذ شارة خاصة تميزهم لنشوء «الجيتو». وكان إصدار هذه التشريعات نقطة تحول فى التاريخ اليهودى. إذ كان تفسير الإنجيل إحدى نقاط الخلاف الرئيسية بين اليهود والمسيحيين، حيث ادعت الكنيسة ولايتها على تنفيذ كافة الوعود التى وردت فيه، وطبقت ما جاء فيه من اتهام اليهود ولعنهم. واعتبروا اليهود شعبا ملعونا عدوا للجنس البشرى، وقد أدى ذلك إلى ما كانت له آثار مدمرة من استثارة كراهية العامة، كما قوى من روح المقاومة لدى اليهود. وقد تعرض التلمود للهجوم وأحرق فى مناظرات عديدة وحرمت دراسته مما ادى إلى وقف الدراسات الدينية اليهودية.

وقد هوى العالم الغربى بأسره فى القرن الحادى عشر تحت نفوذ كنيسة روما، ووقعت القطيعة النهائية بينها وبين المسيحيين البيزنطيين. ثم تولى البابا «جريجورى» السابع (١٠٧٣ ـ ١٠٨٥) تطهير الكنيسة من الفساد والرذيلة، وتعهد خليفته البابا «أربان الثانى» بتحويل غرب أوربا من الحروب الداخلية إلى تجميع الجهود لضرب كنيسة بيزنطة، بمد سلطة كنيسة روما إلى تركيا وسوريا وفلسطين. وفى تلك الحقبة نشبت الحروب الصليبية لما بلغ الكنيسة من الحجاج

واضطرت جموع كثيرة منهم إلى التحول فى الظاهر وهم مقيمون سرا على دينهم ومصممون على تلقينه لأجيالهم الجديدة. وقد عرف هؤلاء فى اسبانيا باسم ـ المارانوس ـ حيث انفتحت أمامهم أبواب العمل فى المحاماة والحكومة والجيش والجامعات، بل وفى الكنيسة نفسها. وتمت لهم السيطرة على أوجه النشاط فى أسبانيا، وكان لفظ مارانوس هذا اصطلاحا أسبانيا يرجع إلى العصور الوسطى ويعنى الخنزير وفى ذلك مايجلو مقدار ماكان يشعر به الاسبانى العادى من احتقار نحو هؤلاء الصابئين الجدد غير المخلصين الذين كثرعددهم وزاد نفوذهم.

وعلى امتداد القرن الخامس عشر بدأ الناس يمقتون أولئك المنافقين المسيحيين مظهرا، اليهود مخبرا، أولئك الذين احتكروا المراكز المالية الهامة وارتبطوا بالعرش، بحيث أصبحوا يمثلون أحد مظاهر القهر الملكى. وتقرر فى عام ١٤٦٤ النظر فى أمر هؤلاء المسيحيين الجدد، إذ فوضت الكنيسة عام ١٤٧٨ ثلاث شخصيات بالتصرف فى الأمور التى تتعلق بالمرتدين، وكان ذلك إنما يعنى بداية محاكم التفتيش فى أسبانيا، ووصلت الأمور أقصى غاية الحدة عام ١٤٨٠ حين قرر عدد من أغنياء التجار المسيحيين الجدد فى مدينة «سيفيل» مقاومة محاكم التفتيش، غير أن أمرهم انكشف وحوكموا وأعدموا، وفى عام ١٤٨١ أحرق ستة رجال وامرأة أحياء وأعدم رئيس الجماعة. وطرد اليهود من أسبانيا نهائيا عام ١٤٩٢[١]، وانتقل اغلبهم للبرتغال التى طردتهم هى الأخرى عام ١٤٩٧، ورحل معظمهم إلى إفريقيا، واعتنق الباقون المسيحية دون إخلاص، حيث احتفظوا بديانتهم.

---

(١) وتم ذلك فى الوقت نفسه الذى سقطت فيه غرناطة آخر معاقل المسلمين فى الأندلس.

أوربا لعهد جديد من الشك الشديد والتنافس استمر طوال العصور الوسطى، فتحولت من مجتمع مفتوح نسبيا إلى مجتمع مغلق يستعبد اليهود.

وأكدت التشريعات المطبقة على اليهود بوحى من الكنيسة، ماقيل من أنهم أناس رفضهم «الله» ولعنهم. وأقيم من حولهم سياج عزل صحى يقى أرواح المسيحيين من عدواهم. وانكمشت الاتصالات على الصعيد الاجتماعى معهم، وتعددت حوادث اضطهادهم وطوردوا من مكان لمكان، فقد طرد اليهود من فرنسا وأعيدوا أربع مرات فيما بين عام ١١٨٢ وعام ١٣٢١ . وفى عام ١٣٢٢طردوا مرة أخرى حيث لم يبق منهم يهودى واحد فى فرنسا خلال الأربعين عاما التالية. وفى أسبانيا حيث ازدهر اليهود فى ظل الحكم الاسلامى ثم المسيحى - بدأ بوحى من الكنيسة اضطهادهم عام ١١٠٩ واستمر ذلك حتى القرن الخامس عشر حيث تقرر عام ١٤٩٢ طرد اليهود كافة من أسبانيا، وتم ذلك فى ٢ أغسطس من العام نفسه وهو يوم حداد لدى اليهود.

وبذلك استبعد اليهود فى نهاية القرن الخامس عشر بصورة تكاد تامة من غرب أوربا بأسرها، باستثناء أجزاء بسيطة فى ألمانيا وإيطاليا. ومن ثم احتشدوا فى الإمبراطوريتين الشرقيتين الباقيتين وهما بولندا حيث تجمع اليهود الإشكنازيم يهود شمال أوربا، وفى الإمبراطورية العثمانية حيث تجمع اليهود السفارديم. من أصل لاتينى أو أسبانى.

وانتشرت بتزايد نفوذ الكنيسة السياسى ظاهرة اليهود الذين يخفون ديانتهم، إذ كانوا بين اختيار الموت أو التحول إلى المسيحية،

واضطرت جموع كثيرة منهم إلى التحول فى الظاهر وهم مقيمون سرا على دينهم ومصممون على تلقينه لأجيالهم الجديدة. وقد عرف هؤلاء فى اسبانيا باسم - المارانوس - حيث انفتحت أمامهم أبواب العمل فى المحاماة والحكومة والجيش والجامعات، بل وفى الكنيسة نفسها. وتمت لهم السيطرة على أوجه النشاط فى أسبانيا، وكان لفظ مارانوس هذا اصطلاحا أسبانيا يرجع إلى العصور الوسطى ويعنى الخنزير وفى ذلك مايجلو مقدار ماكان يشعر به الاسبانى العادى من احتقار نحو هؤلاء الصابئين الجدد غير المخلصين الذين كثرعددهم وزاد نفوذهم.

وعلى امتداد القرن الخامس عشر بدأ الناس يمقتون أولئك المنافقين المسيحيين مظهرا، اليهود مخبرا، أولئك الذين احتكروا المراكز المالية الهامة وارتبطوا بالعرش، بحيث أصبحوا يمثلون أحد مظاهر القهر الملكى. وتقرر فى عام ١٤٦٤ النظر فى أمر هؤلاء المسيحيين الجدد، إذ فوضت الكنيسة عام ١٤٧٨ ثلاث شخصيات بالتصرف فى الأمور التى تتعلق بالمرتدين، وكان ذلك إنما يعنى بداية محاكم التفتيش فى أسبانيا، ووصلت الأمور أقصى غاية الحدة عام ١٤٨٠ حين قرر عدد من أغنياء التجار المسيحيين الجدد فى مدينة «سيفيل» مقاومة محاكم التفتيش، غير أن أمرهم انكشف وحوكموا وأعدموا، وفى عام ١٤٨١ أحرق ستة رجال وامرأة أحياء وأعدم رئيس الجماعة. وطرد اليهود من أسبانيا نهائيا عام ١٤٩٢[١]، وانتقل اغلبهم للبرتغال التى طردتهم هى الأخرى عام ١٤٩٧، ورحل معظمهم إلى إفريقيا، واعتنق الباقون المسيحية دون إخلاص، حيث احتفظوا بديانتهم.

---

(١) وتم ذلك فى الوقت نفسه الذى سقطت فيه غرناطة آخر معاقل المسلمين فى الأندلس.

وبدأت محاكم التفتيش فى البرتغال عام ١٥٣٦ حيث عذب وأعدم عدد من المسيحيين الجدد. ونتيجة لهذا القهر والاضطهاد ترك المسيحيون الجدد اسبانيا والبرتغال إلى الشرق الأوسط وإيطاليا وهولندا وانجلترا، وأصبح لبعضهم وضع قوى جدا فى البلاط التركى. وعادوا فى مقرهم الجديد إلى ديانتهم اليهودية علنا. واعترفت بهم فرنسا رسميا عام ١٧٣٠، ومارسوا ديانتهم علنا فى هولندا فى مطلع القرن السابع عشر، وازداد نشاطهم فى البحرية التجارية الهولندية بحيث سيطروا على ربع أسهم شركة الهند الشرقية الهولندية.

وكان عدد «المارانوس» فى انجلترا محدودا، غير أن «أوليفر كرومويل» رحب بهم أملا فى عونهم على جعل لندن مركزا للتجارة الأوربية. وصدر فى عام ١٦٦٤ ميثاق رسمى يحمى الطائفة اليهودية، ومنحوا حرية العبادة عام ١٦٧٣ وعوملوا معاملة مساوية لباقى السكان.

واتجه «المارانوس» فى الوقت نفسه إلى الاهتمام باستكشاف العالم الجديد ومولوا هذه العمليات، وهناك مايدعو للاعتقاد ان «كريستوفر كولمبس» كان ينتمى إلى احدى عائلات المسيحيين الجدد. وانتقلت اعداد منهم إلى البرازيل فى القرن السادس عشر والى سورينام والمكسيك.

أما عدد «المارانوس» فى العالم اليوم فمحدود للغاية. وكان الاعتقاد سائدا بأن محاكم التفتيش قد قضت نهائيا على آثار اليهودية فى أسبانيا والبرتغال، غير أن يهوديا بولنديا يدعى «شوارز»، كان يعيش فى لشبونة جمع معلومات عام ١٩١٧ تدل على تجمعات من

«المارانوس» مازالت تلتزم بالتعاليم اليهودية. وقد بدأت أعداد المارانوس القليلة تضمحل حاليا حيث تزاوجت أجيالها الجديدة مع غير اليهود، وهاجر بعضها إلى إسرائيل. ولا يحتمل أن تبقى فئة المارانوس فى اسبانيا والبرتغال طويلا.

اليهود فى العصر الإسلامى

شهد مطلع القرن السابع (اليهود) يقطنون اغلب مناطق أوربا، وانتشار المسيحية الكاثوليكية وازدياد نفوذ الكنيسة على الحكومات، وبدأت المجتمعات اليهودية تواجه قدرها من النفى أو التعميد الاجبارى.

وكان اليهود يعيشون فى تجمعات صغيرةحيث يقيمون فى حى واحد «جيتو» فى كل من شمال إيطاليا، والنطاق الفرنسى الألمانى، وأسبانيا وفى بلاد هبطت فيها عناصر أخرى كالسوريين والفينيقيين. وقد اشتغل اليهود بكافة الحرف والأعمال، غيرأنهم بحكم بدؤهم الحياة فى الشتات عبيدا، فقد زاولوا الأعمال الوضيعة، ومنها الزراعة التى لم يكن يعمل بها فى إيطاليا غير العبيد.

ونظرا لانتشار المسيحية فى أنحاء أوربا، كانت الحكومات تجبرهم على اتباع تعاليم الكنيسة مما عزل التجمعات اليهودية ونحاها جانبا. وقد أدى هذا من ناحية أخرى إلى قلة عدد اليهود فى الدولة المسيحية.

الفصل الثاني

اليهود فى العصر الإسلامى

ظهور الإسلام:

ملحوظة مهمة: تمثل الصفحات التالية وجهة النظر اليهودية، وبعض الكتاب الأوربيين - وسنفند ما جاء بها فى التعليق، وقد آثرنا تركها عارية كما هى، حتى نعرف مايقوله الخصوم، أو الاعداء حتى نكون على بينة من أمرنا.

سكن الجزيرة العربية - منذ أقدم العصور - وهى مهد (الجنس السامى) - طوائف من البدو، حيث أقاموا حتى القرن السابع دون تغيير يذكر فى تلك الاقاليم، وكانت بطون منهم بين الفينة والفينة تترحل حيث يتوافر الخصب، والتقدم إلى الشمال أو شرقا وغربا.. فى مصر أو ساحل البحر المتوسط أو العراق، وذلك فضلا عن بقاع من أرض زراعية على السهل الساحلى يحيا عليها قلة منهم، إلى جانب اشتغالهم بالتجارة التى كانت قوافلها تذرع أنحاء الجزيرة. وكانت (مكة والمدينة) المدينتين الرئيسيتين فى الجزيرة. فكانت (مكة) فى مطلع القرن السابع يقطنها مابين عشرين وخمسة وعشرين الف نسمة من البدو أساسا. ولكنها - حتى ذلك الوقت - كانت أكثر من مجرد مركز تجارى، إذ كانت مقرا للكعبة ذات الحجر الأسود - النيزكى - قبلة الحجيج.

وكانت المدينة يومئذ أصغر حجما، ويقال ان منشئيها هم اليهود الذين أقبلوا عليها من اليمن، كما ان بعض امرائها كان يعتنق المسيحية حتى سنة ٥٢٥(١).

على أن اليهود فى واقع الأمر قد ألفوا فى الشمال الغربى للجزيرة مجتمعا كبيراً قويا بعد سنة ٥٢٥. وهيمنوا على كثير من المدن والعيون، ويقال إنهم هم الذين ادخلوا زراعة النخيل فى المنطقة، ومن ثم كانت لهم السيطرة على زراعة التمر المربحة وتجارته. وكانوا على علاقة طيبة بجيرانهم ممن وجدا، انفسهم منجذبين إلى اليهودية بحيث صارت عاداتهم وفنهم الشعبى عنصرا مهما فى انحاء المنطقة كافة.

وفى هذا الجو ولد « سيدنا محمد »- صلى الله عليه سلم- فى مكة سنة ٥٧٠ فى ظروف متواضعة إذ نشأ محمد كما يروى- راعيا للغنم ثم قائدا للقافلة ثم قائدا للعرب جميعا. إذ اتصل بكثير من المسيحيين واليهود فى طرق قوافله، فتأثر بعقائدهم، ثم لم يلبث أن شعر بأنه امتلك قوة النبوة، التى أقرتهاو أيدتها زيارات موسمية من السماء. حتى ظن فى نفسه وحده قوتين دينيتين. قوة «النبوة»وقوة«الرسالة» التى كان اساسها بسيطا اذ اعتنق مذهب اليهود فى وحدانية الله التى تتعارض مع مذهب المسيحية فى التثليث. وفى الدعوة إلى مجتمع واحد من المؤمنين. وطفق ينشر عقيدته سرا ويقنع الذين اتصل بهم. فكان من السباقين إلى دعوته العبيد وادنى طبقات الناس، على حين تجنبه الموسرون، ومن فى مستواهم لما وجدوا فيه من تهديد لوضعهم وقوتهم التى تهددتها فى (مكة) الأخطار.

---

(١) رأى اغلب المؤرخين اليهود والغربيين.

على أنه خوفا على حياته هاجر فى نفر قليل من أتباعه عام ٦٢٢ إلى المدينة. وإستأنف بذلك تاريخا كان أول التقويم الهجرى - وفى المدينة أمن محمد فى أتباعه، ولكنه لقى مقاومة لم يتوقعها من اليهود لتشابه دينه الجديد باليهودية، وإن كان يتوقع عطفا منهم، بل يتوقع أكثر من ذلك فيعتنق اليهود الإسلام بلا تردد، غير أن فشله فى ذلك إنما يرجع إلى أمرين، أولهما ماكان عليه يهود الجزيرة العربية من وعى ثقافى وتاريخى، كان علة ما كان منهم من موقف الازدراء نحو هذا الذى نصب نفسه نبيا فى أتباعه الأميين الغلاظ. وثانيهما ما كان عليه اليهود العرب من تقدم اجتماعى وسياسى، فلم تكن بهم حاجة إلى اعتناق أفكار جديدة تؤدئ بهم إلى التقدم الاجتماعى وقد أغضب «محمدا» معارضتهم فأعلن كراهيته لليهود كرها اثر على مجتمعاتهم فيما بعد تأثيرا كبيرا.

وفى سبيل نشر الاسلام الجديد عمد «محمد» إلى اختيار الأسلوب الروائى، إذ كسب أغلب الناس إلى دينه فى ساحة القتال. حيث خير المغلوبين وكانت جلتهم من العاملين فى قوافل التجارة من مكة - بين الإسلام أو فرض ضريبة على من لايؤمنون به. فلم يلبث ان أحرز من القوة بحيث سمح له بالحج إلى مكة التى اصبحت فيما بعد مركزاً إسلاميا وأصبحت الكعبة حرما إسلاميا رئيسيا.

وإذا الإسلام عند وفاة محمد عليه الصلاة والسلام عام ٦٣٢ يشمل الجزيرة العربية، وكان على اليهود والمسيحيين الذين رفضوا االإسلام أن يشتروا حريتهم بضريبة يؤدونها ويكونوا بذلك «ذميين» (أهل الذمة)، ولكنهم كانوا أقلية.

ويتسع الإسلام بعد ذلك فى مناطق كثيرة لاتكاد ترده فى الغرب الا قوة فيما وراء (جبال البرانس) وقوة الدولة (البيزنطية) فى الشرق. ثم يؤسس الدولة الأموية التى تنهار لتعقبها الدولة العباسية، ولايبقى من الدولة الاموية إلا عبد الرحمن بن معاوية الذى يفر إلى المغرب لينشئ دولة أموية فى الغرب لاتخضع للدولة العباسية فى الشرق[1].

عناصر يهودية فى الفكر الاسلامى:

كان (لليهود) فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام مجتمعهم النشيط بمدارسه ووسائل اتصاله بيهود فلسطين، و بابل، وكان لهم عند ظهور «محمد» - عليه الصلاة والسلام - أثرهم الكبير فى المجتمع العربى وفى اليمن خاصة. وليس من شك فى أن اليهودية قد القت بظلها الحيوى على العقل العربى، حيث انتقل إلى الإسلام قدر كبير من مبادئهم الأساسية.

ومن أمثلة هذا التأثير «وحدانية الاله»، وقدرة الإنسان على الاقتراب منه. كذلك آمن المسلمون كاليهود بخلود الروح وبالمسئولية الشخصية عما يقترف الإنسان فى الأرض، وفى أسبقية العدل وفى «إيتاء الزكاة» عن حق وعدل لاشفقة ورحمة بالناس. وكذلك يتشابه «الإسلام واليهودية» فى كثير من العادات. منها التولى إلى قبلة الصلاة، وغسل اليدين قبل العبادة، ولسوف يتبين من النظر فى «القرآن» الكثير من التأثير اليهودى الذى يدل على عبقرية العقلية

(١) هذا رأى المؤلفين اليهود المعاصرين فى الاسلام وعلى رأسهم «أبا ايبان» مؤلف اشهر الكتب عن سيرة الشعب اليهودى. وكذلك أغلب المستشرقين.

اليهودية. وكذلك عبقرية العقلية العربية التى أخذت تلك العناصر ووحدت بها شعوبا متفرقة فى أمة واحدة.

اليهود تحت الحكم الاسلامى:

وفى هذه الحقبة دخل العالم اليهودى عهدا جديدا من التوسع المادى والثقافى، إذ كسب اليهود قوة جديدة تحت الحكم الإسلامى، فقد كانت الجالية اليهودية فى بغداد كبيرة، بحيث وجد أحد الرحالة فى أخر القرن الثانى عشر بعد الحرب الصليبية مايقرب من ٤٠ر٠٠٠ يهودى لهم زهاء ٢٨ معبدا وعشر معاهد للتعليم العالى.

وفى فلسطين وقع اليهود على فرصتهم فى العودة وتقوية نفوذهم فى الأرض الأم من حيث يتيسر فى مفاوضات مع الخليفة التصريح لسبعين عائلة بالعودة إلى المدينة المقدسة ـ القدس ـ حيث لقى اليهود هناك الدعم بالتبرعات من كل مكان. وحيث وجدوا فى مولد هذا المجتمع من جديد، وإعادة بناء الحاخامية دليلا ملموساً على عروة وثقى لا انفصام لها بأرض الميعاد.

وقد استمر المجتمع اليهودى قائما حتى عام ١٠٩٩ عندما تحطم بلا شفقة على أيدى الغزاة الصليبيين ولم تكن القدس هى المدينة الوحيدة التى حققت النهضة فى العصر الإسلامى، فهناك طبرية وغزة وعسقلان وحيفا والرملة التى كانت زمنا ما مقرا للوالى والعاصمة الادارية لفلسطين. وكذلك كانت فى سوريا نهضة مشابهة بعد جلاء المسيحيين فقد تدفقت أفواج من اليهود على كل من طرابلس وصور وحلب. وكانت تعد جزءا من الأرض المقدسة. اما فى سوريا نفسها فقد كانت هناك دمشق التى تعد مركزا مهما وحيدا

للحياة اليهودية والعلم، خصوصا بعد احتلال السلاجقة للقدس سنة ١٠٧١.

وأصبحت مصر تحت الحكم الفاطمى منذ سنة ٩٦٩ مركزا للعلوم اليهودية، فقد ضمن الخلفاء الفاطميون حرية العبادات الدينية جميعا سواء فى القاهرة أو فى غيرها من ربوع الدولة الفاطمية الأخرى. وتأتى من بعد القاهرة الاسكندرية التى تفخر بمنزلتها التجارية، وفى الغرب من مصر قامت كذلك تجمعات يهودية برزت قوتها فى العصر الفاطمى فى «القيروان» وقد قادها رهط من علمائها الأفذاذ. وذلك فضلا عن تجمعات فى كل من طرابلس والمغرب، حيث أصبحت مدينة فاس مركزا رئيسيا للثقافة اليهودية. وكان اليهود ضمن مؤسسى مراكش سنة ١٠٦٢.

وكان التشريع الإسلامى منذ عهد «عمر بن الخطاب»، يضع المؤمن المسلم فى مرتبة اعلى من «الذمى» إلى جانب منع بناء كنائس أو معابد جديدة. كما لم يكن يسمح لكنيسة أو معبد بالارتفاع عن المسجد المجاور. وكان على «الذميين» ركوب البغال والحمير دون الجياد. كما لم يسمح لهم بحمل السلاح، وكان التزاوج بداهة ممنوعا إلا بالإسلام، ومع ذلك فقد كان لليهود الحرية الكاملة فى ممارسة حياتهم العقيدية. فكانت لهم محاكمهم بسلطة قضائية مطلقة عليهم، كما لم يكونوا مجبرين على التقاضى أمام المحاكم العربية، أما الضرائب فكانت عليهم ضريبة الرأس كالمسيحيين،. وعلى الجملة فقد كانت المجتمعات اليهودية تستطيع أن تمارس حياتها الداخلية الخاصة بحرية كاملة، وكذلك أهملت القوانين التى تميز أهل الذمة

من المسلمين أحيانا كثيرة وأن فرضت فى بعض الأحوال أمور بولغ فيها كأن يحملوا على أعناقهم ما يميزهم، أو أن تتخذ النساء الذميات احذية من لونين أحدهما أحمر والآخر أسود مع جرس فى قدمها يعلن عن مقدمها. على أن زعماء اليهود لم يعترضوا على ذلك التميز حرصاً على بقاء الحواجز بينهم وبين غيرهم، ولذلك منع اليهود من بيع منازلهم لأحد كما منعوا من الاختلاط بالمجموعات العربية الأخرى. ومع ذلك تمكن اليهود من كسب احترام بعض الخلفاء والحكام، والدخول فى خدمتهم فى شئون الادارة والطب والشئون المالية والعلم.

وعمد بعض اليهود إلى اتخاذ الأسماء العربية رغم مانهى عنه الخليفة «عمر بن الخطاب» من قبل، عما صدر بلفظ «ابن» أو «أبى» فى الأسماء غير المسلمة.

وعلى جانبى البحر المتوسط كان اليهودى وحده هو القادر على التنقل من الشمال الرومانى أو اليونانى، إلى الجنوب الإسلامى العربى، وذلك بحكم مايعرف من لغات يجرى بها لسانه على كلا الشاطئين.

اليهود فى بلاد النهرين (العراق) :

كانت غالبية من اليهود فى صدر الإسلام، لاتزال تعيش فى «بابل»، حيث عانوا نكسات قاسية ممن سبق من «الساسانيين». ومع ذلك فقد كانت أحوالهم خيرا لايقارن به حالهم فى المسيحية فلما أن التأمت جمهرة اليهود تحت راية الدولة الإسلامية عادت بابل فاستردت نفوذها على غيرها من مجتمعات يهودية كانت تنتشر

يومئذ من الهند إلى أسبانيا، وعاد زعيم الشعب المنفى زعيما روحيا لليهود، وكان يعين من أسر تزعم انتسابها إلى «الملك داود». وكان له مقعد فى المجالس الرئيسية فى الدولة. ولما أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى بغداد انتقل معها، فقد أتاح الحكام المسلمون لليهود، وهم لايجندون فى الجيش الإسلامى، حرية أكبر فى أمور الدين والإقامة والعمل والحركة، وفتحوا امامهم وظائف الادارة فتولوا عددا كبيرا منها، فدخل اليهود بهذا إلى مراكز كبيرة فى الحكومة وخاصة فى الاقتصاد، وعادت لبابل قيادة العالم اليهودى. ومع ذلك كله ظلت فلسطين محط أنظار اليهود، حيث انعقدت بآمال المستقبل وعظمة الماضى مشاعر الشعب اليهودى نحو أرض الميعاد.

اليهود فى (أسبانيا) الإسلامية:

كانت أسبانيا فيما بين عام ٧١١ وعام ٧٥٦ وبعد أن فتحها «طارق بن زياد» حتى قيام الدولة الأموية فى حرب أهلية. وكانت أولى المدن الكبرى التى هاجمها الغزاة قرطبة فلما سقطت تلك المدينة المسورة كان اليهود وحدهم هم الذين رحبوا بالمسلمين و استقبلوا فيهم المحررين من الحكم المسيحى القاسى. فكان أن عهد اليهم المسلمون الغزاة اعترافا لهم بجميلهم بالحراسة، كما عهدوا اليهم، كلما سقطت مدينة بعد أخرى، حراستها حيثما توافر عددهم، واذا هم منذ البداية قلة موثوق بها فى أسبانيا الإسلامية.

ولم يكن غريبا لذلك أن يرتد حينئذ من اليهود وبعض ممن كان نزح إلى شمال افريقيا ويعودوا إلى الأندلس، حيث استأنفت الحياة اليهودية ازدهارها بقيام الخلافة الأموية المستقلة عن بغداد على عهد

«عبد الرحمن الأول» سنة ٧٥٦ فى عاصمته قرطبة التى تحولت بفضله إلى مركز علمى ثقافى كبير.

وقد انطلق الازدهار الثقافى فى أسبانيا الإسلامية جنبا إلى جنب مع التسامح السياسى، حيث حظى عدد من اليهود بمراكز إدارية كبيرة على عهد «عبد الرحمن الثالث». ومنهم «حسداى بن شابروت» ٩٥١ - ٩٧٠ الذى ترقى من فيزيائى فى البلاط إلى كبير مستشارى الخليفة فى الأمور المالية والدبلوماسية. وقد جمع «حسداى» شأن غيره من اليهود بين ولائه لحكام المسلمين وولائه العميق لشعبه. وكان فى اتصالاته الخارجية يتلقى المعلومات عن اليهود فى أنحاء العالم ولعله كان أول من علم بحملة الخزر اليهودية على ضفاف الفولجا والبحر الاسود. وقد استطاع أن يوجه إلى ملك «الخزر» رسالة تعد وثيقة ذات أهمية كبرى، إذ عبر عن استعداده للاستقالة من عمله المرموق فى اسبانيا لخدمة دولة يهودية مستقلة. غير أن «حسداى» لسوء حظه لم يحقق أمله، اذ لحق مملكة «الخزر» الدمار على يد الروس سنة ٩٦٩ قبل وفاة «حسداى» بعام واحد.

وقد لبث الازدهار الثقافى والاقتصادى الرائع فى قرطبة زهاء قرن كامل، حيث قضت سلسلة من حروب صحبها غزو «قبائل البربر» التى نجحت آخر الأمر فى تدمير المدينة، واجبار الكثير من اليهود إلى طلب الملجأ فى أنحاء أخرى من البلاد.

وكان بعد تحلل الخلافة فى أسبانيا أن تفتتت إلى إمارات صغيرة، ومن ثم عاش اليهود فى بعض هذه الإمارات حيث عانوا فى العهود التالية الكثير.

«الخزر»

جذبت قصة «الخزر» انتباه الكتاب منذ عرفها العالم الغربى، بفضل ترجمة كتاب «يهودا هاليفى» إلى اللاتينية سنة ١٦٦٠. ويتألف «الكوزارى» هذا من حوار فلسفى بين ملك الخزر وأحد الحاخامات، فقد وقع فى اثناء إحدى الحركات الشعبية الكبرى فى القرن الخامس أن استقرت قبيلة تركية تسمى «الخزر» على ساحل بحر قزين، ومنه إلى البحر الأسود، حيث تحولت بطون منها أواخر القرن الثامن إلى اليهودية وإن أقامت الغالبية على المسيحية أو الاسلام. وكان هناك من استوطن من قبل هذه المنطقة من يهود زادهم المهجرون عددا. وكان اليهود، كشأنهم دائما قد تصدروا الكثير من أعمال، كانوا هم الطليعة فيها فعلموا جيرانهم البسطاء وسائل الزراعة المتقدمة، وأساليب التبادل التجارى فيما بينهم، أو مع الأمم الاجنبية. ولعلهم علموا جيرانهم فن الكتابة إذ يقرر أحد الكتاب العرب فى القرن العاشر أن «الخزر» يستخدمون الخط العبرى. ومن ثم فليس الا توقع قدر من التأثير الدينى كذلك بطبيعة الحال.

ويبدو أن حكام «الخزر» قد استمسكوا بالعقيدة اليهودية ولكنهم بحكم عزلتهم عن مراكز العلم الكبرى قد عانوا من جهلهم «بشريعة التلمود». ولكن مأساتهم على كل حال انما بدأت فى القرن العاشر بانحلال الدولة العباسية وعلو الدولة البيزنطية، وسرعان ما اقتنص الروس الفرصة لغزوهم، ومع ذلك ظل الخزر رغم الهزيمة والاحتلال دولة يهودية اسمية حتى غزو المغول فى اواسط القرن الثالث عشر.

الثقافة اليهودية فى العصر الإسلامى:

شهدت أقاليم الدولة العربية نهضة رائعة، بلغت فى عمقها واتساعها، فضلا عن مقدار منجزاتها، ما يعادل إن لم يتفوق على غيرها فى عصر مشابه آخر من تاريخ الإنسان.

وقد برزت مظاهرها فى الفلسفة والعلوم واللاهوت والآداب واللغويات. ولم يكن دور يهود العالم الإسلامى فى تلك النهضة صغيرا، فقد كانوا جسرا ثقافيا دوليا حيث تناثروا بين الناس شرقا وغربا.

وكان هناك تعاون ملحوظ بين العرب واليهود فى الدراسات العلمية والفلسفية، وذلك بترجمة أمهات الكتب العربية إلى العبرية، كما كان اليهود نقلة الثقافة العربية إلى اوربا المسيحية، حيث ترجم يهود آخرون هذه الأعمال من العبرية إلى اللاتينية.

وكما كتب فلاسفة اليهود فى الإسكندرية أعمالهم باليونانية، كذلك كتب العلماء والفلاسفة فى العصر الأسبانى بالعربية، وكتب كبار شعراء العبرية مثل «سلمون بن جابيرول» و «يهودا هاليفى» أعمالهم الفلسفية بالعربية بسهولة تامة.

ولقد شهد هذا العصر كذلك، تجدد الاهتمام بالدراسات اللغوية المقارنة. كما كان هذا العصر كذلك «العصر الذهبى» للأدب العبرى. وكان من أشهر أدباء العبرية وشعرائها «صمويل بن ناجريلا» (٩٩٣ - ١٠٥٦) «وسلمون بن جابيرول» «ومسى بن عزرا» (١٠٥٥ - ١١٣٨) «ويهودا هاليفى» (١٠٧٥ - ١١٤١). الذين اورثوا من خلفهم من الأجيال تراثا له جماله الفنى الغنائى الرائع.

يهودا هاليفى «الشاعر الفيلسوف» :

عاش فى الاندلس حيث بدأ يكتب الشعر فى سن مبكرة. وأخذ عن أهازيج الغزل العربية ماطوعه إلى العبرية. وكان من أهم ماقدم للأدب اليهودى الأعمال الشعرية أغانى المنفى وقصيدة لصهيون التى حفظتها وروتها الاجيال اليهودية من بعد وحتى اليوم. بل لقد ادخلت الكثير من قصائده فى الشعائر الدينية، ومنها قصيدة «لصهيون» التى تنشد فى خدمات المعابد فى التاسع من شهر مايو.

وكان شعره يشمل أعماله الفلسفيه التى كان أعظمها الكزارى الذى كتب أساسا بالعربية، وفيه حرص على بيان سمو الديانة اليهودية على المسيحية والإسلام، وذلك على نمط الحوار «الأفلاطونى» بين عالم يهودى وملك من ملوك «الخزر» اعتنق اليهودية حديثا، حيث بسط فى فكره أن الفلسفة وأن أدت إلى اثبات فهى تؤدى وحدها إلى تأكيد العلاقة الوثيقة بين العبد وربه، تلك العلاقة المستمدة من نورانية النفس التى اختصت بها إسرائيل حيث وقع الاختيار على أهل الوحى والنبوة، فتمتعوا بالموهبة التى غرست أول ماغرست فى آدم، ثم توارثها «يعقوب» وبنوه ومنهم إلى الناس جميعا. وهو يضع إسرائيل من العالم بمنزلة القلب من الجسم. إذ بمده تقوم الروحانيات. ولم يكن له كذلك ان يترك قضية مثل الشتات فى كتابه، حيث قال: «هل لنا فى الشرق أو فى الغرب مكان تستقر فيه آمالنا». وما كان أمله إلا فى أرض اسرائيل.

ولقد دفعه حبه صهيون يوما إلى هجر وطنه وأهله وأصدقائه إلى القدس عن طريق مصر، ولقد وصلت قصة رحلته فى قصائد من شعره ورسائل بينه وبين مضيفيه من المصريين. ومع ذلك فلسنا

على يقين من وصوله إلى القدس، وإن روى فى أسطورة مؤثرة أنه قتل تحت سنابك جواد أحد فرسان العرب وهو قائم يبكى امام «حائط المبكى» الحائط الغربى.

«موسى بن ميمون»:

نصل بشخصية الحاخام «موسى بن ميمون» إلى ذروة الفكر اليهودى فى العصر الاسلامى، على أن شهرته لم تكن لذكائه وألمعيته بل لتأثيره فى الفلسفة الأوربية. وفى الحقيقة فقد وصل الفكر اليهودى بفضله إلى غير اليهود فى العالم.

ولد فى قرطبة سنة ١١٣٥، وتركت عائلته اسبانيا إلى فاس مع عديد من أسر أخرى، ثم رحلت من مصر إلى (فلسطين) ومنها انتقلت إلى الفسطاط حيث توفى «موسى بن ميمون» سنة ١٢٠٤.

كان «موسى بن ميمون»، شأن كثير من يهودى عصره، فيزيائيا، طبيبا لأسرة السلطان «صلاح الدين»، وقد كتب كثيرا من كتب الطب المعروفة والتى تكشف عن دراية كبيرة بالعلوم الطبيعية، وقد انتفعت بها جمهرة من طلاب العلم من بعده. وقد كان، على الرغم من اعتلال صحته، له دور فى شئون اليهود. إذ كان مرجعا ترجع إليه اليهود فى علم البحر المتوسط، وقد كرم بعد موته بالقول: «بين موسى وموسى.. لم يظهر مثل موسى»، ومن أعماله الفلسفية «مرشد الحائرين» وقد ترجم من لغته العربية إلى كثير من اللغات الأوربية، وتأثر به من العلماء المسيحيين «توما الاكوينى»خاصة، ومن (اليهود)«بارخ سبينوزا».

وكان «مرشد الحائرين» سببا فى شهرته عند الأوربيين، على حين اشتهر بين اليهود بكتابه «مشنه توراه» والذى قال عنه:

«سيعرف منه كل من يقرؤه من بعد الشريعة المكتوبة كل الشريعة الشفوية، ولن يضطر إلى دراسة كتاب وسيط آخر».

نهاية التجربة الذهبية:

لن يعيد العالم العربى ملك الوحدة السياسية المثالية والجمعية الدينية التى بذت يوما مراكزة العظمى فى أسبانيا وشمال أفريقيا.

ولقد حاول بعض حكام العرب فيما بعد أن يضعوا مسئولية ماحدث للدولة الإسلامية على أكتاف اليهود.

ولم يشهد اليهود فترة ذهبية فى حياتهم مثل تلك التى شهدوها فى هذه الفترة.

(تعليق)

هذه المؤلفات الصهيونية لها - مع التحفظ الشديد - بعض القيمة التاريخية. ولكنها على كل حال إنما تكشف عن نوع من الفكر اليهودى الجديد، بما يعتمد عليه من تزييف الحقائق التاريخية اذ يتجلى ذلك فيما يلى من أمور جوهرية خطيرة.

١- عدد اليهود فى العالم: ذكرت أرقام خيالية لاسبيل إلى الأخذ بها بالقياس إلى (ديموغرافية) السكان فى العالم واطرادها. من ذلك على سبيل المثال سكان فلسطين من اليهود أيام الحكم الرومانى وزعمهم أنهم كانوا قرابة ٣ ملايين نسمة وهو امر مع تناقضه مع هذه «الديموغرافية» يناقضوه هم بأنفسهم حين يذكرون سكان (مكة) عند مولد الرسول عليه الصلاة والسلام أنهم كانوا بين ٢٥,٢٠ ألف نسمة. وإذا كان كذلك يهود فلسطين وحدهم يومئذ فكم كان عدد سكانها أجمعين؟ كما ذكروا ان اليهود كانوا موزعين فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية. ولو أخذنا بقولهم لكانوا فى ذلك الزمان

زهاء ٢٠ مليونا، فكم يكون عددهم الآن فى جميع أنحاء العالم بعد مايقرب من الفى عام؟.

٢ـ محاولتهم إرجاع أصل المسيحية والإسلام فى فكرة الوحدانية إلى الدين اليهودى فيذكرون أن اليهودية أعطت للمسيحية «الله» و «العهد القديم» واذا كانت الوحدانية من اليهودية فهى ليست بالطبع كذلك فكرة «دنيوية» بمعنى أن اليهودية دين منزل على موسى عليه السلام «وآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون. واذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذالكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم» .. (سورة البقرة الايتان: ٥٢،٥٣) .

ثم إن فكرة الوحدانية كذلك قديمة قدم «ابراهيم» عليه السلام، قال الله تعالى: «ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين».

ويقول الله تعالى أيضا عن ابراهيم: «فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برئ مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين».

٣ـ لسنا ننكر تأثر بعض المستنيرين من أعراب الجزيرة العربية بالافكار اليهودية. ولكننا إنما ننكر أن تكون هذه الفكرة إنما جاءت إلى كل من النبيين «عيسى ومحمد» من اختلاطهم باليهود وحوارهم معهم ولم تنبع نبوتهم وحيا من عند الله. وإذا كان الأمر بهذا الحال،

فان الكثير من الاعتقادات القبلية الأفريقية كانت تعتقد فى «إله» واحد بمقولة إن النسب يتسلسل منه إلى أسرة الرئاسة الدينية، كما هو الحال فى الرئيس الدينى أو الزعيم الروحى الذى كان يشفى المرضى وينزل المطر ويعلن الحرب إلى جانب الزعيم السياسى للقبيلة. وقد عرف هذا فى كثير من قبائل اوغندا وكينيا ونيجيريا.

٤ـ مامن دليل تاريخى على ان اليهود هم الذين أنشأوا «يثرب». وإنما المعروف انها كانت موطنا لبعض القبائل «اليهودية» كقبائل «بنى قريظة» «وبنى النضير» و «بنى قينقاع». ولم يتفق المؤرخون على اصول هؤلاء «اليهود» أهم من عرب الجزيرة اعتنقوا اليهودية أم أنهم يهود مهاجرون، هبطوا يثرب كما هبطوا غيرها مثل «وادى القرى وخيبر وتيماء وفدك».

٥ـ لم يخرج «الرسول» صلوات الله عليه وسلامه للتجارة فى غير رحلتين إلى الشام، تخالفان الصورة التى أوردها، اذ كانت الأولى فى صحبة عمه «ابى طالب» وهو بعد فى الثانية عشرة من عمره، وعاد به من منتصف الطريق، وكانت الثانية فى تجارة «خديجة» وهو فى الخامسة والعشرين من عمره مع غلامها «ميسره». فلم تتح له تلك الفرصة المزعومة للمناقشات والمحاورات مع اليهود والمسيحيين فى أمور دينهم. بل كان الرسول كذلك يعرف «الحنفاء» الذين كانوا بالمنطقة ويؤمنون باله واحد وينفرون من عادات العرب فى الجاهلية وتقاليدهم، ولم يعتنقوا المسيحية أو اليهودية رغم وجودهما فى الجزيرة فى هذا الوقت.

٦ـ لاصحة لما زعم بأن كل من تبع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بداية دعوته السرية كانوا من العبيد والمستضعفين. فلم

يكن «ابو بكر» فقيرا ولامستضعفا. ولا كذلك كان «عثمان»، وغير هذين كثيرون.

٧ـ لم يعرف عما كان بين يهود يثرب ـ وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ـ أنه قام على حقد منه «عليه الصلاة والسلام». بل كان عن خيانة منهم. ولم يقبل أهل يثرب من قبيلتى «الاوس والخزرج» على اليهودية، رغم كثرة نسبية فى يثرب من يهود كانت لهم علاقات مع من جاورهم من العرب، وقد وجد عرب يثرب فى الدين الجديد دعما لهم ضد اليهود وضد موقفهم منهم. بل يذكر المؤرخون ماكان من تعاطف الخزرج مع الرسول عليه الصلاة السلام منصرفه عن مكة من أجل رسالته، وقد كانت أم جده «عبد المطلب» من «بنى النجار من الخزرج».

ثم ان الرسول عليه الصلاة والسلام، لم يكن غير معروف فى يثرب عندما نزلها، يتلمس رضاء اليهود كما يدعى المؤلفون اليهود. بل كانت دعوته قد وصلت إلى يثرب عن طريق الحجاج الذين لقيهم ـ ﷺ ـ فى مكة عند الكعبة فى موسم الحج قبل الهجرة وفى «بيعتى العقبة الأولى والثانية»، فكان له اتباع وأنصار من «الخزرج» عندما بلغ يثرب، حيث تجلى ذلك رائعا فى ترحيبهم به وفى موقعة بدر الكبرى.

٨ ـ لم يدخل الإسلام أحد مضطرا أو مغلوبا على أمره. هل ننسى صلح الحديبية فى العام السادس للهجرة، أو ننسى شرط الكفار أنه اذا جاءنا أحد منكم مرتدا لانرده إليكم وإن جاءكم كافر يريد أن يسلم فعليكم ان تردوه، ويقبل الرسول والمسلمون بتسامحهم هذا الشرط أفى هذا ضغط أو غلب؟

ثم أى غلب أو قهر، فى فتح مكة ـ وفى عام الوفود ـ عندما فتحت أبواب مكة دون قتال فى العام الثامن، وحين أقبلت الوفود أفواجا تعلن إسلامها فى العام التاسع من مختلف أنحاء الجزيرة، وأين قوة السيف فى هذا؟.

٩ـ يكرر المؤلفون اليهود الحديث فى تأثير اليهودية دينا وفكرا وسلوكا على الإسلام، كما فى (أمور الوحدانية والبعث والحساب والقبلة والوضوء) ولم لايكون مصدر الدينين واحدا هو الله.

١٠ـ كيف كان موقف الإسلام من يهود المدينة؟ لقد عاهدهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه على العيش فى سلام وألا يتعرضوا للإسلام. فأين حقد المسلمين من ذلك والحقائق التاريخية لاتشير ولاتؤيد الا عكس هذا. فقد كان اليهود يشيعون أنهم شعب الله المختار، ثم يفاجأون بأن عددا من التف حول الرسول من المسلمين يتزايد كل يوم، فتثور ثائرتهم، ويدبرون المكائد مع يهود خيبر، وتترامى الأنباء إلى «الرسول» بأن خيبر واليهود يعدون للإغارة على المدينة فتكون الضربة الوقائية بغزو الرسول ـ ﷺ ـ خيبر فى العام الثامن من الهجرة.

ومهما يكن من شئ، فإن أفكار المؤلفين اليهود بهذا الصدد ليست من عندهم كما يقولو ن «فقد سبقهم اليها المستشرق «مرجليوت» .

ثم إن كان الحقد من جانب المسلمين، فماذا يدفع اليهود إلى الانضمام إلى الكفار وتحزبهم جميعا على المسلمين فى المدينة، واجتماعهم لحرب المسلمين فى غزوة الأحزاب فى العام الخامس للهجرة.

إن محاولة تزييف التاريخ مفضوحة، ولايفضح تزييفها إلا حقائق التاريخ نفسه.

القسم الرابع

اليهود وعصر النهضة
فى أوربا

الفصل الأول

المراكز الجديدة للإستيطان اليهودى

المراكز الجديدة للاستيطان اليهودى

ظل اليهود على مدى خمسة عشر قرنا يتجهون غربا ثم اختلف الاتجاه منذ بداية القرن السادس عشر بعد طردهم من اسبانيا والبرتغال، اذ سعى زهاء ٣٠٠ الف يهودى مطرود من الغرب إلى الالتجاء إلى اماكن اخرى. فذهبت الغالبية إلى موطنهم الاصلى شرقا وبدأ الشرق الاسط يمثل أهمية رئيسية فى التاريخ اليهودى حيث كان لوصولهم أثر كبير فى دول المنطقة الراكدة، وكانت كل من مصر وشمال افريقيا وسوريا وفلسطين قد شهدت منذ القرن الثالث عشر انخفاضا عاما فى عدد السكان، ففى مصر ورث المماليك امبراطورية الفاطميين[1] وارهقوا السكان بكثرة مطالبهم لتمويل مشروعاتهم العسكرية، فهبط عدد السكان إلى نصف ما كان عليه أيام الفاطميين.

وطفق اليهود يفدون افواجا على شمال افريقيا حيث اصبحت لهم مراكز هامة كما وفدوا منذ القرن الخامس عشر على تركيا حيث تولوا أمور التجارة. فما لبثوا فى بضع سنين من وصولهم أن سيطروا

---

(١) الحقيقة التاريخية ان المماليك ورثوا سادتهم الايوبيين.

على التجارة الدولية مع الشرق. واصبحت القسطنطينية مقرا هاما لهم بحيث وصل عددهم إلى حوالى ١٠٠ الف يهودى. وحين استولى العثمانيون على فلسطين عام ١٥١٧ . وفيها وجدوا عددا ضئيلا من السكان لايتجاز ١١٧٦ أسرة واقتصادا على حافة الخراب، وبدأ اليهود يتدفقون عليها محتشدين فى مدينة «صفد» فى الجليل خاصة وإنها أصبحت مركزا صناعيا وتجاريا وثقافيا هاما. وكانت «صفد» فى القرن السادس عشر مركزا لعدد مشهور من المتصوفة اليهود ابرزهم الحاخام «يوسف كارد» الذى ألف كتاب «شلهام اروخ» أى «القائمة المعدة» من اربعة مجلدات تضم التبصير بشئون الدين والحياة وقد عاش «يوسف كارد» فى الفترة (١٤٨٨ ـ ١٥٧٥) .

وقام اليهود بدور نشط هام فى الحياة فى تركيا وكان ابرزهم أسرة «منديس» التى وصلت إلى درجة كبيرة جدا من الثراء، أصبح احد افرادها «يوسف منديس» مستشارا كبيرا للسلطان سليمان الكبير، ومنحه جزاء اخلاصه اقليم طبرية بفلسطين والذى اصبح ملاذا وحكرا على المهاجرين اليهود. ولما تولى السلطان سليم الثانى الحكم بعد والده سليمان عين «يوسف دوقاً» على «تاكسوس» وعدد من الجزر اليونانية. وقد اهتم يوسف بأحوال اليهود فى اوربا واستقرار المهاجرين فى «طبرية» التى أعاد بناءها بحيث اصبحت مركزا صناعيا وحث يهود اوربا على الهجرة اليها غير ان التجربة لم تنجح لانشغال جوزيف بمشروعاته السياسية ومع ذلك فقد كانت أول تجربة هامة سبقت تجارب القرن التاسع عشر، لاستيطان اليهود فى فلسطين، ويشبه يوسف إلى حد كبير «تيودور هرزل» أعظم الصهاينة

على الاطلاق اذ كان يحلم باستقلال اليهود وتحقيق كيان خاص بهم.

اما يهود شرق اوربا فقد احتشدوا حتى نهاية القرن الثامن عشر فيما يعرف الان بشبه جزيرة القرم. وكذلك فى «اوكرانيا» وروسيا البيضاء وبولندا وليتوانيا. وكانت مدينة «كييف» مركزا لنشاطهم التجارى والثقافى حيث كانت حلقة وصل بين روسيا والامبراطورية البيزنطية. وفى أيام الصليبيين اصبحت «كييف» مركزا للتجارة مع الولايات المتحدة الالمانية ولعب اليهود دورا كبيرا فى ذلك. وترتب على ذلك نشوء روابط اقتصادية وثقافية بين يهود روسيا ويهود المانيا. وفى منتصف القرن الثالث عشر استولى «المغول» على منطقة القرم حتى استعادها الأتراك فى نهاية القرن الخامس عشر. وفى ظل الحكم التركى نشطت الصلات التجارية بين المراكز اليهودية فى القرم والمراكز اليهودية فى الشرق الاوسط.

ولئن كان يهود مناطق البحر الاسود وجنوب روسيا قادمين أصلا من الشرق، فقد قدم يهود بولندا من غرب أوربا وخاصة من المانيا والدول الكاثوليكية اللاتينية، وأصبح فى يد اليهود زمام التجارة والمال فى بولندا وصدرت المواثيق التى تعطيهم كيانا قانونيا خاصا وتحميهم من الاضطهاد وكان اشهرها الميثاق الصادر فى عام ١٢٦٤ . وصدرت مواثيق مماثلة فى «ليتوانيا» بعد اتحادها مع بولندا فى نهاية القرن الرابع عشر. ومع ذلك فلم يخل الامر من بعض حوادث الاضطهاد لليهود كان مبعثها الغيرة من ثروتهم ونشاطهم الاقتصادى، وقد وصل عدد اليهود فى بولندا فى منتصف القرن

السابع عشر قرابة نصف المليون. حيث تأثروا بما حل ببولندا من كوارث فى القرن السابع عشر، وخاصة غزو التتار وغزو المسكوفيين حيث اضطهد اليهود وهلك منهم ١٠٠ ألف وهربت اعداد كبيرة منهم إلى المجر وتركيا وهولندا والمانيا.

وقد كان اليهود فى اوربا فى العصور الوسطى خارج التيار الرئيسى للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية. وكانوا يشكلون طبقة منفصلة لاتتمتع بكافة حقوق المواطنة. وادى ذلك إلى انفصال اليهود عن العالم غير اليهودى، وإلى نشء «الجيتو» وهو اصطلاح يرجع إلى عام ١٥١٦ حينما أمرت جمهورية «فينيسيا» بفصل اليهود فى حى خاص سمى رسميا باسم «الجيتو نوفو» أو «المستقر الجديد» ورغم ماعانى الافراد فى هذه المعازل، فقد ازدهرت فى نطاقه وانتشرت أحياء «الجيتو» التى كانت محمية بأبواب ضخمة فى كافة مدن اوربا، وعاش اليهود داخلها فى اوضاع مزدحمة وضعت لها قوانين خاصة تستند إلى تعاليم التلمود. وكان المعبد اليهودى عصب النشاط الثقافى والروحى داخل «الجيتو» وأصبح لهم داخله مدارسهم ومحاكمهم وخدماتهم بل وسجونهم الخاصة ونوابهم المنتخبون لادارته. وقد بقى منها حاليا «جيتو براج» اشهرها واهمها كمركز حضارى لليهود بحيث اطلق عليه اسم «المدينة واسرائيل».

وقد شهدت اوربا كلها بداية عصر النهضة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر وكانت مراكزها الرئيسية فى روما وفلورنسا وميلانو وجنوا وفينيسيا. ولم يتأثر اليهود كثيرا برياح التغيير التى مست الحياة الثقافية فى ذلك الحين واقتصر نشاطهم على تدريس

العبرية وتعلم اليونانية حيث بدأت الدراسات العبرية تزدهر فى إيطاليا ودرسها كافة الفلاسفة المطالبين بالاصلاح الدينى كسبيل لحسن فهم الانجيل. واهتمت اوربا فى عصر النهضة بالدراسات اليونانية وبالفلاسفة العرب الذين استفادوا من التقاليد والتراث الفلسفى اليونانى من أمثال «ابن رشد وابن سيناء» ولعب اليهود دورا هاما فى ترجمة الاعمال الفلسفية العربية إلى العبرية ثم إلى اللاتينية ومن ثم كانوا حلقة وصل بين الحضارة الإسلامية وعصر النهضة فى اوربا. (عن اغلب المؤلفات الاجنبية ومنها اليهودية).

وبدأ عصر الاصلاح الدينى فى أوربا بإعلان «مارتن لوثر» تحديه للكنيسة عام ١٥١٧، ونشأ الصراع داخل الكنيسة الكاثوليكية وضدها. وطالب «لوثر» بمعاملة أفضل لليهود، ونشر فى عام ١٥٢٣ كتيبا بعنوان «لقد ولد المسيح يهوديا» وكان يتصرف املا فى ان يتحول اليهود فى آخر الامر عن ديانتهم إلى اعتناق المذهب الجديد. فلما لم يجد «لوثر» استجابة من اليهود تحول ضدهم وعلى ذلك فانه رغم التحرر الذى احدثته موجة الاصلاح الدينى فان اليهود ظلوا على حالهم.

الصوفية والمسيح المنتظر

تتحكم الجغرافيا فى حياة الشعوب حسب حسن طبائع الامور. ذلك ان أهم عامل دائم فى تشكيل التاريخ القومى لشعب من الشعوب انما هو طبيعة الارض التى يعيش عليها. ولم يكن ذلك هو الحال مع اليهود. فرغم الشتات والحرمان من وطن يختصون به، فقد حملوا

معهم من تراثهم الثقافى والدينى مامنحهم وحدة الهدف والروح وضمن لهم البقاء والاستمرار. وكان لهم فى ولائهم للفكرة والعقيدة والكتاب واسلوب الحياة غناء عن الولاء لحكام زائلين. ويتزايد الاضطهاد ضدهم فى العصور الوسطى اتجه بعض اليهود إلى العزلة عن العالم الحقيقى والواقع إلى تأمل عجائب الكون ومن ثم نشأت حقبة التصوف الكبرى التى صيغ فيها التلمود وظهر «كتاب الخلق» الذى أعطى بعثا روحيا لكل الساعين للمعرفة الروحية. وأصبح هذا الكتاب من مصادر الفكر اليهودى الصوفى المعروف باسم «القبالة».

ونشأ إلى جانب الاتجاه المتصوف اتجاه جديد من واقع اقتناع اليهود بأن عقيدتهم هى المثلى وأن معاناتهم لن تلبث أن تنتهى وأنهم سوف يعودن إلى وطن اجدادهم القديم. وقد تطور هذا الاتجاه حول نظرية المسيح المنتظر أى المنقذ الذى لا ينقذ شعب الله ليس فى الحياة الاخرة فحسب، بل فى هذه الحياة كذلك. وقد قوى هذا الاتجاه فى ظل محنة طرد اليهود من اسبانيا وظهر عدد من الافراد ادعوا زورا أنهم المسيح المنتظر فى هذه الفترة مثل «دافيد ريوبينى» وتلميذه «شلومو مولشوا» الذى اعلن عام ١٥٤٠ عام الخلاص. غير أن المصائب توالت على اليهود ثم ظهر فى منتصف القرن السابع عشر آخر يدعى «شابتاى» أنه المسيح المنتظر، وأعلن أن عام ١٦٦٦ سيكون عام الخلاص لليهود. وانتظر اليهود ذلك بصبر نافذ. غير أن العام المذكور حل بدون تحقيق النبوءة وعندئذ ادانه أحد اليهود البولنديين واشتكاه لسلطان تركيا الذى اتهمه بأنه مدع أفاق واقنعته الحكومة التركية بالتحول للاسلام، وقد رضخ لذلك فى ١٦ سبتمبر

١٦٦٦ ، واصبح اسمه «محمد افندى» واختفى عن الانظار. واشتد اليأس باليهود الذين انتشرت بينهم دعوة «شابتاى زيفى» واعتبروا ارتداده عن الدين اليهودى من آلام المخاض التى تسبق ميلاد يوم الخلاص. وظهر بعده آخرون منهم «جاكوب فرانك» فى القرن الثامن عشر.

وبدأ اليهود فى اوربا يتأثرون بالافكار الجديدة التى حملها عصر التنوير والعلم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على حين اتخذ يهود شرق اوربا من الدين ملاذا. وظهرت الحركة «الهاديسية» ثورة للبسطاء غير المتفقهين فى الدين ضد سلطة الحاخامات الصارمة وكان زعيمها الاول «اسرائيل بن اليعازر» المعروف باسم «بال شم توف» (أى سيد الاسم الطيب) الذى ولد عام ١٧٠٠ . وتخصص فى محاولة عمل المعجزات وركز على المشاعر باعتبارها أقوى من الثقافة والطبيعة باعتبارها أقوى من التعاليم الدينية الجامدة. وكانت لهذه المدرسة الجديدة جاذبيتها لدى يهود شرق اوربا الذين سئموا تحكم الطبقة العليا من اليهود الاثرياء المتعلمين وسيطرتهم، وأقام اتباع «بن اليعازر» بعد وفاته فى عام ١٧٦٠ على هذا الاتجاه وقوى نشاطهم فى بولندا بصفة خاصة. ونشأت معارضة ضدهم حيث حرم الحاخامات عام ١٧٧٢ نشاطهم. وكانت «الهاسيدية» تمثل قمة احدى فروع الصوفية اليهودية فى سعيها نحو خلاص الفرد بتركيزها على الاخلاص الداخلى والالتزام بأسلوب معين للحياة بحيث يعد اليهودى نفسه للاتصال بالله.

اما حركة المسيح المنتظر فكانت أوثق رباطا بالفكر اليهودى اذ

تركز على الخلاص للمجموع لا للفرد وتحقيق السلام للكافة والتبشير بالحرية السياسية والخلاص الروحي.

وكان من مآثر اليهود للعالم ايمانهم بالمسيح المنتظر واملهم الواضح فى عودة نعيم الجنة. بل نجد الاغريق وهم اكثر الشعوب القديمة تحضرا واصالة فكرية، لم يصلوا إلى نظرية حقيقية للخلاص، فاليهود وحدهم الذين تملكهم حلم تحقيق عالم من السلام والعدالة ويتحدثون دون كافة الشعوب القديمة عن العصر الذهبى فى المتسقبل لا الماضى(١).

فجر التحرر

كان فى غرب اوربا عند نشوب الثورة الفرنسية قرابة ٤٠٠ الف يهودى من بينهم ٣٠٠ ألف فى المانيا وحدها. غير أن أبواب الحضارة الغربية، رغم ماساهموا به فى دول اوربا من النمو الاقتصادى كانت موصدة دونهم. ورغم تحسن احوالهم الاقتصادية بعامة خلال القرن الثامن عشرة فقد ظلت غالبيتهم فقيرة تعيش فى «الجيتو» وتضطر لدفع ضرائب فرضت عليهم وحدهم بصورة مهينة غير ان الاقلية كانت قد اخذت تشق طريقها فى العالم الخارجي بعيدا عن عزلة «الجيتو» فوفرت بذلك أسس التحرر السياسى والثقافى والاجتماعى لليهود. ويرجع استكمال تحررهم السياسى فى نهاية القرن الثامن عشر إلى ثلاثة عوامل اولها الكفاءة العالية لرجال المال اليهود، وثانيها ما اتضح من تناقض التركيب الاقتصادى القديم مع

(١) رأى اغلب المؤرخين اليهود.

موجة العصر، وثالثها نمو الاتجاهات الانسانية المستندة إلى أسس المنطق والعقل.

وقد وجدت اوربا حينما انتقلت إلى عصر الرأسمالية والتجارة، ان اليهود بخبرتهم الطويلة هم اكثر العناصر حنكة فى امورها. فمنح البارعون منهم فى هذا المضمار وضعا خاصا اضفى عليهم لقب «اليهود المحميين» وظهر ماعرف باسم يهود البلاط وهم اليهود الذين عاشوا فى حماية احد الامراء دون قيود. فكان لهم مايشاءون من حق التجارة والسفر والملبس، وعليهم توفير القروض للبلاط والامدادات للجيش. فجمع الكثير من اليهود ثروات طائلة من وراء ذلك وارتفع بعضهم إلى طبقة النبلاء والارستقراطية وتحول بعضهم من مستشار مالى إلى مستشار سياسى للبلاط. مما فتح الكثير من الابواب امام اليهود فى كل مكان حيث حرصوا على تحسين احوال الآخرين من بنى ديانتهم. وبذلك نمت وازدهرت الجماعات اليهودية فى اوربا. ففى المانيا بدأت حركة تحرير اليهود واصبحت «برلين» مهد عصر التنوير اليهودى التى كان رائدها «موسى مندلسون» وراعيتها صديقه «جوتلد افرايم ليسنج» وكان «ليسنج» اول صوت مسيحى قوى ارتفع دفاعا عن اليهود.

وكان «ليسنج» اعظم مفكر واديب انجبته المانيا فى القرن الثامن عشر. وكان «مندلسون» يهوديا مصلحا حرص على تطوير المفاهيم اليهودية فلسفيا بما يتلاءم مع روح العصر. كما حرص على تطوير التعليم اليهودى داخل «الجيتو» بما يخرج اليهود من عقليتهم الجامدة ويحقق انفتاحهم على العالم الخارجى. وكانت اهم اعماله ترجمة

التوراة إلى الالمانية وحث اليهود على تعلم اللغة والثقافة الالمانية مما كانت له آثارة الكبيرة على الحضارة الالمانية والثقافة اليهودية فيما بعد وعلى ذلك فقد مهد الطريق لاندماج اليهود فى موجة التحرر العامة فى اوربا. فلما أقر تحرير اليهود من كافة قيود هم الاقتصادية والثقافية كانوا مستعدين تماما لذلك. وتخطوا فترة الصراع الأولى بين القيم اليهودية وقيم الحضارة الغربية.

وانتقلت موجة التحرر من المانيا إلى فرنسا خاصة مع الشعار الذى اطلقته الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ وهو «الحرية والاخاء والمساواة» وعمل اليهود بنشاط لتحقيق هذا التحرر. وكان من اوائل من تصدوا لذلك «سبرف بر» (١٧٣٠ - ١٧٩٣) وهو من اوائل من تأثر من يهود فرنسا بروح التحرير الجديدة التى بدأها «مندلسون» واتباعه فى المانيا. وشكلت لجنة قدمت مقترحات للحكومة لتحسين اوضاع اليهود. واقنعوا الكونت «ميرابو» (١٧٤٩ - ١٧٩١) بتولى مطالبهم وكان عدد اليهود فى فرنسا عند نشوب الثورة الفرنسية أقل من خمسين الفا. وفى سبتمبر ١٧٩١ اعطت الجمعية الوطنية حقوق المواطنة لليهود بالمساواة مع سائر المواطنين دون قيود. ورغم ذلك استمرت معاناة اليهود فى فرنسا نتيجة لتحيز غير اليهود ضدهم حتى جاء «نابليون بونابرت» ووافق على منح اليهود كافة حقوق المواطنين الفرنسيين مقابل التزام اليهود واعلانهم عن ولائهم التام لفرنسا كسائر مواطنيها. وتخلى اليهود بمقتضى هذا الالتزام عن مطالبتهم بوجود تشريع خاص بهم ينظمه الحاخامات كما تنازلوا عن التمسك بوضعهم المستقل وتخلوا عن أمل العودة لأرض اسرائيل

واعلن زعيمهم «ابرهام.فيرتادو» قائلا: «لن نكون منذ اليوم دولة داخل الدولة. ان فرنسا معشر اليهود، هى وطننا وبلدنا «وكان ذلك عام ١٨٠٧ وكان ذلك يمثل نقطة تحول هامة فى التاريخ اليهودى حيث سيطر هذا الاتجاه على الحياة اليهودية فى غرب اوربا خلال أكثر من قرن.

ثم عقد مؤتمر «فيينا» عام ١٨١٥ بعد هزيمة «نابليون» فى «واترلو» وتوقيع فرنسا معاهدة صلح فى مايو ١٨١٤ لبحث الاوضاع فى اوربا حيث عرضت المشكلة اليهودية، وكان ذلك اول مؤتمر دولى كبير تبحث فيه هذه المسألة. وقد نشط اليهود فى شرح قضيتهم. على أن المؤتمر لم يتخذ قرارات حاسمة بحكم تغير الظروف وانحسار المد التحررى وعلو الافكار الجديدة لسيادة المسيحية الجرمانية، فكان كل ما استطاعه اليهود هو الاحتفاظ بحقوقهم المالية. ولم يكن ذلك بالمكسب الكبير حيث كان اليهود فى المانيا قد حصلوا على حقوق المواطنة فى ثلاث ولايات فقط. واستمر نضالهم من أجل التحرير على حين بدأت اتجاهات مناهضة لليهود فى النمسا والمانيا، وعاد اليهود إلى عزلة الجيتو. وبدأ اليهود يستخدمون سلاح الضغط الاقتصادى لتحقيق مطالبهم بالنظر إلى قوتهم الاقتصادية والمالية. ورفضت اسرة «روتشيلد» بما كان لها من بنوك فى العواصم الكبرى فى أوربا، منح القروض للحكومات التى تضطهد اليهود.وتمكن اليهود بنفوذهم الاجتماعى والثقافى من المناورة الفعالة لتغيير موقف الرأى العام لصالحهم وظهرت حركة للاهتمام بدراسة التاريخ اليهودى تجسدت فى فرع خاص من العلوم

يختص بدراسة اليهودية تزعمها كل من «جابريل ريزر» (١٨٠٦ - ١٨٦٠) «وليوبولد زنز». وبدأ اليهود بعد ما شهدته فرنسا من تغييرات تحررية فى عام ١٨٤٨ امتدت آثارها إلى المانيا والنمسا وايطاليا، يشاركون فى الاحزاب السياسية فى اوربا فتولى اثنان منهم عضوية الوزارة الفرنسية وانتخب جابريل ريزر نائبا لرئيس البرلمان فى بروسيا.

أما فى شرق أوربا، فقد كان اليهود منذ القرن السادس عشر ممنوعين من الدخول فى أقاليم روسيا القيصرية وكان «ايفان الرهيب» قيصر روسيا فى القرن السادس عشر يعد اليهود أفاقين أعداء للمسيحية. وظل الموقف على هذا الحال حتى وقعت التقسيمات الثلاث لبولندا اعوام ١٧٧٢، ١٧٩٣، ١٧٩٥ اذ ترتب عليها زيادة عدد اليهود فى المناطق التابعة لروسيا إلى ٩٠٠ ألف يهودى. ولم يعد من الممكن حل المشكلة اليهودية بمجرد ابعادهم من روسيا. ومن ثم صدر تشريع خاص بحقوق اليهود فى المناطق التى آلت إلى روسيا من بولندا بعد التقسيم. وقد تضمن هذا التشريع منع التميز عليهم ففرضت ضرائب مزدوجة على التجار اليهود. وازداد الوضع سوءا بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥. وفى عام ١٨٣٥ صدر تشريع حدد مناطق استقرار اليهود بحيث اقتصرت اقامتهم على ليتوانيا وروسيا البيضاء واقليم كييف وأقاليم البلطيق واربعة اقاليم أخرى.

وتأثرت ثقافة يهود شرق اوربا فى القرن التاسع عشر بعاملين أولهما التنوير أو ماعرف باسم «الهسكالاه» Haskalah، وثانيها حركة «الهاسيدية» وقد سلفت الاشارة اليها. وقد استهدفت حركة التنوير

خلق الشخصية اليهودية الجديدة التى تستطيع تبوأ مكانتها فى المجتمع المعاصر. ومن ثم فقد عمل دعاتها على التطوير الجذرى لأسس الحياة والفكر والتعليم اليهودى. وتأثرت هذه الحركة بنظيرتها التى نمت فى المانيا، كما تأثرت بالانفتاح على العالم الخارجى تجاريا وثقافيا. وكان مؤيدوا هذه الحركة فى روسيا ينتمون للطبقة المتوسطة وكان من بينهم عدد من التجار والمهنيين الأثرياء. ومرت حركة التنوير بثلاث مراحل اتسمت أولاها بالاتجاه إلى احياء اللغة العبرية وتحليل التاريخ والأدب والفلسفة وعرفت هذه المرحلة بمرحلة احياء «علوم اليهودية».

اما المرحلة الثانية فكانت فى العقدين الثانى والثالث من القرن التاسع عشر وقامت على الدعوة النشطة من خلال الكتابات الصحفية وغيرها لنبذ الالتزام الجامد بالتقاليد القديمة ومحاولة الانفتاح على العالم الخارجى بثقافته وعلومه. أما المرحلة الثالثة فكانت فيما بين عام ١٨٤٠ و ١٨٦٠ اذ شهدت الانتقال من انتقاد التقاليد الجامدة الى شرح ثقافة اوربا المعاصرة، وتقدير قيمتها. ونجحت حركة التنوير فى تطوير مفهوم جديد للبعث القومى فولدت بين يهود روسيا السعى للبحث وحب المعرفة وحولت المتدينين من الالتزام الأعمى بالتقاليد إلى السعى للفهم الصحيح للدين. وولدت كذلك حركة بعث للثقافة العبرية كانت لها آثارها الضخمة على التاريخ اليهودى ومهدت الطريق لمولد الأدب اليهودى المعاصر وانتصار الروح العبرية وحب صهيون.

وقد ترتب على حركة التنوير والتحرر آثار انتقلت إلى الاجيال التالية أدت إلى ما عرف بأزمة اليهودى المعاصر فى المجتمعات

الغربية. ذلك أن كثيرا من اليهود استجابوا لدعوة التحرر والتنوير بسرعة شديدة وفهموها بحسن نية على أن تبيح لهم قطع روابطهم الراسخة بالتقاليد القديمة وأبناء عنصرهم. وحدث تغير جذرى فى سيكولوجية الشعب اليهودى. وتمزق درع الوقاية الذى تمسك به اليهود فى مواجهة عالم ينظر اليهم باحتقار. وتنازل اليهود، مقابل الاندماج فى العالم الخارجى، عن التمسك بخاصيتهم الذاتية القائمة على التقاليد اليهودية ومن ثم فقد اليهود وضعهم السياسى المتميز المستقل واصبح اليهودى مجرد مواطن ينتمى إلى دين مختلف. وارتبط التخلى عن الانتماء للماضى اليهودى المتميز بالتخلى عن التطلع إلى مستقبل يهودى منفرد متميز.

وادت روح الخنوع فى مواجهة الثقافة الغربية والخوف من الاتهام بعدم الولاء للوطن، إلى حذف رواد حركة الاصلاح الالمانية لاسم صهيون من كتاب الصلوات والغاء كافة آثار القومية من الاحتفالات والمراسم الدينية اليهودية.

ومع ذلك فما لبثت محاولات دعاة التنوير من اليهود الالمان محو الانتماء القومى لليهود ان تهاوت وفشلت بانتقال الريادة من يهود غرب اوربا إلى يهود اوربا الشرقية. واثبت التاريخ زيف الدعوة التى حملتها حركة التنوير فى اوربا الغربية بما ارتبط بها من تمسح بالحضارة الغربية وتخل عن التقاليد اليهودية. وكان فى نشوء حركة المعاداة للسامية فى أوربا الغربية برهان كاف على ذلك.

الفصل الثانى

المعاداة للساميه والهجرات

المعاداة للسامية والهجرات

اتخذت المعاداة للسامية شكلا جديدا فى القرن التاسع عشر. فقد عززتها النظريات العنصرية؛ واستخدمتها الأحزاب السياسية سلاحا. ولم يكن اضطهاد اليهود بالأمر الجديد، حيث استمر فى ظل الخرافات والتعصب الدينى منذ العصور الوسطى. غير أن الجديد إنما كان فى استمرار موجة التعصب فى القرن التاسع عشر، رغم ما شهده من ثورة التقدم الصناعى، وحركات التحرر الوطنى. ورغم قلة عدد اليهود فلم تبلغ ١ ٪ من مجمل السكان وأكثر من ١ ٪ قليلا فى ألمانيا وامبراطورية الهبسبورج، ومع ذلك فقد كان باقى السكان يحسون تجاههم بالعداء والريبة. وكانت ثورة الصناعة قد أحدثت تغييرات جذرية فى الاقتصاد العالمى. ونشأت طبقة وسطى، بلغت من القوة، بحيث تتحدى الارستقراطية المالكة للأراضى، على اساس اقتصادى. ووجد اليهود بمهارتهم فى شئون التجارة وضعهم المناسب فى ظل هذا التركيب الجديد. فدخلوا ميدان المضاربة من أجل المال. وقد أثار ذلك كراهية الطبقات الدنيا التى ظلت على فقرها، والطبقات العليا التى أخذت «البورجوازية» الناشئة تحل محلها. وأخذ اليهود

يسيطرون على البنوك والأعمال المصرفية، مما أكسبهم قوة اقتصادية وسياسية لما كانوا يقدمونه من معونات مالية للسلطة الحاكمة فى حروبها خلال القرن التاسع عشر، ولذلك فما أن انتهت هذه الحروب حتى انحسرت الحاجة إليهم أو ضرورة الالتزام بحسن معاملتهم.

ثم كان عام ١٨٧٣م أن وقع فى سوق المال فى ألمانيا كساد سريع، ألقيت تبعته على اليهود لاشتراكهم فى المضاربات التى أدت لهذا الكساد. فوجهت الاتهامات إلى اليهود وخاصة إلى أسرة «روتشيلد»، بدعوى أنهم يعملون على استغلال أوربا المسيحية وإفقارها، وتصاعدت الخشيه من اليهود لانعزالهم الدينى والقومى عن غيرهم، وانصرافهم عن الاهتمام بالمجتمع الاقطاعى والتركيب الدينى المسيحى، الذى كان فى طريقه إلى الزوال وتركيزهم نشاطهم فى تأييد القوى التقدمية والتحررية.

وفى عام ١٨٧١م نجح «بسمارك» فى توحيد شعوب الولايات الألمانية، مستخدما فى ذلك شعار القومية. وكان مفهومه للقومية، مطابقا لما نادى به فلاسفة أمثال «كانت» و «فخته» و «هيجل»، خلال الستين عاما السابقة. وكان ذلك يعنى قيام أمة ألمانية مسيحية تتخذ فيها حاجات الدولة أسبقية مطلقة على حاجات الفرد. ومن ثم عمل «بسمارك» على القضاء على كافة النزعات الانفصالية. وفى عام ١٨٧٣ بدأ حملة ضارية على الكاثوليك اضطهد خلالها وسجن رجال «الكنيسة الكاثوليكية» فى المانيا. وفى عام ١٨٧٩م شن حملة أخرى على الحزب التحررى الوطنى وأصبح اليهود الذين نشطوا، ضمن

الجماعات «الليبرالية» هدفا لهذه الحملة التى سرعان ما اتخذت شكل المعاداة للسامية. ونشط المحافظون بتأثير ماكتب فلاسفة كبار على رأسهم «تريشكة» و «فريدرك نيتشة» بما سمم الجو العام بالاحتقار الشديد لليهود.

وارتبطت معاداة السامية فى إمبراطورية المجر والنمسا بكراهية «الحزب الليبرالى» الذى ضم الطبقة الوسطى التى تعيش فى المدن. وتصاعدت الحملة ضد اليهود فيما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠م وتعددت حوادث الاضطهاد. بل لقد حاول الاشتراكيون تحريك العمال ضد اليهود فى المناطق الصناعية.

وقدمت «النظرية العنصرية» التى استندت إليها القومية الألمانية المحافظة على الاساس الفكرى القوى لمعاداة السامية فى العصر الحديث. فقد قدمت هذه النظرية ماسمى «بالدليل البيولوجى» على التفوق العنصرى للألمان، والانحطاط العنصرى لغير الألمان، وعلى رأسهم اليهود. وقد نشأت العنصرية الألمانية من خرافة «الآرية» التى ترد كافة اللغات «اللاتينية والألمانية والسلافية» إلى أصل «آرى» واحد، وترى فى كافة الشعوب المنتمية إلى العنصر الآرى صفات جسمانية مشتركة. ومن ثم ذهب الكونت «جوزيف دى جوبينو»، وكان دبلوماسيا فرنسيا، إلى أن الحضارة، إنما بدأها العنصرالآرى. وانطلاقا من ذلك اعتبر الألمان وهم التجسيد الباقى للنقاء العنصرى الآرى، جديرون بالتفوق.

وكـان لفكرة التفوق العنصرى آثارها المدمرة على الشعب الألمانى، حيث نشأ عنها الخوف من خطر تلوث الدم بالتزاوج مع اليهود.

وفى فرنسا قوى جانب الحزب المحافظ الذى اعتقد زعماؤها بأن على فرنسا كى تستعيد قوتها ان تخلص نفسها من «الليبراليين» والاجانب واليهود. وقد قامت حركة العمل الفرنسى على هذه الأسس وترجمت النظرية الحديثة لمعاداة السامية إلى عنف منظم ضد الليبراليين واليهود.

وفى انجلترا ظهرت حركة معاداة السامية أمدا وجيزا حين كان «ديزرائيلى» رئيس الوزراء المحافظ، يستعد للمفاوضات حول مستقبل البلقان، وهى المفاوضات التى انتهت بتوقيع معاهدة برلين عام ١٨٧٨م، ووقف «الليبراليون الإنجليز الذين ساندهم اليهود عامة فى صف روسيا ضد تركيا، وكانت روسيا تضطهد يهود شرق اوربا على حين عاملت تركيا اليهود معاملة طيبة. لذلك تعرض اليهود لبعض الاتهامات بأنهم يضعون مصالحهم الخاصة قبل مصالح إنجلترا وإن انتهى ذلك سريعا.

أما فى روسيا فكان اليهود أكثر عددا منهم فى أى من دول غرب اوربا حيث كان بها ثلثا يهود العالم، وكانت التشريعات تقيد حرية اليهود فى الإقامة والنشاط الاقتصادى والزواج. فعاشوا فى عزلة عن سائر السكان. لايكادون يشاركون إلا قليلا فى الحركات التقدمية، ومع ذلك فقد اتهموا بالتواطؤ فى مقتل «الكسندر الثانى» فى عام ١٨٨١م وبالمسئولية عن انتشار الأفكار «الليبرالية» فى روسيا، خلال العشرين عاما التالية. حيث نمت هذه الافكار فى الأوساط الثقافية فى الجامعات التى كان يدخلها عدد ضئيل من اليهود. ومع ذلك فقد كانت هناك مجموعة صغيرة من شباب اليهود على رأسهم «ليون

تروتسكى، انضموا إلى «الحزب الثورى» واشتركوا فى تولى البلشفيك السلطة ١٩١٧ .

وقد خلف القيصر «نيكولاس الثانى» من بعد أبيه «الكسندر الثالث» فى عام ١٨٩٤ وكان من الضعف بحيث اقنعه المحيطون به بأن (اليهود) اعدى اعدائه. وكانت وسيلتهم إلى ذلك «بروتوكولات» حكماء صهيون، وهى وثيقة استخدمت لإقناع القيصر بعداوة اليهود. ويذكر المؤرخون اليهود أن هذه البروتوكولات كتبت فى مكتب الشرطةالروسى فى باريس فيما بين ١٩٠١ و ١٩٠٥ ثم نشرت عام ١٩٠٥م، وسلمت للقيصر. على أن القيصر لم يكن يعتقد فى صحة هذه البروتوكولات، ومن ثم لم يولها اهتماما فى ذلك الوقت. ولم توزع على اوسع نطاق فى غرب أوربا خاصة الا بعد عام ١٩١٩م. وكانت البروتوكولات تستهدف الإعلان عن أن هناك حركة يهودية عالمية، تستهدف تدمير التنظيميات المسيحية القائمة، وفرض السيطرة اليهودية عالميا. والزعم بأنها صادرة عن تقارير لمؤتمر يهودى عالمى. واتخذ البعض من نشوب «الثورة البلشفية» عام ١٩١٧م دليلا على ان هذه المؤامرة اليهودية قد دخلت فى حيز التنفيذ خاصة وان «تروتسكى» و «بلاكون»[١] كانا من اليهود. وكان الهدف من ذلك كله تأكيد ما لابد منه من مقاومة «الليبرالية والاشتراكية» لانقاذ العالم من المؤامرة «اليهودية» الشريرة.

وقد كان لهذه الحملة أثرها، حيث قتلت القوى المعادية «للبلشفيك»

---

(١) من زعماء الشيوعيين هنغارى الاصل يهودى الديانة عضو مؤسس للجنة للحزب البلشفى الذى قام بثورة ١٩١٧.

فى جنوب روسيا الألوف من اليهود. وظهرت ترجمات للبروتوكولات باللغة الروسية واللغات الأوربية، وظهرت بعد ذلك ترجمة لها باليابانية والعربية. وقدمت على أنها تمثل تسجيلا لمداولات «المؤتمر الصهيونى الأول». حيث أثرت «البروتوكولات» فى نفوس الكثيرين. ومازال المعادون للسامية إلى يومنا هذا، يصرون على الاعتقاد بأن البروتوكولات تؤكد خيانة اليهود. واستخدمها النازيون لبث كراهية اليهود. وفى الولايات المتحدة وزعها «هنرى فورد »ونشرها فى جريدته»

كما نشرها الأب «تشارلز كولين» فى جريدته «العدالة الاجتماعية».

وكانت تستخدمها دوائر الحكومة السوفينية، ومختلف الحكومات الغربية ضمن وسائل معاداة السامية .ويؤكد اليهود ان معاداة السامية فى القرن التاسع عشر، كانت خديعة مريرة ليهود اوربا الذين أملوا فى العيش مواطنين داخل مجتمع يتقبلهم ويرحب بهم. فقد هاجمهم فلاسفة من أمثال «تريتشكة»، لأنهم لم يوائموا أنفسهم مع مستوى التطلعات الألمانية. كما هوجموا لأنهم اندمجوا فى المجتمع الألمانى، بصورة هددت بتلوث هذا المجتمع.

وفى ديسمبر ١٨٩٤م أدين «الفريد دريفوس»، وكان ضابطا يهوديا فى الجيش الفرنسى، بتهمة الخيانة، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة فى «جزيرة الشيطان». وقد أثار ذلك جدلا شديدا هز أركان الجمهورية الفرنسية وأثار الضمائر لعدة سنين. وكانت تهمته نقل معلومات عسكرية سرية إلى الألمان عن طريق سفارتهم،

واستخدمت الصحف المعادية للسامية الفرصة لتأكيد إدانته رغم ضعف الأدلة.

ومع ذلك وعلى الرغم من ظهور دلائل بتواطؤ آخرين. فقد اكتفى باعادة محاكمة «دريفوس» وخفض مدة العقوبة إلى عشر سنين حيث اصر الجيش الفرنسى على عدم الاعتراف بخطئه فى محاكمة «دريفوس». وقد اهتم اليهود بهذه القضية ورأوا فى ادانة «دريفوس» مساسا بهم جميعا، وكان «تيدور هرزل» احد المراسلين الاجانب الذين شهدوا إدانة «دريفوس» واعتبرها تزييفا للعدالة وترجمة لحرص غالبية الفرنسيين على إدانة برئ، ومن ثم إدانة اليهود كافة.

الفصل الثالث

هجرة اليهود إلى أمريكا

نظرة تاريخية للهجرة:

اكتُشف العالم الجديد مع ما وقع من طرد اليهود من أسبانيا فى زمن واحد. ولما كان لكل من اسبانيا والبرتغال السيطرة على المناطق المكتشفة، فقد أغلقت على الفور أمام اليهود وظل الحال على ذلك حتى احتل الهولنديون البرازيل ثم بعض الدول المجاورة، حيث أتاحوا لليهود الاستقرار هناك. غير أن الهولنديين ظلوا فترة قصيرة فى أمريكا اللاتينية ومن ثم كان بقاء اليهود قصير الأمد، وكان ذلك فى القرن السابع عشر.

وكانت المجموعة الأولى من اليهود التى هاجرت إلى امريكا الشمالية تضم ٢٣ مهاجرا قدموا من البرازيل فى سبتمبر عام ١٦٤٥م، واستقروا ضمن الجالية الهولندية الصغيرة فى منطقة امستردام الجديدة، وهى مركز تابع لشركة الهند الغربية الهولندية، على نهر «الهدسون»، وسرعان ما طلب «بيتر ستيفسنت» حاكم المنطقة ترحيلهم لما سوف يثيرون من اشمئزاز الناس، ورجال الدين، وكراهيتهم باعتبارهم أعداء للمسيحية، غير أنهم تقدموا بالتماسات

ساندتها شركة الهند الغربية. وسمح لهم بالبقاء بشرط إعالة انفسهم. ولما بسط البريطانيون سيطرتهم على أمريكا الشمالية ارتبط تزايد اليهود بالاستعمار البريطاني. ورفض رجال الدين المسيحيون المتعصبون فى «مساتشوستت» و «كونتكت» دخولهم، غير ان ولايتى «ميلا يلاند» و « رود أيلاند»، المتحررتين سمحتا ببقائهم، وسرعان ما اصبحت مدينة نيويورك مقرا للنشاط التجارى اليهودى وأقاموا معبدا ومدافن لموتاهم. وسمح لليهود بحرية العبادة والنشاط التجارى فى ولايتى «جورجيا وكارولينا» الجنوبية وذلك منذ بداية القرن الثامن عشر. وعند نشوب ثورة الاستقلال فى عام ١٧٧٦م كان اليهود مستقرين بصورة آمنة فى ١٣ ولاية، وسمح لهم فى عام ١٧٤٠م بمقتضى مرسوم من البرلمان، باكتساب الجنسية فى المستعمرات الإنجليزية بعد سبع سنوات من الإقامة وكان ذلك حدثا مهما فى تاريخ تحرر اليهود.

وعند نشوب الثورة وصل عدد اليهود مابين الفين وثلاثة الآف أسرة من بين مجمل السكان البالغين مليونين. أى أن نسبتهم كانت ١ر٠٪، وكانت لهم مصالح قوية فى المدن الساحلية وخاصة نيوبورت، وفيلاد لفيا ونيويورك وتشارلستون وسافانا. وكان ميدان نشاطهم الرئيسى فى التجارة مع إنجلترا ومستعمراتها. وكانوا من اكبر ملاك السفن فى أمريكا. ومن ثم فإن مصالحهم التجارية كانت تربطهم ببريطانيا، وكان أى تأييد منهم للثورة يعنى خرابا اقتصاديا. محققا لهم. ومع ذلك فقد ساندوا جميعا قضية الثورة والانفصال عن بريطانيا وانضموا إلى صفوفها وابدوا شجاعة فائقة فى الحرب.

الهجرة اليهودية إلى امريكا فى القرن التاسع عشر:

شهد القرن التاسع عشر حركة هجرة كبيرة من ألمانيا إلى أمريكا، بدافع من تكدس السكان والمجاعة والبطالة. وقد استقر فيما بين ١٨٢٧ ـ ١٨٢٨م اكثر من عشرة آلاف المانى فى نيويورك. وفى عام ١٨٤٧ هاجر خمسون الف المانى إلى الولايات المتحدة. وفى عام ١٩١٠م كان هناك ستة ملايين المانى فى أمريكا وهاجر معهم الالوف من يهود المانيا هربا من الاضطهاد والتعصب، ووجدوا فى امريكا المساواة والفرصة لتحقيق آمالهم. وكانوا معدمين فبدءوا بتجارة التجزئة المحدودة، واستقروا فى المدن الجديدة حيث اجتذبتهم مناطق استخراج الذهب فى كاليفورنيا فى منتصف القرن التاسع عشر ومن ثم كانت اكبر جالية يهودية فى سان فرانسيسكو حيث نشأت طبقة متوسطة يهودية دعمت مركزها فى السنوات التالية.

وبعد عام ١٨٧٠م كان معظم المهاجرين اليهود إلى امريكا من شرق أوربا حيث وصل عددهم إلى مئات الألوف وكان تأثيرهم قويا حيث تواءموا بسرعة مع الحياة الجديدة. وعلى خلاف اليهود الألمان، فقد تمسك يهود شرق أوربا بتقاليدهم وحياتهم الملتزمة، ومن ثم أتوا معهم بقدر كبير من الطابع اليهودى القديم، واليهم من ثم يرجع الفضل فى الحفاظ على التقاليد (اليهودية) من الضياع. واصبحت الجالية اليهودية الامريكية بفضلهم اقوى التجمعات اليهودية حتى قيام دولة اسرائيل. وقد استقر ٦٥٪ منهم فى المدن

الكبرى. واشتغلوا فى تجارة التجزئة والصناعات الصغيرة وخاصة صناعة الملابس والمهن الفنية. ففى عام ١٩٠٥م كان هناك قرابة خمسة آلاف طبيب يهودى فى مدينة نيويورك وحدها. ووصل بعض اليهود إلى مناصب كبرى مثل «لويس برانديز» و «فيلكس فرانكفورتر» اللذين عينا عضوين بالمحكمة العليا للولايات المتحدة.

يهود امريكا فى القرن العشرين:

استقر اليهود القادمون من ألمانيا فى أمريكا فى نهاية القرن التاسع عشر، وعملوا فى مجال المقاولات وتجارة التجزئة والجملة والبنوك والصناعة. وسرعان ما وفدت أعداد كبيرة من شرق اوربا كانوا فى وضع أسوأ، لافتقاد الخبرات التى تتواءم مع طبيعة الحياة الجديدة واشتغلوا بالاعمال اليدوية الشاقة وبرز منهم قيادات فى الحركة النقابية وتمتعوا بمستوى من المعيشة افضل مما كان فى دولهم الأصلية. ويتحسن مستواهم المعيشى. وبحلول عام ١٩١٤م وكان المهاجرون اليهود يتمتعون بوضع مكناتها الطبقة المتوسطة.

وكانت رغبة المهاجرين فى الاندماج فى الحياة الامريكية المستندة إلى المساواة بين الجميع، والرغبة فى الوقت نفسه فى الحفاظ على قيمهم وتقاليدهم اليهودية، وكانت اللغة الأصلية ليهود أمريكا ممن وفدوا عليها فيما بين ١٨٨١ - ١٩٢٤م، هى لغة اليديش وهى اللغة التى استقرت بين اليهود فى روسيا وبولندا خمسة قرون من قبل. وقد احتفظوا بها فى مجتمعهم الجديد. غير أن أطفالهم بدءوا ينتظمون فى المدارس الأمريكية ويتشربون الحضارة الأمريكية وبدأ الارتباط القوى بثقافة «اليديش» يتوقف منذ الجيل الثانى

للمهاجرين، وكان هناك انفصال بين اليهود الالمان وبين يهود شرق اوربا الاكثر عددا، غير أن وحدة الدين ربطت الجميع، وان انقسموا دينيا ثلاث مجموعات، اولاها «المجموعة الاصلاحية» التى جمعت اليهود ذوى الأصل الألمانى خاصة. ثم (المجموعة المحافظة) ثم (المجموعة المتزمتة)، «الارثوذكس»، وانشئت الكليات والمعابد اللاهوتية للتفقه فى الدين اليهودى كان اولها ذلك الذى انشئ فى مدينة «سنسيناتى» على يد «اسحق مايروايز» عام ١٨٧٥م. وبدأ عدد من الجامعات الامريكية ينشئ اقساما للدراسات اليهودية. وبنهاية الحرب العالمية الاولى كان أهم ما انتجه العلماء اليهود فى المجال الثقافى اصدار دائرة المعارف اليهودية باللغة الانجليزية.

وبذلت محاولات لتوحيد صفوف اليهود من مختلف المجموعات فى أمريكا لم تكلل بنجاح كبير، غير أن الجميع اتحدوا فى ضرورة مساندة اليهود فى المناطق الأخرى من العالم فى اوقات المحنة.

القسم الخامس

أوضاع اليهود السياسية والإجتماعية قبل ظهور الصهيونية

الفصل الأول:

أوضاع اليهود عامة قبل ظهور الصهيونية

الفصل الثاني:

الهاسكالا

الفصل الثالث:

أحباء صهيون

الفصل الأول:

أوضاع اليهود عامة قبل ظهور الصهيونيه

أوضاع (اليهود) السياسية والاجتماعية
قبل ظهور الصهيونية

أولا: القومية، الاندماج، الصهيونية:

لعبت الحركات القومية دورا كبيرا فى تاريخ أوربا خلال القرن التاسع عشر. ونتج عنها توحيد ألمانيا وإيطاليا ونمو الحركات الاستقلالية فى البلقان، ومحاولة بولندا الانفصال عن روسيا. وقد أثرت القومية على اليهود حيث هددت الثورتان الفرنسية والأمريكية بأفكارهما حول المساواة بين الجميع استمرار وضع اليهود كيانا عرقيا وثقافيا منفصلا. ففى فرنسا منحت الجمعية الوطنية اليهود مساواة تامة فى الحقوق أفرادا لا طائفة قومية. ونصح اليهود بالتخلى عن وضعهم كدولة داخل الدولة وكذا عن قوانينهم ومؤسساتهم الخاصة، وتقبل الثقافة والحضارة القومية الفرنسية، وإلا أبعدوا. وامتد ذلك من دولة إلى أخرى داخل أوربا. ومن ثم أصبح التحرر مرتبطا بالإندماج. وقد استجاب كثير من اليهود خاصة «الإصلاحيون» لهذه الدعوة، بحيث اعلن بعضهم التخلى عن الرغبة فى أن يكون لهم وجود قومى منفصل. ومع ذلك بقيت جاليات يهودية على تضامنها

وتمسكها بتقاليدها، وهو ماعززه نمو الحركات الحديثة المعادية «للسامية»، ومن ثم نشأت الصهيونية ابتداء من القرن التاسع عشر، وظهر مؤرخون مثل «سيمون دينو»، أبرز من طالبوا بوضع برنامج للتحرر دون الاندماج، وأدى هذا الاتجاه إلى جنوح اليهود إلى التمركز في مناطق خاصة بهم، وأسس البارون «موريس دى هيرش» «جمعية الاستيطان اليهودى» عام ١٨٩١م، وكان مشروعه يقضى باستيطان ثلاثة ملايين يهودى فى «الأرجنتين» غير انه فشل، وفى عام ١٩٠٣م، عرضت بريطانيا «اوغندا» لاستيطان اليهود، غير أن فلسطين أخذت تجتذب عقول اليهود وأفئدتهم، بحيث اصبحت البديل الواقعى الوحيد، فكانت استجابة اليهود عامة وقوية لنداءات «موسى هيسى»و «ليون بنسكر» التى سبقت دخول الدعوة الصهيْونية مرحلتها السياسية على يد «تيدور هرتزل».

كان عدد «يهود» العالم وقت طرد اليهود من اسبانيا زهاء مليون ونصف، ووصل فى منتصف القرن التاسع عشر إلى حوالى أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألفا منهم قرابة ٧٢٪ يعيشون فى شرق اوربا، و ١٤٫٥ ٪ تعيش فى غرب أوربا وحوالى ١,٥ تعيش فى أمريكا و ١٢ ٪ فقط تعيش فى الدول الشرقية وشهد القرن التاسع عشر تحولا كبيرا فى وضع اليهود وخاصة فى غرب أوربا، حيث لعبوا دورا كبيرا فى الاقتصاد والسياسة والمجال الثقافى، وفى أوربا الشرقية وروسيا تزايد نشاطهم وثقافتهم، فولد ذلك رد فعل معادى لهم وضح فى مذابح «اوديسا» ضد اليهود فى عام ١٨٧١م كما وضع فى مؤتمر برلين الذى ضم زعماء القوى الكبرى عام ١٨٧٨ حيث عارض ممثل روسيا مساواة اليهود الروس فى المعاملة مع باقى المواطنين.

وجاء اول رد فعل فى روسيا لسوء معاملة اليهود عام ١٨٨٢م من يهودى من مدينة أوديسا يدعى «ليون بنسكر» فى كتيب نشره بعنوان «التحرير الذاتى» حاول فيه المواءمة بين مفهومى التقليدية والتحرر، فأشار «بنسكر» إلى تعذر العودة إلى «الجيتو» والتخلى عن التحرر فكان ينبغى عندئذ البحث عن وسيلة للتحرر لاتؤدى إلى ضياع اليهود ووضعهم تحت رحمة غيرهم، ووجد الاجابة على ذلك فى فكرة التحرر القومى لليهود، ولما كان اليهود دون القوميات الاخرى، لايملكون وطنا فقد أثار فى الاذهان ماضى اليهود الدينى والسياسى عندما كان لهم وطن، وكان الحاخام «زفى هيرش كالشر»، قد الف كتابا عام ١٨٦٢م اثبت فيه أن الوعد الذى تضمنه الإنجيل لليهود انما يعنى عودتهم إلى ارض اجدادهم، وطالب «موسى هيس «فى كتابه «روما والقدس» باقامة دولة يهودية ترتكز على المبادئ الأخلاقية باعتبارها الحل الأمثل لمعاناة اليهود، غير أن «كالشر» و «هيسى» لم يستطيعا تنظيم حركة لتأييد هذه الأفكار، وأن بلورا اساس مولد الصهيونية، وفى الدعوة التبشيرية والمثالية الاجتماعية.

وأسس «ليون بنسكر» جمعية نشر الثقافة بين اليهود وألف كتيبا بعنوان «لوم من يهودى روسى لاخوانه» أصبح احد المؤلفات الاساسية للحركة الصهيونية، ومهد لكتابه «التحريرالذاتى» الذى فصل فيه العلاج لمحنة اليهود بالحصول على قاعدة اقليمية حددها فيما بعد بأنها فلسطين.

على أن كل هذه الكتابات لم تغير كثيرا من موقف أولئك الزعماء اليهود الذين وجدوا فى الاندماج ضرورة لمستقبل اليهود. ولم يبدأ اليهود يشكون فى نظرية الاندماج إلا بعد أن خابت تطلعاتهم، بسبب تحول القومية الليبرالية وظهور النظريات العنصرية وتطورها إلى

معاداة السامية وقد وقعت حادثتان كان لهما أثر تاريخي في هذا الصدد، أولهما محاكمة «دريفوس»، والثانية المذابح التي نزلت بالروس في روسيا القيصرية في عام ١٨٨١م.

وكانت فلسطين في عام ١٨٩٧م تحت حكم الامبراطورية العثمانية، منذ عام ١٥١٧م، واستمرت كذلك حتى عام ١٩١٧م، وكان التدهور الاقتصادي والسياسي الذي بدأ يزداد، فضلا عن المجاعات وتدمير المحاصيل، وافتتاح طريق «رأس الرجاء الصالح» للتجارة إلى الهند ان فقدت فلسطين مركزها الحيوى معبرا لهذه التجارة ومركز اقتصادها.

وفي عام ١٨٤٥م كان هناك حوالي ١٢ ألف يهودي في فلسطين كلها معظمهم مركزين في مدينة القدس، وصفد، وطبرية، وهبرن، وكانوا جميعا فقراء يعتمدون على الاعانات الخيرية من الخارج، وفي عام ١٨٨٢م، ازداد عددهم إلى ٢٤ ألفا.

وكان عام ١٨٨٢م عاما فاصلا في تاريخ فلسطين فقد وصلها في هذا العام من روسيا أول مجموعة من المهاجرين من ١٥ رجلا وامرأة عملوا في الزراعة في مستوطنات، وكانوا ينتمون إلى جماعة عرفت باسم «بيلو» وهو اصطلاح عبرى معناه «بيت يعقوب»، وكان هدفهم العودة إلى الأرض لزراعتها ورعايتها، وقد تمكن المهاجرون من هذه الجماعة من إنشاء ١٨ مستوطنة زراعية خلال الخمسة عشر عاما التالية.

تجاوب يهود روسيا واوربا الشرقية مع الأفكار والاتجاهات السياسية والدينية، التي دعت إلى التحرر، وذلك بالهروب والهجرة إلى مايسمى بأرض الميعاد. وكان يهود روسيا وأوربا الشرقية يقدرون حينئذ بحوالي خمسة ملايين، موزعين بين عقلية «الجيتو»

وبين الليبرالية، والقومية التى انتشرت فى بلدان أوربا الغربية، حيث ظهر فيهم مفكرون وكتاب وشعراء أثروا فى توجيه ماكان معروفا لديهم باسم «الشتات»، فقامت حينئذ حركة «الهاسكالا» بقيادة «مندلسون» التى تنادى بـ «النهضة والاستنارة»، ومحاولة التوفيق بين الدين اليهودى وروح العصر.

غير ان يهود روسيا واوربا الشرقية عامة لما لم يجدوا فى الهاسكالا أهدافا معقولة تخلصهم من شتاتهم وعذابهم، تحولوا إلى تأييد حركة جديدة سميت باسم (حركة أحباء صهيون)، تدعو للهجرة إلى فلسطين أرض الميعاد. وقد انتشرت هذه الدعوة فى أنحاء روسيا، ومنها تسربت إلى المهاجرين فى فلسطين، فى القرن التاسع عشر، أيام ظهور كتاب «ليوبنسكر» «التحريرالذاتى» الذى أثر بمبادئه فيمن هاجر من الروس «البيلو» إلى فلسطين، وذلك فى موجات متتابعة بعد اغتيال القيصر «الكسندر الثانى» عام ١٨٨١م. ومن ثم اهتم يهود روسيا بما كان يروى من أخبار عن «موسى منتيفيورى» و «ادموند روتشيلد»، وعن المسيحيين ممن يساندون الحركة(اليهودية) مثل «جورج اليوت».

وقد رأينا أنه من الضرورى أن نعرف القارئ بما قامت عليه حركة «الهاسكالا» وحركة «أحباء صهيون»، اللتان مهدتا للصهيونية السياسية.

«الهاسكالا» "HAskala"

أولاً: (الهاسكالا Haskala) هى: (الحكمة و الفهم)، وفى العبرية الحديثة: التنوير (Enlighten ment)، وقد قامت هذه الحركة مابين ١٧٥٠ و ١٨٨٠م، وموسسها جودا جيليت "Juda Jeilets" عام ١٨٣٢م، ويعد «موسى مندلسون»، الباعث الحقيقى لهذه الحركة، عندما كان اليهود معزولين عن المجتمع الذى يعيشون فيه. وكانت دراسة التلمود أهم شئ فى حياتهم، الحاخام هو المثل الأعلى لشباب اليهود، فى حياة الجالية اليهودية الدينية والدنيوية، ولكن «موسى مندلسون» شذ عن هذا الطريق.

ولد «مندلسون» عام ١٧٢٩م فى مدينة أودسا "Odossa"، وفى عام ١٧٤٣م درس فى برلين الفلسفة والرياضيات واللغة اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، علاوة على الألمانية. وفى عام ١٧٦٣م أصبح «يهوديا محميا» (Aprotected Jew). وحصل على جائزة اكاديمية العلوم فى برلين، وكان منافسه لهذه الجائزة هو الفيلسوف الالمانى «كانت»، وقد لقب «مندلسون» «بسقراط المانيا».

وفى عام ١٧٨٣م بدأ اهتمامه بالدين اليهودى، وترجمة التوراة

إلى اللغة الألمانية، وكان يدعو اليهود لتقبل ثقافة البلد الذى يقيمون فيه، وليتأقلموا مع البيئات والمجتمعات التى يعيشون فيها، كى يصبحوا مواطنين لايختلفون عن غيرهم الا بالدين. وكان يرى الأمر ممكنا بواسطة تطوير الدين اليهودى على أساس الحضارة الغربية، مع دراسة اللغة العبرية.

بدأت آراء «مندلسون» بالانتشار فى ألمانيا فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر. ولذا كانت الهاسكالا هى الخطوة الأولى نحو الاندماج، وفى بعض الاحيان نحو التنصر. وفى بروسيا كذلك كانت بالنسبة ليهود النمسا والمقاطعات التى كان فيها تأثير الألمانية كبيرا.

أما فى روسيا فقد اختلفت الاوضاع، فأول من أدخل حركة الهاسكالا إلى روسيا هو «مندل ليفن» (Mendel levin) (١٧٤١ - ١٨١٩م) ويمكن اعتبار أحادها عام ١٧٢٧ - ١٨٥٦م من أوائل رجال هذه الحركة، ولم يكن لهذه الحركة فى روسيا برنامج معين ولكنها كانت تتبع المثل التى أعطاها «مندلسون». وكان رجال هذه الحركة يدرسون العبرية والروسية والألمانية، وأخذوا ينتقدون «الحاصدية» وهى «حركة دينية يهودية تصوفية» كانت منتشرة بين يهود شرق اوربا، وقد أصدر رجال الحاصدية قرارا مؤداه ان كل من يتبع (الهاسكالا) يعد خارجا على الدين "Heretic".

فبينما كانت الهاسكالا فى المانيا خطوة إلى الاندماج فى الثقافة العصرية للمجتمع، أخذت هذه الحركة طابع الانعزال فى روسيا. اذ كان اتباع هذه الحركة مبعدين ومضطهدين من قبل معظم الجاليات اليهودية، وبالرغم من ذلك فقد زاد عدد أتباع الهاسكالا فى روسيا، وظهرت محاولات عديدة لإيجاد مدارس للأطفال، لتلقينهم مبادئ

الهاسكالا. وفى عام ١٨٢٢م إفتتح «بار هارونز» من أوكرانيا أول مدرسة علمانية فى روسيا، على ان تسير حسب تعاليم «مندلسون».

ولم تكن الهاسكالا حركة شعبية فى روسيا، اذ أن معظم اليهود كانوا ضد هذه الحركة، وعندما حاولت الحكومة الروسية إدخال التعليم المدنى بين اليهود، حاول اتباع الهاسكالا استغلال هذه البادرة، إلا أن طريقة الجبر فى التعليم جعلت رد الفعل مغايرا، ثم كون اليهود الروس التابعون لهذه الحركة جمعية باسم «ترقية الثقافة بين يهود روسيا» وحاول زعماء هذه الجمعية ان يطوعوا آراء «مندلسون» لاحتياجات اليهود فى روسيا، بحيث تواكب ظروف روسيا السياسية والاجتماعية ولكن الصعوبات التى كانت تواجه اليهود فى الحصول على وظائف مدنية بعد التعليم جعلتهم يتجهون إلى الدراسات العبرية على حساب الموضوعات الأخرى. أما الحركة الوحيدة التى أثرت فى يهود روسيا وفى دراسة العبرية فهى الحركة الوطنية، وقد بدأت بكتابات «بطرس سمولنسكن» الذى ثار على البرنامج الذى اتبعته الهاسكالا وعلى «موسى مندلسون».

وبعد اضطهاده عام ١٨٨١م، اتجه معظم رجال الهاسكالا إلى الحركة الصهيونية التى كانت تعبر عن رغباتهم، وأصبحت حركة الهاسكالا بمثابة التمهيد الواقعى فى كثير من جانب الصهيونية مع اختلاف اساسى فى ان الهاسكالا كانت حركة ثقافية بينما الصهيونية حركة منظمة تعبر عن تطور الرأسمالية وايديولوجيتها بين اليهود فى أوربا الشرقية، إلا أن الصهيونية أخذت عن الهاسكالا التأكيد على الناحية العملية والعلمانية فى حياة اليهود، وتنمية اللغة العبرية كلغة

ادبية يومية، بعد أن كانت لغة الصلاة، وتشترك الصهيونية مع الهاسكالا فى احتقار اللغة البديشية لغة الشتات.

فالصهيونية تدعو إلى قومية يهودية منفصلة معتمدة على غير اليهود لمساعدتها فى تحقيق أهدافها، وترى أنه لامكان لليهود فى أى مجتمع، وفى أى نظام اجتماعى، خارج فلسطين.

أما (الهاسكالا) فكانت تتفاءل بالنسبة لمستقبل اليهود فى المجتمعات التقدمية ـ الديمقراطية، وكانت تدعو إلى الاندماج مع غير اليهود فى مجتمعات اوربا الغربية. مع أن اتباع الهاسكالا لم يكونوا يطالبون بالاندماج كلية مع اهمال لغتهم ودينهم، فى حين قامت الصهيونية على فكرة عدم الاندماج، أخفقت الهاسكالا فى استقطاب اليهود، على حين نجحت الصهيونية. وقبل أن يظهر «تيدور هرزل» ليبلور أهدافهم وشعورهم ويوحد جهودهم فى الحركة الصهيونية السياسية، ظهرت هناك حركة صهيونية بين يهود شرقى أوربا هى حركة «احباء صهيون».

الفصل الثالث

أحباء صهيون

أحباء صهيون» "Hibbat Zion"

بعد اضطهاد اليهود فى روسيا عام ١٨٨١ . فشلت الدعوة إلى أنه لا أمل فى الحركات الاندماجية والثقافية، وكان الهدف الرئيسى لهذه الدعوة هو بناء كيان لليهود فى فلسطين، ولذلك كان أتباع هذه الحركة ينادون بالهجرة إلى فلسطين، وقد أصدرت الإمبراطورية العثمانية قانوناً فى ابريل ١٨٨٢م، يمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين والسكن فيها، وبالرغم من ذلك فقد بنيت المستعمرات فى فلسطين، وكانت تعتمد ماليا على البارون «ادموند روتشيلد» ولم تكن مبادئ هذه الحركة فى بادئ أمرها دينية، وإنما كانت تدعو إلى تنظيم جمعيات تشجع الهجرة إلى فلسطين واستعمار أراضيها.

وقد كانت الهجرة من روسيا إلى أمريكا أكثر من الهجرة من روسيا إلى فلسطين. وكان من بين المهاجرين إلى فلسطين مجموعة تعرف «بالبيلو» (Bilu)، وهى تعنى اختصار الكلمات التى وردت فى أشعيا (٢ : ٥ «يابيت يعقوب هلم فنسلك فى نور الرب». ومعظم أفراد «البيلو» من طلاب الجامعات ـ شبانا وشابات ـ تركوا الدراسة وهاجروا إلى فلسطين.

وفى عام ١٨٨٣م أسست جمعية «زوروبابل» فى أودسا، وكانت مركز الحركة والنشاط، يتزعمها «ليوبنسكر» صاحب كتاب «التحرير الذاتى» (Auto Emancipation)، فى عام ١٨٨٢م باللغة الألمانية، والذى طبع فى برلين. وكان هدفه إقناع يهود الغرب الأغنياء بالاهتمام بإحياء أمة (يهودية) فى فلسطين. ولم يتحمس اليهود فى الغرب لكتابه، ولكن اليهود الروس، اعتبروا «بنسكر»، هو القائد الذى كانوا ينتظرونه. لقد توصل «هرتزل» فى كتابه الدولة اليهودية إلى النتائج نفسها التى توصل إليها «بنسكر»، علما بأن هرتزل لم يطلع على هذا الكتاب قبل نشر كتابه.

وفى عام ١٨٨٤م عقد مؤتمر فى مدينة «كاتوفتز»، واتحدت جميع الجمعيات التى تنادى بالهجرة إلى فلسطين تحت اسم «مزكيرت موشى». وفى المؤتمر الثانى فى مدينة «دروسكينيكى» عام ١٨٨٧ اتخذت اسم «احباء صهيون»، حيث ظهرت محاولات للتوفيق بين القادة «العلمانيين» لهذه الحركة والقادة «المتدينين».

وعقد المؤتمر الثالث فى مدينة فلنا (vilna) فى عام ١٨٨٩م، حيث ازداد النفوذ والتمثيل الدينى فى هذه الحركة. وفى العام نفسه أنشئ آحاد هاعام «نظام بنى موسى»، الذى يدعو إلى «الصهيونية» الثقافية والروحية.

وأصدرت السلطات التركية عام ١٨٩٠م أمرا آخر يمنع استيطان اليهود فى فلسطين. وفى العام نفسه صرحت السلطات الروسية بتكوين جمعية «أحباء صهيون»، إذ أنها قبل هذا التاريخ لم تكن حركة رسمية معترفا بها من قبل السلطات، وبعد هذه الموافقة ازداد عدد الأعضاء المنتسبين لهذه الحركة.

وعـقـد المؤتمر الرابع فى «أودسـا» عـام ١٨٩٠م، وشكلت لجنة مركزية برئاسة «ليوبنسكر» وفتح فرع للحركة فى مدينة «يافا» فى فلسطين. واستمر العمل فى بناء المستعمرات، وهاجر يهود روسيون كـثـيـرون فى عـامى ١٨٩٠، ١٨٩١م، الأمـر الذى جـعل السلطات العثمانية تتشدد فى منع الهجرة اليهودية. ثم اغلق فرع يافا فى سنة ١٨٩٠م بعد أن اصيب بخسارة مالية فادحة، واقتصر العمل على مساعدة المستعمرات الموجودة سابقا، وتقوية المدارس العبرية.

وبعد عام ١٨٩١م دخلت تيارات فكرية للحركة، أهمها الاتجاه العملى بزعامة«ليلينبلوم» (Lilienblum)، الذى أعلـن أن أهم هدف للحـركة، يجب أن يكون إقامة مستعمرات فى فلسطين بأية وسيلة. وكان الاتجاه الثانى، يتمثل فى أتباع «بنى موسى»، وهو الاتجاه الثقافى الذى يؤكد على اولوية العمل الثقافى التعليمى فى فلسطين. وأما الاتجاه الثالث فكان اتجاه «المتدينين».

وعندما عقد هرتزل المؤتمر الأول «للصهيونية السياسية» عام ١٨٩٧م حضرته وفود عن كل جمعيات «احباء صهيون»، وقد قسمت هذه الحركة معظم القادة الذين ظهروا فى الحركة الصهيونية مثل وايزمان وغيره. وهذه العناصر هى التى كانت تطالب بالاتجاه العملى واستعمار فسطين، وعدم اتباع طريقة واحدة فى معالجة الأمور، واستمرت حركة «أحباء صهيون» منفصلة عن «المنظمة الصهيونية العالمية»، وقد تزعم هذه الحركة «يوسيسشكين» من عام ١٩٠٦ إلى عام ١٩١٩م. وبعد أن تبنت (المنظمة الصهيونية) أسس الاتجاه العملى أخذت حركة «احباء صهيون» تضعف تدريجيا.

وفى عـام ١٩٢٠م حلت السلطات الروسيـة الجمـعيـة. ومع أن أهداف الحركة هى نفس أهداف الصهيونية العالمية، فإنها لم تصبح حركـة عالمية، ويرجع ذلك إلى خوف قـادتها من الاسترسال فى الآمال، فـقد كانوا يخـافون من ذكر العبارة التى تدخل على «دولة يهـودية» أو ربما لأنه كان ينقصـها قـائد، أو قادة مـتحـمسون مـثل هرتزل، ولقد انـتشرت الحركة من روسيا إلى رومانيا والنمسا والمانيا وفـرنسـا وانجلتـرا، ثم إلى أمـريكا. إن «اليـهـود» الذين هاجـروا إلى أمريكا، رأوا فيها «أرض الميعاد»، ولكن كـانت هناك مجموعة صغيرة بقيت على مبادئ «أحباء صهيون».

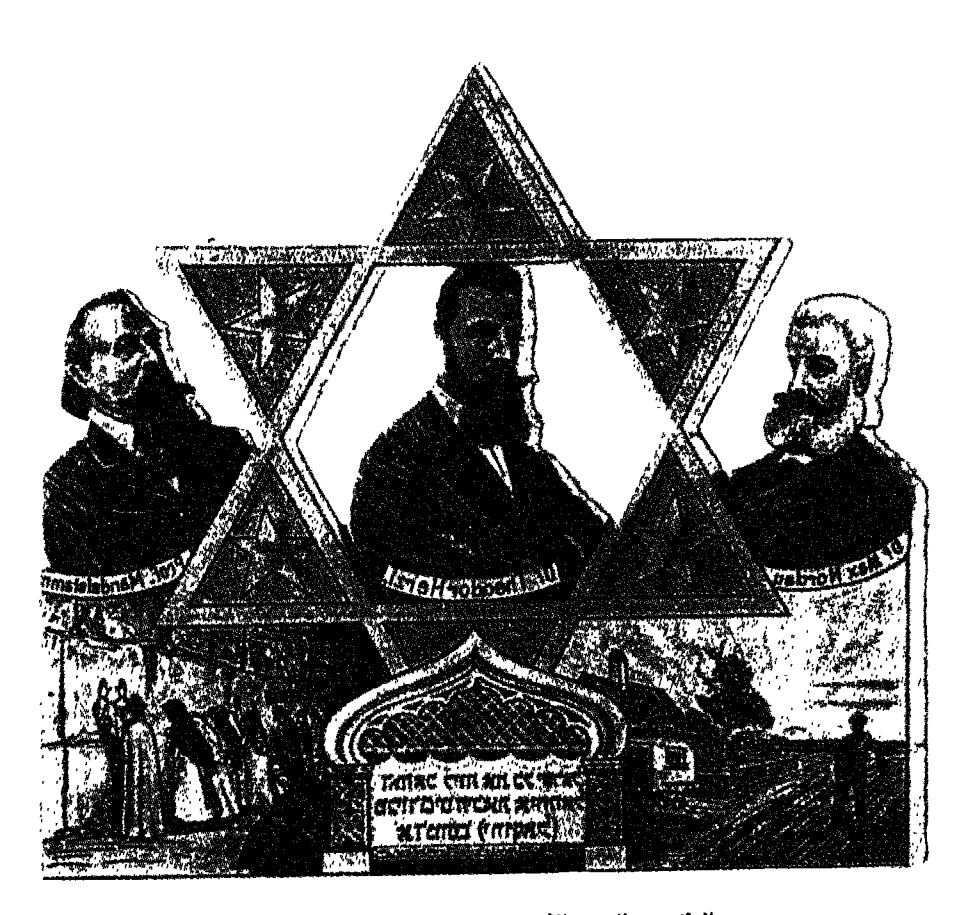
وفى عام ١٨٨٢ تكونت جمعية لأحباء صهيون فى نيويورك، ثم تبعتها بوسطن وفيلاد لفيا وبلتيمور. وكان معظم الحاخامين ينتقدون هذه الحـركـة، ويقولون: إن أتباعـهـا يحـاولون ادخـال فكرة «المسيح المنتظر» مرة أخرى، ومع هذا فقد بقيت الحركة فى أمريكا.

ويمكن اعتبار حركة أحباء صهيون بأنها كانت القاعدة التى هيأت العـقـول لدعـوة «هرتزل»، وكـانت مـجـالا واسـعـا لتـدريب القـادة الصهيونيين.

وفى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩٦م، صدر كتاب «تيودور هرتزل» عن الدولة اليهودية، فكان له تأثير مباشر فى وضع الاسس السياسية للصهيونية. إذ كان ترجمة صريحـة لأفكار يهود شرق أوربا واتجاهاتهم وبأسلوبه الذى تفهمه حكومات الغرب وشعوبه.

ثم انعقد المؤتمر الصهيونى الاول فى «بازل» عام ١٨٩٧م، وكـان أغلب شهوده ومندوبيه يمثلون يهود روسيا وبولندا، وبفضلهم استطاع «هرتزل» ان يتـزعم اليـهـود دون منازع، إذ اتجـه إليـه اليـهـود

المتشـدودن، فضلا عن «المتـدينين»، ممن رأوا فيه رسولا من الله، أرسل لإنقاذ اليـهود من «الشتـات». وأصبح «هرتزل» بآرائه ودعوته ونشاطه المثل الأعلى للجيل الجديد، جيل «ويزمان» و«بن جوريون» و«جابوسنكى» و «جولدا مائير»، فألهب مشاعرهم واستحث هممهم للهجرة إلى «أرض الميعاد».



المفكرون اليهود الذين مهدوا للمبادئ الصهيونية

ماكس نوردو ـ تيودور هرتزل ـ مانديل.

القسم السادس

الصهيونية السياسية العالمية

«تيدور هرتزل» مؤسس

الصهيونية العالمية

١٨٦٠ ـ ١٩٠٤



تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية العالمية.

مولد الصهيونية

من مـفارقـات القـدر أن ولدت الصـهيـونيـة فى مكان لم يخطر ببال، ولدت فى قاعة محكمة الجيش فى باريس فى ١٩ ديسمبر عام ١٨٩٤ ، إذا ارتفع الستار عن «قضايا القرن العاصفة» وكان «ألفريد دريفس» بؤرة العاصفة.

وكان ممن شهد المحاكمة وتأثروا بها يهودى من النمسا اسمه د «تيودور هرتزل» أحس أن العالم كله يتفتت بهذه المحاكمة. وأتضح له فجأة أن اليهود لن يتمتعوا أبدا بالسلام والأمن والاحترام وهم مشتتون بين أمم أخرى، وماكان لهم أن يأملوا فى ذلك حتى يكون لهم وطن هو - فلسطين - ومن ثم أعد كتابا عن إقامة دولة لليهود بعنوان «دولة اليهود» ترجم إلى عدة لغات وسبب إثارة كبيرة فى دوائر اليهود، حتى قال اليهود إنه المسيح المنتظر الذى سيقود الشعب اليهودى إلى أرض الميعاد.

تيودور هرتزل ١٨٦٠-١٩٠٤

فى تصريح له فى فيينا عام ١٨٩٧ ، قال مؤسس الصهيونية العالمية «تيدور بن جاكوب هرتزل»: فى بازل نشأت الدولة اليهودية، ولعلها فى خلال خمسة أعوام تكون أملا، لكنها فى خلال خمسين عاما سوف تكون يقينا ويشهدها الكافة».

وكان هذا التصريح بمثابة إعلان قيام الدولة اليهودية، وهو ماتحقق بالفعل، إذ شهدت الأمم المتحدة قيام دولة إسرائيل بعد واحد وخمسين عاما.

ولد« تيدور هرتزل» مؤسس الدولة الصهيونية فى ٢ مايو ١٨٦٠ فى العاصمة الثانية لإمبراطورية النمسا والمجر «بودابست» فى عهد الإمبراطور «فرانتز جوزيف»، وكان الابن الثانى بين إخوته.. ونما فى «بودابست» التى كانت لاتزال عاصمة إقليمية.

كان أبوه «جاكوب» تاجرا نشطا حيث تولى منصب مدير البنك المجرى، أما أمه «جانيت» فكانت غاية فى التفانى لخدمة أسرتها، إلى جانب ما كانت تتمتع به من ذكاء. وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن لهما أدنى اهتمام بقضايا اليهود وبالتالى لم يتكهن أحدهما بما

سوف ينتهى إليه مصير ابنهما «هرتزل».. الذى صار بعد ذلك الأب الروحى للدولة اليهودية.

وقد تلقى «هرتزل» تعليمه اليهودى الأول فى مرحلة متقدمة، ولم يستمر فيه، لذلك كانت معرفته بالعبرية والتعاليم اليهودية محددة.. ثم اتجه إلى دراسة القانون فى جامعة «فيينا»، وانشغل بالتأليف والكتابة ودراسة المشكلة اليهودية. الأمر الذى ساعده على الحصول على تصريح بمزاولة المحاماة فى فيينا» فى يوليو ١٨٨٤، ثم تركها بعد عام واحد فقط لاستغراقه فى الكتابة والصحافة إذ عمل محررا عام ١٨٨٧ ثم مراسلا فى «باريس» لإحدى صحف النمسا الكبرى عام ١٨٩١ .

وكان «هرتزل» أحد المهتمين بالسياسة الدولية، وبوجه خاص القضية اليهودية، فالجزء الأول من حياته كان ينصب على تسجيل كل مايدور بداخله ومايعبر عن أفكاره.. أما الجزء الثانى فكان أكثر وضوحا فى مرحلة السياسة الدولية والدعائية، ولكن فى إطار غير مألوف، ليبدو فى أوقات أنه غير حقيقى. والقارئ ليس على استعداد لقراءات تاريخ تقليدى يعبر عن ذكاء الملوك المؤسسين، أو صراع الجيوش الجبارة.

وقد نجح «هرتزل» فى تحويل نمط حياته بالتفرغ من أجل جمع تفرق اليهود الذين كانوا فى عصره، فى وقت كان التفكير فيه مستحيلا حينذاك، فلقد فرض نفسه فى عصره، أما الفكرة التى تبناها فقد أصابت حينئذ معظم المراقبين فى البداية، كمخطط جامع غير منسجم يثير السخرية.

وكان عدد اليهود فى «بودابست» قد تزايد بمعدل أسرع من عدد السكان العام بها، إذ كان عددهم فى ذلك الوقت ٤٥ ألف يهودى

بنسبة ١٥٪ من العدد الكلى لعدد سكان «بودابست» البالغ ٢٨٠ ألفا.. وشارك اليهود فى ثورة المجر عام ١٨٤٨، وكان أحد أقارب «هرتزل» ملازما فى الجيش الثورى.

قضية «دريفوس» وتأثيرها على «هرتزل»:

كان «الفريد دريفوس» أحد ضباط الجيش الفرنسى قد اعتقل بتهمة الخيانة العظمى وكان اعتقاله وإدانته فى محاكمة سرية قد بدا قضية ملفقة.

وكانت القضية الشهيرة التى أصابت فرنسا بأضرار بالغة لمدة عشر سنوات تقريبا، إذ كان المقصود بها التمويه على الأوضاع الداخلية المتردية.

وكان «الفريد دريفوس» من عائلة من الطبقة المتوسطة المشهورة، منهم يهود موظفون مدنيون وعلماء ورجال الأعمال، وكان قائدا للمدفعية فى القيادة العامة، كما كان رجلا ذكيا.

وفى سجنه فى جزيرة الشيطان ـ وحتى قرابة نهاية حياته ـ لم يدرك هذا الجندى حقيقة هذه القضية، فلم يكن الأمر مجرد خطأ قضائى، بل كان متعمدا لمناهضة السامية، بالبحث عن كبش فداء، فتجسدت كل مأساة اليهود فى قضية «دريفوس». وكان «البرجوازيون» اليهود الفرنسيون متخوفين أو مخدوعين أيضا، للتجمع حول قضيته، فقد اتخذوا قرارهم الطائش بدمغ معاداة السامية إلا أن «برنارد لازار» أكبر المدافعين عن «دريفوس» قد أكد على أن عشرات الفرنسيين من رجال القانون مستعدون للدفاع عنه.

وقد كانت محاكمة «دريفوس» وتجريده من رتبه ومناصبه، قد أثرت وأقنعت «هرتزل» بضرورة ترحيل اليهود من أوربا، وغرست فى نفسه الحاجة إلى إقامة وطن لليهود ـ خاصة بعد أن لمس مظاهر

معاداة السامية، وسمع من خلال المحاكمة صياح الحاضرين وهتافهم مطالبين بالموت لليهود. يضاف إلى ذلك موقف الجمعية الوطنية الفرنسية، إذ عرض مشروع قرار بتحريم الوظائف العامة على اليهود كافة، إلا أن المشروع رفض بأغلبية ٢٦٨ صوتا مقابل ٢٠٨ أصوات.

وقد ظلت الشرطة الفرنسية السرية تراقب «هرتزل» وتتعقبه حتى اتهمته بالعداء لفرنسا، ومشاركة اليهود فيما يهتمون به من ارتياد أروقة السفسطة ورموه بالشذوذ الجنسى.

ونتيجة لهذه القضية أصبح «هرتزل» متورطا، حاد الطبع، إذ أثر عليه مارآه من معاداة السامية والصراع الطبقى، وكان يفكر فى كيفية كبح جماح الشر بإيجاد أراض مناسبة فى مكان ما، يأوى الضحايا والمذنبين، على أن تكون لليهود السيادة عليها، ويجب ألا تكون الهجرة إلى هذه الأراضى الجديدة تحت أى ظروف خفية أو مستترة، بل منظمة وواضحة وعلى نطاق واسع، بموافقة عامة من الدول المضيفة حاليا، وأن يكون رحيل اليهود من أوربا مخططا له جيدا بعملية علمية.

ومع الوقت سيصل المهاجرون إلى وجهتهم، ويكون كل شئ معدا: الإسكان والعمل وتسهيلات التعليم، ويتم تمويل الترحيل والتوطين بقرض وطنى يهودى على نطاق العالم، وسوف تسعد الحكومات الأوربية أنها حلت مشكلة اليهود لديها، وأن تكتتب بمحض إرادتها أيضا. وبذلك يكون دخول «هرتزل» التاريخ كمنقذ لليهود ومحرر لهم من الذل والعبودية.

ومهما يكن من شيء، فما أن حل صيف عام ١٨٩٥ حتى كانت الفكرة قد هيمنت عليه واستغرقته استغراقا كاملا، فقد كان

يتطلع إلى دولة يهودية مستقلة تقوم فى بقعة من بقاع العالم. إذ ورد فى بعض ما كتب قوله: «أرض الميعاد ما فكر من أحد منا أين تكون. .فلتكن فى المكان الذى نأخذه حيثما نستطيع العيش أحرارا فوق أرض لنا .. شأننا شأن الشعوب المتحضرة».

ولذلك فقد رأى ـ أول مارأى ـ تلمس حليف قوى يعينه ويرعى خطاه فى «باريس»، فتوسم فى البارون «موريس هويتسن» أحد أغنياء العالم، الأمل فى تحقيق مايرنوا إليه، فكتب إليه فى إبريل عام ١٨٩٥ يرجو لقاءه لبحث مشكلة اليهود، والنظر فى السياسات اليهودية التى قد تكون ذات تأثير فى المستقبل كما طلب أن يكون تحديد اللقاء فى يوم يتمكن فيه من إفراد ساعة أو ساعتين لذلك، ورجاه أن يحتفظ بسر هذه الرسالة. وكان ذلك فاتحة عمل «هرتزل» السياسى البارز، مقدراً أنه انما يبايع بالزعامة ويمنح التاج «هرتيسن» صاحب الملايين الذى سوف يبارد بالتمويل فى سبيل هذا الخروج الجديد. غير أن «هرتيسن» لم يتحمس لذلك، بل رأى فيما يقول مجرد وهم زائف، ولهذا فقد عاد «هرتزل» إلى مذكرته يعدها من جديد بعنوان «المسألة اليهودية» ويتحول بها إلى «آل روتشيلد»، كما تقدم بها إلى جماعة من الزعماء السياسيين من بينهم بسمارك، فلم يجد منهم استجابة تذكر، بل رفضت الصحيفة التى يعمل بها الأخذ بما يقول.

غير أن لحظة التحول الحقيقية فى حياته، كانت منذ تمكن من إقناع «هاكس نوردو» وكسب تأييده، الأمر الذى شجعه على إعادة صياغة بحثه بعنوان «الدولة اليهودية» .. إذ رأى فيها الحل الوحيد لمشكلة اليهود، ورأى السبيل لحلها بانعقاد مؤتمر عام من ممثلين من

اليهود، يشمل جهازا ماليا يهوديا يتولى توفير ما يحتاج إليه ذلك من مال، مناشدا المهندسين والفنيين فى جعل هذه الدولة مثالا للتقدم الصناعى.

بيد أن هذا البحث لم يلق - حين نشر عام ١٨٩٦ - سوى سخرية الصحافة الألمانية، بل والصحافة اليهودية كذلك، لما ورد به من أحلام وآراء وهمية، وإن اقتنع بها - كما روى عنه - «حاييم وايزمان» وآخرون من شباب اليهود خاصة، فكان أن انهالت على «هرتزل» الدعوات ترشحه لزعامة اليهود، واندفع نحو الحكومة التركية والأرستقراطية الأوربية - فضلا عن البارون «ادموندى روتشيلد» فى فرنسا - آملا فيهم تحقيقِ حلمه وخطته، فلم يلق من هؤلاء وأولئك إلا فشلا وإعراضا وعبث تلمُّس العون - ماديا كان أو معنويا - من أصحاب النفوذ، ومن ثم ركز نشاطه فى القاعدة الشعبية العريضة، مستندا إلى دعاية ضخمة فيما بينها، أدت إلى مولد النشاط السياسى للصهيونية.

وقد أصر «هرتزل» على أن يعقد لهذا الغرض مؤتمرا صهيونيا أحدث الكثير من الحرج ليهود أوربا خشية تعرضهم للهجوم، إذ يبدون بذلك دولة داخل الدولة. ومع ذلك فقد استمر «هرتزل» فى مخططه، فأسس من ماله الخاص مجلة أسبوعية باسم «دى فيلت» لنشر هذه الفكرة والدفاع عنها وتمكن من عقد المؤتمر الصهيونى فى «بازل» فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧، وكان أول اجتماع رسمى عالمى لليهود منذ أن تفرقوا فى الشتات، وثمرة مجهود رجل واحد، وحضر ١٩٧ مندوبا من شرق أوربا وغربها ومن شمال أفريقيا، وقد زينت

القاعة بعلم إسرائيل الذى أصر «هرتزل» على تصميمه ورفعه، وشرح فى المؤتمر خطته، وحدد الأرض بأنها فلسطين، وأعلن عن إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية، وتم ترشيحه رئيسا لها، كما تمت الموافقة على علم إسرائيل وعلى سلام وطنى لها، وانتخب مجلس للعمل مقره «فيينا»، وبدأت العجلة تدور فى سبيل خلق دولة إسرائيل.

وبعد المؤتمر ركز «هرتزل» نشاطه على تحقيق برنامجه، وكرس جهده مع الحكومة التركية للحصول على ميثاق يضفى الصبغة القانونية على استيطان اليهود فى فلسطين على أساس جماعى، وحاول ذلك من خلال الاتصال الدبلوماسى والمفاوضات، غير أن الوعود المبهمة التى بذلت لم تتحقق وجرت اتصالاته الأولى مع القيصر «فيلهلم الثانى» قيصر ألمانيا حليفة تركيا الوحيدة فى أوربا. ورغم تحيز القيصر الواضح ضد اليهود، فقد حبذ إبعاد بعض عناصر اليهود إلى فلسطين، ومن ثم وعده باللقاء به فى أكتوبر ١٨٩٨ لإثارة موضوع الترخيص «لشركة مفوضة» لليهود فى فلسطين مع سلطان تركيا، وكرر القيصر بعد ذلك «لهرتزل» موافقته على خطته، غير أن ذلك لم يتحقق.

ومن ثم حاول هرتزل من عام ١٨٩٩ حتى عام ١٩٠١ إجراء اتصال مباشر مع السلطان، وأشار فى حديثه معه إلى قدرة أغنياء اليهود من رجال البنوك فى أوربا على مساعدة تركيا فى سداد ديونها الكثيرة مقابل منح تفويض لليهود بالاستيطان فى فلسطين.. واجتذبت الفكرة اهتمام السلطان، إلا أن «هرتزل» لم يكن مفوضا فى الواقع من رجال البنوك اليهود متفرقة لا جماعية. وأودع «هرتزل»

ثلاثة ملايين فرنك فى بنوك تركيا لإظهار حسن النية وإثارة شهية السلطان. غير أن هذه الاتصالات لم تثمر فى النهاية، وأدرك «هرتزل» أن السلطان استغله واستخدم غرضه (تقديم قروض لتركيا)، لحث المقرضين على منحه قروضا بشروط أفضل.

وأصدر «هرتزل» روايته «الأرض الجديدة» عام ١٩٠٢، وضح فيها حلمه ومستقبل فلسطين فى دولة تسودها العدالة والخير، وختم روايته بأنها ولو لم تتحقق على أرض الواقع إلا أنها ستصبح أسطورة تتعلق بها أحلام الجميع، وكان ذلك تفسيرا ليأسه من جهوده.

ورغم فشل هرتزل، فقد تزايد مؤيدوه وارتفع عدد المشاركين فى المؤتمرات الصهيونية، بحيث وصل عددهم فى المؤتمر الثانى إلى ٤٠٠ مندوب، وأنشئ صندوق الاستيطان اليهودى عام ١٩٠١، رغم أنه لم يبع من الأسهم حتى عام ١٩٠٤ سوى ماقيمته مليون دولار، وأنشأ الصندوق الشركة الانجلو فلسطينية التى أصبحت عام ١٩٥٠ بنك «ليومى» الإسرائيلى، وكان لها دور كبير فى تنمية فلسطين وأنشئ الصندوق القومى اليهودى فى اجتماع المؤتمر الصهيونى الخامس.

وقد دفع الفشل المتكرر «هرتزل» إلى اقتراح وطن قومى فى مكان آخر خلاف فلسطين. وقدم اقتراحا باستطيان اليهود فى العريش وشبه جزيرة سيناء القريبة من فلسطين إلى اللورد «ناثان روتشيلد» عضو البرلمان البريطانى وقتها، واهتم «روتشيلد» بذلك ورتب مقابلة بين «هرتزل» و«جوزيف تشمبرلين» وزير المستعمرات البريطانى، وكان ذلك بداية الاتصالات مع المسئولين البريطانيين

حول خلق وطن قومى لليهود. وفشل مشروع العريش بسبب الخلافات بين الحكومتين التركية والمصرية.

وأصبح «هرتزل» يسعى بجهده للحصول على وطن قومى فى أى مكان، لا سيما أن المعلومات بدأت تتسرى حول سوء معاملة اليهود فى روسيا والحالة السيئة القصوى ليهود رومانيا. ولذلك عرض اقتراحاً على المؤتمر الصهيونى السادس بفكرة خلق وطن قومى لليهود فى أوغندا التى عرضتها الحكومة البريطانية، وأكدت فى الوقت ذاته أن أوغندا ليست بديلة لأرض فلسطين، ولكنها تمثل خطوة طارئة لإنقاذ جموع اليهود المعرضة للضياع والدمار.

ولم يدرك - كما قال «وايزمان» - أن يهود روسيا لن يرضوا عن أرض أجدادهم بديلا. وحدث جدل حول هذا الموضوع، وتقرر على إثره إرسال لجنة استقصاء إلى أوغندا بأغلبية ٢٩٨ صوتا مقابل ١٨٧ ، وعندئذ انسحب المندوبون اليهود الروس من المؤتمر، وظهر خطر انشقاق الحركة الصهيونية أو ربما انهيارها.

وهنا أكد «هرتزل» على ضرورة وحدة صفوف اليهود مهما كان الثمن. وأعلن «هرتزل» أن «هؤلاء الناس حول رقابهم حبل ومع ذلك ما زالوا يرفضون». واستمر الخلاف ورفض يهود روسيا أى خروج عن برنامج «بازل» وقيام وطن قومى فى فلسطين، واتهم «هرتزل» بالخيانة، وطلب إعطاءه فرصة لشرح وجهة نظره. واجتمع زعماء يهود روسيا فى «تشارخوف» وطلبوا من «هرتزل» إلا يعرض على المؤتمر الصهيونى مناطق لاستيطان اليهود سوى فلسطين وسوريا. وجمع «هرتزل »مؤتمرا للجنة العمل الموسعة عام ١٩٠٤ بدافع من

حرصه على رأب الصدع، وأكد ضرورة جمع الشمل والعمل صفا واحدا خلف المؤتمر الصهيوني.

وكانت هذه الخطوة التوفيقية هى آخر منجزات «هرتزل»، إذ غلب عليه المرض، وتوفى.. فحزن عليه اليهود جميعا، فقد كان بمثابة البطل الذى صاغ لهم خطط حياتهم، ورسم خلالها خطوط مستقبلهم.

وقبل وفاة «هرتزل»، بدا له أن حياته ستنتهى بالفشل، ولكن تنبؤه بعد المؤتمر الأول فى «بازل» فى ٣ سبتمبر ١٨٩٧ بأنه أسس دولة اليهود وخلال خمسين عاما، وقد أنجز بدقة مدهشة فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ـ فى هذا التاريخ تأسست دولة إسرائيل. واليوم يبجل «هرتزل» كأب للصهيونية العالمية. لقد توفى عن أربعة وأربعين عاما فقط، وكان يتمتع بصحة عادية، ولو كان قد عاش أربعة عشر عاما أخرى لشاهد منح بريطانيا إعلان «بلفور» ـ الميثاق الرسمى عن فلسطين الذى تملص منه فى حياته. ولو كان قد عاش حتى سن السبعين ـ أى حتى الثلاثينيات ـ لشاهد النمو المطرد للوطن القومى لليهود.

وانقضت السنوات الأخيرة من حياة «هرتزل» فى محاولة فريدة لخلق دولة من الإحساس العميق بالتشاؤم، وأصبح شعبيا محرضا للجماهير، وأخذ المبادأة ببدعة اليهود الكبرى فى القرن التاسع عشر. وازدراء من الديمقراطية أنشأ برلمانا يهوديا، وكرجل متشائم من أعماقه، ساعد طلائع يهود شرق أوربا فى حركة التفاؤل العضال. وكان تقييمه لمعاداة السامية أكثر دقة وواقعية عن أغلب معاصريه،

وحتى ذلك الحين خدع نفسه عندما ظن إنه «فهم» معاداة السامية، فقد بالغ في جسامة عنصرها المنطقي على حساب العلاج. فدولة اليهود حسب تخيل «هرتزل» - لم تضع نهاية لمعاداة السامية كما تمنى، بل راجت في بعض الأماكن مثل العالم العربي الذي بدا تاريخيا منيعا. وكان الدور الأسمى في حياته أن يعيد إجراء الأمن إلى المضطهدين.

«وهرتزل» رجل سلام، وفي زمانه كانت هناك حاجة قليلة - إن كان - لقومية الفلسطينيين، وهذه القومية جمعت القوة مع كل عام يمر ومع كل نجاح للصهاينة. وأخيرا وجد نوع من الصهيونية العربية، صورة ذهنية قاصرة «للهرتزالية»، دفعت إليها أسطورة الوطن المفقود ومرارة التشتت، ولم يكن هناك تماثل بين شكاوى العرب واليهود. واليهود كانوا دائما مستعدين للتراضي، والعرب لم يمعنوا بعد في إمكانية التسوية، وتشتيت الفلسطينيين إلى حد كبير إصابة ذاتية على عكس اليهود، فهم يستطيعون أن يعيشوا حياة عربية كاملة في أي من عشرات الدول العربية الأخرى. » وجهة نظر صهيونية».

لقد تولدت ثورة الغضب العنيفة بين العرب، وكانت قوية لدرجة أن كذبوا أن الهدف الذي تتمسك به دولة اليهود هو الأمن والسلام، وهذا مالم يرتئيه «هرتزل».. فقد كان واثقا أن اليهود والعرب يمكن أن يعيشوا معاً في سلام ووئام لمنفعة الطرفين، ولم يكن يأمل أن تتعرض دولة اليهود الجديدة للهجوم عليها من جيرانها منذ يومها الأول، أو تضطر لأن تحارب من أجل بقائها وتعيش عقودا من سنين

كمعسكر مسلح، أو أن تصبح إسرائيل ألعوبة فى الصراع بين القوى العظمى والذى ظهر طبيعيا تماما فى عام ١٨٩٩و ١٩٠٣ اعتبره العرب بعد مضى أربعين عاما خرقا ضد الطبيعة نفسها.

وفى عام ١٩٧٤ كان هناك ثلاثة ملايين يهودى فى إسرائيل، وأكثر من نصفهم ولد محليا الذين لم يذوقوا ابدا معنى يهودى فى الشتات.

ويذكر «أبا إيبان» «واليوم، هذا الماضى هو ظل طويل الذى يتبعثر مع مضى السنين، لكن يستمر ليشكل حقبة من الزمن التى يمكن للقليل من الإسرائيليين، بما فيهم الشباب والمولودون محليا الذين لم يذوقوا أبدا معنى يهودى فى الشتات، أن يتجاهلها».

وفى عام ١٩٤٩ بعد وفاة (هرتزل) بخمسة وأربعين عاما وكانت إسرائيل قد جاءت إلى الوجود قبل خمسة عشر شهرا - نقلت رفات (هرتزل) من (فيينا) إلى إسرائيل ودفن فى مقبرة من الرخام الأسود محفور عليها اسمه - وأمام المقبرة ساحة النصب التذكارى لإقامة مراسم الدولة وتقع المقبرة على تل قرب القدس، أعلى نقطة فى المدينة الجديدة وأطلقت إسرائيل على هذا التل «جبل هرتزل».

أما أسرة «هرتزل» فكان مصير جميع أفرادها مأسويا مقبضاً ومظلماً للغاية، هل أصابتهم لعنة الصهيونية كما ذكر بعض المؤرخين العرب والألمان.

وزوجة «هرتزل» وأولاده الثلاثة لم يدفنوا فى القدس، وتوفيت زوجته عام ١٩٠٧ عن عمر ٣٩ عاما ناقمة ومريضة، وكانت تشعر أن الصهاينة قد سلبوها زوجها فى حياته، وبعد وفاته سلبوها من

أولادها، وكانت نهايتهم جميعا مفجعة. فقد كانت ابنته الكبرى تعانى من اختلال عقلى حاد، وتوفيت عام ١٩٣٠ فى «بوردو»، أما ابنه «هانز» الذى اعتنق المسيحية، فقد انتحر فى «بوردو». وأما ابنته «ترود» فقد قضت معظم حياتها فى مصحة عقلية فى "steinhof" ثم اودعت مستشفى للأمراض العقلية. بالقرب من فيينا، وفى عام ١٩٤٢ أرسلها النازيون مع المرضى الآخرين إلى معسكر. Iheresienstadtحيث ماتت فى ١٥ مارس ١٩٤٣ من الجوع وسوء الرعاية. أما نجلها «ستيفان تيادور» فقد تلقى التعليم فى إنجلترا وخدم كضابط بريطانى فى الحرب العالمية الثانية، وفى عام ١٩٤٦ زار إسرائيل (كانت وقتئذ لا تزال فلسطين) وكان محل ترحيب كحفيد لجده «هرتزل»، ثم غادرها واعداً العودة وبعد شهور قليلة انتحر بالقاء نفسه من فوق كوبرى فى واشنجتن حيث كان يعمل موظفا فى السفارة البريطانية.

ذلكم هو «تيـدور هرتزل» والذى لم يكتف بالمناداة بقيام الصهيونية فحسب، بل حقق حلما كان بعيدا، ووهما مستحيلا، وخيالا جانحا.

لقد استطاع بوسائله وأدواته وطموحاته، أن يجعل من الحلم واقعا حيا، وكيانا ماديا ملموسا، وحقيقة قائمة.. وهل كانت السياسة إلا تطورا فى مدارج القوة وتحايلا بالمستطاع. إذ كان خليقا بأن يحظى بلقب (ابو الصهيونية الحديثة) بعد تجسيده للحلم الذى راود اليهود طوال عمره، وتحقق له ما أراد.

التعقيب

هنا يكشف المؤرخون فى معرض سردهم لتطور المجتمعات

اليهودية فى أوربا، عن تصور صهيونى متعصب، يستند أساسا إلى تميز اليهود عن غيرهم وضرورة حفاظهم على كيانهم الاجتماعى والثقافى والدينى، بل والسياسى داخل المجتمعات التى يقيمون وسطها. وهم يوضحون أنه فى فترات المساواة الدينية، كان اليهود يحتفظون بوضعهم المشتعل المنعزل، ومن ثم لم يكن «الجيتو» والاضطهاد وسيلة للانتقام فرضت على اليهود، وإنما كان ترتيبا تمسك به اليهود أنفسهم مقاومة للاندماج والذوبان.

وكان ذلك فى حقيقة الأمر سببا مهما لنمو الإحساس العام بالنفور تجاههم من جانب المسيحية الأوربية الغالبة، حيث كانوا يمثلون داخل «الجيتو» دولة داخل الدولة، لها قوانينها وأسلوب حياتها.

كما يكشف تحليل المؤرخين عن هذه الحقيقة بين السطور وهى التى تكذب مزاعم اليهود عن إنهم اضطروا للانعزال فى مواجهة الاضطهاد الدينى والعنصرى، والتفكير نحو جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. فالحركة الصهيونية لم تكن تستقطب حينئذ أى تأييد عام فعال فى غرب أوربا، وهو مايؤكده ميل زعيمها تيدور «هرتزل» إلى قبول وطن بديل فى أوغندا مثلا، بمعنى أن الحركة الصهيونية - فى بدايتها - كانت واضحة من حيث الحصول على وطن قومى يجمع اليهود، ولكنها لم تكن مجتمعة على اختيار فلسطين، مما يؤكد أن الحركة الصهوينية فى بدئها كانت محدودة التأثير.

والدليل على ذلك، أن المؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل» - والذى انعقد فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ لم يحضره سوى ١٩٧ مندوبا، الأمر الذى يؤكد أن «هرتزل» فشل فى إقناع الزعامات اليهودية بحركته.

ويذكر المؤرخون الغربيون، أن الأساليب التى اتبعها «هرتزل» فى إغراء سلطان تركيا للسماح لليهود بالاستيطان فى فلسطين توضح مدى انتهازية الزعامة الصهيونية، وعدم تورعها عن اللجوء للرشاوى والابتزاز السياسى للوصول لهدفها.

كما أشار المؤرخون الغربيون واليهود إلى جوانب صراع اليهود مع غيرهم، وأن هذا الصراع قد بلغ حدته مع نمو الحركات القومية الأوربية. ففى أثناء نمو الحركة القومية الألمانية ـ التى تزعمها «بسمارك» عام ١٨٧١ ـ شب الصراع مع اليهود. إذ كانوا لايعتبرون أنفسهم فى إطار القومية الألمانية مع حملهم الجنسية الألمانية، وإنما كانوا يتصورون أنهم قومية منفصلة، ومن ثم لم يكن ثمة مناص من الصدام بين الطرفين. وكانت هذه هى نفسها مشكلة اليهود فى البرتغال وأسبانيا، حيث انتهى الأمر إلى طردهم من البلدين خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر.

أما عن تركيب اليهود فى أمريكا ـ والذى كان له أثر كبير فى ارتباط اليهود الأمريكيين بإسرائيل فيما بعد ـ فإن غالبية المهاجرين منهم قد قدموا من شرق أوربا، حيث يغلب عليهم الاتجاه الدينى المتزمت، ومن ثم قاوموا الاندماج فى المجتمع الجديد، واحتفظوا بتقاليدهم الدينية والاجتماعية، وانتشروا فى المدن الأمريكية يعملون فيما يتصل بحياة المواطن الأمريكى فى تجارة التجزئة والصناعات الصغيرة والمهن الحرة. وكان أساس تمسكهم بدينهم وتقاليدهم إنما يرجع ـ فى الأساس ـ إلى أن أوضاعهم فى شرق أوربا كانت اتعس حالا، ومن ثم يجد المرء فى هذه الظروف الصعبة ملاذا بالتمسك بما

له من جذور تتمثل فى الدين وتقاليده، فضلا عن التعلق بالنظريات السياسية العنصرية التى ترسم له آمالا يتعلق بها فى المستقبل. الأمر الذى جعل يهود شرق أوربا أشد تمسكا وانسياقا وراء الفكرة الصهيونية وكل تفريعاتها المذهبية المتطرفة.

وبظهور «هرتزل» ورواده الأول - وعلى رأسهم «بن جوريون» - يتبين مدى ماتوفر لدى الزعامة الصهيونية من دأب ومثابرة على تحقيق حلم الصهونية فى السيطرة على فلسطين، والتماسهم كافة الوسائل على ذلك، مع استغلال جميع الفرص المتاحة، والتنسيق المحكم بين قياداتهم البارزة فى مختلف دول غرب أوربا والولايات المتحدة فى زمن فرض فيه القهر العثمانى سياجا من التخلف والعزلة على العالم العربى، بما مكن «تيدور هرتزل» ورواده الأول من غلاة الصهاينة من خلق الشعور لدى زعماء العالم الغربى بأن فلسطين مخلخلة السكان، ومدمرة الاقتصاد، وأن شعبها العربى لاحول له ولا قوة، وأن اليهود وحدهم هم القادرون على إنعاشها وتحويلها إلى مركزإشعاع حضارى ودينى.

القسم السابع

المبادئ الرئيسية فى تأسيس الحركة الصهيونية التى وضعها «تيدور هرتزل»

المبادئ الرئيسية في تأسيس الحركة الصهيونية التي نهج عليها «هرتزل»

اجمعت الشروح الصهيونية على وجود خمسة عوامل أدت إلى نجاح الصهيونية فى إقامة دولتها وهى:

أولا: الفكرة

ثانيا: الزعيم أوالقيادة المؤهلة.

ثالثا: مجموعة أو شعب من البنائين.

رابعا: التنظيم الفعال.

خامسا: البيئة الدولية الملائمة.

وهذه الأسس لاتخـرج عن الوظائف الثلاثة العامة الواجب توافرها لنجاح أى تنظيم ونعنى بذلك:

(أ) البناء الأيديولوجى أو الفكرى.

(ب) البناء التنظيمى.

(جـ) الخط السياسى.

وسنقوم بتتبع النهج الذى اختاره شراح الصهيونية وفق العوامل الخمسة المشار إليها أعلاه.

أولا: الفكرة

١ـ الصهيونية كفكرة تستمد مقوماتها من مصادر شتى يهودية وغير يهودية، وتجمع بين العديد من الأفكار ومنها:

(أ) البواعث الدينية والخلاصة التى تتبلور فى انتظار مجىء المسيح المخلص (مسايا).

(ب) واليوتوبية فى تخيل شكل الوطن والدولة اليهودية.

(جـ) والمطامع المادية والتوسعية.

(د) والاتجاهات الصليبية المستترة.

(هـ) وربط المطامع الصهيونية بعجلة الاستعمار مهما كان طابعه بغرض الوصول السريع بأقل جهد وتكلفة وعلى حساب الغير.

(و) كما توصف الصهيونية من أعدائها حتى بين اليهود اللبراليين بأنها حركة رجعية ضد التاريخ تعود بأعضائها إلى الوراء.

ز) وأبرز الأفكار ما أتى به «هرتزل» فى كتيب أطلق عليه «الدولة اليهودية» ووصفه بأنه محاولة لإيجاد حل عصرى للمسألة اليهودية وتحددت عقيدة الصهيونية بعد ذلك وهدفها فى مؤتمر (بازل) عام ١٨٩٧ «بخلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام».

٢) وقد تبلورت على أيدى عدد كبير من المتطرفين اليهود أبرزهم «تيدور هرتزل» و«ماكس تورد»

و«فلاديمير جابوسكى» و«حاييم وايزمان» و«بن جوريون» و«ناحوم جولدمان» و«جولدا مائير» وغيرهم.

ولم يكن نشاط هؤلاء الرواد ذهنيا فقط بل كان حركيا فى نفس الوقت وانتهى الأمر بأن أفرز تزاوج الفكرة والحركة تيارا من الطلائع الصهيونية المؤمنة بالفكرة والملتزمة بها وأنشئت تنظيمات «جيتية» أخذت تتطور مستفيدة من الخصائص اليهودية - الاقتصادية والدينية والنفسية والديمغرافية والاجتماعية - ومن مناخ البيئة الدولية الأوسع.

ثانيا: الزعيم أو القيادة المؤهلة

١- وماكان للفكرة أن تزدهر لولا وجود عامل مهم هو وجود زعامة وقيادة استثنائية بمعنى أنها قيادة غير عادية وقد تعرفنا على كثير من الأسماء من قبل فى فترة ماقبل «هرتزل» وبعده.

٢- ومهما كان الرأى فى رجعية وشوفينية وعنصرية وتوسعية الأفكار والقيادات فإنه لايمكن تجاهل اخلاص هذه القيادات للأفكار الصهيونية وتمسكهم بها وتفانيهم فى خدمتها.

٣- ونلاحظ أنه برغم نمو الحركة الصهيونية واستثنائية قياداتها فإن الحركة تعرضت لنقد مرير من داخل الشعب والجماعات اليهودية وخاصة فى أوربا ومن ذلك أن الصهيونية (وقياداتها):

(أ) لايمكن تحقيقها.

(ب)- وأنها تشكل خطرا على اليهودية.

(جـ) وأن الصهيونية غير ضرورية وستبقى اليهودية بدونها مثلما استمرت قرونا طويلة.

(د) وأنها مجرد صيغة مجددة لعقيدة انتظار المسيح المخلص

جرى نقلها من العقول المتحمسة دينيا إلى عقول الزعماء السياسيين للجماعات اليهودية تحت ضغوط فكرة البعث العظيم وماهى إلا تعبير عن الخط الفاصل بين الواقع والخيال.

(هـ) وأن الزعامات الصهيونية لاتعى الواقع لأنها تتصور إمكانية تسكين ١٥ مليون يهودى فى فلسطين ولا تحدد الأقاليم التى تتصورها مجسدة للدولة اليهودية بمعنى أن الزعماء توسعيون.

ثالثاً: مجموعة أو شعب من البنائين قبل «تيدور هرتزل»

١- لم يكن اليهود على عكس الانطباع السائد عنهم متحمسين للفكرة الصهيونية وللسياسات الصهيونية.

وقد انقسم يهود العالم إلى أربعة فئات من حيث استجابتهم للصهيونية وهى:

(أ) الصهيونيون.

(ب) اللاصهيونيون النشطون.

(جـ) اللاصهيونيون الخاملون.

(د) المناوئون للصهيونية.

هذا مع العلم بأن المعارضين للصهيونية قل عددهم منذ إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ثم اختفى منذ حرب ١٩٦٧.

أما اليهود الصهيونيون فقد كانوا دائما قلة لاتزيد نسبتهم عن ١٨ ٪ من مجموع يهود العالم.

٢- وقد حاول قادة الصهيونية باستمرار زيادة نسبة عدد الصهيونيين بسبب:

(أ) الرغبة فى بناء المصداقية الصهيونية الخاصة بتمثيل الشعب اليهودى.

(ب) ضمان التأييد القوى ماليا وبشريا من اليهود لبناء الوطن القومى.

(جـ) تعزيز فرص الحصول على الاعتراف الدولى بالحركة وبأهدافها وقد لجأ زعماء الصهيونية إلى تحقيق ذلك بكل الوسائل ومنها:

- الدعاية.

- والتنظيم غير الديمقراطى لكسب المزيد من الأعضاء مثل استخدام واجهات من تنظيمات جماهيرية تدعى الاستقلال وهى تقوم بدورة الأداة بيد الصهيونية.

٣- وكان من أبرز البنائين أو القادة المؤمنين بالوطن القومى - فلسطين حتى قبل «هرتزل» ومؤتمر «بازل» هو الكولونيل «كوندر» الذى وضع العديد من المؤلفات عن فلسطين أرض الميعاد، وعرض لآرائه فى هذا الصدد فى عام ١٨٩٢ قبل انعقاد مؤتمر «بازل» بخمس سنوات ومن أفكاره:

(أ) أن يهود أوربا الشرقيين هم عنصر المستقبل بالنسبة للاستعمار المزدهر وذلك لتعرضهم طويلا لمظالم اجتماعية فى بلدانهم.

(ب) لن يكون اليهود أقل عزيمة فى ظل السيطرة العثمانية التى لاتشكل سوى مظهر آخر من مظاهر الاستبداد الشرقى الذى يعانى منه اليهود فى ظل الطغيان الروسى.

(جـ) إن اقـتـراح توطين العـمـال الزراعـيين جـعلهم مـلاكـا يحـرثون أرضهم يتفق مـع الاتجاه العام للحكم المستنير فى عصرنا.

(د) أن اسـتـغـلال كل فلسطين وإلى الشـرق من نهـر الأردن سوف يكون بمثابة عـودة ذلك الرخـاء والازدهار القديمين اللذين عـرفـتـهـمـا هذه البـلاد أيام الرومـان ولا شك أن التـسـهـيلات التى يقـدمـهـا العلم الحـديث تعنى زيادة فى الرخاء والازدهار.

(هـ) ينصح أحـباء صـهيون بشراء كل مايمكنـهم الحصول عليه من الأراضى بأسعار معتدلة وفى أقرب فرصة.

(و) أن حركة الاستعمار اليهودى ليست مصطنعة ولاهى مجرد مـحـصلة الشـعور الدينى أو رغبـة فى عـمل الخيـر بل هى حركة طبيعية وصحية فى آن واحد، ومن الواجب تشجيعها بالتبرعات والتأييد المنظم.

(ز) الثـقـة بأنه لن تمضى سنوات قليلة إلا ويزداد الرخـاء فى فلسطين وتمتلئ الأراضى الخاوية «بسكان مجـتهدين» ويعود الفضل فى ذلك إلى البارون «روتشيلد» وإلى منظمة «أحباء صهيون».

رابعا: التنظيم الفعال

١ـ بدأ التنظيم الصهيونى، بمنظمات مـحدودة من «الجيتو» وكان أبرزها «احـبـاء صـهـيـون» وتـطورت وتجـمـعت وانتـهت إلى تنظيم صهيونى عالمى معترف به.

٢ـ وقد حدد المؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل» ١٨٩٧ الخطوات اللازمة لاكتمال التنظيم ومنها:

(أ) العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.

(ب) تنظيم اليهود عالميا عبر منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة فى كل بلد.

(جـ) تغذية وتقوية المشاعر اليهودية والوعى القومى اليهودى.

(د) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية ويعتبر مؤتمر بازل اللبنة الأولى (تنظيميا) فى سبيل تأسيس الدولة اليهودية.

٣ـ وكانت فكرة الأرض الموعودة خيالية فى أول الأمر وعرضت كل من «أوغندا» و «الأرجنتين» و «العريش» وأى أرض خالية يرفع عليها علم الدولة اليهودية.

٤ـ ثم تعرف «هرتزل» على «ليون بنسكر» (١٨٢١ ـ ١٨٩١) الذى نشر كتيبا بعنوان «التحرر الذاتى» وتزعم حركة «أحباء صهيون» فى «أوديسه». وباحتكاكه المباشر بعدد من السياسيين والعسكريين اليهود اقتنع بأفكار وصلت بدورها عن طريقه إلى «هرتزل» ومنها:

ـ عدم جدوى اختيار «الأرجنتين» أو «أوغندا» أو حتى «العريش»، بل إن فلسطين هي الأرض مع تفضيل تسمية الشعب بالإسرائيليين بدلا من اليهود، لأن الأولى تشمل كل الجماعات الدينية.

٥ـ وقد قامت جمعيات «أحباء صهيون» فى «روسيا» أولا فكانت تهدف إلى الهجرة إلى فلسطين، إلا أن السلطات العثمانية تنبهت

للخطر فمنعت الاستيطان اليهودى فى فلسطين فى أبريل ١٨٨٢ ثم عادت السلطات العثمانية عام ١٨٩٠ إلى رفع الحظر وهنا سمحت السلطات الروسية لجمعيات «أحباء صهيون» بمباشرة نشاطها.

٦- وفى بريطانيا سادت الروح العسكرية الحركة الصهيونية تحت زعامة «الكولونيل جولد سميد» وظهر برنامجه عام ١٨٩٣ المتضمن:

(أ) دعم الفكرة القومية.

ب - تشجيع استعمار اليهود لفلسطين والأراضى المجاورة بإقامة مستعمرات جديدة ومساعدة المستعمرات القديمة القائمة.

(ج) نشر معرفة اللغة العبرية.

(د) تحسين الوضع الأدبى والفكرى والمادى لليهود فى فلسطين.

(هـ) تعهد أعضاء المنظمة بإطاعة قوانين البلاد التى يعيشون فى ظلها والعمل كمواطنين صالحين عبر تلك البلاد قدر استطاعتهم.

خامسا: البيئة الدولية الملائمة

١- درج مؤرخو الصهيونية على اعتبار عام ١٨٨٢ بمثابة نقطة تحول فى مسيرة الحركة فى فترة ماقبل «هرتزل» ومؤتمر «بازل»، فقد حفل هذا العام بسلسلة من الأحداث أثرت على تطور الحركة الصهيونية.

فعلى صعيد الحياة فى روسيا حيث يقطن القسم الأكبر من اليهود أخذ الوضع الاقتصادى العام يتحسن بسبب الطابع اللبرالى الذى تميز به حكم القيصر «الكسندر الثانى» ومحاولته تحرير

الفلاحين من ربقة الأستعباد وأدى ذلك إلى تعزيز حركة «التنوير» ودفع حركة «التحرر بين اليهود، كما أدى تحرير الفلاحين إلى تدفق أعداد منهم صوب المدن بسبب ازدياد البطالة فى الريف وغيبة الصناعة فى روسيا، ولم يجد العاطلون إلا المهن التى كانت وقفا على اليهود كالحرف اليدوية وأدى التنافس إلى العداء بين الجانبين واتهام أغنياء اليهود باستعباد الشعب واستغلاله وتم النظر إلى اليهود كجسم غريب فى جسد الدولة السلافية. كما أدى اشتراك اليهود فى الحركات الثورية إلى مزيد من الاضطهاد لهم من قبل العناصر الرجعية. وحينما أغتيل القيصر المحبوب عام ١٨٨١ كان بين الثوار عدد من اليهود مما أدى إلى اندلاع أول موجات الاضطهاد واستمرت حتى عام ١٨٨٣ وفرضت القيود على يهود روسيا بحصر إقامتهم فى قطاع معين من البلاد ومنعهم من شراء الأراضى والعقارات بالإضافة إلى تحديد نسبة من يسمح لهم من اليهود بالالتحاق بالجامعات.

وهكذا وصلت حركة محاربة الاندماج إلى منعطف تاريخى مهم وبدلا من المضى على الاستقرار والأندماج علت دعوة الهجرة وإيجاد حل للمسألة اليهودية كرد فعل لإعلان فشل سياسة الاندماج.

٢) وفى منتصف عام ١٨٨٢ كانت بريطانيا تنزل ضرباتها بالحركة الوطنية المصرية بزعامة عرابى وتحتل مصر لتصبح قاعدة بريطانية لحماية الطريق إلى الهند ولتصبح فيما بعد بمثابة العربة التى تنطلق بها الصهيونية حتى تحصل على وعد «بلفور» ثم المساعدات التى أدت إلى مأساة ١٩٤٨ ومن قبلها هيئة الانتداب البريطانى على فلسطين أرضا لنمو الحركة الصهيونية.

٣) والفكرة الصهيونية كنتاج للحركة الرأسمالية سرعان ماواكبت نشأة واتساع الحركة الاستعمارية الغربية وتعلقت بركبها،

وأصبحت أحد أدوات الاستعمار ثم فى مرحلة تالية أحد أدوات أكبر وأقوى وأغنى دولة فى العالم هى الولايات المتحدة الأمريكية.

القسم الثامن

المرحلة الأولى للصهيونية

الرواد التوسيعيون

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

١ ـ «ماكس نردو»

٢ ـ «فلاديمير جابوسنكى»

الفصل الأول

مرحلة التفسير العقائدى للصهيونية

«ماكس نرودو»

المرحلة الأولي للنشاط الصهيونى
حتى عام ١٩٢٠

تمهيد:

اتسمت المرحلة الأولى للصهيونية بنوع من الجدل بين الرواد الأول الذين خلفوا «تيدور هرتزل» بعد وفاته عام ١٩٠٤ حول تفسير المبادئ الأيديولوجية وطريقة تنفيذ المخططات الصهيونية لتحقيق الهدف الذى دعا إليه «هرتزل» وهو قيام وطن قومى لليهود المشتتين فى أرجاء بقاع العالم على أرض ما سماه بأرض الميعاد فى فلسطين.

وكانت هذه المرحلة للنشاط الصهيونى عبارة عن اجتهادات للاختيار بين النظرية التوسعيه التى نادى بها كل من «ترودو» و «جابو سنكى» والتى تحبذ تنفيذ المخططات الصهيونية للوصول إلى الأهداف بالاعتماد على القوة العسكرية والمالية لليهود، وبين النظرية التكتيكية المرحلية التى يرفع شعارها كل من «حاييم وايزمان» و «ديفيد بن جوريون» والتى تتخذ من الواقعية أساسا وطريقا للوصول إلى الهدف.

وقد رجحت كفة النظرية الواقعية وتولت قيادة المسيرة الصهيونية حينما انتزع «حاييم وايزمان» من الحكومة البريطانية صك «وعد بلفور» الذى اعتبره اليهود عامة والصهاينة بصفة خاصة الطريق الممهد المؤدى إلى الهدف الأكبر - هو - دولة إسرائيل.

وقد حقق «وايزمان» بهذا النجاح الكبير عام ١٩١٧ مالم يحققه زعيم الصهيونية «تيدور هرتزل» الذى أخفق بالرغم من مساعيه العديدة للحصول على «صك» مماثل من الدولة العثمانية يبيح لليهود كياناً قومياً فى فلسطين.

رأى الرواد التصحيحيين التوسيعيين
ورأي الرواد المنفرين (البرجماتين)
تمهيد: فى الأهداف الصهيونية
تاريخ الصهيونية الفكرى والسياسي السابق على قيام الدولة

قد ظهرت الخلافات لأول مرة فى المرحلة الأخيرة للعصر العثمانى، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهى التيار الذى خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين فى المستعمرات الصهيونية الأولى، كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعى إلى إقامة الصهيونية بإنشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطنى سياسى ضمن إطار مخطط دولى واسع.

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا فى فترة الانتداب، عندما انسحب «زئيف فلاديمير جابوسنكى» من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذى خرج منه حزب بيجين). وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية

ذات الطابع الرومانسى والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسى هو ايطاليا فى القرن التاسع عشر) . وأكدوا أن «الوطنية قيمة مطلقة، وإنها تعبير عن التقدم الثقافى، وعن الحيوية، وعن تحقيق الهوية المتفردة، وتحقيق الذات والمصير المشترك (١)، ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودى إلى موقف انعزالى متمركز على الذات، فقد بنى مبادئه الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة، وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الاتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتى نهر الأردن، واستهدف التصحيحيون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التى لابد من الإعداد لها، لا كخيار طارئ بل كعمل من أعمال الذات. وأكدوا أن الصهيونية لايمكن واقعيا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط، وقد رفض «جابوسنكى» فكرة تقسيم فلسطين، ورأى أنها فكرة خالية تماما من أى معنى (٢).

الرواد الأوائل للصهيونية
(ماكس توردو) - ١٨٤٩ - ١٩٢٣)
الفكر التوسعى الإسرائيلى

١ - يعد «نوردو» من طلائع الحركة الصهيونية، وقد تعرف على «هرتزل» وتزاملا فى أوروبا، وكان كاتبا ومراسلا لأبرز صحف بودابست التى ولد بها ثم أكمل دراسته للطب فى فيينا ثم انطلق إلى «باريس» ليقيم فيها بصفة دائمة.

---

(١) انظر: «موقف حركة التصحيحيين من الحرب الوطنية العربية» بقلم ياكوف شافيت فى «الصهيونية والمسألة العربية باللغة العبرية (القدس: مركز زالمان شازار للتاريخ اليهودى، ١٩٧٩) ص ٧٩, ويعتبر شافيت فى أوساط الليكود منحازا ضد أيديولوجية التصحيين.

(٢) انظر: الصهيونية والعرب، ١٨٨٢ - ١٩٤٨: دراسة فى الأيديولوجية، بقلم يوسف جورنى (أكسفود كلاريندون برس، ١٩٨٧) ص ٢٦٨.

وقد اعتنق «نوردو» أفكاراً عصرية حول الفلسفة الوضعية والنظر إلى الأمور بمنظار النقد العلمي والتحليل الوضعي. وقد ارتد «نوردو» عن الأفكار الصهيونية إلا أنه عاد إليها بعد صداقته «لهرتزل» وأصبح في طليعة المثقفين اليهود الذين ساهموا في بناء ودفع الحركة الصهيونية.

٢- وتكمن أهمية «توردو» على صعيد الفكر النظرى الصهيونى فى الصفات الخاصة التى تمتع بها:

فقد كان خطيبا موثرا ويتواجد على الدوام فى المؤتمرات اليهودية من الأول حتى العاشر وجاءت خطبه بمثابة تسجيل وصياغة للفكر الصهيونى خلال ربع القرن الأول من تأسيسها.

٣ ـ ويعد انضامه للحركة الصهيونية أحدُ العوامل التى أسهمت فى إظهار الحركة بالمظهر التقدمى مما جعلها تجتذب كثيرا من المثقفين اليهود الشباب.

٤- وقد أسهب «نوردو» فى وصف محنة اليهود فى القرن التاسع عشر وقد تعرض هو شخصيا لخبرة مؤلمة عام ١٨٩٣ فقد طلب من خلال حفل حضره من خلال رسالة مكتوبة، أن يغادر الحفل بوصفه غير مطلوب للحضور ـ أى غير مرغوب فيه ـ وهو أمرأ شعره بالمهانة وأدى إلى انهيار أفكاره اللبرالية حول التسامح وإعلاء شأن الإنسانية.

٥ ـ وقد تعرف عام ١٨٩٠ على واضعى خطة استيطانية لتهجير اليهود إلى الأرجنتين بامتلاك ٥ر٢ مليون كم٢، ثم يجرى توطين نصف مليون يهودى روسى فيها، ولما فشل المشروع أدى به الأمر إلى سرعه اعتناقه الصهيونية والتحول إلى الدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين، وقال قولته المشهورة «إما أن تكون اليهودية صهيونية أو لاتكون».

٦ـ وقد حارب «نوردو» دعاة الاندماج مع اليهود الذين عارضوا الصهيونية وقالوا إنها غير ضرورية ورد عليهم بسرد حال اليهود فى الدول الأوربية وبخاصة الشرقية ووضع عدم المساواة الذى يعيشون فى ظله.

٧ـ ويمكن تلخيص أبرز أفكار (نوردو) فيما يلى:

(أ) أنه قدم صياغة ذكية لغاية الصهيونية بقوله إنها خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين معترفا به من القانون الدولى وتعدلت الصيغة إلى .. يضمنه القانون الدولى، وذلك حتى يمكن تجنب أية إثارة، وكان «نوردو» يقصد بالوطن إنشاء الدولة اليهودية.

(ب) إن الصهيونية تعمل على إيقاظ اليهود على حياة جديدة وتكون اليقظة معنوية وذلك بإنعاش أمانى الشعب اليهودى ومثله العليا ماديا (جسديا) بتربية النشء تربية بدنية صالحة وصولا إلى يهودية العضلات أو الفترة التى ضاعت خلال ١٨ قرنا من النفى والتشرد وهى فتوة تستوحى الأمجاد والبطولات الماضية.

(جـ) واعترض «نوردو» عن الحديث عن حزب صهيونى داخل اليهودية لأن الصهيونية ليست حزبا بل هى اليهودية بعينها، وقال إن العالم المسيحى لن يعترض على الحركة الصهيونية لأنه يريد التخلص من اليهود والهجرة تقدم له هذه الغاية.

وقد جسد أحد المعارضين للصهيونية أفكاره بقوله إن الصهيونية السياسية هى مجرد صيغة مجردة لعقيدة انتظار المسيح المخلص، جرى نقلها من العقول المتحمسة دينيا إلى عقول الزعماء السياسيين

الذين جذبوا بشدة إلى فكرة البعث العظيم وهو أمر يعبر عن الخط الفاصل بين الواقع والخيال.

(د) أن فلسطين تستطيع استيعاب اليهود كلهم وهى مقولة رد بها «توردو» على المعارضين الذين شككوا فى هذا الأمر، ويقول إن فلسطين والأقاليم المجاورة لها توفر متسعا لاستيعاب من ١٢ ـ ١٥ مليون من السكان دون أن يحدد بالضبط ما هى تلك الأقاليم المجاورة.

(هـ) ويحاول توردو تغطية أهداف الصهيونية بالقول إن اليهود لا يريدون طرد أحد من فلسطين لأن الـ ٦٠٠٠٠٠ عربى المقيمين حاليا فى الأراضى المقدسة سوف يحافظون على علاقات حسن الجوار مع الوافدين اليهود، كما أن الصهيونية لاتضمر عداء للحكومة العثمانية، بل ستكون نافعة لها بدفع الأعمال التى تساهم فى رخاء وازدهار المنطقة.

(و) وكان «توردو» هو الآخر يعتنق مبدأ التعلق بركب دولة كبرى من أجل تحقيق الهدف ويوضح أن الصهيونية ستبذل جهدها للعمل مع الباب العالى، وفى عام ١٩٠٧ قال إن الصهيونية ستعمل فى الشرق الأدنى ما فعله الانجليز فى الهند بزيادة النشاط الثقافى دون السيطرة، وسيكون المهاجرون بمثابة حملة المدنية والتحضر وهدفها ترسيخ وتوسيع المفاهيم الأوربية لتصل حتى نهر الفرات.

الفصل الثانى

الفكر التوسعى الصهيونى

«فلاديمير جابوسنكى»
«التصحيحيون»

الرواد الأوائل للصهيونية السياسية
الفكر التوسعى الصهيونى
(فلاديمير جابوسنكى) (١٨٨٠ـ١٩٤٠)

جابوسنكى : الحركة

١ـ ولد جابوسنكى بمدينة أوديسه وكان له نشاط عريض فى الحركة الصهيونية وآراء متعددة تعرضت لهجوم شديد من داخل الحركة ومن خارجها.

وقد وضحت آراؤه فى الفترة التى قضاها فى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية (١٩٢١ ـ ١٩٢٣) ثم ظهرت الحركة التصحيحية ووضوح الانشقاق داخل الحركة عام ١٩٢٥ أدى عام ١٩٣١ إلى قيام «حزب الدولة اليهودية» وخروج جماعة «جابوسنكى» من حظيرة المنظمة الصهيونية وألفوا منظمة مستقلة عام ١٩٣٥ تحت اسم «المنظمة الصهيونية الجديدة».

٢ـ وقد ظهرت قدرات «جابوسنكى» فى الفترة التى قضاها فى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية (١٩٢١ ـ ١٩٢٣).

وقد انعقد المؤتمر الصهيوني الثاني عشر في «كارلسباد» (تشيكوسلوفاكيا) في سبتمبر ١٩٢١ وجاء بعد انقطاع ثماني سنوات من المؤتمر الحادي عشر في فيينا (١٩١٣) ليستعرض آراءه في هذا المؤتمر نوجز ماتم انجازه على النحو التالي:

(أ) صدور وعد بلفور (١٩١٧) وموافقة الحلفاء على نصه.
(ب) معاهدة الصلح مع تركيا.
(جـ) القول بانتداب بريطانيا على فلسطين.

وقد عرض المؤتمر أيضا للمخاوف التي انتابت الأعضاء بسبب عدم وضوح حدود الوطن الفلسطيني لأن منطقة شرق الأردن التي ينظر إليها الشعب اليهودي كجزء متمم لأرض إسرائيل سوف تندمج في منطقة الانتداب البريطاني ويأسف لكون مسألة الحدود الشمالية لأرض اسرائيل لم تجد الحل المرضي، ويجب عدم التخلي عن الوحدة الإدارية والاقتصادية لفلسطين لصالح سياسة مناطق النفوذ حتى لا تتقلص إمكانات الاستيطان والاستعمار في وجه الجماهير اليهودية الباحثة عن عمل ويأمل المؤتمر أن تستجيب فرنسا لصالح الشعب اليهودي. وقد ظهرت آراء «جابوسنكي» واضحة إبان المؤتمر.

٣- وعندما زاد «جابوسنكي» من نشاطه في روسيا لإقامة قوة دفاع عن النفس وفقا لأفكاره، خضع لنقد شديد من الحركة الصهيونية لأنه يعرض أرواح اليهود في روسيا للخطر وقد قام اليسار اليهودي الصهيوني وخاصة من داخل أوكرانيا بالضغط على جابوسنكي وطالبوا باستقالته.

٤ـ وهناك محك آخر أدى إلى خروج «جابوسنكى» من المنظمة وهو شعور حكومة الانتداب البريطانى بالسبب الحقيقى للاضطرابات فى فلسطين إذ أكدت اللجنة التى عينها المندوب السامى البريطانى لتقصى الحقائق أن وجود الحركة اليهودية أدى إلى صعوبة الإدارة وأن كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة حكومة الانتداب لهم والمظالم التى تعرض لها العرب وكل ذلك أدى إلى الاضطرابات، وأشارت اللجنة إلى خطورة هجرة اليهود على اقتصاديات البلاد بسبب المزاحمة التى يتعرض لها العرب إضافة إلى الكبرياء والغطرسة التى أظهرها المهاجرون اليهود إزاء العرب.

وقد هاجم «جابوسنكى» تقرير اللجنة ووصفه بالتحيز للعرب وضار باليهود.

وقد ترتب على كل ذلك أن أصدرت الحكومة البريطانية/ الانتداب كتاباً أبيض فى يوليو ١٩٢٢ بغية تهدئة العرب بإلهائهم بتفسير مقيد «لوعد بلفور»، وعندما عرضت مسودة الكتاب على اللجنة التنفيذية فى يونيو ١٩٢٢ لم يرفض «جابوستكى» التوقيع ثم هاجم ماحدث تحت زعم الانهزاميين وقدم جابوسنكى مقترحات جديدة فى هذا الشأن إلى اللجنة التنفيذية منها:

(أ) إبلاغ الحكومة البريطانية وإدارة فلسطين أن الاستمرار فى السياسة الحالية يهدد الحركة الصهيونية بالخراب المالى ويوصل المشاريع الصهيونية إلى الإفلاس.

(ب) الإعلان بأن وجود المعادين للصهيونية أو المعادين للسامية فى صفوف المسئولين البريطانيين فى حكومة

فلسطين يتنافى مع صك الانتداب وأن تصر اللجنة التنفيذية على سحبهم.

(جـ) التصريح العلنى بأن الحركة لا تزال تلتزم بغايتها التاريخية.

غير أن اللجنة لم توافق على آراء «جابوسنكى» المتطرفة وطالبت معظم الأعضاء بالاستقالة أو التقيد بقرار الأغلبية لأن اللجنة التنفيذية هى بمثابة الحكومة الصهيونية، وهكذا استقال «جابوسنكى» من اللجنة التنفيذية فى يناير ١٩٢٣ وانتصر إتجاه و«ايزمان» داخل اللجنة.

ولم يبتعد «جابوسنكى» عن السياسة بل تابع اتصالاته بالشباب المتطرف فى المنظمات الصهيونية وعمل على ترويج فلسفته الخاصة بـ «النشاط الفعال» وأدت تحركاته إلى انشقاق الحركة الصهيونية.

٥- وفى إطار الحركة الصهيونية لا ينكر له أبرز أدواره فى تجسيد «صندوق الضريبة» وهى الفكرة القائمة على التراث اليهودى بدفع عشر مايكسبه الفرد لتمويل الحركة، وهذه الفكرة هى مدخل اقتصادى للسيطرة.

ومع نشأة الصندوق بدأ الحديث عن المشاكل المطلوب حلها وكان من بينها مشكلة «المياه» فقد رأى الصندوق أن مياه الليطانى وهى أغنى خزانات فلسطين قد اقتطعت كلية وبقى اليرموك خارج الوطن القومى اليهودى ولا يكفى استغلال مياهه إلا بموافقة حكومة أجنبية، وتعانى منابع الأردن العليا من الوضع نفسه وكذلك استبعد جزء مهم من النهر المقدس من الدخول فى نطاق الأراضى المقدسة بسبب ترتيبات إمارة شرق الأردن.

ثانيا : «جابوسنكى» : الفكرة :

١ـ فكر «جابوسنكى» لا يقف عند حد بل يستهدف التغيير وفق المصلحة الصهيونية فقط ومثال على ذلك عند معارضته للنظام الخاص الذى أقيم فى شرق الأردن فقد أكد بأنه لاتوجد عوائق قانونية تعترض سبيل تصفية هذا النظام إذ يعتبر من الوجهة القانونية الدولية باطلاً لأنه نتيجة عمل من طرف واحد (الحكومة البريطانية).

وأن الوضع السياسى فى فلسطين يعتمد كلية على شخصية «المندوب السامى» الذى إن أخلص لروح «وعد بلفور» فإن إمكانات فلسطين (دولة اليهود) داخل الحدود الراهنة لاحدود لها من الناحية العملية. ويلاحظ أنه بدأ يتحدث عن الوضع القانونى وانتهى به الأمر إلى استخدام لغة الواقع العملى.

٢ـ وعرفت عن «جابوسنكى» دعوة «الصهيونية الكبرى» عندما طالب بفرقة يهودية جديدة وتأليف وزارة صهيونية كبرى تضم «الأقطاب والجبابرة» فى الحركة بغية تنسيق الجهود وتوحيدها فى سبيل الهدف الواحد.

٣ـ وكان يعلن أنه يتحالف مع الشيطان لتحقيق الهدف وإقامة الدولة اليهودية على ضفتى الأردن وضمن الحدود التورانية القديمة لمملكة إسرائيل ويهوذا.

٤ـ ووضحت شخصيته بشكل عام بالتذبذب والنصب وكان يتخذ من «جاريبالدى» الإيطالى ـ موحد إيطاليا ـ نموذجا يحتذى به.

٥ـ وقد صنف «جابوسنكى» المهاجر اليهودى إلى صنفين: الأول المهاجر العادى الذى يتوجه إلى فلسطين لكسب عيشه، والثانى:

الرائد وهو أنفع لهدف الغزو الثقافي - الاقتصادي، وأكد أن يلزم الحركة أعداد من السكان لديهم القدرة في المستقبل على القتال في سبيل الاستقلال السياسي.

٦- رفض شعار «الصمت والعمل» وقال إن المهاجرين لن يتوجهوا إلى فلسطين لحراثة الأرض لأن النشاط السياسي في الحركة لاينفصل عن النشاط العملي.

٧- إن التحرر لايكون إلا بحد السيف.

٨ - كان يتصور الأسلوب السياسي بحديه:

الأول: بدك الحصون بمهاجمتها من الخارج.

والثاني: بالاستيلاء عليها من الداخل، وهو يفضل الأسلوب الثاني لأنه الأسلوب العملي والملائم.

٩- وعندما عرضت في عام ١٩٢١ فكرة تأليف قوة يهودية - عربية مشتركة للحفاظ على الأمن والنظام سارع «جابوسنكي» إلى مهاجمة الفكرة وأخذ على «وايزمان» تردده في معارضتها وقال: إن اليهود سيكونون أقلية في القوة المقترحة وأيد بدلا من ذلك فكرة إنشاء قوة يهودية خالصة، وضغط على اللجنة التنفيذية لإقناع الحكومة البريطانية بالمقترحات التالية:

(أ) الإبقاء على الفرقة اليهودية التي تألفت عام ١٩١٧ داخل القوات البريطانية في فلسطين.

(ب) إعادة فتح باب التطوع أمام اليهود حتى يصبح عددهم نصف مجموع القوة المقررة على الأقل.

(جـ) مناشدة الروح الوطنية للأفراد اليهود للانضمام مع قيام «صندوق الضريبة» بالمساهمة فى تعويضهم.

كما عارض «جابوسنكى» استمرار تسليح «الهاجاناه» كمنظمة عسكرية سرية للدفاع ولم يوافق زعماء «الهاجناه» واستمروا فى عملهم التسليحى والسرى.

القسم التاسع

المرحلة الأولى للصهيونية

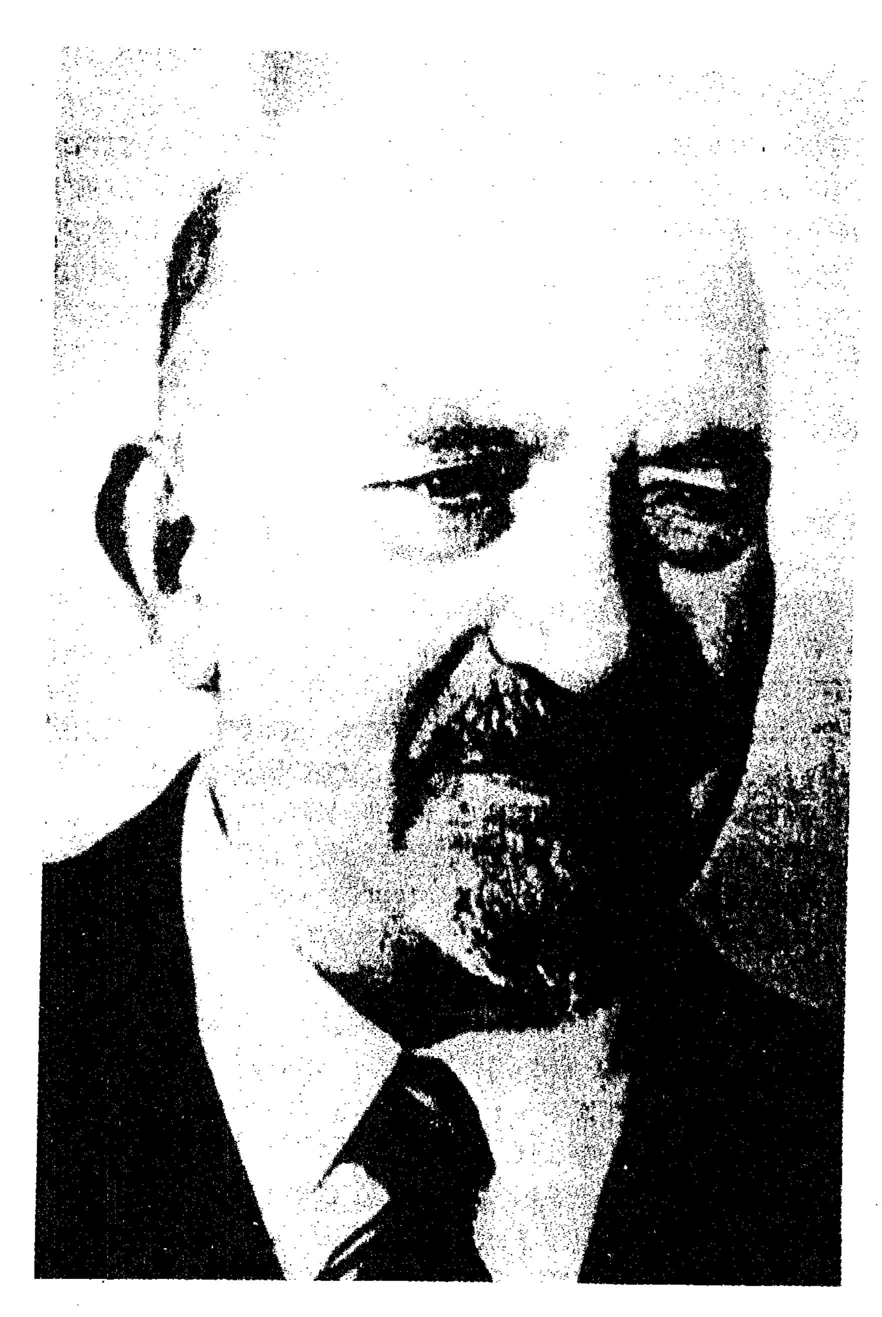
١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

الرواد الواقعيون

الفصل الأول

«حاييم وايزمان»

١٨٦٤ ـ ١٩٥٢



وايزمان ـ خليفة هرتزل الرائد الأول للصهيونية.

«حاييم وايزمان»

١- صفاته العامة:

عندما مات «هرتزل» لم يظهر اسم و«ايزمان» ضمن الأسماء القائدة للحركة الصهيونية برغم إنه وحد صفوف الصهيونيين الروس فى مؤتمر «منسك عام ١٩٠٢» أى قبل وفاة «هرتزل» بعامين.

وكان «هرتزل» يصنف فى أحزاب الوسط إلى داخل الجناح الديمقراطى. وشهد المؤتمر محاولة للتوفيق بين المتدينين والراديكاليين حول المسائل الثقافية وإبعاد الاستعمار اليهودى فى فلسطين.

وقد ظهرت قيادة «وايزمان» منذ عام ١٩٢٠، وكان هذا العام نفسه هو بداية خلاف بين و«ايزمان» و «بن جوريون» برغم تعاونهما الوثيق فيما بعد - مع وجود الخلاف - لصالح دولة إسرائيل.

وقد وصف «وايزمان» بأنه مهندس دولة اليهود...

وكان «وايزمان» الروسى أنشأ أرستقراطيا وسيما على ثقافة عالية وقدرة واضحة وفائقة على الإقناع، ويمكنه منذ ذلك ثرائه

وقدرته على الدخول إلى المجتمعات الراقية وخاصة فى بريطانيا وهو أمر أدى به إلى التأثير على «لورد بلفور» الذى أصدر الوعد المشهور١٩١٧ .

٢ـ أفكاره :

(أ) ويمكن تبين أفكار «وايزمان» العلمانية والليبرالية من خلال مخاطبته لاجتماع صهيونى فى فلسطين عام ١٩٣٦ عندما حث المجتمعين على التريث واتباع سياسة تدريجية تحقق الممكن. بمعنى أن «وايزمان» كان يفضل البدء بدولة صغيرة حسنة التنظيم وتعيش فى سلام مع جيرانها حتى يمكن أن تضمن الحركة الصهيونية قيام دولة يهودية لها حدود واضحة المعالم ومضمونة دوليا.

(ب) ولا يعنى ماسبق أن «وايزمان» بإيمانه بالتدرج قد تخلى عن الهدف الأخير للحركة الصهيونية، بل التدريجية والتعقل يعنيان الأمن فى تصوره.

(جـ) وكان تصوره لحدود الدولة اليهودية عام ١٩١٩ هو امتدادها من متصرفية جبل لبنان المستقل إلى الحدود المصرية ومن البحر إلى الخط الحديدى للحجاز.

(د) وقد ظهرت مرونة «وايزمان» إبان الاجتماع الاستثنائى الصهيونى فى نيويورك ١٩٤٢ عندما وافق على طلبات وتحركات لاتتسم بالتدريجية، ومن ذلك حق اليهود ـ أثناء الحرب ـ فى الدفاع عن وطنهم ضد قوى العدوان وفتح باب الهجرة لقيام كومنولث يهودى فى فلسطين يحقق الاندماج الكلى مع قطاع العالم الديمقراطى الجديد.

(هـ) وفى مايو ١٩٤٥ وقع وايزمان بيانا تقدمت به المنظمة الصهيونية إلى الدول العظمى تضمن:

- أن تعلن الدول الكبرى عزمها بأن تكون فلسطين كومنولثً يهودياً ديمقراطياً.

- تلغى قيود الهجرة وبيع الأراضى.

- وتتولى الوكالة اليهودية سلطات الإشراف على الهجرة والبناء والتطوير.

- ضمان مساعدات مالية وفنية للوكالة.

- وللوكالة حق الاستشارة والتمثيل فى المحافل والهيئات الدولية التى تتناول شئون فلسطين.

٣- «وايزمان» - الحركة:

(أ) بعد وفاة مؤسس الحركة الصهيونية (هرتزل) عام ١٩٠٤ قرر «وايزمان» ترك الإقامة فى جنيف والانتقال إلى بريطانيا التى ظهرت له مواتية لتعضيد الحركة الصهيونية، وهناك تعرف على أبرز شخصيات المجتمع ومنهم لورد «بلفور» الذى أعجب «بوايزمان» وأستمع إلى آرائه.

(ب) وعقب دخول تركيا الحرب عام ١٩١٤ ضد الحلفاء أعلنت بريطانيا عزمها على تجزئة الإمبراطورية العثمانية وهنا سنحت الفرصة «لوايزمان» للتحرك بمساندة أصدقائه البريطانيين وتحرك دون إذن من قيادة الحركة الصهيونية ولم يعبأ بالنقد الذى وجه إليه لأنه تنبأ بوصول الحرب إلى الشرق الأوسط وبأن مقاليد المنطقة ستكون لبريطانيا وستقوم

علاقة مصلحة يراها وايزمان بتهجير حوالى مليون يهودى على مراحل يشكلون جدارا لحماية المصالح البريطانية.

(جـ)وفى عام ١٩١٦ أقدم «وايزمان» على تحرك مهم استهدف من ورائه التأثير على مراكز القيادة البريطانية وتنوير الفرد العادى ومواجهة تحديات اليهود المناوئة للصهيونية، وجاء ذلك بإصداره كتاباً فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط بعنوان «الصهيونية والمستقبل اليهودى» وهكذا حققت المجموعة التى تزعمها و«ايزمان» صدور وعد «بلفور» بأسلوب الاتصالات الذكية وبالإعلام الملح وبأسلوب ناجح فى العلاقات العامة.

(د) وإثر صدور وعد «بلفور» أعلن بيان للمنظمة الصهيونية وقعة ثلاثة منهم و«ايزمان» أن أهداف برنامج «بازل» قد دفعت الآن على أرضية صلبة.

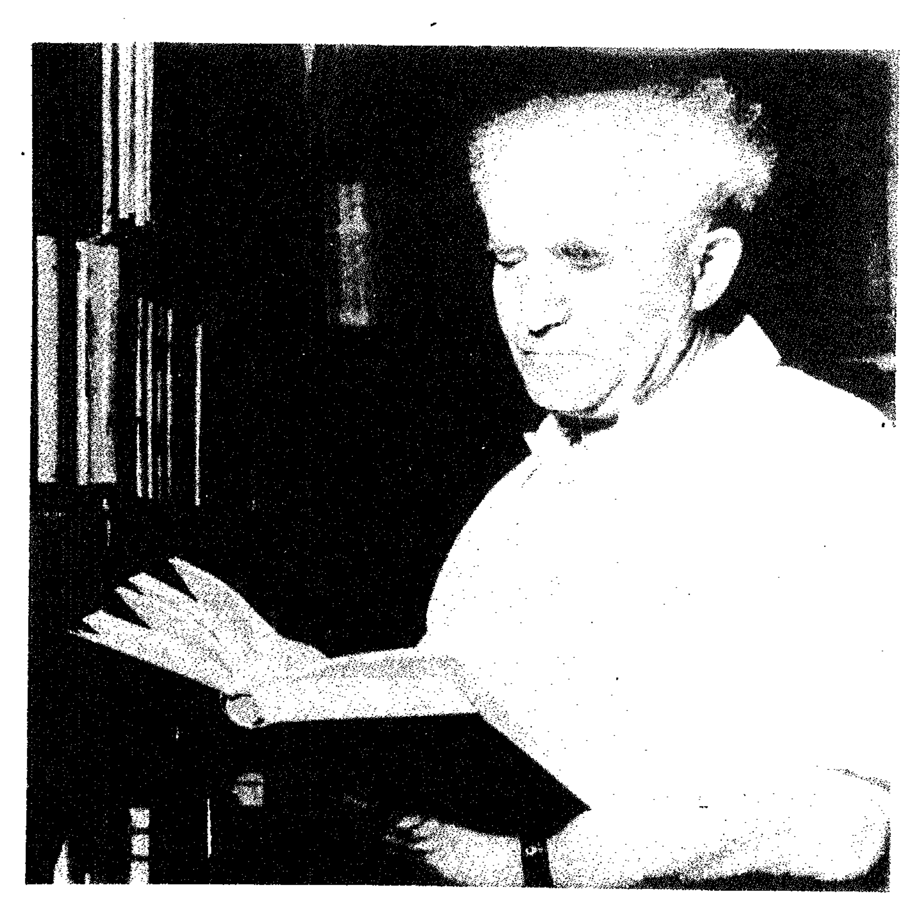
ه ـ ثم قام و«ايزمان» على رأس بعثة بزيارة المنطقة من الشام حتى مصر بهدف دراسة تنفيذ وعد «بلفور»، وعند زيارته القدس حاول إزالة المخاوف العربية.

(و) وقد تزعم و«ايزمان» الحركة الصهيونية منذ عام ١٩٢٠ وإبان المؤتمر الثانى عشر (١٩٢١) انتخب مرة أخرى رئيسا للمنظمة برغم أن أعضاء المؤتمر وجهوا النقد إليه بسبب التعثر فى الحصول على مزيد من الأرض للوطن ـ الدولة ـ اليهودية، لأن الانتداب البريطانى كان قد ضيق المساحة المتروكة لإقامة الدولة اليهودية باستبعاد شرق الأردن وغيرها من المناطق.

الفصل الثانى

« دافيد بن جوريون »

١٨٨٦ ـ ١٩٧٣



بن جـوريون ـ أخطر رواد الصـهـيـونيـة لقب بالنبى
المسلح ويعود إليه قيام دولة اسرائيل.

ديفيد بن جوريون

- أخطر وأعتى وأنشط وأصلب رواد الصهيونية الأول على الإطلاق.

- مبدؤه «الغاية تبرر الوسيلة».

- عقيدته: أن دولة «يهوذا» قضى عليها بالنار والحديد والدم، فلابد أن تعود إلى الحياة بالنار والحديد والدم.

- أقام دولة إسرائيل ولم اليهود من الشتات داخلها.

- لقبه الكُتاب اليهود «بالنبى المسلح».

- إن إسرائيل بالرغم من وفاته وتغيير الأوضاع الدولية تسير على النهج الذى وضعه ولا يجرؤ أحد من زعمائها الحاليين على الخروج على هذا المنهج.

مقدمة

لم أجد فيما وقع تحت يدى من مراجع عربية وأجنبية، وما تيسر من وثائق ومذكرات تناولت حياة «بن جوريون» إلا كل الصعوبة فى تقديمى للقارئ مفتاح تلك الشخصية التى لعبت دورا حاسما بلا ريب فى صياغة التاريخ المعاصر للشرق الأوسط.

فقد رأى بعض الكتاب فيه « جالوت» القرن العشرين ووصفه آخرون « بالنبى المسلح» مثله مثل اليهودى الاخر «تروتسكى»، فى حين رفعه آخرون إلى مصاف الوريث الشرعى للنبى داود. ولا يخامرنى الشك أنه سيأتى اليوم الذى سيتاح فيه للباحثين الاطلاع على مخزون هائل من الوثائق السرية فى اسرائيل، وعندئذ تحل الأسطورة مكانها للتعتيم الموضوعى لنجاح « بن جوريون» فى السيطرة على الجماهير الغفيرة، وفى خلقه أقوى آلتين سياسية وعسكرية عرفتهما المنطقة، وصولا نحو تحقيق الحلم الصهيونى الكبير.

فحياة «دافيد بن جوريون» هى فى واقع الأمر عرض للقضية الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا. قضى حياته كلها فى خدمة الحركة الصهيونية، مشاركا فى صنع خططها ومنفذا

لها بالنار والإرهاب والدهاء، مسترجعا بضمير مستقر - أساليب الإبادة التى مارسها آباء بنى اسرائيل ضد الفلسطينيين أصحاب الارض منذ آلاف السنين. ولأنه حمل « الحلم» بيديه القويتين كما لو كان « تابوت العهد»، فلم يستوقفه جوهر كتابه المقدس الذى قرأه بعمق، ولا مبادئ الإخاء والمساواة فى تقدمه الجدى، بل ولم تستوقفه العبرة وراء موت اليهود على محرقة أقيمت باسم شعب مختار آخر .

لم يكن « بن جوريون» تلك الشخصية الموضوعية فى الوثائق الرسمية ولا الذى برز من التقارير الواقعية، أو من انقلاب فجائى أو ثورة عارمة فى التاريخ، كان حاد الطبع، كثير الانفعال شديد التحمس عنيدا، يجهد نفسه دائما من أجل دوره، قادرا على المستحيل، وقد اجمعت الفئة التالية من الكتاب على أنه كان الرجل الذى تستهوى سيرته الكثير من الكتاب .

تلك سطور لعلها تأخرت عما ينبغى من ظهورها بيننا زمنا وذلك من منطق ما كنا نعلن ان « اعرف عدوك »وان لم نعرف ما كان يجب أن نعرف وان نستعد له كما استعد هو بالاتحاد والتنظيم والتخطيط فضلا عن حسبان الممكن وغير الممكن واستغلال العلاقات ولباقة السياسة.

كان «بن جوريون» - وإن عددناه نحن من الطغاة - كان شعبه يعتبره من الرسل مؤمنا بعقيدته التى عمل لها حياته كلها فلتكن فى تلك الصحف عبرة لنا نعرف بها أبناءنا ومن يعقبنا من أجيالنا.

أوضاع اليهود الاجتماعية والسياسية

عند مولد «ديفيد بن جوريون»

كان يتجاذب اليهود فى روسيا وأوربا الشرقية اتجاهات دينية

تدعو إلى التحرر بالهروب والهجرة إلى أرض الميعاد فلسطين والاستيطان فيها. وكان عدد اليهود فى روسيا وأوربا الشرقية زهاء خمسة ملايين يعيشون غالبا بين عقلية «الجيتو» وبين الأفكار الليبرالية والقومية التى انتشرت فى بلدان أوربا الغربية. وقد ظهر من بينهم مفكرون وكتاب وشعراء أثروا فى توجيه ماكان فى اليهودية معروفا باسم «الشتات» إذ ظهرت آنئذ حركة «الهاسكالا» بقيادة «مندلسون» وكانت تنادى بالنهضة والاستنارة. ومحاولة التوفيق بين الدين اليهودى وبين روح العصر.

غير أن اليهود فى روسيا وبولندا وفى غيرهما من بلدان أوربا الشرقية لم يجدوا فى «الهاسكالا» أهدافا معقولة تخلصهم من عذابهم، فتحولوا إلى تأييد حركة جديدة أطلقت على نفسها «حركة أحباء صهيون» تدعو إلى الهجرة إلى «فلسطين» أرض الميعاد. وقد انتشرت هذه الدعوة فى أنحاء روسيا ومنها تسربت إلى المهاجرين فى فلسطين فى أول القرن الثامن عشر. أيام ظهور كتاب «ليوبنسكر» (التحرير الذاتى) الذى أثر بمبادئه فيمن هاجر من الروس «البيلو» إلى فلسطين وذلك فى موجات تتابعت بعد اغتيال الإمبراطور «الكسندر الثانى» عام ١٨٨١

ومن ثم كان يهود روسيا يهتمون بما كان يروى من أخبار عن «موسى مونيفيورى» و «ادموند روتشيلد»، ومن أخبار عن المسيحيين ممن يساندون الحركة اليهودية مثل «جورج اليوت» غير أن رواد الحركة الصهيونية كانوا يعتقدون بأن عليهم وحدهم يقع واجب الاستيلاء على فلسطين.

وفى أواخر القرن التاسع عشر، عام ١٨٩٦، صدر كتاب «تيدور هرتزل» (الدولية اليهودية) فكان له التأثير المباشر فى وضع الأسس

السياسية للصهيونية. ذلك أن الكتاب ترجمة صريحة صادقة لأفكار يهود شرق أوربا واتجاهاتهم، إذ وضعت فى قالب وبأسلوب تفهمه حكومات الغرب وشعوبه، فلما انعقد المؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل» عام ١٨٩٧ ، كان أغلب المندوبين من شهود المؤتمر إنما كانوا يمثلون يهود روسيا وبولندا. واستطاع «هرتزل» أن يتزعم اليهود دون منازع، حيث اتجه إليه الصهيونيون المتشددون، وذلك فضلا عن المتدينين ممن رأوا فيه رسولا من قبل الله أرسل لإنقاذ اليهود من «الشتات» والعذاب. وأصبح «هرتزل» بآرائه ودعوته ونشاطه المثل الأعلى للجيل الجديد ـ جيل «وايزمان» و «بن جوريون» و «جولد مائير» ، فألهب مشاعرهم وأثارهم إلى الهجرة إلى أرض الميعاد.

وكان من بين قادة حركة «أحباء صهيون» «افجدور جرين «والد» بن جوريون» حيث كان فى مدينة «بلونسك» البولندية ـ التى كانت يومئذ خاضعة لروسيا ـ يعمل بالمحاماة ـ دون حصوله على إجازة الحقوق ـ وكانت داره ملتقى أعضاء حركة «أحباء صهيون» حيث يدار الحوار والجدل بين أنصار الحركة ومعارضيها من رجال الدين اليهود والاشتراكيين المتشككين فى هذه الحركة الصهيونية ويخشون تطويرها إلى حركة تدعو إلى «مسيح دجال» شأن ماسبقها من حركات.

مولد «بن جوريون»

وفى هذا المناخ المشحون بالدعوة إلى التحرر الذاتى، والتخلص من معاناة «الجيتو» واضطهاد الروس بالهجرة إلى أرض الميعاد، ولد «ديفيد بن جوريون» فى ١٦/ ١٠/١٨٨٦ ، وقد أصر أبوه منذ الصغر على تعليمه وإخوته اللغة العبرية، بحكم نشأته فى بيت صهيونى فرضع فيه العبرية وحب «صهيون».

وكان ديفيد أفجدور جرين منذ صغره متحمسا للعلم وذا قدرة كبيرة على التركيز، وكان أول ماقرأ بالعبرية كتابى «حب صهيونى» و «كوخ العم توم»، كما كان على خلاف أترابه من الأطفال أميل إلى العزلة، كما كان أمل أمه «سيندال» (slmdal) التى توقعت له مستقبلا باهرا، كأن يصبح حبرا عظيما لليهود.

وكان حين بلغ الحادية عشرة من عمره عام ١٨٩٧ أن توفيت أمه وهى تضع مولودها الحادى عشر فأصبح أبوه كل شىء فى حياته، وكان اليهود يومئذ يتتبعون أخبار «هرتزل» ونشاطه السياسى وهدفه فى الحصول على عهد يسمح لليهود باستعمار فلسطين.

وتأثر ديفيد مع غيره من شباب اليهود فى بولندا بآراء «هرتزل» الذى أصبح المثل الأعلى لهم، فألف المكافحون من زملائه ممن غلب عليهم الجد والعزم جمعية واختاروا لها اسم «عيزرا» (١) مؤسس الهيكل الثانى بما له من دلالة كبرى عند الصهيونيين المتعصبين، تدرس فيها العبرية الحديثة، وتناقش آراء «هرتزل».

ثم اضطلع بالدعاية والخطابة فى جمعية «عزرا» ولكنه اختلف مع الاشتراكيين من اليهود لرفضه مفهومهم السياسى منذ البداية، وأحتج بأن «هرتزل» الذى عاش فى بلد ديمقراطى إنما رأى الحل الأمثل لتحرير اليهود فى منحهم وطنا خاصا بهم، وكان على جمعية «عزرا» أن تناضل على جبهتين .

---

(١) عيزرا: وهو الذى غضب بعد عودته إلى القدس من بابل على اليهود لاختلاطهم بغيرهم من سكان القدس ومنعهم وحرم عليهم هذا المسلك، واستطاع أن يجمع يهود «السبى» من أتباع تعاليمه العنصرية. ففصل بينهم وبين من لم يتبع تعاليمه منهم، ومن ثم وضع فيهم «أسس العنصرية والانفصالية» (سفر عزرا الاصحاح التاسع)

ـ الأولى: لإقناع الصهيونيين بالهجرة إلى فلسطين، والثانية: لإقناع الاشتراكيين بالعقيدة الصهيونية، وكان ديفيد بما جبل عليه منذ الصغر من بلاغة وقوة حجة، نموذجا متميزا شهد له أحد الأحبار بقوله: لو أن عندنا عشرة مثل «بن جوريون» لحررنا شعب بنى إسرائيل».

على أن الصهيونيين قد أصيبوا بعد المؤتمر الصهيونى عام ١٩٠٢ بعد فشل «هرتزل» فى مفاوضاته بخيبة الأمل. وظهر يومئذ «وايزمان» مع جماعة صغيرة طفقت تطالب بضرورة الديمقراطية فى القيادة الصهيونية. وفى هذا المناخ المشحون بالإحباط، قرر «بن جوريون» الإنضمام إلى حركة «عمال صهيون» الداعية إلى الهجرة إلى فلسطين والعمل فيها وإلى العدل الاجتماعى بين اليهود.

ثم سافر «ديفيد بن جوريون» إلى «وارسو» لإتمام دراسته الثانوية فاختار الدراسة باللغة الروسية، كما كان يعطى دروسا فى العبرية لكفاية نفقات دراسته، وواصل نشاطه مع جمعية «عمال صهيون» إذ قبض عليه بتهمة الشغب وإن تمكن أبوه بفضل صلاته برجال الشرطة ـ من إخراجه من السجن والعودة به إلى «بلونسك» ولكنه انقطع عن الدراسة المنتظمة برغم ماكان يتطلع إليه من دراسة الهندسة لإيمانه بأن استعمار فلسطين فى حاجة إلى المهندسين، ولاسيما بعد أن قرر الهجرة إليها والاشتراك فى استعمارها مع زملائه.

هجرة «بن جوريون» إلى فلسطين:

وفى عام ١٩٠٦ وصل إلى فلسطين حيث انضم إلى حركة «عمال صهيون» وتوجه إلى مستعمرة «بتاح تكفا» ملبس» وقد ذكر

فيما بعد فى كتابه «بعث إسرائيل ومصيرها» أنه لم يستطع النوم فى أول ليلة وصل فيها إلى فلسطين إذ تغلبت عليه مشاعره، وإحساسه بالفرح والنجاح وأرض إسرائيل من حوله أينما تولى.

ويذكر «بن جوريون» أن يهود فلسطين، حين وصل إليها «كانوا ينقسمون إلى فئتين، الفئة الأولى هم اليهود الوطنيون الذين ولدوا فى فلسطين وعددهم زهاء ٥٠ ألفا حيث يقطن أغلبهم القدس وطبرية والخليل، وكانوا يتعاملون مع العرب والأتراك ويعيشون على مايتلقون من مساعدات ومعونات تأتيهم من الجاليات اليهودية الفتية فى البلدان الأخرى، والفئة الثانية: هم اليهود المهاجرون من أوربا الشرقية ويبلغ عددهم ٣٠ ألفا تقريبا، وكانوا ملاكا لا يعملون بأنفسهم بل يعتمدون على العمال العرب.

نشاط «بن جوريون» السياسى فى فلسطين:

وفى العام الذى وصل فيه «بن جوريون» إلى فلسطين عقد أول مؤتمر «لعمال صهيون» فى فلسطين وانتخب رئيسا له، وتقرر فيه بناء على طلب «بن جوريون» تأليف «اتحاد العمال اليهود» وفوضه العمال فى تمثيلهم أمام أصحاب العمل فى معاصر «روتشيلد»، وكان أول عمل نقابى ينظم إضرابا مهد له السبيل ليصبح رئيسا للجنة مع عشرة من أعضاء الاتحاد أوكل اليهم إنشاء جريدة تنطق بلسان الاتحاد، وتبحث عن وسيلة للحصول على ضمانات للعمال اليهود فى القرى اليهودية ونجح ديفيد بن جوريون فى فرض آرائه على اللجنة المشكلة لوضع برنامج لاتحاد العمال اليهود تدعو فيه إلى الاستقلال السياسى ليهود فلسطين وأيده فى هذا الاتجاه «اسحاق بن زفى» المناضل الصهيونى الذى هاجر من روسيا والتقى بـ «بن جوريون» فى مستعمرة «بتاح تكفا» عام ١٩٠٧

ثم انتقل إلى «الجليل» فألف نواةلقوة مقاتلة بأسلحة تركية، واختار لنفسه لقب «مقاتل» وكان يؤكد دائما وجوب خلق «أمة» يهودية فى فلسطين تحكم نفسها وتحقق إرادتها بالقوة ولاتعتمد إلا على اليهود، وكانت مستعمرة «سيجيرا» أول مستعمرة يهودية يحرسها سكانها اليهود ثم تبعتها بعد ذلك مستعمرات عديدة. وهكذا كون «ديفيد بن جوريون» و «بن زفى» واتباعهما فرقة الحراس «هاشومير» على نمط جماعات الدفاع الذاتى فى روسيا، وكان شعارهم «بالدم والنار سقطت اليهودية وبالدم والنار ستقوم مرة أخرى، وهذه العقلية إن دلت على شئ فإنها تدل على مبادئ المخطط الصهيونى، إذ أصبحت كافة المستعمرات اليهودية فى فلسطين عام ١٩١٤ فى حراسة بأفراد من ساكنيها. واستمرت رسالة «الهاشومير» أو الحراسة الذاتية حتى عام ١٩٢٠، حين انتهت رسالتها بمجئ الحلم البريطانى الانتداب «صديق اليهود» فانضم أعضاء «الهاشومير» إلى «الهاجاناه» التى أصبحت التطور الطبيعى للحراس.

وقد غادر «ديفيد بن جوريون» الجليل إلى القدس حيث عين عضوا رئيسا لحزب «عمال صهيون» وأسند إليه تحرير صحيفة الحزب «الوحدة» حيث كان يوقع على مقالاته فيها باسم «بن جوريون» وقد اتخذ هذا الاسم الذى يعنى أبن الجرو أو الشبل لصلته بالتوراة، مؤكدا أنه أصبح يهوديا فلسطينيا وذلك لأن صاحب الاسم القديم، قد كان قائد الثورة اليهودية ضد الرومان وفى ذلك رمز لتاريخ عودة اليهود إلى فلسطين، واستمرار لتاريخ اليهود القديم، فلا يعنى شيئا أن خروجهم كان منذ ألفى عام.

وقد استطاع «بن جوريون» فى بدء حياته فى فلسطين أن يحول المستعمرات المسالمة إلى قلاع دفاعية، تبلورت فيها نواة العدوان، ثم تحول بعد ذلك إلى الاشتغال بالصحافة ومهاجمة الملاك اليهود لاستخدامهم العمال العرب. ويذكر «بن جوريون» فى مذكراته عن هذه المرحلة من حياته إنه كان دائم الحيرة بين البقاء عاملا وبين استغلال موهبته لمصلحة اليهود، ولكنه قرر بعد التفكير الاهتمام بالمشكلات التعليمية والسياسية فجاء قراره مناسبا، وكانت الآراء التى عبرت عنها مقالاته إذ ذاك تتركز فى تنظيم العمال وتوحيد السكان اليهود والحصول على حكم ذاتى من الحكومة التركية.

ولما كانت فلسطين إحدى الولايات التركية، وكانت حكومة الآستانة فى ذلك الوقت، حكومه جديدة معادية للعرب، فقد أراد «بن جوريون» ومعه «بن زفى» توثيق علاقتهما بالأوساط الحاكمة الجديدة فى تركيا، على أساس أن من حق اليهود من رعايا الباب العالى الحصول على حقوق الأقليات واقتنع الحزب بالفكرة، وأوفد «بن جوريون» و«وبن زفى» لدراسة القانون لإيمانهما بأن القانون هو الباب المؤدى إلى البرلمان العثمانى بصفتهما ممثلين لليهود، لتصبح الهجرة إلى فلسطين أمرا مشروعا، وفى الآستانة تعرف «بن جوريون» - وكان اسمه قد أصبح معروفا من مقالاته بجريدة الوحدة «بجوزيف ترمبلدرو» و «جابوتنسكى»، لكن بسبب دخول تركيا الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ عاد «بن جوريون» و «بن زفى» إلى فلسطين حيث اعتقلهما الاتراك مع آخرين من حزب عمال صهيون بتهمة تأليف جمعية لإقامة دولة يهودية ونفوهما خارج فلسطين. وفى الاسكندرية قبضت عليهما السلطات البريطانية بتهمة

موالاة الأعداء، ثم غادرا مصر إلى الولايات المتحدة التى وصلا إليها عام ١٩١٥. وعلى الرغم من الحرية التى يتمتع بها اليهود فى الولايات المتحدة فقد كان «بن جوريون» يؤكد أن اليهود لن تكون لهم حـ .ية حقيقية إلا فى فلسطين، وتفرغ هو و «بن زفى» لإقناع الشباب اليهودى الأمريكى لتعلم العبرية، وفنون الزراعة تمهيدا للهجرة إلى فا طين، وكانا يبشران بأن الصهيونية الحقيقية هى الذهاب إلى فا .طين، ويأخذان على اليهود الأمريكيين نظرتهم إلى الصهيونية ء .. حد التبرع بالصدقة.

وكان «بن جوريون» يطالب بمتطوعين من الشباب الأمريكى و ؤكد لهم «أن الوطن لا يشترى بالسياسة والمال ولكن بالنضال .كفاح»، كان قد آمن بنظرية العنف وطبق هذه النظرية طوال .ياته إذ بدأها بتجميع اليهود فى فلسطين، ثم تأليف مجموعات ، .ارية تساعد المستعمرين المستوطنين.

ولما أصدرت بريطانيا وعد «بلفور» وكان «بن جوريون» يومئذ ف ى الحادية والثلاثين من عمره لم يظهر اهتماما به، فقد كتب فى ١٤ نوفمبر ١٩١٧ «أن بريطانيا لم ترجع لنا فلسطين، وفلسطين لن تصبح لنا على يد بريطانيا، لقد تقدمت بريطانيا بخطوة عظيمة إذ اعترفت بكياننا أمة واعترفت بحقنا فى البلاد، ولكن الشعب العبرى وحده يستطيع تحويل هذا الحق إلى حقيقة ملموسة، الشعب العبرى فقط بالجسد والروح، بالقوة ورأس المال يجب أن يبنى اليهودى وطنه القومى ويحرر أمته.

وسيظل وعد «بلفور» وهدف عصبة الأمم من الانتداب قصاصات من ورق إن لم نستطع جلب اليهود إلى فلسطين وتجهيز

الأرض للتوطين على نطاق واسع. فالهجرة والتوطين دعامتا الاستقلال حيث يجب تقرير مصير الصهيونية فى «بلد صهيون» حيث يعتمد نجاح الصهيونية على اليهود بالدرجة الأولى.

ويعزز «بن جوريون» رأيه بقوله: «أيهما أكثر واقعية واقناعا أن نقول إن الأرض منحت لليهود الذين سوف يقررون الهجرة إلى فلسطين بفضل وعد «بلفور»، أم لليهود المقيمين فيها».

وفى عام ١٩١٨ تزوج «بن جوريون» من «بولا منوايس» ابنة أحد المهاجرين من مدينة «منسك» وسافر مع كثيرين من المتطوعين الأمريكيين إلى بريطانيا وانضموا للجيش البريطانى. وقد وصفهم الجنرال «اللنبى» بأنهم لم يكونوا يهتمون بالأوامر وكل همهم الوصول إلى فلسطين.

وكان من ضمن الشباب الأمريكى الذى اعتنق الصهيونية وآمن بمبادئها على أيدى «بن جوريون» «بن زفى» و «جولدا مائير» التى أصبحت خامس الرواد الأول للصهيونية، والتى تزعمت اليهود وقادت إسرائيل بعد الاعتكاف السياسى الأختيارى لـ «بن جوريون» فى مستعمرة «سيدى بوكر» بصحراء النقب عندما خذله حزب الماباى ـ الحزب الذى أنشأه. وناصر تلميذته «جولدا مائير» عليه.

الفصل الثالث

«جولدا مائير»

١٨٩٨ - ١٩٧٨



جولدا مائير المرأة الصلبة التى لا تعرف الخوف ولا تهاب المعارك.

جولدا مائير [1]

١- بدايتها :

(أ) ولدت جولدا مائير فى كييف - روسيا - عام ١٨٩٨ وهاجرت مع أسرتها إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٦ وحصلت على الشهادة الثانوية هناك وتزوجت عام ١٩١٧ وهاجرت مع زوجها إلى فلسطين عام ١٩٢١.

٢- جولدا مائير (الفكر:

(أ) ترى ضرورة إنشاء دولة يهودية - عام ١٩٤٦ - لأن الدولة ستمكن الشعب اليهودى من إدارة مقدراته والتحكم فى الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

(ب) وتؤكد أن ٦٠٠٠٠ يهودى فى فلسطين وقفوا عاجزين عن إنقاذ آلاف بل ملايين اليهود وكان العائق أمام الحركة الصهيونية هى القيود التى فرضتها بريطانيا على الهجرة.

---

(١) سنعرض بالتفصيل فى الجزء الثانى - نشاطها - فلسفتها - فكرها السياسى.

(جـ) وضحت مبادئها التوسعية بعد حرب ١٩٦٧ إذ اعتبرت كل ماحصلت عليه إسرائيل من أراض من حقها.

٣ـ جولدا مائير ـ الحركة:

(أ) تمكنت جولدا مائير من زعامة حركة العمل فى فلسطين ثم أصبحت زعيمة حزب «الهستدروت» عام ١٩٤٠ .

(ب) ثم انتخبت رئيسة بالنيابة للقسم السياسى من الوكالة اليهودية فى القدس وأصبحت ضمن أعضاء المفاوضات مع بريطانيا حتى إعلان قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين.

(جـ) وبإعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ عينت وزيرة مفوضة فى موسكو ثم وزيرا للعمل عام ١٩٤٩ وفى عام ١٩٥٦ عينت وزيرا للخارجية وفى عام ١٩٦٩ بعد وفاة ليفى أشكول عينت رئيسا لوزراء إسرائيل.

القسم العاشر

المرحلة الأولى للصهيونية

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

الفصل الأول

أوضاع اليهود فى أوربا فى الحرب العالمية الأولى

الفصل الثانى

يهود أمريكا والصهيونية فى فترة الحرب العالمية الأولى

الفصل الثالث

الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط إبان الحرب العالمية الأولى

الفصل الرابع

الصهيونية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية فى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى

الفصل الأول

أوضاع اليهود فى أوربا فى الحرب العالمية الأولى

اليهود والصهيونية فى الحرب العالمية الأولى

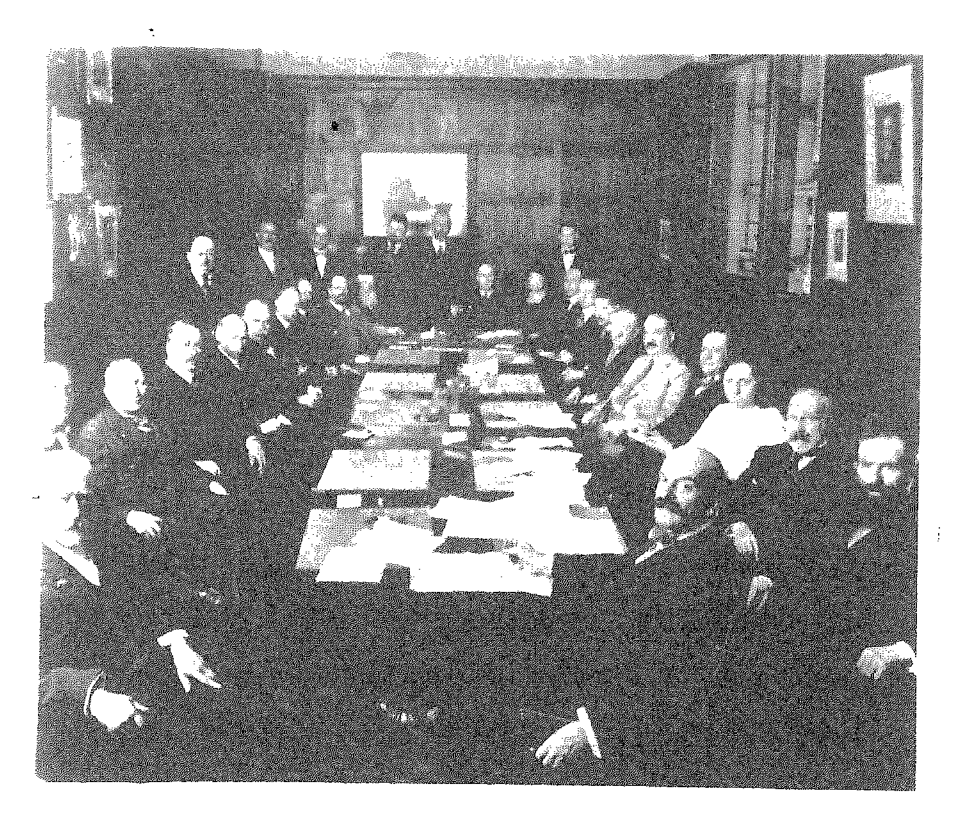
نظرة عامة:

شهدت الجماعات اليهودية فى شرق أوربا تفككا كبيرا مع بداية الحرب العالمية الأولى حيث صاحب انهيار نفوذهم السياسى تدهور فى أوضاعهم الاقتصادية أدى بمليونين وربع مليون يهودى إلى الهجرة فيما بين عامى ١٨٨١- ١٩١٤ . واتجه معظمهم إلى أمريكا. على أنه عند اندلاع الحرب كان ثمانية ممن كانوا فى أوربا من الملايين العشرة من اليهود مايزالون يعيشون فى روسيا وفى أقاليم الإمبراطورية النمساوية الهنغارية. واعتبرت السلطات الروسية اليهود خونة واتخذت ضدهم إجراءات قمع مختلفة، وكان الوضع خطيرا سارع اليهود إلى مواجهته فشكلت مجالس يهودية فى أمريكا والدانمرك وسويسرا وهولندا عملت بالتعاون التام مع المؤتمر اليهودى الأمريكى على حماية مصالح اليهود فى أوربا.

ثم تحسنت الأحوال بانطلاق الثورة البلشفية فى روسيا حيث وعدت الحكومة الشيوعية الجديدة بتوفير الحريات للجميع دون تمييز

فى الدين أو القومية. وبدأ اليهود الروس يطالبون بوضع ثقافى وقومى مستقل. وعقد عام ١٩١٧ مؤتمر ضم مختلف الجماعات اليهودية كان برنامجه المقترح الحث على الحكم الذاتى لليهود فى روسيا والحصول على ضمانات قانونية للأقلية اليهودية. وأشاد مكتب كوبنهاجن الفرعى للمؤتمر اليهودى الدولى بالثورة البلشفية وبتحرير اليهود الروس شريطة ألا يرتبط ذلك بفقدان الذاتية القومية اليهودية.

على أنه بنهاية الحرب العالمية الأولى تفكك التجمع الكبير ليهود شرق أوربا وعزل يهود روسيا وهم ثلاثة ملايين أى زهاء ثلث يهود أوربا عن إخوانهم عزلا استمر حتى انهيار الشيوعية عام ١٩٩١ وعاش الباقون فى الدولة التى تكونت فى الأقاليم الواقعة مابين روسيا وأوروبا الغربية وقاست الكثير من الحرب.



اجتماع صهيونى بعد الحصول على وعد بلفور ١٩١٧ .

وايزمان ووعد بلفور

وبينما كان «بن جوريون» و «بن زيفى» بعد نفيهما من فلسطين وترحيلهما من مصر إلى الولايات المتحدة حينما كانا يقومان بنشر مبادئ الصهيونية، وحث الشباب الأمريكى على الهجرة إلى فلسطين. لتعميرها والتوطن بها وإعادة مجد اليهود المسلوب وإقامة الدولة الصهيونية، كان «وايزمان» الرائد الأول وخليفة «هرتزل» «دون منازع»، وهو سليل الأورستقراطية والأسرة واسعة الثراء إذ كان يقوم نشاطه على الجانب السياسى والدبلوماسى والاتصالات الرفيعة المستوى للدعوة للصهيونية لدى الحلفاء ونجح بفضل مجهوداته من حمل بريطانيا على إعلان «وعد بلفور» الذى يعترف بكيان يهودى فى فلسطين. وبذلك حقق أهم مطلب للصهيونية ولليهود - إذ أن «وعد «بلفور» فى واقع الأمر يعتبر بمثابة فتح الباب على مصراعية لدخول الصهيونية إلى الطريق المؤدى إلى قيام دولتهم إسرائيل فى فلسطين.

وبحصول «وايزمان» من بريطانيا على وعد «بلفور» يكون قد حقق مالم يوفق «هرتزل» فى الحصول عليه من الدولة العثمانية، وسجل اسمه فى تاريخ الشعب اليهودى.

وعد بلفور:

أصبحت أحلام الصهاينة فى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين حقيقة سياسية واقعة عام ١٩١٤ . وذلك عندما دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا. إذ بدأت بالتصفية المنتظرة للإمبراطورية العثمانية أو رجل أوربا المريض، المطالبة بالسيطرة على فلسطين من أطراف عديدة على رأسها فرنسا التى تعللت أن معظم المقاتلين فى الحروب الصليبية فى العصور الوسطى إنما خرجوا منها كما إنها ظلت قرونا تتولى دور حامى المسيحيين فى الأمبراطورية العثمانية وهو الدور الذى اعترف به الباب العالى عام ١٥٥٣ وذلك على الرغم من أن الغالبية من مسيحيى الإمبراطورية إنما كانوا يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. وفى عام ١٨٨٢ اضطرت فرنسا إلى التسليم بمصالح بريطانيا فى مصر مقابل الاحتفاظ بنفوذها فى سوريا التى كان إقليمها يشمل فلسطين. ووافقت بريطانيا على ذلك نظرا لأن أكثر ماكان يهمها هو السيطرة على قناة السويس. على أن بريطانيا مالبثت أن أحست بخطر سيطرة قوة عظمى أخرى على منطقة قريبة من قناة السويس بما قد يعرض القناة، طريقها الحيوى إلى الهند، للتهديد. ومن ثم أوضحت لفرنسا أنها لاتقبل ضم فلسطين إلى منطقة النفوذ الفرنسى فى سوريا.

ولم تكن الحركة الصهيونية عند نشوب الحرب العالمية الأولى فى ظاهرها شديدة القوة حيث كان أعضاؤها عام ١٩١٣ لا يتعدى ١٣٠ ألفاً من بين يهود العالم. ويعدونهم من الحالمين. وكانوا ضعفاء سياسيا حيث انتهى ماكان بين ١٩٠٢ـ ١٩٠٥ من صداقتهم مع بريطانيا التى كانت قد عرضت عليهم أوغندا وطنا قوميا. وكانت

فرنسا مقتنعة أن الصهاينة يعملون لحساب الألمان فى حين ناصبهم الأتراك العداء، وجدد «وايزمان» اتصالاته بالحكومة البريطانية أواخر عام ١٩١٤ عن طريق صديقه «ص.ب سكوت» محرر جريدة المانشستر جارديان. وفى يناير ١٩١٥ التقى «وايزمان» بـ «لويد جورج» وكان يرأس لجنة الذخائر ويواجه مصاعب فى إنتاج «الإسيتون» فلجأ إلى «وايزمان»، الذى عاون على إيجاد وسيلة لإنتاج الاسيتون كان لها فضل كبير فى المجهود الحربى بما اكسبه صداقة بـ «لويد جورج» الذى أصبح فيما بعد رئيسا للوزراء.

على أن نقطة التحول الحقيقية فى العلاقة البريطانية - الصهيونية إنما ترجع إلى لقاء «حاييم وايزمان» مع «أرثر جيمس بلفور» عام ١٩٠٦ . وذلك أن «بلفور» سعى للقائه لإقناعه بأن اليهود كانوا مخطئين برفضهم عرض بريطانيا بتوطين اليهود فى أوغندا. ولكن «وايزمان» نجح بالعكس فى إقناع «بلفور» أن أرض «صهيون» أى فلسطين هى الوطن القومى المناسب لليهود وكان أن أصبح «بلفور» فيما بعد صهيونيا متحمسا. فما كان بغير عونه ليصدر تصريح بلفور. وقد قال «بلفور» لـ «وايزمان» وهو وزير للخارجية فى وزارة لويد جورج بعد ذلك «إننى كنت أفكر فى محادثتنا عام ١٩٠٦، واعتقد أن المدافع حيث تتوقف فسوف تحصل على أورشليم».

وسعى وايزمان حثيثاً لتحقيق هذا الهدف عن طريق الشخصيات البريطانية البارزة مثل «هيربرت صامويل» أول يهودى يدخل عضوا فى الوزارة الإنجليزية و«والتر روتشيلد»، و«هارى ساشر». وواجهت الحركة الصهيونية معارضة من الزعامات اليهودية

فى دول كثيرة حرصا منها جتى لاتفقد حقوقها المتساوية فى هذه الدولة، وتقدم «وايزمان» ولجنته الصهيونية رغم المعارضة، بمذكرة للخارجية البريطانية فى نهاية يناير ١٩١٧ تتضمن برنامج التوطين اليهودى فى فلسطين بما يشمل من الاعتراف باليهود كقومية ومنحهم كافة الحريات المدنية والقومية والسياسية والدينية وحق شراء الأراضى والهجرة إلى فلسطين. وقد شن اليهود المعارضون للصهيونية على هذا البرنامج حملة شديدة أدت إلى تأخير صدور وعد «بلفور» كما أدت إلى مراجعة صياغته فلم يعد غير مشروط ومحدد كما كان فى صياغته قبل هذه الحملة.

وذلك أن الموضوع حين عرض على وزارة الحربية البريطانية، ألقى «ادوين مونتاج» وزير شئون الهند وهو من اليهود المعارضين للصهيونية، كلمة عنيفة ضد التصريح المزمع إصداره. وفى ١٦ أكتوبر ١٩١٧ أبرق الرئيس ويلسون إلى الحكومة البريطانية مؤيدا مضمون التصريح. وقد أدى ذلك إلى إفشال جهود اليهود المعارضين للصهيونية. وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧ أصدرت الخارجية البريطانية التصريح فى صورة خطاب موجه إلى لورد «روتشيلد».

«عزيزى اللورد «روتشيلد».

يسرنى كثيرا أن أنقل إليك، نيابة عن حكومة صاحب الجلالة، التصريح التالى بالتعاطف مع الآمال الصهيونية اليهودية الذى عرض على مجلس الوزراء وحاز موافقته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الرضا إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستستخدم كل مافى وسعها

لتسهيل تحقيق هذا الهدف على أن يكون مفهوما بوضوح أن شيئا لن يتخذ يضر بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة فى فلسطين، أو الأوضاع السياسية لليهود فى آية دولة أخرى».

وإننى أغدو ممتنا لو أحطت الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح.

المخلص

«أرثر جيمس بلفور»

وجاء وعد «بلفور» فى بداية الحملة البريطانية للسيطرة على فلسطين حيث تم تحريرها من الأتراك بعد شهر ودخل اللورد «اللينبى» القدس وكان بين قواته ثلاثة فيالق يهودية من الجيش اليهودى ضمت متطوعين من يهود أمريكا واليهود المقيمين فى فلسطين. وحسم موضوع فلسطين فى مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو عام ١٩٢٠ . وقال «لويد جورج» عند وداعه لـ «وايزمان»: «الآن حصلت على دولتك ويتوقف الأمر عليك فى كسب السباق». ووضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٢.

وكان تصريح «بلفور» نصرا دبلوماسيا حاسما لليهود فى التاريخ الحديث وكان نقطة التحول الحقيقية إذ جاء فى وقت لم يكن احد يعترف فيه بالشعب اليهودى كوحدة متميزة، كما لم تكن ثمة دولة تدعى فلسطين حيث كانت يشار إليها بالإقليم الجنوبى من سوريا. ويرجع الكثير إلى شخصية «وايزمان» الفذة وحماسه ودبلوماسيته.

أصبح «وايزمان» نتيجة لهذا الانتصار فى صدور تصريح «بلفور» زعيم اليهود بلا منازع آنئذ وقد أدرك وحاول إقناع اليهود

بأن ماتحقق من صدور تصريح «بلفور» وفرض الانتداب البريطانى على فلسطين إنما كان نجاحا للدبلوماسية وفتحا لفرصة كبيرة لن تكون لها نتيجة ما لم تستغل بواقعية وبغرض وجود فعلى فى فلسطين. فلم يصادف نجاحا كبيرا. وكرس جهوده فيما بين الحربين العالميتين لهذا الهدف حيث تيقظت القومية العربية وأصبح لها ثقلها الجغرافى والسكانى كان فى سباق مع الزمن. وقد ساعده احترام رؤساء الدول إياه ومعاملته كأنه رئيس دولة مستقلة واحترام يهود العالم وتقديرهم لشخصه.

وتطلبت العودة لأرض صهيون تطوير ثقافة قومية تتمشى مع القيم الروحية للصهيونية وكانت اللغة العبرية هى وسيلة هذا البعث الثقافى فطورها الصهاينة بحيث أصبحت لغة الأدب والتخاطب اليومى.

وكان معظم اليهود يتكلمون لغة «اليديش» ولم تكن العبرية معروفة أو مستخدمة إلا فى المعابد والمدارس، وتقرر جعلها اللغة القومية وبذلت محاولات لتطويرها فى المستوطنات الزراعية الجديدة فى فلسطين.

الفصل الثانى

يهود أمريكا والصهيونية
فى فترة الحرب العالمية الأولى

يهود أمريكا والصهيونية ١٨٩٧ـ١٩١٩:

لم تلعب الصهيونية فى أمريكا دورا كبيرا خلال السنوات العشرين التالية للمؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل». ومع ذلك فقد كانت الحركة الصهيونية مثار خلاف بين يهود أمريكا، إذ عارضها اليهود ذوو الأصل الألمانى الذين اكتسبوا ثراء واسعا، ووضعا اجتماعيا بارزا، وقدروا أن إنشاء دولة يهودية سوف يؤثر على وضع اليهود فى الدول التى يعيشون فيها. كذلك عارضتها المجموعات اليهودية اليسارية، إذ وجدت فى الصهيونية عقبة أمام التقدم الدولى، ووصفوها بأنها حركة بورجوازية ضيقة الأفق. وبرغم بعض الاستثناء من أقصى اليمين وأقصى اليسار، فإن معظم التأييد للحركة إنما جاء فى مجموعات الوسط. وشكلت جمعيات صهيونية خاصة فى نيويورك، وعند عقد مؤتمر بازل الأول فى عام ١٨٩٧ كان هناك عضو واحد عن يهود الولايات المتحدة. وفى المؤتمر الصهيونى الحادى عشر فى «فيينا» فى عام ١٩١٣ حضره أربعون عضواً من الولايات المتحدة من بين مجمل أعضائه البالغين ٥٠٠ عضو، فضلا عن ١٢ عضوا من كندا.

وقد بلغ عدد اليهود فى أمريكا فى عام ١٩٢٤ ثلاثة ملايين. وكانوا أول من قدم الدعم المالى ليهود فلسطين عند نشوب الحرب العالمية الأولى، حيث بلغ عدد يهود فلسطين ٨٥ ألفا فقط.

كما لعبت قيادات الحركة الصهيونية فى أمريكا دورا مهما فى المفاوضات التى سبقت صدور تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر١٩١٧، فقد كان تأييد الرئيس «ويلسون» لصدور التصريح بمثابة الأثر الحاسم فى حث رئيس الوزراء فى إصداره، برغم المعارضة القوية داخل بريطانيا.

يهود أمريكا فيما بين الحربين العالميتين:

دخل الاقتصاد الأمريكى فى بداية العشرينات مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، وتبوأ اليهود مراتب عالية من الثراء والمكانة الاقتصادية، خاصة فى الصناعة والمصارف. ومن ثم كان تأثير الكساد العالمي الذى بدأ عام ١٩٢٩ شديدا عليهم. وظهرت بعض اتجاهات معادية للسامية، واتهم اليهود بأنهم مسئولون عن تفكك الاقتصاد الأمريكى. وكانت هذه النزعات قوية فى الجنوب الأمريكى، لا سيما فى المناطق الزراعية التى احتوتها وسيطرت عليها المدن الكبرى وخاصة نيويورك حيث التجمعات اليهودية القوية، وذلك فضلا عن تزايد النزعات العنصرية فى الجنوب ضد الزنوج وشملت اليهود كذلك.

ودخلت أمريكا مرحلة من العزلة، ونشأت حركات قومية متطرفة مثل «الكوكلكس كلان» التى بلغ عدد أفرادها عام ١٩٢٥ أربعة ملايين كانوا يشعرون بالكراهية الشديدة ضد الزنوج والكاثوليك واليهود.

وقد حد من تدهور الوضع تطبيق «روزفلت» لسياسته الاقتصادية الجديدة الحازمة فى الثلاثينيات فأنقذت الاقتصاد الأمريكى من الانهيار.

الهروب والعودة:

كان يهود أمريكا ـ فى العقود الأولى من الهجرة ـ جيبا صغيرا، يحتفظ بأفكار ومؤسسات منفصلة عن الحياة الأمريكية. أما الآن فآمنون سياسيا، متقدمون اقتصاديا، متحدون ثقافيا. وتأثيرهم على الحياة العامة أكبر مما توضحه قوتهم العددية التى لاتتعدى ٣٪ من مجمل السكان.

وبقيام النازية فى ألمانيا بدأت المنظمات اليهودية الأمريكية تنبه الرأى العام للخطر المحدق ونظمت مظاهرات وقوطعت السلع الألمانية، وانتقل مركز الحركة الصهيونية إلى أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية. وأزداد التزام يهود أمريكا نحو يهود فلسطين. وبفضلهم أخذت الحكومة الأمريكية تبدى اهتماما متزايدا بالأوضاع السياسية فى الشرق الأوسط. ورغم مصالحها البترولية الضخمة فى المنطقة والاعتبارات السياسية، فقد اتخذت جانب تأييد إسرائيل والصهيونية. ولم تكن أصوات اليهود فى الإنتخابات هى العامل المؤثر، بل كانت هناك العوامل الإنسانية والرغبة فى المساهمة لإنقاذ اليهود والعدالة، وهو الاتجاه الذى ازداد نتيجة لما عاناه اليهود من جحيم النازية.

مستقبل يهود أمريكا.

يمثل تزايد قوة يهود أمريكا وإنشاء دولة إسرائيل العنصرية عاملين رئيسيين فى التاريخ اليهودى فى القرن العشرين، فلم يحدث

من قبل أن اكتسبت الأقلية اليهودية فى أى دولة مثل هذه القوة. وقد احترم المجتمع الأمريكى ترابط اليهود ومساندتهم لقضايا اليهود داخليا وخارجيا. ومع ذلك يبقى سؤال هو هل تحتفظ الأجيال الجديد من يهود أمريكا بشخصيتها اليهودية المتميزة، وتقاوم الذوبان فى خضم الحياة الأمريكية المتسامحة؟ وتحدد الإجابة على هذا السؤال أمورا كثيرة، من شأنها أن تؤثر على مصير اليهود وإسرائيل. فما من دليل على أن يهود أمريكا سيدخلون فى محيطهم الجديد ومتغيراته وبتأثير إنعدام خطر يتهدد بقاؤهم صحيح أن هناك بعض الخطر فى أطراف المجتمع اليهودى نتيجة للتزاوج والبعد عن الدين، غير أن الغالبية العظمى تتجه نحو التوفيق بين خاصيتهم القومية الأمريكية وذاتيتهم اليهودية المتميزة. وقد كان الخطر واليأس يدفعان اليهود فى الماضى للحفاظ على تضامنهم، أما الآن فإن الشعور بالثقة والفخر قد يؤدى إلى النتيجة نفسها. وواضح أن التأثير اليهود القوى فى أمريكا التى تمتلك قوة اقتصادية واستراتيجية، تفوق ماتوفر لأية إمبراطورية عبر التاريخ.

العالم اليهودى فى الوقت الحالى: إسرائيل ١٩٦٨:

هناك مناطق أخرى من العالم الحر لا يختلف فيها وضع اليهود كثيرا إلا من حيث العدد عن الولايات المتحدة. ففى بريطانيا يوجد حوالى نصف مليون يهودى أكثر ترابطا وتجانسا من يهود أمريكا. وفى فرنسا بدأ يهودها البالغ عددهم ٦٠٠ ألف يتخلون عن طابعهم التقليدى المحافظ، وقد حثهم موقف الرئيس الراحل «شارل ديجول» منهم على التضامن. وكان الرئيس ديجول فى خطاب ألقاه فى نوفمبر ١٩٦٧ قد ذكر أن اليهود مسئولون عما عانوه من اضطهاد

بحكم تصرفاتهم التى أثارت الآخرين عليهم. وقد أثار هذا الخطاب جدلا حادا فى فرنسا، واتهم اليهود بمعاداة السامية، وهناك كذلك مجتمعات يهودية مزدهرة فى كندا أو جنوب أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وتعد إسرائيل محورا لتضامن يهود العالم، ومازال هناك ثلاثة ملايين يهودى فى الاتحاد السوفيتى وقد تزايد اهتمام العالم الحر فى الفترة الأخيرة بأوضاعهم. وأدى الوفاق الدولى، وتزايد حجم العلاقات بين شرق أوربا وغربها إلى قدر أكبر من التحرر بعد استقلال دول شرق أوربا عن الاتحاد السوفيتى. وقد وصل عدد اليهود فى العالم بنهايات الثمانينيات إلى حوالى ٥ر٢١ مليون نسمة، منهم ١١ مليونا فى أمريكا الشمالية، ومن هؤلاء ٩ ملايين فى الولايات المتحدة، و٨٥٠ ألف فى كندا، و١٠٠ ألف فى المكسيك وجمهوريات أمريكا الوسطى.

هذا فضلا عن ٦ ملايين فى أوربا، بما فيها الاتحاد السوفيتى، حيث يعيش حوالى ٣ ملايين و فى أمريكا اللاتينية ٧١٢٧٠٠ يهودى، منهم ٤٥٠ ألف فى الأرجنتين، ١٤٠ ألفا فى البرازيل. ويبلغ عدد اليهود فى أفريقيا ٢٠٠ ألف، منهم ١١٤ ألف فى اتحاد جنوب أفريقيا. أما إسرائيل ففيها ما يقرب من ٥ر٣ مليون يهودى.

الفصل الثالث

الولايات المتحدة الأمريكية
والشرق الأوسط
أبان الحرب العالمية الأولى

أولا: الولايات المتحدة والشرق الأوسط والحرب العالمية الأولى

الدارس لتاريخ الصلات بين أمريكا والشرق الأوسط يدرك بسهولة أنه إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لا يكاد يوجد أى دور أساسى للولايات المتحدة فى سياسة الشرق الأوسط. ولعل السبب فى ذلك يعود:

أولا: إلى مبدأ «منرو» الذى كان يدعو أمريكا إلى العزلة عن المشاكل العالمية.

ثانيا: إلى أن أمريكا فى ذلك الوقت كانت تريد أن تتغلب على مشاكل الأمريكتين وخاصة تخليصهما من النفوذ البرتغالى والإسبانى. ومع ذلك فلم يمنع هذا من أن يكون لها صوت مسموع فى بعض الأمور الاقتصادية الهامة فى ذلك الوقت، فمثلا نراها عضوا فى المعاهدات الدولية كما هو الحال فى معاهدة القسطنطينية بخصوص تقرير حرية الملاحة فى قناة السويس.

ثم بدأت سياسة أمريكا التوسعية فى أواخر القرن التاسع عشر. ولعل أوضح دليل على ذلك هو خطاب أحد أعضاء مجلس الشيوخ

فى ذلك الوقت «البرت بيفردج» حيث قال سنة ١٨٩٨:

«إن المصانع الأمريكية تنتج اليوم أكثر مما يمكن أن يستهلكه الشعب الأمريكى. والتربة الأمريكية تنتج كذلك أكثر مما نستطيع أن نستهلك. ومن هنا نرى أن القدر قد رسم لنا سياستنا... إن تجارة العالم يجب أن تكن بيدنا. وليس من شك فى أننا سنستولى عليها كما علمتنا أمنا «انجلترا» أن نفعل... ولسوف ننشئ قواعد تجارية فى أرجاء العالم كله لتوزيع المنتجات الأمريكية... وسنملأ ماء المحيطات بأسطولنا التجارى، وستنهض حول مراكز تجارتنا مستعمرات كبرى تحكم نفسها بنفسها، ولكنها ترفع علمنا وتتاجر معنا.»

ومن هنا بدأ الدور الخطير الذى قامت به الولايات المتحدة وهو دور المنافسة بينها وبين دول أوربا التى كانت إلى ذلك الوقت المحتكرة الوحيدة لبلاد الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا.

ثانيا: الولايات المتحدة والشرق الأوسط بين الحربين العالميتين الأولى والثانية

وقد بدأ التسلل الحقيقى لأمريكا إلى منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى، تحت ستار شركات البترول. إذ أنه فى ذلك الوقت تبينت الولايات المتحدة أن الشرق الأوسط به ثروة بترولية ضخمة تفوق بكثيرا الآبار الأمريكية التى كانت الأحاديث تتواتر عن قرب نضوبها.

ويكفى للتدليل على ذلك أن نقرأ الفقرة التى جاءت فى كتاب «المشاكل الرئيسية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الصادر عن

هيئة الدراسات الدولية لمؤسسة «بروكنج» سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ فقد جاء فى تلك الفقرة.

«فى سنة ١٩٢٠ أثار اكتشاف مستودعات البترول الغنية فى العراق اهتماما كبيرا فى الدوائر التجارية الأمريكية بهذه المنطقة... وقد أيدت حكومة الولايات المتحدة هذه الدوائر التجارية بإصرارها على ضرورة اتباع سياسة الباب المفتوح وتطبيقها فيما يتعلق باستقلال موارد المنطقة. وأن يكون لها الحق فى الاشتراك فى أية مباحثات تدور حول امتياز البترول».

كان ذلك بمثابة نقطة البدء للمصالح الكبيرة التى تتمتع بها الولايات المتحدة الآن فى مستودعات البترول فى الشرق الأوسط.

وفى مارس سنة ١٩٢٠ طلب مجلس الشيوخ الأمريكى من رئيس الجمهورية بيانا عن القيود المفروضة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الرعايا الأمريكيين الذين يريدون استثمار أموالهم فى البحث عن البترول.

وفى مايو سنة ١٩٢٠ قدم «جون ديفيز» السفير الأمريكى احتجاج الرئيس «ولسون» إلى «اللورد كيرزون» فى مذكرة يشير فيها إلى الأثر السيء الذى أحدثته المحاولات التى تقوم بها إنجلترا فى البلاد الواقعة تحت إنتدابها لتخص شركات النفط البريطانية بامتيازات لا تتمتع بمثلها الشركات الأجنبية الآخرى. وأن الحكومة البريطانية تحاول احتكار موارد النفط فى تلك المنطقة كجزء من سياستها البترولية العامة طالبت بتطبيق مبدأ الباب المفتوح.

وانتهى الصراع بسماح بريطانيا باستغلال شركة «ستاندرد» الأمريكية لبترول الموصل وبعض المناطق الأخرى. وسحبت

الولايات المتحدة إثر الاتفاق تأييدها لتركيا فى التمسك بامتيازها القديم فى الموصل وأيدت مطالب الدول الغربية فى تنازل تركيا عن حقوقها فى ولاية الموصل وضمها إلى العراق تحت الانتداب البريطانى بمقتضى خط «بروكس» الذى وصف فى بعض المحافل السياسية بأنه كان ضغطا استعماريا على حكومة «أتاتورك».

ثم اضطرت شركة البترول الأنجلو إيرانية إلى أن تبيع نصف حصتها من الأسهم فى شركة البترول التركية (وهو ما يبلغ ٢٥٪ من مجموع الأسهم) إلى إتحاد الشرق الأدنى الذى يمثل مجموعة الشركات الأمريكية: (بان أميريكان - ستاندرد أوف نيويورك، استاندرد اوف نيوجرسى، تكرير الأطلنطى، البترول والنقل، اتحاد بترول الخليج)

وفى سنة ١٩٢١ منحت حكومة إيران امتياز التنقيب عن البترول فى شمال إيران لشركة (استاندرد). لكن الحكومة البريطانية احتجت بسبق شراء حق الامتياز من رجل روسى حصل عليه قبل الثورة الروسية.

وهنا بدأت المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ترتطم مع مصالح دول الاستعمار القديم فى المنطقة وخاصة بريطانيا. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تظاهرت أولا بمساندتها لشعوب الشرق الأوسط فى تقرير مصيرها وتخفيف الضغط الاستعمارى عنها عندما أعلن الرئيس «ويلسون» مبادئه الأربعة عشر، فإن حرص أمريكا على مصالحها دعاها أخيرا إلى تجاهل حقوق هذه الشعوب. وقد بدا ذلك واضحا حينما وافقت أمريكا على الوصاية والانتداب والاحتلال البريطانى الفرنسى الإيطالى لبلاد الشرق الأوسط.

وهكذا بدأ نفوذ الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط فى أوائل القرن العشرين تحت المظاهر الاقتصادية سواء بالقيام مقام النفوذ الاستعمارى القديم أو بالمشاركة معه ثم ما لبث أن تعمق وتغلغل وبدأ - بحكم التطور - ينفذ إلى النواحى السياسية وخاصة بعد أن انهكت الحرب العالمية الأولى الامبراطوريات الأوربية ودخلت الولايات المتحدة مشاركة دول الاتحاد بزعامة الحكومة البريطانية وثبتت أقدامها فى منطقة الشرق الأوسط الحيوية . اقتصاديا وسياسيا .

الفصل الرابع

الصهيونية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية اليهودية فى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى

نظرة تاريخية: الصهيونية والمؤسسات اليهودية في أمريكا

يرجع تاريخ قدوم اليهود إلى الولايات المتحدة إلى تاريخ اكتشاف القارة نفسها، وكان معظم هؤلاء اليهود من الأسبان والبرتغاليين من طائفة (MARRANOS) وكانوا دائمى التجوال سعيا وراء فرص الكسب والإثراء حتى بدءوا فى الاستقرار فى مناطق معينة فى أوائل القرن السابع عشر. وقد أمكن الاستدلال على أن اليهود أقاموا فى ولاية ميريلاند فى عام ١٦٣٢ وفى ولاية (ماساشوستس) فى عام ١٦٤٩، وفى نيوامستردام التى أصبحت (نيويورك) فيما بعد - فى عام ١٦٥٤، ثم أخذوا بعد ذلك، فى الانتشار فى باقى الولايات المتحدة الأمريكية مثل (رود أيلند وكونكتيكت ونيوجرسى وبنسلفانيا) وباقى الولايات الأخرى.

وما أن استقر لهم المقام فى الولايات المتحدة حتى أخذوا فى مزاولة التجارة ولم يفت من عضدهم تحريم اشتغالهم فى تجارة التجزئة فقد استطاعوا تحقيق ارباح طائلة وسريعة عن طريق تجارة الجملة، وعملوا بمختلف الوسائل على إلغاء الحظر وسمح لهم بالقيام بتجارة التجزئة بعد أن كبر نفوذهم لدى مختلف الأوساط والمجالات التجارية والمالية والدعائية التى استغلوها فى التأثير على الشخصيات

الأمريكية الكبيرة لتحقيق مآربهم. وقد تنبه إلى هذا التغلغل بعض الأمريكيين المتحررين مثل:

(أ) (بنيامين فرانكلين) أحد أبطال حرب الاستقلال الأمريكية، إذ قال فى خطاب له فى عام ١٧٨٩: «هناك خطر جسيم تتعرض له الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الخطر. أن اليهود خطر على هذه البلاد، فإذا دخلوها حاق الخطر بدستورها، فيجب إذن أقصاؤهم عنها».

(ب) كما كتب جيمس فورستال الذى كان وزيرا للدفاع فى عدة مذكرات له ما ينم عن خوفه على مستقبل أمريكا لنمو الصهيونية فيها.

٢ ـ وقد استطاع اليهود منذ أول قدومهم إلى الولايات المتحدة نظرا لخبرتهم فى ميدان التجارة والمال أن يكونوا لأنفسهم جالية يهودية وصل عددها عام ١٩٦٧ إلى٥٫٧١٠٫٠٠٠ منهم ٢٫٣٨١٫٠٠٠ يعيشون فى مدينة (نيويورك) وضواحيها وبالرغم من ضآلة عددهم بالنسبة إلى مجموع السكان فى الولايات المتحدة إذ تبلغ نسبتهم حوالى ٣٪ من مجموع السكان إلا أن نفوذهم يرجع إلى تمركزهم فى الأماكن الحساسة فهم يمثلون ٢٠٪ من رجال المال، ١٠٪ من المحامين، ١٠٪ من الطلبه.

وتبلغ كثافة اليهود فى الولايات الشرقية والشمالية أكثر منها فى الولايات الجنوبية والغربية ففى عام ١٩٦٣ مثلا بلغ تعداد اليهود فى الولايات الشمالية والشرقية حوالى ٣٫٧ مليون وفى الولايات الشمالية حولى ٧٦٠ ألفاً وفى الولايات الجنوبية ٦٤٠ ألفاً وفى الولايات الغربية حوالى ٥٠٠ ألف. ومن أشهر الولايات التى يوجد بها اليهود بأعداد تزيد عن ١٠٠ ألف ما يلى:

- (نيويورك): يبلغ تعداد اليهود فيها - فى عام ١٩٦٣ - مايزيد على ٥ر٢ مليون يهودى كان منهم فى مدينة نيويورك وحدها مايزيد عن ٨ر١ مليون.

- (كاليفورنيا): بلغ تعداد اليهود فيها فى نفس العام حوالى ٥٧٠ ألف يهودى.

- (بنسلفانيا): بلغ تعداد اليهود فيها حوالى ٤٤٠ ألف يهودى.

- (نيوجرسى): بلغ تعداد اليهود فيها حوالى ٣٥٠ ألف يهودى.

- (ماساشوستس): بلغ تعدا اليهود فيها حوالى ٢٣٠ ألف يهودى.

- (أوهايو): وتعداد اليهود فيها حوالى ١٦٠ ألف يهودى.

- (فلوريدا): وتعداد اليهود فيها حوالى ١٢٥ ألف يهودى.

(ميريلاند): وتعداد اليهود فيها حوالى ١٢٠ ألف يهودى.

- (كونكتيكت): وتعداد اليهود فيها حوالى ١٠٠ ألف يهودى.

الأساليب التى أتبعها اليهود فى تقوية نفوذهم كجماعة ضغط فعاله:

٣ - اتبع اليهود فى الولايات المتحدة عدة أساليب تستهدف أولا التغلغل فى مراكز السلطة والنفوذ استفادة بما لديهم من إمكانيات مادية لها وزنها فى المجتمع الرأسمالى الأمريكى وما توافر لهم من كفاءات بشرية فى مجال العلوم الإنسانية والتكنولوجيا فضلا عن خبراتهم الواسعة فى مجالات الدعاية التى اتخذت فى حقيقتها شكلا آخر من أشكال المهارة فى فن التسويق والبيع وإن كان قد انتقل إلى حيز الأشخاص والآراء والمواقف.

ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال أسلوبين أساسيين اتبعتهما العناصر اليهودية الصهيونية فى الولايات المتحدة للتغلغل وتقوية ركائزها فى الداخل كأساس لمد العون والمساندة لإسرائيل:

(أ) استغلال فكرة الاضطهاد الذى عانى منه اليهود وفى أوربا بوجه خاص بشكل استجدائى فى أول الأمر ثم أخذ هذا الأسلوب يتطور بمرور الوقت كلما قويت شوكة اليهود فى الولايات المتحدة حتى اصطبغ فى الوقت الحالى بصبغة التهديد لمن يعارضهم بالانحرافات النازية وبالمعاداة للسامية.

(ب) إيجاد تنظيم قوى ينظم حوالى ٣٠٠ جمعية فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة يتخذ مظهرا خيريا وهو فى حقيقته يستهدف التمكين لليهود والقضاء على أية ميول أو اتجاهات معارضة لهم ثم تنسيق جمع وتدفق الأموال فى صورة معونات وقروض لإسرائيل.

٤ - وقد تمثلت أبرز الجمعيات الصهيونية فى الولايات المتحدة فيما يلى:

أ- جمعية (بناى بريث B,NAI BIRTH): تأسست عام ١٨٤٣ برئاسة «هنرى جونز» ومقرها نيويورك وكانت أغراضها فى أول الأمر ثقافية واجتماعية وخيرية ليهود الولايات المتحدة ولها فى أمريكا وكندا ما يزيد على ٤٠٠ فرع وكان اسمها فى أول الأمر BUNDES BRUEDERوهو أسم المانى معناه (الأخوه المتحدين) وهو يدل على أن مؤسسيها كانوا فى أول الأمر من الألمان الذين

هاجروا من ألمانيا عقب حملات الاضطهاد التى تعرضوا لها. على أن النفوذ الألمانى الأول فى الجمعية أخذ يضمحل حتى تلاشى فى الوقت الحاضر. وقد أصبح المقر الرئيسى لها حاليا فى مدينة (واشنجتون) العاصمة وهى تعقد اجتماعات دورية يدعى رؤساء الجمهورية فى العادة لإلقاء كلمات سياسية فيها.

(ب) (المجلس القومى لرفاهية اليهود

NATIONAL JEWIS WELFARE BOARD

أسس عام ١٩١٧ بهدف خدمة المراكز الاجتماعية للجالية اليهودية ويمتد نشاطه إلى اليهود فى القوات المسلحة الأمريكية فيقدم لهم الخدمات الدينية والمساعدات والهدايا فى المستشفيات، ويشرف المجلس على مجلس الكتاب اليهودى والمجلس القومى اليهودى للموسيقى والمكتب الأوربى اليهودى.

(جـ) منظمة الجباية اليهودية الموحدة

UNITED JEWISH APPEAL

أسست عام ١٩٣٩ وغرضها جمع الأموال «للجنة الأمريكية اليهودية المتحدة» لتوزيع الخدمة لليهود الأمريكيين وهى تعمل بالتعاون مع «جمعية النداء الإسرائيلى الموحد .U.J.A»و«جمعية نيويورك للأمريكيين الجددN.Y.A.N.A» ومركزها الرئيسى فى مدينة نيويورك.

(د) المؤتمر اليهودى العالمى

WORLD JEWISHCON GRESS

أسس عام ١٩٣٦ وكان يرأسه «ناحوم جولد مان»، أغراضه

المطالبة بحقوق اليهود فى جميع دول العالم والحصول عليها ولرعاية أحوال اليهود فى هذه الدول ـ ومجتمعاتهم عن طريق القيام بمجهود عالمى فى إطار حقوق الإنسان. ويقوم المؤتمر اليهودى العالمى بتمثيل بعض المنظمات اليهودية الأخرى أمام الأمم المتحدة ومنظمة الدول الأمريكية والمجلس الأوربى واليونسكو وبعض الهيئات الهامة فى المسائل التى تهم الشعب اليهودى بصفة عامة. ومركزه فى الولايات المتحدة فى مدينة نيويورك.

(هـ) جمعية محاربة التشهير باليهود

ANTI - DEFAMATTON LEAGUE

أسست عام ١٩١٣ وهى فرع من جمعية بناى بريث. أغراضها محاربة معاداة السامية وتحقيق العدالة للأفراد وتعتمد الجمعية فى عملها على الدعاية المثيرة لاستدرار العطف على اليهود لما لا قوه من اضطهاد فى الماضى كما تعمل أيضا على كبت وإخماد جميع المعارضات الأمريكية ضد اليهود وفى سبيل ذلك أعدت الجمعية جهازا سريا يتولى فرض رقابة على الخطب العامة وقاعات المحاضرات ـ والناشرين ومنتجى الأفلام والأحزاب السياسية والأندية. مقرها نيويورك.

(و) المنظمة الصهيونية العالمية

WORLD ZIONIST ORGANIZTION

أسست عام ١٨٩٧ وكان يرأسها «ناحوم جولد مان». وتعتبر هذه المنظمة تجسيدا للحركة الصهيونية العالمية ولها فروع فى معظم الدول، كما تساندها الجاليات اليهودية فى العالم وتقوم هذه المنظمة بنشاط خطير فى الولايات المتحدة لدرجة أنها تتلاعب بالقوانين

الأمريكية، كما جاء فى تقرير أعدته لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى إذ أشار إلى «أن هذه المنظمة تتلاعب بالقانون الأمريكى وهى مسجلة كمنظمة تابعة لدولة أجنبية وعلى ذلك فيتعين عليها تقديم بيان بنشاط المنظمات التى تخضع لها ومجالات توزيع أموالها وأسماء الأشخاص الذين يتعاملون معها إلى وزارة العدل الأمريكية من أجل حماية الدولة وسلامتها».

إلا أن المنظمة وجدت حلا للتهرب من تطبيق القانون بأن أنشأت منظمات صهيونية محلية أمريكية يشرف عليها المجلس الصهيونى الأمريكى كحلقة اتصال بينها وبين هذه المنظمات.

ز- عديد من المنظمات الفرعية مثل «الهاداساه» أى منظمة النساء الصهيونية الأمريكية
Hadaass, Woman,S ZionIst OrganizatIon Of America ومقرها مدينة نيويورك. وجمعية الشباب الصهيونى الأمريكى (American Zionist Youth ومقرها نيويورك)، (ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى) -Conference Of Presidents Of major Jewish Or Ganiza Tionsومقره فى مدينة نيويورك، (والصندوق القومى اليهودى Jewish Nattonal Fund (ومنظمة الطلبة الصهيونية -Stu Dent Zionist Orgaaization ومقرها نيويورك.

التعليق

على المرحلة الأولى

للصهيونية

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

التعليق

يكشف المؤرخون في معرض سردهم لتطور المجتمعات اليهودية في أوربا، عن تصور صهيوني متعصب، يستند أساسا إلى تميز اليهود عن غيرهم وضرورة حفاظهم على كيانهم الاجتماعي والثقافي والديني، بل والسياسي داخل المجتمعات التي يقيمون وسطها. وهم يوضحون أنه في فترات المساواة الدينية، كان اليهود يحتفظون بوضعهم المستقل المنعزل، ومن ثم لم يكن الجيتو والاضطهاد وسيلة للانتقام فرضت على اليهود، وإنما كان ترتيبا تمسك به اليهود أنفسهم مقاومة للاندماج والذوبان.

وكان ذلك في حقيقة الأمر سببا مهما لنمو الإحساس العام بالنفور تجاههم من جانب المسيحية الأوربية الغالبة، حيث كانوا يمثلون داخل الجيتو دولة داخل الدولة، لها قوانينها وأسلوب حياتها.

كما يكشف تحليل المؤرخين عن هذه الحقيقة بين السطور وهي التي تكذب مزاعم اليهود عن أنهم اضطروا للانعزال في مواجهة الاضطهاد الديني والعنصري، والتفكير نحو جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. فالحركة الصهيونية لم تكن تستقطب حينئذ أي تأييد

عام فعال فى غرب أوربا، وهو مايؤكده ميل زعيمها «تيدور هرتزل» إلى قبول وطن بديل فى أوغندا مثلا، بمعنى أن الحركة الصهيونية ـ فى بدايتها ـ كانت واضحة من حيث الحصول على وطن قومى يجمع اليهود، ولكنها لم تكن مجمعة على اختيار فلسطين، مما يؤكد أن الحركة الصهيونية فى بدئها كانت محدودة التأثير.

والدليل على ذلك، أن المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل ـ والذى انعقد فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ـ لم يحضره سوى ١٩٧ مندوبا، الأمر الذى يؤكد أن «هرتزل» فشل فى إقناع الزعامات اليهودية بحركته.

ويذكر المؤرخون الغربيون، أن الأساليب التى اتبعها «هرتزل» فى إغراء سلطان تركيا للسماح لليهود بالاستيطان فى فلسطين توضح مدى انتهازية الزعامة الصهيونية، وعدم تورعها عن اللجوء للرشاوى والابتزاز السياسى للوصول لهدفها.

كما أشار المؤرخون الغربيون واليهود إلى جوانب صراع اليهود مع غيرهم، وأن هذا الصراع قد بلغ حدته مع نمو الحركات القومية الأوربية. ففى أثناء نمو الحركة القومية الألمانية التى تزعمها «بسمارك »عام ١٨٧١ ـ شب الصراع مع اليهود. إذ كانوا لايعتبرون أنفسهم فى إطار القومية الألمانية مع حملهم الجنسية الألمانية، وإنما كانوا يتصورون أنهم قومية منفصلة، ومن ثم لم يكن ثمة مناص من الصدام بين الطرفين.

وكانت هذه هى نفسها مشكلة اليهود فى البرتغال وأسبانيا، حيث انتهى الأمر إلى طردهم من البلدين خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر.

أما عن تركيب اليهود فى أمريكا - والذى كان له أثر كبير فى ارتباط اليهود الأمريكيين بإسرائيل فيما بعد - فإن غالبية المهاجرين اليهود منهم قد قدموا من شرق أوريا، حيث يغلب عليهم الاتجاه الدينى المتزمت، ومن ثم قاوموا الاندماج فى المجتمع الجديد، واحتفظوا بتقاليدهم الدينية والاجتماعية، وانتشروا فى المدن الأمريكية يعملون فيما يتصل بحياة المواطن الأمريكى فى تجارة التجزئة والصناعات الصغيرة والمهن الحرة.

وكان أساس تمسكهم بدينهم وتقاليدهم إنما يرجع - فى الأساس - إلى أن أوضاعهم فى شرق أوريا كانت أتعس حالا، ومن ثم يجد المرء فى هذه الظروف الصعبة ملاذا بالتمسك بما له من جذور تتمثل فى الدين وتقاليده، فضلا عن التعلق بالنظريات السياسية العنصرية التى ترسم له آمالا يتعلق بها فى المستقبل. الأمر الذى جعل يهود شرق أوريا أشد تمسكا وانسياقا وراء الفكرة الصهيونية وكل تفريعاتها المذهبية المتطرفة.

وبظهور «هرتزل» ورواده الأول - وعلى رأسهم «بن جوريون» - يتبين مدى ما توفر لدى الزعامة الصهيونية من دأب ومثابرة على تحقيق حلم الصهيونية فى السيطرة على فلسطين، والتماسهم كافة الوسائل التى تساعدهم على ذلك، مع استغلال جميع الفرص المتاحة، والتنسيق المحكم بين قياداتهم البارزة فى مختلف دول غرب أوريا والولايات المتحدة فى زمن فرض فيه القهر العثمانى سياجا من التخلف والعزلة على العالم العربى، بما مكن تيدور هرتزل ورواده الأول من غلاة الصهاينة من خلق الشعور لدى زعماء العالم الغربى بأن فلسطين مخلخلة السكان، ومدمرة الاقتصاد، وأن شعبها العربى لا حول له ولا قوة، وأن اليهود وحدهم هم القادرون على إنعاشها وتحويلها إلى مركز إشعاع حضارى ودينى.

المرحلة الثانية للصهيونية العالمية ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠

القسم الحادى عشر

أولا:

عقد الإنجازات

(١٩٢٠ ـ ١٩٣٠)

ثانيا:

عقد الخلافات

(١٩٣٠ ـ ١٩٤٠)

الفصل الأول:

مؤتمر السلام فى باريس

الفصل الثانى:

أوضاع العرب واليهود فى فلسطين
بعد مؤتمر السلام عام ١٩٢٠

الفصل الثالث:

النشاط الصهيونى داخل فلسطين
وخارجها بقيادة «بن جوريون»

مقدمة

المرحلة الثانية للنشاط الصهيونى في ظل الأنتداب البريطانى .

١ ـ عقد الوفاق والإنجازات (١٩٢٠ ـ ١٩٣٠)

٢ ـ عقد الخلافات (١٩٣٠ ـ ١٩٤٠)

المرحلة الثانية

تميزت المرحلة الثانية للنشاط الصهيونى التى بدأت فى ظل الأنتداب البريطانى عام ١٩٢٠، بعقد كامل من «الوفاق»، حققت فيه الصهيونية أهم إنجازاتها الأساسية التى بواسطتها مهدت الطريق لقيام الدولة الصهيونية. ففى غضون عشر سنوات وتحت الحماية البريطانية، تمكن «بن جوريون» من إرساء دعائم الدولة الصهيونية - فكون «الهستدروت» و «الهاجاناه» وحزب «الماباى» - الركيزة المثلثة - قاعدة دولة إسرائيل حتى يومنا هذا.

وقد اعترى العقد الثانى من الأنتداب البريطانى فى فلسطين العديد من الخلافات التى نشبت بين الصهيونية بقيادة «بن جوريون»، وحكومة المحافظين البريطانية، وكان أهم أسباب هذه الخلافات تعدد لجان الاستقصاء (لجنة بيل) والخلاف الحاد الذى أثار حفيظة الزعماء الصهيونيين عندما أصدرت بريطانيا «الكتاب الأبيض» الذى قيد هجرة اليهود، وخلافه من قيود تحد من النشاط الصهيونى فى فلسطين.

الفصل الأول

مؤتمر السلام فى باريس

الفصل الأول

مؤتمر السلام فى باريس

حدد مؤتمر السلام الشكل الجديد لأوربا وسيطر عليه كل من «كليمنصو» عن فرنسا، و «لويد جورج» عن إنجلترا، و «ودرو ويلسون» عن الولايات المتحدة. وأعلن الرئيس الأمريكى «ويلسون» مبادئه الأربعة عشر التى تضمنت نظرية حق تقرير المصير للشعوب، ونادى بإنشاء عصبة الأمم. واستقلت تسع دول جديدة فى أوربا هى: «فنلندا، ولتفيا، واستونيا، وليتوانيا، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، والنمسا، والمجر». وصاحب ذلك ضم قوميات ألمانية ونمساوية إلى الدول الجديدة وهو ما أدى إلى الأزمة التى فجرت الحرب العالمية الثانية.

وقد زادت الحاجة مع نشأة الدول الجديدة إلى ضمانات للأقليات التى كان أكثرها إصرارا وسعيا هى الأقلية اليهودية عن طريق وفدهم إلى (مؤتمر الصلح فى باريس). وكان من تسعة أفراد يرأسهم كل من القاضى «جوليان ماك»، والحاخام «ستيفن وايز»، و «لويس مارشال» عن المؤتمر اليهودى الأمريكى وأعضاء آخرون عن يهود

فرنسا وإنجلترا، وكذلك بعث يهود أكرانيا وبولندا والمجر بمطالبهم إلى المؤتمر. وطالب يهود أوكرانيا المؤتمر بالأعتراف بأمة يهودية محددة تنضم لعصبة الأمم كما طالبوا بجعل فلسطين مركزا لليهود.

وكانت قد نشأت خلافات حادة فيما بين يهود شرق أوربا من المطالبين بقومية منفصلة وبين من يعارضهم من يهود غرب أوربا اكتفاء بضمان حقوق اليهود وحصولهم على نصيب يعادل قوتهم العددية فى الأجهزة التشريعية والتنفيذية فى دولهم. ومن ثم قدم كل من الطرفين مطالب منفصلة لمؤتمر السلام على أن الطرفين توصلا إلى تفاهم بعدم اتخاذ موقف العداء الصريح من المقترحات التى يتقدم بها أيهما للمؤتمر.

ولم يقتنع الوفد اليهودى بما اقترحه الرئيس «ويلسون» فى مطلع عام ١٩١٩ من الأعتراف بالأقليات وتوفير ضمانات لهم بالمساواة فى المعاملة للجماعات الدينية والقومية. وباشروا اتصالاتهم مع الشخصيات البارزة فى أمريكا وقدموا مذكرة للرئيس «ويلسون» فى مارس ١٩١٩ . وقد سجل الرئيس «ويلسون» فى رده على المذكرة موافقته على مطالب اليهود فيما يتعلق بفلسطين، غير أن رده كان غامضا فيما يتعلق بحقوقهم القومية فى شرق أوربا مكتفيا بتأكيد تعاطفه مع مبدأ حق الشعب اليهودى فى وضع متساو فى أى مكان.

ونجح الوفد اليهودى فى تضمين الاتفاقيات الخاصة بإنشاء الدول الجديدة تأكيدا للحقوق المدنية والسياسية والدينية المتساوية لليهود. على أن يهود شرق أوربا لم يتمكنوا من تحقيق أمانيهم فى إقامة قومية منفصلة لليهود لمعارضة يهود غرب أوربا.

ضياع حقوق الأقليات:

على أن حقوق الأقليات بضمان عصبة الأمم التى أقرتها اتفاقيات إنشاء الدول الجديدة، مالبثت أن تقلصت. إذ اتفقت الأحزاب السياسية على أنه لامكان للملايين الثلاثة من اليهود، ففى بولندا ورومانيا والمجر حيث عمت هذه الدول نزعات قومية متطرفة تحت سيطرة الأغلبية السائدة، ولذلك فقد ساد الفقر والمرارة والحقد وضعف النظم الديمقراطية وسوء وضعها الأقتصادى بعد الحرب، وحملوا اليهود مسئولية كل هذه النتائج.

تعليق:

حقيقة النشاط الصهيونى فى بريطانيا بصفة خاصة قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها حين كانت بريطانيا العظمى إمبراطورية لاتغيب عنها الشمس. ومن ثم فقد ركز زعماء الحركة الصهيونية على اكتساب تأييدها. ومن خلال الاتصالات الشخصية والضغوط الدبلوماسية حققوا أول نصر للصهيونية التى لم يكن يسايرها من اليهود أنفسهم سوى ١٣٠ ألفا. وكان وعد «بلفور» نصرا للدبلوماسية الصهيونية، وقد أغفلت بريطانيا بالطبع الدور الذى قام به العرب إلى جانبها فى الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى التى تزعمها «الشريف حسين» شريف مكة واشترك فيها مناضلون من الشام والحجاز بقيادة ابنه «الأمير فيصل» والتعهدات التى قطعتها بريطانيا على نفسها فى مراسلات الشريف «حسين ـ مكماهون» إذ أكد خلالها «الشريف حسين» أن هدف الثورة هو استقلال كافة الأراضى العربية ووحدتها مع إعطاء الحريات الدينية للأقليات

وخاصة المسيحيين فى لبنان واليهود فى فلسطين. إلا أن سير الأحداث التى سبقت وعد «بلفور» بالأسلوب الذى اتبعه «وايزمان» وغلاة الصهاينة فى بريطانيا وأمريكا، وخاصة مع الرئيس الأمريكى «ويلسون» الذى أيد أطماع الصهاينة برغم تناقضها الصريح مع «مبادئه الأربعة عشر» حول حق الشعوب فى تقرير مصيرها وتحررها من السيطرة الأجنبية، وربما رجع ذلك أساسا إلى نجاح الزعماء الصهاينة فى إقناع المسئولين الأمريكيين بأن «فلسطين أرض بلا شعب واليهود شعب بلا وطن» .

الفصل الثانى

أوضاع العرب واليهود فى فلسطين بعد مؤتمر السلام عام ١٩٢٠

الفصل الثاني

أوضاع العرب واليهود فى فلسطين بعد مؤتمر السلام ١٩٢٠.

رحب يهود العالم «بتصريح بلفور» واعتبروه «الماجناكارتا» "Mgna Carta" ، وقال «وايزمان» مخاطبا اليهود بأنه لاسبيل إلى إنشاء دولة بتصريح أو قرار، وأن على اليهود أن يهاجروا إلى فلسطين ويخلقوا واقع الدولة اليهودية بأنفسهم، وبرغم ضعف الإمكانيات المادية اللازمة فقد زاد عدد اليهود فى فلسطين من ٥٥ ألفا فى نهاية الحرب العالمية الأولى إلى ٤٥٠ ألفا فى عام ١٩٣٩.

وتصدرت فترة بناء الوطن اليهودى جماعات من الرواد الصهيونيين تميزوا بإنكار الذات، والتقشف، والزهد. فعملوا بجد على تمهيد الأرض لاستقبال الوافدين الجدد. وتعاقبت موجات الهجرة، وكان أهمها الموجة الرابعة عام ١٩٢٥ حيث وفد من بولندا فجأة ٣٠ ألف مهاجر نصفهم أو كلهم تقريبا من الطبقة المتوسطة الهاربة من

الأضطهاد. واجهوا مصاعب اقتصادية كثيرة وهبطت همم الكثيرين منهم، حيث كان عبء التطور يومئذ يقع على كاهل الفلاح والعامل. على أن هذه المشكلة مالبثت أن قضى عليها عام ١٩٢٨ حيث أنشئت مصانع جديدة استوعبت عددا كبيرا من العمال وتطور المجتمع ثقافيا وسياسيا على أسس ديمقراطية. وكان «وايزمان» يحلم منذ البداية بإنشاء جامعة عبرية وضع حجر الأساس لها بالفعل فى يوليو عام ١٩١٨ بحضور «الجنرال اللينبى» وممثلين عن القوات المتحالفة، والزعامات الإسلامية والمسيحية واليهودية فى القدس. وافتتحت الجامعة رسميا فى عام ١٩٢٥. وألقى «اللورد بلفور» خطاب افتتاحها، وعدت رمزا للبعث القومى لليهود.

وعلى شواطئ البحر المتوسط نمت «تل أبيب» التى أنشئت عام ١٩٠٩ ضاحية لمدينة «يافا». وأصبحت عصب الأمة الجديدة. وبدأت عام ١٩٣٢ الموجة الخامسة للهجرة التى ضمت عشرات الآلاف من يهود ألمانيا الذين دفعهم الأضطهاد إلى تغيير موقفهم الثابت المعارض للصهيونية وكانوا من نوع واحد تعود على مستوى متطور من الحياة ومن ثم كانت مشكلتهم أكبر فى التواؤم مع الظروف الجديدة الصعبة فى فلسطين.

والخلاصة: أن المجتمع اليهودى فى فلسطين خلال الأعوام العشرين من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ قد تطور على أسس مستقلة وأصبحت له مدارسه وخدماته الصحية ومنظماته العمالية ونظامه الدفاعى ولم يكن أمام بريطانيا «دولة الأنتداب» إلاّ أن تعترف بهذا الواقع داخل الدولة التى

لم يكن ينقصها سوى الاستقلال السياسى. ولم يكن الصهاينة فى عجلة من أمرهم مادامت الهجرة مستمرة ولاتوضع أمامها عقبات، ومادام التوسع مستمرا فى ظل الأنتداب. على أن زعماء اليهود بدأوا ينظرون بقلق إلى تزايد قوة حركة القومية العربية.

بدايات تطور القومية العربية:

قامت إسرائيل فى منطقة سجلت فيها فكرة القومية نجاحا قياسيا خلال هذا القرن، فمنذ ٥٠ سنة كان كل عربى وكل المسلمين تقريبا يخضعون؛ إمّا لحكم الإمبراطورية العثمانية أو الدول الاستعمارية الأخرى، وقد حدث الآن تحول كبير حيث تقوم جميع الدول العربية المستقلة التى تغطى مساحة ضخمة تصل إلى أربعة ملايين ميل مربع وتضم المراكز التقليدية للحضارة الإسلامية وأصبحت كل من القاهرة وبغداد ودمشق المراكز السابقة للخلافة الإسلامية ومكة والمدينة مقر الرحاب الإسلامية المقدسة، عواصم لدول مستقلة ذات سيادة. ولم يتحقق ذلك للعرب نتيجة تضحيات وجهود بذلوها بقدر ماتحقق نتيجة للآثار الدولية المترتبة على حربين عالميتين وتزايد العطف الدولى على قضايا التحرير القومى.

وقد حققت الشعوب العربية، الشئ الكثير بسرعة كبيرة. إذ ظلت المنطقة التى كانت مهدا للحضارة معزولة تماما عن أفكار الثورة الفرنسية والثورة الصناعية حيث تحمل المسئولية فى ذلك الدول

الإستعمارية فى الغرب وهو مايسوغ ما أحس به العرب تجاه الغرب فى العصر الحديث من مرارة.

وقد بدأت الجماعات القومية العربية خلال السنوات العشر السابقة على الحرب العالمية الأولى، حين وصلت الإمبراطورية العثمانية إلى حالة من التفكك التام، تطالب ببعث أمتها. ووجدوا - شأنهم شأن غيرهم - أن لبريطانيا دور السيطرة المقبلة على المنطقة، فسعوا إلى الحصول على وعود بالتحرير تتحقق بعد الحرب، وفى عام ١٩٢١ نصب «فيصل» ملكا عربيا للعراق كما نصب «أخوه» أميرا لشرق الأردن وأصبحت أراضى الحجاز مركزا للمملكة العربية السعودية، وكانت هناك اتصالات بين بريطانيا والعرب قبل الحرب العالمية الأولى على نطاق محدود، وكانت بريطانيا حريصة على اشتراك العرب ضد الأتراك، وكان «الشريف حسين» مترددا غير أن مفاوضات جرت بين بريطانيا وبينه عن طريق السير «هنرى مكماهون» المندوب السامى البريطانى فى القاهرة، وكانت فلسطين مستثناه منها كما أكد السير «مكما هون»، وذلك رغم تكرار ادعاء العرب بعد ذلك من استنكار تخلى بريطانيا عن وعودها لهم بشأن فلسطين.

وعندما جاء الصليبيون إلى بر الشام ومصر كانت الدوافع دينية مسيحية وسياسية أوربية واقتصادية، والأتفاق مع «الشريف حسين» أمير مكة كان استقلال البلاد العربية حتى جبال طوروس، ولكن ذلك الوعد أو الاتفاق لم يحترم، وحل محله اتفاق «سايكس بيكو» وتقسيم المنطقة إلى مناطق احتلال.

مغالطات صهيونية:

ويذكر المؤرخون اليهود أنه تم اتصال بين «حاييم وايزمان» فى عام ١٩١٨ ،والأمير فيصل ملك سوريا ،للتوصل إلى تفاهم معه، وتم بينهما لقاء فى العقبة وهو اللقاء الذى أدى إلى أول تفاهم مسجل حتى الآن بين زعيم عربى وزعيم صهيونى، وقد هنأت المنظمة الصهيونية العالمية الأمير «فيصل» على تتويجه ملكا لسوريا فى نوفمبر، وأصدر «فيصل» بيانا نشرته جريدة التايمز البريطانية فى ١٢ ديسمبر ١٩١٨ أكد فيه تفاهم طرفى الأسرة السامية العرب واليهود وتعاونهما لتحقيق أهدافهما القومية.

ولم يتحقق للعرب استقلال بلادهم، وسيطرت بريطانيا على العراق وطردت فرنسا «فيصل» من دمشق، وجاء شعار الوحدة العربية من الخليج إلى المحيط، ومن بغداد إلى تطوان فى المغرب، واتخذت القومية العربية موقف المطالبة بالتحرير الكامل لسوريا بما فيها فلسطين، وبالمقاومة الشاملة لفكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وسيطرت على فلسطين مجموعات من الأسر القومية على رأسها «الحاج أمين الحسينى» مفتى القدس ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى، واتفقت جميعا على المطالبة بالتخلى عن فكرة الوطن القومى لليهود؛ وإلغاء «تصريح بلفور» وعارضوا بيع الأراضى لليهود، وعند ذلك التاريخ تجدد خط الصراع بين القومية العربية والصهيونية.

العلاقات البريطانية اليهودية (١٩٢٠ ـ ١٩٣٩):

بدأ تدهور العلاقات بين بريطانيا والصهاينة داخل فلسطين فى

فترة مابعد الحرب العالمية الأولى، لما كانت السلطات البريطانية فى فلسطين كانت تتجاهل فى بعض الأحيان «تصريح بلفور» ونصوص الأنتداب ومع ذلك عول زعماء الصهيونية على استمرار روابطهم مع بريطانيا باعتبار ذلك أفضل ضمان لتطور الوطن القومى اليهودى، الا أن العلاقات الصهيونية البريطانية استمرت فى التدهور فى العقد الثالث حتى وصلت إلى مايقرب من القطيعة فى عام ١٩٣٩ بصدور الكتاب الأبيض الذى وضع قيودا شديدة على الهجرة والاستيطان اليهودى فى فلسطين، وهو الأمر الذى كان يستهدف وقف نمو الوطن القومى اليهودى ثم وضعه بعد عشر سنوات تحت رحمة حكومة يسيطر عليها العرب، ومع ذلك قبلت المنظمة الصهيونية الكتاب الأبيض وتفهمت الدوافع وراء إصداره فى سعى بريطانيا لتهدئة العرب، وقدر «وايزمان» ورفاقه أن ذلك أهون الشرور مادام فى طوع اليهود شراء الأراضى واستثمار رءوس أموالهم واستقبال المهاجرين، وكانت الاستراتيجية الصهيونية تقوم على خلق واقع قوى على الأرض وإرجاء المواجهة مع بريطانيا إلى وقت لاحق. وكانت الهجرة قد تزايدت فى العشرينيات والثلاثينيات، فوصل فلسطين عام ١٩٢٥ وحدها زهاء ٣٤ ألف يهودى، وبدأت الجامعة العبرية نشاطها فى السنة نفسها. وفى عام ١٩٣٥ مع تزايد اضطهاد اليهود فى ألمانيا الهتلرية وقدم إلى فلسطين ٦٢ ألفا من اليهود وكان ذلك أكبر عدد من المهاجرين فى عام واحد. وقام العرب باضطرابات ضد اليهود عام ١٩٢٩ حيث قتل ١٣٣ يهودى وجرح بضع مئات ودمرت ممتلكات يهودية كثيرة، واتهم اليهود الإدارة البريطانية بالإهمال وعدم المبالاة والعداء للصهيونية، وكان

أخطر هذه الاضطرابات تلك التى بدأت فى أبريل ١٩٣٦ حـيث وصلت إلى نطاق واسع وثورة عربية شاملة فى فلسطين، وشكلت لجنة عربية عليا نظمت اضرابا عاما وطالبت بالوقف الفورى للهجرة اليهودية إلى فلسطين. ووقف بيع أراضى العرب لليهود وإقامة حكومة فى فلسطين، واتبعت بريطانيا أسلوب التهدئة فى البداية ثم اتخذت إجراءات قمع شديدة واستعانت بتعزيزات عسكرية وسلمت السلاح لليهود للدفاع عن أنفسهم وتعاون ضابط بريطانى مع المستوطنات الزراعية اليهودية فى تنظيم فرق ليلية لمهاجمة الفرق العربية وساءت الأحوال بدرجة دفعت بريطانيا إلى توجيه انذار إلى اللجنة العربية العليا باتخاذ إجراءات عسكرية عنيفة مالم تتوقف الاضطرابات، وفعلا أنهت اللجنة الإضراب فى أكتوبر ١٩٣٦ .

موقف الأنتداب البريطانى من العرب واليهود فى العقد الثالث «لجنة بيل»:

دخلت المشكلة طورا جديدا حاسما فشكلت لجنة ملكية برئاسة اللورد «بيل»، بحثت الأوضاع على الطبيعة وصدر تقريرها فى ٧ يوليو ١٩٣٧، وأوصى التقرير بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية، ودولة يهودية فى مساحة أقل لاتزيد على خمس مجمل مساحة فلسطين، وقد انتقد «وايزمان» تقرير اللجنة ولكنه نبه إلى الأهمية التاريخية لتوصيتها إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وفوضت الوكالة اليهودية فى التفاوض مع بريطانيا لتحسين شروط التقسيم، بينما اتخذ العرب موقف المعارضة الشديدة لتقرير اللجنة والتقسيم، وتكمن

أهمية التقرير فى بقاء فكرة التقسيم مسيطرة على جهود التسوية للأعوام الحاسمة التالية، وقد تفهمت اللجنة الحقيقة الأساسية للمشكلة وهى أن اليهود والعرب فى فلسطين تتعارض أهدافهم، وكان الاختيار هو إما كفالة سيطرة طرف على الآخر، أو خلق إطار للسيادة المنفصلة لكل منهما.

وتجددت الاضطرابات العنيفة خلال عامى ١٩٣٧، ١٩٣٨، ومع تدهور الوضع الدولى وخطر نشوب الحرب العالمية الثانية، تزايد حرص بريطانيا على تهدئة العرب، ومن ثم صدر فى مايو ١٩٣٩ (الكتاب الأبيض) الذى كاد يعنى حكم الإعدام على الوطن القومى اليهودى، إذ قصرت الهجرة خلال الأعوام الخمس التالية على ٧٥ ألفا من اليهود، حدا أقصى، وإنشاء حكومة مستقلة بعد هذه الفترة تحل محل الإدارة البريطانية تكون فيها أغلبية عربية. وهاجمت الوكالة اليهودية (الكتاب الأبيض) بشدة واعتبرته نكوصا عن تعهدات بريطانيا ورضوخا للإرهاب العربى واحتجت لدى لجنة الأنتداب بعصبة الأمم وحصلت على قرار لصالحها، غير أن القرار كان أجوفاً، وكان على اليهود السعى للإسهام فى الحرب العالمية فى وقت تتعرض فيه كل آمالهم للخطر.

تطوير قوات الدفاع الصهيونى:

طور اليهود فى فلسطين فى فترة مابين الحربين العالميتين عدة تنظيمات دفاعية وشكلت الهاجاناه عام ١٩٢٠ واتسع نطاقها وقامت بدور رئيسى فى حماية عمليات الاستيطان والهجرة والدفاع. (التفاصيل فى باب بن جوريون)

فلسطين عشية الحرب العالمية فى عام ١٩٣٩ :

وصل عـدد اليـهـود فى فلسطين فى عـام ١٩٣٩ إلى ٤٥٠ ألفـا ووصل الكيان القومى اليـهودى إلى درجـة عـالية جدا من التطور الأقتـصادى والتكنولوجى بمعـايير المنطقة، وكـرس الطابع العـبرى بمؤسساته الثقافية والاجتماعية المتمركزة حـول الكيبوتز، أى القرى الجـمـاعـيـة والموشـاف، أو القـرى التـعـاونيـة، والعـمـاليـة فـى شكل الهستدروت أو الاتحاد العام لليهود.

(التفاصيل فى باب بن جوريون).

التعليق :

خرج المؤلفون اليهود والدعاية الصـهيونية على الدعاية المجردة عن الموضوعية، إذ هونت من نمو حركـة القومية العربية وتطورها منذ بدأ تاريخـهـا الحـديث أواخـر القـرن التـاسـع عـشر وأوائل القـرن العشرين، واتخذت أول تعبير فعلى لها فى الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ضـد الأتراك وفى صف بريطـانيـا وحلفـائـهـا، ويسـتـخـدم الصـهانية حـجـجا ظـالمة وهى أن العرب حققوا من الحـرب الكثير باستـقـلال العـراق وإقـامـة دولة شـرق الأردن، وفى الحـقـيقـة كـان استـقلال العراق شكليا تحت السـيطرة البريطـانية وفى ظل مـعاهدة حماية ووجود عسكرى بريطـانى فعال. كما كانت شرق الأردن تحت الحـماية البريطـانية، ووضـعت سوريا ولبنان تحت الحـماية والسيطرة الفرنسية فى شكل الأنتداب، وفـى المحصلة فان وضـع الدول العربية فى المشرق العربى فى ظل الأنتداب واتفاقيات الحماية كـان أسوأ من

وضعهم قبل الحرب، ولم يذكر الصهاينة الانتفاضات الشعبية العربية فى سوريا ولبنان وفلسطين والعراق فى العشرينات والتى عبرت عن السخط الشعبى لنكوص بريطانيا عن تعهداتها بمساندة العرب فى تحقيق أملهم فى الاستقلال والوحدة وعملها على تمزيق الوطن العربى، أما عما ذكر من أن العرب لايستندون فى مطالبتهم بفلسطين إلى أية سوابق أو أسس تشير إلى دولة عربية مستقلة فيها فهو ادعاء باطل إذ كانت فلسطين إقليما متميزا من أقاليم الشام تحت الحكم العربى والعثمانى ولم يكن هناك داع لإقامة دولة منفصلة فيها مادام أن المنطقة كلها تحت الحكم العربى الإسلامى الذى ظلت فى نطاقة قرونا عديدة منذ الفتح الإسلامى، كذلك فإن القول بأن مراسلات «الشريف «حسين - مكماهون» استثنت فلسطين لتصبح لليهود وطنا قوميا باطلة كما تثبته الوثائق البريطانية ذاتها واللجنة التى شكلها «مؤتمر المائدة المستديرة» الذى عقد فى لندن عام ١٩٣٩، لبحث مشكلة فلسطين بحضور ممثلين عن العرب واليهود ووزارة المستعمرات البريطانية، أما عن اتفاق «حاييم وايزمان - فيصل»، فقد نص على قبول العرب السماح للأقلية اليهودية المقيمة فعلا فى فلسطين بحرياتها الدينية المدنية بشرط أن يضمن العرب استقلالهم فى المشرق العربى وحريتهم فى الوحدة، أى أن فيصل لم يسلم بسيطرة اليهود على كل فلسطين وتحويلها وطنا قوميا لهم وطرد سكانها العرب، ويكشف اليهود فى مؤلفاتهم عن تطوير قوات الدفاع اليهودية وتدفق الهجرة وعن الأسلوب الذى اتبعه الصهاينة لفرض وجودهم وطرد العرب من ديارهم تحت سمع السلطات البريطانية وحمايتها.

الفصل الثالث

النشاط الصهيونى داخل فلسطين وخارجها بقيادة «بن جوريون»

الفصل الثالث

النشاط الصهيونى داخل فلسطين وخارجها بقيادة بن جوريون من بدء الأنتداب البريطانى إلى قيام دولة إسرائيل ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨.

كان عقد العشرينيات وقتا حافلا بالنشاط لـ «بن جوريون» وانطلاقه السريع فى عمله، عصيباً لشعب فلسطين اليهودى، فقد كانت سنوات من الحيرة والشك، والتوتر، وفترات من الإحباط.

وفى أبريل عام ١٩٢٠، التقى زعماء قوات الحلفاء على شاطئ المصيف الإيطالى فى مدينة «سان ريمو» لتوزيع المكاسب والغنائم، ولكن وحتى ذلك الوقت لم يتخذ أى إجراء رسمى أو شكلى بالنسبة لفسطين.

وكان فى نظرهم إعلان بلفور الذى لم يكن إلا قصاصة من الورق، يعطى بريطانيا حق الأنتداب على فلسطين، تعنى أن أولئك الذين قسموا الهيمنة توا، يقولون للعالم إنه فى حالة هذا الأنتداب فإن الشعب الفلسطينى مستعد تقريبا لنظام حكم ذاتى، وأن مدة الأنتداب تبعا لذلك ستكون قصيرة.

وقد عم الغضب يهود فلسطين فيما عدا القليلين منهم. إلا أن «بن جوريون» كان يتوجس خيفة بعد أن درس مضمون كلمات الانتداب ومراميها الخفية.

فالمادة الرابعة تقول: «يجب أن تعترف دولة الانتداب «بوكالة يهودية» لتمثل الشعب اليهودى عندما يعمل لإقامة وطنه القومى». وراودت «بن جوريون» تساؤلات، كيف سيتم الاختيار؟ من سيكون الرئيس؟ وماهى السلطات التى تمارس الحكم؟.

أما المادة السادسة فتقول: «سيسمح بهجرة اليهود (أى إلى فلسطين) وسيشجع اليهود على الاستقرار فى البلاد». والتساؤل المهم هو.. كيف.. وعلى من.. ومتى.. وأين؟.

ورأى «بن جوريون» المهاجرين يتجمعون فى تل أبيب، حتى تستعد المدن الصغيرة الجديدة لهم، وقد جاء الكثير منهم بمال قليل، يريدون فتح محلات أو البدء فى أعمال صغيرة ويستخدمون عمالة رخيصة.

وبعد قليل من «سان ريمو» دعى إلى عقد مؤتمر مهم للصهاينة فى لندن، وقرر اتحاد العمال إيفاد «بن جوريون» متحدثا باسمه. وكان هذا أول تجمع عالمى حضره فى قاعة «البرت هول».

وعلى المنصة كان هناك متحدثون من الشخصيات البارزة من نيويورك وبوسطن وباريس ووارسو، ومن جميع أنحاء العالم، وكان «بن جوريون» وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره رئيس حزب سياسى من ألفى عضو.

«بن جوريون» والانتداب البريطاني وأسلوب نشاطه

وقد عمل «بن جوريون» على فرض سياسة الأمر الواقع التى جرى عليها، ومازالت يتشبث بها الصهيونية منذ بداية عهد الأنتداب، وليس ذلك بمستغرب على «بن جوريون» الذى يعتبر من أساطين الصهيونية التى تنتهج المرحلية والواقعية فى تطبيق سياستها. فقد حقق أهم أهدافه عندما تألف حزب «احدوت هاعفودا» - أى وحدة العمل - فى شهر فبراير ١٩١٩، وهو يمثل الأتحاد بين عمال الزراعة والعمال فى المصالح الأخرى، وكان «بن جوريون» من أبرز قيادته.

وفى ديسمبر عام ١٩٢٠ تأسس «الهستدروت» - أى الأتحاد العام للعمال اليهود - ذلك الذى لعب دورا كبيرا فى حياة اليهود فى فلسطين أثناء الأنتداب، وانتخب «بن جوريون» أمينا عاما له، ومثل عمال فلسطين فى المؤتمر الصهيونى فى لندن عام ١٩٢٠، وقد ذكر «بن جوريون» فى مناسبات عديدة أن من الصعب بدون هذا الأتحاد - الهستدروت - قيام دولة يهودية فى فلسطين، وألقى باللائمة على «وايزمان» وزملائه لتقاعسهم عن مطالبة بريطانيا بعودة الفرقة اليهودية التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى إلى فلسطين لرفع الروح المعنوية لليهود ومنع الأعتداء عليهم. كان «بن جوريون» يؤمن بأن العنف هو الوسيلة المضمونة لذلك وكان يبغى من عودة الفرقة اليهودية إلى فلسطين أن تكون نواة للجيش الصهيونى.

على أنه لم ييأس ونجح فى استصدار قرار بإنشاء قوة دفاع عام ١٩٢٠، وبذلك تطور نظام الحرس «هاشومير» إلى «الهاجاناه» التى

تأسست فى عام ١٩٢١ وكانت فى أول عهدها جزءا من تنظيم «الهستدروت». وفى عام ١٩٣٠ توسعت «الهاجاناه» لتشمل اليهود غير الممثلين فى «الهستدروت»، وفى عام ١٩٣٣ تألفت هيئة أركان دائمة لها، تمكنت من الحصول على السلاح من بعض بلدان أوربا والولايات المتحدة الأمريكية.

وحضر «بن جوريون» فى عام ١٩٢٥ «المؤتمر الصهيونى»، وفى خطابه انتقد الأنتداب، وحمل حملة شعواء على «هربرت صموئيل» المندوب السامى البريطانى، وذلك لأنه عين الحاج «أمين الحسينى» فى مركز مهم، وطالب فى خطابه إقامة دولة يهودية فى فلسطين، وهاجم فى هذا المؤتمر كذلك «وايزمان» لتقبله بعض القيود على اليهود.

وقد تأسست الوكالة اليهودية طبقا لما نصت عليه الفقرة الرابعة من صك الأنتداب عام ١٩٢١، لتكون ممثلة لليهود فى فلسطين وتساعد المندوب السامى فى إدارة البلاد. وكانت فى بداية نشأتها تتألف من أعضاء الهيئة التنفيذية للمؤتمر الصهيونى العالمى، وتمكن «وايزمان» من أن يوسع تمثيلها لتشمل اليهود غير الصهيونيين ممن يرغبون فى المساعدة على إقامة الوطن القومى عام ١٩٢٩، ولم يعارض «بن جوريون» هذه الخطوة إذ جلبت للصهيونيين مصادر جديدة للمال. وتضمن دستور الوكالة اليهودية الموسعة لفلسطين تحديدا مفصلا للأهداف التى تسعى إلى تحقيقها كتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ورعاية اللغة العبرية والثقافة اليهودية، وشراء الأملاك لصالح الصندوق القومى اليهودى حتى تصبح ملكا ثابتا للشعب اليهودى.

وبعد تقرير لجنة «شو» عن حوادث عام ١٩٢٩ ومحاولة بريطانيا الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، اقترح «بن جوريون» التعجيل بضم حزب «عمال صهيون» وحزب «العامل الفتى» فى حزب عمالى واحد وكان هدفه تقوية الوطن القومى بالطبقة العاملة، وتألف فى عام ١٩٣٠ حزب «الماباى» حيث اتجه «بن جوريون» بعد قيامه إلى مرحلة جديدة هدفها توحيد الجبهة الخارجية بعد أن توحدت الداخلية فى فلسطين.

وافتتح فى شهر سبتمبر عام ١٩٣٠ فى برلين «المؤتمر العالمى للعمال فى جميع أنحاء العالم» وكان هدف «بن جوريون» أن يظهر للعالم وللصهيونيين بأنه وراء العمال اليهود فى فلسطين يقف عمال العالم اليهود ـ وكان أن تألفت نتيجة لهذا المؤتمر «العصبة العالمية لعمال فلسطين».

(World League for Palestine workers)

وقال «بن جوريون»: إن هذه العصبة لتدل على فكرة القومية بين الطبقات العمالية اليهودية وعلى هذه العصبة تحويل هذه الأفكار إلى حقائق.

معارضة بن جوريون للكتاب الابيض

اعتبر «بن جوريون» مانص عليه الكتاب الأبيض حكما بالإعدام على الخطط الصهيونية، ورأى أن «وايزمان» يفتقر إلى الشجاعة لمعارضة الإنجليز الذين تخلوا عنه، وهاجم أغلب اليهود مسلك «وايزمان» الذى لم يجاهر ـ بالرغم من تأثره من صدور هذا الكتاب ـ بمعارضته لبريطانيا، بل برر مسلكه على الحملة التى اتهمته بالخيانة بقوله: «إن الدولة اليهودية لم تكن غاية فى ذاتها بل مجرد وسيلة إلى الغاية حيث لاذكر للدولة اليهودية فى «برنامج بازل» ولا فى «وعد بلفور». وماجوهر الصهونية إلا إيجاد عدد من الأسس المادية يقوم عليها بناء مجتمع ذاتى متماسك منتج».

وفى الموتمر السابع عشر فى «بازل» طالب المجتمعون باستقالة «وايزمان» من رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية وخلفه «ناحوم سوكولوف» لمدة أربع سنوات، وكانت القوة المحركة فى المنظمة فى عهد «سوكولوف» مستمدة من الأحزاب العمالية فى فلسطين وغالبا من «الماباى» حزب «بن جوريون».

وكان «بن جوريون» يهدف أساسا منذ ألف «الهستدروت» إلى جعل المنظمة الصهيونية فى خدمة مصالح اليهود فى فلسطين، لذلك كان على اليهود فى فلسطين أن يسيطروا على مقاليد الحركة وقد حصل مؤيدو «بن جوريون» على نصف المقاعد واضطر «جابوتنسكى» أقوى معارضى «بن جوريون» إلى ترك المؤتمر اليهودى الصهيونى العام ليؤلف مؤتمرا خاصا "New Ziouist Organization" فشل فى استقطاب اليهود من الأحزاب الأخرى.

الصهيونية ومشروع «بيل» لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود عام ١٩٣٧

حين هب العرب بالثورة والإضراب العام فى فلسطين، اقترحت بريطانيا إقامة دولة يهودية وأخرى عربية فى فلسطين. وبحث هذا المشروع فى المؤتمر الصهيونى العشرين فى «زيورخ» حيث عارض الصهيونيون المشروع فى بادئ الأمر، ولكن زعماءهم بزعامة «وايزمان» اقتنعوا بفكرة قيام دولة يهودية، ورأوا أن فى استطاعتهم توسيع رقعتها، ووافق «بن جوريون» على ذلك، وقال فى مذكراته: «لما كان الأنتداب غير عملى فلم لانقبل الاستقلال الممنوح لنا منذ البداية»، وكتب لـ «موسى شرتوك» «شاريت» عن مشروع التقسيم مايلى: «سوف نحطم تلك القيود المفروضة، وليس بالضرورة بطريق الحرب. وأعتقد أن فى الإمكان الوصول إلى اتفاق مع الدولة العربية المزمع إقامتها بموجب التقسيم، وفى وقت قريب. فإذا تمكنا من تهجير مئات الآلاف من اليهود إلى دولتنا وقوينا مركزنا الأقتصادى والعسكرى فلسوف نستطيع التوصل إلى اتفاق لإلغاء الحدود بيننا وبين الدولة العربية».

القسم الثاني عشر
الإنجازات
المرحلة الثانية
للنشاط الصهيونى
١٩٢٠ـ١٩٤٠

الفصل الأول:

«الهستدروت»

الفصل الثانى:

القوة العسكرية «الهاجاناه»

الفصل الثالث:

حزب «الماباى»

الفصل الأول

« الهستدروت »

إتحاد نقابات العمال الصهيونية

تمهيد

«الهستدروت»

١- يمثل الهستدروت "Histadrut" أكبر المنظمات الجماهيرية وتعنى التسمية «الأتحاد العام للعمال» وتمثل المؤسسة الرئيسية لنقابات العمال.

٢- أنشئت عام ١٩٢٠ بوصفها إدارة قومية للصهيونية أى (جهاز قومى) وتضم أعمال نقابات العمال بالإضافة إلى وظيفة الاستيطان والاستعمار.

٣- المبادئ العامة «للهستدروت» هى:

(أ) التعاون بين العمال وأصحاب الأعمال.

(ب) منظمة غير سياسية.

٤- وضمت «الهستدروت» فى السبعينيات حوالى مليون نسمة مجموع العمال وعائلاتهم.

٥ - أهم المراكز «بالهستدروت» يشغلها حزب (ماباى MAPAI) الذى يدير سياسة المنظمة االجماهيرية.

ـ وقد تعاونت «الهستدروت» فى عدوان ١٩٥٦ و ١٩٦٧ لمؤازرة حزب (الماباى).

ـ يعد «الهستدروت» أداة رئيسية فى يد الحكومة الإسرائيلية.

الهستدروت

مقدمة :

أولا : الهستدروت ـ النشأة.

ثانيا : البناء التنظيمى.

ثالثا : الأهداف.

رابعا : العضوية وسياسة الأجور.

خامسا : أنشطة الهستدروت.

سادسا : أبرز مشكلات الهستدروت.

سابعا : عمال الداخل العرب.

ثامنا : ما هية الإشتراكية فى إسرائيل.

تمهيد:

١- الحركة العمالية اليهودية تعد أشمل من «الهستدروت» وهو الأتحاد العام للعمال اليهود فى اسرائيل.

وتشتمل الحركة العمالية فى إسرائيل على مجموعة من الحركات العمالية ذات الطابع السياسى وتعد فى هذا المفهوم أجزاء من الأحزاب السياسية التى تتبعها، أما المجموعة الأخرى فتشمل حركة عمالية فدرالية هى «الهستدروت».

٢- ونجد بالنسبة للمجموعة الأولى «حركة العمال الوطنيين» وهى تتبع حزب «حيروت» وهى تجمع بين العمال وأصحاب الأعمال وتمثل حوالى ١٠٪ من مجموع عمال إسرائيل ونشاطها الرئيسى فى تل أبيب وهى تعد أقوى حركة عمالية بعد «الهستدروت».

٣- كذلك نجد «حركة العمال المتدينين» (هابوعيل ها مزراحى)، وهى تماثل فى القوة سابقتها بمعنى تمثيل حوالى ١٠٪ من العمال.

٤- ونجد أيضا حركة «بوعيل أجودات إسرائيل» ويعنى تكتل عمال

إسرائيل وتضم المتشددين المتدينين من عمال إسرائيل وهى أضعف الحركات العمالية.

أولا: «الهستدروت» ـ النشأة:

١ـ «الهستدروت» وهو «هاهستدروت هاكلابت شيل هاعوفاديم ها أفريم بييرتز إسرائيل».

" Hohistadrut Haklalit shel Haordim Hoiuzim""zeezetz lszail" " Beeletz Iszail"

أى الأتحاد العام للعمال اليهود فى إسرائيل وقد تأسس فى فلسطين فى ديسمبر ١٩٢٠ ليضم العمال اليهود فقط ويشمل ذلك العاملين فى المزارع الجماعية والتعاونيات وبدأت العضوية بعدد ٤٤٣٣ عضوا.

وحرص منذ نشأته على ألايصطدم بمصالح الصهيونية العالمية، وبعد قيام دولة إسرائيل ازداد دوره فى التنسيق مع الحركة الصهيونية وأتسعت فعاليته ونشاطاته.

وعند تأسيس «الهستدروت» لم يكن للنقابات أو الأتحادات المحلية وجود فعال فيما عدا اتحاد الموظفين الذى أسس عام ١٩١٩ وبعض النقابات المحلية المحدودة.

٢ـ ومن أبرز خصائص «الهستدروت»:

(أ) أنه تنظيم فدرالى قام قبل نشأة النقابات الأساسية، والمفروض أن يتكون على أساسها، بمعنى أن الحركة جاءت معكوسة.

(ب)أن طابعه السياسي واضح.

٣ـ ويتعاون «الهستدروت» مع عدد من الأحزاب أبرزها:

(أ) «الماباى» أى حزب عمال إسرائيل.

(ب) حزب «أحدوت ها عفودا» ـ حزب العمال الموحد.

(جـ) «مابام» ـ حزب العمال المتحدين.

(د) «بيريت زيونيم كلايم» ـ حزب عموم الصهيونية.

(هـ) الحزب التقدمى.

(و) الحزب الشيوعى.

(ز) «هاعونيد هاداتى» حركة العمال المتدينين.

وتشكل كتلة التحالف بين «الماباى» و«أحدوت هاعفودا» أغلبية الهستدروت.

٤ـ وتتعدد نشاطات «الهستدروت» ومثال ذلك:

(أ) الأعمال النقابية المعتادة.

(ب)إدارة نظام شامل للضمان الاجتماعى.

(جـ) له دور ثقافي وتعليمى بارز.

(د) كما يقوم بأنشطة اقتصادية متنوعة.

ثانيا: البناء التنظيمى:

١- السلطة المركزية: تضم ثلاثة أجهزة هى:

(أ) المؤتمر القومى: ويعتبر السلطة التشريعية الأولى فى «الهستدروت»، ويجتمع مرة كل أربع سنوات، ويتشكل بالأنتخاب وينتخب المجلس العام من بين أعضائه.

(ب) المجلس العام: يقوم بمهمة السلطة العليا وينعقد مرتين فى العام.

(جـ) اللجنة التنفيذية: تتكون من مائة عضو وتجتمع مرة كل أسبوعين، وهى أعلى سلطة تنفيذية، ويتم انتخابها من قبل اللجنة التنفيذية.

(د) المكتب التنفيذى: وتعين اللجنة التنفيذية ١٣ عضوا من بينها لتشكيل المكتب التنفيذى "Vaada Merakezet" ويقوم بانتخاب أمينه العام.

وجميع الهيئات السابقة تحتوى تمثيل الأحزاب بحسب قوة كل حزب الانتخابية.

٢- السلطات الفرعية والمحلية: نجدها على النحو التالى:

(أ) المجالس العمالية: (Moetzot Hapoalim). وتوجد فى كل بلدة وفى مراكز الاستيطان الرئيسية ويعد (المجلس العمالى) أقوى سلطة على الصعيد المحلى ومصدر قوته أنه يجئ بالأنتخاب من مجموع الأعضاء فى مركز أو منطقة معينة بما فى ذلك الزوجات

غير العاملات، ويتم الأنتخاب مرة كل أربع سنوات على أساس التمثيل النسبى لجميع الأحزاب.

(ب) لجنة تنفيذية: وهى أعلى سلطة تنفيذية محلية، يتم انتخابها من قبل المجلس العمالى.

(ج) السكرتارية.

(د) الأمين العام للمجلس العمالى.

ويلاحظ أن الأحزاب ممثلة على مختلف المستويات السابقة كل بحسب قوته الانتخابية.

(هـ) لجان متعددة: متصلة بالتربية والثقافة والإسكان والتعاونيات والتأمينات الإجتماعية والصحية وغيرها.

ثالثا : الأهداف: يمكن تلخيصها على النحو التالى:

١ـ خلق نوع جديد من العمال اليهود.

٢ـ رعاية حركة الاستيطان.

٣ـ رعاية كل العاملين الذين لايستغلون الآخرين.

٤ـ رعاية الشئون النقابية.

٥ـ التعليم من أجل بناء مجتمع عمالى يهودى.

٦ـ فى البداية أعلن عن تأسيس كومونولث يهودى فى أرض إسرائيل، أى أن هدفه سياسى فى المحل الأول.

٧- تنشيط الهجرة.

٨ - تحقيق الفكرة الصهيونية.

٩- السيطرة على فلسطين واستعمارها.

١٠- دعم أسس اقتصاد سليم مزدهر قادر على استيعاب المهاجرين.

١١- دعم المهاجرين والمجتمع ليتحول إلى هيكل قومى موحد.

١٢- أوضح «بن جوريون» أول أمين عام «للهستدروت» ورئيس وزراء إسرائيل بعد ذلك إن غاية «الهستدروت» هو «الهجرة والاستيطان ويؤلفان «لوحا العهد».

رابعا: العضوية وسياسة الأجور:

١- بلغ أعضاء «الهستدروت» عام ١٩٦٤ حوالى ٩٠٠٠٠٠ (تسعمائة ألف عضو).

٢- وتنقسم العضوية إلى أربعة فئات رئيسية:

(أ) اعضاء التعاونيات وخاصة «الكيبوتزات» (المزارع الجماعية) و«الموشافيم» وهى: مستعمرة جماعية تقوم على أساس العائلة (حوالى ٢٥٠٠٠٠ عضو).

(ب) أعضاء يعتمدون على الرواتب والأجور (حوالى ٢٥٠٠٠٠).

(جـ) الحرفيين الذين يعملون لحسابهم الخاص، والمهنيين بما فى ذلك الفنانين (١٠٠٠٠ عضو).

(د) أعضاء تابعين لمنظمة الشباب العاملين والطلاب مادون ١٨ سنة (١٠٠٠٠٠ عضو).

(هـ) الزوجات المتفرغات للشئون المنزلية والعائلية (٢٦٠٠٠٠ عضو).

٣- ويدفع أعضاء «الهستدروت» رسوما للعضوية تتراوح مابين ٣٪ - ٥ر٤٪.

٤- تميل سياسات الأجور إلى تحقيق العدالة بحيث تقل بشكل عام الفوارق بين الأجور المدفوعة.

ويتم تحديد الأجر المناسب وفق امتحانات خاصة محايدة.

ولاتزال الأجور فى إسرائيل متخلفة عن معدل تكاليف المعيشة المتزايد.

خامسا: أنشطة «الهستدروت»:

لايعد «الهستدروت» اتحادا عماليا بالمعنى المتعارف عليه، ولكنه أوسع من ذلك بكثير وخاصة نظرا لخلفيته ولنشاطاته المتعددة التى تتخطى كونه اتحادا عماليا أونقابيا.

فمنذ نشأته - قبل قيام دولة إسرائيل - فى عام ١٩٢٠ لعب دور الحكومة الفعلية بمعنى الإدارة بين مختلف المؤسسات اليهودية فى فلسطين، وقد مهد لذلك أن «الهستدروت» كان معنيا فى الأساس بالهجرة والاستيطان وهما أمر أدى إلى انخراطه فى مختلف الأعمال

السياسية والاقتصادية والثقافية بل والدبلوماسية، لدرجة أنه أصبح أكبر مستخدم للعمالة والموظفين في فلسطين تحت الأنتداب، أى شكل مايمكن أن نطلق عليه «دولة داخل الدولة».

وقد استغلت الحركة الصهيونية نجاح وتحرك وفعالية «الهستدروت» فقامت بدعمه بالموارد المالية اللازمة.

وفيما يلى نعرض باختصار لأبرز أنشطة الهستدروت التى أعطته المكانة الرفيعة والمهمة التى أشرنا إليها آنفا.

١ـ الأنشطة النقابية:

(أ) هناك شرط لأى عامل من أجل الأنضمام لأى أتحاد أن يكون أولا عضوا فى «الهستدروت»، ويوجد عمال فى «الهستدروت» لاينتمون إلى أى أتحاد.

(ب) قد أنشئ العديد من الاتحادات بمبادرة من «الهستدروت» وليس بمبادرة من عمال الأتحاد.

(جـ) ويقوم «الهستدروت» بتقديم الأموال اللازمة للاتحادات العمالية.

د) ويتم تعيين أمناء سر الاتحادات العمالية الوطنية بعد موافقة اللجنة التنفيذية «للهستدروت».

(هـ) وتجب موافقة (هيئات الهستدروت) على جميع القرارات المهمة بما فى ذلك الإضرابات التى تقوم بها الاتحادات العمالية.

(و) وينقسم التنظيم فى الاتحاد العمالى إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى:

* لجان العمال: وتشكل الخلية الأساسية فى تنظيم «الهستدروت» العمالى وتتزكز قوته فى القطاع الصناعى. والوظيفة الرئيسية للجان هى التفاوض مع الشركات للحصول على أفضل العقود الجماعية، والنظر فى الخلافات التى تنشب بين العمال أنفسهم، وتقوم اللجان بمهام ثقافية أيضا، تنظم المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية ودورات التدريب المهنى، كما أن اللجان لها صلاحيات إدارية من خلال «لجان الإنتاج المشترك» وهى تماثل شكل تمثيل العمال فى مجلس الإدارة فى مصر، كما تشرف اللجان على الصناديق المالية مثل: صندوق الضمان الصحى، كما تشارك فى الشئون المتعلقة بالترقية والنقل وتحديد المرتبات.

* الاتحاد العمالى المحلى: تعمل الاتحادات العمالية الصغيرة على المستوى المحلى فقط وتخضع لإشراف المجلس العمالى.

* وهناك (الاتحاد العمالى الوطنى) الذى يغطى نشاطه كل إسرائيل.

٢ـ التنمية الأقتصادية:

(أ) الفرع المتخصص فى الإنتاج فى «الهستدروت» يعرف باسم «الجمعية التعاونية العامة للعمل فى إسرائيل» ويعتبر كل أعضاء «الهستدروت» أعضاء فى هذه الجمعية وتضم الجمعية أربعة أفرع من المشاريع هى:

- المشاريع التعاونية التى يملك أعضاؤها رأسمالها.

- شركات تعود ملكيتها - كليا أو جزئيا - للمشاريع التعاونية.

- شركات تجتمع على ملكيتها عدة هيئات منها «الهستدروت» والحكومة والوكالة اليهودية.

- شركات تمتلكها «الهستدروت» بالكامل وتعمل تحت إشراف لجنة الهستدروت التنفيذية.

٣- الخدمات الصحية والضمان الاجتماعى:

ويشتمل ذلك على أربعة أنماط خاصة وهى:

(أ) الضمان الأجتماعى على الصعيد الوطنى العام.

(ب) الضمان الاجتماعى ضمن وحدة مهنية أو صناعية.

(جـ) صندوق العجز على مستوى البلاد كلها، يتضمن مؤسسات صحية خاصة بالعاجزين جسديا وعقليا والمصابين بأمراض نفسية.

(د) نظام للمساعدات المالية على أساس التسليف والهبات مثل: صندوق المسنين، وصندوق الأحوال الطارئة.

٤- الشئون الثقافية:

(أ) فى أيام الأنتداب قام «الهستدروت» ببناء شبكة واسعة من المدارس ضمت ٤٥٪ من مجموع التلاميذ اليهود فى فلسطين.

(ب) كما أدار «الهستدروت» عددا من المؤسسات لتأهيل المهاجرين وإعدادهم للحياة الجديدة من أجل الأندماج الكامل.

(جـ) ويصدر صحيفة يومية باللغة العبرية «دافار» هى أوسع الصحف الصباحية انتشارا.

(د) كما أنشأ مؤسسة مسئولة عن التثقيف العمالى وعدد من المدارس الثانوية الصناعية.

(هـ) كما احتضن وأنشأ «منظمة الشباب العامل».

(و) بالإضافة إلى إقامة منظمة رياضية على المستوى الوطنى.

(ز) واحتضن وأنشأ مجلس النساء العاملات واتحاد الأمهات العاملات.

٥) الهجرة:

(أ) لم يقم عمال «الهستدروت» بما يقوم به العمال فى مثل هذه الأحوال من معاداة الهجرة الوافدة حتى لاتقوم المنافسة لأن الهدف من الهجرة اليهودية كان دعم المجتمع اليهودى فى إتجاه إقامة دولة إسرائيل، أى أن الهدف كان سياسيا، ولذا قام «الهستدروت» بتشجيع ورعاية الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومن ثم بعد ذلك إلى إسرائيل بعد انشائها.

(ب) وفى أول الأمر عمل «الهستدروت» إبان الكيان الفلسطينى على أن يقوم أصحاب الأعمال اليهود باستخدام العمال اليهود فقط.

(جـ) وقام «الهستدروت» بمهمة تعليم المهاجرين اللغة العبرية وتدريبهم مهنيا وتأمين العمل والسكن والخدمات الصحية والاجتماعية لهم.

٦ـ الدبلوماسية الشعبية:

(أ) وقد مارس «الهستدروت» أعمالا تدخل فى المهام الدبلوماسية قبل وبعد قيام دولة إسرائيل لصالح القضية الصهيونية، ومن ذلك نشاطه داخل الاتحادات الدولية للنقابات الحرة.

(ب) وكذلك من خلال برنامج لتقديم المساعدات الفنية للدول النامية.

(جـ) وفى عام ١٩٦٠ أنشأ «المعهد الأفرو ـ آسيوى للدراسات العمالية والتعاونية» بهدف نقل خبرات العمال الإسرائيليين وتجاربهم إلى العاملين فى الدول الأفريقية والآسيوية.

سادسا: أبرز مشكلات «الهستدروت»:

وجهاز بهذه الضخامة وهذه المركزية وماله من تأثير سياسى واقتصادى ونقابى وثقافى عريض، كان لابد أن تظهر على سطحه الكثير من السلبيات أبرزها:

١) تعارض الإجراءات الديمقراطية مع البنية التنظيمية:

ـ وقد جاء هذا التعارض بسبب سيطرة الهيئات الإدارية المركزية فى

الهستدروت على أسلوب وضع وتنفيذ السياسة، وهو أمر أدى إلى فشل التنظيم فى السيطرة على الوحدات النائية أو المتمردة وخاصة نتيجة تفشى البيروقراطية.

٢- توحد وتناقض صاحب العمل مع العامل:

وهو تناقض قام بسبب أن «الهستدروت» يمتلك مشاريع وشركات اقتصادية، أى يمثل صاحب العمل من ناحية ويمثل العمال باعتباره اتحادا نقابيا من ناحية أخرى.

٣- خطر التجزئة والتفتت:

ويتعرض «الهستدروت» لخطر التجزئة والتفتت بسبب خصائص التنظيم القائم على المركزية الشديدة والبيروقراطية وحيرته بين الاتجاه السياسى والعمل النقابى، ومثال ذلك تواجد أعداد كبيرة من العمال اليهود الشرقيين غير المهرة ومطالبتهم بالمساواة فى الأجور مع غيرهم لأسباب سياسية وليست نتيجة الإنتاج بشكل عام، وهو أمر يلقى معارضة من العمال المهرة ومن مستويات الإدارة المختلفة.

٤- العلاقة بين «الهستدروت» والحكومة:

وتؤدى الطبيعة الشائكة للعلاقة بين «الهستدروت» والحكومة إلى صعوبات كثيرة أهمها عدم إمكانية التوفيق بين كونه تحالفاً مع حزب أو أكثر وبين كونه أتحادا عماليا ونقابيا.

٥- تضارب المصالح:

- ومن ذلك مصلحة المزارعين من ناحية والمستهلكين فى المدن من ناحية أخرى.
- ومصالح شركات النقل ضد مصلحة الجمهور المستخدم لوسائل المواصلات.
- ومصلحة العمال العاديين ضد مصالح العمال المهرة.

٦- الاعتبارات السياسية:

وضح أن الاعتبارات السياسية لها اليد الطولى فى تسيير «الهستدروت» وأن أية محاولات لإعادة «الهستدروت» إلى شكله النقابى ستفشل بسبب ضغوط الاعتبارات السياسية وأفضل مثال على ذلك (قضية أو فضيحة لافون) عام ١٩٦٠/١٩٦١ وكان «لافون» سكرتيرا عاما «للهستدروت» وأراد تحويله إلى أتحاد عمالى ونقابى فعلا، وواكب هذه الخطة ظهور الأزمة بين رئيس الوزراء - «بن جوريون» - وبين «لافون» الذى كان مسئولا سابقا فى الحكومة، وحمّله رئيس الوزراء نتائج فضيحة التجسس بالقاهرة فى وسط الخمسينيات.

وهنا تمكن «لافون» من تحويل صراعه الشخصى مع «بن جوريون» إلى صراع بين «الهستدروت» وبين الدولة ورغم أن «بن جوريون» نجح فى أول الأمر فى التغلب على «لافون» إلا أن أنصار الاخير تمكنوا بعد ذلك من شق حزب (الماباى) ودفع رئيس الوزراء إلى الإستقالة.

سابعا: عمال الداخل العرب:

١ـ سياسة التفرقة العنصرية قبل نشأة إسرائيل:

- قامت سياسة «الهستدروت» منذ إنشائه فى إقليم الأنتداب ـ فلسطين ـ على أساس التفرقة العنصرية بين العامل اليهودى والعامل العربى وحرموا استخدام العمال العرب فى مزارع ومشروعات مملوكه لليهود.

- وقد عارض أعضاء «الهستدروت» من الشيوعيين هذا الموقف وأدى الأمر إلى فصلهم منه عام ١٩٢٣.

٢ـ تعدل الموقف شكلا:

- ولم تتغير هذه النظرة العنصرية حتى بعد قيام دولة إسرائيل.

- إلا أن «الهستدروت» اضطر تحت ضغط الرأى العام فى الخارج وبسبب التقارب الذى سعت إليه إسرائيل مع الدول الآفرو آسيوية، إلى تعديل سياسته وقبول عضوية العمال العرب.

- ومع ذلك استمرت التفرقة العنصرية فى أمرين:

الأول: الأجور المنخفضة للعامل العربى وتصل إلى النصف.

الثانى: الاستغناء يتم عن العمال العرب أولا.

- وقد بلغ عدد العمال العرب الأعضاء فى «الهستدروت» عام ١٩٦٦ إلى حوالى ٤١٠٠٠ عضو (واحدا وأربعين ألفا).

- والمشكلة الرئيسية التى يعانى منها العمال العرب هى نسبة البطالة

المرتفعة بينهم، بالإضافة إلى ضعف التنظيم النقابى العربى فى المشروعات العربية فى إسرائيل بسبب عدم تضامن العامل وصاحب العمل العربى فى مواجهة إسرائيل.

- وكانت قضية العمال العرب فى الهستدروت دائما مصدر شقاق داخله وأضرت بوحدته السياسية والاجتماعية والاقتصادية وخاصة لمؤازرة العناصر اليسارية باستمرار لحق العامل العربى فى المساواة.

ثامنا: ماهية الاشتراكية فى إسرائيل:

١- بذور الفكر والتنظيم الاشتراكى:

(أ) ترجع هذه البذور إلى عناصر المهاجرين الأول الذين وفدوا على فلسطين من شرق أوربا، وروسيا قبل الحرب العالمية الأولى، وكان هناك أربعة أحزاب يهودية اشتراكية هى:

- العصبة (The Bund) وهو الحزب الاشتراكى المناوئ للصهيونية، وكان أقربها إلى الفكر الماركسى.
- الحزب الصهيونى الاشتراكى (The Zionist socialist Party) ويعتنق فكراً مخففاً عن سابقه.
- حزب عمال صهيون (Poaleizion).
- والحزب اليهودى الاشتراكى للعمال (Jewish Socialist Party)، وهو حزب لانجد فى برامجه الا لمسات خفيفة للاشتراكية.

(ب) وجـاءت الحـركـة الاشـتـراكـيـة لليـهـود فى فلسطين نسـخـة من الوضع الذى كان سائدا بين يهود روسيا فنجد:

- حزبا شيوعيا مناوئا للصهيونية.
- والمابام وهو أقرب الأحزاب غير الشيوعية للاشتراكية.
- وأيضا حزب «أحدوت هاعفودا».
- والماباى الذى لايحمل إلا أدنى ملامح الاشتراكية الماركسية.

(جـ) هذا وقد تولدت الحركتان الأساسيتان لليهود فى عام واحد:

وقد احـتـدم الصـراع بين هاتين الحـركـتين حـتى انـتـصـرت الفكرة الصهيونية

- (الصهيونية) فى مدينة (بازل) فى سبتمبر ١٨٩٧.
- (والحركة الاشتراكية اليهودية) فى (فيينا) فى أكتوبر ١٨٩٧.

٢ـ اشتراكية يهود إسرائيل:

وبسـبـب انتـصـار اتجـاه الصـهـيـونيـة إلى الاتجـاه الإشـتـراكى، والضرورات القومية لليهود ومنها ضرورة الأعتماد على التحالف مع الأستعمار والأعتماد فى معيشة يهود فلسطين على معوناته فاقت الفكر والممارسة الاشتراكية اليهودية فى فلسطين. من ثم فى إسرائيل وفى داخل الحركة العمالية تحولت إلى اتجاه البرجوازية الصغيرة والأتجاه الليبرالى وقبول الواقع البراجماتى على الالتزام النظرى.

ولذلك لم تصر الاشتراكية فى إسرائيل على التأميم للمشروعات

الكبرى أو ملكية الدولة لأدوات الإنتاج، كما لم تتحول إلى دكتاتورية بروليتاريا أو تقوم على أساس الصراع الطبقى.

وبدلا من ذلك تم المزج بين الإشتراكية اليهودية والصهيونية.

٣ـ «ماركس» والمسألة اليهودية:

ومن المفارقات أن «كارل ماركس» تحدث عن المسألة اليهودية عام ١٨٤٤ حيث:

(أ) هاجم اليهود الأوربيين والمثالية التى كانت تنطوى عليها دعوتهم لهجرة اليهود إلى فلسطين.

(ب) أكد أن العوامل الأقتصادية للدعوة الأقتصادية معدومة.

(جـ) وبين خطأ ترك البلاد الأوربية الغنية صناعيا فى سبيل أرض متخلفة وحياة صعبة.

٤ـ صعوبات التطبيق الاشتراكى اليهودى:

وقد حاول الاشتراكيون اليهود تطبيق أفكارهم فى فلسطين ولكن واجهتهم عدة صعوبات منها:

(أ) الموقف السلبى من العامل العربى وهو أمر جرف الاشتراكية بين اليهود ناحية التعصب.

(ب) تحول «الهستدروت» إلى صاحب عمل بدخوله الى المشاريع الاقتصادية.

(جـ) فشل فكرة الكيبوتز التى كانت تدور حول محورين أساسيين هما:

- استثمار الأراضى الزراعية التى يشغلونها.
- وضع فكرة الحياة الجماعية موضع التجربة.

(د) الأعتماد المستمر والكامل للأشتراكية على المعونات الاقتصادية الخارجية وخاصة المعونات الرأسمالية ومن أبرزها الأمريكية.

(هـ) التأثير السلبى للهجرة الكبرى لليهود الشرقيين على الاشتراكية وتطبيقها فى إسرائيل مما حول انضمام العمال اليهود الشرقيين إلى «الهستدروت» إلى رغبة فى الإنصاف وتحقيق المساواة مع غيرهم من العمال الأوربيين المهرة وهو ماوصف بأنه «اشتراكية الإحسان».

٥- خلاصة:

والخلاصة أن إسرائيل لم تعتمد فى كيانها على الأشتراكية بل على الصهيونية التى التحمت بالدول الاستعمارية طلبا للمساعدات والحماية.

وجاء السقوط السوفييتى وسقوط نماذج التطبيق الاشتراكى مؤكدا لواقع الحال.

تعليق

باستقراء تاريخ الحركة الصهيونية ونشأة دولة إسرائيل نجد أن هناك محاور ثلاثة رئيسية أقيمت عليها دعائم دولة إسرائيل ونمو مجتمعها فى مختلف أبعاده السياسية والاقتصادية والعسكرية.

ويمكن إبراز الدعائم الثلاث التالية وهى:

١ـ الهستدروت:

وهى قوة نقابات العمال واتحاداته والتى كانت تقوم بوظائف اقتصادية وسياسية وثقافية فى المجتمع الإسرائيلى لتنمية الفرد اليهودى، وقد كانت بصمات «بن جوريون» داخل «الهستدروت» واضحة قبل وبعد إنشاء دولة إسرائيل.

٢ـ جيش الدفاع الإسرائيلى:

والدعامة الثانية كانت جيش الدفاع الإسرائيلى الذى بدأت قواته قبل عام ١٩٤٨ بقيام «الهاجاناه» التى قامت بتنظيم وتدريب الأفراد المسلحين ومواجهة التحركات الفلسطينية والبريطانية.

ثم قام «بن جوريون» بعد عام ١٩٤٨ بتطوير «الهاجاناه» إلى جيش الدفاع الإسرائيلى وأوصله إلى درجة حيازة السلاح الذرى.

٣ـ حزب الماباى:

وهو الحزب الذى كان له دور فعال فى تقدم ونمو «الهستدروت» وفى تكوين «الهاجاناه» وجيش الدفاع الإسرائيلى.

وأدت حركة الأحزاب الإسرائيلية ـ حتى أدت صراعاتها ـ إلى تدعيم أسس الديمقراطية فى إسرائيل.

الفصل الثانى

القوة العسكرية لإسرائيل

«الهاجاناه»

الفصل الثانى

القوى العسكرية لإسرائيل

أولا: الخلفية والتنظيم:

١- الهاجاناه (زحال)

٢- منظمة الشباب الطلائعى (نحال).

٣- تنظيم الجيش عام ١٩٤٨.

٤- وزارة الدفاع.

٥- أهمية وزارة الدفاع.

ثانيا: ترسانة إسرائيل النووية.

ثالثا: أهمية الأمن فى الفكر والسلوك الحزبي والحكومى:

١- أيديولوجية الأحزاب الإسرائيلية (والدفاع).

٢- انعكاس الأيديولوجية على العمل السياسى.

جيش الدفاع الإسرائيلي

أولا: الخلفية والتنظيم:

١ـ الهاجاناه (جيش الدفاع):

(أ) كان حزب الماباى هو الذى عمل على إقامة وتنظيم وتسليح وتدريب منظمة الهاجاناه التى لعبت دورا فعالا فى حرب ١٩٤٨.

(ب) كما تولى الحزب بعد عام ١٩٤٨، تحويل هذه المنظمة إلى جيش نظامى لإسرائيل ويسمى (زحال).

ولذلك تمتع حزب الماباى وزعيمه ـ حتى عام ١٩٦٥ ـ «بن جوريون»، برصيد كبير بين صفوف ضباط الجيش الإسرائيلى.

٢ـ منظمة الشباب الطلائعيين (نحال):

(أ) كما أوجد حزب الماباى منظمة الشباب الطلائعيين (نحال)، الذين يعيشون فى مناطق خطرة على الحدود فى مزارع دفاعية، هدفها تأخير تقدم القوات العربية، ومقاومة تغلغل الفدائيين الفلسطينيين إلى الأرض المحتلة.

٣- تنظيم الجيش بعد عام ١٩٤٨ :

(أ) كانت المشكلة التى واجهت دولة إسرائيل، هى قلة العنصر البشرى بالنسبة لمستلزمات بناء الدولة، وخاصة أن إسرائيل كانت فى حاجة إلى القوى العاملة لبناء، مساكن المهاجرين الجدد، ولشق شبكة واسعة من الطرق وبناء المستشفيات والمدارس والموانى، وتعمير صحراء النقب، وإدارة باقى المؤسسات التجارية والصناعية.

(ب) وبالإضافة إلى ذلك، كان أمام إسرائيل أن تحول الهاجاناه إلى جيش نظامى، وتم وضع الخطة - من قبل حزب الماباى - آخذة فى الاعتبار قلة العنصر البشرى.

(جـ) تم تشكيل الجيش من أربعة عناصر رئيسية:

الأول: جيش نظامى صغير يضم عناصر من الضباط أساسا يتولون قيادة فرق التجنيد العام والأحتياطى، ويشرفون على كليات التدريب العسكرى.

الثانى: قسم التجنيد الإجبارى العام للذكور والإناث، من سن ١٨ - ٤٩ للذكور، و ٣٥ للإناث ويتلقى هؤلاء تدريبهم لمدة ٣٠ شهرا للذكور و٢٠ شهرا للإناث، ثم ينتقلون إلى المعامل والمزارع ويصبحون أحد منابع الاحتياط.

الثالث: (الأحتياط) ويمتاز جندى الأحتياط فى إسرائيل بسرعة استجابته لنداء الخدمة، لأن كل جندى احتياطى له رقم خاص، ويحدد له مكان التجمع عند النداء، ويلتحق جنود الأحتياط بوحداتهم العسكرية فى فترات مختلفة من السنة،

حتى يكونوا على صلة مستمرة بمستجدات التدريب والتسليح.

والرابع: (ناحال) وهى قوة عسكرية ـ مدنية، مدربة سبق الإشارة إليها.

٤ـ وزارة الدفاع:

(أ) لايمكن الحديث عن جيش الدفاع الإسرائيلى دون الإشارة إلى الوزارة المختصة بإدارة هذا الجيش على المستويين السياسى والعسكرى وهى وزارة الدفاع.

(ب) ووزارة الدفاع، هى الذراع المدنى والسياسى للجيش، وتحددت واجباتها بمعاونة جيش الدفاع الإسرائيلى بكل أعماله، وتوفير حاجاته المتعلقة بالدفاع عن الدولة، ولاتدخل ضمن المهام القتالية.

(جـ) وتعتبر هذه الوزارة من أهم وزارات الدولة فى إسرائيل، ولها أجهزة خاصة تشرف على منظمات خاصة للشباب، ولها مستعمرات زراعية خاصة على الحدود، وهى على اتصال وثيق بمعامل الجامعة العبرية و «معهد وايزمان» للأبحاث و «معهد تكنيون» لتنسيق الدراسات وتبادل المعلومات، بهدف تحسين كفاءة الجيش.

(د) كما تشرف الوزارة على لجنة الطاقة النووية والمؤسسات المتفرعة عنها فى ناحال سوريك وديمونه.

(هـ) وتشرف على إدارة الجليل والقرى العربية.

(و) وتبلغ مخصصات الوزارة (المعلنة) حدا كبيرا:

- ففى ميزانية ١٩٦٥/ ١٩٦٦ بلغت ٢٧١ مليون دولار من أصل ميزانية ٨٨٨ مليون دولار، أى أكثر من ٣٠٪ من مجموع الميزانية، وماخفى كان أعظم.

٥- أهمية وزارة الدفاع:

(أ) وليست أرقام الميزانية وحدها هى التى تحدد أهمية وزارة الدفاع، بل إن نشاط الوزارة يتسع لنشاطات سياسية وعلمية واجتماعية وثقافية.

(ب) وكانت وزارة الدفاع تدس أنفها دائما فى كل شىء، وهناك مثال واضح فى «قضية أو فضيحة لافون»، الذى كان وزيرا للدفاع عام ١٩٥٤، فقد قامت الوزارة بمحاولة تخريبية، بإلقاء متفجرات على المؤسسات الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والإسكندرية، وقد هدفت المخابرات الإسرائيلية، ووزارة الدفاع تصوير الموقف على أنه عمل من أعمال الوطنيين المصريين، وذلك لتخريب العلاقات بين مصر والغرب وخاصة بريطانيا، وحثها على عدم الانسحاب من مصر، وكان ليقظة الأمن المصرى دور فعال فى إحباط هذه المحاولة.

وقد ترتب على هذه الفضيحة استقالة «لافون» مؤقتا ثم أدى الأمر إلى تحرك أنصار «لافون» ضد «بن جوريون» الأمر الذى أدى إلى استقالته من اللجنة المركزية ثم من الحزب.

ثانيا: ترسانة إسرائيل النووية:

- كشف التقرير الصحفى للصنداى تايمز البريطانية فى

٥/١٠/١٩٨٦، عن أسرار مصنع قائم تحت الأرض لإنتاج الأسلحة النووية فى إسرائيل.

- ويوجد هذا المصنع تحت الأرض فى صحراء النقب ويقوم منذ حوالى عام ١٩٦٦، بإنتاج الرءوس الحربية النووية، بطاقة تكفى لتدمير مدن بأكملها.
- وقد كشف كل ذلك الشهادة التى أدلى بها «مرد خاى فانونو»، وهو إسرائيلى يبلغ من العمر ٣١ سنة (عام ١٩٨٦)، وكان يعمل فى مجال التقنين النووية لمدة عشر سنوات فى «ماخون ٢»، وهو بناء محصن قائم تحت الأرض وبالغ السرية فى مفاعل ديمونة - وهى مؤسسة الأبحاث النووية الإسرائيلية.
- وتثبت الخبراء عندئذ - بعد شهادة «فانونو» - بأن إسرائيل لاتمتلك القنبلة فحسب، بل أنها أصبحت قوة نووية رئيسية.
- وتأتى إسرائيل فى المرتبة السادسة للقوة النووية فى العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين.
- وهى تمتلك ترسانة أكبر مما تمتلكه دول مثل، الهند وباكستان وجنوب أفريقيا.
- وقد قامت إسرائيل ببناء قوتها النووية مستعينة بفرنسا.

ثالثا: أهمية الأمن فى الفكر والسلوك الحزبى والحكومى:

١- أيديولوجية الأحزاب الإسرائيلية:

(أ) ويتصل بموضوعنا هذا الأهمية التى يحظى بها الجيش - والأمن الإسرائيلى - فى التصور الفكرى للأحزاب الإسرائيلية على اختلافها.

(ب) فهذه الأحزاب آمنت:

- بأهمية الأمن الإسرائيلى قبل كل شئ.
- وبأهمية بقاء دولة إسرائيل.
- ودعم قوتها لتصبح أقوى من الدول العربية مجتمعة، بل وتمكنت من إقناع حلفائها الغربيين بهذه الاستراتيجية.
- وبتحقيق المكاسب الاستراتيجية على حساب العرب.
- وبدعم مكاسبها الاقتصادية على حسابهم أيضا.
- وبأن المزيد من الأرض (أى التوسع) هو الوسيلة المضمونة لتحقيق الأمن.
- وأيضا بأن امتلاك السلاح النووى كفيل بردع العرب.

(جـ) كما قامت إسرائيل بانتهاز الفرصة التاريخية الناتجة عن التهديد السوفييتى من ناحية، وعداء الأنظمة العربية التحررية للأستعمار والإمبريالية من ناحية أخرى، وعقدت تحالفا مع العالم الغربى، ثم الولايات المتحدة الأمريكية استنادا إلى هذا المفهوم، وحققت مكاسب كبيرة أبرزها مكاسبها الإقليمية إثر حرب عام ١٩٦٧.

٢ـ انعكاس أيديولوجية الأحزاب على العمل السياسى:

- ونقصد بذلك أن المكانة العالية للأمن والدفاع فى أيديولوجية الأحزاب وبرامجها، قد ظهرت واضحة فى سلوك الحكومات الإسرائيلية على المستويين الخارجى والداخلى.

(أ) السياسة الخارجية:

- ونأخذ مثالاً لذلك من سياسة حزب الماباى أكبر الأحزاب السياسية فى إسرائيل بالنسبة للعلاقات الخارجية.

- وتهتم وتركز السياسة الخارجية على احتياجات الدفاع، والبحث عن مصادر السلاح، بشكل متنوع، حتى لاتبقى فرص التسلح محدودة أمام إسرائيل، ولذلك كان عليها أن تنوع من صداقتها وارتباطاتها حتى عندما التحمت بشكل كبير مع الولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) وتهتم السياسة الداخلية للدولة، بتدعيم القدرات العسكرية، عن طريق دعم برامج الهجرة، وزيادة الإنتاج الزراعى والصناعى، ودعم الأبحاث العلمية، وجذب رءوس الأموال من الخارج، وهو أمر أدى فى النهاية إلى تدعيم القدرات العسكرية والمؤسسين لإسرائيل بما فى ذلك امتلاك السلاح النووى.

الفصل الثالث

حزب «الماباى»

الفصل الثالث

«حزب الماباى»

أولا: أرضية العمل السياسى العام فى إسرائيل ونشاط الحزب:

١ ـ من اليهودية إلى الصهيونية.

٢ ـ الاتجاه الصهيونى العلمانى الاشتراكى.

٣ ـ عوامل قوة الحركةالعمالية.

٤ ـ نشأة «حزب الماباى».

٥ ـ طبيعة الأحزاب الإسرائيلية.

ثانيا: البناء التنظيمى «للماباى»:

١ـ البناء التنظيمى العام.

٢ـ النشاط الاقتصادى للحزب.

٣ـ البيروقراطية.

٤ ـ القيادة .
٥ ـ العضوية.

ثالثا: البناء الفكرى:
١ـ الخلفية.
٢ـ حزب أقرب إلى التجمع.

رابعا: العمل السياسى:
١ـ نظرة عامة.
٢ـ الحزب والتنظيم الداخلى للكنيست.
٣ـ الحزب والدستور.
٤ـ النظام الانتخابى.
٥ـ الحزب والحكومة.
٦ـ الحزب والسياسة الخارجية.
٧ـ الحزب والسياسة الداخلية
٨ ـ تنظيم القوات المسلحة.

خامسا: انشقاق الماباى:
١ـ المظهر الرئيسى للانشقاق.
٢ـ أسباب الانشقاق.

«حزب المباى»

أولا: أرضية العمل السياسى العام فى إسرائيل ونشأة «حزب الماباى»:

١- من اليهودية إلى الصهيونية:

(أ) بدأت الحركة اليهودية مسيرتها فى شكل نهضة إصلاحية تستهدف إحياء الفكر الدينى اليهودى وبعث التقاليد والعادات القديمة.

(ب) وظهرت حركات وتصورات رجال الدين والمتعصبين من اليهود تبشر بمجئ «المسيح» ليعيد بنى إسرائيل إلى فلسطين، وكانت هذه الأفكار بمثابة نواة الأحزاب الدينية التى ظهرت بعد قيام المؤتمر الصهيونى والتى لاتزال لها قوة كبيرة فى إسرائيل.

(جـ) وبينما كان التيار الدينى يشتد وينتظم فى جمعيات، ظهر اتجاه آخر يقول: بأن الدين والعادات اليهودية حفظت الخصائص

الرئيسية للشعب اليهودى، إلا أن تطور الظروف والأفكار يتطلب فصل الدين عن الحياة المدنية، وكان هذا التيار علمانيا وعرف باسم «التيار الصهيوني»، فكانت «جماعة محبى صهيون» التى نشأت فى شرق أوربا، من أبرز ممثلى هذا التيار الذى وجه انتقادات إلى التيار الدينى، لأنه لايصلح أساسا لبناء الكيان السياسى.

٢ـ الاتجاه الصهيونى العلمانى الاشتراكى:

(أ) وقد ظهر فى التيار الصهيونى خطان رئيسيان هما: الأول اشتراكى عمالى، والثانى يمينى محافظ.

(ب) ويعود التيار العلمانى الأشتراكى إلى مفكر يهودى صهيونى يدعى «هس» تولدت نظريته فى القرن التاسع عشر، ويعد أحد رواد الفكر الصهيونى الحديث، حيث نشر عام ١٨٦٢ كتابا باسم «روما والقدس» طالب فيه اليهود بإقامة دولة خاصة لهم فى فلسطين، كما كان «هس» ـ بالإضافة إلى دعوته القومية ـ من أبرز رواد الاشتراكية الصهيونية.

(جـ) وقد نشأت عدة تجمعات عمالية فى فلسطين من اليهود منها:

- (عمال صهيون): وقد كانت نشأتهم فى أوربا الشرقية، ويعتنقون الماركسية ويرفضون الأنضمام فى نفس الوقت إلى التنظيمات الشيوعية الأم فى أوربا.
- (العامل الفنى): وتتفق مع المجموعة الأولى فى نظام المستعمرات والاتجاه السياسى، واعتبار العبرية لغة قومية ولكنها لم تقبل الماركسية فكرا.

- (العمل الموحد): ومثلوا فى السنين السابقة على الأنتداب، اتجاها عماليا متطرفا يدعون به لاشتراكية دولية، ولكنهم فى النهاية اندمجوا مع خصومهم ليشكلوا «حزب الماباى».
- (الحارس الفنى): ظهرت المجموعة فى بولندا بعد الحرب العالمية الأولى، واتسمت بتطرفها الأشتراكى، وكان للمجموعة نواة مسلحة منظمة تشكلت منها فى الحرب العالمية الثانية منظمة البالماخ، وفى عام ١٩٤٨ أصبحت تمثل حزب الماباى.

(د) وفى عام ١٩٢٠ اتفقت جميع الفئات العمالية على تنظيم شئونها المهنية، وفصلها عن مجالات الاختلاف الفكرى والسياسى، ومن هنا تأسست الهستدروت.

٣ـ عوامل قوة الحركة العمالية:

كان للحركة العمالية والتيار العلمانى قوة فاعلة فى المجتمع «اليهودى ـ الصهيونى» تعود إلى عدة أسباب أبرزها:

(أ) تزاوج اتجاهين رئيسيين، هما الاندفاع العاطفى والذى خلقته الفكرة الصهيونية من جهة، وتأثر اليهود بانتشار الفكر الأشتراكى من ناحية أخرى.

(ب) التجارب الناجحة الخاصة بالمزارع الأشتراكية، وماتحمله من إمكانية القضاء على الاستغلال.

(جـ) وفرة أموال الدعم الخارجى، لتأمين نجاح الأستعمار الزراعى.

(د) أمتلاك أحزاب العمال لكل المستعمرات التعاونية والأشتراكية، والمصانع والشركات التابعة لها وهو أمر أعلى من قوتها الأقتصادية ومن ثم من قدراتها السياسية.

٤ـ نشأة (حزب الماباى) :

(أ) نشأ (حزب الماباى) باندماج حزبين:

- (العامل الفنى) الذى لايؤمن (بالماركسية).
- وحزب(العمل الموحد) الذى اعتبر نفسه (ماركسيا).

ـ وبهذا حمل الحزب منذ بدايته أكثر من اتجاه.

ـ وبذلك أصبح (الماباى) أقرب إلى الجبهة منه إلى الحزب الذى يمثل طبقة خاصة.

(ب) وأدى هذا التناقض فى عام ١٩٤٨، إلى انسحاب الجناح اليسارى الذى شكل حزب العمل الموحد «احدوت هاعفودا» والذى اندمج فيما بعد مع (حزب الحارس الفنى) ليشكل حزب الماباى الاشتراكى.

(جـ) ثم انشق حزب العمل الموحد مرة أخرى عن الماباى وعمل كحزب مستقل حتى عام ١٩٦٥، حيث اندمج فى تحالف انتخابى مع حزب الماباى.

(د) وقد ترتب على التحالف السابق حدوث انشقاق كبير فى (الماباى) الذى تزعمه «بن جوريون» عام ١٩٦٥، ونتج عن هذا الأنشقاق قيام حزب منشق جديد باسم «رافى».

(هـ) ويعتبر (حزب الماباى) أقوى أحزاب إسرائيل قبل وبعد عام

١٩٦٥، وقد تمكن منذ عام ١٩٣٣ من السيطرة على الدائرة السياسية فى «الوكالة اليهودية» وتمثيل دور القائد لليهود فى فلسطين.

- وقد أدت حركة الماباى النشطة وخاصة من خلال سيطرته على (الوكالة اليهودية) التى اعترف بها الأنتداب البريطانى، ممثلة رسمية لليهود فى فلسطين، أدت إلى أن يصبح (الماباى) القيادة الفعلية لليهود فى فلسطين.
- وتولى الماباى مقاليد الدبلوماسية الصهيونية منذ عام ١٩٣٩، وأصبح معظم قادة المنظمة الصهيونية إما أعضاء فى الماباى أو مناصرين له من أمثال: «حاييم وايزمان» و«اسحق بن زفى» و «زلمان شازار» «وموسى شاريت» و «بن جوريون».
- كما سيطر الماباى على الهستدروت، وهى المنظمة العمالية التى تشرف على جميع الخدمات فى إسرائيل وفى الخارج.
- كما كان الماباى هو الذى أقام ونظم وسلح «منظمة الهاجاناه» (جيش الدفاع) التى لعبت دورا بارزا فى حرب ١٩٤٨.
- ثم تولى الماباى تحويل الهاجاناه بعد عام ١٩٤٥ إلى جيش إسرائيل النظامى الذى سمى (زحال).

٥- الطبيعة الخاصة للأحزاب الإسرائيلية:

(أ) الأحزاب الإسرائيلية، لها صفات خاصة تختلف عن المفهوم العام للأحزاب فى العالم.

- فهى تحتوى على كل مظاهر الحياة بالنسبة لأعضائها، ومثال ذلك: كانت الأحزاب قبل نشأة الدولة هى السبيل إلى الهجرة واستيعاب وتوطين المهاجرين، ولهذا أصبحت الأحزاب اليهودية مجتمعات قائمة بذاتها.

(ب) وبعد قيام الدولة، أصبح لكل حزب مؤسساته الخاصة لتنظيم أوجه النشاط الخاصة بالأعضاء من أوجه سياسية واقتصادية وثقافية بما يعنى تحول الحزب إلى دولة داخل الدولة، من أجل رعاية أعضائه، ولهذا يفضل أغلبية اليهود فى إسرائيل الأنتظام فى الأحزاب السياسية.

(جـ) ولهذا فإن عضوية حزب الماباى وطبيعة تشكيله، هى امتداد لهذا الوضع العام ومواجهة متطلباته.

ثانيا: البناء التنظيمى للماباى:

١- البناء التنظيمى العام:

(أ) ينقسم (الماباى) إلى ١٥ منطقة تنقسم بدورها إلى ٢٠٠ فرع ويوزع مجموع أعضاء الفرع على عدد من الخلايا.

- ويبدأ العمل الحزبى فى الماباى من القواعد إلى الفروع، فتكون «اللجنة المحلية» مسئولة عن نشاط الفرع.

- وينتخب أعضاء الفرع ممثليهم فى مؤتمر الحزب الذى يتكون من أكثر من ألف عضو.

- وينتخب مؤتمر الحزب من بين أعضائه ٣٠٠ عضو يشكلون المجلس الوطنى للحزب.

- والذى ينتخب بدوره «اللجنة المركزية» من ٧٠ عضوا.

ـ ومنها تنبثق اللجنة السياسية من ٢٣ عضوا.

ـ ينتخبون بدورهم خمسة أعضاء، ليشكلوا (سكرتارية الحزب) إلى الأمانة العامة.

ـ وتعتبر اللجنة المركزية أهم مستوى فى الحزب، لأنها تحوز فعالية الإشراف والموافقة.

(ب) وبناء على ماسبق، نجد أن السلطة فى الحزب من الناحية التنظيمية تنبثق من القاعدة، وتفوض وتنقل تدريجيا إلى مستويات القيادة العليا، إلا أن المجال التطبيقى، يظهر أن السلطة الفعلية تنبثق من الأمانة العامة للحزب، وتنطلق منها إلى مختلف مستوياته، وهو أمر أدى إلى تدهور شعبية الماباى فى مرحلة ظهرت نتيجتها فى انتخابات الكنيست عام ١٩٥٥، ولذا اضطر الحزب إلى إجراء إصلاحات عام ١٩٥٦ أعادت الأمور إلى نصابها تدعيما للديمقراطية واستنادا إلى الانتخابات الحرة من القاعدة إلى القمة، وإلى تدعيم دور الفروع فى أعمال الحزب، ومنها تحديد مرشحى الحزب فى انتخابات «الكنيست».

٢ـ الجانب الأقتصادى فى نشاط الحزب:

(أ) يحظى هذا الجانب بأهمية كبرى، ونجده ينقسم قسمين:

ـ القسم الزراعى التابع للحزب مباشرة من الناحيتين الإدارية والمالية وهو بدوره ينقسم إلى نوعين الأول: الكيبوتز، والثانى (الكفوتسوت)

ـ ثم القسم الخاص بالشركات التعاونية الكبيرة.

(ب) وأهمية الكيبوتز بالإضافة إلى دوره كوحدة اقتصادية هو قيامه بدور مركز تجمع الشباب من الناحيتين العسكرية والسياسية، فقد كانت كل التشكيلات العسكرية (لمنظمة الهاجناه) قبل عام ١٩٤٥، تستند إلى الكيبوتز.

- أما من الناحية السياسية فإن الكيبوتز هو مصدر مهم للقادة السياسيين للأحزاب الإسرائيلية.

٣- البيروقراطية:

- الماباى حزب بيروقراطى يشبه فى هذا الصدد أحزاب أوربا الغربية، فهناك سلم من المناصب يمتد عبر مستويات الحزب، وصعوده يعد أمرا بالغ الصعوبة وبطيئاً ويتم تدريجيا.
- ويعتمد الأرتقاء على الأقدمية ودرجة الولاء للحزب، والخدمات التى يقدمها العضو للحزب.
- ونظرا لبطء التصعيد، نجد هناك فجوة كبيرة بين الرعيل الأول والعناصر الشابة
- وهذا هو حال باقى الأحزاب الإسرائيلية.

٤) القيادة:

(أ) يعد الماباى هو حزب موجة الهجرة الثانية إلى فلسطين، ومع مرور الزمن يتلاشى هذا الوصف، ولم يبق إلا «بن جوريون» من زعماء الموجة الثانية، الذى تولى قيادة الحزب والدولة باستمرار حتى انشقاقه عن الحزب عام ١٩٦٥ .

(ب) ولهذا نجد القادة الفعليين للحزب ينتمون إلى الموجة الثالثة من الهجرة، وإن أخذت أسماؤهم تختفى بمرور الزمن، الواحد تلو الآخر.

(جـ) وقد مثل «بن جوريون» أبرز القيادات الحزبية والإسرائيلية بشكل عام حتى عام ١٩٦٥، فقد لعب دورا بارزا فى إنشاء الهستدروت، وكان له دور بارز فى الحركة الصهيونية العالمية، وتولى منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع منذ قيام إسرائيل وحتى عام ١٩٦٥.

(د) وتمثل القيادة فى الحزب عدداً من المصالح والاتجاهات أكثر من تمثيل الحزب نفسه، مما يعطى القيادة أهمية فردية كبيرة، لأن القائد الموهوب فى حزب متعدد المصالح يمثل ضرورة بالغة الأهمية، ويعتمد القائد الفرد عادة فى مثل هذه الحالة - وقد حدث فى الماباى - على سرعة الحركة والمرونة وتعيين الأنصار، وحزب الزملاء القدامى والسيطرة بيد من حديد على مقاليد الحزب وهو أمر حدث فى حالة قيادة «بن جوريون».

٥ - العضوية:

(أ) وفق إحصائيات عام ١٩٦٦، بلغ عدد أعضاء الحزب حوالى ٢٠٠ ألف عضو، وحاز على حوالى ٣٥٪ من مجموع أصوات الناخبين فى إسرائيل، ويعود هذا التأييد إلى:

- سيطرةالماباى على الهستدروت.
- والسيطرة على الهاجناه وبالتالى الجيش.

● والسيطرة على الوكالة اليهودية وعلى الدولة بعد عام ١٩٤٨.

● وفى ذلك الوقت لشخصية «بن جوريون» التاريخية.

(ب) ويستمد الحزب عضويته من الطبقة العاملة فى الريف، والمستعمرات التعاونية، ومن عمال المدن، ومن البورجوازية الصغيرة.

(جـ) وقد حدث شقاق بالحزب ترتب عليه انسحاب الجناح اليسارى الذى شكل حزبا مستقلا بالإضافة إلى ضعف الاتجاه الاشتراكى داخل الحزب.

ثالثا: البناء الفكرى (الأيديولوجية):

١- الخلفية:

(أ) تأثرت الأحزاب السياسية اليهودية بالتركيبات الخاصة لليهود، خاصة القادمين من أوربا الشرقية، واستمدت معتقداتها من الحركة الصهيونية، ولذا اتفقت كل الأحزاب بما فيها الحزب الشيوعى على المسألة القومية، وضرورة بقاء إسرائيل، وزيادة قوتها العسكرية، وتحقيق المكاسب الاستراتيجية والاقتصادية على حساب العرب.

(ب) ومع ذلك أصبح لكل حزب طابعه الخاص، مع تأثرها جميعا بالتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية فى القرن التاسع عشر، مثل الاتجاهات العلمانية والاشتراكية والليبرالية والقومية.

(جـ) وقد اندمجت كل هذه التيارات فى الحركة الصهيونية التى أفرزت عددا من الأحزاب التى أخذت بعض السمات المشار إليها.

٢ـ حزب أقرب إلى التجمع:

(أ) الأحزاب هنا تمثل مجموعات متعددة ومتنوعة، أو تمثل فئة أو طبقة واحدة، وأخيرا الأحزاب السائلة التى لاتمثل مجموعة بالتحديد، والماباى يندرج تحت القسم الأول، وذلك للأسباب التالية:

- مثل الماباى القيم الأساسية للحركة الصهيونية وعبر عن مطامحها وقاد دولة إسرائيل، وكان لابد له للقيام بهذا الدور القيادى، أن يحتوى اتجاهات متعددة.
- وهو حزب واقعى وليس حزبا مثالياً.
- تحول الحزب إلى أداة لنفع الأعضاء وتقديم الخدمات لهم.
- ويعتمد الحزب دائما إلى التكيف مع الظروف الجديدة، ويحاول استيعابها من أجل توسيع قاعدة الحزب.

رابعا: العمل السياسى:

١ـ نظرة عامة:

(أ) ـ بدأ حزب الماباى نشاطه السياسى ضمن الحركة الصهيونية العالمية منذ قيامها.

ـ ومن خلال سيطرته على الهستدروت والوكالة اليهودية فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨، أصبح يمثل الأداة الرئيسية فى يد المنظمة الصهيونية العالمية.

ب) كما قام بتأسيس (الهاجاناه) وقيادتها، وهى القوات التى شكلت الأداة العسكرية الفعالة للحركة الصهيونية فى مقاومة انتفاضات

الثورة الفلسطينية، وحماية المستعمرات اليهودية والإعداد والمساهمة فى حرب عام ١٩٤٨. وبعد قيام الدولة تحولت «الهاجناه» إلى نواة جيش الدفاع الإسرائيلى.
(جـ) وساهم بنشاط كبير فى حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٢- الحزب والتنظيم الداخلى فى الكنيست:

(أ) يتألف الكنيست من مجلس واحد يضم ١٢٠ عضواً، وينقسم أعضاؤه إلى تسع لجان تسير أعمال المجلس، ونتيجة لتعدد الأحزاب والأجنحة لانجد حزبا يحوز اكثر من $\frac{١}{٣}$ أعضاء الكنيست وهو مايتطلب دائما قيام حكومة ائتلافية.

(ب) وقد مر موضوع تحديد اللجان بعدة مناورات أهمها وجهة نظر تقول بضرورة وجود لجنة برلمانية فى مواجهة كل وزارة من أجل مراقبة عملها التنفيذى ومساءلتها، وهى وجهة نظر تؤدى إلى إحكام سيطرة السلطة التشريعية، ووجهة نظر تقول بوجود لجان تتصل بطبيعة عمل الكنيست بغض النظر عن الوزارات ونوعيتها، وقد تبنى الماباى النظرة الثانية من أجل تحجيم دور السلطة التشريعية ودعم سلطات السلطة التنفيذية.

٣) الحزب والدستور:

(أ) عند عملية وضع الدستور فى (الكنيست)، نادت أحزاب المعارضة - اليسارية وعدد من الأحزاب اليمينية المشتركة فى الحكم - بضرورة وضع دستور مكتوب لأن ذلك يزيد من استقرار

الدولة، ويحول دون اغتصاب السلطة، ويؤمن الحريات الأساسية وحقوق الأقليات.

(ب) أما وجهة النظر الثانية والتى تمثل اليهود الأرثوذكس فتقول، بأن الدستور الوحيد هو الدستور المبنى على التعاليم الدينية الواردة فى التوراة، وقد أيد الماباى والحزبان المؤتلفان معه فى الحكومة وجهة النظر الثانية.

٤- (الماباى) والنظام الانتخابى:

(أ) تتم الانتخابات فى إسرائيل على أساس دائرة واحدة تمثل كل إسرائيل، وتطرح فى الانتخابات قوائم مستقلة لكل حزب، تحتوى كل قائمة على ١٢٠ عضوا (عدد أعضاء الكنيست) وترتب كل قائمة بحسب الأفضلية، والمطلوب من كل ناخب أن يختار من بين هذا العدد الكبير ١٢٠ اسما.

ب) وبذلك تطبق فى الانتخابات قاعدة النسبية التى تحدد عدد ممثلى الحزب فى الكنيست بعملية حسابية معقدة، على ضوء نسبة الأصوات التى نالها الحزب من مجموع أصوات الناخبين.

(جـ) وهذا النظام يفسح المجال أمام أصغر الأحزاب عددا ونفوذا لتمثيله فى (الكنيست) كوحدة مستقلة، وهو أمر يلعب دورا كبيرا ومؤثرا فى النشاط الحكومى والبرلمانى.

(د) وقد كان الماباى يعارض هذه الصيغة الانتخابية، لأنها تؤيد وجود دوائر متعددة نظرا لاتساع نفوذها جغرافيا على أرض إسرائيل.

٥ - (الماباى) والحكومة:

(أ) نظرا لتعدد الأحزاب وكثرتها، وعدم تمكن أى حزب من إحراز أغلبية مطلقة، فإن هذا يؤدى إلى قيام السلطة التنفيذية عبر حكومة ائتلافية، وقد انطبق هذا الوضع على (الماباى) الذى كانت قوته الانتخابية تدور حول ٣٠٪ من مجموع أصوات الناخبين.

(ب) ويتم تشكيل الوزارات فى إسرائيل بموافقة اللجنة المركزية للحزب الأكبر، ويتم اختيار الممثلين فى الحكومة بالتشاور مع سكرتير عام الهستدروت، ومن ذلك تحديد الأحزاب الصغيرة التى يتم اشتراكها فى الحكومة.

(جـ) وقد عمل الماباى على المستوى الحكومى - التنفيذى - الائتلافى وفق التصورات التالية:

- المسئولية الجماعية للحكومة.
- أسلوب المساويات والضغوط والتراجعات (التنازلات)، حتى يمكن للحكومة الائتلافية أن تستمر.

٦- (الماباى) والسياسة الخارجية:

(أ) سياسة (الماباى) الخارجية هى سياسة إسرائيل الخارجية نظرا لسيطرة(الماباى) لمدة طويلة على مقاليد السلطة التنفيذية ولطبيعة حزب (الماباى) كحزب وسط أو تجمع اتجاهات متعددة.

(ب) وأهم عامل يحدد السياسة الخارجية، هو احتياجات إسرائيل الدفاعية، والبحث عن السلاح الضرورى لتحقيق سياسة إسرائيل التوسعية.

(جـ) تستند سياسة إسرائيل الخارجية إلى الانحياز لمصلحتها، وكان ذلك يؤدى إلى الانحياز إلى الغرب وخاصة - فيما بعد - الارتباط الاستراتيجى بالولايات المتحدة الأمريكية.

(د) وقد حققت هذه الرؤية المنحازة معونات ضخمة، على المستويات العسكرية والاقتصادية والسياسية والفنية.

٧- (الماباى) والسياسة الداخلية:

(أ) يقول برنامج الحزب أنه يسعى لتفوق الدولة عسكريا، وتدعيم نفوذها السياسى، ورفع مستواها الاقتصادى، وصهر سكانها وتوحيدهم، وإذابة الفوارق بينهم.

(ب) وقد ترجم الحزب هذه الأهداف على النحو التالى:

- قام بتدعيم الهجرة إلى إسرائيل، ودعم برامج الإسكان.
- وعمل على زيادة الإنتاج الزراعى والصناعى.
- وجذب رءوس الأموال الأجنبية.
- واهتم بالتحصينات العسكرية على الحدود.
- ودعم مطالب وحقوق اليهود أينما وجدوا، وعمل على إدماج الطوائف فى المجتمع الإسرائيلى.
- دعم الصلات مع الجاليات اليهودية فى العالم.
- تنمية «مدينة القدس» تنمية كاملة تمهيدا لجعلها عاصمة لإسرائيل.
- مصادرة الممتلكات العربية فى إسرائيل، ووضع العرب تحت الحكم العسكرى الصارم.
- عمل الحزب على إيصال إسرائيل لإنتاج القنبلة الذرية.

٨ ـ الماباى وتنظيم القوات المسلحة:

ـ عمل حزب الماباى لكونه رائدا فى العمل السياسى والاقتصادى، على بناء بنية عسكرية قبل عام ١٩٤٨ ـ «الهاجاناه» ـ التى شكلت نواة جيش الدفاع الإسرائيلى فيما بعد.

ـ وقد جعل الحزب للجيش وظيفة إنتاجية، إلى جانب وظيفته العسكرية.

ـ وقد تمكن الحزب من بناء جيش قوى مزود بأحدث الأسلحة نظرا لارتباط إسرائيل بالاستعمار العالمى، والاستراتيجة الكونية الأمريكية، فى فترة كانت فيها الولايات المتحدة تركز نشاطها فى احتواء النفوذ السوفيتى.

خامسا: انشقاق الماباى

١ـ المظهر الرئيسى للانشقاق:

(أ) فى نوفمبر ١٩٦٤ كان «بن جوريون» زعيم الحزب، قد وصل إلى مستوى قيادى انفرادى، عزز فيه من سلطاته الدكتاتورية فى حزب بنى أساسا على قواعد ديمقراطية.

ـ وكانت البادرة الأولى للانشقاق، هى انسحاب المجموعة المؤيدة «للافون» السكرتير العام السابق للهستدروت وبين الماباى وقررت تشكيل حركة سياسية مستقلة تحت اسم ردود من «هايسود».

(ب) ثم ازداد الأمر تأزما بتقديم زعيم إسرائيل والحاكم بأمره «ديفيد بن جوريون» استقالته من اللجنة المركزية للحزب فى نوفمبر ١٩٦٤.

(جـ) وفى ديسمبر ١٩٦٤ قدم رئيس الوزارء «ليفى أشكول» استقالة حكومته، بسبب استقالة «موشى ديان» أحد أبرز مؤيدى «بن جوريون».

وفى نفس الشهر منحت اللجنة المركزية للماباى ثقتها «لأشكول» لإعادة تشكيل الوزارة، متحدية أنصار «بن جوريون».

وفى فبراير ١٩٦٥ شهد المؤتمر العاشر للحزب انقسامات خطيرة إلا أن قراراته جاءت مؤيدة لوجهات نظر «أشكول».

(هـ) وعندما أعلن «بن جوريون» فى يونيو ١٩٦٥ عن رغبته فى تشكيل حزب جديد مستقل عن الماباى أصدرت اللجنة المركزية للحزب قرارا بفصل «بن جوريون» ومؤيديه.

وفى انتخابات نوفمبر ١٩٦٥ خاض (الماباى) المعركة متحالفا مع حزب أحدوت هاعفودا، وخاضها «بن جوريون» وأنصاره فى قائمة مستقلة ومناوئة.

وفى مايو ١٩٦٦ عقد الحزب الجديد الذى شكله «بن جوريون» وسمى حزب رافى مؤتمره التأسيسى الأول.

(و) وقد اظهرت عملية الشقاق دروساً مستفادة أبرزها:

- إعلاء شأن الديمقراطية.
- تراجع الاتجاه إلى النظام الأبوى الدكتاتورى الذى كان يعمقه «بن جوريون».
- زوال خرافة سيطرة الحرس القديم والرعيل الأول على الحياة السياسية.

٢ـ أسباب الشقاق:

ويمكن إجمال أسباب الشقاق فيما يلى:

(أ) ماأفرزته قضية أو فضيحة «لافون» من آثار، وهى قضية تعود إلى عام ١٩٥٤، عندما كان «موسى شاريت» رئيسا للوزراء، و «بنحاس لافون» وزيراً للدفاع، وقد اكتشفت حينئذ محاولة إسرائيلية تخريبية لإلقاء المتفجرات على المؤسسات الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والإسكندرية، وذلك بهدف من مخابرات إسرائيل، لتبدو هذه الأعمال من قبل الوطنيين، المصريين، ولدفع بريطانيا إلى البقاء فى مصر، واتخاذ سياسة معادية لها.

وقد ساهمت يقظة رجال الأمن فى مصر، فى اكتشاف وإحباط هذه المحاولة، وتم القبض على مرتكبيها، وأعدم اثنان، وانتحر ضابط ثالث من مخابرات إسرائيل، وحكم على عشرة بالسجن مدداً مختلفة.

وقد أدت الفضيحة إلى التضحية فى أول الأمر «بلافون»، وعكست صراعا داخل السلطة السياسية والعسكرية.

(ب) ما أفرزه الصراع بين «بن جوريون» و قادة المنظمة الصهيونية العالمية وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة اختلاف الظروف بقيام دولة إسرائيل، وإصرار «بن جوريون» على تحجيم دور المنظمة.

(جـ) وكان السبب الثالث هو خلاف «بن جوريون» مع «ليفى أشكول» حول الأتفاق مع حزب (أحدوت هاعفودا) اليسارى، الذى كان فى السابق ضمن الماباى، وكان «بن جوريون» يرفض

الاتفاق مع الحزب، إلا أن اللجنة المركزية للحزب ثم المؤتمر العاشر أقرا وجهة نظر «أشكول»، وهو أمر يعد بمثابة ضربة شديدة لكرامة ونفوذ «بن جوريون».

(د) كذلك ثارت خلافات حول تصور كل من «بن جوريون» و«أشكول»، بالنسبة للنظام الانتخابى، وساند الحزب «أشكول» فى مواجهة «بن جوريون»، الذى كان يريد توسيع الدوائر الانتخابية بدلا من قصر الانتخابات على دائرة واحدة تشمل كل إسرائيل.

(هـ) كذلك ثار خلاف حول السياسة الخارجية، فكان هناك تيار يتزعمه «بن جوريون، وديان، وموسى» يدعو إلى الاستقلال الجزئى عن السياسة الأمريكية، والالتصاق أكثر بأوربا. أما التيار الثانى - الذى انتصر - فيتزعمه «أشكول، وجولدا مائير، وأبا إيبان» ويدعو إلى علاقات أوثق بالولايات المتحدة الأمريكية.

(و) وكان من أسباب الشقاق أن الحزب هو أقرب إلى تجمع المصالح، وأخذت أيديولوجيته تضمر وتفسح المجال للقيادات الدكتاتورية، ولتصارع المصالح والاتجاهات، وهى أمور تؤدى إلى الإسراع بالشقاق.

المرحلة الثانية
للنشاط الصهيوني
١٩٢٠ـ١٩٤٠

القسم الثالث عشر
عقد الخلافات
١٩٣٠ ـ ١٩٤٠

الفصل الأول

بداية الخلافات لجنه «بيل» لتقسيم فلسطين

الفصل الثاني

رأى «بن جوريون» فى العرب

الفصل الثالث:

الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا على الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩

الفصل الأول

بداية الخلافات لجنه « بيل » لتقسيم فلسطين

الصهيونية والسلام عن طريق القوة مع العرب

فى اكتوبر ١٩٣٦ ، أنهت اللجنة العربية العليا الإضراب العام، استجابة لنداء ملوك: المملكة العربية السعودية والعراق، وأمير الأردن وإمام اليمن آنذ، وكان الإضراب فى مراحله الأخيرة لأن العرب أنفسهم بدأوا يتضررون من آثاره الاقتصادية (إذ كانت الموانئ المغلقة تعطل الأعمال والصناعات) وكان نداء الحكام العرب قد أتاح لقيادات عرب فلسطين مخرجا مشرفا من المأزق الحرج.

وقد أدرك «بن جوريون» أن العرب فى واقع الأمر كانوا أقرب إلى الأتحاد لمعارضة مطامح اليهود من تقبلها. ومن ثم عارض «بن جوريون» التدخل الذى رآه ينطوى على خطوة.: إن إنهاء الجماعات المصحوب بالعنف بمساعدة الملوك العرب، يجعل البريطانيين مدينين لهم أدبيا إن لم يكن سياسيا، وإن هذا الدين يرتبط رده بحركة هجرة اليهود، وعلى ذلك لم تواجه الصهيونية جبهة عرب فلسطين فقط، بل واجهت جبهة نشطة من كافة العرب، وكان رأى «بن جوريون» أن هذا هو أخطر ما واجهته الصهيونية فى الثمانية عشر عاما من الكفاح ضد العرب، والولاء للرسميين البريطانيين

وكانت بريطانيا قد عادت تبحث عن مخرج من الأنتداب، وتعددت زيارات لجان تقصى الحقائق إلى فلسطين، ولم يكن أى من تقاريرها ايجابياً، حتى جاءت لجنة جديدة برئاسة اللورد «وليم روبرت بيل» فأفزعت الصهيونية كثيراً إذ كان موقنا بأن هذه اللجنة سوف توصى لليهود فى فلسطين بحقوق لاتجاوز الزخرف حيث لاتكون لهم الأغلبية، إذ كان المقصود تهيئة الرأى العام لقبول سياسة مقررة من قبل، والدليل على ذلك التخفيض المفاجئ فى عدد تصاريح الهجرة لاسترضاء الرأى العام العربى أو مكافأة للعرب على وقف إضرابهم، وكانت المفاجأة التى تنتظر الصهيونيين مضاعفة فى توصيات لجنة «بيل» خاصة لما أخذت اللجنة به بعين الأعتبار من اقتراح بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية مع منطقة تظل تحت الأنتداب البريطانى، وفى التقرير النهائى الذى نشر فى يوليو ١٩٣٧ أوصت اللجنة بالتقسيم حلا للقضية الفلسطينية.

وحين عرف «وايزمان» بأن اللجنة الملكية إنما تتجه نحو التقسيم، قبل نصف عام من إعلان التقرير، قال: «اليوم وضعنا الأساس لدولة اليهود».

غير أن الصهيونية، على الجانب الآخر قد تمكّن كذلك من ادعاء النجاح، بحكم ماكان متأصلا فى مفهومه الأولى للصهيونية من فكرة التقسيم، إذ كاد مشروعه عام ١٩٢٠ للحكم الذاتى يضفى على اقتراحه بالأتحاد الفيدرالى عام ١٩٢٩ اسم التقسيم. وكانت أفكار «بن جوريون» وأعماله قد وضعت أسس دولة لليهود فى جزء من فلسطين، حتى بدت خطط «بن جوريون» وتوصيات لجنة «بيل» كأنها من عمل يد واحدة.

ولم يكن مستغربا ما أظهره «بن جوريون» من تحمس فورى لخطة التقسيم حين سمع بها لأول مرة من «وايزمان»، فبحث على الفور بتأييد الصهانية الأمريكيين للاقتراح، ثم فى إعداد خطته التى تكون أساسا للتفاوض. وكان «وايزمان» مترددا أول الأمر فى تقرير الخطة، كما علم «بن جوريون» حتى قبل إعلان التقرير أنه تضمن شرطا قانونيا لنقل السكان العرب داخل أراضى الدولة اليهودية إلى أراضى الدولة العربية، وكانت لجنة «بيل» قد اقترحت نقل هؤلاء العرب بمساعدة بريطانية إلى الدولة العربية، وفى أودية الجليلى حيث قدر «بن جوريون» عددهم بمائة ألف، وكذلك أوصت اللجنة فى ملاذ أخير إذا فشلت المحاولة - بالتبادل الإجبارى، على أن التبادل فى الواقع لم يكن إلا اسماً، حيث لم يكن فى الأراضى المخصصة للدولة العربية المقترحة سوى ١٢٥٠ يهودى، فلا يكون النقل الإجبارى إلا للعرب من الأودية، من الدولة اليهودية المقترحة - ومن الجليلى شبه الخالية من اليهود - حيث يتيح تهويد الجليلى كلها، فائدة أخرى هى حد شمالى مع لبنان، فضلا عن القيمة السياسية بما للمسيحيين الموارنة فى لبنان من مصلحة فى جوار اليهود، وما لليهود من مصلحة فى التحالف معهم، وعاود «بن جوريون» الشك، هل تجرؤ بريطانيا على فعل ذلك فى مواجهة معارضة العرب والمسلمين وتضع الأخلاقيات جانبا. وأجاب «بن جوريون» على نفسه بأن بريطانيا لن تفعل ذلك بالتأكيد إن لم نصر نحن عليه.

وفى المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى «زيورخ» فى يوليو ١٩٣٧ لم يعترض على خطة الحكومة البريطانية بالتقسيم، إذ بدت الدولة اليهودية الآن فى جزء من فلسطين أمراً محتوما.

وكان البريطانيون مصممين على قمع ثورة العرب خاصة بعد اغتيال «لويس اندروز» ممثل المفوض فى الجليلى والشرطى المرافق له، فاعتقل قادة الفلسطينيين وأرسلوا إلى المنفى، وهرب آخرون ومنهم المفتى إلى الدول العربية المجاورة. غير أن ذلك لم يقمع المتمردين حيث تحولت البلاد بالتدريج إلى معسكر مسلح تحت قانون الطوارئ، ووضعت قوة غاشمة من زهاء عشرين ألف جندى بريطانى فى فلسطين نهاية لثورة العرب أوائل ١٩٣٩، وفى الوقت نفسه سحبت بريطانيا تأييدها لخطة التقسيم إذ كانت الصعوبات السياسية والمالية التى يفرضها التقسيم أكبر كثيرا مما عساه أن يكون حلا للمشكلة، فتجمدت خطة التقسيم كذلك عند «بن جوريون»، فقد أسس رغبته مرة أخرى على تنازلات معينة كانت محدودة جدا من أجل السلام، وحين جددت بريطانيا عزمها على أن تنفض يديها من الأنتداب على فلسطين، كان «بن جوريون» مستعدا للتضحية بالأرض طالماكان محققا قيام دولة اليهود ذات السيادة على القليل الباقى، وكان التقسيم هو الإجابة الوحيدة لأزمة الصهيونية، إذ يعنى أن تأوى فلسطين اليهود اللاجئين من ألمانيا وبولندا وكان التقسيم وهجرة اليهود الآن وعلى نطاق واسع هما برنامج الصهيونية، وفى عام ١٩٣٣ حين نقلت إلى هتلر السلطة، تكهن «بن جوريون» بحرب عالمية لاتهدد يهود أوربا فحسب، بل تهددهم كذلك فى فلسطين، وبدأ «بن جوريون» يعلن ماكان يحتفظ به لنفسه فى الماضى، عن قسوة العرب وغضبهم ضد اليهود، ومعارضة كل عربى للصهيونية لأنه عربى، ولأنه مسلم، ولأنه لايحب الأجانب ولأننا ـ كما قال ـ

مكروهون فى كل مكان، وقد اتصل الصراع أو تلك الحرب ثلاثين عاما، وكانت خليقة أن تمتد مئات من السنين، وهى حرب حقيقية أو حرب حياة أو موت.

الفصل الثانى

رأى «بن جوريون» فى العرب

رأى «بن جوريون» فى العرب

ظل «بن جوريون» على رأيه من أنه: على العرب سواء من أيدوا الإرهاب أو عارضوه متحدين سياسيا فى تمسكهم بمبدأين: نهاية هجرة اليهود، واستقلال كامل لفلسطين العربية. وأبعد من ذلك، فالعربى مخلوق سياسى لايقدر على مقاومة ضغوط البيئة والوسط المحيط به، أو المسار العاطفى والجماعى لشعبه، ولم يعرف «بن جوريون» فى فلسطين كلها فردا عربيا له اهتمامات سياسية يوافق على استمرار الهجرة، أو على وجود فلسطين وبها أقلية من اليهود. وكانت أى تسوية سياسية مستحيلة، وكل مايمكن التفكير فيه بعض ضوابط التعاون الاقتصادى، ولكن هذا التعاون ـ كما كتب «لبرانديز» لم يكن «ليؤدى إلى اتفاق سياسى».

وكان ادعاء «بن جوريون» أنه مما عرفه من المعارضة العربية للصهيونية منذ عام ١٩١٥، وكتب صراحة عام ١٩١٦ عن كراهية العرب لليهود فى فلسطين، ولكنه فيما بين ١٩١٧ و ١٩٣٦، عمل على تجنب الإشارة إلى الصراع بل أنكره.

ولئن كان هذا موقفه المعلن، فقد كشف عن نفسه فى مذكراته

تؤدى المقارنة الدقيقة بين مايعلن وبين مايعتقد إلى الخلاصة التى فكر فيها عشرين عاما، وهى أن الصراع كان تكتيكا محسوبا، كانت فكرة التوفيق بين اختلافات العرب واليهود، وإمكان تحقيقها عن طريق تضامن طبقى مفهوم فكرة عامة دافع عنها مابين ١٩١٩، ١٩٢٩ وكانت تأجيلا تكتيكيا، وحين يكسب يهود فلسطين القوة يتخلى عنها، ولم يكن الإيمان بحل وسط صرح به سبع سنين مابين ١٩٢٩، ١٩٣٦ إلا تكتيكا قصد منه إلى استمرار التأييد البريطانى للصهيونية، وكان اقتناعه الوحيد أن محاولة التقارب مع المشكلة العربية إنما تكمن فى أمرين هما: أن تأييد القوة التى تحكم فلسطين أكثر أهمية للصهيونية من أى اتفاق مع العرب، والثانى: أن العرب لن يروضوا أنفسهم على مقام اليهود إلا بعد تسليمهم بعجزهم عن تدمير تلك القوة، على أن نشر «الكتاب الأبيض» فى مايو عام ١٩٣٩ قد جعل الأعتماد على القوة التى تحكم فلسطين أمرا غير عملى، إذ تقف بريطانيا معارضة للصهيونية، ولكنه كان يرى حتى ذلك الحين حاجة الصهيونية إلى سياسة تقوم على القوة لمجابهة القوة والتهديد بها.

وطوال سنوات الحرب لم يلتق اليهود وعرب فلسطين أو يتباحثوا، وقد حافظ المكتب العربى للوكالة اليهودية على العدالة دون تحيز إلى حد بعيد، وعلى شبكة اتصالات غير رسمية مع العرب من الدول العربية المجاورة أكثر منها مع الفلسطينيين، ولكن شخصيات المكتب علموا أن «بن جوريون» يوقن بأنه لافرصة للسلام، وظلت أنشطتهم قاصرة على جمع المعلومات إلى جانب مؤامراتهم لشق الصف العربى.

وكان «بن جوريون» قد شغل نفسه بالإعداد للحرب، عن طريق حملته لتجنيد يهود فلسطين تأييدا لمجهود الحرب البريطانى، وبذل قصارى جهده لإنشاء نواة «جيش عبرى»، وكان نجاحه فى مسعاه هذا محققا فيما بعد لنجاح الصهيونية فى نضالها لتأسيس دولة لليهود. وفى الوقت نفسه، حول «بن جوريون» بصره ثانية إلى قوة عالمية هى قوة الولايات المتحدة كدعامة تحل محل بريطانيا العظمى، مقدرا أن تنمية العلاقات مع الرأى العام الرسمى والشعبى سيثمر، وكان من المشكوك فيه بدون تعاطف الولايات المتحدة مع الصهيونية أن تصوت الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مع تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية.

وقد عارض عرب فلسطين ـ بتأييد الدول العربية ـ خطة التقسيم التى صدرت عن الأمم المتحدة ولم يقيموا دولتهم. وعمل اليهود خلاف ذلك، إذ أعلن «بن جوريون» فى ١٥ مايوم ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل، كما أعلن العرب الحرب كما توقع، وثار عرب فلسطين على إسرائيل، وأغارت جيوش مصر والأردن والعراق وسوريا على أراضيها، حيث ريق طوال هذا العام الكثير من الدماء وانتهى بقيام دولة إسرائيل كما تنبأ «بن جوريون» قبل ذلك فى عام ١٩٣٧.

أما مصير عرب فلسطين فقد أغلق الآن، فبعضهم أصبحوا مواطنين لإسرائيل، وبعضهم صاروا مواطنين للأردن الذى ضم الضفة الغربية، والبعض الآخر أصبحوا مواطنين لاجئين فى مصر التى احتلت قطاع غزة، ومازال آخرون لاجئين فى دول عربية أخرى. وهكذا خرجت قضية العرب من سجل الصهاينة، لتحل

محلها قضية أمن إسرائيل، وارتبط من بعد عام ١٩٤٨ موضوع عرب فلسطين بالحروب مع إسرائيل وجاراتها من الدول العربية بالحروب مع إسرائيل، فبدأ بذلك فصل جديد متميز فى تاريخ الشعبين.

الفصل الثالث

الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا على الكتاب الأبيض ١٩٣٩

الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا علي الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩

قسمت الصهيونية العمل فى سبيل تحقيق «الهدف التاريخى لدولة اليهود إلى مرحلتين: الأولى: تستغرق عشرة أعوام أو خمسة عشر، للبناء ووضع المؤسسات، وتجهز المرحلة الأولى للمرحلة الثانية هى مدة التوسع، وتهدف المرحلتان إلى جمع اليهود فى المنفى فى فلسطين كلها، وكان تصور الصهيونية للسلام بفرضه بالقوة قد أضاف مبدأين جديدين على خلاف الصهيونية فى الماضى حين فكرت فى تقسيم البلاد على أسس قوية، لتكون فلسطين يهودية، وقد تغيرت اللهجة إلى الحديث عن الهزيمة والأراضى غير المستغلة وضرورة العمل الجاد وتخصيص دور القوات المسلحة، إذ إن الدولة فى مرحلة الإنشاء يجب أن تكون يهودية وتوسعية.

وكان العالم قد وصل إلى أوقات عصيبة، كانت أشد وأقسى على اليهود فى أوربا وفى فلسطين. ففى مارس عام ١٩٣٨ اجتاحت قوات «هتلر» النمسا التى تم ضمها بعد ذلك لألمانيا، وثبت أن التحالف الغربى والوعود لاقيمة لها، ذلك أن تفجر الموقف فى أوربا خليق بأن يكون ذا تأثير عميق على العالم العربى، فإذا الحرب نشبت

تعرض العالمان العربي والإسلامي لثورة قد تشب فيهما، كما تتعرض الإمبراطورية البريطانية للخطر، ومن ثم فقد تحاول أكثر مما حاولت من قبل أن تسترضي العرب، وتكسب تعاطفهم.

وفي سبتمبر عام ١٩٣٨ وقع «تشمبرلن» و «هتلر» اتفاقية «ميونيخ»، كما اعتمد «تشمبرلن» في أكتوبر خطة التقسيم والدولة اليهودية المقترحة.

وقد رأى زعماء الصهيونية عالما تنتصر فيه القوة لا العدالة، فتغيرت رؤيتهم للعدالة والأخلاقيات التي كانوا يؤمنون بحتميتها، إذ يعتقدون أن هناك شئ واحد يقبله الجميع، هو أن العرب وغير العرب على حد سواء.

والآن أصبح مطلب الصهاينة للدولة اليهودية وتلبيته - بعد أن ازدرتها بريطانيا - الإصرار على استمرار الأنتداب البريطاني على فلسطين، غير أن «ماكد ونالد» وزير المستعمرات البريطاني أبلغ «وايزمان» باستحالة العودة إلى الأنتداب، ولكن بريطانيا بدلا من ذلك ستتخذ دورا فعالا يؤدى إلى اتفاقية بين اليهود والعرب، فإذا لم يتحقق ذلك، فرض الحل، وقد أفزع كلا الاحتمالين الصهيونية، إذ أدركت أن بريطانيا قد اتخذت قرارها واتضح الموقف بأن قررت الحكومة البريطانية ترك اليهود للعرب، بما يعنى أن لا دولة ولا هجرة، وعمدت بريطانيا لتنفيذ ذلك، إلى دعوة الأطراف المتنازعة إلى اجتماع مائدة مستديرة لإيجاد حل سريع طويل الأمد لمشكلة فلسطين، فإذا ما فشل اليهود والعرب في التوصل إلى تسوية، عرضت بريطانيا حلها، ولم يكن الصهيونية ترى فائدة لهذه

المفاوضات، إذ يصبح الأنتداب لاغيا، ويكون معنى ذلك استقلال فلسطين الآن كدولة عربية لأن العرب أكثر من الثلثين (الأغلبية).

وقد عقد المؤتمر فى قصر «سان جيمس» فى فبراير ومارس عام ١٩٣٩، ولما رفض العرب الجلوس إلى مائدة المفاوضات جرت عن طريق وساطة بريطانية، وأعرب اليهود عن وجهة نظرهم بأن المحادثات سوف تفشل، كما كرر العرب مطالبهم التى لاتتغير وهى: إقامة دولة عربية مستقلة فى فلسطين مع ضمان أغلبية عربية، وانسحب الصهانية من المحادثات وأنهار المؤتمر.

وكان «بن جوريون» قد التقى بشكل غير رسمى مع قيادات وشخصيات عربية قبل المفاوضات وأثناءها فى محادثات مصغرة مع زعماء الدول المجاورة، إذ تجنب الفلسطينيون ممن شاركوا فى المؤتمر كافة أشكال الأتصال، ولم تثمر محادثاته، وكان «بن جوريون» ممثل الصهيونية في المؤتمر من قبل مقتنعا بأن عرب فلسطين لن يتوصلوا إلى اتفاقية إلا بعد يأسهم من هزيمة اليهود، وتوقع الحرب.

وجاء الاستعداد للحرب بتبادل الرأى مع وزير المستعمرات «ماكدونالد» الذى سأل «بن جوريون»: إلى متى تظن أن حرابنا باقية تحت أمر هجرة اليهود؟ وأجاب «بن جوريون»: أن اسحب حرابكم فالهجرة ليست فى حاجة اليها بل لعلها على العكس تماما قد تمنع هجرة اليهود، وكل مانطلبه منكم عدم استخدام حرابكم ضد الهجرة، وتساءل «ماكدونالد»: والدفاع؟ من يدافع عنكم؟ ألا تحتاجون إلى حرابنا من أجل أمنكم؟، فأجاب «بن جوريون»: يمكننا أن نحمى

أنفسنا، لاتقفوا فى طريقنا، وسأل «ماكدونالد»: كيف يمكن هذا؟ هم أضعاف عددكم، فرد «بن جوريون»: هذه مشكلتنا، واستطرد ماكدونالد: إنهم ليسوا ضعفكم فقط بل سيأتون بتعزيزات من العراق وأى جيش عربى آخر؟، ورد «بن جوريون»: إنه لايهم فنحن أيضا سنأتى بتعزيزات، من الأسهل عبور البحر عن عبور الصحراء.

الكتاب الأبيض:

فى مايو عام ١٩٣٩ أصدرت حكومة «تشمبرلن» «الكتاب الأبيض» بتفاصيل الحل الذى تنوى بريطانيا العظمى فرضه إذ تصبح فلسطين فى مدى عشر سنوات دولة مستقلة تسبقها مابين سنتين وخمس سنوات فترة انتقالية، وخلال هذه الفترات يعمل ممثلوا مختلف الطوائف على صياغة دستور يضمن - إلى جانب بنود أخرى الوضع الاجتماعى للأقلية اليهودية، وفى الوقت نفسه يسمح بدخول خمسة وسبعين ألف يهودى إلى فلسطين، حتى يشكل اليهود ثلث سكان البلاد بالضبط، وتخضع كل هجرة لاحقة لليهود لموافقة العرب، ويجب أن يكون شراء اليهود للأراضى على أضيق نطاق وقاصرا على الأجزاء التى تقطنها غالبية يهودية.

وكان الكتاب الأبيض يعنى بالنسبة للصهيونية فصلا إضافيا فى استسلام بريطانيا العظمى لـ «قوى العنف» وأنها ليست إلا طبعة جديدة من «ميونيخ» التى استسلم فيها شعب «التشيك» الصغير لـ «هتلر»، ولكن اليهود فى الكتاب الأبيض شعب لاسند له ولا أمل، تحولوا إلى شطيرة للمفتى والعرب.

المرحلة الثالثة للصهيونية العالمية
١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

القسم الرابع عشر

الفصل الأول :

«بن جوريون» فى الولايات المتحدة

وقرارات مؤتمر «بلتيمور»

الفصل الثانى :

العلاقات الصهيونية البريطانية

أثناء الحرب العالمية الثانية بقيادة

«وايزمان»

المرحلة الثالثة للنشاط الصهيونى ١٩٤٠ / ١٩٤٨

تمهيد :

بدأت مع قيام الحرب العالمية الثانية عندما تمكن الزعماء الصهيونيون من إقناع الحكومة البريطانية بالسماح للفيلق اليهودى بالاشتراك مع قوات الحلفاء للقتال ضد ألمانيا النازية، وكان الهدف الصهيونى اكتساب الخبرة القتالية وفنون القيادة العسكرية علاوة على التعمق فى فهم التقنية الحديثه التى طبقوها ضد العرب ومكنتهم وأكسبتهم - بعد انتهاء الحرب - من التفوق على العرب ودحر جيوشهم.

وقد كانت «الهاجاناه» وهى عماد الفيلق اليهودى مع المنظمات الإرهابية الأخرى التى اكتسبت الخبرة القتالية أثناء الحرب هى التى قادت الإرهاب المسلح ضد العرب بمساندة ومؤازرة الدول الاستعمارية التى كانت تمدها بالسلاح والمتطوعين والمعلومات.

وقد وضح جلياً دور الدول الاستعمارية والغرب المؤيد والمؤازر لليهود عندما تسابقت كل من الولايات المتحدة والأتحاد السوفيتى

بالأعتراف بالدولة الصهيونية فور إعلان قيامها فى قلب العالم العربى وتقديم شتى المساعدات التى وطدت ودعمت كيان الدولة الوليدة.

وجدير بالذكر أن الرئيس «هارى ترومان» قد ساهم شخصيا فى تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين ومارس الضغوط فى الأمم المتحدة بالأعتراف بإسرائيل فور إعلان «بن جوريون» بقيامها وذلك رغم معارضة الخارجية الأمريكية التى كانت ترى آنئذ عدم تقسيم فلسطين ووضعها تحت وصاية الأمم المتحدة ورفضها.

وقد أكد صراحة وزير الخارجية الأمريكية «دين اتشيسون»هذا الموقف فى كتابة (عاصرت الأحداث).

الفصل الأول

« بن جوريون » فى الولايات المتحدة وقرارات مؤتمر « بلتيمور »

توجه بن جوريون إلى الولايات المتحدة

وقرارات مؤتمر بلتيمور

بظهور الكتاب الأبيض وصل الخلاف بين «وايزمان» و«بن جوريون» إلى أشده ، واستمر هذا الخلاف حتى صدر قرار الأمم المتحدة بالتقسيم .

وكان رد فعل الصهيونية للكتاب الأبيض سريعاً - إذ جمع «بن جوريون» رجال «الهاجاناه» وقال لهم : «إن الصهيونية تدخل حقبة جديدة، الحقبة الأولى حب صهيون والتسلل غير القانونى حتى عام ١٩١٧ ، والحقبة الثانية هى الصهيونية السياسية بعد وعد «بلفور» وقد انتهت بإعلان الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ ، أما الحقبة الثالثة وهى الحقبة العسكرية فتبدأ الأن بالكفاح المسلح.

وبذلك تكون الصهيونية قد كشفت عن حقيقتها باستغلال أية وسيلة لتحقيق مآربها . وكانت «الهاجاناه» قد زادت من قوتها واستعدادها العسكرى فى فترة الثورة العربية بعد أن تبين لها إصرار العرب على الدفاع عن حقوقهم.

وفى عام ١٩٤٠ بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، سافر «بن جوريون» إلى لندن مستأذناً فى إنشاء لواء يهودى لمساعدة بريطانيا حربياً لقاء تغيير ما ورد من سياسة بريطانيا التى وضحت فى الكتاب الأبيض ، ولوقف حملات التفتيش الشكلية على الأسلحة فى فلسطين، ولكن «لويد جورج» رفض مطالبه ، وصمم على أن يحارب اليهود تحت قيادة الإنجليز . ولم يتورع «بن جوريون» عن سؤال «لويد جورج» عن سماحهم للفرنسيين والبولنديين بأن تكون لهم فرق خاصة تحت قيادة فرنسية وبولندية خاصة ، على حين ينكر هذا المطلب على اليهود . وكان «بن جوريون» بهذا المنطق يردد ما آمن به من تعاليم «هرتزل»، أبى الصهيونية السياسية ، وهى أن اليهود أينما حلوا فإنهم يقيمون أمة واحدة.

ولمس «بن جوريون» من إقامته واتصالاته فى بريطانيا بأن مركز الثقل السياسى للصهيونية سوف يكون فى الولايات المتحدة لا فى أوروبا ، التى وقعت تحت نير الاحتلال النازى ، وستظل وإن انتصرت آخر الأمر نهيضة الجناح ضعيفة لسنوات ، ومعتمدة على الولايات المتحدة اقتصادياً وسياسياً ، فضلا عن أن الولايات المتحدة تضم عدد كبيراً من المهاجرين اليهود ممن فر من الاضطهاد النازى. وقرر «بن جوريون» عام ١٩٤١ التوجه إلى الولايات المتحدة، حتى تمكن بفضل بعض الصهاينة الأمريكيين المقربين من الرئيس «روزفلت» وعلى رأسهم يهودى من مستشارى الرئيس الأمريكى، هو «بن كوهين» من تقديم مذكرة ادعى فيها أن التاريخ والقانون الدوليين يؤكدان أن فلسطين هى الوطن القومى للشعب اليهودى، وهى الملجأ الأمين والقادر على استيعاب الهجرات الجماعية للشعب اليهودى المضطهد . وأن القدرة الخلاقة

للصهيونيين وحبهم لأرض الميعاد ستتطور بالبلاد وتنهض بالصناعة والأقتصاد والثقافة العبرية ، وتخلق مؤسسات تهيئ للحكم الذاتي.

ولم يكن خافيا على «بن جوريون» عندما فكر في تقديم المذكرة إلى الرئيس «روزفلت» أن الصهيونية تحت المناخ الصالح الخصيب لانتشار مبادئها في موجات الاضطهاد التي تحمل اليهود المضطهدين دون شك على الهجرة إلى فلسطين . وقد استفادت الصهونية من الاضطهاد النازى مثلما استفاد «هرتزل» من قضية الضابط الفرنسي اليهودى «دريفوس» وأكدت أن الصهيونية دعوة لبناء الدولة اليهودية وإقامة الشعب اليهودى في أرض فلسطين . فقد رأى «هرتزل» أن فرنسا التي نادت بالحرية والمساواة ، وألمانيا التي تحمل شعلة الحضارة والتقدم في العالم الغربي لم يتورعا عن اضطهاد اليهود ، فأى ملجأ آمن يمكن لليهود المضطهدين أن يلجأ إليه ، سوى الوطن القومي في أرض الميعاد بفلسطين ، إن تجمع اليهود المنفيين وتهجيرهم إلى فلسطين أمر حيوى يجسد أحلام أئمة الصهيونية أمثال «موسى هس»و«هرتزل» و«جابوتنسكى» . لقد استغل اليهود شعور العالم المسيحي بالذنب لاضطهاد اليهود ، ونظمت اللجنة الأمريكية لشئون الصهيونية مؤتمرا طارئا عقد في مدينة «بلتيمور» في ٦ مايو ١٩٤٢ حضرة ٦٠٠ عضوا، بالرغم من انقسام الصهيونية الأمريكية بصدد عقد هذا المؤتمر ، إذا كان قسم منهم لا يجب السير في سياسة تثير العرب وتعادى بريطانيا، ويرى القسم الآخر أن من الأفضل في الآونة الراهنة قيام دولة ثنائية ، على حين كان اليساريون ضد عقد المؤتمر أصلا.

وقد استطاع «بن جوريون» التغلب على كافة الصعوبات ونجح فى حمل المؤتمر على إصدار القرارات بالمطالب التى تضمنتها مذكرته التى كان قد رفعها إلى الرئيس «روزوفلت» وكانت أهم قرارات المؤتمر كما يلى:

قرارات مؤتمر بلتيمور

١- معارضة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ .

٢ - تأليف لواء عسكرى يهودى.

٣ - هجرة غير محدودة إلى فلسطين تحت سيطرة الوكالة اليهودية وإشرافها.

٤ - تطوير فلسطين بعد الحرب إلى كومنولث ضمن ديموقراطيات العالم.

ويعتبر تبنى المؤتمر لطلبات «بن جوريون» حول دخول فلسطين فى كومنولث يهودى ، أول تصريح صهيونى رسمى يدل على أهداف الصهيونية من إقامة دولتهم فى فلسطين وقد فقد «وايزمان» بموافقته على قرارات مؤتمر «بلتيمور» مكانته عند الإنجليز ، إذ وصف وضعه بعد هذا المؤتمر بأنه أصبح كبش الفداء لأخطاء الإنجليز بالنسبة لليهود ، وأخطاء اليهود بالنسبة للإنجليز . وعاد «بن جوريون» . فى شهر أكتوبر ١٩٤٢ إلى فلسطين حيث عرض برنامج بلتيمور على مؤتمر عقده «حزب الماباى» ، فوقع الخلاف حول ذلك البرنامج فى صفوفه فانفصل عنه حزب «أحدوت هاعقوداً» الذى كان يؤيد «وايزمان».

وقد استطاع «بن جوريون» على الرغم من المعارضة القوية سواء من حزب «أحدوت هاعقودا» أو من قادة حزب «البالماخ» أن يكسب الأغلبية فى «الماباى» تأييداً لرأيه . وهكذا تبنى اليهود برنامج «بلتيمور» فى مطالبهم.

وفى شهر فبراير عام ١٩٤٣ ألقى «بن جوريون» خطابا أمام مجلس «اليوشيف» (الجالية اليهودية فى فلسطين) ذكر فيه أن مصائب اليهود ثلاث: الكتاب الأبيض ، الحرب ، اضطهادهم فى أوربا. وحذر يهود فلسطين من نوايا بريطانيا التى ترمى إلى جعل فلسطين دولة تعيش فيها أمتان مختلفتان هما : العرب والانجليز ، وإلى حصر اليهود فى «جيتو» خاص بهم . وقال أنه لا خلاص ولا حرية لليهود فى العالم إلا بالرجوع إلى فلسطين وسوف يرجعون سواء حصلوا على شهادة هجرة رسمية أم لم يحصلوا، وأضاف أن الساسة الذين يدعون أنفسهم واقعيين لا يفهمون شيئاً (يقصد وايزمان) وعلى آثر هذا الخطاب ألقت السلطات البريطانية القبض عليه وحاكمته بتهمة إثارة الشغب ، كما أدانته بتهريب الأسلحة إلى يهود فلسطين من الخارج.

ويقول «بن جوريون» بصدد تهريبه الأسلحة من الخارج إلى يهود فلسطين ، أنه عمل منذ نهاية الحرب على البحث عن أسلحة ثقيلة ، وقد استجاب الأمريكيون لى واشترينا أسلحة بما يقرب قيمته من مليون دولار من الأسلحة التى تريد الولايات المتحدة التخلص منها بعد الحرب وكانت تبيعها بأسعار زهيدة ، وقد جمعت الأموال اللازمة من اليهود الأمريكيين ، وتكونت جمعية سرية لشراء الأسلحة

وكنا نفكك الأسلحة ونرسلها إلى فلسطين على أساس أنها آلات صناعية، فتدخل فلسطين رغم مراقبة حكومة الأنتداب . لقد كان «بن جوريون» يفكر دائماً فى الحرب ، بدليل طلبه فى بداية الحرب العالمية الثانية من قادة «الهاجاناه» أن يكون التدريب على أساس دفاعى متحرك وهجومى . ويعنى هذا إنشاء تأسيس لصناعة أسلحة، وحيازة أسلحة ثقيلة. وكان من مقررات المؤتمر الصهيونى عام ١٩٤٦ إنشاء إدارة للدفاع عن المنظمة الصهيونية أسندت رئاستها إلى «بن جوريون» الذى عمل على الإشراف على «الهاجاناه» وإعدادها للقتال ومدها بالأسلحة والذخيرة . وفى هذا ما يفسر إصرار «بن جوريون» على تولى وزارة الدفاع طيلة حكمه فيما بعد.

ثم سافر بعد أن تولى الإشراف على «الهاجاناه» إلى الولايات المتحدة محاولاً إلغاء الكتاب الأبيض، ولكنه جمع قوائم بأسماء المتطوعين الذين سيقاتلون مع «الهاجاناه» فى حالة وقوع حرب ضد العرب . فقد كانت الحرب فى نظره حتمية، ومن ثم كان سعيه المتواصل لإيجاد قوة تساند مطالبه السياسية، وتؤمن بأن اليهود فى أنحاء العالم يشاركونه الرأى فى ضرورة حسم المشكلات مع العرب عسكرياً.

الفصل الثانى

العلاقات الصهيونية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانيه بقيادة « وايزمان»

العلاقات الصهيونية البريطانية أثناء
الحرب العالمية الثانية بقيادة «وايزمان»

آثار الحرب على فلسطين:

كان الحلفاء على وعى كبير بالأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط وفلسطين خلال الحرب العالمية الثانية . وكان موقف العرب تجاه الحلفاء خلال الفترة الأولى منها، وحتى رجحت كفتهم فى القتال ضد الألمان، يتردد ما بين العداء الصريح إلى الحياد على مضض . وكان اليهودفى فلسطين ، على العكس، حريصين منذ البداية على القتال مع الحلفاء ضد النازية . وكانت طلبات اليهود للتطوع فى صفوف الجيش البريطانى فى فلسطين كثيرة إلى الحد الذى سبب الحرج للسلطات البريطانية التى حاولت قبول عدد محدود يتمشى مع العدد المقبول من المتطوعين العرب. وقامت الوحدات اليهودية فى فلسطين بإسهام فى النصر الذى حققه الحلفاء فى الشرق الأوسط دعم

منه إسهام الصناعة واليد الماهرة فى المجهود الحربى للحلفاء ، وقد اعترف البريطانيون بذلك ولكنه لم يغير من موقفهم السياسى تجاه الوطن القومى اليهودى . وكانت السلطات البريطانية فى فلسطين تخشى إعطاء اليهود دورا كبيراً وفق رغبتهم فى الحرب حتى لا يعتقد العرب أن الحرب تجرى لصالح اليهود بما قد يدفعهم إلى صفوف الألمان ، ورغم ذلك اشتدت مطالبة الوكالة اليهودية بتشكيل وحدات عسكرية يهودية خاصة للدفاع عن فلسطين ضد تهديد دول المحور . وخشيت الإدارة المدنية البريطانية من الموافقة على هذا الطلب الذى من شأنه أن يقوى من مركز اليهود ويستوجب العداء من العرب.

وفى ديسمبر ١٩٣٩ اقترح «وايزمان» رسمياً تدريب بريطانيا للضباط اليهود الشبان على أن يضموا فى مرحلة لاحقه لوحدة يهودية عسكرية . وقبلت السلطات البريطانية العسكرية فى لندن هذا الأقتراح ، وإن تعطل تنفيذه . فلما دخلت إيطاليا الحرب فى يونيه ١٩٤٠ عاد «وايزمان» يلح بدون جدوى فى المطالبة بإنشاء وحدة عسكرية يهودية فى أسرع وقت . وفى أغسطس ١٩٤٠ وجه «وايزمان» خطاباً «لونستون تشرشل» حث فيه بريطانيا على السماح ليهود فلسطين بالأشتراك فى الحرب ضد العدو المشترك، وذكر أن يهود فلسطين يمكنهم توفير خمسين ألف مقاتل وهى قوة لها شأنها لو أحسن تدريبها وتسليحها . وحذر من أنه لو تعرضت فلسطين لهجوم نازى وتم القضاء على اليهود بها لعدم توافر إمكانيات الدفاع لديهم ، فإن المسئولية الخطيرة عن ذلك ستقع على الحكومة البريطانية.

وكان لخطاب «وايزمان» أثره السريع، ففى أكتوبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية على برنامج محدود لتجنيد اليهود فى وحدات منفصلة فى الجيش البريطانى . ورغم أن تكوين فرقة يهودية خاصة لم يتحقق إلا فى خريف عام ١٩٤٤ ، إلا أن الوحدات اليهودية التى تولى قيادتها ضباط يهود تشكلت فى فلسطين وقامت بدور فى الحرب، ووصل عدد اليهود فى الجيش البريطانى فى أغسطس ١٩٤٣ إلى ٢٢ ألف مقاتل فى صورة وحدات خاصة ، فضلاً عن قوة الشرطة المساعدة وأفراد الدفاع المدنى.

وعندما شكل الفيلق اليهودى أخيراً فى سبتمبر عام ١٩٤٤ بعد محادثات مطولة أجراها «موش شاريت» ، كان عدد أفراده ٣٥ ألف جندى يهودى، وأعلنت وزارة الحرب البريطانية عن الموافقة على تشكيل الفيلق اليهودى استجابة لطلب الوكالة اليهودية . كما أعلنت الوكالة فى ٣١ أكتوبر ١٩٤٤ أنه قد تمت الموافقة كذلك على أن يكون للفيلق علمه وشعاره المنقوش بنجمة داود فى وسطه . وقد حارب الفيلق فى صفوف الحلفاء فى إيطاليا ثم فى النمسا وألمانيا وبلچيكا وهولندا . وكان كل ضابط وجندى يهودى فى الفيلق عضواً فى الوقت نفسه فى تنظيم الدفاع اليهودى المسمى بالهاجاناه.

العلاقة اليهودية البريطانية أثناء الحرب العالميه الثانية:

وقد كان إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا بعد ثلاثة شهور ونصف فقط من صدور الكتاب الأبيض ، لذلك قوى أمل اليهود فى

أن تتخلى بريطانيا عما بسطت فيه من سياسة التهدئة التى اتبعتها حكومة «تشمبرلين» . وكان الكتاب الأبيض قد لقى معارضة ونقداً شديداً داخل البرلمان البريطانى، واعتبرت لجنة الأنتداب لعصبة الأمم المتحدة شروطه مجافية لنصوص الأنتداب على فلسطين . على أن هذه الآمال لم تتحقق فقد طبقت سياسة الكتاب الأبيض فى فلسطين فى بداية الحرب بما فيها الحد من الهجرة اليهودية، على أن تتوقف بعد خمس سنوات أى وقت وقوع الإبادة الشاملة لليهود فى أوروبا . وتزايد عدد الوافدين هرباً من الحصة المقررة للهجرة، وهى ٧٥ ألفا كل عام . وبتزايد اضطهاد اليهود فى أوربا على يد النازى حاول اليهود الهجرة لفلسطين بكل الوسائل الممكنة . وجاء بعضهم بالبحر فاتخذت السلطات البريطانية إجراءات صارمة معهم بأن أرسلت المهاجرين إلى بعض الجزر التابعة لها.

وقد سبب ذلك توتراً شديداً فى العلاقات بين اليهود وبريطانيا وقامت مظاهرات من اليهود فى فلسطين ضد السلطات البريطانية التى واجهتها بالعنف وفرض حظر التجول . واشتدت مقاومة يهود فلسطين لتطبيق سياسة الكتاب الأبيض، فى الوقت الذى كان فيه اليهود يحاربون إلى جانب بريطانيا ضد النازى ، وأعلن «دافيد بن جوريون» أن اليهود سيقاتلون فى الحرب كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض ، كما سيقاومون تطبيق الكتاب الأبيض حتى ولو لم تكن هناك حرب دائرة . على أن يهود فلسطين أحسوا فى هذه لفترة الحرجة أن بريطانيا قد خانتهم .

المشكلة اليهودية فى مجال السياسة الدولية بعد الحرب:

أصبح انتصار الحلفاء مرجحا من الجزء الأول من عام ١٩٤٣، وأصبحت فلسطين فى مأمن من غزو نازى، ومن ثم برزت الحاجة إلى خلق مناخ مناسب لتسوية ما بعد الحرب . ووضح أن الولايات المتحدة ستلعب دورا حاسماً . غير أن ما كانت تلقاه قضية اليهود من تأييد الكونجرس ولدى الرأى العام الأمريكى لم يكن يناظره تأييد من جانب الخارجية الأمريكية . ومن ثم بذل «وايزمان» جهوده لتوضيح القضية لوزير الخارجية والمسئولين فى وزارته . وأكد «تشرشل» التزامه بما وعد به بلفور. غير أن وزارة الخارجية (على حد قول أبا إيبان) كانت ملتزمة بالكتاب الأبيض رضاء وروحاً.

وضع اليهود فى العالم بعد الحرب بصفة عامة:

كان وضع اليهود، داخل فلسطين وخارجها ، بعد نهاية الحرب وضعا يائسا. وقد وضع «وايزمان» أملا كبيراً فى كل من «تشرشل» و«روزفلت» ودعم اتصالاته وصداقته معهما خلال الحرب . وبحلول صيف عام ١٩٤٥ كان «روزفلت» قد توفى وأزيح «تشرشل» من رئاسة الوزراء بسقوط حزبه فى الانتخابات العامة . وكانت حكومة العمال الجديدة فى بريطانيا ملتزمة سلفا باتباع سياسة مؤيدة للصهيونية تسمح بتعزيز الوطن القومى فى فلسطين عن طريق عملية نقل كبيرة للسكان، تعنى إخراج العرب من فلسطين لإفساح المجال للمهاجرين اليهود الجدد. وادعى اليهود أن «أرنست بيفن» وزير الخارجية الجديد يكن العداء لبقاء الوطن القومى اليهودى . فقد

رفض السماح بدخول ١٠٠ ألف مهاجر جديد . كما أصدر بيانا رفض فيه إلغاء الكتاب الأبيض وأعلن أن بريطانيا لا يمكن أن تقبل إخراج اليهود من أوربا وأعلن تشكيل لجنة استقصاء أنجلو أمريكية لبحث أوضاع اليهود فى أوربا.

وقد وضعت اللجنة تقريراً أوصت فيه بإلغاء الكتاب الأبيض والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى لفلسطين فورا وإلغاء القيود على تملك اليهود للأراضى والتمهيد لوضع فلسطين تحت الوصايا مع عدم إنشاء دولة فيها سواء لليهود أو للعرب . ورغم أن التقرير لم يحقق الأمل البعيد لليهودفى إنشاء دولة مستقلة لهم فى فلسطين ، فإن سماحه بدخول مزيد من المهاجرين وتملكهم أراضى جديدة كان من شأنه أن يدعم من فرصة قيام مثل هذه الدولة . غير أن «بيفن» رفض التقرير على أساس أنه سيستلزم لتنفيذه وجوداً أمريكياً عسكرياً وأصر على تجريد يهود فلسطين من السلاح.

ودخلت الحركة الصهيونية مرحلة صراع شديد مع بريطانيا . ووضحت مرارة اليهود فى اجتماع المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى (بازل) فى ديسمبر ١٩٤٦ وهو آخر اجتماع يحضره «وايزمان»، وقد أحس بأن بريطانيا قد خدعته . وتحدث فى المؤتمر عن معاناة اليهود، وذكر أن العرب حصلوا على سبع دول مستقلة، فكيف يستكثرون على اليهود الذين عانوا أكثر منهم بمراحل الحصول على دولة واحدة مستقلة . وفى بداية العام التالى استقال «وايزمان» استقالة البائس من رئاسة المؤتمر الصهيونى. واستؤنفت المفاوضات مع «بيفين» ودارت حول التقسيم الذى ذكر «بيفين» أنه لا يستطيع

فرضه . وطرحت فكرة التقسيم مع كيان اتحادى على أساس مشروع وضعه «موريسون» . وأكد «بيفين» أنه من الخطأ وضع ٣٠٠ ألف عربى فى القسم المخصص عام ١٩٤٦ ، وتوحدت جهود كافة المنظمات اليهودية وتمكنت من نقل كافة من كان فى معكسرات الإيواء فى أوربا إلى فلسطين.

وبدأ الصراع مع السلطات البريطانية فى فلسطين بعمليات قامت بها (الهاجاناه) فى يونيه ١٩٤٦ إذ دمرت فيها ثمانية جسور شملت المواصلات مع المناطق المجاورة. وتكونت وحدات إرهابية صهيونية فى فلسطين.

المرحلة الثالثة
للنشاط الصهيوني
١٩٤٠ ـ ١٩٤٨
القسم الخامس عشر

إضطهاد النازية لليهود واستغلال الصهيونيةلمعاناة اليهود فى أوروبا

اضطهاد النازية لليهود:

تمتع اليهود فى أوربا بحرية ثقافية وأقتصادية حتى ظهر «هتلر» على مسرح الحياة السياسية فى ٣٠ يناير عام ١٩٣٣ حين عين مستشاراً للرايخ الألمانى، ومر تطور العنف النازى بثلاث مراحل: الأولى من ١٩٣٣ حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، والثانية من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤١ حين لجأ النازى إلى «الحل الأخير» للوجود اليهودى . والثالثة من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٥ وخلالها شملت إبادة اليهود فى كل المناطق التى سيطر عليها الألمان. وكانت الفلسفة النازية تستند إلى غلبة العنصر الآرى بصفاته المميزة وأن من لا ينتمى إلى هذا العنصر هو أقرب إلى الحيوان منه إلى الجنس البشرى ويصبح من الواجب القومى قهره وإبادته . وبدأت ممارسة الأضطهاد ضد اليهود فى ظل هذه الفلسفة منذ عام ١٩٣٣ ، وبنهاية عام ١٩٣٥ كان ثمانية آلاف يهودى ألمانى قد أقدموا على الأنتحار، وخمسة وسبعون ألفاً هاجروا إلى خارج ألمانيا، بينما كان كثيرون آخرون يلحون على القنصليات الأجنبية فى الحصول على إذن بالخروج إلى أى مكان آخر فى العالم.

وبدأ اليهود ينظمون صفوفهم فى مواجهة هذه الكارثة، وتزايد اهتمامهم بتاريخهم وباللغة العبرية ولم يجد اليهود الألمان من جانب الرأى العام العالمى اهتماماً كبيراً بوضعهم ، وأحس زعماء العالم الحر أن أية احتجاجات من جانبهم ستدفع النازى إلى زيادة اضطهاد اليهود فى ألمانيا واستخفوا بتحذيرات اليهود الألمان من أن ما يحدث إنما هو البداية لحملة نازية شاملة ضد الحريات . واحتلت ألمانيا النمسا وضمتها إلى الرايخ فى مارس ١٩٣٨ ، وتعرض يهودها وكانوا يومئذ ٤٠٠ ألف للأضطهاد نفسه . وبنشوب الحرب كان نصف مليون يهودى مازالوا يعيشون فى المناطق الواقعة تحت السيطرة الألمانية.

النازية فى شرق أوربا :

كانت هناك اتجاهات قديمة ضد اليهود فى شرق أوربا . ومن ثم فإن دولها رحبت بمجىء هتلر للحكم . وطبقت كل من بولندا وليتوانيا ولاتفيا ورومانيا إجراءات ضد اليهود فى عام ١٩٣٤ ، ومالبثت المجر أن حذت حذوهم عام ١٩٣٥ . واتخذت الأحزاب السياسية فى برامجها من حيث معاداة السامية وسعى اليهود للهجرة، غير أن الأبواب كانت موصدة ولم يرحب بهم أحد . وقد أعلن «حاييم وايزمان» فى شهادته أمام اللجنة الملكية عن فلسطين فى نوفمبر أن هناك ستة مليون يهودى يبحثون عن مأوى وهم يعيشون فى دول لا تريدهم ، وخلال الأعوام الثمانية التالية حلت مشكلتهم فقد أبيدوا جميعاً.

الاضطهاد النازى وطرد اليهود:

نشبت الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر ١٩٣٩ وسيطر النازى على معظم أوربا، ودخل اضطهاد اليهود مرحلة بالغة القسوة. وشكل الجستابوجهازا للأعداد «للحل النهائى»لمشكلة اليهود وضع تحت إشراف «أدولف إيخمان» برئاسة «هيد ريش هملر» . وسلب اليهود كافة حرياتهم وفرض حظر التجول ، والعزل الاقتصادى والثقافى والإجتماعى عليهم . ورحل آلاف منهم من مواطنهم فى المجر واليونان بصفة خاصة . وأعطت إيطاليا ملاذا لليهود فى المناطق الواقعة تحت سيطرتها . ورغم تحالفها مع النازى إلا أنها لم تشترك فى عمليات الإبادة ضد اليهود.

وتمكن كثير من اليهود من الهرب ، بمعونة الفرنسيين والهولنديين والبلجيكيين وتكونت عدة منظمات لمساعدة اليهود فى الحصول على وثائق سفر مزيفة تمكنهم من الرحيل، ونشطت فى ذلك حركات المقاومة . ورفضت دول الشمال إبعاد اليهود المقيمين فيها . وفى يوليو ١٩٣٩ أعطى «جورنج» أوامره بوضع خطة شاملة «للحل النهائى» للمسألة اليهودية، وافق عليها مؤتمر «وانسى» فى يناير ١٩٤٢ وشملت الخطة ترحيل اليهودإلى الشرق واستخدامهم عمال فى مجموعات تحت إشراف كامل فى بناء الطرق.

الإبادة فى الشرق:

سيطر الألمان على بولندا، وجمع اليهود خلال عام واحد فى معازل «جيتو» ، ففى وارسو وحدها حشد نصف مليون فى منطقة كان يعيش فيها ٣٥ ألفا وحرموا من وسائل معيشتهم من غذاء كاف

واستخدموا كالرقيق فى الأعمال الشاقة . وفى يونيو ١٩٤١ ألغى «هتلر» معاهدته مع روسيا وزحف عليها وأباد فى طريقه كل اليهود . وفى المعسكرات الجماعية قضى على الآلاف منهم . وكان أبرزها معسكر «أوشويتز» حيث أعدم ١٢,٥ مليون يهودى على الأقل حتى أول ديسمبر ١٩٤٣ وفق شهادة مدير المعسكر عند محاكمته بعد الحرب . وكان يجرى اختيار الأقوياء الصالحين للعمل فى المصانع ومن لا يصلح يباد.

وكانت محاولات الإنقاذ التى نظمتها الوكالة اليهودية وغيرها محدودة جدا بالقياس إلى ضخامة الخطر . وكان موقف العامة فى أوربا الشرقية عدم الإكتراث، بينما تأرجح موقف الكنيسة من الاحتجاج الشديد فى البداية إلى بعض المحاولات الإنسانية إلى الصمت التام ، والتزم (البابا) جانب الحذر رغم أنه قدم المساعدات لليهود . ولم يتخذ الحلفاء إجراءات فعالة، وقامت الولايات المتحدة فى عام ١٩٤٣ فقط بتشكيل لجنة لبحث حالة ضحايا الحرب ولكن ذلك جاء متأخرا جداً . ورفضت بريطانيا فى فبراير ١٩٤١ التماسا ملحا من «وايزمان» للتصريح بهجرة يهود رومانيا إلى فلسطين ، وعندما ذهب ممثل ليهود المجر إلى القاهرة للأتفاق مع السلطات البريطانية على تمكين يهود المجر من الهجرة لفلسطين اعتقلته هذه السلطات وسجنته.

ونظم اليهود حركة مقاومة ضد النازى، عملت بدون مساعدة وضد كل الظروف الصعبة، وكانت نشطة فى (جيتووارسو) مما دفع النازى إلى تصعيد الإبادة، فلم يبق من نصف المليون الذى كان به

عام ١٩٤٢ سوى ٦٠ ألف يهودى . مما يفسر ردود الفعل اليهودية الحالية لأية حركات تمييز وتحيز، وحرص اليهود على الحياة البشرية وسوء الظن المتخلف تجاه العالم الخارجى ، والإيمان الراسخ بالقوى الكامنة فى التاريخ اليهودى بما يضمن للشعب اليهودى البقاء وعبور المحن.

اليهود عام ١٩٤٥ :

خرج اليهود من الحرب فى وضع محزن، إذ هلك ستة ملايين أى أكثر من مجمل ثلث عددهم قبل الحرب . وأبيدت مراكز للتجمع اليهودى كانت تمثل محاور للوعى الثقافى والروحى اليهودى، خاصة فى شرق أوربا، حيث نشأ مخططو ومفكرو الحركة الصهيونية. وكان يهود بولندا أشد معاناة من غيرهم، فقد كان مجمل عدد اليهود قبل الحرب فى دول أوربا التى احتلها النازى ٩,٨ مليون نسمة، أبيد منهم ستة ملايين على الأقل . وفى بولندا حيث كان عدد اليهود قبل الحرب ٣,٣ مليون بقى منهم فى عام ١٩٤٥ أربعة وسبعون ألفا فقط . وبقى ١٤ ألفا من يهود تشيكوسلوفاكيا البالغين قبل الحرب ٣٥٦ ألفا، وبقى ٢٠ ألفا من يهود هولندا البالغين ١٥٦ ألفا، وحتى الباقون من جحيم النازى لم يسلموا من الاضطهاد، ورغم ما كانوا فيه من بؤس اشتد سعيهم للهجرة لفلسطين حيث كان الوطن القومى أملهم الوحيد.

التعليق :

حاول زعماء إسرائيل كعادتهم ، التركيز على ما قاساه اليهود على يد النازى خلال الحرب العالمية الثانية وأسسوا على ذلك حقوقا لهم

لدى المجتمع الدولى فى ضرورة مساعدة اليهود على التوطن فى فلسطين وطرد سكانها العرب ،وكأن على العرب تحمل مسئولية اضطهاد النازى لليهود ، وهذا يوضح تطور حرب ١٩٤٨ وسوء موقف اليهود فى مراحلها الأولى، ونجاحهم فى استغلال الهدنة الأولى والثانية لتعزيز قواتهم وتسليحهم وركزوا على تفرق العرب وأطماع زعمائهم الشخصية التى انتهت بهزيمتهم. والواقع أن اليهود تمكنوا من تعبئة التأييد الأمريكى الذى عبر عن نفسه فى قرار الرئيس «ترومان» بالأعتراف الفورى بإسرائيل . ويكشف عن الاستراتيجية الدائمة لليهود منذ مؤتمر (بازل) وهو التركيز ومحاولة الحصول على دعم أكبر دولة عظمى قائمة فى أى زمان، وكانت بريطانيا هى تلك الدولة عام ١٩١٧ حين صدر وعد «بلفور» وخلال العشرينات والثلاثينات . ثم كانت الولايات المتحدة هى تلك الدولة منذ الأربعينات وحتى اليوم.

نشاط بن جوريون لتهجير اليهود من أوربا:

وحين قاربت مسرحية الاستقالة ذروتها أستأذن «بن جوريون» الخارجية البريطانية لزيارة المجتمعات اليهودية فى بلغاريا ورومانيا، ليرى بنفسه أساسا فى الواقع لخطته فى تهجيرمليون يهودى إلى فلسطين، وهل يهود هاتين الدولتين، بأوضاعهم وسلوكهم، وقد حررهم الجيش السوفيتى ، وكان له ثلاثة أهداف : اكتشاف موقفهم من الهجرة، حتى يعرف مدى رغبتهم فى شق طريقهم فى فلسطين ، ويشجعهم على ذلك ، وإقناع الحكومات المعنية بالسماح بالخروج.

وكان «بن جوريون» يرى وجوب الإسراع بإنقاذ اليهود الأوربيين قبل فقدانهم إلى الأبد، فلم تبرد الأرض التى تحترق ، بل يبدو وكأن آثار المجزرة البشرية قد تزيدها اشتعالاً . وفى اجتماع جماهيرى كبير نادى «بن جوريون» بإقامة دولة يهودية فى فلسطين.

ولما رفضت رومانيا منحه تأشيرة دخول ، عاد إلى فلسطين. أما عن يهود بلغاريا فقد وضحت الصورة أمامه ، وطلب من «الماباى» والوكالة إرسال مندوبين إليها لتنظيم الهجرة والتعجيل بها، ولكن الهجرة على نطاق واسع لم تقع إلا بعد تأسيس الدولة ، إذ وصل إلى إسرائيل فى عامى ١٩٤٨ و١٩٤٩ خمسة وأربعين ألفا من الخمسين ألفا الذين يؤلفون الجالية اليهودية فى بلغاريا.

استغلال الصهيونية لمعاناة اليهود المضطهدين تحت الحكم النازى:

وفى أكتوبر ١٩٤٥ قام «بن جوريون» بجولته الثانية لأوربا لزيارة اليهود الناجين والمرحلين إلى المعسكرات فى ألمانيا ، فكان أول قائد صهيونى يزور معسكرات اليهود ، حيث نزل ضيفا على قوات الاحتلال الأمريكية والبريطانية وضيفا شخصيا للجنرال دوايت ايزنهاور، ولم يكن الغرض الرسمى لزيارته دراسة أوضاع اليهود فى هذه المعسكرات ، ولكن الوقوف على هدفه الحقيقى إنما كان معاينة مدى ما يمكن الاستفادة منه من محنتهم فى معركته لتأسيس دولة اليهود . وكان فى ذاكرته التخطيط لما بعد الحرب للمؤتمر الصهيونى الأول الذى كان يعد له بعد الحرب. ولم يكن يسعى لأصوات الـ ١٦٥,٠٠٠ يهودى فى المعسكرات ، بل ليصبح ممثلهم والمتحدث

بأسمهم في المؤتمر الأول الذى انعقد في يناير ١٩٤٦ في «ميونيخ» .
فزار وعلى مدى أحد عشر يوماً من أكتوبر ١٩٤٥ العديد من المعسكرات في بعض مقاطعات ألمانيا مثل فرانكفورت وشتوتجارت وميونيخ، وهانوفر، وفى داخاو"Dachau" حيث أحرق ٢٣٨,٠٠٠ فى الأفران ، وكان قد مات حتى ١٥ أبريل من العام نفسه ٣١,٠٠٠ بالتيفود والسل من الـ٤٨,٠٠٠ الذين كانوا فى برجن - بلسن "Bel-sen - Bergen

ولم تكن المواساة التى قدمها «بن جوريون» لجميع اليهود بالإشفاق أو المداعبة ، بل يحمل المشعل يضيء الرؤيا على الأمل والحلم المشعل بالمكان الذى يجدون فيه قوتهم ويمكنهم من الدفاع عن أنفسهم ولم يكن يتبع طريق «وايزمان» وقادة الصهاينة الآخرين فى الدهاء واستغلال المناسبات ، بل كان قادرا على إبلاغ مستمعيه بأنه فى مقابل ما أصابهم من ألم ومعاناة ، سيكسب الشعب اليهودى دولة ، ولئن كانت كلماته قيمة لوضوحها وبساطتها وتكاد تكون فجة فقد كان يردد أن ما حدث من مجازر لا يمكن إصلاحه ولكن الواجب ضمان عدم تكرارها أبدا.

وكان الباقون على قيد الحياة ، ممن أوقد فيهم «بن جوريون» لهيبا جديدا، وشكل منهم «عنصراً سياسيا » تحت قيادته ، يعارضون كافة المخططات البريطانية لرد اعتبارهم فى أوربا . إذ أخبرهم «بن جوريون» فى مؤتمرهم فى ميونيخ - يناير ١٩٤٦ : أن «عليهم ألا يظلوا ساكنين حتى الأخير منهم لتنضموا إلينا فى فلسطين ، لنبنى معا دولة اليهود» ، فقرر أن «فلسطين هى وطنهم الوحيد».

وقد ثبت صحة تكهن «بن جوريون» ، أن «هتلر» لم يكن يأخذ فقط بل كان يعطى.

وخلال السنوات من ١٩٤٠ حتى مايو ١٩٤٥ ، أخذ أقل قليلا من عشرة آلاف طريقهم إلى فلسطين بطريقة غير شرعية عن طريق البحر ، وفى ٩ نوفمبر ١٩٤٥ وصل خمسة وسبعون ألفا. فلم يكن لليهود عندئذ خيار إلا باجتياح فلسطين بالقوة . وقد أوضحت الأرقام كيف كانت شدة المحنة إذ تجمعت فى معسكرات المبعدين منذ مايو ١٩٤٥ حتى إقامة دولة إسرائيل.

وكانت الهجرة غير الشرعية أحد سلاحين لنضال اليهود ، وكان السلاح الثانى هو المعركة داخل فلسطين . فقد هوجمت نقطة الشرطة التى تحرس الشواطئ ، وخربت محطات الرادار حيث تستخدم لرصد سفن الوافدين بطرق غير شرعية ، فضلا عن اشتباكات مع الجيش البريطانى لتمكينهم من النزول إلى الشاطئ . وردت القوات البريطانية على ذلك بالبحث المتكرر عن محاربى الهاجاناه وأسلحتهم. وفرضت سلسلة من حظر التجول على المدن الكبيرة . وفى ٢٩ يونيه ١٩٤٦ - المعروف باسم السبت الأسود - أخذ البريطانيون فى البحث والأعتقالات فى كل فلسطين ، حيث حاصروا المستوطنات ، وقتل خمسة من اليهود وجرح العشرات ، واعتقل ثلاثة آلاف تقريبا فى معسكرات، وكان منهم بعض أعضاء الوكالة مثل «شاريت» وغيره.

وكان «بن جوريون» فى باريس فى ذلك الوقت يقود النضال

للتحضير لمؤتمر الصهاينة، الذى افتتح فى «بازل» فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ وانتهى فى التاسع والعشرين بإعادة انتخاب اللجنة التنفيذية برئاسته ، وكانت لجنة العمل قد قررت عدم انتخاب رئيس لمنظمة الصهيونية العالمية، ربما يعنى نظريا وعمليا عزل «وايزمان» ، وعندما قامت الدولة ، رفض «بن جوريون» السماح بإضافة توقيع «وايزمان» على إعلان الاستقلال.

وظل «بن جوريون» بعد إقصاء «وايزمان» ، كالقائد الوحيد لحزب الماباى وقمة الصهاينة ، وقاد النضال ضد بريطانيا حتى استطاع أن يعلن تأسيس دولة إسرائيل ، وأن يصبح أول رئيس للوزراء ووزير للدفاع . وكان أول عمل له فتح أبواب فلسطين ليهود أوربا، ويهود المنفى من الشرق والغرب.

المرحلة الثالثة
للنشاط الصهيونى
١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

القسم السادس عشر

الخلاف بين حكومة العمال البريطانية والصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية

الخلاف بين بن جوريون والحكومة البريطانية:

ورد عن «بن جوريون» فى كتاب «النبى المسلح» أن اللورد «موين» وزير الدولة البريطانى للشرق الأوسط فى القاهرة ، أخبر «بن جوريون» فى لقاء بينهما أن النصر سيكون للحلفاء وأنهم سيقيمون دولة لليهود فى ألمانيا . وأجابه «بن جوريون» بأنه لا يشك فى انتصار الحلفاء ، ولا يهمه مصير ألمانيا ، ولكنهم لن يستطيعوا نقل اليهود إلى ألمانيا لأنهم لن يتراجعوا عن مقررات برنامج «بلتيمور» .

وألقى «بن جوريون» فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٥ خطابا على يهود فلسطين ، شرح لهم سياسته كرد فعل لمقترحات الحكومة العمالية البريطانية ، محذرا من الثقة بحزب العمال الذى كان يؤيد الصهيونية منذ عشرات السنين ، معللا بأن الحزب فى الحكم غيره خارج الحكم ، وأن مسألة فلسطين بالنسبة لبريطانيا ليست مهمة كما هى بالنسبة للصهيونية ، وعقّب «بن جوريون» بأن ما فكر فيه من نوايا حزب العمال قد تحقق بعد أن جاء للحكم كل من «اتلى» و«بيفن» إذ رأى «بيفن» أن مصلحة بريطانيا فى المحافظة على نوع من الصداقة ولو نسبية مع العرب درءا لخطر الأتحاد السوفيتى وتطلعاته إلى النفاذ إلى المياه الدافئة .

ثم سافر «بن جوريون» بعد انتخابه رئيسا للمنظمة العالمية، بعون المؤتمر الصهيوني عام ١٩٤٦ ، إلى لندن حيث ذكر للمستر «بيفن» ، في مقابلات ومداولات غير رسمية بينهما رفض اليهودالمفاوضة رسميا مع إنجلترا ، واحتمال العثور على النفط في صحراء النقب ، وعرض عليه إقامة قواعدبريطانية فيها بديلا عن السويس.

وفي هذه المقابلات اقترح «بيفن» خطة الوصاية البريطانية على فلسطين خمس سنوات. والسماح بالهجرة الحرة لـ ٩٦ ألف يهودي على مدى عامين ، وفي نهاية السنوات الخمس تقام دولة مستقلة ثنائية الجنسية يقرر العرب واليهود فيما بينهم مبدأ الهجرة . وقد رفض «بن جوريون» «هذا الأقتراح» مما حمل بريطانيا على اتخاذ القرار بإحالة مشكلة فلسطين على الأمم المتحدة.

كان «بن جوريون» يخشى دائما من عرض القضية على الأمم المتحدة لجهله بأسلوب التصرف، ومواجهة المناورات السياسية الدولية التي لا تهدف لغير تأمين المصالح الشخصية والاقتصادية لكل دولة. وذلك فضلا عن القيمة الانتخابية للعرب المؤيدين بأصوات الدول الإسلامية والدول ذات المصالح الاستعمارية . وقد شرح لأعضاء حزب «الماباي» رأيه في هذا الصدد ، فقال: «إن موقفنا عند إحالة المشكلة إلى الأمم المتحدة سيكون موقف المتهم فعلينا أن نعي أن ما يقرر مصير هذه المشكلة هو قوتنا وإرادتنا .». وتأكيدا لهذا الرأي - والأمم المتحدة تناقش المشكلة - أصدر «بن جوريون» بوصفه وزيرا للدفاع في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية بيانا ذكر فيه «أن الخلاف مع بريطانيا خلاف سياسي ،

اما مع العرب فهو خلاف يتطلب عمليات عسكرية . وأن «الهاجاناه» ستكون العامل الرئيسى فى هذا القتال . وكانت «الهاجاناه» قد تحولت إلى جيش مقاتل قبل إعلان دولة إسرائيل بثلاثة أعوام.

لقد اهتم «بن جوريون» بتقوية القوات المسلحة فى فلسطين ، وكانت المشكلة الرئيسية التى تؤرقه هى أن أغلب أفراد «الهاجاناه» متطوعين ولم يسبق لهم الاشتراك فى حروب.

ولما أن أعترى المفاوضات فى هيئة الأمم جو من التردد ، وكان الشعور السائد لدى المفاوضين الصهيونيين هو التخلى عن الحكم وإسناده إلى الأمم المتحدة والدول الأخرى ، ولما كان الأمر كذلك بالنسبة للولايات المتحدة التى حاولت إلغاء قرار التقسيم ووضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة ، قال «بن جوريون» فى ٢٠ مارس ١٩٤٨ : إن الاقتراح الأمريكى مضر بالأمم المتحدة ومضر باليهود . فلن تستطيع الأمم المتحدة منع قيام دولة يهودية ، إذ أن القرار الذى أصدرته فى ٢٩ نوفمبر له قيمته المعنوية والسياسية ، ولكن الدولة اليهودية ستخلق بأيدينا ، ونحن الذين نقرر مصير البلد ونكون نحن أساس الدولة ، ولا نقبل أية حماية مؤقتة أو دائمة ، فبرنامجنا السياسى لا يزال كما هو : الأمن للدولة اليهودية ، والسلام بين العرب واليهود» (كتاب النبى المسلح) . وأسرع «بن جوريون» فى مستهل شهر أبريل ١٩٤٨ بتقديم اقتراح بشأن التعبئة العامة اليهودية وتوحيد الموارد والمجهودات الاقتصادية ، وعدم التقيد باتخاذ مواقف دفاعية، بل اللجوء إلى الهجوم إذا ما استدعت ذلك الأوضاع على طول الجبهة ، وكذلك بعدم التقيد بالمساحة التى حددتها الأمم

المتحدة للدولة اليهودية ، وقد قوبلت كافة المقترحات بالقبول ومهدت «لبن جوريون» الطريق لإعلان الدولة اليهودية.

وزعم « بن جوريون» أن العرب الفلسطينيين قد استجابوا لقرار التقسيم، وبدأوا فى الأنسحاب من الأماكن المقررة لليهود فى التقسيم، ولم يذكر السبب الحقيقى الذى أدى بالفلسطينيين إلى هذا الانسحاب، من قهر ومذابح كان على رأسها مذبحة «دير ياسين» فى أبريل١٩٤٨ .

كانت كل خطط «بن جوريون» للعمل تظهر كلها متعاقبة فى اتجاه واحد ، حيث تلقى الأعتراض عند اقتراحها فى البداية ، ثم تقبل فيما بعد وتنفذ . وقد برز عن «أتحاد يافا للتجارة» و«حزب العمال» عام ١٩٠٧ ، أحدوت هاعفودا (١٩١٩) ثم الهستدروت (١٩٢١)، ثم الماباى (١٩٣٠) ، ثم انتصار الصهيونية عام ١٩٢٨ المتحقق فى ١٩٣٥ ، ثم مطالبته عام ١٩٣٩ بجيش يهودى تحقق فى ١٩٤٤ ، ثم مخططه للتقسيم ، الذى كان أساس سياسته للصهاينة منذ ١٩٣٧ ، وتأسيس» برنامج بلتيمور عام ١٩٤٢ وقدر له الإنجاز بصدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ ، ثم إعلانه فى ١٤ مايو ١٩٤٨ إقامة دولة إسرائيل.

ومهما يكن من شيء ، فقد كان هناك قبل ذلك اعتراض مبدئى على الخطة ، وكان محتملا ألا يصل «بن جوريون» إلى هذا الإعلان وكان ذلك نضال الصهيونية مع ثورة الهجرة. فالذى رفضه زملاؤه وحزبه من قبل فى أول الحرب ، نفذوه بمبادرة وشجاعة فائقة عند

نهايتها . وإن اختلف العالم حول الاعتراف ، وظلت عبارات «بن جوريون» (القوة المضادة) و(الكارثة تعنى القوة) و (دولة هى الوسيلة الوحيدة للإنقاذ) دون تغيير.

ولم يكن مناط الكفاح بأقل من إقامة دولة إسرائيل، وحربها للاستقلال، وحروبها مع الدول العربية وتطويرها دولة يهودية. وكانت الإجراءات التى اتخذها «بن جوريون» للإعداد للكفاح تشكل قمة عمله السياسى ، ففى ١٨ أكتوبر ١٩٤٢ عقب عودته من الولايات المتحدة ، أبلغ الوكالة التنفيذية اليهودية أنه يهب نفسه للتخطيط الاقتصادى لاستيعاب الملايين وذلك ما يقتضى وقته كله . وأسس لتحقيق هذا الغرض معهد الأبحاث الأقتصادية للوكالة التنفيذية اليهودية ، وأنشأ فى نطاقه لجنة التخطيط التى ترأسها بنفسه وظل يحتفظ بمنصبه هذا حتى بعد استقالته من الوكالة التنفيذية اليهودية ، وحملته فى يناير ١٩٤٣ للضغط عليها لإقصاء «وايزمان» . إذ عمد إلى تقسيم هذه الحملة إلى مرحلتين: التهديد بالاستقالة والاستقالة ذاتها . فكانت الأولى حين واتته الفرصة فى شكل المحادثات التى أجراها «وايزمان» فى الولايات المتحدة ، فكتب فى ١٢ يناير ١٩٤٣ إلى أعضاء الوكالة التنفيذية اليهودية مهددا بأنه يرفض المشاركة فى المسئولية «فى عمل سياسة الصهاينة ما دام «وايزمان» أجرى محادثات مع الولايات المتحدة دون علمهم أو تفويض منهم» ، ومنح نفسه أجازة بالتغيب عن اجتماعات الوكالة فى يناير وجزء من فبراير ، وفى أواخر فبراير استجاب لوفد من الوكالة بحضور الاجتماعات . وفى ٢٥ يوليه أخطر الوكالة أنه لم يعد يشارك فيها لأنهم لم ينفذوا رغم اقتراحه قرار اتخذ بإقامة مكتب سياسى فى واشنجتن ، تابع للوكالة ويدعو لاجتماع مؤتمر للصهاينة

على نطاق العالم فى فلسطين ، وكان إعلان استقالته فى أكتوبر مفاجأة ، وعارضها رئيس اللجنة ولم يسمح بمناقشة الموضوع . وفى أواخر أكتوبر ونوفمبر صرح به «بن جوريون» للوكالة - بما كان يهمس به من قبل - إن سبب استقالته هو «وايزمان» .

وفى تحرك ذكى لسحب البساط من تحت أقدام «بن جوريون» ، أبرق إليه «وايزمان» فى ٤ نوفمبر يطلب منه إعادة النظر فى استقالته والتوجه إلى لندن مع «موشى شاريت» وآخرين من أعضاء البعثة، فأجاب « بن جوريون» بأنه يأسف لعدم قدرته على تغيير قراره تحت شروط مسبقة لأسباب شرحها فى رسالته إليه فى ١١ يونيه ١٩٤٢ من نيويورك . ثم توجهت بعثة المصالحة إلى لندن فى يناير ١٩٤٤ ونجحت فى الحصول على تأكيدات من «وايزمان» بالتعاون مع «بن جوريون» فى المستقبل ، وأرسال التقارير الأوفى مع مزيد من الاهتمام بتوجيهات القدس ، فسحب «بن جوريون» استقالته . وانصرف إلى الاستمرار فى بناء الحزب وتوحيد منظمات الشباب لإعدادها لمهمة المستقبل ، وكذلك إلى نشاطه فى لجنة التخطيط. وفى مارس ١٩٤٤ كان لايزال يعتقد أن مليونا من الناجين من يهود أوربا قد يرغبون فى الهجرة إلى فلسطين ، وكان يأمل كثيرا فى مخططه للنقل . وعلى ذلك وجه اللجنة للعمل مع معهد البحوث الاقتصادية وكثير من الخبراء لأمداده بـ «خطة لتوطين مليون يهودى فى فلسطين ، فى الزراعة والصناعة والتجارة ، مع خطة لتمويلها» .

وفى يناير ١٩٤٥ ، قرأ «وايزمان» فى لندن عن اللجنة فدهش ، ورغم ما نوقش فى أحاديثه مع تشرشل ، من مائة ألف فقط ، فقد

كان يشك فيما جاء فى خطة «بن جوريون» من استيعاب الدولة مليون يهودى . وقال «بن جوريون» للجنة أن الجانب المالى للخطة لا يقل أهمية عن الجانب السياسى . وتبلورت فى ذهنه التعويضات الألمانية للشعب اليهودى لا للأفراد أو المجموعات ـ عن ستة ملايين يهودى قتلوا . وأنتهى الأمر بتوقيع اتفاقية بين ألمانيا وإسرائيل فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ .

المرحلة الثالثة

للنشاط الصهيونى

١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

القسم السابع عشر

دور المنظمات الإرهابية

فى قيام دولة إسرائيل

مقدمه

الفصل الأول :

منظمة الهاجاناه

الفصل الثاني :

منظمة «إتسل»

الفصل الثالث :

منظمة «ليحى»

الفصل الرابع

العلاقة بين المنظمات والمواقف من بريطانيا

الفصل الخامس :

حركة العصيان العبرى

الفصل السادس :

مشروعات التقسيم وقيام الدولة اليهودية

الفصل الأول

منظمة الهاجاناه

مقدمه:

فى عام ١٩٢٠ نشأت منظمة «الهاجاناه» وهى كبرى المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحة .

وفى عام ١٩٣٧ أدت التناقضات الداخلية إلى قيام منظمة «إتسل» .

وفى عام ١٩٤٠ إنسلخت عن «إتسل» منظمة ثالثة حملت اسم «ليحى» .

وقد قامت هذه المنظمات الثلاث ونمت فى ظل الاحتلال البريطانى لفلسطين، ومن داخل المستوطنات اليهودية التى عرفت باسم «الييشوف» .

وتختلف تجربة هذه المنظمات عن تجارب حركات التحرر الوطنى لأن الأخيرة تقود حركة التحرر من السيطرة الاستعمارية ومن نفوذها ولاتدخل فى تحالف أبدا مع قوات الاحتلال، بل تعد مثل هذا العمل خيانة وطنية.

أما التنظيمات الصهيونية فقد انخرطت فى علاقة تحالف مع القوات الاستعمارية، رغم قيامها أحيانا بأعمال التظاهر والضغوط

السياسية والإرهابية، ليس بغرض إنهاء وجود القوات الأجنبية بل بهدف الضغط للوصول إلى درجة أعلى من التحالف . كما أن المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحة قامت بتغيير ولائها وارتباطها مع الاستعمار البريطانى إلى الاستعمار الأمريكى الجديد عندما تبينت أن شمس الاستعمار البريطانى أخذت فى المغيب.

وقد اتخذت هذه المنظمات تكتيكات واستراتيجيات تتفق مع أهدافها . وأبرز هذه الأهداف كان تشكيل مجتمع مهاجر من مستوطنين من عنصر وديانة واحده فى الشرق الأوسط ـ فلسطين ـ إستنادا إلى دعاوى تاريخية كاذبة، وأطلقوا على المشروع اسم «أرض إسرائيل» . ولذلك قامت التنظيمات الإرهابية الثلاثة من داخل مجتمع المهاجرين المستوطنين، واستخدمت كافة الوسائل ومنها القوه المسلحة لتنفيذ أهدافها.

وقد تنضم هذه التجربة الصهيونية إلى إخواتها من تجارب الهجرة والاستيطان الاستعمارى فى الأمريكتين واستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا، وهى تجربة ظاهرة استعمارية أوربية تحققت عن طريق دول لها جيوش غازية دون أن يكون من أهدافها التخلص كلية من السكان الأصليين أو الاستناد إلى دعاوى تاريخية ملفقة، وإن كان هدفها السلب وتهميش دور السكان الأصليين . أما المهمة العنصرية فى فلسطين فقد قام بها مجموعة من المهاجرين ـ المستوطنين استنادا إلى تعاون مع السلطة الاستعمارية، ليس بغرض تهميش دور السكان الأصليين بل بهدف إزاحتهم وإنهاء وجودهم فى وطنهم.

وقد انتهت هذه التنظيمات الإرهابية الصهيونية بالتوحيد داخل الجيش الإسرائيلى مع قيام الدولة اليهودية.

والجدير بالذكر أن الحديث عن المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحه مغاير لتناول دور الأحزاب والمنظمات السياسية الصهيونية، التى قد يكون لها دور فى إدارة أو تحريك المنظمات الإرهابية، إلا أن موقعها ليس هذه الدراسة.

كما لن تتناول الدراسة المنظمات الصغيرة الميكرو - والتى كانت تنبعث من الحين للحين، ثم تختفى أو تقوم كجناح لأحد التنظيمات الثلاثة الرئيسية المشار إليها وهى الهاجاناه - وإتسل - وليحى.

أولاً: الهاجاناه

(١) الخلفية والنشأة والتطور:

(أ) الخلفية:

تعود أصول منظمة «الهاجاناه» إلى عاملين أساسيين: الأول داخلى ، يتمثل فى تطور المستوطنات أى «اليشوف اليهودى» فى فلسطين، وإقامة منظمة الحرس اليهودى (هاشومير). والآخر خارجى، يتمثل فى اندلاع الحرب العالمية الأولى ، واستغلال الجناح النشط فى الحركة الصهيونية واقع الحرب ، لتشكيل وحدات عسكرية يهودية.

وقد شكل الحرس اليهودى اللبنه الأساسية للهاجاناه وأمدها خلال المرحلة الأولى من تشكيلها بالعناصر المدربة على استخدام السلاح . وكان الحرس اليهودى قد أقيم قبيل الحرب العالمية الأولى إذ كانت مهمته حراسة المستوطنات اليهودية ، خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد اقتصر على عناصر غير

يهودية من الشركس ومن العرب . ومع بداية الهجرة الثانية (١٩٠٤) وما جلبه من أفكار صهيونية مثل (عبرنة) العمل والحراسة، حراسة عبرية مبنية على الطهارة اليهودية، ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر السهل ، خصوصا وأن اليهود لم يعتادوا القيام بمثل هذه الأعمال . بيد أن شعار احتلال العمل والحراسة ، وما ينطوى عليه من معان صهيونية دفع «اليشوف اليهودى» للبدء فى (عبرنة) الحراسة.

وعلى الرغم من نظرة الإزدراء وعدم الثقة التى واجهتها هذه الخطوة، بين أوساط يهودية كبيرة، استمر دعاة (عبرنة) الحراسة فى نشاطهم وفى الدعوة لفكرتهم التى أخذت ، مع مرور الزمن ، إلى جانب اكتسابها هاله من «القدسية» الصهيونية ، تشق طريقها إلى عدد من المستوطنات ، وبخاصة مستوطنات المنطقة الشمالية من فلسطين، وشجع على إقامة «هستدروت هاشومير» (نقابة الحارس) عام ١٩٠٩ . وبذلك تم ترسيخ فكرة الحراسة اليهودية.

إلى جانب توسع الحراسة تدريجيا ، حدث تطور آخر فى مهامها ، إذ لم يعد الحراس مكلفين بحراسة المستوطنات القائمة فقط ، بل كان عليهم حماية النقاط الاستيطانية الجديدة أيضاً ، حيث درج هؤلاء على مرافقة المستوطنين أثناء «غرسهم» واقعا جديدا فى فلسطين.

وإلى جانب التطور الداخلى «لليشوف اليهودى» فى فلسطين الذى أفرز منظمة (هاشومير) ، كان هناك تطور خارجى ساعد هو الآخر ، على إدخال الروح العسكرية وسط الجاليات اليهودية ، لتصب فى

المشروع الصهيوني ، ونعنى به إندلاع الحرب العالمية الأولى . فمع اندلاع الحرب بين دول المحور ودول الوفاق ، إنعكس انقسام الشعوب الأوربية ، مع هذا الفريق أو ذاك، على الجاليات اليهودية بشكل عام، حيث حاولت كل جالية مسايرة الموقف السائد فى كل بلد تتواجد فيه أو إلتزام جانب الحياد . ولم تشذ الجالية اليهودية فى فلسطين عن هذه القاعدة ، فقد وقفت فى بداية الحرب إلى جانب تركيا ، وعبرت عن تأييدها بإهداء طائرة للحكومه العثمانية تحمل اسم «سيرائيل» .

بيد أن تأييد هذا الجانب، أو ذاك ، لم يرق، عند الأطراف الصهيونية ، إلى مرتبة الدعوه لتجنيد اليهود وانخراطهم فى صفوف الجيوش المتصارعة ، وإنما بقى ضمن إطار الإعراب عن التعاطف ، وذلك فى الوقت الذى لم تتوصل فيه الحركة الصهيونية إلى موقف موحد واضح تجاه الحرب. وقد إرتأت الحركة الصهيونية فى مؤتمرها المنعقد فى كونبهاجن سنة ١٩١٥ عدم التزام الحركة بقرار مع هذا الجانب أو ذاك. وقد ذهبت محاولات «زئيف فلا ديمير جابوتينسكى» ، الرامية إلى حمل المؤتمرين على الوقوف إلى جانب بريطانيا أدراج الرياح . كما لاقت فكرته الداعية إلى إقامة فرقة يهودية تعمل إلى جانب القوات البريطانية معارضة شديدة . ومع ذلك، أخذت الفكرة تشق طريقها ببطء وصعوبة إلى أن أسفرت ، فى نهاية الحرب العالمية الأولى، ليس فقط عن قيام فرقة يهودية واحدة وإنما عن قيام أربع فرق كانت من بين عوامل إنشاء الهاجاناه وتعزيزها.

(ب) النشأة:

فى هذه الفترة أخذت فكرة إقامة تنظيم عسكرى شعبى ، تناط به مهام الدفاع عن المستوطنات اليهودية لحين قدوم القوات البريطانية، فى حال الخطر، تطرح نفسها بالحاح فى الوسط العمالى، خصوصا وأن منظمة «هاشومير» لم تثبت نفسها فى التصدى لحالة النهوض الوطنى الفلسطينى، كما وأن بقايا الكتائب العبرية لم تكن بمستوى الآمال المعلقة عليها. ولم يكن أيضا، بمقدور المسؤولين عن اليبشوف اليهودى تحريكها كما يشاءون، بحكم خضوعها للسلطات البريطانية. وعلى الرغم من إشتراك عدد من عناصرها فى التصدى للعرب، إلا أن ذلك لم يرض أولئك الذين أخذت تختمر فى نفوسهم فكرة إقامة تنظيم عسكرى توكل إليه مهام حماية المشروع الصهيونى فى فلسطين.

كان على حزب «أحدوت هاعفودا»، صاحب الفكره، قبل الإعلان عن ولادة التنظيم العسكرى الجديد، ترتيب الأمر مع منظمة «هاشومير»، لتحل محلها، وتشكل العمود الفقرى للتنظيم المزمع إقامته. وبالفعل، عقدت اللجنة الموسعة لمنظمة «هاشومير» فى ١٨ مايو سنة ١٩٢٠ إجتماعا تمخض عن القرارات التالية:

١ـ حل منظمة «هاشومير».

٢ـ يشكل أعضاء «هاشومير»، كمجموعه، النواة لتأسيس نقابة الهاجاناه (هستدروت هاجاناه)

٣ـ تعتبر نقابة الهاجاناه جزءا من حزب «أحدوت هاعفودا».

إثر صدور هذه القرارات، عقد حزب أحدوت هاعفودا مؤتمرا فى طبريا بتاريخ ١٣ ـ ١٥ يونيو ١٩٢٠، تدارس فيه موضوع إقامة «منظمة الهاجاناه»، وأقر قيامها. وهكذا تم نقل شؤون الأمن من يد منظمه «هاشومير» إلى منظمة «الهاجاناه».

ويلاحظ، هنا، أن تأسيس الهاجاناه لم يأت نتيجة قرار إتخذته الإداره الصهيونيه الممثلة للتكتلات والتيارات السياسية الصهيونيه جميعا، وإنما أتى نتيجة قرار إتخذه حزب ينتمى إلى الإدارة الصهيونية. وكان لهذا الواقع أثر كبير فى مسار التطور المستقبلى للهاجاناه، فضلا عن تبعاته على العلاقات بين التيارات المختلفة فى «الييشوف اليهودى» فى فلسطين.

(جـ) عجز المنظمة وتطورها:

وقد بدا عجز «الهاجاناه» واضحا فى البداية فى صد هجمات الثوار الفلسطينيين على المستوطنات التى سقط بعضها فى يد الثوار وأفلتت مستوطنات من هذا المصير بعد وصول الإمدادات البريطانية .

وقد خضعت الهاجاناه ، خلال سنوات العشرينات، للنقابة العامة للعمال اليهود «الهستدروت» بعد تأسيسها فى ديسمبر ١٩٢٠ . وقامت الهستدروت بدور الإشراف عليها وتعيين لجنتها المركزية . وقد اتسمت الفترة الأولى من التأسيس بعدم متانة العلاقة بين مركز الهاجاناه «اللجنة المركزية» وبين قيادة الفروع واللجان فى المدن والمستوطنات ، إذ جرى انتخاب الأخيرة بواسطة المؤسسات العامة

المحلية ، وكانت هذه اللجان تتحمل المسئولية تجاه الجمهور الذى انتخبها ليس تجاه مركز الهاجاناه.

وفى عام ١٩٢٤ صدر دستور الهاجاناه الذى عرفها بأنها «منظمة عسكرية سرية» تستهدف الحفاظ على اليشوف بواسطة الميليشيا الشعبية.

وقد يتبادر إلى الأذهان تساؤلا حول كيفية تطبيق مبدأ الشمولية الذى حرص عليه الدستور، بفتح أبواب المنظمة لكل عبرى وعبرية بغض النظر عن الإنتماءات والميول الحزبية، فى الوقت الذى تخضع فيه المنظمة لإشراف «الهستدروت» الممثلة لصالح شريحة معينه من «اليشوف اليهودى» . والحقيقة أن منظمة الهاجاناه سعت إلى تحقيق مبدأ الشمولية الذى لم يكن من السهل دائما ، تطبيقه ، فقد انتهك أكثر من مرة، وفى أوقات مختلفة، نظرا للبون الشاسع فى المنطلقات السياسية والفكرية للتيارات السياسية اليهودية فى فلسطين، والواقع أن منظمة الهاجاناه هى الأب الشرعى للحركة العمالية اليهودية. ففى العشرينات ، كانت فروع الهاجاناه وخصوصا فى المستوطنات الزراعية تعتمد أساسا على الأوساط العمالية.

(٢) بعض الأعمال الإرهابية:

(أ) ـ قامت العديد من الأعمال الإرهابية من داخل «الهاجانا» سواء من العناصر الملتزمة بخط المنظمة أو العناصر المنشقة.

(ب)فى السادس من يونيو ١٩٣٣ وبينما كان «حاييم

أرلوزوروف» رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية ، وأحد الوجوه البارزة فى حزب «ميباى»، يتنزه مع زوجته على شاطئ البحر فى تل أبيب، قام مجهولان باغتياله واعتقلت سلطات الأنتداب عدة أشخاص ، كانوايتتمون إلى منظمة «بريت هابريونيم» (عصبة الأشداء) التى تأسست فى صيف ١٩٣١ نتيجة تبلور مجموعة «الحد الأقصى» داخل الحركة التصحيحية، وقد نشطت هذه الجماعة فى إستقطاب العناصر الأكثر تطرفا فى الحركة التصحيحية، وفى إقامة خلايا لها فى أماكن متعدده من فلسطين . وكانت تدعو صراحة إلى إقامة دولة يهودية والتصدى بالحديد والنار، لمن يقف فى وجه هذا الهدف . وكان من أهم نشاطاتها أن تصدت لمنع الإحصاء السكانى العام فى فلسطين عام ١٩٣١ خشية ظهور اليهود كأقلية هناك. كما نشطت فى تهريب اليهود والأسلحة إلى فلسطين ، من خلال تنمية علاقات طيبة مع مهربى المخدرات فى دمشق ، الذين كما ذكر أحد أعضاء الجماعة توصلنا معهم إلى إتفاق، وساعدناهم بنقل الحشيش حتى الحدود المصرية ومقابل ذلك ساعدونا فى تهريب أشخاص وأسلحة عبر الحدود السورية.

وعلى الصعيد الداخلى ، خاضت «عصبة الأشداء» حربا شرسة ضد «الهستدروت» وتوجهاتها «اليسارية» فى الوقت الذى اعتبرتها الحركة العمالية بمثابة عصبة «فاشية» متطرفة.

لم تكن حادثة اغتيال «أرلوزوروف» أول حادثة اغتيال من نوعها فى «البيشوف اليهودى» فى فلسطين ، فقد سبقتها حادثة شبيهة من حيث غموضها، وبقيت لغزا لمدة طويلة، حاولت خلالها، الأوساط

الصهيونية توجيه أصابع الأتهام ضد العرب إلى أن أميط اللثام عنها في كتب التاريخ .

ففى ٣٠ يونيو ١٩٢٤ أطلق أحد أعضاء منظمة «الهاجاناه» النار على الدكتور «يسرائيل يعقوب دى هان» - أثناء خروجه من كنيس يهودى فى القدس وأرداه قتيلا ، بناء على تعليمات صادره عن مركز الهاجاناه بتصفية «الخائن» . وتتمثل خيانة «دى هان» ، وهو شاعر وصحافى مرموق ، من زعماء أغودات يسرائيل ومن مواليد هولندا ، بمحاولته إقامة جبهة «يهودية - عربية» ضد المشروع الصهيونى فى فلسطين ، اعتقادا منه بالضرر الذى تجلبه الصهيونية على اليهود أنفسهم.

وقد ترتب على مقتل «أرولوزوروف» تسمم العلاقة بين التيارين الأساسيين فى «اليشوف اليهودى» . وليس من المبالغ فى شىء ، إذا قلنا أن هذا الموضوع كان من بين العوامل الرئيسية، التى ظلت كامنة فى النفوس طوال أكثر من عقد من الزمن، والتى أوصلت العلاقات إلى حالة من الكراهية والعداء . ففى أعقاب العملية ، جرت بين الحين والآخر، اعتداءات ضد عناصر الحركة التصحيحية ومناصريها فى أماكن عدة من التجمعات اليهودية داخل فلسطين وخارجها على يد أنصار الحركة العمالية. وأبدى رئيس الحركة التصحيحية «زئيف جابوتينسكى» إهتماما بها . وكتب مقالات عده حولها ، وطلب فى إحداها من أنصاره عدم الرد عليها.

وفى مقال آخر نشره بعد حوالى عام على مقتل «أرلوزوروف» ، شن «جابوتينسكى» حملة ضد الإقتتال بين اليهود ، معتبرا إياه منافيا

للحضاره، وركز على إمكانية التعايش بين الآراء المختلفة، ليؤكد جواز تبادل التهم وحتى التشنيعات بين المتخاصمين ، وليحظر، حسب إعتقاده، القيام بعمل واحد هو «لايمكن حدوث أعمال عنف بين اليهود، ولا يجوز ضرب اليهود أو هدم مبانيهم».

والجدير بالذكر ، أن العمال المؤيدين للحركة التصحيحية واجهوا ، منذ مطلع الثلاثينات ، مضايقات جمة كانت تتم على يد مكاتب العمل التابع للهستدروت، ففي كثير من الأحيان ، جرى فصل أعداد منهم، فضلا عن تعرض البعض للإهانات والضرب من جانب العمال المنتمين لحزب «المباي».

ولقد نجم عن تفاعلات قضية الاغتيال وملابساتها حالة فرز جادة، لم تكن فى مصلحة الهاجاناه على الإطلاق، إذ أخذت عناصر «بيتار» المنطوية تحت لوائها تنسحب منها،*وتلتحق بـ «المنظمة ب» المنافسة لها. وبذلك، بدأت «المنظمة ب» تشهد نموا سريعا استمر فى التصاعد حتى اندلاع الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ، لتجد نفسها تضم حوالى ألفى عنصر وتواجه موضوعات سياسية ينظر إليها كل طرف من الأطراف المكونة لها من خلال منظاره الخاص.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن «إتسل» لم تغفر «للهاجاناه» موقفها من اعتداء أعضائها على الأتوبيس العربى، وسخريتها منه. ولم تنس ذلك حتى فى الأوقات الحرجة، فبعد مضى حوالى عشر سنوات، أى فى سنة ١٩٤٨ حدث أن اعتدت مجموعة من «الهاجاناه» على أتوبيس عربى فى طريق بيسان، فتلقفت «إتسل» الاعتداء لتسديد الحساب القديم معها ولتطالب أولئك الذين انتقدوا أعمالها بطلب المغفرة.

ولعل فى العمليات العسكرية القليلة التى نفذتها الهاجاناة عقب صدور الكتاب الأبيض (مايو ١٩٣٩) ما يشير إلى مدى حرج وضعها من جهة، وإلى الوضع المريح لنمو إتسل من جهة أخرى. فقد رأت الهاجاناه، عند صدور الكتاب الأبيض، ضرورة الرد عسكريا ضد المنشآت البريطانية فى فلسطين، كتعبير عن السخط الصهيونى ضد السياسة البريطانية الجديدة. وفى هذا الإطار، نفذت عملية تخريبية ضد أجهزة بث الإذاعة، إلا أنها وجدت نفسها، ليست عاجزة عن إصدار بيان بالعملية فحسب، بل عاجزة أيضاً عن تكذيب بيان إتسل الذى نسبت فيه العملية إلى عناصرها.

وفى العملية الثانية التى أرادت بها «الهاجاناه» التشبيه «باتسل» فى ردها على العرب، حدث الشيء نفسه. فقد نفذت عناصرها بناء على تعليمات قيادة المنطقة الشمالية، عملية إرهابية ضد السكان الآمنين فى قرية بلد الشيخ فخطفت خمسة أشخاص من أهالى القرية وقتلتهم، وأشفعت ذلك بعملية أخرى، حيث انفردت وحدة من قواتها بمنزل عربى يقع على أطراف قرية لوبيا العربية، وألقت قنابلها اليدوية داخله عن طريق النافذة، الأمر الذى تسبب فى قتل عدد من العرب، بما فى ذلك أربع نساء وطفل، وهم نيام ولم يكن بوسعها نسب العملية إليها، وبخاصة لأن صحيفة دافار الناطقة باسم الحركة العمالية شنت بسرعة، وقبل معرفة هوية الفاعلين، حملة شعواء ضد المسؤولين عنها وضد «سفالة الإرهاب» وشجبت الجريمة ومنفذيها الذين يفتقرون إلى أية «أحاسيس إنسانية» وانتهت إلى القول «أن ذكرى عملية لوبيا كذكرى العمليات التى سبقتها، ستحكم بالعار على منفذيها المجرمين أياً كانوا». وقد نسبت «إتسل» هاتين العمليتين

إلى عناصرها فى بداية الأمر، ودرجت فيما بعد، على إشهارهما كسلاح فى وجه الهاجاناه، ولاسيما عندما كانت تقوم الأخيرة بإدانة أعمال مشابهة تنفذها «إتسل».

(٣) الأيديولوچية والخط السياسى:

(أ) فى عام ١٩٠٧ ظهر تنظيم يدعى «بارغيورا» وضع على رأس اهتماماته احتلال العمل والحراسة، وإقامة مستوطنات زراعية ، بهدف تحقيق شعار «بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار تقوم» ومن أبرز قادته إسحاق بن تسفى، الرئيس الثانى للكيان الإسرائيلى، ويمكن اعتبار هذا الشعار عاما بالنسبة لكل التنظيمات الصهيونية المسلحة منها الهاجاناه.

(ب) ونجد أيضاً مبدأ آخر هو الـ «هفلغاه» وهى المرادف لـ«ضبط النفس» وكإصطلاح سياسى تعد المفهوم العام للسياسة التى قيدت بها الوكالة اليهودية منظمة الهاجاناه أثناء مواجهتها السكان العرب فى فلسطين . فقد رأت الوكالة اليهودية، خلال الفترة الأولى من اندلاع الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ، بناء لاعتبارات كثيرة، هجومية أو إنتقامية . وفى بداية تبلور الـ«هفلغاه» تمسكت الوكالة اليهودية بحرفية تعليمات الدفاع السلبى.

ومع ذلك، لم تتقيد قوات الهاجاناه دائما بسياسة «الهفلغاه» إذ كانت تقوم بين الفينة والأخرى، بالإصطدام مع الثوار الفلسطينيين خارج نطاق المستوطنات . ومع مرور الوقت ، ونمو قوتها وتعزيز عرى العلاقات مع القوات البريطانية لم تعد تحرص على تطبيق سياسة ضبط النفس تجاه العرب. وقد حدث هذا التطور فى أواخر

الثلاثينات. وكرس كسياسة رسمية، فى البند الثالث من التعليمات الصادرة عن القيادة القطرية لمنظمة الهاجاناه فى ٢ يوليو ١٩٣٩ الذى جاء فيه «.... من الواجب مهاجمة العصابات أثناء تحركها ومواجهتها قبل اقترابها من المستوطنات ، ويجب إلى جانب الدفاع عن المواقع داخل المستوطنات، مطاردة المهاجمين للقضاء عليهم وغلق طرق إنسحابهم وإذا ما انسحبت العصابة أثناء مطاردتها إلى قرية عربية، يسمح للمطاردين بالعمل داخل القرية أيضاً».

مع تطور أساليب المواجهة لمنظمة الهاجاناه، تطور أيضاً مفهوم «الهفلغاه». والحقيقة أن قادة الحركة العمالية الذين اتبعوا هذا المفهوم . وعلى رأسهم مهندسه «بن جوريون»، لم يتخلوا عنه حتى عندما تجاوزه ، إدراكا منهم أن إصطلاح ضبط النفس يضفى على مواقفهم السياسية مسحة من الأعتدال ، بل ابتدعوا له معانى جديده لا علاقة لها بالدفاع السلبى مثل: طهارة السلاح، تمييز النشاط، الهاجاناه ضد العرب - عن نشاط منظمتى «إتسل وليحى». الذى نعتوه بـ«الإرهاب»، مع أن النشاطين لم يكونا مختلفين، من حيث الجوهر، وإن اختلفا فى الطرق والوسائل والتوقيت والتركيز على الاعتبارات السياسية.

(جـ) وقد حدث تطور آخر داخل الهاجاناه أثر فى اتجاهها الفكرى، وذلك عام ١٩٣١ حيث إنشق رئيس فرع منظمة الهاجاناه فى القدس، وأقام منظمة جديدة اتخذت أسماء متعدده منها : الهاجاناه الموازية ، والمنظمة العسكرية القومية، والهاجاناه اليمينية ، إلا أن الاسم الأكثر شيوعا كان : الهاجاناه«ب» أو منظمة «ب».

وقد أخذت الخلافات تدب داخل «المنظمة ب»وتعصف بها، وذلك عقب تبلور «الهفلغاة»كمفهوم سياسى، وتبنى الهاجاناه له، وساعد فى ذلك عدم التناسق والتجانس بين عناصر المنظمة ، والأطراف الموجهة لها فى «اللجنة المشرفة» فقد استقطبت «المنظمة ب» بين صفوفها ، خلال فترة نموها ، أعدادا كبيرة من أنصار الحركة التصحيحية وحركة بيتار، وتضاءلت أعداد المؤيدين للأحزاب اليمينية والدينية بفعل زيادة أنصار الحركة التصحيحية فى المنظمة، الأمر الذى كان له تأثير كبير على تطور بنيتها . ففى العام الأخير لقيامها ، وجدت المنظمة نفسها تتشكل من قاعدة معظم عناصرها من أنصار الحركة التصحيحية، فى الوقت الذى تتشكل فيه معظم القيادة من الأحزاب الأخرى. وعند ظهور مفهوم ضبط النفس، وعقب اندلاع الثورة الفلسطينية بفترة قصيرة ، أخذ الخلاف يدب فى صفوف المنظمة حول الموقف من هذا المفهوم، حيث وقفت معظم عناصر القيادة إلى جانب «الهفلغاه» بينما اتخذت معظم عناصر القاعده موقفا مناوئا وطالبت بكسر سياسة ضبط النفس.

وسط هذه الأجواء المشحونة بالتوتر ، بين الأجنحة المختلفة، كانت مفاوضات الوحدة بين المسؤلين عن المنظمتين العسكريتين، تشق طريقها بقوة هذه المرة. وذلك على الرغم من مواجهتها للمشاكل نفسها التى برزت خلال المفاوضات سنة ١٩٣٣ ، إضافة إلى مشاكل جديده ناجمة عن تطور المنظمتين وإنعكاس الثورة الفلسطينية عليهما.

(د) ومن الملاحظ أن كافة التيارات والقوى الواقفة وراء المنظمتين ، التقت عقب إندلاع الثورة الفلسطينية حول قاسم مشترك

هو الوحدة، بيد أنها كانت تختلف، من حيث الدافع والهدف، فقد أرادت الحركةالعمالية من الوحدة القضاء على خطر وجود منظمة ثانية بهدف تعزيز المنظمة التى تسيطر عليها، ومن ثم إحكام سيطرتها على «البيشوف اليهودى»، بينما اندفعت الكتلة المدنية نحو الوحدة ، بفعل تخوفها من خطرتنامى نفوذ الحركة التصحيحية داخل «المنظمة ب» ، ورغبتها فى وضع حد لوضعها غير الطبيعى المتمثل فى مساهمتها بقيادة كلا المنظمتين . أما مجموعة القيادة بزعامة «تهومى»، فقد إندفعت نحو الوحدة ليس بسبب تخوفها من خطر تنامى نفوذ الحركة التصحيحية ، وإنما أيضاً، رغبة منها فى تزويد عناصر المنظمة بأسلحة أفضل، وتوفير أسباب التدريب العسكرى لأفرادها ، وكذلك بهدف احتلال مكانة مرموقة فى المنظمة الموحدة.

وهناك عامل آخر ساعد على التوجه الوحدوى يتمثل فى رغبتها بتوفير فرص إنضمام أعضاء «المنظمة ب» إلى سلاح الحراسة التابع للهاجاناه والمسموح به رسميا من قبل سلطات الأنتداب.

أما الجناح التصحيحى ، فقد كان همه الأساسى فى توجهه الوحدوى فرض نفسه كفريق مساو للفريق الآخر، وبالتالى إحراز مكاسب سياسية وحزبية .

وقد بدأ الحديث يدور حول الوحدة عقب إندلاع الثورة الفسطينية، فحدد «بن جوريون»، زعيم الحركة العمالية، شرطين ضروريين لتحقيقهما هما:-

١- ضرورة قيام وحدة حقيقية،وليس شرعية الإنفصال تحت غطاء الأتحاد».

٢ـ خضوع المنظمة الموحدة ، بشكل مطلق للوكالة اليهودية.

ومن الجدير بالذكر أن قادة الوكالة اليهودية، وعلى رأسهم «بن جوريون» ، وقفوا ضد مساهمة عناصر «المنظمة ب» فى سلاح الحراسة المصرح به رسميا ، قبل حدوث الوحدة الإندماجية، وهيمنة الوكالة اليهودية على المنظمة الموحدة . وبرر هذا الموقف بقوله : «لدينا اليوم إمكانية محدودة من الدفاع الشرعى . ولن نفسدها بإدخال عناصر غير مسؤولة،قد ترتكب مجازر». وكان ينعت المنظمة ب «العصابة» وأفرادها بـ«المتمردين» ولهذا فشلت محاولات الوحدة.

(هـ) ولم تقف الهاجاناه مكتوفة اليدين إزاء النشاط الإعلامى والإرهابى «لاتسل» ، فقد شددت هى الأخرى على التنديد بـ «العصابات» فى منشوراتها التى وزع أحدها فى الوسط اليهودى بتاريخ ٢١ يونيو حاملا توقيع «المهاجرين غير الشرعيين» وكان ينضح بالتنديد برجال إتسل الذين يرعون القائمين على الكتاب الأبيض فى مصادرة صلاحية الوكالة الممثل الوطنى الوحيد ... عصابة الإرهابيين لا تتوجه نحو مقابلة الحكومة الخائنة، إنهم يعمدون فى أعمالهم إلى تصعيد الاضطراب فى «اليشوف» وإضعاف الاستعداد للسيطرة عليه.

ونشطت المؤسسات المسيطرة على الهاجاناه، ولاسيما بعد أن طالت الأعمال الإرهابية أعناق اليهود أيضا، فعممت منشورا مذيلا بتوقيع عدد من الشخصيات اليهودية من الوسطين السياسى والفكرى، فى الوسط اليهودى، ثم نشرته، بعد ترجمته إلى اللغة

العربية، في الدول العربية تحت عنوان : لا تقتل ، وركز على أن «قتل عرب أبرياء يسعّر بين صفوف الشعب الجار، العداء ضد اليهود ويوحده حول فئة الإرهابيين، كما وأن قتل إنجليزى ينسف نضالنا بين صفوف الشعب البريطاني، وقتل يهودى على يد يهودى يعد بمثابة مؤشر لحرب مسلحة بين اليهود من شأنها تدمير اليبشوف بواسطة يد مدربة من الداخل». وتوجه بعد ذلك بالتحذير والمطالبة : «ليوقف «اليبشوف» الشر في مهده، ليعزل «اليبشوف» المحرضين، ليتوحد اليبشوف لحماية الوطن القومى بقوة من الإرهاب الداخلى ، وأعدائه من الخارج».

واستغل القائمون على الهاجاناه منصة المؤتمر الصهيونى الحادى والعشرين (١٩٣٩) للتنديد بنشاط إتسل ، والرد على حملاتها الإعلامية في الخارج فقد ركز موش شاريت في كلمته، أمام المؤتمر على تأكيد «... الإجرام والحماقة والعار في طريق الإرهاب. هذه الأعمال التى جرت، خلال الأشهر الأخيرة، والتى يحاول القائمون عليها تزيينها بشعارات رنانة، أعمال سخيفة من الناحية العملية لا تؤدى إلى أهدافها، ومن الناحية السياسية تلحق الضرر بنا فقط، ومن الناحية الأخلاقية مقززة، ومن الناحية العسكرية ـ نحن نتحلى أيضا بالخلق العسكرى والكبرياء العسكرية ـ مهينة» . هذا، فضلا عن النعوت التى كان «بن جوريون» يطلقها على أعضاء المنظمة وأعمالها مثل نعته إياهم بـ «المجرمين» ووصفه أعمالهم بـ «الأعمال الجنونية البغيضة».

(٤) المصير:

(أ) حدث أكثر من إنشقاق داخل الهاجاناة عام ١٩٣١ ومنها الإنشقاق اليمينى والهاجاناة «ب» والتى أشرنا إليها من قبل ومن أبرز أسباب الإنشقاق ما يلى:

** الإنتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩ وضعف مواجهة الهاجاناه لأعمال الإنتفاضة.

** تصاعد نفوذ الحركة التصحيحية فى أواخر العشرينات، وظهر ذلك من خلال المؤتمر الصهيونى السابع عشر عام ١٩٣٠ حيث حصل التصحيحيون على ٥٢ مقعدا بنسبة ٢١٪ من مقاعد المؤتمر.

** تدهور العلاقة بين الهستدروت وقائد الهاجاناه.

(ب) وقد سبق أن نوهنا بالإنشاق الذى عرف باسم المنظمة «ب» وقد شكلت «المنظمة ب» طوال فترة قيامها، ساحة مناورات للأطراف المساهمة فى إنشائها ، فقد استخدمها قائد الإنشقاق «تهومى»، مع عدد من ضباطه، لفرض وجهة نظره الخاصة بموضوع التجييش على الهاجاناه ، ولإحتلال مركز قوى فى الهاجاناه، فى حالة إعادة الوحدة بين المنظمتين، فى حين استغلتها «الكتلة المدنية» لتوسيع نفوذها داخل المؤسسات الصهيونية ومشاركة التيار العمالى فى إدارة هذه المؤسسات بشكل أوسع . أما التيار التصحيحى بزعامة جابوتينسكى فقد رأى فيها ورقة قوية يستغلها فى صراعه مع التيار العمالى، فهى إلى

جانب كونها ساحة حشد للأوساط المعارضة للحركة العمالية ، وما يستتبع ذلك من إضعاف للأخيرة ومنح وزن للطرف التصحيحى بصفته الطرف الأكبر فى قوى التحالف ، تعد أيضاً ساحة جمع لأنصاره بعد تعثر فكرة إقامة جيش عبرى.

ولم يكن يجمع بين هذه الأطراف المعارضة للحركة العمالية منطلقات سياسية أو أيديولوچية معينة بقدر ما كان يجمعها عامل الرغبة فى استغلال هذه المنظمة المنشقة لتحقيق أغراض متباينة. ونتيجة لعدم إعطاء التيار العمالى إهتماما خاصا لحل قضية الإنشقاق بسرعة، وبسبب إزدياد تفاقم الخصومة والعداء مع التياز التصحيحى (وما إغتيال «أرلوزوروف» إلا أحد مظاهره) . أستمرت «المنظمة ب» قائمة لفتره طويلة نسبيا. بيد أنها ما لبثت أن وجدت نفسها منقسمه على ذاتها فى سنة ١٩٣٧ ، حيث عاد قسم منها بزعامة «تهومى»، إلى جانب أنصار «الكتلة المدنية» إلى الهاجاناه الأم.

وشكل القسم الأخر منظمة جديدة ،عكس قيامها الخلاف الذى كان قائما بين التيارين الأساسيين فى الوسط اليهودى الذى أصبح يشهد وجود منظمتين تتنافسان من منطلقات مختلفة ، على بسط النفوذ.

(جـ) وبشكل عام دخلت الهاجاناه فى صراع مستمر مع المنظمتين الأخريتين «إتسل» وليحى»، وانتهى الأمر بدمج المنظمات الثلاثة وكان للهاجاناه دائما مركز الصدارة فى العمل المسلح على المنظمتين الأخريتين.

الفصل الثانى

منظمة إتسل

ثانيا: منظمة «إتسل»

١- النشأة والتكوين:

(أ) فى عام ١٩٣٧ تمخضت التناقضات الداخلية فى الحركة الصهيونية وداخل الهاجاناه نفسها عن ولادة منظمة ثانية هى منظمة «إتسل».

(ب) وقد تأثرت هذه المنظمة أيضاً بالتيار االتصحيحى بزعامة زئيف فلاديمير جابوتينسكى، الذى كان يؤمن بإقامة كتائب عبرية مقاتلة تعمل فى تنسيق مع القوات البريطانية، وأقام فعلا «منظمة بيتار» التى كانت فى صراع مع حركات الشبيبة الخاضعة للحركة العمالية، والتى كانت تركز نشاطها أساساً فى الاستيطان وسيلة لتحقيق قيام الدولة.

وقد طور «جابوتينسكى» نشاطه بإقامة إطار سياسى عام ١٩٢٥، أى قبل قيام منظمة «إتسل»، على شكل حزب يحمل اسم «اتحاد الصهيونيين التصحيحيين» بهدف تصحيح المسار الصهيونى ومن

بين أهداف الحزب، العمل على تحقيق المشروع الصهيوونى على ضفتى نهر الأردن بإقامة دولة يهودية بأكثرية يهودية.

وقد درج التيار التصحيحى بزعامة «جابوتينسكى» على نقد الهاجاناه وتوجيه هجمات ضد الروح «السلامية» فى الهاجاناه وردت، الأخيرة بتوجيه تهمة الروح العسكرية للتيار التصحيحى، والجدير بالذكر أن كلاهما لا يؤمن بالاتجاه نحو السلام.

(جـ) وتعد فترة الأعوام الثلاثة التى مرت على قيام «إتسل» فضلا عن كونها مرحلة اختيار صعب مرت بها المنظمة الوليدة لتثبيت أقدامها داخل الييشوف اليهودى، مرحلة جديدة بالنسبة لعلاقاتها مع منظمة الهاجاناه، تختلف من حيث درجة تفاقم الخلافات بينهما، وطرق معالجتها والنظر إليها. ففى هذه الفترة، أصبح الييشوف اليهودى يحتضن منظمتين، تتجانس وتتماثل كل منهما، بهذا المقدار أو ذاك، مع الحركة السياسية المسيرة لها أكثر من السابق، وتتنافسان لبسط نفوذهما على «الييشوف» [1] اليهودى والسيطرة عليه.

كان للتطور الداخلى لمنظمة إتسل، وتبنيها سياسة كسر «الهفلغاة»، أى ضبط النفس، كما كان لتباين النظرة بين التيارين المسيرين لكلا المنظمتين تجاه القضايا السياسية، ومساعى قيادة الهاجاناه والحركة العمالية الرامية إلى وضع حد لوجود منظمة عسكرية ثانية، أو على الأقل تحجيمها، الفضل فى إيصال العلاقات، بين المنظمتين، إلى درجة من الشدة والتوتر وضعت «الييشوف اليهودى» على شفا الحرب الأهلية. وعلى الرغم من نجاته، فى هذه

(١) نذكر مرة أخرى أن «الييشوف» كلمة عبرية تعنى منظمة الاستيطان اليهودى.

الفترة ، من هذه الحرب التى اقتصرت على أعمال الاختطاف المتبادل، إلا أن هذه الفترة كانت بمثابة تمهيد لاقتتال أعنف وأخطر فى الأربعينيات.

(د) وواجهت «إتسل» جملة من القضايا الداخلية كان من بينها موضوع العلاقة مع الحركة التصحيحية وزعيمها جابوتينسكى ، أثرت بشكل كبير على مسار تطورها، ومن ثم على علاقاتها مع الهاجاناه، وعلى الرغم من أن المنظمة غدت، عقب إتفاق «المنظمة ب» على ذاتها، أكثر تجانسا وتماثلا مع قيادتها السياسية؛ إلا أن علاقتها، مع هذه القيادة كانت بحاجة إلى ضوابط واضحة وثابتة. ولم يكن ذلك بالأمر الهين، فزعيمها السياسى والعسكرى (القائد الأعلى) جابوتينسكى كان يعيش خارج فلسطين، ولم يكن بوسعه إحكام سيطرته عليها، كما أن العلاقات بين القيادة العسكرية لا تسل وقيادة الحزب التصحيحى فى فلسطين، التى شكلت، من بين صفوفها، لجنة سياسية للأشراف على المنظمة لم تكن، دائما مرضية للطرفين؛ وذلك لأعتقاد القيادة العسكرية بأن قيادة الحزب التصحيحى تميل نحو «الأعتدال». وقد بذل جابوتينسكى جهودا لايجاد حلول تحكم العلاقات بين التنظيمات المنضوية تحت لواء الحركة التصحيحية، غير أنه لم ينجح كثيرا فى هذا المجال لبعده عن فلسطين ، وضعفت صورته فى أواخر الثلاثينات، وحتى بعد موته، فى نظر عدد من أنصاره، ومن بينهم الزعامة العسكرية لاتسل التى أخذت تجنح، أكثر فأكثر، نحو الاستقلالية، وتحاول توجيه الحزب التصحيحى بدلا من أن يقوم هو بتوجيهها.

وربما كان النجاح الذى أحرزه «جابوتينسكى» فى جهوده هذه، يتمثل فى إرساء علاقة متينة بين «إتسل» وحركة «بيتار» التى كانت تحتضن شبيبة الحركة التصحيحية، وقد ساعده فى ذلك واقع التوجه العسكرى لكلا المنظمتين، وأرسى أسس العلاقة بينهما فى إحدى رسائله، أواخر عام ١٩٣٨، التى يقول فيها: «فى المنفى، تسخر جميع فروع الحركة لمبدأ التثقيف العسكرى. وفى البلاد تسخر جميعها لمبدأ الدور العسكرى، وبكلمات أخرى... فى المنفى تسيطر حركة «بيتار» وفى البلاد تسيطر «إتسل» وهذا يعنى أن «إتسل» تسيطر فى البلاد، وبكل المسئولية، على جميع فروع الحركة، وأيضا على الأقتصاد، وسرايا التجنيد، وأيضا على تثقيف الأطفال».

(هـ) وقد قامت محاولات لتوجيه جهود المنظمتين الصهيونيتين، إلا أن المحاولات باءت بالفشل، وعندئذ أخذ تطور «إتسل»، يتسم بالتوجه نحو مزيد من الاستقلالية عن الحركة التصحيحية، وتعززت قوة الجناح المتطرف فى قيادتها ونفوذه. ففى هذه الفترة نشطت قيادة «إتسل» بلا كلل، فى مجال البحث عن حليف لها، فى أوروبا وفى بولونيا بالذات، حيث المركز الرئيسى لليهود، وكان ابراهام شتيرن سكرتير القيادة والرجل الثانى فى المنظمة، قد رأس، عشية إجراء المفاوضات وفد من منظمته، وقام بزيارة لبولونيا استغرقت عدة شهور تمكن خلالها من خلق خلايا سرية لمنظمة اتسل بين صفوف حركة بيتار، دون علم «جابوتينسكى» أو موافقته، كما تمكن من إقامة علاقات وطيدة مع المسئولين البولونيين أعطت ثمارها فى ثلاث مجالات هى: التدريب العسكرى، والتزود بالأسلحة، وفتح أبواب بولونيا لهجرة اليهود منها، وأرسى «شتيرن»

علاقات طيبة مع الأجنحة الفعالة في الحركة التصحيحية التي كانت ترى في «جابوتنيسكي» شخصا معتدلا؛ الأمر الذي أدخل «إتسل» في صراع مع زعيم الحركة التصحيحية الذي اعتبر التحرك الجديد للمنظمة لا يشكل نقدا وحتى نقيضا لسياسته فقط، وإنما يشكل كذلك تحديا لزعامته.

وجد «شتيرن» آذانا صاغية لدى المسئولين البولونيين الذين لبوا على الفور مطالب «إتسل» ، وأخذوا يدعمونها بالأسلحة ويقيمون دورات عسكرية خاصة لعناصرها، مدفوعين إلى ذلك بهدف التخلص من التجمع اليهودي في بولونيا وخلق أعوان لهم في الشرق الأوسط. ويستشم هذا من شرح أحد قادة إتسل، لمسؤلين بولونيين، تماثل المصالح بين المشروع الصهيوني وبولونيا، على الطريقة الهرتسلية، بقوله لهم: «إذا تعاظم الضغط على العرب بقوة ردود فعل إتسل، ستضعف مكانتهم السياسية؛ وبذلك تصبح هجرة اليهود من بولونيا، المعنية بهجرتهم، ممكنة». وبفعل تماثل المصالح بين الطرفين، تمكنت إتسل، من إعداد وتخريج اعدادا من عناصرها؛ في فلسطين، في دورات مكثفة جرت في بولونيا، ومن تدريب عناصر أخرى، هناك من أوساط شبيبة حركة بيتار. وذلك في الوقت الذي كانت فيه الهاجاناه تعيش عصرها الذهبي؛ إذ شهدت نموا سريعا ابتدأ منذ اندلاع الثورة الفلسطينية، وتنظيما له على شكل وحدات عسكرية مختلفة يربو تعداد أفرادها على العشرين ألفا، كانت تحظى بدورات عسكرية على يد الضباط البريطانيين، بفعل تماثل المصالح الصهيونية والبريطانية، بشكل حاد في تلك الفترة ، وفق رؤية الحركة العمالية التي لم تغفل هي الأخرى، في الوقت نفسه مسألة

تماثل المصالح مع بولونيا، حيث حظيت هناك بدورات عسكرية على استخدام الأسلحة خصصت لأعداد من عناصرها.

(٢) بعض الأعمال الأرهابية.

(أ) أدخل بعض قادة إتسل أسلوب أعمال السطو والسلب التى شنها بنفسه ، حين نظم مجموعة من خريجى (عصبة الأشداد) للسطو على بنك العمال التابع للهستدروت العمالية، و الواقع وسط تل أبيب وقد تمكن أفراد المجموعة من الاستيلاء على حقيبة تحتوى على مبلغ ٤٥٠٠ جنيه، إلا أنهم اصطدموا مع المارة الذين قبضوا عليهم وسلموهم إلى الشرطة . وكانت هذه العملية فاتحة لعمليات سطو أخرى كثيرة قامت بها «إتسل» ضد البنوك والمؤسسات فى فلسطين وتركت، فى حينه أثراً سيئاً، بين صفوف «الييشوف اليهودى»، تجاه أفراد المنظمة، وأثارت غضب قادة الهاجاناه الذين اعتبروا أن عملية السطو جرت ضد مؤسسة خاضعة لهم وبغرض خدمة الأهداف السياسية لا تسل ، كما أثارت انفعال أوساط كثيرة وبخاصة أن أسماء المقبوض عليهم كانت لاتزال عالقة فى أذهان الكثيرين ، منذ محاكمة المتهمين باغتيال أرلوزوروف.

ومن الجدير بالذكر ، أن محاولة السلب هذه لم تكن أولى عمليات المنظمات الصهيونية المسلحة؛ فقد سبقتها عملية سلب قامت بها منظمة الهاجاناه فى أواخر سنة ١٩٢٣ ، عرفت باسم عملية «أكس» ضد عصابة يهودية كانت تقوم بتهريب الذهب من بيروت إلى فلسطين، واستولت على ١٥ ألف ليرة ذهبية ، مبررة عملها بالحاجة لشراء الأسلحة.

(ب) وفى الوقت نفسه، تعرضت «إتسل» ، لهزة أخرى، أساءت إلى سمعة المنظمة الوليدة، وإلى قائدها بالذات بين جمهرة اليشوف. عندما قام أحد أعضاء «إتسل» بإطلاق النار - بحكم إيمانه بضرورة كسر سياسة «ضبط النفس» - على أحد المواطنين العرب فأرداه قتيلاً ، ولاذ بالفرار. وتمكنت الشرطة من العثور على مسدسه فى بيته، فى الوقت الذى تسترت فيه إتسل على المكان الذى يختبئ فيه. وتم التخلص من الفاعل بالقائه فى نهر العوجا مربوطا بالحديد، فى محاولة لطمس معالم الجريمة . ولسوء حظه، عادت الجثة ، بعد فترة، وطفت على وجه الماء، وعثر عليها فى الثامن من سبتمبر ١٩٣٧ ، حيث تم التعرف على هوية صاحبها . ولم يتمكن قائد «إتسل» من تبرير عمله إزاء سخط اليشوف اليهودى من جهة، واستغلال مجموعة القيادة المنافسة له للحادث من جهة أخرى ، ففضل الهرب من فلسطين .

(جـ) وقد اتخذت الأعمال الانتقامية، أو عمليات كسر «ضبط النفس» أشكالاً عدة ، من بينها اقتناص أى عربى، بغض النظر عن السن والجنس، فى الأمكنة التى يمكن فيها للجانى الفرار، ومن بينها أيضاً إلقاء قنبله على مقهى عربى، أو وضع مواد ناسفه فى أسواق الخضار وأماكن التجمع ، فى المدن العربية الرئيسية مثل يافا وحيفا والقدس، أو نصب كمين لأتوبيس عربى. وقد نجم، عن بعض هذه العمليات ، أزهاق أرواح العشرات من المدنيين العرب ، وكانت فاتحة هذه العمليات ، عملية نفذتها إتسل فى تل أبيب فى شهر يونيو عام ١٩٣٧ ، حين أطلق أفرادها الرصاص على بائع خضار عربى وأصابوه بجراح بالغة.

وفى شهر أبريل عام ١٩٣٨ أطلق عضو «إتسل» مع عنصرين أخرين، النار على أتوبيس عربى فى الجليل، ولم يتمكن أفراد المجموعة من الفرار، فقد ألقى القبض عليهم شرطى يهودى، وسلمهم إلى السلطات البريطانية. التى أخضعتهم إلى محاكمة كان نتيجتها حكم الأعدام على أحدهم، وفى التاسع والعشرين من يونيو ١٩٣٨ نفذ الحكم ، بعد أن ترك وصية على حائط زنزانته تقول: «أومن بأنهم لن يضبطوا أنفسهم عقب موتى».

وجاء الرد على امتداد الشهرين التاليين ، على شكل عمليات إرهابية موجهة ضد المدنيين العرب، تعد بالعشرات. وقد كان من أبرزها عمليات وضع كميات من المواد المتفجرة الموقوتة وسط التجمعات العربية ، فى المدن الفلسطينية الرئيسية ، ذهب ضحيتها نحو مئة وسبعين شهيد ا ومئات أخرين أصيبوا بجراح، الأمر الذى زاد من رقعة الخلافات ، بين «إتسل والهاجاناه» التى كانت تقوم هى الأخرى بشن هجمات ضد الثوار الفلسطينيين؛ جنباً إلى جنب، مع القوات البريطانية . وبناء غلى اتفاق تام معها، لإخماد الثورة الفلسطينية ؛ وذلك لاعتقادها بأن عمليات إتسل تسئ قبل كل شىء إلى العلاقة القائمة مع السلطات البريطانية، وتضر تحقيق المشروع الصهيونى.

(د) واجهت «إتسل» والحركة التصحيحية اليوم الذى نشر فيه الكتاب الأبيض بتظاهرات صاخبة قامت فى وسط تل أبيب ، واحتل خلالها المتظاهرون مبانى حاكمية القضاء ورفعوا عليها العلم العبرى، وقاموا بحرق سجلات مكتب تسجيل الأراضى، بعد أن ألقوها غلى قارعة الطريق ، وهم يرددون شعارات تندد بخيانة

بريطانيا وخيانة «وايزمان»: «وايزمان الخائن أنصرف» . وأصدرت منظمة إتسل وسط هيجان التجمع اليهودى فى فلسطين ، منشورا موجهاً إلى العمال العبريين والشبيبة العبرية فى أرض إسرائيل أتهمت فيه الوكالة اليهودية بأنها تضر بالقضية الصهيونية.

إلى جانب النشاط التحريضى المحموم، انتهجت «إتسل» ، هذه المرة، خطين فى نشاطها العسكرى. إذ لم يعد المواطنون العرب هم المقصودون وحدهم بعملياتها الإرهابية بل أصبحت الممتلكات العامة أيضاً تشارك التجمعات العربية الآمنة فى تلقى الضربات ولو بشكل أخف. فقد قررت قيادة المنظمة ، غداة نشر الكتاب الأبيض ، توجيه ضرباتها ضد المنشآت البريطانية، وتصعيد عملياتها ضد العرب ، مما أكسبها مزيداً من الأنصار ، بين صفوف «اليشوف» الذى كان يتقد غضباً ، فى ذلك الحين، مما أسماه بخيانة البريطانيين للتعهد الذى قطعوه على أنفسهم سنة ١٩١٧ .

ومن الجدير بالذكر والتأكيد معاً ، أن النقلة الجديدة فى موقف «إتسل» برفع السلاح فى وجه البريطانيين والذى تمثل بضرب الممتلكات البريطانية ، وفيما بعد ، بضرب الرموز البريطانية ، لم تستهدف إخراج القوات البريطانية من فلسطين، وإنما كان يراد منها، توجيه ضغوطات سياسية مصاحبة أحياناً بأعمال عنف بغية دفع بريطانيا للتحالف مع الحركة الصهيونية ، والأرتقاء بالعلاقات بينهما إلى أقصى حد ممكن ، بحيث يصبح «اليشوف اليهودى» فى فلسطين، بمؤسساته المختلفة شريكاً لبريطانيا وحليف لها فى المشرق العربى بحكم تماثل المصالح بينهما . وكان «جابوتينسكى» أول من روج لهذه النظرية وغرسها فى وجدان قادة «إتسل» والتصحيحيين ،

وبقى مؤمناً بها، متحمساً لها حتى مماته. ومن هنا تبلور لدى «إتسل» قناعة ترى النضال ضد بريطانيا بمثابة حوار بين شريكين وليس على الإطلاق، حرباً بين عدوين . وقد عبر أحد مسئولى الحركة التصحيحية ، عن ذلك بوضوح عندما قال: بريطانيا والشعب اليهودى ، من الناحية الموضوعية ... شريكان فى بناء اللبنة اليهودية فى أرض إسرائيل ... يمكن أن يكون متعارضين لفترة معينة، ولكنهما ليس عدوين ، وعلى الأقل ليس عدوين أبديين ولنبرهن له (الشريك البريطانى) أن خيانته وخداعه لنا غير مريحين وخطرين».

فى إطار هذه النظرة ، وجهت «إتسل» ضربات ضد بعض المؤسسات الحكومية، مثل محطة الإذاعة وخطوط الهاتف وقضبان السكك الحديدة ، مع الحرص على أقتصار الأضرار على الممتلكات العامة فقط ، كما استأنفت نشاطها الأرهابى ضد التجمعات السكانية العربية، وفق أسلوبها السابق . ومن الملفت للنظر فى سلوك إتسل فى هذه الفترة ، تنظيرها للأعمال الانتقامية الموجهة ضد العرب ، فقد رأت فيها ما يساعد على الارتقاء بالعلاقات مع الشريك البريطانى إلى درجة التحالف ، ويستشم ذلك من تعميم داخلى كانت القيادة ، قد عممته على عناصرها جاء فيه؛ عشية اندلاع حرب عالمية، تبحث بريطانيا عن حلفاء . وفى الحرب هنالك حاجة للمقاتلين، ولا فائدة من أولئك الذين يضبطون النفس. ولن يكون مستغرباً أن يتم، فى يوم الاختيار ، اختيار الطرف العربى المقاتل ، وليس الطرف اليهودى الحريص على ضبط النفس.

ويبدوأن «إتسل» قد شعرت فى هذه الفترة، بتعاظم قوتها ، ويظهر ذلك من الخطط الطموحة لقائدها «رزئييل» الذى دعا، عند صدور الكتاب الأبيض ، إلى ضرورة توسيع العمل ضد العرب على الصعيد العسكرى أيضاً. أى يتوجب تدريب الشباب على دخول قرية عربية، والسيطرة عليها، وطرد سكانها، وما شابهه.

مع بداية استئناف «إتسل» عملياتها الارهابية ضد العرب، ألقت سلطات الأمن البريطانية، فى مطار اللد ، القبض على «دافيد رزئيل» فى ١٩ مايو سنة ١٩٣٩ ، ولم يتمكن هذه المرة من الأفلات فأودع السجن. وعلى الفور عين «جابوتينسكى» مكانه، كرئيس للقيادة، و«حانوخ كلعى» المسئول عن فرع القدس . ولم تؤثر عملية اعتقال القائد وحملة الاعتقالات الأخرى، على النشاط الموجه ضد العرب ، فقد استمرت المنظمة فى نهجها القديم الذى لم يخرج عن إطار قتل المارة الأبرياء ، وألحاق أكبر عدد من الخسائر وسط التجمعات العربية فى الأسواق ، أو اقتناص أى عربى يصادف وجوده فى المستوطنات والتجمعات اليهودية. ومن أبرز عملياتها، فى هذه الفترة التى استمرت حوالى ثلاثة شهور، عملية سينما ركس فى القدس، وعملية تفجير الحمار المحمل بالمواد الناسفة فى سوق الخضار فى حيفا؛ وقد أسفرت هاتان العمليتان عن استشهاد العشرات وإصابة الكثيرين بجراح ؛ ومن أبرزها أيضاً عملية ثالثة جرت ضد قرية بير عدس العربية، حين هاجمت القرية مجموعة عناصر المنظمة فى محاولة لتحقيق خطة رزئيل للاستيلاء على قرية عربية، ولم تتمكن المجموعة من دخول القرية، فاكتفت بمهاجمة

منزل عربى تحت جناح الظلام، قتلت فيه أربع نساء وأصابت طفلا بجراح . وقد استمرت «إتسل» فى القيام بهذا النوع من العمليات على الرغم من توصية «جابوتينسكى»، الذى تخوف من الرأى العام فى بريطانيا ، بالكف عن ضرب الشيوخ والنساء والأطفال.

وسط النشاط المتعاظم ضد الممتلكات العامة والمواطنين العرب ، فتحت المنظمة عقب تزايد عدد المعتقلين بين صفوفها، وللمرة الأولى، جبهة جديدة داخل «اليشوف اليهودى»، ضد المخبرين اليهود، وقامت فى فترات مختلفة، بتصفية ثلاثة يهود يعملون فى جهاز الشرطة التابع لحكومة الأنتداب . اتهمتهم المنظمة بالتعاون مع المخابرات البريطانية ضد أفرادها ، فى الوقت الذى اعتبرته الوكالة اليهودية بمثابة جندى يعمل لصالحها.

(٣) الأيديولوچية والخط السياسى:

(أ) ولعل فى واقع هيمنة «إتسل» على حركة بيتار - فى فلسطين ، ما دفع قيادتها العسكرية إلى الجنوح نحو المزيد من الاستقلالية عن قيادة الحزب التصحيحى.

إلى جانب ذلك ، لم تكن القيادة العسكرية، فى المراحل الأولى من قيام «إتسل»، من نوعية متجانسة، الأمر الذى أثر على تطور التنظيم وساعد على توسيع الهوة مع الهاجاناه. فقد تزعم إتسل عند قيامها «أو بيرت بيتكر» الذى قدم إلى فلسطين حديثاً من شنغهاى فى الصين، بعد أن شغل هناك منصب مندوب حركة بيتار، وكان بيتكر، وهو من مواليد روسيا ، قد انضم إلى جنود الجيش الأبيض ، الذين قاوموا الثورة البلشفية التى قادها لينين. ثم توجه بعد فشل

الجيش الأبيض، إلى الصين وأقام فى المنطقة الخاضعة للنفوذ البريطانى ، حيث أنضم إلى القوات البريطانية وترقى إلى رتبة كولونيل، ثم أصبح مندوباً لحركة بيتار فى الصين. ولدى وصوله إلى فلسطين فى فترة انشقاق «المنظمة ب» على نفسها، أصبح من الشخصيات العسكرية الأوفر حظا لقيادة المنظمة الجديدة على الرغم من أنه لم يكن يتقن اللغة العبرية وغير محيط بالواقع الفلسطينى وتطور «اليشوف اليهودى»، وقد استّن ، خلال فترة قيادته، رتباً عسكرية لعناصر «إتسل» وقادتها، وذلك لأضفاء مزيد من الروح العسكرية.

(ب) اعتبرت الهاجاناه عمليات «إتسل» هذ بمثابة إرهاب، وجرائم من شأنها إلحاق الضرر بالمشروع الصهيونى؛ وذلك لأنها تتيح للبريطانيين أن يتدخلوا فى شئون «اليشوف اليهودى». أما «جابوتينسكى» القائد الأعلى لاتسل، فيبدو أنه كان على خلاف مع مجموعة قيادة «إتسل» تجاه هذا الموضوع ولم يكن مستقراً على رأى واضح تجاهه ؛ إذ يجد المرء تناقضا، بين مواقفه المعلنة ورسائله المتعلقة بقضية ضبط النفس. ففى خطاب له فى وارسو، سخرمن هذه السياسة التى تنتجها الهاجاناه، مشبها الدور الذى يلعبه اليهودى، بموجبها بدور الفأر ومما قاله: تعلمون أن مجموعات من الأشخاص فى البلاد، بضعة آلاف مسئولون عن كسر «الهفلغاه»، تلك «الهفلغاه» التى قام فيها اليهود بدور الفأر ، فى حين كان العربى سيد البيت فى المدينة. لقد كان اليهود منهمكين فى إشعال الشموع تخليدا لذكرى الشهداء فقط. أما فى رسائله إلى قادة إتسل، وفى أحاديثه أثناء اجتماعاته معهم، فقد كان يتخذ موقفاً مغايراً؛ ففى أعقاب ارتكاب

بجماعته عملاً فظيعاً ضد العرب، وجه تحذيراً «لدافيد رزيئيل» ، القائد الثالث لاتسل ، يقول فيه يجب ألا يتكرر ذلك ثانية. وأوصى بتحذير السكان العرب، ودعوتهم لإخلاء المنطقة المعرضة لعمل انتقامي. ولم يكترث رزيئيل المؤيد لكسر الهفلغاه بأمر القائد الأعلى، مما يدل على مدى استقلالية إتسل عن الحركة التصحيحية، ويتضح ذلك من تعليقه على تحذير قائده فقد قال: «من الواضح أن جابوتينسكي» لا يوضح لنفسه الشيء الذى يريد منّا القيام به. ربما ينصحنا بإبلاغ العرب سلفاً متى وأين بالضبط نعتزم الهجوم، أو بتقديم أسماء وعناوين المهاجمين إليهم!. وفى اجتماع له عقده فى شهر يونيو ١٩٣٧ ، مع مسئولين عن منظمته، لم يبد «جابوتينسكى» حماسا تجاه كسر الهفلغاه، وفق طريقة اتسل، فقد قال: «لا أعرف ما هى البطولة فى إطلاق الرصاص نحو ظهر فلاح يجلب الخضار على حمار، ليبيعها فى تل أبيب ، كما أنى لا أعرف ما هى الفائدة العامة من ذلك الأمر ويمكن القول أنه لم يكن متحمساً كثيراً لكسر سياسة الهفلغاه، بفعل عاملين:

١ ـ التخوف من أن يؤدى تعاظم الأعمال الأرهابية إلى تصفية إتسل على يد البريطانيين.

٢ ـ التخوف من تبعات النشاط الأرهابى على مساعيه السياسية الرامية لإقناع بريطانيا بإعادة بناء الفرقة اليهودية، على يد الجيش البريطانى.

ومن الجدير بالذكر، أن البعض من قادة إتسل العسكريين كان يشارك «جابوتينسكى» تخوفه من العامل الأول، وبخاصة عندما

كانت السلطات البريطانية تتخذ تدابير الحد من النشاط الأرهابى لاتسل ، مثل ابراهام شتيرن الذى دعا، فى وقت حرج بالنسبة للمنظمة، إلى الكف عن معارضة ضبط النفس واعتناق ما أسماه بالهفلغاه القومية.

(جـ) وأثناء تضييق الخناق على منظمة إتسل، وخلال انهماك السلطات البريطانية فى البحث عن مجموعة القيادة، وانشغال هذه الأخيرة فى قضية أساسية واحدة هى التستر عن أعين جهاز المخابرات ، برز أمامها موضوع، أو بالأحرى، مغامرة «الثورة المسلحة» كما تبلورت فى ذهن «جابوتينسكى» الذى بعث فى تلك الفترة بالذات، بعدة رسائل إلى قيادة منظمته بهذا الخصوص.

ولم تفاجأقيادة «إتسل» بالفكرة، بحد ذاتها وإنما فوجئت بتوقيت تنفيذها، فقد شرح «جابوتينسكى»، فى رسائله السرية لقيادة المنظمة بالتفصيل خطة الثورة المسلحة التى ستبدأ وفق خطته، فى شهر أكتوبر ١٩٣٩ بوصول سفينة تحمل مهاجرين يهود مع أسلحتهم بقيادة «جابوتينسكى» نفسه ، إلى المياه الإقليمية لفلسطين بالقرب من تل أبيب، وتقوم «إتسل» بضمان انزالهم إلى الشاطئ بقوة السلاح إذا اقتضى الأمر، وفى الوقت نفسه، تقوم جماعات من المنظمة بثورة مسلحة علنية تتم السيطرة خلالها على مبانى الحكومة فى القدس، ويرفع فوقها العلم العبرى. وتوصى الخطة باستمرار السيطرة على المبانى لمدة ٢٤ ساعة على الأقل، بغض النظر عن الخسائر، ويجرى خلال ذلك فى عواصم أوروبا الغربية وأمريكا، الأعلان عن إقامة حكومة يهودية مؤقتة.

وفى نفس الوقت الذى تلقت فيه مجموعة القادة الرسائل المذكورة، كانت تعيش أسوأ أيامها، إذ أصيب بشلل تام تقريبا، فى حين كانت قيادتها تشعر بالحلقة تضيق عنقها أثر اتساع حملة الاعتقالات. فى هذه الأجواء عقدت القيادة التى كانت تتألف من «شتيرن»، و«حايخمان »وكلعى و«لوفنسكى» و«الياف»، اجتماعا فى تل أبيب فى ٣١ أغسطس١٩٣٩، للتداول فى الخطة المذكورة لاتخاذ قرار بشأنها، وأثناء تداولها فى أحد بيوت تل أبيب، سيطر على جو الجلسة شكوك حول إمكانية نجاحها. ومع ذلك، فقد وافقت أكثرية القيادة، من حيث المبدأ، على الثورة المسلحة، كما اقترحها «جابوتينسكى»، ورأت فيها انسجاما مع خط إتسل والحركة التصحيحية. ولم يعارض الخطة سوى «أبراهام شتيرن» الذى اعتبرها مثابة ظاهرة تفتقر إلى الفائدة ، فضلا عن اعتقادها بأن صاحبها يريد منها، التخلص من خصومه السياسيين داخل إتسل. وبينما كانت القيادة تحاول إجمال ردها على جابوتينسكى ، فوجئت بقوات الأمن تقتحم الباب، لتسوقها إلى المعتقلات وتضعها إلى جانب دافيد رزيئيل الذى كان قد سبق زملاءه.

(د) ونظراً لمفهوم «إتسل» المتسق مع مقالات جابوتينسكى لتماثل المصالح بين الصهيونية والاستعمار البريطانى ، والمعتمد على توجيه ضغوطا سياسية ضد السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية، مصاحبة أحياناً بمظاهر العنف، للارتقاء بالعلاقات بين الطرفين الشريكين إلى أعلى درجة من التحالف. لم تجد كل من قيادة إتسل والحركة التصحيحية، عيباً أو حرجاً فى إحداث انقلاب جذرى فى موقفها السابق تجاه بريطانيا، لتنافس الحركة العمالية

والهاجاناه، من خلال الموقف الجديد، على كسب ود الاستعمار البريطاني عن طريق إقامة أوثق العلاقات مع أجهزته المختلفة، وعلى رأسها جهاز المخابرات؛ الأمر الذى تأتت عنه مبعثات خطيرة انعكست على تطور منظمة إتسل نفسها، وعلى العلاقات بين المنظمات العسكرية الصهيونية.

ومن بين العوامل التى ساعدت على حدوث النقلة الحادة فى موقف إتسل، وما استتبع ذلك من رفع الحلقة التى أخذت تضيق حول عنقها وانتشالها من حالة الشلل، اندلاع الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩.

٤ - المصير

(أ) استمرت إتسل تقود اعمالا تتصف بالتطرف وبالصراع مع الهاجاناه، وانتهى أمرها كسابقها بالتصفية داخل الجيش الإسرائيلي منذ الاستقلال.

(ب) وكان من أبرز قيادات إتسل التى تركت آثار فيما بعد فى السبعينيات والثمانينات مناحم بيجين زعيم تجمع الليكود فى نفس الفترة.

الفصل الثالث

منظمة «ليحى»

ثالثاً: منظمة ليحى

١- النشأة والتطور:

(أ) فى يونيو ١٩٤٠ أى بعد مضى قرابة عشرة أشهر على إندلاع الحرب العالمية الثانية، حدث إنشقاق خطير فى إتسل ، تمخض عن ولادة منظمة جديدة حملت فى بداية تكوينها، اسم «إتسل فى إسرائيل» أى المقاتلون من أجل حرية إسرائيل.

وهناك عوامل رئيسية وثانوية متداخلة تقف وراء الإنشقاق ، ومن أبرزها عاملان رئيسيان يتمثلان فى العلاقة مع كل من بريطانيا، والحركة التصحيحية.

ويبدو أن عملية تحديد العدو، والتحالف مع أعداء بريطانيا كانتا، فى ذلك الحين، تمران فى طور التبلور ، إذ لم يشدد أصحاب هذا الفريق على مسألة التحديد بقدر ما شددوا على مسألة المقابل الذى حققه «رزيئيل» بوقفه النشاط ضد السلطة البريطانية. إضافة إلى ذلك، فإن قضية التعاون بين المخابرات البريطانية وبين قسم خدمات المعلومات التابع لاتسل، التى تعد من الأسباب المساعدة

على تأجيج الخلافات بين الفريقين، لم تواجه، فى بداية الأمر، بحزم من جانب فريق شتيرن، سواء عاد ذلك لعدم معرفة هذا الفريق بمدى ما قطعه التعاون من شوط بعيد، أم لرغبة كامنة فى نفوس العديد من أعضائه فى التخلص من السجن، وبخاصة أن فريق رزئيل كان يدعى أن علاقاته مع المخابرات البريطانية تستهدف إطلاق سراح قيادة المنظمة من المعتقلات. وهكذا فقد اكتفى فريق شتيرن بالمطالبة بوقف الاتصالات مع أجهزة المخابرات البريطانية بحجة أن «هذا الأمر ينطوى على خطورة».

(ب) كما لم تكن قيادة منظمة «إتسل» موحدة الرأى تجاه العلاقة مع الحركة التصحيحية، فعلى الرغم من أن القيادة كانت تجمع على ضرورة الحصول على المزيد من الاستقلالية عن الحركة التصحيحية، إلا أنها كانت تختلف حول النقطة التى يتوجب الوصول إليها، أو عدم تجاوزها، فى الصراع من أجل الاستقلالية وقد انقسمت إلى فريقين، الأول تزعمه «رزئييل» الذى دعا للحصول على أكبر قدر من الإستقلالية ضمن إطار الحركة التصحيحية، والتف حوله أعضاء الحركة التصحيحية وأنصارها، بينما دعا الفريق الثانى بزعامة «شتيرن» الذى لم يسبق له أن كان عضوا فى الحركة التصحيحية، أو «بيتار» للخروج من دائرة الارتباط بالحركة، بدعوى أن «المنظمة هى جيش، والجيش لا يمكن أن يكون تابعا لحزب ما».

ومن هنا عمل أنصار هذا الفريق على تجاوز تعليمات «جابوتينسكى» أكثر من مرة، وعلى تحدى زعامته، كما فعل «شتيرن» فى بولونيا أثناء زيارته لها، بإجرائه اتصلات سياسية مع المسئولين هناك دون استشارة زعيم الحركة التصحيحية، علاوة على

محاولة غزو حركة بيتار فى بولونيا عن طريق إقامة خلايا سرية فى داخلها تابعة لإتسل.

ومما زاد من خطورة مساعى فريق «شتيرن» الرامية إلى استقلال المنظمة، مصاحبتها لعملية تبلور مواقف مغايرة للموقف العام للحركة التصحيحية حول جملة من القضايا السياسية والفكرية. وهناك من يضيف إلى العوامل المساعدة عامل الصراع الشخصى بين رزيئيل وشتيرن، حول قيادة المنظمة، ومع أن هذا العامل قائم، بيد أن هناك من يبالغ فى حجمه، وخصوصا بين أوساط الحركة التصحيحية.

(جـ) وفى ١٦ يونيو ١٩٤٠ تم الإفراج عن مجموعة القيادة من سجن المزرعة، وغداة اليوم التالى انعقد ، فى تل أبيب ، جلسة عاصفة صاخبة لقادة المنظمة. لم يتمكن فيه رزيئيل من تبرير نشاطه، واعترف بفشله كقائد، واستقال من منصبه. ولم تفوت مجموعة القيادة الفرصة، فانتخبت «إبراهام شتيرن» رئيسا للقيادة، وعينت «حانوخ كلعى» قائدا لمنطقة القدس، و«أهارون حايخمان» قائدا لمنطقة تل أبيب و«حاييم لوفينسكى» عضو قيادة. وبعد مضى حوالى أسبوع أشفعت إجراءاتها التنظيمية ببيان سياسى يحمل رقم ١١٢، عممته على أعضاء المنظمة.

ويعتبر هذا البيان الخطير بمثابة إنقلاب على زعامةجابوتينسكى والحركة التصحيحية، فضلا عن كونه يشكل توجها جديدا حادا فى مسار المنظمة، وقد جاء فيه:

١- تعيش إتسل وتقاتل بالسلاح لإنشاء ملكوت إسرائيل فى حدودها

التاريخية، وعلى عناصرها التهرب بكل الوسائل من أى تجنيد أجنبى.

٢- تقيم إتسل تحالفات مع الإسرائيليين وغيرهم، ولكنها لاترهن حريتها. ولايمكن لها، فى أى حال من الأحوال، أن تصبح أداه بيد حليفها مقابل المساعدة التى يقدمها الأجانب، كما وأنها لاتتحالف مع إنهزامى الهاجاناه، إن دفاعنا هو الهجوم وحربنا فى مناطق العدو.

٣- تخضع إتسل لقادتها الذين يوجهونها للقتال.

وقد حاول القائد الأعلى لإتسل «جابوتينسكى» رأب الصدع فى المنظمة إلا أنه أصيب فى الثالث من أغسطس ١٩٤٠ فى نيويورك بنوبه قلبية أودت بحياته، ونزل الخبر على أنصاره نزول الصاعقه، وأثار الانفعال لدى الكثيرين، حتى بين صفوف خصومه. فقد تأجج الصراع، وأصبح من غير الممكن إعادة الوحدة بين الطرفين، بسبب البلورة الحادة التى حدثت داخل صفوف فريق رزيئيل، والتى نجمت عن سخط الكثيرين من أعضاء إتسل الموالين للحركة التصحيحية وحزنهم على موت جابوتينسكى. وقد استغل هؤلاء الموت، مشيعين أن موقف مجموعة القيادة هو الذى تسبب فى إصابة القائد الأعلى بنوبة قلبية، وذلك فى الوقت الذى كشفت فيه مجموعة القيادة، فى حملتها المضادة، النقاب عن بعض الأسرار الخاصه بالتنظيم مثل قيام فريق رزيئيل بتسليم وثائق تخص مؤسسات يهودية إلى المخابرات البريطانيه.

(د) وخلال الفترة التى جرى الإنشقاق فيها، والتى استغرقت بضعة أشهر، انقسمت الفروع جميعها على نفسها.

ومن الملاحظ أن فريق شتيرن استقطب، فى بداية الأمر، أكثر ضباط الفروع، وتنافس مع فريق رزيئيل حول إستقطاب الأعضاء. ومن الملفت للنظر أن كفتى الميزان لم تهدأ خلال هذه الفترة. فقد كان الميزان يهتز يوميا تقريبا نتيجة عملية الإنضمام بهذا الفريق أو ذاك؛ أو الإنسحاب منهما، بيد أن الأخطر من ذلك كان الصراع المرير الذى حدث بين الفريقين حول إقتسام الأسلحة، ذلك أن الإنشقاق الجديد غير المتفق عليه يختلف عن إنشقاق «المنظمه ب» الذى كان قد اتفق عليه سلفا مما ساعد فى تأجج حدة الصراع حول الأسلحة وفى عدم التمكن من التوصل إلى إتفاق حولها. هذا فضلا عن الرغبة القوية لدى فريق شتيرن فى الحصول عليها جميعها، إعتقادا منه بأنه صاحب المنظمه الوحيده التى تقاتل البريطانيين. وبالتالى فإنه أحق من الفريق الآخر بالإحتفاظ بها. وكذلك الرغبة القوية لدى فريق رزيئيل فى منع حصول الفريق الآخر عليها لأنها تقوى من خصمه.

ونتيجة لاستمرار النزاع بين الطرفين، وجدت منظمة إتسل نفسها، بشقيها، فى نهاية سنة ١٩٤٠، قد فقدت أكثرية عناصرها، إذ خرج منها حوالى ١٥٠٠ عنصر من مجموع ٢٥٠٠، وقد تطوع معظم المنسحبين فى الجيش البريطانى وانضم عدد آخر منهم إلى الهاجاناه، وفضل البعض الخروج نهائيا من التنظيمات العسكرية وتقاسمت كل من إتسل وليحى العدد الباقى. وأحرزت الأولى قصب

السبق فى هذا المجال بفضل قوة الشرعيه وكذلك بسبب المطاردات التى عانت منها ليحى على يد البريطانيين بدعم من مخابرات إتسل، حيث امتلكت حوالى ٨٠٠ عنصر، بينما كان لدى فريق شيترن حوالى ٢٠٠ عنصر.

ويبدو للوهلة الأولى أن الإنشقاق فى إتسل جاء لمصلحة الهاجاناه المنافسة لها بإعتبار أنه ينطوى على إضعافها وإدخالها فى طور التفسخ الذى من شأنه أن ينهيها أو يدفعها للوحدة معها لتبقى، فى ساحة «الييشوف اليهودى»، منظمة عسكرية واحدة ، وهو أمر لم يحدث بعد ذلك.

(هـ) وعقب البيان الشهير الذى أصدرته مجموعة القيادة العامة بزعامة شتيرن والذى يحمل الرقم (١١٢) وبعد الصراع المرير مع الحزب التصحيحى وفريق رزيئيل المدعومين من جابوتينسكى القائد الأعلى لإتسل، لم تتمكن مجموعة القيادة من الاستمرار فى الإدعاء بأنها تمثل القيادة الشرعية للمنظمة، لذا عمدت فى شهر سبتمبر ١٩٤٠ إلى إصدار البيان رقم واحد مختارة إسما جديدا لها هو «المنظمة العسكرية القومية فى إسرائيل» (كاختصار : إتسل فى إسرائيل) تميزا لها عن الاسم السابق: «المنظمة العسكرية القومية فى أرض إسرائيل) ثم ما لبث الإسم أن تغير، بعد حوالى عام ونصف العام ، إلى (ليحى)وهو اختصار للكلمات العبرية الثلاث «لوحامى حيروت يسرائيل» (المحاربو ن من أجل حرية إسرائيل) .

أعلنت مجموعة القيادة فى بيانها رقم واحد عن «أبعاد المسؤلين عن الإنهزامية والفشل» وعن أن المنظمة الجديدة «إتسل فى إسرائيل»

هى «الممثل الوحيد لليهودية المقاتلة». وهدفها «أن تشكل بأسرع وقت ممكن، وبجميع الوسائل، عاملا يكون بمقدروه السيطرة على البلاد بقوة السلاح».

٢- العمليات الإرهابية:

(أ) إنهمكت «ليحى»، عقب صدور بيانها الأول، بالتفكير فى صياغة مبادئ جديده تكون بمثابة برنامج سياسى يهتدى به الأعضاء فى نشاطاتهم الجديدة. ويبدو أن مجموعة القيادة وجدت خزينتها شبه خاوية بعد أن ذهبت معظم أموال الخزينة إلى فريق رزيئيل. فاضطرت إلى تدشين عملياتها بأعمال السطو. بالفعل قامت بسلسلة من أعمال السرقة الصغيرة غير الصارخة، وأشفعتها، بعد ذلك، بعملية كبيرة . فقد قام أفرادها، فى منتصف سبتمبر ١٩٤٠، بالسطو على البنك البريطانى الفلسطينى فى تل أبيب.

خلال الفترة السابقة، استخدمت «ليحى» سلاحها ضد البريطانيين وضد عناصر يهودية، ففى أعقاب مصرع شتيرن جرت ثلاث محاولات إنتقامية ضد رجال الأمن البريطانيين. وجهت الأولى فى النصف الثانى من أبريل١٩٤٢ ، ضد ماككونل قائد شرطة القدس بوضع متفجرات فى سيارته، ونجا الضابط من الانفجار الذى أودى بحياة شرطى عربى. وفى اليوم نفسه، جرت المحاولة الفاشلة النازية ضد المسؤل الرئيسى لشرطة فلسطين، بوضع مواد متفجرة جرى اكتشافها قبل تفجيرها بالقرب من بيته. وبعد مضى قرابة عشرة أيام، جرت المحاولة الثالثة ضد الضابط البريطانى «مورتون» قاتل «شتيرن»، بنصب لغم لسيارته أسفرعن إصابة السيارة بأضرار دون إصابة الهدف.

نتيجة لمحاولات الأغتيال الفاشلة، عززت السلطات البريطانية من حملتها التصفوية ضد أنصار المنظمة ، الأمر الذى دفعها لإصدار تعليمات ، تنص على ضرورة احتفاظ العنصر بسلاحه (مسدس) طوال اليوم، وعدم تسليم نفسه للشرطة فى حالة الاصطدام معها.

ولا شك بأن عنصر ليحى أصبح ، بفعل التعليمات ، لا يتميز عن عناصر المنظمتين الأخريين بالحذر والإحساس الدائم بالخطر فقط، بل أخذ يكتسب، أكثر فأكثر، مبدأ الاغتيالات الشخصية.

وفى الوقت الذى واجهت المنظمة فشلا، فى محاولاتها الرامية لوضع حد لحياة عدد من رموز السلطة البريطانية، بينما نجحت فى مجال تصفية عناصر يهودية، فقد صفت اثنين من عناصرها الأول هو «إبراهام فيلنتسك» من أوائل المنضمين إلى فريق شتيرن ومن أوائل المعتقلين، وقد صفى عقب الإفراج عنه فى النصف الثانى من فبراير ١٩٤٣ بتهمة الخيانة، والثانى هو «الياهو حلعاوى» زميل «إسحاق شامير» ومنافسه، وجرت تصفيته بتهمة المغامرة. كما صفت شخصا ثالثا ليس من عناصرها، هو «يسرائيل برتيسكر» الذى شغل منصب رئيس مخابرات إتسل لفترة، وصفى هذا فى الثالث من سبتمبر ١٩٤٣ بتهمة مساعدة البريطانيين فى إلقاء القبض على عناصر المنظمة.

وكان من نتائج تعاظم أعمال الإغتيالات، أن عرضت المنظمة نفسها لملاحقة أجهزة الأمن البريطانى ومطاردتها، فى وقت كانت أحوج ما تكون إلى تنظيم نفسها، بعد أن عادت للحياة من جديد فى جو معاد لها وسط «الييشوف اليهودى»، حيث اعتقل العديد من

عناصرها، الذين كان من بينهم، أحد قادتها، «يسرائيل الداد»، الذى أودع المعتقل، وأفلت منه بعد عام تقريباً. ومع ذلك ، فقد استغلت المنظمة واقع مثول عناصرها أمام المحاكم لبث أفكارها ومبادئها، واستحدثت بذلك سلاحا جديدا فى نضالها، حيث كان أعضاؤها لا يتوقفون عند التهم الموجهة إليهم، ولايولونها اهتماما وإنما كانوا يركزون على عدم شرعية محاكمتهم، ليسهبوا، بعد ذلك، بطرح أفكار منظمتهم ومبادئها. ولم ينطو هذاالأمر على خدمة المنظمة إعلاميا وتعزيز صورة أفرادها فى نظر البعض من شرائح التجمع اليهودى، فقط بل انطوى أيضاً على تميزها عن التنظيمات الصهيونية اليهودية فى هذا المجال.

(ب) فى السادس من نوفمبر ١٩٤٤، نجحت «ليحى» فى اغتيال وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط اللورد موين، بالقرب من منزله فى القاهرة، وفق خطة رسمها إسحاق شامير وأعدها بدقة منذ مدة طويلة. وكما استغلت الهاجاناه وجود متطوعين يهود فى الجيش البريطانى لأغراض صهيونية بحتة مثل تسهيل النشاط الصهيونى فى الشرق الأوسط، وتهريب مهاجرين يهود إلى فلسطين ومن بينهم مجندون يهود فى القوات البولونية، استغلت «ليحى»، هى الأخرى، وجود متطوعين يهود فى القاهرة فى أعداد خطة الاغتيال. وأرسلت اثنين من عناصرها فى فلسطين هما «الياهو حكيم» و«إلياهو بيت تسورى» إلى خليتها العسكرية فى القاهرة التى كانت تنشط فى مجال تهريب الأسلحة البريطانية لتنفيذ الخطة.

وجرى التنفيذ عقب مضى أسبوعين على الإجراء البريطانى الخاص بإبعاد أعداد من إتسل وليحى إلى أرتيريا. لم يتمكن

العنصران من الهرب وإنما ألقى القبض عليهما ومثلا أمام محكمة، أصدرت بحقهما حكم الأعدام الذى نفذ فى الثامن والعشرين من مارس ١٩٤٥ . ولم يكن نصيب بعض أفراد الخلية العسكرية المغروسين فى القاهرة بأفضل من مصيرهما، فقد ألقت سلطات الأمن البريطانى القبض على أحد المسؤلين وأودعته السجن بعد أن أعترف بتفاصيل الخطة، ثم مالبث بعد مضى ثمانية شهور أن انتحر. كما ألقت القبض على جندى يهودى خدم فى سلاح الطيران وفر بعد العملية إلى فلسطين مع مجند آخر عضو فى مخابرات ليحى، بفضل تعاون المجند معها مقابل تمكينه من الهجرة خارج فلسطين، ونفت الجندى المتهم إلى أرتيريا، بينماتمكنت ليحى من تصفية رجل مخابراتها المتعاون مع السلطات البريطانية قبل أن ينجح فى مغادرة فلسطين .

لم تصدر ليحى بيانا حول هذه العملية التى تعد أخطر عملية قامت بها أثناء سنوات قيامها. بل إلتزمت جانب الصمت واكتفت بنشر تعميم داخلى سرى على عناصرها.

اتهمت فيه اللورد موين، أثناء تسلمه منصب رئاسة المستعمرات فى العامين ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، بوضع العراقيل أمام الهجرة اليهودية. والتسبب فى «كارثة شروما»، سفينة المهاجرين غير الشرعيين التى غرقت، ورفض فى خطاب له أمام مجلس اللوردات وجود «جنس يهودى نقى»معتبرا أن اليهود هم خليط من شعوب عدة.

وكانت «ليحى» قد تطرقت، قبيل العملية ، إلى اللورد موين، فى بيان لها أصدرته حول عملية الإبعاد إلى أرتيريا، اتهمته فيه بمحاباة

العرب بإقتباسها قولا ورد فى إحدى خطبه، «إن العرب الذين عاشوا، وقبروا موتاهم فى فلسطين، على امتداد خمسين جيلا، لن يسلموا بلدهم إلى اليهود عن طيب خاطر».

أما فى بياناتها اللاحقة ، فقد ركزت ليحى إلى جانب «خيانته» للمشروع الصهيونى ، على سخرتيه من الإتفاق الصهيونى النازى الذى أبرم فى هنجاريا بين «يوئيل براند»، من نشيطى لجنة الإغاثة والإنقاذ اليهودية فى هنجاريا وبين «أدولف إيخمان» المسئول عن تصفية أعداد كبيره من اليهود، بخصوص تخليص الجاليه اليهودية وتهجيرها مقابل حصول الجيش الألمانى على عشرة آلاف شاحنة من دول الحلفاء، وقوله لبراند «ماذا أفعل بمليون يهودى؟».

ومع مرور الوقت، أخذت تضيف فى بياناتهاعامل مقاومة الاستعمار كدافع لها لوضع حد لحياة أحد أركان الاستعمار البريطانى تمشيا مع مقولتها القائلة بضرورة محاربة الاستعمار البريطانى ، وليس «الإدارة البريطانية السيئة» فى فلسطين، كما تركز مقولة إتسل.

٣ـ الأيديولوچية والخط السياسى.

(أ) أبرز السمات الخاصة بمنظمة ليحى كان العداء للتعاون مع بريطانيا، وكان لوقف «رزيئيل» نشاط إتسل ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين عند إندلاع الحرب، ووقوفه إلى جانب بريطانيا، أثرها العميق على قيادة المنظمة، فقد عارضت مجموعة القيادة، بزعامة «إبراهام شتيرن» ، هذا التوجه بقوه لسببين:-

الأول: يعود إلى عدم حصول «رزيئيل» على أية مكاسب سياسية مقابل تنازلاته.

والثانى: وهو الأهم ، يتعلق بفهمه المغاير لطبيعة العدو وتحديده له.

ففى الوقت الذى اعتبر فيه «رزيئيل» أن العدو الأساسى، فى تلك الفترة، يتمثل فى ألمانيا، مما يستدعى الوقوف إلى جانب بريطانيا، رأت مجموعة القيادة غير ذلك، إذ أجمعت على ضرورة عدم الوقوف إلى جانب بريطانيا وعلى شجب «الهفلغاه» تجاهها. بينما اعتبرها فريق من مجموعة القيادة، بزعامة «شتيرن» بمثابة العدو الرئيسى محدثا بذلك انقلابا فى تحديد العدو، حيث لم يعد العرب، مع مرور الوقت، العدو رقم واحد للحركة الصهيونية وفق ما ترعرعت عليه إتسل، بل «السلطة البريطانية كسلطة عربية فى البلاد وأصبح العرب، وفق التقويم الجديد، مجرد مشاغبين».

ومن هنا لم يجد شتيرن وفريقه، بعد أن اعتبروا الحرب بمثابة فرصة للنضال ضد البريطانين، ما يعيب النضال من خلال التحالف مع دول المحور ضد ما اعتبروه العدو الرئيسى. ورأى أنصار هذا الفريق ، فى موقف رزيئيل المفوت لهذه الفرصة خيانة، كما عبر عن ذلك الدكتور «يسرائيل الداد»، من أنصار «شتيرن» ، بطرح الخلاف بين الفريقين على الوجه التالى: «هدنه مع السلطة البريطانية بدون شروط، أو محاربة السلطة البريطانية فى كل ظرف». ليصل إلى أن الهدنة مع البريطانيين، أو انتهاج سياسة المفاجأة تجاههم، كما فعل رزيئيل ، بمثابة خيانة.

(ب) ومن الملاحظ هنا، أن المنظمة الجديدة لم تربط تبرير قيامها ووجودها بالخلافات فى وجهات النظر التى قامت بينها وبين

الحركة التصحيحية فقط، بل أيضاً، بعاملين آخرين عدتهما أكثر أهمية، وأضفت عليهما، مع مرور الزمن، أهمية خاصة. وهذان العاملان يتمثلان، فى اعتقادها، بكونها المنظمة الوحيدة، على الصعيد التنظيمى، غير الخاضعة لمؤسسة حزبية، والوحيده، على الصعيد الأيديولوچى، الداعيه إلى«الصهيونية المقاتلة» فى الوقت الذى تعتنق فيه الهاجاناه أيديولوجية «الصهيونية المقاتلة العملية» وتسير فيه إتسل وفق ايديولوچية «الصهيونية السياسية». ومن هنا اعتبرت نفسها ولو نظريا، وذلك لعدم ارتباطها بأى حزب داخلى، المنظمة الوحيده المؤهلة أكثر من غيرها لتمثيل التجمع اليهودى بأسره والقادرة على زجه فى أسلوب نضالى صهيونى جديد مغاير لأسلوبى المنظمتين الأخريين.

ومع ذلك فهناك رفض من التجمع اليهودى الإستيطانى من تطبيق فكرة «الصهيونية المقاتلة» الموجهه ضد الإستعمار البريطانى كبديل للصهيونية العملية أو السياسية، إدراكا منه للعلاقة الجدلية القائمة، بين وجوده والوجود البريطانى فى فلسطين.

(جـ) وأخذت المنظمة، بدعم من المبالغ المسروقة، تنشط فى مجال الأهداف «السامية»، على حد قولها، والمتمثلة فى إصدار مجلة داخلية تحمل اسم (فى العمل السرى) وفى ترويج «مبادئ البعث» التى اشغلت مجموعة القيادة نفسها بها لمدة، لتكون بمثابة برنامج سياسى للمنظمة. والحقيقية أن هذه المبادئ المكونة من ثمانية عشر بندا كانت أقرب إلى الشعر المنثور، أو إلى الشعارات ، منها إلى برنامج سياسى. ولا غرابة فى ذلك إذ أن كاتبها شتيرن كان شاعرا حالما قبل أن يكون قائدا سياسيا. فالبند الذى يتطرق إلى الشعب

يعرفه كالتالى: «شعب إسرائيل هو شعب ممتاز، خالق دين الوحدانية، ومشرع أخلاقيات الأنبياء وحامل حضارات العالم، عظيم التقاليد والبذل، وفى إرادته الحياة وقوه الإحتمال وطول النفس، والثقه والخلاص». أما الوطن فيعرف كالتالى: «الوطن هو أرض إسرائيل فى حدودها المفصلة فى التوراه.. هى أرض الحياة، يسكنها بأمان الشعب العبرى كله». والشعب والوطن «بالسيف إحتل إسرائيل أرض إتسرائيل، فيها أصبح شعبا، وفيها يعود للبعث.

لذا فإن إسرائيل وحده فقط يتمتع بحق امتلاك أرض إسرائيل. هذا الحق مطلق، لم ينتف ولن ينتفى أبداً»، والهدف:

١ ـ إنقاذ البلاد .

٢ـ قيام المملكة .

٣ ـ بعث الأمة، والتحالف«عقد تحالف مع جميع المعنيين بنضال المنظمة، المستعدين لمساعدتها بشكل مباشر». ومصير السكان العرب الفلسطينين يحدد كالتالى:«حل قضية الأجانب بواسطة التبادل السكانى».

(د) ويبدو أن العلاقة الصهيونية الفاشية كادت تصل، فى نموها وتطورها، إلى درجة منح النظام الفاشى«وعد بلفور» جديد للحركة الصهيونية. ومن بين المؤشرات الدالة على ذلك حديث الصحيفة الناطقة باسم «موسولينى» عن إمكان قيام دوله يهودية فى فلسطين. فقد جاء فى الصحيفة المذكوره «ليس وطنا قوميا، فهذا إصطلاح غامض يفتقر تماما إلى أى معنى سياسى ، بل دوله حقيقية» . بيد

أن إشتداد التمحور الاستعماري الأوروبي ، ووضع الحركة الصهيونية ثقلهاإلى جانب أحد المحاور أثر على العلاقات بين الطرفين. حيث عادت إيطاليا الفاشية، في أواخرالثلاثينيات. وأخذت تردد ما كانت قد اعتادت على ترديده في بداية العشرينات، بأن الحركة الصهيونية أداه بيد الاستعمار البريطاني.

من خلال هذا السياق التاريخي يمكن لنا الإطلاله على موضوع إتفاق القدس الذي شكل المحاولة الأولى من قبل فريق شتيرن لإحداث اتصالات مع دول المحور.

قبل أشهر من إنشقاق إتسل بشكل نهائي ، وفي أثناء الخلافات التي حدثت بين قادتها حول موضوع التحالفات، قدم «موشي روتشتاين»، أحد المسؤلين في «المنظمة ب» خلال فترة قيامها ، وأحد المقربين إلى جهاز قسم خدمات المعلومات التابع لإتسل، اقتراحا إلى القيادة يدعوها للاتصال بعملاء المخابرات الإيطالية التي يقيم اتصالات معها، للتوصل إلى اتفاق بين إتسل والنظام الفاشي في إيطاليا، يعتمد على إقامة نظام فاشي في فلسطين وعلى دعم دخول الإيطاليين إليها، مقابل الحصول على السلاح وإعلان فلسطين دولة يهودية، ووصل الاقتراح إلى آذان مجموعة القيادة وهي في السجن، عن طريق «رزيئيل» ، الذي لم يبد حماسا له خلافا للمجموعة المذكورة.

وعقب عملية الانشقاق، عاد الوسيط ثانية وعرض رغبة الإيطاليين على جناحي إتسل. ويبدو أن فريق رزيئيل رفض التباحث معه. ويشتم ذلك من تباهي «يعقوب مريدور»، خليفه

«رزئيل»، عقب اعتقال البريطانيين له فى فترة متأخرة، قوله أمامهم: «إن منظمته رفضت باشمئزاز اقتراحات جدية للحصول على أسلحة ومبالغ ماليه ضخمة من جانب إحدى دول المحور». ولم يكن الأمر كذلك لدى فريق شتيرن الذى استمر فى التباحث مع الوسيط على الرغم من الشكوك الى أخذت تحوم حوله عقب حصول مخابرات إتسل على وثائق من أحد قادة الهاجاناه فى حيفا تشهد على أن «الوسيط» أبلغ الهاجاناه عن اتصالاته مع إتسل. وقد أسفرت جهود الوسيط عن اتفاق يعرف باسم: (اتفاق القدس) ١٩٤٠ . وسلمت قيادة «إتسل فى إسرائيل» الوسيط صيغة الاتفاق لإرسالة إلى السلطات الإيطالية.

ويرتكز الإتفاق المكون من اثنين وعشرين بندا على محاربة النفوذ البريطانى فى فلسطين ومنطقة البحر الأبيض المتوسط انطلاقا من المصالح المشتركة التى تجمع بين الطرفين. فقد تعهد الطرف(أ) (الفاشى) بدعم قيام دولة عبرية فى فلسطين وشرق الأردن على أن تكون القدس القديمه والأماكن المقدسه خاضعة للكنيسة الإيطاليه. وتعهد الطرف (ب) (إتسل فى إسرائيل) بالتعاون مع إيطاليا فى مجالات عده. ومن الملاحظ ، فى بعض البنود، رغبة شتيرن وفريقه فى إحداث اتصالات مع الحلقة الأقوى فى دول المحور، ألمانيا النازيه، عن طريق إيطاليا. فالبند الثامن عشر يدعو إلى أن يبذل الطرف(أ) من ناحيته كل الجهود لإقامة علاقات سياسية وديبلوماسية بين الأطراف المرتبطة به بإتفاقيات تبادلية، وبين الطرف (ب) من أجل الإسراع فى عقد إتفاق بينهم. على غرار هذا الاتفاق.

تقديم المساعدة لألمانيا النازية. فقد تعهد الطرف (ب) بـ «تقديم مساعدة للطرف (أ) فى الشكل والوقت اللذين يحددهما الطرفان» ومن الطريف هنا الوقوف فى البند السادس عشر المتعلق بالعلاقات مع العرب، حيث نص على ما يلى:«يتعهد الطرف(أ) بالحصول على موافقة دول الشرق على إقامة الدولة العبرية، ويتعهد الطرف (ب) من ناحيته بتقديم مساعدات للعرب على شكل إرشادات لتطوير الكنوز الطبيعية فى العالم العربى.»

بعد التوقيع على الأتفاق بالحروف الأولى من جانب بعض الأشخاص من فريق شتيرن، أصر الوسيط على توقيع هذا الأخير عليه، قبل التوقيع النهائى للسلطات الإيطالية، الأمر الذى آثار شكوك شتيرن وجماعته، فرفض التوقيع خشية أن تكون المخابرات البريطانية وراء الاتفاق.

ومع مرور الوقت إتضح أنه لا علم لإيطاليا بالموضوع لا من قريب أو بعيد، وأنه من صنع المخابرات البريطانية والهاجاناه ورئيس قسم خدمات المعلومات التابع لإتسل وذلك بهدف معرفة مدى استعداد الطرف (ب) للتحالف مع دول المحور، والتصرف على ضوء ذلك ضده. وليس من المستغرب أن تكون لعبة إتفاق القدس ١٩٤٠ من بين الأسباب التى دفعت المخابرات البريطانية إلى قتل شتيرن بعد حوالى عام، بدم بارد، وسط اغتباط أوساط يهودية كبيره من بينها الهاجاناه، للتخلص من «رئيس العصابة» الذى حاول الاستعانة بـ«الجزار» ضد «العدو».

على الرغم من فشل التحالف مع الإيطاليين عن طريق الوسيط المزعوم وتبعاته على «إتسل فى إسرائيل» أقدم شتيرن وبإصرار على القيام بمحاولة جديدة للاتصال بألمانيا النازية بالذات فى محاولة لتطبيق البند الثامن عشر من إتفاق القدس بشكل مباشر . فقد أرسل ، بعلم مجموعة القياده، مبعوثا خاصا إلى بيروت يتقن لغات عدة، يدعى نفتالى لوبينسكى وهو أحد نشيطى المنظمة للاجتماع بالمسؤولين عن جهاز المخابرات الألمانية إبان عهد فيشى. وتمكن فى أواخر سنة ١٩٤٠ من الاجتماع بضابط المخابرات النازى «أوتوفون هنتج»، الموفد إلى الشرق الأوسط خصيصا فى مهمة استقصاء الأوضاع السياسية والعسكرية فيه. ومن الطبيعى ألا تتم الصفقة بالسرعة التى توخاها المبادرون بها. فقد كان الضابط النازى صريحا أمام موفد شتيرن ، ويتضح ذلك من قوله له، بعد أن عرض عليه الوفد التحالف مقابل تعهد ألمانيا بدعم قيام دولة يهودية فى «أرض إسرائيل» أنه «على الرغم من وجود أناس معتدلين مثله على استعداد للتفاوض معنا، فإن للحكومة الألمانية موقفا متطرفا تجاه اليهود، ولا يعتقد إنهم سيتباحثون معنا». ولكنه أبقى باب المفاوضات مفتوحا بعدم استبعاده إمكانية قيام دولة لليهود. ولكن ليس فى فلسطين بل فى جزيرة مدغشقر . إلا أن شتيرن رفض الفكرة. ودعا مبعوثه للاستمرار فى المفاوضات التى تمخضت ، فى نهاية الأمر، عن إرسال مذكرة إلى الحكومة النازية فى برلين عن طريق ضابط المخابرات النازى فى بيروت. تحتل صفحتين، وتحمل عنوان«الخطوط الأساسية لاقتراح المنظمة العسكرية القومية فى فلسطين بخصوص حل القضية اليهودية فى أوروبا والمشاركة الفعالة لإتسل فى الحرب إلى جانب ألمانيا».

لم يكن حظ مذكرة «إتسل في إسرائيل» بأفضل من حظ إتفاق القدس، فقد وصلت إلى عنوانها في برلين، لتحتل مكانا لها في الأرشيف النازى ، وذهبت آمال نفتالى وجهوده من أجل تلقى الإجابة أدراج الرياح .إذ سقطت حكومة فيشى فى سوريا بيد قوات الحلفاء في يونيو ١٩٤١ ، وسقط معها «نفتالى» فى قبضة المخابرات البريطانية التى أودعته السجن.

لم يؤثر فشل المحاولتين على عزيمة قيادة «إتسل فى إسرائيل» ولم يحل دون مواصلتها السعى بكل الوسائل الممكنة للاتصال مع ألمانيا النازية. فعلى الرغم من انحسار ظلال نفوذ دول المحور عن سوريا ولبنان، وما يستتبع ذلك من صعوبة فى اللقاء، أقرت القيادة فى أواخر سنة ١٩٤١ ، مهمة جديده أغيطت «بناتان يلين» - (اسمه فى ذلك الحين ناتان فريدمان يلين) الذى قدر له ، فيما بعد، شغل مركز رئيسى فى ليحى، وكانت المهمة ذات شقين: الأولى، وهو الأساسى، ويقضى بالتفاهم مع الألمان حول خطة مشتركة توضع وفق روحية المذكرة المرسلة من بيروت إلى برلين، الآخر ثانوى ويرتهن تنفيذها بنجاح الشق الأول، يتلخص فى إحداث اتصالات مع دول البلقان والجاليات اليهودية فيها لتشجيع الهجرة إلى فلسطين.

بهذه المحاولة الفاشلة ، توقفت جهود فريق شتيرن للوصول إلى ألمانيا النازية، وبقيت ، إلى جانب كونها نقطة إتهام كانت تعمد المنظمات المنافسة لليحى إشهارها فى وجهها حينما تشاء، مثار جدل بين المؤرخين الصهيونيين. ففى الوقت الذى يركز فيه المؤرخون والدارسون من غير المتعاطفين مع المنظمة على مأساوية

الاتصالات مع النازيين الناجمة عن التصورات الخاطئة لقائد المنظمة، يركز المتعاطفون فى المقابل، على واقع مأساة مصرع شتيرن وهو يحاول خدمة المشروع الصهيونى ، إنطلاقا من فهمه الخاص. ويسرد هؤلاء وقائع تاريخية تشهد على تعاون عدد من قادة الحركة الصهيونية مع أشخاص معروفين بعدائهم لليهود، كإجتماع «هرتسل» مع الوزير القيصرى «بليفه»، المسؤول عن المجازر ضد اليهود فى روسيا القيصرية ، وتوقيع «جابوتينسكى» على اتفاق مع «بيتليورا» المعروف بعدائه لليهود إبان الثورة البلشيفيه فى روسيا، وتعاون «حاييم وايزمان» مع «موسولينى» فى مجال الصناعة الكيماوية فى إيطاليا ، واتفاق «النقل» الذى أبرم بين رئيس الدائرة السياسية فى الوكاله اليهودية، الدكتور حاييم أرولوزوروف، وبين السلطات النازية، ليخلصوا من ذلك، بأن شتيرن لم يحد فى جهوده الحثيثة لعقد تحالف مع النازيين، عن الطريق الصهيونى، مركزين على أنه يسعى ويرمى إلى خدمة المشروع الصهيونى إسوة بالذين سبقوه.

٤ـ المصير:

(أ) عكست محاولات شتيرن السرية لعقد تحالف مع ألمانيا النازية نفسها على تطور المنظمة وأثرت، بشكل كبير، على بنيتها. فقد تبلورت وتجسدت بنيتها التحتيه المشكلة من الأعضاء الذين يجهلون تلك المحاولات، نتيجة تعرضهم، لما تصوروه، لحملة ظالمه تصورهم بالطابور الخامس بشنها ضدهم، إلى جانب المخابرات البريطانية، أعضاء الهاجاناه، وكذلك رفاق الأمس فى إتسل. وفى

الوقت نفسه، ولأسباب عدة، حدث تفكك بين صفوف القيادة المحيطة بالمحاولات السرية. بيد أن الأخطر من ذلك كان تمهيد تلك الجهود الطريق لتعريض المنظمة إلى أعمال المطاردة والملاحقة التى وصلت إلى حد التصفية على يد المخابرات البريطانية، وقد تم ذلك بدعم من جانب الهاجاناه بواسطة قوات البلماح [1] ومؤازرة مستتره من جانب أوساط فى إتسل.

عقب الانشقاق، وبعد أن فرغ فريق شتيرن من تنظيم نفسه، كان من المفترض أن يتوجه نشاطه، على شكل عمليات عسكرية ، ضد ما اعتبره العدو الأساسى، إلا أنه لم يفعل شيء يذكر فى هذا المجال، فقد إنغمس فى مجالات التنظير والترويج «مبادئ البعث» إضافة إلى قيامه بسرقات صغيره هنا وهناك، وسط محاولاته السرية للتحالف مع ألمانيا النازية . وقد حدث هذا دون أن تقوم المنظمة بأى نشاط عسكرى ضد البريطانيين، الأمر الذى أثر كثيراً على الأفراد وعلى بعض المسؤلين الذى أخذوا يتساءلون عن السبب فى تأجيل النضال ضد الحكم الأجنبى دون تلقى إجابة شافيه. وحدا ذلك بالكثيرين منهم، أفرادا أو جماعات، للانسحاب ،من صفوف المنظمة.

عقب الإنشقاق شكل شتيرن قيادة جديدة أكثر إنسجاما من القيادة السابقة. ويبدو أن هذه القياده وافقت رئيسها على أن الوقت غير مناسب لخوض غمار القتال ضد البريطانيين بسبب الأزمة العميقة التى ألمت بالمنظمة على كافة الأصعده تنظيميا وسياسيا وماليا. وكانت الأزمة المالية أكثر هذه الأزمات حده وتشكل قضية أساسية

(١) البلماح هى القواة الضاربة الرئيسية فى الهاجاناه.

لها، فقد ذاق العديد من هؤلاء طعم الجوع، مما دفع الكثيرين منهم إلى تنظيم أنفسهم فى «كميونات» إتقاء لغائلة الجوع. ومن هنا أخذت عمليات السلب والنهب تشغل تفكير القياده أكثر مما كانت تشغلها العمليات العسكرية ضد السلطات البريطانية.

واشفعت المنظمة محاولاتها هذه بعملية سطو أخرى ناجحة، أثارت هذه المرة تقزز الوسط اليهودى، ليس لكونها موجهه ضد مؤسسة يهودية فقط ، وإنما لوقوع ضحايا يهودية نتيجة لها. ففى ديسمبر ١٩٤١ مكنت مجموعة من المنظمة لموظف يعمل فى شركة «همشبير همركزى» بعد خروجه من بنك العمال التابع للحركه العمالية، حاملا لحساب شركته مبلغ ١٠٩٣ جنيها فلسطينيا، وهاجمته وسط الشارع، وخطف أفرادها الثلاثة حقيبة النقود منه وفروا هاربين بها. وعقب استغاثة الموظف، طارد المارة الأشخاص الثلاثة الذين أطلقوا النار لإرهاب المطاردين، إلى أن قدمت سيارة للشرطة، وتبادلت معهم إطلاق النار، وقد سقط أثناء ذلك، ومن رصاص أفراد المجموعة شخصان من الجمهور اليهودى، وتمكنت الشرطه من إلقاء القبض على عنصرين أودعتهما السجن.

نتيجة لسلسلة عمليات السطو، ولا سيما تلك المصاحبه بسقوط ضحايا من اليهود، تضررت صوره «إتسل فى إسرائيل» وسمعتها كثيراً فى نظر الجمهور اليهودى، الذى يمقت بالأساس توجهها المعادى لبريطانيا، وينقد غيظا من مجرد الإشاعات حول علاقاتها مع النازيين. وقد استغلت المنظمتان المنافستان لها هذا الواقع، وعملتا، جنبا إلى جنب، وبشكل متفاوت، مع السلطات البريطانية لتصفية جماعة شتيرن.

(ب) تعرضت «إتسل فى إسرائيل» منذ ولادتها، لأعمال المطاردة والملاحـقـه على يد قـوات الأمن البـريطانيـة، ومع مـرور الوقت، وإزدياد عدد معتقليها فى السجون ، ومعظم هؤلاء وقع نتيجة أعمال السطو، وتعرضهم للتعذيب على يد جهاز مخابراته. ولذا أعدت خطة تستهدف «جذب رؤساء المخابرات فى تل أبيب وتصفيتهم».

وقد استغلت أوساط الهاجاناه والوكـاله اليهوديه عمليات ليحى لحث السلطات البـريطانيـة، بشكل علنى، للقضـاء على «عـصـابة القتل». ولم يكن الموقف الجماهيرى العام لليشوف أفضل بالنسبة لفريق شتيرن، من موقف الهاجاناه ، فقد طالبت بعثة عن اللجنة القـومـيـة، وبلدية تل أبيب والمجـالس المحليـة اليـهـودية السلطات البريطانية «تصفية مظاهر الإجرام».

ومن الطبـيـعى، والحـال كـذلك، أن يكون الرأى العام لليـيشـوف اليهودى مناوئا ليس للمقترحـات السياسية لجماعة شتيرن فقط وإنما لوجود المنظمة أيضاً ، معـتبرا إياها مـجـرد فئه إرهابيـة تسىء إلى اليـيشـوف. وكـان الكثـير من عناصر المنظمة فى الوقت الـذى كـان يمتنع فيـه إناس عن تأجيـر شققهم إلـى أشـخـاص يحـتـمل أن يكونوا تابعين لها.

وفى صبيحـة الثانى عشر من فبراير ١٩٤٢ ، تمكنت قوات الأمن البريطانية بقيادة «مورتون ويلكين» من اقتحام المنزل الذى كان يقيم فيه «إبراهام»شتيرن» عند امرأة رئيس مخـابرات منظمتـه الذى وقع سجينا نتيـجـة العـمليـة التى قام بـهـا مورتون قبل مـدة ضد الأربعة القياديين . ومن الملفت للنظر أن مصادر الهاجاناه ترجع إكتشـاف مخبأ شتيرن إلى ملاحظة وردت ضمن رسالة بعث بها السجين إلى

إمرأته يسأل فيها عن أحوال«الضيف» على الرغم من جهودها العلنية التى كانت تبذلها لمطاردة عناصر منظمة شتيرن ومسؤوليهم وملاحقتهم وتسليمهم إلى السلطات البريطانية.

بعد إقتحام المنزل فى تل أبيب ، أخذت عناصر الأمن تفتش محتوياته، وامتدت يد ضابط المخابرات ويلكين داخل الدولاب بعد فتحها لتلمس وسط الملابس جسد إنسان، تبين على الفور أنه الشخص المطلوب رقم واحد. وبعد تكبيل يديه، أخرجت قوات الأمن المرأة من الغرفة، لتنطلق بعد ذلك ثلاث رصاصات أودت بحياة شتيرن بحجة أنه حاول الهرب كما جاء فى البيان الرسمى . خلافا لما تجمع عليه كثير من المصادر الصهيونية بأن عملية القتل نفذت بدم بارد. ومن المرجح أن تكون نهاية شتيرن قد تمت فعلا بهذا الشكل، خاصة وأن البريطانيين لم يتجاوزوا فى عملهم هذا رغبة أوساط كثيرة داخل الييشوف اليهودى، وعلى رأسها الهاجاناه فى التخلص من شتيرن وجماعته.

وبذلك لم يبق من المنظمة سوى شراذم بسيطة لا تستقر فى مكان، ووجدت فى المزارع والحقول المكان الأكثر أمنا لإتقاء عيون الهاجاناه المنتشره داخل الييشوف اليهودى، وعيون سلطات الأمن البريطانية.

وفى هذه الأثناء، بدا وكأن المنظمة لفظت أنفاسها الأخيرة، بيد أنها ما لبثت، بعد مده، أن انتزعت من دائرة الاختناق والموت وبعثت فيها الحياة من جديد، وتأتى ذلك بفضل هجرة مجموعة من عناصر بيتار إلى فلسطين وإنضمامها إلى منظمة شتيرن (ليحى) وهروب إسحاق شامير (رئيس الكنيست ووزير الخارجية ورئيس

الوزراء فى السبعينات والثمانيات) من السجن وهو أمر أدى إلى تصعيد عمليات المنظمة وعودتها للعمل مرة أخرى.

(جـ) واستمرت صراعات - ليحى - ضد المنظمات الأخرى وضد بريطانيا إلى أن تم دمجها كبقية المنظمات داخل الجيش الإسرائيلى عقب الاستقلال.

الفصل الرابع

العلاقة بين المنظمات والمواقف من بريطانيا

رابعا: العلاقة بين المنظمات والمواقف من بريطانيا

١ـ علاقة المنظمات بسلطة الانتداب البريطانية:

(أ) وقد مر مبدأ الشمولية فى تجربة أصعب مع مطلع الثلاثينيات، وذلك حينما أقيمت «المنظمة ب» وأخذت العلاقات بين التيارات السياسية المختلفة تسير نحو مزيد من التعقيد. وإزاء ذلك، وجد المسئولون عن الهاجاناه أنفسهم مضطرين، حيال ضرورة الحفاظ على مبدأ الشمولية وخشية حدوث انشقاق فى منظمتهم، أو ولادة تنظيمات عسكرية منافسة، إلى إحداث تغيير فى طريقة قيادة منظمة الهاجاناه لتعزيز مبدأ الشمولية، فقد جرى نقل صلاحية الأشراف على الهاجاناه إلى الإدارة الصهيونية كممثلة لجميع التيارات الصهيونية، بمشاركة «الهستدروت» وأوساط المدنيين، وألحق هذا الإجراء بإجراء آخر ينص على توزيع القيادة مناصفة بين الهستدروت والمدنيين. وشهدت منظمة الهاجاناه، فى هذه الفترة تغييرات فى جهازها، فقد تم للمرة الأولى تشكيل قيادة قطرية

تسيطر على عشرين فرعا، نشطت فى مجال أمتلاك الأسلحة وتخزينها وتدريب الأفراد، بشكل كبير بين الهاجاناه وسلطات الأنتداب البريطانية، إحساساً من الطرفين بالخطر المشترك المحدق بمصالحهما المشتركة. ففى صيف سنة ١٩٣٧ ، أقامت منظمة الهاجاناه سرايا الميدان التى انيطت بها مهام مهاجمة الثوار العرب. وبعد ذلك بعام، أقام الضابط البريطانى «أدور تشارلز وينفيت» سرايا النار المعروفة أيضاً باسم سرايا الليل الخاصة لصالح منظمة الهاجاناه، بغرض مهاجمة الثوار الفلسطينيين ليلاً، وأسفر تماثل المصالح فى هذه الفترة عن اشراك البريطانيين قوات الهاجاناه فى الجهود الحربية البريطانية ضد الفلسطينيين، بيد أن الأخطر من ذلك تمثل فى سماح سلطات الأنتداب لمنظمة الهاجاناه بإقامة سلاح الحراسة، وشرطة المستوطنات العبرية التى غدت قوة شرعية تابعة لها، وقد تعززت بسرعة وبلغ عدد أفرادها سنة ١٩٣٩ ، حوالى عشرين ألف رجلا يتوزعون على عشر كتائب.

(ب) مع تزايد نشاط إتسل الأرهابى الموجه ضد العرب، تحركت سلطات الأنتداب البريطانية، وأخذت تحاكم من تلقى القبض عليه وتصدر أحكاماً مختلفة، كان من بينها حكم الأعدام. ومن الملاحظ أن الوكالة اليهودية وقيادة الهاجاناه كانتا تبذلان جهوداً كبيرة، وتقدمان مساعيهما الحميدةعندالبريطانيين لتخفيف الأحكام الصادرة على الرغم من معارضتهما الشديدة لنشاط إتسل، كما حدث مع أحد عناصر المنظمة عندما كمن لسيارة عربية وأطلق النار عليها؛ فى مطلع سنة ١٩٣٨ ، وكانت نتيجة حصاره مقتل طفل عربى يناهز السادسة من عمره. فقد حكمت عليه المحكمه، بعد إلقاء القبض

عليه، بالإعدام إلا أن الحكم خفف إلى السجن المؤبد بفضل تدخل الوكالة اليهودية.

وكان الاستمرار فى كسر «الهفلغاه»، والردعلى الأعدام الموضوعين الأساسيين المطروحين على جدول أعمال القيادة الجديدة لإتسل. وقد دار نقاش داخل المنظمة، حول أعمال القيادة الجديدة لإتسل. وحول وسائل الرد. واقترح البعض توجيه ردة الفعل ضد الشرطة البريطانية، بيد أن الأكثرية تخوفت من تبعات ذلك على المنظمة، وأبدت تخوفها من احتمال تصفية إتسل على يد البريطانيين. وتقرر بأكثرية الأصوات توجيه الأعمال الانتقامية ضد العرب . انسجاما مع رأى «جابوتينسكى» الذى بعث برسالة إلى قيادة منظمته يطالب فيها بالرد بقوة، فى حال تنفيذ حكم الإعدام.

وأدى التعاون بين الهاجاناه والسلطات البريطانية، إلى اعتقال المزيد من أفراد إتسل وقادتها ووضعهم فى السجون. ويبدو أن قيادة إتسل كانت تدرك، فى ذلك الحين، أن موجة الاعتقالات الكبيرة، بين صفوف منظمتها، ناجمة عن التعاون القائم بين الهاجاناه وجهازها الاستخبارى بالذات، وبين المخابرات البريطانية. ومما يشير إلى ذلك، فقرة وردت فى بيان للمنظمة تنص على أن المطلوب من أعضاء المنظمة جميعهم التحلى بالحذر والامتناع عن الثرثرة. ويجب أن نتذكر دائماً أن هناك كثيراً من الآذان تسترق السمع، وكثيراًمن أشرار الحلف بين صفوف البيشوف.

ويؤكد الدكتور لوبوتسكى، أحد زعماء الحركة التصحيحية بعد اعتقاله فى سجن عكا، فى شهادته، قيام تعاون فى تلك الفترة بين الهجاناه والمخابرات البريطانية ضد إتسل.

ويبدو أن الوشايات قد انتعشت كثيراً فى ظل التعاون الذى قام بين الهاجاناه والمخابرات البريطانية، وقطعت شوطا بعيداً مما حدا برئيس بلدية تل أبيب لإثارة الموضوع مع قادة الحركة العمالية، واستنكار ماأسماه بفساد الحياة العامة فى المدينة، حيث تسود حوادث الاعتقال الناجمة عن الوشايات.

(جـ) وفى السابع عشر من مايو ١٩٣٩ ، نشرت الحكومة البريطانية وثيقة صادرة عن البرلمان البريطانى أطلقت عليها اسم الكتاب الأبيض. وقد أثار الكتاب الأبيض سخط مختلف أوساط الحركة الصهيونية التى أجمعت على معارضته والتصدى له، مع الاختلاف فى الطرق والوسائل، كما احتل - حتى زوال الأنتداب البريطانى عن فلسطين، وعلى الرغم من غياب عامل الجديةلدى البريطانيين فى مجال تطبيقه ـ مكاناً بارزاً فى العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة، حيث درج البعض على تلقفه كتهمة فظيعة يلقيها فى وجه الفريق الآخر، الأمر الذى يدعونا للوقوف على بعض بنوده.

أنصب السخط الصهيونى على ثلاثة بنود تمس موضوعات ثلاثة هى: إنهاء الأنتداب البريطانى، وإقامة دولة فلسطينية، وتحديد الهجرة اليهودية، وتحديد بيع الأرض فى فلسطين.

وقد نص البند المتعلق بإنهاء الأنتداب البريطانى على التالى: أن الهدف الذى ترمى إليه حكومة جلالته هو أن تشكل، خلال عشر سنوات، حكومة فلسطينية ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين متطلباتهما التجارية والحربية فى المستقبل، ضماناً مرضياً.

وهذا الاقـتـراح، بتـشكيل دولة مـسـتـقلة، من شـأنه أن ينطوى على التشاور مع مجلس الأمم بقصد إنهاء الأنتداب.

وفـيـمـا يتـعلق بموضـوع الـهـجـرة، نص الكتـاب الأبيض على أن تكون الـهـجـرة، خـلال السنوات الخمس التـاليـة، بمقدار من شأنه أن يزيد عـدد السكان اليهود فى فلسطين إلى مـا يقرب من ثلث مـجموع سكان البلاد بشرط أن تسمح قدرة الاستيعاب الاقتصادية بذلك. فإذا أخذت بعين الأعتبار الزيادة الطبيعية المتوقع حصولهافى عدد السكان العرب واليهود، وحسب حساب عدد المهاجرين اليهود غير الشرعيين الموجودين الآن فى البلاد فإن ذلك يسمح بإدخال نحو ٧٥٠٠٠ مهاجر يهودى، خلال السنوات الخمس التالية، اعتباراً من أول أبريل من السنة الحـاليـة. وورد فى بند آخـر أن تسـمح بزيادة الوطن القـومى اليـهـودى عن طريق الـهـجـرة إذا كـان العـرب على استعداد للمثول لتلك الهجرة ولكن ليس بدون ذلك. وجاء أيضاً: أن حكومة جلالته مصممة على قمع الهجرة غير المشروعة، وتتخذ الآن إجراءات أخرى للحيلولة دونها وإذا أفلح عدد من المهاجرين اليـهـود غـيـر الشـرعـيين فـى دخـول البـلاد على الرغم من تلك الإجراءات، وكـان هؤلاء ممن لا يمكن إبعـادهم، ينزل عـددهم من الحصص السنوية. وفيما يتعلق بملكية الأرض، نص الكتاب الأبيض على أنه لابد من وضع القيود على انتـقـال الأرض من العرب إلى اليهود.. من خـلال منح المندوب السـامى سطات عـامـة حول هذا الموضوع.

وفى ١٦ يناير سنة ١٩٤٠، صـادقت الحكومـة البـريطانـية على وثيـقـة جـديدة تحـمل اسم قـوانين انتـقـال الأراضى ١٩٤٠، لتنظيم

تطبيق القيود على انتقال ملكية الأراضى لليهود وفق روحية الكتاب الأبيض. وقد قسمت فلسطين بموجب هذه الوثيقة إلى ثلاث مناطق: المنطقة الأولى، يسمح لليهود بامتلاك الأراضى فيها وتشكل نسبة ٥٪ من مساحة فلسطين، وتبلغ مساحتها ١,٣٤٣,٠٠٠ دونم وكان اليهود يمتلكون فيها ٦٨٨,٠٠٠ دونم . والمنطقة الثانية وتشكل نسبة ٣١٪ من فلسطين يحظر على اليهود امتلاك الأراضى فيها إلا بأذن خاص من المندوب السامى. والمنطقةالثالثة تشكل نسبة ٦٤ ٪ من مساحة فلسطين، لا يحق لغير العرب الفلسطينيين امتلاك الأراضى فيها، وسمحت القوانين لليهود الذين يمتلكون أراضى فى تلك المنطقة، وهم أقلية ضئيلة ، ببيع أراضيهم أو تأجيرها للفلسطينيين فقط.

تحكمت طبيعة العلاقات القائمة بين كل من التيارين الصهيونيين وبريطانيا بأشكال الردود ضد الكتاب الأبيض والقانون الخاص بانتقال الأراضى ودرجة عنفها، ويبدو ذلك واضحاً تماماً فى ردود الفعل التى أعقبت صدور الوثيقتين. فقد اتسمت هذه الردود بتزعم التيار التصحيحى، وعلى رأسه إتسل، لموجة الغضب التى أخذت شكل مظاهرات صاخبة وأعمال عنف، فى الوقت الذى حافظت فيه الهاجاناه والحركة العمالية على التظاهر بهدوء، والتستر على أعمال العنف التى قامت بها. بينما اتسمت ردود الفعل على الوثيقة الثانية بتزعم التيار العمالى، بما فى ذلك الهاجاناه، لموجة السخط التى أخذت شكل مظاهرات صاخبة تخللتها اشتباكات مع قوات الأمن، فى الوقت الذى حرصت فيه إتسل على عدم الاشتراك فيها، مكتفية

بالتنديد فقط، بحكم الانقلاب الذى طرأ على علاقاتها مع السلطة البريطانية عند اندلاع الحرب العالمية الثانية.

اعتمدت الوكالة اليهودية فى مجال ردها على سياسة الكتاب الأبيض، السلاح الأساسى للحركة الصهيونية المتمثل فى الهجرة والاستيطان: إذ أخذت تنشط فى ميدان الهجرة غير الشرعية، وفى استكمال المشروع الاستيطانى . وكذلك قامت بعمليات إرهابية ضد العرب، وفق أسلوب إتسل حيث وجهت سلاحها ضد قريتى لوبيا وبلد الشيخ وقتلت عدداً من سكانهما.

لم تكن قيادة كل من البيشوف المنظم والهاجاناه، تجمع على رأى موحد تجاه موضوع التصدى للكتاب الأبيض، وذلك لتعدد التيارات وتباين الاجتهادات. وقد انعكس ذلك فى المؤتمر الصهيونى الحادى والعشرين الذى انعقد فى جنيف فى ١٦ أغسطس ١٩٣٩ دون حضور التصحيحيين إذ برزت فيه وجهتا نظر أساسيتان تتعلقان بالتصدى لسياسة الكتاب الأبيض، مثل وجهة النظر الأولى المعتدلة ـ الدكتور حاييم وايزمان ـ الذى رأى أن طريق النضال الأساسى يتمثل فى استمرار المشروع الاستيطانى فى فلسطين. أما وجهة النظر الثانية فمثلها «بن جوريون» بطرحه أمام المؤتمر خطة تتشكل فى نقاط ثلاث: .

١ ـ الهجرة من أجل الهجرة.

٢ ـ النضال من أجل الاستيطان.

٣ ـ النضال بالسلاح ضد السلطة البريطانية فى حال تصديها للهجرة والاستيطان.

ولم يتمكن المؤتمر من اتخاذ قرار واضح تجاه مسألة النضال ضد سياسة الكتاب الأبيض كما طالب الفريق الذى تزعمه «بن جوريون» لتخوف العديد من أعضائه من مغبة ذلك على مستقبل العلاقة مع بريطانيا وأوضح هذا الأمر، صراحة، الدكتور سيلفر بدعوته إلى الامتناع عن القيام بأعمال مقاومة يائسة وعن العصيان المدنى وعن عدم التعاون.

نتيجة لانقسام قيادة اليشوف المنظم تجاه مسألة التصدى للكتاب الأبيض، وعدم تمكنها من تنظيم وبلورة ضغط صهيونى فعال ومتواصل، فشلت حملة التصدى للكتاب الأبيض خلال الشهور الأولى من صدوره، وتعثرت مع اندلاع الحرب العالمية الثانية.

(د) مع اندلاع الحرب، اتخذت الحركة الصهيونية والتنظيمات المتفرعة عنها، خلافاً لما كان عليه الوضع فى الحرب العالمية الأولى، موقفاً موحداً إلى جانب بريطانيا. ففى اليوم الذى نشبت فيه الحرب بين بريطانيا وألمانيا، هرعت الوكالة اليهودية، وأصدرت بياناً أعلنت فيه تأييدها اللامحدود لبريطانيا، وذلك بدعوى الدفاع عن الوطن، وسلامة الأمة العبرية، وانتصار الأمبراطورية البريطانية. كما أعلن رئيس الإدارة الصهيونية «دافيد بن جوريون» عن دعم الصهيونية لبريطانيا من خلال مقولته التى لم تبرح لسانه طيلة أيام الحرب: «سنقاتل إلى جانب بريطانيا ضد هتلر». وكأن الكتاب الأبيض غير قائم، وسنناضل ضد الكتاب الأبيض وكأن الحرب غير قائمة. كما أعلن أيضاً زعيم الحركة التصحيحية «زئيف جابوتينسكى» وقوفه إلى جانب بريطانيا، واتخذت إتسل هى الأخرى موقفا مشابهاً.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الرجل الثانى فى إتسل، وهو «ابراهام شتيرن» كان عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، يخالف الإجماع الصهيونى المؤيد للتحالف مع بريطانيا، وينتقد بشدة مقولة زعيمه «جابوتينسكى» حول موضوع التحالف. وقد عبر عن ذلك فى مقال له نشره فى صحيفة (أومرلعام) الناطقة باسم إتسل وتطرق فيه إلى احتمال نشوب الحرب والدور الذى يتوجب على التنظيم اليهودى العسكرى القيام به. وبعد أن طرح مفهومه لحدود أرض إسرائيل التى تتجاوز، حسب اعتقاده، ضفتى «نهر الأردن» وتشمل أجزاء كثيرة من الوطن العربى، وأن الطريق إلى اكتسابها يتم بالقوه المسلحة، كما أن شتيرن قد اتهم بمحاولة إقامة نظام فاشى بالتعاون مع إيطاليا وألمانيا.

(هـ) وشهدت المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية، نمطاً جديداً من العلاقات بين المنظمتين الصهيونيتين المسلحتين : «الهاجاناه وإتسل» تختلف عن النمط السابق من حيث موقع ادارة الصراع بينهما فى مجال المنافسة على بسط النفوذ داخل «الييشوف اليهودى». فبينما كانت إتسل فى السابق تصارع منافستها من موقع التصدى لسلطات الانتداب والسياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية، فى إطار نظرية الضغط الخاصة «بجابوتينسكى»، كانت هذه الأجهزة تواجهها، من موقع التحالف والتعاون مع سلطات الانتداب . أما فى هذه المرحلة، فقد أصبح الوضع، مع اندلاع الحرب، مختلفا، إذ أخذ الصراع يدور بين الطرفين، فى دائرة تنافسيهما، حول توثيق العلاقة مع السلطات الاستعمارية فى فلسطين.

(٢) العلاقة بين المنظمات:

(أ) شبح الحرب الأهلية:

خيمت على اليشوف اليهودى فى فلسطين، ظلال النصف الثانى من عام ١٩٣٨، خلال حرب أهلية مرفقة بتهديدات من قبل قادة الحركة العمالية بتصفية إتسل، وبأعمال خطف متبادلة بين المنظمتين العسكريتين مترافقة مع محاولات للوحدة بينهما.

ومن بين الأسباب التى ساعدت فى وصول العلاقات بين إتسل والهاجاناه إلى درجة عالية من التوتر:

١- رغبة الهاجاناه فى وضع حد لنشاط إتسل اعتقاداً منها بأنه يؤثر سلباً على العلاقة مع بريطانيا واستعدادها فى الوقت نفسه، لقبول الضغوط البريطانية الداعية إلى الحد من تفشى الأرهاب وسط التجمع اليهودى.

٢ - استمرار الفشل فى انتهاج سياسة كسر ضبط النفس، وسط احتدام تنافس المنظمتين على النفوذ فى الوسط اليهودى.

٣ - تبادل أعمال الخطف.

وكرد على حادث اختطاف الهاجاناه لعضو من إتسل، قررت قيادة إتسل اختطاف أحد قادة الهاجاناه، ونفذت قرارها، بعد مضى حوالى أسبوع، حين قامت مجموعة من عناصرها فى تل أبيب باختطاف المدعو «زخاريا ككيون»، واحتفظت به فى مكان سرى خارج المدينة، ولم تطلق سراحه إلا بعد أن اتضح لها أن رجلها قد

أصبح بيد سلطات الأمن البريطانية. وقد عكست الصدمات الناجمة عن أعمال العنف وعن أعمال الخطف المتبادلة الناجمة عن أمتداد أرهاب إتسل إلى الشارع اليهودى، مدى التوتر الذى وصلت إليه العلاقات بين المنظمتين والذى أوصل «اليبشوف اليهودى» إلى شفا الحرب الأهلية، والتهديد بها، وهذا ما فعله رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية، «موشى شاريت»، عندما شهر سلاح التهديد بالحرب الأهلية، خلال المراحل الأولى، من نشاط إتسل الرامى لكسر الهفلغاه.

وقد حاول الوسطاء إقناع «جابوتينسكى» بكبح جماح رجاله الذين خرجوا عن طورهم وطرح فكرة الوحدة حتى لا تتم مجابهة أعمال إتسل، لم يكتف «جابوتينسكى» برفض التهديد، بل وجه تحذيراً نشرته الصحافة اليهودية فى أوروبا، أعلن فيه أن الهاجاناه تعد العدة للقيام بمذبحة ضد رجاله، وسيرد التصحيحيون عليها ضد أنصار الحركة العمالية خارج فلسطين.

وتصدى بن جوريون زعيم الحركة العمالية، هو الآخر، بعنف لنشاط إتسل، مركزاً حملته على الضرر الذى يلحقه بالعلاقات الصهيونية ـ البريطانية. وقد نجم عن هذه الرؤية تعاون وثيق بين الييشوف المنظم والسلطات البريطانية للحد من نشاط إتسل، وقد أخذ هذا التعاون أشكالاً عدة كانت أخطر بكثير من أعمال الخطف المتبادلة والأشتباكات بالأيدى.

(ب) محاولات توحيد المنظمات:

وجرت وسط هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والحقد ، مساع ومحاولات عدة لتحقيق الوحدةبين الطرفين، أو على الأقل، للتوصل إلى اتفاق ينظم العلاقة بينهما. بيد أن تباينت المواقف السياسية، والتنافس على قيادة الييشوف.

وقد بدأت الاتصالات بين «الياهو غولمب» و«جابوتينسكى» ، عرض غولمب، خلالها تسوية يتم بموجبها اشراك وحدات إتسل فى سلاح الحراسة شريطة الأنصياع لتعليمات مؤسسات الييشوف المنظم؛ وفيما يتعلق بالهفلغاه اقترح عدم قيام إتسل بأية عملية انتقامية إلا بموافقة الطرفين. ومن الجدير بالذكر، أن هذا الاقتراح كان مشفوعاً بالتهديد، وباءت هذه المحاولة بالفشل بسبب رفض «جابوتينسكى» فكرة خضوع إتسل لمؤسسات الييشوف، ورفضه أيضاً الاستمرار فى الحوار تحت ظلال التهديدات.

وأخيراً توصل المتفاوضون فى التاسع عشر من سبتمبر ١٩٣٨ ، إلى صيغة اتفاق بين الهاجاناه وإتسل (ورد الأسم فى الأتفاق المنظمة ب)، وكانت أبرز نقاطه ما يلى:-

١ - يستهدف الاتفاق وضع خطة عمل مشتركة للتنظيمين شريطة أن يستمر كل منهما فى الحفاظ على كيانه المستقل وغير المرتبط دون أن يضر ذلك البنية التنظيمية لكل منهما.

٢ - تلتزم «المنظمة ب» بوقف العمليات الخارجة عن إطار الدفاع العادى.

٣ ـ تأخذ «المنظمةب» نصيبها المناسب فى الدفاع الشرعى، وتشارك فى جميع أشكاله: الشرطة الأضافية، مجموعات الكمائن، والمجموعات المتحركة، وفى الوحدات التى قد تتشكل فى المستقبل.

٤ ـ تخضع كل وحدة لتعليمات قائد المنطقة الذى يصدر تعليماته لقائد الوحدة ويتلقى رجال الوحدة الأمر عن طريق قائدهم المباشر فقط.

ونص الأتفاق أيضاً على ضرورة تشكيل لجنة مشتركة بتوجه المنظمتين ونفوذهما، ودعا منظمة الهاجاناه إلى مساعدة أفراد إتسل فى مجال التدريب العسكرى.

وقد جرى التوقيع عليه بالأحرف الأولى فى بيت رئيس بلدية تل أبيب، بحضور قادة المنظمتين. ولم يبق أمام تنفيذ الأتفاق الذى يسرى مفعوله لمدة عام سوى التصديق عليه من جانب الحركة العمالية و«جابوتينسكى» الموجود فى وارسو والذى سرعان ما هرع إلى مباركته ودعا أعضاء منظمته فى الوقت نفسه، للحفاظ بعناد على استقلاليتهم.

قوبل الاتفاق بالترحاب من جانب زعامة الحزب التصحيحى وبتأييد نصف قيادة إتسل له، وتحفظ النصف الآخر عليه، كما قوبل بموافقة أكثرية قيادة الحركة العمالية مع تحفظ أقلية ضئيلة تجاهه. وبدا وكأنه يملك حظاً وفيراً من النجاح . وعلى الرغم من ذلك، فقد مات فى مهده وذلك لتصدى «بن جوريون» له بكل صلابة وشدة. والحقيقة أن «بن جوريون» الذى اعتبر الاتفاق بمثابة نصر لإتسل

ومن ثم لخصومه السياسيين، لم يعارضه من زاوية المكاسب التى حصلت عليها إتسل، فحسب، وإنما عارض المفاوضات وتصدى لها منذ اللحظة التى وصلت فيها أخبارها إلى أسماعه وبسبب تتابع الأحداث وانشغال تفكير جابوتينسكى فى شىء آخر مغاير تماماً (هو الثورة المسلحة) وانهماك قادة إتسل بالتصدى لجهاز المخابرات البريطانى، لم تجر لقاءات بين الطرفين وآل مصير مشروع الاتفاق إلى الفشل أسوة بالمحاولات السابقة.

(جـ) عودة الشقاق:

حدث تمرد إتسل فى عام ١٩٤٤ وفق نظرية الضغط الخاصة بجابوتينسكى، إذ انتهجت المنظمة أسلوبا عسكريا اعتمد على توجيه الضربات ضد المؤسسات والمنشأت الحكومية ذات العلاقة بالمشاريع الصهيونية مع الارتباك، فى بعض الأحيان فى تحديد الأهداف الواجب ضربها، والتخوف من إمكانية تصوير العمليات وكأنها تعرقل الجهودالبريطانية. لمحاربة النازيين وأخضاع هذا الأسلوب لخدمة هدف سياسى واضح هو إقامة الدولة العبرية فى فلسطين فوراً على أن تكون حليفة للإمبراطورية البريطانية.

وعقب إعلان إتسل التمرد، صعدت ليحى من نشاطها العسكرى ضد ما اعتبرته العدو الرئيسى ممثلا بالأستعمار البريطانى، متبنية أسلوب الاغتيالات الشخصية ومتأثرة، بشكل كبير، بعامل الانتقام، دون أن تتحرر عملياتها العسكرية، فى هذه الفترة، من أسار هذا التكتيك البسيط المصاحب بغريزة الانتقام.

واتخذت سلطات الييشوف المنظم موقفا مناوئاً لإعلان إتسل عن تمردها ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين ومعارضا له؛ وأخذت معارضتها تصاحب حملات إعلامية، تشتد ضراوتها ضد المنشقين مع ارتفاع وتيرة عنف إتسل ضد الإدارة البريطانية، لتتحول إلى مجابهة وتصد وحرب أهلية عقب اغتيال اللورد موين.

انطلاقاً من هذه العوامل مجتمعة، اجتمعت التيارات المنطوية تحت لواء الوكالة اليهودية على التصدى للمنشقين. وهى وإن تكن قد اختلفت فى الطرق والوسائل، فقد اتفقت على شن حملة شعواء ضد التمرد، معتبرة إياه إرهاباً إجرامياً تقوم به عصابات قاسية تافهة. وساهم كل من زعيم الهاجاناه ورئيس الوكالة اليهودية فى إدارة الحملة وبلورتها . فقد عبر الياهو غولمب عن الموقف العام للهاجاناه تجاه التمرد بتصريحات متعددة.

وقبل شروع الهاجاناه بحملة التصفية ووسط الإعداد لها، وفى أجواء مشحونة بحرب إعلامية عنيفة لم يوفر فيها الطرفان أبشع النعوت والصفات، جرت ثلاثة لقاءات بين القيادتين حاولت فيها الهاجاناه حمل إتسل على وقف نشاطها الإرهابى بالطرق الدبلوماسية مهددة، فى الوقت نفسه بوقفه عنوة وبقوة السلاح وبالتعاون مع أجهزة الأمن الحكومية، بحجة إساءته لمسار تحقيق المشروع الصهيونى وعرقلته. وفى المقابل حاولت إتسل إبراز مكاسب التمرد وفوائده على المشروع الصهيونى، مع التهديد بأنها لن تقف مكتوفة اليدين فى حال البدء بتصفيتها.

وانفضت الاجتماعات وسط إجواء خانقة من التهديد بالحرب الأهلية، وبعد مضى يومين، عقدت قيادة إتسل جلسة تدارست فيها

العلاقات مع «اليسار» على ضوء نتائج اللقاء الذى تم بين قيادتى المنظمتين، وتمخضت الجلسة عن: «إصدار تعليمات مشددة للجميع بعدم الرد على أى عمل استفزازى من جانب اليسار».

وكانت الاتصالات بين الهاجاناه وليحى، منذ أعلان هذه الأخيرة عن قيامها من جديد، فقد جرت بين قيادتى المنظمتين لقاءات سرية عدة، ولاشك بأن إحساس الهاجاناه بأن ليحى لا تشكل حالة منافسة لها داخل اليشوف قد سهل كثيراً فى عقدالاجتماعات التى كانت تجرى بين الفنية والأخرى لحل أشكال داخلى بين المنظمتين.

ولكن مع الأعلان عن خبر اغتيال موين وعن هوية مرتكبى العملية، ألمت باليشوف اليهودى حالة من الصدمة المشفوعة بالذهول. وتصدت الصحف الصهيونية، على الفور مدينة الجريمة ومرتكبيها.

بيد أن الأهم من ذلك كان انعكاس الحدث وتبعاته على العلاقات بين المنظمات الصهيونية المسلحة. فقد عدته الهاجاناه، بمثابة ثمرة للأسلوب الإرهابى الذى يمارسه المنشقون عن اليشوف المنظم وغير الخاضعين لتعليماته، تحمل أضراراً جمة للمشروع الصهيونى وتضع عراقيل صعبة أمام تحقيقه بتعريضها العلاقات البريطانية الصهيونية للخطر، بينما اعتبرته إتسل بمثابة تجاوز واضح لمقولة الضغط الخاصة بمعلمها الروحى، مما يتناقض مع السعى للتحالف مع بريطانيا، ويعرض المشروع الصهيونى للخطر. أما ليحى، فيبدو أن عنف أصداء الحدث، إلى جانب تصور كل من الهاجاناه وإتسل لخطورته، قد دفعها إلى التزام جانب الصمت، والتفكير بروية، وبأعصاب باردة، للخروج من تبعاته سالمة بجلدها.

(د) التصفية

خلال المراحل الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، شهد اليشوف اليهودى فى فلسطين على امتداد فترة ستة أشهر حرباً أهلية صليبية، تمثلت فى حملة التصفية الشهيرة باسم السيزون التى أعدتها الهاجاناه وقادتها ضد إتسل.

وتعود أسباب هذه الحملة التصفوية ذات النتائج الخطيرة، إلى عاملين أساسين هما:

الأول: يكمن فى حدة التباين التى كانت قائمة بين موقف كل من الهاجاناه وإتسل تجاه موضوع العلاقة مع سلطات الأنتداب والاستعمار البريطانية، ومع أن هذا التباين، بحد ذاته، يعد أحد مبررات وجود أكثر من منظمة داخل اليشوف، وإلى جانب كونه قد رافق نشوء المنظمتين وتفاوت حجمه وبعده بين الحين والآخر، ووقف فى كثير من الأحيان إلى جانب عوامل أخرى وراء تأزم العلاقات بين الطرفين، إلا أنه بلغ من الحدة، فى هذه الفترة، درجة أصبح معها من الصعوبة بمكان تقليص حجمه بالوسائل السابقة، وبخاصة بعد أن أعلنت أتسل التمرد ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين، بهدف دفع بريطانيا نحو الأسراع فى تحقيق المشروع الصهيونى، والتحالف معها، وفق مقولة الضغط الجابوتينسكية. وقد حدث هذا فى الوقت الذى خرجت فيه الهاجاناه على تنمية علاقات الصداقة والتعاون مع بريطانيا مدفوعة إلى ذلك بفعل سياستها التقليدية فى هذا المجال، والوعود البريطانية بخصوص تحقيق الكثير من المطالب الصهيونية عند انتهاء الحرب العالمية الثانية.

الثانى: يكمن فى الصراع الذى كان دائرا حول بسط النفوذ داخل اليشوف . ومع أن هذا العامل كان قائماً فى الفترة السابقة، وأخذ أشكالاً وتعابير له، عكست نفسها، فى أشد حالاتها، باشتباكات وأعمال خطف متبادلة، إلا أنه لم يرتق إلى الحالة التى وصل إليها خلال فترة السيزون. ففى هذه الفترة، لم يعد الحديث عن المشروع الصهيونى مغطى بضبابية الوطن القومى. وإنما أخذ يتسم بوضوح أكثر، حيث بدأ اصطلاح الدولة اليهودية يتردد على ألسنة التيارات الصهيونية جميعها كمطلب صهيونى من الدرجة الأول، وبدأ اصطلاح «الدولة فى الطريق» يتردد على ألسنة الهاجاناه. ومع اعتقاد التيارات الصهيونية بإمكانية قيام الدولة واقتراب موعد الحسم، بدأت وتيرة الصراع حول بسط النفوذ داخل اليشوف تزداد تسارعاً.

ونتيجة لتضافر هذين العاملين، وتداخلهما، إلى جانب عوامل أخرى ثانويةوصلت العلاقة بين المنظمتين المتنافستين إلى حد القطيعة، ومن ثم إلى الحرب الأهلية التى اتخذت شكل تصفية كبيرة حملت اسم السيزون.

ثم بدأت الهاجاناه حرباً اقتصادية ضد إتسل، وتمكنت من تقليص التبرعات التى تتلقاها هذه الأخيرة سواء عن طريق الفرض أو عن طيب خاطر، وزجتها، بفعل أعمال المتابعة والتعقب فى وضع دفاعى، حمل قيادتها على التفكير فى أمر واحد يتمثل فى كيفية الإفلات من هذا الوضع. وهكذا، لم يبق أمام الهاجاناه سوى إتمام التصفية.

وبعد مضى حوالى أسبوع على النداء الشهير الذى وجهه بن جوريون فى مؤتمر الهستدروت السادس، بدأت آلة التصفية تتحرك

ولم تتوقف بشكل نهائي إلا بعد مرور حوالى نصف عام. ففى فترة التصفية، كانت الأحياء اليهودية فى المدن الفلسطينية الرئيسية، مثل القدس وحيفا وتل أبيب، وبعض المستوطنات الكبيرة، تشهد منظراً جديداً ما لبث أن أصبح مألوفاً: مئات من رجال الهاجاناه يتوزعون على الشوارع الرئيسية ومفترقات الطرق حاملين قوائم بأسماء عناصر أتسل مع صور لبعضهم، ويقومون بالتدقيق فى هويات المشتبه بهم من اليهود. هذا فى الوقت الذى كانت تقوم فيه مجموعات أخرى باقتحام منازل معينة بحثاً عن المطلوبين، والذى كانت تحاصر فيه مجموعات ثانية مناطق معينة بحثا عن قيادة إتسل.. وتم خلال الأسبوع الأول من العملية اعتقال ٦٤ شخصاً.

لم تتمكن الهاجاناه من القضاء على إتسل وإن أفلحت فى توجيه ضربة شديدة مؤلمة لها، شلت نشاطها، ثم توقفت عن إتمام العملية بعد أن قطعت بها شوطاً بعيد المدى بفعل تضافر عوامل عدة، أهمها معارضة العملية، أو التحفظ على جوانب منها، من قبل معظم التيارات السياسية فى اليشوف اليهودى.

وكذلك، فإن الجمهور اليهودى لم يكن معبأ ضد إتسل كما كان عليه الوضع إبان العمل الموجه ضد إبراهام شتيرن وفريقه فى أواخر ١٩٤١ و أوائل ١٩٤٢ ، لهذا فهولم يبد تجاوباً مع أعمال مطاردة عناصر إتسل وملاحقتهم لأسباب عدة، من بينها حرص إتسل على موقفها بعدم الرد. وتحملها أعمال المطاردة الأمر الذى جعل عناصر إتسل يبدون فى نظر الكثيرين فى وضع المطاردة، مما أتى عنه

(١) أنشط أجهزة الهاجاناه.

استدرار عطف بعض الأوساط فى الييشوف اليهودى، وعدم إبداء الحماس من جانب أوساط أخرى تجاه التصفية. أضف إلى ذلك استياء الهاجاناه من شريكها المتعاون معها فى التصفية، حيث أخذت بعد مضى أشهر، تبدى امتعاضها من استغلال أجهزة الأمن البريطانية لمعتقلى إتسل.

لهذه الأسباب مجتمعة، تَوقفت عملية التصفية دون أن تصل إلى نهايتها، التى خرجت منها إتسل خائرة القوى شبه مشلولة.

جاءت نهاية عملية التصفية على شكل مؤتمر خاص فى مارس ١٩٤٥ فى مستوطنة ياغور أعلن فيه كل من «سنيه وغوالمب» عن انتهاء النشاط ضد المنشقين بعد أن شلت حركتهم. بيد أن نشاط الهاجاناه لم يتوقف كلية ضد إتسل عقب هذا المؤتمر، بل توقف نشاط البلماح فقط، وبقيت مخابرات الهاجاناه مستمرة فى عملية التصفية إلى أن كفت عنه فى أواخر مايو من العام نفسه. ووزعت الهاجاناه فى ذلك الوقت، منشوراً موقعاً باسم الشبيبة الطلائعية يعلن عن نجاحها فى القضاء على الأرهاب، واستعدادها للقضاء عليه ثانية فى حال تجدده.

وقد كان للمستجدات الطارئة على الوضع السياسى، وما استنتج ذلك من تشابه فى نظرة كل من المنظمتين تجاه الحليف البريطانى الفضل فى تخفيف التوتر بين المنظمتين، وتحسين العلاقة بينهما والارتقاء بها إلى أفضل حالاتها. ووجدت التنظيمات الثلاثة نفسها عقب التصفية تعيش حالة وحدوية بقيادة الييشوف المنظم للمرة الأولى فى تاريخها، تحت لواء حركة العصيان العبرى.

الفصل الخامس

حركة العصيان العبرى
الصدام بين الحركة
الصهيونية وبريطانيا

خامسا: حركة العصيان العبرى

١ـ الصدام بين الحركة الصهيونية وبريطانيا ووضوح الإنحياز الأمريكى.

(أ) خلفية الصدام

مثلما أسفرت الحرب العالمية الأولى بفضل نشاط قادة الحركة الصهيونية فى ذلك الحين، والتقاء المصالح الاستعمارية والصهيونية عند هذا الهدف، عن منح «بلفور» وعدا للحركة الصهيونية بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، كذلك أسفرت الحرب العالمية الثانية بعد مضى قرابة ثلاثة أعوام على إنتهائها عن ثمرة أخرى للصهيونية تمثلت فى قيام إسرائيل، وذلك بفضل النشاط المحموم للحركة الصهيونية وتشابك المصالح الصهيونية ـ الأمريكية ـ البريطانية،والجرائم النازية التى ارتكبت بحق اليهود.

ومع إنتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح بيد قادة الحركة الصهيونية سلاحان قويان لخدمة المشروع الصهيونى والإسراع فى تحقيقه هما : دماء اليهود من ضحايا النازية، والمعتقلون اليهود

والذين اقتلعوا من بيوتهم فى أماكن مختلفة من أوربا وتم جمعهم، أسوة بمعتقلين آخرين من غير اليهود، فى مخيمات خاصة تمهيدا لتنظيم حياتهم من جديد فى أوطانهم الأصلية. وقد تشبث قادة الحركة الصهيونية بالسلاح الأول فى مجال الدعوة لإقامة دولة يهودية فى فلسطين، بينما رفعوا السلاح الثانى، باعتباره موضوعا ملحا، لتسريع عملية بناء الدولة.

ومما لا شك فيه أن بصمات الجرائم النازية فى أوربا تنافس بصمات «بلفور» ، فى عام ١٩١٧ ، فى مجال خدمة المشروع الصهيونى لإقامةالدولة الصهيونية فى فلسطين، أو على الأقل تنافس فى تسريع قيام هذه الدولة.

وقد أدرك قادة الحركة الصهيونية قوة مفعول هذين السلاحين الجديدين، وجعلاهما محور نضالهم فى هذه الفترة.

ولم يدعوا فرصة، أو مناسبة، تمردون استغلالهما لخدمة هدف واضح هو: إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين.فقبل إعلان النصر النهائى على النازية، بعثت الوكالة اليهودية مستغلة مآسى اليهود فى أوربا، إلى المؤتمر التأسيسى للأمم المتحدة المنعقد فى سان فرانسيسكو فى أبريل ١٩٤٥ مذكرة تستهدف بروح خطة بلتيمور لسنة ١٩٤٢ ، طالبت المؤتمرين فيها تنبى البنود التالية:-

١- إصدار إعلان يقر بموجبه تحويل فلسطين إلى دولة يهودية.

٢- الإلغاء الفورى للقيود المفروضة على الهجرة وامتلاك الأراضى.

٣- حق الوكالة اليهودية فى إدارة شؤون الهجرة، وضرورة توفير الدعم المادى الدولى لها فى هذا المضمار.

٤- حق الوكالة اليهودية فى تمثيل اليهود فى كل مؤتمر تبحث فيه القضية الفلسطينية.

وخلال المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية، أخذت الحركة الصهيونية تراهن على القوة الأمريكية المتعاظمة وأحرزت نجاحا كبيرا فى بناء علاقات متينة مع الحزبين الرئيسيين هناك: الجمهورى والديمقراطى. وتبنت سياسة جديدة أكثر وضوحا تجاه مصير فلسطين، بمباركة الأوساط الأمريكية الحاكمة وتأييدها. ومع انتهاء الحرب، وخروج الولايات المتحدة الأمريكية منها كقوة عظمى لم تعان، سواء فى الأرواح أو الممتلكات، ما عانته بقية الدول الكبرى، أصبحت هذه الدولة ذات وزن عالمى أكبر، الأمر الذى زاد من وزن العوامل الداخلية فى تقرير سياستها العامة، وكان من بين هذه العوامل اليهود الموجودين فيها.

وأدركت الحركة الصهيونية مدى ما وصل إليه الأقتصاد البريطانى من تدهور نتيجة الحرب، ومدى إرتباطه بالأقتصاد الأمريكى الذى لم يتأثر كثيراً، بل استفاد من تحطم أو إصابة اقتصاد الدول الكبرى. واستغلت هذا الواقع لصالحها مستخدمة دعم الولايات المتحدة لها. كعامل ضغط على بريطانيا لحملها على تغيير سياسة الكتاب الأبيض.

وسط هذه الضغوط الرامية لحمل بريطانيا على تغيير سياستها وإلغاء الكتاب الأبيض، كانت هذه تمر فى مرحلة انتقال : فقد كانت

معركة الانتخابات البرلمانية بين حزبى المحافظين والعمال على أشدها.

وأسفرت المعركة فى شهريوليو ١٩٤٥ ، عن انتصار حزب العمال وتشكيله حكومه برئاسة «كليمنت أتلى» وتعيين «إرنست بيڤن» وزيرا للخارجية. ولم يكن من السهل على حزب العمال البريطانى، عقب تسلمه مقاليد الحكم، تنفيذ ما وعد به فى حملته الانتخابية، ولا حتى إلغاء الكتاب الأبيض رسميا.

وإزاء الضغوط الصهيونية الأمريكية ، كان من أولى المهام التى قامت بها حكومة العمال، تشكيل لجنة وزارية خاصة للخروج بتوصيات تهتدى بها الحكومة فى سياستها تجاه القضية الفلسطينية، ومن بين التوصيات التى خرجت بها الحكومة وأقرتها، السماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين على أن لا تتعدى ١٥٠٠ مهاجر شهريا، ناقضة بذلك الكتاب الأبيض. وحرصت الحكومة البريطانية على إطلاع قادة الحركة الصهيونية على التوصيات قبل نشرها وإعتمادها رسميا، إلا أنها لم تجد من يستجيب لها. فقد رفض رئيس الإدارة الصهيونية، «حاييم وايزمان»، عرض وزير خارجية بريطانيا بخصوص سقف الهجرة الجديد.

وقد أدلى وزير خارجية بريطانيا ببيان فى نوفمبر ١٩٤٥، وكشف البيان النقاب عن أن الحكومة البريطانية تعتزم تشكيل لجنة تحقيق بريطانية أمريكية لتقصى الحقائق والخروج بتوصيات حول الموضوعين المذكورين: يهود أوروبا والهجرة، والموقف العربى والصهيونى، تهتدى السياسة البريطانية بها.

وتشكلت لجنة التحقيق من اثنى عشر عضواً، ستة بريطانيين وستة أمريكيين، وتولى رئاستها شخصان، بريطانى وأمريكى، وتمثل الجزء الأول من نشاطها بعقد اجتماعات مطولة فى الولايات المتحدة ولندن وبعض العواصم الأوروبية مع قادة الحركة الصهيونية وزعماء الجاليات اليهودية. كما استمعت إلى شهادات أدلت بها شخصيات أمريكية وبريطانية، وزارت مخيمات المعتقلين اليهود فى أوروبا، وأطلعت على أوضاعهم وأحوالهم. أما الجزء الثانى: وهو زيارة فلسطين وبعض العواصم العربية، فقد تم فى بداية شهر مارس ١٩٤٦ حيث استمعت إلى شهادات ومحاضرات لزعماء الحركة الصهيونية وبعض الزعماء الفلسطينيين والعرب وعدد من الشخصيات البريطانية.

وفى العشرين من أبريل ١٩٤٦ أصدرت لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية تقريرا يتضمن عشر توصيات، أهمها التوصية الثانية التى طالبت بالتصديق الفورى على السماح لمئة ألف يهودى من «ضحايا المطاردات النازية والفاشية»، بدخول فلسطين، على أن تتم هجرة هؤلاء خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٤٦ . وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية بشكل عام ، جاء فى التوصية هذه :«أن الهجرة الحقيقية ستتقدم بسرعة طالما تسمح الظروف بذلك». وكذلك التوصية الثالثة التى ركزت على ضرورة عدم تحول فلسطين إلى دولة يهودية، أو دولة عربية ومع الحرص على عدم «سيطرة اليهودى على العربى أو سيطرة العربى على اليهودى». وأوضح التقرير ، فى التوصية الرابعة، طبيعة الفترة الانتقالية . إذ دعت هذه التوصية إلى استمرار

الانتداب البريطاني في فلسطين «إلى أن يستأصل هذا العداء» وإلى حين توقيع اتفاقية وصاية بإشراف الأمم المتحدة. أما التوصية السابع، فقد دعت إلى إلغاء قوانين الأراضي لعام ١٩٤٠ .

وكان الأمريكيون هم الطرف الوحيد الذى أعلن عن سروره واغتباطه بالنتائج التى توصلت إليها اللجنة. ولم يدع الرئيس الأمريكى الفرصة تفوته دون إصدار بيان، عقب صدور التوصيات، يعلن فيه «إننى سعيد للغاية لموافقة لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية على طلبى الخاص بإدخال مئة ألف يهودى فورا إلى فلسطين .. كما أننى مسرور لكون اللجنة أوصت بالفعل بإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩، بما فى ذلك القيود على الهجرة وامتلاك الأراضى، لكى يتمكن الوطن القومى اليهودى من الإستمرار والتطور».

على الرغم من أن البيان أحدث ثغرة كبيره فى سور الكتاب الأبيض ، وذلك بإنتهاكه ركيزتين أساسيتين فيه هما : ركيزة الهجرة، حيث سمح بهجرة ١٥٠٠ يهودى شهريا على الرغم من أن الهجرة اليهودية كانت قد استنفذت جميع ما خصص لها من تصاريح (٧٥ ألف تصريح) وفق الكتاب الأبيض، وركيزة التعهد بإقامة دولة عربية فى فلسطين، بإعلان بيفن عن اعتزام حكومته وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وعلى الرغم من أن قادة الحركة الصهيونية، مثل «وايزمان» و«بن جوريون» «وشاريت»، كانوا على علم مسبق بنوايا حكومة العمال وتوجهاتها السياسية، إلا أنهم أصيبوا إلى جانب الييشوف اليهودى بخيبة وخذلان من إعلان السياسة البريطانية على الملأ. وقد اتسمت ردود فعل الوسط اليهودى

فى فلسطين بالغضب والسخط ضد «خيانة» حكومة حزب العمال للوعود السابقة.

(ب) بوادر العصيان العبرى:

وأخيراً أخذت قيادة الهاجاناه تعد مشروع خطة للنضال ضدالسياسة البريطانية، تعتمد على دمج النشاط العسكرى بالعصيان المدنى دون الحاق الأذى بأرواح أفراد الخصم. وترتكز هذه الخطة على ثلاث مراحل عمل تخدم هدفا استراتيجيا واحدا هو حماية الهجرة والاستيطان. وهذه المراحل الثلاث التى تعد بمثابة خيارات عمل أمام السياسة هى :

١- القيام بمظاهرات فى المدن ترتبط بموضوعى الهجرة والاستيطان، مع إبداء مقاومة سلبية ونشطة لأعمال التفتيش، والتعرض للزوارق وأجهزة الرادار.

٢- االقيام بعمليات ضد شبكة الاتصالات وقوات الشرطة والمخابرات.

٣- القيام بعمليات ضد أهداف عسكرية هامه كالمعسكرات والمطارات وأنابيب النفط.

وعلى الرغم من أن حكومة العمال البريطانية، أقدمت على إحداث ثغرة كبيره فى سور الكتاب الأبيض، إلا أن هذه الثغرة لم تكن بالمقدار الذى يمكن لهذا النشاط التوقف عنده.

ووسط التباين من وجهتى النظر البريطانية والصهيونية، أخذ الفريق الصهيونى ينشط فى تبنى سياسة جديده تعتمد على توجيه

الضغوط السياسية المشفوعة بمظاهر عسكرية ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين. وقد ساعدت عوامل أربعة، اثنان منها خارجيان أما الآخران فداخليان على انتهاج هذا الخط الجديد.

١ - التأييد الأمريكى:

بلغ الدعم الأمريكى للمشروع الصهيونى فى هذه الفترة أوجهه، فقد تسابق الحزبان الرئيسيان هناك على إعلان تعاطفهما الشديد مع الصهيونية، واتخذ مجلس الشيوخ والنواب، مع ظهور حركة العصيان، قرارا مؤيدا للصهيونية.

أضف إلى ذلك نشاط الرئيس ترومان تجاه قضية الهجرة اليهودية، والموقف الشهير لسلفة الرئيس «هوفر» الداعى إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين وتهجير سكانها العرب إلى العراق.

وبمقدار ما شكل هذا الدعم من حالة ضغط على بريطانيا، فإنه شجع قادة الحركة الصهيونية على اتخاذ النقلة الجديده فى الموقف من الحكومة البريطانية.

٢- الحرج البريطانى إذ كان الفريق الصهيونى يدرك تماما مدى الحرج الذى يحيط برد الفعل البريطانى على إعلان التمرد أو العصيان، آخذت بعين الاعتبار المجازر التى ارتكبت بحق اليهود على يد النازية، والضغوط الأمريكية والصهيونية. وكذلك التماثل فى المصالح الجوهرية للطرفين.

٣- وجود شخصيات من الفريق «النشط» فى التيار الصهيونى على رأس الهاجاناه.

٤ـ تخوف الهاجاناه من ازدياد نفوذ كل من إتسل وليحى فى الوسط اليهودى، فى حال مواصلة سلطات الييشوف المنظم انتهاج سلاح الاحتجاج اللفظى، خاصة وأن المنظمتين المنافستين، كانتا قد أخذتا تنشطان عسكريا تحت مظلة الحملة السياسية الصهيونية وتلقيان أذنا صاغية داخل الييشوف اليهودى.

٢ـ محاولات الوحدة بين المنظمات المسلحة: ـ

شكلت ليحى، صغرى التنظيمات الصهيونية، حلقة وصل بين التنظيمين المتنافسين: الهاجاناه وإتسل. وقد كان لضغوط الهاجاناه عليها، وتخوفها من احتمال افتقادها لإطارها التنظيمى، فضل فى دفعها للقيام بدور حلقة الوصل، وإبداء نشاط ملموس فى هذا المجال.

تمكنت ليحى من الإفلات من عملية التصفية بفضل «الاتفاق السرى» الذى أبرم بينها وبين الهاجاناه، عقب مصرع اللورد موين فى القاهرة. واستغلت المنظمة هذه الفترة التى عاشت فيها تحت كنف الهاجاناه، لإعداد عناصرها فى دورات تدريبية. وقطعت شوطا كبيراً فى هذا المجال ولا سيما فى ميدان تطوير جهازها للمخابرات. ومع انتهاء فترة التصفية وانتهاء الحرب العالمية، وبدء الييشوف المنظم بحملة سياسية محمومة، واستعداد الهاجاناه للعمل عسكريا لإعطاء ثقل للحملة السياسية، أخذت أنظار قيادتها تصبو نحو ليحى لإدخالها فى توجهها الجديد لإضفاء صفة الشمولية على النضال العسكرى. من أجل هذا الغرض، جرت اتصالات عده بين «موشى سنيه» و«يسرائيل غليلى» و«ناتان يلين مور» بهدف تحقيق وحدة المنظمتين تحت عنوان التصدى للسياسة البريطانية،

ومعارضتها لاستئناف نشاط إتسل، وتعاونها، حتى فى ذلك الوقت، ولو بشكل مخفف، مع سلطات الانتداب ضدإتسل، فإنها اكتفت باستمرار الحوار الوحدوى مع ليحى.

على ضوء مسار العلاقة بين الهاجاناه وليحى، وما يحمله هذا من ضغوط على المنظمة الصغيرة التى راحت تسعى محاولة تكييف نفسها مع الأوضاع المستجدة، وتأكيد ذاتها واستقلالها، تحركت ليحى ومدت يدها نحو إتسل بعد أن كانت الاتصالات قد انقطعت بينهما عقب مصرع اللوردموين، طارحة عليها فكرة تكتل المنظمات الثلاث إلى مستوى الوحدة فى حال ارتقاء وتيره النضال ضد السياسة البريطانية بغية دفع الحكومة البريطانية إلى انتهاج سياسة موالية أكثر للصهيونية.

وتوصلت التنظيمات الثلاثة، فى نهاية الأمر، وبعد لأى، إلى اتفاق حول ضبط العمليات العسكرية وتنسيقها بقيادة حركة العصيان العبرى. واتفقت الأطراف على إبقائه شفهية ولم تقم بصياغته كتابة.

عكست الاتفاقية المتسمه بالفضفاضية والغموض العلاقات بين التنظيمات الثلاثة، إذ أنها حاولت التوفيق بين سعى الهاجاناه لإخضاع التنظيمين الآخرين لسلطة اليشوف المنظم «البند الثالث» وسعى كل من إتسل وليحى للحفاظ على وجودهما المستقل وتأكيده «البند السادس» ومن الجدير بالذكر أن البند الخاص بالاستيلاء على الأسلحة والحصول على الأموال وإطلاق سراح المعتقلين «البند السادس» كان مثار خلاف شديد بين الطرفين، ولم توافق عليه الهاجاناه إلا بعد مداولات واقتراحات مضادة من بينها اقتراح يدعو إلى فتح خزينة الهاجاناه ومستودعاتها أمام التنظيمين. وهذا مالم تكن

الهاجاناه لترضاه إطلاقا، مما إضطرها إلى رفع اعتراضها عن مسألة الحصول على الأسلحة والأموال وبذلك، أمكن التوفيق بين موضوعى الهيمنة والاستقلالية.

٣ـ طبيعة حركة العصيان العبرى:

إن حركة العصيان العبرى التى ضمت تحت سقفها التنظيمات الصهيونية الثلاثة، والتى اختارت الوكالة اليهودية وقيادة الهاجاناه اسمها، لم تكن ثورة أو تمرداً ضد الوجود البريطانى الاستعمارى فى فلسطين. وليس من العبث تعمد القائمين عليها اختيار صفة «العصيان» دون التمرد أو الثورة.

ولم يكن فهم إتسل مغاير لفهم قادة الهاجاناه ووسائل إعلامها تجاه الاستعمار البريطانى، وإن كانت ، بفعل ضغوط الظروف، وممارستها لإعلان«التمرد» وما استتبع ذلك من ردود فعل بريطانية قد أخذت تتجاوز فى بعض الأحيان نظرية الضغط الخاصة. أما ليحى ذات الفهم «المعلن» المغاير للطبيعة الاستعمارية لبريطانيا. فقد سارت، طوال فترة حركة العصيان، وفق فهم كل من الهاجاناه وإتسل، وغضت الطرف عن فهمها «المعلن» بيد أن السؤال الذى يطرح نفسه هو كيف تناضل الحركه الجديدة ضد قوة أجنبية لا ترى فى بقائها ما يتناقض مع أهدافها، بل وترى فيها قوه وسنداً لها، وتعتبر جنودها حلفاء لها ؟

وبرز داخل اليشوف اليهودى، وكنتيجة لطبيعته كمجتمع مهاجرين ومستوطنين فى طور التكوين لم تسمح له درجة التطوير التى بلغها الاستغناء عن القوة الاستعمارية التى احتضنته على الرغم

من تعارضه معها، فريقان يحملان أسلوبين للمواجهة: أنصار «النضال المرتبط» وأنصار «النضال المتواصل».

(أ) النضال المرتبط:

ينطلق أصحاب هذا الفريق من الإدعاء القائل بأن ليس بمقدور التجمع اليهودى الإستيطانى الصهيونى فى فلسطين مواجهة بريطانيا والاشتباك مع قواتها، اعتقادا منهم بأن الاشتباك الحقيقى سيؤدى. فى نهاية الأمر إلى إضعاف الييشوف وتدميره. لذا فهم يرون ضرورة ارتباط النضال بمشاريع حيوية للمشروع الصهيونى فى حددوها بثلاثة هى:

الهجرة والاستيطان ، نمو القدره العسكرية فى إطار الهاجاناه. فإذا ما تصدت سلطات الانتداب لهذه المشاريع، أو لأحدها يجب، حينذاك، فقط النضال والتصدى للقوة المباشرة التى تحاول المساس بها، أو بأحدها، مع الحرص على تقليص الخسائر البشرية فى أى صدام.

(ب) النضال المتواصل:

ينطلق أصحاب هذا الفريق من وجهة النظر القائلة أن النضال ضد السياسة البريطانية هو بحد ذاته ضرورة سياسية، إذ أنه يستهدف تغيير السياسة البريطانية برمتها لصالح المشروع الصهيونى. لذا لا يمكن ربطه أو تقييده بالمشاريع الصهيونية آنفه الذكر.

٤- تصاعد حركة العصيان:

عقب إعلان وزير الخارجية البريطاني بيانه الشهير الذى هز الييشوف اليهودى فى الصميم ، وتسبب فى حدوث مظاهرات ومسيرات احتجاجية فى الوسط اليهودى. كان على حركة العصيان أن تتحرك لتغيير السياسة البريطانية المعلنة، فقررت توجيه ضربة ضد محطتى شرطة لعلاقتهما بمنع التسلل من المهاجرين اليهود إلى فلسطين.

ولم يكن أمام السلطات البريطانية إزاء الخسائر فى الأرواح، مناص من تصليب موقفها تجاه كل من إتسل وليحى، فألقت القبض على أعداد من مناصريهما، ونفت ٥٥ شخصا منهم إلى أرتيريا.

عقب التصلب فى موقف سلطات الانتداب البريطانية تجاه الصهيونية، واتخاذ الأولى بعض الإجراءات التشريعية ضد الأخيرة، رأت قيادة حركة العصيان العبرى وقف النشاط العسكرى لفترة استغرقت قرابة شهرين، استغلتها إتسل وليحى فى القيام بأعمال السطو على الأسلحة، والأموال، استنادا إلى البند السادس فى اتفاق «حركة العصيان».

بعد هذه العمليات ومع وصول اللجنة البريطانية- الأمريكية، وفى أوائل مارس ١٩٤٦ ، أمرت الوكالة التنظيمات المنطوية تحت لواء حركة العصيان بوقف نشاطها طوال فترة مكوث اللجنة فى فلسطين، باستثناء أنشطة صغيرة وافقت عليها تتعلق بموضوعى، الهجرة والاستيطان . مثل قضية مستوطنة بريا والهجرة «غير الشرعية»، لا

تصل حدتها إلى الدرجة التى يجد البريطانيون أنفسهم مضطرين للتحرك دفاعا عن أرواحهم.

وإبان الاتصالات فى وجود اللجنة البريطانية - الأمريكية تعهد الطرف الصهيونى الحفاظ على الأمن ، بيد أنه رفض، وبشكل قاطع عملية تجميع الأسلحة من اليهود، بحجة أن تنفيذ التوصيات سيواجه بمقاومة من العرب وليس من اليهود. ووقف البريطانيون عند هذه النقطة بالذات، أى مقاومة العرب التى تتطلب بناء على تقديرات قيادة أركان الجيش البريطانى، إرسال فرقة إضافية إلى فلسطين وسفك مزيدمن الدماء، إلى جانب وقوفهم عند الأعباء المالية التى يتكلفها مشروع نقل مئة ألف شخص، ومطالبتهم بتحمل الولايات المتحدةنصيبها من هذه الأعباء.

وفى نهاية الأمر، استقر الموقف البريطانى، وسط المفاوضات التى أجريت مع الفريق الصهيونى والاتصالات التى تمت مع الولايات المتحدة، وإزاء مختلف الضغوط، على تشكيل لجنة بريطانية أمريكية ثانية لدراسة سبل تطبيق توصيات اللجنة السابقة. وقد عرفت هذه اللجنة باسم، «لجنة موريسون - جرايدى» نسبة إلى إسمى رئيسيها اللورد هربرت موريسون البريطانى، والسفير هنرى جرايدى الأمريكى، وتوصلت اللجنة الجديده إلى مشروع خطة جديدة، طرحته أمام البرلمان البريطانى فى أواخر شهر يوليو ١٩٤٦ ويتلخص فى تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق:

منطقة يهودية، وأخرى عربية تحكمان محليا، ومنطقتان أخريان: القدس والنقب تخضعان لحكم بريطانى مباشر، على أن تخضع

المناطق الأربعة لحكومة مركزية. وتضمن المشروع حل قضية هجرة المئة ألف بادخالهم، خلال عام، إلى المنطقة اليهودية.

مع تبلور المشروع بتشكيل اللجنة الجديدة، كانت العلاقات البريطانية الصهيونية قد عادت إلى سابق تأزمها، وسط حملة صهيونية محمومة، موافقة بضغوط أمريكية ضد سياسة حكومة العمال، ومشفوعة بمظاهرات يهودية ضخمة فى الولايات المتحدة. إزاء هذا الوضع، كان لابد من عودة حركة العصيان إلى سابق نشاطها، لإعطاء ثقل للحملة السياسية.

وقد تحكمت طبيعة العلاقة القائمة بين الاستعمار البريطانى والمشروع الصهيونى بردود فعل سلطات الانتداب البريطانية على نشاط حركة العصيان العبرى، إلى جانب عوامل خارجية أهمها، تنامى وزن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة وما يستتبع ذلك من ضغوط ثقيلة على السياسة البريطانية، وكذلك تعرض اليهود فى أوروبا للمجازر النازية.

لذا كانت ردود الفعل، طوال فترة حركة العصيان، تتسم بالليونة المفرطة إذا ما قيست بردود الفعل الدارجة والمألوفة لقوات إحتلال ضد أية حركة تحرر وطنى لشعب محتل. وقد اقتصرت هذه الردود على إقامة حواجز فى بعض الطرقات بحثا عن المشبوهين، وعلى مداهمة بعض المستوطنات والأحياء دون إخضاعها لتمشيط دقيق.

ومع نفاد صبر القوات البريطانية قامت بعملية حاسمة، ففى صبيحة السبت ٢٩ يونيو ١٩٤٦، نفذت قوات بريطانية كبيره يقدر

عددها بـ ١٧ ألف رجلا أول ضربة من نوعها ضد قيادة الوكالة اليهودية وحركة العصيان. لم تفاجأ قيادة الهاجاناه بالعملية وإن كانت قد ارتبكت حيالها. فقبل يوم من البدء بالتنفيذ، اتصل أحد كبار الضباط البريطانيين من المتعاطفين مع المشروع الصهيوني بالهاجاناه وأبلغها بتفاصيل الخطة الواسعة النطاق التي كان من المقرر لها أن تبدأ مع الفجر.

مع فجر السبت،اقتحمت قوات كبيره، في كل من القدس وتل أبيب، المؤسسات التابعة للوكالة اليهودية، واحتلت مقر الوكالة، واستولت على وثائقها للبرهنة على دورها في قيادة حركة العصيان. كما اعتقلت عددا من أعضاء الوكالة «موشي شاريت» رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية.

وشملت أعمال التفتيش، إلى جانب التجمعات اليهودية في المدن، قرابة ٢٧ مستوطنة يهودية. وبلغ العدد الإجمالي للمعتقلين اليهود من جراء العملية، حوالي ٢٧٠٠ شخص من بينهم حوالي مئتي عنصر من قوات البلماح. اقتيدوا جميعهم إلى عدد من المعتقلات.

وسط أجواء الذهول التي ألمت باليشوف اليهودي من جراء العملية، أخذت مواقف التيارات الصهيونية المختلفة تتباين حول الموقف من البريطانيين، وتمحورت حول وجهتي نظر، تدعو الأولى إلى مواصلة النضال وفق نهج حركة العصيان، والتفت حولها الفئات المختلفة من الأحزاب الصهيونية، ومثلها «بن جوريون» - كان خارج فلسطين - الذي شن حملة شعواء ضد ما أسماه بـ «مجزرة يوم السبت» وأعرب عن اعتقاده أن المجزرة الجسدية التي جرت هذا الأسبوع ..

جاءت كنتيجة مباشرة للمجزرة السياسية لسلطات الأنتداب التى مضى عليها، حتى الآن، سبع سنوات... وهى المسؤولة... عن موت عشرات الألوف من أبناء إسرائيل وأطفال إسرائيل الذين قتلوا إبان الحكم النازى.

٥- نهاية حركة العصيان العبرى: -

(أ) ظهر يوم ١٢ يوليو ١٩٤٦، حدث، وفق خطة أعدها «عميحاى باجلين» عن إتسل وساهم فيها «إسحاق ساديه» عن الهاجاناه، إنفجار فى فندق الملك داوود فى القدس أدى إلى انهيار القسم الجنوبى منه وإلى وقوع خسائر كبيره فى الأرواح.

وضعت، حسب الخطة، مواد ناسفة زنتها ٣٥٠ كج مع جهازين للتفجير أحدهما خاص بالتوقيت بحيث يحدث الانفجار عقب مضى نصف ساعة على تشغيل الجهاز، والآخر معد لإفشال أية محاولة لإبعاد الموادالمتفجرة عن المكان أو حل جهاز التفجير. وتأجل موعد تنفيذ الخطة أكثر من مرة لمطالبة الهاجاناه بذلك من جهة، ومطالبة ليحى، من جهة أخرى، بمزيد من التنسيق بين العملية التى تعتزم إتسل تنفيذها والعملية التى كان من المقرر أن تقوم بها مجموعة تابعة لها ضد مبان حكومية قريبة من فندق الملك داوود، فى وقت واحد.

كان صدى العملية، بين صفوف الجمهور اليهودى فى فلسطين، مشوبا بالإستياء والخوف من ردود الفعل المحتملة. وأصبح اليشوف اليهودى يعيش، من جديد، تحت ظلال أزمة شبيهة بتلك التى

أعقبت مصرع اللورد موين فى القاهرة، ولم يكن بوسع نجاح العملية رفع الروح المعنوية التى أخذت بالتدهور تخوفا مما يحمله هذا النجاح، بين طياته، من احتمالات خطره للمشروع الصهيونى.

أما قيادة الهاجاناه، فقد واجهت العملية بالدهشة والارتباك بسبب الخسائر الكبيره التى وقعت فى الأرواح، ووجدت نفسها تمر فى وضع يعيد إلى الأذهان، فى بعض جوانبه الوضع الذى إجتازته إتسل فى علاقتها مع ليحى عقب مصرع اللورد موين فى القاهرة.

خلافا لردود الفعل المرتبكة لقادة الهاجاناه كانت ردود فعل قادة المؤسسات الصهيونية، (الوكالة اليهودية واللجنة القومية والهستدروت)، تتسم بالتنديد الواضح الصريح، مع تحميل «المنشقين» مسئولية ما أسمته بـ، «العمل الإجرامى» فى القدس، فقد أعرب قادة هذه المؤسسات وكذلك رؤساء البلديات اليهودية فى بيان غداة اليوم الثانى للعملية، عن «استيائهم للعمل الشنيع الذى لا مثيل له، ونفذته «عصابة مجرمة».

كتلخيص لما سبق، يمكن القول أن تبعات عملية فندق الملك داوود على التنظيمات الصهيونية والعلاقات القائمة فيما بينها كانت خطيره. فقد أدت إلى خلق أزمة وخلخلة فى قيادة الهاجاناه، إنعكستا فى إستقالة زعيمها «موشى سنيه»، كما أنها أعادت العلاقات بين التنظيمات «الهاجاناه فى وجه المنشقين» إلى سابق عهدها، حيث أخذت تتبادل التهم القاسية التى كانت تصل إلى درجة التخوين وسط دعوات التصفية، الأمر الذى أثر على أسس حركة العصيان العبرى وعصف بها، وأفرغها من محتواها ومضمونها.

عقب عملية فندق داوود وما أسفرت عنه من خسائر فى الأرواح، أخذت سلطات الانتداب البريطانية تنشط للجم نشاط التنظيمات الصهيونية، وأعدت خطة لمحاصرة تل أبيب وإخضاعها لحملة تفتيشية واسعة النطاق.

ومهدت لذلك بإتخاذها خطوتين، الأولى موجه إلى الرأى العام، والثانية إلى القوات البريطانية المرابطة فى فلسطين. فقد أصدرت الحكومة البريطانية، عقب مضى يومين على عملية الفندق «كتابا أبيض» يتضمن إثباتات وبراهين على العلاقة القائمة بين الوكالة اليهودية وما أسمته بالنشاط الإرهابى فى فلسطين وعلى قيادة الوكالة لهذا النشاط.

وجاءت الخطوة البريطانية الثانية على شكل تعميم داخلى وجهه اللفتنانت جنرال باركر، القائد العسكرى الجديد للقوات البريطانية، إلى ضباط جيشه، وعدهم فيه بالأنتقام لضحايا عملية فندق الملك دواود وسائر العمليات الأخرى. وجاء فى التعميم الذى تسرب إلى يد مخابرات إتسل والذى نشرته هذه بدورها، على الملأ عبر إذاعتها السرية، والذى تلقفته وسائل الإعلام الصهونية فى الخارج وعممته، بدورها، باعتباره وثيقة «لا سامية» إن «الطائفة اليهودية فى البلاد ليس بوسعها التنصل من مسؤلية سلسلة الفظائع التى وصلت إلى ذورتها بتفجير جزء كبير من مكاتب الحكومة فى فندق الملك داوود.

(ب) فى صبيحة ٣٠ يوليو ١٩٤٦ أى عقب مضى أسبوع على عملية الفندق نفذت سلطات الأنتداب عملية ضد مدينة تل أبيب التى تحتضن ثلث عدد المستوطنين اليهود فى فلسطين، أطلقت عليها اسم

(سمك القرش) اشترك فيها أكثر من عشرين ألف جندى بريطانى. وقد استهدفت العملية إلقاء القبض على أكبر عدد من مسؤولى التنظيمات الثلاثة، وكشف مستودعات الأسلحة التابعة لها. وقد عمد البريطانيون فى تصريحاتهم وتوضيحاتهم عند البدء بالتنفيذ، إلى التمييز بين الهاجاناه وكل من إتسل وليحى.

ففى حديث صحافى لقائد الحمله البريطانية، أكد هذا على أن العملية «ليست موجهة ضد الهاجاناه، وإنما هى بمثابة خطوة .. لتصفية «العصابات الإرهابية».

وخلال الضربة البريطانية الثانية، كانت حركة العصيان العبرى تلفظ أنفاسها الأخيره. فقد كانت الهاجاناه، العمود الفقرى للحركة، قد أوقفت نشاطها عقب الضربة الأولى المعروفه بـ «السبت الأسود» بناء على تعليمات قيادة الوكالة اليهودية، وتمسكت بالتعليمات عقب الضربة الثانية. واعتبر التنظيمان الآخران، شريكاها فى الحركه، هذا التوقف فى أدبياتهما الصادرة فى ذلك الحين، بمثابة خنوع واستسلام وفى بعض الأحيان خيانة.

بينما رأى أحد قادة إتسل «شموئيل كاتسى»، فى مذكراته عن تلك الحقبة - ويبدو تحت تأثير الرواسب القديمة - أن وقف نشاط حركة العصيان، غير ذلك، إذ أنه لم يعتبره استسلاما اعتقادا منه أن «العصيان» الذى أجمعت عليه التنظيمات الثلاثة لم تصل إلى مرتبة العصيان وذلك بطرحه فى سياق تقييمه للحركة، تساؤلا ورداً : «كيف يمكن للوكالة اليهودية توضيح استسلامها وتبريره حيال أول طلقة نارية بريطانية جاده؟ الأمر بسيط لم يكن هناك استسلام ، فحقيقة، الأمر أنه لم يكن هناك عصيان أبداً».

وبذلك انتهت مرحلة اللقاء الوقتى ، لتفتح المجال أمام مرحلة أخرى عادت بالعلاقات بين التنظيمات إلى سابق عهدها، ومهدت الطريق أمام «سيزون» آخر، قلل من حجمه وحدته اقتراب ساعة حسم مستقبل فلسطين.

الفصل السادس

مشروعات التقسيم وقيام الدولة الصهيونية

سادساً: مشروعات التقسيم وقيام الدولة اليهودية

١ـ مشروعات التقسيم:

أ ـ أصبح من الواضح عقب معارضة طرفى الصراع لمشروع «موريسون ـ جرايدى»، وتباين موقفيهما تجاهه، أن القضية الفلسطينية أخذت تنعطف وتشق طريقها نحو التدويل ولم يكن هذا الأنعطاف حاداً، فقد حدث فى أعقاب محاولة أخيرة للجمع بين الطرفين تمثلت فى الدعوة البريطانية لعقد مؤتمر لندن فى مطلع سنة ١٩٤٧ .

سارت المفاوضات التى كانت تدور بين الطرفين فى دائرة مغلقة، ردد فيها الطرفان الأساسيان موقفيهما المتناقضين تجاه مستقبل فلسطين، الأمر الذى دفع وزير خارجية بريطانيا إلى إخراج آخر ما فى جعبته: مشروع جديد مع إشهار سيف التهديد بالتدويل. ويعد مشروع بيفن بمثابة نسخة معدلة لمشروع موريسون ـ جرايدى استبدل بموجبه نظام الأنتداب بنظام وصاية بريطانية لفترة خمسة أعوام تقام بانتهائها دولة فلسطينية فدرالية بموافقة الطرفين. وفى حال تعذر الموافقة تطرح القضية على بساط البحث فى الأمم المتحدة.

إزاء تعثر المفاوضات أعلنت بريطانيا فى أواسط فبراير سنة ١٩٤٧ عن اعتزامها إحالة القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة، وبدأ الانعطاف هذا يشق طريقه بشكل جلى فى أوائل مارس من العام نفسه، وذلك عندما تقدمت بريطانيا بطلب إلى الأمم المتحدة تدعو فيه إلى عقد جلسة طارئة للجمعية العامة بغية انتخاب لجنة خاصة، من بين صفوفها لدراسة القضية الفلسطينية، وتقديم توصيات إلى الجمعية فى دروتها الإعتيادية المقبلة. وعادت ثانية، فى أوائل شهر أبريل، وبعثت بالاقتراح نفسه إلى السكرتير العام للأمم المتحدة.

عشية إنعقاد الدورة العادية للجمعية العامة فى سبتمبر وخلال مناقشتها لتقرير اللجنة وسط أجواء الترقب الصعبة، أعلنت بريطانيا، على لسان أكثر من مسئول، عن اعتزامها إجلاء قواتها من فلسطين. ولم يكن فى هذا الإعلان، ما يثلج صدر قادة التيارات الصهيونية وتنظيماتها المسلحة؛ إذ أنهم عدوا الجلاء، فى هذا الوقت المبكر، يتنافى والمسعى الصهيونى الثابت والرامى إلى استمرار التواجد البريطانى العسكرى فى فلسطين، إلى أن تصبح الجالية اليهودية أكثرية فيها، أو إلى أن تصل إلى تلك الدرجة من القوة التى تمكنها من إقامة الدولة اليهودية وتحول دون أى خطر يهددها من السكان الأصليين. وجاء الأعلان قبل أن يتم التيقن من توافر ضمان لتحقيق أى من الشرطين، مما آثار تخوفات على مصير المشروع الصهيونى.

وبعد حوالى شهرين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعاً خاصاً صوتت فيه على مشروع التقسيم الذى نال ٣٢ صوتا مقابل معارضة ١٣ صوتا وامتناع عشرة عن

التصويت وبذلك ، نال ثلثى الأصوات، واستقبل بفرحة غامرة من قبل الأوساط الصهيونية العالمية التى لم تعادلها إلا فرحة الأعلان عن قيام الدولة فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . ولم يكن بوسع معارضة كل من إتسل وليحى المعلنة للتقسيم تعكير أجواء الفرح العارم التى واجهتها أجواء من المرارة والسخط بين صفوف السكان الأصليين أهل البلاد الشرعيين.

(ب) فى هذه الفترة، أقدمت قيادة الهاجاناه على وضع مهمة أساسية نصب أعينها وقد تمثلت هذه المهمة بالعمل على ترسيخ الخوف من الخطر المرتقب المتمثل فى العرب فى أذهان الأعضاء وتضخيمه والتهويل من شأنه. وقد كان هذا نتيجة لحملة من العوامل المتضافرة هى: إحساس قيادة الهاجاناه بعدم إيلاء اليبشوف اليهودى كبير أهتمام لإمكانية التصادم مع السكان الأصليين بسبب الفترة الطويلة من الهدوء (حوالى ثمانية أعوام) التى سادت العلاقة بين السكان العرب والتجمع الاستيطانى الصهيونى. وتوجيه أنظار اليبشوف خلال فترة العصيان، نحو معاداة السياسة البريطانية، فى الوقت الذى كان فيه التنظيمان الأخران يواصلان، من خلال وسائل أعلامهما، التركيز على معاداة الإدارة البريطانية، أو الاستعمار البريطانى والتقليل من شأن العرب واعتبارهم حليفا محتملاً، وسط أجواء الأقتتال الداخلى واحتمال نشوب لهيب حرب أهلية.

وقد لعب «بن جوريون» دوراً أساسياً فى رسم هذه المهمة، ففى أواخر يونيو ١٩٤٧ ، بعث بتعليمات إلى قيادة الهاجاناه أكد فيها على الخطر العربى المستقبلى بالنسبة للمشروع الصهيونى.

ولم تكن هذه العملية معزولة عن الجو العام للوضع الذى وصلت إليه التنظيمات الصهيونية تجاه السكان العرب، وعلى رأسها الهاجاناه التى أرادت إطفاء الحرائق فى الوسط اليهودى عن طريق إشعالها فى المحيط العربى. ولعل التناقض القائم بين رغبة قائد ليحى فى تمديد الوجود البريطانى فى فلسطين وبين تخوفه من احتمال تغير الظروف الدولية فى حال التمديد لغير مصلحة المشروع الصهيونى، فيها ما يفسر مشاركة ليحى للهاجاناه فى مسلسل الجرائم البشعة التى نفذت ضد السكان العرب. وذلك على الرغم من ادعائها بمناهضة الاستعمار ورفعها شعارالأخوة العربية اليهودية.

٢ـ الصدام العربى الإسرائيلى

(أ) ـ تركزت الاشتباكات الأساسية فى بداية الحرب داخل المدن المختلطة وفى ضواحيها، وانتهجت التنظيمات الصهيونية، إلى جانب أسلوب القتال الثابت، أسلوب «أضرب وأهرب».

وقد أخضعت الهاجاناه نشاطها العسكرى، فى المراحل الأولى فى الحرب، لخدمة تنفيذ قرار التقسيم، بينما هدف التنظيمان الآخران، فى نشاطاتهما العسكرية، إلى توسيع حدود الدولة المقترحة، ووضعا، ولاسيما إتسل، خططاً طموحة لخدمة هذا الهدف ، فقد انهمكت إتسل فى محاولة لتوسيع صفوفها وبناء جيش نظامى مواز للهاجاناه. وعبر قائدها بيجن (نوفمبر ١٩٤٧) عن ذلك بقوله: على «إتسل أن تتحول خلال فترة قصيرة من جسم عسكرى سرى مقلص إلى جيش نظامى يأخذ على عاتقه مهمة نقل الحرب إلى خارج حدود التقسيم».

وبناء على ذلك، أعدت المنظمة خطة استراتيجية تعتمد على احتلال مناطق عربية خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة ووضعت نصب عينيها تحقيقها. والمناطق التى تشملها الخطة هى :-

١ - القدس ٢- يافا ٣ - اللد والرملة ٤ - المثلث (نابلس، جنين، طولكرم) .

لم تكن قدرة إتسل العسكرية تتلاءم مع خططها الطموحة، لذا، لجأت إلى أسلوب «الضرب والفر» معتمدة على ما يحدثه هذا الأسلوب من أثر نفسى لدى الخصم، ومن بين ما قامت به، على سبيل المثال، دخول عناصرها فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٧ ، القدس العربية وإلقائهم مواد متفجرة وسط التجمعات العربية أودت بحياة عشرة من العرب وألحقت إصابات بالعشرات، ودخول عدد من العناصر يافا بزى عربى، وإلقائهم قنبلة فى أحد المقاهى مما تسبب بمصرع ستة أشخاص وإصابة عدد كبير بجراح. وفى حيفا، ألقت مجموعة من عناصرها قنبلة على حشد عمالى عند معامل تكرير البترول فى المدينة، أسفر انفجارها عن مصرع ستة عمال عرب وإصابة عدد منهم بجراح.

ولم تختلف عمليات ليحى عن عمليات إتسل ، وإنما نافستها فى هذا النوع من النشاط الأرهابى المتمثل بزرع القنابل الموقوته وإلقاء المواد المتفجرة بين التجمعات العربية.

لم تكن الهاجاناه بعيدة عن هذا الأسلوب، وإن انتقدته، فقد نفذت عمليات كثيره مشابهة فى إطار ما أسمته بالعمليات الانتقامية

مستخدمة أسلوب نسف البيوت وحرقها. ويمكن القول أن التنظيمات الصهيونية واجهت المرحلة الأولى من الحرب العربية الإسرائيلية التى انعكست بتبادل إطلاق النار فى المدن المختلفة، وبالسيطرة على طرق المواصلات، بأسلوب متقارب تميز باستناده على الأرهاب وفق طريقة «أضرب وأهرب» واستهدافه إدخال الرعب بين صفوف السكان العرب بغية دفعهم إلى الرحيل. وقداختلفت الهاجاناه، فى هذه الفترة، فى نشاطها العسكرى، عن التنظيمين الآخرين من حيث تحديد هدف الحرب، ففى حين رأت أنه يتمحور حول تطبيق قرار التقسيم. رأى التنظيمان الآخران أنه يتمثل بكسر هذا القرار عبر احتلال أراضى عربية تقع خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة. كما اختلفت عنهما فى ضوابط النشاط العسكرى، فقد خرجت على ربط عملياتها الانتقامية - لا تختلف عن العمليات الأرهابية للتنظيمين الآخرين وإن تفوقت عليها فى حجم الخسائر - بالعمليات العسكرية العربية، وتصويرها وكأنها رد فعل عليها، خلافاً للتنظيمين الآخرين اللذين لم يخضعا عملياتهما لردود الفعل.

فى هذا الجو، وعقب تفاقم العلاقات بين الهاجاناه وإتسل وبعد عودة عدد من المثقفين اليهود للعمل من أجل وحدة الصف داخل اليشوف بغية مواجهة الأخطار، وبعد مفاوضات مطولة تقطعت أكثر من مرة، توصل الطرفان، فى ٧ مارس ١٩٤٨ ، إلى مسودة اتفاق وحدوى شبيه إلى حد كبير، بصيغة اتفاق حركة العصيان العبرى. وهو ينص فى جوهره على التالى: تلتزم إتسل بحل نفسها لمنظمة عسكرية عند الإعلان عن تشكيل الحكومة وتلتزم بعدم مهاجمة

البريطانيين والعرب بدون موافقة مسبقة، وتخضع وحداتها الموجودة فى نطاق جبهات الهاجاناه لتعليمات قيادة الهاجاناه وتمتنع عن القيام بأية أعمال عنف أو سرقة، وعن امتلاك السلاح، إلا بعد الاتفاق على ذلك، وتقوم بالمهام التى تلقى على كاهلها.

(ب) وفى غضون ذلك، كانت إتسل وليحى تعدان العدة لترتكب، بدعم من الهاجاناه ومؤازرتها، فى قرية دير ياسين، واحدة من أفظع المجازر التى ارتكبت ضد المدنيين الآمنين.

ففى وسط المكاسب التى حققتها الهاجاناه فى معارك الطريق إلى القدس وتحت وطأة المنافسة بين التنظيمات، أعدت إتسل وليحى خطة لاحتلال قرية دير ياسين العربية، وأبلغتا قائد الهاجاناه فى القدس بالخطة، فوافق عليها ، وأرسل بعد ساعات من بدء المعركة، ذخائرإلى مقاتلى إتسل وليحى إلى جانب مجموعة من مقاتلى البلماح. وبوصول هذه المجموعة المزودة بأسلحة، بما فى ذلك مدفع هاون، تغير سير المعركة، فقد انقض المهاجمون الذين يمثلون التنظيمات الصهيونية الثلاثة واحتلوا القرية وارتكبوا فيها، بعد سقوطها أبشع المجازر فقد انهمكوا فى قتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ بطرق ووسائل مختلفة، كحصد الأهالى بالرصاص بعد إيقافهم صفوف بالقرب من الحوائط، وإلقاء قنابل عبر النوافذ لأزهاق أرواح السكان الموجودين داخل البيوت، ونسف البيوت على من فيها إلى أن تحولت القرية إلى أنقاض.

عند ذلك انهمك المهاجمون فى جمع ما تبقى من السكان على قيد الحياة وحولوهم إلى أسرى ليسيروا بهم فى شوارع القدس

اليهودية فى موكب النصر ليعودوا بهم ثانية إلى القرية وينفذوا فيهم حكم الأعدام.

وإذا كان من الواضح تماماً دور الهاجاناه فى سقوط القرية؛ إلا أن دورها فى ارتكاب المذبحة ضد السكان يكتنفه الغموض. فقد أجمعت مصادرهاعلى أن قوات البلماح انسحبت منها عقب سقوطها، تاركة لعناصر التنظيمين الآخرين القيام بالمذبحة.

وبلغت حصيلة هذه المجزرة أكثر من مئتين وخمسين شهيداً بين رجل وامرأة وشيخ وطفل، لاقوا حتفهم بطرق ووسائل بربرية بشعة، جعلت اسم القرية الصغيرةالوادعة الآمنة الواقعة قرب مدينة القدس، يتردد فى كل مكان وزمان كشاهدعلى ذروة الجرائم الصهيونية.

وخشيةمن احتمال قيام البريطانيين بعمل ما، أمام هول ما حدث، ضد إتسل طلب قائد الهاجاناه فى القدس من قيادة إتسل الاحتفاظ بالبلدة لمدة ٤٨ ساعة وبعد انقضاء المدة ، قدمت قوات من الهاجاناه إليها بعدأن انسحبت إتسل وليحى منها دون أن يحدث أى تدخل بريطانى.

وعلى الرغم من أن دير ياسين قد جمعت وألفت بين قلوب التنظيمات الصهيونية الثلاثة التى لم يسبق لها أن نسقت وشاركت مجتمعة حتى ذلك الحين فى أية عملية، إلا أنها، فى الوقت نفسه، شكلت شرخاً فى العلاقات القائمة فيما بينها، فقد هرعت أجهزة الييشوف المنظم وأدانت العملية محملة المنشقين وحدهم مسئولية المذبحة.

فقد أصدرت الوكالة اليهودية بياناً استنكرت فيه ما جرى فى دير ياسين على يد من اسمتهم بالمنشقين واصفة ما جرى بالوحشية والبربرية، ولا يتفق مع روح الشعب اليهودى وتقاليده المتمدنة الموروثة، وحرصت على إرسال نص بيانها إلى الملك عبدالله مختتمة إياه بالقول: «والوكالة اليهودية، وهى ترفع ذلك إلى مقام جلالتكم، تكرر من جديد استنكارها لهذا الحادث الفظيع الذى فاجأ الشعب اليهودى، كما فاجأ سائر الناس» كما أدانت الحاخامية اليهودية ما حدث، كما أصدرت الهاجاناه مع تسلمها القرية من قوات إتسل وليحى، بياناً موجهاً إلى الجمهور اليهودى فى فلسطين هاجمت فيه بشده «بربريه» التنظيمين الآخرين ووحشيتهما.

٣- محاولة حل البلماح

والبلماح هى القوه الضاربة فى منظمة الهاجاناه وكلمة بلماح تعنى الكتائب الساحقة.

وكانت الهجاناه، عشية إعلان الدولة اليهودية ووسط التوتر الذى ساد علاقاتها، تعانى من أزمة داخلية خطرة، ناجمة عن مساعى «بن جوريون» الحثيثة الرامية لتحويل المنظمة إلى جيش نظامى على غرار الجيش البريطانى. ولم يكن ذلك بالأمر السهل، ليس لأن ولادة المنظمة وتطورها اعتمدا أسلوب عمل المليشيا فقط، وإنما أيضاً وهو السبب الأهم، لأن ولاءات قطاعات منها كانت متعددة بتعدد التيارات الحزبية.

كان «بن جوريون» قد قطع ، عقب تسلمه مسؤلية الأمن فى الوكالة اليهودية، شوطاً بعيداً فى مجال تجييش المنظمة، وقد ساعدت

فى ذلك، اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية. بيد أن عملية التجييش لم تقض على تعددية الولاءات داخل المنظمة. فقد بقيت قوات البلماح، بأكثريتها الساحقة، موالية لحزب مبام - الذى تشكل من اندماج حزبى أحدوت هاعفودا وهاشوميرها تسعير، اللذين كانا يشكلان الجناح اليسارى فى الحركة العمالية. بينما كانت تقف معظم عناصر القوات الأخرى إلى جانب حزب مباى الذى يتزعمه «بن جوريون». وكان من الطبيعى أن ينعكس تنافس الحزبين، حول بسط النفوذ فى الوسط اليهودى، على الهاجاناه.

ومع اقتراب موعد الأعلان عن الدولة اليهودية، ووسط شبكة العلاقات التنافسيةالقائمة بين التيارين العماليين على بسط النفوذ، استدعى «بن جوريون» إليه فى ٢ مايو ١٩٤٨ «يسرائيل جليلى» وأبلغه عن الغائه منصب رئيس القيادة القطرية فى الهاجاناه، وأوضح له أنه يرفض مقولة بن أهارون (مبام) القائله بضرورة خلق جيش حزبى عمالى. وأصدر إثر إنتهاء الاجتماع، تعليمات إلى القيادة العامة للهاجاناه وقيادتها القطرية أعلن فيها عن إلغاء منصب رئيس القيادة القطرية ، وإنهاء عمل «يسرائيل جليلى» فى هذا المنصب.

القسم الثامن عشر

عرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة

الفصل الأول
مشكلة فلسطين والأمم المتحدة
وإعلان قيام دولة إسرائيل

الفصل الثانى
مقدمات الحرب

الفصل الثالث
بدايات العمليات العسكرية

الفصل الأول

مشكلة فلسطين والأمم المتحدة
وإعلان قيام دولة إسرائيل



مشكلة فلسطين والأمم المتحدة

أعلن وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم فى ١٨ فبراير عام ١٩٤٧ قرار إحالة المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة. وفى ٢٨ أبريل من العام نفسه اجتمعت الجمعية العامة لبحث الموضوع. وحاولت بريطانيا إحباط المساعى لحل المشكلة الفلسطينية فى الأمم المتحدة، لولا الموقف المفاجئ للأتحاد السوفيتى فيما رأى من أن مشكلة فلسطين كانت أضعف نقطة فى التحالف الأنجلو- أمريكى، وأنه بموافقة اليهود ضد بريطانيا والاستجابة لبعض مطالب الصهيونيين يستحوذ على نفوذهم لإضعاف حلف الأطلنطى.

ووافق الاتحاد السوفيتى على أرسال لجنة تابعة للأمم المتحدة لدراسة الأوضاع فى فلسطين، وكانت مؤلفة من مندوبين عن دولتين آسيوتين ودولتين من الكومنولث البريطانى، ودولتين من أوروبا الشرقية، ودولتين من أوروبا الغربية، وثلاث دول من أمريكا الجنوبية. وقد قابل «بن جوريون» اللجنة المذكورة، ورفض جميع المقترحات التى تقدم بها أعضاء اللجنة: رفض الوصاية، والحكم الثنائى. وقال: «إنه لن يكون هناك تعاون بين العرب واليهود ما لم يكن اليهود أغلبية». وطلب «بن جوريون» من أعضاء اللجنة مساعدة اليهود فى تحقيق أهداف ثلاثة:

أولاً : إلغـاء الكتـاب الأبيض لعـام ١٩٣٩ . ثانيـا : تكوين دولة يهودية. ثالثا : تشجيع التعاون والتحالف بين اليهود والعرب.

وقد سأل مندوب «بيرو» بن جوريون عن سبب الفصل بين اليهود والعرب فى النواحى الثقافية والصحية والخدمات الاجتماعية، مبينا أن هذا الفصل لا يشجع على التعاون الذى يطالب به اليهود. فأجابه «بن جوريون» بأن الفرنسيين والأنجليز يختلفون فى مثل تلك الأمور، وكانوا يعدون أنفسهم أعداء ولكنهم اليوم يتعاونون بالرغم من كل هذه الاختلافات (كتاب مولد إسرائيل).

وقد دبر «بن جوريون» والمنظمة الصهيونية ولجنة الأمم المتحدة فى فلسطين حادثة السفينة «الخروج» لإثارة الرأى العام العالمى وكسب عطف أعضاء اللجنة. فقد كان على ظهر السفينة ٤٥٠٠ مهاجر غير شرعى، استرعى عددهم انتباه الرأى العام العالمى، وأحرج الحكومة البريطانية التى صممت على إعادتهم إلى الدولة التى أبحروا منها (فرنسا). ويذكر «بن جوريون» عن حادثة سفينة «الخروج» فى كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء»: «كان علينا إذ تأكدنا أن بريطانيا لن تحقق شيئا فى صالح اليهود، قد حفزتنا على الإصرار على إقامة دولتنا، أن نحصل على استقلالنا بمجهودنا الخاص، وأن محاولات المستر «بيفن» المثبطة لجعلنا أقلية، قد حفزتنا على الإصرار على إقامة دولتنا».

ظهر قرار لجنة الأمم المتحدة فى أول سبتمبر ١٩٤٧ داعيا إلى تقسيم فلسطين بأغلبية الأصوات، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صدر قرار لجنة الجمعية العامة للأمم المتحدة بالتقسيم، ووافق الأتحاد السوفيتى

والولايات المتحدة عليه، إلا أن بريطانيا أعلنت عدم قدرتها على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وقررت الأنسحاب من فلسطين بأسرع ما يمكن مع إصرارها على تسليم فلسطين للأمم المتحدة وحدها.

وادعى «بن جوريون» أن هدف بريطانيا من الأسراع بالأنسحاب من فلسطين خلق فراغ سياسى فى البلاد، وأضاف أن فى استطاعة اليهود تأليف حكومة مؤقتة فى الفترة الانتقالية، وأمر بالتعبئة العامة لجميع القوات اليهودية والانضمام إلى«الهاجاناه». وأثناء نظر المشكلة الفلسطينية فى الأمم المتحدة ، بدأ يصل إلى فلسطين المتطوعون من كافة أنحاء العالم. وذكر «بن جوريون» أن مساعدتهم هى التى مكنتنا من الانتصار فى الحرب «كتاب النبى المسلح».

وأخذ«بن جوريون» يجتمع بقادة «الهاجاناه» وقادة «الأرجون» و«شتيرن» وإن لم تكن له سلطة إلا على «الهاجاناه»، وقرر هؤلاء القادة أن فى استطاعتهم القضاء على مقاومة العرب فى فلسطين وإن اختلف الأمر إذا تدخلت جيوش الدول العربية فى المعركة. لذلك اهتم الصهيونيون بتأمين الغذاء والسلاح للمستعمرات اليهودية.

كان لليهود حين قررت الأمم المتحدة التقسيم، وقررت بريطانيا الأنسحاب السريع من فلسطين، مؤسسات قوية راسخة لها تنظيمات على جانب كبير من الدقة والتنظيم، كالوكالة اليهودية، والهستدروت، والمجلس الوطنى، والهاجاناه، التى ساعد الأنجليز على تدريبها والأمريكان على تسليحها، بينما لم يكن يسمح للعرب فى فلسطين بأى تنظيم سياسى شامل، مع حظر حمل السلاح عليهم، مما يبين التحيز السافر لليهود من جانب سياسة الأنتداب البريطانية.

عرض القضية على الأمم المتحدة:

طلبت بريطانيا فى ١٢ أبريل ١٩٤٧ ادراج مسألة فلسطين على جدول أعمال الأمم المتحدة معلنة عجزها عن اقتراح سياسة محددة. وقد رحب بعض زعماء الصهاينة بذلك بينما خشى آخرون، ونوقش الموضوع فى الجمعية العامة فى ٢٨ أبريل حيث قررت السماح للوكالة اليهودية بالأعراب عن وجهة نظرها. وتشكل وفدها برئاسة «دافيد بن جوريون» وشكلت الجمعية العامة لجنة خاصة بفلسطين. وقررت اللجنة رغم معارضة شديدة من الدول العربية، أن تشمل استقصاءاتها بحث وضع اليهود المشردين. واقترحت غالبية أعضائها بعد مناقشات مستفيضة واستقصاءات، دار بعضها فى فلسطين، إنهاء الانتداب البريطانى وتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، وكانت هذه نقطة تحول هامة. وركز اليهود جهودهم الدبلوماسية على الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة فضمنوا فى منتصف أكتوبر ١٩٤٧ تأييد أمريكا وروسيا للتقسيم. وكان لوايزمان فضل الحصول على تأييد الرئيس الأمريكى ترومان لقيام دولة يهودية مستقلة فى فلسطسن، كما كان له فضل التأثير على اللجنة لضم صحراء النقب لهذه الدولة، باعتبار أن العقبة تمثل المنفذ الرئيسى لاسرائيل على البحر الأحمر والمحيط الهندى، ولها أهمية بالغة لقيام علاقات تجارية مع الهند والشرق الأقصى واستراليا ونيوزلندا، وذلك أن وضع العقبة فى يد العرب سيمثل خطرا دائما للدولة اليهودية واقنع ترومان بذلك. كذلك بذل اليهود ضغوطا دبلوماسية كبيرة على فرنسا التى كانت تتجه نحو الامتناع عن التصويت. وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧

وافقت الجمعية العامة على إقتراح التقسيم بأغلبية ٣٣ دولة ضد ١٣ وامتناع عشرة دول من بينها بريطانيا على التصويت. وبذلك صدر القرار بأكثر من أغلبية الثلثين .

الوضع العام فى فلسطين وقيام الدولة اليهودية باسم اسرائيل

لم تكن الظروف الداخلية فى فلسطين ولا أوضاع الجماعات اليهودية المترددة، مشجعة لاتخاذ القرار بإعلان الدولة اليهودية. كما أن الأوضاع الخارجية والدولية لم تكن مستعدة لتقبل مثل هذا الإجراء الجذرى. ففى اجتماعات «ليك سكس» عدلت الولايات المتحدة عن رأيها بشأن التقسيم . ورأت الاستعاضة عنه بالوصاية. ووقع خلاف بين الصهيونيين الأمريكيين والحكومة الأمريكية، ومارس «ناحوم جولدمان» ضغوطا قوية على «بن جوريون» حتى لا يعلن الدولة عقب انتهاء الانتداب حتى لا يغضب الولايات المتحدة.

وفى داخل فلسطين كان زعماء «الماباى» مترددين وعلى رأسهم «شرتوك» الذى كان ضد الأعلان. يضاف إلى ذلك ما نصح به كل من الجنرالين «مارشال» الأمريكى و«مونتجومرى» البريطانى، لـ «بن جوريون» من عدم الإسراع بإعلان الدولة خشية تغلب العرب على اليهود، نظرا لما يتحلون به من إمكانيات عددية وقدرات عسكرية ومادية.

كانت الأراء سواء فى الحزب داخل فلسطين أو لدى جماعات الصهيونيين فى الولايات المتحدة، أو أصدقاء اليهود من الشخصيات السياسية والعسكرية العالمية كلها ضد إعلان الدولة مباشرة بعد إلغاء

الانتداب، إلا أن «بن جوريون» لم يكن مستعدا للأخذ بهذه النصائح أو العمل ببعضها رغم أنه لم يكن راضيا عن حالة الاستعداد العسكرى فى «الهاجاناه».

فقد أدرك «بن جوريون» الذى يدين جميع الصهيونيين له اليوم وعلى مر التاريخ بالفضل والريادة، إنه إذا لم يقرر على الفور إعلان الدولة فإن حلم قيام الدولة اليهودية سيزول وأن أى تقاعس فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة قد يكلف اليهود الانتظار أجيالا أخرى. إذ كان الزعيم الصهيونى الوحيد الذى عرف كيف يستغل قرار الأمم المتحدة، وتواطؤ القوى الاستعمارية، وضعف العرب وانقساماتهم فى تحقيق هدف الصهيونية الذى نادى به «هرتزل» عام ١٨٩٧، وهو قيام دولة اليهود على أرض الميعاد فلسطين.

وقد قال «بن جوريون» كنت أعرف أن أعداءنا العرب أضعاف عددنا، وقواهم أضعاف قوانا ولكن كانت عندنا الإرادة القوية لا لأننا محاربون أفضل من العرب ولكن لأن الهزيمة بالنسبة لنا فيها دمارنا ونهاية قوميتنا ؛ بينما الهزيمة بالنسبة للجيوش العربية لا تعنى ضياع بلدانهم ولا نهاية قومياتهم. «من كتاب النبى المسلح».

وفى مساء الجمعة١٤ مايو ١٩٤٨ أعلن «بن جوريون» الدولة اليهودية، وترأس الحكومة المؤقتة التى تألفت من ستة وثلاثين عضوا تشكل ائتلافا واسعا يضم كل الفئات ما عدا الشيوعيين وحزب «حيروت» وهكذا حقق «بن جوريون» قيام الدولة اليهودية بالعنف والإرهاب والدهاء.

وسقطت فى هذه اللحظة من حسابات «بن جوريون» سنوات الشتات وأيام المنفى وأصبحت الدولة الجديدة هى الوريث الشرعى والطبيعى لمملكة داوود، وأعداءها اليوم هم ورثة أعدائها فى الماضى. ومن هذا المفهوم أسس دعائم الدولة بعلقية «الجيتو» ومفاهيمه المستوردة من شرق أوربا.

وكانت أولى الخطوات التى اتخذها بوصفه وزيرا للدفاع، أن نصب نفسه قائدا عاما لكافة القوات اليهودية دون أى اعتبار للخلافات الحزبية والشخصية. إذ كان متأكدا أن الدولة الوليدة تواجه حرب حياة أو موت. ووافقت الحكومة المؤقتةعلى هذا الرأى، وأعلن فى ٢٦ مايو ١٩٤٨ قيام الجيش الإسرائيلى وبذلك لم تكن الهاجاناه مجرد منظمة عسكرية سرية بل أصبحت جيش الدفاع الإسرائيلى ولم يكن فى بادئ الأمر سهلا جمع كافة المقاتلين اليهود تحت قيادة «بن جوريون»، ولكن إصراره ذلل العقبات، وساعده على النجاح، ما حصل عليه من طائرات قادها متطوعون يهود، من الانجليز والأمريكيين ومن جنوب أفريقيا. وكانت أولى أوامر «بن جوريون» للقوات اليهودية باتخاذ خطة الهجوم بدلا من الدفاع لاعتقاده بأنه سيحدد بالقوة العسكرية حدود دولة إسرائيل التى لم يتمكن زعماء العالم فى «ليك سكس» من تحديدها.

الفصل الثانى

مقدمات الحرب

الأوضاع العربية ـ الإسرائيلية
قبل عرض القضية على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧

مقدمات الحرب:

كانت الدول العربية مقسمة سياسيا وإقتصاديا ومنقسمة على نفسها بشأن فلسطين ولم تنس سوريا أن فلسطين، كانت جزءاً من إقليمها في ظل الاحتلال العثماني، وكانت ترغب في أن تضم على الأقل شرقي الجليل حتى تضع منابع نهر الأردن تحت سيطرتها. وكانت المشكلة ثانوية بالنسبة لمصر التي كان كل اهتمامها في تحقيق جلاء الانجليز عن أراضيها وضم السودان. وكانت لبنان مهتمة بالدفاع عن نفسها ولم تفكر بجدية في الاشتراك في أي حرب ضد إسرائيل. ولم تكن المملكة العربية السعودية مهتمة بالاشتراك في أي تدخل عسكري. أما الدولة الوحيدة المهتمة بفلسطين مباشرة فكانت شرق الأردن التي كان ملكها عبدالله يسعى لضمها لمملكته ويعتمد في ذلك على الفيلق العربي تحت قيادة «جلوب باشا». وكان يضم قوة حسنة التدريب مزودة بالأسلحة البريطانية وضباط بريطانيون. وكانت العراق، وإن لم يكن لها حدود مشتركة مع فلسطين، مهتمة بأن يكون لها منفذ على البحر المتوسط عند حيفا حيث ينتهي خط بترول الموصل. ورغم اختلاف دوافعها فقد اتحدت الدول العربية في معارضة التقسيم. وعقد اجتماع للجامعة العربية في أكتوبر ١٩٤٧

تقرر فيه أن تتخذ الدول العربية إجراءات عسكرية على حدودها مع فلسطين، وأن تساعد عرب فلسطين فى نضالهم. وكان أهم قراراته أن تقوم الدول العربية باستيعاب العرب الذين قد ينزحون من فلسطين نتيجة لتدخل الجيوش العربية فيها . أما اليهود فقد تركزت قواتهم العسكرية فى تنظيم الهاجاناه، وكانت هناك فضلا عن ذلك منظمتان سريتان متطرفتان هما: «الأرجون زفاى ليومى وشتيرن» ولكنهما كانتا صغيرتين عددا وتأثيرا. وكانت مهمة الهاجاناه دفاعية، يضم جهازها الضارب ٢١٠٠٠ مقاتل وألف احتياطى وكان تسليحها أقل كثيرا من العرب.

واستمرت المناوشات بين اليهود والعرب فيما بين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ حتى ١٥ مايو ١٩٤٨، وتمكن العرب فى فلسطين من تدمير عدة قوافل إسرائيلية وهددوا الاتصال مع المستوطنات اليهودية المنعزلة. وبذلك حقق العرب نجاحا كبيرا فى أول مرحلة من المواجهة رغم فشلهم فى الاستيلاء على أية مستوطنة إسرائيلية. على أنهم أوضحوا للجميع أن قرار التقسيم لن يمكن فرضه بدون اللجوء للقوة. ومن ثم سحبت الأمم المتحدة فجأة فى مارس ١٩٤٨ تأييدها لمشروع التقسيم. وبدا أن العرب أوشكوا على تحقيق هدفهم وبدأت مجموعات عربية مقاتلة تصل عبر الحدود من الدول المجاورة فى صورة متطوعين. وبدأ جيش التحرير العربى برئاسة «فوزى القاوقجى» مهاجمة المستوطنات اليهودية فى الشمال.

واستعدت الهاجاناه، رغم ما واجهته من هزائم، لليوم الذى يمكنها فيه الأخذ بزمام المبادرة وتحويل الموقف لصالحها. وأسرعت

فى شراء السلاح من أوربا وخاصة من تشكوسلوفاكيا. وفى مارس ١٩٤٨ أعدت خطة للسيطرة على المناطق المخصصة للدولة اليهودية فى مشروع التقسيم وحمايتها، وتمكنت من تحقيق الجزء الأكبر من الخطة رغم بعض المتاعب فى قتالها ضد الفيلق العربى الأردنى واستولت على مناطق طبرية وحيفا والجليل الأعلى. ومع ذلك فقد ظل الوضع فى ١٤ مايو ١٩٤٨ يثير القلق خاصة مع دخول الجيوش النظامية لكل من مصر والأردن وسوريا ولبنان الحرب ولديها إمكانياتها العسكرية الضخمة من دبابات وطائرات. وأكد «إيجال يادين» رئيس عمليات الهاجاناه فى تقريره فى ٢١ مايو ١٩٤٨ أن الكثير سيعتمد على الروح القتالية والتخطيط والتكتيك الذى تتبعه القوات اليهودية.

وقد حققت الهاجاناه عدة انتصارات فى الأسابيع الأولى من مايو مما أحدث الاضطراب فى صفوف العرب، ورغم ذلك كان موقف العرب السياسى أفضل بسبب تدفق فرق المتطوعين من الدول العربية المجاورة دعما لثورة عرب فلسطين ضد قرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة، وما صاحبه من تردد الخارجية الأمريكية، وطالب المندوب الأمريكى فى مجلس الأمن فى ١٩ مارس بوقف كل محاولات فرض قرار التقسيم وبحث خطة لفرض وصاية مؤقتة على فلسطين، وقررت جامعة الدول العربية المضى فى غزو فلسطين فور انتهاء الانتداب فى ١٥ مايو، ووضعت خطة لذلك.

غير أن الصراعات الداخلية العربية عاقت تنفيذ الخطة المذكورة فحجب الملك عبدالله موافقته عليها حيث خشى من أن تنتهى جهود

الفيلق العربى الأردنى بانتصار أعدائه فى فلسطين وخاصة المفتى. وأجرى الملك مفاوضات سرية مع الوكالة اليهودية فى أكتوبر ١٩٤٧ وافق خلالها على أن تضم قواته الجزء المخصص للعرب فى فلسطين دون قتال. ووافقت الوكالة فى مستهل مايو ١٩٤٨ على عقد اتفاق مع الملك على هذا الأساس. وقابلت جولدا مايرسون (جولدا مائير) الملك فى منزل صديق له فى عمان. ولم ينكر الملك تعهده السابق وإنما ذكر أن الوضع تغير بتدخل الدول العربية الأخرى، ومع ذلك أشار إلى أنه إذا وافق اليهود على الامتناع عن إقامة دولة ووقف الهجرة وضمه كل فلسطين . فقد يتمكن من إقناع المعتدلين العرب لعدم الدخول فى الحرب. وقد رفضت «جولدا مائير» اقتراحه.

وأخذت سلطات الأنتداب فى الانسحاب دون تسليم المرافق لليهود الذين أعدوا لجانهم المدنية لإدراة الدولة. وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ غادر السير «ألان كننجهام» . المعتمد السامى البريطانى فلسطين نهائيا. وفى تمام الساعة الرابعة مساء اليوم نفسه عقد اليهود اجتماعا حضره مائتان وأربعون شخصا فى متحف فى تل أبيب وقرأ «دافيد بن جوريون» إعلان استقلال دولة إسرائيل.

وفى البيت الأبيض اجتمع الرئيس «ترومان» مع وزيرى الخارجية والدفاع لبحث خطاب أرسله «وايزمان» طالبا الاعتراف بالدولة اليهودية . وفى تمام الساعة الخامسة والدقيقة ١٦ وافق الرئيس «ترومان» على إعلان اعتراف الولايات المتحدة بدولة إسرائيل. وكان لأعتراف أمريكا بإسرائيل وقع الصاعقة على الجمعية العامة للأمم المتحدة أدهش مندوبى أمريكا أنفسهم. وكان الاتحاد السوفيتى

تاليا فى الأعتراف . وفى صباح اليوم التالى دخلت إسرائيل الحرب حيث هاجمت الطائرات المصرية منطقة تل أبيب، ووصلت القوات المصرية فى هجوم سريع إلى مسافة ٢٢ ميلا فقط جنوبى تل أبيب متفادية المستوطنات المنعزلة فى النقب. وهاجمت القوات السورية وادى الأردن ولكنها اضطرت للأنسحاب تحت ضغط المقاومة الشديدة عند مستوطنة ديجانيا. وعلى الصعيد السياسى اجتمع مجلس الأمن وطالبت أمريكا بوقف إطلاق النار، وعارضه بريطانيا، ووعد العرب بوقف الحرب إذا ألغى إعلان استقلال إسرائيل وهو ما رفضته إسرائيل. وفى ٢٤ مايو أعلنت الحكومة المؤقتة لإسرائيل قبولها لوقف إطلاق النار. ولم يوافق العرب إلا بعد١٣ يوما عندما انهكت جيوشهم. وسرى وقف إطلاق النار فى١١ يونيو. وعين الكونت برنادوت وسيطا دوليا للأمم المتحدة واتخذ من جزيرة رودس مقرا له.

ولم تتمكن الجيوش العربية من تحقيق أهدافها غير أن وضع إسرائيل كان مقلقا وحرجا حيث ظلت القوات العربية تسيطر على أكثر من ثلث المناطق المخصصة للدولة اليهودية فى قرار التقسيم. ففى الشمال كان السوريون متحصنين فى الضفة الغربية للأردن، وفى الوسط كان العراقيون فى إحدى النقاط على بعد عشرة أميال فقط من ساحل البحر المتوسط، وكانت القدس التى تمكنت القوات اليهودية من السيطرة على جزء منها بدون تسليح كاف. وكان جيش إسرائيل فى حاجة ماسة لإعادة تنظيمه.

ونشر الوسيط الدولى مقترحاته التى عارضتها بشدة كل من إسرائيل والدول العربية. باستثناء شرق الأردن حيث اقترح ضم كل

من القدس وصحراء النقب لها. واقترح فيها اتحاد إسرائيل وشرق الأردن. ونشبت الحرب من جديد فى ٨ يوليو حيث قررت مصر بدءها من جديد. غير أن الهدنة القصيرة غيرت الموقف العسكرى فتمكنت إسرائيل خلالها من زيادة قواتها المحاربة فضمت حوالى ٢٥٠٠٠ محارب قدموا من الخارج، وحصلت إسرائيل على دبابات ومدفعية وأسلحة صغيرة مكنتها خلال ٣٨ يوما من القتال قبل إقرار هدنة ثانية فى ١٨ يوليو من تحقيق انتصارات هامة فى الشمال والوسط، فاستولت على ٢٠١ من مجمل ٢١٩ قرية عربية تقع فى نطاق الدولة اليهودية، فضلا عن ١٤ مدينة عربية، واستولت القوات العربية على ١٤ موقعا يهوديا بما فيها الحى اليهوى فى القدس القديمة. غير أنها كلها باستثناء مستوطنة واحدة كانت تقع فى الجزء المخصص للعرب فى التقسيم.

وفشل قرار وقف إطلاق النار الثانى بسبب إصرار القوات المصرية على منع وصول الامدادات للمستوطنات المنعزلة فى النقب، ونشبت الحرب ثانية فى ١٥ أكتوبر حيث حققت القوات الإسرائيلية نجاحاً فى الجنوب حيث القوات الإسرائيلية، وسيطر على غربى الجليل فى الشمال بعد أن دمرت قوات جيش التحرير العربى برئاسة فوزى القاوقجى. وقامت بآخر عملية فى النقب فى ديسمبر حيث تخطت خط الحدود الدولى مع مصر وكانت على بعد بسيط من قاعدة العريش المصرية، وهنا تدخلت بريطانيا ووجهت إنذارا للقوات الإسرائيلية بالانسحاب فورا من الأراضى المصرية أعمالا لإلتزامها بأحكام معاهدة ١٩٣٦ للصداقة والتحالف بين بريطانيا ومصر.. وبذا

اضطرت القوات الإسرائيلية للانسحاب وأعلنت مصر استعدادها للدخول فى مفاوضات هدنة مع إسرائيل. وفى ٧ يناير ١٩٤٩، توقف القتال مع مصر.

وعقدت المفاوضات فى رودس فى ٣١ يناير ١٩٤٩ بحضور الدكتور رالف بانش بعد مقتل الكونت برنادوت على يد إرهابيين يهود فى القدس هو العمل الذى اتخذت الحكومة الإسرائيلية إجراءاً فوريا عنيفا حياله بأن حلت المنظمات الإرهابية المنشقة.

وقد أدهش انتصار إسرائيل العالم، وبل وأدهش الإسرائيلين أنفسهم وقد كلفها أربعة آلاف قتيل وألفى مدنى ولكن لم يكن هناك خيار أمامها.

الفصل الثالث

بدايات العمليات العسكرية عام ١٩٤٨

جند اليهود بعد ١٥ مايو ثلاثين ألفا من «الهاجاناه» بتسليح متواضع، وعملت الحكومه وعمل الاقتصاد بكفاءة، وكانت الميزة الوحيدة التى يملكها اليهود هى الخبرة والمهارة العسكرية، وتولى «يادين» قيادة العمليات الإسرائيلية، وله خبرة طويلة فى مهمة «الهاجاناه» فى العمليات السرية، وكان بعض قواد فرقته قد حاربوا فى الجيش البريطانى. وقد قسم «يادين» قواته المحدودة بدقة للدفاع عن تل أبيب والقدس والسهل الساحلى والطريق السريع لممر القدس ألخ.. وحزام لمحاصرة القوات المصرية فى الجنوب.

وفى ١٦ مايو تحركت فرقة مدرعة سورية جنوبا تجاه المستوطنات اليهودية فى وادى الأردن، وكانت قد أخلت قرى عديدة منها، ولكن توقف تقدمها لوجود مدفعية يهودية غير متوقعة، وتراجعت إلى الطريق الجبلى ولم يعاودوا المحاولة. وأثبت العراقيون تأثيرهم بصعوبة، وتركزت المعركة فى شرق الأردن بالقرب من حدود فلسطين قبل ١٤ مايو، ولكن واجه العراقيون مقاومة يهودية عنيفة ، لذا وضع القائد العراقى فرقة فى موضع دفاعى. وكانت أصعب مناطق الحرب فى الجنوب عبر خط المصريين لفرقة ساحل

البحر المتوسط، وحتى ٦ مايو كانت قيادة الجيش المصرى تشارك نفس توقعات الحكومة المصرية بأن الأمم المتحدة ستحل القضية الفلسطينية بشكل ما، وعندما صدرت الأوامر بالتحرك فعلا، أكد رئيس الوزراء النقراشى لقائد القوات المصرية بأن مجلس الأمن - ودون طلب - سيأمر بهدنة قبل أن تصبح الحرب خطيرة. وكان المصريون يتخبطون فى هدفهم حتى اللحظة الأخيرة، وكان «عزام» أمين عام الجامعة العربية يتباهى فى مؤتمر صحفى بتاريخ ١٥ مايو بأن هذه الحرب ستكون حرب إبادة ومجزرة بشرية مثل مجازر المنغوليين.

وكان الجيش المصرى المهاجم ينقسم إلى قسمين: أحدهما بقيادة الأميرلاى «محمد نجيب»، وكان ضابط هيئة الأركان الرئيسى الرائد «عبد الحكيم عامر» وقاد «محمد نجيب» فرقة من شرقى سيناء عبر الطريق الساحلى الممتد إلى غزة وتل أبيب. أما القسم الثانى فكان تحت قيادة اللواء «أحمد عبد العزيز» والذى دخلت قواته فى ٢٠ مايو إلى «بير سبع» وواصلت شمالا تجاه «بيت لحم»، فى حين تحرك محمد نجيب بقواته بحذر بالغ جهة تل أبيب. ولمواجهة هذا التهديد أمر «يادين» بنقل جزء من قواته من ممر القدس إلى الساحل، ولما كانت متعبة وتسليحها ضعيفا- نتيجة الخسائر الكبيرة التى منيت بها -فقد وصلت القوات المصرية إلى مسافة ستة عشر ميلا من تل أبيب، والتى كان يصل تعداد سكانها مائتين وخمسين ألفا، يشكلون الركيزة الأساسية لمستوطنة اليهود فى الأراضى المقدسة، وسيعنى سقوطها نهاية دولة إسرائيل الجديدة، وفى ٢٩ مايو أمر «يادين» بمحاصرة

مواقع نجيب فى الليل ومهاجمتها من الخلف، وبذلك بدأ التراجع من جانب القوات المصرية وأصبح هجومهاعلى تل أبيب محفوفاً بالخطر. وأصبح الإنجاز المصرى الوحيد هو السيطرة على الطرق الرئيسة للنقب. وكان هذا كافيا للنقراشى وحكومته فى المرحلة الراهنة.

وكما سبق فلم يكن الملك عبدالله يخفى مطامعه فى ضم الجزء العربى من الأراضى المقدسة، وبصفة خاصة القدس بمؤسساتها الإسلامية التاريخية المقدسة والمكرمة . وفى أواخر مايو ـ بعد قتال شرس ـ بدأت الفرق الإسرائيلية فى طرد الجحافل العربية للخلف من الطريق المؤدى إلى شمال القدس، وفى ٢٩ مايو أغار رجال المشاة من المصريين والأردنيين على كيبوتز «رامات راشيل» الواقع على مدخل القدس الجنوبى، وكانت ـ فى أعنف أوقات حرب فلسطين ـ هى المستوطنة الصغيرة التى تغيرت عليها وضع الأيادى خمس مرات فى أربعة أيام ، ولكنها ظلت فى النهاية فى أيدى اليهود. وسقطت القدس القديمة فى أيدى العرب، وسلم «الهاجاناه» المدافعون عنها فى ٢٨ مايو، وبضياع المدينة بمعابد اليهود التاريخية كانت الضربة المؤلمة لرجال الدين اليهود. لكنه كان ذا قيمة وأهمية عسكرية صغيرة.

التقييم من جديد وإعادة النظر :

فى ١١ يونيه ظفر مجلس الأمن باتفاقية من العرب والإسرائيليين على هدنة لمدة شهر واحد، وكان كلا الجانبين مرهقا، ومن الناحية الاستراتيجية يجنى العرب أقل المزايا، فى حين يتوقع اليهود وصول

الأفراد والمؤن من الخارج، مما سيقويهم دون شك فى نهاية الهدنة. وكانت هناك أولوية عاجلة للعرب وهى توحيد قواتهم مباشرة، إذ عندما أعطى العراقيون قيادة قواتهم للواء «المواوى» قائد القوات المصرية عارض الملك عبدالله ذلك، وفقد الملك الهاشمى مصلحته واهتمامه باستمرار الحرب. وفى الحقيقة، عندما بدأت الهدنة كان المصريون والإسرائيليون فى الجهة الجنوبية يجرون اتصالات ويلتقون فى المناسبات، وبالفعل لم يكن قرار استمرار الحرب من المصريين، ولا من قيادات الجيوش العربية، لكنه كان من قياداتهم السياسية. وزاد العرب قواتهم فى الأسبوع الأول من يوليو فى فلسطين من اثنين وثلاثين ألفا إلى خمسة وأربعين ألفا من الأفراد. وعلى الجانب الآخر كان اليهود مستمرين فى زيادة قواتهم، ولو أن النقب كانت بشكل كبير فى أيدى المصريين، وكان العراقيون على بعد أحد عشر ميلا من البحر المتوسط، والطريق الرئيسى الضيق من الساحل إلى القدس ظل فى خطر عظيم. وخلال وقف إطلاق النار كانت المواد الغذائية والأدوية تصل إلى المدينة المقدسة، وازدادت التعبئة بشكل محزن. وبوصول المهاجرين الجدد من المتطوعين العسكريين اليهود من الخارج، وصل عدد اليهود إلى ستين ألف رجل فى منتصف يوليو، ووصلت آلاف الأطنان من المعدات الحربية، معظمها من تشيكوسلوفاكيا الشيوعية التى تتبع خط موسكو فى تأييد إسرائيل ضد الرجعية العربية والوجود البريطانى الأمبريالى فى الشرق الأوسط.

وفى ٨ يوليو وقبل انتهاء الهدنة، هاجم «نجيب» من جديد النقب، ونجح اليهود فى استعادة احتلال الركن الشمالى الشرقى من النقب،

مما أقنع «يادين» بأن المصريين لم يعودا بعد يشكلون أى تهديد، لكن وجود ألفين من العرب فى الجليل الأدنى كان خطرا حقيقيا كبيراً، لكن وفى أسبوع واحد طهر اليهود المجتمعات العربية المجاورة، وفى عملية قادها الأميرالاى «موشى ديان» تمكن اليهود من السيطرة على منطقة اللد ـ الرملة وبالتالى توسيع عنق ممر القدس، وعند رحيل البريطانيين، وبتصاعد أعمال العنف العدائية، هرب حوالى مائة وخمسة وسبعين ألفا من العرب من البلاد. وبعد ١٥ مايو حول هجوم الجيوش العربية المنظم الأراضى المقدسة إلى ساحة للقتال، وفر أهالى فلسطين العرب بأعداد كبيرة خوفا على أنفسهم من قذائف النار، وبانتهاء الحرب فى يناير ١٩٤٩ كان قد رحل حوالى ستمائة وخمسين ألف فرد تقريبا، وأكثر من ثلثى كل السكان العرب فى البلاد، ولم يكن كل الذين غادروا ديارهم غادروا فلسطين نفسها، بل حوالى مائتين وأربعين ألفا من الأفراد عبروا إلى الجزء الشرقى المحتل، وحوالى ستين ألفا آخرين عبروا نهر الأردن إلى المملكة الهاشمية، بالإضافة إلى مائة وثمانين ألفا فروا تجاه غزة داخل الأراضى الفلسطينية على طرف شبه جزيرة سيناء، والباقى وجد ملاذا فى الدول العربية المجاورة، وفى البداية ساعد رحيل العرب أمن وأهداف إسرائيل الاقتصادية وتقليل التهديد من قبل الطابور الخامس، وإتاحة المساكن والأراضى الزراعية للمهاجرين اليهود الجدد، وبمرور السنين عاش اللاجئون حياة منعزلة فى خيام.

فشل الطلب المصرى:

بدأ الكونت «برنادوت» مبعوث مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المعين للتوسط بشأن فلسطين، يتفاوض على وقف النار للمرة الثانية فى ١٨ يوليه، وعلى عكس الهدنة السابقة فى يونيو، فإن وقف إطلاق النار الجديد كان سيبقى دون تحديد زمن، وفى تقريره إلى مجلس الأمن فى ١٦ سبتمبر أعطى من جانبه مخططا تفصيليا للسلام فى الأراضى المقدسة توضع بمقتضاه النقب تحت حكم اليهود والتى خصصها قرار الأمم المتحدة بالتقسيم للعرب، وتعويض العرب بالجليل الأدنى الذى كان مخصصا لإسرائيل، وتدويل مدينة القدس المقسمة حاليا بين الأردن وإسرائيل، وقد عارض كلا الجانبين التقرير. وبعد يوم اغتال أرهابيون يهود الكونت «برنادوت» فى القدس، وقد كان واضحا لرئيس الوزراء «بن جوريون» أن مخطط الأمم المتحدة بالنسبة للنقب والقدس يشكل ضغطا على اليهود وأنه يجب تقوية وضع إسرائيل فى المساومة بواقع عسكرى جديد وحاسم، واتفق مع «يادين» على أن الأولوية لهجوم على نطاق شامل فى النقب.

وكان المصريون يسيطرون فى منطقة الصحراء الجنوبية على ثلاثة قطاعات طويلة:

الأول: هو المنطقة الساحلية من رفح إلى غزة.

والثانى: شريط داخلى يمتد من العوجة شمالا عبر بير سبع إلى بيت لحم.

والثالث : شريط كان يربط بينهما يخترق البلاد عبر طريق يمتد من المجدل عبر الفالوجا إلى بيت جوبرين.

ورغم أن المصريين عززوا قواتهم بخمسة عشر ألف مقاتل، فإن إسرائيل قد تلقت فى نفس الفترة سيلا من الأمدادات من المهجر. وفى الإعداد لهجوم جديد نقلت إسرائيل - جوا - فرقة من الرجال والمواد لمطار جويفى شمال النقب وتحت جنح الظلام تسللت القوات خلف خطوط المصريين . وفى أوائل أكتوبر تحركت فرقتان إضافيتان نحو الجنوب حتى بلغ عدد القوات المتمركزة على الجبهة الجنوبية إلى ثلاثين ألفا. وبدأ الهجوم فى ١٤ أكتوبر، وضربت الطائرات الإسرائيلية قواعد النقب على الطريق الساحلى إلى «ميت حانون». وأن دور «يادين» الحقيقى هو خط طرق «الفالوجا» . وفى ١٥ أكتوبر شنت قوات المشاة الإسرائيلية هجوما شاملا، وكانت معركة وحشية والخسائر فادحة فى كلا الجانبين . ثم توالى استيلاء الإسرائيليين على المواقع الأخرى حتى النقب العليا، وأصبح تمركز المصريين فى فلسطين بحوالى ثلاثين ألف رجل، واجهوا احتمال الحصار قرب «الفالوجا»، وعندئذ أرسل «ايجال آلون» قائد القوات الإسرائيلية على الجبهة الجنوبية ثلاث فرق تجاه «بير سبع» عاصمة النقب، وفى الأسبوع الأخير من أكتوبر ، وبعد أن بدأ تطبيق قرار الهدنة الثالث الصادر عن الأمم المتحدة، وبدأ المصريون إجلاء وحداتهم من غرب النقب، وأخيراً حوصرت الفرقة الرابعة - وقوامها ثلاثة آلاف رجل - فى منخفض شمال غربى «الفالوجا» وشلت حركتها، وتجاهل الطرفان الهدنة فى المنطقة المعزولة وقاومت

الفرقة الرابعة تحت قيادة عقيد سودانى «طه بك» الحصار الإسرائيلى المطبق، وجرى لقاء بين «آلون وطه بك» فى كيوتز شرق الفالوجا، ولكن أصر «طه بك» على أنه سيحارب حتى آخر طلقة وآخر رجل لديه، وبعد مناقشات اتفقا على إقامة اتصال بين الميجور كوهين مساعد آلون والميجور «جمال عبدالناصر» مساعد «طه بك». وكان ناصر غاضباً على البريطانيين متهما إياهم بتدبير هذه الحرب وأنها خدعة لصرف انتباه المصريين عن احتلال بلادهم، كما كان «الحلفاء» العرب هدف حنق عبدالناصر وبصفة خاصة الملك عبدالله الذى لم يبد أدنى رغبة فى مساعدة المصريين أثناء الحصار، وأعلن ناصر أن الحاكم الهاشمى سيدفع يوما ما ثمن «خيانته» وكان تعبير الميجور الشاب يعكس الشك بين حكومته وشرق الأردن، والتصميم على تجميد ضم الهاشميين لفلسطين العربية. وأثار النقراشى وحكومته «حقوق الشعب الفلسطينى» «وحكومة شبه مستقلة للأراضى المقدسة. وفى سبتمبر ١٩٤٨ رتبت الحكومة المصرية لـ «حكومة عموم فلسطين» ومقرها غزة، وفى أوائل أكتوبر تبنت مصر وتكفلت برعاية «المجلس الوطنى الفلسطينى»، واجتمع فى غزة وانتخب الحاج«أمين الحسينى»مفتى القدس رئيسا له. وخلال أسبوعين حظى هذا النظام الصورى باعتراف رسمى من سوريا ولبنان والعراق. ولم يقف عبدالله ساكنا فقد نظم مؤتمراً من الوفود الفلسطينية وتبرأ من نظام غزة، وأخيراً وفى أول ديسمبر فقد قبل عبدالله طلب المؤتمر الثانى لتوحيد فلسطين وشرق الأردن فيما يسمى «المملكة الأردنية الهاشمية العربية» وجاء رد القاهرة الغاضب، واستنكر كبار علماء الأزهر المخطط الهاشمى واتهامه بالتدخل للقضاء على الوحدة

العـربيـة، وفـى الوقت الـذى كـشف كل من المصـريين والأردنيين الآخر، كان اليهود يعدون لتصفية الوجود المصرى في الأراضى الإسرائيلية، وكانت وحداتهم البالغ عددها مائة ألف جندى مستعدة وكذلك معداتهم بما فيها المدفعية الثقيلية والمدرعات، وكانت القوات المصرية موزعة على الحدود مع إسرائيل فى شعبتين: القوة الشمالية مكونة من لواءين بجانب رفح وغزة تؤيدها قاعدة سيناء الكبيرة فى العريش. والشعبة الجنوبية المكونة من لواءين تمتد من «العوجة» إلى «بير عصلوج» ولأعلى تجاه بير سبع، هذا بالإضافة إلى اللواء الرابع المحاصر فى «الفالوجا». وكان المصريون يتوقعون الهجوم ضد خطهم الشمالى الفاصل الذى يهدد المنطقة الساحلية كثيفة السكان، ولكن «يادين» فاجأهم وأخذ المبادأة بالاندفاع جنوبا تجاه «العوجة». وقد بدأ الهجوم فى مساء ٢٢ ديسمبر، إذ أرسل «آلون» وحدة مدرعة تجاه غزة ووحدة مشاة فى اتجاه الطريق الرئيسى بين «بير عصلوج» و«العوجة» ، وبعد قتال استسلمت الحامية وواصل الإسرائيليون تقدمهم حتى «أبو عجيلة»، وهى داخل أراضى سيناء المصرية بعشرة أميال، ومن هناك مارسوا ضغطا تجاه ساحل البحر المتوسط فى اتجاه العريش ذاتها.

وكانت الحكومة المصرية تواجه صدى الأحداث فى الداخل، فقد كان «فاروق» يريد بدخول حرب فلسطين صرف الأنتباه عن الاضطراب الاقتصادى وللتفوق على خصومه - حزب الوفد - وقد شغلت أنباء الانتصارات الحقيقية والخيالية الصحافة، ثم أصبح فشل الجيش فى حرب فلسطين معروفا، كما انتشرت الكوليرا بين الطبقات

الدنيا والوسطى، وبتحريض من الاخوان عمت المظاهرات شوارع القاهرة والأسكندرية، ورفعت الشعارات الوطنية ضد المصالح اليهودية وضد حكومة النقراشى، واعتقد بعض المراقبين السياسيين أن مصر على حافة حرب أهلية، واعتبر النقراشى الإخوان خارجين على القانون وقرر مطاردتهم ، وقبل أن ينفذ قراره اغتاله أحد الإخوان فى ٢٨ ديسمبر.

المرحلة الثالثة
للنشاط الصهيونى
القسم التاسع عشر
١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

دور الولايات المتحدة

من قيام دولة إسرائيل

الوقائع كما ذكرها «دين اتشيسون»

وزير خارجية الولايات المتحدة آنئذ فى كتابه «عاصرت الأحداث»

DEAN ACHESON
"Present AT THE Creation"

عاصرت الأحداث

«دين اتشيسون»

DEAN ACHESON
"PRESEMT ATTHE CREA TIAN"

عاصرت الأحداث
نبذة عن حياة
دين اتشيسون

- ولد في ميدلتون ١١ أبريل عام ١٨٩٣ .
- تخرج من جان ييل عام ١٩١٥ وحصل على شهادة القانون من هارفارد عام ١٩١٨ .
- خدم في سلاح البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى.
- في فبراير عام ١٩٤١ عين مساعدا لوزير الخارجية.
- وفي أغسطس عام ١٩٤٥ عين وكيلا لوزارة الخارجية.
- وفي عام ١٩٤٦ كان رئيسا للجنة خاصة بإعداد الخطة للحظر الدولي على الطاقة الذرية.
- استقال في يونيو عام ١٩٤٧ وعاد إلى مهنة المحاماة.
- وفي يناير عام ١٩٤٩ تسلم منصب وزير الخارجية خلفا للجنرال

جورج مارشال، وكان قد ساهم بجهد فى إعداد وتنفيذ مشروع مارشال.

- فى خلال فترة عمله وزيرا للخارجية أشرف على إعداد الترتيبات من أجل إقامة حلف الأطلنطى ومعاهدة السلام مع اليابان التى وقعت عام ١٩٥١ .

- كما كان مسئولا أيضا عن إقامة جماعة الأمن الأوروبى وموجها لسياسة أمريكا خلال حرب كوريا.

- استقال فى يناير عام ١٩٥٣ وعاد لمزاولة العمل الحر فى المحاماة.

- وفيما يلى أهم الكتب التى أصدرها:

«عاصرت الأحداث»

دور الولايات المتحدة فى قيام دولة إسرائيل

مقدمة

لعل القارئ يتساءل لماذا ادخلنا هذا الفصل فى مسيرة تاريخ مؤامرة إسرائيل فى اغتصابها أجزاء من الوطن العربى، وفى زرع دولتها فى قلب العالم العربى فتفصل أجزاءه البرية إلى شرق وغرب.

ولكن الجواب على هذا التساؤل لا يأتى من طرفنا ولكنه يجئ من شخصية أمريكية هامة تولت المناصب السياسية حتى وصلت إلى قمتها كوزير للخارجية الأمريكية.

وإنا نلجأ إلى القول العربى الأصيل عندما نقول «وشهد شاهد من أهلها».

إن «دين اتشيسون» وزير الخارجية فى عهد الرئيس ترومان كما وردت اعترافاته فى كتابه «عاصرت الأحداث» وفيه يتحدث عن خفايا وأسرار الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وعن قيام دولة إسرائيل ودور الرئيس «هارى ترومان».

وقد أخلص اتشيسون لضميره فى عرض الأحداث، وكيف أن وزارة الخارجية الأمريكية كان لها رأى محايد خوفا على مصالح أمريكا فى العالم العربى. وحاولت أن تتمسك بالحقائق وأن تتخذ طريقا وسطا بين حقوق الشعب العربى وبين الأطماع الصهيونية، ولكن البيت الأبيض ضرب بآراء وزارة الخارجية الأمريكية عرض الحائط واتخذ قراراته منحازا انحيازا فاضحا للصهيونية متأثراً بما يوجبه اللوبى الصهيونى لدرجة أن ترومان فى مقابلة له مع «ونستون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك العهد إذ قال عن نفسه«أنه صهيونى ليس للعرب أصوات انتخابية فى أمريكا».

إننا نترك للقارئ فرصة الاطلاع على تحليلات وآراء «دين اتشيسون» السياسية عند استعراضه أحداث القضية الفلسطينية دون تدخل من جانبنا ودون أى حذف أو تعليق أو اختصار - فالمؤلف له مكانته وقد توخى الصدق فيما كتب.

عاصرت الأحداث

تقديم :

اقتبس المؤلف عنوان كتابه من المأثور عن الملك «الفونس العاشر» ملك أسبانيا فى القرن الثالث عشر «لو أنه كان قد قدر لى أن أوجد عند بداية الخليقة لكنت قد ساهمت فى تنظيم وسعادة البشرية».

وقد تضمن الكتاب شرحا وافيا لكافة الأحداث التى عاصرها «دين اتشيسون» عندما كان وكيلا فوزيرا للخارجية الأمريكية فى الفترة التى أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من تطورات سياسية هامة، حيث كانت السياسة الأمريكية تتعثر فى خضم هذه المشاكل، وكان تعثرها هذا وليدحداثة عهدها بها.

وحرص على أن يعرض للمشاكل والأحداث على هذا النحو، ولكن من خلال الإطار العام الذى يحيط بالسياسة الأمريكية، بل أنه راعى فى الوقت ذاته أن يوضح ويشرح كيف كانت المصالح الغربية تصطدم بصفة عامة مع المبادئ التى كانت الولايات المتحدة تدعى أنها ترغب فى إقرارها بعد الحرب العالمية الثانية.

ويمضى موضحا كيف كانت السياسة الغربية تبدو فى كثير من الأحيان متناقضة مع نفسها إلى أن تسلك فى النهاية سبيلا مسدوداً، وهو الأمر الذى حدا بالولايات المتحدة إلى أن تتدخل لمعالجة هذا التخبط رغما عنها، وربما فى أمور كانت تود لو تجنبتها لتعارضها مع المبادئ الأساسية التقليدية المعلن عنها.

ثم يقول إن ضعف الحلفاء الغربيين هو الذى أرغم بلاده على هذا التدخل لحل الفراغ السياسى والعسكرى فى كثير من دول العالم، وللتصدى للزحف الشيوعى الذى بدأ جارفا بعد الحرب مباشرة، وأن هذا التدخل أملته ضرورات الأمن لأنه كان يستهدف بالدرجة الأولى إرساء قواعد وركائز قوية تكون بمثابة خطا أماميا لحماية مصالح الولايات المتحدة وكيانها القومى.

وفى معرض استعراض المؤلف لمشاكل الشرق الأوسط، يحاول أن يعالج كل مشكلة على حدة، ثم لا يلبث أن يربط بينها جميعا فى عبارة مفادها: «أن بريطانيا وفرنسا وهما الحليفتان الأساسيتان قد خرجتا من الحرب ضعيفتين، وكان على الولايات المتحدة حينذاك أن تحل محلهما لملء الفراغ الاستراتيجى وهى عازفة عن ذلك حقا».

ويؤكد أنه استطاع خلال عمله فى وزارة الخارجية أن يستخلص حقيقة مؤكدة مفادها أن بريطانيا برغم ضعفها كانت لا تزال تتعلق بأحلام الأمبراطورية، حتى أن تصرفات مسئوليها كانت تتسم دائما بالعناد والتعنت الذى يفتقر إلى المنطق السليم ، أما فرنسا فلم تكن لها سياسة مخططة على الإطلاق ، وإنماستبد بها قصر النظر، فأطلقها

على النهج الاستعمارى فاعتقدت أنه وسيلة للتهرب من معالجة مشاكل البلاد التى تسيطر عليها، وذلك بالإعلان أن هذه البلاد أجزاء منها، ومن ثم فإن مشاكلها تعد من الشئون الداخلية الخاصة التى لا يجوز للأمم المتحدة التدخل فيها.

وهذا الموقف من جانب كل من بريطانيا وفرنسا كان يضع الولايات المتحدة فى حيرة وحرج، ذلك أنه فى الوقت الذى ينبغى أن تؤيد فيه حلفاءها، كان عليها أن تجد الحلول لمشاكل ما بعد الحرب، وغالبا ماكانت تتعارض مع موقف الدولتين الاستعماريتين الحليفتين.

وقد اهتم المؤلف بمشكلة فلسطين، فأفرد لها فصلا بعنوان «لغز فلسطين» وأورد فيه الأحداث على النحو التالى:

أولاً:

١- طرد اليهود من دول أوروبا الشرقية بعد الحرب.

٢- تأثير «جاكوبسون» وهو صديق حميم «لترومان» عليه، وإقناعه بأن إيجاد مأوى لهؤلاء اليهود يعتبر عملا إنسانيا يوازى إعلان حقوق الإنسان التى نادى بها «وودرو ويلسون».

٣- موافقة ترومان على تهجير مائة ألف يهودى إلى فلسطين كدفعة أولى.

٤- كان المؤلف فى ذلك الوقت وكيلا للخارجية وحاول الاعتراض، واقترح بديلا لهذه الخطوة مضاعفة العدد الذى كانت تسمح به حكومة الأنتداب إلى ثلاثين ألفا شهريا، بدلا من خمسة

عشر ألفا، كما أوضح أنه لم يوافق أصلاً على مبدأ التهجير، وتأكيد قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، لأن ذلك معناه إنشاء دولة تحوطها دول معادية، وتهديد لمصالح الغرب في الشرق الأوسط.

ويذكر أنه على الرغم من أنه كان وكيلا للخارجية ثم وزيرا لها إلا أن سلطته كانت محدودة، فقد كان ترومان واقعا تحت تأثيرقوى من الصهيونية، كما أنه يضع في اعتباره الانتخابات وأصوات اليهود، لذلك فقد كان يتخذ القرارات شخصيا دون اعتبار لآراء الخبراء غير المغرضين.

٥ - كانت بريطانيا لا تريد في ذلك الوقت الاستمرار في تحمل الأعباء والمسئوليات المادية والعسكرية للأنتداب، وكانت ترغب أن تقوم الولايات المتحدة بمشاركتها في تحمل هذه الأعباء، إلا أن خطوط السياسة الأمريكية في ذلك الوقت كانت تستهدف أن لا تتدخل تدخلا سافرا في مشاكل الشرق الأوسط، وإن كانت على استعداد لتحمل الأعباء الاقتصادية والمالية وترقب التطورات السياسية.

ثانيا:

أوضح فيما يتعلق بالنزاع العربي الإسرائيلي، أن العرب كانوا ضعفاء سياسيا لأنهم غير متحدين، وأن اليهود استطاعوا بمهارة استغلال الفرصة التي اتاحتها لهم بريطانيا لضيقها من أعباء الأنتداب في فلسطين، فأعلنوا فورا إنشاء دولتهم على أثر إعلان بريطانيا أنها ستنهي الانتداب في مايو سنة ١٩٤٨ عندما وجدت رفضا مستمرا من أمريكا بعدم مشاركتها صراحة في نتائج مسيرة الأحداث والتطورات.

وفى هذا المجـال ذكـر المؤلف أن تعنت وعـدم مـرونـة السيـاسـة البريطانية فيما يتعلق بجلاء قواتها عن مصر تحقيقا لرغبة الشعب المصرى كان من أسباب تدهور الموقف، وكـان فضلا عن ذلك سببا غـيـر مـبـاشـر فى رفض مـصـر الارتبـاط بالقـيـادة الموحـدة للشـرق الأوسط.

ومضى المؤلف ذاكرا أن السياسة الأمريكية حاولت استقطاب ثورة مـصـر عـام ٥٢ منعـا لتـدهور الموقف، وكـان ذلك سـبـبـا فى ازدياد غـضب بريطانيـا، وهنا بدأ التـدخل الأمـريكى فى المنطقـة بـهـدف معالجة المسائل بصورة مباشرة ووضع ركائز لحماية مصالحها بما يدرأ الشيوعية ويحول دون تسربها للمنطقة.

لغز فلسطين

ترجع صلتى [1] بالمشكلة الفلسطينية، المشكلة الدولية المعقدة، إلى ذلك التاريخ الذى تولى فيه الرئيس الأمريكى «ترومان» مهام منصبه، فقد شاءت الظروف أن يكون للرئيس «ترومان» الأثر الأكبر فى المشكلة، وشاءت نفس الظروف أن أقتفى خطواته، وأن يكون لى نصيب منها.

لقد حظى اليهود «ضحايا النازية» باهتمام وعطف الرئيس ترومان شخصيا الذى أخذ على نفسه عهدا بأن يعمل شيئا من أجل مشكلتهم، فانتهز فرصة أن هناك «وعد بلفور» وفيه تعهد بإقامة وطن قومى لليهود، فاعتمد على هذا الوعد واستند إلى ماسبق أن صدر عن الرئيس الأمريكى «وودرو ويلسون» عن حق تقرير المصير، وآل على نفسه أن يأخذ بيد اليهود. ولقد كان لصداقته الوطيدة بالصهيونى «أيدى جاكوبسون» الأثر الكبير فيما اعتنقه من آراء، ولعل هذه الصداقة أو العلاقة هى ما قصده رئيس الوزراء البريطانى «مستر آتلى» ووزير خارجيته «آرنست بيفن» حين أتهما الرئيس «ترومان»

(١) الكلام هنا لـ «دين اتشيسون»

بأن تأييده للهجرة اليهودية إنما مرجعه لتأثير بعض الانتهازيين السياسيين فى داخل الولايات المتحدة.

ثم يقرر المؤلف أنه لم يتفق مع الرئيس ترومان فى اتجاهاته إزاء المشكلة الفلسطينية، خاصة وأن محاولة تحويل «الوطن القومى لليهود» إلى «دولة إسرائيل» كان أمرا يزيد الأمور تعقيدا، ويهدد كلا من المصالح الأمريكية ومصالح الدول الغربية فى منطقة الشرق الأوسط.

ولقد كان واضحا فى سبتمبر ١٩٤٥ ـ حين تولى المؤلف «دين أتشيسون» وكالة وزارة الخارجية ـ أن رئيس الجمهورية شخصيا هو الذى يوجه سياسة الولايات المتحدة إزاء المشكلة الفلسطينية. وإذا نظرنا إلى اتجاهات موظفى الخارجية الأمريكية إزاء المشكلة، وجدناهم فى عهد الرئيس «روزفلت» يقفون موقفا محايدا، ثم إذا بهم يتحولون ـ بدافع الحرص على الوظيفة ـ إلى مواكبة اتجاهات الرئيس «ترومان»، وهنا لا يفوته ذكر مستر «لوى هندرسون» مدير قسم الشرق الأوسط الذى اتهم بواسطة بعض الصهيونيين بأنه يعمل على عرقلة تنفيذ سياسة الرئيس الأمريكى ترومان ، رغم كفاءة «لوى هندرسون» وإخلاصه.

وقد تركزت سياسة الرئيس الأمريكى ترومان حول نقطتين:

- تهجير مائة ألف يهودى فورا من شرق أوربا إلى فلسطين.

- عدم تحمل الولايات المتحدة مسئوليات عسكرية أو سياسية لتنفيذ النقطة الأولى.

ولذلك قام مستر «ترومان» بكتابة رسالة إلى مستر «تشرشل» يبلغه رغبته فى مناقشة مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين فى الاجتماع الذى كان مزمعا عقده فى «بوتسدام» ولكن شاءت الظروف أن يحل مستر «آتلى» محل مستر «تشرشل» فى رئاسة الوزارة، ومستر «آتلى» لم يكن مستعدا لمناقشة الموضوع.

هذا فى الوقت الذى قدم مستر «ترومان» إلى رئيس الوزراء المصرى ولبعض رؤساء الوزراء العرب تأكيدا بأنه «لن يتخذ قرارا بشأن الوضع الأساسى الحالى فى فلسطين دون موافقة كاملة من جانب العرب واليهود» « وأكد بأنه سوف يستطلع رأيهم، وأن ذلك لا يتنافى مع شعور العطف على الأمانى اليهودية.

ثم أرسل الرئيس «ترومان» نداءا ثانيا إلى رئيس الوزراء البريطانى لفتح باب الهجرة اليهودية، ورد مستر «آلى» أنه لا يزال فى حاجة لمزيد من الوقت لدراسة المشكلة.

وهنا يجدر ذكر النصيحة التى قدمها مستر «لوى هندرسون» لوزير الخارجية الأمريكية «بيرنز» عندما اقترح أنه يجب قبل فوات الأوان، وقبل أن تتأزم الأمور الحصول على موافقة البريطانيين والسوفييت والأمريكيين بالطبع، وإن أمكن الفرنسيين أيضا، للأتفاق على حل، ثم عرضه على العرب واليهود ، وليس هناك دليل على أن هذه النصيحة وصلت للرئيس الأمريكى.

لقد كان الرئيس الأمريكى يرى للمشكلة وجهين:

- فى المدى البعيد: المشكلة من اختصاص الأمم المتحدة.

- فى المدى القريب: الأمر العاجل هو أن اليهود فى أوروبا فى حاجة ماسة للمساعدة.

ويقول المؤلف أنه تولى مهام منصبه فى هذا الجو العجيب، وأنه قد جرت بينه وبين العرب اتصالات، وكان رده دائما، «أن هذه المسائل الهامة تثير اهتمام الرئيس شخصيا» وأنه لم يكن يملك التصريح بأكثر من ذلك. وقد اتسم العرب بالصراحة أثناء ما جرى من اتصالات، فقد حدثه السفير المصرى فى ٣ أكتوبر ١٩٤٥ بالقلق الذى يساور العرب نتيجة ما يذاع عن رسالة سيوجهها الرئيس الأمريكى إلى البريطانيين لحثهم على زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وذكر السفير المصرى بالوعد السابق من الرئيس الأمريكى الأسبق «روزفلت»، وأنه يجب التأكيد أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لم تتغير، وأنها ماتزال ملتزمة بتعهدها السابق. ولقد فاتحت وزير الخارجية فى الأمر فاقترح نشر رسالة «روزفلت» القديمة للملك «عبدالعزيز آل سعود» التى يؤكد فيها المبادئ الأمريكية وصداقة أمريكا للعرب، ووافق الرئيس ترومان على نشر الشطر الثانى «صداقة أمريكا للعرب».

لجنة التحقيق الانجلو أمريكية

كان رئيس الوزراء البريطانى مستر «آتلى» يرى وجوب اشراك الولايات المتحدة فى المسئولية الشاملة عن القضية الفلسطينية، فاقترح لجنة تحقيق أنجلو- أمريكية، مهمتها دراسة احتياجات اليهود الذين يهاجرون من شرق أوروبا، والعدد الذى يمكن استيعابه منهم، وبعد ذلك تقترح اللجنة الحل الدائم للمشكلة الفلسطينية، وقدمت

اللجنة تقريرها للحكومتين فى ٢٢أبريل ١٩٤٦ ، وقد أعلن عن جزء من التقرير، ولكن يمكن القول بأن أهم نقاط التقرير هى:

- عدم سيطرة اليهود على العرب.

- وجوب المحافظة على الصبغة البريئة للأماكن المقدسة لكل من المسلمين والمسيحيين واليهود.

- أن يعمل الأنتداب على الموازنة بين العرب واليهود، مع تشجيع الهجرة بعد استيعاب مائة ألف مهاجر جدد، ووقف القيود المفروضة على بيع الأراضى.

ولكن للأسف كانت نقاط التقارير يناقض بعضها البعض، وكان التعارض شديدا بين الولايات المتحدة وبريطانيا، فقد وقفت بريطانيا موقفا متشددا من الهجرة.

وقد اقترح المؤلف حسما للخلاف أن يبدأ مستر «آتلى» مشاورات مع العرب واليهود على أساس ما ورد فى التقرير، وقد أبرق الرئيس «ترومان» بذلك للمستر «آتلى»، الذى رد طالبا «فسحة من الوقت حتى نبدأ مباحثاتنا».

وقد اتصل بى وزراء من مصر والعراق ولبنان والعربية السعودية وسوريا فى ١٠ مايو للأعراب عن «الشعور بالألم فى العالم العربى نتيجة لهذا التقرير» وطالبوا بسرعة رفض التقرير، وطبعا وعدتهم بالتشاور قبل اتخاذ قرار.

وبعد ذلك قدمت خطابات للوكالة اليهودية وإلى اللجنة العربية العليا، وقد رفضت اللجنة العربية التقرير كله وبالإجماع، أما الوكالة

اليهودية فردت ردا غامضا تشكو فيه أن تهجير المائة ألف يهودى سيتم بعد الاتفاق على المشكلة الفلسطينية ككل.

وفى ظل هذه الملابسات صرح مستر «بيفن» وزير خارجية بريطانيا بقوله: «آمل ألا يساء فهمى إذا قلت - مع التسليم بحسن النوايا - أن سياسة الولايات المتحدة تجاه الهجرة اليهودية إلى فلسطين كانت سياسة مبنية على أساس أنها لا ترغب فى وجود كثيرين منهم فى نيويورك. وقال: «إن حكومة صاحبة الجلالة ليست مستعدة لأرسال فرقة أخرى فى فلسطين للمساعدة لتهجير مائة ألف يهودى من أوروبا».

وفى الوقت نفسه أرسل مستر«آتلى» قائمة بها أكثر من ٤٠ سؤالا محددا طلب فيها ردودا محددة لتخطيط عمليات التهجير، وذلك بقصد أن يشرك الأمريكيين بحيث لا يقتصر دروهم على دور الناصح زلق اللسان، لذلك قرر الرئيس الأمريكى تعيين لجنة من وزراء الخارجية والخزانة والحرب للمساعدة فى مجال تقرير وتنفيذ السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية.

اللجنة الوزارية

ولقد اندلعت أعمال العنف فى النصف الأخير من يونيو فى فلسطين، وبدأت سلطة الأنتداب عدة اعتقالات لزعماء الحركة المسلحة الصهيونية، ودمر فندق الملك داوود حيث كان جزءا من القيادة البريطانية وسكرتارية المندوب السامى، وأعلنت المنظمة الصهيونية «أرجون زفاى ليومى» مسئوليتها عن الحادث.

وكان الرئيس الأمريكى قد أعلن استعداد الولايات المتحدة لتحمل مسئولياتها بشأن الالتزامات المالية والفنية لنقل مائة ألف يهودى من أوروبا إلى فلسطين، وسافرت إلى لندن بعثة من الخبراء الأمريكيين، وبعد تفاقم الأحداث بدأت تظهر بعض نتائج المحادثات الأنجليزية الأمريكية، ومنها اقتراح إنشاء دولة فلسطينية فيدرالية لليهود والعرب فيها مقاطعات مستقلة لها سلطات محلية واسعة ، أو إنشاء حكومة فيدرالية تحت إشراف الأنتداب.

وظهر اقتراح مساعدة الولايات المتحدة اقتصاديا لجميع الدول العربية، منها ٥٠ مليون دولار لعرب فلسطين بصفة خاصة، كما أعلن عدم الربط بين موضوع استيعاب المائة ألف يهودى وبين الموافقة على إنشاء الدولة الفيدرالية السالف الإشارة إليه.

وبعد بضعة أيام من رفض العرب واليهود للمشروع، عهد الرئيس الأمريكى «ترومان» إلى المؤلف معالجة المشكلة، ولكن بعد أن تمكن رئيس الوزراء البريطانى من اقحام الولايات المتحدة فى المشكلة، ومن ثم إحلالها محل بريطانيا، وبعد أن كان الأمر لا يعدو كونه نزاعا مسلحا بين الدولة المنتدبة واليهود أصبح الموقف يهدد بالأنفجار فى الشرق الأوسط، مما جعل الرئيس الأمريكى يعلن عدم ارتياحه للتقرير، ودعا «تشرشل» إلى أن يعلن فى مجلس العموم أنه ينصح الحكومة البريطانية بالتخلى عن الأنتداب إذا لم تقدم الولايات المتحدة المساعدات الضرورية.

إعلان ٤ أكتوبر ١٩٤٦ «اليوم الكبير»

فى ذلك اليوم أعلن الرئيس الأمريكى أنه سيعاود جهوده لتسهيل هجرة مائة ألف يهودى إلى فلسطين، وأعلن توقعه موافقة الرأى العام الأمريكى على اقتراح تقسيم فلسطين، إلا أن هذا الأعلان واجه اعتراض الكثيرين، وكان أشد الناس رغبة فى التعرف، بوجه التحديد، على وجهة النظر الأمريكية، السفير البريطانى الذى كان منحازا للجانب الصهيونى، بخلاف رئيس وزراء بلاده مستر «آتلى» ووزير الخارجية مستر «بيفن» ـ كما حاول أميران سعوديان معرفة النظرة الأمريكية بدقة وهما : الأمير فيصل ملك السعودية فيما بعد، وولى العهد وقتئذ الأمير سعود، خاصة فى الفترة التى تم فيها تغيير وزير الخارجية الأمريكى بتولى الجنرال «مارشال» تلك الوزارة، وكان الهدف معرفة ما إذا كان ثمة تغيير فى السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية.

وقد ذكر المؤلف أن السفير البريطانى أبلغه فى هذا الصدد أن مستر«بيفن»، أخطر الزعماء اليهود فى نيويورك، أن بريطانيا غير قادرة على إيجاد حل لمشكلة فلسطين فى المستقبل القريب، وأنها تزمع إنهاء الأنتداب وتسليمه للأمم المتحدة بعد أن رفضته الولايات المتحدة، وذكر السفير البريطانى أن الحاضرين من زعماء اليهود اقترحوا تقسيم فلسطين تفاديا لتأزم الموقف.

وعاود السفير البريطانى بعد ذلك الاتصال بالمؤلف بعد تولى «الجنرال مارشال» وزارة الخارجية لإبلاغه أن بريطانيا بصدد الدخول فى مباحثات مع زعماء العرب واليهود، وأن الحكومة

البريطانية تستطلع الرأى فى حالة عدم الوصول إلى اتفاق فى شأن التقسيم أو إنشاء دولة فيدرالية أو تسليم الأنتداب للأمم المتحدة.

ويرى المؤلف أن الحل فى ذلك الوقت كـان فى الالتـجـاء إلى التقسيم بوصفه أسهل وأقل تعرضا للمعارضة، ولكن العرب كانوا يتوجسون خيفة من أنه بعد تهجير المائة ألف يهودى أن يختل التوازن. ولم يشترك اليهود فى مؤتمر لندن، ولم تلق الولايات المتحدة بثقلها، وأعلنت بريطانيا أنها ستحيل الموضوع برمته فى ١٤ فبراير عام ١٩٤٧ إلى الأمم المتحدة، وقرر المؤلف أن التجاء بريطانيا للأمم المتحدة وتخليها عن الأنتداب زاد فى أعباء الولايات المتحدة التى كان يجب - فى رأى المؤلف - الاتفاق معها مسبقا على حل يوافق عليه الجميع.

المسئولية تحال على الأمم المتحدة

فى ٢٢ فبراير ١٩٤٧ أبرق وزير خارجية الولايات المتحدة إلى وزير خارجية بريطانيا بأن إحالة المشكلة للأمم المتحدة لن يخفف من حدتها، واستفسر منه عن إمكانية زيادة حصة الهجرة خلال نظر المشكلة على الأمم المتحدة، ولكن وزير خارجية بريطانيا مستر «ارنست بيفن» ذكر بأن بريطانيا ستسحب خلال شهر قواتها من اليونان، ثم هاجم مجلس العموم البريطانى الولايات المتحدة وسياستها إزاء المشكلة الفلسطينية.

وكان واضحا أن الأمم المتحدة لا تستطيع تدارك الأبعاد الحقيقية للمشكلة دون معاونة أحد الأطراف، واقترحت الولايات المتحدة مساعدة سكرتارية الأمم المتحدة بمجموعة قليلة العدد من بعض العناصر المحايدة الممتازة للمعاونة.

وفى ٢ أبريل طلبت بريطانيا من سكرتارية الأمم المتحدة عقد جلسة خاصة للجمعية العامة لتكوين لجنة مهمتها دراسة وضع فلسطين ومستقبلها.

وفى الفترة من ٢٨ أبريل إلى ١٥ مايو عقدت الجمعية العامة عدة جلسات، ولكن لم يلبث وزير خارجية الولايات المتحدة الجنرال «مارشال» أن أعلن تضاؤل الأمل فى إيجاد تسوية للمشكلة، لأن أى حل لن يتم إلا إذا صاحبته القوة.

وكان آخر ما أعلمه ـ نظرا لاستقالتى بعد ذلك ـ هو ضغط الوكالة اليهودية على الولايات المتحدة لتمارس ضغوطها لزيادة حصة الهجرة اليهودية، ولقد التزمت من جانبى موقف المعارضة، وفوجئ الجميع بعد ذلك أنه فى منتصف يوليو استطاع ٥٥٠٠ مهاجر يهودى الدخول خلسة بطريقة غير قانونية إلى فلسطين. وتم حجزهم فى حيفا وإعادتهم إلى أوروبا، وبدأ فى نهاية العام النضال بين اليهود والعرب فى جميع أرض فلسطين، إلا أننى لم يتيسر لى وقتئذ الوقوف على معلومات دقيقة فى هذا الصدد نظراً لأننى لم أكن أشغل أى منصب رسمى فى ذلك الحين.

وفى الفترة ٤٧ / ١٩٤٨ ـ وهى الفترة التى كنت خلالها بعيدا عن المناصب الرسمية ـ احتدمت المواجهة بين العرب والإسرائيليين فى الشرق الأوسط، وكان آخر عهدى بالمشكلة عندما قدم مستر «بيفن» اقتراحا لعقد جلسة خاصة للجمعية العمومية للأمم المتحدة لتولى الأنتداب بدلا من بريطانيا، والتمهيد لإنشاء حكومة تقرر مستقبل فلسطين، إلا أن الاضطرابات دعت بريطانيا إلى أن تعلن إنهاء

مسئولياتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨، الأمر الذى أدى إلى إعلان قيام (دولة إسرائيل) فى ١٤ مايو مما أعقبه اعتراف الرئيس «ترومان» على أساس الأمر الواقع، فى الوقت الذى كان المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة لا يزال يؤيد إقامة وصاية مؤقتة على فلسطين.

وعينت الأمم المتحدة الكونت «برنادوت» وسيطا لها، ولم يقدر لجهوده النجاح، وكانت النهاية اغتياله، ثم خلفه «رالف بانش» الذى تمكن من تحقيق وقف إطلاق النار، ودعا إلى المباحثات فى جزيرة ردوس.

وكان على المؤلف أن يتصل بالبريطانيين للوقوف موقفا موحدا من المشكلة، أو وضع قاعدة أكثر تعقلا بشأن المساعدات الأمريكية تتحل بريطانيا بمقتضاها مما تفرضه عليها معاهداتها مع مصر والأردن، وأثير موضوع فرض حل على الشرق الأوسط تقرره بريطانيا وأمريكا يتناول الحدود واللاجئين، ولكن الخارجية الأمريكية لم تلبث أن أدركت أن فرض حل سيساعد على تدخل السوفييت فى المنطقة. ويستطرد المؤلف قائلا: «ولعل العرب واليهود الآن أكثر تعقلا بعد اندلاع الصدام بينهما وأكثر ميلا لإجراء مشاورات تحت إشراف «رالف بانش»، ومعنى هذا فى رأى المؤلف «بدون تدخل أمريكى فى ذلك الحين».

وكانت مجهودات المؤلف - حسبما يذكر - تستهدف تحسين الوضع، لولا أنها لم تكلل بأى نجاح طوال خدمته بالوزراة.

ويستطرد المؤلف ليقرر أنه طلب من «رالف بانش» العمل بالخارجية الأمريكية وكيلا لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا والمسائل الأفريقية لولا أن رفض بانش ذلك بلباقة.

التصريح الثلاثى بشأن الشرق الأوسط

وقد نوقش موضوع الشرق الأوسط فى الاجتماعات الثلاثية التى دارت، وقد كانت المصادمات بين العرب واليهود قد خفت حدتها، ولم تؤد المناقشات إلى حل للمشاكل القائمة، كما فشلت لجنة الأمم المتحدة فى التوفيق فى الوقت الذى اشتدت فيه الاضطرابات فى إيران، وقيام الثورة فى مصر ضد البريطانيين.

وقد أصدر الوزراء الثلاثة المجتمعون فى لندن تصريحا ثلاثيا بشأن المواجهة العربية الإسرائيلية، وقد جاء فيه أنه إذا أبدت إحدى دول المنطقة (الشرق الأوسط) نواياها العدوانية ضد دولة أخرى، أو انتهكت حدوده، فإن الدول الثلاث تتخذ على وجه السرعة الإجراءات اللازمة، سواء فى نطاق الأمم المتحدة أو خارجها لتفادى ذلك.

ولم يكتب لهذا التصريح الثلاثى أدنى قدر من التنفيذ، فقد انغمست دول التصريح فى مشاكل بعيدة الصلة عن الشرق الأوسط، وانتهز الأتحاد السوفيتى الفرصة وبدأ فى نشردعايته فى أوروبا وفى الشرقين الأدنى والأوسط.

وكمظهر لانعدام فعالية التصريح ما حدث عام ١٩٥٦ حين انتهكت إحدى الدول حدود دولة، وحين تضاربت مواقف الحكومات صاحبة التصريح ،خاصة وأن بريطانيا وفرنسا لم تترددا فى استعمال القوة المسلحة خارج نطاق الأمم المتحدة، مما أدى بالأتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبعض دول الأمم المتحدة - فى ظل التهديد بالتدخل المسلح - إلى العمل على وقف التدخل الفرنسى الإنجليزى الإسرائيلى.

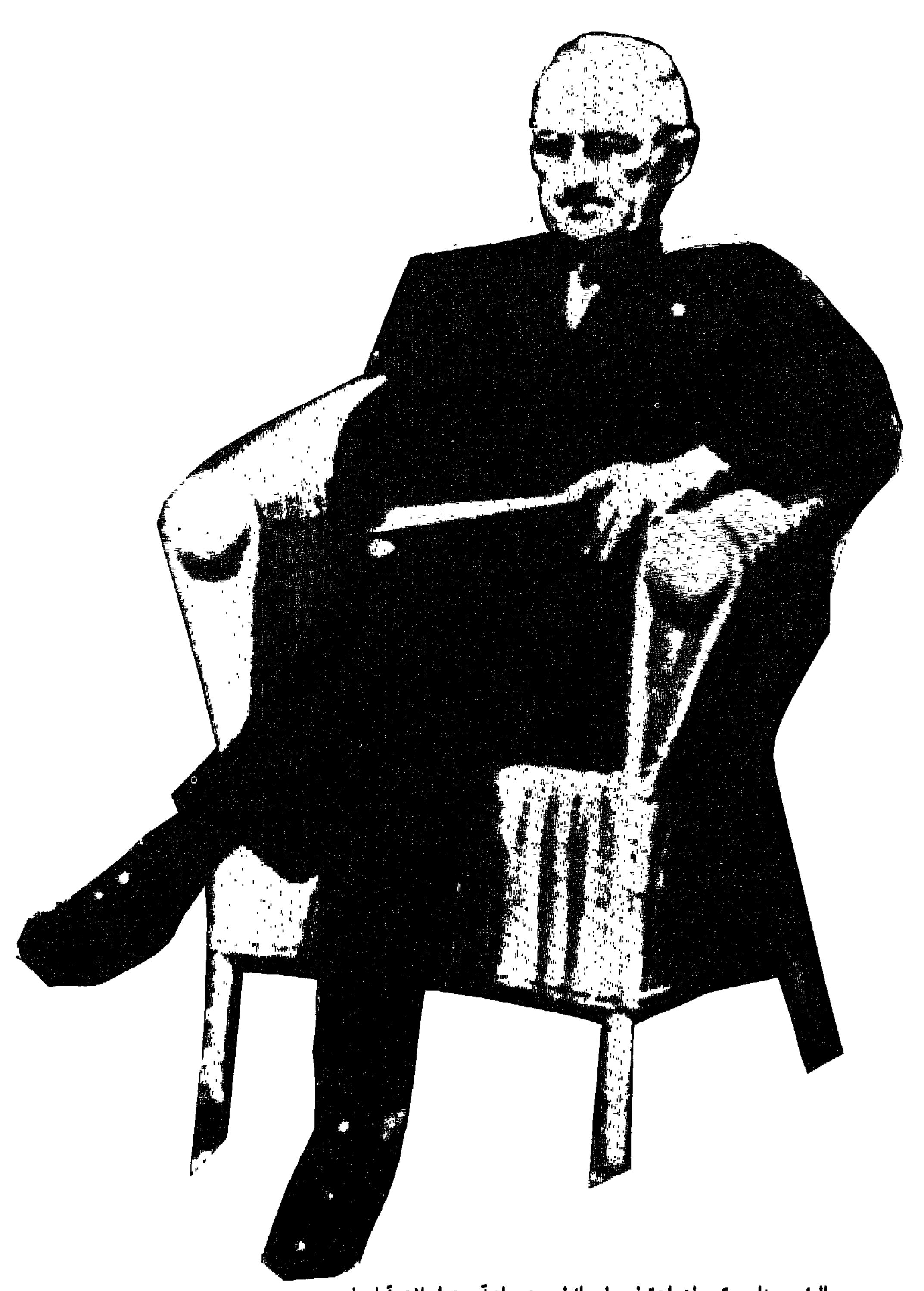
ومظهر آخر لانعدام فعالية التصريح هو نزول القوات الأمريكية فى الأراضى اللبنانية فى يوليو عام ١٩٥٨ عند قيام لبنان بالشكوى غير الجدية طالبة حمايتها من التهديد الأجنبى (المصرى).

وهكذا تأكدت عدم فعالية هذا التصريح، بل ويمكن القول بأنه ولد ميتا.

التعليق

والواقع أن وجهة نظر «دين اتشيسون» هذه قد تكون واحدة من الآراء القليلة المسجلة التى جاهر بها مسئول أمريكى على هذا المستوى العالى وناهض فيها تخطيطات الصهيونية.

ولعل الظروف والملابسات لظهور هذا الرأى الخطير بالنسبة لإسرائيل تمثلت فى أن العالم كان قد فرغ لتوه من حرب عالمية طاحنة، وأن الصهيونية كانت منهمكة فى حرب مع العرب، وأن «اتشيسون» كان وزيرا لخارجية الولايات المتحدة عام ١٩٤٩ . ولذا كانت هذه الظروف غير مشجعة مما أستتبع أن توجه الصهيونية وإسرائيل معاولها لهدم «أتشيسون» إلا أنها ، وقد تم اعتراف معظم الدول بها بالإضافة إلى فقدان «أتشيسون» فى نظرها لأية قيمة سياسية تستحق الالتفات، فإنها التزمت عدم الاكتراث حتى لا تعطى الموضوع أهمية دون مقتضى، بالإضافة إلى افتقاد المبرر أو المصلحة فى إثارة موضوع أصبح فى سجل التاريخ.



الرئيس هارى ترومان اعترف باسرائيل بعد ساعة من إعلان قيامها.

القسم العشرون

تقييم

للرجلين اللذين أقاما دولة اسرائيل

١ ـ «حاييم وايزمان»
و
«دافيد بن جوريون»

تقديم

إن تاريخ اليهود المعاصر وقيام دولة إسرائيل والعودة من الشتات هو فى حقيقة الأمر وواقعه محصلة عمل - صاحبى رسالة - يعتبران من أبرز القادة البرجماتيين الذين عرفهم التاريخ اليهودى الحديث، «حاييم وايزمان - ودفيد بن جوريون»، فاليهما يرجع الفضل الأكبر لما حققته الصهيونية العالمية من انتشار ونفوذ سياسى واقتصادى فى انحاء العالم، وإن كان التاريخ اليهودى قد سجل للرجلين بعض الخلافات فى الطرق والوسائل النضالية، بلغت فى بعض الأحيان المعارضة والقطيعة، إلا أن هدفهما الأساسى كان متفقا عليه وهو جمع شتات الشعب اليهودى الذى عاش أكثر من ثمانية عشر قرنا، ذاق فيها كل أنواع المذلة والمعاناة والاضطهاد، وتحقق حلم اليهود الأكبر بإقامة دولة فى قلب العالم العربى، أساسها المبادىء الصهيونية التى وضعها «هرتزل» فنفذها هذان الرجلان بكل دقة ومثابرة.

ومن خلال سيرة الرجلين - يمكن أن نتتبع من واقع فلسفتهما وأعمالهما وطرق ووسائل أدائهما، وتاريخ الحركة الصهيونية بعد وفاة - هرتزل - إلى أن قامت دولة اسرائيل.

فالرجلان وإذا صح القول ـ من واقع دراسة حياتهما ـ كانا بمثابة الروح والجسد للكيان اليهودى والصهيونى القائم حالياً.

«بن جوريون» و «وايزمان»

اسباب الخلاف بين الزعيمين

وضع «روبرت سان جون» فى مؤلفه «BEN GURION» «بـــن جوريون» مقارنة «فسيولوجية» و«طبقية»، بين «وايزمان» و «بن جوريون» ليلقى الضوء على جانب أساسى مهم كان سببا فى الخلاف الذى كان مستحكما بين الزعيمين قرابة أربعين عاما. فذكر فى مستهل دراسته ما يلى:

كان عقد العشرينات وقتا حافلا بالنشاط لبن جوريون وانطلاقه السريع فى عمله، عصيبا لشعب فلسطين اليهودى. فقد كانت لهم جميعا سنوات من الحيرة والشك، والتوتر، ولحظات عارضة من الإنجاز والغبطة احيانا، وفترات أكثر من الحزن غالبا بسبب الإحباط واليأس أحيانا.

وفى ابريل عام ١٩٢٠، التقى زعماء قوات الحلفاء على شاطىء المصيف الايطالى فى مدينة «سان ريمو» لتوزيع المكاسب والغنائم، ولكن وحتى ذلك الوقت لم يتخذ أى اجراء رسمى أو شكلى بالنسبة لفلسطين.

وكــان يهــود فلسطين ينظرون، الى إعــلان «بلفــور» على أنه قصاصة من الورق، يعطى بريطانيا الانتداب على فلسطين، وتعنى

هذه الورقة أن اولئك الذين قسموا الهيمنة تواً، يقولون للعالم أنه فى حالة هذا الانتداب فإن الشعب المعنى مستعد تقريبا لنظام حكم ذاتى، وأن مدة الإنتداب تبعا لذلك ستكون قصيرة.

وقد عم الغضب يهود فلسطين فيما عدا قليلا منهم. إسرائيل تحيا ثانية بعد زهاء ألفى عام. الا أن «بن جوريون» كان يتوجس خفية بعد أن درس بتأن مضمون كلمات الانتداب ومراميها الخفية.

فالمادة الرابعة تقول، يجب أن تعترف دولة الانتداب «بوكالة يهودية» لتمثيل الشعب اليهودى عندما يعمل لاقامة وطنه القومى. وراودت «بن جوريون» تساؤلات، كيف سيتم الإختيار، من سيكون الرئيس؟ وما هى السلطات التى تمارس؟

أما المادة السادسة فتقول سيسمح بهجرة اليهود (أى إلى فلسطين) وسيشجع اليهود على الاستقرار فى البلاد.

والتساؤل الهام هو..كيف.. .. وعلى يد من .. ومتى.. وأين؟

ورأى «بن جوريون» المهاجرين يتجمعون فى تل أبيب، حتى تستعد المدن الصغيرة الجديدة لهم، وقد جاء الكثير منهم بمال قليل، يريدون استثماره فى فتح محلات أو البدء فى أعمال صغيرة ويستخدمون عمالة رخيصة.

وبعد قليل من «سان ريمو» دعى الى عقد مؤتمر هام للصهاينة فى لندن، وقرر اتحاد العمال إيفاد «بن جوريون» متحدثا باسمه، وكان هذا هو أول تجمع عالمى حضره فى قاعة البرت هول.

وعلى المنصة كان هناك متحدثون من الشخصيات البارزة من نيويورك وبوسطن وباريس ووارسو، ومن جميع أنحاء العالم، وكان «بن جوريون» وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره رئيس حزب سياسى من ألفى عضو على برنامج خطة العمل.

وفى هذا المؤتمر، لأول مرة، يختلف «بن جوريون» مع «وايزمان» وخلال الاثنين والثلاثين عاما التالية، كان هذا الرجلان فيما بينهما يقودان مصائر ملايين اليهود فى إسرائيل وغيرها من أنحاء العالم. وكان أصدقاء «وايزمان» يطلقون عليه اسم «مهندس» دولة اليهود «إذا كان «وايزمان» هو المهندس، فإن «بن جوريون» هو المقاول العام والمؤسس وقد عملا سويا أوقاتا خلال الثلث التالى من القرن، كما يجب أن يكون الاتفاق بين المهندس والمنفذ، ولكنهما فى فترات أخرى كانا بعيدين جدا فى تفكيرهما حتى بدا التوفيق بينهما مستحيلا.

كلاهما كان يهوديا مولودا فى روسيا، وكلاهما كرس حياته من أجل ما يطلق عليه الآن اسم إسرائيل، وهنا ينتهى التشابه.

ثم بدأت المقارنة بين «وايزمان» و «بن جوريون» والاختلاف بين تكوينهما وسلوكهما، فبينما كان «وايزمان» ارستقراطيا وسيما، كان مظهر «بن جوريون» يبدو وكأنه رئيس عمال، يفخر بأنه رجل من العامة وواحد من الشعب، يسعى فى كل مناسبة إلى هدفه الاسمى، ألا وهو إقامة دولة لليهود فى فلسطين كمرحلة، ثم التوسع فى كل فلسطين ولو بحد السيف والقوة الغاشمة فى مرحلة تالية.

وكان «وايزمان» الذى درس فى برلين وسويسرا يفاخر بحصوله على الكثير من الدرجات العلمية، بينما علّم «بن جوريون» نفسه بنفسه دون أى درجات علمية من أى نوع، حتى منحته الجامعة العبرية شهادة فخرية.

وكان «وايزمان» ثريا بالوراثة عن أهله ويستمتع كأولاد الأغنياء الانجليز، بينما كان «بن جوريون» ـ حتى بعدأن أصبح رئيسا للوزراء يجلس حول مائدة المطبخ لتناول الغذاء ويعاونه ضيوفه أحيانا فى تنظيف الأوانى.

وكان «وايزمان» يستضيف رجال الدولة، أمثال لورد «بلفور»، كما كان يعرف «ونستون تشرشل «منذ الصبا، ويحاكى ملك إيطاليا والبابا وليدى «استور» و «ماكدونالد» وغيرهم، بينما كان «بن جوريون» يفضل ـ حتى بعد أن أصبح رئيسا للحكومة ـ الترفيه بالكيبوتز والطلائع الشبابية وضباط الجيش ورجال المخابرات.

وكان لـ «وايزمان» أصدقاء حميمين فى كل مدينةهامة فى العالم، بينما لم يكن لـ «بن جوريون» طيلة حياته سوى قلة، كما كان «وايزمان» يعالج المشاكل كلها بعقل متفتح وأسلوب علمى، على حين يفكر «بن جوريون» بقلبه، وبينما كان «وايزمان» نادرا ما يفقد أعصابه، كان ين جوريون» يفقد أعصابه غالباً.

وكان «وايزمان» يضرب المثل بسويسرا ـ الدولة الصغيرة ـ وكأن هناك سويسريون خارجها أكثر من داخلها، دون إحساس معاد نحو السويسرى لأن له وطنا يمكن أن يعود اليه، ويمكنه دعوة الأخرين

إليه، بينما لم يستخدم «بن جوريون» مثلا كهذا على الاطلاق، ولكنه كان يستخدم تعبيرا هو: ما يخصنى هى بلادى الأصلية «يقصد إسرائيل».

لقد ذهب «وايزمان» إلى فلسطين، وغادرها بعد وقت قصير، ولم يعد الا بعد زمن طويل حين قامت دولة إسرائيل، وانتخب رئيسا لها، وقضى بقية سنى عمره فيها، بينما دق «بن جوريون» جذوره عميقة فى تربة الوطن، أرض إسرائيل.

كان «وايزمان» صديقا للحركة العمالية فى فلسطين، دون أن يأخذ دورا سياسيا فيها على الإطلاق، أما «بن جوريون» فقد قامت كل مهامه على العمل السياسى.

وكان «وايزمان» ليبراليا، أما «بن جوريون» فكان اشتراكيا، «وايزمان» اكاديمى، «وبن جوريون» رجل عنف.

شعر «وايزمان» بأن «بن جوريون» لم يظهر إلا قليلا جدا من الاهتمام بالرأى العام العالمى، وشعر «بن جوريون» بأن «وايزمان» أظهر الكثيرجدا من الاهتمام بما عسى أن يفكر أولئك من خارج الشرق الأوسط.

«وايزمان» جامعى يصف نفسه بأنه معتدل، بينما «بن جوريون» متقلب، غير صبور يتلهف على نتائج سريعة.

أحس «وايزمان» خلال معظم حياته بأنه لا أمل فى دولة يهودية إلا عن طريق بريطانيا، بينما ضاق «بن جوريون» بالبريطانيين حتى أصبح عدوا لدودا فى النهاية بعد سلوك «أرنست بيفن» وزير الخارجية البريطانى الذى نقض وعد حزب العمال.

كـان مـعظم هذا التناقض بين الرجلين ظاهرا للجـمـيع، ولعل المقارنة قد تركت شعورا غير مقصود باستعلاء «وايزمان»، لكنه يبدو أن سلوك «بن جوريون» قد غلب عليه الحقد والاستياء الغريزى من «وايزمان» وأسلوب حياته وفلسفته وسياساته، ولكنه اعترف مثنيا على الأهمية الكبرى لوايزمان فى قضية الصهاينة.

الخلاف بين «وايزمان» و «بن جوريون»
فى التطبيق السياسى

حضر «وايزمان» مؤتمر «بلتيمور» وصوت تحت ضغط الأغلبية بالموافقة على مقرراته مع أنه فى قرارة نفسه كان معارضا للبرنامج، وعلق على مسلكه هذا بقوله: «إن فن السياسة استهداف الممكن واستطلاع ما يمكن الحصول عليه».. غير أنه عندما عاد إلى لندن أخذ يتفاوض مع الإنجليز بما يخالف برنامج «بلتيمور» مما حمل «بن جوريون» على تقديم استقالته، ورفض «وايزمان» ما طلبه بعض الصهيونيين من الذهاب إلى فلسطين لتفسير موقفه وتوضيحه لـ «بن جوريون» إلا أنه تعهد بعدم اتخاذ أى اجراء الا بموافقة اللجنة التنفيذية للمنظمة.

وباشهار سلاح الاستقالة انتصر «بن جوريون» على «وايزمان» وبالتالى على «شرتوك» الذى أخذ جانب «وايزمان» فى هذا الخلاف. ومنذ ذلك الحين بدأ الخلاف بين «موسى شرتوك» الوارث الروحى «لوايزمان» وبين «بن جوريون».

وكـان «بن جـوريـون» يرى أن الاسـتـقـلال أهم من زيادة تـدفق الهـجرة، بينما رأى «وايزمـان» أن اليهود إذا ما حـصلوا على تصريح بهجرة مائة ألف يهودى كـانوا على استعداد لنسيان فكرة الاستقلال. وكان رأى «بن جـوريون» على النقيض من رأى «وايزمـان» فـالدولة اليهودية هى أمل كل يهودى عند «بن جوريون».

وكانت اللجنة الأنجلو- أمريكية التى شكلت بناء على طلب الرئيس الأمـريكى «ترومـان» لـدراسـة الـوضع فى فلسطين قـد أوصت فى تقـريرها بالسـمـاح للمـائة ألف يـهودى بالـهـجـرة إلـى فلسطين مع تحذيرها من قيام أية دولة سواء عربية أو يهودية فى فلسطين، ورأى وايزمـان و «شرتوك» بعض الأمل فى تقرير هذه اللجنة، بينما رفض «بن جوريون» رفضا قاطعا هذا التقرير، وأصدر قرارا سريا للهاجاناه ببناء قـرى جـديدة فى الأمـاكن الممنوع فـيـهـا تملك اليـهـود، وشـجع كذلك على الهجـرة غير القانونية وخاصة الواقعة من فرنسا وهو البلد الذى كان اليهود يتدربون فيه على الحرب، كما طلب من «الهاجاناه» تحريض اليهود على إعلان العصيان المدنى وعدم إداء الضرائب.

وفى المؤتمر الـصـهـيـونى الذى عقـد فى «بازل» عام ١٩٤٦ ظـهـر الصـراع على أشـده بـين «بن جـوريون» و «وايزمــان»، وكـان أغلب أعـضـاء «المابـاى» والأشـتـراكـيون يؤيـدون «وايزمـان» لـتـخـوفـهم من أهداف الصـهـيـونيين الأمـريكيين الذين كـانوا ينـادون بنقل مـركـز الحـركة إلى «نيويورك» خاصـة بعد أن أصبح «سيلفر» رئيس المنظمة وقبل الاشتراك فى مؤتمر لندن الذى دعت إليه الحكومـة البـريطانيـة فى شهر يناير ١٩٤٧.

كان «وايزمان» «وشرتوك» واتباعهما يرون وجوب الوصول إلى اتفاق مع دولة الانتداب، وطلبوا من المؤتمر أن يوافق على التقسيم ويقبل المفاوضة مع الحكومة البريطانية.

أما «بن جوريون» الذى يؤيده «سيلفر» ومؤيدوهما فقد رأوا فى التقسيم أنه يجب أن يأتى من قبل بريطانيا أو العرب، لأن هذا الطلب إن جاء من قبل الصهيونية قلل من مكانتها، وهو أساسا يتعارض فى الوقت نفسه مع مقررات مؤتمر «بلتيمور» الذى قرروا فيه بكل فلسطين وطالب «بن جوريون» بالحاح بالسماح بهجرة غير مقيدة، وإعادة السكان اليهود وتخليصهم من ألمانيا، مؤكدا أن هذا لن يتحقق إلا بقيام دولة يهودية تضمهم، وتزعم «بن جوريون» المعارضة الثائرة ضد «وايزمان» الذى اشترط لقبول الرئاسة مفاوضة بريطانيا، وانسحب من المؤتمر قبل نهايته عندما أدرك أنه هزم ولم ينتخب لرئاسة المنظمة. وبمغادرة «وايزمان» المؤتمر وهزيمته بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الصهيونية. وكأن التاريخ يعيد نفسه.

فالمعارضة الثائرة التى قادها «بن جوريون» ضد «وايزمان» تذكرنا بالمعارضة الشرسة التى قادها «وايزمان» ضد «هرتزل» فى عام ١٩٠٣. واعتمد «بن جوريون» فى حملته على «وايزمان» بما وقع من أن بريطانيا قد غيرت سياستها فلا داعى لأن يبقى «وايزمان» سجين اعتداله وولائه لبريطانيا «كتاب النبى المسلح» .THE ARMED PROPHET

وانتخب المؤتمر «بن جوريون» رئيسا للمنظمة العالمية، وانتخب «سيلفر» لرئاسة الوكالة أو فرع المنظمة الصهيونية الأمريكية.

وأعلن المؤتمر فى جلسته الختامية الدعوة الى تكوين دولة يهودية فى كل فلسطين، وذكر أن فى الأمكان التقسيم إذا اقترحته بريطانيا، ثم الرفض التام لكتاب عام ١٩٣٩.

وبالرغم من الخلاف الشديد بين «بن جوريون» و «وايزمان» فلم يتردد «بن جوريون» فى تأييد ترشيح «وايزمان» لرئاسة الدولة الجديدة. وقد ذكر مؤلف كتاب «ERROR TRIALAND» أن «بن جوريون» قال فى هذه المناسبة مبررا موقفه: «إننى لا أعتقد بأن الرئاسة أمر ضرورى للدكتور «وايزمان» بقدر ما هى ضرورية لاسرائيل». وكان من رأى «وايزمان» أن تكون الرئاسة على نمط الرئاسة فى الولايات المتحدة، الا أن «بن جوريون» كان يريد السلطات فى يد الوزارة التى تكون مسئوليتها أمام الهيئة التشريعية وليس أمام الرئيس، وذكر مؤلف «THE ARMED PROPHET» أو «النبى المسلح» أن «بن جوريون» كان يرمى إلى أن يكون رئيس الدولة رمزا لها ليس غير، ونجح فى ذلك. إذ كانت أول وزارة شكلت فى دولة إسرائيل مسئولة أمام الكنيست.

كان «وايزمان» غير راض على وضعه، لذلك قضى أكثر وقته فى معهده «معهد وايزمان» فى رحبوت، فلا يظهر إلا فى المناسبات الرسمية. وكان أبلغ تعبير عن الحالة التى وصل اليها «وايزمان» فى نهاية حياته ما وصفه به «موريس آدل» مؤلف كتاب «داود تاريخ بن جوريون DAVID, THE STORY OF BENGURION، أسير المعهد».

وتعرض مؤلف كتاب «BEN GURION LOOK BACK» إلى الاختلاف فى شخصية الزعيمين، فذكر أنهما يختلفان فى أمور

كثيرة بالرغم من اتفاقهما فى التزامهما بالصهيونية. إذ كان الخلاف بينهما فى الممارسة التكتيكية والتوقيت المناسب لا حول أهداف الصهيونية ومخططاتها. وكان «بن جوريون» يرى فى مسلك «وايزمان» وتصرفاته ما يذكره بما كان للحكام العظام والملوك من بنى إسرائيل فى عصور التاريخ القديمة من السطوة والسيطرة، فاعتبر نفسه وتصور أنه القائد الأول للدولة اليهودية الجديدة، متناسيا أن بريطانيا تخلت عنه ولم يعد القائد الفعلى للحركة الصهيونية. وذكر المصدر نفسه أن «بن جوريون» قال «إن القدر كافأ وايزمان» بأن أتاح له شهود ميلاد دولة اسرائيل والعيش فيها، بعكس النبى موسى عليه السلام الذى سمح له فقط أن يرى الأرض دون أن يدخلها».

وقد شيعت إسرائيل فى التاسع من شهر ديسمبر ١٩٥٢ جنازة «وايزمان» وانتهت بذلك حياته الحافلة ومجهوداته فى تنفيذ مخططات الصهيونية بالطرق السياسية والدبلوماسية الهادئة وأغلق كذلك أحد الأبواب التى كان تهب منها الرياح المعارضة على «بن جوريون».

المراجع العربية

(١) اسرائيل الكبرى الدكتوراسعد رزق، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨.

(٢) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى. الدكتور أسعد رزق.

(٣) إسرائيل ١٩٨٥؛ أحداث ومواقف. اعداد رضا سليمان.

(٤) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر الدكتور محمد عبدالعزيز ربيع.

(٥) إسرائيل ١٩٨٤.

(٦) الأخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل. حسين كروم.

(٧) الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائق دكتور يونان لبيب رزق.

(٨) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى ـ مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٩) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله.

(١٠) التفسير الكبير للفخر الرازى ط (٣) (١١)تاريخ الرسل والملوك. امين جرير الطبرى، دار المعارف.

(١٢) التاريخ السرى لحرب إسرائيل. ميشيل بار زدهار.

(١٣) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى.

(١٤) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل. وزارة الخارجية المصرية.

(١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦ .

(١٦) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل. م.ص. سيجال، ترجمة وتعليق دحسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧ .

(١٧) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.

(١٨) حقيقة اسرائيل. اللواء الركن محمود مشيت خطاب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧ .

(١٩)دلالة الحائرين. موسى ميمون - عارضة بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢ .

(٢٠) دقت أجراس السلام، عبدالمنعم شميس.

(٢١) الدبلوماسية الصهيونية .الدكتور فايز صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٧ .

(٢٢) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢ .

(٢٣) السادات رجل الحرب... ورجل السلام، موسى بدوى.

(٢٤) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وأخرين.

(٢٥) السلام الصعب. فوميل لبيب.

(٢٦) السلام الضائع فى كامب ديفيد. محمد ابراهيم كامل.

(٢٧) السياسة الأميريكية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب دفيد. محمود محمد عبدالفغار.

(٢٨) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية. نصار علمية.

(٢٩) الشرق الأدنى القديم؛ حـ ١ مصر والعراق عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٦٧.

(٣٠) عند مفترق الطريق - حرب أكتوبر ماذا حدث فيها وماذا حدث بعدها، محمد حسنين هيكل.

(٣١) العرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلى مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية:

(٣٢) الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٣٣) لفكر الدينى الإسرائيلى.حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١.

(٣٥) قاموس الكتاب المقدس - بطرس عبدالملك وآخرون. بيروت، ١٩٦٤.

(٣٦) القرن الكريم.

(٣٧) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.

(٣٨)قصص الأنبياء.ابن كثير. القاهرة.

(٣٩) قصص الأنبياء. أحمد الثعلبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤.

(٤٠) قصص القرآن. عبدالوهاب النجار، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤١) القصصى القرآنى. عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥.

(٤٢) قنطرة الشر إسرائيل؛ طريق الامبريالية إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٤٣)كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات. وليام ـ ب كوانق.

(٤٤) الكتاب لمقدس (كتب العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٤٥) الكتب التاريخية فى العهد القديم. مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨.

(٤٦) المابابى الحزب الحاكم فى إسرائيل. ابراهيم العابد، منظمة الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٧) ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منير الريس.

(٤٨) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرين توثيق وتحليل علمى. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٤٩)محاربون ومفاوضون. كمال حسن على.

(٥٠) المدخل إلى سياسة اسرائيل الخارجية. سيد نوفل.

(٥١) مصر وأمريكا ـ عرض تاريخى لتطور العلاقات المصرية الأمريكية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٥٢) مصر والصراع العربى الاسرائيلى.

(٥٣) مصر والعرب واسرائيل فى الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٥٤) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. أبوالمحاسن عصفور ـ دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

(٥٥) معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص

باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفةالغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

(٥٦) معاهدة السلام العربية لإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط. ابراهيم محمد العنانى.

(٥٧) الملل والنحل. محمد بن عبدالكريم الشهر ستانى مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٧.

(٥٨) المناظرة بين بطرس غالى وموش ديان، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية. اسامة الغزالى حرب.

(٥٩) المنظمة الصهيونية العالمية. اسعد عبدالرحمن منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧ .

(٦٠) مؤتمر كامب ديفيد.. رؤية علمية. عبدالعزيز سليمان فؤاد وأخرين.

(٦١) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر. د. عبدالعظيم رمضان.

(٦٢) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة. باقمة ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة. وزارة الخارجية المصرية.

(٦٣) الوجود الاسرائيلى والعربى فى أفريقيا.
محبات أمام الشرابى

(٦٤) وعليكم السلام. محمود عوض.

(٦٥) اليوميات الفلسطينية مجلد ٥،٤ من ٦٧/٧/١ الى ١٩٦٧/١٢/٣١.

(٦٦) اليوميات الفلسطينية مجلد ٦ من ٧/١/٦٧ إلى ١٩٦٧/١٢/٣١

المراجع الأجنبية

1- The Road to Camp David. U. S. Negotiation Strategy towards the Arab– Israeli Conflict. Thomas Parken.

2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.

3 - The Commanders. Bop Woodward.

4- Present at the Creation, "My years in the State Department".Dean Acheson.

5 - Herzil. Amos Elon.

6 - Israel's Secret Wars. I an Blak& Benny Morr.

7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litrinoff.

8 - Zionism and the Arabs, 1882-1948. (Astudy of Ideology).Yosef Gorny.

9 - Ben- Gurion. Robert St. John.

10- Ben- Gurion and the Palestinian Arabs from Peace to War.Shabtal Tereth.

11- Ben- Gurion "The Burning Ground" 1986- 1948.Shabtal Tereth.

12 - Ben- Gurion (Apolitical Biograbhy).Maurice Edelman.

13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.

14- Suze The Twice- fough War (Ahistory).Kennet Love.

15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.

16 - Israel: Year of Challenge.

17- Ben- Gurion looks back.

18- The Arab Brycott of Israel.

19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.

20 - Israeli Pitnetion. The Promise of Peace Economic Cooperation Between.Arab, Ruth. W.

21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.

22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.

23 - Decisions in Israeles Forign Policy. Aronse, Shloms.

24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foriegn Policy. Brecher, Michael.

25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.

26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.

27 - Negotiating for Peace in the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.

28 - Egypt- Israeil.Fahmy Ismail.

29- The United States and Israel. Sacher, Morley.

30 - The Palestinian proplem and U. S. Policy. Reich, Bernard.

31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.

32- Politicial Ideologesof israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.

33 - Ideogical Change in Israil Micihigan State University. Anyonovsky, aoron.

34 - The Government of the State of Israeil, Twayne Pulishers INC, New Yourk 1963. Arayan; Alan.

35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.

36 - Ben- Gurion Looks back (talks withe Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biograbhy of Ben-Gurion Arthur Barmer Limited, London 1966.

38- Badi Joseph. The Covernment of Israel Twayne Publishers Inc. New York 1963.

39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.

40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.

41- Ben Curion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical libary, New York, 1954.

42- Bernestien, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.

43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israeal Random House, New York 1967.

44- Gooke, Hedley V. Israeal: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.

45- Dayan, Moshe. Diary of the Siniai Cammpaing English Translation by George Weidenfield and Nicolson Ltd London, 1966.

46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whititlesey Housse, New York, 1950.

47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.

48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.

49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.

50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc New York 1950.

52- Learsi, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.

53- Desmond Donnlly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-1963 New York: St. Martin's.

54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington, D.C.U.S. Government Printing office) Vol. III, p. 20 I.

55- Foreign Relatiions of the United States, 1942 (Washington, D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.

56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV, pp 841. 42.

57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3) pp; 909-10.

58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C. U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.

59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington; D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.

60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Printing Office, 1949.

61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princetion University Press 1949) p, VIII.

62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52. 53.

63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.

64- Current Development in United States Foreign Policy (Washington, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp. 4,5.

65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Columbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

66- Michael Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab WoOrld' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.

67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.

68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.

69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.

70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.

71- Ceorge Livet- les Cuerres de Religion 2a, edicao Paris, 1966.

72- Ceorges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.

73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay-(France)- pg. 200.

74- Cecile Morrision - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.

75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.

76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.

77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.

78- Idem, idem, pg. 19.

79- Idem, idem, pg 24.

80- Idem, idem, pg 26.

81- Idem, idem, pg 29.

82- Idem, idem, pg 30.

Bibliography:

1- David Sling, Shimon Peres, Intervews, London, 1972.

2- Aaron S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman-Bras sey's intemational Defense publishers, New York 1990.

3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglo-Israel sociation, 1957.

4- Herzi Diaries, Vol. I.

5- Dr. Fayez Sayegh, The Zioist Diplomacy, Research, Center, P.L.O. Beirut, 1969.

6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.

7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London. 1952.

8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.

9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.

10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.

11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford University press, 1972.

12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government of Israel, Year Book, 1952.

13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.

14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, Internationol politics and Forign policy, 1969.

15- Chaim Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon Books, New York, 1969.

16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Challenge.

17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a Paleastinian State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.

18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.

20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.

21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.

22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and translted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987.

2- The New Times, May, 15, 1990.

3- The Jewish Observer, August 25. 1987.

4- The New Outlook, August/ September, 1985.

5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeli Foreign Policy.

6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.

7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.

8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.

9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.

10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.

11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?

12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.

13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

14- Bernstein, Marver, H., The Politics of Israel, Princeton, Princeton University Press, 1957.

15- Cooke, Hedley Vicars, Israel, a Blessing and a Curse, London, Stevens, 1960.

16- Gordon, A. D., Selected Essays, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestine, 1938).

17- Government of Israel, Corernment Yearbook, 1953- 1954.

18- Government of Israel, Statisical Abstact, 1964.

19- Hadwin; Arnold, politics in Israel, London, Anglo - American Association, 1960.

20- Kerem Moshe, The Kibbutz, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.

21- Kraines, Oscar, Gorernment and Politics in Israel, Boston, Houghton Mifflin, 1961.

22- Lillienthal, A. What Price Israel, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.

23- New Outlook, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.

24- Peretz, Don, The Middle East Today, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.

25- Seligman, Lester, G. Leadershib in a New Nation, Athzrton Press, New York, 1964.

26- Who's Who (Israel)

27- Zweig, Ferdynand, The Israel Worker, Sharon Books New York, 1959.

28- Dead- Line Date of World Affairs, New York 1948-1966.

29- Keesings Contemporary Archires, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standerd Jewish Encyclopedia.

محتويات الكتاب

الموضوع

القسم التاسع :

الرواد الواقعيون

القسم العاشر :

المرحلة الأولي للصهيونية

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

المرحلة الثانية للصهيونية العالمية

(١٩٢٠ - ١٩٤٠) .

أولاً - عقد الانجازات (١٩٢٠ - ١٩٣٠)

ثانياً - عقد الخلافات (١٩٣٠ - ١٩٤٠)

القسم الحادى عشر :

القسم الثانى عشر :

عقد الإنجازات الصهيونية

القسم الثالث عشر :

عقد الخلافات بين الصهيونية وحكومة الانتداب

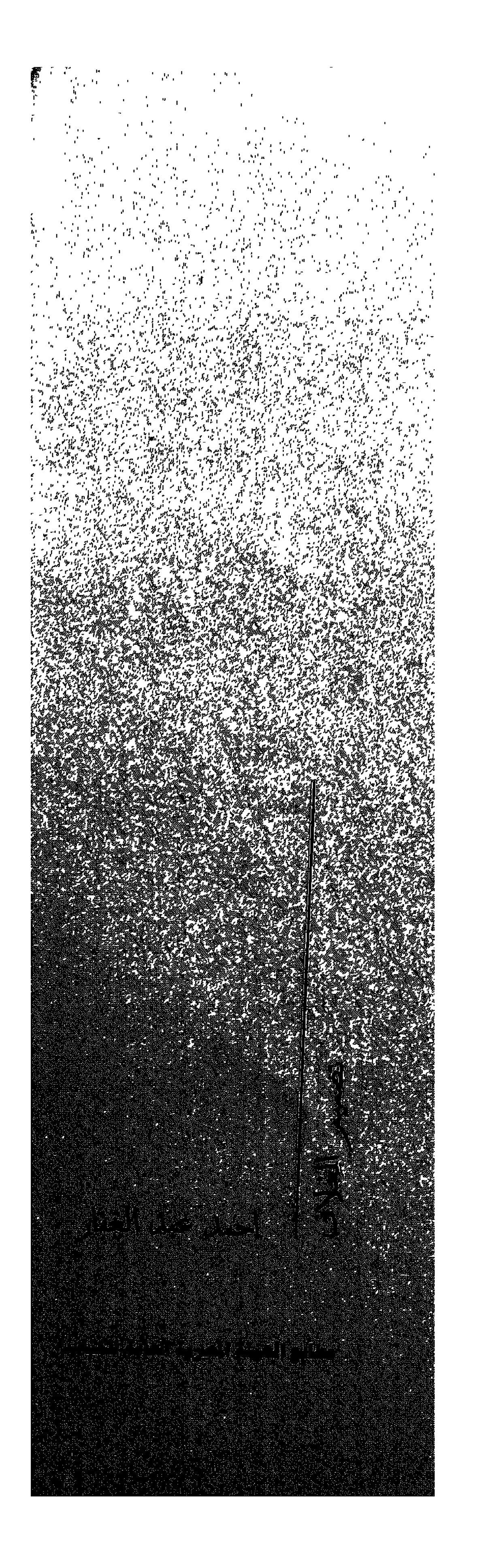
المرحلة الثالثة للصهيونية العالمية

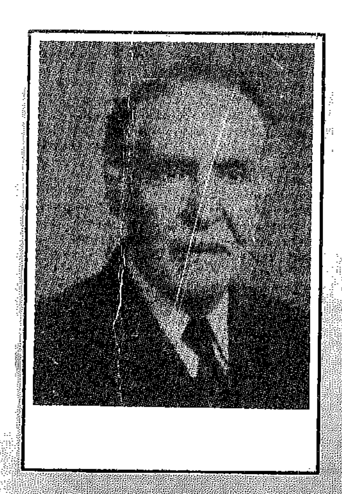
(١٩٤٠ - ١٩٤٨) .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٦٦٥/١٩٩٥

I.S.B.N 977-235-417-9


احمد عبد الغفار
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



السفير الدكتور/ حسين شريف

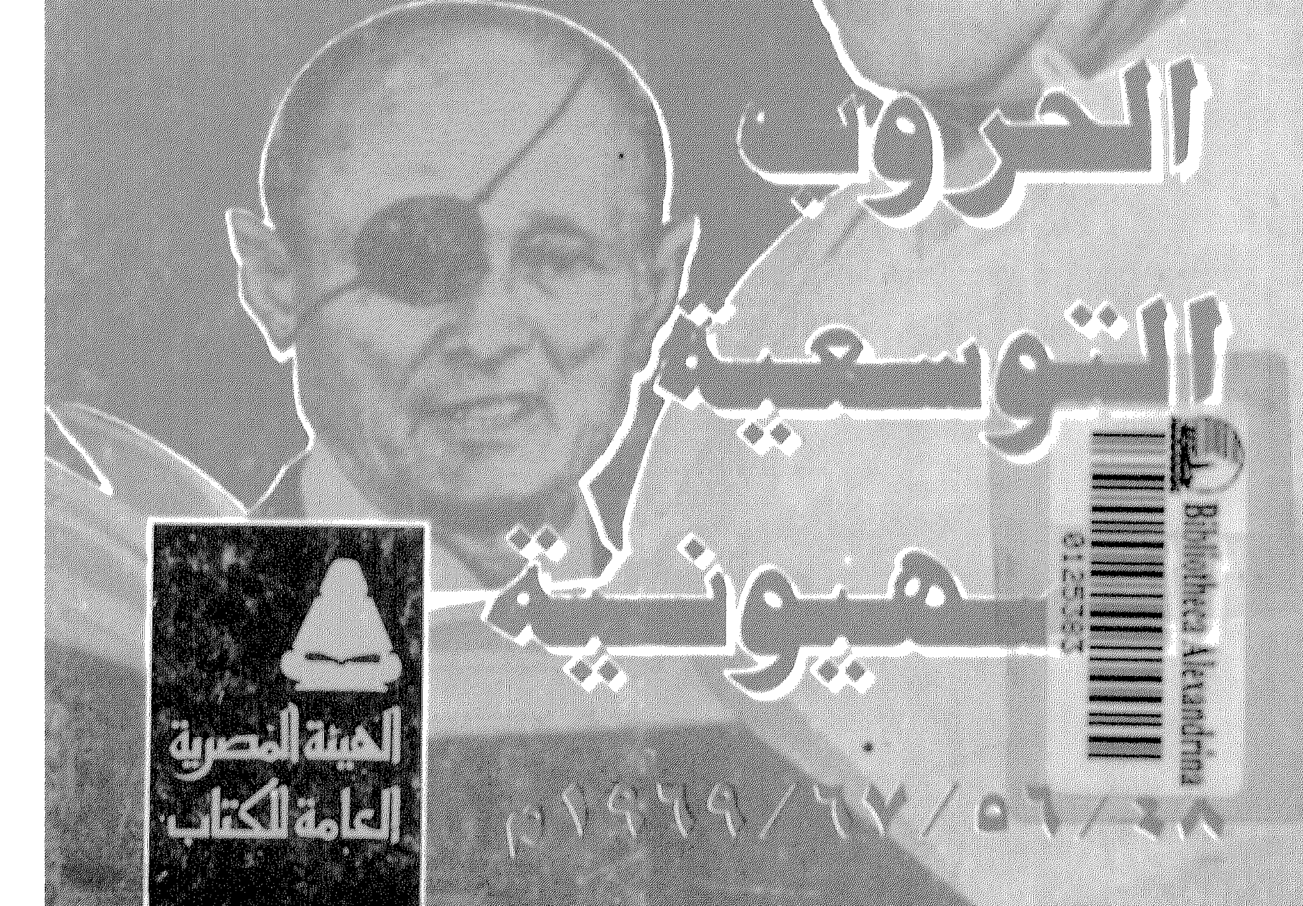
* حاصل على ليسانس فى القانون ـ ودكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.
* إلتحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢ وعمل بالاتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل. وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.
* مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

* وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
* مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
* النواحى الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
* التحدى اليابانى فى التسعينات.
* السياسة الخارجية الأمريكية ـ اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان)
* المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ـ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ق م ـ ١٩٩٥م (أربعة أجزاء)
* له مقالات عديدة فى السياسة الدولية.
* حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.
  ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.
  ووسام الرافدين من العراق.
  ووسام وكزويرودى سول من البرازيل.

---

٢٢ جنيه



المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ من
العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية
(١٩٠٠ ق.م - ١٩٩٥م)

تأليف سفير
د. حسين شريف

الجزء الثانى

الحروب التوسعية الصهيونية

٤٨/٥٦/٦٧/١٩٦٩م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

يستعرض الكتاب فى أجزائه الأربعة حياة اليهود، الدينية والاجتماعية والسياسية، خلال ما يقرب من أربعين قرناً، منذ عهود آبائهم الأولين، مروراً بحياتهم تحت حكم السلوقيين والبابليين والرومان، وما تلا ذلك من موجات الشتات الكبرى، وكذلك ظروف حياتهم فى العصور الوسطى، وأوضاعهم منذ بداية العصر الحديث حتى ظهور الصهيونية، وما انتهى إليه نشاط زعمائها بالتواطؤ مع القوى الاستعمارية من زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وهذا الكتاب ثمرة مجهودات استمرت أكثر من ٢٥ عاماً من البحث والاطلاع أثناء عملى الطو[illegible]لك الدبلوماسى، وإقامتى لفتر[illegible]ت طويلة بالخارج - مما أتاح لى فرصة الاطلاع على العديد من المراجع التى تناولت حياة اليهود والصهيونية والعرب، ومشكلات الشرق الأوسط بالتفصيل، وقد كان محظور دخولها إلى البلاد العربية، إذ كان مجرد اقتنائها من قبل أى فرد يعد جريمة لا تغتفر.

وما كان لهذا الكتاب أن يظهر فى أى فترة سابقة، ولكن حان له أن يرى النور الآن فى ظلال الديمقراطية - فى عهد الرئيس مبارك - حيث أتيحت حرية الرأى والنشر، بما يكفل تفاعل الأفكار والآراء الذى يثرى حياتنا الفكرية والثقافية، ويسمح بعرض الرؤية الصحيحة فى كل مجال.

المفهوم السياسى والإجتماعى لليهود
عبر التاريخ
١٩٠٠ ق.م / ١٩٩٥م
الحروب التوسعية الصهيونية
١٩٤٨/١٩٥٦/١٩٦٧/١٩٦٩

الجزء الثانى

تأليف

سفير/ د. حسين شريف

تصميم الغلاف

أحمد عبد الغفار

الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

محتويات الكتاب

كلمة المؤلف

أفلحت الصهيونية فى الحرب العالمية الأولى فى استصدار وعد بلفور عام ١٩١٧ بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين، ثم لم تلبث بفضل دأبها والحاح قادتها وما حققوه من تشابك مصالحهم الصهيونية بمصالح أمريكا وبريطانيا فضلا عما بالغوا فيه من جرائم النازية ضد اليهود فى إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ . إذ تطلعوا منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى استغلال مابدا من تعاظم القوة الأمريكية، وامتداد نفوذها ورسموا خطاهم فى إرساء علاقات وثيقة متينة بالحزبين الأمريكيين الكبيرين، وسرعان ما استبدلوا بالامبراطورية البريطانية متن الركب الأمريكى ونجمه الصاعد، فكان لهم مع ازدياد مطامعهم وبما كثفوا من ضغوطهم على أمريكا أن شكلت لجنة لاستقصاء الحقائق بريطانية أمريكية من أثنى عشر عضوا برئاسة بريطانى وأمريكى، أصدرت عام ١٩٤٦ توصيات أهمها السماح يومئذ لمائة ألف يهودى بالهجرة إلى فلسطين على ألا تتحول إلى دولة يهودية أو عربية، ومن ثم ألغى ما كان قد صدر عام ١٩٣٩ بتقسيم فلسطين مع ضغطها على بريطانيا لقبول مزيد

من اليهود حتى أعلنت دولتهم، مع اعتراف أمريكى سريع وتأييد خرج عن إطار التقسيم لتوسع اسرائيل، فكان إحتلال النقب خاصة، وذلك مع توفير الحماية لها بما بلغت من إحتلال الأرض، فصدر بذلك التصريح الثلاثى عن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا عام ١٩٥٠، وتمادت أمريكا بدعمها الاقتصادى عام ١٩٤٩ لاسرائيل ومنحها قرضا بلغ ١٣٥ مليون دولار، مع تحويل تبرعات الأمريكيين إلى إسرائيل. وذلك كله مع عجز الدول العربية وماكانت ترسف فيه من قيود الاحتلال وأوبئة الحكومات الفاسدة، فكانت الحرب العربية الفلسطينية حربا مختلة التكافؤ بادية الخسران.

ومع ما كان لثورة ١٩٥٢ بمصر من تأثير بالغ على المنطقة وما بعثت من آمال النماء والعدل وإجلاء المحتل فلم تكن بذات رؤية واضحة فى شئ، وإن وقفت مصر وكذلك إيران موقفا معارضا أدى إلى فشل نظام دفاعى مقترح يجمع بين بريطانيا وفرنسا وتركيا مع دول عربية أخرى لضمان أمن الشرق الأوسط واستقراره، وكانت مصر فى عهد عبد الناصر كانت قد أشعلت المنطقة كلها ضد المصالح الاستعمارية وتعسف إسرائيل وخاصة بعد تأميم قناة السويس، فدخلت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى صدام بلغ ذروته عام ١٩٥٦ بالعدوان الثلاثى الفاشل الذى منى به الاستعمار بفضل الموقف الأمريكى بهزيمة سياسية واضحة إذ رأت أمريكا التى تحرص على إزاحة النفوذ البريطانى الفرنسى من الشرق الأوسط أن ماوقع منهما لم يقع بإذنها أو التنسيق معها وذلك فضلا عن الإنذار السوفيتى الشهير، ووقفه الشعب المصرى وحكومات العالم العربى.

ثم كان مبدأ أيزنهاور بما استهدف من «سد الفراغ» والاستئثار بالشرق الأوسط موطن النفط بفضل المعونات واستعراض القوة متبعا فى ذلك:

(أ) اقناع الأتحاد السوفيتى باستعداد أمريكا للحرب إذا تعرض الشرق الأوسط للغزو.

(ب) تدعيم ما تخيلت أمريكا تعرضه لتهديد عبد الناصر من حكومات معتدلة صديقة.

(جـ) اتباع وسيلة غير تقليدية لا تستند إلى معاهدات وأحلاف لحماية المنطقة.

وقد عمدت الولايات المتحدة مع ماتخيلت من سعى الأتحاد السوفيتى إلى إلتهام المنطقة إلى الضغط الاقتصادى على عبد الناصر، فتوجه من ثم نحو الكتلة الشرقية حيث ظل اعتماد إسرائيل وبعض الدول العربية على أمريكا والتحالف معها مالم يكن للنظم العربية دخل فيه من اتساق بين الأتحاد السوفيتى وأصدقائه وبين الولايات المتحدة وأصدقائها، بل دخل فى روع أمريكا أن عبد الناصر يتحداها ويتعقب نفوذها فى المنطقة ومن ثم رأت ضرب نفوذ عبد الناصر مع اطلاق يد اسرائيل، فضلا عن صرف الرأى العام الأمريكى عن «مستنقع فيتنام» الذى وقعت فيه ووضوح الانتصار السوفيتى والصينى الشيوعى بنصر سريع.

فكانت من ثم هزيمة عام ١٩٦٧ بفضل التحالف الأمريكى الإسرائيلى وأخطاء الجيوش العربية لفرض سلام أمريكى قائم على:

(أ) ارباك الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط وتدمير الجيوش التى تعتمد على أسلحتهم مع ضرب نفوذه إلى غير رجعة.

(ب) تجربة السلاح الأمريكى حيال السلاح السوفيتى.

(جـ) ضرب هيبة عبد الناصر أو إسقاطه.

(د) تمكين إسرائيل من أرض عربية تكون رهينة فى يدها لجر العرب من موقف الضعف إلى المفاوضات.

ولذلك كان تشدد الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة لعرقلة الانسحاب ١٩٦٧ على عكس موقفها عام ١٩٥٦ .

وهناك إشارة لازمة فى هذا الموضع تتصل بأفراح النصر فى اسرائيل وأحزان الشعب فى مصر، والتى أريد لها أن تتحول إلى مظاهرات صاخبة فى اتجاه عكس قلب المأتم الحزين إلى فرح صاخب انطلقت فيه الزغاريد ابتهاجا بعدول الزعيم عن تنحيه عن الحكم، واختلطت أصوات زغاريد النساء بهتافات الرجال حتى انشقت من الهتاف الحناجر، وتطايرت من التصفيق الأصابع، فرحا باستمرار الزعامة مع الهزيمة. وهكذا ازدادت الكراسى رسوخا مع النكسة. ووصل الأمر بنا أن رأينا على أجهزة الإعلام المرئية والمقروءة أحد من كانوا من ممثلى الشعب يعتلى منصة مجلس الأمة راقصا على مسرحها، بينما كانت دماء الآلاف من شهدائنا ماتزال رطبة على رمال سيناء. وتاهت التحليلات الجادة التى كان ينبغى أن تجرى فى جميع المجالات: السياسية، والعسكرية، والفكرية، والاقتصادية؛ حتى نعرف بحق أسباب ماحدث، وحتى يأخذ كل مسئ جزاءه العادل، وحتى نعرف موقفنا على حقيقته.

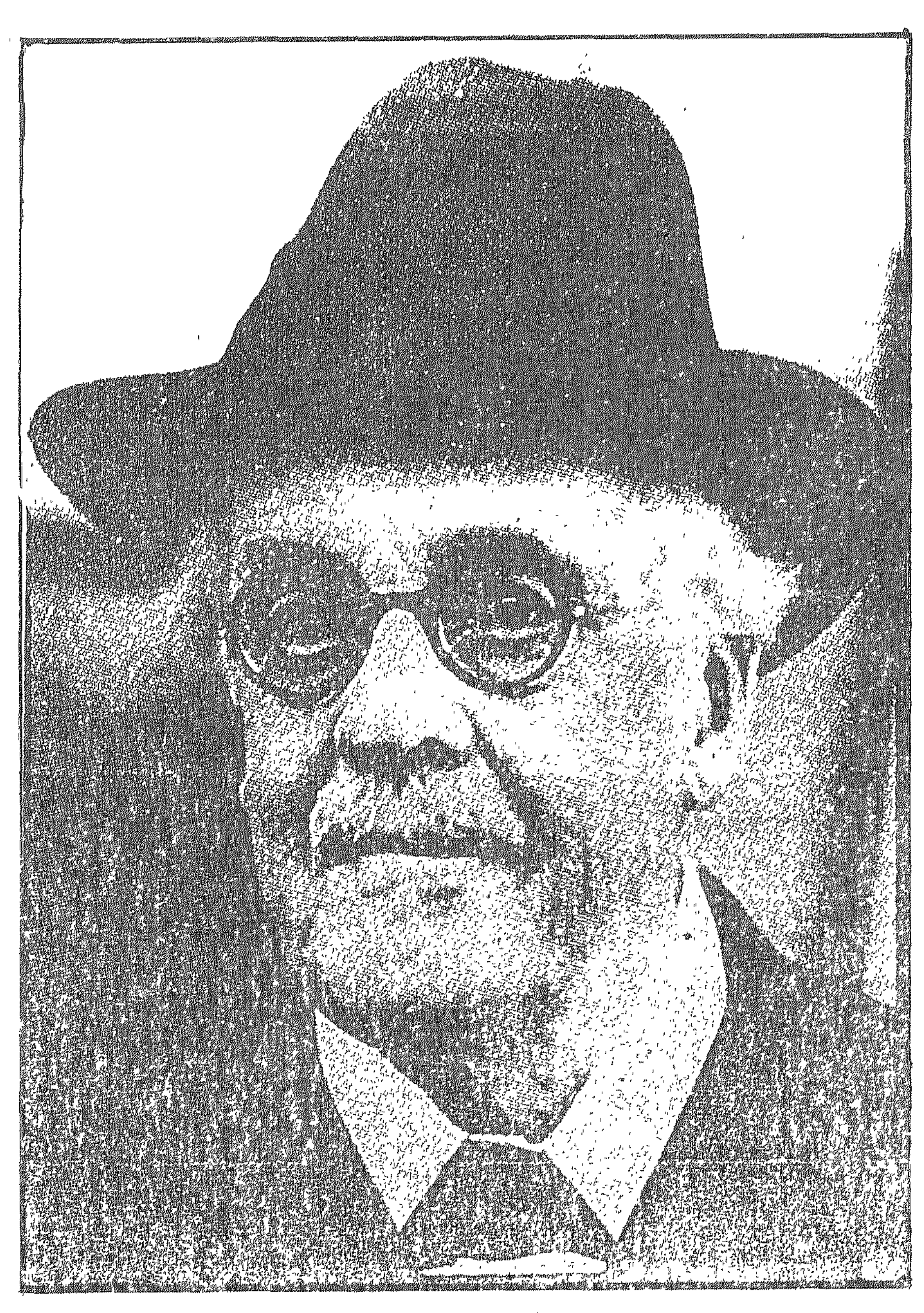
ولكن شاءت إرادة الله أن يأتى عهد آخر تمكن من أن يستخلص أرضنا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، بعد احداث تغييرات شاملة مهدت للنصر، وليصدق علينا قول الله: «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» .

والله ولى التوفيق.

سفير

د. حسين شريف

الحروب التوسعية الصهيونية
نظرة عامة



بلفور صاحب التصريح المعروف بأسمه اتخذت الصهيونية من تصريحه أساساً لبناء دولة إسرائيل. «اعطى من لا يملك لمن لا يستحق»

الحروب التوسعية الصهيونية

١٩٤٨ـ١٩٥٦ـ١٩٦٧

نظرة عامة:

عن حقبة عبد الناصر وبن جوريون ١٩٤٨/ ١٩٧٠ :

وصم العالم العربى بالعار، لاسيما دولة فلسطين، بعد أن انهزمت الجيوش العربية جميعا أمام المنظمات الإرهابية العسكرية اليهودية، وجحافل المتطوعين الغربيين الذين قاتلوا مع اليهود ضد العرب، وساعدوا على قيام دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وقد اتسم عهد عبد الناصر منذ بداية قيام دولة إسرائيل حتى وفاته؛ بخوضه حروبا عديدة ضد إسرائيل والصهيونية، ومن ورائهما الاستعمار الانجليزى والفرنسي والولايات المتحدة التى كانت تتزعم هؤلاء، وترى الولايات المتحدة أن وجود عبد الناصر فى المنطقة العربية - وفى ظل المبادئ القومية التى كان ينادى بها - صار عقبة وئيدة فى طريق تنفيذ مخططاتها للهيمنة على المنطقة اقتصاديا، واحتواء المد الشيوعى سياسيا وعسكريا.

وكان من الولايات المتحدة - إزاء هذا الوضع - أن جعلت من إسرائيل قاعدتها الأساسية لتوجيه وتنفيذ سياستها وخططها الرامية إلى ملء الفراغ الذى تركه انحسار الامبراطوريتين الاستعماريتين.

ولقد كان فشل قيام حلف بغداد - أول مخططاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية - بمثابة الضربة القاصمة لهيبتها، وعقدت العزم منذ ذلك الحين (عام ١٩٥٤) على القضاء على عبد الناصر - الذى يمثل حجر عثرة فى سبيل أهدافها - وكانت إسرائيل هى الأداة الطيعة والمنفذة لأغراض الولايات المتحدة، وعصا التأديب لكل من تسول له نفسه أو تطلعاته من دول المنطقة إلى حذو طريق عبد الناصر.

ولم يكن التواطؤ الثلاثى عام ١٩٥٦ غير متوافق مع الأسلوب الأمريكى فى تنفيذ الأهداف المرسومة من قبلها، إلا أنه كان - كما استقر الرأى عليه فى الولايات المتحدة - تصرفا إنفراديا لإعادة الهيمنة الاستعمارية على المنطقة بالأسلوب البالى العتيق الذى مجته الشعوب العربية واستهجنته الحكومات.

وعندما تمادى عبد الناصر فى استغلال القومية العربية لتهديد الدول الرجعية. وتطاول بكافة السبل والمؤامرات للإطاحة بحكامها الذين يشكلون نظام الحراسة على المصالح الغربية، وبصفة خاصة الولايات المتحدة - لم تتوان الولايات المتحدة أوتتردد فى أن تعد إسرائيل لتنفيذ دورها بالوكالة وذلك بتوجيه ضربة قوية إلى القومية العربية التى فقدت سمتها الأساسية فى خضم العار والمهانة بعد حرب يونيه ١٩٦٧ .

لقد أرسى عبد الناصر قواعد خططه السياسية على كثبان من الرمال، والتى سرعان ما انهارت وتناثرت أدراج الرياح مع أول احتكاك، ولم يعتبر - مع الأسف - من الأحداث المتتالية التى واجهته.

فقد أضعنا الوقت والفرص، وجرينا وراء سراب من الشعارات والزعامات ذات الأهواء والنزعات الشخصية، وأقمنا منظمات هشة ثم زعمنا أنها حصون منيعة.. وبدلا من جمع الشمل العربى، والعمل على وحدة الصف، أشعنا الفرقة بين الدول دون تفرقة.

وعندما وقعت الواقعة، وانهار الهيكل والبنيان، وبدلا من أن تحاسب الشعوب على ما بدر منها وتسبب في الهزيمة والعار.. توسلنا إليهم وهرولنا فى مسيرات نطالب المتسبب في الهزيمة بعدم التنحى عن الزعامة، وتكملة المشوار - الذى لا ندرى أى مشوار يريدون تكملته.

ولما تعاطف عبد الناصر مع هؤلاء واستجاب لدعوتهم، وخاصة أهل الثقة، وبدأ ينفى عن نفسه مسئولية الهزيمة والكارثة التى لحقت به، وأقيمت السرادقات ورفعت الشعارات، وبدأنا نبالغ فى قدراتنا، واستهوتنا نزعات الكبرياء، وقللنا من شأن أعدائنا، وانتشرت الأغراض الدنيئة التى بدأت تضلل الأحداث الواقعة.

كان عبد الناصر برجمانى المبادئ، وطنى النزعة، قومى الأهداف، اعتمد فى تنفيذ سياسيته على الشعوب العربية بهدف توحيدها، وخلق قوة ثالثة تحقق التوازن بين القوتين العظمتين.. إلا أنه لبلوغه غايته وتحقيق مأربه لم يدرك سطوة ونفوذ وشكيمة القوى

المجابهة، والمصالح الأمريكية والغربية، التى تعتبر إسرائيل أداتها، وكذلك الكيانات والأنظمة الرجعية التى رأت فى دعوته المعاول التى ستهدم هياكلها.

أمام هذه التحديات، لم يحسن عبذ الناصر اختيار السبل أو التوقيت المناسب، ولم يستطع استغلال الفرص التى لاحت أمامه، بل تمادى فى انفرادية اتخاذ القرار، واستعان بأهل الثقة على أهل الخبرة، فطاشت أسهمه وتكسرت نصاله بعد أن تألبت عليه كل القوى المعنية بمصالحها فى المنطقة.

وعجزت الشعوب التى كانت ترى فيه نصيرها ومخلصها من الاستبداد، عجزت عن مساندتها لأنها مكبلة بالقيود، ترزخ تحت نير الحكام المستبدين المؤيدين بقوى الاستعمار المستغلة لموارد المنطقة الحيوية.

ومات عبد الناصر، ودفنت معه القومية العربية بعد كارثة ١٩٦٧ . التى أعدت لها الولايات المتحدة وإسرائيل والقوى السائرة فى ركابهما بكل دقة ومهارة... لم تدركها ولم يعيها أهل الثقة الذين اعتمد عبد الناصر على مشورتهم، لافتقارهم إلى كل صنوف المعرفة.

وعلى الجانب الآخر، كانت إسرائيل، وكان بن جوريون، وكانت الصهيونية التى اعتمدت على التخطيط السليم، ونفذت تعليمات وتوجيهات وتوصيات أهل المعرفة، واستغلت كل الفرص المواتية لتحقيق أهدافها. بالمكر والدهاء والابتزاز والتآمر.. فالغاية عندهم

تبرر الوسيلة، وما رفضه عبد الناصر فى عام ١٩٥٤ (حلف بغداد) حققته الصهيونية فى عام ١٩٩٤ (وهو الشرق أوسطية) .. وهاهى الدول العربية فقيرها وغنيها ـ تسرع وتستجدى على استحياء؛ الصلح مع إسرائيل.

ولله الأمر والتدبير.

القسم الأول

حرب فلسطين الأولى

١٩٤٨

الفصل الأول

البلبة فى أهداف العرب وحرب ١٩٤٨

الفصل الثاني

الآثار العامة لحرب ١٩٤٨

الفصل الثالث

العار الفلسطينى

الفصل الأول

البلبلة فى أهداف العرب وحرب ١٩٤٨م

البلبلة فى أهداف العرب حرب و١٩٤٨م
تمهيد

كان العامل الدولى فى حرب ١٩٤٨ هاما وفعالا واستمرت أهمية هذا الدور خلال كافة مراحل النزاع العربى - الإسرائيلى. ورغم إننا لا نريد الاسهاب فى خلفية هذا الدور إلا أن الإشارة إليه واجبة لتفهم مجريات هذا النزاع لفترة طويلة.

والدور البريطانى مفهوم وينتهى بتسلم الولايات المتحدة لزمام الموقف فيما بعد ولذلك فإن البداية المعقولة لهذا القسم هو ايجاز الدور الأمريكى قبل حرب ١٩٤٨، وكان الموقف الأمريكى فى العشرينات يتبلور فى اتجاهين: أولهما التوصية التى صدرت عن الكونجرس الأمريكى عام ١٩٢٢ والتى أيدت المطلب الصهيونى بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وثانيهما تأييد الولايات المتحدة للأنتداب البريطانى على فلسطين وهو انتداب يسهل تنفيذ وعد بلفور لعام ١٩١٧.

وعندما انتهى الوفاق بين الحلفاء وخاصة بين الاتحاد السوفيتى والغرب بدأ الرئيس الأمريكى «ترومان» ينظر إلى مشكلات الشرق

الأوسط من خلال التخوف من التهديد السوفيتى لدول منطقة الحزام الشمالى: اليونان ـ تركيا ـ وإيران، ومن هنا بدأت أقدام القوى الكبرى تجول وتصول على أرض الشرق الأوسط وخاصة مع إعلان الرئيس «ترومان» فى عام ١٩٤٧ عن مبدأه الجديد «مبدأ ترومان» لحصر واحتواء ومحاربة القوة السوفيتية.

ومن هنا، من هذا التداعى التاريخى، ازداد اهتمام الولايات المتحدة بالدولة اليهودية قبل نشأتها فوافقت على قرار التقسيم وأخذت تدعم من كيان الدولة الصهيونية الناشئة.

أولا: محاولات التسوية السلمية والحرب:

١ ـ محاولات التسوية السلمية:

عاش العرب واليهود جنبا إلى جنب فى فلسطين فى الظروف العادية، ولكن كانت هناك رغبة من بعض حكومات أخرى فى عدم ترك الشعبين وشأنهما. وقد ناقش القادة العرب فى مؤتمرهم فى «بلودان» فى يونيه ١٩٤٦ إمكانية تدخل العرب المسلح، وأيد الفكرة الملك عبد الله ورئيس وزراء العراق ومفتى القدس الحاج أمين الحسينى، وكان هدف كل منهم يختلف عن الآخر، فالملك عبد الله يطمع فى الجزء العربى من الأماكن المقدسة ليوسع مملكته، بينما كانت سوريا والعراق تريدان الجزء الشمالى من فلسطين، وأما دور المفتى فقد كان أكثر صراحة فى أن يطرد اليهود ويحكم البلاد. أما باقى الدول العربية ـ لبنان ومصر والسعودية ـ ففى الواقع كانوا يتشككون فى أمر التدخل، ففى حالة مصر كان تشككها ظاهرا من

قبل منذ مؤتمر «انشاص» الذى دعا إليه الملك فاروق كرد فعل لتقرير اللجنة البريطانية الأمريكية، وقد طرحت المملكة المصرية مسألة فلسطين على بساط البحث، لكنها ماطلت عندما أصبح اقتراح التدخل ملموسا، وكان انعكاسا صحيحا لتشكك بلاده، ولا يزال يراوده الأمل فى تجنب نزيف الدم. وكانت هناك اتصالات مصرية مع ممثلى الصهيونية، ففى عامى ١٩٤٥و١٩٤٦ التقى «الياهو ساسون» وهو من أكبر المتخصصين فى الشئون العربية فى الوكالة اليهودية - فى القاهرة على انفراد مع رئيس الوزراء على ماهر وإسماعيل صدقى، ثم مع عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية، وفى المناقشات أكد «ساسون» لصدقى أنه فى مقابل الاعتدال المصرى فى المسألة الفلسطينية سيمارس الصهاينة نفوذهم مع حزب العمال البريطانى الصديق لخدمة الحكومة المصرية، وسيسعى لاقناع لندن بأن فلسطين كافية كقاعدة تسهيلات تغطى توقف أية انشاءات بريطانية فى مصر، ولم يهتم صدقى بالفكرة وكذلك عزام الذى استطلع امكانية تأييد الصهاينة فى وصاية مصر على ليبيا إذا لم تؤد المحادثات إلى نتيجة بعينها، فعلى الأقل أوضحت أن المصريين لا يميلون إلى خيار الحرب، وقد شوهد تطابق هذه الشكوك فى اجتماع للمسئولين العرب فى «صوفر» بلبنان فى سبتمبر ١٩٤٧ . وعندما أصبح خطر قرار الأمم المتحدة بالتقسيم جديا، اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية فى «عليا»بلبنان لمناقشة إمكانية القيام بعمل عسكرى، وفى هذه المرة لم تشارك مصر فى المناقشات، وفى ديسمبر ١٩٤٧ واجهت مصر وضعا داخليا متصاعدا ضد بريطانيا وضد الصهيونية، وتزايدت المظاهرات لدرجة أن أعلنت الحكومة

حالة الطوارئ، وعندئذ بدأ الاخوان «فتح مكاتب من جانبهم للمتطوعين للحرب فى فلسطين، وأعقب ذلك مباشرة إعلان كبار علماء الأزهر أن الجهاد ـ حرب مقدسة ـ ضد الصهاينة، وكانت الحكومة لاتزال مترددة، فقد فضل عزام باشا مثله مثل النقراشى ـ رئيس الوزراء ـ الأمتناع عن التدخل العسكرى ، وإنه من الأفضل ـ فى رأى عزام باشا ـ تدريب وتسليح الفلسطينيين العرب أنفسهم لحرب العصابات.. وكخطوة متوازنة، تقرر فى اجتماع الجامعة العربية فى القاهرة فى ديسمبر إمداد اللجنة العسكرية للجامعة بعشرة آلاف بندقية، وترتيب المرور لثلاثة آلاف متطوع عربى عبر سوريا إلى فلسطين، واعتماد مليون جنيه استرلينى تخصص للدفاع عن فلسطين، وحتى هذه الخطوة كانت كثيرة إلى حد ما بالنسبة للنقراشى، والذى استمر فى تأييد حل تفاوضى من أجل الأراضى المقدسة، وكان يفكر فى اتحاد فيدرالى فلسطينى، وهومشروع اقترحته الأقلية فى الأمم المتحدة فى تقريرها فى نوفمبر ١٩٤٧ إذا ظل الاختيار معروضا.

وفى عهد رئاسة النقراشى للحكومة ـ والذى لم يكن يتخذ قرارا حاسما على الصعيدين الداخلى والخارجى ـ وعد يهود مصر بالحماية الكاملة، ثم سمح للصحافة بحملة ضد اليهود واتهامهم بتهريب الذهب والأسلحة من مصر، وإغراق البلاد بالأوراق المالية المزيفة، وتلويث مصادر ومستودعات المياه والتآمر لتدمير نظام الصرف الصحى.

وبالتخبط والتردد بالنسبة للقضية الفلسطينية، فإن مناشدة الولايات المتحدة فى مارس ١٩٤٨ بتأجيل تنفيذ التقسيم مؤقتا، قد

هدأ من روع النقراشي وتوتره بشكل واضح، فكان هو شخصيا يرغب في قبول أي بديل عن الحرب كما أكد للسفير الأمريكي.. نعم كان من الصعب على النقراشي أن يحافظ على هذا الموقف الغامض، وأضافت كليات الأزهر وقادة مصر الفتاة والاخوان ضغوطا عليه لاتخاذ إجراء، وكان الأخيرون يبعثون بالمتطوعين والامدادات الطبية إلى فلسطين، وكان النقراشي يعلم جيدا أن الجيش غير مستعد لأن ضباطه غير أكفاء، وكان لا يصلح للمعركة سوى أربع كتائب من المشاة تقريبا، والأسوأ من ذلك الاشاعات التي كانت تدور حول ضربة مضادة من الوفد وشيكة ضد رئيس الوزراء، وربما كان النقراشي يفضل بقاء الجيش للمحافظة على أمن الحكومة، وفي أبريل كان واضحا أن تقرير العرب كان استعراضا ليس إلا، ولايكفي لتجميد التقسيم، وكان الميزان العسكري في فلسطين لصالح الصهاينة.

وزاد التشاؤم عند اعلان الملك عبد الله عن نيته في ارسال جحافل العرب الأردنيين إلى الأراضي المقدسة عقب انتهاء الأنتداب، وفي الحقيقة كان ذلك مفاجأة مذهلة وحرجة، والتي جعلت الحكومة المصرية تقرر تحديد وتقييد مكاسب عبد الله الأقليمية ولا تذكر هيبته في العالم العربي، ومن أجل ذلك أصر الملك فاروق على أنه يجب تحرير فلسطين وعودتها إلى سكانها الأصليين - السكان العرب المحليين - ووافقت الجامعة العربية على الصيغة المصرية، وعلى أثر ذلك سارع رؤساء الأركان العرب إلى الأجتماع في دمشق في أواخر أبريل، وخلاصة استراتيجيتهم، سيهاجم

الجيشان السورى واللبنانى ويحتلان الجليل، وسيتحرك الجيش العراقى والقوات العربية الأخرى إلى الغرب تجاه حيفا، وفى هذه المرحلة الأولى سيكون الدور المصرى الأساسى هو تحويل السير عن الطريق المعتاد، واضعاف القوات اليهودية جنوب تل أبيب، ولكن انكشفت الخطة منذ وقت طويل قبل وضعها موضع التنفيذ، ففى الأسبوع الأول من مايو أخذ اليهود مواقع مؤثرة فى الجليل العربية والجزء الأكبر من الجليل الشرقية، وكانت خطوط مواصلاتها مع حيفا محمية جيدا، ونتيجة لهذا انهارت خطة دخول الجيشين السورى والعراقى إلى وسط شرق فلسطين، بينما كان المصريون مسئولين عن استغلال الجزء الجنوبى من البلاد، وكان منطقيا أن تنهار الخطة، فالمسافة من بغداد إلى حيفا تبلغ سبعمائة ميل، وخطوط مواصلات الجيش المصرى تمتد مائتين وخمسين ميلا عبر الصحراء بصفة رئيسية، وحتى الفيالق العربية واجهت تسعين ميلا للسفر إلى الجبهة الفلسطينية، تتضمن النزول أولا ثم تسلق أربعة آلاف قدم لعبور وادى الأردن وادراكا لهذه المخاطر، فكرت الحكومتان المصرية والسعودية فى اللحظة الأخيرة فى حل وسط (تسوية متوازنة) من خلال الوساطة الأمريكية، وقد قضى تصميم الملك عبد الله على «حل المشكلة الفلسطينية» من جانبه على المزيد من المفاوضات، وفى ١٤ مايو عين عبد الله نفسه رئيسا للأركان، وهو لقب بلا معنى لعدم الانسجام بين الجيوش العربية المختلفة.

٢ - الحرب بين العرب وإسرائيل:

(أ) جند اليهود بعد ١٥ مايو ثلاثين ألفا من «الهاجاناه» بتسليح

متواضع، وعملت الحكومة وعمل الاقتصاد بكفاءة، وكانت الميزة الوحيدة التى يملكها اليهود هى الخبرة والمهارة العسكرية، وتولى «يادين» قيادة العمليات الإسرائيلية، وله خبرة طويلة فى مهمة «الهجاناه» فى العمليات السرية، وكان بعض قواد فرقته قد حاربوا فى الجيش البريطانى؛ وقد قسم «يادين» قواته المحدودة بدقة، للدفاع عن تل أبيب والقدس والسهل الساحلى والطريق السريع لممر القدس. وحزام لمحاصرة القوات المصرية فى الجنوب.

وفى ١٦ مايو تحركت قوة مدرعة سورية جنوبا باتجاه المستوطنات اليهودية فى وادى الأردن، وكانت قد أخلت قرى عديدة منها، ولكن توقف تقدمها لوجود مدفعية يهودية غير متوقعة، وتراجعت إلى الطريق الجبلى ولم يعاودوا المحاولة، وأثبت العراقيون تأثيرهم بصعوبة، وتركزت المعركة فى شرق الأردن بالقرب من حدود فلسطين قبل ١٤ مايو، ولكن واجه العراقيون مقاومة يهودية عنيفة، لذا وضع القائد العراقى فرقة فى موقع دفاعى، فكانت أصعب مناطق الحرب فى الجنوب عبر خط المصريين لغزو ساحل البحر المتوسط، وحتى ٦ مايو كانت قيادة الجيش المصرى تشارك نفس توقعات الحكومة المصرية بأن الأمم المتحدة ستحل القضية الفلسطينية بشكل ما، وعندما صدرت الأوامر بالتحرك فعلا، أكد رئيس الوزراء النقراشى لقائد القوات المصرية بأن مجلس الأمن - ودون طلب - سيأمر بهدنة قبل أن تصبح الحرب خطيرة، وكان المصريون يتخبطون فى هدفهم حتى اللحظة الأخيرة، وكان عزام

أمين عام الجامعة العربية يتباهى فى مؤتمر صحفى بتاريخ ١٥ مايو بأن هذه الحرب ستكون حرب إبادة ومجزرة بشرية مثل مجازر المنغوليين.

وكان الجيش المصرى المهاجم ينقسم إلى قسمين: أحدهما بقيادة الأميرلاى «محمد نجيب» وكان ضابط هيئة الأركان الرئيسى الرائد «عبد الحكيم عامر»، وقاد محمد نجيب فرقة من شرقى سيناء عبر الطريق الساحلى الممتد إلى غزة وتل أبيب، أما القسم الثانى فكان تحت قيادة اللواء «عبد العزيز» والذى دخلت قواته فى ٢٠ مايو إلى بير سبع وواصلت شمالا تجاه بيت لحم، فى حين تحرك محمد نجيب بقواته بحذر بالغ إلى جهة تل أبيب، ولمواجهة هذا التهديد أمر «يادين» بنقل جزء من قواته من ممر القدس إلى الساحل، ولما كانت متعبة وتسليحها ضعيفا - نتيجة الخسائر الكبيرة التى منيت بها - فقد وصلت القوات المصرية إلى مسافة ست عشر ميلا من تل أبيب، والتى كان يصل تعداد سكانها مائتين وخمسين ألف نسمة يشكلون الركيزة الأساسية لمستوطنة اليهود فى الأراضى المقدسة، وسيعنى سقوطها نهاية دولة إسرائيل الجديدة، وفى ٢٩ مايو أمر «يادين» قواته بمحاصرة مواقع نجيب فى الليل ومهاجمتها من الخلف، وبذلك بدأ التراجع من جانب القوات المصرية وأصبح هجومها على تل أبيب محفوفا بالخطر، وأصبح الانجاز المصرى الوحيد هو السيطرة على الطرق الرئيسية للنقب، وكان هذا كافيا للنقراشى وحكومته فى المرحلة الراهنة.

وكما سبق؛ فلم يكن الملك عبد الله يخفى مطامعه فى ضم الجزء العربى من الأراضى المقدسة، وبصفة خاصة القدس

بمؤسساتها الإسلامية التاريخية المقدسة والمكرمة، وفى أواخر مايو - بعد قتال شرس - بدأت الفرق اليهودية فى طرد الجحافل العربية للخلف من الطرق المؤدية إلى شمال القدس. وفى ٢٩ مايو أغار رجال المشاة من المصريين والأردنيين على كيبوتز «رامات راشيل» الواقع على مدخل القدس الجنوبى وكانت - فى أعنف أوقات حرب فلسطين - هى المستوطنة الصغيرة التى تغيرت عليها وضع الأيادى خمس مرات فى أربعة أيام، لكنها ظلت فى النهاية فى أيدى اليهود، وسقطت القدس القديمة فى أيدى العرب، وسلم «الهاجاناه» المدافعون عنها فى ٢٨ مايو، وبضياع المدينة القديمة بمعابد اليهود التاريخية كانت الضربة المؤلمة لرجال الدين اليهود، لكنه كان ذا قيمة وأهمية عسكرية صغيرة.

(ب) وأخيرا فى ١١ يونية ظفر مجلس الأمن باتفاقية من العرب والإسرائيليين على هدنة لمدة شهر واحد وكان كلا الجانبين مرهقا، ومن الناحية الاستراتيجية يجنى العرب أقل المزايا، فى حين يتوقع اليهود وصول الأفراد والمؤن من الخارج، مما سيقويهم دون شك فى نهاية الهدنة، وكانت هناك أولوية عاجلة للعرب وهى توحيد قواتهم مباشرة، إذ عندما اعطى العراقيون قيادة قواتهم للواء «المواوى» قائد القوات المصرية عارض الملك عبد الله ذلك، وفقد الملك الهاشمى مصلحته واهتمامه باستمرار الحرب، وفى الحقيقة عندما بدأت الهدنة كان المصريون والإسرائيليون فى الجبهة الجنوبية يجرون إتصالات ويلتقون فى المناسبات، وبالفعل لم يكن قرار استمرار الحرب من المصريين، ولا من قيادات الجيوش العربية، لكنه كان من قياداتهم السياسية، وزاد العرب قواتهم فى

الأسبوع الأول من يوليو فى فلسطين من اثنين وثلاثين ألفا إلى خمسة وأربعين ألفا من الأفراد، وعلى الجانب الآخر كان اليهود مستمرين فى زيادة قواتهم، ولو أن النقب كانت بشكل كبير فى أيدى المصريين، وكان العراقيون على بعد أحد عشر ميلا من البحر المتوسط، والطريق الرئيسى الضيق من الساحل إلى القدس ظل فى خطر عظيم، وخلال وقف اطلاق النار كانت المواد الغذائية والأدوية تصل إلى المدينة المقدسة، وازدادت التعبئة بشكل محزن وبوصول المهاجرين الجدد من المتطوعين العسكريين اليهود من الخارج، وصل عدد اليهود إلى ستين ألف رجل فى منتصف يوليو، ووصلت آلاف الأطنان من المعدات الحربية، معظمها من تشيكوسلوفاكيا الشيوعية التى تتبع خط موسكو فى تأييد إسرائيل ضد الرجعية العربية والوجود البريطانى الأمبريالى فى الشرق الأوسط.

(جـ) وفى ٨ يوليو وقبل انتهاء الهدنة، هاجم نجيب من جديد النقب، ونجح اليهود فى استعادة احتلال الركن الشمالى الشرقى من النقب، مما أقنع «يادين» بأن المصريين لم يعودوا بعد يشكلون أى تهديد، لكن وجود ألفين من العرب فى الجليل الأدنى كان خطرا حقيقيا كبيرا، لكن وفى أسبوع طهر اليهود المجتمعات العربية المجاورة، وفى عملية قادها الأميرلاى «موشى ديان» تمكن اليهود من السيطرة على منطقة اللد ـ الرملة وبالتالى توسيع عنق ممر القدس وعند رحيل البريطانيين، وبتصاعد أعمال العنف الفدائية، هرب حوالى مائة وخمسة وسبعين ألفا من العرب من البلاد، وبعد ١٥ مايو حول هجوم الجيوش

العربية المنظم للأراضى المقدسة إلى ساحة للقتال، وفر أهالى فلسطين العرب بأعداد أكبر خوفا على أنفسهم من قذائف النار، وبانتهاء الحرب فى يناير ١٩٤٩ كان قد رحل حوالى ستمائة وخمسين ألف فرد تقريبا وأكثر من ثلثى كل السكان العرب فى البلاد. ولم يكن كل الذين غادروا ديارهم غادروا فلسطين نفسها، بل حوالى مائتين وأربعين ألف من الأفراد عبروا إلى الجزء الشرقى المحتل، وحوالى ستين ألفا آخرين عبروا نهر الأردن إلى المملكة الهاشمية، بالإضافة إلى مائة وثمانين ألف فروا تجاه غزة داخل الأراضى الفلسطينية على طرف شبه جزيرة سيناء، والباقى وجد ملاذا فى الدول العربية المجاورة، وفى البداية ساعد رحيل العرب أمن وأهداف إسرائيل الاقتصادية وتقليل التهديد من قبل الطابور الخامس، وإتاحة المساكن والأراضى الزراعية للمهاجرين اليهود الجدد.. وبمرور السنين عاش اللاجئون حياة منعزلة خاملة فى الخيام.

(د) بدأ الكونت «برنادوت» مبعوث مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المعين للتوسط بشأن فلسطين يتفاوض على وقف إطلاق النار للمرة الثانية فى ١٨ يوليه، وعلى عكس الهدنة السابقة فى يونيو، فإن وقف إطلاق النار الجديد كان سيبقى دون تحديد زمن، وفى تقريره إلى مجلس الأمن فى ٢٦ سبتمبر أعطى من جانبه مخططا تفصيليا للسلام فى الأراضى المقدسة، بمقتضاها توضع صحراء النقب تحت حكم اليهود والتى خصصها قرار الأمم المتحدة بالتقسيم للعرب، وتعويض العرب بالجليل الأدنى الذى كان مخصصا لإسرائيل، وتدويل مدينة القدس المقسمة

حاليا بين الأردن وإسرائيل، وقد عارض كلا الجانبين التقرير، وبعد يوم اغتال ارهابيون يهود الكونت «برنادوت» في القدس، وقد كان واضحا لرئيس الوزراء «بن جوريون» أن مخطط الأمم المتحدة بالنسبة للنقب والقدس يشكل ضغطا على اليهود، وأنه يجب تقوية وضع إسرائيل في المساومة بواقع عسكرى جديد وحاسم، واتفق مع «يادين» على أن الأولوية لهجوم على نطاق شامل في النقب.

وكان المصريون يسيطرون في منطقة الصحراء الجنوبية على ثلاثة قطاعات طويلة، الأول: هو المنطقة الساحلية من رفح إلى غزة، والثاني: شريط داخلي يمتد من العوجة شمالا عبر بير سبع إلى بيت لحم، والثالث: شريط كان يربط بينهما يخترق البلاد عبر طريق يمتد من المجدل عبر الفالوجا إلى بيت جوبرين.

ورغم أن المصريين عززوا قواتهم بخمسة عشر ألف مقاتل، فإن إسرائيل قد تلقت في نفس الفترة سيلا من الامدادات من المهجر. وفي الإعداد لهجوم جديد نقلت إسرائيل - جوا - فرقة من الرجال والمواد لمطار جوى في شمال النقب. وتحت جنح الظلام تسللت القوات خلف خطوط المصريين، وفي أوائل أكتوبر تحركت فرقتان اضافيتان نحو الجنوب حتى بلغ عدد القوات المتمركزة على الجبهة الجنوبية إلى ثلاثين ألف، وبدأ الهجوم في ١٤ أكتوبر، وضربت الطائرات الإسرائيلية قواعد وخطوط الامدادات في سيناء،

وفي نفس الوقت تسللت القوات السرية من فرقة النقب على الطريق الساحلي إلى «ميت حانون» وأن دور «يادين» الحقيقي هو

خط طرق «الفالوجا»، وفى ١٥ أكتوبر شنت قوات المشاه الإسرائيلية هجوما شاملا، وكانت معركة وحشية والخسائر فادحة من كلا الجانبين، لكن اليهود انتصروا فى النهاية، ثم توالى استيلاء الإسرائيليين على المواقع المصرية الأخرى عند النقب العليا، وأصبح تمركز المصريين فى فلسطين بحوالى ثلاثين ألف رجل، واجهوا احتمال الحصار قرب «الفالوجا»، وعندئذ أرسل «ايجال آلون» قائد القوات الإسرائيلية على الجبهة الجنوبية ثلاث فرق تجاه بير سبع عاصمة النقب، وتم تصيد الحامية المصرية والتى سلمت بعد مقاومة قصيرة، وفى الأسبوع الأخير من أكتوبر، وبعد أن بدأ تطبيق قرار الهدنة الثالث الصادر عن الأمم المتحدة تدريجيا على الصحراء، بدأ المصريون اجلاء وحداتهم من غرب النقب. ومنوا بخسائر فادحة، وأخيرا حوصوت الفرقة الرابعة وقوامها ثلاثة آلاف رجل - فى منخفض شمال غربى الفالوجا وشلت حركتها، وتجاهل الطرفان الهدنة فى المنطقة المعزولة، وقاومت الفرقة الرابعة تحت قيادة عقيد سودانى «طه بك» الحصار الإسرائيلى المطبق، وجرى لقاء بين آلون وطه بك فى كيبوتز شرق الفالوجا، ولكن أصر طه بك على إنه سيحارب حتى آخر طلقة وآخر رجل لديه، وبعد مناقشات اتفقا على إقامة أتصال بين الميجور كوهين مساعد آلون والميجور جمال عبد الناصر مساعد طه بك وكان ناصر غاضبا على البريطانيين متهما أياهم بتدبير هذه الحرب وأنها خدعة لصرف انتباه المصريين عن احتلال بلادهم، كما كان الحلفاء العرب هدف حنق عبد الناصر وبصفة خاصة الملك عبد الله الذى لم يبد أدنى رغبة فى مساعدة المصريين أثناء الحصار، وأعلن ناصر أن الحاكم الهاشمى سيدفع

يوما ما ثمن «خيانته»، وكان تعبير الميجور الشاب يعكس الشك بين حكومته وشرق الأردن، والتصميم على تجميد ضم الهاشميين لفلسطين العربية، وأثار النقراشي وحكومته «حقوق الشعب الفلسطيني» وحكومة شبه مستقلة للأراضي المقدسة»، وفي سبتمبر ١٩٤٨ رتبت الحكومة المصرية «حكومة عموم فلسطين» ومقرها غزة، وفي أول اكتوبر تبنت مصر وتكفلت برعاية «المجلس الوطني الفلسطيني» واجتمع في غزة وانتخب الحاج «أمين الحسيني» مفتي القدس رئيسا له. وخلال أسبوعين حظي هذا النظام الصوري باعتراض رسمي من سوريا ولبنان والعراق. ولم يقف عبد الله ساكنا، فقد نظم مؤتمرا من الوفود الفلسطينية وتبرأ من نظام غزة. وأخيرا وفي أول ديسمبر فقد قبل عبد الله طلب المؤتمر الثاني لتوحيد فلسطين وشرق الأردن فيما يسمى «المملكة الأردنية الهاشمية العربية». وجاء دور القاهرة الغاضب، واستنكر كبار علماء الأزهر المخطط الهاشمي واتهامه بالتدخل للقضاء على الوحدة العربية، وفي الوقت الذي كشف كل من المصريين والأردنيين الآخر، كان اليهود يعدون لتصفية الوجود المصري في الأراضي الإسرائيلية، وكانت وحداتهم البالغ عددها مائة ألف جندي مستعدة وكذلك معداتهم بما فيها المدفعية الثقيلة والمدرعات، وكانت القوات المصرية موزعة على الحدود مع إسرائيل في شعبتين: القوة الشمالية مكونة من لواءين بجانب رفح وغزة تؤيدها قاعدة سيناء الكبيرة في العريش، والشعبة الجنوبية المكونة من لواءين تمتد من العوجة إلى بير عصلوج ولأعلى تجاه بير سبع، هذا بالإضافة إلى اللواء الرابع المحاصر في الفالوجا. وكان المصريون يتوقعون الهجوم ضد خطهم

الشمالى الفاصل الذى يهدد المنطقة الساحلية كثيفة السكان، ولكن «يادين» فاجأهم وأخذ المبادأة بالاندفاع جنوبا تجاه العوجة، وبدأ الهجوم فى مساء يوم ٢٢ ديسمبر، إذ أرسل «آلون» وحدة مدرعة تجاه غزة ووحدة مشاة فى اتجاه الطريق الرئيسى بين بير عصلوج والعوجة، وبعد قتال استسلمت الحامية، وواصل الإسرائيليون تقدمهم حتى «أبوعجيلة» وهى داخل أراضى سيناء المصرية بعشرة أميال، ومن هناك مارسوا ضغطا تجاه ساحل البحر المتوسط فى اتجاه العريش ذاتها.

وكانت الحكومة المصرية تواجه صدى الأحداث فى الداخل، فقد كان فاروق يريد بدخول حرب فلسطين صرف الانتباه عن الاضطرابات الاقتصادية، وللتفوق على خصومه - حزب الوفد - وقد شغلت أنباء الانتصارات الحقيقية والخيالية الصحافة، ثم أصبح فشل الجيش فى حرب فاسطين معروفا، كما انتشرت الكوليرا بين الطبقات الدنيا والوسطى، وبتحريض الاخوان عمت المظاهرات شوارع القاهرة والاسكندرية، ورفعت الشعارات الوطنية ضد المصالح اليهودية وضد حكومة النقراشى، واعتقد بعض المراقبين السياسيين أن مصر على حافة حرب أهلية، واعتبر النقراشى الأخوان خارجون على القانون وقرر مطاردتهم، وقبل أن ينفذ قراره اغتاله أحد الاخوان فى ٢٨ ديسمبر.

٣ - هدنه رودس وردود الفعل العربية المباشرة:

أصدر مجلس الأمن - الذى ظل يأمر بوقف إطلاق النار وهدنة فى فلسطين لمدة نصف عام - بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ نداء بهدنة

دائمة، وقبل المصريون والدول العربية، لكن لم يقبلوا التفاوض المباشر مع إسرائيل.

وقد بدأت المحادثات عن طريق وسيط الأمم المتحدة بين مصر وإسرائيل فى جزيرة «رودس» فى يناير ١٩٤٩، وكان الوسيط دكتور «رالف بانش» وهو أمريكى زنجى - يقوم بدور «برنادوت» وحتى اغتيال الأخير، مضطرا لإجراء محادثاته مع كل وفد على انفراد،وباصراره اجتمع المصريون والإسرائيليون معا فى جناحه بالفندق وكان المصريون يصرون على توجيه ملاحظاتهم إلى الوسيط. كما لو كان اليهود غير موجودين، ولم يدم هذا الوضع طويلا، وسرعان ما بدأت المجموعتان تتناقشان مباشرة.

وكخطوة أولى، اتخذت اتفاقية الهدنة على أساس استمرار الخطوط العسكرية، وتبقى النقب فى أيدى إسرائيل باستثناء ساحل قطاع غزة الذى تحتله القوات المصرية، وتبقى مدينة العوجة وماجاورها منزوعة السلاح تحت إشراف الأمم المتحدة. وكان هذا الاستثناء يمثل حفظا لماء الوجه للحكومة المصرية التى يمكنها الادعاء بأنها استمرت فى ممارسة نفوذها فى جزء من فلسطين على الأقل مثلما قبل الهاشميون، وكان كل جانب قد افترض أن الهدنة العسكرية ستحل محلها معاهدة سلام دائمة فى المستقبل القريب، وفى الحقيقة، ولحسن الطالع، فإن الوثيقة نفسها تبدأ «أخذاً فى الاعتبار المساعدة على عودة سلام دائم فى فلسطين».. فإن المبادي التالية.. قد تأكدت. وقد وقعت المعاهدة بين مصر وإسرائيل أخيرا فى ٢٤ فبراير ١٦٤٩ فى حفل سادة الود المشترك.

وحينما تتفاوض مصر - أكبر قوة عربية - مع إسرائيل فإن الأمر سيكون أكثر سهولة مع الآخرين ليتبعوها، وكان العراق هو الدولة العربية الوحيدة الذى لا يرغب فى توقيع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل مباشرة.

وقد منحت الاتفاقيات لدولة اليهود ثمانية آلاف ميل مربع تقريبا من فلسطين، بزيادة واحد وعشرين فى المائة عما خصصته الأمم المتحدة فى قرار التقسيم، وقد افترض أن الحدود مؤقتة، وأنها ستتعدل فى مفاوضات السلام النهائية، فإذا لم يكن فإن الاتفاقات ستمثل قنبلة موقوتة.. فحدود إسرائيل مع الأردن مثلا - تفصل كثيرا من المزارعين العرب عن أراضيهم، مما سيصبح على المدى الطويل مصدرا مزمنا لحوادث التسلل والعنف على الحدود بين الدولتين. وفى اتفاقية الهدنة مع سوريا كانت تهدف إلى إعادة الحياة المدنية العادية فى المنطقة منزوعة السلاح تدريجيا، وأعترض السوريون. بل وكان جنودها يطلقون النار على المزارعين فى أرض الجولان. وحتى فى قطاع غزة حيث تحتفظ مصر بقوات داخل الأراضى الفلسطينية، وأصبحت مشكلة الحدود بؤرة الحرب. وتهديد قد يجر مصر إلى المواجهة مع إسرائيل. وكان قسما من الاتفاقيات مع سوريا والأردن ولبنان لم تتضمنه الاتفاقية مع مصر.

وكان هدف الحكومة المصرية أن تشجع نشاط الفدائيين ضد إسرائيل وأن تعطى لنفسها الحق فى حرمان إسرائيل من استخدام «مضيق تيران» وكانت هذه قنبلة موقوتة أخرى، ولو أن هذه الأخطار مستبعدة الوقوع فى عام ١٩٤٩ وحتى توقيع اتفاقيات

الهدنة النهائية فى صيف نفس العام. وقد عينت الأمم المتحدة «لجنة التوفيق الفلسطينية» طبقا لنصوص قرار الجمعية العامة فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨، وبذا بدأت اللجنة تعتمد على مهام الوسطاء أكثر، وأعلنت عن عزمها على ترتيب تسوية نهائية لكل الموضوعات القائمة بين العرب وإسرائيل، وبدا هذا الاعلان الواقعى أمرا كافيا ومليئا بالأمل فى تعويض اليهود عما عانوه أخيرا فى نضالهم من أجل الاستقلال من أعداد القتلى (ستة آلاف) وجرحى (خمسة أمثال القتلى) وهذه أعداد غير قليلة بالنسبة لبلد تعداده ستمائة ألف، وعن خسائر التدمير فى المنشئات والأقتصاد. وبالرغم من تلك الجراح، فإن دولة إسرائيل الصغيرة قد بقيت على الأقل صامدة بعد محنة المعاناة.

الفصل الثانى

الأثار العامة لحرب ١٩٤٨

الآثار العامة لحرب ١٩٤٨

١ - سوء التقدير العربى :

لقد كانت حرب فلسطين الأولى أول مسمار فى نعش النظام الملكى فى مصر، بل وتعدته إلى دول عربية أخرى فيما بعد. فقد أطاحت ببعض حكومات وأغتيل رؤساء وزراء كالنقراشى وأحمد ماهر. وكانت الشرارة الأولى لأحداث تاريخية، مثل قيام الثورة فى مصر فى ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ والإطاحة بالملك فاروق. نعم كانت هناك أسباب عديدة طافية على السطح ساعدت على ذلك فى ذاك الوقت مثل انتخابات نادى الضباط وحريق القاهرة والإقطاع وفساد القصر والأحزاب والقواعد البريطانية فى مصر، ثم كانت الأسلحة الفاسدة وحصار قوات الجيش المصرى فى الفالوجا وغيرها مما بعث على التذمر فى القوات المسلحة، وساعد على نجاح الثورة إستغلال كراهية الانجليز للقصر فى الأيام الأخيرة - حادث اقتحام الدبابات البريطانية للقصر فى ٤ فبراير لفرض حكومة النحاس على الملك، مما يحمل عدم تدخل القوات البريطانية الموجودة فى مصر من

التدخل خاصة بعد تعهد قيادة الثورة بسلامة الملك وتنصيب طفله وليا للعهد مرحلياً.

وكما ورد فى القسم الأول من هذه المذكرات، فإن أطماع الملك عبد الله ملك الأردن الشخصية فى ضم الجزء العربى من فلسطين إلى مملكته - وكان هذا مرحلياً - لأن طموحاته كانت حلم «الهلال الخصيب» قادت - مع عوامل أخرى - إلى حرب فلسطين الأولى.

ولقد كان سوء تقدير العرب لمواقفهم، وإسلوب العنترية الجوفاء والتى كانت غالباً للإستهلاك المحلى «غير المسئول» سبباً فى المزيد من الخسائر فى الأراضى والأرواح والثروات، بل وفى استعداء الرأى العام العالمى بصفة عامة والغربى بصفة خاصة للعرب، لأن إسرائيل على النقيض كانت تظهر نفسها كالحمل الوديع بين جيرانها العرب الوحوش، وساعد على ذلك تصريحات العرب أنفسهم بأنهم سيلقون بها فى البحر وإزالتها من خريطة العالم.. الخ مع فشل الإعلام العربى فى الخارج بالمقارنة بالإعلام الاسرائيلى وأبواقه المتعددة فى كل مجال.

٢ - وجهة نظر إسرائيلية:

لم يكن ثمة دليل على إحتمال الوصول لحل إيجابى فى العقدين الأولين لوجود إسرائيل حيث استمرت الحكومات العربية فى اعتبار ظهور إسرائيل ككارثة مؤقتة ستنتهى بعد حين قصر أم طال، رغم أن إتفاقية الهدنة العامة التى وقعت فى سنة ١٩٤٩ مع مصر والأردن وسوريا ولبنان نصت على أن جميع موقيعها سينهون الحرب ويحترمون خطوط الهدنة لحين إستبدالها بحدود دائمة

بطريقة سلمية. كانت هذه الاتفاقات تعتبر حلولاً واقعية تتبلور أولاً ثم تصير سلماً رسمياً. ولكن جددت الحكومات العربية بعد صدمة هزيمتها سنة ١٩٤٨ محاولاتها لازالة اسرائيل، ولا يوجد أى نظير لهذا العداء الصريح ذي الجوانب المتعددة، فى التاريخ الدولى الحديث. نظمت الحكومات العربية على مستوى عالمى مقاطعة اقتصادية بقصد حرمان إسرائيل من الوصول إلى الأسواق العالمية، وتحدت سيادة إسرائيل كدولة مستقلة فى السياسة الدولية، وحرموها من حقها فى تجفيف المستنقعات أو استعمال نهر الأردن الذى يجرى فى أرضها مسافة ٦٥ ميلا، وسعت لاغراء الحكومات الأخرى لعدم إقامة علاقات مع إسرائيل، وعارضت عضويتها فى المحافل الدولية، واكدت حق اللاجئين فى «العودة» إلى إسرائيل بصرف النظر عن رغبة إسرائيل أو أمنها، وحاولت منع إسرائيل من الحصول على السلاح، وأبقت على الدوام موقفا دعائيا للاعتداء اللفظى والقدح فى الكتابة والكاريكاتير صورت إسرائيل على أنها وحش ذو أنف كالسنارة، لايستحق إلا الإبادة، ولم تترك أى صورة أو عبارة أو هدف فى القاموس النازى الا واستعملت فى الدعاية العربية الموجهة من القاهرة فى الحرب السياسية ضد إسرائيل، بروتوكولات حكماء صهيون المتعفنة.. اعتبرها ناصر شيئاً رسمياً. وتردد قتل النازيين لستة ملايين يهودى بين التكذيب والاجلال، وبزغت المعارضة السياسية لإسرائيل كفكرة ضد يهودية واضحة، وتعرضت المجتمعات اليهودية فى الدول العربية للمحاكمة أو للطرد، وشاع السفه فى الكتابات القومية العربية أكثر من ضد السامية اليهودية. وعرض بقاء إسرائيل بذاته فى الكتابة والسياسية العربية كعار لا يمحوه الا زوالها.

كانت هناك أوقات بدا فيها ممكنا أن يبقى هذا الكره العنيف، كافيا دون أن يتحول إلى حرب عامة، وكانت اسرائيل تفضل أن تزدهر في جو من السلام مع جيرانها، ولكنها أيضاً كانت قادرة على الأزدهار بدونه، فاستمرت فى عملها خلف الدرع المتين من الدفاع العسكرى وبعين يقظة ترقب الجدود المعادية وأحياناً بدت تهديدات العرب بتحطيم إسرائيل عادة أو استعراضا لغوياً عن أن تكون فعلية، ولكن انفجر العداء فى مناسبتين إلى مواجهة عامة.

٣ - الآثار الاقتصادية:

بعد أن خسرت الدول العربية المعركة العسكرية فى فلسطين فى عام ١٩٤٨، وجهت هذه الدول جهدها إلى الحرب الاقتصادية ذلك فى سلاح فعال هو سلاح المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل وأمتدت هذه المقاطعة لتشمل الشركات والهيئات التى تتعامل مع اسرائيل.

وقد تضمنت المقاطعة - والحرب الاقتصادية - منع سفن إسرائيل وبضاعتها من المرور فى قناة السويس وفى خليج العقبة وبالنسبة لقناة السويس استندت مصر إلى أحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨م.

وقد استندت مصر - والدول العربية - إلى عدد من المبادئ أبرزها أن إتفاقية الهدنة لم تنه الا المرحلة العسكرية من الحرب.

٤ - الأثار الاجتماعية للحرب: -

تعتبر مشكلة اللاجئين أهم المشاكل التى ترتبت على حرب ١٩٤٨ وأصبحت مصدراً مستمراً للنزاع وعقبة فى سبيل تحقيق تسوية عادلة.

وقد تضخمت مشكلة اللاجئين عدديا بوسيلتين رئيسيتين هما: هروب السكان الفلسطينيين من الأماكن التى احتلها اليهود، وخطة إسرائيل الإرهابية فى تقتيل العرب بشكل عشوائى وبدون تمييز بين محارب أو مسالم بهدف زيادة عدد الهاربين والمغادريين.

وقد أصبحت قضية اللاجئين مثار خلاف شديد بين وجهتى النظر العربية والإسرائيلية حيث ترى إسرائيل حل المشكلة على أساس الأمر الواقع ويتمسك العرب بقرارات الأمم المتحدة التى تدعو إلى عودة اللاجئين إلى ديارهم.

ويضاف إلى ذلك من الأثار الاجتماعية ماكشفته الهزيمة من أمراض اجتماعية ومن ذلك قضية الأسلحة الفاسدة فى مصر وقضايا المتاجرة بأقوات وأقدار الشعوب ابان المعركة فى دول عربية أخرى.

٥ - بعض الأثار السياسية:

(أ) حرصت مصر على تأكيد أن مباحثات رودس هى ذات طابع عسكرى لاتفسر أعمالها بأنها اعتراف ولو ضمنى باسرائيل.

(ب) أهدر قرارالتقسيم فظهرت الدولة اليهودية فقط - إسرائيل - ولم تظهر الدولة العربية المقابلة وقسم ماتبقى من أراضيها بين إسرائيل ومصر والأردن طبقا لاتفاقيات الهدنة.

(جـ) وكان عقد اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل بمثابة انفراج سياسى لإسرائيل مكنتها من إقامة علاقات دبلوماسية مع كثير من الدول التى كانت مترددة من قبل.

(د) ولمواجهة الأتحاد السوفيتى - وبشكل واضح لمساعدة اسرائيل - صدر عن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى ٢٥ / ٥ / ١٩٥٠ «التصريح الثلاثى» الذى التزمت خلاله الدول الثلاث بالحد من كميات الأسلحة التى ترسل إلى الدول العربية وإسرائيل. وضمنت هذه الدول حدود الهدنة في مواجهة أية محاولة لتغييرها.

الفصل الثالث

العار الفلسطينى

العار الفلسطيني :

لقد قضت حرب فلسطين على الملكية وعدد من الحكومات في مصر، وبالرغم من اجراءات الأعتقال والسجن وغيرها، إلا أن أخبار الهزيمة قد تسربت، وكان قد أوقف العمل بالدستور في بداية غزو فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ وأعلن قانون الطوارئ، لكن كل هذه الاجراءات أثبتت عدم جداوها. هذا بالنسبة لمصر، أما اليهود فيمكن توجيه اللوم إليهم على كل سوء حظ، لقد حذر د. حسين باشا هيكل الذى رأس وفد مصر للجمعية العامة في ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ عندما كانت الأمم المتحدة مازالت تناقش التقسيم، من أن حياة مليون يهودى في الدول الإسلامية ستتعرض للهلاك بالتقسيم، وإذا نزف الدم العربي في فلسطين فحتما سينزف دم اليهود في أماكن أخرى في العالم رغم الجهود المخلصة للحكومات المعنية، لمنع الثأر والأنتقام. وعندما دخلت مصر حرب فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ تم اغتقال مئات اليهود المصريين، وأممت ممتلكات مايزيد على ألف يهودى. وكان الاخوان قد لعبوا دورا رئيسياً في الحملة الشرسة ضد اليهود، إلا أن مسئوليتهم عن أغتيال رئيس الوزراء «أحمد ماهر»

ووضـوح خـروج الإرهاب عن السيطرة، جـاء إبراهيم عـبـد الهـادى رئيسا للوزراء، وأطلق ـ بتأييد من القصر وغالبية البرلمان ـ سراح المسجونين اليهود من المشتبه فيهم، وملأ السجون بأعضاء الأخوان، كـمـا قتل قـائد الأخـوان «حـسن البنـا» بطريقـة غـامضـة فى فـبـراير ١٩٤٩، وبذا تم علاج الإرهاب بالإرهاب.

ولفتـرة ظهـرت ظروف اليـهـود المصريين مـيسرة، ففى يوليو ١٩٤٩ أفرجت الحكومة عن جزء من أرصدة اليهود المجمدة، وسمح لغير المسلمين بمغادرة البلاد، وعلى هذا غادر ثلاثون ألف يهودى مصرى (مابين عامى ١٩٤٩و١٩٥١) وباعوا ديارهم وأنهوا أعمالهم وحـولوا أمـوالهم إلى البنوك الأوربيـة، وغـادروا إلى فـرنسـا وإيطاليـا، وتوجـه ثلث هؤلاء إلى إسرائيل، وقـد تبـقى ثلاثة أخـمـاس المجتـمع اليـهـودى المـصرى على اعتبـار أن الأمن والاستقرار قد تحـققا فى النهاية.

وكـان الكثير من المثقفين فى مـصـر يستحيل عليهم قبول عـار الهزيمة على أيدى عـصابات الصـهـاينة. وقد طالب سـلامـة مـوسى الكاتب فى صحيفة الوفد «صوت الأمة» بـ «نهاية للحرب الباردة بين إسـرائيل والدول العـربيـة» وحث كـلا الطرفين على «إنهـاء الحـرب بطريقة مـشرفة»، وكـانت هذه قناعـة حـافظ رمضان زعيم الحزب الوطنى بأن بريطانيا تزيد لهيب الصراع العربى ـ الإسرائيلى للحفاظ على قـوتهـا الذاتيـة فى المنطقـة، ونفس الإتهـام كـرره فكرى أباظة المحـرر بمجلة «المصـور» الأسـبـوعـيـة واسعـة الانتـشـار. وكـانت الصـهيـونية توصف كـفيروس يثـير الكراهيات، وعـادوا إلى الوراء

«بروتوكولات حكماء صهيون»، وقد عرف عباس محمد العقاد فى أحد مقالاته فى سلسلة «اخترنا لك» «الصهيونية» كـ «خاصية بغيضة» التى غرست فى العصور القديمة جذورا بين العبريين، وحلت بهم المقت والاحتقار أينما عاشوا أو جاءوا.

وكان رد الفعل الفلسطينى هو الاتجاه إلى ابتزاز الشرف العربى وإرجاع الهزيمة إلى البريطانيين «الأعداء يعرفون كل شئ عن الأسلحة» و «القوى الاستعمارية أمدت اليهود بالمعلومات» والاتهامات نادرا ماتتغير.

وفى يوليو ١٩٤٨ قال عزام باشا علنا أن «إنجلترا وأمريكا تتابع كل جهود العرب للحصول على السلاح وتعرقلها، فى الوقت الذى تعملان فيه بكل عزم على تأمين سيل المواد الحربية والأفراد لليهود بحرا وجوا وفى كل اتجاه».

وأصر جمال عبد الناصر لـ «اخترنا لك» عام ١٩٥٥ أن الجيش المصرى لم يحارب عام ٤٨، وأضاف أنور السادات فى «ثورة على النيل» أن الانتداب البريطانى لم يسمح للسكان العرب بحمل السلاح.. أن خلق دولة إسرائيل كان حركة استراتيجية من الغرب، قصد بها إضعاف العالم العربى. ويعتبر السادات أن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة ستتكفل برعاية إسرائيل فى الشرق الأوسط كمركز خارجى يمكن من خلالها للقوى الغربية أن تراقب الاتحاد السوفيتى.

لوزان وبعد وصول الهدنة إلى طريق مسدود:

فى ديسمبر ١٩٤٨ كلفت اللجنة الاستشارية الفلسطينية المعينة من الجمعية العامة للأمم المتحدة بثلاثة واجبات هامة هى:

- إيجاد تسوية بين إسرائيل وأعدائها العرب.

- تسوية مشكلةاللاجئين الفلسطينيين.

- ترتيب نظام حكم دولى دائم فى القدس.

ووفقا لتطور الأمور فشلت اللجنة فى تحقيق أى من هذه الأدوار، بل وقضت على فرص السلام التى كانت قائمة، فقد كان من المفيد - مثلا - أن يجرى الإسرائيليون وممثلو الدول العربية فرادى مفاوضات مباشرة على غرار صيغة رودس، وبدلا من ذلك فإن أعضاء اللجنة الثلاثة - وهم من تركيا وفرنسا والولايات المتحدة - قد قضوا ثلاثة شهور فى جولة لبلدان الشرق الأوسط دون التوصل إلى أرضية صالحة دائمة لمناقشاتهم. وذات مرة وقعت اللجنة فى خطأ كبير بأن سمحت لمختلف الممثلين العرب أن يشاركوا فى المناقشات ككتلة وليس على انفراد. ونتيجة لذلك لم يجرؤ أى من العرب على أخذ المبادرة بالأعتدال، وخلال الفرص النادرة التى بذلت فيها الجهود لجمع الطرفين سويا، تنصل العرب من صيغة مفاوضات ردوس، ورفضوا الجلوس فى حجرة واحدة مع اليهود، وكان هناك الكثير من الاختلافات الجوهرية التى كان يمكن حلها بدون تعقيدات إجرائية، واعتبرت اللجنة أن من واجبها إيجاد نظام ثقة دائم فى القدس طبقا لقرار الأمم المتحدة بالتقسيم، وقبل أن تنتهى حرب فلسطين، احتلت جحافل الملك عبد الله القدس القديمة، بينما ظلت غالبية القدس الجديدة فى أيدى اليهود. وفى أول مارس ١٩٤٩ وقع الهاشميون والإسرائيليون اتفاقية تعترف بالتقسيم فى المدينة المقدسة كأمر واقع، بينما ذعرت الحكومات العربية الأخرى

من قبول وجود اليهود فى ثالث مدينة مقدسة للمسلمين، وردا على ذلك أبلغت الأمم المتحدة رغبتها فى قبول تدويل القدس، وعلى هذا وفى ٩ ديسمبر ١٩٤٩ . صوتت الجمعية العامة بالأغلبية على تحويل القدس كلها إلى كيان منفصل. وكان رد الفعل على التصويت سريعا وقاطعا، ففى أول يناير ١٩٥٠ نقلت الحكومة الإسرائيلية مقرها من تل أبيب إلى القدس الجديدة فيما عدا وزارات الدفاع والبوليس والخارجية (تم نقل الأخيرتين فيما بعد). وفى نفس اليوم أصدر الملك عبد الله مرسوما بمنح حق مواطنة شرق الأردن لأهالى الضفة الغربية، بما فى ذلك سكان القدس العربية، وكان قرار الجمعية الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٤٩ . يناشد كلا من إسرائيل والدول العربية، ليس فقط البدء فى مفاوضات سلام، بل والسماح أيضا للاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم فى أقرب وقت ممكن، وكان متوقعا حل مشكلة اللاجئين تماما قبل مفاوضات السلام.

وحذر الإسرائيليون من أن حلا أساسيا لمسألة اللاجئين يجب أن يقوم على توطينهم فى البلاد العربية المجاورة، وفى صيف ١٩٤٩ . وصل عشرات الآلاف من اليهود إلى إسرائيل وفشلت مفاوضات السلام فى لوزان فى تحقيق أى تقدم.

وكانت الحكومات العربية غير راغبة فى بقاء الفلسطينيين فى بلادها، فقضية اللاجئين تخدمها كذريعة مفيدة لمنع أى مناقشات مع إسرائيل فى المستقبل. وترتب على ذلك أن بلغ عدد اللاجئين فى نهاية ١٩٥٠ إلى ما بين ستمائة وخمسين ألفا وسبعمائة ألف، يقيمون فى الخيام التى أعدتها إدارة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

وقد منح الملك عبد الله حق المواطنة لمائتى ألف لاجئ فى المنطقة الغربية للأردن، وقد حصل نصفهم على أعمال وعاش الباقى فى الخيام على معونة الأمم المتحدة. وفى غزة عاش اللاجئون فى المنطقة الساحلية يعانون.

السلام الفاشل:

وكان لوجود اللاجئين على الحدود الإسرائيلية ـ العربية تأثيرا على محادثات السلام فى لوزان، وفى الحقيقة أنها أثارت واحدا من أهم الشروط العصيبة من الاتفاقيات الأربعة للهدنة والتى قصد منها إعطاء فترة انتقالية لحين تحقيق السلام الدائم. وإلى هذه النهاية أقيمت الأجهزة التى تقلل من خطر انتهاكات الحدود، وعنصرها الأساسى كان لجان الهدنة المشتركة، وكل منها يتكون من عدد متساو من المندوبين الإسرائيليين والعرب تحت رئاسة ضابط من الأمم المتحدة مكلف بمسئولية مراقبة خرق الهدنة وتحديد اللوم، وتشجيع الأطراف أنفسهم على حل منازعاتهم. وكان هذا آخر عمل لمجلس الأمن الذى يتوقف على رغبة العرب والإسرائيليين أنفسهم للتعاون من أجل السلام.

ثم تشكلت اللجنة المصرية الإسرائيلية المشتركة، وكان أول ممثل إسرائيلى الكولونيل «اسحق رابين» ومن الجانب المصرى البريجادير «محمود رياض» وبدأت اللجنة المشتركة الإسرائيلية محادثاتها، وعموما اتسمت الاجتماعات المصرية ـ الإسرائيلية بالمعقولية. ولكن فشلت محادثات «لوزان» على نمط محادثات «رودس»، وبذا فشلت المهام من أجل سلام دائم.

وكانت الحدود التى ضمنتها هدنة رودس مؤقتة، ولم تأخذ بعين الاعتبار احتياجات المدنيين، كما مثلت المناطق منزوعة السلاح بؤرة أخرى للعنف، وقد ثبت أن المنطقة السورية منزوعة السلاح هى الأكثر انفجارا، كما أصبحت خطوط المواجهة الجنوبية فى الخمسينات الأكثر تقلبا، أما منطقة العوجة منزوعة السلاح فقد أخلاها فى مقابل ضمان تكتيك تطهيرها. ومنذ عام ١٩٤٩ حاول الإسرائيليون مرارا إقامة معسكر فى هذه المنطقة تحت ستار «كابوتز» (١) وفى سبتمبر ١٩٥٣ طرد اليهود حوالى ستة آلاف من البدو الذين يعيشون فى هذه المنطقة وأقاموا أخيرا مستوطنة. وبعد ذلك أكتشفت نقطة حدود مصرية داخل المنطقة منزوعة السلاح ولم يكن أحد الجانبين مستعدا لأن يتزحزح من مكانه، وكثرت المناوشات فى نهاية سنة ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ مع تزايد الخسائر على كلا الجانبين، وفى النهاية وفى ٢ نوفمبر ١٩٥٥ تحركت القوات الإسرائيلية بقوة ضد المواقع المصرية وقتل حوالى خمسين مصريا، وتم أسر ما يزيد على أربعين شخصا فى الهجوم.

ورغم توجيه مجلس الأمن اللوم لإسرائيل على هذا العمل، لم يتخل اليهود عن الاحتفاظ بالعوجة، وكان إصرار إسرائيل على تواجد قواتها بها كمنطقة عازلة ضد التسلل العربى المتصاعد من قطاع غزة. وهذا القسم المتواضع الذى خصصته اتفاقية هدنة «رودس» . لمصر من أرض فلسطين الساحلية بطول ثلاثين ميلا وعرض أربعة أميال يقيم فيها حوالى مائة وعشرين ألف لاجئ

(١) كابوتز: مستعمرة يهودية

عـربى، تحت الحكم الـعـسكرى المصـرى، وليس لـهم حق الـعـمل أو التملك فى مصر. وفيما بين ١٩٤٩و١٩٥٢ كانت السلطات المصرية لا تشجع كـثـيـرا على تسلل اللاجئين، وكانـت للحكومـات العـربيـة مشاكلها الذاتيـة التى تتطلب حـلا. وكـان الملك عـبد الله يتطلع إلى اتفاقية الحل الوسط المرضى، وتوصل إلى معاهدة مع الإسرائيليين عام ١٩٥٠ بمقتضاها تم تسوية كل مشاكل الحدود وسبل الدخول إلى القدس، واتصال الأردن وحيفا. وقد تسربت هذه الوقائع إلى الدول العربية، وفى ٣٠ يوليو ١٩٥١ وفى طريق عودة عبد الله من الصلاة فى القدس أطلق عليه الاخوان المصريين الرصاص فأرداه قـتيلا. وفى أماكن أخرى ونتيجة لخسارة الحرب وتوقيع اتفاقيات الهدنة، أطيح بالنظام السورى بانقلاب عـسكرى، كما أغـتيل رئيس وزراء لبنان «رياض الصلح»، وفى مـصـر أغـتـيل النقـراشى لقبـوله وقف إطلاق النار.

وبعد عام ١٩٤٩ تأزمت العلاقات العربية فيما بعد، ولم يكن يجمعها سوى مناهضة إسرائيل، وفيما عدا بعض الاشتباكات المحدودة على الحدود ظل أسلوب الأنتقام العربى ضد إسرائيل أساسا غير عسكرى، وكان هدفهم فى بداية الخمسينات هو عزل إسرائيل وخنقها من خلال الضغط السياسى والمقاطعة والحصار الاقتصادى، وكان من بين الإجراءات الحاسمة العزل الدبلوماسى. فكل جواز سفر يحمل تأشيرة سفر لإسرائيل يمنع دخوله لأى دولة عربية وكل الحدود مع إسرائيل مغلقة، وكانت الحكومات العربية عنيدة فى محاولاتها لاثناء الدول الأخرى بعدم إقامة علاقات دبلوماسية مع

إسرائيل. وكانت مؤثرة بصفة خاصة فى الدول المحررة حديثا فى أفريقيا وآسيا والدول الإسلامية. ومعظم تلك الدول قبلت المفهوم العربى بأن إسرائيل عميلة وذيل للامبريالية الغربية، ولو أن تركيا وإيران والهند أقامت علاقات قنصلية.

وفى يناير ١٩٥٠ وضعت الجامعة العربية خطة لردع الدول والشركات من الدخول فى تعاملات مع إسرائيل. وفتح مكتب رئيسى فى دمشق. وأتخذت الدول العربية عقوبات صارمة ضد المؤسسات الأوربية والأمريكية أو غيرها التى تحتفظ بفروع لشركاتها أو توكيلاتها فى إسرائيل، ورغم ذلك كانت شركات البترول الأمريكية والبريطانية تنقل البترول من العراق إلى حيفا منذ ١٩٤٨ . وتحت بنود المقاطعة كان من المستحيل على البواخر الأجنبية أن تمر على الموانى الإسرائيلية والعربية فى الرحلة الواحدة، ولا يمكن لطائرة تهبط فى إسرائيل أن تحلق فى الأجواء العربية.

القسم الثانى

الأوضاع فى إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨

الفصل الاول:

الخلافات بين «بن جوريون» وزعماء المعارضة على أسس وقواعد قيام الدولة بعد الحرب

الفصل الثانى:

أول انتخابات عامة ١٩٤٩ والتقييم السياسى لـ «بن جوريون»

الفصل الثالث:

طبيعة المجتمع الإسرائيلى

الفصل الأول

الخلافات بين «بن جوريون» وزعماء المعارضة

الخلافات بين «بن جوريون»

وزعماء المعارضة على أسس وقواعد

قيام الدولة.

المنظمات الإرهابية بعد اغتيال «الكونت برنادوت»

تشكيل الأجهزة اللازمة لقيام الدولة:

عمدت إدارة الحركة الصهيونية إلى الاستعداد لفترة ما بعد الأنتداب البريطانى فقامت بتشكيل الأجهزة اللازمة لقيام الدولة ومنها:

- مجلس الشعب وهو نوع من الحكومة المؤقتة تضم ٣٧ عضوًا ضمت ممثلين عن كل التيارات والأحزاب اليهودية بما فى ذلك التصحيحين والشيوعيين.
- إدارة الشعب برئاسة دافيد بن جوريون وعضوية ثلاثة عشر عضوا تم أختيارهم من بين أعضاء مجلس الشعب للقيام بالمهام اليومية للحكومة المؤقتة ولم يمثل فيها التصحيحيون والشيوعيون.

وعقدت إدارة الشعب سلسلة اجتماعات بهدف الانهاء من موضوع إعلان الدولة، وفى ١٤ مايو ١٩٤٨، تمت الموافقة على صيغة إعلان الدولة اليهودية وحرص المسئولون على أن يسرى مفعول الإعلان عند منتصف الليل، أى مع بدء يوم ١٥ مايو حيث ينتهى الانتداب البريطانى على فلسطين رسميا.

وفى الليلة نفسها، اعترفت الولايات المتحدة بالدولة اليهودية على الرغم من تحفظاتها تجاه الإعلان الفورى.

وغدت إدارة الشعب بموجب الإعلان، حكومة مؤقتة. وكانت أول خطوة اتخذتها، ليس إقامة الجيش الإسرائيلى، وإنما إلغاء قوانين الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ المتعلقة بالهجرة، وقوانين امتلاك الأراضى لعام ١٩٤٠ التى الغيت قبيل الإعلان عن قيام الدولة بساعات معدودة.

جيش الدفاع الإسرائيلى.

وتأخر أمر إقامة الجيش الإسرائيلى قرابة أسبوعين، وذلك لأنه كان يدور، فى تلك الفترة، صراع خفى بين فريقى الحركة العمالية حول طبيعة الهاجاناه وجوهرها عقب تحولها إلى جيش، شارك فيه بن جوريون، وقادة الهاجاناه. وفى ٢٦ مايو ١٩٤٨ وقع بن جوريون، بعد مصادقة الحكومة، على أمر إقامة جيش الدفاع الإسرائيلى وقد نص الأمر على التالى:

١ - يقام بهذا، جيش الدفاع الإسرائيلى ويشكل من أسلحة البر وسلاح الجو وسلاح البحر.

٢ - فى حالة الطوارئ يطبق التجنيد الالزامى لجيش الدفاع الاسرائيلى بأفرعه المختلفة، وسيكون سن الملزمين بالخدمة وفق ماتحدده الحكومة المؤقتة.

٣ - على كل من يخدم فى جيش الدفاع الإسرائيلى اداء قسم اليمين لدولة إسرائيل ودستورها وسلطاتها المخولة.

٤ - يحظر إقامة، أو الاحتفاظ، بأية قوة مسلحة خارج إطار جيش الدفاع الإسرائيلى.

٥ - تبقى الأوامر والإعلانات وكافة التعليمات الأخرى المتعلقة بشئون الخدمة سارية المفعول.

٦ - كل عمل ينفذ وفق تعليمات هذا الأمر شرعى حتى لو كان مناقضا لأى أمر آخر فى القانون الجديد.

٧ - وزير الدفاع مسئول عن تنفيذ هذا الأمر.

٨ - يطلق على هذا الأمر اسم جيش الدفاع الإسرائيلى لعام ١٩٤٨ .

وبقدر ما عجل هذا الأمر فى تحقيق وحدة التنظيمات، فإنه أثار أمتعاص التنظيمين الآخرين لجهة ما يستشم من اسم الجيش، فقد حرص المسئولون عن إطلاق التسمية على الأحتفاظ باسم منظمة الهاجاناه (الدفاع) كصفة للجيش الإسرائيلى. ولم تكن الرغبة فى صفة (الدفاع)، بحد ذاتها، هى الدافع لتثبيتها كصفة للجيش بقدر ما كانت الرغبة فى حشر كلمة الدفاع (هاجاناه) فى الأسم الجديد، لاسيما وأن أصحاب التسمية هم من أوساط الهاجاناه الذين كانوا يرغبون فى رؤية الجيش الإسرائيلى كوريث لمنظمتهم. ومما زاد من

أمتعاض التنظيمين الآخرين وبخاصة اتسل، الأمر اليومى الذى أصدره بن جوريون بخصوص إقامة جيش الدفاع الإسرائيلى والذى حاول رفع مكانة الهاجاناه فى الجيش على حسابهما وتحولت إلى جيش نظامى.

وقد جاء فى الأمر أيضا سرد لتاريخ الهاجاناه ونضالها؛ وتطرق إلى الهجرة الثانية وإلى منظمة هاشوق والكتائب العبرية وإلى قيام منظمة الهاجاناه وأسلحتها المختلفة، وإشادة بها دون ذكر كل من اتسل وليحى بالأسم، وأن أشير لهما بشكل عام.

ومع ذلك، فإن الأمتعاض لم يكن بوسعه الوقوف أمام وحدة التنظيمات، فقد توافر الشرطان الأساسيان اللذان طالما طالبت بهما كل من اتسل وليحى وهما: قيام الدولة وقيام الجيش. وقد حدث ذلك فى أجواء التسوية التى أبرمت بين الهاجاناه واتسل وبتفاقم الحرب العربية الإسرائيلية بدخول الجيوش العربية المعركة، الأمر الذى دفع التنظيمات للوحدة والأندماج. وقد دارت مفاوضات بين الهاجاناه وبين كل من التنظيمين لهذا العرض، وتوصلت مع ليحى إلى اتفاق بهذا الخصوص، وبعد ثلاثة أيام وفى الأول من يونيو ١٩٤٨، أعلن عن الأتفاق الشهير الذى تم بموجبه دخول اتسل الجيش الإسرائيلى المشكل أساسا من الهاجاناه.

ولم يكن هذا الاتفاق نهاية المطاف بالنسبة لوجود المنظمات المسلحة إذا استمرت أعمالها فى بعض المناطق بعد قيام الدولة اليهودية وعلى حساب الجيش الإسرائيلى التى يشكل جزءا منه، بمعنى أن معركة تصفية المنظمات المسلحة لاتزال تواجه بن جوريون.

حل «اتسل وليحى»

قامت المنظمتان بعدة أعمال إرهابية تحرج الحكومة الإسرائيلية الجديدة وتتحدى سلطات الجيش وكانت حكومة إسرائيل تتحين الفرص للنيل منهما.

عقب ظهر ١٧ سبتمبر ١٩٤٨، وبينما كان الكونت برنادوت، وسيط الأمم المتحدة لحل النزاع العربى - الإسرائيلى. متجها مع أربعة من مساعديه، بحراسة قافلة تتكون من ثلاث سيارات من قصر المندوب السامى فى القدس لمقابلة أحد المسئولين الإسرائيليين تصدى له أربعة مسلحين، وبعد أن أغلقوا عليه الطريق بواسطة سيارة جيب كان أفراد ليحى قد سرقوها من قوات الأمم المتحدة قبل فترة وجيزه، وأطلق أحدهم النار نحو الوسيط الدولى الذى ما لبث أن فارق الحياة مع مساعدة الفرنسى.

لم يختلف هذا البيان الذى أصدرته ليحى، متسترة تحت اسم جبهة الوطن كثيرا عن وجهة نظر مختلف التيارات الإسرائيلية أى اتسل، تجاه الوسيط الدولى الذى كان قد واجه، خلال الأشهر البسيطة التى أمضاها لتنفيذ مهمته، حملات عنيفة سواء من قبل الصحافة الإسرائيلية أو من مختلف التيارات التى اتهمته جميعها بمحاباة العرب خدمة لبريطانيا وكانت ليحى على رأس منتقديه ومهاجميه، معتبرة إياه بمثابة عميل بريطانى.

وبمقدار ما كانت السلطات الإسرائيلية غير جادة فى الكشف عن ملابسات جريمة اغتيال الوسيط الدولى، كانت فى المقابل جادة وحاسمة فى وضع حد نهائى لوجود بقايا المنشقين فى القطاع

اليهودى من القدس. ووجد بن جوريون فى الحادث فرصة مناسبة لتحقيق هذا الهدف. ففى مساء يوم الاغتيال، عقد اجتماعا مع عدد من وزرائه استمع خلاله، إلى تقرير عن الحادث. وتقرر فى نهاية الإجتماع، الشروع فورا بتنفيذ حملة تشمل إعتقال أعضاء ليحى جميعهم ومصادرة أسلحتهم وإطلاق النار على كل من يتصدى لذلك. واشفعت السلطات هذا الإجراء بإصدارها فى ٢٠ سبتمبر قانون منع الإرهاب. وبمقتضى هذا القانون الذى حرص القائمون عليه على أن يسرى مفعوله بأثر رجعى ابتداء من يوم الإعلان عن قيام دولة اسرائيل، خولت السلطات الحكومية صلاحية سجن أى عضو، فى منظمة إرهابية مدة أقصاها خمس سنوات وسجن أى عضو نشيط، فى مثل هذه المنظمة لمدة أقصاها عشرين سنة، وأوضحت الحكومة، فى اليوم نفسه فى بيان خاص، أن ليحى تعد منظمة إرهابية.

بناء على هذه القرارات استولت قوات من الجيش والشرطة على قاعدتى ليحى فى الجزء اليهودى فى القدس، وقد تم ذلك وسط حملة تعقب ومطاردة لعناصر هذه المنظمة أدت إلى اعتقال ١٨٢ عنصراً فى المدينة و ٦٢ عنصراً فى تل أبيب.

وهكذا، كانت نهاية منظمة ليحى مثل ولادتها، فقد ولدت فى أجواء المحاصرة والأعتقال، ولفظت أنفاسها الأخيرة فى الأجواء نفسها.

أما اتسل فلم تكن نهايتها بأفضل من نهاية زميلتها؛ فعلى الرغم من عدم اشتراكها فى عملية الاغتيال فقد طالتها يد بن جوريون

الذى كان قد اتقن استغلال الظروف للوصول إلى هدفه وتوجيه ضربة إلى خصمه. ففى أثناء تضيق الخناق على عناصر ليحى، ووسط الحملة الواسعة ضد الإرهاب، قدم يغثال يادين - رئيس شعبة العمليات فى الجيش - إلى شموئيل كاش، قائد مجموعة اتسل فى الجزء اليهودى من القدس، انذاراً فى ٢٠ سبتمبر أى عقب إغتيال برنادوت بثلاثة أيام بالخضوع للقانون والالتزام بسلطة الجيش أو التعرض لكل التدابير التى سيقوم الجيش بإتخاذها حيال المنظمة.

وقام بن جوريون مستغلا الظروف بإنهاء أى تمايز تشكيلى للبلماح (القوة الضاربة للهاجاناه) وهكذا استتب الأمر لبن جوريون داخل الحكومة وداخل الجيش.

الفصل الثانى

أول إنتخاباب عامة ١٩٤٩
والتقييم السياسى لـ «بن جوريون»



حاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل يشكر هاري ترومان لاعترافه بإسرائيل بعد ساعة واحدة من إعلان قيامها.

إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨

١ ـ أول انتخابات عام ١٩٤٩ .

بدأت أول انتخابات عامة فى إسرائيل فى ٢٥ يناير عام ١٩٤٩ على أساس القوائم التى تقدمت بها الأحزاب وتحتم منح الأصوات للقائمة كاملة لا لمرشح بشخصه. ونصت على أن الحزب الذى لا يحصل على واحد فى المائة من مجموع أصوات الناخبين لا يفوز بأى مقعد فى «الكنيست»، وتوزع المقاعد على أعضاء كل قائمة وفق ترتيبهم فى القائمة وحسب نسبة عدد الأصوات الممنوحة لهذه القائمة على أن يمثل كل شخص ١٠ر٠٠٠ ناخب، وعدد أعضاء «الكنيست» ١٢٠ عضوا ، أما السبب الذى حدا بإسرائيل للأخذ بهذه الطريقة فهو أن معظم القادة السياسيين الصهاينة جاءوا من دول أوربا الشرقية حيث كان هذا النظام منتشرا، وطبق فى انتخابات المؤتمر الصهيونى العام. كان «بن جوريون» معارضا طوال حياته السياسية لهذا النظام وحاول فرض نظام الحزبين أو الأحزاب الثلاثة، ولكنه فشل.

وفى ٩ مـايو ١٩٤٩ ألف «بن جـوريون» أول حكومـة ائتـلافيـة قبلت إسـرائيل بناء عليـهـا عـضـوا فى الأمم المتـحـدة، وأعلن « بن جوريون» أن القدس هى عاصمة إسرائيل معارضا قرار الأمم المتحدة بتـدويل القـدس. ونقل وزارة الخارجـيـة إلى القدس فى عـام ١٩٥٣، وكان رأى «بن جوريون» من نقل العاصمة إلى القدس، وضع العرب فى مركز أقل أمنا (١) ، وفى عام ١٩٥٠ طالبت الأحزاب المعارضة وبعض الأحـزاب المؤتلفـة بدسـتور للبلاد، وكـان المتـديـنون يريدون دستورا على مبادئ «التلمود» و «التوراة» واليساريون يريدون دستورا على نظام اشتراكى، والمحافظون واليمينيون يريدون نظاما رأسماليا، وأمام تباين الآراء واختلاف وجهات النظر، اتفقوا على حل وسط هو الموافقة على دستور لإسرائيل مع إرجاء وضعه فى الوقت الحاضر.

وأقـر «الكنيـست» فى ١٩٥٠/٧/٥ . قـانون العـودة، الذى نص على حق كل يهودى فى المجئ إلى إسرائيل بوصفه «مهاجرا عائدا» وأن يعتبر كل يهودى هاجر إلى البلاد قبل سريان هذا القانون، وكل يهـودى ولد فى البـلاد سواء قـبل صدور القـانون أو بعـده «مـهـاجـرا عائدا» إذ تعتبر الـهجرة أو التـهجير من أهم ركائز الدولة الإسرائيلية، وقد اعتبر «بن جـوريون» طوال حياته، أن دولة إسرائيل هى دولة كل اليـهـود فى كـافـة أنحـاء العـالم، وأن قـانون العـودة هو قـانون البـقـاء التـارخى لليـهـود واستـمرارية للصلة القائمة بين اليـهود فى إسرائيل وخـارجـهـا. كمـا إنـه وضع المبدأ الأساسى الذى تحقق بفضله إحياء دولة إسرائيل وبقاؤها ونموها وأملها فى الخلاص القومى.

(١) كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء».

، وقد سبب تطبيق هذا القانون مشاكل وخلافات حادة داخل إسرائيل، حينما هاجر إليها دفعة واحدة مائة وعشرون ألفا من يهود العراق فى «عملية بابل» إذ ازداد عدد اليهود الشرقيين على الغربيين،

وتذمر المهاجرون القدماء، وأبدوا تخوفهم من أن هجرة اليهود الشرقيين إلى إسرائيل تهدد البناء الاجتماعى القائم فى ذلك الحين. إلا أن «بن جوريون» قاوم هذه الآراء داخل «الكنيست» محتجا أن لا أحد أعلى من أحد، ولا ضرورة لأن تكون إسرائيل أمة أوربية الحضارة، وفى الأمكان صهرهم جميها فى «المثل الأعلى لإسرائيل «كتاب الأرض التى تحترق» فقد أرادهم «بن جوريون» أن ينسوا أن هذا من الشرق وذاك من الغرب، كما نسى هو إنه من بولندا. وذكر مؤلف كتاب «النبى المسلح» أن «بن جوريون» قال «إنه يريد أن يعيش حتى اليوم الذى ينتخب فيه يهودى يمنى رئيسا لإسرائيل».

٢ ـ التقييم السياسى لـ «بن جوريون» بعد قيام دولة إسرائيل

أجمع يهود العالم وخاصة المقيمون فى إسرائيل على أن «بن جوريون» هو القائد والزعيم الأوحد الذى جمع الشتات وأعاد اليهود إلى أرض الميعاد، وهو الذى أعاد ملك اليهود الضائع ممثلا فى قيام دولة إسرائيل الجديدة.

ولا يشك أى باحث فى تاريخ الصهيونية منذ مؤتمر «بازل» عام ١٨٩٧، أن إسرائيل الحالية هى نتيجة الكفاح السياسى «لبن جوريون» فقد نجح على مر سنى كفاحه فى جعل يهود فلسطين شعبا متحدا منظما، رغم العقبات والصعوبات التى واجهته. وقال فى هذا الصدد: «نحن اليهود نختلف عن غيرنا من الأمم فليس لنا تراث على مر

القرون وعلينا أن نحصل فى سنوات قليلة ماحصلت عليه أمم أخرى فى قرون عديدة (١).

إلا أن بعض النقاد السياسيين من الأجانب ومن الصهيونيين أنفسهم يأخذون على سياسته مآخذ عديدة. كمشكلة القدس التى لم يراع فيها أى قدر من الدبلوماسية ولا الحنكة السياسية فضلا عن تجاهله للعواطف الدينية العالمية مما أغضب المراجع الدينية وعلى رأسها الفاتيكان.

ويقول مؤلف كتاب «النبى المسلح».

إن «بن جوريون» كثيرا ماكان يناقض نفسه فى أمور سياسية سبق أن اتخذ فيها قرارات معينة. فقد نقض موقف الحياد الذى اتخذته إسرائيل بالتصويت مع الاستعمار فى المشكلة الكورية عام ١٩٥٠، ومسوغ ذلك أن «بن جوريون» شأنه شأن أغلبية حكام إسرائيل يحبذون ربط إسرائيل بالغرب، لاقتناعهم بأن إسرائيل لم يكتب لها القيام أو البقاء إلا لأنها قاعدة للاستعمار وقد أساء هذا المسلك إلى علاقات إسرائيل بالأتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية الذين رأوا فى إسرائيل الأداة الطيعة فى يد الغرب ضد المعسكر الاشتراكى.

ويذكر مؤلف كتاب «داڤيد بن جوريون» أن «بن جوريون» بسبب تأييده لخطط الغرب الاستعمارية وماجره ذلك عليه من المشاكل مع الأتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية قد واجه مشاكل

(١) كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء».



بن جوريون أطلق عليه الكتاب اليهود (النبى المسلح)

أخرى مردها تطبيقه لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة الذى لم يحقق له النجاح فى إقامة علاقات متينة مع الهند والصين ودول آسيوية أخرى فى الوقت الذى كان يعلق آمالا كبيرة على الهند وزعيمها «نهرو» ويحاول إيجاد عامل مشترك بين إسرائيل والشعوب الآسيوية متناسبا أن اليهود لا يملكون الثقافية المشتركة التى تؤهلهم لايجاد الطريقة المثلى للتفاهم مع فلسفات الهند والصين العريقة.

وقد أدرك «بن جوريون» أن إسرائيل فى بدء حياتها تفتقر إلى نخبة من رجال السياسة ذوى التقاليد السياسية «المثقفين»، وأنه أصبح لزاما على إسرائيل خلق جيل جديد من السياسيين، ولم يجد «بن جوريون» إلا «موسى شاريت» ليعتمد عليه فى هذه المعضلة بحكم خبرته أثناء عمله فى الوكالة اليهودية، إذ أنه كان مسئولا عن العلاقات الخارجية. وهكذا ولأول مرة يعتمد «بن جوريون» على خبرة سياسية لتنظيم جانب من جوانب الدولة وهو الذى كان فى العهد الأول لقيام دولة إسرائيل كل شئ لكل الرجال والمشكلات (١).

ويقول مؤلف كتاب «إسرائيل سنوات التحدى» أن «بن جوريون» بعد خمس سنوات من قيام الدولة وهيمنته على مقدراتها، وبعد أن أصبحت لإسرائيل صناعات تنمو بسرعة، وصل تعداد الدولة الجديدة إلى مليون ونصف مليون نسمة بفضل تدفق المهاجرين الذين يباركونه لأنه ارجعهم إلى «أرض الميعاد»، كما كان الجيش يبادله الحب والأحترام الكبيرين. قد تشجع على دفع الشعب إلى العدوان السريع لتحقيق المزيد من التوسع.

(١) المصدر السابق.

٣ - بن جوريون ومشكلة التعليم:

ونتيجة للهجرة الجماعية وبعد أن استتب الأمر للدولة الجديدة برزت مشكلة التعليم لكل اليهود: غربيين وشرقيين وكانت المشكلة هى: هل يكون دينيا أو علمانيا.؟

وكانت المشكلة عويصة جدا بالنسبة لـ «بن جوريون» الذى لم ينتظم فى طفولته وشبابه فى التعليم النظامى، ولم يقدر على رؤية الحياة من جميع نواحيها، فهو لا يفهم الشعر ولا فنون الرسم ولا الموسيقى، ولكنه ثقف نفسه بقراءة كتب الأدب والتاريخ. وكان لا يهتم كثيرا بآراء خبراء السياسة إذ كان يرى أن الخبير يختلف عن الزعيم أو القائد الوطنى. فالخبير السياسى يعرف مجالات تخصصه أما القائد الوطنى فيتحلى بالحس المرهف لاتجاهات الشعب وأمانيه، وردود الفعل عندهم، ولذلك يستطيع كسب ثقة الشعب واختيار المسائل المهمة لإنجازها.

وذكر مؤلف كتاب «النبى المسلح» مثلا على ذلك «أن الخبراء قدموا له تقريرا عن عدم صلاحية صحراء النقب للزراعة والسكن. وقال لهم «بن جوريون» إن الخبير هو الذى يحاول، فإذا نجح فهو خبير وإذا فشل لم يعد خبيرا لأنه لم يجد الطريقة الصحيحة لحل المشكلة.

وقد أصبح فى الفترة الأولى من قيام إسرائيل زعيما وقائدا وطنيا. أكثر منه رئيس حكومة أو رئيس حزب. فكان الشخصية الوحيدة التى يمكن أن توصف بأنها فوق الأحزاب [١].

(١) كتاب «النبى المسلح».

وكان اهتمام «بن جوريون» بالتعليم ينصب على تعليم اللغة العبرية، فهى فى رأيه التى ستوحد اليهود فى العالم، وتكون بعد الجيش هى العامل الفعال فى بناء الدولة. لذلك كان كل همه ايجاد مترجمين أكفاء ليترجموا التراث الأدبى العالمى إلى العبرية(١).

وكذلك توحيد نظام المدارس فى البلاد، ثم رفع المجانية إلى التعليم الثانوى.

ويذكر مولف «دافيد بن جوريون» أن أحب الموضوعات التى كان يقرأها تتصل بالتاريخ والفلسفة، كما كان يجيد اللغات، الروسية والألمانية والفرنسية والتركية والأسبانية، فضلا عن العبرية والإنجليزية واليونانية. وأن السياسة تسلطت على كل اهتماماته الخاصة، وقد أكد أغلب الذين تناولوا حياته بالتحليل من الكتاب، أنه كان لا يهتم بالصداقات ولا بالعواطف الإنسانية.

---

(١) كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء».

الفصل الثالث

طبيعة المجتمع الإسرائيلى

طبيعة المجتمع الإسرائيلى

لقد فرض الطابع المميز لوجود «إسرائيل» وسط العداء الظاهر من جيرانها على مدى عدة عقود، حقيقة استمرارها باندفاع وفعالية هائلين، وخوض غمار حروب متكررة لم تنجح فى تخفيف حدة العداء المحيط.. ولكن على الأقل مقاومته.

وقد شهدت هذه العقود قصة المقاومة .. ليس فقط معاناة آلامها وخطورتها ولكن أيضا انتصارها. فقد شحذ الخطر اليومى الداهم كل واقع على الاتحاد، ولن يكون سهلا على المؤرخين تحديد ما إذا كان العداء المحيط فى النهاية عائقاً أم حافزا.

ولعل خصيصة إسرائيل البارزة هى سرعة النماء، ففى الذكرى العشرين لميلاد إسرائيل فى عام ١٩٦٨ ـ حيث كان عدد سكانها حوالى ستمائة وخمسين ألف نسمة عند قيامها ـ بلغ مايزيد على مليونين وسبعمائة ألف نسمة. ولا يسجل لنا التاريخ دولة زاد عدد سكانها أربعة أضعاف فى حوالى عقدين من الزمان سوى «إسرائيل». ولعل المحور الرئيسى كان فى العودة أو التجمع «gathering» وكان

المحتوى الذى تدرس فيه مشاكل إسرائيل هو طابعها اليهودى، وكان الواجب الذى يفرض نفسه هو إنقاذ بقايا الدمار الأوربى من معسكرات اللاجئين فى ألمانيا وقبرص وجزر موريشيوس، والتى أفرغت فى الشهور الأولى بعد إعلان إسرائيل لاستقلالها فى ١٤ مايو ١٩٤٨ الذى تبعه خلال ساعة واحدة صدور قانون يمحو خطر الهجرة الإجبارى، ومعلنا حق كل يهودى مهاجر فى الجنسية فورا. وصار الكون يهوديا مؤهلا للدخول فى دولة ذات سيادة، بدلا من شعار عدم التأهيل الكلى أو الجزئى. وفى ١٨ مايو أخبر ممثل إسرائيل فى الأمم المتحدة الحكومات الأخرى أن موضوع الهجرة إلى إسرائيل لم يعد موضع اعتبارهم حيث قد دخل فى التقنين الداخلى للدولة ذات السيادة، إذ كانت الهجرة هى الهدف لبقاء إسرائيل، وكانت السيادة هى الوسيلة التى أدت إلى الغاية.

وعلى عكس ما كان متوقعا من امتصاص إسرائيل ليهود أوربا، فقد كان من المثير للدهشة هجرة اليهود من بلاد المسلمين. حيث لم يكن الدافع الضغط والتفرقة، فقد دامت هذه الظروف، واحتملت لقرون، ولكن الآن كان هناك اختيار للمرة الأولى جدير للحياة. فأكثر فئات اليهود عزلة - وهى التى عاشت فى اليمن وقت ملوك العبريين - نهضت بكل ثقلها وطارت أرض الميعاد. ويهود العراق - وهم من نسل التفرق البابلى - حضروا هربا من اضطهاد حكومة بغداد، وفتحت بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وبولندا ورومانيا أبوابها لخروج اليهود الذين قصدوا الهروب من أشباح الذكريات والآلام تحت الإحتلال النازى، وتتضخم الهجرة بإضافات من إيران

وتركيا ومراكش وتونس وليبيا. وفى سنة ١٩٤٩ دخل ٢٤٠٫٠٠٠ - يهودى إلى الوطن الذى بلغ تعداده ٦٥٠٫٠٠٠ نسمة بعد خروجه من حرب البقاء، ثم حضر ٣٥٠٫٠٠٠ فى السنتين التاليتين. وخلال أربعين شهرا تضاعف سكان إسرائيل بالهجرة.

وقد شغل امتصاص هذا الفيض جميع اليهود، فكانت سنوات الهجرة فى إسرائيل فاتحة عهد ونكران الذات - فكانت المنازل والمدارس ومعسكرات المهاجرين والقرى والمؤسسات الإجتماعية كلها تعمل بسرعة هائلة، والشئ الوحيد المماثل فى التاريخ هو أنهار الهجرة التى حملت الولايات المتحدة على نموها الضخم فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، إلا أن حركة الهجرة إلى إسرائيل كانت ذات مقاييس أكبر نسبيا، وتختلف كثيرا من حيث تنوع الماضى الحضارى، ونظرتها للمستقبل.

ولا ينتمى الانجاز إلى يهود إسرائيل وحدهم، فقد كانت جميع مجتمعات المنفى «diaspora» شركاء فى المشروع، حيث ساعدت جمعيتى «يونيتد جويش أبيل» و «إسرائيل يونيتد اوجينزيشن» فى الولايات المتحدة وكذلك منظمات مماثلة فى أماكن أخرى فى استقبال وأمتصاص القادمين الجدد، وقد لمست طرافة العملية أوتارا عميقة فى شغاف الذكرى اليهودية، إلا أن التيار أصبح عكسيا الآن.

ومجتمع المهاجرين لا يمكن أن يكون متحفظا فى تفكيره، فالمعنى لا ينتمى إلى منجزات اليوم ولكن إلى الآفاق التى تفتحها تجارب اليوم من أجل الغد. فهى تتمثل فى بناء مجتمعات جديدة، حيث يصل الرجال إلى أعلى مستويات الإبداع، بل إن التحديات

والضرورات والصدامات التى أثارت مجتمع إسرائيل فى قمة فيضان الهجرة، صارت هى نفسها عوامل تكوين شخصية الدولة، فالترتيبات المستقلة والدفعات الأولى التى جاء بها يهود فلسطين خلال فترة التقشف لها الآن تعبير واسع حر، ولا تزال القوة المحركة فى حياة إسرائيل هى نتاج لحركات الهجرة، سواء من وصلوا فعلا أو المنتظرين، وكل شئ يدور ويركز على رؤية جديدة للتوسع الاجتماعى.

كانت النتيجة أن امتلأت إسرائيل بأناس تكونت شخصيتهم وأفكارهم خارجها، إلا أن الطابع العام اليوم هو التلاحق وليس التفرق، حيث سيطرت الطاقات الموحدة التى تلحم المجتمع فى تجرد فريد وبسرعة هائلة. وهناك عوامل متعددة يلزم توضيحها:

أولا حقيقة التجمع:

فمن السهل من الناحية النظرية تقرير أنه لا علاقة كبيرة بين النحاس اليمنى. والطبيب الجوهانسبرجى والمعلم البولندى والتاجر المراكشى والطالب الأرجنتينى والحمال الكردى والصانع النيويوركى.. الحقيقة هى أنهم - أيا كانت دوافعهم - يشتركون فى ذكرى يهودية خاصة تجذبهم لإسرائيل وليس لأى مكان آخر. ثم أن هناك بذور الخطر العام.. وفيما عدا ذلك توجد المؤثرات المناسبة التى يطبقها الجيش والمدرسة الإسرائيلية على الشباب المهاجر الذى نما إلى مرحلة الرجولة. وقبل نهاية القرن العشرين كانت إسرائيل قد بدأت تفقد طابع المجتمع ذى الغالبية من المهاجرين. فقد صار أكثر من ٧٠٪ من تعدادها إسرائيليين بالميلاد، وأكثر من النصف تعلموا

فى جامعات ومدارس إسرائيلية ومن الباقى جزء كبير يرجع تاريخهم إلى مدى بعيد حيث يجعل ارتباطهم القريب بإسرائيل وحضارتها أكثر من ارتباطهم ببيئتهم السابقة، والذى يخفت يوما بعد يوم. وفى سنة ١٩٤٨ ولدت دولة. وحتى يومنا هذا كانت قد نشأت دولة ذات طابع محدد هى إسرائيل. التى كانت شيئا واضحا أوحت مجموعة من العوامل المجتمعة بخلقها.

الأرض وحدودها:

وحدثت فى الأرض ثورة بانتقال شعب إليها. وقد لا تكون هناك دولة تغيرت جذريا بهذا الشكل. ففى هذا الوقت القصير تحولت الأراضى الرملية إلى مزارع، وتراجعت الصحراء أمام المحراث وأنابيب المياه المتقدمة، وفرضت المجموعات العمرانية التجديد، وأعطت البلد مظهرا متماسكا.

وتعد مصادر إسرائيل: الأرض والشمس والمياه أينما وجدت. وكان التقدم الزراعى فى أول عقدين مفروضا بالاحتياج الاقتصادى فقط، حيث كان للصهيونية أثر دائم فى الريف والمزارع، فكان تسميد الأرض جزءا من القصة فقط، والجزء الآخر لا يقل أهمية هو إعادة بناء شخصية الدولة، فتجلت ملكة الإبداع الخاصة بالارتباط الطبيعى بالتربة البعيدة عن مراكز العمران. جاء هذا كله فى محاولة لتغيير المظهر الدولى. والشعر العبرى القديم ملىء بالصور عن القرية الصهيونية وبصور عن الطبيعة، ومعها اليهود فى اتحاد وثيق، وقد أضاف الكيبوتز والموشاف فكرا جماعيا للمظهر الطبيعى لمجتمعات المزارع.

. ولا شك أن المؤسسة الإسرائيلية قد سجلت فى المزرعة والحقل أعظم نجاح. وفيما يتعلق بالبشر فقد كانت النتيجة خروج جيل جديد من داخل التربة متينة الروح والجسد، يعد الحارس الأول لتقدم الدولة. وبالرغم من أن سكان الكيبوتز جزء صغير من المجتمع إلا أنهم ساهموا بنسبة هائلة فى ضباط الجيش الإسرائيلى والطيارين، وخبراء المشروعات العمرانية فى أفريقيا وآسيا. وفى حين يقل أثرهم الاقتصادى إلى أدنى حد فى الوقت الحالى إلا أنه فى ميزان القيم وتحديد ما هو جدير بالاحترام يعد ملموسا وواضحا ينمو بحيث لايزال يشغل المنزلة الأولى، بدليل أن نخبة المجتمع نشأت فى الريف.

الاقتصاد الموسع :

وعلى الصعيد الاقتصادى وتطوره . كان القطاع الزراعى والريفى هو القوة الموجهة. وكانت السنوات بعد ١٩٤٨ عصيبة مع المجاهدة للبقاء، وتطلبت الهجرة الجماعية. ماهو فوق طاقة المصادر الزراعية المحدودة. وكانت هناك فترات من قلة المئونة واختلال ميزان المدفوعات بشكل كبير. وفى منتصف الخمسينات لم يلحق الإنتاج بتزايد السكان فحسب، بل زاد عليه إلى حد ظهور فائض، وتحقق الاكتفاء الذاتى فى كل شئ.. فيما عدا الحبوب والزيوت وجزء من اللحوم، وتحتم تنظيم المزارع بدقة لمنع هبوط الأسعار. وقبل الثمانينات انخفضت نسبة عمال الزراعة، ولكن الإنتاج ارتفع فى طفرات. فكانت إسرائيل تنتج مليون فدان من المواد الغذائية بما يكفى ٨٠٪ من احتياجاتها على مستوى مرتفع، وكانت تصدر ماقيمته ٣٠ مليون دولار من الإنتاج الزراعى للأسواق العالمية.

وقد شجع الإنجاز الزراعى الإسرائيلى كثيرا من الدول النامية للاستفادة من خبراء التربة والمياه الإسرائيليين. ودرس آلاف المزارعين فى القارات الأخرى مشاكل النمو الريفى فى إسرائيل. وفى عالم تتحدد غايته بحكم العلاقة بين تزايد السكان السريع مع نمو المصادر الأبطأ، صارت محققات إسرائيل جديرة بالتأمل والدراسة. وقد كانت الإنجازات ممكنة عن طريق توزيع وتنظيم استخدام مصادر المياه من مصادرها المختلفة بحيرة طبرية والبركون التى نقلت لشمال النجف، وأوصلت رياحات المياة القومية The Na-، tional Water carriers، التى كانت قد استكملت سنة ١٩٦٤ وقد حقق هذا تقدما إسرائيليا باهرا فى الزراعة، لكن الاقتصاد الزراعى كان واضحا إنه لن يتحمل عبء تزايد السكان فى مساحة صغيرة وعلى مستوى مقبول من الحياة المادية والعلمية. وأما النمو الصناعى والتكنولوجى ووسائل الاتصال والمواصلات فهى إنجازات إسرائيل المستقلة، رغم إنه بلغ من الإمكانات ما يقل كثيرا عند البدء عما كان عليه فى المجال الزراعى فى فترة ماقبل الدولة.

وبالرغم من النقد والتشكيك واختلاف الرؤية الذى صاحب عملية النمو الصناعى الإسرائيلى إلا أن النتائج تتحدث بإندهاش. ففى السنة الأولى من استقلال إسرائيل كانت صادراتها أقل من ٣٠ مليون دولار، أى ما يعادل ١١ ٪ من مستورداتها. وفى نهاية الثمانينات زادت الصادرات عن ١٥٠٠ مليون دولار، حيث غطت ٧٠ ٪ من المستوردات، وأعطى رأس المال القومى ومشروع السنوات Bond Issves، واتفاقية التعويض الألمانى مبالغ ضخمة للاستثمار،

فبعد ١٢ سنة كانت إسرائيل تسدد القروض الدولية التى منحت لها فى زمن القحط دون أمل. وعلى الرغم من أن العجز فى ميزان التبادل لايزال ضخما إلا أنه وحتى نهاية الثمانينات كان السياح يصلون إلى إسرائيل بمعدل ٤٥٠ ألف نسمة كل عام. وقد نمت بلدان جديدة من الجليل الأعلى حتى ساحل البحر الأحمر مع بداية النمو الصناعى، فنمت «بئر سبع» من قرية صغيرة ذات أربعة آلاف نسمة إلى مدينة ساخنة صاخبة ومثيرة ذات تعداد يصل إلى مائة ألف، ونمت من لا شئ «اشدود» الميناء البحرى، وتم نقل خط أنابيب الزيت الوقود من إيلات على البحر الأحمر إلى شاطئ البحر المتوسط، وتضاعف إنتاج الطاقة الكهربائية كثيرا. وكان المهندسون والفنيون الإسرائيليون يعدون لعصر الطاقة الذرية فى مفاعلين للأبحاث «ديمونا» و «نهال سوريك».

•

لقد انهى الأندفاع الصناعى السريع - وكذلك التكنولوجى - التباعد فى المعادلة بين مساحة الأرض وتعداد السكان. وبالتالى يمكن التساؤل: كم تستطيع أن تستوعب إسرائيل؟ وصار الأمر متوقفا على طاقتها التجارية والاقتصادية وليس على مساحتها، والأمثلة المشابهة لدول صغيرة مثل بلجيكا وهولندا والدانمرك وسويسرا، والتى استطاعت أن تحتفظ بكثافة سكانية أكبر من الإسرائيليين فى مساحات الأرض المحدودة، وفى مستوى معيشى مرتفع يجعل مقدرة إسرائيل على امتصاص مزيد من الهجرات البشرية لا علاقة له قط بمساحتها.

التقدم العلمى والتكنولوجى فى إسرائيل

أوحت الحاجة إلى الحصول على الاستخدام الأمثل للمعطيات المحدودة المتوافرة لدى إسرائيل فى سنواتها الأولى إلى حتمية الاعتماد الجدى على العلم والتكنولوجيا، فقبل نهاية الثمانينات كان باحثو وفنيو ومهندسو إسرائيل قد وضعوها عاليا بين الدول المتقدمة علميا، وكان عجيبا أن توجد فى غرب آسيا دولة صغيرة عندها المفاعلات الذرية والعقول الألكترونية، والمعامل والمستشفيات والعيادات الطبية وورش إصلاح الطائرات ومصانع الإلكترونيات، ودلائل أخرى على التقدم العالمى، وروح الاستنتاج. مقاييسه وأحكامه، منطقه ونظامه، الشك والبناء والتماسك العالمى. فالمجتمع الذى تشترك فيه مجموعة الباحثين فى الغوص فى الطبيعة يختلف نوعيا عن المجتمع الذى ليس عنده هذه المجموعة، فعندما أسس «حاييم وايزمان» المعهد العلمى باسمه فى «ريهوفوت»، كان مهتما بالمستوى الثقافى الإسرائيلى بنفس القدر تماما كاهتمامه بأسئلة أساسية مثل: ماهى آثار التقدم العلمى؟ وقد دعمت مكانة إسرائيل فى المحيط العلمى من وضعها بين الأمم، فقبل نهاية الستينات اعتبرت الدولة النامية إسرائيل بمثابة حلقة الاتصال النشيطة بين الدول ذات الاستقلال الوطنى ودول التقدم العلمى، لما تتميز به من وقوعها عند تقاطع الطرق، ليس جغرافيا فحسب بل فكريا أيضا، فهى دولة حديثة فى المجتمع الدولى، وهى كذلك شريك كامل فى مجتمع العلم الدولى، ولاتوجد هناك دولة حديثة أخرى تقف فى نفس الوقت قريبة من حركة التحرير الوطنى وكذلك التقدم التكنولوجى اللذين سادا فى النصف الأخير من القرن العشرين.

غير أن روح العلم تشكل مظهرا واحدا من شخصية إسرائيل الحضارية، ويعتقد كثير من الكتاب والمفكرين أن إسرائيل تمثل أحدث عنصر فى حياة الشرق الأوسط، ساعية للتقدم خلال التفكير العلمى، ولكن الشعور بالارتباط بماضى إسرائيل لا يقل أثرا وفاعلية عن ذلك. فاحياء اللغة العبرية فى المخاطبة اليومية وتطورها فى دقة التعبير، والنتائج الكبيرة فى الاكتشافات الأثرية، ومركز التوراة فى التعليم الدينى والمدنى، والاتجاه إلى الإشارة فى الموضوعات الأخلاقية، إلى الخلق العبرى السائد - كل هذه أعراض تدل على رغبة ملحة للوحدة وللاستسلام الأثرى، وكل ذلك له دلالة واضحة على أن إسرائيل ليست دولة «مخترعة حديثا» تكتب تاريخها على لوحة بيضاء، وأنها الدولة الوحيدة فى العالم التى تتكلم نفس اللغة وتتمسك بنفس العقيدة. وتشغل نفس رقعة الأرض التى كانت عليها قبل ثلاثة آلاف سنة، وأصالة العلاقة بين هذا الشعب وأرضه هى موضع الأشكال فى الحوار الثنائى مع المنطقة العربية والعالم الخارجى. فهناك إذن ملحوظة عن الاقتصاد الحديث فى كل دليل جديد على الاستمرار التاريخى، فقد اكتشفت حصون الممالك اليهودية. فى جنوب القدس، واستخرج من الأرض معبد إسرائيلى فى النجف الأوسط، وتؤكد اللفائف العبرية القصة السائدة عن الثبات العبرى واخر ثورة، كما وجدت خطابات من «باركوتشبا» لجنوده فى المناطق اليهودية الموحشة مع دلالات أخرى عن حياة العبريين فى وقت الثورة ضد روما سنة ١٣٥ ، والهياكل العظيمة لهؤلاء الذين قتلوا عائلاتهم لتفادى الاستسلام المهين تعطى شهادة فائقة على البطولة القديمة، كل ذلك يرفع الخيال التاريخى فى شباب الأمة والتنافس فى

دراسة التوراة، يتبعه عادة مناقشات حادة من النوع الذى تعطيه أكثر الدول للمباريات الرياضية.

وتعتمد جميع الحركات القومية اليهودية فكرة عبرية قديمة كمنطلق لها، ولكن إسرائيل لها مخزون من الثروة الأدبية اليهودية من العصور الوسطى والحديثة والإنسانيات الأوربية وعلوم القرن العشرين. وتنتمى حضارتها الحديثة - خارج نطاق الأدب - إلى الشكل الأوربى والبحر والمتوسط مع إضافة بعض سمات شرقية إليه، وتوجد حيوية تجريبية فى الموسيقى والفن التشكيلى.

والجديد فى حضارة إسرائيل هو مبدأ المساواة. فليس هناك حواجز تعيق الإحساس بالفرق بين المدينة والقرية، وبالتالى فليس ثمة حواجز أو عوائق تقف فى طريق أى فكرة أو صورة أو رسم أو نحت أو افتراض تعرض كل ذلك عبر المظهر القومى العام.

ولقد كان سكان ماقبل الدولة مجموعة مختارة «ELITE» فى كثير من الإعتبارات. جاءوا من طفرة مثالية شكلت جزءا من تاريخ أوربا الحضارى. وعليه بدت الهجرة الجماعية من دول أقل تقدما كعنصر تهديد لمستوى الدولة الثقافى على المدى القريب، إلا أنه فى المدى الطويل يظهر أن الأختلاف والنشاط اللذين صاحبا أزمة المهاجرين قد عملا فعل الفوار رغم أن النتيجة المباشرة قد تكون مربكة، وفى نفس الوقت صارت فكرة الحفاظ على المساواة فى فرص الثقافة تشغل فكرة الحركة التعليمية بشكل أساسى فى الستينات، وشبكة المدارس التى تضم أكثر من ٧٠٠٠٠٠ ألف تلميذ فى التعليم الأبتدائى وما بعده كانت متوجة لإنجازات إسرائيل فعندما

تضاعف عدد السكان ثلاث مرات، تمدد نظام التعليم ستة أضعاف، وكان السؤال هو ما إذا كان سيظهر قطاع متخلف ثقافيا بين ثلث السكان الذين ترجع أصولهم إلى دول إسلامية، هؤلاء المهاجرون البعيدون عن الثقافة اليهودية السائدة. رغم أن تقواهم الدفينة منحتهم أساسا متينا في المعرفة العبرية. هل سيقتصر التعليم العالى على مهاجرى أوربا وأبنائهم؟ بينما يبقى الجزء الشرقى من المجتمع فى الجانب الاخر؟ إذا كان الأمر كذلك فإن فرصة إسرائيل للوصول إلى تماسك اجتماعى وروحى ضئيلة، وقد واجهت الحركة التعليمية هذا المأزق بفاعلية، حيث أعتبر أهم من الطموح العلمى، فبذلت المجهودات الجبارة لزيادة الفرص أمام التلاميذ من البيوت الفقيرة الذى ينتمون غالبا إلى أصل أفريقى أو آسيوى للتعليم الثانوى والجامعى. ولم يكن التقدم بالسرعة التى توقعها الكثيرون أو بالبطء الذى خشيه الكثيرون، ولكنه كان محسوسا بشكل كاف لتوقع اليوم الذى يتساوى فيه كل الإسرائيليين فى تحصيلهم العلمى على اختلاف أصولهم. وبالتالى يتساوون فى الفرص الاجتماعية، وفى بعض الأحيان ظهرت فى فترة الأنتقال ثرثرة مبالغ فيها من قبل الفوضويين.

ولكن الزمن والعمل الجدى كانا يضيفان بعدا على الشقة. وتشعبت الجامعة من القدس وحيفا وريهوفوت إلى جامعة تل أبيب وجامعة وبارعلان فى رمت جان. واتسع الأساس العريض ليضم شمل مجموعات المهاجرين، وبالنسبة للجيل الثانى كان كل عدم تساوى قد زال إلى حد كبير.

ولم يكن هناك شك فى أن اتجاه المساواة يسير إلى أعلى وليس إلى أسفل. وقد أحس بعض الكتاب اليائسين من أى صلح بين العرب

وإسرائيل اليهودية الغربية براحة وهمية لسببين: أن إسرائيل ستتحول تدريجيا إلى «شرقية» حتى تتخلص من كل الصفات التى تفصل بينها وبين دول الشرق الأوسط الأخرى، وإنه سينتهى كونها «صهيونية» على أساس إحساس بقرابة مع اليهود خارجها. وبمعنى آخر فإسرائيل لن تبقى إسرائيل لمدة طويلة فسوف تذوب فى خضم المحيط العربى حولها (١).

وسواء أكان هذا حلا للخلاف العربى الإسرائيلى أم لا فهو أمر ثانوى، حيث لا يوجد احتمال تحقيقه. فإن إسرائيل ستبقى حتما لا عربية فى لغتها وفكرها وطريقة تصوراتها.. وستبقى صلاتها اليهودية الخارجية أقوى من صلاتها بمحيطها العربى. فقد تعلمت فى سنة ١٩٦٧ أن بقاءها الفعلى يعتمد على اتصالها العضوى بالعلم والتكنولوجيا والتضامن الاجتماعى والديمقراطية والتى تميزها عن جيرانها، نفس الصفات التى اختلفت فيها معهم كانت هى الأسباب التى جعلتها قادرة على مواجهة الاعتداء، فقد تصير إسرائيل جزءا من دول البحر المتوسط، ولكن الروح يهودية أكثر من كونها عربية. إن الأحتمال الأكبر هو أن يصير العرب «غربيين» يعتنقون الديمقراطية والتكنولوجيا، لا أن تصبح «إسرائيل» كما يتصور بعض الأوربيين «دولة أخرى من دول البحر المتوسط».

إن أصول إسرائيل ووسطها الجغرافى أقدم، وكذلك انتماءها للشرق الأوسط لا يقل أصالة عن نظيراتها العربية. ولكن إسرائيل لن تكون «أخرى» لأى سبب.. ستكون هى ذاتها محددة كلية، تستجيب

(١) يختلف هذا الرأى مع رأى أبا إيبان.

للأختلاف الطبيعى وليس للتجانس الزائف للشرق الأوسط، إن السؤال هو: هل ستعيد المنطقة مجدها عندما تصبح اليهودية والمسيحية والإسلام والهلينية والحضارة الرومانية جميعا عناصر تكوينها المركب، ذلك لأنه لا يتحتم أن تنتمى للشرق الأوسط أن تكون عربية أو مسلمة. وليس هناك اعتداء على تقليدية الشرق الأوسط أن تعيش وتزدهر غير عربية وغير مسلمة فى الوطن الأصلى للفكر والموروث العبرى.

إن السؤال ليس ما إذا كانت إسرائيل ستغير طبيعتها الخاصة.

وإنما ما إذا كان العرب سيقبلون إسرائيل كما هى [١].

---

(١) رأى أبا إيبان فى كتابه (شعبى).

القسم الثالث

الأوضاع فى مصر وظهور
جمال عبد الناصر ١٩٥٢



البكباشى عبد الناصر زعيم ثورة يولية ١٩٥٢ .

عهد عبد الناصر

١ - قبل عام ١٩٥٢ :

المد الصهيونى والدعم الأمريكى

(أ) لم تبدأ الثورة فعلا فى يوليو ١٩٥٢ فى مصر بل يمكن أن نقول أنها أعلنت عن نفسها فى هذا اليوم، أما البدايات الحقيقية والمقدمات الفاعلة فكانت قبل ذلك.

ويمكن أن نرصد عاملين رئيسيين كان لهما أثرهما فى تحفيز الجيش لقيادة الثورة:

العامل الأول:

هو الحركة الصهيونية التى دعمتها بريطانيا بوعد بلفور عام ١٩١٧، وقد نجحت هذه الحركة فى إقامة علاقات ناجحة مع الولايات المتحدة الأمريكية - تلك الحركة التى برزت بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد بدأت هذه الحركة فى التعلق بالركب الأمريكى، حيث استطاعت أن توفق علاقاتها مع الحزبين الرئيسيين فى الولايات المتحدة الأمريكية، كما استطاعت أن تتحالف مع القوى الأمريكية المؤيدة لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، مما أدى بهذه الضغوط الأمريكية إلى إعلان بريطانيا تشكيل لجنة خاصة للخروج بتوصيات تهتدى بها الحكومة تجاه القضية الفلسطينية. وقد رفضت الإدارة الصهيونية اتجاهات هذه اللجنة لاعتقادها أنها لاتفى بالتطلعات الصهيونية، وعليه فقد تشكلت لجنة بريطانيا أمريكية مشتركة لتقصى الحقائق من أثنى عشر عضوا برئاسة مزدوجة بريطانية وأمريكية.

وفى عام ١٩٤٦ أصدرت هذه اللجنة عدة توصيات تفتح الباب على مصراعيه أمام الهجرة اليهودية. وتلغى ماجاء بالكتاب الأبيض البريطانى المتوازن لعام ١٩٣٩، ثم استمر الضغط الأمريكى لصالح الحركة الصهيونية. وخاصة عندما ضغطت حكومة الرئيس ترومان على الأمم المتحدة لإصدار قرار التقسيم عام ١٩٤٧ .

كما ساندت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، حيث اعترفت بها حكومة الولايات المتحدة فور إعلانها.

العامل الثانى:

كانت الحرب التى خاضها الشعب الفلسطينى فى مواجهة العصابات الصهيونية مثل الهاجاناه واتسل وليومى - حربا غير

متكافئة سواء من حيث الدعم المالى أو من حيث مجالات التسليح والمعلومات، كما أن الدول العربية دخلت الحرب عام ١٩٤٨ في ظروف غير مواتية، إذ كان الاستعمار البريطانى لايزال يجثم على صدورها وذلك فى مواجهة الدعم الأمريكى الكامل لإسرائيل.

وقد شارك، ضمن القوات المصرية، الضابط جمال عبد الناصر فى الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ وحوصر فى منطقة الفالوجا ولمس دور الأسلحة الفاسدة فى هزيمة الجيش المصرى، كما أحس بالفساد الذى أخذ ينخر فى عظام الدول العربية.

وبإعلان الهدف بعد حرب ١٩٤٨ تنامى انحياز الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لإسرائيل، إذ اجتمعت هذه الدول وأصدرت التصريح عام ١٩٥٠ بغرض حماية إسرائيل وتأكيد حدودها التى وصلت إليها عبر إتفاقيات الهدنة - وليس حدود التقسيم عام ١٩٤٧ - كما قدمت الولايات المتحدة الدعم الاقتصادى لإسرائيل.

كل هذه الظروف الخارجية أثرت على تفكير الضباط الأحرار وقائدهم جمال عبد الناصر تأثيرا مباشرا جعلتهم يفكرون جديا فى ضرورة التخلص من الاستعمار البريطانى والفرنسى للدول العربية وكيفية مواجهة الدعم الغربى الإقتصادى والسياسى لإسرائيل وطريقة مواجهة عربدة القوة الإسرائيلية فى أرجاء العالم العربى.

(ب) - الوضع الداخلى فى مصر:

- إذا كان الاستعمار يجثم على صدر مصر ويتمركز فى قواعده فى منطقة القناة وكانت حكومات مصر تحاول عبر مفاوضات ولقاءات طويلة اقناع الاستعمار بالرحيل إلا أن هذه الحكومات المتعاقبة قد

فشلت فى مواجهة الاستعمار حيث كانت تتفاوض من مركز الضعف.

- كما كان الأقطاع يستولى على معظم الأراضى الزراعية ويتعامل مع الفلاحين وزراع الأرض بالغبن تارة والتهديد والقوة تارة أخرى.
- كما استغل رأس المال المصرى فى السيطرة على الأحزاب والضغط عليها والتحالف أحيانا مع الأستعمار.
- وكان الجيش المصرى وخاصة طلائعه الثائرة لا ترضى عن مجمل الأوضاع فى مصر، ولا ترى فى التغيير الجزئى خلاصا للوطن ، بل وقر فى ذهنها ضرورة إنهاء وطأة الاقطاع ورأس المال اللذان كانا عقبة أمام إقامة نظام يرسى قواعد العدالة الاجتماعية.
- وكانت الحياة السياسية فى ذلك الوقت تحظى بغطاء ديمقراطى وهامش معقول من الحرية السياسية، إلا أن هذه الديمقراطية كان يعوقها فى بعض الأحيان تدخل «السراى» ومناورات «الاستعمار» وضعف واستكانة معظم القوى السياسية الوطنية.
- وكان من جراء ذلك كله تعبير القوى الشعبية الحقيقية عن غضبتها فقامت المظاهرات وأثيرت القلاقل فى مواجهة الأستعمار والقصر والذى بلغ أوجه بحريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ ومن خلال المواجهات المسلحة الفدائية ضد القواعد البريطانية على طول القناة، وبذلك أصبحت مصر بمثابة بركان يغلى على وشك الانفجار.

٢ ـ اندلاع الثورة واتساعها:

(أ) وهكذا بعد أن تهيأ مسـرح الأحداث تفجرت الثورة يوم /١٩٥٢ ٧/٢٣ .وقد لجأ قائدة الثورة ـ جمال عبد الناصر ـ إلى عدة إجراءات لتأمين الثورة ومنها:

- الاستيلاء على السلطة بدعم كامل من الشعب فى ١٩٥٢/٧/٢٣ .
- طرد الملك فاروق فى ١٩٥٢/٧/٢٦ .
- إلغاء دستور عام ١٩٢٣ فى ١٩٥٢/٩/١٠ .
- اصدار مرسوم فى ١٩٥٣/١/١٣ بإقامة لجنة لوضع مشروع الدستور الجديد ثم إصدار الإعلان الدستورى فى /١٩٥٣/٢ ١٠ بتحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات مع تقرير مبدأ أن الأمة مصدر السلطات وأن المصريين أمام القانون سواء وكفالة حرية الرأى والعقيدة.
- اعلان الجمهورية فى ١٩٥٣/٦/١٨ .
- إصدار قرار بحل الأحزاب بما فى ذلك حزب الوفد الذى كانت له مواقف تساندها الجماهير فى مواجهة السراى والاحتلال.
- إصدار قوانين الإصلاح الزراعى فى ١٩٥٢/٩/٩ .
- تمصير الأقتصاد المصرى إبتداء من عام ١٩٥٧ .
- إصدار قوانين يوليو الأشتراكية فى يوليو ١٩٦١ .

(ب) وقد اهتمت الثورة وقائدها منذ البداية بدعم رؤية «القومية العربية» وتحول جمال عبد الناصر إلى بطل القومية العربية

وخاصة بعد مواجهته للاستعماريين البريطانى والفرنسى وللعدوان الإسرائيلى عام ١٩٥٦، وأصبحت القومية العربية صفة لصيقة بقائد ثورة يوليو الأمر الذى أثار حساسية عدد من الدول العربية المحافظة التى خشيت على أنظمتها وخاصة بعد أن أسرعت مصر إلى نجدة ثورتى اليمن الشمالى عام ١٩٦٢ واليمن الجنوبى عام ١٩٦٣ .

(جـ) ثم كان تحرك الثورة لكسر احتكار السلاح دفاعا عن النفس لاسيما أن إسرائيل كانت تحصل على السلاح من عدة مصادر غربية تمكنها من العربدة فى المنطقة دون مقاومة، وهو أمر أخل بالتوازن العسكرى فى الشرق الأوسط.

وقد لجأت مصر إلى الكتلة الشرقية للحصول على احتياجاتها من السلاح وهو أمر حرك الغرب للضغط على مصر، اقتصاديا، وسياسيا، وانتهى الأمر بسحب الدول الغربية بتمويل مشروع السد العالى عام ١٩٥٦، مما دفع عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس.

(د) ونتيجة التحولات الاجتماعية التى أحدثها عبد الناصر فى مصر وقيامه بكسر احتكار السلاح ومساندته لثورة اليمن ومعاداته للأحلاف والقواعد العسكرية الأجنبية، نتيجة ذلك حدث نوع من التقسيم بين دول الشرق الأوسط- بسبب تخوف الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة من التغلغل الشيوعى، إلى الشرق الأوسط، حيث وضعت فيه الدول العربية ذات التوجه الوطنى التحررى فى سلة واحدة مع الاتحاد السوفيتى ووضعت فيه إسرائيل وبعض الدول العربية المحافظة فى سلة مقابلة مع الغرب والولايات المتحدة، مما أدى إلى تضييق الخناق على مصر ومحاصرتها.

القسم الرابع

الولايات المتحدة والشرق الأوسط بعد قيام دولة إسرائيل وحرب ١٩٤٨

الولايات المتحدة والشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية.

تمهيد عام

قبل انتهاء الحرب كانت الظروف كلها مواتية إلى أن تتغلغل الولايات المتحدة فى المنطقة بكل امكانياتها وذلك حينما أقامت لنفسها قواعد عسكرية وجوية فى ليبيا والسعودية وإيران كما قدمت لعدة بلاد مساعدات ضخمة اقتصادية وفنية.

وبعد الحرب حصلت تغيرات جذرية فى السياسة العالمية زلزلت قواعد الاستعمار الأوربى القديم فى منطقة الشرق الأوسط ليحل محلها الاستعمار الأمريكى الجديد. ومن أهم هذه التغيرات:

١ ـ انتقال قاعدة النفوذ الصهيونى من انجلترا إلى أمريكا.

(ب) قيام ثورات وطنية فى بعض بلاد الشرق الأوسط أودت بالاستعمار وجعلت بعض الشعوب تنعم بالاستقلال.

ولما كان الشرق الأوسط مجالا حيويا بالنسبة للثروات الطبيعية وخاصة البترول، وموقعا استراتيجيا هاما فى خريطة العالم، وسوقا استهلاكية جبارة للمنتجات الامريكية، فقد رأى الساسة الأمريكيون

تثبيت قواعدهم فى هذه المنطقة حتى لاتقع فى يد الأتحاد السوفيتى وتستخدم ضد مصالح امريكا.

وعلى ذلك فقد عملت السياسة الأمريكية منذ سنة ١٩٤٦ على منع امتداد النفوذ الشيوعى (بما فى ذلك الصين) ومحاربة التوسع الروسى بقدر المستطاع لضمان أمن أمريكا وحريتها. اذ أنه لو تغلغل النفوذ السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط أدى ذلك إلى حدوث تغير حاسم فى ميزان القوى العالمية. لو حدث أن روسيا استولت على منابع البترول فى الشرق لم يؤد ذلك إلى حدوث خلل خطير فى اقتصاديات العالم الحر فحسب بل أنها بذلك تكون قد سيطرت على شريان الحياة للقارة الاوربية، وعلى ذلك فلا يمضى وقت طويل حتى يضطر حلفاء أمريكا فى أوربا ان يخضعوا لروسيا وحينئذ تجد أمريكا نفسها فى عزلة تهدد بقاءها وتهدم صرحها الاستعمارى فى أوربا.

يضاف إلى ذلك خوف الولايات المتحدة من أنه اذا انتصرت الشيوعية فى الشرق الأوسط الذى هو قلب العالم الإسلامى - فسوف يكون ذلك مقدمة لانتصارها فى آسيا وافريقيا. لذلك كان من المسائل الحيوية لأمريكا ان يظل الشرق الأوسط مرتبطا بها، داخلا فى نفوذها بدعوة أنه جزء مما يدعونه العالم الحر.

كان من نتيجة هذه السياسة أن عملت الولايات المتحدة على أن تتسلم القواعد العسكرية والسياسية لبريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط، وبدأت تقوم بالدور الفعال من خلال تخطيط محكم يكفل لها السيطرة الكاملة. وأهم عناصر هذا التخطيط:

(أ) مشروع الضمان الجماعى العربى. سنة ١٩٤٩ .

(ب) مشروع قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط.

(ج) حلف بغداد.

(د)ـ مشروع ايزنهاور.

(هـ) التدخل فى النزاع العربى الاسرائيلى فى مختلف مراحلة.

ونظرا إلى أهمية هذه المرحلة فى السياسة الأمريكية بالنسبة لحوادث الشرق الأوسط فقد رأينا ان نقف عندها قليلا لنلقى عليها بعض الضوء فى الصفحات التالية.

الولايات المتحدة الأمريكية

و

الشرق الأوسط

أولا : مقدمة :

يمكن تقسيم المراحل التى مرت بها علاقة الولايات المتحدة بالشرق الأوسط إلى مراحل ثلاث.

فالمرحلة الأولى : وهى ماقبل قيام الحرب العالمية الأولى، لم تكن للولايات المتحدة الأمريكية اهتمامات بمنطقة الشرق الأوسط نظرا للبعد النسبى - فى ذلك الحين - بينها وبين تلك المنطقة، يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت كانت تولى اهتمامها لمصالحها فى نصف الكرة الغربى والشرق الأقصى.

ونتيجة بعد الولايات المتحدة عن الشرق الأوسط بوصفه من عوامل عدم اهتمامها بتلك المنطقة، فقد انعدمت تقريبا المصالح الأمريكية بها خاصة وأن الوقت لم يكن مناسبا لأن تدخل أمريكا فى صراع ومواجهة مع الدول الغربية التى كانت تتطلع دائما للمنطقة وتسعى للسيطرة عليها.

والمرحلة الثانية: وهى ما بين قيام الحرب العالمية الأولى حتى قيام الحرب العالمية الثانية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم تشترك فى الحرب الأولى لسبب راجع إلى الوضع فى الشرق الأوسط، بل بعد نهاية الحرب العالمية الأولى يظهر بوضوح أن الولايات المتحدة لم يكن لها موقف محدد بالذات من المسألة الشرقية، بل وقد تعمد الرئيس الأمريكى «ويلسون» فى نقاطه الأربع عشرة الا يقيد الولايات المتحدة بخطة معينة بالنسبة للمسألة الشرقية، وأن كانت قد اتفقت مع حليفتيها بريطانيا وفرنسا على مبادئ اساسية ثلاثة بالنسبة للشرق الأوسط وهى:

(أ) الباب المفتوح.

(ب) احترام الحقوق الدولية القائمة فعلا.

(جـ) عدم انهاء أى امتيازات سبق منحها لامريكا دون موافقتها رسميا.

ثم ظهر بعد ذلك عامل البترول، فقد تواتر الحديث عن مخاوف الولايات المتحدة من نضوب ابارها البترولية، فعمدت إلى دعم الحقوق التى سبق للشركات الأمريكية البترولية الحصول عليها فى الامبراطورية العثمانية، مع السعى طبقا لسياسة الباب المفتوح والمطالبة ببعض الحقوق الجديدة البترولية.

وقد ظهر ذلك من دعم الولايات المتحدة لموقف شركة ستاندارد اويل اوف نيويورك التى كانت تعمل فى فلسطين والعراق والتى تعرضت لتعسف السلطات البريطانية فى فلسطين والعراق ، ودعمت أيضا مركز نفس الشركة فى إيران، ثم لم تلبث الشركات الامريكية ـ

تساندها بالطبع الحكومة الأمريكية ـ حتى تسللت إلى الكويت والبحرين والسعودية.

والمرحلة الثالثة: هى مابعد الحرب العالمية الثانية، وهى الفترة التى وجهت فيها الولايات المتحدة اهتمامها للشرق الأوسط، بعد ان خرج الحلفاء ـ باستثناء الولايات المتحدة ـ منهكين بشريا واقتصاديا، ثم بدات تسعى لتحل محلهم لكى تملأء ما اسمته بالفراغ الذى نشأ بجلائهم عن مناطق نفوذهم ودخلت بكل ثقلها وعلى نطاق واسع بطريقة تختلف عن طريقة العزلة التى كانت تسير عليها من قبل، فأقامت لنفسها اثناء الحرب ذاتها قواعد عسكرية وجوية فى ليبيا ومصر والسعودية وإيران، وقدمت المساعدات الاقتصادية والفنية، وتمت زيارات امريكية من مسئولين أمريكيين للمنطقة على أعلى مستوى.

وبدا اهتمام الولايات المتحدة بصفة واضحة بمشكلة فلسطين سنة ١٩٤٤، وأصبحت المشكلة الفلسطينية أحد عناصر الدعاية الانتخابية الأمريكية لكسب أصوات اليهود وتأييدهم، كما لعبت الولايات المتحدة دورا هاما من أجل استقلال سوريا ولبنان، وتظاهرت الولايات المتحدة بانتهاج خط تحررى يتمشى مع حكام الشرق الأوسط فى الوقت الذى كانت تعمل على الحلول محل الاستعمار القديم وتتقدم لملء الفراغ واحتواء الشرق الأوسط داخل منطقة النفوذ الأمريكى.

وأخذت بريطانيا تنسحب بالتدريج من الشرق الأوسط تاركة اياه حقلا للصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ودول الشرق الأوسط التى ظلت تسعى لتملأ بنفسها ما سمى بالفراغ.

ولكن الولايات المتحدة قد أعلنت مبدأ «ترومان» فى مارس ١٩٤٧ بهدف حصر الاتحاد السوفيتى وإحباط خططه فى الشرق الأوسط، وكان ذلك بمناسبة أحداث تركيا واليونان، وعلى ذلك منحت الولايات المتحدة لتركيا واليونان مساعدات ضخمة مالية وعسكرية لمواجهة الخطر الشيوعى.

ثانيا الولايات المتحدة وسياسة الأحلاف فى الشرق الأوسط:

قامت الولايات المتحدة الأمريكية - التى كانت تنتهج مبدأ العزلة بين الحربين الأولى والثانية قامت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بأكبر دور فى تنظيم وتخطيط الأحلاف بهدف المحافظة على مصالحها وأمنها الذى أصبح حسب ماتزعم يشمل سائر أنحاء العالم والشرق الأوسط بالذات، يشير إلى ذلك تصريح «دالاس» عن الشرق الأوسط (إذا سقطت هذه القلعة فى أيد السوفييت فإن ذلك من نتائجه اختلال فى ميزان القوى، ومن نتائجه سيطرة السوفييت على همزة الوصل بين مواصلات الغرب والشرق ومواصلات آسيا وأفريقيا) ولذلك أعلنت الولايات المتحدة أول الأمر فى مارس ١٩٤٧ «مبدأ ترومان» ثم دعت إلى مشروع قيادة الشرق الأوسط فى أكتوبر ١٩٥١ عقب قيام مصر سنة ١٩٥١ بإلغاء معاهدة ١٩٣٦، وقد ربطت الولايات المتحدة بين هذا المشروع وبين حلف شمال الأطلنطى، وبموجب المشروع توضح جميع القوات المسلحة لدول المنطقة تحت قيادة موحدة تخضع للغرب وتقبل بموجبه دول المنطقة وجود قوات دول الغرب على أراضيها ووضع قواعدها



فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة سحب تمويل السد العالى وصاحب مقولة يجب أن يوضع عبد الناصر فى حجمه الطبيعى صاحب فكرة حلف بغداد والسيطرة الأمريكية على الشرق الأوسط.

العسكرية وموانيها وطرق مواصلاتها ومنشئاتها تحت تصرف القيادة الموحدة، ولكن مصر رفضت هذا المشروع.

وبدلا من تركيز الولايات المتحدة على القاهرة عمدت إلى الإرتباط مع دول المنطقة بإتفاقيات ثنائية تستكمل بها الحزام الممتد من أوروبا إلى الشرق الأقصى (هذه الدول هي إيران وباكستان والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنان وإسرائيل).

حلف بغداد: وتوسعت الولايات المتحدة فعمدت بالتعاون مع بريطانيا إلى إنشاء حلف بغداد (رغم عدم إنضمام الولايات المتحدة رسميا للحلف) في فبراير ١٩٥٥ وفشلت محاولات الحلف لضم مصر والأردن والسعودية ولبنان والكويت، ومن المعروف مصير الحلف الآن وما آل إليه.

مشروع أيزنهاور: وبمساعدة النظم التحررية الناشئة تمكن السوفيت من كسر الحصار الذى فرضه الغرب عليهم بمساعدة هذه النظم التحررية على مقاومة نفوذ الغرب، الأمر الذى دعا الولايات المتحدة لإعلان «مشروع أيزنهاور» الذى يقضى باستعداد الولايات المتحدة لمساعدة دول الشرق الأوسط على تطوير اقتصادياتها وتقديم المساعدات العسكرية فى حالة طلب أى دولة من دول الشرق الأوسط حمايتها من أى اعتداء مسلح تقوم به أى دولة خاضعة لسيطرة الشيوعية الدولية، وقد باء المشروع بالفشل خاصة وأنه كان مبررا لتدخل الولايات المتحدة فى لبنان. فكان المشروع صورة من صور فشل السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

ثالثا الولايات المتحدة الأمريكية والقضية الفلسطينية:

منذ نشوب الحرب العالمية الثانية، أخذ اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بشئون منطقة الشرق الأوسط يتزايد، خاصة وأن المصالح الأقتصادية الأمريكية كانت قد بدت حاجتها لوجود سياسى أمريكى نشط يؤمنها.

ومن هنا بدأ اتجاه أمريكى يهتم بفلسطين ويدعو لتسوية مشكلتها بالأتفاق مع الاتحاد السوفيتى وفى إطار الأمم المتحدة التى كانت بشائر قيامها لاحت فى الأفق، وعلى ذلك فالخط الاستراتيجى الأمريكى منذ عام ١٩٤٥ قائم على أساس إمكانية التعايش بين الوجودين الأمريكي والسوفيتى فى الشرق الأوسط وعلى هذا الأساس تدور السياسة الأمريكية إزاء القضية الفلسطينية رغم بعض تغيرات عارضة تؤثر على جوهر الخط الأمريكى أو الخط السوفيتى إزاء المشكلة الفلسطينية بوجه خاص وشئون الشرق الأوسط بوجه عام.

ففى نفس الفترة المعاصرة - فى الأربعينات - كان الأتحاد السوفيتى أيضا يولى وجهة شطر الشرق الأوسط بالذات إلى فلسطين، ولم تتورع مجلة «كومينيست انترناشيونال» عن مهاجمة قادة العرب (إن العناصر الرجعية بين العرب تخون باستمرار مصالح بلادها وأن رئيس العصيان المفتى أمين الحسينى جاسوس مأجور للفاشستية الألمانية)، ولم يكن هجوم السوفيت فقط بسبب تعاطف قادة الحركات الوطنية العربية وقتئذ مع الألمان وإنما بسبب اتجاه الحركة الصهيونية إلى إعلان تعاطفها مع الأتحاد السوفيتى وتأييدها له فى الحرب مستغلين سياسة التعاون مع كل القوى التى من شأنها تدعيم موقفه العسكرى والتى أتبعها للسوفيت خلال تلك الحرب.

ووصف أحد الكتاب الصهاينة الموقف فى تلك الفترة بأن (الظروف تدفع روسيا السوفيتية إلى تحالف قوى مع اليهود الفلسطنيين معطية تأييدها غير المشروط بفلسطين اليهودية، وباتباع هذه السياسة فإن روسيا لن تكسب فقط الاعتراف بالجميل الأبدى مع عديد من المجموعات اليهودية في العالم بل أنها أيضا ستحصل على مركز ممتاز فى الشرق الأوسط) (كتاب نيفيل).

وعلى ذلك أقيمت علاقات وثيقة على المستوى النقابى بين يهود فلسطين وعمال الأتحاد السوفيتى، بل وصرح «ايفان مايسكى» نائى رئيس قومسيير الشئون الخارجية السوفيتى لدى زيارته للمستعمرات اليهودية في فلسطين سنة ١٩٤٣ (يجب أن يكون واضحا أن اليهود التقدميين فى فلسطين سيحصلون على تأييدنا المتزايد أكثر من العرب المتخلفين الذين يحكمهم الملوك الاقطاعيين). لذلك لم يكن غريبا أن يبادر الأتحاد السوفيتى إلى الاعتراف بإسرائيل بحجة الدفاع عن حقوق الشعوب فى تقرير مصائرها وحق كل شعب فى إقامة دولته الوطنية المستقلة.

ولكن الغرب ـ وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ـ تخوف من نشاط الاتحاد السوفيتى الذى كان يهدف لإضعاف النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط ظنا من السوفيت أن إسرائيل ستكون معادية لبريطانيا، وسعيا من الاتحاد السوفيتى لتأمين حدوده الجنوبية حتى لا تستخدم منطقة الشرق الأوسط كمنطقة وثوب إلى أراضيه، وسعيا ـ أيضا ـ لخلق دولة فى الشرق الأوسط تكون نواة للاضطرابات وذريعة للتدخل ونشر الشيوعية فى العالم العربى.

وأما الولايات المتحدة فإنها فوق إدراكها الأهداف السوفيتية السالفة فإنها رأت أيضا أن المصالح الأمريكية بالمنطقة فى حاجة إلى دولة كإسرائيل قوية تخضع للحماية الأمريكية.

وعلى ذلك فإن اعتراف السوفييت والولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل لم يكن لمجرد الاستجابة للضغوط اليهودية على أى منهما إنما كان بحسب مصالح كل منهما واللتين يتعارضان مع بعضهما البعض.

وعملت الولايات المتحدة منذ نشأة إسرائيل حتى عدوان ١٩٥٦ على تدعيم مصالحها الحيوية فى منطقة الشرق الأوسط ـ سواء عن طريق الأحلاف على ما سلف، أو من الناحية الاقتصادية ـ وحاولت الولايات المتحدة السيطرة على التحركات الإسرائيلية حتى لاتتعارض مع مخططاتها إزاء العالم العربى، واستعانت على ذلك بسلاح المعونات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل، مع عدم تخلى الولايات المتحدة لحظة واحدة عن ضمان أمن إسرائيل، ويشير إلى ذلك موقف الولايات المتحدة سنة ١٩٥٦ عندما خشيت الولايات المتحدة أن يؤدى عناد إسرائيل فى الانسحاب إلى تدخل الأتحاد السوفيتى كطرف فى أزمة الشرق الأوسط، فوقفت من إسرائيل موقف الضغط من أجل الأنسحاب، ووقفت من الأتحاد السوفيتى موقف الحزم معارضة المحاولة السوفيتية للأشتراك عسكريا مع الولايات المتحدة ضد (قوى الغزو).

وبعد انقشاع غمة العدوان الثلاثى وإرتفاع لواء القومية العربية فى منطقة الشرق الأوسط على أساس ثورى، أخذ القلق يساور

الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى ذلك صدر مبدأ أيزنهاور فى يناير ١٩٥٧ بقصد الحفاظ على الوضع الراهن فى المنطقة العربية، هذا المبدأ الذى قبلته كل من العراق ولبنان وليبيا ـ والسعودية واليمن وإسرائيل.

وعلى ذلك فقد ظهر أساس جديد قامت عليه علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل، هو «مبدأ ايزنهاور»، أو الاشتراك فى خط واحد هو المحافظة على الأوضاع الراهنة بالمنطقة، وقد عبر عن ذلك السناتور «سمنجتون» عضو لجنة الشئون الخارجية الأمريكية ١٩٦٢/٤/١١ فاعترف بأنه (فى حالة غياب إسرائيل فإن الوضع بالمنطقة يزداد تدهورا، فإسرائيل عنصر استقرار).

ومن هنا كانت إسرائيل ووجودها عنصرا من العناصر ذات الأولوية لدى رسم وتخطيط استراتيجية الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط. فإذا ما أمكن استعراض الأوضاع سنة ١٩٦٧ لأمكن الشعور بأن رد الفعل الرسمى الأمريكى لنتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ كانْ مشوبا بالأرتياح توقعا من الولايات المتحدة أن هذا الأنتصار الخاطف الإسرائيلى كفيل بإنهيار النظم الثورية فى المنطقة العربية رغم صمود شعب مصر وقدرتها على مواجهة تلك الأيام العصيبة.

وأخذ المخطط الأمريكى صورة جديدة، فبدلا من أن يكون الأمر (عدوان إسرائيل) أثرت الولايات المتحدة مناقشة (النزاع العربى الإسرائيلى بوصفه موضوعا واحدا) وبذلك أرادت وضمنت لإسرائيل أن يكون انسحابها مرتبط بالتزامات عربية مقابلة.

وإلى الآن لاتزال هذه الصــورة (الجـديدة) هى التى تعـمل الولايات المتحدة على العمل فى إطارها سواء كان ذلك فى «اجتماع جلاسيور» أو فى يونيو ١٩٦٧ أو فى مختلف مراحل عرض النزاع على الأمم المتحدة أو من خلال الاجتماعات الرباعية أو الثنائية للقوى الكبرى.

وقد أعلن نيكسون مرة أخرى عن الخط السياسى الأمريكى إزاء المنطقة فى ١٩٦٨/٩/١٠ فذكر (أن مساندة الولايات المتحدة لإسرائيل ليست من قبيل الدعاية أو لجذب أصوات اليهود، بل نتيجة للأعتقاد إنها مهددة من الاستعمار السوفيتى من ناحية، ولأن وجودها يحقق الآمال البعيدة داخل منطقة الشرق الأوسط من ناحية أخرى)، وأضاف (يجب أن نوضح للسوفيت بما لا يدع مجالا للشك كل تصميم من جانبنا لإجبارهم على إعادة تقييم سياستهم لتجنب صدام مع الولايات المتحدة الأمريكية) وبذلك فقد التزمت أمريكا بالوقوف بإزاء الموقف فى الشرق الأوسط بما يلى:

(أ) الألتزام الثابت والقوى بضمان وجود إسرائيل.

(ب) ضمان تفوق إسرائيل عسكريا على الدول العربية مجتمعة.

(جـ) تشجيع قيام محادثات مباشرة بين العرب وإسرائيل.

القسم الخامس

حرب عام ١٩٥٦

«العدوان الثلاثى على مصر»

الفصل الأول:

مقدمات حرب السويس ١٩٥٦

الفصل الثانى:

الموقف الأمريكى قبل حرب ١٩٥٦

الفصل الثالث:

الظروف العربية

الفصل الرابع:

العدوان الثلاثى والموقف الأمريكى

الفصل الأول

مقدمات حرب السويس ١٩٥٦

مقدمات حرب السويس ١٩٥٦

(أ) الظروف الإسرائيلية:

قد يحسن عرض بعض التصورات الغربية والإسرائيلية ليمكن تفهم الظروف الإسرائيلية المحيطة بحرب السويس وبالنزاع العربى - الإسرائيلى بشكل عام، وترى هذه التصورات أن إسرائيل عاشت فى سنوات نشأتها الأولى واستوعبت أعدادا متزايدة من المهاجرين بحيث أرتفع عدد سكانها اليهود بشكل لم يحدث فى التاريخ أن أرتفع عدد سكان دولة بمقدار ثلاثة أضعافها خلال ٢٠ عاما. وقد قدمت التجمعات اليهودية خارج إسرائيل وخاصة فى الولايات المتحدة الكثير من الدعم المادى الذى ساعد على استيعاب المهاجرين الجدد. وساعدت الأخطار المحدقة بإسرائيل فى صهر السكان من مختلف دول العالم بحيث بدأ المجتمع ابتداء من نهاية العقد الثانى بعد تأسيس إسرائيل يفقد طابعه المكون من شتات المهاجرين وأصبح ٤٠ ٪ من السكان من مواليد إسرائيل.

وقد تطورت الزراعة منذ البداية لإرتباط الحركة الصهيونية بالأرض مع تطور مفهوم «الكيبوتز» والمزارع التعاونية «الموشاف».

ورغم أن جـزءا بسـيطا من السكان يعـمل بالزراعـة إلا أن سكان المزارع الجماعية والتعاونية قدموا للدولة العديد من الكفاءات العسكرية والعلمية النادرة، كذلك تطورت الصناعة. وقد كانت صادرات إسرائيل عام الاستقلال أقل من ٣٠ مليون دولار وقيمتها تمثل ١١ ٪ من قيمة وارداتها. وفي عامها العشرين من الاستقلال تعدت قيمة صادراتها ٥٠٠ مليون دولار تمثل ٧٠ ٪ من مجمل قيمة وارداتها. وارتفعت حركة السياحة بحيث وصل عدد السياح إلى أعداد كبيرة متزايدة ونشطت الحياة الثقافية والعلمية وتطور الفكر العبرى القديم.

وقد اعتقد بعض الكتاب فى إمكانية تمهيد الطريق لتوافق بين إسرائيل والعرب من خلال تغيير إسرائيل لطابعها الغربى وإندماجها فى المحيط الشرقى الكائنة فيه، غير أن ذلك يبدو مستحيل التحقيق وسوف يستمر الطابع غير العربى لإسرائيل فكرا وثقافة وستكون ارتباطاتها باليهود فى الخارج أكثر من صلاتها بالمحيط العربى. والاحتمال فى أن يتجه العرب نحو التغريب فى الثقافة والتكنولوجيا من الاحتمال فى أن تصبح إسرائيل مجرد دولة من دول الشرق الأوسط. وستظل إسرائيل كمنطقة بطابعها المتميز فى المنطقة.

ولا يدور السؤال وفق التصور الغربى الآن حول إمكانية تغيير إسرائيل لطابعها وإنما حول إمكانية تقبل العرب لها كما هى. وقد أضاع العرب الفرصة منذ البداية واشتدت حملة كراهيتهم ضد إسرائيل واستخدم الرئيس المصرى عبد الناصر عداء إسرائيل محورا لتوحيد العرب تحت زعامته. وكان عداؤه لإسرائيل وسيلة لا غاية

واشتد هذا العداء فيما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٦ واتخذ شكلا آخر تمثل في تدريب الفدائيين وإرسالهم لإسرائيل للمقاومة.

وكان السبب الدافع والمناسبة الملتهبة ناتجا عن رئيس مصر ناصر، الذى وصل إلى السلطة سنة ١٩٥٣، وجعل العداء لاسرائيل نقطة الارتكاز لتوحيد العرب تحت لوائه، وكانت طريقته فى القيادة ضجة وضوضاء، حتى صار فى قبضته جميع دول الشرق الأوسط وكثير من دول أفريقيا الذى أصبحوا فى خدمة القاهرة. وكان العداء لاسرائيل هو الشعار الموحد، ولم يكن اعتقاده فى دعاياته خالصا على الدوام، فكان صنبور التهيج ضد اسرائيل، يترك أحيانا ليمر بهدوء وينفجر فى أحيان أخرى إلى فيضان، وكان عداء ناصر لاسرائيل وسيلة وليس غاية، الا أنه كان يتطور ويمارس بالشكل الذى قضى على فرصة الهدوء فى المنطقة (١).

وبين عامى ٥٣ / ١٩٥٦ ظهرت طريقة جديدة للتعبير عن العداء العربى لاسرائيل، فقد نظم الفدائيون صفوفهم وتدربوا للتسلل إلى اسرائيل، حيث قاموا بعمليات قتل وتخريب. وفى سنة ١٩٥٦ كانت الغارات كثيرة بشكل خاص، وعضد ثقلهم برنامج تسليح مصرى ضخم. والاستيلاء على قناة السويس من المصالح الدولية التى ادارتها دائما.

وأدى التحالف بين مصر وسوريا والأردن تحت قيادة مصر إلى احساس إسرائيل بالتطويق، وازداد الخلاف شدة، وكان الضغط من كل جانب، ونجح ناصر فى السيطرة على النفوذ الدولى والمحلى

(١) رأى جميع زعماء إسرائيل فى عبد الناصر.

اللذين وقفا فى طريقه، وكان ينكر على اسرائيل الأمان العنصرى لحياتها وشعبها وفى نهاية اكتوبر ١٩٥٦ انفجرت إسرائيل من الحلقة المطوقة، ولم تكن بمفردها فقد كانت فرنسا غاضبة من إضعاف القاهرة لموقفها فى الجزائر، وسبقت بريطانيا تحت قيادة «انتونى ايدن» إلى المقاومة بعد الاستيلاء على القنال - الأمر الذى وضع اقتصاد بريطانيا ومواصلاتها الهامة فى أيد معادية، وكانت الحاجة إلى منع سيطرة ناصر على الشرق الأوسط هى الهدف الأول فى المحادثات بين القدس وباريس، ثم بين باريس ولندن، ولم يكن الالتقاء محض صدفه. ففى الوقت الذى تحركت فيه الجيوش الإسرائيلية تحت قيادة «موشى ديان» عبر سيناء لكسر الحصار فى خليج العقبة، ولطرد الجيش المصرى من غزة - احتلت القوة الفرنسية والبريطانية الجزء الشمالى من منطقة قنال السويس، وقد بررت الحكومتان موقفهما بالتصريح الغريب انهما كانتا مدفوعتان لمنع الاشتباك فى منطقة القنال.

ويسجل «بن جوريون» أنه منذ تولى مسئولية الأمن، اتخذ قاعدتين، أحدهما إيجابية والثانية سلبية، فالأولى أن تكون قوات الدفاع الإسرائيلى قوية بدرجة كافية للانتصار حتى لو حاربت جميع الجيوش العربية، والثانية هى عدم اقحام قوات الدفاع الإسرائيلى فى أى حرب ضد الأوروبيين أو الأمريكيين أو السوفييت.

وكان «بن جوريون» مسئولا عن الأمن منذ قاد «الهاجاناه» أيام الأنتداب، وعندما قامت إسرائيل عام ١٩٤٨ وعين وزيرا للدفاع ورئيسا للوزراء حتى حرب ١٩٥٦، فيما عدا فترة رئاسة «شاريت» فقد جاء «لافون» أولا ثم «بن جوريون» وزيرا للدفاع.

ولم تفقد إسرائيل تفوقها العسكرى على العرب أبدا، ولو أنها غالبا ما تزعم أنها فقدتها، محاولة منها للحصول على أسلحة، وكانت واشنجتن ولندن قد كررت مرارا طوال الفترة بين الإغارة على غزة وحرب السويس الأولى أن إسرائيل تتفوق على العرب فى التسليح.

ويضاف إلى ما سبق أهمية المؤسسة العسكرية فى إطار الحياة الديمقراطية.

وكان «ديان» قد أعفى من منصبه عقب أخذه جانب «بن جوريون» فى صراعه مع «أشكول»، ثم عاد فى منتصف المرحلة كوزير للدفاع فى أول يونية، وكان هذا التعيين واضحا أنه جاء بناء على مطلب شعبى وخاصة فى القوات المسلحة، والتى تصبح جامحة فيما يبدو من عدم حزم «أشكول».

وترددت إشاعات أن الجيش قد يعمل لاستبدال «أشكول» بقائد أكثر صلابة مما دعا «بن جوريون» أن يحذر فى ٢٩ مايو ضد أى إخلال بالمبادئ الديمقراطية تحت ضغط الأزمة - فالجيش فى أى جمهورية ديمقراطية لا يتصرف وفقا لرغبته، بل على أوامر الحكومة المدنية وطبقا لتعليماتها.

وتبخرت الإشاعات بتعيين «ديان». وكان التغير فى معنويات إسرائيل مثل الكهرباء، وأظهر الإسرائيليون أنهم لا يشكون فى قدرتهم على هزيمة العرب.

(ب) النشاط السياسى العسكرى لإسرائيل قبل الحرب

١ ـ خطة وزارة الدفاع الإسرائيلية بقاء بريطانيا فى مصر:

كانت مصر تفاوض بريطانيا للجلاء عن القناة، وكانت أمريكا تحاول الضغط على بريطانيا للجلاء عن مصر، بينما كانت فرنسا تتودد علنا لإسرائيل وتمدها بأحدث الأسلحة وذلك بسبب مساعدة مصر للثورة الجزائرية.

ووضعت وزارة الدفاع الإسرائيلية خطة محكمة تستهدف إبقاء بريطانيا فى مصر عمادها إرسال أحد عملائها السريين إلى مصر للإتصال بشبكة يهود مصر كانت تعمل بها منذ عام ١٩٥١ لتقوم بتفجير المنشآت الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والأسكندرية بغية لإضعاف العلاقات مع بريطانيا وأمريكا لإفشال المفاوضات. إلا أن البوليس المصرى استطاع أن يكشف شبكة الجاسوسية فى ديسمبر ١٩٥٤ مما أدى إلى انتحار الضابط الإسرائيلى المسئول عن العملية فى مصر، وتقديم أعضاء الشبكة للمحاكمة وصدور أحكام ضدهم تتراوح بين الاعدام والأشغال الشاقة والبراءة، وطلب «شاريت» رئيس وزراء إسرائيل تفسيرا لهذه الحوادث من «لافون» والقادة المسئولين فى الجيش الإسرائيلى وأنتهى الأمر باستقالة «لافون» وزير الدفاع فى ١٩٥٤/٢/١٧ .

٢ ـ عودة بن جوريون للوزارة:

فى ١٩٥٥/٢/٢١ عاد «بن جوريون» وتولى وزراة الدفاع، كما عين «لافون» سكرتيرا عاما «للهستدروت» وبذلك أسدل الستار على

هذه القضية وإن كانت قد أدت بعد سنوات إلى تحطيم قوة «بن جوريون» نفسه والقضاء على شعبيته، وبعد عودة «بن جوريون» بأسبوع واحد أى فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ أصدر أمرا بالهجوم على قطاع غزة وبعدها على مدينة غزة حيث قتل أربعون مصريا، معلنا سياسة «بالرد بقوة على العرب والحصول على السلاح، ثم التحالف مع قوى غربية لحفظ سلامة إسرائيل».

٣ ـ اتصال إسرائيل بفرنسا وأمريكا:

وأطلق «بن جوريون» لمعاونيه حرية التصرف مع فرنسا والحصول منها على أسلحة، كما حاول الحصول على أسلحة من أمريكا نظير ومقابل تقديم قواعد عسكرية بشرط ضمان حدودها. وكان رد أمريكا فى عهد الرئيس «ايزنهاور» بالرفض، وأعيد تشكيل حكومة برئاسة «بن جوريون» فى ١٩٥٥/١١/٢ من خمسة أحزاب هى «الماباى»، «وعمال مزراحى» «واحدوت هاعفودا» و «مابام»، و «التقدميون»، وأهم أحداث هذه الوزارة استقالة «شاريت» من وزارة الخارجية وتعيين «جولدا مائير» مكانه، ثم حملة سيناء. وأعتبرت هذه الوزارة بتشكيلها وزارة قومية مقبلة على تنفيذ أحداث جسام.

٤ ـ حجة إسرائيل فى حرب ١٩٥٦:

١ ـ فى شهر سبتمبر انتهت المفاوضات بين تشيكوسلوفاكيا ومصر حول صفقة السلاح ورأى «بن جوريون» و «ديان» وجوب التصرف بسرعة قبل أن يتدرب الجيش المصرى على سلاحه الجديد، فوضعا خطة لاحتلال غزة والتقدم فى سيناء واحتلال خليج العقبة الذى أغلقته مصر بوجه الملاحة الإسرائيلية.

٢ ـ وبعد أن حازت وزارة بن جوريون الأئتلافية الثقة أعلن فى خطابه أمام «الكنيست» عن برنامجه حول الدفاع «إن مصر تمنع حرية الملاحة فى البحر الأحمر، ويجب أن نوقف هذا الإجراء الذى يتضمن حربا معلنة من جانب واحد»، وأضاف إن مصر أغلقت الملاحة فى وجه إسرائيل عام ١٩٥١ وأن إسرائيل لم تكن بالقوة الكافية للرد على مصر إلا أنها الآن لن تسكت»، وطرح إمكانية الأستيلاء على المضايق للمناقشة فى الوزراة، ولكن الحكومة رأت أن الوقت لم يكن مناسبا، وتنازل «بن جوريون» عن اقتراحه مؤقتا، رغم أنه كان مصمما على فك الحصار على العقبة بالقوة، ولم يعد يدعو إلى الحرب الوقائية وأصبح يدعو إلى حرب هجومية.

(جـ) المناورات السياسية الإسرائيلية لتمهيد الطريق لحرب ١٩٥٦:

فى ديسمبر عام ١٩٥٥ قدم «بن جوريون» شكوى إلى مراقبى الهدنة ضد مصر وقال إن الحكومة المصرية مسئولة عن الفدائيين، وأن هذا العمل يخرق إتفاقية الهدنة وأتهم العرب بأنهم سبب التوتر على الحدود، كما أتهم «داج هموشولد» السكريتر العام للأمم المتحدة بأنه لا يسلم بحق إسرائيل بالدفاع عن نفسها.

وفى ١٩٥٦/٤/١٢ أرسل «شمعون بيريز» إلى فرنسا لطلب المساعدة والسلاح.



موشى ديان تليمذ بن جوريون فى الشئون العسكرية اشترك فى مفاوضات «سيفر» السرية فى الاعتداء الثلاثى على مصر.

(د) التواطؤ الفرنسى الإسرائيلى لحرب ١٩٥٦ وتغاضى أمريكا عن تسليح فرنسا لإسرائيل:

كانت أمريكا على علم بتحركات إسرائيل وتؤيد تسليح فرنسا لإسرائيل وإن لم تجهر بذلك، أما وزارة الدفاع الفرنسية فقد كانت ترى أنها فى مساعدتها ما يؤدى إلى إسقاط الحكم فى مصر، وقد يكون فى ذلك إنهاء للقضية الجزائرية، ولهذا أخذت تتواطأ مع إسرائيل. أما فى إسرائيل فقد انتهت الخلافات بين «موسى شاريت» وبين «بن جوريون» إلى استقالة وزير الخارجية فى ١٨ يونيو مما أثار فضيحة علنية. نظرا لمعارضته لخطط «بن جوريون» العدوانية.

(هـ) مقدمات حملة سيناء:

أعلنت مصر تأميم شركة قناة السويس وكان «بن جوريون» يخطط للهجوم على مصر، فاستغل رد الفعل عند بريطانيا وفرنسا ليضرب ضربته، وكان «شمعون بيريز» فى فرنسا أثناء أزمة قناة السويس، وأكد لفرنسا أن إسرائيل ستساعد فرنسا فى حالة القيام بعمل عسكرى على مصر، وفى ١٩٥٦/٩/٢٨ سافر إلى فرنسا مرة ثانية وبصحبته «موشى ديان»، و «جولدا مائير» وعند عودته لإسرائيل وضع «ديان» خطته مع أركان حربه بناء على توجيه العسكريين الفرنسيين، ولم يطلع «بن جوريون» وزراته على مجرى الأمور، وأعلن بعد الحرب أنه خدع وزراءه وخدع العالم، فى مشكلة السويس وفى ٤ أكتوبر وضع الفدائيون لغما فى «سدوم» وقتلوا خمسة عمال يهود، ولم يرد «بن جوريون» على ذلك لتظهر إسرائيل بمظهر المعتدى عليها، وصرح «بن جوريون» للصحافة بأن الملك حسين أمر

بإطلاق سراح الفدائيين، ولذلك فقد أعطى الأمر فى اليوم نفسه بالهجوم على «قليقيلية» بعد أن أخذ موافقة حكومته، وغضبت بريطانيا من هذا التصرف وأعلنت بأنها ستساعد الأردن تنفيذا للمعاهدة التى بينهما.

(و) خطة حرب السويس: مفاوضات وإتفاقية سيفر السرية.

فى ١٤/ ١٠ وبعد أن فشلت المباحثات حول قناة السويس تبلورت الخطة للتدخل العسكرى فى أذهان فرنسا وبريطانيا بأن تبدأ إسرائيل الهجوم وتتدخل فرنسا وبريطانيا بحجة التفرقة بين إسرائيل ومصر، وبذلك تحتلان القناة. وفى ١٦/ ١٠ ذهب «ايدن وسلوين لويد» إلى فرنسا واتفقا على أن التدخل بسبب العدوان الإسرائيلى هو العذر الوحيد المقبول ورأى وزير خارجية فرُنسا «كرستيان بينو» أن روسيا لن تتدخل بسبب انشغالها بمشكلة المجر، وأن أمريكا لن تخذل حلفاءها فى النهاية. ولم يكن هدف «بن جوريون» حربا شاملة ضد مصر بل يريد غزة وسيناء الشمالية وخليج العقبة، وسافر إلى فرنسا ومعه موشيه ديان وشمعون بيريز مستقلين طائرة فرنسية فى زيارة سرية للغاية، لم يعرف شيئا عنها إلا فى سنوات متأخرة وذلك كطلب «بن جوريون» حتى لا يظهر التواطؤ بصورة واضحة حتى لا يتهم بالعدوان مستغلا بذلك أطماع دولتين استعماريتين، وكانت بشروطه:

١ ـ حماية جوية للمدن الإسرائيلية كثيفة السكان.

٢ ـ ضرب المطارات المصرية.

٣ ـ عدم إعلان حرب شاملة على مصر من قبل إسرائيل.



انطونى ايدن رئيس وزراء انجلترا الشريك الأول فى مؤامرة الاعتداء الثلاثى ١٩٥٦ .

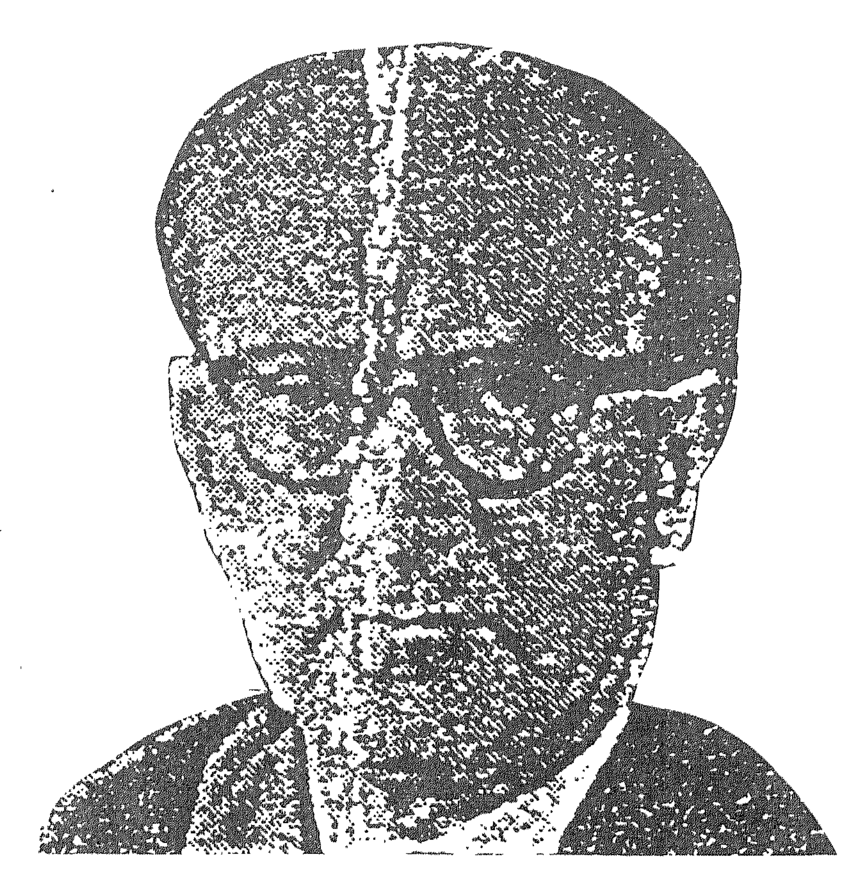
وبعد أن تم التوقيع على الاتفاقية (اتفاقية سيفر) وأصلها محفوظ فى إسرائيل، وفى ١٠/٢٦ أعلنت إسرائيل التعبئة العامة ويعزو «بن جوريون» السبب فى كتابه (إسرائيل سنوات التحدى) إلى ظهور نتائج الانتخابات فى الأردن (٣٠ أكتوبر) وإلى عقد المعاهدة الدفاعية بين مصر وسوريا والأردن - فى ١٠/٢٣، وإعلانه دخول قوات عراقية إلى الأردن. وهو ادعاء باطل - حتى يهىء الرأى العام بأن الحرب ستكون ضد الأردن، وفى ١٠/٢٨ جمع كل الوزراء ماعدا الشيوعيين وأخبرهم عن عملية الهجوم وأخذ موافقتهم.

(و) رسائل من «ايزنهاور» إلى بن جوريون: التحرك الأمريكى:

بعث «ايزنهاور» إلى «بن جوريون» برسالة أولى فى ١٠/١٦ يطلب فيها من إسرائيل ضبط النفس، ورد عليها بن جوريون معبراً عن خوفه من الجيش العراقى فى الأردن محاولا بذلك أن يخدع المخابرات الأمريكية، وفى ١٠/٢٨ تلقى «بن جوريون» رسالة ثانية من «ايزنهاور» يذكر فيها أنه لا وجود للقوات العراقية فى الأردن، وفى ١٠/٢٩ تلقى «بن جوريون» رسالة ثالثة من «أيزنهاور» يطلب إليه فيها الانتظار لأنه طلب من فرنسا ومن بريطانيا (دول الإعلان الثلاثى فى عام ١٩٥١ لضمان الحدود فى الشرق الأوسط) الاجتماع لمناقشة المسألة. وتدل هذه الرسالة على مدى سرية اتفاق «سيفر» لقد خدع العالم فقد كان الشعور السائد والرأى العام يعتقد أن الحرب مع الأردن فى الشرق وليس ضد مصر. وعندما حدث الهجوم فى عصر ١٠/٢٩ كان مفاجأة لسكان إسرائيل مثلما كان لسكان القاهرة.

الفصل الثانى

الموقف الأمريكى قبل الحرب (١٩٥٦)



جي موليه رئيس وزراء فرنسا ١٩٥٦ اراد الانتقام من عبد الناصر لمساعداته الثورة الجزائرية وتأميمه قناة السويس

(أ) دعوى الدفاع عن الشرق الأوسط

أرادت الولايات المتحدة، عقب الحرب العالمية الثانية، أن تضمن ولاء دول الشرق الأوسط حتى لا تقع هذه الدول فى نفوذ الأتحاد السوفيتى. ففكرت حينئذ فى عدة خطوات لتحقيق فكرتها التى تتلخص فى عقد محالفات بينها وبين هذه الدول وإمدادها بما تحتاجه فى تقدمها وتطورها ماديا وعسكريا. وعلى هذا الأساس كانت الولايات المتحدة وراء فكرة ميثاق الضمان الجماعى العربى الذى عرض على مجلس الجامعة العربية فى أواخر عام ١٩٤٩ .

ثم اتفقت مع بريطانيا وفرنسا على أن ينضموا إليها فى أن يعرضوا على القاهرة مشروعا للدفاع عن الشرق الأوسط ضد العدوان الخارجى. وفعلا قدم السفير البريطانى إلى الحكومة المصرية هذا المشروع فى ١٣/١٠/١٩٥١ ـ وكان مما ينص عليه إنشاء قيادة للشرق الأوسط ومنظمة للدفاع عنه ضد أى عدوان. وكانت النية

معقودة على أن تقوم مصر بالدور الأساسى فى هذه المنظمة. ولكن الظروف حينذاك لم تكن فى صالح الفكرة، إذ أن الحماس فى هذه وخاصة فى منطقة قنال السويس، كان قد بلغ ذروته ضد الاحتلال البريطانى إلى درجة استعمال العنف. وعلى ذلك رفضت مصر المشروع.

ومع ذلك فقد عاودت الولايات المتحدة الكرة من جديد حينما أرسلت وزير خارجيتها «مستر دلاس» إلى القاهرة فى مارس ١٩٥٣ وكان بصحبته مدير الأمن المتبادل، لبحث موضوع هذه القيادة مع المسئولين فى القاهرة، ثم بعد ذلك مع حكومات إحدى عشر بلدا هى: سوريا والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية وليبيا وإسرائيل واليونان وتركيا وباكستان والهند وإيران.

ومرة أخرى لم تبد مصر كثيرا من الاهتمام لهذه الفكرة، وكان لموقفها أثر كبير فى موقف بعض البلاد العربية. وعلى ذلك لم يصادف المشروع النجاح الذى كانت تنتظره الولايات المتحدة فى محاولتها الثانية.

(ب) حلف بغداد

بعد عودة «دالاس» إلى أمريكا، أذاع فى أول يونية ١٩٥٣ حديثا تلفيزيونيا شرح فيه نتائج رحلته وعن انطباعاته وكان مما قاله:

«إن منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط هى فكرة للمستقبل أكثر منها فكرة ممكنة التحقيق فورا فإن بلاد الجامعة العربية مشتبك فى نزاعات قوية، بعضها مع إسرائيل، وبعضها مع بريطانيا أو

فرنسا، ولذلك فهى لا تبدى اهتماما بخطر الشيوعية من ناحية الاتحاد السوفيتى وعلى كل حال فهناك اهتمام أكثر فى البلاد القريبة من روسيا، وبصورة عامة نجد أن بلاد النطاق الشمالى تدرك هذا الخطر».

وقد تبين من حديث «دالاس» أن فكرة السيطرة على المنطقة بمنظمة الدفاع المقترحة قد تلاشت من خطة الولايات المتحدة، وحل محلها فكرة أخرى عرفت بفكرة «النطاق الشمالى المجاور لروسيا» أو «حلف بغداد».

كانت الخطوة الأولى لتنفيذ ذلك المشروع هى الأتفاقية التى وقعتها تركيا والباكستان يوم ٢ ابريل ١٩٥٤، والتى تنص على التعاون المشترك. ثم جاء دور العراق حينما تبنى «نورى السعيد» فكرة الحلف حيث أظهر تحمسا شديدا له، وبذل مجهودات لاقناع مصر بالانضمام إليه، ولكن مصر أعلنت دون خفاء أنها تعارض كل المحالفات التى قد تؤدى بطريق أو بآخر إلى التبعية لدولة أخرى.

وقد سألت مصر حينذاك «نورى السعيد» إذا كان لديه اقتراح آخر. وقد رد بأنه يمكن اتخاذ ميثاق الضمان الجماعى العربى - الذى يعتمد على المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة - كقاعدة لميثاق دفاعى تكون العضوية فيه مفتوحة للدول غير العربية كتركيا وإيران والباكستان وبريطانيا والولايات المتحدة. وكانت حجة «نورى السعيد» فى كل ذلك أن الاتحاد السوفيتى يهدد المنطقة وإنه لا بد من اتخاذ إجراء حاسم ضد هذا التهديد وعلى الرغم من أن خمسا وتسعين فى المائة فى الرأى العام العراقى كان يعتبر خطر إسرائيل أعظم من

خطر الاتحاد السوفيتى فإن «نورى السعيد» وقف مع الأقلية التى لا ترى ذلك وتمسك برأيه. وفى نفس الوقت أعلن أن العراق سيهتم بسلامة الأقطار المجاورة كتركيا وإيران لأن سلامتها تنطوى على سلامة العراق. وكذلك على العراق أن يأخذ بعين الأعتبار ميثاق الضمان الجماعى العربى بسبب تهديد إسرائيل للبلدان العربية.

ويبدو أن «نورى السعيد» كان يريد بهذه التصريحات امتصاص غضب الشعب العراقى واستنكاره احتفاظ بريطانيا بقاعدتين جويتين فى العراق، وحق استعمال المواصلات العراقية لنقل الجنود والأسلحة. كما كان يرى أن توقيع حكومة العراق على الميثاق التركى الباكستانى قد لا تكون له آثار سيئة بين الدول العربية، إذ أن عددا منها صار طرفا فى مثل هذه الاتفاقات فالأردن عقد معاهدة تحالف مع بريطانيا فى ١٩٤٨/٣/١٥ . والسعودية عقدت اتفاقا معها فى ١٩٥١/٦/١٨، وكذلك الاتفاق التى أعقبته مع الولايات المتحدة لاستخدام مطار الظهران، بجانب المساعدات العسكرية.

ومع ذلك فقد كان «نورى السعيد» دائما يخشى من رد فعل مصرى، كما كان يبدى انزعاجه من الوضع السياسى فى روسيا بحجة أن الدعاية اليسارية أصبحت سافرة.

بعد هذا حدث لقاء بين رئيس وزراء تركيا ورئيس وزراء العراق، وعقب اللقاء صدر بيان مشترك عن عقد معاهدة لتوسيع التعاون ولضمان الاستقرار والأمن فى الشرق الأوسط، وأن الدخول فى هذه المعاهدة يعتبر ممكنا وضروريا للدول التى أظهرت عزمها على تحقيق هذه الأهداف. ثم أعلن وزير خارجية العراق فى ١٩٥٥/١/١٤: «أنه من المفيد ومن الضرورى لكافة الدول العربية

ابتداء من مصر أن تشترك فى الاتفاقية، وسوف ترحب جميع البلدان المحبة للسلام باشتراك مصر نظرا لموقعها العسكرى وتوافر امكانياتها... مع العلم بأن الاتفاقية الجديدة المقترحة لا علاقة لها بالتحالف التركى الباكستانى. وإنما هى ترتيبات جديدة تماما، ولا يوجد أى مانع يمنع الباكستان وإيران من الإشتراك فيهما.

وكما تقدم كانت مصر فى هذه الأثناء تبدى اعتراضها الشديد للحلف. وكان لهذا الأعتراض أثره البالغ فى البلاد العربية، وليس أدل على ذلك مما جاء فى قول السفير الأمريكى بالعراق فى ذلك الوقت: «إنه دعى فى يوم ١٩٥٥/٢/١٢ إلى القصر الملكى حيث أطلعه الملك والأمير عبد الله على رسالة من الرئيس «كميل شمعون» إلى الرئيس المصرى طالبا منه ايقاف الحملة المصرية على الميثاق التركى العراقى قائلا: إن العالم العربى لا يمكن أن يعيش بمفرده، وأن الدعاية المصرية كادت تعزل العالم العربى وتسبب الامتعاض فى الداخل».

أبدت الولايات المتحدة ارتياحا شديدا لهذه الجهود التركية العراقية التى كانت تهدف إلى الوقوف أمام أى خطر شيوعى. ولذلك سارعت الولايات المتحدة باستعدادها لمساعدة هذه الجهود، وأوحت للدول العربية أنه ينبغى أن ترحب بهذا التطور كخطوة فعالة فى سبيل أمنها. وقد صرح «فوستر دالاس» فى ١٩٥٥/١/١٨ بما يلى:

«إن الولايات المتحدة تعتبر هذا الأمر خطوة بناءة، وسعيا فى اتجاه بناء ما يسمى بالنطاق الشمالى الذى كانت تركيا والباكستان من رواده الأول».

وكان سبب ترحيب الولايات المتحدة بهذا الميثاق يرجع إلى عدة عوامل أهمها: أنها هى التى أخرجت فكرة الميثاق إلى حيز الوجود، ثم أن تعاونها مع بريطانيا فى تنفيذ المشروع سوف يبرهن للشرق الأوسط أنها تتعاون معها فى الدفاع عن العالم الحر ويزيد نفوذها فى المنطقة، كما أن اشتراكها فى تشجيع الميثاق سيبدد مخاوف إسرائيل من احتمال استعمال هذا الميثاق ضدها. يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة أرادت بهذا الترحيب أن تقوى موقف «نورى السعيد» الذى ضحى بالكثير فى الداخل والخارج لتحقيق الفكرة.

وقد أرسل سفراء أمريكا فى أنقرة وطهران وكراتشى مذكرات تلح بضرورة اشتراك الولايات المتحدة فى الميثاق. وبينما كانت أمريكا تتردد عملت بريطانيا بسرعة، فقد أدرك الإنجليز أن انضمامهم للميثاق يضع علاقتهم مع العراق على أسس أكثر واقعية فى سبيل الحفاظ على المصالح البريطانية.

أنضمت إيران إلى الحلف رسميا فى يوم ٢٥/١٠/١٩٥٥ وبهذا أصبح عدد المشتركين كافيا لتأسيس المجلس الدائم طبقا لنص المادة السادسة، وتحدد يوم ٢١/١١/١٩٥٥ موعدا لاجتماع هذا المجلس. وقبل موعد الاجتماع بأسبوعين أبلغ السفير الأمريكى «نورى السعيد» أن الولايات المتحدة ستقيم نوعا من الإرتباط السياسى والعسكرى مع المجلس، وأنها عينت السفير مراقبا سياسيا، والاميرال جون ا. كسادى، والجنرال فورست كراواى مراقبين عسكريين. وعند إفتتاح المجلس صوتت الوفود فيه بالاجماع على توجيه الدعوة للولايات

المتحدة للإشتراك بوساطة المراقبين. وبعد إنتهاء اجتماعات المجلس أدلى «عدنان مندريس» فى بغداد بالتصريح التالى:

«لقد أسهمت الولايات المتحدة فى مناقشاتنا، وهى حليفة لدولتين من أعضاء الميثاق ومع أنها لم تصبح عضوا شرعيا بعد فإنها ساندت الميثاق بقوة منذ التفكير فيه. وهى تمد منذ سنوات أعضاءه جميعا بالمعونات الاقتصادية والعسكرية، فهى إذن مشتركة عمليا فى التعاون على ذلك... ولم تكتف بإرسال المراقبين إلى المجلس الدائم، بل أمنت الإرتباط فى الميدانين السياسى والعسكرى. ولا شك أن إشتراكها سيكون أكثر من مجرد إرسال مراقبين وأكثر من اطلاعها على الحوادث. وليس من الخطأ أن نفترض أن دخول الولايات المتحدة دخولا قانونيا هو مسألة وقت ... فمن الصواب ومن الطبيعى أن يحدث ذلك فى الوقت الذى تراه الولايات المتحدة ملائما وموافقا».

وعلى الرغم من أن المناقشات التى دارت بين الرئيس «ايزنهاور» و «انتونى ايدن» انتهت إلى أن هناك مبررات من الناحية النفسية والواقعية لانضمام الولايات المتحدة إلى الحلف فقد رأت أمريكا فى ذلك الوقت أن تبقى خارج الميثاق لسببين:

أولا: لكى تستطيع أن تمارس نفوذها بكل حرية، وأن تحتفظ بذلك النفوذ تجاه الشرق الأوسط.

ثانيا: خوفها من أن الانضمام إلى الميثاق قد يثير مشاكل فى إسرائيل، كما يزيد فى حدة معارضة مصر وخاصة أن الجو فى ذلك

الوقت فى الشرق الأوسط كان قد بلغ ذروة التأزم - وعلى ذلك فقد رأت أمريكا من الأفضل أن تتجنب القيام بأى عمل يزيد فى تعقيد الأمور، وأن تبقى على هامش الميثاق.

ومع أن الولايات المتحدة ضمت بصورة أصلية إلى اللجنة الاقتصادية فى اجتماع المجلس الذى عقد بطهران فقد صدر بلاغ رسمى يعلن عدم استعدادها لدخول الميثاق وإن كانت تسانده بكل قوة لحفظ التوازن.

غير أن أمريكا لم تنظر بعين الارتياح إلى موقف مصر، وظهر رد الفعل عندما رفضت أن تزودها بالأسلحة الذى كان قد طلبها الرئيس جمال عبد الناصر وكانت حجة الرفض هوتمسكها بتصريح الثلاثة الكبار والتزامها بحفظ التوازن بين دول المنطقة.

(جـ) صفقة الأسلحة الروسية وسحب تمويل السد العالى:

لم يغب عن الولايات المتحدة أن الدول الشيوعية كانت تقوم بمحاولات كبيرة لشق طريقها إلى العالم الحر عن طريق البحر المتوسط. وقد تأكدت شكوكها عندما أعلنت مصر صفقة الأسلحة التى حصلت عليها فى خريف ١٩٥٥ بعد أن وافقت حكومة تشيكوسلوفاكيا على مقايضة القطن المصرى بالسلاح. ثارت ثائرة الولايات المتحدة حينذاك، ورأت فى هذا العمل أول برهان للتغلغل الشيوعى داخل الشرق الأوسط، واعتقدت أن نفوذها فى المنطقة قد تزعزع، وأن الروس قد قصدوا من وراء ذلك إثارة الصعاب فى طريق أمريكا، وأن إرسال الأسلحة إلى بلاد الشرق الأوسط ينسجم

مع تخطيطهم المستمر فى خلق فوضى عالمية. وقد هاجمت وكالات الأنباء فى أوروبا وأمريكا الاتحاد السوفيتى لإرساله الأسلحة إلى مصر، وكتب «فوستر دالاس» فى أكتوبر ١٩٥٥ إلى «مولوتوف» يقول: «إن الأسلحة الروسية تقرب الحرب فى الشرق الأوسط أكثر من المحتمل، وأنها تخلق موجه من الاستياء، والشعور المرير فى الولايات المتحدة». وفى مذكرات «ايزنهاور»: قلت فى رسالة إلى «بولجانين»: تسلمت فى ٢٢ أكتوبر رسالتك بخصوص بيع الأسلحة إلى مصر ... لاحظت إنك تعنى إنه لا داعى للقلق... لكن حسب معلوماتى ... هذه الصفقة الكبيرة قد خلقت خطرا متزايدا من نشوب العنف فى المنطقة».

وكأنه بذلك بدأ التسابق فى التسلح، فبعد أن حصلت مصر على الأسلحة الروسية حصلت إسرائيل على طائرات «ميستر» الفرنسية. وهنا رأت الولايات المتحدة أن تقوم بتنفيذ فكرة جديدة بالنسبة للأسلحة الأمريكية، وذلك لمعالجة أى حادث فى الشرق الأوسط، وكانت هذه الفكرة هى فكرة أسلحة الطوارئ، وذلك بخزن كمية من السلاح فى سفينة تتخذ قاعدتها فى البحر الأبيض المتوسط وتكون على استعداد لانقاذ أية دولة من دول الشرق الأوسط التى تكون هدف العدوان. وفعلا نفذت الفكرة وفى يوليو ١٩٥٦ كانت هذه السفينة تتخذ موقفها فى المتوسط.

ساعدت تلك التطورات على زيادة التقارب بين مصر وروسيا، وظهرت نتيجة هذا التقارب عندما عرضت روسيا أن تمول السد العالى بعدما تعقدت مباحثاته مع أمريكا وارتطمت بصخرة الشروط التى كانت تريدها ورفضتها مصر.

ويبدو أن أمريكا شعرت بخطئها البالغ لسحب تمويل السد العالى وإعطاء تلك الفرصة الذهبية للاتحاد السوفيتى، ويدل على هذا الشعور بالخطأ قول الرئيس «ايزنهاور»: «لم يكن لدى أى شك فى صواب إلغاء عرضنا لكنى كنت شاعرا - نظرا لأحداث الأسابيع التى أعقبت سحب العرض - بأننا أقترفنا خطأ دبلوماسيا فى الطريقة التى عالجنا بها هذه القضية».

(د) تأميم قناة السويس:

كان رد الفعل بعد سحب أمريكا عرضها لتمويل السد العالى أن أممت مصر قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ . وقد أحدث هذا العمل المفاجئ توترا فى المجال الدولى، وخاصة عندما حذر الرئيس عبد الناصر بأنه إذا حاول الغرب التدخل عسكريا فسيحارب المصريون. ولما كانت بريطانيا وفرنسا تعتبران القناة رمزا لمركزهما فى الشرق الأوسط فقد داسوا على القيم الدولية وقاموا بالاشتراك مع إسرائيل بعدوان غادر على مصر، وهنا انتهزت روسيا الفرصة فأرسلت إنذارا حاسما لدول الاعتداء، وكادت تقوم حرب عالمية ثالثة، ولكن الولايات المتحدة تحركت بسرعة فنددت بالعدوان لتسد الطريق على الروس الذين أعلنوا أمام العالم تأييدهم الكامل لمصر - رأت الولايات المتحدة حينئذ أن واجبها ألا تسمح للروس بتزعم النضال ضد استخدام القوة فى الشرق الأوسط حتى لا يكسبوا ثقة الدول حديثة الاستقلال فى العالم - ومع ذلك فلم ترد الولايات المتحدة أن تندد بريطانيا وفرنسا وتصفهما بالاعتداء بل اكتفت بأن أعلنت وقف مساعدتها العسكرية والاقتصادية لإسرائيل، وتقديم قرار للأمم المتحدة بوقف إطلاق النار وإنسحاب القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة.

وقد واجهت أمريكا بعد ذلك نقدا لاذعا فى أوربا وأمريكا، على الرغم من أن موقفها هو الذى حسم الخلاف. وكانت أهم عناصر هذا النقد هو أن موقفها من إسرائيل بعث على خيبة الأمل وإنه كان من واجبها أن تساند بريطانيا وفرنسا.

وكادت هوة الخلاف تتسع بين أمريكا من جهة ودول العدوان من جهة أخرى، لولا أن الساسة الكبار رأوا إنقاذ الموقف بشئ من التسامح حرصا على مصالحهم الباقية. وقد أشار «ايزنهاور» إلى أنه تلقى يوم ١٩٥٦/١١/٢٣ رسالة من «تشرشل» يلح فيها عليه بترك الخلاف على أحداث الشرق الأوسط، وباتخاذ عمل مشترك لمواجهة النصر السوفيتى هناك، وقال له: «إن من عدم الرأى أن تضيع المسائل الجوهرية من أجل سوء تفاهم حدث بين بريطانيا وأمريكا». وقد أجاب عليه «ايزنهاور» «بأنه يرجو أن تمحو هذه الرسالة ما حدث، وأن تعود المياه إلى مجاريها، ويتخذ البلدان وسائل أخرى لتحقيق أهدافهما المشروعة فى الشرق الأوسط ولإعادة الإرتباطات القديمة».

ومن الطريف فى هذا الصدد أن نذكر تعليق الرئيس «ايزنهاور» على موقف أمريكا من العدوان الثلاثى إذ يقول:

هناك عدد من الأسئلة التى يصعب الإجابة عليها، منها:

(أ) إذا لم تتدخل بريطانيا وفرنسا هل كانت إسرائيل وحدها تستطيع الانتصار على المصريين وإذا كان الجواب بالإيجاب ماذا يحدث وفقا لبنود تصريح الثلاثة الكبار سنة ١٩٥٠ ؟

(ب) هل كان عمل بريطانيا وفرنسا هو الذى قدم عذرا للأتحاد السوفيتى للتحرك بقوات ضخمة إلى هنغاريا؟ وهل كان من الممكن أن يكون رد الفعل الغربى أكثر شدة إذا كان الروس تحركوا إلى هنغاريا فى وقت لم تكن فيه دول الغرب مشغولة بمشكلة السويس؟

إن جوابىِ على هذين السؤلين لا يزال سلبيا.

الفصل الثالث

الظروف العربية

الظروف العربية

لم تكن الظروف العربية المحيطة بأزمة السويس بنت الساعة، بل كانت محصلة ظروف متعددة وغائرة إلى سنوات سابقة، ويمكن إيجازها على النحو التالى:

(أ) فى عام ١٩٥١ قامت مصر بإلغاء معاهدة عام ١٩٣٦م، وعلى أثرها حاولت الولايات المتحدة إقامة تحالف عسكرى بالشرق الأوسط تتقدمه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا. وقد رفضت مصر هذه المقترحات على أساس أنها تكرس الاحتلال البريطانى، وقد انزعجت الدول الغربية لرفض مصر السريع لهذه المقترحات، وكان لموقف مصر تأثير على بقية الدول العربية التى حذت حذوها.

(ب) ومع قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر، حظيت الثورة بتأييد الولايات المتحدة، بينما تخوفت الدول الاشتراكية من أن تكون الثورة أداة تمكين النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط، وقد طور هذا الموقف السوفيتى والإجراءات الأمنية الشديدة التى اتخذتها الثورة حيال القوى الماركسية الشديدة واليسارية وقياداتها العمالية.

ولعل هذا الموقف السوفيتى هو الذى أدى إلى استمرار الدعم الأمريكى لثورة يوليو المصرية وتقديم بعض المعونات الأقتصادية.

(جـ) ثم تغيرت المواقف وخاصة موقف الاتحاد السوفيتى

الذى وجد فى النزاع العربى الإسرائيلى عاملا لمنع وقوع الدول العربية داخل دائرة النفوذ الغربى، وقد تطور هذا الموقف مع الأزمة الأردنية الإسرائيلية عام ١٩٥٣ عندما بدأت إسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن مما يؤثر سلبيا على حقوق كل من الأردن وسوريا ولبنان.

وكانت مواقف الدول الغربية مائعة، أما الإتحاد السوفيتى فقد وقف إلى جانب القضية العربية.

(د) وفى تلك الفترة ظهر موقف غربى إيجابى بتوقيع بريطانيا معاهدة الجلاء مع مصر الثورة عام ١٩٥٤، وجلاء قواتها من قواعدها فى السويس خلال عشرين شهرا، وقد حظيت مصر بتأييد أمريكا وضغطها لكى تخرج بريطانيا من مصر لصالح استقرار المنطقة.

(هـ) إلا أن الأمور لم تواصل سيرها المأمول بعد الجلاء البريطانى على النحو الذى شرحناه من خلال ماتم حول حلف بغداد، وصفقة الأسلحة التشيكية، وسحب تمويل أمريكا والغرب لمشروع السد العالى، وقيام مصر بتأميم قناة السويس.

فى خلال ذلك كله كانت القومية العربية - بفضل جهاد جمال عبد الناصر - تتصاعد فى المنطقة تصاعدا جعل حلف بغداد كما جاء فى مذكرات الرئيس «ايزنهاور» ينظر إليه من معظم الشعوب العربية

على أنه ليس خطوة لحماية المنطقة من النفوذ الروسى، لكنه مكيدة لتقوية النفوذ البريطانى الذى كان قد أخذ يتهدد بالتلاشى. دليل ذلك أنه عندما طلبت بريطانيا من الأردن الانضمام إلى الحلف. انتفض الشعب الأردنى انتفاضة عنيفة أدت إلى إسقاط ثلاث حكومات فى خلال شهر من الأزمة، وإلى إشعال النار فى المركز الفنى الجوى الأمريكى فى عمان وقذف القنصلية الأمريكية فى القسم العربى من القدس بالحجارة.

وعلى أثر ذلك عزل الملك حسين الجنرال جلوب المستشار البريطانى القديم. فعاد البريطانيون يطلبون من الولايات المتحدة الانضمام إلى الحف. ويقول الرئيس «ايزنهاور» فى هذا الصدد: «لم يبد منطقيا انخراطنا فى الحلف رسميا من غير أن نعطى ضمانا لحماية اسرائيل. ولو فعلنا ذلك لكنا قد طردنا العراق خارجا.

كذلك عارضت الهند الانضمام إلى الميثاق، وقد قال «نهرو» فى تبرير ذلك: إن للهند والصين حدودا مشتركة طولها ألف وثمانمائة ميل، وأن أية محاولة دفاعية عن هذه الحدود الطويلة ستكلف ثمنا باهضا، مما يجعل الهند عاجزة عن رفع مستوى معيشة شعبها، فالمجاعة والمرض سيجعلان الهند أكثر تعرضا للخطر من التغلغل الخارجى».

وهكذا وقفت الهند بجانب مصر فى معارضة الأحلاف ورسم طريق جديد فى السياسة الدولية عرف بسياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى.

(و) وهناك عوامل أخرى وقعت فى عام ١٩٥٦، ففى ٣٠ مايو وقع عبد الناصر والملك حسين معاهدة دفاع لمدة خمس سنوات،

ومثل اتفاقية ٢٤ أكتوبر التى وضعت القوات المدرعة الأردنية تحت القيادة المصرية، وكان الاتفاق مفاجأة، بعد الحزازيات والمشاحنات بين القائدين على الجانبين، فكان حسين يتهم عبد النصار بالجبن، وعبد الناصر يتهم حسين بأنه حول بلده إلى عاهرة للولايات المتحدة.

الفصل الرابع

العدوان الثلاثى والموقف الأمريكى .

المفهوم السياسى لليهو

١ ـ الأزمة :

بعد أن سحبت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والبنك الدولى عرض تمويل السد العالى، قام الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ .

وقد هدفت الدول الغربية إحراج مصر والتشكيك فى صلاحية اقتصادها، من وراء سحب وعرض التمويل.

وقد جاء سحب العرض بسبب صفقة الأسلحة التشيكية لمصر، ونمو تيار القومية العربية، وعدم تفهم الغرب لطبيعة أمانى الشعوب العربية، وكانت اللعبة هى استخدام الضغوط ـ استخدمها الغرب واستخدمتها مصر ـ ونشأ عن الموقف كله أزمة تتطلب الحل.

وقامت محاولات كثيرة لحل المشكلة وتعديل شكل إدارة القناة بما فى ذلك محاولة تأسيس هيئة المنتفعين التى أقدمت عليها بريطانيا وفشلت فى ذلك، فأحيلت الأزمة إلى مجلس الأمن، الذى أقر فى ١٣/١٠/١٩٥٦ ، ستة مبادئ حول هذه الأزمة وهى:

(أ) أن تكون حرية العبور مكفولة لكل الدول دون تمييز.

(ب) احترام السيادة المصرية على القناة.

(جـ) عزل إدارة القناة عن السيادة القومية لأية دولة.

(د) يتم تحديد رسوم المرور باتفاق بين مصر ومستخدمى القناة.

(هـ) يخصص نصيب من الرسوم لتحسين أحوال الملاحة فى القناة.

(و) فى حالة النزاع يحال الأمر إلى التحكيم.

وبدلا من السير فى إجراءات المفاوضات وفقا للمبادئ الستة التى أقرها مجلس الأمن، ومعظمها إن لم تكن كلها فى صالح مصر، قامت كل من بريطانيا وفرنسا بالتنسيق - وتحريض - مع إسرائيل التى هاجمت مصر فى ١٩٥٦/١٠/٢٩، وهنا جاءت الحلقة الثانية بأن وجهت كل من بريطانيا وفرنسا إنذارا لمصر بدعوى أن الحرب المصرية - الإسرائيلية تعطل حرية الملاحة فى القناة، وقدمت أربعة مطالب لمصر على النحو التالى:

(أ) إيقاف العمليات العسكرية.

(ب) تراجع المتحاربين إلى عشرة أميال من قناة السويس.

(جـ) أن تقبل مصر احتلال قوات بريطانيا وفرنسا لمدن بورسعيد والسويس والإسماعيلية.

(د) يتم إقرار كل ذلك فى مدة أقصاها ١٢ ساعة.

وقد رفضت مصر الإنذار، واستمرت الأزمة فى نموها على الصعيدين الدولى والغربى.

(٢) العدوان:

(أ) بدء العمليات الحربية:

استاء «بن جوريون» من تأخر فرنسا وبريطانيا فى ضرب المطارات المصرية، فطلب من «ديان» أرجاع القوات الإسرائيلية، ولكن «ديان» لم يوافق لتوغل قواته فى سيناء.

وفى منتصف ليلة ٣٠/١٠ أنذرت كل من بريطانيا وفرنسا الطرفين بعدم الأقتراب من القناة فى حدود عشرة أميال. وفى٣١ /١٠ رفضت مصر الإنذار - كما كان متوقعا - أما إسرائيل فقد وافقت عليه لأنها لم تكن قريبة من القناة فى هذا الوقت، وفى عصر ذلك اليوم بدأت بريطانيا فى ضرب المطارات المصرية.

وفى ٣٠/١٠ اجتمع مجلس الأمن للنظر فى الاعتداء الإسرائيلى على سيناء ولكن حق «الفيتو» لكل من فرنسا وبريطانيا شل حركة هذا المجلس.

(ب) موقف ايزنهاور:

حاول ايزنهاور أن يبدو - بعد أن أدرك أن الدول الثلاثة تواطئوا من خلف ظهره - حفاظا على ماء الوجه، فطلب من «بن جوريون» بواسطة «جولدمان» أن ترجع إسرائيل إلى حدودها، بعد أن تم الغرض من القتال حيث كان «بن جوريون» يزعم أن هدفه هو القضاء على مراكز الفدائيين فى غزة وسيناء ومراكز الجيش المصرى فى خليج العقبة. وركز «ايزنهاور» على إنه بالرغم من المنافع الحالية من بريطانيا وفرنسا فإن مستقبل إسرائيل وقوتها

مرتبطان مع أمريكا. وبعث «أبا إيبان» إلى «بن جوريون» يقترح إعادة النظر فى علاقات إسرائيل مع أمريكا.

وفى ٣١/ ١٠ تلقى «بن جوريون» رسالة أخرى من «ايزنهاور» يطلب فيها من إسرائيل أن تسحب قواتها من سيناء، كما أذاع «ايزنهاور» فى اليوم نفسه خطابا فى التليفزيون قال فيه إن أمريكا لاتحكم على المرء بأسمه وميزاته بل بعمله وموقفه وكذلك تحكم على الأمم».

وأعلن «بن جوريون» أنه يهتم برأى أمريكا من أى رأى اخر، وليس المهم أن يستولى على المضايق وإنما المهم تأمين الملاحة حتى لو لم تكن إسرائيل موجودة هناك.

وأخذ «أيزنهاور» - بعد إعادة إنتخابه - بالرغم من تصويت يهود أمريكا ضده موقفه الحاسم مع إسرائيل، وهدد بإتخاذ إجراءات قاسية إذا لم تنسحب إسرائيل، وأتبع ذلك بخطاب تحدث فيه عن وجوب إنسحاب القوات المعتدية من الأراضى المصرية.

(جـ) موقف الاتحاد السوفيتى:

فى٥/١١ وجه «بولجانين» إنذارا لكل من فرنسا وبريطانيا بالكف عن العدوان، وفى رسالة إلى إسرائيل أتهمها بالتظاهر بالسلام بينما هى تعتدى على جيرانها وهدد باستخدام القوة، وأخذت التهديدات الروسية تزداد عنفا.

وفى موسكو قاطع سفراء حلف «الناتو» حفلات الأستقبال الدبلوماسية يومى ١٧و١٨ نوفمبر عندما هاجم «خروشوف» بصوت عال بريطانيا وفرنسا فى «الكرملين» فى أول مناسبة قائلا «إن إنجلترا

وفرنسا كانتا «قطاع طرق». وفى حفل سفارة بولندا قال أن حرب السويس شنها «الأمبرياليون وصنيعتهم» وأن هذه «العصابات الفاشية شكلوا جزءا من تمرد المجر» كما وجه «خروشوف» لسفير بريطانيا عبارة «سنقبرك» وتعنى أن الشيوعية السوفيتية ستعمر أطول من الرأسمالية الغربية.

(د) الموقف الإسرائيلى:

وعندما استشار «بن جوريون» فرنسا نصحته بالإنسحاب ووعدت ببذل المساعدة ضد تدخل روسيا، إلا أنه حاول أن يملى شروطا ويأخذ ضمانات، ولكن أمريكا رفضت الاصغاء للشروط والمطالب التى قدمها ومنها: وضع سيناء وشرقى القناة تحت إشراف الأمم المتحدة، ومرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس، وفصل قطاع غزة عن قضية سيناء كى لا يعود القطاع لمصر. إلا أن «بن جوريون» لم يتنازل عن مطلبين هما: حرية الملاحة فى خليج العقبة، والسيطرة على حدود غزة، وظلت إسرائيل فى غزة وسيناء حتى نهاية ١٩٥٧ حيث طلبت الأمم المتحدة من إسرائيل إخلاء المناطق المحتلة، وجاءت فرنسا بالحل الأخير وهو وضع قوات طوارئ دولية فى غزة ومضايق تيران، وفى ١٩٥٧/٢/٢ طلبت هيئة الأمم المتحدة من إسرائيل الإنسحاب التام من سيناء حتى خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ .

وفى أول مارس أعلنت «جولد مائير» فى الأمم المتحدة أن إسرائيل ستسحب قواتها، وفى الوقت نفسه أعلنت الدول البحرية أن مياه خليج العقبة تعتبر مياها دولية. وهكذا أنسحبت إسرائيل، وهكذا كان للتواطؤ ثلاث فوائد لإسرائيل:

١ ـ أظهر أهمية خليج العقبة للرأى العام العالمى مما جعل الدول البحرية الكبرى تعمل على جعل مياه الخليج مياها دولية تخدم مصالح إسرائيل.

٢ ـ أن الهجوم جعل مشكلة حماية إسرائيل من الفدائيين مشكلة عالمية.

٣ ـ أن الجيش الإسرائيلى لن يستطيع أن يسيطر على سيناء سيطرة فعلية إلا إذا قوى من ناحية العتاد والرجال وحماية الولايات المتحدة.

(هـ) إنشاء الأمم المتحدة لقوات الطوارئ

ولقد كان «أيزنهاور» يؤمن أن تأييد الولايات المتحدة حيوى للأمم المتحدة والتى هى حيوية لسلام العالم فى عصر الذرة. كما كانت قوة الطوارئ الدولية والضغط الأمريكى هما نقطة الارتكاز والذراع التى أرغمت القوات البريطانية والفرنسية أولا ثم الإسرائيلية من الجلاء عن الأراضى المصرية، وكان الهدف من وضع قوات الأمم المتحدة بين القوات الإسرائيلية والمصرية لمنع حوادث قد تؤدى لتصاعد العمليات، وكانت إسرائيل ترفض السماح لأى قوات طوارئ فى الأراضى التى تحت سيطرتها وبخاصة فى العوجة، كما كانت مصر ترفض أيضا أى تدخل لقوات أجنبية، وبهذا لم يكن هناك أمل للتغلب على مقاومة الإسرائيليين وشكوك المصريين.

وإزاء ما تقدم كان منطقيا أن تقود كندا ـ وبيرنز من رعايها ـ فكرة قوة السلام، وقد طلب همرشولد فى ٤ نوفمبر وضع خطة للقوة.

وقدم ممثلو كندا وكلومبيا والنرويج مشروع القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة بالتوافق مع توصيات «همرشولد» الذى أنشأ قيادة الأمم المتحدة لقوة طوارئ دولية لضمان مراقبة وقف التحرشات، وعين «بيرنز» قائدا لها وخول فى تعيين ضابط من مواطنى الدول غير دائمة العضوية فى مجلس الأمن، وبهذا استبعدت إنجلترا وفرنسا اللتين ارتكبتا العدوان وكذلك الاتحاد السوفيتى الغير مقبول من الولايات المتحدة. وقد حدد «همرشولد» مهمة قوات الطوارئ وصلاحيتها ولم يقصد بها ممارسة النفوذ على التوازن العسكرى فى الصراع الحالى، وأن هذه القوة لا يمكن الموافقة على تمركزها أو عملها داخل أراضى دولة دون موافقة حكومة هذه الدولة. وقد وصل «بيرنز» إلى القاهرة فى ٨ نوفمبر للاتفاق على قبول مصر لهذه القوات، وكانت صدمة له أن د. محمود فوزى وزير الخارجية وعبد الناصر لم يوافقا على القوة الكندية لتسميتها «حرس الملكة» مما شككهم أن تكون فى الحقيقة قوات بريطانية، وشعر أن عبد الناصر يخشى أن تستخدم هذه القوات لتدويل القناة إذا استمرت بعد رحيل البريطانيين والفرنسيين، إلا إذا تمركزت فى بورسعيد بين القوات المصرية والمتحالفة من ٢١ نوفمبر إلى ٢٢ ديمسبر عندما رحل آخر جندى بريطانى، وبعد ذلك تحركت قوات الطوارئ عبر سيناء حينما انسحب الإسرائيليون. وقد وصلت الدفعة الأولى من كولومبيا والنرويج من نابلس إلى مطار أبوصوير قرب الإسماعيلية وعلى نفس الطائرة وصل «همرشولد» فى مهمة لتكملة الترتيبات مع مصر، وتوصل إلى تفاهم مع عبد الناصر وفوزى على أن وجود قوات الطوارئ فى مصر مشروط بموافقتها، ولكن حينما تمارس مصر

حقوقها السيادية فى أى موضوع يتعلق بوجود ووظائف القوات ستسترشد بقبولها لقرار الجمعية العامة بإنشاء هذه القوات، كما وعد «هموشولد» نيابة عن الأمم المتحدة أن يسترشد بنفس القرارات وأكد من جديد الاحتفاظ بقوات الطوارئ حتى تكمل غايتها.

القسم السادس

دور الإعلام المصرى فى حرب ١٩٥٦

دور الإعلام المصرى
فى حرب عام ١٩٥٦

تمهيد :

الموقف العام

قامت ثورة ٢٣ يولية فى مصر والسودان والبلاد العربية والأفريقية دول محتلة.. ثم وقعت مصر اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ - والتى تم على أساسها جلاء القوات البريطانية بعد احتلال طويل منذ عام ١٨٨٢ - مصر تطالب شركة قناة السويس بحقوق مشروعة والشركة ترفض معتقدة أنها دولة داخل الدولة - مصر تطلب سلاح من الولايات المتحدة بعد هجوم إسرائيلى على غزة فى فبراير ١٩٥٥ . وترفض الولايات المتحدة - مصر تتجه لشراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا - مصر تتجه إلى باندونج ودول عدم الانحياز .

مصر تنادى باستقلال الشعوب العربية والأفريقية من إذاعتها - مصر تساعد ثورة الجزائر ضد فرنسا - مصر تطلب من الغرب

مساعدتها لإقامة مشروع السد العالى ـ ويرفض البنك الدولى مساعدة مصر.

مصر تعلن فى ٢٦ يوليو تأميم شركة قناة السويس وتعلن تعويض المساهمين وتضمن حرية الملاحة فى قناة السويس ، مستندة إلى معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ وأن القناة مصرية فى أرض مصرية.

بدأت معارك سياسية بين مصر وفرنسا وانجلترا ثم حدث تواطؤ بين إسرائيل وفرنسا وإنجلترا وتم الهجوم من دول العدوان الثلاثى اسرائيل، إنجلترا، فرنسا .

الإعلام المصرى يشرح القضية للرأى العام العالمى والعربى والداخلى، ونجح فى تأدية دوره الوطنى.

خلاصة الموقف السياسى:

ـ المصريون مصممون على التخلص من الاستعمار.

فرنسا مصممة على إبقاء سيطرتها على القناة . المملكة المتحدة مصممة على العودة إلى احتلال مصر .

الولايات المتحدة تريد استبعاد فرنسا والمملكة المتحدة من الشرق الأوسط والحلول محلها .

الاتحاد السوفيتى يريد استبعاد كل الغربيين من المنطقة والوصول إلى البحار الدافئة لنشر نفوذه .

مصر تصر دائما على أن شركة قناة السويس شركة مصرية وأن القناة لمصر وليست مصر للقناة ـ هناك تآمر استعماري يريد نشر نفوذه في الشرق الأوسط.

أهمية دراسة تجربة اعلام ١٩٥٦ :

١ ـ أمر حيوى من أجل مستقبل مصر، لأن مايحدث للقناة أو حولها ومايؤثر على أمنها واستمرارها وتطورها سيستمر هذا الموضوع لأن التجارة العالمية تنمو حاليا ومستقبلا وأن البترول فى هذه المنطقة له أهمية كبرى لدول العالم.

٢ ـ إنها تجربة اعلامية ناجحة واجه فيها الإعلام المصرى إعلام ثلاث دول ـ إسرائيل وفرنسا وانجلترا ـ وأعلن «بن جوريون» بعد انتهاء العدوان وانسحاب الدول الثلاثة من الأراضى المصرية .. لقد انتصر علينا الإعلام المصرى ـ وأعلن إيدن .. لقد أنفقنا ٢٥ مليون جنيه استرلينى على الدعاية البريطانية ولكن للأسف انهزمنا أمام الإعلام المصرى.

الخطوات التى اتبعها الإعلام المصرى:

١ ـ الالتزام بالصدق والموضوعية وسرعة الرد.

٢ ـ كان أمامه ١٢ محطة سرية معادية لتشتيت الرأى العام المصرى وتأليب الرأى العام العالمى ضد مصر.

٣ ـ أقام الإنجليز محطة إذاعة الشرق الأدنى فى قبرص ، ولكن أمكن للإعلام المصرى أن يصفى هذه المحطة وأغلقت بعد أن أعلنت

إذاعة القاهرة أن أى عربى يعمل فى هذه المحطة، فهو من أعداء الأمة العربية، وأن إذاعة مصر تفتح أبوابها لكل المذيعين العرب بها فانسحب المذيعين العرب وانضموا لإذاعة مصر.

٤ ـ كشف الإعلام المصرى التواطؤ الذى حدث سرا بين «ايدن وجى موليه» «وبن جوريون» على أساس خطة عدوانية ضد مصر. والخطة هى أن إسرائيل تهاجم مصر عبر سيناء وأن فرنسا وبريطانيا بعد أن تتيح للقوات الإسرائيلية الوقت الكافى للاستيلاء على سيناء توجهان أمرا إلى الجانبين لسحب قواتهما من قناة السويس للسماح لقوة بريطانية فرنسية أن تتدخل وتحتل القناة بزعم انقاذها من التدمير بسبب القتال ـ وهكذا تتمكن الدولتان من الادعاء بأنهما إنما «يفصلان بين المتحاربين» ويطفئان نارا خطيرة ـ بينما يسيطران فى حقيقة الأمر على الممر المائى وعلى ميناءيه من الطرفين بورسعيد والسويس.

٥ ـ كشف الإعلام المصرى هذا التواطؤ وخصوصا أن الرأى العام العالمى كله كشف أسلوب فرنسا وانجلترا بأنهما منحازتان وليسا كما يدعيان لا يوجد اتفاق مسبق بينهما ، وهذا التواطؤ خداع وعمل ضد ميثاق الأمم المتحدة.

٦ ـ بعد تأميم شركة قناة السويس كانت دول العدوان الثلاثى تكسب وقتا للاستعداد الحربى والتظاهر بالمفاوضات السلمية. كما أن مصر كانت تعمل على أن يقوم الإعلام المصرى بشرح القضية للعالم وكسب الرأى العام العالمى تحسبا لأى هجوم من الدول الثلاثة. وقد تم الهجوم على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

٧ ـ كان هناك خطوة إعلامية لمصر قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة وضعها الدكتور محمد عبد القادر حاتم [١] اعتمد فيها الإعلام المصرى (مصلحة الاستعلامات) على التخطيط العلمى.

٨ ـ كانت هناك مؤتمرات صحفية تعقد يوميا لشرح الموقف المصرى.

٩ ـ صدرت آلاف المطبوعات والصور عن الهجوم الثلاثى على مصر وضرب المدنيين والمساجد والكنائس.

١٠ ـ استخدمت أناشيد وطنية حماسية رفيعة بلا تشنج ولا عصبية كما استخدم نشيد «الله أكبر فوق كيد المعتدى».

١١ ـ لما سحبت الدول الغربية المرشدين من شركة قناة السويس المؤممة أعلنت مصر عن حاجتها لمرشدين ولكن لم ينشر الإعلان إلا فى صحيفة واحدة بريطانية «المانشستر جاردن» حيث رفضت الصحافة الفرنسية والانجليزية نشر الإعلان.

واستثمر الإعلام المصرى الموقف ضد أجهزة الإعلام الاستعمارية.

١٢ ـ أعلنت أجهزة الإعلام المصرى أن اتفاقية القسطنطينية تتضمن حرية الملاحة وليس وضعا دوليا .. وأن المادة ١٦ تقر بأن الشركة مصرية تخضع للقوانين المصرية .. أن التأميم لشركة مصرية هو عمل من أعمال السيادة ـ وأن محاولة الدول

(١) الدكتور محمد عبد القادر حاتم رائد الإعلام العلمى فى العالم العربى دون منازع.

الاستعمارية إقامة لجنة دولية لإدارة القناة ماهو إلا استعمار جماعي.. وإذا كانت الدول الاستعمارية قد اعتقدت بأن موقفها قوى وعادل فلماذا الحصار الاقتصادى والتهديدات العسكرية ضد مصر إن التأميم لم يؤثر على حرية الملاحة .. إن مصر لا تحضر أى مؤتمر دولى يؤثر على سيادتها.

١٣ ـ استثمر الإعلام المصرى جيدا ـ استقالة انطونى نانتج الوزير البريطانى احتجاجا على سياسة رئيس الوزراء البريطانى.

١٤ ـ قام الإعلام المصرى بتحليل علمى للرأى العالمى فى كل دولة مبينا المعارضين للاعتداء على مصر ـ القوى المؤثرة فى الرأى العام الداخلى ـ الطوائف الإسلامية ـ الجاليات العربية ـ أحزاب المعارضة فى الدول المعتدية ـ إرسال الوفود المصرية التى قامت بشرح الموقف لدول العالم.

١٥ ـ أنشئت وكالة أنباء الشرق الأوسط وذلك قبل العدوان لتقف أمام الوكالات العالمية.

١٦ ـ قام جهاز الإعلام المصرى بكشف كل أكاذيب العدو وكان الرد سريعا.

١٧ ـ لم يخف الإعلام المصرى شيئا عن الرأى العام المصرى فقد استحدث برنامج «أكاذيب وحقائق» يذاع يوميا ليفند كل ماتذيعه ادعاءات محطات الاعداء.. ويرد عليها بالحقائق.

١٨ ـ كان الإعلام المصرى يستخدم أسلوبا واحدا فى إعلامه فلم يكن هناك استهلاك خارجى واستهلاك محلى.

١٩ ـ أنشأت مصلحة الاستعلامات معهدا علميا للرأى العام وكذلك معهد لتدريب رجال الإعلام بها ولذلك نجح جهاز الإعلام المصرى بواسطة خطته ورجاله الأكفاء والتنظيم الجيد.

٢٠ ـ رد الإعلام المصرى على مندوب انجلترا فى الأمم المتحدة القائل باستسلام مصر فلماذا بالانسحاب؟ وهكذا كشف الإعلام المصرى كذب المندوب البريطانى عندما اتصل بالمستشار الإعلامى المصرى فى نيويورك هاتفيا الذى كذب خبر الاستسلام.

٢١ ـ المصور العالمى اندرسون الهولندى.المحايد ـ الذى نقل الصور عن بورسعيد للقاهرة عبر قبرص والتى تصور هدم المساجد والكنائس والجرحى من الشيوخ والأطفال والنساء .. ثم طبع مجلة Scribe المصرية وكلها صور تفضح العدوان الثلاثى على مصر وإرسالها إلى زعيم المعارضة البريطانى جيتسكل فى مجلس العموم.

٢٢ ـ قام الإعلام المصرى برفع شعار «ارفعوا أيديكم عن مصر» على ملصقات .. وزعت على كل بلاد العالم من الصين حتى الولايات المتحدة مع تنظيم مظاهرات تندد بالعدوان على مصر.

٢٣ ـ حينما نزلت القوات المعتدية على بورسعيد ـ لم تخفيه الإذاعة المصرية بل أذاعته بطريقة صادقة وعلمية ثم أبرزت مقاومة الشعب المصرى لهذه القوات.

٢٤ ـ حينما ضرب العدو محطة إرسال صوت العرب قام جهاز

الإعلام بتجهيز إذاعة بديلة فورا والإيحاء لإذاعات الدول العربية بأن تقول أنها إذاعة صوت العرب ،وكذلك تم عمل إذاعات سلكية فى الميادين لإذاعة الأناشيد والبيانات العسكرية.

٢٥ ـ كانت هناك لأول مرة فى مصر قوافل للاستعلامات تطوف كل قرى مصر لتذيع المواد الإعلامية.

٢٦ ـ نشطت الإذاعات الموجهة المصرية بكل اللغات (وعددها ٣٤ لغة) فى شرح العدوان الثلاثى على مصر.

٢٧ ـ لم تستخدم الإذاعة وجهاز الإعلام أى شتائم ضد دول العدوان .. بل شرح كيف يريد االاستعمار العودة وأن شعب مصر لن يسمح له بأن يعود أبدا.

٢٨ـ كان هناك جهاز لتحليل كل الدعاية المضادة والاشاعات المضادة .. ويقوم بالرد الموضوعى عليها بالموضوعية والفورية المطلوبة.

٢٩ ـ استغل جهاز الإعلام المصرى انسحاب دول العدوان وكذلك سقوط جى موليه وايدن وبن جوريون على إعتباره نصر للعرب جميعا وبذلك ارتفعت هيبة مصر أمام العرب.

٣٠ ـ كان هدف جهاز الإعلام المصرى طوال المعركة وبعد المعركة جمع كل الشعوب العربية لتقف فى وحدة تامة من أجل استعادة حقوق العرب ووحدة العرب.

الخلاصة:

١ ـ أهمية دراسة التجارب الناجحة للإعلام المصرى لتكون حافزا وتراثا حضاريا يجب أن تتعلمه الأجيال القادمة بصفة عامة ورجال الإعلام بصفة خاصة ـ وكذلك تجارب الإعلام الخاطئة لمعرفة السلبيات وتجنبها.

٢ ـ إن جهاز الإعلام المصرى يمكنه إذا ما توفر له القيادة الرائدة والخبراء الأكفاء والامكانيات فإنه قادر على تحقيق أهدافه.

٣ ـ إن نجاح الإعلام المصرى فى معركة إعلام حرب السويس أمام أجهزة الدعاية الاستعمارية كان أساسه الدخول فى معركة مركزة لأن القضية عادلة فضلا عن التخطيط الإعلامى الجيد.

٤ ـ يلزم أن ينبه الإعلام المصرى بصفة مستمرة الأجيال القادمة أن مصر وقناتها كانت وستظل مطمعا للطامعين وهدفا للمستعمرين .. كما كانت على مر العصور والأزمان .. وحججهم لا تنتهى .. الشرق الأوسط منطقة البترول ـ قناة السويس شريان عالمى ـ من يسيطر على مصر يسيطر على البحرين الأبيض والأحمر ـ وكذلك يسيطر على البلاد العربية، فمصر قلب العالم العربى ومفتاح أفريقيا وموقعها استراتيجى عالمى.

دحض حجج المستعمرين.

قام جهاز الإعلام المصرى بدحض حجج المستعمرين التى كانت ترى:

١ ـ بأن منطقة الشرق الأوسط هى منطقة فراغ .. يجب احتلالها ـ كأنه لا يوجد بها شعب.

٢ ـ أن هذه المنطقة يجب أن ترتبط بأحلاف ويلزم وجود قواعد عسكرية بها.

٣ ـ أن هذه المنطقة يجب ألا تكون غير محايدة أو غير منحازة فالحياد فى رأيهم لا يعنى الحياد بين الصواب والخطأ أو بين ما هو لائق أو ماهو غير لائق ـ بل يعنى الحياد بين القوات العسكرية المتحاربة أى ليس من حق أى دولة أن تبدى عدم اكتراث بمصير دولة أخرى.

٤ ـ ترى بعض الدول الكبرى أن النظام السياسى فى هذه المنطقة عليه أن ينفذ أيدلوجية معينة ـ وترغب بعض الدول الكبرى أن تتبع هذه المنطقة الأيدلوجية التى تراها هذه الدولة وليست التى يراها شعب هذه المنطقة.

٥ ـ رغبة بعض الدول الكبرى أن تبقى كل دول هذه المنطقة فى حجمها ولا تتعداه حتى لا تقيم وحدة أو تحالف مع أى دولة أخرى.

وهكذا يجب أن تعتمد مصر ذاتيا بعد الله على قوتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا معتمدة على سلاحين أساسيين، القوات المسلحة القوية وسلاح الإعلام الكفء.

القسم السابع

تقييم بعد حرب السويس

الفصل الأول:

وجهة النظر الغربية

الفصل الثانى:

مكاسب مصر وإسرائيل

الفصل الثالث :

الأوضاع فى إسرائيل بعد حرب السويس

الفصل الرابع :

الموقف الأمريكى بعد حرب السويس

الفصل الأول

وجهة النظر الغربية

وجهة النظر الغربية

من الأهمية بمكان معرفة آراء الآخرين بالنسبة لمجريات الحرب ونتائجها وخاصة إذا تضمنت آراء ومعلومات موضوعية، على النحو التالى:

(أ) انتهت الحرب التى خطط لها «بن جوريون» طويلا للفوز بممرات مائية ومزيد من الأرض، والتى حلم بها «موليه» لمفتاح النصر فى الجزائر، والتى بارز بها «إيدن» شخصياً وظاهريا على عبد الناصر لتسوية حساب القناة ولتحطيمه فى الواقع، ولقد حقق «بن جوريون» غايته، ولكن فرنسا لم تكسب ولم تخسر، وإيدن مع دلاس مناضلاً من أجل نهاية القناة - حلقوم عبد الناصر.

كان أيزنهاور هو الذى وضع نهاية للحرب، وضعف دور الأمم المتحدة وكل قادر على التدمير بأسلوبه ، وكان أيزنهاور لايرى صعوبة فى إخراج انجلترا وفرنسا، لكن كان الأكثر صعوبة فيما بعد إخراج الإسرائيليين، إلا أن مسلك الشدة والصلابة معهم أجبرهم على الموافقة فى النهاية بالجلاء.

وقد كان واضحا أن عبد الناصر قد خسر الحرب، ولكن فى نفس الوقت إزدادت قوته فى مصر وفى العالم العربى وكمتحدث لأفريقيا وآسيا.

وكانت أوامر عبد الناصر بالأنسحاب سببا فى عدم الدفاع عن «أم كتاف» وممر متلا، وكما قال «ديان» أن القصف الجوى البريطانى الفرنسى حقق التحكم الكامل لهم فى الجو، وجعل انسحاب المصريين بالقليل من معداتهم فضيحة وعاراً عسكريا، ففى حربى سيناء والسويس كانت لإسرائيل ميزة لا تنكر وهى أن تضرب أولاً، وميزة أكبر فى حرب الصحراء أن تقضى على القوات الجوية المصرية، وقد أصبح الموقع المحصن الوحيد «شرم الشيخ» فى أيدى الإسرائيليين.

وتعكس الخسائر مجرى الحرب، فقد أعلن الجيش الإسرائيلى فى ١٩ نوفمبر أنه فقد مائة وواحد وتسعين قتيلاً وأسير واحد، وطيار أطلق عليه النار فى شرم الشيخ، ومن بين القائمة ثلاثين ضابط وهى نسبة عالية وكان من بينهم الكولونيل «سمحونى» قائد كل العمليات فى سيناء ومساعده المقدم «آشردروم» والذى أطلقت عليه المدفعية الأردنية بالقرب من عجلون - جبل شرقى نهر الأردن - وكانت طائرته قد ضلت الطريق من إيلات إلى تل أبيب، وكانت الأوراق والمذكرات التى وجدت فى حطام الطائرة تحتوى على الأمر الإسرائيلى بالمعركة إلى جانب انتقاد صريح لديان والعمليات الإسرائيلية، وقد نشر عبد الناصر نسخا من مذكرات «سمحونى» مع تحليلاته هو شخصياً عن حملة سيناء فى مجلة «أخر ساعة» بتاريخ ٥ ديسمبر والتى ذكر فيها «سمحونى» بأن الهجوم الجوى المصرى على

المحاور الجنوبية كان عنيفا إلى الدرجة التى لم تمكن الإسرائيليين من نقل جرحاهم، وكان واضحا التذمر من تضارب الأوامر وعدم التنسيق وغياب «ديان» عن مقر القيادة.

أما خسائر البريطانيين فكانت ستة عشر قتيلا وستة وتسعين جريحاً. بينما فقد الفرنسيون عشر قتلى وثلاثة وثلاثين جريحاً، وكان الإنجليز والفرنسيين قد وضعوا اثنين وعشرين ألف رجل (ثلاثة عشر ألفا وخمسمائة بريطانى وثمانية آلاف وخمسمائة فرنسى)، وأربعة آلاف وأربعمائة سيارة حربية فى بورسعيد وبور فؤاد.

أما خسائر المصريين فلم يعلن عنها رسميا، أما الأسرى لدى الإسرائيليين والبريطانيين والفرنسيين فكان ستة آلاف معظمهم من الحرس الوطنى والفلسطينيين من غزة، وقد تم تبادل الأسرى تحت إشراف الأمم المتحدة فى ٢١ يناير١٩٥٧ . وقد أعادت مصر طيار إسرائيلى وثلاث أسرى تم أسرهم خلال اشتباكات الحدود عام ١٩٥٥ .

واختلفت الأرقام فى الروايات المتعددة عن عدد القتلى من المصريين فى المعركة، كما سجل المصريون الكثير من أعمال الإسرائيليين الوحشية والهجمات الجوية على المستشفيات وقطارات الجرحى وعربات الإسعاف بالصواريخ والنابالم. كما وجد عمال مصريين معلقين على أعمدة التلغراف ما بين القنطرة والعريش، هذا إلى جانب ما أطلق عليه «مجانين المعركة» أى من أصيبوا بالجنون من ويلات الحرب وحزنا على أولادهم.

وقد أقام المصريون نصبا تذكاريا لقبر الشهداء فى ميدان البلدية فى بور سعيد، كما تحدد يوم ٢٣ ديسمبر الذى تحررت فيه بور سعيد أصبح «عيد النصر» ويأتى الثانى فى الأهمية بعد عيد الثورة» فى يوليو.

وكان تكتيك «بن جورين» واضحا فركز معركته السياسية للاحتفاظ بالامبراطورية الجديدة التى كسبها بالسلاح، وتعامل مع سيناء كجزء تاريخى من إسرائيلى وعزمها على البقاء فيها، وأبلغ «الكنيست» أن العمليات حددت على منطقة شبه جزيرة سيناء، وأن اتفاقية الهدنة مع مصر قد ماتت ودفنت ولن تبعث للوجود، كما أن الحدود بين مصر وإسرائيل قد توارت.

(ب) وكان أن صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بانسحاب كل القوات الإسرائيلية فورا من خلف خطوط الهدنة، وكان صوت إسرائيل هو السالب الوحيد ضد القرار، كما امتنعت بريطانيا وفرنسا عن التصويت.

وبالنسبة لقوات الطوارئ التابعة أعلن «بن جوريون» «إن إسرائيل لن تقبل تحت أى ظروف لأى قوات أجنبية مهما كانت تسميتها أن تتمركز فى أراضيها أو أى أراضى تحتلها إسرائيل حالياً».

واستمر «بن جوريون» فى مغالطاته بادعائه أن سيناء صحراء أجنبية بالنسبة للمصريين وأن «تيران» حررها الجيش الإسرائيلى وأن أزمة السويس التى تفجرت منذ شهور مضت وسببت غضبا اجتاح كل العالم وجرتنا إليها، بل كان مخططا لها منذ أن انتهك حقنا فى

حرية الملاحة بطريقة همجية من جانب الحكام المصريين، ومن أجل اقتصاد ومستقبل إسرائيل فإن حرية الملاحة فى البحر الأحمر من وإلى إيلات ليست أقل أهمية بل ربما أكثر من حرية الملاحة فى السويس.

وقد كان عبد الناصر يعلن دائما أنه فى حالة حرب مع إسرائيل ولم يخفى هدفه الأساسى وهو الهجوم على إسرائيل وإزالتها من الوجود فى أول فرصة، وأجادت إسرائيل استغلال هذه التصريحات العدائية المتكررة.

(جـ) ونشرت «جيروزاليم بوست» وهى الصحيفية الرسمية لحزب «الماباى» حزب «بن جوريون» فى ٧ نوفمبر تاريخ شبه جزيرة سيناء وتفند السيادة المصرية عليها، وأن محمد على أخذ جزءا منها من تركيا عام ١٨٤٠ كمنطقة عازلة فى مقابل انسحاب مصر من سوريا وفلسطين، ولم تحدد هذه الحدود لكنها معروفة وتبدأ من العريش حتى السويس، والتى تركت معظم الأرض فى فلسطين فيما عدا مثلث صغير تمتلكه مصر فى الشمال الغربى. وكانت اتفاقية الحدود البريطانية التركية عام ١٩٠٦ والتى ظلت مقبولة للجميع فيما عدا إسرائيل، وأن بريطانيا قد منحت العريش لهرتزل عام ١٩٠٢ كعرض لمستوطنة صهيونية، ولو أتيحت الفرصة لإسرائيل أن تعيد لشبه الجزيرة المهملة مجدها بزارعتها لتتطور مثل ما فعلت فى أراضى الآباء.

وقد وصلت أحاديث «بن جوريون» المتمردة إلى أيزنهادر فى

خضم محادثاته مع «إيدن» الذى كان يأمل فى الاحتفاظ ببور سعيد على الأقل للمساومة عليها مقابل بعض التنازلات من مصر بقدر ما يستطيع، وقد أبرق أيزنهاور إلى «بن جوريون» بأن الولايات المتحدة تنظر لموقفه بقلق شديد وأن إسرائيل تنسف جهود الأمم المتحدة بهذه السياسة التى لن تؤدى إلا إلى إدانة إسرائيل.

وكانت هذه الرسالة الصارمة والتى بلغت حد الأضرار بالعلاقات بين بلديهما قد أزعجت «بن جوريون»، كما بعث «ميشيل بارزوهار» من هوفر برسالة مماثلة إلى «جولدا مائير» حددت احتمالات فرض عقوبات اقتصادية ضد إسرائيل، واتجاه كبير فى الأمم المتحدة لطردها. كما توالت الرسائل الشفوية من واشنجتن تحذر من أن التعنت الإسرائيلى سيمنعَ الغرب من معارضة التدخل الروسى المحتمل كمتطوعين. واجتمعت حكومة «بن جوريون» مرتين للتوصل إلى صيغة تسترضى أيزنهاور دون التسليم، ورد عليه فى ٨ نوفمبر بأن إسرائيل لم تخطط أبدا لضم صحراء سيناء وأنها ستعمل طبقا للترتيبات المرضية مع الأمم المتحدة فيما يتعلق بالقوة الدولية، التى تدخل منطقة قناة السويس. وأنها راغبة فى سحب قواتها. ولم يكن مصادفة أن يقول «بن جوريون» أقل مما يزعم قوله، فقد قصد أن دخول قوات الطوارئ فقط إلى منطقة القناة التى كانت تحتلها بريطانيا وفرنسا. وكان غامضا غير صريح عن انسحاب القوات، لم يقل من أين أو إلى أى مدى الانسحاب ودون الإشارة إلى انسحاب البوليس أو العناصر الأخرى من احتلال السيطرة، كذلك صيغة أخرى مشابهة حددت مدى سيطرة إسرائيل على العوجة منزوعة السلاح من الاحتفاظ ببعض ثمار انتصاره. وبعد ساعات من

تأكيداته الصورية لأيزنهاور أدلى «بن جوريون» بتأكيد متضارب أذاعة الراديو على الشعب، قال إن لإسرائيل ثلاثة أهداف رئيسية فى عملية سيناء، وهى: تدمير كل القوى التى حاولت طوال الوقت من قهر وتهديد إسرائيل، وتحرير هذا الجزء من الوطن الذى احتله الغزاه. وضمان حرية الملاحة فى مضايق إيلات وأيضاً فى قناة السويس. ولو أن الهدف الأول قد تحقق، لكن سيتحقق الهدفين الآخرين بالكامل فالصراع لم ينته بعد، وقد قال «بن جوريون» «إن قرار الانسحاب كان أقسى ما آلمه فى حياته».

أما «مناحم بيجين» فقد قال فى مناقشة بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٧ أن لا الشئون الخارجية بالكنيست أو لجنة الأمن علمت كيف أو ماذا حدث بين ٧ و ٨ نوفمبر الذى أدى إلى أن توافق الحكومة على الأنسحاب.

وقد أبرقت إسرائيل «لهمرشولد» فى ٨ نوفمبر أنها ستسحب قواتها من مصر متى توصلت إلى ترتيبات مرضية فيما يتعلق بقوات الطوارئ الدولية. وكان «بن جوريون» قد حذر دون جدوى «دالاس» أن الانسحاب يعارضه كل الشعب الإسرائيلى والذى قد يؤثر على الناخبيين اليهود فى الولايات المتحدة، ولم يأبه «أيزينهاور» بهذا النوع من الضغوط والتهديد وفى عام الانتخابات، وقد جاءته اتصالات من نيويورك وغيرها بأنه سيفقد أصوات اليهود، لكنه كان مقتنعاً بأنهم أمريكيون قبل أن يكونوا يهود، وعلى العكس فقد زادت شعبية «أيزنهاور» لموقفه فى أزمة السويس وفاز على منافسه «أدلاى ستيفنس» بأغلبية كبيرة.

وعلى نقيض إذاعة أنباء الحرب دقيقة بدقيقة، أجل الروس إعلان نبأ قرار وقف إطلاق النار لمدة أكثر من أحد عشر ساعة عندما أدعى معلق أن روسيا قد فرضت وضع نهاية للقتال، وكانت دمشق هى العاصمة العربية الوحيدة التى أيدت هذا الأدعاء.

(د) كان وقف إطلاق النار غير مستقر، وكان القواد البريطانيون والفرنسيون يرغبون بشدة فى استئناف القتال، وكان المصريون يستفزونهم بالأعيرة النارية المتواصلة عبر بحيرة المنزلة بواسطة عمليات فدائية. وتبارى القواد البريطانيون والفرنسيون فى سرد إمكاناتهم لاحتلال أية مواقع سواء فى الكاب أو القنطرة وبورسعيد وغيرها لو كان لديهم الأذن بذلك.

وكان شاغل «إيدن» الأول بعد وقف إطلاق النار أن يستعيد موقعه وبريطانيا فى التحالف الغربى.

وقد اتصل تليفونيا بأيزنهاور فى ٧ نوفمبر مقترحا أن يطير و«موليبه» إلى واشنجتن فوراً ولمناقشات كاملة معه، ولم يرحب «أيزنهاور»، لكن كانت هناك اتصالات بين «أيزنهاور» و«إيدن» والأخير مع «موليبه» لإحترام قرارات الأمم المتحدة والأنسحاب، وتأجل اجتماعهم حتى تمتثل بريطانيا وفرنسا لقرار الأم المتحدة.

وكان على عبد الناصر بعد الحرب أن تقوم سياسته على استعادة الأراضى المصرية التى احتلتها إسرائيل، وأن يوضح للأمريكيين أنه لم ولن يكون تابعا للروس، وقد أكد عبد الناصر للسفير الأمريكى أن مصر ناضلت لسنوات عديدة لطرد المحتلين منها ولا تعتزم إعادة

التجربة، وأنه لا يثق في أى قوى كبرى، وكان «بولجانين» قد اقترح على «أيزنهاور» إرسال قوات ضد الغز البريطانى/ الفرنسى .

(هـ) وكان من نتائج العدوان الثلاثى أن قويت وحدة العرب ولم تكتسب بريطانيا وفرنسا إلا كراهية العرب لهما وضياع هيبتهما واحترامهما. وقد أذاع عبد الناصر عقب صلاة الجمعة من الجامع الأزهر أن كلا من الروس والأمريكيين قد عملا لوقف الحرب أى أن قوتين عظميين وقفتا إلى جانبنا، كما عبر عن إقراره بالفضل لقادة سوريا والأردن والسعودية الذين طالبوا بالسماح لهم بدخول الحرب، وإن تحبيذ مصر للسلام لا يعنى الاستسلام، لقد فرضت الحرب على مصر لأن الأمبريالية أرادت أن نكون توابع لها، موضحا أنه طالما يوجد جندى أجنبى واحد فى مصر فلن يبدأ تطهير وإصلاح القناة لأن ذلك سيؤثر على خطتنا للدفاع ضد العدوان.

كما أعلن عبد الناصر فى ٢١ نوفمبر عن سياسته الخارجية ردا على الإدانة المستمرة وبإصرار وخاصة من جانب بريطانيا وإسرائيل بأن مصر والأتحاد السوفيتى يتآمران ليصبح الشرق الأوسط مرتعاً للشيوعية، وأنه يقطع على نفسه عهدا ألا يصبح عميلا أو تابعا لأى جهة، فكما أن مصر مصممة على الاستقلال السياسى فإنها مصممة على استقلالها العقائدى (الأيديولوجى) عن كل العقائد الأجنبية مثل الماركسية والعنصرية والأمبريالية والاستعماروالإلحاد، وإن مصر بموقعها الجغرافى مقتنعة بالحاجة إلى التعاون الدولى، وقد عاهدت نفسى أن ألتزم بالقانون الدولى القائم حالياً، ونفى أن تكون هناك

أطماع بتأسيس إمبراطورية عربية، وكل تطلعاتنا للديمقراطية والتقدم الاقتصادى.

إن الوطنيـة والقوميـة والحياد لهـا جذورها فى التـفكير السياسى المصرى منذ عهد بعيد قبل الثورة، بل أن عبد الناصر نفسه لم يتبنى الحياد إلا عام ١٩٥٥ أى بعد ثلاث سنوات من الثورة.

ولسوء حظ عبد الناصر أن «واشنجتن» كانت تحت ضغوط داخلية وخارجية لأتباع سياسة نحو العالم العربى بصفة عامة ومصر بصفة خاصة، ضغوط الصهاينة فى الداخل، والحرب الباردة من الخارج.

(و) وفى اليوم التالى لوقف إطلاق النار، وبينما «بن جوريون» يناور فى الأنسحـاب، وإيدن يجتـر خيبـة أمله فى زيارة واشنجتن، وعـبد الناصـر يحلل مسـتـقبل الشرق الأوسط مع السـفيـر الأمريكى، أعلن «إيزنهـاور» أفكاره بخصـوص الشـرق الأوسط والتى عـرفت فيمـا بعد «بمبدأ أيزنهـاور» لملء الفـراغ الذى يقلص نفوذ كل من بريطانيا وفرنسا فى المنطقة نهـائياً بعـد حرب االسويس. وكان الهدف الباقى من مذكرة أيزنهاور هو «أبعاد النفوذ السوفيتى عن المنطقة». أما بالنسبـة لمصر التى اشترت أسلحة روسية للحاجة الماسة وبعدما يئست من التسويف الأمـريكى لعدة سنوات، فـقـد اقـترح أيزنـهـاور أن يزود مصـر بكمية متفق عليها من الأسلحة كافية للمحافظة على النظام الداخلى ومعقولة للدفاع عن حدودها فى مقابل التوقيع على اتفاقية تقضى بعدم تقبل أى عرض سوفيتى، وكانت الفكرة البناءة وطابعها الإنسانى التى وضعها «أيزنهاور» هى تزويد

المنطقة حيثما يكون ضروريا بمزيد من فائض الأغذية لمنع المعاناة، إلا أن الإدارة الأمريكية عملت العكس وبصفة خاصة تجاه مصر حيث جرحى الحرب والدمار فى المبانى والمواصلات ونقص الإمدادات. وعلى نقيض «أيزنهاور» و«دالاس» لم يخلط عبد الناصر بين القومية والشيوعية وكانت سياساته فى العراق وسوريا كما فى بلده أن عمل فى الواقع لأقصى مدى على كبح نفوذ الشيوعيين فى الشرق الأوسط بأكثر فاعلية من تحركات الأسطول السادس والمساعدات بملايين الدولارات لمناهضى الشيوعية.

ولقد كان «أيزنهاور» يؤمن أن تأييد الولايات المتحدة حيوى للأمم المتحدة والتى هى حيوية لسلام العالم فى عصر الذرة، كما كانت قوة الطوارئ الدولية والضغط الأمريكى هما نقطة الارتكاز والذراع التى أرغمت القوات البريطانية والفرنسية أولا ثم الإسرائيلية من الجلاء عن الأراضى المصرية، وكان الهدف من وضع قوات الأمم المتحدة بين القوات الإسرائيلية والمصرية لمنع حوادث قد تؤدى لتصاعد العمليات، وكانت إسرائيل ترفض السماح لأى قوات طوارئ فى الأراضى تحت سيطرتها وبخاصة فى العوجة، كما كانت مصر ترفض أيضاً أى تدخل لقوات أجنبية، وبهذا لم يكن هناك أمل فى التوصل إلى اتفاق بين القوى العظمى أعضاء مجلس الأمن على إجراءات تكفى للتغلب على مقاومة الإسرائيليين وشكوك المصريين.

(ز)عندما أخذت قوات الطوارئ مواقعها حول مرفأ بور سعيد استمرت محاولات «إيدن» اليائسة فى تحطيم عبد الناصر سياسيا. وكانت واشنجتن قد أوضحت أن لجنة الطوارئ لن تعمل

شيئا قبل جدول انسحاب سريع توافق عليه بريطانيا وفرنسا، وقد جمعت واشتجتن ثلاثة عشر شركة بترول تعمل فى الخارج لوضع خطة طوارئ لإمداد غرب أوروبا بالبترول إذا ما توقفت إمداداته من الشرق الأوسط.

وقبل حرب السويس كان ثلاثة أرباع بترول غرب أوروبا من الشرق الأوسط. وكان المستقبل قاتما أيضاً لحليف «إيدن» العربى الوحيد وهو العراق الذى انخفض أنتاجه من البترول خمسة وسبعين فى المائة كما خسر مائة وثمانية مليونا من الدولارات. أما السوريون فرغم خسارة رسوم المرور فقد أعلنوا أنهم لن يسمحوا بإصلاح أنابيب البترول حتى يتم انسحاب كل الغزاة بما فيهم إسرائيل من مصر.

وفى يناير سمح عبد الناصر لهيئة إنقاذ تابعة للأمم المتحدة ببدء تطهير القناة بعد رحيل البريطانيين والفرنسيين، لكنه لم يسمح بتحريك سفن الإغلاق حتى ينسحب الإسرائيليون كذلك.

وقد حاول «إيدن» - دون جدوى - الحصول على أذن الأمم المتحدة للسماح لأطقم ومعدات الأنقاذ الأنجلو / فرنسية التى كانت تصاحب أسطول الغزو لتطهير كل الممرات المائية. وقد تم تطهير ميناء بورسعيد والقناة جنوبا حتى الكاب، وقد كتب «إيدن» أن رفض الأمم المتحدة السماح بتطهير القناة ورفض الولايات المتحدة وضع طوارئ البترول فى أوروبا فى الاعتبار أعطى عبد الناصر وضعا قويا للمساومة.

لقد مارست الولايات المتحدة ضغوطا سواء مباشرة أو من خلال الأمم المتحدة لإرغام بريطانيا وفرنسا على ترك بور سعيد، وكانت واقعة مؤلمة أن تصوت أمريكا لصالح قرار تقدمت به المجموعة الأفرو أسيوية فى ٢٤ نوفمبر تطالب بأن يترك الغزاة مصر «فورا».

وكان «إيدن» يتحدث عن التغلغل السوفيتى فى الشرق الأوسط خاصة فى سوريا والعراق، وأن الترياق الأمثل هو التواجد البريطانى الفرنسى فى عنق الزجاجة على قمة الشاطئ، وقد اعتمدت السفارة الأمريكية فى سوريا على تقارير غير صحيحة صدرت فى واشنجتن ولندن من خلال القنوات الدبلوماسية والصحفية مفادها أن الأسلحة السوفيتية تتدفق على ميناء اللاذقية السورى، وأنه وصلت ١٥٠ طائرة «ميج»، وأن عبد الحميد السراج رئيس المخابرات السورية قد استولى على السلطة فى انقلاب بتأييد شيوعى، وفى العراق كان وضع «نورى السعيد» مظلما مع القوميين الغاضبين من موقفه السلبى فى تأييد عبد الناصر حتى ولو بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا. أما أدعاء أن عبد الناصر يميل أو يتعاطف مع الشيوعية فقد قال خروشوف: «إن القوى الغربية تحاول تصعيد التنديد بعبد الناصر ولو إنه ليس شيوعياً، لكنه سياسياً أقرب إلى الذين شنوا الحرب عليه، وحتى أنه وضع الشيوعيين فى المعتقلات، لكن عبد الناصر يحارب من أجل الاستقلال، وهو بطل أمته ونحن نتعاطف معه».

وفى ٣٠ نوفمبر قال «أيزنهاور» إنه استراح لأن بريطانيا وفرنسا ستسحبان قواتهما من مصر سريعا ودون شروط، وعلى هذا أمرت

ببدء شحنات بترول الطوارئ، ، وكان «إيدن» قد صرح بأنه على إسرائيل أن تنسحب كذلك من سيناء وغزة، والتزم «بن جوريون» الصمت لأنه على يقين أن واشنجتن وليست بريطانيا هى التى تقرر ما إذا كانت إسرائيل تنسحب.

وكان البترول قد بدأت شحناته من نوفمبر وبدأ فى ديسمبر التشغيل الكامل من السعودية والخليج الفارسى الذى ترسل شحناته حول رأس الرجاء الصالح وارتفع سعر البترول بشكل معقول.

وكانت مرارة القوات الفرنسية بسبب الانسحاب عاملا فى الإطاحة بالجمهورية الرابعة فى مايو ١٩٥٨، كما أثر الانسحاب فى نفوس الشعب إذ لم يجنوا من عدوانهم سوى العار والسخرية، واتخذت القوات المنسحبة طريق قبرص وتعرضت للاستهزاء والسخرية، ومن بعدهم البريطانيين.

وكان يوم ٢٢ ديسمبر هو اليوم الأخير لانسحاب القوات المتحالفة من بور سعيد، وفى ٢٣ ديسمبر سلم «بيرنز» إدارة المدينة للمحافظ محمد رياض. وكان «إيدن» أول من قدم استقالته على أثر حرب السويس - وخلفه «هارولد ماكميلان» - بعد أن أبلغه الأطباء بذلك فى ٩ يناير، وكان «ماكميلان» تربطه علاقة صداقة شخصية مع «أيزنهادر» منذ الخدمة فى زمن الحرب العالمية الثانية فى شمال أفريقيا مما كان فى صالحه وأعاد التحالف الأنجلو/ أمريكى فى مؤتمر «برمودا» الذى تعهدت فيه الولايات المتحدة بإقامة قاعدة للصواريخ فى بريطانيا رادعة لمواجهة أى تهديد سوفيتى بالصواريخ مستقبلا، وقال «أيزنهاور» إن هذا المؤتمر كان الأكثر نجاحا والذى

حضرته منذ الحرب العالمية الثانية، والسبب الرئيسى يرجع إلى صلة الرفاق القدامى التى تربطنى بهارولد» . وكان المرارة المتسلطة لدى البريطانيين تجاه عبد الناصر، وكان رئيس الوزراء «هارولد ولسون» ووزير خارجيته «سلوين لويد» تتسلط عليهما فكرة إمكانية التخلص من عبد الناصر من أجل أسلوب عملى لإدارة القناة، وقد أبلغهم «أيزنهاور» أنه لا يمكنهم أن يبحثوا عن التعاون مع عبد الناصر ومحاربته فى وقت واحد.

(ح) وقد كشف مراسل «للمانشستر جارديان» بتاريخ ٢١،٢٠ نوفمبر أول اعتراف مباشر عن التآمر الحربى، وبمقابلات مع الطيارين الفرنسيين الذين أرسلوا للهجوم على المصريين فى سيناء والطيران لحماية الأراضى الإسرائيلية والقاء الإمدادات للفرق الإسرائيلية فى ممر متلا والهجوم بالنابالم على العربات الحربية المصرية والتى رأها تحترق فى الصحراء، وقال أن الدور الفرنسى كان حاسما فى نصر إسرائيل فى سيناء، وقد أورد إنكار ديان الرسمى - والغير صحيح - للمشاركة الفرنسية. وفى ١٥نوفمبر أزاح «أبا ابيان» الستار أمام الأمم المتحدة عن الوثائق التى قال أنها ضبطت فى مراكز القيادة فى سيناء، والتى قال المصريون فى الأمم المتحدة أنها مليئة بالأخطاء اللغوية إذ أحتوت على سبعة عشر كلمة لا تستعمل فى اللغة العربية، وكما قال المراسل العسكرى «لجيروزاليم بوست» فى ٢١نوفمبر أن أيا من الوثائق ورد بها خطة مصرية للهجوم على إسرائيل عاجلا أو آجلا، بل على العكس فإن تخفيض عدد القوات المصرية فى

سيناء قبل الحرب يؤكد أن مصر ليس فقط لم تخطط للهجوم بل ولم تتوقع أن إسرائيل تخطط للهجوم، بل وكما أكد ديان بأن القوات الإسرائيلية كانت تطور مواقعها الهجومية على الحدود لمدة عام بينما المصريون ظلوا فى المواقع الدفاعية.

وكانت بريطانيا وإسرائيل تروجان الأكاذيب عن إحتملات تدخل السوفييت فى سيناء، كما تروج الإشاعات عن إنقلاب وإسلحة ونفوذ سوفيتى فى سوريا، وكانت إسرائيل تهدف من وراء ذلك أن تجعل واشنجتن تحافظ على أن تبقى إسرائيل أقوى من العرب المعتمدين على الشيوعيين.

وكانت غزة والعقبة هما المنطقتان اللتان كان «بن جوريون» عنيدا جدا لضمهما، وفى ٣ديسمبر عندما أعلن الإنسحاب الأنجلوا فرنسى تراجعت إسرائيل ثلاثين ميلا من القناة، وفى ٧يناير إنسحبت من نصف سيناء، ورغم إحتجاجات همرشلد - لما وعدته به إسرائيل بأن تتعاون مع قوات الطوارىء لحفظ السلام - فقد دمرت خطوط التليفزيون والتلغرف والسكك الحديدية والطرق المعبدة والكثير من المنشأت العسكرية فى العريش وسوت المبانى بالأرض فى قرى «القسيمة» و«أبو عجيلة».

وفى ٢٢ يناير إنسحبت إسرائيل إلى الحدود قبل رفح وبطول ساحل العقبة، وبدأ «بن جوريون» يقاوم الإنسحاب واستهجانه للأمم المتحدة، بل وأكثر من ذلك أعلن فى الكنيست فى ٢٣ يناير أن إسرائيل يجب أن تبقى فى قطاع غزة وساحل العقبة حتى تتلقى ضمانات قاطعة بحرية الملاحة فى الخليج. وبالتوازى بعث بمذكرة

لهمرشلد يخطره بأن إسرائيل مستعدة للتفاوض على علاقة مقبولة مع الأمم المتحدة حول غزة، وأنها لا تريد قبول كل لاجئى غزة، ويجب أن تضع الأمم المتحدة خطة للاجئين تتضمن أولئك فى غزة، كما تضمنت الاحتفاظ بمضايق العقبة حتى تأمين الملاحة الحرة بضمانات حقيقية وتطالب بنزع سلاح سيناء واشترطت لأى حل لقناة السويس أن يضمن حرية العبور لإسرائيل.

وذكر «بن جوريون» أن غزة لم تكن أبداً ملكاً للمصريين، ولمدة ثمانى سنوات لم تعمل فيها شيئا لتطويرها، وأتهم الأمم المتحدة باللين تجاه العرب والجفاء تجاه إسرائيل بخصوص سيناء التى ليست إلا كاريكاتير» للعدالة. كما أثار «بن جوريون» فى مذكرته مسائل كثيرة من الجدل والمغالطة حول إتفاقية الهدنة وحرية المرور فى السويس منذ قرار الأمم المتحدة فى أول سبتمبر ١٩٥١، ورد همرشلد بتقرير إلى الجمعية العامة بنزع سلاح العوجة واقترح وضع قوات الطوارىء فى الجانب الإسرائيلى على الأقل كما فى جانب مصر.

وكتب «بن جوريون» أن الخلاف والجدل الذى شغلت به إسرائيل لم يكن فى ذلك الوقت مع الإتحاد السوفيتى بل جميع أعضاء الأمم المتحدة وفى المقام الأول مع الولايات المتحدة، وكان واضحاً للجميع أن إدارة إيزنهادر تحاول التشجيع لإستخدام العقوبات الإقتصادية والتهديد لإجبار إسرائيل على الرضوخ لقرارات الأمم المتحدة.

(ط) وفى ٢ فبراير أقرت الجمعية العامة قرارها السادس بمطالبة إسرائيل بالإنسحاب فى الحال، وقرار آخر يطالب بالحفاظ على الهدنة العسكرية ووضع قوات الطوارىء على خطوط الهدنة،

ورغم برقية أيزنهادر التى تحذر من أن إستمرار تحدى الأمم المتحدة يمكن أن يؤدى إلى تعكير جدى للعلاقات بين إسرائيل والأعضاء الآخرين فى الأمم المتحدة بما فيهم الولايات المتحدة، فإن «بن جوريون» وحكومته عارضوا طلبات الأمم المتحدة فى اليوم التالى، وقد أدى ذلك إلى إنقاص المعونة الأمريكية لإسرائيل وإنخفضت ميزانيتها، وصاحب ذلك تسريح ٢٥٠٠ عامل مدنى كما كان من المتوقع أن تخسر إسرائيل خمسة وعشرين مليون دولار من المساعدات وثلاثين مليون دولار من الفائضات الزراعية وقرض إستيراد بنكى قدره خمسة وسبعين مليون دولار. ولابد أن ينخفض مستوى المعيشة فى إسرائيل التى كان يبدو أنها مستعدة لذلك.

وفى ١١ فبراير سلم «دالاس» لـ «أبا إيبان» مذكرة قبلتها إسرائيل فيما بعد كوثيقة أساسية للإنسحاب الفورى غير المشروط، وفيما يختص بخليج العقبة تعتقد الولايات المتحدة أن الخليج مياه دولية وليس من حق أى دولة أن تمنع حرية المرور البرىء.

وقد قدمت كل من لبنان والأردن والسودان وباكستان وأفغانستان وأندونيسيا قرارا يطالب بوضع نهاية لكل مساعدة لإسرائيل إذا لم تمتثل لقرارات الإنسحاب، ومع تزايد الضغوط والتهديدات بفرض عقوبات دولية وضمان الأغلبية فى الأمم المتحدة للجانب المصرى (الدول العربية والأفريقية والكتلة الشرقية والدول الاسيوية واللاتينية) وتلويح الولايات المتحدة بالتخلى عنها يجعل التصويت فى غير صالح إسرائيل، كل ذلك جعل «بن جوريون» يأمر «جولدا امائير» أن تعلن فى الأمم المتحدة فى أول مارس خطط إسرائيل

للأنسحاب الكامل والعاجل من منطقة شرم الشيخ وقطاع غزة، وأضافت «مائير» بعض العبارات لحفظ ماء الوجه.

وقد انسحبت إسرائيل من قطاع غزة يوم ٧ مارس وحلت محلها قوات الطوارئ يوم ١٠ مارس، وقد أعلنت القاهرة أنها عينت حكومة إدارية لقطاع غزة وستمارس مهامها فورا، وكان هذا الأعلان صدمة لبعض الدول الأعضاء فى الأمم لمتحدة، فقد كان أهالى القطاع عندما دخلته قوات الطوارئ يخشون تدويله، ولكن «بيرنز» طمأنهم بأن ذلك لن يحدث، وكان عبد الناصر قد أبلغه أنه أضطر إلى إعادة السلطة المصرية فى القطاع من أجل تقليل تصريحات الإسرائيليين بأنه سيدول وأن مصر لن تعود، وأضاف عبد الناصر أنه لم يكن هناك اتفاق مع همرشلد على تأجيل عودة مصر، وبالتأكيد لم يكن هناك أى اتفاق بعدم العودة. وكان أيزنهاور وآخرين يعتبرون أن هذا خرق للتفاهم بين ناصر وهمرشلد.

وكان آخر الجنود الإسرائيليين المنسحبين من شرم الشيخ الذين عبروا الحدود عائدين إلى إسرائيل عند رأس النقب يوم ١٦ مارس، وقد وضعت قوات الطوارئ فى شرم الشيخ ورأس نصرانى وجزيرة تيران، وفى ١٨ مارس شوهدت سفينة نقل إسرائيلية «ملكة سبأ» وقد دخلت الخليج تحت الحماية الإسرائيلية وعادت تبحر ثانية تحت نفس الحماية، ولم تعلن مصر استنكارها أو حقها فى المنع، وببساطة وافقت على أنها فى وضع لا يسمح لها فى الوقت الحالى بالإجبار.

وكان عبد الناصر وهمرشلد قد توصلا إلى اتفاق على المسائل الرئيسية فى وظائف قوات الطوارئ، لكن كانت المشكلة الرئيسية هى

إلى أى مـدى سلطة وقـوة هذه القـوات مطلوبة لتكون فعـالة، وقـد عـمـدت إسـرائيل إلى إقـصـاء المراقـبين العـسكريين للأمم المتـحـدة وكذلك قوات الطوارئ التى لا يمكنها استخدام أسلحتها وتحولت إلى ما يشبه المراقبين أيضا، وكانت إسرائيل تطلق النار على العرب من داخل القطاع وتنسحب عندما تطلب قوات الطوارئ منها ذلك، واستمر الحال حتى يونيه ١٩٥٧ وتتعلل بأن الفدائيين قد أعادوا تنظيمهم كبوليس خاص ومخابرات.

وعندما انسحب آخر إسرائيلى عبر الحدود، بدأت البحرية المصرية فى إزالة المتفجرات من أبو قير التى على بعد ميلين شمال السويس، والتى كانت سببا فى منع طاقم الأمم المتحدة للأنقاذ من تحريك السفينة خارج المجرى حتى يرحل الإسرائيليون.

(ى) وقد أعيدت الملاحة فى القناة لكامل طاقتها، وتكلفت ٨ر٤ مليون دولار تم تمويلها من الأمم المتحدة، وقد أعلنت مصر مرارا التزامها باتفاقية ١٨٨٨، ولم تشير إلى المبادئ الستة التى قبلتها قبل الحرب فى أكتوبر أو إلى علاقة رسمية مع مستخدمى القناة، وأنها تقبل حكم محكمة العدل الدولية، وفى ١٨ يولية كانت قد استكملت مستنداتها القانونية وأودعتها فى سكرتارية الأمم المتحدة، وأوضحت مصر اعتراضها على الملاحة الإسرائيلية فى القناة وسيظل ساريا، ولاسرائيل حرية عرض القضية على المحكمة الدولية، وكانت إسرائيل ترفض أى اقتراح بعرض مطالبها فى السويس أو خليج العقبة إلى محكمة دولية، فهى تعلم بأن مطالبها فى هذين المجريين

المائيين ـ مثل حق الملكية فى فلسطين ـ مضمونا بالسياسة وليس بالقانون، فالسياسة قوة ونفوذ، والقانون يعتمد على السوابق والتشابه. وكانت مصر تؤكد حقها فى منع الملاحة الإسرائيلية فى القناة استنادا إلى المادة العاشرة من اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ والتى تنص على أن حرية الملاحة لا تتدخل فى الإجراءات التى يرى السلطان والخديوى أنها ضرورية لتأمين قواتهما للدفاع عن مصر وحفظ النظام العام.

وبعد إعادة فتح القناة تمت أول تسوية بين مصر وشركة قناة السويس فى ٣١ يوليو ١٩٥٨ وافقت مصر على دفع ٣ر١٨ مليون جنيه مصرى (٨١ مليون دولار) عن ممتلكاتها وأموالها فى مصر، وتترك كل أموالها وممتلكاتها فى الخارج لحاملى الأسهم، أما تسوية المطالبات مع إنجلترا وفرنسا فقد طالت، إذ طالبت مصر بتعويضات عن خسائر الحرب بينما مطالبات انجلترا وفرنسا نيابة عن رعاياهم عن تمصير ممتلكاتهم التجارية ومعاشات الذين تقاعدوا من الخدمة المصرية والممتلكات الخاصة المستولى عليها. وتم التوصل إلى اتفاق مع فرنسا فى ٢٢ أغسطس ١٩٥٨ لتسوية كل مطلب على جدة.

أما التسوية مع بريطانيا فقد تمت فى ٢٨ فبراير ١٩٥٩، وبموجبها تدفع مصر مبلغ إجمالى قدره ٥ر٢٧ مليون جنيه استرلينى (٧٧مليون دولار) خلال عام واحد للحكومة البريطانية التى تتولى السداد للأفراد، وقد اختلفت التقديرات بعد خروج بريطانيا عن مصر ووضع ممتلكاتها تحت الحراسة وانخفاض قيمة العملة وغير ذلك من العوامل، وكان على بريطانيا أن تبتلع خسارتها فى قاعدة قناة

السويس وتقبل معاهدة الجلاء التى منحت بريطانيا حقوقا فى القاعدة لمدة سبع سنوات إضافية، وسقطت التسويات بعد فترة قصيرة لتمحو الصعوبات القاسية التى سببتها الحرب للأفراد البريطانيين والفرنسيين الذين أمضوا مدة وظائفهم فى مصر وفقدوا كل شئ، وبالنسبة لمئات اليهود ويحملون جوازات أجنبية والذين أبعدوا عن مصر فلم يكن لهم تعويضات على الاطلاق، وقد عاشت بعض العائلات اليهودية التى تحمل جوازات أجنبية فى مصر عدة أجيال ولا يعرفون لهم وطن آخر، وقد أحس آلاف عديدة من اليهود المصريين أنه قد حان الوقت لمغادرة البلاد، وكان ذلك قد حدث من قبل بالنسبة للجاليات اليهودية فى دول عربية أخرى.

(ك) وفى الحقيقة فإن حرب السويس كانت نهاية للامبراطورية البريطانية فقد خسرت بعض أصدقائها العرب. فتخلى عنها الملك حسين فى الأردن، وقضى على نورى السعيد وملك العراق، ولم يخسر حلف بغداد العراق فقط بل فاعليته وحيويته كذلك، وغربت شمس الامبراطورية نهائيا فى السويس وبالغبار الذى أثاره آخر طيس إمبريالى «لإيدن» مع «بن جوريون» و «موليبه» جعل ذلك جريمة بشعة أكثر مما كان ينبغى، أما بالنسبة لخسائر بريطانيا النقدية، فقد قدر «إيدن» تكاليف الاستعدادات العسكرية والعمليات بمائة وخمسة عشر مليونا جنيه استرلينى (٣٢٠ مليون دولار).

الفصل الثانى

مكاسب مصر وإسرائيل

مكاسب مصر وإسرائيل

عندما انتهت الارغامات فى عام ١٩٥٧، فإن كلا من عبد الناصر وبن جوريون قد فاز بمكسب واضح، فقد كسب عبد الناصر مهلة لتأجيل التزاماته العربية الخطيرة تجاه إسرائيل، فكان قبوله لدرع قوات الطوارئ الدولية على أراضيه، بينما رفض بن جوريون، إذن من البديهى أن مصر هى الدولة المهددة أكثر، وإذا كان دليل كهذا محتاجا بعد حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦ - وسنوات غارات الحدود بينهما - فإن وجود قوات الطوارئ أعفت عبد الناصر من التزامات الجامعة العربية بإغلاق خليج العقبة. وقد استخدم عبد الناصر عقده بالتهدئة مع إسرائيل على الحدود لينفذ البرنامج الطموح للتنمية القائم على السد العالى فى أسوان. فقد كانت حرب السويس وإفرازاتها السياسية الجديدة قد تطلبت من عبد الناصر تأجيل تنفيذ المشروع. وبعد عامين بعث باللواء عامر إلى موسكو لقبول عرض الأتحاد السوفيتى بالمساهمة بالمعدات الأجنبية والخبراء الفنيين الذين يحتاجهم المشروع، وأعلن خروشوف فى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٨ أن الأتحاد السوفيتى سيقرض مصر أربعمائة مليون روبل (حوالى ١١٠

مليون دولار) للمرحلة الأولى للسد، يتم سدادها بالجنيه المصرى بفائدة ٢,٥ ٪ لمدة اثنى عشر عاما تبدأ بعد سنة من الانتهاء من المرحلة الأولى، ووقعت الأتفاقية رسمياً فى ٢٧ ديسمبر من نفس العام، بشرط أن تتوصل مصر إلى إتفاق جديد مع السودان على توزيع مياه النيل، وقد سوى الموضوع بين مصر والسودان فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩ ، وفى ٩ يناير ١٩٦٠ فجر عبد الناصر شحنة ديناميت نسفت عشرين ألف طن من الصخور التى أصبحت المجرى الجديد للنهر القديم لتؤدى به تحت حائط جبلى عبر ستة انفاق عملاقة حيث التوربينات تحول طاقة النهر إلى كهرباء، وحضر خروشوف إلى مصر لافتتاح التحويل الهائل للنيل إلى مجراه الجديد فى ١٤ مايو ١٩٦٤ ، وكان أول تشغيل للأثنى عشر توربينا، وتغيرت أسوان نفسها من مدينة تقليدية قديمة تعدادها خمسة عشر ألف نسمة إلى مدينة لها مستقبل صناعى تعدادها مائة وعشرين ألف نسمة.

واعترف «بن جوريون» أن إسرائيل لم تحقق كل ما كانت تريده من حرب السويس، وكانت حرية الملاحة فى خليج العقبة هى المكسب الواقعى، أما الغير واقعى تشبيه عبد الناصر بهتلر وفرعون، ويخشى أن تظهر شخصية بين الحكام العرب تشبه «كمال أتاتورك» الذى ظهر فى تركيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى، ومازال هذا الخطر أن يكون عبد الناصر هذا الرجل.

ورغم تأثر هزيمة عبد الناصر فى سيناء والسويس على قامته، إلا أنه ثبت على المدى الطويل أنه عمّر عن كل الشخصيات العامة المؤثرة فى حرب السويس، ومنهم «إيدن» الذى سقط فى ٩ يناير

١٩٥٧ وكان الثانى «موليبه» فى يونيو من نفس العام وخرج «بينوه» فى أبريل ١٩٥٨ ومات «دالاس» فى مايو ١٩٥٩ ، ووصل «ايزنهاور» إلى نهاية فترة حكمه فى يناير ١٩٦١ ، واعتزل «بن جوريون» العمل عام ١٩٦٣ ـ وليس لأسباب سياسة، وفى العام التالى لحق بهم «سلوين لويد» و «خروشوف» فى السقوط.

وفى عام ١٩٥٨ وافق عبد الناصر على الوحدة مع سوريا فى الجمهورية العربية المتحدة والتى انتهت فى عام ١٩٦١ ، وكان عبد الناصر يضع العراقيل بذكاء ضد مبدأ «ايزنهاور» وذلك ربما لانزال البحرية الأمريكية فى لبنان عام ١٩٥٨ ، وقد جابه خروشوف بوضوح عام ١٩٥٩ ضد العناصر الشيوعية فى العالم العربى دون أن يفقد العون السوفيتى الذى يعتمد عليه السد العالى، وقد انزلق إلى حرب مريرة فى اليمن التى يعتبرها المصريون أنها كفيتنام بالنسبة لأمريكا. فكان هناك أنتصار كما كانت هناك هزائم. ويعتبر نسف حلف بغداد الذى ترتب على ثورة العراق فى ١٤ يوليه ١٩٥٨ نصرا، لكن علاقات عبد الناصر مع خلفاء نورى السعيد لم تكن طيبة.

الفصل الثالث

الأوضاع فى إسرائيل بعد حرب السويس ١٩٥٦

الأوضاع في إسرائيل بعد حرب السويس ١٩٥٦

أولا: السياسة الخارجية:

(أ) اتفاق إسرائيل وتركيا وإيران والحبشة:

فى عام ١٩٥٨ اتحدت مصر وسوريا ثم اتحد العراق والأردن، واتجه «بن جوريون» إلى تركيا التى انزعجت من قيام الجمهورية العربية المتحدة على حدودها، وإلى ايران التى كانت تخشى العراق، ثم إلى الحبشة، واستطاع أن يقيم اتفاقا مع هذه الدول الثلاث بعد موافقة أمريكا وفرنسا، وهكذا نشأ حلف وإن لم يكن رسميا لعدم توقيعه.

(ب) النشاط الإسرائيلى فى السياسة الخارجية:

بعد ثورة العراق ١٩٥٨ ضد النظام الملكى الهاشمى عرض «بن جوريون» على بريطانيا أن يتعاونا معا فى سياستهما فى الشرق الأوسط، وشكل بن جوريون الوزارة الجديدة ونجح فى سياسته الخارجية التى تستهدف الولاء للغرب والاتفاق مع دول الشرق الأوسط غير العربية، وظهرت إسرائيل دولة قوية دون ثورات أو

إنقلابات، وتوطيداً لسياسته قام بزيارات للولايات المتحدة الأمريكية وأخذ وعودا من «ايزنهاور»، والتقى بكونراد اديناور، واتفق معه على قرض ألمانى، ولم يعتبر أن ألمانيا «هتلر» هى ألمانيا «اديناور» فهو يرى كسياسى أن الغاية تبرر الوسيلة، وكان يركز على الدفاع والعلاقات الخارجية، أما خلاف ذلك فهو شيء ثانوى، ولم يعد يهتم لسياسة الحياد بل اتجه نحو الغرب أكثر من أى وقت سابق وكان اتجاهه نحو فرنسا بصفة خاصة.

ثانيا: السياسة الداخلية: المشاكل:

فى عام ١٩٥٤ كانت مشكلة «لافون» السبب فى رجوع «بن جوريون» حيث كانت بداية مرحلتها الأولى، وتتلخص فيما يلى: بأن أرسلت وزارة الدفاع الإسرائيلية التى كان يتولاها «لافون» جاسوسا مدربا لتنظيم الشبكة اليهودية التى كانت تعمل فى مصر منذ عام ١٩٥١، ومهمتها تفجير المنشآت الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والأسكندرية للاساءة للعلاقات بين مصر والدولتين والحيلولة دون نجاح المفاوضات الخاصة بجلاء القوات البريطانيةعن مصر.

ولقد ألقت السلطات المصرية القبض على أفراد الشبكة وانتحر الضابط الإسرائيلى المسئول عن العملية، وصدرت أحكام بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة على بقية أفرادها.

وطلب رئيس الوزراء «شاريت» من «لافون» وزير الدفاع تفسيرا لهذه الحوادث ومن القادة المسئولين فى الجيش، فاتضح أن أحد كبار ضباط الجيش كان قد أخذ توقيع «لافون» لتغطية العملية بعد فشلها.

كما اتضح أن «لافون» كان ضحية خدعة، وطالب الضابط الكبير أن يقدم استقالته ولكنه رفض، ولم تثبت إدانته، مما أجبر «موسى شاريت» على أن يطلب من «لافون» الاستقالة، وطلب من «بن جوريون» حيث كان يقيم فى مستعمرة «سدى بوكر» العودة لمنصب وزير الدفاع، وكان أول قرار له نقل الضابط الكبير الذى خدع «لافون» من مركزه، كما وافق على تعيين «لافون» سكرتيرا عاما «للهستدروت»، وذكر فى مؤلف «النبى المسلح» أن «بن جوريون» اعتقد أنه بهذا التصرف قد اسدل الستار على هذه الفضيحة، ولم يتخيل أنها ستنفرج بعد سنوات معدودات عن فصول تكون نهايتها نهاية قوة «بن جوريون» ومطعنا فى نزاهته وزعامته.

أما المرحلة الثانية فقد بدأت فى ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٠، عندما نظرت المحاكم الإسرائيلية فى عملية تزوير السفير الإسرائيلى السابق فى النمسا وثائق ضد «عاموس بن جوريون» حيث قرر أحد الشهود أنه رأى العميل الذى قام بالعملية فى مصر سجينا فى إسرائيل، وقد اعترف بأنه قام بالعملية فى مصر استجابة لأوامر الضابط الكبير «حاييم لاسكوف» واستطرد أنهم حاولوا وضع المشكلة على أكتاب «لافون» وزير الدفاع آنذاك، ولذلك فإنه أدلى بأقوال كاذبة أمام لجنة التحقيق عام ١٩٥٥ ، فالتوقيع طلب من «لافون» بعد أن فشلت العملية فى مصر. أما «لافون» فقد أراد إعادة التحقيق فى هذه القضية، إلا أن «بن جوريون» قد حاول منعه بحجة أنه لا يجوز فتح القضية لأنها تتعلق بالأمن ولم يمض عليها المدة القانونية اللازمة، وأخذ «لافون» المشكلة إلى لجنة الشئون الخارجية والدفاع فى الكنيست، وسمح «لافون» أن تتسرب القضية للصحافة ، ونشرت

صحف المعارضة أسرار القضية بالعناوين الرئيسية مشبهة «لافون» بأنه «دريفوس آخر» وبدأ الهجوم على قادة الجيش وعلى ديان «وبيريز» لأنهما لم يعاقبا الضابط الكبير.

وكان «بن جوريون» فى عام ١٩٥٩ قد وضع أسماء القادة الصغار «ديان» و«بيريز» و«الموجى» على رأس القائمة، الأمر الذى لم يغفره له القادة الكبار، ووجدوا أن الفرصة مناسبة للأنتقام منه فى هذه المشكلة ، وكان «بن جوريون» يؤازر القادة الصغار ضد أصدقائه الكبار لأنهم فى رأيه يقدمون مصلحة الأمة على مصلحة الحزب بعكس الكبار.

وبدأت الصحف فى الداخل تغذى الشعب بالأخبار، كما أخذ الدبلوماسيون فى الخارج يعززون أن سبب سقوط «لافون» كان لمعارضته للعدوان، وأن العسكريين عملوا على إسقاطه، وأن الهجوم على غزة عام ١٩٥٥ وضح هدفه الآن، بعد الذى ظهر فى عام ١٩٦٠ ، وكانت نتيجته أن سارع المصريون بالتفاوض مع الكتلة الشرقية حول صفقة السلاح حيث أن هذا التفاوض بدأ فى أبريل عام ١٩٥٥ وانتهى فى سبتمبر من نفس العام بعد الاعتداء على غزة وقتل المصريين.

وأعلن المعلقون السياسيون المهتمون بشئون الشرق الأوسط أن «بن جوريون» وزملاءه الصغار هم العناصر التى خططت الهجوم على مصر عام ١٩٥٦ .

وإلى جانب كل هذا أخذ «لافون» يهدد بأن لديه وثائق سرية عن زعماء «الماباى» سيسلمها للصحافة إذا لم تعلن براءته، فقررت

الحكومة تشكيل لجنة وزارية لتقرير الخطوات الواجب اتباعها وإنهاء هذه المشكلة، على أن تكون مكونة من سبعة وزراء، وامتنع «بن جوريون» عن التصويت إلا أنه لم يتخذ إجراءات منع تشكيل اللجنة، ورأى المعلقون فى هذا التصرف أنه أول مرة يظهر فيها بن جوريون مترددا وغير حاسم فى تصرفاته.

واستمرت الصحافة فى حملاتها حتى أنه قيل أن العملية لم تصدر أوامرها من الضابط الكبير أو «لافون» وإنما أصدرها «بن جوريون» نفسه ليتخلص من «لافون» ويعود إلى الحكم. ولم يتصرف «بن جوريون» بحزم ليحمى نفسه، كما أنه لم يستقيل كعادته عندما كان يجابه المشاكل.

الفصل الرابع

الموقف الأمريكى بعد حرب السويس

الموقف الأمريكى

مشروع أيزنهاور

(أ) عقب العدوان الثلاثى، لم تخف حدة التوتر فى الشرق الأوسط، لابسبب عدم استقرار الهدنة على الحدود الإسرائيلية العربية فحسب، ولكن بسبب فوران المنطقة بموجة من الحماس الوطنى جعل الولايات المتحدة تخاف أن يفلت الزمام من يدها. ففكرت فى خطة جديدة تهدف من ورائها حماية مصالحها ومصالح الغرب. وكانت الخطوة الأولى فى ذلك أن اجتمع الرئيس أيزنهاور ودالاس فى أول يناير ١٩٥٧ بزعماء الحزبين فى الكونجرس لطلب تأييد هم للسياسة الأمريكية الجديدة فى الشرق الأوسط. وكان مما قاله الرئيس «ايزنهاور»: «أن الفراغ الراهن فى الشرق الأوسط، يجب ان تملأه الولايات المتحدة قبل ان تملأه روسيا». وكان من رأيه أن أحسن وسيلة تصل بها أمريكا إلى تنفيذ خطتها هو التفاوض لعقد اتفاقيات تقضى بمساعدةبلدان الشرق الأوسط اقتصاديا وعسكريا. وبعد مناقشات واعتراضات من بعض الشيوخ والنواب، وافق الكونجرس على

الاقتراحات المتقدمة التى سميت «بمشروع أيزنهاور» والتى تؤكد عزم الجمهوريين والديمقراطيين على الوقوف ضد المطامع الروسية بالنسبة للبحر المتوسط وقناة السويس وآبار البترول.

غير ان تطور الحوادث فى المنطقة لم يساعد على أن يجد «مشروع ايزنهاور» النجاح الذى كانت تنتظره الولايات المتحدة. فمن جهة بدأت البلاد العربية المتحررة - وخاصة مصر - تنظر اليه نفس النظرة التى كانت تنظرها إلى «حلف بغداد» وعلى هذا الأساس قابلته بالرفض. ومن جهة أخرى زاد التوتر فى البلاد التى شعرت شعوبها أن أمريكا تريد فرض المشروع بأى ثمن كما حدث فى الاردن حينما أعفى الملك حسين رئيس وزرائه «سليمان النابلسى» وسارعت الولايات المتحدة بارسال تأييدها السياسى إلى الملك، علاوة على مساعدة تبلغ قيمتها عشرة ملايين دولار أرسلتها إلى الأردن فى ١٩٥٧/٤/٢٩.

(ب) ولما رأت أمريكا أن محاولاتها لم تأت بالنتائج المرجوة لجأت إلى أسلوب الدس والمؤامرات وقد بدأت مؤامراتها بأن دعا الرئيس «ايزنهاور» فى يوم ١٩٥٧/١/٣٠ الملك سعود لزيارته. وكان الغرض من هذه الزيارة أن تجعل الولايات المتحدة من الملك سعود خصما للرئيس عبد الناصر فى الزعامة بعد أن أدركت أمريكا أن الرئيس عبد الناصر - بعد حوادث السويس - أصبح الزعيم الاوحد للعالم العربى. ويبدو ان الملك انخدع بمحاولة امريكا، إذ أنه بعد عودته بدأ يدبر المؤامرات ضد مصر ورئيسها. ولكن نشاطه سرعان ما انكشف بواسطة عبد الحميد

السراج وكانت النتيجة أن أعلن عبد الناصر معركة دعائية ضد الملك، وسحب بعثته العسكرية، وأخذت علاقة البلدين تهدد بالانقطاع. وعلى اثر ذلك تزعزع مركز الملك بعد أن فقد كثيرا من ولاء أخوته وأسرته. واضطر إلى التنازل عن معظم سلطاته لولى العهد «فيصل».

(جـ) كذلك كانت أمريكا وراء المؤامرات التى دبرت ضد سوريا، إذ أن الولايات المتحدة كانت تعتقد أن الشيوعيين قد سيطروا على الحكومة السورية خاصة بعد تعيين «عفيف البزرى» قائدا عاما. ومما أكد هذا الاعتقاد أن المسئولين فى تركيا والعراق والأردن عقدوا عدة إجتماعات بهذا الخصوص واقترحوا ضرورة القيام بعمل عسكرى مباشر، إذ ان التراخى فى العمل سيكون كارثة لهم ولكل دول الغرب. فوجود سوريا فى أيدى الشيوعيين سيجعل دولا أخرى فى المنطقة تلاقى نفس المصير، وإذا تم هذا فإن أوربا الغربية ستواجه صعوبات تؤدى إلى نكبة وبالتالى إلى اخطار جسيمة للولايات المتحدة، وعلى ضوء هذا كله أرسلت أمريكا إلى إسرائيل تطلب منها ضمانات بتجنب استغلال الفرصة للاستيلاء على أراض جديدة، وأرسلت طائرات إلى أوربا الغربية فى القاعدة الامريكية بتركيا ووجهت الأسطول السادس إلى الطرف الشرقى من المتوسط.

وبينما أمريكا تتخذ هذه الاجراءات أعلنت الحكومة السورية أن ثلاثة من الدبلوماسيين بالسفارة الأمريكية سيطردون لمشاركتهم فى مؤامرة لقلب نظام حكم الرئيس «شكرى القوتلى». ثم نشرت وكالات

الأنباء العالمية تصريحات «خروشوف» بالنسبة للسياسة العدوانية الأمريكية ضد سوريا والتحركات الامريكية العسكرية فى المنطقة.

(د) ولا يفوتنا فى هذا الصدد أن نذكر المغامرة الخطيرة التى قامت بها الولايات المتحدة فى ١٩٥٨/٧/١٥ يوم ان أنزلت قواتها فى لبنان، على أثر قيام الثورة العراقية فى ١٩٥٨/٧/١٤ تلك الثورة التى قضت على الأسرة المالكة وعلى «نورى السعيد». وعندما نزلت القوات الأمريكية إلى لبنان اذاع البيت الأبيض بيانا جاء فيه:

«استجابة لمناشدة الحكومة اللبنانية، أرسلت الولايات المتحدة قوات أمريكية إلى لبنان لحماية أرواح الأمريكيين، ولتشجيع الحكومة اللبنانية - بوجودها هناك - على الدفاع عن سيادة لبنان واستقلاله، ولم ترسل هذه القوات لاى عمل حربى... إنها ستعبر عن اهتمام الولايات المتحدة باستقلال لبنان وكرامته الذى نعتبره حيويا للمصلحة القومية والسلام العالمى، وسنظهر اهتمامنا بوساطة المساعدة الاقتصادية، وسوف نعمل وفقا لهذا الاهتمام المشروع».

وكان انزال القوات الأمريكية فى لبنان من الأسباب التى زادت السخط على أمريكا فى الشرق الأوسط، واظهرتها بمظهر الدولة المستعمرة التى لاتقيم وزنا لإرادة الشعوب الحرة فى سبيل حماية مصالحها الخاصة.

(هـ) وهكذا كانت السياسة الامريكية فى الشرق الأوسط تتعثر يوما بعد يوم، وكان هذا التعثر من أهم الأسباب التى فتحت الباب على مصراعيه أمام الروس الذين ظهروا بمظهر الدولة الصديقة

التى تريد المعاونة دون فرض أية شروط. ثم كانت غلطة أمريكا الكبرى إنها إنحازت بشكل سافر إلى جانب اسرائيل فى نزاعها مع العرب، وتحدت إرادة الشعوب العربية فامدت الصهيونيين بالمال والسلاح حتى وقعت حرب يونيه سنة ١٩٦٧ فازداد انحيازها وتحديها إلى الوقت الحاضر.

القسم الثامن

التحرك السياسى والإعلامى الإسرائيلى في المجال الدولى بعد حرب ١٩٥٦

تمهيد :

الفصل الأول:

السياسة الخارجية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦

الفصل الثاني:

المنظمات الصهيونية ودور يهود العالم بعد حرب ١٩٥٦

الفصل الثالث :

الإعلام الإسرائيلى الموجه للولايات المتحدة الأمريكية

الفصل الرابع :

الإعلام الإسرائيلى الموجه للدول الأخرى

الفصل الخامس:

النشاط السياسى الإسرائيلى الإعلامى

فى القارة الأفريقية

١ - تعقيب

٢ - تعليق عام عن الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦

تمهيد

السياسة تعنى فى أبسط وأدق معانيها حسن إدارة شئون الحكم والدولة، وأبرز أدوات السياسة الإعلام، واستخدام القوة العسكرية أو الاقتصادية، والحرب النفسية والعلاقات الثقافية، ومنها الفن والرياضة والأدب.

ووفقا للتصور السابق لا يمكن تصور السياسة دون إبراز أدواتها، وكما قلنا إن أبرز أدوات السياسة، الإعلام. وفى هذا الصدد إذا تحدثنا عن السياسة الخارجية الإسرائيلية فإن هذا يتضمن - بين عوامل أخرى - التركيب المؤسس للأجهزة السياسية والإعلامية، وإذا تعرضنا للإعلام الإسرائيلى لابد أن نتعرض أيضاً للتركيب المؤسس للأجهزة السياسة والإعلامية، لأن الإعلام فى المحصلة النهائية هو آليات وبشر ومواد إعلامية.

ومن خلال هذه النظرة التداخلية بين الإعلام والسياسة سنلقى نظرة على مجال الحركة الإعلامية الإسرائيلية فى مختلف أجزاء العالم وأبرزها بطبيعة الحال الحركة الإعلامية الإسرائيلية فى

الولايات المتحدة الأمريكية، على أساس أن أمريكا هى الحليف المؤكد لإسرائيل الذى يدعم من قدراتها العسكرية والاقتصادية والسياسية، ويقف مساندا لها من أجل تحقيق تسوية سياسية لمشكلة الشرق الأوسط، تراعى أول كل شىء المصالح الأمريكية والإسرائيلية.

الفصل الأول

السياسة الخارجية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦

١- التخطيط القومى الإسرائيلى

(أ) التخطيط القومى الإسرائيلى، يعد عنصرا هاما من عناصر أو أدوات رسم ومتابعة وتعديل السياسة الخارجية. ونظرا للتحرك الإسرائيلى السريع يتصور البعض أن إسرائيل قد وصلت إلى درجة عالية من التخطيط، وقد يرجع هذا التصور أيضاً إلى الضعف والتخلف الواضحين على الجانب العربى، والنجاح الذى أحرزه قادة إسرائيل فى مختلف مراحل التطور الاستيطانى التوسعى.

ومع ذلك فإن حقائق الأمور تدل على ضعف إسرائيل فى مجال التخطيط بسبب عدة عوامل أبرزها:

- المفاجآت التى تتعرض لها الدولة فى إسرائيل من جراء المتغيرات العربية والدولية.
- وافتقاد إسرائيل السيطرة على كل الخيوط بسبب اعتماد التسليح والمعونات الاقتصادية على دولة أخرى وعلى الجاليات اليهودية.

* ولأن إسرائيل تعمل «أداة» بيد الغير رغم أن لها مصالحها الخاصة.

* اعتماد إسرائيل على رد الفعل أكثر من الفعل نفسه.

(ب) ولكل الأسباب المتقدمة يقوم التخطيط الإسرائيلى على الأرتجال ورد الفعل ولا يستطيع تلبية مطالب إسرائيل الحيوية فى المستقبل.

ومثال على ذلك تقوم إسرائيل بدراسة إمكانية إنشاء مفاعلات نووية لإنتاج الطاقة الكهربائية، لافتقادها إلى الفحم والبترول. ولكن هذا القرار ينطوى على مجازفة لأن التكلفة فى السوق الضيقة لا يمكن التنبؤ بها بالإضافة إلى مخاطر البيئة التى تضر المجتمع الإسرائيلى المحصور فى المقام لأول، وقد تصبح عاملا لتدميره نظرا لضيق رقعة الدولة اليهودية.

هذا ويعتبر التردد فى اتخاذ القرار بمثابة مجازفة فى نفس الوقت وهكذا يظل المشروع معلقاً.

ومثال آخر: وهو اتخاذ القرار بشأن الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وقيام حكم ذاتى فلسطينى وهو أمر يعتبره اليمين الإسرائيلى كارثة تعادل تدمير الدولة اليهودية. وفى نفس الوقت فإن عدم اتخاذ قرار فى هذا الصدد فى وقت أخذت فيه الأمم المتحدة على عاتقها التدخل بفاعلية لحل مشكلات الأمن والتوتر فى عالم هو أمر يؤدى إلى مواجهة مع المنظمة الدولية، وخاصة لوجود مأزق يتمثل فى حيوية القرار بين ٢٤٢ ـ ٣٣٨ .

وقد اضطرت حكومة «شامير» إلى الدخول في صيغة مدريد ١٩٦١ في ظل حكم الرئيس الأمريكي «بوش»، بيد أن هددت أمريكا بفرض عقوبات اقتصادية عليها. واضطر حزب العمل - بعد سقوط تحالف اليمين - إلى قبول مشروع «غزة - أريحا» أولا كبداية لحل المشكلة بشكل يؤدى إلى تغطية كل الأراضي المحتلة وفقا لأتفاق المبادئ الذى باركته بل وضعته واشنطن . واضطرت كل من مصر وإسرائيل بقبوله بالرغم من أن الصيغة التى اتفق عليها يبتعد كثيرا عن الثوابت الإسرائيلية والثوابت الفلسطينية. وكان اتخاذ القرار هنا نتيجة ضغط وليس نتيجة تخطيط.

٢ - جوهر وأهداف السياسة الخارجية وطبيعة آلياتها:

(أ) يقوم جوهر السياسة الخارجية الإسرائيلية على عدة محاور هى:

- الأيديولوجية الصهيونية.
- تحالف إسرائيل مع القوة الدولية الفاعلة.
- مصالح إسرائيل الخاصة.

ويمكن رصد المصالح الخاصة لإسرائيل وأبرزها ما يلى:

- التخلص من العزلة، ومن المقاطعة العربية.
- دعم الهجرة اليهودية إلى إسرائيل.
- الاتصال النشط مع يهود العالم.
- مصلحة «الأمن» بكل مظاهره.

(ب) سلطة السياسة الخارجية:

مسئولية إدارة ومتابعة السياسة الخارجية تتوزع بين عدة أجهزة:

رئيس الوزراء:

يكون مسئولاً عن السياسة الخارجية بحكم أنه المسئول الحكومى الأول فى النظام البرلمانى وغالباً ما يسيطر رئيس الوزراء على وزارتى الدفاع والخارجية لأهميتها لأمن إسرائيل.

لجنة الشئون الخارجية والأمن بالكنيست:

وتتمتع بمكانة لا تقل عن مكانة وزير الخارجية إن لم تفوقه ولها صلاحيات الإشراف والمراقبة ووضع الملاحظات والتوجيه، وهى لجنة لا يسمح لأى عربى أو شيوعى بالتواجد فيها.

وزارة الخارجية:

وتتولى المهام القيادية لمثل هذه الوزارة إلى جانب مهام ذات طابع استخبارى ودعائى.

وزارة الدفاع:

التى يتفوق دورها فى كثير من الأحيان - عن وزارة الخارجية - فى مجال رسم السياسة الخارجية، وتكتسب أهميتها من الفلسفة السائدة التى تبلورت فى إسرائيل ومؤداها:

- القوة لها الأسبقية على الإقناع.

- الردع يتفوق على الحوار.

- الموقف الصارم تجاه الدول العربية أكثر جدوى من كل الاتفاقيات والتنازلات.

- الأعمال أكثر أهمية من الأقوال فى السياسة الخارجية، ولو أدى ذلك إلى استفزاز دول آخرى.

- الضمانات الدولية لا يمكن أن تكون بديلا عن القوة المادية المستندة إلى حق الدفاع عن النفس. (مبادئ وضعها «بن جوريون» عند قيام دولة «إسرائيل»)

ويمكن تفسير سيطرة وزارة الدفاع الإسرائيلية على السياسة الخارجية وضغوطها على مختلف أجهزة الدولة ودورها الواضح فى المفاوضات مع العرب وآخرها (كامب دافيد) و(غزة - أريحا) يفسر ذلك بأن جهازها البيروقراطى ضخم وميزانيتها تصل إلى ثلثى الميزانية العامة، إضافة إلى الدعم الذى تحظى به فى الشارع الإسرائيلى، ودورها الواضح فى المجال الاقتصادى بما فى ذلك الصناعات العسكرية وإدارة تجارة السلاح فى العالم بالأشتراك مع الولايات المتحدة.

الهستدروت:

الذى يسهل التسلل إلى الدول الأفريقية والآسيوية من خلال شركاته ودورات التثقيف العمالى وعلاقاته بالأتحادات العمالية من خلال المؤتمرات التى يرتادها والنشرات التى يصدرها.

(جـ) أهداف السياسة الخارجية:

باستقراء تاريخ إسرائيل، وتاريخ العلاقات الدولية يمكن رصد أبرز هذه الأهداف بما يلى:

- الحصول على الشرعية ودعمها:

وقد بدأت الحركة الصهيونية ذلك منذ مؤتمر (بازل) ومحاولة «تيودور هرتزل» الحصول على دعم السلطان عبدالحميد الثانى للمشروع الصهيونى الاستيطانى فى فلسطين، ثم نجاح الحركة الصهيونية فى الحصول على وعد بلفور، عام ١٩١٧ . ثم تحركها الدولى واستفادتها من نتائج الحرب العالمية الثانية بإعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وتوالت تحالفاتها بعد ذلك مع بريطانيا وفرنسا، ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية للدفاع عن الشرعية ودعمها.

- تبرير الأعمال العدوانية والتوسعية تحت ستار ضمان أمن إسرائيل:

إن تاريخ علاقات إسرائيل ملئ بهذه الأعمال ، وآخرها ضرب المفاعل العراقى (١٩٨١) ، واجتياح لبنان (١٩٨٢) وأعمال القمع المستمرة منذ ذلك التاريخ بما فى ذلك ضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس (١٩٨٥).

- خرق وتحييد الحصار الاقتصادى الناتج عن المقاطعة العربية وضمان الحصول على المساعدات الأقتصادية من دول أوروبا وأمريكا.

- الأتصال بيهود العالم وتوظيفهم لخدمة أهداف إسرائيل والصهيونية.

- دعم تجارة السلاح التى تلعب دوراً هاماً فى توجيه السياسة الخارجية الإسرائيلية وفى تنمية اقتصادياتها وتعديل الميزان التجارى الإسرائيلى.

- ضرب الأهداف الفلسطينية الخاصة بالحقوق وأبرزها حق الشعب فى تقرير مصيره وإقامة دولته، وتوجيه الدعاية الإسرائيلية لوصف المقاومة بالإرهاب، والمجتمع الفلسطينى بالتخلف.

(د) دور الجهاز الدبلوماسى:

قامت الدبلوماسية الإسرائيلية بدور كبير لدعم مشروع الدولة الإستيطانية، ولايزال هذا الدور يحظى بأهمية خاصة، يضاف إليها قيام الدبلوماسية بدور هام فى مجال الدعاية، ومن مهامها القيام بحرب نفسية لتجنيد الأصدقاء، وإضعاف العدو ودعم قوة ضغط فاعلية ومؤثرة.

وقد سعت إسرائيل منذ نشأتها لكى يعترف بها أكبر عدد من الدول، إلى تبادل التمثيل السياسى، وقد نجحت نجاحا كبيرا فى تحقيق هذا الهدف، فهى تتبادل التمثيل السياسى الآن مع أغلب الدول، وقد اعترفت بوجودها جميع الدول ما عدا الدول العربية التى بذلت ماتستطيعه من جهد لإحباط نشاط إسرائيل فى هذه الناحية. ومن أوجه النشاط الإسرائيلى.

النشاط الاقتصادى،

دأبت إسرائيل على تعزيز نجاحها الدبلوماسى بتنفيذ سياسة اقتصادية مرسومة تقوم على أسس علمية سليمة لا ترهق مواردها.

والأوساط التى تعتمد عليها إسرئيل فى تحبيذ سياستها إما أن تكون طبقية مثل نقابات العمال، أو مهنية مثل جمعيات الأطباء والمحامين، أو دينية مثل الهيئات البروتستانتينية والكاثوليكية الكبيرة، أو عنصرية كالمنظمات الصهيونية، أو جنسية مثل الجمعيات النسائية، أو فئة القائمين على وسائل الأتصال العامة كالزعماء السياسيين وكبار موظفى الدولة.

٣ ـ خيارات السياسة الإسرائيلية:

فى معرض سياستها الخارجية تواجه إسرائيل مآزق أو خيارات يصعب انتقاء إحداها بسبب التنازع بين الأطماع من ناحية، والقدرات الإسرائيلية من ناحية أخرى.

ويمكن إجمال هذه الخيارات أو المآزق فيما يلى:

● **محدودية القوة الإسرائيلية.**

بمعنى عدم قدرة إسرائيل على ترجمة الانجازات العسكرية التى حققتها إلى تحولات سياسية لمصلحتها، ونجد هذا واضحا فى حالة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وحتى فى حالة عدوان عام ١٩٦٧ بقيت إسرائيل عاجزة عن ابتلاع الأرض بسبب قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ـ ٣٣٨، والمبدأ القائم فى ميثاق الأمم المتحدة بعدم جواز اكتساب الأراضى بالقوة، كما نلمح ذلك أيضا فى حالة غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ حيث تمكنت من احتلال أكثر من ثلثى الأراضى اللبنانية ولم تتمكن مع هذا من إحراز نصر سياسى، بل أدى الغزو إلى تزايد عزلة إسرائيل الدولية داخل الرأى العام العالمى، وسقطت

مع الغزو دعاوى السلام التى رفعتها من قبل، وأتضحت للكافة نواياها العدوانية التوسعية وأعمالها اللاإنسانية.

- **محدودية الخيارات العسكرية**

ومايرافقها من تآكل قدرة الردع الإسرائيلى.

- **محدودية الخيارات السياسية الإسرائيلية.**

بسبب تشبث إسرائيل بثوابت يصعب الدفاع عنها فمثلا، عدم القدرة على القرار بالنسبة لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، فأمام إسرائيل عدد من الخيارات لايمكن الحكم على إمكانية تنفيذها وتسويقها عربيا ودوليا ومنها:-

- الابقاء على الوضع الراهن وهو خيار نسفته مفاجأة الانتفاضة فى ديسمبر ١٩٨٧.

- الحكم الذاتى وهناك أكثر من مفهوم للحكم الذاتى وفق التصور الإسرائيلى، ولكن هناك أيضا المفهوم الفلسطينى للحكم الذاتى.

- الضم وهو أمر محفوف بالخطر لمعارضة الدول لهذه الخطوة ومجافاتها لميثاق الأمم المتحدة، وخاصة أن هناك قرارات سارية أهمها، ٢٤٢ - ٣٣٨، بالإضافة إلى أن الضم يعنى أيضا السكان إلى جانب الأرض وهم يمثلون بتكاثرهم وعدائهم وانتفاضتهم قنبلة زمنية موقوته.

- الانسحاب من قطاع غزة، وهو امر سيرفضه الجانب الفلسطينى لأنه ضد القرارات الدولية وضد اتفاقية كامب دافيد نفسها.

- فدرالية فلسطينية - أردنية وهو ما يعده الإسرائيليون بديلا عن الدولة الفلسطينية، ولكن من يضمن فى المستقبل عدم قيام الدولة الفلسطينية من رحم الكنفدرالية أو الفدرالية لأن هناك دائما إقرار بحق الشعوب فى تقرير مصيرها.

- الدولة الفلسطينية وهو أمر ترفضه كل الاتجاهات الإسرائيلية، ولكنه يمثل قدر الشعب الفلسطينى، وهو آت لا ريب فيه.

- كونفدرالية إسرائيلية - أردنية - فلسطينية.

وهو أمر يؤدى إلى ذوبان الكيان الصهيونى مع مرور الوقت.

وأخيرا يمكن القول أن الإنتفاضة الفلسطينية قد أحدثت تغييرا شاملا فى خريطة الكفاح الفلسطينى، وأضافت إلى دور منظمة التحرير الفلسطينية، وقضت فكرة الخيار الأردنى وأكدت إمكانية تحقيق الحلم الفلسطينى فى إقامة الدولة الفلسطينية.

٤ - أهمية إسرائيل فى السياسة الكونية الأمريكية:

(أ) - يخطئ من يظن أن إسرائيل تدير شئون الولايات المتحدة أو تؤثر فى استراتيجيتها الكونية، أو أن لها دور هام فى اختيار الرئيس الأمريكى، لأن الحقيقة أن إسرائيل أصبحت أداة بيد السياسة الأمريكية لتنفيذ الأعمال (القذرة) بأقل التكاليف المادية والبشرية ودون إحراج بسبب التدخل المباشر، وهى الذراع الطويلة للولايات المتحدة، وحاملة الطائرات الراسخة فى الشرق الأوسط، وهذا الدور لم يفرض على إسرائيل بل هى أرتضته لنفسها لأنه يتفق مع مصالحها وأمنها وآمالها التوسعية.

(ب) ـ حظيت إسرائيل ـ نظرا لأهميتها داخل الاستراتيجية الكونية الأمريكية بعدد من الاتفاقيات مع الولايات المتحدة أهمها:ـ

ـ التصريح الثلاثي الذى وقعته كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتعهدت بموجبه بحماية إسرائيل وضمان أمنها وحدودها.

ـ التزام عام ١٩٥٦، أثر العدوان الثلاثي على مصر، وهو التزام أعلنه وزير خارجية الولايات المتحدة بضمان حرية الملاحة لإسرائيل فى مضايق تيران.

ـ اتفاقية تبادل المعلومات العسكرية (١٩٧٠).

ـ الاتفاقية الاقتصادية (١٩٧٥) تتيح تقديم خدمات إسرائيلية للجيش الأمريكي فى الخارج.

ـ اتفاقية التفاهم الأمريكية ـ الإسرائيلية الملحقة باتفاقية سيناء الثانية (١٩٧٥) وهى توفر لإسرائيل إمكانيات التسلح والدعم الاقتصادى والأمداد بالنفط والوقوف ضد أى مساع سياسية فى غير صالح إسرائيل.

ـ اتفاقية تصدير منتجات الصناعات العسكرية الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة (١٩٧٩) مع توقيع اتفاقية كامب دافيد.

ـ اتفاقية التفاهم الاستراتيجى الأولى (١٩٨١).

ـ اتفاقية عام ١٩٨٣ تقضى بتشكيل لجنة عسكرية ـ سياسية مشتركة لتنسيق المناورات المشتركة وتبادل المعلومات الخاصة بالمخابرات.

- اتفاقية التجارة الحرة (١٩٨٥).
- اتفاقية مشاركة إسرائيل فى مشروع حرب النجوم (١٩٨٦).
- اتفاقية التفاهم المشترك (١٩٨٧)، وبموجبها أصبحت إسرائيل تتمتع بمرتبة الدولة الحليفة للولايات المتحدة.

(جـ) وهناك مجال آخر فى علاقات البلدين اسئ فهمه بشكل واضح، وهو اصطلاح اللوبى الصهيونى داخل الولايات المتحدة وداخل الجهاز التشريعى بشكل خاص، ويمكن توضيح هذا اللبس بما يلى:

- إن اللوبى المؤيد لإسرائيل هو جزء لايتجزأ من الإدارة الأمريكية ومن المصالح الأمريكية، وقد تزامنت قوته مع بدء احتلال الولايات المتحدة لمكانة الاستعمارين الفرنسى والبريطانى فى الشرق الأوسط.
- إن تواجد اللوبى واستمراره مرهون بمدى ارتباط إسرائيل بالولايات المتحدة وتماثل مصالح البلدين، وفى حالة حدوث خلافات جوهرية فى المصالح يقف اللوبى المؤيد لإسرائيل إلى جانب الولايات المتحدة، ولايمكن إغفال تأثيره المادى فى الإنفاق على حملات الانتخابات الرئاسية.

(د) وهناك أمر حيوى آخر لابد من توضيحه وهو عدم وجود اختلاف فى مواقف الحزبين الكبيرين: الديمقراطى والجمهورى، حول الموقف من إسرائيل لأن كل حزب يقف مع مصلحة الولايات المتحدة أولا.

(هـ) وأخيرا كل ما سبق يفسر مواقف الرئيس «كارتر» التى وقفت أمام الرعونة الإسرائيلية، ومواقف الرئيس «بوش» الذى أرغم إسرائيل على التوجه إلى قاعة المفاوضات فى «مدريد» وهدد بايقاف المعونات الأمريكية لها، وأخيرا استمرار الرئيس «كلينتون» فى نفس الاتجاه، وفى عهده تنازلت إسرائيل عن كثير من نواياها وقامت مع منظمة التحرير الفلسطينية بالتوقيع على اتفاق إعلان المبادئ فى البيت الأبيض بواشنطن فى ١٣/٩/١٩٩٣ فى وجود كل من «اسحق رابين» و «ياسر عرفات».

(و)ويعود هذا التحول الكبير فى المواقف الأمريكية إلى مجموعة من المتغيرات الدولية:

(أ) أبرزها وأولها وأخطرها السقوط السوفييتى.

(ب) الأزمة الأقتصادية الدولية.

(جـ) تضاؤل دور إسرائيل داخل الاستيراتيجية الكونية الأمريكية، مع تزايد أهمية العالم العربى، بتروله وثرواته.

الفصل الثانى

المنظمات الصهيونية ودور يهود العالم بعد حرب ١٩٥٦

١- دور يهود العالم:

تلعب الجاليات اليهودية دورا كبيرا فى تنفيذ الأعمال الدعائية لإسرائيل ودعم مشروعاتها الاستيطانية والاقتصادية. وتقوم إسرائيل بتصنيف الجاليات اليهودية إلى سبعة مستويات:-

المستوى الأول:

يضم يهود إسرائيل والولايات المتحدة، وهو مستوى رغم تناقض بعض أجزائه إلا أنه يحظى بدور قيادى فى توجيه الجاليات اليهودية الأخرى والإشراف عليها وتقديم المساعدات إليها.

المستوى الثانى:

يضم الجاليات اليهودية التى لا تحتاج إلى دعم أو مساعدات من الخارج، وتشمل يهود بريطانيا وفرنسا وكندا وجنوب أفريقيا وأستراليا. ولهذه الجاليات هيئاتها القيادية الخاصة ولها علاقات وثيقة مع حكومات البلدان المضيفة.

المستوى الثالث:

يضم جاليات تحتاج إلى مساعدات بسيطة فى مجال تعليم اللغة العبرية، وإعداد رجال الدين، وهو ما ينطبق على يهود سويسرا والبرازيل والأرجنتين، ويعتبر يهود الأرجنتين الأكثر عددا والأقدر على المساهمة فى الهجرة إلى إسرائيل.

المستوى الرابع:

يضم تجمعات يهودية تزيد فيها حركة الأندماج بسبب انفتاح تلك التجمعات على الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية فى بلدانها، ولذلك تعتبرها الحركة الصهيونية مهددة بالأنقراض. وهذا ينطبق على يهود الدول الإسكندنافية.

المستوى الخامس

يضم طوائف تعيش تحت الوصاية الإسرائيلية ووصاية يهود الولايات المتحدة وتدار مؤسساتها من الخارج وهذا ينطبق على يهود الأتحاد السوفيتى.

المستوى السادس:

يضم طوائف يهودية تعتبرها الحركة الصهيونية تمر بمرحلة تفكك وتشمل يهود الدول العربية.

المستوى السابع:

يضم مجموعات يهودية تستغلها الصهيونية مجرد أرقام عند التعداد العام وتمارس ضدها كل أشكال التمييز ولا يعترف أحيانا

بيهوديتها وتشمل الزنوج العبريين وهم من الولايات المتحدة وقد هاجروا إلى إسرائيل عام ١٩٦٩ وتهدد السلطات الإسرائيلية هذه المجموعات بالطرد من إسرائيل. كما تشمل هذه المجموعات أيضا يهود الفلاشا (الأحباش).

وأبرز مواطن الخلاف بين إسرائيل ويهود العالم هى مسألة الأعتراف بمركزية إسرائيل فى حياة اليهود أينما وجدوا، ولعل يهود الولايات المتحدة أكثر الجاليات معارضة فى ذلك، وكذلك رفض الهجرة إلى إسرائيل على أساس أن وجودهم يعد من الأهمية بمكان لمساندة إسرائيل.

ومع بدء سريان السلام الذى بدأت ملامحه من خلال كامب دافيد واتفاق (غزة ـ أريحا) فإن الهجرة إلى إسرائيل ينتظر أن تتضاءل لزوال التهديد الموجه للدولة اليهودية.

هذا بالإضافة إلى أن اليهود يميلون إلى الاستقرار فى الدول المتقدمة ذات مستوى المعيشة المرتفع، بل أن اليهود السوفيت قد يفضلون البقاء بعد السقوط السوفيتى ويتجه عددا منهم إلى الولايات المتحدة وأوروبا بدلا من إسرائيل.

٢ ـ أهمية خاصة للمنظمة الصهيونية الأمريكية:

إن كل منظمة أو هيئة صهيونية فى الولايات المتحدة إما تعتبر جزءاً تابعا لكل من المنظمة الصهيونية العالمية، والوكالة اليهودية بإسرائيل، والحكومة الاسرائيلية، أو تابعة لأى منهم.

ومن المعروف أن المنظمةالصهيونية الإمريكية تعتبر فرعا للمنظمة الصهيونيةالعالمية، وتقع تحت سيطرتها وتلتزم بتطبيق

قرارات المنظمة العالمية، وكذلك ماتشير به من مبادئ وآراء تتعلق بالواجبات التى يجب على الصهانية الأمريكيين - أعضاء المنظمة الصهيونية الامريكية - القيام بها، وكل عضو بالمنظمة الأمريكية يعتبر تلقائيا، عضوا بالمنظمة الصهيونية العالمية، وبالتالى خاضعا لسيطرتها.

وقد تكوّن بعد حرب ١٩٦٧ جهاز صهيونى عالمى يعرف بالكورد تنيتنج بورد "COORDINATING BOARD" (مجلس التنسيق) جاء نتيجة ائتلاف بين الحكومة الإسرائيلية والمنظمة الصهيونية العالمية، ووظيفة هذا الجهاز هى ايجاد ترابط بين الجماعات اليهودية بعضها البعض خارج إسرائيل، وايجاد الترابط بين تلك الجماعات ككل ودولة إسرائيل من ناحية أخرى، ويقوم هذا المجلس التنسيقى بمباشرة نشاط المنظمات والهيئات والجمعيات الصهيونية الموجودة خارج اسرائيل بما فى ذلك الموجود منها بالولايات المتحدة.

- والمنظمة الصهيونية العالمية عن طريق أئتلافها مع الحكومة الاسرائيلية ونتيجة تبعية الهيئات والمنظمات الصهيونية الموجودة بالولايات المتحدة والدول الأخرى لها، تمكنت إلى حد ملحوظ من غزو المجتمعات اليهودية الأمريكية بهدف ضم تلك المجتمعات بناء على توجيهات «هرتزل» ومن بعده «بن جوريون وأشكول» وقد تركز نشاط المنظمة الصهيونية فى هذا الصدد، على كل من المجالين الإجتماعى والثقافى ليهود الولايات المتحدة.

- كما تبين أيضا أن هنالك مجلس للنشاط الثقافى خارج إسرائيل منذ عام ١٩٦٤ وهذا المجلس تخصص له ميزانية تقدر بملايين

عديدة من الدولارات، ووظيفته هى أن يقوم بواسطة الوسائل الثقافية التعليمية بضمان استمرار واضطراد التأييد السياسى لإسرائيل، وقد أدى انشأ هذا الجهاز إلى خلق وظيفة «وزير لشئون اليهود خارج إسرائيل» بالحكومة الاسرائيلية. وكانت إحدى النتائج المباشرة لخلق تلك الوظيفة، هى إنشاء ٢٤ منظمة وجمعية صهيونية متفرعة عن مجلس الشباب اليهودى لامريكا الشمالية، لتقوية الثقافة والتقاليد اليهودية بالولايات المتحدة، وكذلك الروابط مع إسرائيل. وكان من أولى برامج نشاط تلك الهيئات، مقاومة الدعاية العربية ضد الصهيونية بالجامعات الأمريكية.

الفصل الثالث

الإعلام الإسرائيلى الموجه للولايات المتحدة الأمريكية

١- أبرز أهداف الإعلام الإسرائيلى

لاشك ان إسرائيل تحرص فى دعايتها على تحقيق أهداف عدة، بعضها لتحقيق مصالح عاجلة والبعض الآخر لتحقيق مصالح لاتحقق ثمرة إلا على المدى الطويل.

وهذه الأهداف يتداخل بعضها فى البعض، وإن أمكن إيضاح أهمها على الوجه التالى:

- الكشف عن العناصر المعادية للعرب وبالذات للجمهورية العربية المتحدة فى أمريكا - سواء فى الولايات المتحدة أو فى غالبية دول امريكا اللاتينية - واستغلالها بعد تنمية ما لديها من أحقاد واستمالة هذه العناصر لتكون فى خدمة إسرائيل.

- الحصول - أو الاستمرار فى حصول - إسرائيل على القروض والاعانات والمساعدات الاقتصادية.

- ضمان حماية الولايات المتحدة لكيان إسرائيل، وزيادة شقة الخلاف بينها وبين الدول التى تهتم بالصداقة والمساعدة للعرب ،

- تنظيم صفوف الجاليات اليهودية وتلقينها مبادئ الصهيونية جيلا بعد جيل حتى تبعدها عن أى حركة تناهض الصهيونية العالمية.

- تحويل أكبر قدر ممكن من الدولارات إلى إسرائيل.

- تنشيط تهجير اليهود من الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية إلى أسرائيل.

- عزل كل نشاط عربي وإحباطه.

- فإذا ما انتلقنا إلى غرض الدعاية الصهيونية فى شأن النزاع العربى الإسرائيلى نجد أنها تصف هذا النزاع بعدم القابلية للحل، لتعنت العرب، وتستغل الصهيونية فى هذا المجال، عنصرا سيكولوجيا يجد صدى لدى المجتمع الأمريكى، ومؤداه نسيان الماضى، والتفاوض على أساس الأمر الواقع، لنظرة هذا المجتمع العملية البحتة للأشياء، وبالتالى تجرده إلى حد كبير من الذكريات، والعوامل والوقائع التاريخية التى تستند إليها باقى المجتمعات فى حكمها وتقديرها للأدوار السياسية.

- تتضمن أيضا الحملة الدعائية الصهيونية ضد العرب، إيهام الآخرين بأن العرب يكنون عداءاً وتعصبا ضد نفس العقيدة اليهودية.

- وبوجه عام كان هدف الصهيونية الأساسى خلق صورة مشوهة للعرب أمام العالم بصفة عامة، والمجتمع الأمريكى بصفة خاصة، تتفق وأهداف إسرائيل السياسية فى منطقة الشرق

الأوسط. وكانت النتيجة هى أن أصبح العرب ضحايا أنجح حملة دعائية وسياسية عرفها التاريخ الحديث، لخلق صوره بغيضة لقوم ما، وليس هذا بغريب إذا ما وضعنا فى الحسبان تعدد الأدوات والأجهزة الدعائية التى تمكنت الصهيونية فى أمريكا على مر الزمن من السيطرةعليها، من ناحية وتخلف العرب عن الصهانية فى فن الدعاية وإتصاف الوجود العربى فى الولايات المتحدة بالضآلة والتشتت.

- ويمكن القول فى هذا الصدد ان الدعاية الصهيونية قد تمكنت من تحقيق هدفين رئيسيين فى الولايات المتحدة هما:

- كسب عطف الشخصيات السياسية الرئيسية، عن طريق استغلال جماعات الضغط اليهودية، لتحقيق المصالح أو الأغراض السياسية أو غيرها، لهؤلاء السياسة.

- كما تمكنت من إضفاء صفة التبعية والولاء لإسرائيل، بالنسبة لعدد كبير من يهود الولايات المتحدة، وبالذات الأغنياء وذوى النفوذ منهم.

- وأهم من ذلك هو نجاح الصهيونية، فى ربط العالم السياسى الأمريكى /الإسرائيلى فى إطار واحد متماثل بالنسبة للشرق الأوسط، كما أنها - بطريق غير مباشر، استغلت الأوضاع العربية العرقية سياسيا، فى ايجاد الفرقة والتباعد بين الولايات المتحدة والعالم العربى.

٢ ـ أهم أساليب الدعاية الإسرائيلية:

قامت الدعاية الإسرائيلية فى الولايات المتحدة على أسس عدة من أهمها:

- مخاطبة مراكز القوة فى المجتمع الأمريكى، وبذل الجهد المتواصل للتأثير عليه وكسبه فى صفها، وسبيل ذلك التعمق فى دراسة المجتمع الأمريكى وفهم الأوساط التى تفيدهم لدى توجيه دعايتهم وتستجيب إليهم وتتقبل وجهة نظرهم.وهذه الأوساط تكون فيما بينهما جماعات مؤثرة تستطيع التوجيه والضغط السياسى، وهذه الأوسط إما أن تكون:

(أ) طبقية مثل نقابات العمال.

(ب) مهنية مثل جمعيات الأطباء والمحامين.

(جـ) دينية مثل الهيئات البروتستانتينية والكاثوليكية الكبيرة.

(د) عنصرية كالمنظمات الصهيونية.

(هـ) جنسية مثل الجمعيات النسائية.

(و) فئة القائمين على وسائل الاتصال العامة كالزعماء السياسيين وكبار موظفى الدولة.

ولم تغفل إسرائيل قطاعا من القطاعات تستطيع التسلل إليه لتكوين (الجماعات المؤثرة) وأن تسكت كل صوت من خلال هذه الجماعات يخشى منه وعزلهم، كما حدث مع بعض الصحفيين المعتدلين والمثقفين المنصفين.

- أجهزة الإعلام:

واستعانت إسرائيل من أجل كسب الجماعات المؤثرة ومن أجل دعم مكانتها لدى الرأى العام الأمريكى بأجهزة الإعلام فسعت، ونجحت إلى حد كبير فى مسعاها - فى السيطرة على الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما واستطاعت اخضاعها لنفوذها.

- الأوساط العلمية:

- وبالنسبة للأوساط العلمية قامت إسرائيل بمعاونة الجمعية الأمريكية لدراسات الشرق الأوسط، وهى الجمعية التى ترشد الجامعات بالنسبة للتعيين والإنتداب وعقد المؤتمرات الدراسية عن الشرق الأوسط، وإيفاد الأساتذة إلى الجامعات الأمريكية.

- وقامت بمعاونة اللجنة الجامعية لشئون إسرائيل وتوزيع الموجهين فى الأوساط العلمية وإنشاء صلات مع قادة الدوائر العلمية.

- وشجعت إسرائيل على التعاون مع الكليات والجامعات من أجل إقامة ندوات عن الشرق الأوسط وتسهم فى ذلك (المؤسسة الثقافية العبرية التى تعرض على الجامعات الأمريكية أموالا من أجل استخدام الأساتذة الممتازين فى شئون الشرق الأوسط).

- وشجعت على الأحتفال بأعياد إسرائيل فى المحيط الجامعى.

- واستفادت من الطلبة اليهود فى الجامعات فوجهتهم ولقنتهم.

- وأعدت - تحت الطلب - المواد والكتب التى يحتاجها أساتذة العلوم الإجتماعية فى المدارس الثانوية حول موضوع إسرائيل.

- بين الطوائف المسيحية:

وفى وسط هذه الطوائف عملت إسرائيل على تنمية الصلات مع بعض قادة دينيين فى مراكز حساسة، وشجعت على عقد ندوات وحلقات دراسية عن إسرائيل لرجال الدين المسيحى، ونشرت مقالات فى صحافة البروتستانت والكاثوليك على السواء، وتصدت لكل فكرة مسيحية تعادى الفكرة الإسرائيلية ومن أمثلة ذلك نشاط إسرائيل من خلال (الرابطة الأمريكية المسيحية لإسرائيل) التى لا يكتفى الصهيونيون بتوجيهها بل أن مكاتبها تابعة للمجلس الصهيونى الأمريكى، هذا المجلس الذى يمول (مجلس شئون الشرق الأوسط) و (المنظمة الأمريكية لدراسة الشرق الأوسط).

وتقوم (الرابطة الأمريكية المسيحية لإسرائيل) بتنظيم رحلات إلى إسرائيل مقابل مبالغ رمزية.

- وسائل الاتصال:

يقوم المجلس الصهيونى الأمريكى بتمويل وكالة البرق اليهودية التى تتعامل مع الصحف اليهودية.

وتعمد إسرائيل لمخاطبة الرأى العام من خلال مداخل معينة ونقاط حساسة تسهل لها الاستجابة لدعايتها، فهى تحاول الظهور بمظهر الضعيف المعتدى عليه، وتركز على صغر رقعة إسرائيل ومع (الخصم القوى الكبير). ثم تتسلل إلى الزنوج الأمريكيين - وغالبيتهم تؤيد إسرائيل - تحت ستار أن اليهود أقلية مضطهدة مكروهة ينبغى للزنوج أن يقفوا معها دفاعا عن حقوق الأقليات.

هذا بينما يتسللون إلى أبناء الولايات الجنوبية التى تكره الزنوج تحت ستار أن إسرائيل تمثل الجنس الأبيض فى منطقة الشرق الأوسط وأنها رمز على تفوق البيض وامتيازهم.

وفى ولايات الشمال تزعم أنها قلعة الحرية والديمقراطية فى الشرق الأوسط وممثلة للحضارة الأمريكية به.

وفى أوساط الكاثوليك وهم أقلية دينية فى أمريكا تنبههم إسرائيل إلى أن اليهود أقلية مثلهم وتطلب منهم حث يهود أمريكا على رعاية مصالح إسرائيل وذلك كمظهر من مظاهرات تساند الأقليات.

وفى أوساط البروتستانت تلجأ إلى الكتب الدينية القديمة لهذه الفئة وتزعم أن هذه الكتب تنبأت بقيام دولة إسرائيل.

- ادخال إسرائيل لعناصر لا علاقة بها بالقضية الفلسطينية ولكنها ترمى إلى جعل الشعوب نفسها طرفا فى النزاع العربى الإسرائيلى متحيزا لإسرائيل، ومظهر ذلك أن إسرائيل تخاطب الأمريكى من خلال نغمة (العربى صديق عدوك الروسى، وعدو لحلفائك الغربيين، بينما إسرائيل امتداد لحضارة الغرب إلى أرض فشل الغرب فى الوصول إليها عن طريق الصليبيين وعن طريق الاستعمار).

- تكرار الحملات الدعائية، وتحويل الأذهان عن أى مسلك يدين إسرائيل، وعلى ذلك فإن إسرائيل تعمد من حين لآخر لاثارة وأفتعال وتجديد حملات دعائية مرسومة كلما كاد الرأى العام ينسى حملاتها السابقة نتيجة مرور وقت طويل عليها، وعلى

ذلك تدأب إسرائيل على تذكير العالم بما تعرض له اليهود من اضطهاد، وهى تهدف من ذلك إلى ألا يؤدى خمود الحملات إلى شعور بالاطمئنان لدى اليهود خارج إسرائيل، وإسرائيل تلجأ من أجل ذلك حتى إلى افتعال أعمال معادية لليهود ثم القيام بحملات مضادة، ومثال ذلك قيام اليهود أنفسهم برسم شارة الصليب المعقوف (علامة النازى) لإثارة نزعة اضطهاد اليهود فى كل مكان تخبو فيه حماسة اليهود.

- ولا شك أن السفارة الإسرائيلية فى واشنطن علي رأس الأجهزة التى تمارس ألوان النشاط الدعائى لإسرائيل، وهى التى تقوم بمهمة التوجيه والاشراف والتنسيق.

- معاهدة الصداقة المعقودة بين إسرائيل والولايات المتحدة فى سنة ١٩٥٢، ومن خلال هذه المعاهدة ، بالاضافة إلى ما يتم من نشاط من خلال ثغرات أخرى ، تجرى الزيارات المتبادلة أو بمعنى أصح الدعوات المجانية لمختلف الأوساط الأمريكية لزيارة إسرائيل ، ويتم إصدار النشرات الصحفية والدعائية وتوزيعها فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة.

- استغلال إسرائيل للوزن السياسى لليهود فى أمريكا ، رغم قلة عددهم نسبيا (حوالى ٩ مليون) داخل الولايات المتحدة ، مع استغلالها لظاهرة تركز اليهود فى الولايات الهامة انتخابيا مثل نيويورك وكليفورنيا وبنسلفانيا والنيوى .

- استفادة اسرائيل من تحكم اليهود فى دوائر المال والأعمال ، واسهام اليهود بصورة فعالة فى تمويل وتوجيه الحملات

الانتخابية الرئاسية وانتخابت الكونجرس ، ولعل هذا من العوامل التى دعت الرؤساء الأمريكيين ، لتعيين أحد مساعديهم الخاصين ليتولى شئون الاتصال بالجماعات اليهودية الأمريكية ومحاولة كسب ودها.

- تشويه صورة العرب ، لدى الرأى العام العالمى بوجه عام والمجتمع الأمريكى بوجه خاص ، واستغلال التناقضات والانقسامات وبعض مظاهر التخلف فى بعض المجتمعات العربية ، مستهدفة بذلك عرض صورة بغيضة لشعوب (غير جديرة) بمكانة دولية.

- التسلل إلى أجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ، بالاستعانة ببعض الدول الغربية لابعاد أى عربى والحيلولة دون توليه أى منصب ذى وزن سياسى أو أقتصادى أو ثقافى باذلة فى ذلك أقصى الجهد ، حتى ولو لم يعين اسرائيلى فى هذا المنصب . ولم يكن تعيين أو أنتخاب د. بطرس غالى ليتم لولا صلح مصر مع اسرائيل ومفاوضات السلام وغيرها من أسباب

٣- تغلغل النفوذ الصهيونى فى أجهزة الإعلام :

(أ) تزايد النشاط الصهيونى سياسياً ودعائياً فى الفترة الأخيرة ، وضاعفت الهيئات الصهيونية الأمريكية ، والجماعات المتعاطفة معها، جهودها لمواجهة ما تكشفت عنه التطورات فى أزمة الشرق الأوسط ، عن تعنت واضح لإسرائيل ، ووحشية تجلت فى غاراتها على المدنيين ، واستهدف النشاط الصهيونى ،

تحييد الاثار السلبية التى أحدثتها تصرفات إسرائيل لدى الرأى العام العالمى ، ومحاولة امتصاص السخط المتزايد ضدها . وبالاضافة إلى ذلك ، شنت إسرائيل حملة دعائية ضخمة ، بنتها على أن الطيارين السوفيت ، يعملون فى الأجواء العربية وهو ما يثير مخاوف الولايات المتحدة .

(ب) وفى المجال الصحفى والإعلامى : تغلغل النفوذ اليهودى والصهيونى على مر السنين ، فى شتى المجالات الإعلامية الأمريكية ، من صحافة إلى تليفزيون إلى سينما ، فسهل ذلك للدعاية الصهيونية تحقيق أهدافها فى تلك المجالات الإعلامية . فبالنسبة للصحافة ، امتدت الدعاية الصهيونية إلى الصحف الرئيسية الواسعة الانتشار بالولايات المتحدة ، النيويورك تايمز ، والهرالدتريبيون ، والواشنجتون بوست ، ولوس انجلوس تايمز ، والشيكاغو تريبيون ، وكذلك المجلات الكبرى وأهمها ، التايم ، والنيوزويك ، واللايف .

- وبالنسبة لمحطات الإذاعة والتليفزيون ، استطاعت الأجهزة الصهيونية السيطرة على أهمها ، إما عن طريق التسرب إلى أجهزة هذه الشركات الإدارية ، حيث يعمل فنيون كثيرون من اليهود فيها ، أو عن طريق المساهمة المالية فى رؤوس أموالها ، والمعروف أن أكبر ثلاثة شبكات تليفزيون بالولايات المتحدة ، ويسطر عليها اليهود والدعاية الصهيونية هى [ABC-NBC-CBS] . وكذلك الحال بالنسبة لكبرى شركات السينما ، التى تساهم العناصر اليهودية فى رؤوس أموالها وإداراتها .

وبالإضافة إلى ماسبق ، يخضع الكثير من دور النشر والمطابع الرئيسية للتأثير والنفوذ اليهودى ، وبالتالى قلما ينجح شخص فى نشر كتاب مناهض للصهيونية فى أمريكا .

(جـ) وإذا كنا لا نجد جديدا فى ترابط التنظيمات الصهيونية الأمريكية ، بصفة خاصة ، والسياسية الإسرائيلية ، ثم فى قوة وفعالية وتأثير هذه التنظيمات على الحكومة الأمريكية ، فإن التطورات كشفت من الحقائق ما يعطى لهذا التأثير ، وذلك الترابط ، بعد أعمق بكثير مما كان يصوره بعض المعلقين والمراقبين . وذلك أن الهيئات الصهيونية أصبح لها مطلق الحرية فى العمل فى الولايات المتحدة ، ولم تعد الحكومة الأمريكية تعمل على تطبيق القوانين الخاصة بتسجيل هذه الهيئات ، كعملاء أجانب ، وهو الأمر الذى تحقق من ورائه هذه الهيئات ، مكاسب كبيرة ، وتسهيلات ضخمة فيما تجمعة من ورائه هذه الهيئات ، مكاسب كبيرة ، وتسهيلات ضخمة ، فيما تجمعه من أموال ، وما تقدم به من دعاية.

ولكى تكون الصورة واضحة، فإننا نذكر أن الأمر وصل إلى حد أن الحكومة الأمريكية ، قد لجأت قبل زيارة «بومبيدو» لواشنطن ، إلى طلب مساعدة السفارة الإسرائيلية لتهدئة الجماعات الصهيونية واقناعها بالعدول عما كانت بصدده من مظاهرات ضد الزيارة ، وهى المظاهرات التى ذكرت الأنباء أنها كانت بوحى من حكومة اسرائيل . كذلك فقد وصل الأمر بأحد نواب مدينة نيويورك فى الكونجرس «بيتر ترام بودل» إلى حد أنه اتصل بالسفارة الإسرائيلية

لمساعدته فى مباشرة نفوذها للضغط على أعضاء الكونجرس لمقاطعة الخطاب الذى ألقاه الرئيس الفرنسى «بومبيد» فى اجتماع الكونجرس خلال الزيارة.

والواقع أن السفارة الإسرائيلية فى واشنطن ، تقع على رأس الجهاز المنظم لمختلف الوان النشاط ، وهى إلى جانب ذلك تباشر نشاطها الرئيسى من خلال لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية ، كما تؤديه بصورة مباشرة عبر طريق الاتصالات الشخصية ، والاجتماعات مع المسئولين فى الحكومة والكونجرس بالإضافة إلى ما توجهه من دعوات مجانية لزيارة إسرائيل ، وما توزعه من نشرات صحفية ودعائية ، ترسلها إلى ما يزيد على مائه ألف من الشخصيات البارزة وتضمنها دائما ، وبصورة متجددة ، التطورات السياسية المتعلقة بالمنطقة واسرائيل ، من وجهة النظر الإسائيلية ، بطبيعة الحال . وكذلك تنظم السفارة الإسرائيلية ،محاضرات عديدة فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وتنسق نشاطها فى هذا الصدد مع الجماعات والهيئات الصهيونية الأمريكية، وعلى الرغم من اتساع نشاط السفارة الإسرائيلية فإن الحكومة الأمريكية تتغاضى عنه مع أنه يخالف صراحة ما تنص عليه اتفاقية الصداقة ، المعقودة بين إسرائيل والولايات والمتحدة عام ١٩٥٢ من تحريم أى نشاط سياسى من قبل الحكومة الإسرائيلية فى الولايات المتحدة.

(د) وثمة عنصر هام ينبغى التنبيه إليه ، هو أن الوزن السياسى لليهود ، يفوق فى واقع الأمر قوتهم العددية المحدودة – ٩ مليون نسمة – داخل الولايات المتحدة . ذلك أن تركيزهم يأتى

فى الولايات الأربع الهامة انتخابيا ، وهى «نيويورك» و«كاليفورنيا» و«بنسلفانيا» ، والينوى هذا علاوة على أن تحكمهم فى المراكز الحساسة فى دوائر المال والأعمال والصحافة ، وإسهامهم بصورة فعالة ، فى تمويل ورسم وتوجيه الحملات الانتخابية الرئاسية ولأعضاء الكونجرس يزيد من ثقلهم السياسى لدى عدد كبير من السياسيين والمسئولين الأمريكيين وخاصة رؤساء الجمهورية وأعضاء الكونجرس ومن المناسب فى هذا الصدد أن نشير إلى ما نشرته الصحف وجاء فيه «أنه رغم ان الحزب الديمقراطى يضم حوالى ٧٠٪ منهم ، ورغم أن غالبيتهم صوتت فى صالح مرشح هذا الحزب فى انتخابات الرئاسة ، فإن أي رئيس أمريكى ، يعول كثيرا على كسب أصوات اليهود وتأييدهم ، ولهذا الغرض فإن الرؤساء الأمريكيين يعينون مساعدين خاصين لهم ، لتولى شئون الأتصال بالجماعات اليهودية الأمريكية ، ومحاولة كسب ودها.

ولما كان الكيان اليهودى فى الولايات المتحدة ، عاملا هاما ما بذاته، وأداة طبيعية فى أيدى إسرائيل ، تتعاون معه فى تحقيق ما تستهدفه فى الشرق الأوسط ، بالضغط على مراكز القوى فى الحكومة الأمريكية ، فقد صارت المحافظة على هذا الكيان ، بين الأهداف القومية والاستراتيجية الاسرائيلية أمراً حيوياً ، ويتحتم أن تكون الخيوط المحركة له فى «تل أبيب» والقدس ، من خلال التنظيمات الصهيونية فى الولايات المتحدة ، التى تستغل ما حققته إسرائيل من مكانة إثر انتصارها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وما توفر لها من عناصر القوةوالتأييد من اليهود والأمريكيين على السواء.

الفصل الرابع

الإعلام الإسرائيلى الموجه إلى الدول الأخرى

الإعلام الاسرائيلي الموجه إلي الدول الاخرى

١ـ التوجه إلى أوروبا الغربية :

(أ) الأهداف :

من أهم أهداف دعاية إسرائيل فى أوروبا الغربية:

- إظهار العرب بمظهر التخلف والتعصب ضدالحضارة الغربية والتركيز على خطورة وجود الأماكن المقدسة فى أيدى العرب والتظاهر بأن إسرائيل دولة متسامحة لا تعادى المسيحية.

- الحصول على ما يمكن من مساعدات بشتى أنواعها.

- ممارسة الضغط من أجل ضمان وقوف دول غرب أوروبا فى صف إسرائيل أو على الأقل عدم الوقوف ضدها وبذل الجهد المتواصل والمتكرر مع الإلحاح وعدم اليأس من طرق الباب الواحد أكثر من مرة.

- إن إسرائيل هى جزء حضارى من الغرب بنظامها القائم على الديمقراطية وحرية السوق.

- أنها محاطة بنظم دكتاتورية ومتخلفة.

- وإن العرب الذين يتفوقون عددا يريدون القاء إسرائيل فى البحر.

- إن إسرائيل مجتمع مسالم ولا يريد الاستمرار فى حرب.

(ب) الأساليب:

بالإضافة إلى ما سبق إيضاحه (أساليب الدعاية الإسرائيلية فى الولايات المتحدة) يمكن القول بأن إسرائيل تركز فى دعايتها فى أوروبا الغربية على الأساليب التالية:

- استغلال المركز السياسى الذى يحتله اليهود، والاستفادة من سيطرة اليهود المالية وتحكمهم فى وسائل الدعاية والنشر.

- انتهاز الفرص المتاحة فى دول أوروبا الغربية نتيجة تسامح مبادئ ودين هذه الدول بالنسبة لليهود والصهيونية.

- ميل اليهود فى دول أوروبا الغربية، بريطانيا مثلا للتظاهر بأنهم بريطانيون، وقيامهم بتأييد إسرائيل بوصفهم بريطانيين، وهذا يحدث فى سائر دول أوروبا الغربية.

- تركيز إسرائيل على ما تصوره لدول أوربا الغربية من مصالح مشتركة (مثال ذلك خطاب ألقاه مناحم بيجن أثناء أزمة الجزائر يصور فيه المصالح المشتركة بين إسرائيل وفرنسا ويعلن وجوب بقاء فرنسا فى الجزائر والإسرائيليين فى إسرائيل)

إبراز الرواية اليهودية للتاريخ القديم وصلة اليهود بالأرض الفلسطينية.

٢ـ التوجه إلى أمريكا اللاتينيه:

١ـ الأهداف:

أدركت إسرائيل أن شعوب أمريكا اللاتينية شعوب عاطفية، وأدركت أن لدول أمريكا اللاتينية أكثر من خمسة وعشرين صوتا فى الأمم المتحدة مما جعل لهذه الدول وزنا خاصا فى المحافل الدولية.

لذلك سعت إسرائيل جاهدة لاستمالة هذه الدول. وهكذا فإن هدف إسرائيل فى دعايتها فى أمريكا اللاتينية يتمثل ـ مع بعض التحريف ـ فيما سبق أن شرحه هرتزل فى المؤتمر الصهيونى الأول سنة ١٨٩٧:

ـ القيام بالسعى لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية.

ـ تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقا للقوانين المرعية فى الدول المختلفة.

٢ـ الأساليب:

تسلك إسرائيل في دعايتها لوجهة نظرها فى أمريكا اللاتينية نفس الأساليب السابق تقديمها فى باب (أساليب الدعاية الإسرائيلية فى الولايات المتحدة الأمريكية) إلا أن ثمة ظروفا متميزة فى أمريكا اللاتينية تعطى إسرائيل فرصا أكثر تتيح لها مزيدا من النشاط الإسرائيلى وذلك على الوجه التالى:

ـ شراء رجال السياسة فى بعض دول أمريكا اللاتينية فإن بعض رجال السياسة فى أمريكا اللاتينية تغلب عليهم ـ بوجه عام ـ

الميوعة، بل يمكن القول الانحلال الخلقى ، مما هيأ للدعاية الأمريكية وبالمثل للدعاية الإسرائيلية التسلل ـ والعمل على تفكيك أوضاع الجمهوريات، فانسابت الدعاية الإسرائيلية وراء النفوذ الأمريكى إلى صميم المجتمع والإدارات الحكومية والقوات المسلحة والصحافة فسيطرت على مقدراتها مستعينة بالمال والإغراء والإقناع للوصول إلى تحقيق أهداف الصهيونية التى تتخذ من الولايات المتحدة مركزها الرئيسى.

ـ إخفاء بعض اليهود العاملين فى حقل الدعاية فى أمريكا اللاتينيةلعقيدتهم الدينية ليتمكنوا من التغلغل فى كافة الأوساط.

ـ الدراسة السيكولوجية اليهودية ومن مظاهر ذلك أن إسرائيل لما أدركت تشبع عقلية شعوب أمريكا اللاتينية بالعقيدة المسيحية ابتكرت وساما أطلقت عليه (وسام فرسان القديس بولس) ومنحته لعدة شخصيات فى جمهوريات أمريكا اللاتينية.

الفصل الخامس

النشاط السياسى والإعلامى الإسرائيلى فى القارة الأفريقية

النشاط الإسرائيلى فى أفريقيا

مقدمة

إن إتجاه الكيان الصهيونى إلى القارة الأفريقية جاء ضمن إطار العمل على كسر الحصار العربى، وتحقيق مطامع الصهيونية العالمية فى السيطرة على أسواق واستغلال ثروات تلك القارة، وبالتالى محاصرة وضرب المصالح العربية. ومن ناحية أخرى، الحصول على الشرعية الدولية، ورعاية مصالح ومواقع الغرب فى تلك القارة. وتبعا لطبيعة العلاقات والاتصالات والنشاطات الإسرائيلية فى أفريقيا يمكن تقسيم أهداف الكيان الصهيونى تجاه تلك القارة إلى ما يأتى:-

١- الأهداف:

(أ) أهداف سياسية:

وتشمل مجموعة الأهداف الرامية إلى الخروج من العزلة السياسية، والحصول على المزيد من الشرعيةالدولية، وإفشال الجهود العربية التى تحاول إحكام الحصار حول الكيان الصهيونى وخلق ظروف دولية أكثر ملاءمة لتحقيق الأهداف الصهيونية، السياسية وغير السياسية.

(ب) أهداف اقتصادية:

وتشمل مجموعة القضايا المتعلقة بفتح الأسواق الأفريقية أمام المنتجات الإسرائيلية، والاستثمارات اليهودية من ناحية، والحصول على المواد الأولية، وعناصر الطاقة من تلك القارة، من ناحية ثانية، وبالتالى تحقيق ربط اقتصاديات بعض الدول الأفريقية، برباط من التبعية للاقتصاد الصهيونى.

(جـ) أهداف أمنية:

وتشمل مجموعة الأهداف المتعلقة بمجال الاستخبارات، وصناعة الأسلحة، والدفاع عن المصالح والمواقع الغربية، خاصة الأمريكية، وبالتالى ضرب المصالح العربية، وأضعاف نفوذ العرب فى تلك القارة.

٢ـ أساليب التغلغل الإسرائيلى:

من أجل تحقيق الأهداف سالفة الذكر، قامت إسرائيل والمنظمات الصهيونية التابعة لها، بتبنى برامج متعددة، للعمل على الساحات الأفريقية والأمريكية والأوروبية مع ضمان قدر من التنسيق والتكامل بين تلك البرامج، إلا أن تعدد النشاطات السياسية والاقتصادية والأمنية، واختلاف أولويات العمل الإسرائيلية عن الأمريكية فى بعض الأحيان، وعن أولويات العمل الأفريقية فى أغلب الأحيان، أدى إلى تعثر خطة العمل الإسرائيلية فى العديد من الحالات، وبالتالى عجزها عن تحقيق الكثير من أهدافها، وعلى العموم فإن إسرائيل تحاول تركيز عملها على الساحة الأفريقية حول أربعة محاور رئيسية هى زائير وليبريا ونيجريا، وجنوب أفريقيا.

فبينما تحاول استخدام الأولى لترسيخ الشرعية السياسية، وشق منظمة الوحدة الأفريقية، وقيام جناح سياسى أفريقى، يتبنى وجهة النظر الإسرائيلية فى المحافل الإفريقية، تحاول استخدام الثانية كنموذج للتعاون، ومثال لما تستطيع إسرائيل تقديمه من خدمات ومعونات للدول الإفريقية، أما الثالثة فتحاول استخدامها لإيضاح إمكانية فصل العلاقات السياسية عن العلاقات الإقتصادية والعسكرية، وإثبات أنه بالإمكان إقامة علاقات التعاون فى مجالات شتى فى غياب التمثيل البلوماسى. أما فى جنوب أفريقيا فإن التعاون يهدف أساسا إلى ضمان بقاء واستمرار وحيوية نظام التفرقة العنصرية، وبالتالى آخر مراكز الدفاع عن الكيان الصهيونى فى فلسطين، هذا وقد بدأت الخارجية الأمريكية سلسلة من الاجتماعات مع المسئولين فى وزراة الخارجية الإسرائيلية نتج عنها:

(أ) إقامة لجنة أمريكية إسرائيلية مشتركة لتنسيق العمل فى العالم الثالث.

(ب) قيام جورج شولتز بإصدار قرار يقضى بوضع السفارات الأمريكية في أفريقيا ا تحت تصرف الممثلين الإسرائيليين الرسميين وغير الرسميين.

(جـ) تبنى أمريكا لسياسة تقوم على التساهل فى تقديم المعونات الاقتصادية للدول الأفريقية المتعاونة مع إسرائيل واستخدام تلك المعونات كوسيلة لإغراء عدد كبير من دول أفريقيا على الاعتراف بالكيان الصهيونى.

وكان وزير المستعمرات البريطانى «تشمبرلن» قد بحث مع هرتزل منح اليهود مستعمرة «أوغندة» فى أفريقية لتكون لهم وطنا قوميا، إلا أن القادة الصهيونيين المتطرفين رأوا رأى الدول الاستعمارية الغربية، إقامة حاجز بشرى غريب عن منطقة الجسر البرى الذى يربط أسيا وأفريقيا، ويربطهما معا بالبحر المتوسط، بحيث يشكل فى هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة ، وما إسرائيل اليوم إلا ذلك الحاجز البشرى.

- تأكدت أهمية القارة الأفريقية بالنسبة لإسائيل فيما جاء بكتاب الكاتب الصهيونى «مردفاى كريتين» «إسرائيل وأفريقيا» إن ثمة مميزات واضحة لسعى إسرائيل «من أجل كسب أصدقاء لها فى الكتلة الأفروآسيوية المتزايدة الأهمية، فبسعيها ذلك تكسر طوق العزلة الاقتصادية، والسياسية التى تعانى منها فى الشرق الأوسط . لذلك فالتغلغل الإسرائيلى فى أفريقيا يجب أن ينظر إليه قبل كل شىء:

- كعمل مكمل للنشاط الاستعمارى فى القارة الأفريقية، وكحلقة اتصال بين البلاد الصناعية - الاستعمارية سابقا - والدول النامية فى أفريقيا وآسيا.

- كمجال للجهد الإسرائيلى الهادف إلى كسب أكبر عدد من الأصدقاء ، وتأمين التأييد السياسى لإسرائيل فى المحافل الدولية.

- كميدان عمل وتمرس للاقتصاد الإسرائيلى، وتأمين الأسواق التجارية.

- كمنطلق جبهة للوثوب على البلاد العربية من الخلف، بقصد تحطيم الحصار المفروض عليها فى شمال أفريقيا.

- بلغ عدد الدول الأفريقية المستقلة حتى عام ١٩٦٨ ، ٣٨ دولة ، تقوم بين معظمها (٣١ دولة) وبين إسرائيل علاقات ، تتراوح أهميتها بين دولة أخرى، فمنها من وثق علاقاتها بها كساحل العاج والسنغال والحبشة ونيجريا، ومنها ما حدد هذه العلاقات مراعاة للبلدان العربية الأفريقية كغينيا، ومنها من رفض حتى الاعتراف بإسرائيل كدولة مثل الصومال وموريتانيا.

- يتعذر تحديد منطلق زمنى للنشاط الإسرائيلى فى أفريقيا، بالنظر لتشابك المصالح الصهيونية ومصالح الدول المستعمرة آنذاك، حتى قبل قيام إسرائيل، وذلك أن الجاليات اليهودية المنتشرة فى أوروبا، والمتجنسة بجنسيات دولها، انتقلت مع الغزو الاستعمارى الأوروبى إلى تلك البلاد، وتركزت فيها، وأحياناً كانت تشغل المناصب الرسمية.

وضعية إسرائيل بالنسبة للمعسكر الغربى جديرة بالدراسة، إذ أن الدول التى استعمرت أفريقيا، هى دول غرب أوروبا، وهذه الدول نشرت ثقافتها ولغاتها، وخلقت بطول المدة، وبحكم الأمر الواقع فئات وطبقات جديدة من القيادات والخبراء والفنيين والمهنيين، يرون أن نماذج غرب أوروبا الحضارية والتكنولوجية والفنية والاجتماعية، هى النماذج التى تتطور إليها بلادهم، أو يرغبون فى تطوير بلادهم إلى مستواها.

وهنا تستطيع إسرائيل أن تستفيد من مثل هذا المناخ الثقافى الحضارى المصطنع فى الدول الأفريقية غير العربية، إذا المهاجرين الأوروبيين والأمريكيين إلى إسرائيل إنما يتكلمون اللغتين الأنجليزية والفرنسية كلغات أصلية، وهذا يسهل عليهم الاتصال، ويسهل أمامها فرص الدعاية التوجيه بواسطة الصحف والمطبوعات المنشورة فى أوروبا وأمريكا والتى تحمل وجهات النظر الإسرائيلية، ووجهات نظر الدول الأوروبية والأمريكية المساندة لإسرائيل.

وهكذا عملت الدول المستعمرة على تسهيل ومساندة الاندفاع الإسرائيلى نحو أفريقية فأفسحت المجال واسعا أمام ممثلى حكومة إسرائيل والهستدروت والوكالة اليهودية على أراضى المستعمرات

الأفريقية، الواقعة تحت سيطرتها، قبل استقلال هذه الأخيرة، ومنعت فى الوقت ذاته قيام أى تمثيل بين هذه المستعمرات وبين الدول العربية التى لم تتمكن من إقامة علاقات لها مع أفريقيا إلا بعد نيل مستعمراتها الاستقلال.

- ولم يقتصر الدعم الغربى لإسرائيل على استقبال بعثاتها الدبلوماسية والتمثيلية فى أفريقيا، وإنما تعداه إلى تمكين المنظمات الإسرائيلية وهيئاتها النقابية والاجتماعية والمهنية والطلابية، من إقامة إتصال مستمر مع مثيلاتها فى أفريقيا فى نطاق المعسكر الغربى ولأن البلدان الأفريقية فقيرة فى مجموعها، وحديثة العهد بالاستقلال، فهى تحتاج إلى المساعدات، والأطر الفنية والإدارية والعلمية والاقتصادية، مما أتاح الفرصة لإسرائيل أن تتقدم عارضة مساعداتها وخبرائها

ورؤوس أموالها، مما جعل الحكومات الإفريقية تسارع إلى عقد الإتفاقات معها، خاصة أنها بلا شروط ولا قيود ولا التزامات سياسية فى الظاهر، وهنا يثور التساؤل عن سبب قيام إسرائيل بمثل هذه الصفقات، أما كان الأجدر بها أن تعقد صفقات رابحة أو أكثر ربحا؟

- الجواب يكمن فى المقاطعة العربية، التى عزلت إسرائيل عن العالم، ونكتفى بذكر ما ورد فى مجلة الايكونومى «L,Eonomie» تحت عنوان المساعدة الإسرائيلية للبلاد النامية قول الكاتب: «من المحقق أن المساعدة الفنية الإسرائيلية للبلاد النامية، مرتبطة بتصاعد النفوذ السياسى والدبلوماسى الإسرائيلى وفى هذا المعنى، يمثل توسع برنامج المساعدات نجاحا ساعد إسرائيل للتغلب على العزلة الدبلوماسية التى أرادها لها جيرانها العرب»وأوضح الصهيونى آ موسى بن فريد فى معرض حديثه عن «برنامج المعونة الفنية لإفريقيا» بأن هذه الروابط، أى روابط التعاون مع أفريقيا، إنما هى المرتكز الرئيسى لإسرائيل مع العالم الخارجى، ما وراء وفوق السور العدائى الذى أقامه العرب حولها، هذه الروابط هى الطريق غير المباشر إلى السلام بالنسبة لإسرائيل.

٣- العوامل التى مهدت للتغلغل الإسرائيلى فى أفريقيا:

بحث الاستعمار عن بديل أو رديف له فى أفريقيا. يمكنها من المحافظة على ما يمكن المحافظة عليه من مصالحها، وتقضى هذه

السياسة الجديدة، بالانسحاب ماديا من المستعمرات وتركها تتخبط في خضم المشاكل التى خلفها الاستعمار على الصعيدين الداخلى والخارجى، من نزاعات الحدود، إلى المطالبة بضم الأراضى فيما بين المستعمرات السابقة، إلى مشاكل التنمية الداخلية، ومعضلات الحكم الفنى.وكان من المفروض أن يقوم هذا النوع من التعاون، ضمن نطاق الأمم المتحدة.

- الكسب السياسى الاقتصادى لإسرائيل بتمثيل الدور الاستعمارى التجارى االقديم، ولكن فى صيغة جديدة. المتمثل بتيارين، أحدهما باتجاه البلاد النامية المستعمرة سابقا، ويتضمن المنتجات المصنوعة والسلع، والآخر باتجاه إسرائيل، أو الدول المستعمرة سابقا، ويتضمن المواد الأولية والخامات. وهذا من شأنه أن يقوى جانب إسرائيلى على صعيد السياسة الدولية ويدعم كيانها ضد حق الشعب الفلسطينى فى وطنه.
- كسر الطوق العربى والوثوب عليه من الخلف، نتيجة أحساسها بوطأة الحصار العربى الشديد، ومن هنا جاء تمسكها بالنقب، ولم تكتف إسرائيل بهذا الهدف، بل كانت تبغى من خلال قفزتها الجبارة فوق الحاجز العربى إلى بلاد أفريقا وآسيا، الوثوب عليه من الخلف، بقصد تهديده وإضعافه، وبالتالى إرغامه على الإنصياع للصلح والتعامل معها.
- غياب المنافسة العربية، فغياب الوجود العربى على الأرض الإفريقية، كان من أهم العوامل السلبية التى أفادت منها إسرائيل، لتحقيق وجود راسخ فى أفريقيا، وأصبح التساؤل، كيف للوجود العربى أن يتمركز فى أفريقيا، بعد أن سبقه إليها الإعلام

الغربى المنحاز للصهيونية، مشوها المدنية العربية، وملبسها الأقنعة البشعة المرعبة، وأصبح الأفريقى معها لا يرى فى العربى إلا تلك الصورة البشعة، فأشاح بوجهة عن كل ما يمت بصلة إلى البلاد العربية ، فاتحا فى الوقت نفسه، ذراعيه وقلبه وعقله، لكل ما هو إسرائيلى، وهذا ما سنرد عليه فيما يأتى.

٤- أوجه هذا النشاط (الوسائل)

١ - ميدان المال والاقتصاد:

سعت إسرائيل إلى تمويل المشروعات الجديدة، تحت ستار الشركات المختلفة أو القروض، ففى:

(أ) **غانا**: وقبل أن يعلن استقلالها، تم إنشاء شركة النجمة السوداء للنقل البحرى برأسمال قدره ١٥٠ ألف جنيه استرلينى، اشتركت إسرائيل بنسبة ٤٠٪ وغانا ٦٠٪.

(ب) **اريتريا**: تقوم شركة انكورة الإسرائيلية، باستغلال الثروة الحيوانية لهذا البلد.

(ج) **نيجريا**: أنشأت شركة «سوليل بونيه» التابعة للهستدروت وشركة نيجرسول كونستر أكشن كومبانى التى استخدمت نحو أربعة آلاف عامل ومستخدم بنيجريا، ونحو ستون موظفا إسرائيليا برأسمال مشترك مع حكومة لاجوس.

(د) عقد اتفاقات التجارة والدفع، التى وقعتها إسرائيل مع غانا حتى أصبح فى أفريقيا فى منتصف عام ١٩٦٣، ٤٨ شركة إسرائيلية

أفريقية مشتركة، ويتبع الإسرائيليون فى أعمالهم مبدأ المشاركة، على أن يكون رأسمالهم أقل من النصف وتكون أكثر الأسهم ملكا للإفريقيين، والعقود محدودة لمدة خمس سنوات، يصبح بانقضائها، للأغلبية الأفريقية الحق بمشترى حصة الإسرائيليين.

٢ ـ المساعدة الثقافية والفنية:

وهنا تقوم إسرائيل بنشاط كبير، عن طريق ماتقدمه من المنح الدراسية لطلاب أفريقيين، يأتون إلى معاهدها لدراسة الطب والعلوم، وبصورة خاصة للتدريب على الحرف والصناعات الصغيرة، وعلى فنون الزراعة المتبعة فى الكيبوتز، والموشاف الإسرائيلية، وتقوم «الناحال» فى نطاق الجيش النظامى، على تدريب المزارعين الوافدين، ليصبحوا جنودا فى الوقت نفسه، قادرين على حراثة الأرض والدفاع عنها بقوة السلاح، إذا اقتضى الأمر ويقابل هذا السيل من الإفريقيين القادمين إلى إسرائيل لمتابعة حلقات التدريب أو لتلقى العلم، سيل آخر من الخبراء والفنيين الإسرائيليين باتجاه الدول الأفريقية، هذا فضلا عن الجاليات اليهودية المنتشرة فى أفريقيا والتى تبلغ عددها أكثر من نصف مليون نسمة، تسيطر على مرافق الاقتصاد الحيوية، وتستنزف مواردها لتغذى صناديق الوكالة اليهودية «الهستدروت» والخزينة الإسرائيلية.

٣ ـ الميدان الاجتماعى:

وجهت الحكومة الإسرائيلية كل اهتمامها إلى الشباب الأفريقى للتدريب فى معاهدها على الأعمال المهنية والزراعية والإدارية، ولتلقى الدروس فى التعليم العام، وتقدم لهؤلاء الطلاب والمتدربين

جرعات ،كافية من الدعاية الإسرائيلية، لضمان مناصرتهم قضايا إسرائيل الدولية، وخاصة ماتعلق منها بقضية اغتصاب فلسطين، وتهتم إسرائيل كذلك، بالقطاع النقابى بصورة خاصة، فتولى شئون العمال ومشاكلهم عناية فائقة.

الوسائل والطرق المستخدمة للتغلغل الإسرائيلى فى أفريقيا:

الاعتراف الفورى بالدول المستقلة:

دأبت إسرائيل على ترقب نيل الدول الإفريقية الاستقلال، لتسارع إلى الاعتراف بها على الفوز، وإجراء المحادثات لإقامة علاقات دبلوماسية أو قنصلية على الأقل، كخطوة أولى فى معاملاتها مع تلك الدول، وكثيرا ما كانت تعانى من احتقار الأفريقيين لها، وسوء معاملتهم لبعثاتها لديهم، وتستمر فى غض النظر عن الإهانات التى توجه إليها.

- **المعونات الفنية والاقتصادية.**
- **الاستخدام الإعلامى الأمثل.**

تعقيب

على النشاط السياسى
والإعلامى الإسرائيلى
بعد حرب ١٩٥٦

(أ) تركز الدعاية الإسرائيلية، على إبراز عيوب العرب وأخطائهم، والمبالغة فيها، مع طمس الحقائق عنهم، والسكوت عن محاسنهم، وقد تمكنت الصهيونية من خلق صورة بغيضة للعرب في أعين الرأى العام الأمريكى، عن طريق ما يقع تحت يدها من أجهزة إعلامية ودعائية ضخمة بالولايات المتحدة، ومؤداها أن العرب يتصفون بالهمجية والتعصب، وأنهم يمثلون شراذم من البشر المتأخر، تنتشر في المنطقة المطلة على الشاطئ الجنوبى، للبحر الأبيض ولا هم لهم سوى جمع الأموال، وانفاقها على الملذات، وتكتمل الصورة البغيضة لهؤلاء العرب باتهامهم بتهديد إسرائيل، والتربص للفتك بها، بما يحصلون عليه من أسلحة من الخارج. ولقد كانت هذه الصورة البغيضة، هى الخلفية اللازمة والضرورية التى مهددت لقبول الفكرة الإسرائيلية، فى ضمير الرأى العام الأمريكى والاوروبى، وفى أن تقبل هذه الصورة البغيضة، فى غياب ما يدحضها، على ما أسلفنا، فإنه من السهل والميسور قبول ما تدعيه إسرائيل. من إنشاء وطن قومى لليهود. ويهمنا فى هذا المقام، أن ننوه بقصور

العـرب فى دحض ذلك الفـريـة، وليس أدل على ذلك، من أن حـتى اليـهـود الأمـريكان الذين زاروا بعض الدول العـربيـة، أعـربـوا عن دهشتهم بما رأوه وهو يناقض ما كان يقال لهم عن العرب.

(ب) كذلك تستغل الحملة الصهيونية فى مقاومتها لمناهضيها بالولايات المتحدة لفظى PROARBA, ANTISEMITIC لتدفع بهما مناهضيها ، وفعالية استغلال الصهيونية لهذين اللفظين، نتجت عن نجاحها فى نشر صورة سيئة عن العرب فى الولايات المتحدة. والتاريخ ملئ بالأمثلة فيما يتعلق بما درجت على القيام به معظم الحركات القومية، من خلق عدو وهمى لها يساعدها على جمع أتباعها وتوحيد صفوفها، ولو أن الظروف والتاريخ قد جعلا من العرب عدوا حقيقيا وليس وهميا للحركة الصهيونية إلا أنها ـ أى الصهيونية ـ قد نجحت فى أن تخلق من العرب عدوا وهميا لدى غير الصهاينة من اليهود الأمريكيين، وهذا بفضل الأبواق الصهيونية فى أمريكا، بما تشمله من زعماء وكتاب وسياسيين، والذين جعلوا من لفظ «عربى» لفظا مكروها ومحتقرا لدى عدد كبير من اليهود الأمريكيين .

(جـ) وفى المقابل لا يوجدإعلام عربى، أو سياسة أعلامية عربية، بالمعنى المفهوم فى الولايات المتحدة، فيما عدا جهود فردية تقوم بها بعض الشخصيات العربية، سواء أكانت من المهاجرين العرب بالولايات المتحدة، أو تابعة لإحدى البعثات أو الهيئات العربية الموجودة بالولايات المتحدة. وهذا التقصير للإعلام العربى فى الولايات المتحدة ، يرجع أساسا إلى قلة العرب الموجودين بالقياس إلى اليهود، وانخفاض مستوياتهم الثقافية

والاقتصادية ككل، إذا ما قيست بمستويات اليهود، وكذلك ضعف اندماجهم وتفاعلهم مع المجتمع الأمريكى، بالإضافة إلى ضعف الإمكانيات.

وقد ساعدت حالة العرب هذه، وعدم تماسكهم ، ليس فقط لمجموعات صغيرة بالولايات المتحدة، بل أيضاً على صعيدهم الإقليمى كمجتمعات دولية بمنطقة الشرق الأوسط، فى استغلال جهاز المخابرات الإسرائيلى لحملات الدعاية المناهضة لإسرائيل والصهيونية، التى تقوم بها نفس الحكومات العربية، إذ أن تشتت وعدم تماسك النشاط الدعائى العربى الموجه ضد إسرائيل، أدى لظهور- بطبيعة الحال- متناقضات بين الأنشطة والمجهودات الدعائية المختلفة للدول العربية، مما ساعد المخابرات الإسرائيلية على دحضه وبالتالى إضعافه.

(د) ورغم العقبات غير الهينة، التى تعترض طريق أية محاولة تهدف لمقاومة النشاط الصهيونى فى الولايات المتحدة إلا أن القيام بشئ فى هذا المجال أحسن من عدمه، وهناك عدد من المجالات الهامة فى الولايات المتحدة، يمكن القيام فيها بمثل هذه الحملة دون أن يرهق هذا مواردنا وإمكانياتنا المالية وغيرها.

وأولى تلك المجالات تتمثل فى المجال الجامعى بالولايات المتحدة، نظرا للاتجاه الجديد للمصالح الحكومية وغير الحكومية، فى إعطاء الأولوية للتوظف لخريجى الجامعات.

- إن السياحة ، تعد عاملا هاما من حيث التأثير على تفكير ووجهات نظر الأمريكى العادى، وتركيزنا على السياحة بشكل إيجابى، من حيث التنظيم الفنى والمالى والإدارى يعتبر مجهودا مستمرا من النواحى الاقتصادية أو السياسية.

- إن البعثات التمثيلية والمكاتب الفنية العربية فى الولايات المتحدة، بقدراتها المالية المحدودة، يمكنها المساهمة بشكل أكثر تركيزا وفعالية فى مقاومة الدعاية الصهيونية، ولو بإلقاء محاضرات شهرية بشكل منتظم فى أنحاء متفرقة من الولايات المتحدة.

- ضرورة قيام البعثات التمثيلية العربية، بتوطيد علاقاتها بجبهات الكونجرس الأمريكى - الذى دأبت الصهيونية على استخدامه كمحام لمصالحها وبوق دعاية لها - فضلا عن علاقاتها بالخارجية لأمريكية، وأيضاً توطيد العلاقات مع كبار المعلقين الصحفيين.

- العمل على أن يجرى تنسيق وتمويل وتوجيه النشاط الإعلامى العربى من خلال أجهزة الجامعة العربية، وذلك بتكوين ما يشبه اللجنة المشتركة، تضم ممثلين عن البعثات العربية فى واشنطن ونيويورك وشيكاغو وسان فرانسسكو، وتنظيم الصلات بالصحفيين ورجال الإذاعةوالتليفزيون، وتمويل وإعداد البرامج التسجيلية عن العالم العربى، ونواحى التقدم فيه، واهدائها لشركات التليفزيون المحلية، وهذا بالطبع فيه تركيز للجهود المتناثرة الحالية، وتوسيع لمجالها، ويمكن أن يبحث هذا

الموضوع كبند فى اجتماعات الجامعة العربية لرصد التمويل اللازم له، ووضع برنامج تنفيذى، وبرنامج متابعة لما يحققه من نتائج.

- كذلك فإن على المهاجرين المصريين، وغيرهم من العرب الذين استقروا فى الولايات المتحدة، أن يستغلوا اتصالاتهم الشخصية لتوضيح وجهة النظر العربية. وهذا يستلزم تنشيط الاتصال بهذه الفئات من المهاجرين، وتنمية علاقات طيبة معهم، ولذا فقد يكون من المفيد محاولة تشجيع تكوين روابط واتحادات، تجمع المصريين المقيمين فى كل ولاية أو منطقة، وتنظم نشاطهم الإعلامى، وتقدم لهم التسهيلات والمساعدات فيما قد يواجهونه من ضغط أو اضطهاد من قبل العناصر الصهيونية، ومن الأفضل ألا تشترك السفارة مباشرة فى مثل هذه التجمعات، وأن يكون تأثيرها غير مباشر، والهدف هو استمرار الرابطة بين المهاجر، أو حتى الموجود فى أمريكا لغرض العمل المؤقت أو الدراسة ووطنه الأصلى، بحيث يستمر التزامه بقضاياه.

تعليق عام

عن الفترة من ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦



الرئيس دوايت ايزنهاور اسقط ايدن وچى موليه وأجبر بن جوريون على الإنسحاب من سيناء بعد الاعتداء الثلاثى لتواطئهم من خلف ظهر الولايات المتحدة للسيطرة على الشرق الأوسط.

تعليق عام

لقد كانت حرب فلسطين أول مسمار فى نعش النظام الملكى فى مصر،بل وتعدته إلى دول عربية أخرى فيما بعد. فقد أطاحت ببعض حكومات واغتيل رؤساء وزراء كالنقراشى وأحمد ماهر، وكانت الشرارة الأولى لأحداث تاريخية، مثل قيام الثورة فى مصر فى ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ والإطاحة بالملك فاروق. نعم كانت هناك أسباب عديدة طافية على السطح ساعدت على ذلك فى ذاك الوقت مثل انتخابات نادى الضباط وحريق القاهرة والإقطاع وفساد القصر والأحزاب والقواعد البريطانية فى مصر، ثم كانت الأسلحة الفاسدة وحصار قوات الجيش المصرى فى الفالوجا وغيرها مما بعث على التذمر فى القوات المسلحة، وساعد على نجاح الثورة استغلالها لكراهية الشعب للإنجليز.

وقد أخطأت الإدارة الأمريكية خطأين أساسيين، أولهما: التسويف فى إمداد مصر بما تحتاجه من الأسلحة، وثانيهما: إعلان «جون فوستردالاس» وزير الخارجية الأمريكى آنذاك عدم تمويل مشروع السد العالى وبأسلوب جارح مهين، مما ألجأ عبد الناصر إلى التوجه

للاتحاد السوفيتى، فكانت أول صفقة سلاح لمصر من خلال تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٥ .

ثم وقعت الكارثة بعدما أعلن عبدالناصر تأميم قناة السويس لأسباب عديدة أهمها النواحى السياسية والاقتصادية ، مما أعطى ذريعة للعدوان الثلاثى على مصر، فلكل من المعتدين هدفه الذاتى، فبريطانيا كان لها قاعدة عسكرية رئيسية فى القناة ومرور تجارتها إلى الهند وجنوب شرق آسيا وهى أمور حيوية. هذا إلى جانب المساهمين من رعاياها فى الشركة. أما فرنسا فإلى جانب العامل والدافع البريطانى الأخير، كانت تود أن تحارب مصر على دعمها للجزائر من أجل الاستقلال ، أما إسرائيل فإنها تستميت من أجل مرور سفنها من وإلى إيلات وذلك حيوى بالنسبةلها، هذا إلى أن لعابها يسيل من أجل طموحاتها فى التوسع مستفيدة من وجود قوات وأسلحة متقدمة لدولتين كبيرتين - انجلترا وفرنسا - يمهدون لها للهجوم . وبعد وقوع العدوان، رأى «أيزنهاور» أن فرنسا وانجلترا تتمردان على زعامة الولايات المتحدة للغرب إذ لم «يتشاورا معها»، كما اعتبر الأتحاد السوفيتى فى ذلك تهديداً لتغلغله للشرق الأوسط، مما دفعه إلى توجيه إنذار «بولجانين» بضرب العاصمة البريطانية لندن بالصواريخ، أى أن القوتين العظميين جمعهما الهدف فى دحر العدوان، ولكل أسبابه.

وبعد تسلل الاتحاد السوفيتى إلى منطقة الشرق الأوسط بفضل موقفه المؤيد لعبد الناصر، بدأت الولايات المتحدة فى التصدى له، وقامت سياستها على أساس جديد، وهو تقليم أظافر كل من تسول له

نفسه من قادة وزعماء المنطقة أن يستعرض عضلاته ويهدد حلفاءها أو مصالحها فى المنطقة، وتستدرجه إلى فخ لضربة بقسوة كما حدث فى إيران ومصر والعراق.

وكان الإعلام المصرى قد بالغ فى قدرة الجيش على تحقيق الانتصار على قوى العدوان، وحول النصر السياسى إلى نصر عسكرى، بل وأخفى عن الشعب السماح للسفن الإسرائيلية بالمرور البرئ عبر مضايق «تيران» و «خليج العقبة»، ولم يعلم بها إلا عام ١٩٦٧ عندما أعلن عبد الناصر - ضمن مجموعة قرارات - أغلاقها فى وجه الملاحة الإسرائيلية، وهذه كانت من أكبر أسباب هجوم إسرائيل على مصر فى عام ١٩٦٧ .

وكما ورد سابقا فإن أطماع الملك عبدالله ملك الأردن الشخصية فى ضم الجزء العربى من فلسطين إلى مملكته - وكان هذا مرحليا - لأن طموحاته كانت حلم «الهلال الخصيب»، قادت - مع عوامل أخرى - إلى حرب فلسطين الأولى.

ولقد كان سوء تقدير العرب لمواقفهم ، وأسلوب العنترية الجوفاء والتى كانت غالبًا للاستهلاك المحلى «غير المسئول» سببا فى المزيد من الخسائر فى الأراضى والأرواح والثروات بل وفى استعداء الرأى العام العالمى بصفة عامة والغربى بصفة خاصة للعرب، لأن إسرائيل على النقيض كانت تظهر نفسها كالحمل الوديع بين جيرانها العرب الوحوش، وساعد على ذلك تصريحات القادة العرب أنفسهم بأنهم سيلقون بها فى البحر وإزالتها من خريطة العالم.. إلخ . مع فشل الإعلام العربى فى الخارج بالمقارنة للإعلام الإسرائيلى وأبواقه المتعددة فى كل مجال.

القسم التاسع

الصعود والسقوط فى حياة «بن جوريون» السياسية

الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦

تمهيد :

الفصل الأول:

المفاعل الذرى

الفصل الثاني:

الإيحاء بالرغبة فى السلام

الفصل الثالث :

نهاية «بن جوريون» السياسية

الفصل الرابع :

الصابرا

تمهيد

كانت قمة الصعود التى وصل إليها «بن جوريون» خلال حياته السياسية، تحقيقه الحلم الذى راود اليهود منذ بدء «السبى» و «الشتات» منذ ثمانية عشر قرنا، وهو إقامة دولة إسرائيل «فيما سموه بأرض الميعاد» فى فلسطين.

ثم عزز هذا الإنجاز الكبير بآخر له أهمية كبرى لتحصين الدولة الوليدة حينما أقنع الرئيس «كيندى» بالسماح لإسرائيل بمواصلة تجاربها النووية فى «مفاعلها الذرى» الذى يوجد بصحراء النقب والذى كان يعترض عليه الرئيس «أيزنهاور».

أما بوادر السقوط فقد لاحت فى الأفق عندما فشل فى إقناع الرئيس عبد الناصر بمبادرته للسلام مع مصر، ثم توالت بعد ذلك الصعاب والمشاكل التى واجهت «بن جوريون» . المتمثلة فى إحياء «قضية لافون» ومعارضة زملائه من الحرس القديم لبعض تصرفاته الغير ديمقراطية، وكانت القشة التى قسمت ظهره - الولايات المتحدة التى رأت فى تقاربه من محور باريس - بون تحديا لمصالحها الحيوية

- فى أوربا والشرق الأوسط - فجندت الصهيونية الأمريكية ضده وأطاحت به بقيادة «جولدا مائير» .

الفصل الأول

المفاعل الذرى الإسرائيلى



بن جوريون يشكر الرئيس كيندى لموافقاته بالسماح باستمرار النشاط الذرى فى مفاعل «ديمونة» بصحراء النقب.

المفاعل الذرى الإسرائيلى «ديموند» وموافقة الولايات المتحدة على قيامه فى عهد الرئيس «كيندى»

المفاعل الذرى فى النقب:

وقعت فرنسامع إسرائيل عام ١٩٥٧ اتفاقية سرية لتشييد مفاعل ذرى كبير فى النقب بزعم أنها محطة أبحاث للأغراض السلمية وكان ذلك بمبادأة من «شيمون بيريز» وتأييد كامل من «بن جوريون» واحتفظ بالسر سنوات إلى أن وضعت طائرة التجسس الأمريكى «U2» نهاية له، باكتشافها له فى طيرانها فوق النقب وسربت بعض المعلومات التى أوضحتها الصور الجوية إلى المخابرات المركزية الأمريكية وبأن المبانى الممتدة فى الصحراء ليست مصنع نسيج.

وفى ٩ ديسمبر عام ١٩٦٠ استدعى وزير الخارجية الأمريكية «هيرتر» السفير الإسرائيلى فى واشنطن فى اليوم الذى عقدت فيه لجنة الطاقة الذرية بالكونجرس اجتماعا عاجلا، نشرت بعده «التايم» خبرا مقتضبا عن بناء مفاعل ذرى سرا فى دولة معينة لم تحددها، وكان مؤكدا أنها لا تنتمى إلى الكتلة الشيوعية ولا هى عضو فى حلف الأطلنطى، ثم نشرت صحيفة فى لندن فى ١٦ ديسمبر أن

إسرائيل تصنع قنبلة ذرية. وطلبت واشنطن ايضاحا لمعرفة ما إذا كان المفاعل فى النقب لأهداف عسكرية، وصدر بيان مشترك من الخارجية الفرنسية ووكالة الطاقة الذرية يعترف بأن فرنسا كانت تساعد إسرائيل فى أبحاثها النووية وأنه من أجل الأغراض السلمية، كما أصدر «بن جوريون» بيانا اعترف فيه بأن إسرائيل قد أقامت فى «ديمونة» بالنقب مفاعلا بقوة ٢٤ «ميجاوات» للأبحاث العلمية وتطوير البلاد، غير أن أمريكا لم تقتنع ومارست ضغطا كبيرا على إسرائيل إما أن تقبل اشرافا دوليا أو توافق على تفتيش مباشر من العلماء الأمريكيين. ورفض «بن جوريون» رغم الضغط والتهديدات المستترة والمذكرات الحادة والتلميح إلى الإجراءات التى قد تتخذها الولايات المتحدة، (كان هذا الضغط الأمريكى فى عهد رئاسة «ايزنهاور».

بدء التواطؤ الأمريكى:

وفى عهد الرئيس «كيندى» سمحت اسرائيل لعالم أمريكى بزيارة المفاعل، وأبلغ الرئيس «كيندى» «بن جوريون» أن المعلومات التى أعطاها بن جوريون صحيحة، ويمكن لاسرائيل أن تستمر فى برنامجها للأبحاث الذرية ولهذا السبب لم يستقل «بن جوريون» كعادته حين كانت «لجنة السبعة» تحقق فى فضيحة «لافون» حتى لا يوحى فى الخارج أن استقالته بسبب أزمة المفاعل الذرى، وظل فى الحكم حتى سويت ثم استقال فى يناير ١٩٦١.

وكان الرئيس «كيندى» قد ناقش مع «بن جوريون» أثنا زيارته «لواشنجتون» فى مايو عام ١٩٦١، مشاكل الشرق الأوسط، ووعد الرئيس كيندى «بن جوريون» بتقديم العون العكسرى لاسرائيل. إذا ما

نشبت الحرب مع العرب، كما منح تأييده الكامل لخطة اسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن من أجل رى النقب. وكان «كيندى» يرى أن السلام فى الشرق الأوسط يمكن أن يأتى على مراحل، واقترح على اسرائيل الموافقة على فصل مشكلة اللاجئين العرب عن المشاكل العامة فى الشرق الأوسط، كما كان يرى أنه متى سويت مشكلة اللاجئين العرب تسوية شاملة، اتضح الطريق إلى السلام. ولم يعترض «بن جوريون» على ذلك.

وبينما كانت هذه المفاوضات تجرى مع مبعوثى «جونسون» و«كيندى» كان بن جوريون بناء على توجيه امريكى يعمل على التقارب مع العالم العربى، وكانت محاولته الأولى فى ديسمبر ١٩٦٢ بعد تفكك الجمهورية العربية المتحدة بانفصال سوريا عن مصر، وثورة اليمن على النفوذ المصرى. وكان نفوذ عبد الناصر آخذ فى الهبوط.

الفصل الثانى

الإيحاء بالرغبة فى السلام

الإيحاء بالرغبة في السلام

يلاحظ أن الحركة الصهيونية كانت ترفع فى العلن غصن الزيتون وتحضر فى السر المذابح والطرد والأرهاب.

وبعد حرب ١٩٤٨ وقيام دولة إسرائيل استمر نفس الأسلوب لمخاطبة الرأى العام العالمى والإيحاء بأن إسرائيل ضعيفة ومحاطة بعدد كبير وقوى من الأعداء وهى لا تريد إلا السلام، وفى هذا الصدد يمكن فهم حقيقة الحركات السلمية الإسرائيلية وخاصة من قبل «بن جوريون».

كان «بن جوريون» فى شهوره الأخيرة فى السلطة يوصى بالعمل لاحلال السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط.

وقد سافر فى زيارة رسمية لبورما فى ديسمبر ١٩٦١ حيث عرض عليه «أونو» رئيس وزرائها التوسط فى الصراع العربى الإسرائيلى، فى زيارته المرتقبة للقاهرة، ظنا أنه يستطيع شيئا، فلم تحقق شيئا وذلك لأن عبد الناصر قد أعلنها صريحة أنه لا مكان لتسوية سلمية مع إسرائيل، ومع ذلك فينبغى القول ـ إنصافا ـ إن هذه

التحركات فى زيارته الأخيرة للولايات المتحدة فى مايو فى سبيل السلام إنما كانت من اقتراح الرئيس «كيندى» وقد ناقش «بن جوريون» مشاكل الشرق الأوسط، ووعده بتقديم العون العسكرى لإسرائيل إذا ما نشبت الحرب، كما منح تأييده الكامل لخطة إسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن من أجل رى النقب.

وكان «كيندى» يرى أن السلام فى الشرق الأوسط يمكن أن يأتى على مراحل، وأقترح موافقة إسرائيل على فصل مشكلة اللاجئين العرب عن المشاكل العامة فى الشرق الأوسط، وأن مشكلة اللاجئين العرب متى سويت إنفتح الطريق إلى السلام. ولم يعترض «بن جوريون» على ذلك، وكان من بعد تشكيل حكومته الجديدة، أن جاء د. جوزيف جونسون أحد كبار الرسميين من الأمم المتحدة، وإن كان فى واقع الأمر قد جاء نيابة عن الحكومة الأمريكية ليستأنف مع إسرائيل والدول العربية المحادثات فى مشكلة اللاجئين، محادثات استمرت عاما وعديد من الجولات بين القدس وواشنجتن ونيويورك والعواصم العربية وأنتهت بمعارضة كل من العرب واليهود ما طرح من توطين قلة من اللاجئين العرب فى الدول العربية، وقلة منهم فى اسرائيل وذلك على اساس من قرار الأمم المتحدة بمنحهم «حرية الاختيار» فى العودة إلى إسرائيل كان ذلك هو الشق الأول من القرار أما الشق الثانى الذى يقضى بأن يعيش العرب فى سلام مع جيرانهم الاسرائيليين فقد أغفل فى خطة جونسون، أي أن يطلب من إسرائيل دمج بعض اللاجئين دون ضمانات فى المقابل. ولما عارض العرب الخطة، عرض كيندى شيئا يغرى بن جوريون إذ قررت الولايات

المتحدة امدادهم بصواريخ «هوك» مقابل موافقة الدولة اليهودية على خطة جونسون، وكان رد بن جوريون أنه لا يريد صواريخ «هوك» إذا كان الثمن خطة جونسون أو خطة أخرى مشابهة، وصاح لأحد زملائه غاضبا «مادام العرب لا يوقفون إعلان هدفهم بتدمير اسرائيل فلن نأخذ لاجئا واحدا، وهكذا حفظ ملف خطة جونسون وحصلت إسرائيل على الـ«هوك».

ولم تكن هذه الأولى من نوعها التى تلقى فى سلة المهملات، فقد حاول الرؤساء الأمريكيون تحقيق السلام فى الشرق الأوسط، وأولهم ترومان عام ١٩٥١ ثم ايزنهاور عام ١٩٥٥، ثم كيندى عام١٩٦١، وقد فشلوا جميعا، وإن لم تكن الأخيرة.

كما جرت بين تل أبيب وواشنجتن والقاهرة مفاوضات سرية، انتهت بعد ستة اشهر إلى الفشل، لما كان بين اليهود والعرب من شكوك ولابد لنجاح الخطة من الثقة المتبادلة.

وبينما كانت هذه المفاوضات تجرى مع مبعوثى جونسون أو كيندى كان بن جوريون يعمل على التقارب مع العالم العربى. كانت محاولته الأولى فى ديسمبر ١٩٦٢، بعد أحداث وتغيرات كبيرة فى الشرق الأوسط، فقد تفككت الجمهورية العربية المتحدة بانفصال سوريا عن مصر مع مقاومةفى الأردن، وصعوبات فى اليمن فى ظل الوجود المصرى، ووجود موقف متحفظ فى العراق. كان نفوذ عبد الناصر على الجملة فى هبوط، فكان أن أرسل أحد أصدقائه فى مهمة سرية إلى بلجراد ظنا أن للماريشال تيتو، أحد أصدقاء عبد الناصر المخلصين بعض التأثيرعليه، وأبدى تيتو أهتماما وطلب

المزيد من التفاصيل، وكتب «بن جوريون» رسالة مطولة يشرح الصراع بين إسرائيل والعرب معربا عن اقتناعه بأنه لا أمل فى السلام فى الشرق الأوسط إلا إذا أتخذت مصر ـ أقوى الدول العربية وأكثرها نفوذا ـ الخطوة الأولى، وأوضح أن فى طوع اسرائيل العون على التطور السلمى للدول العربية حين لا تكون مضطرة إلى تخصيص معظم ميزانيتها للأغراض العسكرية، وجاء رد تيتو سلبيا. ثم وجد بن جوريون وسيطا آخر فى رئيس تحرير صحيفة أوروبية كبيرة كان فى القاهرة فى يناير ١٩٦٣ وقابل محمد حسنين هيكل الصحفى المعروف ـ المقرب إلى عبد الناصر وأكد أن مصر لا تفكر فى حرب ضد إسرائيل، ثم التقى الصحفى الأوروبى مع عبدالناصر الذى ألقى بكلمات ذات مغزى قال: «أعتقد أنه إذا ما تم أجتماع مغلق بينى وبين بن جوريون لمدة ثلاث ساعات فسنصل إلى حل سلمى للصراع العربى ـ اليهودى». وعند عودة الصحفى إلى لندن قابل «بارون ادموند دى روتشيلد» وأبلغه بحديثه مع عبد الناصر، وأبلغ «روتشيلد» ذلك لسفير إسرائيل فى لندن فبعث به إلى بن جوريون، الذى كتب إلى روتشيلد فى باريس بأنه يشك فى أن عبد الناصر يفكر حقا فى الاجتماع به للوصول إلى حل سلمى للصراع العربى ـ الإسرائيلى، وقال وقد قابلت عديدا ممن تحدثوا مع عبد الناصر، فأكتشف أنه يقول ما يحب الناس أن يسمعوه، ومع هذا فمن واجبى أن أفترض أخلاصة فيما قال ، وأعرف أنه القائد العربى الوحيد الذى يمكنه التوصل إلى اتفاق مع إسرائيل، وليس هناك قائد عربى غيره يجرؤ (أو حتى يتمكن فى الحالة الراهنة للعالم العربى) أن يبرم تسوية مع إسرائيل فإذا كان يريد ويفكر فى السلام فسيكون ذلك من المفيد لمصر والعالم العربى.

وأقترح إيفاد الصحفى للقدس حيث حمَّله رسالة شخصية لعبد الناصر باستعداده لمقابلته وفى غاية السرية حيثما يختار (سويسرا ـ اليونان ـ إيطاليا ـ حتى فى القاهرة لو ضمن عبد الناصر سلامته) وأتفاوض معه الساعات اللازمة لإقامة السلام، فضلا عن اتفاقيات تعاون ثقافى وأقتصادى وسياسى. ووصل الصحفى فعلا إلى القدس بعد أسابيع قليلة من رسالة بن جوريون إلى روتشيلد، وقابل بن جوريون الذى قرر رغبته فى السلام ومقابلة عبد الناصر، ولم يشر إلى الحل المقترح لمشكلة اللاجئين العرب، وعاد الوسيط من القدس إلى أوروبا ومنها إلى القاهرة حيث قابل عبد الناصر وأبلغه بمهمته، وأنه رأى بن جوريون وأبلغه أنك الوحيد القادر من القادة العرب على حل المشكلة الصعبة فى العلاقات بين اسرائيل والعرب، وأن بن جوريون على استعداد لمقابلتك فى أى مكان، حتى فى القاهرة. وابتسم عبد الناصر وشكر الصحفى على المجاملة، ثم أوضح أنه لا يثق فى بن جوريون بعد أستعراض أعمال اسرائيل العدوانية منذ حرب الاستقلال أيام كان ضابطا فى الخط الأمامى واغتيال برنادوت وغاراتها على قطاع غزة وحرب سيناء. ووجه الصحفى سؤالا مباشرا لعبد الناصر: هل تظن أنه من المستحيل الوصول إلى تسوية سلمية مع إسرائيل؟

وأجاب عبد الناصر: لا، شارحا أنه تعلم منذ ١٩٥٦ ومازال من درس كوبا ١٩٦٢، وقد تجنب أى لقاء مع بن جوريون لمشاغله الكثيرة حتى سبتمبر، وسقوط قاسم فى العراق ومراقبة الوضع الأردن فلو سقط حسين فالاحتمالات أن تحتل اسرائيل القدس ونقطا

استراتيجية وسيكون عندئذ فى موقف صعب، لكنه لن يذهب للحرب.

وكان واضحا عدم إمكانية الاجتماع بين عبد الناصر وبن جوريون، وبدا أن عبد الناصر قد أصبح قائدا لاتحاد مصر وسوريا والعراق ولا يميل إلى الأنشغال فى محادثات سلام.

الفصل الثالث

نهاية «بن جوريون» السياسية

نهاية بن جوريون السياسية

(أ) جاءت نهاية بن جوريون بسبب عدم مرونته داخليا ومحاولته ارساء دكتاتورية عسكرية، إلا أن مدرسة بن جوريون العسكر- سياسية لم تنته إلا بحرب ١٩٧٣ .

(ب) ادت قضية «لافون» فى عام ١٩٥٤ والتى عرفت باسم فضيحة التجسس على القاهرة إثارة المتعاب فى عهد بن جوريون الثانى من القضية عام ١٩٦٠ مقدمة لسقوطه نهائيا.

وكان لفصل «لافون» نتيجة أخرى، إذ رفضت الأحزاب السياسية الاشتراك فى حكومة «بن جوريون» .حيث لأول مرة فى تاريخ البلاد ثورة علنية ضده، وقد أراد بعض أعضاء الماباى الاستقالة ورأى اخرون أن يكون وزيرا للدفاع فى حكومة يرأسها أشكول. أما «بن جوريون» نفسه فكان مستعدا للاعتزال.

ولم يكن الحزب رغم تنكره أثناء عملية لافون يريد أن يفقد زعيمه وأن ظل قائدا للحزب، وفضل زعماء الماباى إجراء انتخاب عام على أن يروا بن جوريون يذهب. وقدم حكومته الجديدة -

والأخيرة - إلى الكنيست فى ٢ نوفمبر ١٩٦١ وفاز بالثقة، ولكن كان عليه بعد ثمانية عشر شهرا أن يستقيل ويتقاعد فى سدى بوكر.

وربما كان فى طوعه منع كل الفضائح، لولا تردده الطويل فوقع فى أخطاء عديدة ولم يكن كذلك من قبل على مدى عمله السياسى الطويل أبدا، وذلك فضلا عما ألم به من ضرر عظيم من مهاجمة لافون للجيش ومؤسسات الدفاع حتى فقد حصافته كلها.

وأخذ قادة المعارضة ينقبون عن أسباب مشكلة «لافون» وخفاياها، وعزوها إلى أن القادة العسكريين المؤيدين «لبن جوريون» ساعدوا على إسقاط «لافون» لمعارضة فكرة الاعتداء على مصر عام ١٩٥٦، وكذلك الهجوم على غزة ١٩٥٥، وادى إلى إسراع المصريين بالالتجاء إلى الكتلة الشرقية للحصول على السلاح.

وقرر «الكنيست» تشكيل لجنة وزارية من سبعة وزراء للتحقيق فى مشكلة «لافون» انتهت بإعلان براءته، وأصبح «لافون» فى نظر الكنيست بريئا، وفى رأى الشعب أنه إنما طرد من الحزب لتجرئه على تحدى «بن جوريون» ومهاجمة أنصاره فى الجيش واعتبره قسم كبير من يهود فلسطين شهيد مؤامرة الجيش وضحية بن جوريون. وقد هزت قضية «لافون» الرأى العام الإسرائيلى، وأثرت على نتائج الانتخابات التى طالب «بن جوريون» باجرائها إذ فقد حزب «الماباى» خمسة مقاعد من ٤٧ مقعدا.

وكان إحياء قضية لافون مأساة إذ وقع فى توقيت كانت فيه البلاد هادئة، والوضع العسكرى والدبلوماسى حسنا. ولو كان بن

جوريون يركز على بعض الأزمات لتجاهل مسألة لافون كلها، إذ لو كانت تأخرت ثلاث أشهر - أى إلى ديسمبر - لما تنبه لها أحد، إذ تكون إسرائيل وسط واحدة من أكثر أزماتها خطورة فى علاقاتها الخارجية، وقد ضخمها بن جوريون.

(جـ) كما لم تلق معالجة بن جوريون لمشكلة العلماء الألمان فى مصر رضاء عاما.

فقد اكتشفت المخابرات الإسرائيلية «الموساد» - خبراء عسكريين ألمان فى مصر، يعملون فى الصناعات العسكرية وتدريب القوات المسلحة. وألقت السلطات الألمانية القبض على عميلين من المخابرات الإسرائيلية فى «زيورخ» فى مارس ١٩٦٣ بتهمة تهديد ابنة أحد هؤلاء الخبراء لاجبار أبيها على مغادرة مصر وعدم التعاون معها. وقامت الصحافة الإسرائيلية والمعارضة وبعض زعماء حزب «الماباى» بشن حملة على ألمانيا، إلا أن «بن جوريون» خشية إيقاظ روح العداء ضد اليهود، وما يترتب على ذلك من توقف المانيا عن مد إسرائيل بالسلاح بالمجان وإقصاء الضباط الإسرائيليين الذين يتدربون على هذا السلاح، رفض طلب كل من «جولدا مائير» وزيرة الخارجية ورئيس «الموساد» بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا بما أدى إلى استقالة رئيس «الموساد» وبدء توتر العلاقات بين «بن جوريون» ووزيرة خارجيته، وبهذا التصرف زاد شعور التمرد والكراهية لـ «بن جوريون» من قبل شرائح كبيرة من يهود العالم، وفقد الكثير من شعبيته.

(د) **ويذكر معلقون كثيرون** أن من الأسباب التى زادت من ضعف شعبية «بن جوريون» وكانت بمنزلة القشة التى قسمت ظهر البعير «التزامه - بعد استحواذه على جميع مقاليد الحكم - باتخاذ مسلك سياسى تحدى به المصالح الصهيونية فى الولايات المتحدة، بتقربه ومحاولة تعاونه مع محور «باريس/ بون» االذى كان يعمل لانتزاع الزعامة من الولايات المتحدة على أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وكان هدف «بن جوريون» الحصول على مساعدات فرنسا فى بناء مفاعل ذرى فى «ديمونة» وقد أثار هذا التصرف غضب الحكومة الأمريكية، وكذلك فريقا كبيرا من اقطاب حزب «الماباى» من ذوى الميول الأمريكية. ونتيجة لتصرفات «بن جوريون» رأت الصهيونية العالمية أنه من الصالح العام لأهدافها تأييد المعارضة ضد «بن جوريون» وتحريض أعضاء حزب الماباى.

(هـ) **وتوالت الأزمات المختلفة على «بن جورين»** ومنها صنع العلماء الألمان الغربيين فى مصر صواريخ يصل مداها ثلاثمائة وخمسين ميلا والأسلحة الذرية، والتأزم والخلاف بين القيادات الإسرائيلية وخاصة بين بن «جوريون» و«هالبرين» المؤيد من جولدا مائير، وأستقالة رئيس الخدمة السرية «هالبرين» ذى كان يتزعم الخلاف حول الحملة ضد المانيا الغربية بل ومسألة العلاقات الدبلوماسية معها.. ووجد «بن جوريون »سلطته تهتز بصورة سيئة، وعدم شعبيته تزداد. وبدأ يفكر فى الاستقالة بعد اللطمات التى تلقاها نتيجة لموضوع العلماء الألمان فى مصر، أو فقدان أقرب أصدقائه الثلاثة بالوفاة، أو فضيحة لافون

وانصراف زملائه عنه بل مناصبته العداء صراحة وقد عجل بقراره أزمة أخرى معاصرة، أعتقد - خطأ - أنها من أعظم الأخطار على كيان اسرائيل ونشأت عن توقيع معاهدة الأتحاد الفيدرالى العربى بين مصر وسوريا والعراق، وإعلان وثيقة عربية لأول مرة أن تحرير فلسطين هو الهدف الرئيسى، وقد أنزعج «بن جوريون» كثيرا كما كان يفزع دائما منذ إقامة الدولة هذا الأتحاد الفيدرالى العربى، فقرر أن الهجوم أحسن خط للدفاع، فشن هجوما دبلوماسيا موجها رسائل لرؤساء الدول التى تقتنع باخطار هذا الأتحاد الفيدرالى العربى مكررا حرص إسرائيل على السلام، وطلب مناشدة الدول العربية فى الدورة القادمة للأمم المتحدة أن توقع مع إسرائيل معاهدة سلام. كما طلب من روسيا والولايات المتحدة أن تصدر إعلانا مشتركا يضمن حدود كل الدول فى الشرق الأوسط وأمنها. وفى رسالته للرئيس كيندى أبدى استعداده لزيارة سرية إلى واشنجتن لشرح خطورة الموقف، وعارض كيندى اقتراح بن جوريون باصدار اعلان مشترك وزيارته لواشنجتن، ولم يسلم بن جوريون بالهزيمة فكتب إلى كنيدى ثانية يوجز خطة أخرى يقترحها، أولها معاهدة دفاع بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وثانيها كميات ضخمة من الأسلحة الأمريكية ترسل إليها لتحفظ التوازن مع الامدادات الروسية لمصر، وثالثها خطة لنزع سلاح جميع دول الشرق الأوسط.

وفى رسالة له إلى «ديجول» قال أنه يتلهف أساسا على تجنب الحرب مع العرب، ولا يمنع الحرب سوى تحالف عسكرى بين فرنسا وإسرائيل، وذلك ما اتبعه «بن جوريون» ومعارضوه السياسيون بعد سنوات.

وبدأت الردود على رسائله تصل، وكلها تخذل «بن جوريون»، فلم ير أحد في الاتحاد الفيدرالي العربي تهديدا جديا لاسرائيل، ولم تعلق بريطانيا أهمية لتهديدات العرب معتبرة اياها مجرد كلام. وأومأت الولايات المتحدة إلى أن مثل هذه التهديدات قد وقعت كثيرا من قبل، وأنها لن تسمح بأى انتهاك لسيادة اسرائيل أو حقوقها الاقليمية.

ولم ير ديجول ضرورة لتحالف عسكرى بين البلدين، فليس هناك خطر كبير بين العرب واسرائيل ويجب ألا تؤخذ تهديداتهم بجد.

كانت الردود على حق، اذ كان عمر التحالف الفيدرالى العربى قصيرا. وكان بن جوريون قد اتخذ قراره النهائى، حتى قبل وصول كل الردود على رسائله بالاستقالة فى ١٦ يونيه ١٩٦٣ . وكان قراره هذا بعد تفكير وتقدير. ولكن ابتهج المعارضون ورفعوا رؤوسهم ثانية، وأحس الجميع أن هذا القرار الذى لم يكشف أسبابه هذه المرة نهائى، وأن هذا الرجل الحديدى قد قصمته قضية لافون، زاهدا فى حكم البلاد. كان الاعتزال تعبيرا عن جرح كبير، وإن احتفظ بالأسباب الحقيقية لنفسه، وكل ما قاله: «لقد استقلت لأسباب شخصية».

وقد خسر المعركة قبل أن تبدأ، فكانت استقالته المفاجئة بمثابة الضربة التى قضت على السياسة والمبادئ التى وضعها هو بنفسه.

وكان المستفيدون الوحيدون من رحيله هؤلاء الذين تمردوا عليه من قادة الحرس القديم وخصومه فى الأحزاب الأخرى، وعلى رأسهم «جولدا مائير».

وقامت «معركة الأجيال» فى إطار حرب «بن جوريون» الخاصة على الظلم المفضوح للجنة السبعة، واستدارت الصحافة والرأى العام

و «الماباى» فحاصروه وأطلقوا عليه «الهرم» و «المجنون» وثبت تصلبه لكنه كان عاجزا عن اقناع الجماهير.

وفى أواخر عام ١٩٦٤ وضع «بن جوريون» أمام الحكومة نتائج تحرياته الشخصية فى «ظلم لجنة السبعة»، وكانت الحقائق الجديدة التى توصل إليها تضئ وتجسم تقنينا رسميا للتحريات، وكان وزير العدل من هذا الرأى، لكن «أشكول» رفض، لأن إعادة فتح القضية خليق أن يحرج لجنة السبعة التى كان يترأسها هو نفسه عندما تسترت على عيوب لافون عام ١٩٦٠ وأخطائه.

وارتكب «بن جوريون» غلطة أخرى فى مؤتمر «الماباى» عام ١٩٦٥ إذ رجاه العديد من مؤيديه أن يعلن عن استعداده لتقلد المنصب ثانية، وكانوا موقنين بقدرتهم على الحصول سويا على أغلبية لصالحه، فإذا عمل ذلك استطاع انجاز هدفه بتكوين لجنة تحريات ومنع العودة إلى الأساليب الحكومية القديمة، ولكن «بن جوريون» بعناده رفض الإصغاء اليهم.

ثم أعقب ذلك المسلك الأليم من زملائه ورفاقه السابقين أن يتكاتفوا لتحطيمه واهانته والقضاء على أسطورته، حتى «شاريت» الذى كان يحتضر جاءوا به من المستشفى لاتهام الرجل الذى أخرجه من السلطة، وفى اليوم نفسه ارتدت «جولدا مائير» ثياب الحداد من الرأس حتى القدمين، وشنت هجوما لاذعا على «بن جوريون» واتهمته فى عبارات جارحة لم يسمع مثلها من قبل فى مؤتمر «الماباى» فما كان من بن جوريون الا أن غادر القاعة، وفى اليوم التالى تخلى «الماباى» عن قائده الاسطورى.

ثم شكل «ليفى أشكول» حكومته الجديدة وكانت نهاية حقبة أوعهد.

وهكذا انتهت أسطورة «بن جوريون» وحياته السياسية الرجل الذى أقام دولة اسرائيل بالسيف والدم والنار والذى اعتبره ابناء «الصابرا»[١] نبيا مسلحاً.

(١) أبناء المهاجرين المولودين فى فلسطين.

الفصل الرابع

«الصابرا»

ملحق:

الصابرا "SABRA"

كلمة «صابرا» تطلق على الجيل الجديد الذى ظهر فى «اليوشيف» أى بين يهود فلسطين قبل ١٩٤٨ فهى تطلق على كل يهودى ولد فى فلسطين. وقد دعوا بالصابرا تشبيها بثمرة الصبر.

ومعظم الجيل الجديد ـ الصابرا ـ لايهتم كثيرا بالصهيونية، ويرى أنها نتاج عقلية «الجيتو»، أو الأقلية الدينية المضطهدة فى «الشتات». ويصف «يورى افنيرى» وهو مفكر اسرائيلى معتدل يدعو إلى توحيد المنطقة المحتلة من فلسطين فى ١٩٤٨ مع قطاع غزة ومع ضفتى الأردن الغربية والشرقية فى دولة واحدة تدعى «اتحاد الأردن» وتكون الدولة اتحاديةعلمانية تعطى الحرية الدينية لجميع الأديان ـ يصف «يورى» الصابرا بقوله « إن الاختلاف بين الأب الصهيونى والابن الصهيونى أكثر من مجرد اختلاف بين جيلين، إنه طفرة، وإن الاختلاف فى الحياة والطعام والطقس والتقاليد السياسية والبيئة الاجتماعية تجعل الابن المولود فى «إسرائيل» يختلف عن أبيه الذى

ولد فى «الجيتو» لقد أصبح الشاب الإسرائيلى فى أوروبا أو أمريكا يتعود على أن يسمع هذه العبارة : «ولكنك لا تبدو كيهودى!» وهذه العبارة فيها نوع من الحقيقة. إن الصابرا اليهودى يختلف عن أجداده مثلما يختلف الاسترالى أو الأمريكى عن أجداده الأنجليز . إن الثقافة اليهودية التى خلقت فى «الشتات» بواسطة أقلية دينية مضطهدة لا تجد صدى فى نفوس الجيل الجديد الذى يبالغ فى اظهار حريته. والدين اليهودى الذى يعتمد أساسا على التلمود «والهاسكالا» . وهما «نتاج الشتات» تحول إلى شعارات حزبية فقط. أما التوراة. أقوى كتاب فى الأدب العبرى فقد ارتفعت مكانته وشعبيته فى إسرائيل.

والمهم الآن أن الصابرا فى لغتهم العبرية العامية أصبحوا يستعملون لفظة يهودى (Jewish) عندما يعنون اليهود خارج إسرائيل. أو عندما يقصدون المهاجرين الجدد. أما عندما يتكلمون عن أنفسهم فإنهم يصفون أنفسهم بالعبريين (Hebrews) . وهكذا أصبحت الوطنية العبرية حقيقة فى نظرهم قبل أن يبدأ أحد فى التصريح بوجودها على أسس عقائدية.

وحتى نفهم أهمية هذه النقطة لابد وأن نتطرق إلى معنى لفظتى «يهودى» و«عبرى». كانت كلمة عبرى قبل السبى ترد فى كلام اليهود عن أنفسهم حين يريدون أن يفرقوا بينهم وبين الشعوب الأخرى. ثم تغير مدلول اللفظة بعد سبى الأسباط العشرة (مملكة إسرائيل) إلى نينوى ولم يبق سوى سبطى يهوذا وبنيامين. أما الأسباط الأخرى فتفرقت بين الشعوب . وسمى الشعب «يهودا» نسبة

إلى السبط الأقوى. وبطل استعمال لفظة عبرانى التى كانت تدل على كل الشعب واكتسبت معنى جديدا. وبعد التشتت فى القرن الثانى الميلادى أصبحت كلمة عبرى تدل على اليهود المقيمين فى فلسطين واليهود الذين غادروا فلسطين الذين حافظوا على لغتهم وعاداتهم القديمة. أما اليهود الذين انتشروا فى العالم وأهملوا لغتهم وعاداتهم وكذلك الدخلاء على اليهودية فكانوا يسمون يهودا فقط . ونسى اليهود اسمهم الأصلى «عبرى» وأصبح لفظ يهودى يطلق على أتباع الدين اليهودى. ولهذا سميت لغتهم باللغة العبرية لا اللغة اليهودية.

وهكذا فإن هذا الاتجاه بين الجيل الجديد فى إسرائيل يدل على إحياء النعرة القومية القديمة عند اليهود. ونحن نعرف أنهم ينظرون إلى أيام ما قبل السبى على أنها عصرهم الذهبى. وقد ظهرت فى إسرائيل حركة تدعى بحركة «كنعانيى القرن العشرين» تطالب بإحياء الحضارة الكنعانية القديمة. ولهذا فإن معظم الصابرا اليوم لا يهتمون بالقومية اليهودية ولا بالدين اليهودى بقدر ما يهتمون بجذورهم الكنعانية.

ويذكر أحد زعماء الصابرا فيقول «نحن إسرائيليون وسنخلق نوعا جديدا من اليهودية، يهودية تناسبنا . نحن لنا جذور فى إيمان أبائنا ولكن معظم هذا الدين كتب عندما كنا مشتتين ومتفرقين، ولكننا الآن أمة وربما يجب علينا أن نعيد بناء ديننا ليوافق هذه لأيام.

ويرى مؤلف آخر أن جيل الصابرا حرم من الثقافة الحقة والتهذيب فيقول: «إن اللقب ـ الصابرا ـ يؤكد رفض الأخلاق التى تتصف بالرقة واللطف وسعة الأفق التى كان يتميز بها اليهودى

العـالمى «The Cosmopolitan Jew» وأخلاق هذا الجيل هى رد فعل قوى له أمثلة كثيرة فى العالم. فالصابرا معروف أنه مشبع بفكرة الاعتماد على النفس وليس لديه شعور بالتعاطف مع غيره، كما يرفض أن يتقبل هذه المشاعر من أى شخص كان. وإسرائيل ليست الدولة الوحيدة التى تنمى هذه الفكرة القاتمة عن الرجل المثالى، فالشاب الإسرائيلى الذى ينتمى للصابرا يمكن مقارنته بالشاب البروسى أيام مجد بروسيا العسكرية. وله الآن أمثال كثيرون فى جنوب أفريقيا . إن الصابرا فى إسرائيل هى رمز الوطنية، ويتساءل المؤلف هل هذه هى نهاية الصهيونية وهدفها النهائى أن تخلق جيلا يتصف بهذه الصفات.

ويحق للمرء أن يسأل هل كل «الصابرا» فى فلسطين المحتلة متفقون فى المثل والآراء والأهداف، ويجيب مؤلف «كتاب الولايات المتحدة وإسرائيل» عن هذا السؤال بقوله: إن أهمية عدد الصابرا أقل مما تظهره النسبة والأعداد. لأنه فى عام ١٩٦١كان حوالى ٧٠ ٪ من الصابرا عمرهم أقل من الخامسة عشرة. وبالنسبة لعمرهم ولأنهم أبناء مهاجرين حديثين فإنه لا يوجد اتفاق عام بينهم، والمهم فى الأمر أن أكثرهم ينحدرون من عائلات شرقية ويتبعون طرق والديهم فى المعيشة وليس طرق الصابرا الذين من أباء أوروبيين. فالصابرا الوطنى أى المولود فى فلسطين من أباء مولدين فى فلسطين، نوع جديد من اليهود، وجيل يتصف بصفات لا تنطبق على الصابراالذى ينحدر من عائلات هاجرت من الخارج . لأن الصابرا الذى من أصل أوروبى حاول أن يثور على تصرفات الجيل

الذى سبقه فى «الشتات» ولكنه مع كل ثورته يتصرف بطريقة موحى بها من تجارب ذوية فى مدن أوروبا .

وبعبارة أخرى فإن أبناء «الرواد» الأوائل يختلفون عن أبناء اليهود الشرقيين من العراق واليمن، لأن رد الفعل عند الصابرا الذى ينحدر من أصل أوربى هو ضد الاضطهادات والتجارب التى مرت بوالديه والذى لم يجربها هو أبداً.

أما الصابرا الشرقى فإن رد الفعل عنده عادة ما يكون ضد التفرقة بين الأوروبين والشرقيين داخل إسرائيل نفسها.

والمؤلف نفسه يعاود القول ويرى أن هذه الاختلافات ربما لن تدوم كثيرا. لأن خطة الدولة هى صهر المواطنين الإسرائيليين فى بوتقة واحدة بواسطة البرامج التعليمية والتربوية وبواسطة الخدمة العسكرية حيث تلتقى جميع الفئات ويوجد بينهم هدف واحد وخطر واحد. وأشهر شخصية فى إسرائيل من فئة الصابرا هى شخصية موشيه ديان. أما بن جوريون فمع أنه ليس من الصابرا إلا أن هذه المجموعة من الإسرائيليين تعتز به وتعتبره واحدا منها كما تعتبره مثلها الأعلى ونبيها المسلح.

القسم العاشر

قبل حرب يونيه ١٩٦٧

تمهيد :

الفصل الأول:

الأوضاع الإسرائيلية قبل حرب يونيه ١٩٦٧

الفصل الثاني:

الأوضاع العربية قبل حرب يونيه ١٩٦٧

الفصل الثالث:

الظروف الدولية قبل حرب يونيه ١٩٦٧

تمهيد :

حرب الأيام الستة :

فى بداية مايو ١٩٦٧ تنبأت جميع المصادر الإسرائيلية والغربية بأن «الهدوء غير المستقر» والذى دام عشر سنوات سيستمر إلى أجل غير محدود، وكان هناك سلام نسبى على ثلاثة حدودمن خطوط الهدنة، وغارات الفدائيين من سوريا تواجه بوسائل دفاعية أو فى الحالات المستعصية بالثأر على مستوى محدود. ولن يدعو عبد الناصر لحرب من غير المحتمل الانتصار فيها. ولم يصل العداء الإعلامى السورى إلى مشاغبات عسكرية، وليس لأحد من القوات الكبرى أى هدف أو مصلحة فى مواجهة ضخمة تضع ضماناتهم ووعودهم تحت الاختبار، فكان الشيئان اللذان بديا غير محتملى الوقوع هما الحرب والسلام.

وربما كان العدوان غير العادى من كل من مصر وسوريا فى سنة ١٩٦٧ مدفوعا بالشعور القائل: «الآن أولا إلى الأبد» . فصلابة إسرائيل الدولة ودوامها كانا يعمقان الجذور ويزداد الاعتراف بها

عالميا، فإذا أريد منع الاستقرار النهائى، فلابد من تحد حاسم سريع وقدجاءت البداية هذه المرة من نظام البعث الثورى فى سوريا، والذى يعتمد على مؤازرةسوفيتية غير جدية. فبينما كانت الحدود مع مصر ولبنان هادئة، وأظهرت الأردن بعض الاهتمام تجاه حل نهائى، قامت سوريا بإيواء وتدريب عصابات الفدائيين للتسلل إلى إسرائيل، وأبقت قواتها فى أعالى الجولان، ومستوطنات الجليل الأعلى فى اعتداء دائم، وأدت المقاومة الإسرائيلية إلى خسائر ضخمة لدمشق، خاصة فى السلاح الجوى، حيث كانت الطائرات السورية تسقط فى سهل الجليل أو أى مكان آخر كلما واجهتها مقاتلات إسرائيل، وأتجهت سوريا إلى موسكو للمساعدة، ولكن الاتحاد السوفيتى الذى كان غير راغب فى مواجهة مع الولايات المتحدة حول المسئولية للقاهرة. وفى مايو سنة ١٩٦٧ أعطى متحدث سوفيتى لمصر معلومات زائفة عن تجمعات عسكرية إسرائيليةمختلفة على الحدود السورية وطلب من القاهرة مساعدة سوريا.

وفى خلال ثلاثة أسابيع تغير الموقف. ركب عبد الناصر المخاطر فى خطوات متسرعة جريئة، فجمع جيشا من ثمانين ألف جندى وتسعمائة دبابة فى سيناء، وأعلن كذبا أن إسرائيل قد حشدت الجنود لاعتداء كبير على سوريا، متجاهلا ما أقره مراقبوا الأمم المتحدة من سيناء وغزة ومدخل خليج العقبة. وفى ٢٢ مايو أعلن أغلاق الخليج، وتبريرا لهذا العمل العدائى ألقى خطابا حماسيا أجاب إلى الأبد على السؤال: «من المسئول عن حرب ١٩٦٧»؟.

الفصل الأول

الأوضاع الإسرائيلية
قبل حرب يونية ١٩٦٧

مقدمة

كانت حرب ١٩٦٧ أحد أكبر العلامات فى تاريخ مصر وتاريخ الأمة العربية ويكفى للدلالة على ذلك القول بأننا لازلنا نعيش حتى الآن نتائج هذه الحرب التى غيرت من الخريطة السياسية والاجتماعية والعسكرية فى الشرق الأوسط.

وقد تناقضت أقوال المحللين عسكرين كانوا أم سياسيين حول هذه الحرب إلا أن معظمهم تناولها باستخدام الأسلوب الإسطورى الذى يعمد إلى المبالغة وإغفال الحقائق والتركيز على سمة واحدة يعنيها وهى الانتصار والهزيمة دون النظر إلى حقيقة هذا الأمر وهو ما أطلقنا عليه عالم التفوق التكنولوجى الأمريكى والخلل العربى والذى سيتضح من خلال شرح الأسباب والأهداف.

وقدحرصنا على أن تكون تغطية هذا الحدث الضخم تغطية موضوعية ضمت تحليلات العرب والأجانب على حد سواء وأن يصبح تسلسل الحدث منطقيا بحيث بدأنا بالظروف المؤدية للحرب وهى ظروف إسرائيلية وعربية ودولية ثم انتقلنا إلى الحرب نفسها

يوم بيوم مع التعليق وأعتبرنا أن شهر مايو يدخل فى نطاق هذه الحرب والتسويات واعتبرنا المباشرة مثل القرار ٢٤٢ يدخل فى زمن وفترة الحرب نفسها. وأخيرا تعرضنا لرؤية عامة للحرب لتوضح الرؤية من خلال الأهداف والأسباب والنتائج مع أعطاء نظرة خاصة لحرب الاستنزاف وهى تعتبر امتدادا لحرب عام ١٩٦٧ ونتيجة لها فى نفس الوقت.

الظروف المؤدية لحرب ١٩٦٧:

الأوضاع الداخلية فى إسرائيل:

(أ) الانقسام الحزبى:

حدث انقسام داخل حزب ماباى - حزب بن جوريون - فى عامى ١٩٥٩ - ١٩٦٠ وكان بن جوريون يحاول إقامة دكتاتورية تستند إلى قوة أنصاره من العسكريين وإلى وزنه الشخصى التاريخى وإلى التلويح بالمخاطر التى تهدد إسرائيل من الدول العربية وخاصة من الجمهورية العربية المتحدة ومن سوريا. وقد برزت سياستان فى هذه المرحلة: أحدهما متطرفة بزعامة بن جوريون ورجال الجيش والمخابرات. وعلى الجانب الآخر وقفت مجموعة أقل تطرفا تضم لافون وأشكول وزعماء الهستدروت.

وقد أثارت مجموعة «بن جوريون» فى سبتمبر ١٩٦٠ ما أسموه بفضيحة لافون فى محاولة لاضعاف معارضى «بن جوريون» ومجموعته داخل الماباى. وتتصل فضيحة لافوون بالأعمال

الإرهابية والتجسسية بالقاهرة عام ١٩٥٤ والتى قامت بها المخابرات الإسرائيلية وكان «لافون» وزيرا للدفاع وقتئذ وأصبح وقت إثارة الأزمة السكرتير العام للهستدروت، وقد ألقى عليه «بن جوريون» اللوم لفشله فى هذه العملية بهدف إزاحته من موقفه الرسمى والحزبى، إلا أن اللجنة الوزارية التى انيط بها تقصى الحقيقة قامت بتبرئة لافون وهو أمر أعتبره بن جوريون تحديا شخصيا له وقدم لذلك استقالته لتهديد معارضيه.

وقد اتسمت سياسة بن جوريون وحكومته ومجموعته بالمغامرات العسكرية وزيادة اعتماد إسرائيل على المعونات الخارجية.

وبدأ نجم «ليفى أشكول» يلمع بزعم اعتداله، وفى منتصف ١٩٦٣ حاول «بن جوريون» تدعيم مكانته داخل الكنيست وتكوين نظام شمولى على النحو الذى اشرنا إليه، إلا أنه لاقى معارضة من حزبه بالإضافة إلى مواجهة مظاهرات عمالية وشعبية غاضبة لسوء الحالة الاقتصادية فى عامى ١٩٦٢ / ١٩٦٣ ، ونتيجة لذلك قدم بن جوريون استقالته فى يونيو ١٩٦٣ ودعى ليفى اشكول لتكوين حكومة أئتلاف وطنى .

وقد أقفل أشكول ملف لافون عام ١٩٦٤ لرغبته فى صيانة وحدة الحزب والحكومة ووجه خطابا إلى لافون دعاه فيه للعودة إلى الحزب هو وأعوانه. وقد استقال بن جوريون من الحزب فى أغسطس ١٩٦٥ .

طوال عامى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ استمرت معاناة الشعب الإسرائيلى بسبب سوء الأحوال الاقتصادية وزادت موجات الإضراب بشكل واضح.

وقد أدت هذه العوامل الحزبية والاقتصادية السيئة إلى استغلال عامل التوتر في الشرق الأوسط نتيجة بقاء المشكلات دون حل ونتيجة التصعيد الإسرائيلي المستمر اعتمادا على التأييد الأمريكي والغربي.

(ب) تعثر ونهاية بن جوريون:

في ٢٥ / ١٢ / ١٩٦٠ أعلنت «لجنة السبعة» ما توصلت إلى من براءة «لافون»، وبهذه البراءة اتجهت أصابع الاتهام إلى «بن جوريون» وأعوانه العسكريين الذين اتهموا لافون بأنه لطخ سمعة الجيش وأن اللجنة تجاوزت حدودها وتصرفت كمحكمة مع أنها كلفت بمهمة محددة وهي تقرير الخطوات الواجب اتباعها، وليس إصدار حكم في القضية.

ومن أجل هذا قدم بن جوريون استقالته في نهاية يناير ١٩٦١ احتجاجا على قرار اللجنة السباعية «المشوه للعدالة»، ولم ير حزب «الماباي» حلا للمشكلة إلا إقالة «لافون». من الحزب، وذلك في اجتماع اللجنة المركزية في ٤ فبراير، ولم يحضر الاجتماع طرفا الخصومة «لافون» و«بن جوريون» وكانت نتيجة التصويت ٥٨ لبن جوريون و ٤٦ للافون، وعقب أحد الأعضاء بأن التصويت ضد لافون لا يتسم بالعدل والأخلاق وأنه خضوع للدكتاتورية.

ومع أن «بن جوريون» كسب الجولة إلا أنه خسر حياته السياسية، فقد قامت ضده مظاهرات طلابية ورفعت لافتات كتب عليها «اذهب إلى سدى بوكر وخذ ديان وبيريز معك، لانريد قادة دون ضمائر».

وهكذا هدم لافــون ولأول مــرة صــورة الأب الروحى للوطن اليهودى، وكان «بن جوريون» قد أعلن عندما استقال أن «قرار اللجنة السباعية لاغ لاستقالة الحكومة»، إلا أن الكنيست رد عليه فى اجتماع طارئ عقد فى يوليو ١٩٦١ بأن «استقالة الحكومة أو أحد وزرائها، لا يلغى قرارات الحكومة المتخذة سابقا وذلك بالإجماع، ولم يصوت على القرار أعضاء حزب «الماباى» فى الكنيست لا نسحابهم.

وهكذا بقى «لافون »فى نظر الكنيست والشعب بريئـاً رغم طرد حزبه له تحت تهديد «بن جوريون» ورأى الشعب فى طرد لافون عملا انتقاميا لأن لافون تجرأ على تحدى بن جوريون ومهاجمة الجيش. وتوالت المصاعب الداخلية تواجه بن جوريون الذى حاول أن يشكل حكومة جديدة ولكن لم يتجاوب معه أى حزب ورفضت الأحزاب الاشتراك معه بعد طرد «لافون»، وازدادت الثورة وضوحا ضده حتى أنه أراد أن يتقاعد إلا أن حزبه رفض حتى القادة الكبار مع أنهم استغلوا قضية لافون لكسر شوكته وأصدقائه الصغار.

وبعد قيامه بزيارات لبعض الدول ـ أمريكا وكندا وبريطانيا وفرنسا ـ كرئيس للحكومة الانتقالية، عاد إلى إسرائيل ليحذر الناخبين ويدعوهم للاهتمام بمن ينتخبون، أما الأحزاب الأخرى فقد اتخذت مشكلة لافون شعارا لها وناشدت الناخب ألا يعطى صوته لرجال عديمى المسئولية لا يتورعون عن جر إسرائيل فى مغامرات فاشلة.

وقد علق أحد الصحفيين فى مجلة «جويش كرونيكل» قائلا: «إنه من الصعب على من لا يفهم حقيقة الأمور فى إسرائيل، أن يفهم كيف هزت قضية لافون الرأى العام، ولو حدثت الانتخابات مباشرة

لخسر حزب الماباى خسارة فادحة، ولكن بعد ستة أشهر لم يخسر إلا خمسة مقاعد من ٤٧ مقعدا، وأما بن جوريون فقد وصف هذه الانتخابات بأنها مصيبة قومية.

بعد أن ظهرت نتائج الانتخابات فى أغسطس ١٩٦١ طلب بن جوريون أن يشكل حكومة جديدة وواجهته صعوبات فى تشكيلها لأن الأحزاب لم تكن متحمسة للدخول معه، وطالبت بعض الأحزاب فى الكنيست بتشكيل إدارة أمن وطنية لمراقبة المنشئات الدفاعية والمشاريع العسكرية، كما طالبوا بزيادة الرقابة المدنية على الجيش، وكانت الأحزاب قد استنتجت من هذه المشكلة الحقاق التالية:

أولاً: أن أصحاب المناصب العليا فى وزارة الدفاع وفى الجيش يستطيعون تمويه أو تغطية عمل وزير الدفاع الذى لا يوافقون عليه، وأن باستطاعتهم دفعه لتقديم استقالته .

ثانيا : أظهرت مشكلة لافون أنه بالأمكان القيام بعمليات تخريب وتجسس دون الرجوع إلى سلطة الوزير العليا.

ثالثا: ظهر للعيان أنه لمدة سنوات كان من المعترف به أن وزير الدفاع باستطاعته أن يأمر بعمليات عسكرية ممكن أن تورط الدولة ككل دون الرجوع إلى الحكومة أو أى سلطة أخرى.

إلا أن هذه الأمور والمشكلات لم تظهر عندما كان بن جوريون يشغل منصب وزير الدفاع لعلاقته بالعسكريين، ولهذا طالبت بعض الأحزاب بإدارة وطنية للإشراف على المشاريع العسكرية.

ومع كل هذا فقد استطاع «بن جوريون» أن يشكل حكومة أئتلافية جديدة حيث جاءه الخلاص من الأحزاب الدينية الأرثوذكسية الذين

وقفوا مع «بن جوريون» كى يعطيهم الحرية فى التدخل فى تصرفات الأشخاص وكان الدين يفرض فرضا.

وأما الحزب الخارج عن الكتلة الدينية والذى دخل الوزارة فقد كان حزب «أحدوت ها أعفودا»، اشترك بعد أن تنازل «الماباى» ووافق على تكوين لجنة وزارية لمراقبة الدفاع، «لجنة» وليس مجلس إدارة كما كان الطلب، ومع ذلك فقد ترأس بن جوريون نفسه هذه اللجنة، وهكذا عاد بن جوريون للحكم لينفذ الخطط التى مازال عليه تنفيذها، وأما لافون فقد أخذ يستعد لجولة أخرى يغريه فى ذلك أن قسما كبيرا، من يهود فلسطين ـ الصابرا ـ اعتبره شهيد مؤامرة الجيش وضحية لبن جوريون.

نهاية بن جوريون السياسية فى حكم إسرائيل:

توالت الأزمات المختلفة على «بن جوريون» ومنها:

(أ) صنع العلماء الألمان الغربيين فى مصر صواريخ يصل مداها إلى ثلاثمائة وخمسين ميلا.

(ب) التأزم والخلاف بين القيادات الإسرائيلية وخاصة بين «بن جوريون و «هالبرين» رئيس المخابرات المؤيد من «جولدا مائير» وانتهى باستقالة «هالبرين» المتزعم الحملة ضد ألمانيا الغربية ومسألة العلاقات الدبلوماسية معها.

(جـ) اهتزاز سلطة «بن جوريون» بصورة سيئة، وفقدانه لشعبيته الذى تزايد بعد إعادة التحقيق فى قضية «لافون».

(هـ) فضيحة لافون.

(و) انصراف زملائه عنه ومناصبته العداء صراحة.

فكان أن اتخذ قراره النهائى بالاستقالة بعد تفكير وتقدير، وأحس الجميع أن هذا القرار الذى لم يكشف عن أسبابه هذه المرة نهائى، وأن هذا الرجل الحديدى قد قصمته قضية «لافون» فزهد فى حكم البلاد، وكان اعتزاله اعتزال رجل جرح كثيرا، وإن احتفظ بالأسباب الحقيقية لنفسه، وكل ما قاله «لقد استقلت لأسباب شخصية».

استقالة بن جوريون من الحكم:

فى ٢٦ / ٦/ ١٩٦٣ استقال بن جوريون من منصبه وذهب إلى مستعمرة «سدى بوكر» فى النقب رغم محاولات جميع زملائه ثنيه عن ذلك ولكنه رفض دون أن يذكر الأسباب التى دعته للاستقالة، غير أن المعلقين رأوا أن الأسباب الرئيسية للاستقالة ترجع إلى:

١ـ أن مشكلة «لافون» كانت السبب الأول فى استقالته.

٢ـ أن هناك أسبابا أخرى ثانوية أهمها:

(أ) مشكلة العلماء الألمان فى الجمهورية العربية المتحدة والعلاقات الإسرائيلية الألمانية.

(ب) موقف اليهود الأمريكيين والإسرائيليين الموالين لأمريكا بعد أن اتجه إلى محور باريس بون.

أما مشكلة العلماء الألمان فقد بدأت بحادثة القبض على إسرائيليين فى «زيورخ» بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٦٣ كانا يهددان ابنة أحد العلماء

الالمان العاملين فى مصر وأخذت الصحف تهاجم العلماء الألمان وتصفهم بـ «النازيين» وتظهر الخطر الذى يهدد اسرائيل من جراء وجودهم فى الجمهورية العربية المتحدة، وتمهد إلى أن الاسرائيليين معذورون بالالتجاء إلى أى طريقة للدفاع عن أنفسهم، وخشى بن جوريون من هذه الحملة لأنه لايريد أن يوقظ أويثير العداء اليهودى ضد المانيا التى أعطتهم مؤخرا أسلحة بالمجان، كما كان فى ألمانيا ضباط إسرائيليون يتدربون على السلاح، وطالب رئيس المخابرات الاسرائيلى، «وجولدا مائير» وزيرة الخارجية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا، ولكن بن جوريون رفض فاستقال رئيس المخابرات. وأصبح الشعور العام ضد «بن جوريون» من جراء تصرفه فى هذه المشكلة، كما توترت علاقته مع «جولدا مائير» وبذلك أضاع المزيد من شعبيته خاصة وأن معظم زملاؤه الكبار اتخذوا ضده موقفا عدائيا بسبب مشكلة «لافون.

ومن أسباب استقالته ايضاً التزامه فى السنوات الأخيرة خطا سياسيا متحديا به المصالح الصهيونية فى أمريكا، وذلك عندما قام محور بون - باريس يعمل على نزع يد أمريكا وزعامتها عن أوربا، ففى ذلك الحين راح «بن جوريون» يلتصق علنا بذلك المحور ويحاول ربط اسرائيل به وذلك كى يحصل على المساعدة الذرية. وأثار تصرف بن جوريون الذى يتسم بالتحدى للمصالح الأمريكية سخط الحكومة الأمريكية. وغضب فريق كبير من أقطاب حزب «الماباى» من ذوى الميول الأمريكية. وأوفد اليه الرئيس الامريكى «جون كنيدى» وفودا تطالبه بمراعاة المصالح والمقدرات الامريكية، وكان

رد «بن جوريون» أنه يريد مقابل ذلك عقد معاهدة عكسرية مع اسرائيل تلتزم فيها امريكا بالدفاع عن إسرائيل فى حالة الحرب مع العرب، كمالم يأبة «بن جوريون» لوساطة القادة الصهونيين فى أمريكا. وكان نتيجة لتصرفاته خارج الحزب وانفراده بتقرير الامور داخل الحزب واختياره فريقا من أنصاره لأعدادهم للقيادة من بعده ان رأت الصهيونية العالمية تأييد معارضيه فى حزب الماباى وساعدت على ابعاده واعوانه من الحكم وتعيين «ليفى اشكول» رئيسا للحكومة.

تعليق على نهاية «بن جوريون» (فى الحكم):

أن استقالة بن جوريون المفاجئة كانت أكبر غلطة فى حياته السياسية، إذ كان عليه أن يتصرف وكأنه قائد أدى رسالته ويفسح المكان للجيل الصاعد، ولكنه ترك مكانه دون ان يضع مؤيديه فى مراكز القوة، وبذلك استفاد من استقالته قادة الماباى كبار السن وعلى رأسهم جولدا مائير، ومعارضوه فى الاحزاب الاخرى. ولقد نجح القادة الكبار فى الاتحاد مع قادة« احدوت هاعفودا» الصغار، وهم الورثة المنتظرون للكبار الذين كسبوا الجولة.

وهكذا انتهت معركة الاجيال باستقالة بن جوريون، والرأى العام الاسرائيلى ضده لاصراره على الطعن «بعدل اللجنة السباعية» وأخذت الصحافة تلقبة بالمخرف والمجنون، وهو الذى كرس حياته لخلق إسرائيل وجمع اليهود بعد الشتات.

وكانت أهم أعمال بن جوريون هى تشكيل واعداد قوة دفاعية. صارت بعد ذلك جيشا إسرائيليا متحفزا وبعد ذلك باشر مهامه

كرئيس وزراء تفرغ لإرساء قواعد الدولة على أساسا قانونى من سياسة الدفاع إلى شئون العلم والتربية وقواعد اللغة العبرية والتاريخ والتوراة التى كان مغرما بها ليوازن بين قصوره فى الكفاءة المتخصصة. وقد شغل بن جوريون من الضمير الوطنى مساحة أكبر مما يتطلبه منصبه فصار تكوينه الجسمانى القوى المتفجر رمزا لخصائص إسرائيل الجديدة فى عهد ليس فيه وقت للشك، وطابعه هو السرعة، وتمتع بالثقة خاصة بين شباب الأمة والناخبين أيضاً ورغم كل حبهم امتنعوا عن إعطائه أغلبية كاملة لأى حزب قائد، فقد كان هناك شعور بأنه سيعمل كل ما يمكن بأى سلطة يمنحها، وكذلك ينبغى ألا يعطى أكثر من اللازم.

٣ - وفى قيادته لسياسة إسرائيل الدولية كان تصرفه واقعيا فقد كان عنده وقت فقط للمحاولات التى تعد بنتيجة سريعة ومفيدة. فعالج مشكلة العرب بإهماله لها وركز اهتمامه على القوى العالمية التى كانت على الأقل فى نظره يمكن الاعتماد عليها لتقوية إسرائيل.

وخلف تصرفاته ذكاء خارق ولباقة حادة أمداه بتقدير واقعى ومعقول لطاقات إسرائيل. ففى سنة ١٩٤٩ انسحب من شمال سيناء بدلا من مواجهة مقاومة بريطانيا واستياء أمريكا. ودخل عملية سيناء سنة ١٩٥٦ بعد فترة من الحذر، وبعد أن حصل على ضمانات ضد أى هجوم جوى على المدن الإسرائيلية. وبعد يومين من إعلانه أن إسرائيل لن تتخلى مطلقا عن المنطقة المحتلة ولن تسمح لأى جنود أجانب بدخولها أعلن انسحاب إسرائيل لتحل محلها قوات الأمم المتحدة، فبعد أن طلبت

الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الانسحاب فلم يجدبدا من الإذعان مواريا بشكل ما ليعطي تراجعه مظهرا انتصاريا بما يحقق أن يغفر له الشعب أخطاءه، وقد مكنته سلطاته في الشئون الداخلية من حرية المناورة.

٤ - وقد كان «بن جوريون» في حالة عزلة عن معاصريه من قيادة حزب العمال وصار يضيق بالبرلمان ولا يكترث بروتين الحكومة. وبعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا كتب ما يفيد شكوكه في استمرارية الوحدة. وفي صبيحة أحد أيام يونيه ١٩٦٣ يستقيل فجأة. ويوصي أن يتولى «ليفي أشكول» وزير ماليته الذي أساء إلى بن جوريون كثيرا من بعد.

وقد أثبت أشكول أنه قادر على ملائمة الخلاف داخل حركة العمال (الماباي) التي ساعد على توحيدها وعلى زيادة ثقل الحكومة.

وعلى الرغم من أن «بن جوريون» كان مترددا في دخول حرب الأيام الستة إلا أنه أظهر واقعيته القديمة بعد الحرب من أن السلام الحقيقي أهم من اكتساب الأرض. وقد ظهرت طريقة تخلي بن جوريون عن القادة في أن تجربة إسرائيل طوال خمسة عشر عاما ستعيش في ذاكرة الأمة طويلا.

٥ - كانت الخلافات التي دارت حول مشكلة القيادة عرضا لأسباب كثيرة منها عدم الاستمرار في النمو الوطني . فلم تعدالقيم القديمة بعيدة عن التحدي وصارت سياسة الكيبوتز محدودة وقد مرت حرب الأيام الستة عبر جدالات مثيرة كرياح مفاجئة وكاشفة ففي ساعة الخطر كانت هناك عودة سريعة للرؤى

القديمة الموحدة وتضامن قوى وعنيف أمسك بعالم اليهود. وصار جليا أن إسرائيل الجديدة لاتزال تنظر للماضى.

إن لافون استطاع أن يجمع حوله ما يقارب من مائة وستين عضوا من قيادة الماباى، وشكلوا مجموعة من «هايسود»أى من الأساس وأخذوا يطالبون «أشكول» بنسخ القرار الذى اتخذ بعزل «لافون» وفى أواخر أبريل ١٩٦٤ أعلن قادة من هايسود أنهم سيكونون مضطرين للانسحاب من الماباى إذا لم يلغ أشكول جميع القرارات الصادرة ضد «لافون»، فأذعن أشكول، وأعلن باسمه وبالنيابة عن مجموعة كبيرة من قادة «الماباى»، أن قضية عزل لافون لم تعد تعنى شيئا وأنهم يرحبون بعودة لافون للحزب، وعلى ألا يثار موضوع فتح التحقيق فى مشكلة لافون، وكان هذا القرار أيذانا بسقوط «بن جوريون» وبروز ليفى أشكول لزعامة الحزب والحكومة.

ثم ارتكب «بن جوريون» غلطة أخرى فى مؤتمر «الماباى» عام ١٩٦٥، إذ رجاه العديد من مؤيديه أن يعلن عن استعداده لتقلد المنصب ثانية، وكانوا موقنين بقدرتهم على الحصول سويا على أغلبية لصالحه، فإذا عمل ذلك استطاع إنجاز هدفه بتكوين لجنة تحريات ومنع العودة إلى الأساليب الحكومية القديمة، ولكن «بن جوريون»، بعناده، رفض الإصغاء إليهم.

ثم أعقب ذلك المسلك الأليم من زملائه ورفاقه السابقين أن يتكاتفوا لتحطيمه وإهانته والقضاء على أسطورته حتى وهو فى منفاه الاختيارى «بسدى بوكر» بعد استقالته، ولم يتركه أصدقائه القدامى

وأخـذوا يعـملون على عـزله وإذلاله، وأخـذوا في مـهـاجـمـتـه في اجتماعات المؤتمر العاشر «للماباي» المنعقد في فبراير ١٩٦٥، حتى شاريت المريض اتهمه بعدم المحافظة على وحدة الصف.

وفي اليوم نفسه ارتدت«جولدا مائير» ثياب الحداد من الرأس حتى القدمين، وشنت هجوما لاذعا على «بن جوريون» واتهمته بعبارات جارحة لم يسمع مثلها من قبل في مؤتمر «الماباي»، فما كان من «بن جوريون» إلا أن غادر القاعة، وفي اليوم التالي تخلى «الماباي» عن قائده القديم وخذله في التصويت.

وحصل «ليفي اشكول» على ٦٠٪ بينما حصل «بن جوريون» على ٤٠٪ فقط، وأصدر حزب «الماباي» بعد انعقاد المؤتمر العاشر قرارين هما:

الأول: عدم بحث قضية «لافون» في أية هيئة من هيئات الحزب، وحصر الموضوع في وزراء الحزب فقط، وصدر هذا القرار بأغلبية ٥٩٪.

الثاني: يؤيد الحزب اقتراح «ليفي أشكول» بالاتفاق مع «أحدوت هاعفودا» والاشتراك معه بقائمة واحدة في الانتخابات القادمة، وكان «بن جورين» يعارض ذلك.

(جـ) مجمل الظروف الداخلية:

١ - إبان عـام ١٩٦٦ وأوائل عـام ١٩٦٧ كـانت الظروف الدوليـة والداخلية والعربية مواتية لأن تشن إسرائيل حربا ضد الدول العربية المحيطة مستغلة بوجه خاص خلافات الحدود والنزاع حول المياه مع كل من الأردن وسوريا.

٢ ـ كانت إسرائيل متأكدة من الدعم السياسى للولايات المتحدة الأمريكية وخاصة بعد التأكيدات التى حصلت عليها إبان زيارة رئيس الوزراء ليفى أشكول لواشنطن فى نهاية عام ١٩٦٤ .

٣ ـ نجاح إسرائيل فى إقناع الولايات المتحدة بتزويدها بالسلاح وهو ما تحقق مع بداية عام ١٩٦٦ .

٤ ـ كانت العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية النازعة نحو التحرر فى تدهور مستمر.

٥ـ نجاح إسرائيل فى تصوير اجتماعات القمة العربية بوصفها تهديد للاستقرار الإسرائيلى.

٦ ـ رغم الشكل الظاهرى للتضامن العربى فإن الحقائق تعكس تشرذم العالم العربى، وتعد حرب اليمن صورة واضحة لهذا التصور.

٧ ـ كانت القوات المسلحة المصرية قد تأثرت بشكل سلبى نتيجة قتالها المستمر فى اليمن.

٨ ـ كانت القوات المسلحة الإسرائيلية قد استكملت استعدادها لشن حرب خاطفة وحاسمة.

٩ ـ تفاقمت المشاكل الاقتصادية فى إسرائيل مع نهاية عام ١٩٦٦ وأصبحت الحرب هى الخلاص من هذه الأزمة الاقتصادية.

١٠ ـ تمكنت القيادات الإسرائيلية من تحقيق توحد داخلى لكافة الفصائل الحزبية لمواجهة المعركة.

الفصل الثانى

الأوضاع العربية
قبل حرب يونيه ١٩٦٧

الأوضاع العربية:

تحليل الأوضاع العربية المؤثرة فى حدث يونيو ١٩٦٧ لا يتصل بهذه السنة أو بما يليها مباشرة بل يعود إلى بداية الستينيات، بل قد يعود إلى نهاية فترة الخمسينيات نفسها. وأصبحت هذه الأوضاع تلتصق إلتصاقا وثيقا بالجمهورية العربية المتحدة التى قادت التحرك القومى بالصراع تارة وبالمصالحة والاتفاق تارة أخرى، ولذلك قد يحسن إيراد هذه الأوضاع فى عجالة تؤدى فى النهاية إلى تفهم حدث ٥ يونيو ١٩٦٧ فهى تستند إلى الحقائق ولا تستند إلى الأخبار المزروعة أو القصص الصحفية أو حتى إلى استنتاجات غير محايدة لبعض المحللين السياسيين، لأن هذا الحدث من الضخامة فى التأثير فى الضرر القومى بحيث يستدعى جهدا خاصا محايدا .

(أ) بعض آثار حرب السويس: (١٩٥٦)

كانت الدول الغربية وإسرائيل إبان حرب السويس تسعى إلى تحقيق أهداف محدوده هى:

١ ـ احتلال سيناء لأسباب استراتيجية وتوسعية.

٢ ـ إسقاط عبدالناصر.

٣ ـ ضمان الملاحة فى قناة السويس وخليج العقبة.

ولم تتحقق من هذه الأهداف إلا حرية المرور فى خليج العقبة ولذلك ظلت هذه الأهداف باقية فى ذهن إسرائيل تلح من أجل التنفيذ بوصفها أهداف قومية إسرائيلية.

ويذكر أن موقف إسرائيل عام ١٩٥٦ من موضوع الأنسحاب من شبه جزيرة سيناء كان يتلخص فى عرض صيغة لتدويل سيناء ونزع سلاحها لمنع نشوب المعارك مستقبلا، إلا أن معظم الدول عارضت هذا التصور لأنه يقيد سيادة مصر على أراضيها.

وبالنسبة لقطاع غزة وخليج العقبة، فقد وصل التصلب الإسرائيلى إلى درجة كبيرة بزعم أن قطاع غزة يمثل قاعدة انطلاق إرهابية ضد إسرائيل أما عن خليج العقبة فقد طالبت إسرائيل بتدويله وإنهاء السيادة المصرية على جزر تيران وصنافير وهما فى مدخل الخليج وتسيطران عليه سيطرة كاملة.

وعند نقطة معينة فى النزاع تحركت واشنطن لمعالجة التصلب الإسرائيلى لأن الأمم المتحدة ـ وخاصة الجمعية العامة ـ كانت تطالب بإجراءات حازمة ضد إسرائيل التى ترفض الانسحاب وهى إجراءات تثير الكونجرس الأمريكى ضد الحكومة ومن ناحية أخرى لم تكن الولايات المتحدة راغبة فى خسارة المكاسب السياسية التى حققتها من معارضتها للعدوان الثلاثى، فقامت بالضغط على إسرائيل التى اشترطت للانسحاب الكامل عدة شروط منها:

١ - أن تحل قوات دولية محل القوات الإسرائيلية فى قطاع غزة والعقبة.

٢ - أن تكفل حكومة الولايات المتحدة لإسرائيل حق المرور البرئ فى خليج العقبة.

٣ - الضغط على مصرحتى لايستخدم قطاع غزة قاعدة للأعمال الفدائية ضد إسرائيل.

وهكذا انتهت حرب السويس دون أن تحل كثيرا من المشاكل وتصور كل طرف أن من خلال التسوية الدولية التى تمت وكان الغبن الذى تصورته مصر وهو فى وضع قوات الطوارئ على أراضيها فقط دون الأراضى الإسرائيلية.، بالإضافة إلى تقيد حقوقها فى خليج العقبة وكان هذا الأمر بعث مزايدات سياسية ضد مصر من جانب الدول العربية وخاصة الأردن وسوريا.

(ب) انفصال سوريا:

فى فبراير ١٩٥٨ قامت الوحده بين مصر وسوريا فى إطار الجمهورية العربية المتحدة وبات واضحا منذ عام ١٩٦٠ مدى المصاعب التى تتعرض لها الوحدة وأدعت العناصر السورية المناوئة أن إدارة دولة الوحدة لم تحترم الإرادة والمصالح السورية، وزاد من تأزم الموقف القرارات الاشتراكية التى أعلنها الرئيس عبد الناصر فى يوليو ١٩٦١ وهو أمر كان يهدد مجتمع رجال الأعمال وهو مجتمع قوى فى سوريا، وانتهزت عناصر من الجيش السورى هذه الظروف وقادت فى سبتمبر ١٩٦١ انقلابا ضد دولة الوحدة، وقد رفض

الرئيس عبد الناصر قمع الانقلاب بالقوة واتهم بريطانيا والأردن والرجعية العربية بتدبير وتشجيع وتمويل هذا الانقلاب، الذى يعد حادثا مؤلما بالنسبة لتاريخ عبد الناصر القومى، مما دفعه إل اتخاذ مزيد من الإجراءات الاشتراكية لتأمين مصر. وسنتعرف فيما بعد على اهتمام الرئيس عبد الناصر بتولى صلاحياته القومية فى الدفاع عن الدول العربية وهو أمر جره إلى حرب عام ١٩٦٧ رغم أن مصر لم تكن المتسبب فى الحرب بل كانت فى مأمن نظرا لوجود قوات الطوارئ على حدودها بعد حرب عام ١٩٥٦ .

(جـ) ثورة اليمن:

قامت ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وكانت أهدافها المعلنة واتجاهها العام يسير فى الخط القومى التحررى الذى رفعته الجمهورية العربية المتحدة وهو الخط الذى هزم بانقلاب سوريا فى سبتمبر ١٩٦١ .

ولم يكن أمام الجمهورية العربية المتحدة إلا الإسراع بمساعدة الثورة الوليدة وكان المقدر أن تكون المساعدة محدودة ولأجل محدود، إلا أن مجريات الأحداث أدت إلى تضخم الدور المصرى على اتساع فترة زمنية وصلت حتى عام ١٩٦٧ وأثر ذلك على فعالية المواجهة إبان حرب الخامس من يونيو، لأن قسم نشط من القوات المسلحة بمعداتها كان خارج مصر، بالإضافة إلى تنامى قوة الجيش سياسيا مما اضعف من سيطرة الرئيس على مجريات الأمور فى القوات المسلحة والتى استأثر بها المشير عبد الحكيم عامر الذى كان أقرب إلى السياسى المغامر منه إلى العسكرى المدرب.

(د) تحويل مجرى نهر الأردن:

فى نهاية عام ١٩٦٣ أعلنت إسرائيل عن خططها لاستكمال إحدى مـراحل المشـروع القـومى للمـيـاه فى إسـرائيل والذى يؤدى إلى الإستيلاء على قسم كبير من مياه نهر الأردن من أجل خطط الإنماء الإسرائيلى. وهو أمر سبق أن أدى إلى تأزم الموقف فى منطقة الشرق الأوسط عند مناقشـتـه فى الخمـسينات حيث اقتـرحت الحكومـة الأمريكية وقتئذ تصورا مفاده ضرورة استخدام مصادر المياه بشكل مشـترك وهو أمـر يؤدى إلى تنميـة كل دول المنطقـة وهى إسرائيل وسوريا ولبنان والأردن.

وقد أيد الإسرائيليون هذا التصور الأمريكى لأنه كان يحقق لهم أهداف متعددة منها:

١ ـ زيادة حصتهم من مياه نهر الأردن.

٢ ـ إدخال إسرائيل فى إطار تنموى شرق أوسطى.

٣ ـ الاعتراف العربى الفعلى بإسرائيل.

وقـد أخـذت مصـر زمـام المبـادرة فى مـواجـهـة هذه التـصورات ودعت إلى عـقد قـمـة عربية تمت فى يناير ١٩٦٤، وانتـهى المؤتمر إلى وجود خطة عربية لنهر الأردن ضدالمشاريع الإسرائيلية وبدأ كل جانب ينفذ ما يراه موافقاً لمصلحته وهو أمر أدى إلى تصعيد جديد فى المواجهة العربية ـ الإسرائيلية.

(هـ) الوضع العربى العام:

بالرغم من أن مؤتمرات القمة العربية قد عكست تضامنا عربيا فى الظاهر إلا أن العلاقات العربية كانت هشة وعدائية فى أحد جوانبها، وقد افتقرت إلى التنسيق لمواجهة المغامرات العدوانية الإسرائيلية، كما لم يكن للقوات العربية فى دول المواجهة رؤية واحدة وقيادة عامة قادرة الأمر الذى يفسر الارتباك والتدهور الذى حدث فيما بعد إبان وبعد معارك عام ١٩٦٧ .

الفصل الثالث

الظروف الدولية

قبل حرب يونية ١٩٦٧

الظروف الدولية

الظروف الدولية كانت مهيأة لتندفع إسرائيل فى عدوانها ضد الدول العربية عام ١٩٦٧ ، وخاصة مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل مساندة كاملة وفاء بالمصالح الأمريكية وأبرزها تعقب الاتحاد السوفيتى وتعويقه فى كل أماكن حركته وأهمها الشرق الأوسط نظرا لوجود منابع البترول به. وقد كان التعاون فى السابق بين إسرائيل وكل من بريطانيا وفرنسا، وانتهى الأمر فى الستينات إلى تعلق إسرائيل بالركب الأمريكى الذى يعبر عن القدرتين العسكرية والاقتصادية.

وكان الاتحاد السوفيتى يود المحافظة على مواقفه وأصدقائه ولكن بتحاشى الصدام المسلح، وقد اتضح تراجعه فى هذا الصدد منذ الأزمة الكوبية عام ١٩٦٢ . ونشير فيما يلى لإبراز مظاهر التعاون الإسرائيلى ـ الغربى:

(أ) مشكلة المفاعل الذرى فى النقب:

وقعت فرنسا مع إسرائيل عام ١٩٥٧ اتفاقية سرية لتشييد مفاعل ذرى كبير فى النقب بزعم أنها محطة أبحاث للأغراض السلمية،

وكان ذلك بمبادأة من «شيمون بيريز» وتأييد كامل من «بن جوريون» واحتفظ بالسر سنوات إلى أن وضعت طائرة التجسس الأمريكى «يوتو» نهاية له، باكتشافها له فى طيرانها فوق النقب وسربت بعض المعلومات التى أوضحتها الصور الجوية إلى المخابرات المركزية الأمريكية وبأن المبانى الممتدة فى الصحراء ليست مصنع نسيج.

وفى ٩ ديسمبر ١٩٦٠ استدعى وزير الخارجية الأمريكى «هيرتز» السفير الإسرائيلى فى واشنطن فى اليوم الذى عقدت فيه لجنة الطاقة الذرية بالكونجرس اجتماعا عاجلا، نشرت بعده «التايم» خبرا مقتضبا عن بناء مفاعل ذرى سرا فى دولة معينة لم تحددها، وكان مؤكدا أنها لا تنتمى إلى الكتلة الشيوعية ولا هى عضو فى حلف الأطلنطى، ثم نشرت صحيفة فى لندن فى ١٦ ديسمبر أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية.

وطلبت واشنطن إيضاحاً لمعرفة ما إذا كان المفاعل فى النقب لأهداف عسكرية، وصدر بيان مشترك من الخارجية الفرنسية ووكالة الطاقة الذرية يعترف بأن فرنسا كانت تساعد إسرائيل فى أبحاثها النووية وأنه من أجل الأغراض السليمة، كما أصدر «بن جوريون» بيانا اعترف فيه بأن إسرائيل قد أقامت فى «ديمونة» بالنقب مفاعلا بقوة ٢٤ ميجاوات للأبحاث العلمية وتطوير البلاد، غير أن أمريكا لم تقتنع ومارست ضغطا كبيرا على إسرائيل إما أن تقبل أشرافا دوليا أو توافق على تفتيش مباشر من العلماء الأمريكيين.

ورفض «بن جوريون» رغم الضغط الأمريكى والتهديدات المستمرة والمذكرات الحادة والتلميح إلى الاجراءات التى قد تتخذها

الولايات المتحدة (كان الضغط الأمريكى فى عهد رئاسة «ايزنهاور») .

(ب) بدء التعاون الأمريكى .

فى عهد الرئيس كنيدى سمحت إسرائيل لعالم أمريكى [1] بزيارة المفاعل، وأبلغ الرئيس الأمريكى كنيدى بن جوريون ، أن المعلومات التى أعطاها بن جوريون للمفاعل صحيحة ويمكن لإسرائيل أن تستمر فى برنامجها للأبحاث الذرية، ولهذا السبب لم يستقل «بن جوريون» كعادته حين كانت لجنة السبعة تحقق فى فضيحة لافون حتى لا يوحى فى الخارج أن استقالته بسبب أزمة المفاعل الذرى، وظل فى الحكم حتى سويت ثم أستقال فى يناير ١٩٦١ .

وكان الرئيس «كيندى» قد ناقش مع «بن جوريون» أثناء زيارته «لواشنجون» فى شهر مايو ١٩٦١ ، مشاكل الشرق الأوسط، ووعد الرئيس كيندى بن جوريون بتقديم العون العسكرى لإسرائيل إذا ما نشبت الحرب مع العرب، كما منح تأييده الكامل لخطة إسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن من أجل رى النقب . وكان يرى كيندى أن السلام فى الشرق الأوسط يمكن أن يأتى على مراحل، واقترح على إسرائيل الموافقة على فصل مشكلة اللاجئين العرب عن المشاكل العامة فى الشرق الأوسط، كما كان يرى أنه متى سويت مشكلة اللاجئين العرب تسوية شاملة ، أتضح الطريق إلى السلام، ولم يعترض «بن جوريون» على ذلك ، وبناء على موافقة الرئيس كيندى

(١) لم تفصح الإدارة الأمريكية عن اسم العالم أو كنيته الذى أخذت بتقريره بعد زيارة المفاعل الذرى الإسرائيلى وسمحت لإسرائيل باستمرار نشاطها وتجاربها الذرية . فى الوقت الذى أرسلت إلى العراق ما يقرب من ٦٠ بعثة تفتيش، وضربته بالصواريخ والطائرات لتدمير أى موقع يشتبه فيه بأى نشاط ذرى.

توجه إلى المنطقة د. جوزيف جونسون ، وهو أحد كبار الرسميين فى الأمم المتحدة، نيابة عن الحكومة الأمريكية ليستأنف مع إسرائيل والدول العربية المحادثات فى مشكلة اللاجئين وإستمرت عاما تم خلاله العدد من الجولات بين القدس وواشنطن ونيويورك والعواصم العربية ، وأنتهت إلى معارضة كل من العرب واليهود ، ما طرح من توطين اللاجئين العرب فى الدول العربية، وقلة منهم فى إسرائيل . وذلك على أساس قرار الأمم المتحدة «حرية الاختيار» فى العودة إلى إسرائيل، وكان هذا هو الشق الأول من القرار، أما الشق الثانى الذى كان يقضى بأن يعيش العرب فى سلام مع جيرانهم الإسرائيليين، فقد أغفل فى خطة «جونسون» أى أن يطلب من إسرائيل دمج بعض اللاجئين دون ضمانات فى المقابل ، فلما عارض العرب الخطة ، عرض كيندى عرضا يغرى «بن جوريون» بأن قررت الولايات المتحدة مدهم بصواريخ «هوك» مقابل موافقة الدولة اليهودية على خطة جونسون ، ورفض «بن جوريون» العرض.

(جـ) محاولات «بن جوريون» التقارب من مصر:

وبينما كانت هذه المفاوضات تجرى مع مبعوثى جونسون أو كيندى، كان بن جوريون بناء على توجيه أمريكى يعمل على التقارب مع العالم العربى، وكانت محاولته الأولى فى ديسمبر ١٩٦٢ بعد تفكك الجمهورية العربية المتحدة بانفصال سوريا عن مصر ، وثورة اليمن على النفوذ المصرى ، وكان نفوذ عبد الناصر أخذ فى الهبوط ، فوسط الرئيس «تيتو» بوصفه صديقا لعبد الناصر، ولكن جاء رد الوساطة سلبيا، ووجد بن جوريون وسيطا آخر هو رئيس تحرير

صحيفة أوربية كبرى، كان فى القاهرة فى يناير عام ١٩٦٣ . وقابل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة الأهرام ، المقرب إلى عبد الناصر- وأكد أن مصر لا تفكر فى حرب ضد إسرائيل ، ثم التقى الصحفى الأوربى مع عبدالناصر وأدعى أنه قال له : «أعتقد أنه إذا تم إجتماع مغلق بينى وبين «بن جوريون» لمدة ثلاث ساعات فسنصل إلى حل سلمى للصراع العربى اليهودى».

وأبدى «بن جوريون» عن شكه فى أن عبد الناصر يفكر حقا فى الاجتماع به للوصول إلى حل سلمى للصراع العربى الإسرائيلى، وإن كان هو القائد العربى الوحيد الذى يمكنه الأتفاق مع إسرائيل، وأبدى استعداده لمقابلته وفى غاية السرية، فى البلد الذى يختاره حتى لو كان القاهرة، للتفاوض معه الساعات اللازمة لإقامة السلام فضلا عن اتفاقيات تعاون ثقافى وإقتصادى وسياسى.

إلا أن عبد الناصر أبلغ الرسول أنه لا يثق فى «بن جوريون» بعد استعراض أعمال إسرائيل العدوانية منذ حرب الأستقلال أيام كان ضابطا فى الخط الأمامى وأغتيال برنادوت ، وغاراتها على قطاع غزة وحرب سيناء.

(د) المساعدات الأمريكية لإسرائيل (١٩٤٩ ـ ١٩٦٩) :

كان للمساعدات الخارجية مكان حيوى فى الاقتصاد الإسرائيلى، فبدونها يصاب بإرهاق شديد ليس فى مواجهة أعباء التسليح فحسب، بل وفى الحفاظ على معدلات نموه المرتفعة.

ومما تجدر الأشارة إليه أنه مما يصعب على المتتبعين للمساعدات الأمريكية لإسرائيل حصرها وتصنيفها بدقة، وخاصة فى مجال

القروض التى تحصل عليها الأخيرة من البنوك و شركات التأمين بضمان المؤسسات اليهودية الأمريكية كالندا واليهودى الموحد (UJA) إذ لا يعلن عما يصل منها لإسرائيل فى التقرير السنوى لبنك إسرائيل.

وقددعا ذلك وغيره من مظاهر التميز الذى تتمتع به إسرائيل، إلى أن يرفع عدد من الشخصيات الأمريكية الصوت داعين للحد من المساعدات غير المباشرة لإسرائيل. وبلغ ذلك الاحتجاج قمته سنة ١٩٥٨ بمناسبة تقديم مشروع بقانون، سقط فى الاقتراع، يدعو لإلغاء الأعفاء الضريبى بالنسبة للتبرعات ولحصيلة بيع سندات إسرائيل فى الولايات المتحدة.

ولا ريب أن فشل هذه المحاولات يبرز حقيقة أن هذه المساعدات بما تتيحه من تطوير إسرائيل اقتصاديا وعسكريا، تخدم المصالح الأمريكية فى المنطقة. وكما عبر بيان الحزب الجمهورى فى الانتخابات، فإن مساعدة إسرائيل ضرورية «لحفظ السلام فى الشرق الأوسط .

ويمكن تقسيم المساعدات الأمريكية، الاقتصادية والفنية لإسرائيل قبل حرب يونية ١٩٦٧ إلى قسمين رئيسيين:

(أ) مساعدات مباشرة تقدم من حكومة الولايات المتحدة أو إحدى مؤسساتها، وهذه يعلن عنها عادة.

(ب) مساعدات غير مباشرة، وتصدر إما عن مؤسسات داخل الولايات المتحدة - سواء كانت يهودية أو غيرها - وإما عن هيئات أجنبية متأثرة بالنفوذ الأمريكى مثل البنك الدولى.

وقد بلغت جملة المساعدات الحكومية الأمريكية (المعونة الفنية + المنح + قانون فائض الحاصلات + بنك التصدير والاستيراد + القروض) مبلغ ١٠٥٤ مليونا من الدولارات فى الفترة من ٤٨ إلى ١٩٦٥ . وفى سنة ١٩٦٦ قررت الحكومة الأمريكية بأن إسرائيل لم تعد دولة نامية، وترجم بنحاس سابير ما يعنيه ذلك فى ديسمبر من نفس السنة، بأنه يتعين على إسرائيل سداد قسط أكبر من وارداتها بالنقد الأجنبى .

بيد أن تصريح «سابير» لم يكن يهدف فى حقيقة الأمر من حث اليهود - وفى الولايات المتحدة خاصة - على توظيف أموال أكثر داخل إسرائيل (وكان يقلقه هبوط حجمها عن سنة ٦٥) . فالواقع أن المساعدات الأمريكية لم تتأثر كثيرا بالتكييف الجديد لوضع إسرائيل كدولة متطورة، ففى السنة التالية مباشرة (٦٧) قدمت الحكومة الأمريكية تسهيلات ائتمانية لإسرائيل فى ٢٣ يونيه ٦٧ بقيمة ٣٠ مليون دولار يسدد بالليرات بهدف توفير احتياطياتها من العملات الصعبة. وبعد نحو شهر فى ٤ / ٨ / ٦٧ منحت ما قيمته ٢٧,٥ مليون دولار سلعا غذائية بموحب برنامج «الطعام من أجل السلام» ، وفى ١٥ / ٩ / ٦٧ منح بنك التنمية الصناعى الإسرائيلى قرضا بمبلغ ١٥ مليون دولار. (بعد حرب ٦٧) .

إن حصر ما تتلقاه إسرائيل من مساعدات اقتصادية وفنية من الولايات المتحدة، رسميا وعن طريق الهيئات والأفراد - وهى فى ضخامتها ونوعيتها الفريدة فى إطار المساعدات الخارجية الأمريكية قد أثارت سخط هيئات أمريكية لها وزنها.

والحوار التالى بين السناتور فولبرايت رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس وبين مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط (تالبوت) والمستر جود مساعد مدير قسم الشرق الأوسط بوكالة التنمية الدولية الأمريكية (AID) والذى جرى بتاريخ ١١ / ٤ / ٦٢ بمناسبة مناقشة الاعتمادات التى طلبتها الوكالةللسنة المالية ١٩٦٣ ، يساعدنا على تصور مدى ما بلغته هذه المساعدات فى عهد الرئيس كيندى.

فولبرايت: ماذا تنتظرون من الأموال التى تعطونها لإسرائيل، وبالنظر لحجمها أليس معقولا أن تعرفوا شيئا عن نشاطهم فى ميدان الطاقة الذرية؟.

جود : بودنا لو عرفنا.

فولبرايت: هل تستطيع تقدير الحجم الإجمالى لمساعداتنا لإسرائيل؟.

جود: منذ سنة ١٩٤٩ حتى ١٩٦٢ تقدر بحوالى ٨٠٠ مليون دولار.

فولبرايت: وذلك لا يتضمن السندات التى يبيعونها هنا؟

جود : كلا ، ما ذكرته هو المساعدات الحكومية.

فولبرايت: وما قيمة هذه السندات؟

جود: ليس لدى علم بها.

فولبرايت : والتبرعات من جانب شعبنا؟

جود: وفقا لتقديراتنا لسنتى ٦٢ ، ٦٣ ، فإنها تبلغ ١٠٠ مليون دولار سنويا .

فولبرايت: هل تخصم هذه التبرعات من وعاء ضريبة الدخل؟

جود : لست خبيرا فى شئون الضرائب.

عضو اللجنة: نعم ، هى كذلك.

جـود: لدى الآن حصيلة مبيعات سندات إسرائيل بالولايات المتحدة وهى تبلغ منذ ١٩٤٨ حتى الآن حوالى ٤٨٧ مليون دولار.

فولبرايت: لا توجد دولة فى العالم نعطيها بالنسبة لنصيب الفرد قد ما نعطى إسرائيل، هل توجد مثل هذه الدولة؟

تالبوت: لا يوجد على حد علمي.

فولبرايت: قد تبلغ مساعداتنا على أساس نصيب الفرد أكثر من عشرة أضعافها بالنسبة لأى دولة أخرى، وفيما يتعلق بالإعفاء من الضرائب فإن التبرعات التى تحصل عليها إسرائيل إنما تصلها ـ فى الواقع ـ من الخزانة . هل توجد دولة أخرى تعامل كذلك؟

جود : ليس لدى علم بذلك.

فولبرايت : هل تعرف دولة أخرى يا مستر تالبوت؟

تالبوت: كلا ياسيدى.

فولبرايت: لماذا لا يتسع تقديركم لما حصلت عليه إسرائيل من ألمانيا الغربية؟

جـود : لقد بلغت التعـويضات الألمانيـة سنة ١٩٥٠ مـبلغ ٧٨ مليون دولار أما ما دفعوه لقاء الممتلكات اليهودية المصادرة..

فولبرايت: فأكثر من بليون دولار.

جود: أجل يا سيدى . وأكثر بكثير.

فولبرايت: إذن لماذا تعطون كثيرا لإسرائيل؟ لنأخذ الهند كمثال أو أى دولة عـربية. لقد تعودنا أن نسمع عن سياستنا الرسمية الغـيـرة منحـازة لأى من الفـريقين. إسـرائيل والعـرب، أليس ما أقوله صحيحا يا مستر تالبوت؟

تالبوت: صحيح يا سيدى.

فـولبـرايت: ولـكن الأرقـام لا توضح ذلك. ومنـهـا يتـبين أنكم تـعطون إسـرائيل مـا بين ١٠ و ٢٠ ضـعـفـا لما يقـدم لأى دولة عربية أو للهند، هل هذا صحيح؟

عـضو باللجنة: الحكومـة لا تعطى هذا القـدر، ولكنه المواطـن . نحن نعيش فى أمريكا وإذا كنت ترغب فى أن توجـه نقودك إلى إسرائيل فلتفعل.

فـولبرايت: إننى أعـرف حـقوق المواطن الدستـورية . ولكن الأمـر هنا يتـعلق بوضع متميز لإسرائيل فى هذه البلاد، فـالمواطن من أصل بولندى لا يمكنـه أن يتـبـرع لبـولندا بمبلغ يستنزل من وعاء ضريبة الدخل ... إلخ.

ولا تقف المسـاعدات الأمريكية عند حـد دعم الاقتـصـاد الإسـرائيلى فـحسب، بل أنهـا تصل إلى حـد التـأثير على السيـاسة الاقـتصـادية

للولايات المتحدة وتطويعها بما يناسب المصالح الإسرائيلية والمصالح المالية الأمريكية المتعاونة مع الأولى. ففى ٨ / ٦ / ١٩٦٦ أصدر مجلس النواب الأمريكى تشريعا بإدخال تعديل على قانون الصادرات.

من شأنه منع المؤسسات والشركات الأمريكية من تقديم أية بيانات أو التوقيع على التزامات لها صلة بإحكام المقاطعة من قبل أية دولة أجنبية ضد دولة أخرى صديقة للولايات المتحدة. ووافق مجلس الشيوخ على التشريع فى ١٧ يونيه وصدر كقانون فى ٣٠ / ٦ / ١٩٦٦.

ونظرا لتقدم إسرائيل فى المجالات الفنية عامة، فإن أهم ما تحصل عليه من مساعدة أمريكية فى هذا المجال يتصل بتطوير طاقاتها الذرية. ففى سنة ١٩٥٥ وقع اتفاق بين البلدين للتعاون فى أبحاث الطاقة الذرية. وفى ٦ / ٢ / ٦٤ أعلن الرئيس جونسون بدء مفاوضات مع إسرائيل لتعذيب مياه البحر، أعقبها فى ١٩٦٤/٦/١١ تأليف لجنة خبراء مشتركة أعدت اعتبارا من سبتمبر ١٩٦٥ التفاصيل الخاصة ببناء محطة ذرية على الساحل الغربى لإسرائيل ينتظر أن تباشر الإنتاج سنة ١٩٧٢ على أساس تجارى حيث تولد ٢٠٠ ميجاوات من الطاقة الكهربائية سنويا وحوالى ١٠٠ مليون جالونا من المياه العذبة يوميا. وبالنسبة لتكاليف المشروع والتى تربو على المائتى مليون دولار فقد أكدت الحكومة الأمريكية فى ١٨ / ١٠ / ٦٦ التزامها بالمساهمة مع الحكومة الإسرائيلية فى تنفيذه.

وما تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد، هو أن المعونات الفنية من جانب الولايات المتحدة لإسرائيل تمثل فى الواقع سلاحا لخدمة الاستراتيجية الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط، إذ أن المساعدة فى إنشاء محطة تعذيب مياه البحر فى إسرائيل مرتبطة بمشروع أكثر شمولا لا يهدف إلى إنشاء شبكة للرى تعتمد على المحطة الإسرائيلية وأخرى تقام فى الأردن وثالثة فى غزة بهدف «رفع مستوى المعيشة فى المنطقة» . ويهدف هذا المشروع والذى يحمل اسم «شتراوس» رئيس لجنة الطاقة الذرية أثناء رئاسة أيزنهاور ، إلى حل جانب من مشكلة اللاجئين على أساس إقليمى يحقق الاندماج بين إسرائيل والدول العربية وبما يعنى عمليا التصفية لمشكلة فلسطين.

(هـ) المساعدات الأمريكية العسكرية لإسرائيل:

١ـ تميزت الفترة منذ قيام إسرائيل وحتى سنة ١٩٦٢، بأن الولايات المتحدة لم تكن تؤمن بفائدة تزويدها لإسرائيل بالسلاح. واستثناء من هذه القاعدة، فقد زودتها خلال سبتمبر ١٩٥٨ بكمية غير محدودة من الأسلحة بقصد رفع المعنويات فيها بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا وقيام ثورة العراق.

ويمكننا أن نجد تفسير هذا الموقف فيما ذكره «دالاس» يوم ٢٤ / ٢ /٥٦ أمام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس، من أنه نظرا لإمكانيات إسرائيل الجغرافية والبشرية، فإن دخولها مع البلاد العربية فى سباق للتسلح يضر بها وبأمنها ، وأن ما تحتاجه إسرائيل هو ضمانات فعالة على نسق التصريح الثلاثى الصادر سنة ١٩٥٠ .

٢ ـ تغيرت هذه السياسة أثر تفاقم الصراع الاجتماعى والسياسى فى المنطقة وخاصة فى أعقاب صدور التشريعات بالاشتراكية فى مصر وانفصال سوريا من الوحدة، ففى إطار الدعم لقوة إسرائيل العسكرية وقع بين الولايات المتحدة وإسرائيل اتفاقا فى ٢٦ / ٩ / ٦٢ لتزويد الأخيرة بنظام دفاعى يعتمد على صواريخ الهوك والتى تشكل فى تقدير الخبراء العسكريين أساس الدفاع الجوى الإسرائيلى. وكان تبرير المسئولين الأمريكيين لهذه الصفقة، القول بأنها تحافظ على توازن القوى فى المنطقة نتيجة للمعدات السوفيتية الحديثة للدول العربية.

٣ـ أما المرحلة الثالثة فكانت تزويد إسرائيل بالأسلحة الهجومية أساسا، ففى ٥ / ٢ / ٦٦ أعلنت الحكومة الأمريكية عن توريدها صفقة من دبابات باتون م ـ ٤٨ (وكان ذلك فى جانب منه تعويضا عن وقف ألمانيا الغربية لجزء من صفقة مشابهة سنة ٦٥ تحت التهديد العربى بالاعتراف بألمانيا الشرقية).

وفى ٢٠ / ٥ / ٦٦ زودت الولايات المتحدة إسرائيل بعدد محدود من طائرات سكاى هوك أ ـ ٤ المقاتلة القاذفة.

٤ ـ وفى ٢٤ / ١٠ / ١٩٦٧ أعلنت الخارجية الأمريكية رفع الحظر عن أرسال الأسلحة لمنطقة الشرق الأوسط وتزويد إسرائيل فى نفس الوقت، بصفقة جديدة من طائرات السكاى هوك بقيمة ٥٢ مليون دولار، تم تمويل جانب منها فى شكل منحة والجانب الآخر فى شكل تسهيلات أئتمانية.

وفى ديسمبر من عام ١٩٦٨ أعلنت الولايات المتحدة عن صفقة طائرات فانتوم التى تعد من أحدث ما أنتجته الولايات المتحدة من الطائرات الاستراتيجية. وقد وضع هذا الإعلان موضع التنفيذ فى ٥ سبتمبر ١٩٦٩ حيث تسلمت إسرائيل ١٢ طائرة منها كدفعة أولى. ثم على أساس أربعة طائرات شهريا.

٥ - وفى زيارة «جولدا مائير» لواشنطن فى الفترة من ٢٥ -٢٧ سبتمبر ١٩٦٩ ، تقدمت بقائمة للأسلحة تشمل ١٣٥ طائرة هيلوكبتر و٢٥ طائرة فانتوم و ٨٠ من طراز سكاى هوك، ذلك بجانب الصواريخ الدفاعية أرض - جو.

وقد رفض المتحدث الرسمى أن ينفى الموافقة المبدئية لحكومته على هذه الطلبات وذكر بأن إجابتها سابق لأوانه حيث لم ينتهى تسليم الطائرات الفانتوم الخمسين بعد.

٦ - ولقد كشف بيان للسفارة الأمريكية فى تل أبيب بتاريخ ١٣ / ١٠ / ٦٩ أن الحكومة الأمريكية ترخص لمواطنيها بالانخراط فى صفوف القوات المسلحة الإسرائيلية، ولم يصدر منها ثمة إجراءات فعالة لوقف ذلك أكثر من إعلان ناطق بلسان الخارجية - لتهدئة الحملة الإعلامية المعادية للولايات المتحدة - أنها «ترجو من كافة مواطنيها أن يتخذوا الإجراءات القانونية الممكنة لتفادى الانضمام إلى الخدمة العسكرية فى دول أجنبية».

(و) مجمل الظروف الدولية :

ويحسن قبل الانتهاء من تناول الظروف الدولية أن نشير إلى محصلة عامة مجملة لهذه الظروف على النحو التالى:

١- التورط الأمريكى فى فيتنام وهو تورط عسكرى واقتصادى وسياسى ضخم وخاصة منذ بداية عام ١٩٦٥ ، وهو تورط هدد جبهة الولايات المتحدة داخليا الأمر الذى كان يتطلب صرف الرأى العام الأمريكى عن التورط فى فيتنام وتقديم انتصار ولو على حساب مصلحة الشعوب، فى منطقة الشرق الأوسط حيث ظروف المواجهة مع السوفييت أفضل للولايات المتحدة.

٢ - انشغال الصين الشعبية منذ نهاية عام ١٩٦٥ بالثورة الثقافية مما أبعدها عن المشاكل الأخرى بدول العالم الثالث، ولذلك لم نلمح لها أى دور فى مناوئة العدوان.

٣ - خلافات فرنسا الديجولية مع الولايات المتحدة وتأثير ذلك على عدد من الدول الأوربية فى عام ١٩٦٦ مما يبعد النشاط الأمريكى مؤقتاً عن أوروبا ليتوجه نحو الشرق الأوسط.

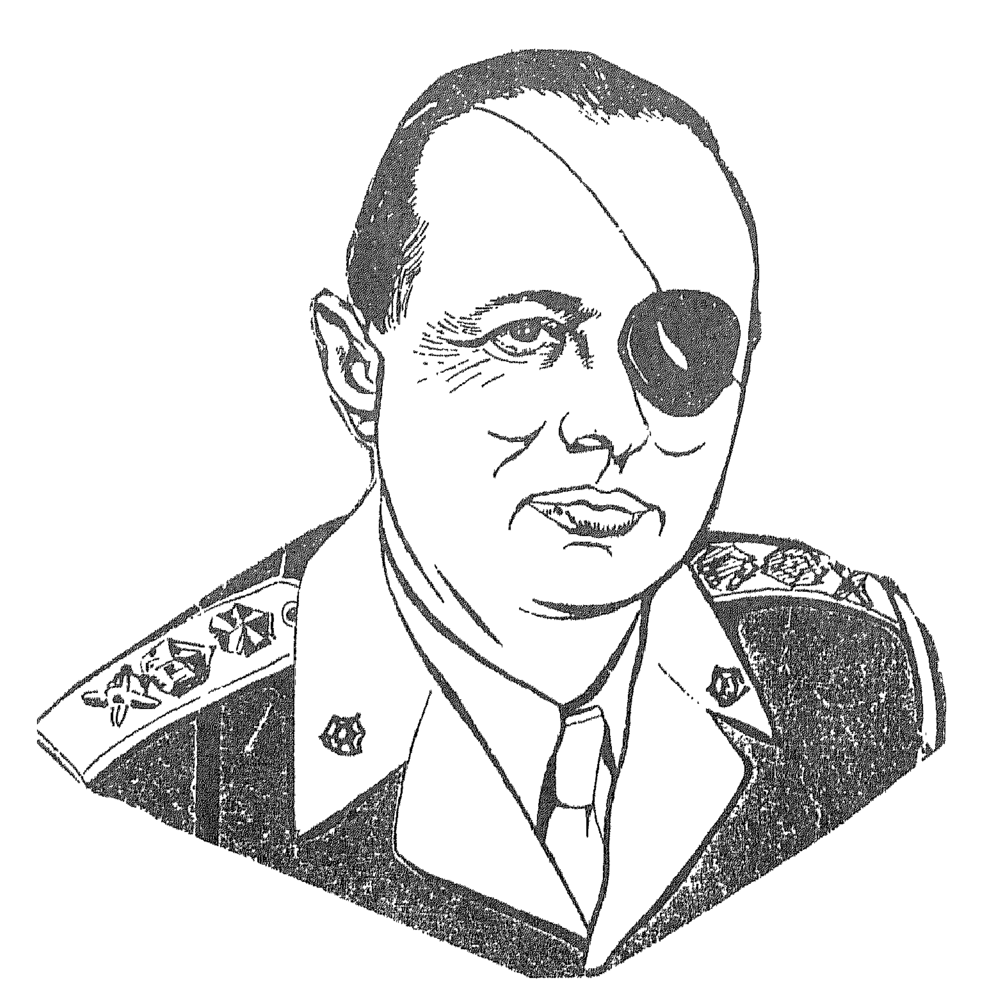
٤ - قرار بريطانيا فى فبراير ١٩٦٦ بالجلاء عن عدن الأمر الذى أحدث فراغا أخاف الولايات المتحدة من استمرار النمو السوفيتى فى الشرق الأوسط وهو أمر يستدعى عملا نشطا وخاصة لتواجد القوات المصرية فى شبه الجزيرة العربية.

٥ - تدهور العلاقات المصرية - الأمريكية إبان حكم الرئيس جونسون.

٦ ـ تزايد النزعة الهجومية الأمريكية مع الاقتراب من منتصف الستينات فى مقابل نزعة التهدئة وتفادى الصدام لدى الأتحاد السوفيتى.

القسم الحادى عشر

حرب عام ١٩٦٧
أحداث الفترة من ١٤ مايو
وحتى ١٠ يونية ١٩٦٧



موشى ديان وزير الدفاع فى حرب ١٩٦٧ . المنفذ لخطط بن جوريون التوسعية .

حرب عام ١٩٦٧ .

سيناريو من ثلاث فصول يعبر عن الحرب

تقديم :

ونستعين بالسيناريو ما جاء فى طيات كتاب أطلقته الولايات المتحدة للتداول عقب الحرب وهو من تأليف ميشيل بارزوهام بعنوان «التاريخ السرى لحرب إسرائيل»

وقد فضلنا أن نبدأ بوجهة النظر الغربية لأسباب موضوعية وحتى لا نسبق الأحداث وتبرز رؤية عربية أو شرقية لحرب ١٩٦٧ .

القيمة الموضوعية لهذا الكتاب هى فائدته التسجيلية لما حدث خلال الفترة من ١٤ مايو عام ١٩٦٧ إلى ١٩ يونيو ١٩٦٧، خاصة وأنه تضمن مادار خلال هذه المدة من محادثات ومشاورات واتصالات متعلقة بمشكلة الشرق الأوسط، معتمدا فى ذلك على مصادر رئيسية هى أجهزة الإعلام، ثم أجهزة المخابرات الأمريكية ومصادر البيت الأبيض التى أمدت المؤلف بالنصوص الكاملة.

ويحق التساؤل عن هدف الولايات المتحدة الأمريكية من نشر

الكتاب فى هذا الوقت، ويمكن القول أنها أرادت به دليلا على التبرئة من التواطؤ مع إسرائيل، إلا أن التعمق فى الكتاب يؤدى إلى دلائل إدانة وقرائن على التفاهم الأمريكى الإسرائيلى، ويؤدى إلى أن عدوان ١٩٦٧ لم يكن ليتم لولا تشجيع بل وتدبير إتفاقى بين واشنطون وتل أبيب.

ومن ناحية أخرى فرغم محاولة الكاتب الظهور بمظهر الحياد، إلا أنه انغمس فى تحيزه لإسرائيل.

والدليل تركيزه على عدة نقاط أهمها:

١ - محاولة الولايات المتحدة الظهور بمظهر الضغط على إسرائيل حتى لا تبدأ الحرب ضد العرب ومن ثم التنصل من مسئولية الهزيمة التى لحقت العرب.

٢ - محاولة الايحاء بأن ثمة حدودا فاصلة بين كل من حكومة الولايات المتحدة (رئيسها) ووزارة الخارجية وأجهزة المخابرات الأمريكية، وأن ثمة خلافات جذرية فى تخطيط السياسة الأمريكية إزاء مشكلة الشرق الأوسط.

٣ - يركز المؤلف فى خاتمة الكتاب على تثبيط همم العرب، بأن يوهم أن إسرائيل كقوة عسكرية ستظل أقوى من العرب مجتمعين، وأن إسرائيل شنت الحرب بمفردها وأنها قادرة على تكرار ماقامت به، ويخرج من ذلك إلى قوله بوجوب اعتراف العرب بإسرائيل كحقيقة وأن هذا فى نظره شرط السلام فى الشرق الأوسط.

٤ ـ ثم يحاول الكاتب أن يحمل الرئيس عبد الناصر ـ أمام العالم العربى ـ مسئولية الأحداث مستهدفا إثارة الرأى العام العربى ضده، وإن كان الكاتب قد أورد ذلك فى أسلوب من النعومة غير الملموسة فى كثير من صفحات الكتاب.

٥ ـ لا شك أن الولايات المتحدة التى خسرت بعضا من نفوذها وسمعتها فى بعض الدول العربية تهدف من نشر هذا الكتاب إلى إستعادة مافقدت فى المجال العربى، ولعل هذا أحد الأساليب فى المخطط الأمريكى فى مجال الحرب النفسية، وأنه شبيه بما تدلى به الولايات المتحدة بين الحين والحين من التلميح تارة أو العمل تارة أخرى على تقديم حلول مقترحة للمشكلة وهى لاتقصد فى واقع الأمر إلا عرقلة الجهود العربية التى تستهدف الإعداد للمواجهة.

وبذلك فإن الولايات المتحدة تقدم بهذا الكتاب دليلا جديدا على توفيرها لإسرائيل مقومات التمسك بموقفها العدوانى المتعنت.

(أ) أحداث ١٤ مايو حتى ٢٣ مايو ١٩٦٧:

يتناول الفصل الأول الذى أطلق عليه «الفوضى» مادار من أحداث وتطورات فى الفترة من ١٤ مايو ١٩٦٧ حتى ٢٣ مايو ١٩٦٧ وهى العشرة أيام الأولى من بداية الأزمة، هذه الأزمة التى يزعم مؤلف الكتاب أنها بدأت عندما التقط أحد أجهزة الدول الغربية رسالة شفوية من السفير السوفيتى بالقاهرة موجهة إلى وزارة الخارجية السوفيتية فى موسكو، يبلغ السفير السوفيتى حكومته فيها بأنه قدم النصيحة للرئيس عبد الناصر بوجوب الحذر والحيطة إذ أن هناك حشودا إسرائيلية على الحدود الإسرائيلية السورية.

وهنا يدافع المؤلف عن إسرائيل ويؤكد أنها لم تحشد قوات على حدودها مع سوريا وأن الأمر - كما يقول المؤلف - لا يعدو أن يكون إشاعة اختلقها السوفييت من أجل خلق منطقة توتر عالمية فى الشرق الأوسط للتخفيف عن فيتنام فى الشرق الأقصى، وأن ثمة هدفا آخر - كما يقرر المؤلف - هو حرص الروس على دعم النظام الموجود فى سوريا والذى قام تحت رعايتهم، خاصة وأن الأتحاد السوفييتى كان يخشى قيام إسرائيل بالرد على الاستفزازات السورية.

ويعود المؤلف ثانية ليقرر أن هذه البرقية السوفيتية هى أهم أحداث عام ١٩٦٧ لما أحدثته من آثار (مخربة) فى الشرق الأوسط ولاشعالها النيران فى المنطقة.

ويعرض المؤلف هذه الأيام العشرة كالآتى:

اليوم الأول: (١٤ مايو ١٩٦٧)

فى الوقت الذى كانت إسرائيل تحتفل بعيد إنشائها عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعا سريا فى منزله حضره المشير عبد الحكيم عامر والسيد صلاح نصر، الذى أيد المعلومات التى أوردها السوفييت عن الحشود الإسرائيلية ضد سوريا، فأصدر الرئيس أوامره للمشير عبد الحكيم عامر بإعداد اللازم لردع إسرائيل والحيلولة دون قيامها بأية مناورة.

ونجد من المفيد أن نعلق على ما ذكره الكاتب ميشيل بارزوهار عن الأيام الحاسمة فى مايو ويونيو ١٩٦٧ ويدأها باليوم الأول ١٩٦٧/٥/١٤ وانتهى باليوم الثامن والعشرين - ٩ يوليو ١٩٦٧، وأن

يتم التـعليق أولا بأول كلمـا كـان هناك داع لابداء الملاحظات.
ونلاحظ على صياغة الكاتب لليوم الأول بأن بدأ بداية درامية موجية للقارئ للتعاطف مع إسرائيل عندما قال: «كانت إسرائيل تحتفل بعيد إنشـائهـا»؛ وأضـاف بأنه فى هذا الوقت أمـر الرئيس عـبـد الناصـر بالاعـداد لردع إسـرائيل، هذا مع العلم بأن الكاتب أغـفل ذكـر أن الأعمال العدوانيـة لإسرائيل فى المرحلة الأخيـرة بدأت فى مايو ١٩٦٦ ومع تصاعد الموقف قررت الحكومة السورية إخلاء القرى والمناطق الحـدودية من سكانهـا المدنيين، ثم أخـذ العـدوان منحنى خطير فى يوليو ١٩٦٦ عندما هاجمت الطائرات الإسرائيلية مشروعا هندسيا سوريا.

والواقع أن اسـتـخـدام كلمـة ردع تروع القارئ الغربى، بعكس إمكانية استخدام لفظ (المواجهة) أو (لصد هجوم إسرائيل).

اليوم الثانى: (١٥ مايو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «دبابات فى الصحراء»

أمرت مصر هذا اليوم دباباتها ومصفحاتها وطائراتها بالدخول إلى سيناء.

ثم يذكـر المؤلف نص حديث دار فى موسكو فى هذا اليوم بين إيجـال آلون وزير العـمل الإسـرائيلى آنذاك ـ الذى كـان فى زيارة لموسكو ـ وبين مستر سيمونوف نائب وزير خارجية الاتحاد السوفيتى وقد سأل إيجـال آلون «لماذا تطلقون المزاعم عن حشود إسرائيلية ضد سوريا خلافا للواقع؟ ولماذا تتجاهلون الاستفزازات السورية المتكررة على حدود إسرائيل؟»

ويعـقـب إيجـال آلون «إن الـسـلام لا يتـجـزأ» ولا يجب عليـه سيمونوف.

وفى نفس اليوم، وفى واشنطون، كان السفير الإسرائيلى يقيم حفلا اقتصر على الإسرائيليين وخلال خطبته القصيرة دق جرس التليفون، وكان المتحدث «لوشيوس بانل» وكيل الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط والذى كان من قبل سفيرا لبلاده فى القاهرة، وامتقع وجه السفير الإسرائيلى بشدة خلال المحادثة حين أبلغه «لوشيوس بانل» نبأ تحرك القوات المسلحة المصرية نحو سيناء، ويعلق وكيل الخارجية الأمريكية على ذلك «إن هذا ليس أكثر من استعراض للقوة ولا يتجاوز الأمر أن يكون ردا على تصرفاتكم، أنتم تحركون قواتكم فى عرض عسكرى، وهم أيضا يحركون قواتهم».

من العرض السابق لوقائع اليوم الثانى يشار فى الكتاب إلى تحرك عسكرى مصرى بالدبابات والطائرات والمصفحات إلى سيناء بينما يشار إلى استعداد إسرائيل بوصف المناورة، وعموما فقد كان توصيف وكيل الخارجية الأمريكية هو أقرب إلى الصواب عند ما وصف الأمر، بأنه استعراض قوة من الجانبين، ولو أن الصواب جانبه عندما وصف حشد إسرائيل بأنه عرض عسكرى وحشد مصر بأنه تحريك للقوات وشتات بين الأمرين.

اليوم الثالث: (١٦ مايو١٩٦٧) - وعنوانه «خطأ أوثانت المشئوم».

فقد بعث رئيس أركان حرب الجيش المصرى برسالة إلى قائد قوة الطوارئ الدولية يطالبه فيها بتجميع قواته فى غزة، واتصل

القائد بأوثانت الذى استدعى مستشاره رالف بانش، وقد ذكر رالف بانش أن هذا الطلب من جانب المصريين غير قانونى، وعلى ذلك نصح بانش برفض الطلب وأن على المصريين إما أن يطلبوا صراحة مغادرة هذه القوات الدولية لأراضيهم بصفة نهائية أو أن تبقى هذه القوات حيث هى.

ولقد سارع أوثانت بإبلاغ هذا الرأى إلى مصر اعتقادا منه أن مصر لن تجرؤ على طلب مغادرة قوات الطوارئ نهائيا.

اليوم الرابع: (١٧ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «جونسون يتدخل».

ويذكر المؤلف الأسلوب الذى مارسه «ليندون جونسون» للتدخل وطريقة اتصاله بليفى أشكول فى رسالة وجهها إليه، طلب منه فيها ألا تحاول إسرائيل زيادة حدة توتر الأزمة وأن الباب يجب أن يترك مفتوحا ليتراجع منه الرئيس عبد الناصر، فقد طلبت الحكومة الأمريكية من سفيرها فى تل أبيب أن يبلغ حكومة «ليفى أشكول» رسالة جونسون ومضمونها أن الحكومة الأمريكية تبدى قلقها من تدهور الموقف فى الشرق الأوسط، وتشرح الرسالة الخطوات التى قامت بها حكومة الولايات المتحدة لتهدئة الموقف لدى مصر وسوريا، وتضيف رسالة جونسون وأنا أدرك كم تقاسون ويقاسى شعبكم من تكرار الاعتداءات عليكم على الحدود، إلا أننى أرجو أن تدركوا أنه تقع عليكم أعباء وواجبات عدم إتخاذ أى إجراء من شأنه أن يؤدى إلى تدهور الموقف، وإلى تأزمه، حتى لا تشتعل الشرارة فى المنطقة، وأنكم لا شك تدركون أن الولايات المتحدة لا يمكن أن

تعد مسئولة عن حالة تنشأ عن تصرفات تقوم بها جهة دون أن تتشاور معنا».

والتعليق على اليوم الثالث أن يعرض بهذا الشكل لأن يبين اتجاه مصر للحرب ولم يذكر سبب طلب تجميع القوات فى غزة الذى كان فعلا إتاحة الفرص أمام مصر لنجدة سوريا فى حالة عدوان إسرائيل وهو ما أهال عليه المؤلف الظلام.

أما عن عرض المؤلف لليوم الرابع فلا يعبر إلا عن خشية أمريكا أن تتصرف إسرائيل دون الرجوع إلى من يعطيها أوامر «الشغل» لأن المسئوليات الدولية تقع أخيرا على عاتق دولة الحماية.

اليوم الخامس: (١٨ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «نهاية قوات الطوارئ الدولية».

ويصف المفاجأة التى أصيب بها يوثانت نتيجة طلب الجمهورية العربية المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية من أراضيها، ويصف الطريقة التى اضطر إلى أن يلجأ إليها لإعلان ذلك فى مجلس الأمن، ويعرض المناورات التى حاولها مندوب إسرائيل بهدف أن يصدر مجلس الأمن قرارا لإبقاء قوات الطوارئ فى شرم الشيخ، لولا أن يوثانت لا يستجيب لمناورات مندوب إسرائيل، ثم يعرض المؤلف بعد ذلك للمحاولات التى قام بها «آرثر جولدبرج» المندوب الأمريكى لاقناع أعضاء مجلس الأمن لإلغاء القرار، وهى المحاولات التى باءت بالفشل.

وفى هذا اليوم - وهو التالى لليوم الذى أرسل فيه الرئيس الأمريكى «جونسون» رسالته - يجتمع ليفى أشكول بوزير الخارجية

الإسرائيلية للاتفاق على رد على تلك الرسالة ويتفق على نقاط خمس، ترسل صورة منها إلى كل من فرنسا وبريطانيا (أرسلت هذه الرسالة فى اليوم التالى).

وهى النقاط التالية:

١ - تصوير الأزمة كما لو كان سببها الأساسى هو سوريا، مع تأكيد إسرائيل أنها أبدت روحا من الصبر، فلم ترد على الاعتداءات السورية على الحدود الإسرائيلية.

٢ - أن الجمهورية العربية المتحدة أرسلت إلى منطقة سيناء قوات ذات طابع هجومى منها خمسمائة دبابة، وطالبت إسرائيل بوجوب إعادة هذه القوات إلى الضفة الغربية من قناة السويس.

٣ - الاعتراض على قرار سكرتير عام الأمم المتحدة ووصف موافقته على جلاء قوات الطوارئ الدولية بأنه تجاوز لحقوقه، إذ أن هذا من حق الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٤ - النص على أن كلا من القاهرة ودمشق كانا على ثقة من وقوف الاتحاد السوفيتى إلى جانبهما الأمر الذى يترتب عليه - من وجهة نظر إسرائيل - وجوب أن تعلن الولايات المتحدة وتعيد التذكير والضمانات التى أعطيت فى الماضى لإسرائيل.

٥ - ومن ذلك التعهد الذى قطعه الرئيس جونسون فى يونيو ١٩٦٤ خلال زيارة ليفى أشكول للولايات المتحدة من أن بلاده سوف تتصرف فى نطاق الأمم المتحدة أو بمفردها للاحتفاظ بضمان سلامة واستقلال إسرائيل.

اليـــوم الســـادس: (١٩ مـــايو ١٩٦٧) - وعنوانه «كوسيجين تصله رسالة».

يذكر فيه نص رسالة بعث بها جونسون إلى كوسيجين فى موسكو، يدعو فيها إلى الموافقة على أن تصدر الحكومتان بيانا ينص فيه على أنهما ينويان الاتفاق على اتخاذ إجراء موحد للحد من التوتر فى منطقة الشرق الأوسط، ويفسر المؤلف الموقف فيقول «لقد نشأ فى واشنطون اعتقاد ساد الدوائر الرسمية بأن حربا جديدة شبيهة بحرب فيتنام توشك أن تنشب، خاصة وأنه قد توالت الاتصالات من جميع مؤيدى إسرائيل، وأخذت تنهال على البيت الأبيض تطالب الحكومة الأمريكية بأن يوجه الرئيس جونسون إنذارا حتى تتراجع الجمهورية العربية المتحدة.

ويضيف المؤلف «وفى الصباح وقع جونسون رسالة موجهة إلى رئيس الحكومة السوفيتية متضمنة أن الولايات المتحدة تدرك أن دمشق والقاهرة تعتقدان أنه فى حالة الحرب بين العرب وإسرائيل فإن هاتين العاصمتين ستتلقيان المساعدة والمعونة والمساندة من الاتحاد السوفيتى وأن الولايات المتحدة من جانبها اتخذت قرارا تتمسك به يتضمن المحافظة على سلامة واستقلال إسرائيل - ويردف ذلك المؤلف بقوله «ولقد أدرك جونسون احتمال المواجهة بين العملاقين الكبيرين، ولذلك أرسل إلى كوسيجين يقترح عليه أن تتخذ الحكومتان إجراء مشتركا يستهدف الحد من تدهور الموقف العربى الإسرائيلى، ويؤكد أن عملا مشتركا منهما يمكنهما من حل الأزمة فى الشرق الأوسط بصفة عاجلة .

ولا شك أن من أهداف هذه الرسالة آنئذ أنه فى حالة ما إذا كان الرد السوفييتى غير مشجع وغير مرض فإن ذلك يبرر للولايات المتحدة الالتجاء إلى حكومتى كل من بريطانيا وفرنسا لاتخاذ سياسة موحدة أساسها التصريح الثلاثى لعام ١٩٥٠ الذى تعهد فيه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا باحترام (الأمر الواقع) فى الشرق الأوسط.

ونلاحظ أن المعالجة الأمريكية كانت تستهدف تحييد أو تثبيط الاتحاد السوفيتى وتعد تمويها جيدا لأن الولايات المتحدة كانت تعلم - بل ومتورطه - بأن إسرائيل تحضر للحرب.

اليوم السابع: (٢٠ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «ديان يتوقع الحرب».

وفيه يذكر أن القوات المصرية دخلت شرم الشيخ فور إنسحاب قوات الطوارئ الدولية، وأن نزول القوات المصرية جاء بسرعة خشية هجوم إسرائيل بصورة خاطفة بالمظلات لاحتلال شرم الشيخ، ويصف المؤلف كيف أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - برغم ابتعاد ديان عنها فى ذلك الوقت - إلا أنها اتخذت موقفا عدائيا من «ليفى أشكول» وسياسته المترددة، ويقرر المؤلف أن الأصوات فى هذه المؤسسة العسكرية بدأت تعلو مطالبة بالاستعداد لشن الحرب ضد العرب. وأعلن ديان أنه يتوقع أن تغلق الجمهورية العربية المتحدة المضايق فور احتلالها لشرم الشيخ.

وفى ظل هذه الأحداث، وفى الرابعة من صباح ذلك اليوم يتم اتصال تليفونى بين مستر «ميشيل هيدوى» سفير بريطانيا فى تل

أبيب «وأبا إيبان» ويذكر السفير أن وزير خارجية بريطانيا يستعد فى لحظة الاتصال التليفونى للسفر إلى موسكو ويود أن يستفسر عما إذا كانت لدى إسرائيل النية لشن هجوم بعد دخول المصريين شرم الشيخ، أم أنها فى انتظار إغلاق المضايق، ويردف السفير البريطانى قوله أن بريطانيا ترغب فى تقديم النصيحة لإسرائيل بأن عليها الانتظار إذ قد لاتكون إرادة المصريين قد انصرفت فعلا إلى الحرب.

وهنا لا يقدم المؤلف تفاصيل رد إسرائيل على السفير البريطانى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن المؤلف يغالط الحقائق، فإن مصر بعد أن دخلت قواتها شرم الشيخ كان من الطبيعى أن تغلق المضايق فى وجه سفن إسرائيل لأنها فى حالة حرب معها، وجافى المؤلف الحقيقة، فلم يحدد أن غلق المضايق كان للسفن الإسرائيلية فقط، وبذلك صور المؤلف الموقف كما لو كان مشكلة دولية، ولم يذكر أن موضوع المضايق فى شرم الشيخ يشابه تماما موقف مصر من مرور سفن إسرائيل فى قناة السويس طبقا للقانون الدولى.

اليوم الثامن: (٢١ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «ناصر يقرر».

ويصف اجتماعا يذكر أن الرئيس عبد الناصر عقده لرؤساء أركان الحرب ولكبار مستشاريه قرر فى ختامه غلق مضايق تيران، وأنه لم يكن لذلك أية ضرورة لولا أن سيادته أراد تعمدا أن يجعل من هذا الحدث أزمة عالمية.

اليوم التاسع: (٢٢ مايو ١٩٦٧) - عنوانه «المضايق تغلق».

فيذكر أن الرئيس أخفى أمر غلق المضايق عن (أصدقائه) السوفييت، وأن هذا التصرف جعل موسكو تتألم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تغير نظرتها لسفيرها وقتئذ فى القاهرة، وتقرر البحث عن بديل له لأنه - على حد قول المؤلف - لم يعرف نية الرئيس عبد الناصر وتصرفاته فى الوقت المناسب، وأن موسكو لم تكن مستعدة لمواجهة هذا التصرف كما أنها لم تكن تتمنى حدوثه.

وهنا يربط المؤلف بين هذا الوضع وبين وصول رسالة من الرئيس الأمريكى جونسون إلى «ليفى أشكول» ردا على رسالته المؤرخة ١٨ مايو ١٩٦٧ وفيها يعرب جونسون عن شكره لاسرائيل لما أبدته من رباطة جأش ولتصرفها، ويقرر أنه وجه نداء إلى رؤساء كل من مصر وسوريا يطلب منهما تجنب كل ما من شأنه إندلاع الحرب فى المنطقة، ويقرر أنه تم اتصال بالمسئولين السوفييت الذين وجهوا رداً معتدلا ومشجعا يبدون فيه تفهما للتعهدات الأمريكية، ويقرر أيضا أن الولايات المتحدة سوف تتصرف فى نطاق الأمم المتحدة أو بدونها لمقاومة أى اعتداء فى منطقة الشرق الأوسط، هذه السياسة التى أكدها أربعة من رؤساء الولايات المتحدة هم: ترومان وايزنهاور وكيندى وجونسون، وهى السياسة المقررة فى التصريح الثلاثى عام ١٩٥٠، وينصح جونسون فى رسالته إسرائيل بأن تحاول الاتصال ببريطانيا وفرنسا بوصفهما موقعتين على التصريح الثلاثى. كما يختتم جونسون رسالته بالأعراب عن عدم موافقته على قرار

أوثانت بقبول طلب مصر سحب قوات الطوارئ الدولية، مع إعرابه عن أمله أن تؤدى الزيارة المرتقبة - وقتئذ - للقاهرة إلى نتائج إيجابية، وأنه على ضوء هذه الزيارة ينتظر أن يصدر جونسون تصريحا فى شأن المشكلة.

وطبعا اتبعت اسرائيل نصح جونسون فوجهت الرسائل إلى دول التصريح الثلاثى، ولم يرد الرئيس الفرنسي ديجول، مواصلة لسياسة الصمت الفرنسية التى كانت إسرائيل ترى فيها نوعا غريبا من الصمت، فقد كان الإسرائيليون يتساءلون دائما عن سر هذا الصمت وعن عدم إعلان فرنسا لصوتها رغم مواصلة إرسال الأسلحة الفرنسية لإسرائيل.

ويضيف المؤلف بعد ذلك أنه لدى تأهب أوثانت واستعداده للسفر إلى القاهرة استقبل «آرثر جولد برج» المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة الذى أبلغه رسالة من «دين راسك» مضمونها ابلاغ الرئيس عبد الناصر أن الولايات المتحدة ملتزمة إزاء اسرائيل بتعهدات قام أربعة من الرؤساء الأمريكيين بتأكيدها.

وفى نفس اليوم يوقظ رئيس المخابرات الاسرائيلية «ليفى أشكول» لابلاغة أن راديو القاهرة أذاع نبأ إغلاق المضايق، هذا النبأ الذي يقدم «آرثر جولد برج» المندوب الأمريكى النصيحة إلى السفير الاسرائيلى - بناء على تعليمات الرئيس الأمريكي جونسون - وأنه يطلب ألا تقوم إسرائيل بأى تصرف ولا ترسل أية سفينة فى المضايق و «سوف تجد حلال للأزمة».

هذا فى الوقت الذى تعد الخارجية الأمريكية مشروع برقية

عاجلة إلى الاتحاد السوفييتى تعلن فيها حكومة الولايات المتحدة أنها تعتبر أية محاولة لمنع حق المرور فى المضايق تحت أى علم سواء كان علم إسرائيل أو غيره اعتداء، وأن الولايات المتحدة ترى أن لإسرائيل فى هذه الحالة أن تتمتع بحقها فى الدفاع عن نفسها.

ونلاحظ أن قراءة وصف اليوم العاشر للمؤلف يبين أن الولايات المتحدة قد أعطت إسرائيل الضوء الأخضر أو الاذن بالحرب.

ومن ناحية أخرى فإن التصعيد الذى قامت به مصر كان يمكن أن يخف حتى لاتعطى اسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة ذريعة للحرب والضرب ونقصد بالتصعيد الاجراءين الخاصين بسحب قوات الطوارئ وإغلاق خليج العقبة، فكان يمكن التحرك فى هذين المجالين بشكل أكثر مرونه لأن مصر كانت تدرك النية المبيتة.

اليوم العاشر: (٢٣ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «الحرب من أجل العقبة».

وفيه يصف مدى غضب إسرائيل من غلق المضايق، الأمر الذى دعا إلى إثارة موضوع حرية الملاحة فى المضايق، وهى حرية ضمنتها الدول الكبرى عام ١٩٥٧، وهنا يذكر المؤلف أن جميع المسئولين فى الدول الغربية حاولوا نصح إسرائيل بالانتظار والتريث، هذا فى الوقت الذى وصلت إلى أوثانت - وهو فى القاهرة - برقية من ليندون جونسون يطلب إليه فيها إبلاغ الرئيس بأن أى عائق على الملاحة فى المضايق بما فيها السفن الإسرائيلية سيؤدى إلى ردود فعل من جانب الحكومة الأمريكية.

وهنا يوضح المؤلف ـ وهو بصدد ختام العشرة أيام الأولى ـ أن الولايات المتحدة حاولت خلال سنوات عدة اتخاذ موقف محايد فى منطقة الشرق الأوسط، وذلك حتى لاتغضب عملائها من الدول العربية المنتجة للبترول، وحاولت ألا تكون المورد الوحيد للأسلحة إلى اسرائيل، أو على الأقل ألا تقوم بتسليمها مباشرة، وكانت فى سبيل ذلك تساعد بطريق غير مباشر حلفائها الكنديين والانجليز والألمان لأرسال الأسلحة لإسرائيل، ولكنها وجدت أن الأتحاد السوفييتى أغرق الدول العربية بالأسلحة، فكان عليها أن تتصرف وبسرعة لمواجهة التحدى السوفييتى، وعلى ذلك فقد أرسل كيندى صواريخ (هوك) ووافق جونسون على بيع دبابات باتون وطائرات سكاى هوك.

ويقرر المؤلف أنه كان فى موقف الولايات المتحدة أكثر من تناقض، فبينما كان الخبراء بالخارجية الأمريكية ينادون بالحياد، كان المسئولون فى البيت الأبيض قلقين من التصرفات التى تقوم بها الدول العربية بايعاز من الاتحاد السوفييتى ـ أحيانا كثيرة ـ وقد أدت هذه التناقضات إلى حيرة سفراء الولايات المتحدة فى البلاد العربية، فبينما كانت تعليمات الخارجية الأمريكية تنادى بعدم نسف الجسور بينها وبين الأمة العربية، كانت تعليمات البيت الأبيض من ناحية أخرى صارمة، فكان على السفراء أن يتصرفوا وفق اجتهادهم.

وعلى سبيل المثال، وصلت إلى السفير الأمريكى الجديد فى القاهرة برقية عاجلة من الرئيس الأمريكى جونسون، وهى رسالة موجهة إلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة تقرر أن الولايات

المتحدة تعارض بشدة كل حركة مسلحة ضد أية دولة فى المنطقة وتطلب احترام سيادة أراضى كل دول المنطقة واحترام اتفاقيات الهدنة، وتقترح إعادة تسريح الحشود العسكرية تدريجيا من مناطق تجمعها فى سيناء، وتعلن تأييد مهمة أوثانت إلى القاهرة، وتركز الرسالة على النقاط التالية:

١ - وجوب بقاء قوات الطوارئ الدولية فى غزة وشرم الشيخ حتى تقرر الجمعية العامة للأمم المتحدة ما تراه فى شأنها، مع عدم إرسال الجمهورية العربية المتحدة. قواتها العسكرية إلى غزة.

٢ - لاتقوم مصر بإرسال أية قوة مسلحة إلى شرم الشيخ قبل أن تتعهد باحترام الملاحة فيها.

٣ - إقتراح أن تزور القاهرة شخصية أمريكية مرموقة أو ترسل القاهرة مبعوثا شخصيا إلى واشنطون مع استعداد الرئيس جونسون لايفاد نائبه للقاهرة للتباحث مع المصريين على المسائل المعلقة بين البلدين.

ويقول المؤلف أن **الوزير محمود رياض هاجم التحيز الأمريكى لإسرائيل وأكد أن غلق المضايق عمل قانونى لايمكن الرجوع فيه ونادى بعدم شرعية الوجود الاسرائيلى، ويعلن «لقد احتلت اسرائيل إيلات عام ١٩٤٩ بعد توقيع إتفاقية الهدنة، وعلى ذلك فمن حقنا أن نمنع السفن الإسرائيلية فى المرور بالمضايق فى تيران، وكذلك من حقنا أن نمنع وصول أى مواد استراتيجية متجهة إلى إيلات» .**

والحقيقة أن قرار الرئيس عبد الناصر بغلق المضايق كان ضربة للولايات المتحدة لم تعرف كيف تتصرف إزاءها، وأوقعها فى حرج شديد، خاصة إذا ما راعينا العقدة النفسية لديهم من جراء حرب فيتنام، فقد كانوا يخشون تكرار حرب من نفس النوع فى الشرق الأوسط.

وقد أدى هذا الموقف إلى تضارب الدبلوماسية الأمريكية، فقد كان روستو يصرح بوجوب الاتفاق مع السوفييت بأى ثمن، بينما كان آخرون يرون احتمال أن تتم بعض التنازلات دون تفريط فى الخطوط الأساسية، وبسبب تضارب الدبلوماسية الأمريكية كان التصرف فى شأن قضية الشرق الأوسط فى يد البيت الأبيض دون الخارجية الأمريكية.

وفى اجتماع فى البيت الأبيض ضم جونسون والعديد من مساعديه، قرر جونسون خضوعا لضغط رجال النقابات ورجال المال ورجال السياسة - برغم معارضة دوائر الخارجية الأمريكية - قرر أن يصدر تصريحا واضح المعالم فى أزمة الشرق الأوسط، وكان هذا التصريح قد عرفه أحد أصدقاء إسرائيل، ويرمز له المؤلف باسم M.A. مما أدى به إلى أن يقابل هيوبرت همفرى وأعرب عن دهشته أن التصريح لم يرد به ذكر لمسألة المضايق ولا لموقف الولايات المتحدة إزاء حرية الملاحة، وذكر صديق إسرائيل أن مثل هذا التصريح يعتبر تصريحا ضارا، وإذا كانت الولايات المتحدة لا ترغب فى اتخاذ موقف من المشكلة الرئيسية فمن الأجدى عدم إصدار أى تصريح على الإطلاق.

وفى هذا الوقت أيضا كان الضغط شديدا على البيت الأبيض فقد قام ٨٧ عضوا من مجلس النواب باصدار التصريح التالى:

«إننا نؤيد كل اجراء تقوم به السلطة التنفيذية أو ترى نفسها مضطرة لاتخاذه حتى يدرك الذين يرغبون فى تدمير إسرائيل، أننا ننوى بحزم مواجهة أى عدوان ووقف أى اجراء من شأنه تدمير إسرائيل أو ضدها يحفظ السلام».

كما أن أحد رجال النقابات الأقوياء أبلغ البيت الأبيض أنه على وشك إصدار تصريح مشابه ولكن المسئولين فى البيت الأبيض أبلغوه بعدم جدوى اصدار ذلك التصريح فى الوقت الحالى إذ أن رئيس الولايات المتحدة سيصدره وأنه على رجل النقابات أن يعلن تأييده لبيان الرئيس الأمريكى.

وبعد ذلك ظهر الرئيس الأمريكى جونسون على شاشة التليفزيون ليعلن «أن الولايات المتحدة تعتبر خليج العقبة مياها دولية، وتعتبر أن غلقه فى وجه إسرائيل عملاً غير شرعى وأن ذلك الاجراء يمثل خطرا على السلام، كما أن حرية الملاحة البريئة فى هذه المياه أمر حيوى بالنسبة للمجتمع الدولى».

ب - احداث ٢٤ مايو حتى ٤ يونيو ١٩٦٧

قصد المؤلف من عنوان هذا الفصل «القرار» أنه كان على اسرائيل فى الأيام العشرة السابقة أن تتخذ قرارا يؤدى إلى شن الحرب، وهنا يتجلى التحيز واضحا إلى صف إسرائيل من محاولات المؤلف لتبرئتها أمام الرأى العام العالمى خلال الكتاب.

اليوم الحادى عشر: (٢٤ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «لاتشنوا الحرب... ديجول».

وتميز بمقابلة ابا إيبان للرئيس الفرنسى ديجول، مقابلة اتسمت بالعنف، إذ هدد ديجول إسرائيل وطلب من ابا إيبان ألا تقدم على إجراء وبالذات شن الحرب، وأخطره بأنه أصدر أمرا بحظر إرسال الأسلحة إلى إسرائيل، وأنه يرى عقد اجتماع بين الدول الكبرى الأربع لدراسة الأزمة ولمحاولة الوصول إلى حل لها، ومن الغريب هنا أن نجد المؤلف يحاول أن يكون أمينا، فيذكر أن «ديجول أُفْهِم أن الرئيس عبد الناصر يريد إزالة آخر آثار عام ١٩٥٦ وأن ذلك من حقه».

وفى نفس اليوم يسافر سفير إسرائيل فى واشنطن - فى سرية تامة - إلى مزرعة ايزنهاور ويذكر المبعوث الإسرائيلى إيزنهاور بتعهدات الولايات المتحدة عام ١٩٥٧، ويبلغه أن الرئيس ناصر قد خلق موقفا غير شرعى لا يمكن السماح ببقاء الأوضاع عليه، وأن الاتحاد السوفييتى لاشك يعمل حسابا لأى احتمال لتدخل أمريكى، وعلى ذلك أعرب المبعوث الإسرائيلى عن أمله عدم التخلى عن إسرائيل.

وقد كان لتصريح الرئيس الأمريكى جونسون الذى سلفت الإشارة إليه صدى كبير إذ قوبل بالترحيب من مجلس النواب، كما وأنه نوقش فى جلسة مغلقة لمجلس الشيوخ، بلجنة الشئون الخارجية، حيث قوبلت فكرة قيام الولايات المتحدة بإجراء منفرد - أسوة بما تم فى فيتنام - بالمعارضة، وهاجم السناتور مانسفيلد الرئيس عبد الناصر هجوما شديدا ونصح بأن تتصرف أمريكا فى نطاق مجلس الأمن، وهنا أدرك المراقبون السياسيون أن الولايات المتحدة لن تتصرف إلا بعد أن تتمكن من تجميع قوى دولية أخرى معها فى هذا الإجراء.

ولقد ساعد البيت الأبيض ذاته على تسرب أنباء الاجتماعات إلى أجهزة الإعلام، وعلى ذلك قام المعلق «ايريك سيفاريو» بالإدلاء بهذا التصريح: «يبدو أن الرئيس جونسون لم يقرر بعد ما إذا كانت الولايات المتحدة سوف تقدم على إجراء ما فى حالة اندلاع الحرب فى المنطقة فإذا ما اندلعت المعارك فإن الولايات المتحدة إذا ما وجدت أن سلامة إسرائيل فى خطر فسوف تقوم بضغط شديد لانقاذها». وذلك فى محاولة لتهدئة الضغوط الإسرائيلية فى

الولايات المتحدة لأن تصرفا من جانب الولايات المتحدة شبيه بذلك الذى قامت به فى فيتنام سوف يؤدى إلى انشقاق كبير بين أعضاء الكونجرس الأمريكى.

ويلاحظ على رواية اليوم الحادى عشر أن فرنسا كانت محايدة ومنصفة ولم ترد التورط، بل أن ديجول رأى أن من حق عبد الناصر إزالة بقية آثار عدوان عام ١٩٥٦، أما الموقف الأمريكى فكان معنيا بإسرائيل وأمنها وحدها، وموجها النقد باستمرار لمصر.

اليوم الثانى عشر: (٢٥ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «ليلة الجواسيس».

وفيه يذكر أن الاتحاد السوفييتى أرسل رفضه لاقتراح ديجول بعقد الإجتماع الرباعى، وأن الولايات المتحدة أعلنت اهتمامها بفتح المضايق ولو بالقوة، وأن كندا وبريطانيا وافقتا على رأى الولايات المتحدة الأمريكية، وهنا يصف المؤلف إجتماعات رئاسة أركان مجلس الأمن القومى الأمريكى، ولا يحاول إخفاء تحيز الولايات المتحدة لإسرائيل، وهنا يتعرض للاقتراح الأمريكى الذى تقدمت به الولايات المتحدة لبعض الدول الصديقة من خطة لانزال قوات بحرية على سواحل سيناء للحيلولة دون وقوع الاشتباك المتوقع بين المصريين والإسرائيليين.

وينهى أحداث ذلك اليوم بذكر الضغط الشعبى والعسكرى على «أشكول» وكيف أن أشكول اضطر فى إجتماع مجلس وزراء إسرائيل شن الحرب، ثم موافقة الحكومة على هذا الاقتراح بعد أن كانت قد

اقترعت فى اليوم نفسه على شن الحرب، وكانت نتيجة التصويت بالتساوى بين مؤيدى الحرب ومعارضيها، ويذكر أنه فى هذا اليوم دخلت (جوهرة) الجيش المصرى أى الفرقة الرابعة المدرعة إلى صحراء سيناء وأن الولايات المتحدة بعثت تحذيرا إلى الجمهورية العربية المتحدة.

وفى هذا اليوم يتعرض المؤلف لزيارة «أبا إيبان» إلى واشنطون، ويتعرض كذلك لمقابلته لدين راسك التى كان محددا لها السادسة مساء ذلك اليوم، ثم يسرد واقعة وصول برقية للسفارة الإسرائيلية تفيد أن هجوما خاطفا ينتظر وقوعه من لحظة إلى أخرى، مما دعا إلى تقديم الموعد فتتم المقابلة فى الرابعة والنصف حيث يبلغ أبا إيبان مضمون البرقية إلى دين راسك ويطلب أن تعلن الولايات المتحدة فورا أن أى اعتداء على إسرائيل يعتبر اعتداء على الولايات المتحدة، فيستفسر منه دين راسك «هل أبلغتم الفرنسيين والبريطانيين بهذا الأمر؟».

ويتوجه راسك بعد ذلك لعرض الأمر على الرئيس الأمريكى جونسون فيأمر جونسون باتخاذ الاجراءات التالية الفورية.

- التأكد من صحة المعلومات الواردة فى البرقية بواسطة أجهزة المخابرات الأمريكية.

- الاتصال الفورى بالاتحاد السوفييتى لتهدئة الرئيس عبد الناصر وإثنائه عن شن الحرب.

- إعداد مذكرة عاجلة إلى مصر لتمتنع عن أى إجراءعسكرى وإلا فسوف تتحمل العواقب المترتبة على تصرفاتها.

وفى المساء أرسلت برقية إلى الإتحاد السوفييتى واستدعى السفير المصرى مصطفى كامل إلى الخارجية الأمريكية ليقول له روستو: «طلب منى الرئيس جونسون تليفونيا أن أرسل لحكومتكم تحذيرا، إذ أننا بناء على بعض المعلومات يحتمل أن يكون هناك هجوم ضد إسرائيل قريبا، وأرجو أن تعلموا أنه فى هذه الحالة فإن حكومة الولايات المتحدة، سوف تتصرف على ضوء ميثاق الأمم المتحدة وطبقا لتعهداتها تجاه احترام سيادة وسلامة إسرائيل، ولقد أوضح لى الرئيس أننا ضد أول طلقة وسنحترم تعهداتنا، وأن الأمر الواقع يجب أن يحترم فى المنطقة»، ويضيف روستو «إن هجوما من جانبكم ضد اسرائيل يعتبر انتحارا».

وكان روستو قبل مقابلته للسفير المصرى مجتمعا بأبا ايبان والسفير الاسرائيلى، وكان أيضا قد استأذن منهما لمقابلة السفير المصرى، ويعود روستو بعد المقابلة إلى الجانب الاسرائيلى، ويبلغ أبا إيبان أن دين راسك يطلب مقابلته فورا، فيذهب أبا ايبان ليبلغه راسك أن المخابرات الأمريكية فحصت البيانات التى قدمتها إسرائيل وأنه ليس لديها معلومات يمكن أن يبنى عليها الاعتقاد بأن المصريين يستعدون لشن هجوم مفاجئ خاطف، وأن القوات المصرية لم تتخذ وضع هجوم، وأن الخبراء الأمريكيين لايعتقدون أن مصر ستهاجم قبل عودة أوثانت من القاهرة وتقديم تقريره لمجلس الأمن، ويرد ابا إيبان بأنه لولا أن حكومته على ثقة من هذه المعلومات لما أرسلتها فى برقية عاجلة، وأنه يرجو أن تعيد الحكومة الأمريكية فحص الأمر من جديد، فيوافق دين راسك.

ويضيف المؤلف «وتقوم ثلاثة مجموعات من خبراء وزارة الدفاع والخارجية بفحص المعلومات بشأن الاستعدادات الحربية فى الشرق الأوسط «وينضم إليهم خبراء من المخابرات الأمريكية ويقدمون تقريرا ضخما إلى البيت الأبيض فى نهاية الاجتماع.

ويلاحظ على معلومات اليوم الثانى عشر وفق رؤية المؤلف أن الحديث كان يدور حول احتمال هجوم مصر على اسرائيل وهو أمر كانت الولايات المتحدة متأكدة من عدم صحته، والحقيقة أن قراءة معلومات اليوم الثانى عشر يتبين أن اسرائيل كانت تلح فى الاذن ببدء الحرب.

اليوم الثالث عشر: (٢٦ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «لاتضغطوا بالمسدس على ظهرى»

وفيه يروى المؤلف نص مادار فى المقابلة التى تمت بين جونسون وأبا إيبان، ويوضح أن جونسون ذكر فى هذه المقابلة أنه لايستطيع أن يتصرف إلا بعد أن تفشل الأمم المتحدة فى إيجاد حل للأزمة، وأن مشروع تكوين قوة دولية بحرية لفتح المضايق بالقوة لايمكن لأمريكا أن تقوم به وحدها، وعندما أثار أبا إيبان تعهدات أمريكا احتج جونسون وقال له «لايمكن للولايات المتحدة مساعدة إسرائيل إلا فى حالة الاعتداء عليها، وأن المعلومات تؤكد أن الحشود المصرية ليست سوى استعراض للقوة وأن الولايات المتحدة متأكدة أن مصر لن تهاجم إسرائيل»، وعندما طلب أبا إيبان أن تصدر الولايات المتحدة بيانا تتعهد فيه بالتدخل رفض جونسون وقال له أنه «لايجب أن يتحدث إليه أحد وهو يوجه المسدس إلى ظهره» وذكر

المؤلف هنا أن ديجول صرح فى نفس اليوم بأنه يعتقد أن من الأفضل دراسة مشكلة المضايق فى روح معاهدة مونترو، وأن أبا إيبان لو كان قد وافق على ذلك فقد وقع فى الفخ الذى نصبه له الرئيس الفرنسى إذ أنه بهذه الموافقة على هذا الاقتراح إنما كان يوافق على أن يكون حكم محكمة العدل الدولية لصالح مصر فى حقها فى غلق المضايق فى وجه السفن الاسرائيلية لوجود حالة حرب بينها وبين إسرائيل.

وفى نفس اليوم يتوجه أبا إيبان لمقابلة ماكنمارا، ويطلع أبا إيبان ماكنمارا على برقية واردة من ليفى أشكول تقرر أنه صدم من أقوال دين راسك التى ذكرها فى اليوم السابق، ويطلب أشكول من أبا إيبان بحث موضوع الحشود المصرية فى سيناء، ويشرح أباإيبان البرقية، إلا أنه يصدم بدوره إذ لم يجد شرحه اهتماما كافيا، ويستعين الجنرال هويلر - وكان حاضرا الاجتماع - بخريطة الشرق الأوسط ليبرهن على أن مصر لايمكنها الانتصار على إسرائيل، وأن إسرائيل ستخرج منتصرة فى أى حرب، ويقول هويلر: «لقد فحص خبراؤنا الموقف ودرسوا كافة المسائل المتعلقة به، وكلهم مقتنعون .. ستنتصرون..» فيرد أبا إيبان «وإذا ماهاجموا أراضى مطاراتنا؟» فيجيب هويلر «سواء كانت الضربة الأولى منهم أو منكم فأنتم الأقوى وستنتصرون فى الحالتين».

وبعد ذلك وفى نفس اليوم يقدم وماكنمارا تقريرا مشتركا للرئيس الأمريكى جونسون وينتهى التقرير بالآتى:

..... وبالاختصار فإنه ليس أمام الولايات المتحدة سوى حلين:

١ ـ تكوين قوة بحرية دولية.

٢ ـ ترك إسرائيل تتصرف بمفردها.

وينصح راسك باتباع الحل الأول... تكوين قوة دولية.

ولقد كان لذلك التقرير الأثر الكبير في موقف الرئيس جونسون لدى مقابلته لأبا إيبان إذ لم يشارك أبا إيبان الرأى بأن الحشود المصرية فى سيناء تمثل خطرا على وجود إسرائيل ويوضح ذلك أن جونسون سأل ماكنمارا الذى كان حاضرا المقابلة، وأن ماكنمارا أجاب «إن أجهزة مخابراتنا متفقة على أن المصريين ليست لديهم لا النية ولا القدرة على مهاجمة إسرائيل».

ويلاحظ أن وقائع ومعلومات هذا اليوم (الثالث عشر) تبين أن الولايات المتحدة كانت تتأكد عن طريق مخابراتها وأجهزة وزارة الدفاع أن مصر ليس لديها النية ولا القدرة ـ حسب التعبير المستخدم ـ على مهاجمة إسرائيل. وهذا الأمر يجرنا إلى نقطة جوهرية أخرى وهى طالما أن الولايات المتحدة بأجهزتها الدقيقة قد تأكدت بأن مصر ليست لديها النية وانها غير قادرة على الحرب. فإنها تكون، إذا أذنت لإسرائيل بالضربة الأولى، قد أصبحت ضالعة فى عملية تدمير شاملة للقدرات العربية والمصرية خاصة وهو أمر ـ أو نقطة ـ لابد أن تحسب بدقة.

اليوم الرابع عشر: (٢٧ مايو ١٩٦٧)

وهو يوم الإنقسام فى الوزارة الإسرائيلية وثورة الرأى العام الإسرائيلى لعدم جدوى فكرة مشروع القوة البحرية الدولية فى

نظره، وكذا لاعتقاد الرأى العام وقطاعات كبيرة من المسئولين فى إسرائيل أنه ليس أمامها سوى دخول الحرب للدفاع عن نفسها للخروج من الحصار الذى فرضه عليها الرئيس عبد الناصر.

وفى نفس اليوم عقد اجتماع لمجلس الوزراء حضره عدد كبير من الخبراء والجنرالات وبدأ استعراض نتائج زيارات إبا إيبان لأوروبا والولايات المتحدة وبالذات مادار مع ديجول وويلسون وجونسون، ونوقش طلب جونسون بأن تنتظر إسرائيل أسبوعين أو ثلاثة تستطيع الولايات المتحدة خلالها إيجاد حل للأزمة فى نطاق الأمم المتحدة أو خارجها، وذكر أبا إيبان أن جونسون أكد أن الولايات المتحدة ستقوم بفتح المضايق بأى ثمن سواء فى ذلك بالتعاون مع دول أخرى أو بدونها إذا اقتضى الأمر، بينما يختلف الواقع عن ذلك لأن جونسون لم يتعهد باسم الحكومة الأمريكية بالقيام بأى عمل منفرد تقوم به الولايات المتحدة، بل وحتى لدى حديث جونسون عن القوة الدولية أوضح أن بلاده لن تساهم فيها إلا بموافقة الكونجرس.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان تقرير أبا إيبان عن محادثاته مع ديجول غير دقيق فقد أعلن أن ديجول ضد الحرب، ولكنه لم يذكر اعتراض ديجول على أى إجراء تقوم به إسرائيل ولم يذكر تحذيراته المتكررة بأن لا يشنوا الحرب، هذه التحذيرات التى يمكن أن توصف بأنها إنذارات.

ويلاحظ على معلومات هذا اليوم للمؤلف أن معارضة إسرائيل لمشروع القوة البحرية الدولية تدل على نية مبيتة لأن هذه القوة الدولية سيكون لها دور محدد وهو فتح المضايق أمام الملاحة أما

«ترك إسرائيل تتصرف بمفردها» على النحو الذى ذكر فمعناه تمكين إسرائيل من الإجهاز على القوة العربية.

اليوم الخامس عشر: (٢٨ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «الجنرالات ضد أشكول».

كان «أشكول» مقتنعا بوجوب الانصياع لنصائح رؤساء الدول الغربية بعدم شن الحرب أو على الأقل عدم البدء فى إطلاق النار، بينما كانت الأركان الإسرائيلية وعلى رأسها «إسحق رابين» وعدد من الجنرالات يرون رأيا مخالفا، فكان هذا بالإضافة إلى الضغط الشعبى سببا فى تغيير سياسته وقبول التخلى عن وزارة الدفاع واسنادها إلى غيره.

أبدى إيبان اعتراضه الشديد على الحرب على أساس أن «جونسون» أوضح له تصميمه على فتح المضايق بالقوة سواء كان ذلك بالتعاون مع الحلفاء أولا.

وينقل المؤلف عن إيبان قوله و«لقد وعدنا بحملة دولية تهدف إلى فتح خليج العقبة أمام سفن العالم أجمع ولن يستطيع المصريون أن يصمدوا فى وجه هذه القوة البحرية الدولية Armada ،كما وعدنا بالإشتراك فى هذه الحملة وبذلك فلن نقاتل بمفردنا فى سبيل المضايق، وأى تصرف منفرد نقوم به فى هذا الشأن سيكون بالغ الأثر سيء النتيجة».

اليوم السادس عشر: (٢٩ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «الفزع».

استحوذ الخوف على الشعب الإسرائيلى إذ رأى حكومته منقسمة ورئيسها متردد فى اتخاذ القرارات، وطالب الرأى العام بوجوب تكوين حكومة ذات صبغة وطنية تضم جميع العناصر اللازمة لمواجهة الأزمة.

تلقى السفير الإسرائيلى وعدا مؤداه أن الرئيس جونسون يدرس احتمال زيادة المعونات الاقتصادية لإسرائيل خلال فترة التعبئة وحالة الطوارئ، وفى الوقت ذاته طلب المسئولون بالخارجية من السفير بيانا بالأعباء التى تتحملها إسرائيل نتيجة هذه التعبئة ولتوقف حركة السياحة وغلق مضايق تيران.

كما ذكر المسئولون بالخارجية للسفير أن الولايات المتحدة ستورد البترول لإسرائيل حتى نهاية الأزمة - سواء من مصافى تكساس أو من فنزويلا. كما طمأنوه بأن كل شئ يسير على مايرام بالنسبة للقوة البحرية.

ويلاحظ على أحداث اليومين السابقين أن المجموعة السياسية فى إسرائيل لم تكن ترغب فى الإقدام على مغامرة الحرب إلا أن المجموعة العسكرية كانت تدفع فى اتجاه الحرب.

اليوم السابع عشر: (٣٠ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «دولفين».

استأجرت إسرائيل سفينة يونانية «دولفين» وأوفدت إلى ميناء مصوع طاقما إسرائيليا ليقودها إلى المضايق ويتم بذلك إحراج الرئيس عبد الناصر.

استدعى الإخوان روستو سفير إسرائيل فى واشنجتون وأكدا له أن بوادر نجاح مشروع القوة البحرية قد بدأت تظهر بوضوح وأن الإعلان الخاص بها قد تم إعداده، كما جرت اتصالات مع عدة دول من التى يُرجى انضمامها إلى القوة الدولية.

ويقول المؤلف «كان جونسون فى هذا الوقت لا يترك زائرا إلا وينتحى به جانبا ليسأله عما إذا كانت لدى دولته بعض السفن لتشترك بها فى القوة البحرية، كما حاول اقناع وفد إيطالى كان يزور بلاده وقتذاك بإنضمام إيطاليا إلى القوة ولكن الإيطاليين رفضوا ذلك».

لم يذكر روستو واقعة رفض إيطاليا للسفير الإسرائيلى، بل كان وغيره من المسئولين يحرصون على ترديد أن خطة سرية سوف تعرض على الكونجرس للقيام بفتح المضايق بالقوة سواء اشتركت أو لم تشترك فيها الدول الأخرى.

والغريب أن دوائر الكونجرس لم تكن تدرى شيئا عن هذه الخطة ولم يحاول أى مسئول أمريكى حتى جس نبض الأعضاء، بل لقد كان على المسئولين الأمريكيين تهدئة أعضاء الكونجرس والتمهيد

لإزالة آثار احتمال قيام الولايات المتحدة بعمل من جانبها لفتح المضايق بالقوة.

كان البيت الأبيض واضحا فى دوره بعكس الخارجية فقد لعبت دورا مزدوجا، فهى من جهة كانت تثبط عزيمة الإسرائيليين بمحاولة مد أجل المباحثات لعدة أيام بحجة أنها تسعى للحصول على موافقة الكونجرس لتأييد اتخاذ خطوة حازمة، ومن جهة أخرى كانت تعمل على تجميد موافقة الكونجرس على الخطة.

والواقع أن الأمريكيين كانوا يأملون كسب الوقت والحصول على تأييد عدة دول بشأن الاشتراك فى القوة الدولية البحرية، وفى الوقت ذاته يتم التوصل إلى اتفاق مع ناصر عن طريق المبعوثين الأمريكيين الذين أوفدوا إلى القاهرة.

ويمضى المؤلف قائلا إن الأمريكيين استيقظوا من الوهم الذى عاشوا فيه بخصوص القوة الدولية وبدأوا يدركون أن الطريق الذى سلكوه كان خاطئا منذ أن وقع ناصر إتفاقية الدفاع المشترك مع الملك حسين، وهو مادعى والت روستو إلى إبداء تشاؤمه للسفير الإسرائيلى فى مقابلة لاحقة وإلى التصريح له - أى السفير - بأنه لايرى أى حل للأزمة.

اليوم الثامن عشر: (٣١ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «غضب جونسون».

غضب «جونسون» غضبا شديدا للنبأ الذى أذيع عن عزم إسرائيل القيام بمحاولة منفردة من جانبها ودون استشارة أصدقائها لفتح المضايق بالقوة.

اليوم التاسع عشر (أول يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «ناصر يستقبل زائرا سريا».

هذا الزائر هو «اندرسون» والذى كان وزيرا للمالية فى عهد إيزنهاور وهو صديق شخصى للرئيس عبد الناصر.

أوفده جونسون بصفة سرية للتباحث مع الرئيس عبد الناصر، وقد أبرق المبعوث الأمريكى إلى واشنجتون بما دار فى مباحثاته مع الرئيس عبد الناصر مؤكدا أن الرئيس ليست لديه أية نية للتراجع وناصحا فى الوقت ذاته بترك الباب مفتوحا للتراجع فى الوقت المناسب.

كانت هذه الزيارة لاحقة لزيارة قام بها «ريتشارد بوست» إلى القاهرة فى ٢٩ مايو حيث التقى بوزير الخارجية المصرى السيد/ محمود رياض الذى استقبله بترحاب وأدب معلنا رأى مصر من أن إسرائيل تستعد لمهاجمة سوريا، وأن القاهرة قد أخطرت السوفييت بذلك وقامت بالاستعدادات اللازمة.

وأضاف الوزير المصرى أن الأحداث سبقت مصر، ذلك أنه عندما طلبت القاهرة من قيادة قوات الطوارئ الدولية تجميع القوات فى مواقعها ومعسكراتها، وضعت هذه القوات القاهرة فى موقف دقيق عندما خيرتها بين الانسحاب الكامل أو عدم الإنسحاب أصلا، ولم يكن أمام مصر إلا طلب الإنسحاب الكامل.

كما أضاف الوزير المصرى لـ «بوست» بأنه لم تكن لدى القاهرة رغبة فى احتلال شرم الشيخ ولا غلق المضايق، غير أن الظروف

القومية والاستراتيجية العسكرية حتمت احتلال شرم الشيخ وترتب على ذلك حتمية غلق المضايق.

اليوم العشرون: (٢ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «وفاة الأرمادا Armada» .

تراجعت الدول البحرية عن فكرة فتح المضايق بالقوة بعد أن أعلن الرئيس عبد الناصر أن أية دولة تشترك فيها سوف تعتبر عدوا ولن يسمح لها باستخدام قناة السويس وتخلت هذه الدول عن فكرة إنشاء قوة بحرية دولية باستثناء استراليا ونيوزيلندا.

أبلغت الولايات المتحدة إسرائيل أنها لاتستطيع العمل وحدها فى هذه الخطة مالم تساندها الأمم المتحدة أو على الأقل الدول البحرية الكبرى، وبذلك ماتت فكرة القوة البحرية وما صاحبها عن فتح المضايق بالقوة المسلحة.

اليوم الحادى والعشرون: (٣ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «وجها لوجه مع ديجول» .

أبرز المؤلف غضب ديجول من تصرفات إسرائيل. وكان ديجول يعتقد طبقا لما ورد إليه من معلومات، أن إسرائيل سوف تشن الحرب.

أصدر ديجول بيانا يحظر فيه إرسال الأسلحة لإسرائيل حظرا شاملا وبهذا وقفت فرنسا معادية عداء صريحا لإسرائيل.

علق «دين راسك» على موقف فرنسا من إسرائيل للسفير الإسرائيلى فذكر:

١ ـ أنه مندهش لهذا الموقف المخيب للآمال، وأنه إذا كانت الولايات المتحدة قد أعتادت وتتوقع ألا تنفذ فرنسا تعهداتها فى نطاق حلف الأطلسى، إلا أن موقفها من إسرائيل مخيب للآمال فعلا، ويمكن لإسرائيل أن تستغل نفوذها هناك للضغط عليها كى توقع التصريح الدولى.

٢ ـ أنه يود معرفة موقف فرنسا لو منعت مصر سفن إسرائيل بالقوة من المرور فى المضايق، وهل ستعتبر مصر هى البادئة بإطلاق النار إذا أطلق المصريون النار على سفن إسرائيل.

٣ ـ إن موقف الاتحاد السوفيتى غير واضح.

يعلق المؤلف بأن راسك ـ عندما ذكر ما أسلفناه ـ لم يكن يدرى أن نفوذ إسرائيل فى فرنسا قد قارب الصفر.

أضطر «أشكول» إلى مواجهة الخطة التى كان يتبناها بعض الوزراء وغيرهم من السياسيين خارج الحكم والخاصة بتغيير وزير الدفاع وتوليتها لموشى ديان.

وكان «أشكول» قد حاول إضاعة الفرصة على ديان فوافق على إسناد الوزارة إلى آلون ولم تعد تنجح محاولاته إزاء تدخل رؤساء الأحزاب التى تساند المؤسسة العسكرية مثل مناحم بيجين وأضطر أخيراً كما سلف إلى إسناد وزارة الدفاع إلى موشى ديان.

وأبرز ما نلاحظه على معلومات المؤلف عن اليوم «واحد وعشرين» أو ١٩٦٧/٦/٣، أن الولايات المتحدة ترى الموقف السوفييتى غير واضح وهو أمر بالغ الخطور لأن الموقف السوفييتى

،ثلا كان أدنى من المواقف السابقة، وكان الأحرى به أن يتوازى مع الموقف الأمريكى المساند لإسرائيل وهنا لم تكن إسرائيل لتقدم على مغامرتها، وقد قامت إسرائيل والولايات المتحدة بحسابات دقيقة للموقف السوفييتى وتأكدت أن موقفه سيكون أقل من المطلوب.

اليوم الثانى والعشرون: (٤ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «بن جوريون يبارك الخطة».

أعاد ديان دراسة ملفات رئاسة الأركان فور تسليمه لأعمال وزارة الدفاع ، وبالذات دراسة الخطة المقترحة لتدمير سلاح الطيران المصرى بضربة مفاجئة ثم اختراق القوات المصرية فى سيناء والتقدم السريع نحو قناة السويس.

أرسل ديان هذه الخطة فى المساء للعرض على «بن جوريون» فوافق عليها وباركها.

ويلاحظ على معلومات اليوم الثانى والعشرين أن خطة الطيران الإسرائيلية التى نفذت بنجاح يتحمل وزرها المسئولون المصريون بالرغم من كل ما يمكن أن يقال بأن معلومات المطارات والطائرات قدمتها الولايات المتحدة، مع ذلك فالاهمال مصرى وسوء التحرك مصرى والفشل مصرى.

(جـ) أحداث ٥ يونيو حتى ١٠ يونيو ١٩٦٧ :

وقد أشتمل الفصل الثالث لسيناريو المؤلف «ميشيل بارزوهار» على ستة أيام من يوم ٥ - ١٠ يونيو ١٩٦٧ وهى الأيام الستة المشئومة.

اليوم الثالث والعشرون: (٥ يونيو ١٩٦٧)

- أول أيام الحرب، وقد أطلقت القوات الإسرائيلية الطلقة الأولى.
- حاول المسئولون الإسرائيليون التغطية على خطتهم بتصريحات تفيد أنهم سوف يركنون إلى الإنتظار تلبية لرجاء أصدقائهم فى الدول الغربية.
- فى الساعة الثالثة صباحا بتوقيت واشنجتون كان «دين راسك» يهرع بالصعود إلى مكتبه ويتوجه إلى غرفة العمليات ويبدأ فى فحص وقراءة البيانات الواردة من كافة الجهات.
- وفى الرابعة والنصف صباحا يقرر «راسك» بالاتفاق مع روستو وماكنمارا إيقاظ الرئيس جونسون فيتصل به روستو ليبلغه أن الحرب قد اندلعت فى الشرق الأوسط وليشرح له الهجوم الذى وقع على المطارات المصرية.

أهتم الرئيس الأمريكى وسأله عمن بدأ بالطلقة الأولى، فذكر روستو أن الأمر غير واضح.

- قدمت كافة الأجهزة تقارير عاجلة للرئيس «جونسون» أكدت كلها أن إسرائيل تستطيع الانتصار فى مدى أربعة أو خمسة أيام.

كما حددت المدة اللازمة لتدمير سلاح الطيران المصرى على الأرض بأربعة وعشرين ساعة.

أدلى جورج كريستان السكرتير الصحفى فى الساعة السابعة بالتصريح الرسمى الأول الذى جاء فيه أن الرئيس جونسون قلق من اندلاع الحرب وآسف لما حدث، وأنه يوجه نداءه بوقف القتال فورا.

- أرسلت برقيات عاجلة إلى الملحقين العسكريين فى تل أبيب والقاهرة لمعرفة البادئ بإطلاق النار، وفى الساعة الثامنة كان الموضوع قد أتضح.

- استمرت الولايات المتحدة فى دراسة الوضع الراهن فى الشرق الأوسط، وكان من أهدافها المحافظة على السلام العالمى، وقد أخرجها نشوب القتال من مأزق حرج وأحلها من وعودها لإسرائيل خاصة بعد أن أدركت أن مشروعاتها والتزاماتها لحل الأزمة لم تكن تتمتع بأية فرصة للنجاح.

- أوضحت رسالة كوسيجين نية الاتحاد السوفييتى فى عدم التدخل فى النزاع، وقرر المجتمعون الأمريكيون (راسك، روستو، ماكنمارا) أن تعمل واشنجتون على ألا يتشعب النزاع وأن يتم حصره فى أضيق الحدود مع بذل المساعى لإيجاد حل للنزاع العربى الإسرائيلى.

- وفى السابعة تقريبا بتوقيت موسكو (الظهر بتوقيت واشنطون) وردت عن طريق الخط التليفونى الأحمر الرسالة الثانية من كوسيجين إلى جونسون، ولم تكن الرسالة سوى إنذار يعيد إلى الذاكرة الرسائل التى بعث بها الأتحاد السوفييتى إلى كل من انجلترا وفرنسا وإسرائيل فى ٥ نوفمبر ١٩٥٦، ويعيد التذكير بما يملك الاتحاد السوفييتى من وسائل تدمير هائلة ويهدد بأنه فى حالة عدم إنسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فسوف يضطر إلى اتخاذ الوسائل اللازمة الكفيلة بوقف العدوان وأنه لايستطيع الوقوف مكتوف الأيدى إزاء العدوان الغاشم الذى يقع أمام عينيه.

- ولقد أثارت هذه الرسالة فزعا فى البيت الأبيض، إذ أصبح العالم مهددا بحرب نووية يمكن أن تقع فى أية لحظة ـ ولكن جونسون قابل الأمر بهدوء، واتفق مع والت روستو على خطة ذات مرحلتين: بدأها بارسال برقية إلى موسكو تفيد وصول رسالة كوسيجين، وأصدر أوامره للأسطول السادس بالتحرك إلى منطقة القتال، وفى دقائق قامت البوارج وناقلات الطائرات متجهة إلى سيناء وسواحلها، ولقد سجلت أجهزة رادار البوارج الروسية الموجودة فى البحر الأبيض هذه التحركات، وكان جونسون يهدف إلى ذلك، ثم حرر الرئيس جونسون رسالة إلى كوسيجين كرر فيها تعهدات الحكومة الأمريكية باحترام سيادة واستقلال دول المنطقة بما فيها إسرائيل، وذكر فيها (نحن مصممون على احترام تعهداتنا وقد كنا نأمل أن يتصرف الاتحاد السوفييتى مثلنا، وأن على الدولتين الكبيرتين أن توحدا جهودهما من أجل تصرف حكيم عاقل فى إطار بناء لوضع حد للقتال فى هذا الجزء من العالم) . وصلت الرسالة إلى موسكو بعد أن كانت قد بلغتها أنباء تحركات الأسطول السادس الأمريكى فى اتجاه منطقة لقتال وأدرك السوفييت المناورة والتهديد الذى تنطوى عليه، وأن كل تصرف من جانبهم ضد إسرائيل سوف يقابله تدخل عسكرى من الأسطول السادس، يؤدى إلى مواجهة نووية بين الدولتين الكبيرتين.

فى هذه اللحظات التى كانت تطير فيها الرسائل بين موسكو وواشنطن عقد «روبرت ماكلوسكى» المتحدث الصحفى الأمريكى مؤتمرا صحفيا عن أحداث الشرق الأوسط وسأله أحد الصحفيين..

. ماهو موقف الولايات المتحدة تجاه النزاع. ففكر ماكلوسكى لحظة ثم رد: «نحن محايدون فى التفكير وفى الكلام وفى الحركة»، ولعل مرجع هذا الرد تلك الواقعة التى مؤداها أنه عندما بدأت الأنباء تتوالى على غرفة العمليات معلنة الانتصارات الإسرائيلية كان الموظفون يستقبلونها بموجات من الفرح ويطلقون صيحات المرح، فنهرهم «أوجين روستو» مازحا، ياسادة لا تنسوا أننا محايدون فكرا وقولا وعملا. وهكذا تذكر ما كلوسكى هذه الجملة وكررها فى المؤتمر الصحفى، ولم يكن يدرك وقتئذ رد فعلها إذ انهالت الاحتجاجات والمكالمات التليفونية الساخطة من القادة الأمريكيين وأعضاء المنظمات اليهودية على البيت الأبيض، ولم يفسر تصريح ماكلوسكى على أنه إعلان عن حياد أمريكا فى النزاع، بل على أنه إعلان عن عدم اهتمامهم بما يحدث فى الشرق الأوسط.

ولقد أثار تصريح ماكلوسكى غضب جونسون إذ صدر فى الوقت الذى هدد فيه الروس بالتدخل ضد إسرائيل، ولأنه تصور أن الروس يمكنهم أن يفسروا هذا التصريح على أن الولايات المتحدة لايهمها مايحدث فى الشرق الأوسط وأنها تريد انتهاج سياسة العزلة وأنها لن تتحرك إذا ما أطلق الاتحاد السوفييتى لنفسه العنان فى المنطقة، لذلك فقد بادر جونسون إلى إصدار تصريح أذاعه جورج كريستان على الصحفيين وكان نصه كالآتى:

«إن ماكلوسكى أراد أن يوضح أن الولايات المتحدة ليست طرفا محاربا فى النزاع، ولم يكن يقصد بأنها محايدة أو أن الأمر لايهمها»، وأعلن راسك بعد ذلك «إن كلمة الحياد فى مفهوم القانون

الدولى تعد التعبير عن موقف، ولاتعنى أبدا عدم المبالاة، لأن الولايات المتحدة لاتستطيع أن تقف موقف اللامبالاة فى النزاع».

وأبرز تعليق على معلومات اليوم السابق أن الأتحاد السوفييتى تراجع عن انذاره وترك العالم العربى يواجه قدره بينما حرك جونسون أساطيله إلى قرب ميدان المعركة تحديا للأنذارات السوفييتية.

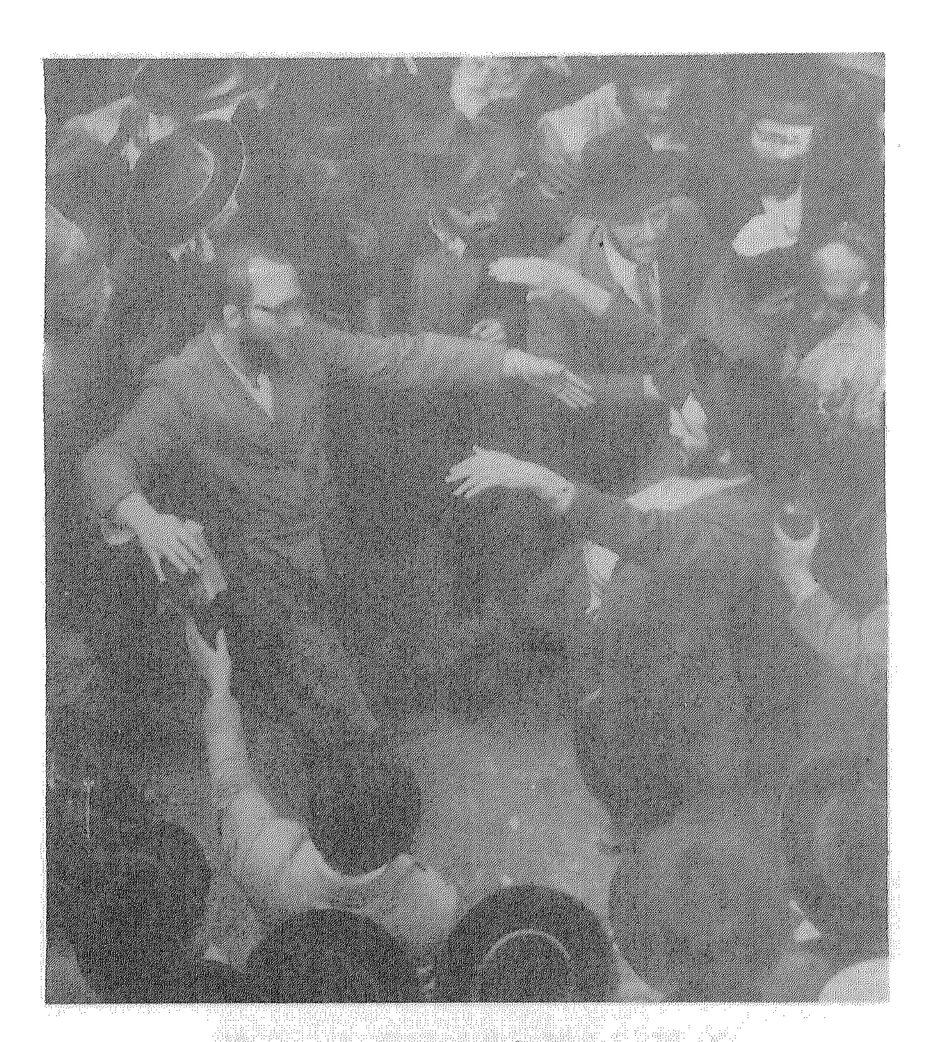
اليوم الرابع والعشرون: (٦ يونيو ١٩٦٧)

بعنوان «عكة سرى للغاية» وهو الاسم السرى للخطة الإسرائيلية للحرب ضد مصر، وصف مفصل لتقدم الفرق الثلاث المدرعة الإسرائيلية نحو قناة السويس.

اليوم الخامس والعشرون: (٧ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «القدس الذهبية».

يتناول الأسلوب الذى دخلت به الأردن الحرب ضد إسرائيل، ويقرر أن القيادة الاسرائيلية قد اضطرت إلى إبلاغ قادة القطاع الشرقى بالتصرف حسب مقتضيات الظروف - ويصف الصعوبة التى واجهت الاسرائيليين حتى تمكنوا من إسكات القوات الأردنية واحتلال القدس العربية.

يبرز المؤلف مدى اعتزاز الاسرائيليين باحتلال القدس «الذهبية» لما لها من مكانة فى نفوسهم.



رقص اليهود ابتهاجاً بأنتصارهم فى حرب يولية ١٩٦٧

اليوم السادس والعشرون: (٨يونيو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «جونسون يصيح، إنها الحرب العالمية الثالثة».

ضرب الزوارق الاسرائيلية لسفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى» وأصابتها إصابات مباشرة.

ـ أبلغت «ليبرتى» قيادتها فى أمريكا ـ وهى تابعة للمخابرات ـ وأبلغ النبأ فورا دون تحديد المعتدى إلى جونسون، مما أدخل فى روع جونسون الاعتقاد بأن الاتحاد السوفييتى هو الذى اعتدى على السفينة الأمريكية، لولا أن ورد اعتذار إسرائيل العاجل عن الحادث وابلاغ جونسون به، ثم قيامه فور ذلك إلى التليفون الأحمر ليروى للأتحاد السوفييتى تفاصيل ما حدث خوفا من اعتقاد السوفييت بأن تحركات الطائرات تقصد سفنهم فى البحر المتوسط، وهنا يقول المؤلف «وعلى الرغم من الحزن البادى على جونسون فقد تنهد بارتياح، إذ معنى ذلك أن الروس لم يهاجموا ولن تعلن الحرب.

اليوم السابع والعشرون: (٩ يوليو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «ثورة فى الدول الشرقية».

ـ حدثت ثورة لدى الرأى العام فى العالم الشيوعى ضد إسرائيل نتيجة لانتصارها الساحق السريع ضد الدول العربية، قامت الدول الشيوعية بقطع علاقاتها باسرائيل باستثناء رومانيا.

ـ لم تكن القيادة الاسرائيلية تفكر فى هذه اللحظة ـ فى الرد الحاسم على الاعتداءات السورية غير أنه بعد انتهاء معاركها مع مصر والأردن أصدرت الأوامر لقادة القطاع الشمالى بالهجوم على المرتفعات السورية والاستيلاء عليها.

ونلاحظ على معلومات اليوم السادس والعشرين أن ضرب السفينة ليبرتى لم يكن مصادفة ولكنها طبيعة الإسرائيليين الذين يستخدمون العنف والإرهاب لتحقيق مكاسب سياسية، فهل كان ضرب ليبرتى محاولة لدق اسفين بين القوتين العظمتين؟؟

اليوم الثامن والعشرون: (١٠ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «إنذار بالتليفون الأحمر».

- أرسل الاتحاد السوفييتى رسالة عاجلة إلى واشنطون يطالب فيها بتوقف الاسرائيليين وإلا فسوف يضطر للدفاع عن النظام القائم فى سوريا، وأبلغ هذا التحذير إلى إسرائيل.

- استقبل أشكول سفير الاتحاد السوفييتى فى تل أبيب، وكان أشكول يرتعد خوفا من هذه المقابلة التى تمت بناء على طلب السفير السوفييتى بعد منتصف الليل بصفه عاجلة إذ كان يعتقد أن سببها هو للتحذير من التدخل السوفييتى المسلح، ولكنه لم يلبث أن تنفس الصعداء عندما ذكر السفير أنه مكلف بابلاغه أن الاتحاد السوفييتى قد قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وقد أدرك أشكول بطبيعة الحال أن قطع العلاقات الدبلوماسية يعنى أن الحكومة السوفييتية لم تقرر التدخل المسلح.

- أما عن رد فعل رسالة الاتحاد السوفييتى إلى واشنطون لدى المسئولين الأمريكيين فقد استدعى «جولدبرج» المندوب الاسرائيلى بسرعة وأنهى إليه نص ماورد له من البيت الأبيض متضمنا الرسالة السوفييتية التى وردت عن طريق التليفون الأحمر، ويقول جولدبرج لمندوب إسرائيل: «إن الحالة متوترة وبعد لحظات سوف يعلن مندوب



ليفى أشكول يقدم الشكر إلى لندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لموقفه المؤيد المطلق لإسرائيل فى حرب يوليو ١٩٦٧ وتوجيهها مدافع الأسطول السادس على الأسكندرية وبورسعيد.

الاتحاد السوفييتى أن بلاده سوف تتدخل عسكريا فى الشرق الأوسط إذا لم توقفوا زحفكم، ولا تستطيع الولايات المتحدة أن تقف مكتوفة الأيدى أمام إعلان أو تصريح كهذا. ولذلك فيجب وقف إطلاق النار فورا. حتى ولو لم يصدر السوفييت هذا الإعلان، لأنه لو حدث فإن الجميع سوف يعتقدون أن الولايات المتحدة وإسرائيل قد سلمتا خوفا من التهديد السوفييتى.

تعليق آخر:

يقرر المؤلف فى الجزء الأخير من كتابه أن طالما ظل العرب يحلمون بتدمير إسرائيل وطالما لم يدركوا الحقيقة البسيطة التى تتخلص فى أن إسرائيل أقوى منهم فإن الحرب سوف تستمر.

ويعود المؤلف فيؤكد أن الحرب سوف تظل مستمرة حتى يدرك العرب أن إسرائيل حقيقة واقعة وحتى يفيقوا من حلمهم بتدميرها.

ويوضح بعد هذه النقطة أن إسرائيل مستعدة لإجراء بعض التنازلات بشرط واحد هو أن يقبل العرب مبدأ التفاوض والعيش مع إسرائيل فى سلام وهدوء.

وينتقى المؤلف عبارة إنشائية يختتم بها ويجرى نصها:

«تدرك إسرائيل أن عليها أن تبذل دمها ثمنا لبقائها لسنوات عديدة، وأنه على الرغم من أن هذا الثمن باهظ فإنه لا يوجد إسرائيلى واحد يقبل أن تستبدل هذه القطعة من الأرض «المسماه إسرائيل» مقابل جنات الدنيا كلها».

القسم الثاني عشر

الجهود السياسية الدولية عقب حرب يونية ١٩٦٧ ومأزق القرار ٢٤٢

الجهود السياسية عقب الحرب

(أ) رد الفعل الأمريكى:

كان رد الفعل الأمريكى الرسمى لنتيجة حرب يونيو مشوبا بالارتياح الأمر الذى عبر عنه «ريموند هير» مساعد وزير الخارجية الأمريكية قائلا للسفراء العرب آنذاك: إن ألمانيا جديدة مزدهرة قد خرجت من حطام ألمانيا النازية.

كان المسئولون الأمريكيون يتوقعون انهيار النظم الثورية فى العالم العربى نتيجة للانتصار الخاطف الذى حققته إسرائيل، رغم ما أبدته هذه النظم - وخاصة فى مصر - من قدرة على مواجهة الأيام العصيبة التى أعقبت الهزيمة مباشرة.

ولتحقيق هدفها، عمدت الولايات المتحدة إلى انتهاج سياسة - وقد نجحت فى ذلك - من شأنها تحويل الأمر من عدوان إسرائيلى محدد إلى طرح موضوع النزاع العربى الإسرائيلى برمته. وبذلك ضمنت لإسرائيل أن يكون «التزامها» بالإنسحاب مرتبط بالتزامات عربية مقابلة. ثم مضت السياسة الأمريكية نحو هدفها خطوة أخرى

حين دعت إلى وجوب تسوية الأزمة فى اطارها المتقدم بمعرفة أطراف النزاع ودون تدخل خارجى من جانب الدول الكبرى.

ففى النقاط الخمس التى دعا إليها الرئيس جونسون فى ١٩٦٧/٦/١٩ من أجل «إقامة سلام دائم» بين العرب وإسرائيل، لم يشر إلى إنسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة، ولكنه أهتم بإبراز أهمية وقف تزويد منطقة الشرق الأوسط بالسلاح. بما يهدف عملا إلى استمرار الاحتلال الإسرائيلى على ما يشكله ذلك من ضغط متزايد على الدول العربية، ومواجهة السياسة السوفييتية المؤيدة لسياسة العرب سلميا.

وفى اجتماع جلاسبورو (من ٢٣ - ٢٥ يونيه) حاول جونسون عبثا اقناع كوسيجين بوقف تزويد الجمهورية العربية المتحدةبالسلاح، كما فشل الأخير فى حث الولايات المتحدة على مشاركة الاتحاد السوفييتى فى ضغط مشترك على إسرائيل لسحب قواتها من الأراضى المحتلة، وقد أكدت إدارة جونسون للسوفييت عزمها على الوقوف إلى جانب إسرائيل بطريقة لا تخلو من الصلافة، حين أعلنت فى ذات اليوم المحدد لاجتماع جلاسبورو، عن تقديمها تسهيلات إئتمانية بمبلغ ٣٠ مليون دولار لإسرائيل.

(ب) أمريكا والنزاع أمام الأمم المتحدة:

١ - بتاريخ ٩ نوفمبر ٦٧ قدمت الولايات المتحدة مشروعا إلى مجلس الأمن لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى سقط عند الاقتراع عليه، وكان المشروع الأمريكى أكثر تأييدا للموقف الإسرائيلى عما ورد

فى المشروع البريطانى الذى تمت الموافقة عليه بالإجماع. وذلك فى ثلاث نقاط محددة:ـ

(أ) استعماله لفظ RCOGRITION بالنسبة لسيادة الدول فى المنطقة؛ بدلا من ACKNOWDGEMENT التى وردت فى المشروع البريطانى.

(ب) النص على أن يؤكد مجلس الأمن على ضرورة تحديد سباق التسلح فى المنطقة.

(جـ) النصر على أن تكون مهمة الممثل الخاص للسكرتير العام، هى مساعدة الدول المعنية على بحث حلول للأزمة WORKING OUT SOLUTIONS، بينما ورد فى المشروع البريطانى أن تكون مهمته هى الاتصال بالدول المعنية بقصد التوصل لاتفاق TO PROMOTE AGREEMENT.

٢ ـ وقد أصرت الولايات المتحدة، سواء فى تفسيرها لقرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر، أو لمهمة يارنج، على ضرورة قيام تفاوض مباشر بين الدول العربية وإسرائيل. كما رفضت الضمانات الدولية التى لا تتمشى مع مصالح إسرائيل، فقصرتها (فى الرد على المشروع السوفييتى بتاريخ ديسمبر سنة ١٩٦٨) على طلب توجيه جهود الدول الكبرى لوقف تزويد المنطقة بالسلاح، والعمل على وقف تزايد ما وصفته بعمليات «الإرهاب العربى».

(جـ) مأزق القرار ٢٤٢ :

إنتهت مداولات الدول الكبرى إلى صيغة عرفت باسم القرار ٢٤٢ في ١٩٦٧/١١/٢٢ ويلاحظ طول الفترة التي استغرقتها للوصول إلى تفاهم حول القرار (من يونيو حتى نوفمبر) . ورغم إحتواء القرار على بعض الألفاظ الغامضة وأبرزها الخلاف حول كلمة «من أراضى» بدلا «من الأراضى» فإن ديباجة القرار لم تترك مجالا للشك في أن قصد القرار هو الإنسحاب من كل الأراضى المحتلة. وقد عمدت إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لأسباب تتصل أيضا بالمصالح الأمريكية إلى عرقلة تنفيذ هذا القرار لمدة طويلة متذرعة بالإختلاف حول التفسير وبذلك مكنت الولايات المتحدة إسرائيل من الإبقاء على الأراضى المحتلة رهينة هذا الإلتواء المستمر في تفسير القرار حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وكانت الولايات المتحدة تتخوف من مصر لأنها وفق التصور الأمريكي قد سهلت التواجد السوفيتي في الشرق الأوسط ودعمت من قدراته وينبع التأمين الأمريكي الضخم لإسرائيل من التصور الأمريكي بأن إسرائيل هي الإمتداد الأمريكي حضاريا وسياسيا وعسكريا في الشرق الأوسط، وقد رسخ هذا التصور بتأثير «اللوبى» الصهيوني في الولايات المتحدة الذي ربط بين هذا التصور وبين المصالح الأمريكية، وهي مصالح إقتصادية وأخرى تتصل بالسياسة الكونية الأمريكية التي تهتم بتعقب وتحجيم النفوذ السوفييتي آنئذ، والغرض من وراء التأييد الأمريكي اللامحدود لإسرائيل هو إرهاق وإستنزاف الدول العربية الثورية ومن ثم التأثير على النفوذ والتواجد السوفييتي في المنطقة.

وقد عانت الأمة العربية من عوامل ضعف واضحة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وكان المنطقى أن تتجاوز أزمتها لمواجهة آثار العدوان وإزالته إلا أن عوامل الضعف كانت فى الخلافات الجانبية والاتهامات المتبادلة بين الدول العربية. يضاف إلى ذلك أن الدول العربية بدلا من الإلتزام بقرارات مؤتمر الخرطوم عمدت إلى معارضة كل مبادرة لحل الأزمة فى إطار القرار ٢٤٢ وبذلك أعطت مسوغا لاستمرار الاحتلال وتجميد الموقف وأخيراً نجد الدول العربية البترولية قد إقتصرت مساندتها على حد المبالغ الرمزية المحدودة التى أقرها مؤتمر الخرطوم وكان كل ما يعنيها هو تقديم هذا الدعم المادى دون تفهم لب الإستراتيجية وهى قومية المعركة بكل ماتحمله الكلمة من آفاق.

(د) عوامل القوة:

كانت رؤية مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) من أبرز عوامل القوة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لأن أحداث التاريخ لا تنشأ من فراغ بل وفق مقدمات تؤدى إلى مسار محدد ثم إلى نتائج تتفق مع هذا المقدمات. وقد عدل مؤتمر الخرطوم كما سبق أن قلنا من جوهر الإستراتيجية العربية، من وحدة الهدف إلى وحدة الصف، ومن التحرير الكامل لأرض فلسطين إلى إزالة آثار العدوان، ومن التفاخر الشديد إلى قدر مطلوب من التنسيق، رغم بقاء عوامل الخلاف حول أسلوب معالجة آثار العدوان.

وثانى عوامل القوة هو الدعم الذى قدمته الدول العربية القادرة إلى دول المواجهة مصر وسوريا والأردن، ورغم أن هذا الدعم

للمواجهة لم يكن كافيا إلا لتعويض خسائر دول المواجهة عن الموارد المتوقفة والعجز المتراكم نتيجة الحروب، إلا أنه كان دعما لازما لإستمرار دول المواجهة لإزالة آثار العدوان والصمود أمام الضغوط الخارجية، والجدير بالذكر أن الدول العربية لم تستخدم كافة أسلحتها الإقتصادية لدعم دول المواجهة من ذلك سلاح البترول وسلاح الأرصدة العربية وسلاح التجارة الدولية.

وثالث عوامل القوة هو نمو المقاومة الفلسطينية منذ منتصف الستينيات والتى أخذت شكل «منظمة التحرير الفلسطينية» والتى أصبح لها جيش خاص بها، وأجهزتها التنفيذية المستقلة وإنضواء كافة الإتجاهات تحت مظلة المنظمة مع بقاء هامش معقول للرأى المستقل للمنظمات الحركية المنظمة.

ورابع عوامل القوة نجده في حرب الإستنزاف فى الفترة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ والتى مكنت من رفع الروح المعنوية وإكتساب المهارات القتالية وإستطلاع مراكز وتحصينات العدو إستعدادا للمعركة القادمة.

وخامس عوامل القوة كان إلحاح الجماهير العربية على الحل العسكرى طريقا للتحرير وإستعادة الأرض المحتلة ولم يكن فى مخيلة الجماهير العربية أى تصور للحل السياسى للقضية.

وكان شعارها ما أخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة.

(هـ) تأثيرات حرب ١٩٦٧ :

وأحدثت هزيمة عام ١٩٦٧ عدة آثار تتفق مع طبيعة الحدث وعكست عمق التردى الداخلى والاهمال - والتفكك فى العالم العربى

فى مواجهة الأخطار المحيطة به، فمن ناحية تأكدت عدة تصورات عن: قوة التأييد السياسى والإقتصادى والعسكرى الأمريكى لإسرائيل، وإهتزاز فكرة الرأى العام العربى عن قوة العرب وقدرتهم على هزيمة إسرائيل وإستعادة كل فلسطين، كما أهتزت صورة التأييد السوفييتى للدول العربية فى مواجهة المخطط الأمريكى - الإسرائيلى.

ومن ناحية أخرى ظهر توجه جديد فى مصر الناصرية بعد عام ١٩٦٧ لاقى موافقة من القادة العرب مؤداة شعار «إزالة آثار العدوان» بمعنى استعادة الأراضى التى احتلتها إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧ ، وقد انبثق هذا التوجه عن مؤتمر القمة العربية الرابع بالخرطوم/ أغسطس ١٩٦٧ ، رغم إختلاف القادة المجتمعين حول أسلوب الكفاح، هل يكون سياسيا أم عسكريا، وانتصر الرأى القائل بأفضلية الأسلوب السياسى فى هذه المرحلة، ومع ذلك رفض المجتمعون إقتراحا قدمه الرئيس جمال عبد الناصر بدعوة الدول العربية لقبول اتفاق تحت رعاية الأمم المتحدة بضمان حدود الدول بالمنطقة مقابل الإنسحاب الإسرائيلى مع السماح بحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة. ورغم إختلاف وجهات النظر توصل المؤتمر إلى قرارات هامة تحقق وحدة الصف العربى ووحدة العمل الجماعى ومنها الدعوة إلى سرعة تصفية القواعد العسكرية الأجنبية فى الأراضى العربية، كما نوقشت فكرة استخدام سلاح البترول ضد الدول التى أيدت إسرائيل، إلا أن الرأى الغالب كان تفضيل استمرار ضخ البترول بتحقيق عائد يستخدم فى دعم دول المواجهة، كما تم التأكيد على المبادئ الأساسية فى العمل العربى وهى: - لاصلح ولا تفاوض ولا إعتراف بإسرائيل، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه.

وكان من أبرز نتائج حرب يونيو ٦٧ التغييرات الجذرية التى شملت معظم المواقع الرسمية، ثم إعلان بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذى أكد على ضرورة مشاركة أوسع للجماهير، وعلى أهمية الديمقراطية، وعلى جدية التغيير، والذى وصفه البيان بالقول: «بأن التغيير المطلوب لابد له أن يكون تغييرا فى الظروف وفى المناخ، وإلا فإن أى أشخاص جدد فى نفس الظروف، وفى نفس المناخ، سوف يسيرون فى نفس الطريق».

ورغم وفاة جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ وتولى الرئيس السادات، فقد استمرخط عبد الناصر المصرى والعربى - على ماهو عليه لفترة حتى قام خلفه بإحداث تغير شامل فى هذا الخط.

ولم تنته المخاطر بانتصار إسرائيل فى الحرب فقد صعد الاتحاد السوفييتى والدول العربية حملة سياسية عنيفة لاضاعة مكاسب إسرائيل واجبارها على الأنسحاب إلى خطوط الهدنة دون عقد اتفاقية سلام ، وقد عارضت اسرائيل ذلك مستندة إلى مبادىء القانون الدولى فاعلنت استعدادها ونيتها فى البقاء فى مواقعها حتى تعقد اتفاقيات سلام دائمة، ولقيت تأييدا دوليا لموقفها فى مجلس الأمن وصدر قرار بذلك فى ٢٢ نوفمير ١٩٦٧ باقتراح من بريطانيا وتأييد من امريكا ربط الانسحاب باقرار السلام وانهاء حالة الحرب وإقامة حدودا آمنة ومعترف بها .

وقد وضع انتصار إسرائيل العرب فى مأزق حرج لأول مرة، فالوضع الذى خلقته الحرب لايمكن تغييره الابسلام دائم وهو ما يعنى التخلى عن كل الاحلام والأفكار التى كان يتشدق بها الزعماء

العرب منذ قيام إسرئيل، كما أنه يعنى آنه اية اتفاقية سلام ستضمن لاسرائيل حدودا أكبر وأكثر أمنا من تلك التى كانت قائمة فى عام ١٩٦٧ ، وأصبح الموقف فى حالة تجمد لايغيرها الا تغيير جذرى فى السياسة العربية، وهو مالم يتحقق فى عام ١٩٧٩ ففى مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم اعلنت الدول العربية استعدادها للسعى لحل سلمى ولكن فقط على أساس عدم التفاوض مع إسرائيل، وعدم الاعتراف باسرائيل، وعدم عقد اتفاقية سلام معها. وفى مارس ١٩٦٨ رفضت مصر اقتراح جونار يارنج مبعوث الامين العام للأمم المتحدة عقد اجتماعات مشتركة مع الوفد الاسرائيلى تحت رئاسته ومهما حدث فى المستقبل فان حرب يونيو ١٩٦٧ قد اعطت إسرائيل قدرا من الأمل كبر عن ذى قبل ، وإذا كانت لم تستطع تحقيق السلام لها فإنها مكنتها من تحمل عدم تحقيقه وإنتظاره وهى فى وضع أكثر أمنا .

(و) موقف الإدارة الأمريكية الجديدة :

١ ـ جاء نيكسون إلى السلطة على أساس برنامج الحزب الجمهورى، الذى تعرض لمشكلة الشرق الأوسط من زاوية الحرب الباردة .

. كما أكد نيكسون فى خطابه أمام مؤتمر البناى بريث يوم ٦٨/٩/١٠ أن هذه المشكلة فى جانب منها تمثل محاولة الاتحاد السوفييتى كسب منطقة الشرق الأوسط، ثم أضاف يجب أن نبين للسوفييت، بما لايدع مجالا للشك كل تصميم من جانبنا بحيث نجبرهم على إعادة تقييم سياستهم لتجنب صدام مع أمريكا، وأكد نيكسون فى هذا الخطاب أن مساندته لاسرائيل

«ليست من قبيل الدعاية أو لجذب أصوات اليهود، بل نتيجة للاعتقاد بأنها مهددة من الاستعمار السوفييتى من ناحية، ولأن وجودها يحقق الآمال البعيدة داخل منطقة الشرق الأوسط من ناحية أخرى» .

ويتلخص الموقف الأمريكى تجاه إسرائيل حين تولى نيكسون رئاسة الجمهورية فيما يلى :-

- الالتزام الثابت والقوى بضمان وجود إسرائيل.

- ضمان تفوق إسرائيل عسكريا على الدول العربية مجتمعة كحل قصير الأجل للمشكلة.

- تشجيع قيام محادثات مباشرة بين العرب وإسرائيل.

٢ - وكان بيان وزير الخارجية روجرز فى ٦٩/٣/٢٧ أمام لجنة الشئون الخارجية، اول مناسبة لتفصح فيها الادارة الجديدة رسميا عن سياستها إزاء إسرائيل . وفيه أعلن روجرز تأييده لإسرائيل فى طلبها اجراء مفاوضات مباشرة (اتفاق الطرفين عن طريق التزامات تعاقديه) كما رفض اعتبار انسحابها شاملا لجميع الاراضى العربية المحتلة، وأكد حقها فى استخدام قناة السويس، ومضيق تيران.

وعبر «روجرز» عن اهتمام الولايات المتحدة بتسوية النزاع نظرا لأن مصالحها تتأثر نتيجة لعدم التوصل اليها .

٣- يقودنا ذلك إلى الاشارة إلى الخلاف الرئيسى بين هذه الإدارة وتلك السابقة لها من حيث مدى الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة فى الأزمة، فالموقف السلبى لحكومة جونسون والذى

محصله « ترك الأمور للأطراف المعنية» كانت نتيجته - كما أثبت التطبيق - تزايدا فى حدة الأزمة (ومن ثم تزايدا فى الوجود السوفييتى بالمنطقة) الأمر الذى بسببه قررت إدارة نيكسون التدخل إيجابيا فى الأزمة وفى هذا المعنى صرح نيكسون فى ٧/١٠/٦٨ بقوله : «إننى اعتقد أن مشكلة الشرق الأوسط يجب أن توضع فورا على بساط البحث بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى» .

٤- لقد أدى التحرك الأمريكى فى إطار الأزمة بهدف تجميد النشاط السوفييتى بالمنطقة إلى إثارة بعض مظاهر التناقض بين السياسة الأمريكية والسياسة الإسرائيلية، وهو تناقض لم يكن له محل قبل عدوان إسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ ، ونعنى بذلك أنه بينما تسعى الولايات المتحدة بتأثير مصالحها الاستراتيجية والمالية إلى تأمين النظم المحافظة فى المنطقة . فان إسرائيل تعتمد فى توسعها بل وحماية لأمنها ذاته، على حساب دولة ذات نظام محافظ كالأردن مثلا.

كذلك فمع كون مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل تتفق على ضرورة إذلال النظم الثورية بالمنطقة وحصارها، ان لم يتيسر القضاء عليها،فلا يعنى ذلك بالضرورة أن تطابق المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة بالضرورة مصالح اسرائيل فى المنطقة حيث الأولى أعمق وأشمل .

٥ - ومن هنا عبر المسئولون الاسرائيليون فى أكثر من مناسبة عن قلقهم من أن تعمد الولايات المتحدة فى سبيل تحقيق هدفها من تجميد الوجود السوفيتى إلى المساومة على ماتصفه بمصالحها

الحيوية وفى هذا المعنى صرح آبا ابيان يوم ٦٩/٥/٨ فى القدس بأن السياسة الأمريكية تعطى أقل ترضية ممكنة لمصالح إسرائيل الاساسية بينما تساوم مع الاتحاد السوفيتى الذى لا تهمه مصالح اسرائيل على الاطلاق .

- وقد يرى فى مثل هذه المواقف أن تصريحات ساسة اسرائيل عامل مساعد يساند المناورات الأمريكية وتجد إسرائيل فى ذلك دعما مكشوفا داخل الولايات المتحدة، ومثاله الإعلان الصادر بمناسبة الذكرى الحادية والعشرين لتأسيس إسرائيل والذى أعلن عنه يوم ٦٩/٥/٢٣ ووقعه ٥٩ سناتور (من ١٠٠ جملة أعضاء السناتو) و٢٣٨ نائبا (من ٤٣٥) وفيه طالبوا بأن تلتزم الولايات المتحدة بالتأييد المطلق للمفاوضات المباشرة بين العرب وإسرائيل، ومعارضتها لأى ضغط بهدف إنسحاب إسرائيلى غير مشروط.

٦ - لقد قدمنا القول بأن الحكومة الأمريكية تسلم بضرورة التفاوض المباشر بين العرب إسرائيل (وما صيغة رودس إلا أعمالا له فى إطار قرار مجلس الأمن) كما تسلم إبتداءاً بعدم إنسحاب إسرائيل من المناطق المحتلة قبل الوصول إلى تسوية، بيد أن الولايات المتحدة تدرك فى نفس الوقت أن أى حل تسفر عنه تسوية تعتمد على التفاهم مع الأتحاد السوفيتى لن ترضى جميع أطراف النزاع، فإذا تصورنا إمكانية نجاح الولايات المتحدة من خلال هذا التفاهم فى التوصل إلى صيغة تقضى بإعتراف جمهورية مصر العربية بإسرائيل وقبول الصلح معها (وهو ما تتوقع أن يؤدى إلى سقوط النظام فى مصر أو على الأقل

تجميده) فإنها على استعداد للقبول بإنسحاب إسرائيل من كافة أراضى مصر المحتلة «تم ذلك بإتفاقية كامب ديفيد» .

وفى هذا المعنى صرح «سيسكو» مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط يوم ٦٩/٤/٢٧ بقوله «إن هناك من يعارض فى دخول الولايات المتحدة مباحثات القوى الكبرى حول أزمة الشرق الأوسط (يعنى إسرائيل وأنصارها داخل الولايات المتحدة)، وفى حين أن الولايات المتحدة لن تساوم على أمن أى دولة بالمنطقة، ألا أن الأمر يعتمد على المساومة للوصول إلى حل وسط مع ضرورة أن يعتمد مثل هذا الحل على التفاوض المباشر بين الطرفين» .

٧ ـ لقد قدمت الإدارة الأمريكية فى المباحثات الرباعية بين القوى الكبرى وفى المباحثات الثنائية بينها وبين الإتحاد السوفيتى (وهى تولى المباحثات الأخيرة القسط الأوفى من عنايتها) عدة مشروعات لتسوية أزمة الشرق الأوسط اجتمعت كلها على هدف رئيسى ثابت هو ضرورة توقيع الطرفين على وثيقة صلح يتوصل إليها بطريق التفاوض، ويترتب عليها حالة سلام رسمى وإعتراف متبادل. أى أن الهدف بالتحديد هو إرغام مصر على التراجع عما سبق والتزمت به أمام الرأى العام والحكومات العربية بأنه «لا صلح ولا إعتراف ولا مفاوضة مع إسرائيل» .

٨ ـ ويمكننا تلخيص الأسلوب الذى اتبعته الإدارة الأمريكية وصولا نحو غايتها فى محاولة الضغط على الاتحاد السوفيتى ـ من خلال المساومات التى أشار إليها سيسكو لتقديم تنازلات تتعلق

بالمفاوضات وضمانات الصلح بين مصر وإسرائيل (باعتبار أن هذا هذا الجانب من النزاع كان مدار المباحثات الثنائية) مقابل ما أبدته من إستعداد لإعادة أراضى مصر المحتلة فى عدوان ١٩٦٧ .

وإزاء رفض السوفييت لهذا التنازل الحيوى للسياسة الأمريكية، فقد تعثرت المباحثات الثنائية، ومن ثم أصيبت الجهود الدولية لتسوية الأزمة بحالة من الجمود. والمحصلة هى أنه بقدر إنكماش هذه الجهود، فإن العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية تتحرر من مظاهر التناقض الذى أشرنا إليه، بما يترتب على ذلك من تهيئة مجال أوسع للسياسة العدوانية الإسرائيلية بدعم سياسى مكشوف من الولايات المتحدة.

واعتمادا على ذلك فإنه يمكن القول بأن الولايات المتحدة تتجه إلى التحرك فى شرق أوسط غير مستقر، يجرى استقطاب دوله بين الشرق والغرب، وهو الأمر الذى يناسب مصالح إسرائيل فى هذه المرحلة.

القسم الثالث عشر

رؤية عامة لحرب يونية ١٩٦٧

رؤية عامة لحرب يونية ١٩٦٧

١ - أهداف الحرب:

باعتراف كل الأطراف وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية لم تك لمصر أهداف فى قيام الحرب. وبإعتراف مسئول أمريكى كبير فإن مصر لم تكن لها النية ولا القدرة لشن حرب ضد إسرائيل، وكل ما قامت به مصر هو محاولة منع إسرائيل من الإنفراد بكل دولة مواجهة على حده وهو أمر لا يتصل بدعم سوريا أو الأردن بل يدخل فى صميم الدفاع عن مصر نفسها، إذن فالأهداف التى يمكن الحديث عنها هى أهداف خاصة بإسرائيل وبحليفتها - حتى الآن - الولايات المتحدة الأمريكية ويكفى أن نعلم أن المسئولين والموظفين الأمريكيين عندما وصلتهم أنباء الهزيمة العربية هللوا وصاحوا فرحين.

وبما أن الأهداف مشتركة أى إسرائيلية - أمريكية فلن نفصل بينها بل نوجزها كأهداف مشتركة.

(أ) ضرب مصر وعزلها:

فضرب مصر فى حد ذاته ليس هدفا ولكن المقصود هو ضرب القدرة العسكرية والاقتصادية لمصر حتى تخرج أكبر قوة عربية من المعركة، وهو هدف استراتيجى إسرائيلى أمريكى يجعل التسوية فى الشرق الأوسط ممكنة وميسره.

(ب) ضرب هيبة الزعامة العربية:

وثانى الأهداف المشتركة كان ضرب هيبة جمال عبد الناصر وإنهاء زعامته للعالم العربى وهو أمر يخدم أو يكمل الهدف الأول. لأن زعامة عبد الناصر لم تكن مصرية بل عربية ولذلك فإن ضرب هذه الزعامة وإذلالها يؤدى إلى تفكيك البناء وإنهياره.

(جـ) وقف التطور الإجتماعى:

وهذا الهدف يعنى الولايات المتحدة فى المقام الأول، لأن القيادة المصرية كانت تضع فى مصر لبنة نظام اشتراكى وتدعو غيرها كنموذج لأن يحذو حذوها، وهذا النموذج يتناقض مع مجمل الرؤية الأمريكية لإدارة العالم ومحاربة الشيوعية.

(د) تحويل مصر إلى شريك وليس عدو:

وذلك بإجراء تسوية منفردة بعد نهاية جمال عبد الناصر وكان هذا هو التصور الإسرائيلى - الأمريكى وأن تكون هذه التسوية التى أرتضها مصر أكبر دولة عربية نموذجا من أجل إنهاء الخلاف العربى الإسرائيلى .. وهذا الإنهاء ليس مهما فى حد ذاته بل من أجل هدف أسمى لأمريكا.

(هـ) محاصرة الاتحاد السوفيتى:

وكل الإجراءات السابقة تعتبر بالنسبة للولايات المتحدة إجراءات لتحجيم وضرب النفوذ السوفييتى وهى أهم حلقة فى السلسلة الاستراتيجية الكونية الأمريكية.

(و) تحويل الشرق الأوسط إلى كيان منسجم:

وهو أمر يمكن توضيحه ببساطة بالرجوع إلى المشروع الشرق أوسطى الخاص بالسوق الواحدة والذى يمكن تطويره لآليات دفاع واحدة.

٢ - أسباب ماحدث:

وقد اخترنا هذا العنوان مفضلين عنه أسباب الهزيمة أو أسباب الانتصار لأن هذا العنوان يجمع الأثنين معا.

(أ) أسباب الهزيمة:

- أولا قبل الدخول فى أسباب الهزيمة بشكل يؤدى بنا إلى وضع من يدخل فى كهف مظلم ويرضى ما يراه، وكان عليه أن يحذر قبل الدخول إلى الكهف وأن يصفه فى النور من الخارج لتتضح الرؤية. والذى يدعو إلى هذا الحذر أن كثيرا من المحللين والمعلقين استسهلوا مامسكوا الخيط من آخره وأخذوا ينسجون. المهم أن تكون الرؤية واضحة أولا وأن نضع أيدينا على لب الهزيمة ثم لا مانع من سرد الأسباب الأخرى لأن طبيعة - الكون والحياة تقول بأن هناك عامل أساسى وعوامل فرعية أو ثانوية، وعلينا أن نمسك بهذا العامل الأساسى حتى لايكون

تحليلنا مسيرا - ونحن معصوبى الأعين - خلف تحليلات أخرى غير متعاطفة وغير موضوعية على النحو الذى قرأناه من قبل.

- يمكننا القول - من أجل مصر والعرب وليس من أجل شخص أو فترة تاريخية - أن مربط الفرس كما يقول العرب كان التكنولوچيا الأمريكية التى هزمت حتى الاتحاد السوفيتى فيما بعد، ومضافا إلى التكنولوجيا الضعف المصرى أو الخلل المصرى، إذن نقول بإطمئنان أن العامل الرئيسى فى الهزيمة كان محصلة التكنولوجيا - الخلل.

التكنولوچيا الأمريكية من ناحية أعطت لإسرائيل إلى جانب السلاح المتطور، معلومة غالية لاتصل إليها إسرائيل إلا بأقمار أمريكا التجسسية وهى الأقمار التى قيل فيما بعد أنها تتمكن من رصد «تيكت» فانلة الرئيس صدام حسين ابان عاصفة الصحراء، والتى قال عنها أحد علماء الإتصالات الإلكترونية الفضائية أنها تتمكن من رصد كرة تنس تتحرك فى أحد الملاعب. هذه التكنولوچيا الفائقة أعطت القيادة الإسرائيلية وهى تشرب القهوة أو المرطبات أعطتها معلومات غالية عن موقع كل قطعة طيران وكل تحرك على الأرض المصرية، وهو أمر يماثل أن يقيد عملاق أحد المحاربين ويطلب من خصمه مجرد التنشين.

- هذا عن التكنولوچيا الفائقة الرهيبة وهنا نأتى للقطب السالب وهو الخلل المصرى ولا أقول العربى لأن مصر القائدة هى التى تحمل الوزر، الخلل المصرى تمثل فى ترك قيادة القوات المسلحة بيد شخص لا يرقى لمستوى المسئولية والمواجهة والذى ترك الطيران عار كالبط يدعو كل صياد إلى ضربه والذى

حول القوات المسلحة إلى أداة سياسية وأدخلها إلى نعيم الامتيازات ودخل فى صراع محسوب قلم فيه من قدرات القيادة السياسية التى لم تكن قيادة مغامرة لأنها لو كانت كذلك لانهت وجود المشير وهى تعلم مثالبة ولكنها كانت قيادة تحسب بالأرقام وتعد الخطوات وكانت تحتاج فى تعاملها الداخلى إلى جزء من عقلية المغامر.

- وهذا التصور قد يبدو فى الظاهر عاطفيا ولكنه العقل ذاته حتى لا نعود إلى تكرار أخطائنا وكذلك حتى لا نمسك بالجنازير ونضرب ظهورنا لنوجعها ونعذب الذات، وفى اليوم الذى تتضح لنا فيه هذه الحقيقة أى التكنولوچيا ـ الخلل سنلقى بالجنازير جانبا ونتفهم مواقفنا بعقلانية وردية.

٢ ـ وبعد ذلك لا بأس من إيراد الأسباب الثانوية للهزيمة ومنها قوة الدور الأمريكى الداعم لإسرائيل وضعف الدعم السوفييتى للعرب وإنعدام التنسيق العربى، وتفسخ العلاقات العربية وإصطياد مصر وقواتها فى اليمن، وسوء التقدير العسكرى والسياسى والافتقاد إلى المرونة السياسية وأيضا غياب الديمقراطية وإنحسار دور الجماهير فى مصر ودول العالم العزبى.

(ب) أسباب الانتصار الإسرائيلى:

١ ـ وبنفس الرؤية لا يجب أن نضخم من النصر الإسرائيلى إذا وضعنا فى الاعتبار الصيغة التى أوضحنا ها وهى التكنولوجيا ـ الخلل وهنا ينحسر النصر الإسرائيلى ليتحول إلى محصلة أتفاق على اغتيال أو ما يعرف فى أوساط المافيا بـ «الكنترات» أو العقد لعمل ما والأداة هنا التى تضغط على الزناد هى إسرائيل.

٢ ـ ومع ذلك نورد الأسباب الثانوية أو المساعدة ومنها استخدام إسرائيل للضربة الأولى وهى تعطى ميزة أكثر من ٢٥٪. بالإضافة إلى الضربة المفاجئة التى تعطى ميزة لا يمكن التنبؤ بنسبتها، وأيضا إفراط القوات المسلحة الإسرائيلية فى التزود بالسلاح المطور وإتقان التدريب عليه واستخدام القسوة والوحشية أثناء العمليات القتالية بما يؤدى إلى التدمير الشامل والإبادة وليس الإعاقة والامتناع عن قتل الأسرى واستخدام الأسلحة المحرمة دوليا مثل النابالم، والقيام بطرد السكان المدنيين لاحداث فوضى داخل أرض العدو.

٣ ـ بعض نتائج الحرب:

(أ) نهاية الناصرية:

كانت حرب ١٩٦٧ بحق هى الضربة القاضية التى أنهت حياة الرئيس جمال عبد الناصر وأدت مع تولى خلفه الرئيس أنور السادات إلى إنتهاء السيادة الناصرية مصريا وعربيا وهو انتصار لأحد أهداف التحالف الأمريكى ـ الإسرائيلى.

(ب) عزلة مصر:

عندما تبينت مصر بزعامتها الجديدة أن ٩٩٪ من الأوراق بيد الولايات المتحدة عمدت إلى تحويل الدفة غربا بعد حرب ١٩٧٣ مباشرة أنتهاء بتوقيع اتفاق كامب دافيد.

(جـ) تعدل النظام الإجتماعى ـ السياسى:

وأدى تحويل الدفة ناحية الغرب إلى تبنى الديمقراطية وإقتصاديات السوق الحرة وهو تحقيق لأحد الأهداف المشار إليها من قبل.

(د) دعم التنسيق المصرى الأمريكى:

ولما كانت ٩٩٪ من الأوراق بيد الولايات المتحدة فى التصور المصرى فى عهد الرئيس السادات فقد أدت طبيعة الأشياء إلى دعم التنسيق المصرى الأمريكى وهو نجاح للرؤية الأمريكية المشار إليها من قبل.

(هـ) محاصرة الاتحاد السوفيتى:

وأيضا أدت نتائج حرب ١٩٦٧ إلى ضرب النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط الذى أخذ يتخبط بعد ذلك، وهو إنجاز للرؤية الأمريكية المشار إليها من قبل.

(و) تحول الشرق الأوسط إلى وحدة سياسية وإقتصادية وأمنية:

وهذا أمر لا يزال قيد التطبيع وهو ماعرف فيما بعد باسم السوق الشرق أوسطية والنظام الشرق أوسطى وهى أمور يمكن إنجازها بعد السقوط السوفيتى والدخول إلى عالم جديد تماما لم تتضح أبعاده حتى الآن.

(ز) تنامى الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط:

وهذا التنامى لم يبدأ فى عهد السادات بل بدأ فى عهد عبد

الناصر فى المرحلة التى سبقت حرب الاستنزاف، فقد تقدمت الولايات المتحدة بمشروع اتفاقية تمهيدية تتفاوض حولها إسرائيل ومصر تحت إشراف الأمم المتحدة ومبعوثها السفير جونار يارنج بهدف تحقيق سلام يتفق ومضمون القرار ٢٤٢ .

وتضمن المشروع مايلى:

١ ـ تخطيط حدود آمنة ومعترف بها.

٢ ـ الإمتناع عن إستخدام القوة المسلحة فى العلاقات.

٣ ـ التعهد بحل المنازعات بالطرق السلمية.

٤ ـ إقامة مناطق منزوعة السلاح علَى الحدود.

٥ ـ تأمين حرية الملاحة فى قناة السويس وخليج العقبة.

وقد أعترضت مصر على هذه الرؤية بوصفها منحازة لإسرائيل واستمرت حرب الاستنزاف إلى أن أعلن «وليام روجرز» وزير خارجية الولايات المتحدة مبادرته الأولى التى تشمل على:

١ ـ التقيد الكامل بترتيبات وقف إطلاق النار.

٢ ـ أن تقوم أطراف النزاع بإعادة دراسة المشكلات التى تعوق الاتفاق بينها.

٣ ـ جولة مفاوضات بين الأطراف تحت إشراف يارنج.

٤ ـ الحد من صادرات السلاح إلى دول النزاع فى الشرق الأوسط.

وقد ألمح الرئيس جمال عبد الناصر إلى إمكانية التعامل مع المبادرات الأمريكية فى خطابه فى عيد العمال ١/٥/١٩٧٠، فى يونيو ١٩٧٠ أعلن روجرز عن مبادرة جديدة مؤداها:

١ ـ دعوة الطرفين للتقيد بوقف محدود لإطلاق النار على جهة قناة السويس لمدة ثلاثة شهور.

٢ ـ دعوة إسرائيل لإصدار بيان بالاستعداد بالإنسحاب من معظم الأراضى العربية المحتلة باستثناء مرتفعات الجولان لأن سوريا لم توافق بعد على القرار ٢٤٢ وكذلك القدس الشرقية التى تجرى بشأنها مفاوضات مشتركة.

٣ ـ استئناف مفاوضات بين الطرفين بإشراف السفير يارنج.

وقد وافق الرئيس جمال عبد الناصر على مبادرة روجرز وفى يوليو ١٩٧٠ أعلنت إسرائيل موافقتها أيضا على المبادرة.

القسم الرابع عشر

حرب الاستنزاف

١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

حرب الاستنزاف ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

تعتبر حرب الاستنزاف إستمرارا لحرب ١٩٦٧ لأن التوقف عند حد الأيام الستة يعنى أن الأعمال الحربية قد توقفت تماما، ولكن الواقع يوضح أن مصر كانت تستعد دوما لاستئناف القتال وتصحيح الأوضاع، ومع ذلك فإن حرب الاستنزاف تعد إحدى نتائج أوذيول حرب ١٩٦٧ ولذا أفردنا لها مكانا خاصا.

(أ) البداية:

كانت حرب الاستنزاف التى بدأتها مصر تهدف إلى تغيير «قواعد اللعبة» التى ترتبت على نتائج حرب الأيام الستة. فلقد كانت محصلة هذه الحرب لأول مرة خلق حالة خاصة من تغيير طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى. من محصلة صفر إلى «أهداف مشتركة» فللمرة الأولى منذ سنة ١٩٤٨ أصبح هناك احتمال مساومة حقيقية حول المسائل المختلفة. تعرض إسرائيل الأرض التى أحتلتها غزوا فى مقابل استقرار سياسى للصراع العربى الإسرائيلى. فقد أملت إسرائيل فى أن تحصل من خلال تفوقها الاستراتيجى وقبضتها على

الأراضى المحتلة على تأمين لسلام حقيقى. ولقد اضطرت إسرائيل لتأكيد سيطرتها وتفوقها الاستراتيجى على أثر الموقف العربى فى مؤتمر الخرطوم فى أعقاب حرب الأيام الستة، الذى رفض التفاوض مع إسرائيل من موقف الضعف.

ولم تبد الدولتان العظميان مرونة تذكر لتقريب طرفى النزاع العربى فى مفاوضات. حيث كان الشرط الرئيسى للمفاوضات المحتملة هو بعض احتمالات التغيير فى موازين القوى. فعلى سبيل المثال تحصل مصر على الأرض دون ضمانات سلام لإسرائيل. وترى إسرائيل حرب الاستنزاف المصرية على أنها محاولة لتغيير الأوضاع الحدودية بتغيير الميزان الاستراتيجى. فالحفاظ على التفوق الاستراتيجى الإسرائيلى كان الشرط لتأكيد الوضع السياسى والحدودى.

وعندما أصبحت التحديات العسكرية المصرية مؤثرة، قررت إسرائيل أن تستعرض تفوقها الاستراتيجى فأرسلت قواتها الجوية للحرب فى يوليو ١٩٦٩ للحد من مكاسب مصر العسكرية من حرب الاستنزاف ولمنع القوى العظمى من إتخاذ موقف سياسى ضد موقف إسرائيل المعلن.

ويبدو أن جهود استعراض تفوق إسرائيل الاستراتيجى قد أسفر عن جهد مضاد قلل من هذه الاستراتيجية المتفوقة. حيث أن روسيا لم تستسغ هذا الجهد التفوقى الإسرائيلى. لقد رضيت الولايات المتحدة بالتغلغل السوفييتى كطريق وحيد لبقاء نظام ناصر طالما أنها لاتستطيع الإمساك بزمام إسرائيل. لقد هدفت روسيا ومصر لخلق

توازن إستراتيجى كشرط ضرورى لكسر الجمود وخلق تحرك دبلوماسى لتغيير الوضع الحدودى الذى نشأ بعد حرب الأيام الستة.

ولقد حققت التدخلات السوفييتية فى حرب الاستنزاف أهدافها. فقد اضطرت الولايات المتحدة لإعادة النظر فى سياستها فى المنطقة. فقد هدفت السياسة الأمريكية الجديدة أولا: تقليل مخاطر المواجهة بين القوتين، وتحديد الوجود الروسى فى الشرق الأوسط. وثانيا: زيادة النفوذ الأمريكى فى البلاد العربية. وتأمين القبول كحقيقة قادرة على تطوير الاستقرار السياسى فى المنطقة. ولقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية كممول رئيسى لسلاح إسرائيل وكضامن لتفوقها الاستراتيجى، نجحت فى إقناع كل من مصر وإسرائيل لإنهاء الحرب وبدء الحوار.

وهكذا ـ وعلى عكس الحروب السابقة فقد انتهت حرب الاستنزاف بدون قرار حربى واضح قاطع. انتهت بإنسحاب استراتيجى من كلا الطرفين.

(ب) تغير التوازن الإستراتيجى:

وعلى مدى تاريخ المواجهة الشرسة فى الصراع العربى الإسرائيلى، كانت هى الحرب الأولى التى لم يكن من الممكن إيضاح النصر من وجهة النظر العسكرية الخالصة. ولهذا كله فإنه لا شك أن التوازن الإستراتيجى بين مصر وإسرائيل قد تغير بالمقارنة بالوضع فى نهاية حرب الأيام الستة. فقد غيرت مصر من وضعها الإستراتيجى بشكل واضح عن طريق التدخل العسكرى السوفييتى

المباشر فى الحرب، الذى مكن مصر من العثور على إجابة عسكرية وسياسية للتفوق الإستراتيجى التصحيحى الإسرائيلى الذى اثبتته غارات العمق الجوى. فقد تدهور الموقف الاستراتيجى الإسرائيلى بشكل مباشر عما كان عليه هذا التفوق الذى ظهر فى نصر حرب الأيام الستة. وعندما حاولت إسرائيل ترجمة تفوقها الإستراتيجى للحرب من أجل الحفاظ على مصالحها الإستراتيجية، فقد تطلب هذا البعد عن أى إستهلاك للتعبير عن هذا التفوق. فى التمسك بتوازن دقيق بين الاستقلال العلمى لتفوقها فيما يعرف باسم الموقف العسكرى ومايتطلبه ذلك من تعامل مع المعسكرين أو القوتين الأعظم. فقد فقدت إسرائيل توازنها هذا بغاراتها فى العمق. إذ كان الهدف من الغارات هو تأمين المكاسب العسكرية والسياسية. ولكن احتمالية الإرتفاع بمستوى العمليات سياسيا وعسكريا لمستوى التدخل السوفييتى فى الحرب قد تجوهل. فقد أدى هذا التدخل إلى تحييد التفوق الإستراتيجى الإسرائيلى وإنتهت حرب الإستنزاف دون أن تجد إسرائيل إجابة على مسألة الصواريخ.

لقد أثر البديل الإستراتيجى على البديل السياسى. على الرغم من عدم تغيير الوضع الحدودى. وقد تغيرت العلاقات بين الميزان الإستراتيجى والميزان السياسى الذى ترتب على حرب الأيام الستة. فلقد قللت ظروف حرب الاستنزاف ـ خاصة الحضور السوفييتى العسكرى فى مصر ـ قدرة إسرائيل السياسية فى الصمود أمام تحرك القوتين الأعظم الدبلوماسى من أجل استقرار الأوضاع فى الصراع. والدليل على أن إسرائيل قد فقدت معايير ثقتها فى نفسها وقدرتها

على مواجهة الضغوط السياسية المضادة ولقبولها السياسى هو فى الحقيقة قبول مبادرة السلام الأمريكية.. قبول الإنسحاب كجزء من شروط وقف إطلاق النار ونهاية الحرب والموافقة على العودة إلى محادثات يارنج بعد أزمة الصواريخ، على الرغم من عدم ترحيب السوفييتى ومصر لقبول الوضع العسكرى الذى ترتب قبل تحريك قواعد الصواريخ. ولقد قاد التغير فى الميزان الإستراتيجى الناجم عن غياب القدرة السياسية والعسكرية لتقييم العمل الخاص بالصواريخ المدعم من قبل الروس قاد إلى تغير فى العلاقات المتبادلة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. فطالما تستطيع إسرائيل التأكيد على الوضع الحدودى والسياسى والعسكرى فهى تستطيع القضاء على التحركات الدبلوماسية وفقا لاوضاعها السياسية. وعلى هذا فإن غارات العمق الجوية والتى كانت تهدف إلى عرقلة خطة روجرز، قادت فى النهاية إلى تبنى خطة السلام الأمريكية لإنهاء الحرب. وقد كان قبول إسرائيل راجعا إلى حاجتها لتأكيد إستمرار دعم الولايات المتحدة الأمريكية السياسى والعسكرى. وقد تزايد إعتماد إسرائيل السياسى والعسكرى على الولايات المتحدة. وفقدت إسرائيل وضعا سياسيا وعسكريا لأنها كان عليها أن تحصل على دعم قوة كبرى عندما أضطرت إلى مواجهة قوة عظمى أخرى. وكان نجاح إسرائيل الرئيسى فى حرب الاستنزاف هو منع مصر من تأمين أى مكاسب حدودية مهما كانت.

وما كان يحرك إسرائيل طوال الحرب هو الخوف من أن أى تغير فى الوضع الحدودى مهما كان محددا قد يقود فى المستقبل إلى

ضغوط سياسية وعسكرية على جانب القوى العظمى لتأمين إنسحاب إسرائيلى غير مرغوب.

وقد كانت مصر من حرب الاستنزاف فى خط مضاد مباشرة لمكاسبها العسكرية . وقد فشلت استراتيجية الاستنزاف من وجهة النظر العسكرية البحتة ولكنها نجحت سياسيا، فقد نجحت مصر فى تحسين ميزانها الاستراتيجى فى مواجهتها إسرائيل عن طريق القدرة على الحصول على تدخل عسكرى سوفييتى فى الحرب عندما اجبرت الجيوش على مواجهة الحائط وقد قوى هذا من وضعها السياسى. وقد استطاعت مصر أن تحصل على مبادرة امريكية عن طريق توجيه القوى الاعظم لاستراتيجيتها الواقعية فى المنطقة . بل وتوجهها كى تقبلها اسرائيل . وقد استطاع جمال عبد الناصر أن يجعل اسرائيل تتيح الفرصة لمطالب فى المباحثات المباشرة ووقف نار غير محدود. ولاول مرة منذ حرب الايام الستة تقرر استعدادها للانسحاب. وما كان مجهولا هو سعى حكومة إسرائيل للاطاحة بعبد الناصر والتى أدت إلى هلع فى النهاية فى إسرائيل . فلقد زاد اعتماد مصر سياسيا وعسكريا على الاتحاد السوفييتى فى اطار الحرب ولكن بالاتفاق على مبادرة السلام الأمريكية والحوار مع الولايات المتحدة فتح عبد الناصر الطريق لمستقبل اعتماد مصرى على الاتحاد السوفييتى ولكن خليفته أنور السادات استفاد من هذا الاحتمال .

....

(جـ) ادراك النتائج.

قويلت نتائج الحرب بطريقة مختلفة من كل من الجانبين . فكل رأى أن الحرب قد انتهت بانتصار داخلى ادى فى النهاية إلى عملية سياسية انهت الحرب . وقد كان كل طرف مهتما فى الأساس بتقييم العلاقة بين نتائج الحرب وأهدافها وتوقعاتها أثناء الحرب وقبلها . ولكن هذا التقييم لم يحمل بموضوعية خالصة ولكن وفقا لأمانى ورغبات كل جانب .

وكانت نتائج الحرب وأثرها ذات أثر على الفعل العسكرى والسياسى فى الفترة مابين نهاية حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر١٩٧٣ .

وفى إسرائيل كان للحرب أثرها على مستويين: حكومى وترى أنها كسبت الحرب على الصعيدين السياسى والعسكرى. وشعبى : يرى أن إسرائيل قد خسرت الحرب ويقف فى هذا المعسكر عازر وايزمان وماتى بيليد. ويرى الموقف الحكومى انتصار الحرب نظرا لأنها لم تغير من الموقف بعد ١٩٦٧ على الصعيدين السياسى والعسكرى . ولم تحقق انتصارا لمصر من أى نوع ، خاصة الوضع الحدودى . ولم يكن قبول إسرائيل للمبادرة الأمريكية من قبيل الفشل على العكس فقد اعربت المبادرة عن نجاح اسرائيل وأعربت عن رغباتها لتأمين وقف اطلاق النار. ولم يكن هناك مبرر لعدم قبولها .

وكان نجاح إسرائيل يرجع لادراكها للاجابات الصحيحة لسبب حرب الاستنزاف، والوقوف على الحدود بحزم، وارسال غاراتها إلى

العمق المصرى، فى مواجهة التدخل العسكرى السوفيتى المحدود . وكانت هذه الغارات سببا أجبر مصر على قبول وقف اطلاق النار فقد كانت قدرة اسرائيل على تدعيم تفوقها الاستراتيجى وراء اجبار الاطراف لقبول وقف اطلاق النار .

وعلى العكس فقد وصف « عيزرا وايزمان» الذى كان ثانى أكبر رتبة عسكرية خلال الحرب. وصف الحرب بأنها هزيمة عسكرية وسياسية لاسرائيل . فقد فشلت اسرائيل من وجهة نظره فى تشكيل سياسة عسكرية قوية وطويلة المدى ذات أهداف استراتيجية واضحة، وكذا الفشل فى الجمع بين القوة العسكرية والتحرك السياسى . وثالثا تضخيم الضغوط السياسية الخارجية التى حرمت اسرائيل من الاستخدام الجيد لتفوقها الاستراتيجى .

«لقد كنا فى أعماقنا نخشى الدب الروسى والنسر الامريكى والثعبان الغربى لذا فلم نطلق العنان للأسد الإسرائيلى» . وقد ألقى وايزمان باللوم على وزير الدفاع «موشى ديان» لمخاوفة من الاتحاد السوفييتى التى لم يعلنها فقط داخل الحكومة ولكن على العامة أيضا. وقد كان هذا الموقف مؤثرا على حرب ٦٩ ـ ١٩٧٠ . وقد استغل الروس هذا التردد ليظهروا بقوة وبسرعة .

وهو يلخص الموقف فى ان غياب الأهداف السياسية والعسكرية الواضحة والسلوك غير المنضبط فى الحرب والتقدير المبالغ فيه للضغوط السياسية قادت إلى إنهاء الحرب دون نصر حاسم .

ومن هذا الرأى ايضا نجد « ماتى بيليد» الذى اعتقد أن اسرائيل قد فشلت فى الحرب ذلك انها فشلت فى الاطاحة بنظام الحكم

بغاراتها فى العمق .. وثانيا انها بالغت فى تفوقها الإستراتيجى. وثالثا لأنها لم تستطع تحديد النفوذ السوفييتى، ورابعا قبلت وقف إطلاق النار دون محاولة تأمين إمكانية إستغلال السوفييت لهذا الموقف.

وقد أثارت اختلافات وجهات النظر الإسرائيلية حول الحرب ونتائجها الدهشة إذ كان التفسير الحكومى مثيرا. فقد تم التوصل لهذه الآراء دون اختبار موضوعى لعوامل النجاح والفشل. ويرجع وايزمان هذا لضيق افق إستراتيجى. يهدف إلى عملية «غسل مخ» جماهيرية من خلال وسائل الإتصال والإعلام المباشر.. ويقول وايزمان: «إن الحكومة نفسها قد صدقت هذا، لقد قبلت إسرائيل المباردة الأمريكية فى الوقت الذى أعلنت فيه أنها مبادرة لاتحقق الأهداف المرجوة ولكن الحقيقة أن قبول المبادرة كان من موقع «اللاخيار».

لقد كان وايزمان محقا فى تقييم الوضع الإسرائيلى بالفشل، ولكن لم يكن سهلا قبول مبررات هذا الفشل . فمن الصعب الموافقة على رأيه من أن إسرائيل لم تستغل تفوقها الإستراتيجى. ألم يكن من المحتمل إذا ما استغلت إسرائيل تفوقها الإستراتيجى أن تزداد حدة المواجهة مع الاتحاد السوفييتى؟ ألم يكن من المحتمل لو أن إسرائيل واجهت التحرك السوفيتى أن تقع فى فخ أشق عليها من غاراتها فى العمق؟ لقد انتهت الحرب دون إجابة صريحة حول مسألة الصواريخ.

فى فبراير ومارس سنة ١٩٧٠ رفضت الحكومة الإسرائيلية مشروعات وقف إطلاق النار المؤقت وبدأت حوارا مع مصر . وتجاهلت أيضا اقتراح وزير داخليتها موشى شابيرو فى أن تعلن

إسرائيل وقف إطلاق غير مشروط، ووقف غاراتها لثمان وأربعين ساعة أو اثنتين وسبعين كما فعلت الأمم المتحدة فى فيتنام كخطوة لوقف الحرب. وكذا موقف الحكومة الإسرائيلية المعارض لإقتراح د. ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودى العالمى فى مارس ١٩٧٠ للذهاب لمصر والبحث عن محادثات مصرية إسرائيلية. رغم عدم عزمه على تمثيل إسرائيل فى هذه المحادثات.

لقد رفضت حكومة جولد مائير هذه الاقتراحات على أساس أن عبد الناصر يجب أن يشعر بأنه هزم فى حرب الاستنزاف. ولكن إسرائيل فشلت فى اقتناص الفرص لإنهاء الحرب بمبادرتها الخاصة فى التوقيت الإستراتيجى. وأجبرت على ذلك تحت شروط إستراتيجية محبطة.

وقد ترتب على ذلك أن حرب «يوم كيبور» «يوم الغفران» بنيت على أساس التقدير الخاطىء لمدى فاعلية الجهود السلمية ومدى تفوق القدرة الإسرائيلية ومدى الإستهانة بالقدرة المصرية. ورغم هذا فقد صرح موشى ديان فى يونية ١٩٧٣ بأنه يبدأ حربا ولا يخطط لها ولا يرغب فى توسيع دائرتها ولكنه يسعى لتحجيم العدو ومنعه من بدأ الحرب.

فى يناير ١٩٧٢ خلف دافيد العازر، بارليف وعين تال رئيس أركان بينما وضع شارون رئيسا للقيادة الشرقية. وكان من المتوقع أن يقوم شارون وتال بتغييرات جذرية. ولكن شيئا لم يحدث. نظرا للأنفاق الذى التهمه إعادة بناء خط بارليف.

لقد تجاهل مخططو السياسة الأمنية الإسرائيلية بعض الحقائق

الأساسية التى نتجت عن حرب الاستنزاف. أولا: قرب خط بارليف من خطوط مصر أجبر إسرائيل على دخول حرب الاستنزاف. وثانيا: تقدم نظام الصواريخ لغرب القناة عمل على تحييد تفوق الطيران الإسرائيلى فى قطاع القنال مما خلق وضعا صعبا لدفاع مؤثر على خط بارليف فى حرب مستقبلية. والذى بدا واضحا فى حرب يوم الغفران. ان تصورات إسرائيل السياسية والعسكرية فى يوم الغفران تعود بجذورها للتقييم الخاطئ لنتائج حرب الاستنزاف.

(د) هل كانت حرب الاستنزاف حربا محدودة؟

وهناك تصنيف غربى لهذه الحرب على انها حرب محدودة. ولكنها تخرج عن هذه الدائرة لعاملين:

أولهما، عدم قدرة مصر على فهم وإدارة حرب محدودة. وثانيهما محاولات كل من الطرفين لتوسيع دائرة الحرب أملا فى تحقيق مكاسب سياسية وعسكرية متميزة. فمعظم الأخطاء التى وقعت فيها مصر نبعت من عدم قدرتها على فهم طبيعة الحرب المحدودة. لقد حاولت القيادة المصرية أن تجعل من فرص الحرب المحدودة تناسب الحاجات المصرية دون دراية واضحة بالحدود المتاحة لهذه الإستراتيجية. ولهذا فإن محمد حسنين هيكل قد عبر عن الإستراتيجية المصرية فى حرب الاستنزاف إنها تحقق ماتحققه حرب شاملة. دون تساؤل عن مدى إمكانية ذلك. وهل يمكن أن تستمر الحرب محدودة إذا ما كانت قد استمرت بهذا الهدف؟. إن أهداف مصر لا تعنى بالضرورة ضد أهداف إسرائيل. وأن قدرة مصر على توسيع دائرة الحرب ليس أقل من إمكانية ذلك عند

إسرائيل كى تحافظ على وضعها الحدودى. وبينما اعتمدت إسرائيل على قوة الطيران كان من الواضح أن هناك مؤشرا لفشل مصر إستراتيجيا. فالاعتماد على مقولة الحرب المحدودة لم تكن تعنى هذا لإسرائيل.. وأن التهديد السوفييتى وحده بتوسيع دائرة الحرب هو الذى حمى الإستراتيجية المصرية من الإنهيار تماما.

وحتى تحطيم الشبكة المضادة للطائرات فى نهاية ١٩٦٩ فقد حرصت إسرائيل على وضع رد عسكرى لا يتجاوز حدود الحرب المحدودة. أضافت إسرائيل قوة الطيران بعد يوليو ١٩٦٩ لتمنع عبور القناة.

وعن طريق تدمير الإستعدادات المصرية للعبور وإجبارها على الاقلاع عن الفكرة مؤقتا. فقد منعت إسرائيل إتساع نطاق الحرب. وعلى أى حال فإن تحطيم الطيران الإسرائيلى لشبكة مضادات الطائرات خلال غاراتها فى العمق بعد يناير ١٩٧٠ قاد إلى موقف خطير فى الحرب.

فقد استمرت الحرب محدودة ولكنها الآن تتخطى حدودها القديمة فبغارات العمق اختفت كثرة من ملامح الحرب من مارس لديسمبر ١٩٦٩، فمنذ يناير ١٩٧٠ حتى إبريل ١٩٧٠ أصبحت الحرب من زوايا عديدة حربا جديدة. ذلك أن غارات العمق قدمت تغييرات فى طبيعة خطط الحرب السياسية والعسكرية.

أولا : تغيير الخطط السياسية الإسرائيلية. عن طريق ضرب أهداف محددة.

ثانيا : تحولت الحرب من حرب على جبهة قناة السويس لتصبح حربا لعدد من الجبهات المصرية.

(هـ) الإدراك المصرى:

قامت مصر بتقييم نتائج حرب الإستنزاف كنصر مصرى من وجهتى النظر السياسية والعسكرية. فمن وجهة النظر العسكرية تغيير التوازن الإستراتيجى بين مصر وإسرائيل، الذى قاد إلى مكسب سياسى، المبادرة الأمريكية لوقف إطلاق النار وإستعداد إسرائيل للإنسحاب من أراضى أحتلتها بقبولها المبادرة. وبالمثل فهذه المكاسب أبقت الشعور بأنها غير كافية كى تمكن مصر من تحقيق أهدافها الرئيسية.

ووفقا لعبد الناصر فإنه قد أمكن تغيير الميزان الإستراتيجى بطريقين: «قدرة قواتنا على الرد، وزيادة المساندة العسكرية والسياسية للاتحاد السوفييتى لنا» ولكن الخطة العسكرية فشلت طالما إنها لم تستطع أن تجبر إسرائيل على الإنسحاب من سيناء أو قنال السويس. أو إجبار إسرائيل على قبول حرب محدودة. وكان هذا وراء نجاح الدبلوماسية المصرية. فقدرة مصر على إشراك روسيا فى التدخل العسكرى أجبر إسرائيل على التراجع عن فكرة تفوقها الإستراتيجى. فالتغير فى الموازين الإستراتيجية نجم عن ضغوط القوتين من وجهة نظر إسرائيل.

كانت مصر ترى أن قبول مبادرة روجرز لم يكن كافيا لتغيير الوضع الحدودى. فخلال زيارته لموسكو قال جمال عبد الناصر لبريجنيف: «لا أعتقد أن المبادرة يمكن أن تحقق فرصة نجاح، فأنا لا أقدر نجاحها بأكثر من ٥ ٪».

فلتغيير الوضع الحدودى كان لا بد من تغيير القوة لصالح مصر (القوة الجوية والقوة العسكرية والقوة الاقتصادية). كان عبد الناصر يرى أنه لا بد من موقف عربى فى جانبه يواجه إسرائيل فى الجانب الآخر. وكان وقف إطلاق النار يعنى منع إسرائيل من تحطيم الجهود المصرية لزرع شبكة الصواريخ بالقرب من القناة.

يقول الأستاذ هيكل: «كان أهم شئ فى نظر ناصر هو الإنتهاء من بناء حائط الصواريخ. وعندما يتم هذا فهو لن يحمى قواتنا المسلحة على ضفة القنال بل سيعطى حماية لخط يصل إلى مابين ١٥و٢٠ كم داخل الضفة الغربية للقنال. ومن ثم يغطى قواتنا العابرة القناة عندما يحين الوقت».

إن جذور حرب يوم الغفران تمتد إلى الدروس المستفادة من حرب الإستنزاف. ورغم هذا فقد شعرت مصر فى نهاية حرب الإستنزاف إنها قد قامت بتأمين مكاسب سياسية وعسكرية. أن عبور القناة بحماية مظلة الصواريخ وهو ماوضع موضع التنفيذ فى حرب يوم الغفران، قد وضع بناء على خطة لجمال عبد الناصر قرب نهاية حرب الإستنزاف. يقول هيكل «أعطى عبد الناصر أوامره للجنرال فوزى لإعداد «العملية جرانيت» والتى كانت تعنى الإستعداد لعبور القناة والإنطلاق إلى أبعد مدى فى الممرات فى سيناء.

القسم الخامس عشر

مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل من حرب ١٩٤٨ إلى نهاية حرب ١٩٦٧

مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل

وهى تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

(أ) مساعدات مباشرة تقدم من حكومة الولايات المتحدة أو إحدى مؤسساتها وهذه يعلن عنها عادة.

(ب) مساعدات غير مباشرة، تقدم إما من مؤسسات داخل الولايات المتحدة ـ سواء كانت يهودية أم غيرها ـ وإما عن هيئات أجنبية متأثرة بالنفوذ الأمريكى مثل البنك الدولى.

منذ قيام إسرائيل وفى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٥ بلغت جملة المساعدات الحكومية الأمريكية من معونة فنية ومنح، ومن قانون فائض الحاصلات، وعن طريق بنك التصدير والاستيراد ومن القروض بلغت ١٠٥٤ مليونا من الدولارات، وعموما فإن المساعدات الأمريكية لإسرائيل لم تتأثر كثيرا بالتكييف الأمريكى الجديد لوصف دولة إسرائيل بأنها دولة متطورة وأنها لم تعد دولة نامية ، ففى ١٩٦٧ مثلا قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل تسهيلات إئتمانية قدرها ٣٠ مليون دولار تسدد بالليرات بهدف توفير إسرائيل

لاحتياطيها من العملات الصعبة، ومنحتها ما قيمته ٢٧ر٥ مليون دولار سلعا غذائية بموجب برنامج (الطعام لأجل السلام) كما قدمت الولايات المتحدة إلى بنك التنمية الصناعى الإسرائيلى قرضا مقداره ١٥ مليون دولار.

وأما عن المساعدات العسكرية فإن الولايات المتحدة حتى ١٩٦٢ لم تكن تؤمن بفائدة تزويد إسرائيل بالسلاح، إذ كانت إسرائيل تعتمد على مصادر أخرى مثل فرنسا، وإن كان هذا لم يمنع تقديمها لكمية كبيرة من الأسلحة لإسرائيل بقصد رفع معنوياتها مرتين سنة ١٩٥٨، المرة الأولى عقب قيام الوحدة بين مصر وسوريا، والمرة الثانية عقب قيام ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

ولكن هذه الخطة لم تلبث أن تغيرت أثر إحتدام الصراعات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية فى الشرق الأوسط خاصة بعد صدور التشريعات الإشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة وإنفصال سوريا. ففى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وقعت الولايات المتحدة مع إسرائيل إتفاقا بمقتضاه تتزود إسرائيل بنظام دفاعى يعتمد على صواريخ الهوك بحيث تشكل فى تقدير الخبراء العسكريين الإسرائيليين أساسا للدفاع الجوى الإسرائيلى، وقد بررت الولايات المتحدة ذلك بأنه يهدف إلى المحافظة على توازن القوى فى المنطقة لمواجهة المعدات السوفيتية الحديثة التى انهالت على الدول العربية.

ثم فى فبراير ١٩٦٦ أعلنت الولايات المتحدة عن توريدها صفقة من الدبابات تعويضا عن وقف ألمانيا الغربية لجزء من صفقة كانت قد تعهدت بتقديمها لإسرائيل ثم أوقفت تنفيذها تحت الضغوط العربية المختلفة.

ثم فى مايو ١٩٦٦ زودت الولايات المتحدة إسرائيل بصفقة أخرى من طائرات «سكاى هوك» المقاتلة القاذفة.

وفى ١٩٦٧/١٠/٢٤ فى أعقاب العدوان الإسرائيلى أعلنت الولايات المتحدة رفع الحظر على إرسال الأسلحة لمنطقة الشرق الأوسط وتزويد إسرائيل فى الوقت ذاته بصفقة جديدة من طائرات «السكاى هوك».

ثم فى ديسمبر ١٩٦٨ قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل صفقة أخرى من طائرات «الفانتوم» التى تعد من أحدث ما أنتجته الولايات المتحدة من الطائرات العسكرية.

وتوالت بعد ذلك صفقات الأسلحة بما لم يعلن عنه أو يمكن كشفه نظرا لأنه يتم فى طى الخفاء ولا يعرف إلا بعد الإعلان الرسمى - سواء من جانب الولايات المتحدة أو إسرائيل - .

العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل

ما سبق من مساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل إنما هو جانب ومظهر للعلاقة الوثيقة بينهما، هذه العلاقة التى وصفها «دافيد نيس» الأمريكى الدبلوماسى الذى كان يعمل بالقاهرة وصفها بأنها (علاقة أمريكا الخاصة جدا بإسرائيل) وهى العلاقة التى فاقت علاقة أمريكا بأية دولة من الدول الأعضاء فى حلف جنوب شرق آسيا أو حلف الأطلنطى، وهذا إنعكاس مستمر لتصريح «هارى ترومان» الرئيس الأمريكى سنة ١٩٤٨ «إننا نتعهد بإقامة دولة لإسرائيل كبيرة وحرة وقوية بما يكفى لأن تجعل شعبها آمنا ويستطيع الأعتماد على نفسه

وقد أصبح الجو مهيئا لإقامة إرتباط فريد فى التاريخ الأمريكى الحديث بين الولايات المتحدة ودولة أخرى على نفس المستوى الذى كان موجودا فى ذلك الوقت بين الولايات المتحدة وبريطانيا».

وهذا يفسر الحصانة الكاملة تقريبا من النقد التى تتمتع بها إسرائيل فى الولايات المتحدة، وهو موقف يندر أن يوجد له مثيل بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة الأوروبيين والآسيويين الذين تتولى أجهزة الإعلام وممثلو الهيئات التشريعية الأمريكية يوميا كشف أخطائهم ومواطن ضعفهم، وأن أي أنتقاد لسياسة إسرائيل يجد فى أمريكا من يتصدى له على أساس أنه معاداة للسامية وعلى أساس اعتقاد نسبة كبيرة من الأمريكيين أن إسرائيل تمثل بلدا صغيرا ديمقراطيا يكافح من أجل البقاء وسط بحر من العرب (غير المتحضرين الموالين للشيوعية).

وهذا يفسر أن اليونان وتركيا وهما من الدول التى تشكل خط الدفاع لحلف الاطلنطى فى مواجهة الاتحاد السوفيتى، لم تتلق بعد العتاد العسكرى الحديث الذى حصلت عليه إسرائيل. بل وإنه فى الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تمارس ضغوطها على أكثر من مائة دولة مستخدمة كافة الوسائل العسكرية والأقتصادية والدبلوماسية، لكى تلتزم بمعاهدة منع إنتشار الأسلحة النووية، فى هذا الوقت، أعفيت إسرائيل من هذه الضغوط بل ويتردد أنه بمساعدة الولايات المتحدة فإن المفاعلات النوووية الإسرائيلية فى (ديمونة) و (نحال سوريك) تنتج كمية من مادة البلوتونيوم تكفى لصنع قنابل عديدة قوة كل منها ٢٥ كيلو طن.

ومن المعروف أن التعاون قائم على قدم وساق بين إسرائيل والولايات المتحدة فى مجال تبادل المعلومات بين أجهزة المخابرات، بطريقة لم يسبق لها مثيل ويتعدى بكثير الترتيبات النووية الخاصة القائمة بين أمريكا وبريطانيا.

كما أن هذه العلاقة الخاصة جدا هى التى تفسر استثناء إسرائيل من نطاق إسقاط الجنسية الأمريكية عن أى مواطن يدلى بصوته فى إنتخابات دولة أجنبية أو يخدم فى صفوف قوات مسلحة أجنبية، فقد أصدرت المحكمة العليا الأمريكية تفسيرا يسمح للأمريكيين بالخدمة فى الجيش الإسرائيلى دون أن يفقدوا جنسيتهم، مع أنه طبقا للقانون الإسرائيلى (قانون العودة) فإن أى يهودى أمريكى يحصل على الجنسية الإسرائيلية بمجرد دخوله إسرائيل.

العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية العربية المتحدة:

وتمثل علاقات الجمهورية العربية المتحدة بالولايات المتحدة أهم نقاط السياسة الأمريكية إزاء الشرق الأوسط.

ومن أهم مظاهر هذه العلاقة فى الخمسينات موقف الولايات المتحدة من إنشاء السد العالى، هذه العملية التى امتزجت بطريقة بوقائع المسرح السياسى فى المنطقة، فقد ارتبطت بكل ملابسات الموقف فى الشرق الأوسط وأحداثه.

إلا أنه من المفيد بلا شك التعرض لهذه العلاقات منذ الخمسينات، وبالذات فى الفترة التى تلت مباشرة قيام إسرائيل، فقد أدى ذلك إلى قلق الولايات المتحدة رغم مبادرتها بالأعتراف نتيجة

خوفها أن تؤدى الظروف القائمة وقتئذ لحالة من عدم الاستقرار فى منطقة - أصبح - للولايات المتحدة فيها مصالح كثيرة، فعملت على أن تشاركها بريطانيا وفرنسا فى إصدار التصريح الثلاثى فى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ لضمان دول من الشرق الأوسط والحدود القائمة بين تلك الدول ومعارضة إستخدام القوة والتهديد بواسطة أى دولة من دول المنطقة. ولقد كان هذا الإعلان من الركائز التى اعتمدت عليها إسرائيل فى شن سلسلة من اعتداءاتها، وفى تحديها لقرارات الأمم المتحدة وهى مطمئنة الجانب لأن الولايات المتحدة حاميتها وسندها.

وحاولت الولايات المتحدة جر (مصر) إلى الموافقة على اقتراح تحت اسم (قيادة الشرق الأوسط) وذلك فى أكتوبر ١٩٥١ فى أعقاب إلغاء مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ التى كانت تربطها ببريطانيا، وكان المشروع لو تحقق يمثل حلقة أخرى من الحلقات التى تدعم وتقوى من قبضة حلف شمال الأطلنطى، فأساسه كان تحويل القوات المسلحة لدول المنطقة إلى قوة واحدة تحت قيادة واحدة خاضعة للغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة. وتقبل دول المنطقة بموجبه وجود قوات للغرب وعلى رأسها أيضا قوات للولايات المتحدة على أراضيها، ووضع قواعدها العسكرية وموانيها وطرق مواصلاتها ومنشئاتها الإستراتيجية تحت تصرف القائد العام للمنطقة. فكان هذا من أهم مظاهر تطلعات الولايات المتحدة إلى مصر التى رفضت الاقتراح ولم تقبله نتيجة لذلك أى دولة عربية.

ثم ظهرت محاولة أمريكية جديدة تقدمت بها ومعها بريطانيا سنة ١٩٥٣ تعرض على مصر جلاء القوات البريطانية عن منطقة

القناة بشرط إرتباط مصر بقيادة منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ووضع القاعدة المصرية فى القناة تحت إشراف خبراء يساعدهم خبراء بريطانيين، لكن مصر رفضت وأصرت على الجلاء غير المشروط.

فعملت الولايات المتحدة بعد ذلك على عزل الثورة المصرية فأنشأت حلف بغداد - رغم عدم إنضمامها إليه رسميا - فى فبراير ١٩٥٥ لاستكمال حزام حلف شمال الأطلنطى وليكون همزة وصل مع حلف جنوب شرقى آسيا.

كما عملت الولايات المتحدة - لعزل مصر - بأسلوب آخر مواز هو التخطيط لإرتباط الولايات المتحدة باتفاقيات ثنائية مع دول المنطقة تقدم لها بموجبها معونات عسكرية واقتصادية، وارتبطت بالفعل بعدد من هذه الإتفاقيات الثنائية مع إيران وباكستان والعراق والمملكة العربية السعودية وإسرائيل.

وهكذا أحست بل وتأكد للولايات المتحدة فشلها فى إحتواء الثورة المصرية، بعد أن لمست أن الاتحاد السوفييتى استطاع أن يكسر الحصار الذى فرضه الغرب وذلك بمعاونة النظم التحررية فى مقاومة النفوذ الغربى فى المنطقة. ومن مظاهر هذا النجاح السوفيتى إبرام صفقة الأسلحة مع مصر سنة ١٩٥٥ وتأييده لمصر وإنذاره لدول العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦، ثم عرضه تمويل السد العالى بعد أن سحبه الغرب، الأمر الذى دعا الولايات المتحدة مرة أخرى لإعلان مشروع إيزنهاور للتعاون الأمريكى مع دول الشرق الأوسط فى سبيل تطوير إقتصادياتها، والإستعداد لتقديم القوات العسكرية

الأمريكية متى ما طلبتها أى دولة من دول الشرق الأوسط لحمايتها من أى اعتداء مسلح تقوم به دولة خاضعة لسيطرة الشيوعية الدولية».

موقف أمريكا من مصر منذ قيام الثورة ١٩٥٢ حتى العدوان الثلاثى ١٩٥٦ :

وهكذا كانت القاهرة منذ قيام ثورة ١٩٥٢ هدفا مباشرا لتخطيط السياسة الأمريكية فى المنطقة، اتسمت أولا منذ سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٥٥ بصورة ودية، فساعدت الولايات المتحدة فى تأييد مصر، ومساعدتها للتوصل إلى اتفاق مع بريطانيا للإنسحاب من السودان ثم الجلاء، وكان هدف الولايات المتحدة هو أن تحل محل بريطانيا بعد جلائها عن مصر وملء الفراغ الناتج عن هذا الجلاء وربط مصر بنظام الدفاع الأمريكى لإحتواء الاتحاد السوفييتى، غير أن الولايات المتحدة لم تكن من المهارة فى شئ فقد استغلت طلب مصر للسلاح لتدافع عن نفسها وأعتبرته فرصة للمساومة للإنضمام فى حلف دفاعى غربى، الأمر الذى أنهى فترة حسن العلاقات المصرية الأمريكية نتيجة سخط الولايات المتحدة لعقد مصر صفقة الأسلحة السوفييتية سنة ١٩٥٥ مما ترتب عليه إنذار الولايات المتحدة وتهديدها بتسليح إسرائيل، وزاد تصاعد التوتر فأعترفت مصر بالصين الشعبية فى مايو ١٩٥٦ ، وسحبت أمريكا بالتالى تمويلها للسد العالى بطريقة تتنافى مع اللياقة فأممت مصر قناة السويس فكان عدوان ١٩٥٦ على الوجه المعروف.

القسم السادس عشر

جولدا مائير
خامس الرواد الأول الصهاينة



المرأة التى لا تعرف الخوف ولاتهاب المعارك.

مقدمة

هناك نساء عديدات تركن بصماتهن على صفحات التاريخ.. حتشبسوت ملكة مصر الفرعونية.. وكليو باترا سليلة أباطرة الأغريق، فى العهد القديم.. وشجرة الدر زوجة سلطان مصر المملوكى فى العصر الوسيط.. وإيفا بيرون زوجة حاكم الأرجنتين..

وجميعهن أتين من القمة، حيث كان السلطان والصولجان رهن إشارة منهن.. لم يعرفن النضال، ولم يعانين شظف العيش.. وكان كل شئ ممهدا لهن لتلبية رغباتهن.

أما «جولدا مائير» فكانت على النقيض، إذ هاجرت - وهى طفلة - مع أبويها من «كييف» هربا من الاضطهاد الروسى إلى الولايات المتحدة، وفى ريعان شبابها اقتنعت وآمنت بالمبادئ الصهيونية التى كان يروجها «بن جوريون» و«بن زيفى» بين الشباب الأمريكى، وكانت ضمن أول أفواج الشباب الأمريكى الصهيونى الذى هاجر إلى فلسطين، والتحقت فى أول الأمر بالعمل فى مستعمرة يهودية «كابوتس» وكانت تمارس الأعمال الخشنة بيديها، وتحمل السلاح على كتفيها للدفاع الذاتى عن المستعمرة.

تتلمذت على الرواد الأوائل للصهيونية «بن جوريون» و «بن زيفى» و«وايزمان»، وتدرجت من أدنى درجات الصهونية، إلى أن أصبحت وزيرة عندما أعلن «بن جوريون» قيام دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨ .

وعندما كانت أول سفيرة لإسرائيل لدى الاتحاد السوفييتى - فى أوج سطوته، واحتياج إسرائيل إلى مؤازرته - لم تتورع فى توجيه النقد اللاذع لسياسته وزعمائه.

وفى الأمم المتحدة، كانت تمثل إسرائيل الخطيبة المفوهة، التى تسوق حججها المقنعة - الواحدة تلو الأخرى.

وعندما تأكدت من أن «بن جوريون» زعيمها وقدوتها فى الكفاح والنضال الصهيونى ينحرف عن المبادئ الصهيونية والديمقراطية، ويفضل بعض تلاميذه الصغار على الرواد الأوائل للصهوينية، لم تتوان عن مهاجمته ومعارضته على سطوته وقوته، وهزمته فى عقر حزبه « الماباى» وحملته على الإنسحاب من مسرح السياسة، والاعتكاف الاختيارى فى «كابوتس» «سيدى بوكر» بصحراء النقب.

ثم قادت الحياة السياسية وتزعمت حزب «الماباى»، وخاضت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتمكنت من إنقاذ إسرائيل بإتصالاتها ونفوذها فى الولايات المتحدة، من زلزال العبور المصرى الذى زعزع - بل وأطاح - بهيبة إسرائيل العسكرية.. بيد أنها لم تتردد فى اللجوء إلى خبرة «بن جوريون» الذى سبق أن عصفت به، عندما تعرضت إسرائيل للخطر فى حرب أكتوبر طالبة المشورة والنصح.

وقد أوصى «بن جوريون» بتعيين «أريل شارون» لقيادة المدرعات، والذى نجح - بفضل المعلومات التى كانت تقدمها الولايات المتحدة - فى فتح ثغرة «الدفرسوار»، ونقل المعارك إلى أرض مصر. وهذه الخطة هى التى نفذها «بن جوريون» فى حروب ٤٨، ٥٦، ١٩٦٧ .

وقد عاشت «جولدا مائير» فى آوج مجدها - وأثناء تبوئها السلطة- عيشة أسرية بسيطة، بعيدا عن الترف والصخب والبهرجة والدعاية الشخصية، وختمت حياتها بعد أن اطمأنت على مستقبل إسرائيل والشعب اليهودى، بتوقيع معاهدة السلام مع مصر، والتى كانت إسرائيل تخشى مواجهتها.

هذا وقد رأيت من الضرورى أن أفرد لهذه المرأة المناضلة - فى الجزء الثانى من الكتاب - بعد أن اعتلت أرفع المراتب فى الدولة الصهيونية وتزعمت يهود العالم، أن أفرد لها قسما خاصا أوضح فيه فكرها السياسى وفلسفتها وأسلوبها النضالى، معتمدا على أهم المراجع وأقربها إلى الحقيقة، والتى تناولت سيرة حياتها تفصيلا.

جولدا مائير

خامس الرواد الأول الصهاينة

إن فلسفة جولدا مائير وأسلوبها السياسى كان ينصب إلى إستدرار عطف الشعوب.

وتتسم تصريحات جولدا مائير بالزهو والمرارة معا، إذ تتغنى بانتصارات إسرائيل عام ١٩٥٦ . (العدوان الثلاثى بمشاركة إنجلترا وفرنسا)، وعام ١٩٦٧ بمشاركة أمريكا، ولم تكن حربا بالمعنى الصحيح بل مؤامرة دمرت فيهاالطائرات المصرية على الأرض فحرمت القوات المصرية من غطاء جوى يحميها. كما كانت تشعر بالمرارة من تسلل الاتحاد السوفيتى إلى منطقة الشرق الأوسط وهو يومئذ أحد القوتين الأعظم، وقد علمت أن الدول العربية التى احتلت إسرائيل جزءا من أراضيها ـ خاصة مصر ـ لن تستسلم مما يحتم إبقاء إسرائيل فى حالة طوارئ وقلق دائمين.

وكذلك بالغت وغالطت كثيرا فى أحاديثها عن التغلغل السوفييتى وما يتعلق بنفوذ الخبراء السوفييت على القيادة المصرية.

إلا أن بعض تصريحاتها كانت حقيقية وإن أفاضت بالمبالغة فى موقفها من التصريحات العنترية الجوفاء التى كان يرددها بعض القادة العرب ضد إسرائيل، وكانت جولدا مائير تتصيدها لتظهر بمظهر الحمل الوديع وسط الذئاب العرب. وكانت أغلب خطب القادة العرب أن لم تكن كلها للاستهلاك المحلى فى بلادهم. مما أفقدهم تعاطف الرأى العام العالمى - وخاصة الغربى - فبدوا استفزازيين بل عدوانيين وكسبت إسرائيل - على حسابهم - تأييد الرأى العام العالمى ودعمه، وساعد على ذلك قصور الإعلام العربى عن أداء واجبه على الصعيد الخارجى، فى مواجهة النجاح الكبير للإعلام الإسرائيلى، فى أوروبا والولايات المتحدة بحكم سلطان إسرائيل على أكثر وسائل الإعلام فى هذه المناطق ومالها من نفوذ مادى ومعنوى عليها.

وقد حرصت مسز مائير من استقراء كلماتها فى شتى المناسبات على التظاهر الدائم بالحكمة والتعقل والإلتزام بالمواثيق والقرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، وذلك مايجافى الحقيقة تماما إذ كانت هى البادئة بالعدوان ولم تحترم أيا من المواثيق والقرارات التى تتغنى بالتمسك والإلتزام بها، فقد هاجمت مصر عام ١٩٥٦ وهاجمت مصر وسوريا والأردن عام ١٩٦٧، وعمدت دائما إلى الاستفزاز وفرض المعركة على العرب وهم على غير إستعداد لتوقيتها.

وقد انحت باللوم والمسئولية دائما على الجانب العربى مستغلة كما أسلفت الخطب الحماسية، فى الجماهير العربية - وبصفة خاصة

على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وهو فى نظرها وغيرها من المسئولين الإسرائيليين العدو الرئيسى الأساسى الذى يتحسبون له الحساب. فهو رجل عسكرى قاد ثورة شعب هو أكبر الشعوب العربية عددا وإستعدادا.

كما ركزت على بعض شئونها الخاصة من نشأتها إلى نضالها إلى الحديث عن أسرتها وما أسند إليها من مناصب كبيرة وخطيرة، وكانت الدعاية الخادعة المقصودة لدولة إسرائيل، حيث تعترف بالفقر وما يواجه إسرائيل من مشكلات كثيرة بهدف تشجيع اليهود من المهجر إلى بذل كافة جهودهم للهجرة إلى إسرائيل لأسباب إستراتيجية بعيدة المدى، وقد نجحت إلى حد كبير فى جذب يهود الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية والفلاشا من أثيوبيا.

نشاط جولدا مائير السياسى:

ولقد تمكنت من زعامة حركة العمل فى فلسطين ثم أصبحت زعيمة لحزب الهستدروت وكان فى سنة ١٩٤٠ حين بدأت تتسع حركة التهجير اليهودية. وحين ألقى القبض على زعماء الحزب من الرجال انتخبت رئيسة بالنيابة للقسم السياسى من «الوكالة اليهودية» فى القدس مع موشى شاريت رئيس هذا القسم. ومن ثم كانت ضمن أعضاء المفاوضات مع بريطانيا حتى إعلان قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين. وقد ذهبت إلى شرق الأردن متنكرة فى زى عربية للقاء سرى مع الملك عبد الله فى محاولة للتأثير عليه فلا ينضم إلى الهجوم العربى على دولة إسرائيل.

و عند إعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ عينت وزيرة مفوضة في موسكو، ثم وزيرة للعدل سنة ١٩٤٩ بعد أول إنتخابات في إسرائيل، وعضوا بارزا في حزب الماباي، وفي سنة ١٩٥٦ عينت وزيرة للخارجية، إذ غيرت اسمها إلى «مائير» وكانت «مسز مايرسون» نسبة إلى زوجها. ثم اعتزلت العمل من وزراة الخاريجة سنة ١٩٦٥ لتصبح سكريترة لحزب الماباي، وفي مارس سنة ١٩٦٩ وبعد وفاة ليفي أشكول عينت رئيسة لوزراء إسرائيل.

دور جولدا مائير في معركة ١٩٤٨:

وحول حرب الشرق الأوسط سنة ١٩٤٨ ذكر «بن جوريون» أن مساعي «جولدا مائير» للحصول على الأموال اللازمة لقيام دولة إسرائيل سوف يقال عنها يوما عندما يكتب التاريخ: «إن امرأة يهودية قد جمعت المال الذي مكن لقيام الدولة»

وقد أوردت جولدا مائير هذا النص في مقدمة حديثها الذي ألقته في ٢١ من يناير ١٩٤٨ في مجتمع الرأسماليين اليهود في أمريكا لتحصل منهم على ما يمكن جمعه من مال لإسرائيل.

كما حرصت جولدا مائير منذ البداية على محاولة استدرار عطف العالم حول القضية، كما كانت تحرص أيضا في حديثها على استدرار جيوب الرأسماليين اليهود في أمريكا، فتوضح أن اليهود في فلسطين قد أصبحوا في حالة لم يبق أمامهم ازاءها إلا تشكيل الدولة الجديدة في أرض الميعاد. وتركز في البداية على نقطة تثير بها عطف الرأى العام العالمي عامة واليهودي الرأسمالي الأمريكي خاصة، فتصور كفاح شباب إسرائيل وخروجهم إلى مزارعهم

وأعمالهم وكلهم دون العشرين رغم تيقنهم من أن العرب الفلسطينيين فى انتظارهم فى كل طريق يطرقون.. هؤلاء العرب الذين يعرقلون مسيرة اليهود فى فلسطين ويعرقلون مساعيهم للاستيلاء على الأرض.

رأى جولدا مائير فى حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

فى كلمة لها فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٥ ديسمبر ١٩٦١ تتحدث حول الحلول الممكنة لمشكلة اللاجئين. وهى بطبيعة الحال تحمل العرب مسئولية تفاقم المشكلة، بل وتحملهم كذلك مسئولية حلها. وذلك باستعراضها للقضية منذ إعلان قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ .. فتحمل العرب مسئولية رفض قرار الأمم المتحدة بإنشاء دولة لإسرائيل ودولة للعرب فى فلسطين، وتحملهم مسئولية رفض قبولهم اللاجئين الفلسطينيين فى أراضيهم بدلا ممن خرج منها من اليهود، وتعلن أن إسرائيل كانت على استعداد لتعويضهم عما تركوا من ممتلكات. وتلخص القضية بقولها فى النقاط التالية:

١ ـ لقد قبلنا حل سنة ١٩٤٧ ولكن هل حث العرب الفلسطينيين على قبول ذلك؟ فلو فعلوا لكانت هناك دولة لإسرائيل وأخرى للفلسطينيين يعيشون فى وئام ووفاق وتعاون.

٢ ـ وبخلاف ذلك فقد قررت الدول العربية إعلان الحرب على إسرائيل، حيث ظهرت قضية اللاجئين نتيجة لهذه الحرب. فالمسئولون عن الحرب هم المسئولون عن خلق قضية اللاجئين.

٣ ـ ولئن كان قرابة ٥٥٠ ألف عربى قد تركوا الأراضى فى إسرائيل، فقد ترك مثل هذا العدد نفسه من اليهود الدول العربية إلى إسرائيل. ومن ثم كان هناك نوع من تبادل السكان.

٤ ـ ليس للأمم المتحدة قرار بعودة اللاجئين بغير شروط إلى إسرائيل، بل على العكس هناك قرارات توصى بالمفاوضات لإيجاد حل سلمى لهذا الأمر.

٥ ـ تعتقد إسرائيل أن حل مشكلة اللاجئين فى استقرارهم فى الدول العربية فى نطاق التقدم الاقتصادى للشرق الأوسط.

٦ ـ وأن إسرائيل لعلى استعداد لتقديم التعويضات اللازمة للممتلكات التى تركها العرب وراءهم، وسوف تطالب بدون شك كذلك بتعويضات عن أموال اليهود الذين قضى عليهم فى مختلف الدول العربية.

جولدا مائير وحرب ١٩٥٦ والجلاء عن سيناء ١٩٥٧

وعن حرب ١٩٥٦ والجلاء عن سيناء ١٩٥٧ فى كلمتين أكدت جولدا مائير أن تتحمل فيهما مصر مسئولية حرب ١٩٥٦ وإحتلال إسرائيل لبعض الأراضى الأخرى ثم اضطرارها للإنسحاب بعد ذلك. وحملت الفدائيين وعبد الناصر مسئولية تحرير الأراضى المغتصبة... وحملتهم مسؤولية محاولة إعادة الحق لإصحابه، وصورت الفدائيين على أنهم مجموعة من اللصوص الذين يقتلون وينهبون ويعتدون، ناسية أو متناسية أرض مَنْ، أو مال من، ينهب... لوصح التعبير، هؤلاء اللصوص.

تحمل عبد الناصر مسئولية تشجيع الفدائى الذى ينطلق من حدود سيناء من قطاع غزة، وتصرح ببساطة أن مطلب إسرائيل بسيط وهو الأمان من كل مايهددها ويهدد أمن حدودها. إنها ترغب

فى أن تعيش آمنة فى سلام حتى تستطيع اكمال العمل لتقدم بلادها وبناء مجتمعها المبنى كما تقول - على العدالة الإجتماعية والحرية والفردية، .. إنها ترغب فى العيش بسلام مع جيرانها من أجل الخير المشترك ومن أجل رفاهية شعوب المنطقة التى تعانى من الفقر والجهل والمرض.

جولدا مائير وحرب ٥ يونيو ١٩٦٧

ثم تأتى مرحلة أخرى تبدو واضحة فى نغمة خطاب جولدا مائير بعد حرب الخامس من يونيه ١٩٦٧ .

فبعد حرب ١٩٦٧ وبعد أن يظن أهلها أنهم قادرون عليها، تعتقد جولدا مائير أن الأمر قد صار أخيرا لإسرائيل، واعتقدت أيضا أن هذه الجولة التى استطاعت فيها إسرائيل أن تصل إلى هذا الإتساع من الأرض دائم باق على مدى الزمن.. وهذه الخلفية هى التى تحكم كل تصريحاتها بعد ذلك. ويبدو هذا واضحا من خطابها فى جمع يهودى يوم وصولها بعد ستة أيام فقط من بدء حرب ١٩٦٧ لتعلن النصر، ولتعلن أن هذه الفئة القليلة ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ يهودى التى أدعى العرب أنهم قادرون على الإطاحة بهم عبر البحر المتوسط قد استطاعت أن تلقن العرب درس. واختفت نغمة المسكنة واستدرار العطف التى كانت تسيطر عليها قبل هذا التاريخ، ثم تعطى التصريح وراء الآخر.

كان اليهود يعرفون أن النصر دائما حليفهم، لأنهم - على حد قولها - وإن ظلوا مشتتين فى أنحاء الأرض فقد كان يجمعهم أمل العودة إلى إسرائيل.

كان الشباب اليهودى فى كافة أنحاء العالم يحاول الوصول إلى إسرائيل قبل تلك الحرب، ناسية أو متناسية ما كانت تمارسه الحكومة الإسرائيلية من دعايات وضغط على يهود العالم فى سبيل اقناعهم بالهجرة إلى إسرائيل.

«وعلى العرب الآن أن يبحثوا عن وسيلة للسلام فنحن لانريد إرسال أبنائنا للحرب مرة أخرى».. ثم تحمل عبد الناصر مسئولية الحرب، ومسئولية عدم تقدير الموقف ومسئولية خداع إسرائيل وعدم التزامها بكافة قوانين الشرف والإنسانية.

وكانت تلح على فكرة «السلام» وكأنما أحست بأن هذه الحرب لم تكن فعلا حربا واجه فيها جندى جنديا، أو بمعنى آخر كانت تحس بأن إسرائيل إنما استطاعت بالخداع والحيلة ومساعدة أمريكا، أن تحتل بعض الأراضى بالقوة دون أن تحرز نصرا.

ولذلك فهى تطالب بالسلام خشية جولة أخرى قد تنكشف فيها قوة إسرائيل الحقيقية وتسقط كافة الأقنعة الزائفة فهى تريدها جولة أخيرة تعقبها محاولة السلام.

جولدا مائير والدعوة إلى السلام

بعد قرابة الأعوام الثلاثة من حرب الشرق الأوسط ١٩٦٧، تتحدث من مركز قوة موهوم فى الكنيست فى ٢٦ مايو ١٩٧٠ داعية إلى السلام متهمة مصر بأنها تجاهلت تعهداتها بالسلام فى الشرق الأوسط. وتنقل عن عبد الناصر قوله «تقدم الجيش المصرى عبر أنهار من الدم والنار» وما أظن أن يصدر قول كهذا عن رجل لم

يرض بنقض عهده بعدم البدء بالعدوان عام ١٩٦٧ . ولو كان فعل لتغير الأمر تماما الآن. والعجب أن تقلب إسرائيل حقيقة أمر لا يخفى على العالم كله، فتدعى أنها الدولة ذات الموارد الضعيفة بالقياس إلى موارد الدول العربية إنما تضطر إلى شراء أسلحتها وتؤدى ثمنها نقدا لكل دولة تشترى منها، على حين تدعى أن مصر إنما تتلقى الهدايا من السلاح دون حساب. ثم هى تحمل الاتحاد السوفييتى مسئولية ما حدث سنة ١٩٦٧ ومسئولية دعم العرب بعدها.

وذكرت أن برنامج إسرائيل للسلام هو:

- وضع الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية فى القدس تحت مسئولية المختصين بالأديان بهدف إتفاقيات تعطى طابعها الدولى الفاعلية والتأثير.
- الاعتراف المتبادل بالسيادة.
- التعاون الإقليمى لتطوير المشروعات الجيدة لكل المنطقة.
- ولكن القادة العرب تجاهلوا البرنامج ولم يوافقوا عليه بالرد أو التعليق.

وقد أكدت من جديد مبادئ السلام قائلة: نحن مستعدون لمناقشة السلام مع جيراننا فى أى يوم وفى كل الموضوعات.

وكان رد عبد الناصر بعد ثلاثة أيام «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وما ينبغى لصوت أو نداء أن يكون أقدس من النداء للحرب.

وفى الكنيست أيام ٥و٨ مايو و٣٠ يونية ١٩٦٩ كررت إعلان استعدادنا للدخول فى مفاوضات مباشرة مع كل طرف من جيراننا

دون شروط مسبقة للتوصل إلى تسوية سلمية، وكان رد الدول العربية تلقائيا متعجلا، ووصم المعلقون فى دمشق والقاهرة وعمان السلام بالعار وإنه «استسلام» وأمطروا إقتراحات إسرائيل بالاستهزاء. ولنأخذ مثلا مما نشرته إحدى الصحف الأردنية الرئيسية «الدستور» فى ١٥ يونيو ١٩٦٩ «أن مسز مائير مستعدة للذهاب إلى القاهرة لتعقد مباحثات مع الرئيس عبد الناصر، لكن للأسف لها، فلم توجه إليها الدعوة، وهى تعتقد أن يوما يكون العالم فيه بلا بنادق يكون يوما عظيما سينزع فى الشرق الأوسط - وكانت تلك هى اللحظة التى أعلن فيها عبد الناصر خروق إتفاقيات وقف إطلاق النار وعدم الإعتراف بخطوطها.

القسم السابع عشر

نهاية زعيمين

مقدمة

تمهيد

الفصل الأول

مدرسة «عبد الناصر»

الفصل الثاني

مدرسة «بن جوريون»

مقدمة :

اتسمت مرحلة ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣ بسيادة فكر مدرستين هما: رؤية بن جوريون المتحالف مع القوى الاستعمارية ورؤية عبد الناصر الذى قاد حركة التحرر فى العالم العربى وكان له دور كبير فى قيادة حركة التحرر فى العالم، ويضاف إلى هذين التيارين أو المدرستين عامل هام هو الفعل الأمريكى الذى كان يأخذ بيد اسرائيل وفاء باستراتيجيته الكونية ويعوق مسار حركة التحرر لأنه رأى فيها تسريبا وتسهيلا للنفوذ السوفييتى إلى منطقة هامة وحساسة هى الشرق الأوسط تستحوز الثروة والموقع والبترول.

وقد اتسمت هذه الفترة على الجانبين الاسرائيلى والعربى، (والمصرى بشكل خاص) بقتالية واضحة وصدام مسلح فى أكثر من نقطة داخل هذه الفترة التاريخية.

وأهمية هذه الفترة أنها كانت مقدمة لفترة أخرى بدأت بحرب عام ١٩٧٣ توطئة لحل النزاع العربى ـ الاسرائيلى حلا سلميا وفق التصور والرضا الأمريكى.

وليس التعرض من هذه الدراسة الإدانة أو التجريح لتيار أو لآخر ولكن الهدف تلمس الخيط الذى يقود إلى المرحلة التالية وهى مرحلة كامب دافيد التى بدأت فى الواقع عام ١٩٧٣ .

تمهيد:

عبد الناصر.. وبن جوريون

كان لكل من عبد الناصر وبن جوريون دورا فى نفس الفترة تقريبا وإن تغايرت رؤى كل من الرجلين:

١- كان عبد الناصر رجل مبادئ يؤمن بالتحرر الوطنى، وبعدم الانحياز، وبالعدالة الاجتماعية، ومعاداة الاستعمار.

أما بن جوريون: فلم يكن يتورع فى سبيل تحقيق أهدافه عن اتباع أية طريقة، لأن الغاية فى تصوره تبرر الوسيلة، ولم يكن بن جوريون مثلا ضد الإرهاب رغم إعلانه خلاف ذلك، ولكنه كان ضد التوقيت الخاطئ للإرهاب، وقد حارب بن جوريون الاشتراكية فى بولندا أيام شبابه، وأنضم للاشتراكيين فى فلسطين، ثم شجع بعد ذلك على قيام طبقة رأسمالية فى اسرائيل، واتخذ بن جوريون نفس المسلك فى علاقاته مع الدول الغربية بعد قيام دولة إسرائيل، فعندما رأى عدم جدوى بريطانيا للصهيونية إتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بحثا عن المعونة الاقتصادية، وإلى فرنسا للحصول على أسرار القنبلة الذرية.

٢ ـ لم يكن عبد الناصر توسعيا رغم أن الظروف مهدت أمامه الطريق للامتداد الاقليمى عندما عرضت عليه كل من سوريا والسودان واليمن وليبيا «كل فى حينه» الوحدة إلا أن نظرة عبد الناصر كانت القومية العربية أولا، وشعاره يبدأ بالحرية ثم الاشتراكية وينتهى بالوحدة، أى أن الوحدة لم تكن مشكلة حالية بالنسبة له.

أما بن جوريون فكان سياسيا توسعيا بحكم انتمائه الصهيونى، ففى خطابه عام ١٩٥٠ ذكّر زملائه فى الكنيست فى خطاب شهير بأن تسعة أعشار يهود العالم لا يزالون بلا وطن.

ثم حدد بن جوريون أهدافه الثلاثة فى نوفمبر ١٩٥٦ بما يلى:

ـ القضاء على قوات العدو التى تهدد اسرائيل.

ـ تحرير الأجزاء من الوطن التى لا تزال تحت احتلال الأعداء «يقصد من النيل إلى الفرات».

ـ وأثر حرب ١٩٦٧ خطب بن جوريون قائلا: «لابد من قدوم موجة كبرى من المهاجرين اليهود بهدف دعم الاستيطان».

٣ ـ كان قدر عبد الناصر وثورة يوليو الدفاع عن استقلال وتحرر مصر ودعم حركات التحرر العربية وغيرها، وكان اختيار بن جوريون وزملائه التحالف مع الاستعمار، مما أحدث فرزا اقتضته المرحلة، وضع اسرائيل وأمريكا والغرب فى جانب،والاتحاد السوفييتى ومصر والدول النازعة نحو التحرر فى

جانب آخر، وارتبط هذا الفرز بالاستراتيجية الكونية الأمريكية الغربية بمحاصرة الأتحاد السوفيتى بما يجره هذا من ضرب اصدقائه فى المنطقة.

٤ ـ وعلى هذا يمكن القول أن الانتصارات والتفوق الاسرائيلى كانت منحة من الاستعمار لخدمة أغراضه وعندما تنتهى أهداف الاستعمار تعود إسرائيل لحجمها الطبيعى.

الفصل الأول

مدرسة عبد الناصر
والتعقيب على عهده



جمال عبد الناصر زعيم القومية العربية تكاتلت وتعانقت ضده الاستعمار والصهيونية والولايات المتحدة وعملوا على تدميره.

١ - اسس الحقبة الناصرية:

إذا أمعنا النظر فى اسس الحقبة الناصرية نجد أنها تتصادم مع اسس حقبة «بن جوريون» والحقبتين تنهيان فى الواقع عام ١٩٧٣، لنجد أمامنا مرحلة تاريخية جديدة احجمت فيها الحرب طريقا للمشكلات من أجل حلها وأبعادها عن الركود، وهى حقبة تعرف باسم كامب دافيد ثم أعقبتها حقبة «مدريد».

(أ) استندت المرحلة الناصرية إلى عدة ثوابت تعبر عن التصور العام لقيادة هذه المرحلة:

وأول ثوابت هذه المرحلة التحرك على محاور أو دوائر ثلاث وهى: الدائرة العربية (الدائرة الأولى) ويلتصق بها ضرورة تحرير فلسطين ، المأساة التى ظهرت نتيجة الوجود الاستعمارى، كما يتصل بهذه الدائرة تصور محدد عن عناصر القوة الكامنة فى هذه الدائرة وهى عناصر تتصل أولا بإمكانية الشعوب العربية المترابطة ماديا ومعنويا ولديها مقومات الحضارة اللازمة لتقدمها، كما تتصل ثانيا بالأرض والموقع الاستراتيجى المتميز فهى ملتقى طرق العالم ومعبر

تجارته وممر جيوشه، وتتصل ثالثا، بوجود البترول وهو عنصر هام من عناصر قوة العرب. والدائرة الثانية هى الدائرة الافريقية نظرا لوجود السودان والنيل وخلفية من دول العالم الثالث تقوم مصر بدور همزة الوصل بينهما وبين العالم الخارجى. والدائرة الثالثة وهى الدائرة الاسلامية وتعد الكعبة الشريفة رمزا وملتقى هذه الدائرة. ومن خلال حركة التاريخ المصرى - العربى اضيفت دائرتان، الرابعة، هى حركة عدم الانحياز، والخامسة، حركة التحرر الوطنى الديمقراطى فى العالم. ويلاحظ أن الدوائر الثلاثة الأولى ثابتة والأخرتين ترتبطان بتغير الظروف.

ويلاحظ أن فكرة هذه الثوابت المتصلة بالدوائر المشار إليها لم تأت من فراغ، فقد ورد فى كتاب فلسفة الثورة أن مجئ الحملة الفرنسية قد أنهى العزلة التى فرضت على مصر وفتح آفاقا جديدة، ثم جاءت أسرة محمد على التى ورثت سمات كثيرة عن المماليك وحاولت أن تلبسها ثيابا تتناسب مع القرن التاسع عشر، ومع ذلك كانت الحملة الفرنسية ومجهودات محمد على بداية اليقظة الحديثة فى مصر. وقد قامت مصر بجهد كبير لاختراق مراحل كثيرة مرت، بها المجتمعات الأوروبية وصولا إلى الحداثة.

وثانى مجموعة تمثل الثوابت فى الحياة السياسية المصرية فى المرحلة الناصرية كانت مبادئ الثورة الستة وهى أولا، تصفية الاستعمار وأعوانه، وثانيا تصفية الاقطاع، وثالثا القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، ورابعا اقامة عدالة اجتماعية وخامسا اقامة جيش قوى، وسادسا إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

(ب) وقد أدت حركة مجموعتى الثوابت التى أشرنا إليها إبانْ المرحلة الناصرية إلى بروز تحالفات اقتضتها ظروف المرحلة، بل تعتبر مفروضة على مسيرة الثورة، ونحذر فى هذا الصدد من الحكم على تلك المرحلة بمقاييس التسعينات أو الثمانينات أو حتى السبعينات وقد اتخذت التحالفات إتجاهين ـ: تحالف خارجى مع الاتحاد السوفيتى لمواجهة قوة عظمى مناوئة ـ وهى الولايات المتحدة حليفة إسرائيل، ويرتبط هذا التحالف بتحالف الدول المعادية للاستعمار والتى قادت حركة التحرر الوطنى الديمقراطى فى العالم.

وتحالف داخلى هو تحالف قوى الشعب العاملة لسد الطريق أمام تسلل أعداء الثورة، وحشد الطاقات لتجسيد تصورات الثورة فى التحرك السياسى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وقد أدت هذه الثوابت وما تبعها من تحالفات إلى قيام العالم الغربى وخاصة الولايات المتحدة الاميكية بمحاصرة ومهاجمة بل والتآمر على مصر وصولا إلى ضرب ومحاصرة الحليف السوفيتى ونصرة وتفوق الحليف الاسرائيلى. وقد عمدت الولايات المتحدة إلى استخدام طاقاتها لتحقيق هذا الهدف على النحو التالى:

* استنزاف موارد مصر فيما لا يجدى.

* حرمان البرامج الاجتماعية من الموارد اللازمة نتيجة لهذا الاستنزاف.

* استفزاز الدولة وجرها للرد بعنف لاظهارها فى وسائل الاعلام الغربية بمظهر الدولة العدوانية.

* زرع وتجنيد العملاء مما يدفع إلى تقييد الحريات وعدم السماح بالمعارضة.

* جر الدولة إلى حروب ومنازعات إقليمية تدبرها أو تدفع إليها كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أو أية دولة أخرى مستجيبة لمتطلبات الاستراتيجية الامريكية، وهو أمر يضر بالبناء الاقتصادى والتنمية الاجتماعية ويضرب الثورة فى أغلى أهدافها بل فى سبب قيامها.

* تكوين معارضة محلية بهدف تغيير النظام أو إفراغه من مضمونه.

(جـ) وقد أدت عوامل أخرى إلى مواقف عدائية من الغرب فى مواجهة القيادة المصرية ومن ذلك ما أحدثه مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) ومؤتمر عدم الانحياز فى يوغوسلافيا (سبتمبر ١٩٦١) كما أعلنت الثورة عن السياسة الخارجية المصرية وفق أسس ثلاثة.

- مناهضة الاستعمار والسيطرة.

- العمل من أجل السلام كصيغة وحيدة للتقدم الوطنى.

- التعاون الدولى من أجل الرخاء المشترك لجميع الشعوب.

٢ - كسر احتكار السلاح وحرب السويس:

أدت الضغوط الغربية المنحازة لاسرائيل إلى تحرك الثورة لكسر احتكار السلاح، ومواجهة الموقف المتأزم نتيجة حصول إسرائيل على

السلاح وامتناع دول الغرب عن إمداد مصر والدول العربية به مما أخل بالتوازن العسكرى والسياسى فى الشرق الأوسط وقد لجأت مصر إلى تشكوسلوفاكيا، وفى الواقع إلى الاتحاد السوفيتى وتمكنت من كسر احتكار السلاح وهو أمر أدى إلى تحرك الغرب للضغط على مصر، وانتهى الأمر بايقاف الدول الغربية لوعدها بتمويل مشروع السد العالى وهو المشروع الذى كانت تعول عليه مصر كثيرا فى مجال التنمية الشاملة، وتم التخلى عن المشروع من قبل الغرب فى يوليو ١٩٥٦ بحجة التشكيك فى مقدرة مصر الاقتصادية.

- وقد ردت مصر على هذا التحرك بقيامها بتأميم قناة السويس ١٩٥٦.

وقد حاولت الدول الغربية - بريطانيا وفرنسا - إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل التأميم واستخدمت فى ذلك الوسائل الاستعمارية القديمة، فدفعت اسرائيل إلى الهجوم على سيناء ووجهت انذارا فى ٣٠/١٠/١٩٥٦ إلى كل من مصر واسرائيل بايقاف القتال وسحب القوات مساحة ١٥ كم من القناة، وقبول مصر احتلال المواقع الرئيسية على ضفتى القناة بقوات بريطانية وفرنسية لضمان حرية الملاحة، إلا أن مصر ردت بالمقاومة ومن خلفها العالم ودول العالم الثالث، وانتهى العدوان بانسحاب قوات الدول الثلاث وساعد فى ذلك الانذار السوفيتى والتحرك الأمريكى ضد الغزو داخل الامم المتحدة وخارجها وكانت تستهدف تأمين مصالحها فى الشرق الأوسط.

ونتيجة ما سبق وخوفا من التغلغل الشيوعى فى الشرق الأوسط ولحماية اسرائيل ولتأكيد المصالح الأمريكية فى منطقة تحوز البترول

والثروات تحركت الولايات المتحدة الامريكية وأعلنت مشروع ايزنهاور الذى تحدث عن الفراغ فى منطقة الشرق الأوسط ودعم المستجيبين لمشروع ايزنهاور - التحالف الامريكى - بمساعدات اقتصادية وعسكرية وقد رفضت مصر هذا المشروع وغيره من المشروعات المماثلة.

٣ - حرب ١٩٦٧ وضرب التجربة الناصرية:

ونتيجة تصاعد المواجهة بين كل من العالم العربى وإسرائيل من جهة، والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة من جهة أخرى وأختلاط الأوراق والنظر إلى التجربة الناصرية بوصفها مساعدا للتسلل السوفييتى تم توجيه ضربة إلى هذه التجربة بالتعاون الوثيق من الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل، وكان لكل منهما أهدافه الخاصة التى توحدت بضرب القيادة المصرية.

(أ) تأثيرات حرب ١٩٦٧ : -

أحدثت هزيمة ١٩٦٧ عدة آثار تتفق مع طبيعة الحدث، وعكست عمق التردى الداخلى والحرب الخارجية ومدى الأهمال والتفكك فى العالم العربى فى مواجهة الاخطار المحيطة به. فمن ناحية تأكدت عدة تصورات عن: قوة التأييد السياسى والاقتصادى والعسكرى الامريكى لاسرائيل، واهتزاز فكرة الرأى العام العربى عن قوة العرب وقدرتهم على هزيمة اسرائيل واستعادة كل فلسطين، كما اهتزت صورة التأييد السوفيتى للدول العربية فى مواجهة المخطط الأمريكى - الإسرائيلى.

ومن ناحية أخرى ظهر توجه جديد فى مصر الناصرية بعد عام ١٩٦٧ لاقى موافقة من القادة العرب مؤداة شعار «إزالة آثار العدوان» بمعنى أستعادة الأراضى التى أحتلتها اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧. وقد انبثق هذا التوجه عن مؤتمر القمة العربية الرابع بالخرطوم/ أغسطس ١٩٦٧، رغم أختلاف القادة المجتمعين حول اسلوب الكفاح، هل يكون سياسيا أم عسكريا، وانتصر الرأى القائل بأفضلية الأسلوب السياسى فى هذه المرحلة، ومع ذلك رفض المجتمعون اقتراحا قدمه الرئيس جمال عبد الناصر بدعوة الدول العربية لقبول اتفاق تحت رعاية الأمم المتحدة بضمان حدود الدول بالمنطقة مقابل الانسحاب الإسرائيلى، مع السماح بحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة. ورغم أختلاف وجهات النظر توصل المؤتمر إلى قرارات هامة تحقق وحدةالصف العربى ووحدة العمل الجماعى، ومنها الدعوة إلى سرعة تصفية القواعد العسكرية الأجنبية فى الأراضى العربية، كما نوقشت فكرة استخدام سلاح البترول ضد الدول التى أيدت اسرائيل، إلا أن الرأى الغالب كان تفضيل استمرار ضخ البترول بتحقيق عائد يستخدم فى دعم دول المواجهة، كما تم التأكيد على المبادئ الأساسية فى العمل العربى وهى: لاصلح ولا تفاوض ولا أعتراف باسرائيل، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه.

وكان من أبرز نتائج يونيو ١٩٦٧ التغييرات الجذرية التى شملت معظم المواقع الرسمية، ثم إعلان بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذى أكد على ضرورة مشاركة أوسع للجماهير وعلى أهمية الديمقراطية وعلى جدية التغيير والذى وصفه البيان بالقول بأن التغيير المطلوب «لابد له

أن يكون تغييرا فى الظروف وفى المناخ، وإلا فإن أى أشخاص جدد فى نفس الظروف، وفى نفس المناخ، سوف يسيرون فى نفس الطريق.

ورغم وفاة جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ وتولى الرئيس السادات، فقد استمر خط عبد الناصر ـ المصرى والعربى ـ على ما هو عليه لفترة حتى قام السادات بإحداث تغيير شامل فى هذا الخط.

(ب) مأزق القرار ٢٤٢ :

هذا عن النتائج العامة لحرب عام ١٩٦٧ أما على الصعيد الخارجى فقد انتهت مداولات الدول الكبرى إلى صيغة عرفت باسم القرار ٢٤٢ فى ١٩٦٧/١١/٢٢ ويلاحظ طول الفترة التى استغرقتها للوصول إلى تفاهم حول القرار (من يونيو حتى نوفمبر) ورغم احتواء القرار على بعض الألفاظ الغامضة وأبرزها الخلاف حول كلمة من أراضى... بدلا (من الاراضى) . فإن ديباجة القرار لم تترك مجالا للشك فى أن القصد من القرار هو الانسحاب من كل الأراضى المحتلة وقدعمدت اسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لأسباب تتصل أيضا بالمصالح الامريكية إلى عرقلة تنفيذ هذا القرار لمدة طويلة متذرعة بالاختلاف حول التفسير وبذلك مكنت الولايات المتحدة اسرائيل من الابقاء على الأراضى المحتلة رهينة هذا الالتواء المستمر فى تفسير القرار حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وكانت الولايات المتحدة تتخوف من مصر لأنها وفق التصور الامريكى قد سهلت التواجد السوفييتى فى الشرق الأوسط ودعمت من قدراته.

وينبع التأمين الأمريكى الضخم لاسرائيل من التصور الامريكى بأن إسرائيل هى الامتداد الامريكى حضاريا وسياسيا وعسكريا فى الشرق الأوسط وقد رسخ هذا التصور بتأثير اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية الذى ربط بين هذا التصور وبين المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، وهى مصالح اقتصادية وأخرى تتصل بالسياسية الكونية الأمريكية التى تهتم بتعقب وتحجيم النفوذ السوفييتى والغرض من وراء التأييد الأمريكى اللامحدود لاسرائيل هو إرهاق واستنزاف الدول العربية الثورية ومن ثم التآثير سلبا على النفوذ والتواجد السوفيتى فى المنطقة.

(جـ) وقد عانت الامة العربية من عوامل ضعف واضحة بعد هزيمة ١٩٦٧.

وكان من المنطقى أن تتجاوز أزمتها لمواجهة آثار العدوان وإزالته. وأولى عوامل الضعف كانت الخلافات الجانبية والافتقادات المتبادلة بين الدول العربية. يضاف إلى ذلك أن الدول الغربية بدلا من الألتزام بقرارات مؤتمر الخرطوم عمدت إلى معارضة كل مبادرة لحل الأزمة فى إطار القرار ٢٤٢ وبذلك أعطت مسوغا لاستمرار الاحتلال وتجميد الموقف، وأخيرا نجد الدول العربية البترولية قد اقتصرت مساندتها على حد المبالغ الرمزية المحدودة التى أقرها مؤتمر الخرطوم وكان كل ما يعنيها هو تقديم هذا الدعم المادى دون تفهم لب الاستراتيجية وهى قومية المعركة بكل ما تحمله الكلمة من آفاق.

عوامل القوة:

كانت رؤية مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) من أبرز عوامل القوة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لان أحداث التاريخ لا تنشأ من فراغ بل وفق مقومات تؤدى إلى مسار محدد ثم إلى نتائج تتفق مع هذه المقدمات. وقد عدل مؤتمر الخرطوم كما سبق أن قلنا من جوهر الاستراتيجية العربية، من وحدة الهدف إلى وحدة الصف، ومن التحرر الكامل لأرض فلسطين إلى إزالة آثار العدوان، ومن التنافر الشديد إلى قدر مطلوب من التنسيق، رغم بقاء عوامل الخلاف حول أسلوب معالجة آثار العدوان.

وثانى عوامل القوة هو الدعم الذى قدمته الدول العربية القادرة إلى دول المواجهة، مصر وسوريا والأردن. ورغم أن هذا الدعم للمواجهة لم يكن كافيا إلا لتعويض خسائر دول المواجهة عن الموارد المتوقفة والعجز المتراكم نتيجة الحروب إلا أنه كان دعما لازما لاستمرار استعداد دول المواجهة لازالة آثار العدوان والصمود أمام الضغوط الخارجية. والجدير بالذكر أن الدول العربية لم تستخدم كافة اسلحتها الاقتصادية لدعم المواجهة ومن ذلك سلاح البترول وسلاح الأرصدة العربية وسلاح التجارة الدولية.

وثالث عوامل القوة هو نمو المقاومة الفلسطينية منذ منتصف الستينات والتى أخذت شكل «منظمة التحرير الفلسطينية» والتى أصبح لها جيش خاص بها وأجهزتها التنفيذية المستقلة وانطواء كافة الاتجاهات تحت مظلة المنظمة مع بقاء هامش معقول للرأى المستقل للمنظمات الحركية المنظمة.

ورابع عوامل القوة نجده فى حرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٧ - ١٩٧٠ والتى مكنت من رفع الروح المعنوية وأكتساب المهارات القتالية واستطلاع مراكز وتحصينات العدو استعدادا للمعركة القادمة.

وخامس عوامل القوة كان الحاح الجماهير العربية على الحل العسكرى طريقا للتحرير واستعادة الأرض المحتلة ولم يكن فى مخيلة الجماهير العربية أى تصور للحل السياسى للقضية.

(٤) امتداد الحقبة الناصرية «السادات حتى عام ١٩٧٣»:

من الناحية الفعلية يعتبر تولى الرئيس السادات لحكم مصر فى الفترة من عام ١٩٧٠ - ١٩٧٣ امتدادا للحقبة الناصرية بمعظم ثوابتها وباسلوب المواجهة مع إسرائيل، إلا أن الرئيس السادات أتخذ من تحولات عام ١٩٧٣ وأبرزها حرب أكتوبر وسيلة إلى الوصول لحل سلمى للصراع العربى - الاسرائيلى، وهنا دخلت منطقة الشرق الأوسط مرحلة جديدة بعد عام ١٩٧٣ عرفت باسم مرحلة كامب ديفيد.

وقد حاول الرئيس السادات فى هذه الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ إيجاد حل سلمى للنزاع الشرق - أوسطى إلا أن الولايات المتحدة وإسرائيل لم يستجيبا للمحاولات فكانت حرب ١٩٧٣ منطلقا لفترة جديدة.

(أ) فى يناير ١٩٧١ بدأت محاولات الرئيس السادات لحل المشكلات بالاتصال بالولايات المتحدة الامريكية لتنفيذ مبادرة روجرز وخاصة فيما يخص بانسحاب القوات الإسرائيلية على طول الضفة الشرقية لقناة السويس، وأعلن الرئيس السادات جانبا من

مبادرته فى فبراير ١٩٧١ التى أقترح فيها انسحاب اسرائيل إلى الحدود الدولية ويجرى فى نفس الوقت تطهير قناة السويس لفتحها أمام الملاحة الدولية ويعقب ذلك تعهد اسرائيل من الانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة.

وقد وضعت اسرائيل العراقيل أمام مبادرة السادات وأصرت على المفاوضات المباشرة ودون تعهدات سابقة ومعنى ذلك أهمال القرارات الدولية.

(ب) ثم جاءت مباحثات يارنج فى فبراير/ ١٩٧١ أيضا واستجابت لها الحكومة المصرية أما حكومة اسرائيل فاعلنت عدم استعدادها للانسحاب إلى حدود ١٩٦٧/٦/٥ وهو ما يكشف عن نوايا توسعية.

(جـ) وأيضا أعلن الرئيس السادات فى مايو ١٩٧١ ترحيبه بزيارة وليام روجرز فى إطار جولته بالشرق الأوسط، وأقدم الرئيس فى نفس الوقت على خطوة ذات مغزى فى مايو/ ١٩٧١ بعزل نائبه على صبرى من منصبه لمعارضته لمبادرة فبراير/ ١٩٧١ والتى اعتبرها على صبرى اتجاه السادات إلى التسوية الجزئية، ثم تلى ذلك حركة التصحيح أو ما أسماه السادات بثورة التصحيح وضرب مراكز القوى فى ١٩٧١/٥/١٥.

(د) أخذت العلاقات بين السادات والاتحاد السوفييتى تسوء لتباطؤ الاتحاد السوفييتى فى الاستجابة لمطالب السادات بالسلاح، وفى يوليو ١٩٧٢ طلب الرئيس السادات من السفير السوفييتى بالقاهرة ابلاغ بلاده ما يلى:

= سحب الخبراء والمستشارين العسكريين من مصر خلال عشرة أيام.

= وضع كل المنشآت العسكرية السوفييتية فى مصر تحت الرقابة المصرية.

= كل الأسلحة الموجودة فى مصر والتى تخضع لرقابة السوفييت إما أن تباع لمصر أو تسحب فورا.

= إن كل المناقصات بين البلدين يجب أن تجرى فى مصر وليس فى موسكو كما كان الحال فى الماضى.

(هـ) ورغم ذلك كله لم تحدث استجابة من الولايات المتحدة الأمريكية بشكل ينهى النزاع فى الشرق الأوسط بشكل سلمى، ومن ناحية أخرى وبعد إعادة حساباته قام الاتحاد السوفييتى بإعادة امداد مصر بالسلاح مع بداية عام ١٩٧٣ وهو أمر تمكين القوات المسلحة بعد ذلك من استكمال استعداداتها لحرب أكتوبر.

التعقيب على عهد جمال عبد الناصر

أولا: المستوى الداخلى:

من أبرز ما وجه من نقد إلى التجربة الناصرية على الصعيد الداخلى كان ما يلى:

١ - الحياة الديمقراطية:

(أ) وعد الراحل جمال عبد الناصر بإقامة حياة ديمقراطية سليمة على انقاض الفساد السياسى الذى وصمته قيادة الثورة فور قيامها، ومرت فترة انتقالية كافية مورست فيها كل أشكال العمل الشعبى والرسمى ومن ذلك شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» وهو الشعار الذى رفعته قيادات الثورة فى مواجهة المطالبين بالديمقراطية.

(ب) ورغم مرور الفترة الانتقالية إلا أن الثورة فشلت فى إقامة حياة ديمقراطية سليمة، وقد فكر جمال عبد الناصر بعد نكسة ١٩٦٧ فى السماح باقامة حزبين سياسيين لانه ادرك أن الديمقراطية لا تقوم بدون قيام رأى آخر له نفس الحقوق والواجبات، ويعنى هذا القول ضرورة قيام الديمقراطية على أساس التعددية الحزبية إلا أن جمال عبد الناصر لم يتمكن من تحقيق هذا الهدف حتى وفاته.

(جـ) وقد قيل تبريرا للفشل فى إقامة حياة ديمقراطية سليمة أن الثورة كانت محاطة باعداء فى الداخل والخارج وهو أمر كان صحيحا فى جزئية واحدة أما بقية الابعاد فكانت من خلق وتصور أجهزة الأمن فى الدولة.

٢ـ أهل الثقة وأهل الخبرة:

(أ) سمح الرئيس الراحل بتصنيف المواطنين إلى أهل الثقة وأهل الخبرة وهو أمر أدى إلى التضحية بالتنمية السليم العلمية فى مقابل توظيف وتصعيد المحاسيب والانصار.

(ب) وقد أدى هذا الأمر إلى سوء الادارة فى قطاعات الدولة وانزواء أهل الخبرة وحرمان الدولة من جهودهم، بالاضافة إلى زيادة عدد الانتهازيين الذين اظهروا للدولة ولاء غير حقيقى، وحدث هذا حتى بين بعض صفوف الضباط من القوات المسلحة الذين كانوا معادين للثورة فعلا ومتعاونين معها اسما من أجل منافع ومواقع شخصية.

٣ ـ نشأة طبقة متميزة:

(أ) أدى مفهوم أهل الثقة والتخوف من المخاطر الداخلية والخارجية من الناحية الأمنية والرغبة فى حماية الثورة من المخاطر إلى تزايد الأعتماد على الضباط من القوات المسلحة لاحتلال المواقع القيادية الهامة فى الدولة وساعد على ذلك رغبة العديد من الضباط فى احتلال مواقع قيادية غير مؤهلين لها ورغبتهم فى الاستفادة المادية من تقلدها.

(ب)ـ د أتجه الاندفاع من الضباط إلى نواحى ثلاثة فى الدولة هى:

ـ اله راقع السياسية والتنظيمية العليا والمتوسطة.

٢ ـ وزارة الخارجية وخاصة المواقع العليا. «سفراء ـ وزراء مفوضون ـ مستشارون».

٣ـ الشركات «القطاع العام» فى المراكز الهامة .

أدى هذا الانتشار المصطنع إلى حساسية بين أفراد الشعب وإلى تفاقم مشكلة زيادة الضباط المشاركين فى الادارة.

(جـ) والجدير بالذكر أن هذه السمة لم تقتصر على الثورة المصرية بل تعدتها إلى بقية ثورات وانقلابات دول العالم الثالث. إلا أنها فى مصر كانت ظاهرة واضحة ومتضخمة.

٤ـ مراكز القوى:

(أ) أدى انتشار الطبقة المتميزة فى المجتمع المصرى من الضباط واقاربهم إلى نشأة ما أطلق عليه فيما بعد مراكز القوى.

(ب) وهذه المراكز كانت تتحرك فى حياة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

(جـ) وبعد وفاته حاولت أن تقوم بدور جماعات الضغط على نسق ما يقوم فى المجتمعات الديمقراطية إلا أنها لم تكن مؤهلة لهذا الدور، بالاضافة إلى أن القيادة السياسية الجديدة لم تكن مؤهلة هى الأخرى لقبول هذه الممارسات لأن قيادة الدولة كانت تعنى نظام الحكم الأبدى الذى لا يقبل وجود مراكز قوى أخرى خارج مركزه.

٥ ـ انهيار القوات المسلحة:

(أ) أدى الصراع المستمر على السلطة بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبين المشير إلى وضع خطير لأن هذا الصراع استمر يتحرك على خط التماس الذى يمنع تصفية هذا الصراع لصالح طرف دون آخر.

(ب) وأدى هذا التوازن المخل إلى أن تصبح القوات المسلحة أداة فى يد المشير يغدق عليها العطايا واهتمت القيادة السياسية بالعمل السياسى الداخلى والخارجى.

(جـ) وأدى هذا الغياب عن القوات المسلحة وتسييس الصراع إلى عدم تبين القيادة السياسية لواقع القوات المسلحة التى كانت منهارة فعلا قبل حرب ١٩٦٧ بسبب انخراطها فى العمل السياسى لصالح المشير.

٦ - هزيمة عام ١٩٦٧:

(أ) كانت هزيمة عام ١٩٦٧ محصلة الفشل فى إقامة حياة ديمقراطية، والفشل فى ابعاد القوات المسلحة عن مجال الصراع السياسى الداخلى.

(ب) وهذه الهزيمة أدت إلى تدمير كثير من المنجزات الداخلية والعربية، بل ودمرت صحة وهيبة القيادة السياسية نفسها.

(جـ) ولا يخفف من ذلك أن هذه الهزيمة كانت تخطيط وتنفيذ أمريكى - إسرائيلى.

٧ - التصور الاشتراكى:

(أ) إن العدالة الاجتماعية مطلوبة ويتم تحقيقها عبر أدوات تتفق مع الخصائص الداخلية لمصر وهى خصائص تقوم على: الوطنية والاسلام والعروبة والتسامح الذى قد يطلق عليه أحيانا الليبرالية.

- وقد حاول الرئيس الراحل تطبيق العدالة الاجتماعية مستعينا بنظام لم يتم تطويعه وفق الخصائص المحلية المشار إليها، ولم يتمكن قائد الثورة من أن يدخل بشكل فعال فى النسيج العام للمجتمع المصرى والعربى.

(ب) وقد أدى هذا الأمر إلى حساسيات داخلية، وإلى حساسيات عربية، وإلى صدامات عربية، وإلى صدامات دولية، ونشير إلى ذلك فى حينه.

٨ - **التنظيم السياسى:**

(أ) وهناك وجه آخر للثقة يتصل بأمرين سبق الإشارة إليهما وهما: الديمقراطية والطبقة المتميزة.

(ب) وقد حاول قائد الثورة إقامة تنظيم سياسى بديل عن الاحزاب السياسية القديمة. فأقام منظمة التحرير، ثم الاتحاد القومى، ثم الاتحاد الاشتراكى وبشكل سرى أقام التنظيم الطليعى. إلا أن كل هذه التنظيمات فشلت لانها أقيمت من أعلى ولم تتشكل فى تطور طبيعى. ويكفى للدلالة على ضعف هذه التنظيمات أنها لم تستطع الدفاع عن مبادئ وأهداف ومؤسسات الحقبة الناصرية بعد وفاة قائدها.

ثانيا: المجال العربى:

قامت ثورة مصر بقيادة جمال عبد الناصر فى وقت كان فيه العالم العربى متلهفا لقيادة عربية ناهضة تخلصه من الاستعمار وبراثن الصهيونية.

ووجدت الشعوب العربية فى جمال عبد الناصر فارسها والتفت حوله، وخاصة حول أزمة ١٩٥٦.

ووصلت زعامة عبد الناصر فى العالم العربى إلى درجة لم تحققها زعامة عربية من قبل، إلا أن هذا المد لم يستمر طويلا

وخاصة بانتكاسة الوحدة مع سوريا. وقد وجهت إلى عبد الناصر عدة انتقادات على المستوى العربى وأبرزها:

١ - الوحدة السورية:

إنه فضّل إقامة الوحدة العربية مع سوريا على أساس عاطفى بدلا من قيامها على أساس سليم وبالتدريج عبر الفيدرالية أو الكنفودرالية وصولا إلى الوحدة الكاملة.

٢ - الصراع مع الحكام العرب:

سلم يتمكن عبد الناصر من أحداث التعاون مع الحكام العرب بديلا عن المواجهة وذلك لأسباب كثيرة منها:

تخوف الزعماء العرب من فكرة القومية العربية التى تؤدى إلى انتهاء دولهم.

ومن فكرة الاشتراكية التى تهدد ثرواتهم بعد أن شاهدوا إجراءات التأميم والمصادرة فى مصر.

وأدى هذا الصراع مع الحكام إلى تشتيت قوى مصر فى منازعات كان يمكن تفاديها، بل أدى إلى دخول بعض هؤلاء الحكام فى مؤامرات تستهدف ضرب مصر من أجل ضرب جمال عبد الناصر. ومثال ذلك المؤامرات الأردنية والسعودية والمغربية.

٣ - كارثة عام ١٩٦٧:

(أ)- وقد أدى الصراع المصرى الداخلى والصراع العربى بين الحكام وعدم قيام قيادة عربية موحدة وإنخراط الجيوش العربية

فى المجالات السياسية والعداء الغربى ضد العرب، أدى كل ذلك إلى كارثة عام ١٩٦٧.

(ب) وقد أدت هذه الكارثة إلى مزيد من التفكك فى العالم العربى وإلى ضمور عبد الناصر وإلى معاناة مصر والعالم العربى من جراء نتائجها حتى حقبة التسعينات.

ثالثا: المجال الدولى

١ - العداء الغربى:

(أ) كانت بدايات عبد الناصر معقولة على الصعيد الدولى وخاصة أنه تمكن من الحصول على الدعم الأمريكى عام ١٩٥٦ وأدى هذا الدعم إلى إجهاض العدوان الثلاثى وخاصة لغضب أمريكا من هذا التحرك الذى تم دون استشارتها.

(ب) وكان من نتائج التحرك الصهيونى ناحية أمريكا والغرب والتحرك المصرى ناحية الاتحاد السوفيتى بسبب حظر السلاح إلى قيام فرز عالمى وضع إسرائيل والغرب فى جانب، والاتحاد السوفييتى ومصر وبعض الدول العربية فى جانب. وأدى هذا إلى تحالف واقعى كان من نتائجه أن ربطت أمريكا بين نظرتها الاستراتيجية للتهديد السوفييتى وبين أصدقاء السوفيت وابرزهم مصر واستعانت بيدها الطويلة الممسكة باسرائيل لضرب السوفييت فى العالم العربى.

(جـ) فهل كان يمكن تفادى العداء الغربى؟ بعض النقاد يجيبون بنعم والبعض بلا.

(٢) التحالف مع الاتحاد السوفييتى:

(أ) وقد جر التحالف مع الاتحاد السوفيتى إلى عداء غربى على النحو الذى قمنا بشرحه.

(ب) كما قام بخلط الطريق المصرى نحو تحقيق العدالة الاجتماعية بالطريق السوفيتى نحو الاشتراكية وهو خلط لم يكن فى صالح مصر.

الفصل الثاني

مدرسة «بن جوريون» والتعقيب على عهده

مدرسة بن جوريون

١ ـ الخط السياسى:

(أ) حياة «دافيد بن جوريون» هى عرض للقضية الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أيامنا هذه، فقد قضى معظم حياته فى خدمة الصهيونية، مشاركا فى صنع خططها، منفذا أهدافها العدوانية والتوسعية، بالنار والإرهاب والاغتيال، متخذا من أساليب الإبادة التى مارسها قادة بنى إسرائيل وانبياءهم منذ أربعة آلاف عام وسيلة لابادة شعب فلسطين العربى فى القرن العشرين. ويعتبر بن جوريون القدوة للأجيال اليهودية فى المستقبل فقد غرس فيهم عقدة التعالى على البشرية كلها، فلم يأخذ العبرة من التاريخ ولا من الكتاب المقدس الذى قرأه بتعمق حتى يعود إلى الصواب ويسلك طريق الخير والعدل والمساواة بين البشر، ويساير روح العصر الذى يعيش فيه، بنبذ عقيدة الشعب المختار، وفكرة السادة والأرقاء.

فلو أن «بن جوريون» ورفاقه من زعماء الصهيونية قد أدركوا هذه الحقيقة لزالت محنتهم وعاش الشعب اليهودى كريما فى وسط

الأسرة الإنسانية واندمجوا فى مجتمعاتها، يأخذون ويعطون بقدر ما ملكت واحتوت عقولهم من إبداع وخير.

وتثبت أغلب الدراسات التى تناولت حياة «بن جوريون» ومنهجه السياسى أنه لم يكن يتورع فى سبيل تحقيق أهدافه عن اتباع أية طريقة. فالغاية تبرر الوسيلة.. ومادامت الوسيلة تؤدى إلى النتيجة المرجوة، فلا يهم بعد ذلك تصنيفها أو تقويمها خلقيا. فلم يكن ضد الارهاب ولكن ضد توقيت الارهاب، كما رأى أن الأرهاب ضد العرب سيعود بنتائج مشجعة. حارب فى شبابه الاشتراكيين فى بولندا، وانضم للاشتراكيين فى فلسطين.. ثم شجع بعد ذلك على قيام طبقة رأسمالية فى إسرائيل، فهو إذن يغير مبادئه ،ومعتقداته وأساليبه وفق مجريات الحوادث لبلوغ غاياته.

وقد اتخذ نفس المسلك والأسلوب فى علاقاته مع الدول بعد قيام دولة إسرائيل، فعندما رأى عدم جدوى بريطانيا للصهيونية، اتجه إلى الولايات المتحدة، ثم إلى فرنسا ليحصل على أسرار القنبلة الذرية، وحصل على الكثير مما أراد. وقد فسر موقف فرنسا من إسرائيل بسعيها إلى إيجاد قوة توازن أوروبية أو بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى بمساعدة الصهيونية.

ويتساءل «هيدلى كوك» مؤلف كتاب Israel: A Blessing & Cure أن سياسة بن جوريون كانت ستسمر بعد وفاته، خاصة وأن العناصر العسكرية من الجيل الثانى تعد من مدرسته. ويجيب على هذا السؤال «الفريد ليلينتال» فى كتاب: The other Face of the Cain بأن قيادة بن جوريون لاسرائيل وتأثيره فى العسكريين قوى جدا،



بن جوريون

ويرى أنه طالما بقيت آراء «بن جوريون» حية فإنه ليس ممكنا أو معقولا أن تأخذ إسرائيل بعين الاعتبار أى طلب أو اقتراح عادل.

ب - ولم يكن «بن جوريون» على كل حال يتوقع تسوية سلمية فى ظل الأوضاع العالمية السائدة، ولن يأتى السلام مع العرب إلا حين تصل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى إلى اتفاق على القضايا الدولية. وقد يقع ذلك فى عشرة أعوام أو عشرين عاما.

وقد وقف بحزم منذ إقامة دولة إسرائيل إلى جانب القوى الغربية، فاسرائيل معزولة ولديها مما تمنح القليل.

كان لا يثق فى البريطانيين ولكنه مع حرصه على علاقات جيدة مع الأمريكيين، ازداد ميله نحو فرنسا، بل لقد قامت سياسته الخارجية على أساس من الصداقة الفرنسية - الاسرائيلية التى سمحت له إلى حد ما باتباع سياسة ديجولية مع الاحتفاظ بنهج استقلالى تجاه الولايات المتحدة وذلك سلوك جرىء مدهش من جانب دولة صغيرة،مطمئنا للتأييد الفرنسى بما كان يمكنه من البدء فى مشروعات لا تسر الأمريكيين.

وهكذا كسب «الاتفاق الهامشى» ثم تشاور فيما بعد مع واشنجتن. وبنى المفاعل الذرى فى «ديمونة» دون علم الأمريكان.

(جـ) وكان يوجه سياسة «بن جوريون» الخارجية مبدأ أساسى واحد، هو الدفاع وبقاء اسرائيل، ومن أجل ذلك كان مستعدا أن يمد حبال الصبر والتحمل لألمانيا رغم ما اقترفته الدولة نحو الشعب اليهودى، ولم يكن سلوكه تجاه الألمان قائما على الصداقة، فهم عنده مذنبون فى أبشع الجرائم ضد الشعب اليهودى ومن واجبهم من ثم مساعدة إسرائيل للدفاع عن نفسها.

على أن السمة الغالبة فى «بن جوريون»، الذى تربى على تعاليم التوراة، وواجه الحقائق القاسية، أن تصوره لاسرائيل والعالم إنما يقوم على إعلاء القيم الأخلاقية والإنسانية، وجعل مبادئ أمة صغيرة مثالا للعالم فتكون اسرائيل عرس الماضى البعيد والمستقبل القريب، الوريثة المباشرة للمملكةالقديمة التى بعثت من بعد قرون تحاول أن تنساها.. من المنفى.

لقد أنشأ بن جوريون أمة، ولكن الشعب مع ذلك انقلب ضده، كما وصل إلى قمة صعوده الدرامى.

(د) وقد حرص بن جوريون فى جميع مراحل حياته حتى الممات فى إظهار العرب بوصفهم شعوبا متأخرة وأن الدول العربية الستة التى كانت أعضاء فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ قد تحدوا المنظمة الدولية وأعلنوا الحرب على إسرائيل، وقد صدق كثير من الكتاب الغربيين ادعاءات بن جوريون دون أن يحاولوا التعرف على حقيقة الدول العربية والتعرف على انعدام السند القانونى لليهود فى فلسطين.

(هـ) وبخلاف القدامى الذين يرهقون جيل الشباب بمطالب التمجيد للماضى، ظل «بن جوريون» برؤيته للمستقبل - كالحجر الذى ينقط المثال - ليحرر الصورة الحبيسة بداخله، فالصحارى ستستسلم لنشاط المدن الجديدة الرائدة، والجامعات مثل «اكسفورد» فى النقب التى خطط لها فى مستعمرة «Sde Bok-er»، والأراضى الخصبة، وفى مخيلته الواثقة رأى مشروعات ضخمة تجلب المياه للمساكن الجديدة حيث يعيش مليون

يهودى، والمنشآت الشمسية التى تحول حرارة الشمس إلى طاقة، ومشروعات الذرة التى تستخرج الطاقة لكل الشرق الأوسط، وفى تل أبيب والقدس كان اتباعه من الشباب يناقشون هل تعيش اسرائيل بروح «الكيبوتز» مع المتطوعين الذين يستصلحون الأرض بجهودهم الذاتية الشاقة، أم ستكون هناك ثورة تطوير التى سيحل فيها الجرار والآلات محل المعول والجاروف.

وكان بن جوريون نفسه يؤمن بأنه من المستحيل أن تحل الآلة محل الإنسان، وهناك حتى الآن إمكانية صناعية للعمل التطوعى ومؤسسة الدولة التى تحافظ على الفكر الاشتراكى بينما تحولها إلى حقائق فى عصر التقنين «التكنولوجيا»، ولعل هناك آخرين ينشغلون بمناقشات نظرية، وكان بن جوريون راضيا أن يرى المبانى المجسمة فى «بير سبع» صغيرة الحجم التى تتضاءل أمامها المدينة القديمة، كما رأى تخطيطا لمدن جديدة فى «النقب» و«إيلات» تنتشر وكأنها عزف المطرقة والسندان، وكانت هذه هى اسرائيل الوليدة فى عمرها الغابر، تصرخ وتطالب بالمستقبل.

ولم يكن كل ما رآه ملائما له مع عمره الجاد الطويل، فقد قاوم الطلب على التليفزيون فى اسرائيل ورأى فيه ترفيها غير منتج، لقد رآه فى الولايات المتحدة وفى فرنسا ـ عند زيارته الرسمية للجنرال «ديجول» وفى دول الشمال (اسكنديناڤيا) وقرر أن التليفزيون متلفا أكثر منه مكلفا، ويعتقد أنه قال أن الأمة المحاطة بالعرب ليست فى حاجة إلى أفلام رعاة البقر والأفلام الهندية، كما لم ترق له صورة من بعض أجزاء تل أبيب حيث يخيل له أنها براقة رخيصة

(مبهرجة) تحكمها «Levantinism» بثقافة قديمة التقطها المتجولون الاسرائيليون أو من السياح فى اسرائيل أحيانا أخرى.

وبالنسبة لـ «Hazaken» فإن أنقى هواء فى الصحراء هو الهواء الحقيق الذى تستنشق فيه روح المواطن الاسرائيلى، وفى سنه المتقدمة، وبيده التوراه، يمكن أن يهب نفسه لأن يكون مربيا، وهو عمله طول حياته، سواء بين المهاجرين «السفارديم» فيمن كان يريد منهم الاندماج فى التقاليد الغربية وبحماس فى الحياة الاسرائيلية، أو بين الأمم الأفريقية الجديدة التى منحها نتائج الخبرات الاسرائيلية، وقبل تشكيل فرق السلام فى الولايات المتحدة بزمن طويل، كانت اسرائيل قد بدأت فى ارسال المتخصصين منها فى الطب والصناعة والزراعة إلى أفريقيا عقب تصور وفكر «بن جوريون» القيادى بأن اسرائيل ستكون جسرا بين الغرب من جانب وأفريقيا وآسيا من جانب آخر.

مر طوال حياته المفعمة بالأخطار، والصراع من أجل التسوية، وأصبح معتادا على وجود الأعداء، وعلى هذا لم يتردد فى تكريس نفسه للإيمان المثالى فى أخوة الإنسان، ولهذا لم ينشد تصريحا سماويا فى إطار التنظيم الدينى، لكنه أقنع نفسه باجابته الشخصية، وفيها دراسة نسبية مقارنة ساعده فيها الدين.

وقد رأى بن جوريون أنه أقرب إلى الشباب من رفاقه الشيوخ، ورأى أن من يخلفونه من الجيل الذى نما مع البلاد وزادته حرب الاستقلال صلابة، يقدرون الحقائق ويضعون مصلحة البلاد فوق الحزبية.

وأثبتت انتخابات نوفمبر عام ١٩٥٩ أن بن جوريون كان على صواب فى وضع الشبان، بيريز وديان وأبا ايبان، على رأس قائمة مرشحيه، فقد أنتخبوا جميعا، الأمر الذى أثار حفيظة الحرس القديم الذى وجد فى قضية لافون فرصة للانتقام، وكان أقوى حليف ضد أعمال «بن جوريون» هو نفسه، فقد كانت أخطاؤه تعادل انتحاره السياسى.

٢ـ العسكرية التوسعية:

(أ) كانت مدرسة بن جوريون شاملة تؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، ولم يكن ضد الإرهاب بل ضد توقيت الارهاب، وكان يؤمن بالتوسع واللجوء إلى الحرب للدفاع وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى. ولذلك نرى هذه المدرسة قد استخدمت كل السبل قبل وإبان حرب ١٩٤٨ لتدعيم السياسة التوسعية ـ العدوانية لاسرائيل، فعمدت إلى اساليب الابادة والارهاب ومصادرة الأراضى وطرد السكان، وكانت هذه السياسات تستند إلى نظرة استقلالية بوصف اليهود شعبا مختارا والعرب أدنى مرتبة.

ولإيجاز هذه النظرة قبل الدخول فى التفاصيل نعرض للأهداف التى عرضها بن جوريون فى نوفمبر ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثى على مصر فقد ذكر إنها:

١ـ القضاء على قوات العدو التى تهدد إسرائيل.

٢ـ تحرير الأجزاء من الوطن التى لا تزال تحت احتلال الاعداء، ويقصد سيناء وغيرها.

٣ ـ ضمان حرية المرور فى العقبة والسويس.

وعقب حرب ١٩٦٧ خطب بن جوريون قائلا:

١ـ إن حرب الأيام الستة ليست المعركة الأخيرة.

٢ـ لابد من قدوم موجة كبرى من المهاجرين اليهود لدعم الاستيطان.

(ب) وتظهر شخصية بن جوريون المخادعة من خلال حرب ١٩٥٦ لأنه يحاول أن يطمس معالم التآمر فنجده فى كتابىّ «سنوات التحدى»، و«بن جوريون ينظر إلى الوراء» أو يتذكر. لم يبين أن لإسرائيل علاقة بالعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ على مصر مع أن موشى ديان أخلص تلاميذه أكد فى كتابه «مذكرات حملة سيناء» التجاهل المتعمد، وخاصة توجه بن جوريون سرا إلى فرنسا وإشتراكه فى خطة الاعتداء، وأيضا كشف أن بن جوريون حاول أن يأمر القوات الإسرائيلية بالإنسحاب عندما تأخر الإنجليز والفرنسيين فى ضرب المطارات المصرية.

وقد ظهر أن سياسة بن جوريون مستمرة فى إسرائيل حتى بعد وفاته. هذه السياسة التى تتلخص في التجمع ثم التوسع وهى القاعدة التى لا يمكن لأى زعيم اسرائيلى أن يشذ عنها، القاعدة الأساسية للمخطط الصهيونى التوسعى التى يقوم بتنفيذها الجيش الذى يناط به الحفاظ على كيان اسرائيل. اما التكتيك الحربى الذى أقامه «بن جوريون» على الخداع يتشابه فى كافة حروبهم العدوانية ـ ففى عام ١٩٥٦، أشاعوا بأنهم يدبرون عدوانا شاملا على الأردن، ولكن

الجيش هجم على غزة وسيناء بالتواطئ مع فرنسا وإنجلترا. وعندما أدين العدوان عارض بن جوريون الانسحاب، وذكر بن جوريون أن غزة لم تكن أبدا ملكا للمصريين، ولمدة ثمانى سنوات لم تعمل فيها شيئا لتطويرها، واتهم الأمم المتحدة باللين تجاه العرب والجفاء تجاه اسرائيل بخصوص سيناء التى ليست إلا «كاريكاتير للعدالة»، كما أثار «بن جوريون» فى مذكراته مسائل كثيرة من الجدل والمغالطة حول اتفاقية الهدنة وحرية المرور فى قناة السويس منذ قرار الامم المتحدة فى أول سبتمبر ١٩٥١، ورد «همرشلد» بتقرير إلى الجمعية العامة بنزع سلاح العوجة واقترح وضع قوات الطوارئ فى الجانب الاسرائيلى على الأقل كما فى جانب مصر. وكتب «بن جوريون» أن الخلاف والجدل الذى شغلت به اسرائيل لم يكن فى ذلك الوقت مع الاتحاد السوفييتى بل مع جميع أعضاء الامم المتحدة وفى المقام الأول مع الولايات المتحدة، وكان واضحا للجميع أن إدارة «ايزنهاور» تحاول التشجيع لاستخدام العقوبات الاقتصادية والتهديد لاجبار إسرائيل على الرضوخ لقرارات الامم المتحدة.

وفى ٢ فبراير ١٩٥٧ أقرت الجمعية العامة قرارها السادس بمطالبة اسرائيل بالانسحاب فى الحال، وقرار آخر يطالب بالحفاظ على الهدنة العسكرية ووضع قوات الطوارئ على خطوط الهدنة، ورغم برقية ايزنهاور التى تحذر من أن استمرار تحدى الأمم المتحدة يمكن أن يؤدى إلى تفكير جدى للعلاقات بين اسرائيل والاعضاء الآخرين فى الامم المتحدة بما فيهم الولايات المتحدة، فإن «بن جوريون» وحكومته عارضوا طلبات الأمم المتحدة فى اليوم التالى، وقد أدى ذلك إلى انقاص المعونة الأمريكية لإسرائيل، وانخفضت

ميزانيتها وصاحب ذلك تسريح ٢٥٠٠ عامل مدنى، كما كان من المتوقع أن تخسر اسرائيل خمسة وعشرين مليون دولار من المساعدات ،وثلاثين مليون دولار من الفائضات الزراعية، وقرض استيراد بنكى قدره خمسة وسبعين مليون دولار. ولابد أن ينخفض مستوى المعيشة فى اسرائيل التى كان يبدو أنها مستعدة لذلك. ومع الأسف وكالمعتاد لم يستغل العرب هذا الوضع المتداعى فى العلاقات بين أمريكا واسرائيل. ومع الأسف وكالمعتاد لم يستغل العرب هذا الوضع المتداعى فى علاقات أمريكا وإسرائيل.

وفى ١١ فبراير سلم «دالاس» لـ «أبا ايبان» مذكرة قبلتها اسرائيل فيما بعد كوثيقة اساسية للانسحاب الفورى غير المشروط، وفيما يختص بخليج العقبة تعتقد الولايات المتحدة أنه يمثل مياه دولية.

تعقيب على عهد بن جوريون

كشف مراسل «للمانشستر جارديان» بتاريخ ٢٠، ٢١ نوفمبر، أول اعتراف مباشر عن التآمر الحربى، وبمقابلات مع الطيارين الفرنسيين الذين أرسلوا للهجوم على المصريين فى سيناء، والطيران لحماية الأراضى الاسرائيلية، والقاء الامدادات للفرق الاسرائيلية فى سيناء مثلا، والهجوم بالنابالم على العربات الحربية المصرية والتى رآها تحترق فى الصحراء. وقال إن الدور الفرنسى كان حاسما فى نصر إسرائيل فى سيناء، وقد دحض إنكار ديان الرسمى - والغير صحيح - للمشاركة الفرنسية، وفى ١٥ نوفمبر أزاح «أبا إيبان» الستار أمام الأمم المتحدة عن الوثائق التى قال أنها ضبطت فى مراكز

القيادة فى سيناء، والتى قال المصريون فى الأمم المتحدة أنها مليئة بالأخطاء اللغوية إذ احتوت على سبعة عشر كلمة لا تستعمل فى اللغة العربية،.كما قال المراسل العسكرى «لجيروزاليم بوست» فى ٢١ نوفمبر أن أيًّا من الوثائق ورد بها خطة مصرية للهجوم على اسرائيل عاجلا أو آجلا، بل على العكس فإن تخفيض عدد القوات المصرية فى سيناء قبل الحرب يؤكد أن مصر ليس فقط لم تخطط للهجوم بل ولم تتوقع أن إسرائيل تخطط للهجوم، بل وكما أكد «ديان» بأن القوات الإسرائيلية كانت تطور مواقعها الهجومية على الحدود لمدة عام بينما المصريون ظلوا فى المواقع الدفاعية.

(د) وقد لجأت التوسعية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ إلى نفس المخطط وذلك بإيجاد أو خلق السبب الذى يبدو أمام العالم أنه يدفعها إلى الحرب، إذ أوحت إسرائيل بأنها تدبر هجوما شاملا على سوريا بعد حوادث الحدود، ولكنها شنت هجومها على مصر، ويعزو «بن جوريون» سبب انتصار اليهود فى هذه الحروب، لا إلى الحلف غير المقدس بين الصهيونية والاستعمار، بل إلى التفوق الروحى لليهود وإلى انعدام إرادة القتال عند العرب، إذ يفكر فى مؤلفه «Ben Gurion of Ipreal» أن القوى الروحية عند اليهود قد تغلبت على القوى المادية عند العرب، وهذا يدل على تناقض فى هذه الأقوال، فيذكر مرة أن اسرائيل بلد قوى وناهض، ومرة أخرى أنه بلد ضعيف محاط بشعوب عدوانية، وهى - أى أسرائيل - تنادى بالتوسع وترى أن القوة هى التى تحسم المشكلات وتعين الحدود وتارة أخرى تتظاهر بالسلم فى الوقت

الذى تعد نفسها للهجوم وتنادى بالحرية ثم تصوت مع الاستعمار فى المحافل الدولية ضد أي قضية تحررية.

إن عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧، وما حققه من مكاسب كانت أمنية بن جوريون منذ عام ١٩٤٨ وقد تشبث الاسرائيليون بالأرض التى استولوا عليها بالقوة (الضفة الغربية والجولان والقدس وسيناء) كدليل على فعالية وتطبيق الاستراتيجية الصهيونية.

إن تصرفات إسرائيل تؤكد بأن التشدق بالاعتدال والتطرف لا معنى له فى المخططات الصهيونية، لأن كل صهيونى ملتزم بالأهداف القصوى لهذه المخططات وأن الاختلاف ما هو إلا مجرد اختلاف فى التوقيت.

وفى الشتات على مدى ألفى عام، كان الشعب اليهودى بلا وطن، وليست له سلطة مركزية، وحتى الديانة اليهودية كانت طبقا للشتات وينقصها ما للديانات الأخرى، وأطاع اليهود النظرية السياسية التى تحكم الدولة المضيفة فى منفاهم.

وكان طموح مؤسس الحركة الصهيونية قد سد هذا القصور الأساسى فى حياة الشعب باعادته إلى وطنه وإرجاع حياته الوطنية المستقلة، فإذا كان الاسهام الرئيسى «لتيودور هرتزل» هو تكوين الصهيونية السياسية وتأسيس منظمة الصهيونية العالمية، وإسهام «حاييم وايزمان» التوصل إلى وعد بلفور، فقد كان العمل الرئيسى «لديفيد بن جوريون» هو إقامة دولة إسرائيل، وكان هذا الانجاز تتويجا لحياته وابرازا لموقعه الفريد فى التاريخ. وبذل «بن جوريون»

قصارى جهده من أجل إقامة السلطة، وكانت كل السنوات التى عمل فيها سكرتيرا للهستدروت موجهة إلى بناء الهستدروت على أعضائه والعمل العام فى فلسطين، وحين انتخب للوكالة اليهودية ناضل لتوسيع هذه السلطة فى كل ما يتعلق بالشعب اليهودى فى فلسطين، وحاول لأبعد من ذلك إلى فرض هذه السلطة على كل يهود العالم.

وقد رأى «بن جوريون» فى الصهيونية الحل الوحيد للمشكلة التى تواجه الشعب اليهودى والفرصة الفريدة للخلاص، وكان مقتنعا تماما بأن الصهيونية إذا لم تتحقق حالا، فإن الشعب اليهودى مقضى عليه، وهذا يفسر لماذا تفوق على زملائه فى الحركة العمالية والقيادة الصهيونية، مدفوعا باحساس دائم بأن الأرض تحترق تحت أقدام اليهود وخاصة فى أوروبا، وكانت محنتهم مصدرا للقوة بالنسبة له «ومصدرا طبيعيا»، وعندما ازداد الخطر تحت حكم «هتلر» وهددت الكارثة يهود أوروبا، كان هذا المحك الذى وضعه تحت الاختبار.

ومن أقوال بن جوريون التى تنم عن صفاته وقرارة نفسه: «سقطت يهودا بالنار والسيف والدم، وستقام اسرائيل بالنار والسيف والدم».

وأغلب الدراسات التى تناولت حياة «بن جوريون» ومنهجه السياسى تثبت أنه لم يكن يتورع فى سبيل تحقيق أهدافه عن اتباع أية طريقة فالغاية تبرز الوسيلة، وما دامت الوسيلة تؤدى إلى النتيجة المرجوة فلا يهم بعد ذلك تصنيفها أو تقويمها خلقيا، فلم يكن ضد الارهاب ولكن ضد توقيت الارهاب.

ويتساءل «هيدلى كوكو» إن كانت سياسة «بن جوريون» ستستمر

بعد وفاته، خاصة وأن العناصر العسكرية من الجيل الثانى تعد من مدرسته، ويجيب على هذا السؤال «الفريد ليلينتال» فى كتابه «الوجه الآخر للعملة» بأن قيادة «بن جوريون» لإسرائيل وتأثيره فى العسكريين قوى جدا، ويرى أنه طالما بقيت آراء «بن جوريون» حية فإنه ليس ممكنا أو معقولا أن تأخذ إسرائيل بعين الاعتبار أى طلب أو اقتراح عادل.

وقد أجابت مجريات الأحداث على تساؤلات المؤلفين إذ أظهرت أن سياسة «بن جوريون» مستمرة فى إسرائيل حتى بعد وفاته، هذه السياسة التى تتلخص فى التجمع، ثم التوسع وهى القاعدة التى لا يمكن لأي زعيم فى إسرائيل أن يشذ عنها. إنها القاعدة الأساسية للمخطط الصهيونى التوسعى التى يقوم على تنفيذها الجيش الذى تتبلور مهمته فى الحفاظ على كيان إسرائيل.

كان يرى أن كيان الدولة إنما يتوقف على الارتباط بتراب إسرائيل، وأن النقب تلك المنطقة الكبرى لابد من تعميرها بالسكان باستصلاحها واستمرار الهجرة إليها بكل ما تكلفه.

ذلك أن إسرائيل عند «بن جوريون» ليست ملكا لسكانها بل لكافة اليهود فى العالم، وإن لم يكن لهم حق فى التدخل فى سياستها فى الداخل أو الخارج، فقلب إسرائيل إنما يخفق فى القدس لا فى نيويورك أو لندن، وكان سلوك «بن جوريون» هذا نتاج نضاله الطويل ضد قادة الصهاينة فى الخارج، لقد وجد الإسرائيليون التهديد العربى والخطر الماثل على الحدود، ومع ذلك فإن على اسرائيل إذا وافق العرب على إقامة السلام - وهو الأفضل كثيرا - أن تظل قوية مما يحمل العرب على التخلى عن طموحهم فى تدميرها.

وكان يوجه سياسة بن جوريون الخارجية مبدأ أساسى واحد هو الدفاع وبقاء إسرائيل، ومن أجل ذلك كان مستعدا أن يمد حبال الصبر والتحمل لألمانيا رغم ما اقترفته الدولة نحو الشعب اليهودى، ولم يكن سلوكه تجاه الألمان دائما على الصداقة، فهم عنده مذنبون فى أبشع الجرائم ضد الشعب اليهودى، ومن واجبهم من ثم مساعدة اسرائيل للدفاع عن نفسها.

تلك سطور لعلها تأخرت عما كان ينبغى من ظهورها بيننا زمنيا وذلك من منطق ما كنا نعلن أن «أعرف عدوك» وإن لم نكن نعرف ما كان يجب أن نعرف وأن نستعد له كما استعد هو بالاتحاد والتنظيم والتخطيط فضلا عن حسبان الممكن وغير الممكن واستغلال العلاقات ولباقة السياسة.

كان «بن جوريون» وإن عددناه نحن من المجرمين - نبيا فى قومه مؤمنا بعقيدته التى عمل لها حياته فلتكن فى تلك الصحف عبرة لنا وخبرة لأبنائنا ومن يعقبنا من أجيالنا.

المراجع العربية

(١) اسرائيل الكبرى الدكتوراسعد رزق، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨.

(٢) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى. الدكتور أسعد رزق.

(٣) إسرائيل ١٩٨٥؛ أحداث ومواقف. اعداد رضا سليمان.

(٤) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر الدكتور محمد عبدالعزيز ربيع.

(٥) إسرائيل ١٩٨٤.

(٦) الأخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل. حسين كروم.

(٧) الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائق دكتور يونان لبيب رزق.

(٨) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى ـ مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٩) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله.

(١٠) التفسير الكبير للفخر الرازى ط (٣) (١١)تاريخ الرسل والملوك. امين جرير الطبرى، دار المعارف.

(١٢) التاريخ السرى لحرب إسرائيل. ميشيل بار زدهار.

(١٣) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى.

(١٤) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل. وزارة الخارجية المصرية.

(١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦.

(١٦) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل. م.ص. سيجال، ترجمة وتعليق دحسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧.

(١٧) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.

(١٨) حقيقة اسرائيل. اللواء الركن محمود مشيت خطاب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

(١٩)دلالة الحائرين. موسى ميمون- عارضة بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢.

(٢٠) دقت أجراس السلام، عبدالمنعم شميس.

(٢١) الدبلوماسية الصهيونية .الدكتور فايز صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٧.

(٢٢) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢.

(٢٣) السادات رجل الحرب... ورجل السلام، موسى بدوى.

(٢٤) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وأخرين.

(٢٥) السلام الصعب. فوميل لبيب.

(٢٦) السلام الضائع فى كامب ديفيد. محمد ابراهيم كامل.

(٢٧) السياسة الأميريكية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب دفيد. محمود محمد عبدالغفار.

(٢٨) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية. نصار علمية.

(٢٩) الشرق الأدنى القديم؛ حـ ١ مصر والعراق عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٦٧.

(٣٠) عند مفترق الطريق ـ حرب أكتوبر ماذا حدث فيها وماذا حدث بعدها، محمد حسنين هيكل.

(٣١) العرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلى مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية:

(٣٢) الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٣٣) لفكر الدينى الإسرائيلى.حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١.

(٣٥) قاموس الكتاب المقدس ـ بطرس عبدالملك وآخرون. بيروت، ١٩٦٤.

(٣٦) القرن الكريم.

(٣٧) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.

(٣٨)قصص الأنبياء.ابن كثير. القاهرة.

(٣٩) قصص الأنبياء. أحمد الثعلبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤.

(٤٠) قصص القرآن. عبدالوهاب النجار، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤١) القصصى القرآنى. عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥.

(٤٢) قنطرة الشر إسرائيل؛ طريق الامبريالية إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٤٣)كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات. وليام ـ ب كوانق.

(٤٤) الكتاب لمقدس (كتب العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٤٥) الكتب التاريخية فى العهد القديم. مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨.

(٤٦) المابابى الحزب الحاكم فى إسرائيل. ابراهيم العابد، منظمة الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٧) ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منير الريس.

(٤٨) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرين توثيق وتحليل علمى. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٤٩)محاربون ومفاوضون. كمال حسن على.

(٥٠) المدخل إلى سياسة اسرائيل الخارجية. سيد نوفل.

(٥١) مصر وأمريكا ـ عرض تاريخى لتطور العلاقات المصرية الأمريكية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٥٢) مصر والصراع العربى الاسرائيلى.

(٥٣) مصر والعرب واسرائيل فى الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٥٤) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. أبوالمحاسن عصفور ـ دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

(٥٥) معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص

باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفةالغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩.

(٥٦) معاهدة السلام العربية لإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط. ابراهيم محمد العنانى.

(٥٧) الملل والنحل. محمد بن عبدالكريم الشهر ستانى مكتبة الأنجلوء القاهرة، ١٩٧٧.

(٥٨) المناظرة بين بطرس غالى وموش ديان، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية. اسامة الغزالى حرب.

(٥٩) المنظمة الصهيونية العالمية. اسعد عبدالرحمن منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧.

(٦٠) مؤتمر كامب ديفيد.. رؤية علمية. عبدالعزيز سليمان فؤاد وأخرين.

(٦١) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر. د. عبدالعظيم رمضان.

(٦٢) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة. باقمة ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة. وزارة الخارجية المصرية.

(٦٣) الوجود الاسرائيلى والعربى فى أفريقيا.

محبات أمام الشرابى

(٦٤) وعليكم السلام. محمود عوض.

(٦٥) اليوميات الفلسطينية مجلد ٥,٤ من ٦٧/٧/١ الى ١٩٦٧/١٢/٣١.

(٦٦) اليوميات الفلسطينية مجلد ٦ من ٧/١/٦٧ إلى ١٩٦٧/١٢/٣١

المراجع الأجنبية

1- The Road to Camp David. U. S. Negotiation Strategy towards the Arab– Israeli Conflict. Thomas Parken.

2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.

3 - The Commanders. Bop Woodward.

4- Present at the Creation, "My years in the State Department".Dean Acheson.

5 - Herzil. Amos Elon.

6 - Israel's Secret Wars. I an Blak& Benny Morr.

7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litrinoff.

8 - Zionism and the Arabs, 1882-1948. (Astudy of Ideology).Yosef Gorny.

9 - Ben- Gurion. Robert St. John.

11- Ben- Gurion and the Palestinian Arabs from Peace to War.Shabtal Tereth.

12- Ben- Gurion "The Burning Ground" 1986- 1948.Shabtal Tereth.

- Ben- Gurion (Apolitical Biograbhy).Maurice Edelman.

13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.

14- Suze The Twice- fough War (Ahistory).Kennet Love.

15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.

16 - Israel: Year of Challenge.

17- Ben- Gurion looks back.

18- The Arab Brycott of Israel.

19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.

20 - Israeli Pitnetion. The Promise of Peace Economic Cooperation Between.Arab, Ruth. W.

21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.

22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.

23 - Decisions in Israeles Forign Policy. Aronse, Shloms.

24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foriegn Policy. Brecher, Michael.

25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.

26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.

27 - Negotiating for Peace ın the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.

28 - Egypt- Israeil.Fahmy Ismail.

29- The United States and Israel. Sacher, Morley.

30 - The Palestınian proplem and U. S. Policy. Reich, Bernard.

31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.

32- Politıcial Ideologesof israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.

33 - Ideogical Change in Israil Micihigan State University. Any-onovsky, aoron.

34 - The Government of the State of Israeil, Twayne Pulishers INC, New Yourk 1963. Arayan; Alan.

35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.

36 - Ben- Gurion Looks back (talks withe Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biograbhy of Ben-Gurion Arthur Barmer Limited, London 1966.

38- Badi Joseph. The Covernment of Israel Twayne Publishers Inc. New York 1963.

39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.

40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.

41- Ben Curion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical libary, New York, 1954.

42- Bernestien, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.

43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israeal Random House, New York 1967.

44- Gooke, Hedley V. Israeal: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.

45- Dayan, Moshe. Diary of the Siniai Cammpaing English Translation by George Weidenfield and Nicolson Ltd London, 1966.

46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whititlesey Housse, New York, 1950.

47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.

48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.

49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.

50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc New York 1950.

52- Learsi, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.

53- Desmond Donnlly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-1963 New York: St. Martin's.

54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington, D.C.U.S. Government Printing office) Vol. III, p. 20 I.

55- Foreign Relatiions of the United States, 1942 (Washington, D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.

56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV, pp 841. 42.

57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3) pp; 909-10.

58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C. U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.

59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington; D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.

60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Printing Office, 1949.

61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princetion University Press 1949) p, VIII.

62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52. 53.

63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.

64- Current Development in United States Foreign Policy (Washington, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp. 4,5.

65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Columbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

66- Michael Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab World' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.

67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.

68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.

69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.

70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.

71- Ceorge Livet- les Cuerres de Religion 2a, edicao Paris, 1966.

72- Ceorges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.

73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay-(France)- pg. 200.

74- Cecile Morrision - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.

75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.

76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.

77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.

78- Idem, idem, pg. 19.

79- Idem, idem, pg 24.

80- Idem, idem, pg 26.

81- Idem, idem, pg 29.

82- Idem, idem, pg 30.

Bibliography:

1- David Sling, Shimon Peres, Intervews, London, 1972.

2- Aaron S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman-Bras sey's international Defense publishers, New York 1990.

3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglo-Israel sociation, 1957.

4- Herzi Diaries, Vol. I.

5- Dr. Fayez Sayegh, The Zioist Diplomacy, Research, Center, P.L.O. Beirut, 1969.

6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.

7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London. 1952.

8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.

9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.

10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.

11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford University press, 1972.

12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government of Israel, Year Book, 1952.

13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.

14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, Internationol politics and Forign policy, 1969.

15- Chaim Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon Books, New York, 1969.

16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Challenge.

17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a Paleastinian State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.

18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.

20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.

21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.

22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and transIted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987.

2- The New Times, May, 15, 1990.

3- The Jewish Observer, August 25. 1987.

4- The New Outlook, August/ September, 1985.

5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeli Foreign Policy.

6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.

7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.

8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.

9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.

10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.

11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?

12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.

13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

14- Bernstein, Marver, H., The Politics of Israel, Princeton, Princeton University Press, 1957.

15- Cooke, Hedley Vicars, Israel, a Blessing and a Curse, London, Stevens, 1960.

16- Gordon, A. D., Selected Essays, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestine, 1938).

17- Government of Israel, Corernment Yearbook, 1953- 1954.

18- Government of Israel, Statisical Abstact, 1964.

19- Hadwin; Arnold, politics in Israel, London, Anglo - American Association, 1960.

20- Kerem Moshe, The Kibbutz, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.

21- Kraines, Oscar, Gorernment and Politics in Israel, Boston, Houghton Mifflin, 1961.

22- Lillienthal, A. What Price Israel, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.

23- New Outlook, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.

24- Peretz, Don, The Middle East Today, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.

25- Seligman, Lester, G. Leadershib in a New Nation, Athzrton Press, New York, 1964.

26- Who's Who (Israel)

27- Zweig, Ferdynand, The Israel Worker, Sharon Books New York, 1959.

28- Dead- Line Date of World Affairs, New York 1948-1966.

29- Keesings Contemporary Archires, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standerd Jewish Encyclopedia.

محتويات الجزء الثاني من كتاب المفهوم السياسى والاجتماعي لليهود عبر التاريخ.

القسم الثالث

القسم الرابع

القسم الخامس

القسم السادس

القسم السابع

القسم الثامن

القسم التاسع

القسم العاشر

القسم الحادى عشر

حرب عام ١٩٦٧م

القسم الثانى عشر

القسم الثالث عشر

القسم الرابع عشر

القسم الخامس عشر

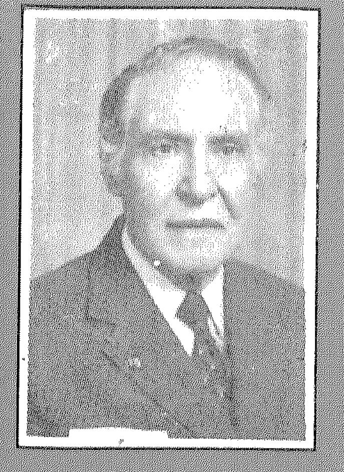
القسم السادس عشر

القسم السابع عشر

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٩٥٩٧

I.S.B.N 977-01-4570-X



السفير الدكتور/ حسين شريف

* حاصل على ليسانس فى القانون ـ ودكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.
* إلتحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢ وعمل بالاتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل، وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.
* مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

* وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
* مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
* النواحى الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
* التحدى اليابانى فى التسعينات.
* السياسة الخارجية الأمريكية ـ اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان)
* المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ـ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ق م ـ ١٩٩٥م (أربعة أجزاء)
* له مقالات عديدة فى السياسة الدولية.
* حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.
  ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.
  ووسام الرافدين من العراق.
  ووسام وكزويرودى سول من البرازيل.

٧٥ ٢٣ قرشا

المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية
(١٩٠٠ ق.م - ١٩٩٥م)

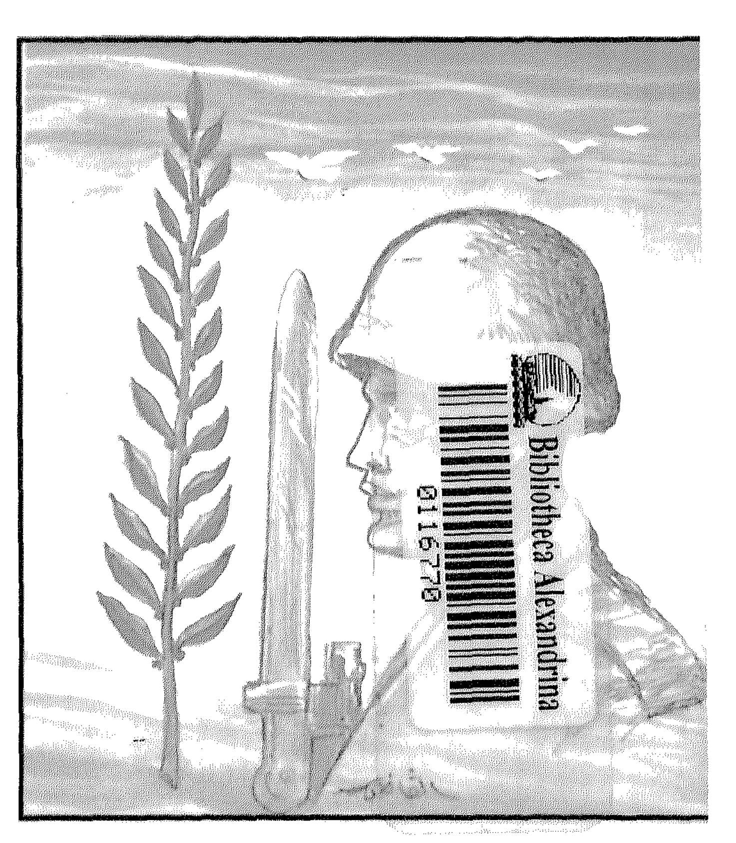
الحرب والسلام

١٩٧٠ - ١٩٨١م

الجزء الثالث

تأليف سفير / د. حسين شريف





الهيئة المصرية العامة للكتاب

يستعرض الكتاب فى أجزائه الأربعة حياة اليهود، الدينية والاجتماعية والسياسية، خلال ما يقرب من أربعين قرناً، منذ عهود آبائهم الأولين، مروراً بحياتهم تحت حكم السلوقيين والبابليين والرومان، وما تلا ذلك من موجات الشتات الكبرى، كذلك ظروف حياتهم فى العصور الوسطى، وأوضاعهم منذ بداية العصر الحديث حتى ظهور الصهيونية، وما انتهى إليه نشاط زعمائها بالتواطؤ مع القوى الاستعمارية من زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وهذا الكتاب ثمرة مجهودات استمرت أكثر من ٢٥ عاماً من البحث والإطلاع أثناء عملى الطويل بالسلك الدبلوماسى، وإقامتى لفترات طويلة بالخارج - مما أتاح لى فرصة الاطلاع على العديد من المراجع التى تناولت حياة اليهود والصهيونية والعرب، ومشكلات الشرق الأوسط بالتفصيل، وقد كان محظورا دخولها إلى البلاد العربية، إذ كان مجرد اقتنائها من قبل أى فرد يعد جريمة لا تغتفر.

وما كان لهذا الكتاب أن يظهر فى أى فترة سابقة، ولكن حان له أن يرى النور الآن فى ظلال الديمقراطية - فى عهد الرئيس مبارك - حيث أتيحت حرية الرأى والنشر، بما يكفل تفاعل الأفكار والآراء الذى يثرى حياتنا الفكرية والثقافية، ويسمح بعرض الرؤية الصحيحة فى كل مجال.

المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية

(١٩٠٠ ق.م / ١٩٩٥م)

الجزء الثالث

الحرب والسلام

(١٩٧٠ ـ ١٩٨١)

تأليف

سفير / د. حسين شريف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦



الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

محتويات الكتاب

كلمة المؤلف

شهد عقد السبعينات والثمانينات ظروفا ومبادئ جديدة في إطار دولي جديد تشكل على أنقاض النظام الدولي السابق الذي بدأ بعد الحرب العالمية الثانية وعرف بنظام القطبية الثنائية الذي كانت من أبرز ملامحه، الحرب الباردة والمواجهات الخطيرة بين القطبين الدوليين، كما شهد بشكل خاص الأولوية التي أعطتها الولايات المتحدة لتعقب النفوذ السوفييتي واحتوائه.

وقد أثر النظام الدولي القديم ـ القطبين الثنائيين ـ على أوضاع منطقة الشرق الأوسط، وعلى مصالح الدول العربية بشكل خاص، إذ اضطرت عدد من الدول العربية نتيجة التعنت الإسرائيلي والانحياز الأمريكي لإسرائيل إلى البحث عن مصادر أخرى للدعم والسلاح ووجدت ضالتها في الاتحاد السوفييتي، وبذلك حدث فرز على صعيد الشرق الأوسط بين الاتحاد السوفييتي وأصدقائه، وبين الولايات المتحدة وأصدقائها، وقد أدى هذا الفرز إلى تعثر حل مشكلة الشرق الأوسط، بل انتهى إلى هزيمة النظم العربية المعادية لأمريكا من خلال حرب عام ١٩٦٧ .

ويموت الرئيس جمال عبد الناصر وتولى الرئيس أنور السادات، شهدت المنطقة فى عهده استراتيجية جديدة بعد حرب عام ١٩٧٣ أقامها على أساس التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية التى تحوز ٩٩٪ من أوراق اللعب ـ حسب تعبيره ـ طلبا للمعونات الاقتصادية والعسكرية، ورغبة فى حل قضية الشرق الأوسط وخاصة مشكلة الأراضى المحتلة المصرية، حلا عادلا ودائما، كما تضمنت هذه الاستراتيجية الصلح مع إسرائيل لأنه لن يستطيع التعامل مع الولايات المتحدة إلا من خلال هذه النافذة، فكان عليه أن يعنى بشرط آخر من أجل تحقيق التحالف والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بتغيير النظام ليقوم على التعددية الحزبية والاقتصاد الحر القائم على احترام آليات السوق ودور القطاع الخاص.

وكانت دواعى التغيير فى المرحلة الساداتية واضحة تتركز فى تخوفه من تحالفات مصر فى المرحلة الناصرية داخلياً وخارجياً بما لا يتفق مع تصورات الرئيس فى إدارة المجتمع وفى حل المشكلات مع القوى الخارجية.

وبعد معاناة طويلة، وبعد أن تأكدت الولايات المتحدة من جدية الرئيس السادات، نجح الرئيس الأمريكى كارتر عام ١٩٧٨ فى عقد اتفاقيتى «كامب ديفيد» وبتوقيع الرؤساء، الأمريكى والمصرى والإسرائيلى، وأعقب ذلك توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ .

والرؤية العامة للنظام الذى أراده السادات بتحالفاته الداخلية والخارجية تبين مدى الضغوط التى تعرضت لها مصر اقتصاديا

وسياسياً واجتماعياً نتيجة عدم تحقيق رؤية الرئيس من وراء تعاونه مع الولايات المتحدة التى استمرت على تمسكها بالانحياز بل والتواطؤ مع إسرائيل وهو أمر أدى إلى عزلة مصر عن العالم العربى وعن قطاع كبير من المثقفين المصريين وانتهى الأمر بحادث المنصة.

وكانت نتيجة مقاومة الدول العربية الاتفاق طويلا أن وجدت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل الطريق أمام اتمام عملية التسوية مسدوداً إلى أن حدثت التغيرات الدولية.

والله ولى التوفيق

سفيرد. حسين شريف.

القسم الأول

الأوضاع السياسية فى منطقة الشرق الأوسط قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

بداية عهد السادات

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية فى إسرائيل قبل حرب ١٩٧٣

الفصل الثالث

تطور العلاقات المصرية الأمريكية

فى الفترة ما بين حرب يونية ١٩٦٧ وقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

عهد السادات

أولا: الأوضاع الداخلية:

١ - بدايات عهد السادات داخليا:

(أ) أدى الصراع الذى نشب بعد هزيمة ١٩٦٧ والمحاسبات التى جرت لتلافى أخطاء الماضى، أدت إلى ازاحة عدد كبير من رموز يوليو من السلطة وأبرزهم المشير عامر، وأصبح أنور السادات نائبا (ترتيبه الأول) لرئيس الجمهورية.

(ب) وجاءت وفاة عبد الناصر المفاجأة لتضع الجميع محل اختبار، فقد كان الاتجاه بعد موت عبد الناصر أن يبقى أنور السادات نائبا للرئيس حتى إزالة آثار العدوان ثم تجرى انتخابات حرة للرئاسة وفقا لتصور عبد الناصر.

وقد نصح عدد من القادة العرب السادات أن يسرع بملئ الفراغ حتى لاتترك الأمور سائلة فى مصر فى أحلك أوقاتها، وفعلا أصر على التقدم للترشيح (وفق أسلوب الاستفتاء) وكان عليه أن يحصل على موافقة أجهزة الاتحاد الاشتراكى العليا، وعلى موافقة مجلس الشعب، وبعد مناورات وضغوط تمت الموافقة على اسم السادات.

(جـ) وبمجرد انتخابه قام الرئيس السادات بتعيين الدكتور محمد فوزى رئيسا للوزراء، وعبد المحسن أبو النور أميناً للاتحاد الاشتراكى، وكانت أنظاره مسلطة بالرقابة على كبار الشخصيات التى تركها عبد الناصر على قمة السلطة الشعبية والوزارية.

(د) وأول مواجهة بين السادات ومراكز القوى كانت حول خط عبد الناصر، ورد السادات بأنه لايستطيع تصريف الأمور كما كان يفعل عبد الناصر لأن الأختلاف فقط حول الوسائل وليست المبادئ.

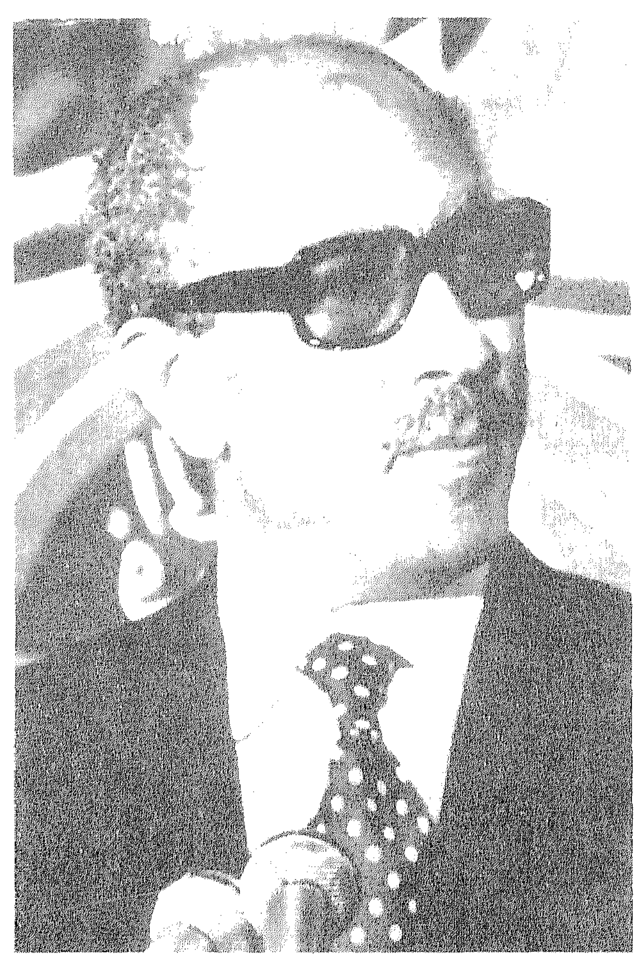
- والواقع أن السادات كان يخفى اختلافا حول المبادئ أيضا.

(هـ) ومنذ البداية قام السادات بمناوراته التى يتقنها، فرفض فى ١٧/ ١٠/ ١٩٧٠ أسلوب سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية فى كشوف المراقبة التى قدمها له والتى تتصل برقابة التليفونات، وقد استغل هذا الأمر بعد ذلك ليوجه ضربة لرجال عبد الناصر عندما أعلن عن تدمير أشرطة التصنت.

(و) ووجه السادات ضربة أخرى كان يقصد من ورائها كسب أنصار المضرورين من الثورة، فأصدر فى ديسمبر ١٩٧٠ قرار بتصفية الحراسات.

(ز) وأعقب ذلك تبنى سياسة الانفتاح الاقتصادى مستقطباً الرأسمالية الوطنية.

(حـ) وأيضاً أعطى حرية كبيرة للإخوان المسلمين وأخرجهم من



الرئيس أنور السادات ۱۹۷۰ ـ ۱۹۸۱ .

السجون ليضمن جبهة إلى جانبه فى صراع التصفية ضد الناصريين واليساريين وأصدقاء الاتحاد السوفيتيى.

٢ـ محاور الصراع:

(أ) أول محك للصراع بين السادات وبين مراكز القوى كان موضوع اتحاد الدول العربية بين مصر، وسوريا وليبيا الذى وقعته الدول الثلاثة فى بنغازى.

- وقد عرض السادات الأمر على اللجنة التنفيذية العليا وتكتل ضده من أسماهم بعملاء الأتحاد السوفييتى وعددهم خمسة من ثمانية، ولم يصوت مع رأى الرئيس إلا السادات والشافعى وفوزى.

- وقام السادات بنقل المعركة إلى اللجنة المركزية وحاول المعارضون إفشال هذا العمل، إلا أن الأمر عرض عليها ووافقت بالإجماع على الاتفاق، كان هذا أول إختبار للقوة انتصر فيه السادات.

(ب) وكان المحك الثانى الرئيسى فى عيد العمال يوم ١٩٧١/٥/١ الذى كان مساحة لمعارك خفية بين الرئيس ومعارضيه.

- وفى ١٩٧١/٥/٢ قام السادات بإقالة نائبه على صبرى من جميع مناصبه، وعقد إجتماعات فى القوات المسلحة، وقال السادات أنه لن يسمح بإدخال مصر فى دوامة الفوضى وأى أنسان يتحرك ضد مصر «سيفرمه».

- وأدعى الرئيس السادات أن مراكز القوى أعدت له كميناً عندما قرر زيارة مديرية التحرير فى ١٩٧١/٥/١٣لاغتياله، فأجل الرحلة وقرر التخلص منهم، وقد ورد هذا الإدعاء تفصيلا فى كتاب «البحث عن الذات».

- بالاضافة إلى أن مراكز القوى كانت تحاصر الإذاعة فى أوقات معينه وكانت تراقب تصرفات السادات.

- وفى ١٩٧١/٥/١٣ حمل أشرف مروان إلى السادات إستقالات رئيس مجلس الأمة، ووزير الحربية، ووزير الإعلام، ووزير شئون رئاسة الجمهورية، وأعضاء من اللجنة المركزية وأعضاء من اللجنة التنفيذية العليا، وكان القصد كما وصف السادات هو إحداث إنهيار دستورى فى مصر.

- وقد قام السادات بقبول الاستقالات جميعاً وحدد إقامة المستقيلين وأجرى فى نفس اليوم تعديلا وزاريا أنهى به قصة مراكز القوى وإنفرد بالحكم فى مصر بدون منازع.

٣ ـ تطور الأوضاع الداخلية وأزمة سبتمبر:

كان أبرز تطور للأوضاع الداخلية فى إتجاه الأزمة هو ما ترتب على إطلاق الحريات، وإضافة الديمقراطية، والتعددية الحزبية، وفتح الأبواب على مصراعيها أمام الانفتاح الاقتصادى غير المحسوب، وكان هذا الأمر وخاصة الديمقراطية المفاجئة بمثابة اطلاق السادات للمارد من «القمقم»حيث فشل السادات فى التعامل مع المعارضة بكل فصائلها وانتهى الأمرعام ١٩٨١ بأن أوقف صدور عدد من

الصحف والمطبوعات، واعتقل أكثر من ١٥٠٠ من أبرز الشخصيات المعارضة لا يجمعها رابط إلا معارضة السادات أو شعوره بالخطر من معارضتها، كما قام بخطوة غير مسبوقة فى التاريخ الحديث بعزل البابا شنودة، بابا الكنيسة القبطية، من منصبه وحدد إقامته.

واعتقل قيادات الإخوان المسلمين فى اطار ما أسماه بالفتنة الطائفية، وبعض هذه الفتنة، كان بسبب سياسة السادات فى إستخدام القوى الدينية فى عملية التوازن الداخلية، وهوأمر أدى الى زيادة فعالية القوى الدينية فى الشارع المصرى وأحكام سيطرتها على مؤسسات إقتصادية جديدة، وأنتهى الأمر باقدام متطرفين متدثرين بالدين باغتيال الرئيس السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ .

ثانيا: العلاقات الخارجية فى عهد السادات:

١- البدايات:

(أ) بعد وفاة الرئيس عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ بادر الاتحاد السوفييتى بارسال وفد على مستوى عال فى سبتمبر من نفس العام (٩/٣٠) وأجرى مباحثات مع الرئيس المؤقت أنور السادات ومع كبار معاونيه حول مستقبل العلاقات الثنائية والموقف العسكرى.

(ب) وفى يناير ١٩٧١ دارت جولة جديدة من الاتصالات المصرية الأمريكية لتنفيذ شق مبادرة روجرز الخاص بتحقيق انسحاب إسرائيلى على طول الضفة الشرقية للقناة.

- وأعلن الرئيس السادات فى ١٩٧١/٢/٤ عن عناصر مبادرته السياسية الجديدة وهى:

- انسحاب إسرائيل من سيناء وحتى حدود مصر الدولية.
- يتم تطهير قناة السويس لفتحها أمام الملاحة البحرية.
- يعقب ذلك تعهد إسرائيل بالإنسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة طبقا لجدول زمنى محدد.

ولكن إسرائيل راوغت وصممت على الفصل بين مبدأ التسوية الجزئية وقضية التسوية الشاملة.

(جـ) وأعقب ذلك تحرك السفير «يارنج» فى فبراير ١٩٧١ ولاقى تحركه نفس الفشل لأن الحكومة الإسرائيلية أعلنت عن عدم استعدادها للإنسحاب إلى حدود ماقبل ١٩٦٧/٦/٥ .

(د) وقام الرئيس السادات بزيارة موسكو فى مارس ١٩٧١ وتقدم بطلبات جديدة للإمداد العسكرى، ولم تنجح هذه الزيارة فى حصول مصر على صواريخ تكون تحت تصرفها فقط دون رقابة سوفيتية.

(هـ) وقد ألح السادات على الاتصال بأمريكا، وأعلن فى أول مايو ١٩٧١ ترحيبه بالزيارة التى كان وزير الخارجية «روجرز» ينوى القيام بها.

- ثم تلى ذلك صدام السادات مع مركز القوى والذى أنتهى بتحديد إقامتهم.
- وتحرك السوفييت بسرعة ناحية السادات وطمأنوه على طلبات الامدادات العسكرية وعرضوا عليه مشروع معاهدة الصداقة التى وقعها معهم فى ١٩٧١/٥/٢٧ من قبيل المناورة.

(و) ودخلت علاقة السادات بالسوفييت إلى منطقة حرجة لأنه تبين عدم استعدادهم لتزويده بما يريد لأنهم يخشون الأضرار بعلاقاتهم الانفراجية الجديدة مع أمريكا.

● هنا في يوليو ١٩٧٢ طلب السادات من السفير السوفييتي في القاهرة إبلاغ حكومته على وجه السرعة مايلي:

- سحب الخبراء والمستشارين العسكريين من مصر خلال عشرة أيام.

- سوف توضع كل المنشآت العسكرية السوفيتية في مصر تحت الرقابة المصرية.

- جميع الأسلحة التي تخضع للرقابة السوفيتية في مصر إما أن تباع لها أو تزال فوراً من أراضيها.

- سوف تجرى جميع المفاوضات المصرية/ السوفيتية من الآن فصاعدا في مصر وليس في موسكو.

(ز) وفي أعقاب طرد الخبراء السوفييت ودخول العلاقات المصرية/ السوفييتية إلى منطقة الأزمة تصور الرئيس السادات أن الحل وشيك، إلا أن إسرائيل استمرت في مراوغتها، وأمريكا استمرت في دور ساعي البريد، الأمر الذي أدى بالرئيس السادات إلى التصريح في ١٩٧٣/٥/٢٧ بقوله: «لقد قدمنا من جانبنا كل مايمكن تقديمه ... وذهبنا إلى أقصى مايمكن أن نذهب إليه لإثبات أننا نريد السلام فعلا، ولكن الجانب الآخر لايريد السلام، من أجل ذلك ليس لدينا مبادرات جديدة اطلاقا».

● وقد جاء هذا التصريح من السادات فى أعقاب فشل زيارتين قام بهما مستشاره للأمن القومى «حافظ اسماعيل» إلى واشنطن فى فبراير وإبريل ١٩٧٣ واجتمع خلالهما بوزير الخارجية الأمريكى «كيسنجر» الذى علق بقوله: «لاتطلبوا المستحيل، نحن نتعامل مع الواقع أنتم مهزومون وإسرائيل متفوقة وليس فى استطاعتكم أن تطلبوا الكثير من قبل أن تستطيعوا تغيير الواقع». وعند ذلك انقطع الحوار بين الطرفين.

(حـ) وزاد الطين بلة قرار الحكومة الأمريكية فى مارس ١٩٧٣ بيع ٢٤ طائرة فانتوم، ٢٤ سكاى هوك إلى إسرائيل رغم محاولة حافظ إسماعيل اثناء الولايات المتحدة عن اتمامها.

(ط) هنا اتخذ السادات قراره باقالة حكومة الدكتور عزيز صدقى وتولى رئاسة الحكومة بنفسه فى ابريل ١٩٧٣، وكان هذا مؤشرا على التصميم لدخول الحرب ضد إسرائيل لتحريك الموقف.

الوضع الداخلى فى إسرائيل
١٩٦٧ـ١٩٧٣

١ ـ استقالة بن جوريون وتولى ليفى أشكول:

ـ فى ١٦ يونيو ١٩٦٣ كان الضغط الشعبى شديداً ضد «بن جوريون» واضطر إلى الاستقالة متعللاً بأسباب شخصية. والحقيقة أن السبب كان معارضة السياسة العسكرية والاقتصادية والخارجية لـ «بن جوريون» وكبار معاونيه، وقد أشارت بعض صحف إسرائيل إلى الضغوط الأمريكية بسبب العلاقات الوثيقة بين إسرائيل وبين كل من بون وباريس.

ـ وقد خلف الرئيس الإسرائيلى «زالمان شازار» الذى أختير فى مايو ١٩٦٣ بعد وفاة الرئيس السابق «بن زفى»، كلف زعيماً أخر من زعماء الماباى «ليفى أشكول» بتشكيل الحكومة التى جاءت إئتلافية من أحزاب: الماباى، وأشدوت هافودا، والوطن الدينى ومؤيدين برجال الدين من بولى أجودات إسرائيل والأحزاب العربية المؤيدة للماباى. وقد صوت الحزب الشيوعى ضد حكومة أشكول التى لم تأت بجديد.

ـ وحدث نزاع خطير داخل الكنيست الإسرائيلى، بين أشكول المعتدل الذى يفضل الممارسة الديمقراطية وأنصار «بن جوريون» الذين يدعمون الاتجاه العسكرى فى الحكم والارتباط بأهداف الاستعمار الغربى.

ـ وزاد من حدة الصراع تردى الأوضاع الأقتصادية فى إسرائيل فى الفترة بين ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦، وزيادة عدد وإتساع وإضطرابات العمال احتجاجاً على سوء الأحوال المعيشية. وقد استقال «بن جوريون» إبان هذا الصراع من حزب الماباى فى أغسطس ١٩٦٥ وكان الشعار الذى رفعته القوى المؤيدة للعمل الديمقراطى أن «بن جوريون» ذهب ويجب أن تذهب معه «البنجوريونية».

٢ ـ حرب ١٩٦٧ :

جاءت حرب ١٩٦٧ نتيجة الاتجاهات التوسعية للحكومة الإسرائيلية وارتباطاتها بالقوى الاستعمارية المعادية لحركات التحرر فى العالم، والمتخوفة من النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط بالاضافة إلى المصاعب الاقتصادية الإسرائيلية فى الداخل.

وقد أدت هذه العوامل متجمعة مضافاً إليها إستغلال عامل التوتر فى الشرق الأوسط نتيجة بقاء المشكلات دون حل ونتيجة التصعيد الإسرائيلى المستمر إعتماداً على التأييد الأمريكى والغربى.

وكانت حكومة إسرائيل قد اتخذت بالفعل قرارها بالمواجهة وكانت تنتظر فقط الظرف الملائم.

وبعد صدمة الهزيمة فى يونيو (٦٧/٦/٥) نجحت الدول العربية فى لم نفسها فى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ لتدعيم صمود الدول العربية المضارة من العدوان الإسرائيلى ودعمها مادياً وسياسياً.

٣ - دعم الإستيطان بعد عام ١٩٦٧ .

* وضع اتجاهات فى السياسة الاستيطانية الإسرائيلية فى ظل حكومات العمال بعد عام ١٩٦٧ .

(أ) الاستيطان الزراعى المكثف فى «الأحزمة الاستراتيجية» غير المأهوله أو قليلة الكثافة فى مجرى نهر الأردن ومرتفعات الجولان وسيناء المؤدية إلى قطاع غزة.

(ب) وسياسة الاستيطان الحضرى فى القدس والخليل.

* وكان خروج اللاجئين عام ١٩٦٧ مناسباً لأطماع إسرائيل مثل حروبهم عام ١٩٤٨، ١٩٤٩ .

* وتزعم حزب العمل ضم القدس الشرقية، فأصدرت الحكومة فى يونيو ١٩٦٧ أمراً بمقتضى القانون الأساسى للدولة يقضى بتطبيق القانون الإسرائيلى على المدينة القديمة والمناطق الحضرية العربية المستجدة، وجزء كبير من الأراضى المحيطة بها، وأصبح متاحا مصادرة الأراضى المحتلة للمنفعة الإسرائيلية العامة.

* وأصبح شعار الحكومة فى إسرائيل أن استيطان الضفة الغربية يمثل واجبا مقدساً، وأن الدولة الإسرائيلية وجدت لتحقيق الاستيطان اليهودى فى «يهودا والسامرة» إستعدادا لإستعادة الأرض وليس لتحقيق السلام مع العرب أو الإندماج فى الشعوب بالنسبة لليهود.

* وقد حفز ذلك غلاة الاستيطان بوضع اليد على أراضى الخليل فى أبريل ١٩٦٨، وكان هذا الاتجاه يتعارض مع رؤية حزب العمل التى تدعوا تجنب المناطق العربية المأهولة إلا أن واضعى اليد المتدينين (المتطرفين) قد دفعوا دفعاً إلى سياسة متطرفة.

* وفى السنوات الأخيرة من حكم حزب العمل أثر حرب أكتوبر ١٩٧٣ أصبح اتجاه التوسع الدينى للقوميين متزايداً.

* وقد وصل معظم المعلقين السياسيين والدارسين إلى رأى حول المستوطنات الإسرائيلية بأنها:-

(أ) تشكل خرقاً صريحاً للقانون الدولى.

(ب) وهى بحكم الواقع تمثل ضما لأراضى تخضع لإحتلال عسكرى.

(جـ) وهى من إفرازات الحرب وتقف عقبة أمام جهود السلام والوفاق فى المنطقة.

٤ - النفوذ الدينى المتطرف: -

* خلال الفترة من حرب ١٩٦٧ وحتى السبعينات حدثت نقلة فى السلوك الإسرائيلى، فقد أعطت حرب الأيام الستة دفعه قوية للعناصر الدينية للزحف نحو الأرض المحتلة لتحقيق حلم إسرائيل، ولم يكن هذا التوجه الدينى المتطرف بهذا التأثير والقوة من قبل فى حكومات العمال والاصلاحيين والتيارات الدينية فى الصهيونية.

* وبدأ هذا العامل فى الظهور والتبلور، ومؤداه أن الإسراع فى إحتلال «يهودا والسامرة» يتضمن بعداً سماويا. وقد نفذت هذه الدعوة إلى صفوف أحزاب الماباى ورافى وايهود هاكيفوتسوت، ووجدت الكثير من المتعاطفين معها.

* وفى أواسط السبعينات أصبح مطلب «أرض إسرائيل الكاملة» يتطور إلى تعصب دينى بين قطاعات متباينة من السكان تتمتع بعطف شعبى داخل مؤسسة العمال الصهيونية، وقد غذى هذا التيار عاملان:

الأول : فى إسرائيل حيث دعمت الغزوات الإسرائيلية من روح الجماعة للأخذ بالاتجاه التوسعى.

والثانى: أن العالم العربى فشل فى مواجهة التوسعية الإسرائيلية نظرا لانقسامه.

* ثم تحول الاستيطان وما صاحبه من استيلاء على الأرض إلى سلاح فى يد الليكود مكنه بعد ذلك من تنحية حزب العمل عن الحكم فى عام ١٩٧٧ .

٥ ـ الحدود الآمنة:

عندما بدأت إسرائيل ماسمته بالضربة الوقائية ضد مصر أعلن «ليفى أشكول» رئيس الوزراء أن بلاده لاتسعى إلى توسع اقليمى، إلا أنه بعد الانهيار العسكرى للدول العربية، غير أشكول من لهجته وقال باستكبار مشيراً إلى اكتساب إسرائيل للأرض «إن إسرائيل سعيدة بالمهر لا بالعروسة» وهى نظرة استعمارية عنصرية.

ومع ذلك وبغرض الدعاية للخارج استمرت الحكومة الإسرائيلية تطالب «بحدود آمنة متفق عليها»، مع جيرانها العرب، ففى ١٩٧١/٣/١٣ أعلنت «جولدا مائير» رئيس وزراء إسرائيل أن بلادها تعنى بكلمة «آمنة» مايلى: «الاحتفاظ بوادى الأردن وشرم الشيخ وأن تظل القدس العربية جزءا من إسرائيل وألا تتخلى إسرائيل عن مرتفعات الجولان». وقالت: إن عبارة «متفق عليها»، تعنى مايتبقى بعد عمليات الضم السابق الإشارة إليها. يكون موضوعا للمفاوضات مع الجيران العرب.

وقد أعلن «موشى ديان» فى أبريل ١٩٧٣ أن «على أولئك الذين يؤمنون بأن إسرائيل تسيطر على «يهودا والسامرة» مؤقتا أن يتوقفوا عن تعلم التوراة».

٦ - تدنيس الأماكن المقدسة:

منذ عام ١٩٦٧ والمقدسات الإسلامية والمسيحية فى القدس تتعرض لتدنيس من قبل المتطرفين فى المجتمع الإسرائيلى والموظفين المدنيين والجماعات الدينية والعسكرية.

وقد وقع أحد أبشع هذه الأحداث عام ١٩٦٩ باشعال النيران فى قبة الصخرة، ثم اطلاق الرصاص بعد ذلك على بعض الشباب الفلسطينى أثناء تأديتهم الصلاة هناك، كما يمضى المتطرفون الدينيون اليهود فى تنظيم المظاهرات فى منطقة الحرم الشريف مهددين بتدمير المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة حتى يمكن بناء هيكل سليمان مكانهما.

كذلك تعرضت كنيسة القيامة للنهب وتحطيم شمعدانات ومصابيح الزيت فى القبو المقدس، وانتهكت الكنائس والأديرة القبطية أيضا، وصادرت إسرائيل المدافن التاريخية القديمة فوق جبل صهيون، كما تدخلت فى الشئون الدينية الإسلامية مباشرة مثل قرابين صلوات الجمعة وخطب الوعاظ فى المسجد الأقصى، مطالبة بحذف سور معينة من القرآن، كما سمح للسياح بدخول الأماكن الإسلامية المقدسة بملابس غير لائقة، ووقوف إسرائيل ضد تنفيذ أحكام وقرارات المحاكم الدينية الإسلامية.

٧ - انتهاك حقوق الإنسان:

اقرار على عدم الاعتراف باليهودية الفلسطينية وبحقوق الفلسطينيين فى وطنهم، أعلن «موشى ديان» أن إسرائيل لن تسمح بعودة مئات الآلاف من سكان الضفة الغربية من الذين غادروا البلاد قبل حرب الأيام الستة وأثناءها.

وتقدر وكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين أن حوالى نصف مليون فلسطينى تم ترحيلهم من الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الحق فى العودة وحق تقرير المصير للفلسطينيين فى القرار (٥٣٥)الصادر فى ١٠/١٢/١٩٦٩، بالاضافة إلى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى يمثل أساساً شرعياً جديداً للفلسطينيين فى العودة إلى وطنهم (ديسمبر ١٩٤٨).

هذا مع العلم بأن إسرائيل كانت من الدول التى وقعت اتفاقية چنيف عام ١٩٥١، إلا أن ممارساتها فى الأراضى المحتلة تنتهك العديد من مواد هذه الاتفاقية.

وقد واجهت إسرائيل بمعارضات خارجية وداخلية ضد انتهاكات حقوق الإنسان، كما واجهتها مشكلة كبرى بتحول الأعداد الكبيرة من السكان العرب فى داخلها بعد حرب ١٩٦٧ إلى قنبلة موقوتة تهدد الهوية الإسرائيلية مستقبلا نظرا لزيادة عدد السكان العرب بنسبة كبيرة.

٨ ـ المقاومة الفلسطينية:

كانت المقاومة الفلسطينية تعمل من الخارج أكثر منها من الداخل قبل عام ١٩٦٧، ومع اتساع المستوطنات، وزيادة تحرش المجتمع الإسرائيلى بالفلسطينيين ونمو الأعداد المهمشة من الفلسطينيين وتغلغل التنظيمات الإسلامية التى تنادى بالجهاد فى أوساط الفلسطينيين.

كل ذلك أدى إلى تبلور خط جديد من المقاومة الفلسطينية يعتمد على الثورة من الداخل فى مواجهة قوات الاحتلال الإسرائيلى، وهو أمر أدى إلى تعرية المجتمع الإسرائيلى الذى كان يرفع الشعارات الديمقراطية، ويعيد إلى الأذهان سنوات القهر والظلم فى أوربا، وآخرها مذابح النازية ضد اليهود، هذا المجتمع تحول إلى مجتمع قهرى يمارس نفس الأساليب ضد الفلسطينيين.

وأخيرا أفرزت أوضاع الاحتلال مقاومة من نوع جديد ظهرت وترسخت فيما بعد وعرفت باسم ثورة أطفال الحجارة فى السبعينات، وهنا أصبحت القنبلة البشرية الفلسطينية الموقوتة عرضة للانفجار فى أى وقت.

تطور العلاقات المصرية الأمريكية من مايو ١٩٦٧ إلى أكتوبر ١٩٧٣

١ - ماقبل يونيو ١٩٦٧ : -

شهدت العلاقات المصرية الأمريكية تدهوراً ملحوظاً عام ١٩٦٤ وازداد الأمر سوءا حتى قطعت العلاقات الدبلوماسية فى ٦ يونيو ١٩٦٧ أثر عدوان إسرائيل على مصر وسوريا والأردن.

وقد بدأت أزمة يونيو عام ١٩٦٧ منذ أوائل مايو من نفس العام، وتكيّفت العلاقات بين الدولتين وفق هذه الأزمة حتى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أعلنت القاهرة فى ١٢ مايو ١٩٦٧ أن الولايات المتحدة قد طلبت زيارة بعض قطع الأسطول السادس للموانى المصرية إلا أن مصر رفضت هذا الطلب متخوفة مما جاء على لسان رئيس الوزراء الإسرائيلى من «أن أمن إسرائيل يعتمد فى حمايته على وجود الأسطول الأمريكى السادس فى البحر المتوسط».

ثم توالت الأحداث التى انتهت إلى حرب ١٩٦٧ ، فقد طلبت مصر فى ١٧ مايو ١٩٦٧ من سكرتير عام الأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء. وفى ٢٢ مايو ١٩٦٧ أعلنت مصر إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية.

وفى ٢٣ مايو ٦٧ أصدر الرئيس چونسون بياناً يحدد فيه الموقف الأمريكى وجاء فيه أن حكومة الولايات المتحدة تشعر بقلق عميق بصفة خاصة من جراء ثلاث نواحى للمجابهة الحالية من الممكن أن تحدث إنفجارا وهى:-

أولا : - إن اتفاقات الهدنة العامة فشلت فى منع الأعمال شبه الحربية التى تجرى من أراضى حكومة ماضد حكومة أخرى.

ثانيا : - إن الإنسحاب العاجل لقوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة بدون أى إجراء سواء من الجمعية العامة أو من مجلس الأمن هو أمر مفزع.

ثالثا : - إننا نأسف لما حدث أخيراً من حشد للقوات العسكرية ونعتقد أن خفض هذه الحشود مسألة لها أهميتها العاجلة.

«..... وإن ماقيل من إغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الإسرائيلية يضيف بعداً جديداً وخطيراً للأزمة، لأن الولايات المتحدة تعد هذا الخليج ممراً مائياً دوليا وتشعر أن فرض حصار على سفن إسرائيل أمراً غير مشروع ويكمن فيه إحتمال لكارثة تحل بقضية السلام».

وقد أوضح الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ مايو ٦٧ فى لقاء مع الصحفيين الأجانب وضع العلاقات مع الولايات المتحدة إذ قال: «إن العلاقات بيننا وبين أمريكا علاقات سيئة جداً لأنها متحيزة لجانب إسرائيل ١٠٠ ٪ ومتجاهلة حقوق العرب المشروعة بالكامل، ويجب - كأكبر وأقوى وأغنى دولة - أن تكون عادلة فى معاملتها للعالم حتى ينظر إليها العالم بثقة واحترام».

وفى ٦٧/٦/١ أعلنت الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة ـ بالتعاون مع بريطانيا ـ تبحث موافقة الدول البحرية على بيان صاغتاه يقرر حق المرور الحر لسفن كل الدول فى خليج العقبة.

وفى ٦٧/٦/٢ أعلنت مصر أنها سوف تعتبر أى بلد يحاول كسر الحصار المفروض على خليج العقبة دولة معتدية وسوف ترفض دخول سفنها إلى قناة السويس.

وأعلنت القاهرة فى ٦٧/٦/٤ أنه من المقرر أن يقوم زكريا محى الدين نائب رئيس ج.ع.م. بزيارة لواشنطن يوم ٦٧/٦/٧ للإجتماع بالرئيس جونسون ويشرح وجهة النظر العربية له. لكن إندلاع الحرب يوم ٥ يونيو، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين فى ٦ يونيو ألغى الزيارة.

وكانت القاهرة ترى أن الحكومة الأمريكية قد نقضت موقفها المعلن فى مايو ٦٧، إذ بعث الرئيس جونسون برسالة إلى الرئيس عبد الناصر فى ٢٣ مايو تقول: «إن حكومة ج.ع.م. وكذلك الحكومات العربية الأخرى يجب أن تعتمد على تأكيد موقف حكومة الولايات المتحدة التى تعارض بكل حزم أى عدوان يقع فى المنطقة بأى صورة من الصور، سواء أكان هذا العدوان واضحا أو مستترا، تقوم به قوات نظامية أو جماعات غير نظامية».

وكان تعصب إدارة جونسون الصريح لإسرائيل قد أضعفت الروابط الأمريكية مع العالم العربى من جهة، وقوى الإرتباط العربى مع الشرق من جهة أخرى، وكان الخط المباشر هو إمداد الولايات المتحدة لإسرائيل بالسلاح، وإمداد العرب بالسلاح السوفييتى.

ومع إمكانية حدوث حرب مفتوحة ومكشوفة يمكن أن تحول القوتين النوويتين العظميين من موقف خارج الحلبة إلى متحاربين، وإمكانية إسرائيل التكنولوجية ستساعدها على تطوير سلاحها إلى مستوى القنبلة الذرية، ومع روسيا التى تمد العرب بالأسلحة سيزداد الخطر، وقد أصمت إسرائيل آذانها عن كل الدعوات للإنضمام إلى إتفاقية حظر الأسلحة النووية، وإذا كانت إسرائيل تملك قنبلتها النووية الذاتية، فإن ذلك سيدفع روسيا إلى إعطاء الدول العربية قنابل ذرية بشكل سافر أو فى قواعد تحت إدارة السوفييت، وبذلك يصبح النضال من أجل فلسطين أكثر خطورة على البشرية، ويكون الشرق الأوسط مهد الحضارة، المكان الأكثر إحتمالا للدمار والفناء، وهناك إمكانية أن يبتعد العرب عن الغرب ويمنعوا عنهم بترولهم، فالشرق الأوسط لديه ثلاثة أرباع إحتياطى العالم غير الشيوعى، وينتج تسعة ملايين برميل يومياً، ويشكل ثلثى واردات غرب أوربا واليابان.

وأن أى جهود لتحقيق السلام بين العرب وإسرائيل سواء بفرضه أو إقناع دولة عربية أو أخرى لعمل تسوية وسط مع الفلسطينيين يبدو صعبا إن لم يكن مستحيلا.

٢ ـ أزمة يونيو ١٩٦٧ وتحركات الأمم المتحدة:

قامت إسرائيل بشن حرب عدوانية ضد كل من مصر وسوريا والأردن فى ٥ يونيو ١٩٦٧ رغم أن الدول العربية الثلاث إلتزمت بعدم بدء الضربة الأولى، تجاوبا مع نداءات الدول الكبرى والدول المعنية بشئون المنطقة.

وكنتيجة لحرب ١٩٦٧ تشرد مليون ونصف مليون لاجئ، بالاضافة إلى مائة ألف لاجئ سورى، وتسعة وثلاثين ألف لاجئ مصرى، ويجب على إسرائيل أن تقيم السلام مع هؤلاء فى المنفى قبل الآخرين، إذا كانت تريد أن تعيش فى هدوء وإستقرار، فإذا كانت الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل تمنح لأى يهودى فى العالم الحق فى العودة إلى صهيون - أرض إسرائيل - فإن حق الفلسطينيين فى العودة إلى وطنهم، قد كررت الأمم المتحدة تأكيده كل عام، وقد عبر عنه «أبا إيبان» فى ملاحظاته فى كتابه عن تاريخ اليهود بعنوان «شعبى» والذى جاء فيه «أنه مهما كان حجم إسرائيل فيجب أن تكون الأغلبية من اليهود»» وهذه مطالب عنصرية لايمكن إنكارها، وبكلمات «وايزمان» «يجب أن تكون إسرائيل لليهود مثل إنجلترا للإنجليز»، ويتفاخر إيبان بأن إسرائيل واضحة وبإستمرار فى أنها ليست عربية سواء فى لغتها أو أفكارها، وأن صلاتها اليهودية، ستكون أقوى دائما من صلاتها بالمحيط العربى، والسؤال ليس هو، هل، ستغير إسرائيل من طبيعتها الخاصة؟ بل هو هل سيقبل العرب علاقات مع إسرائيل كما هى؟

وعقب العدوان بدأت الجهود الدولية لحل المشكلة الناجمة عنه. وقد بدأت الجهود الدبلوماسية لإتخاذ قرار من مجلس الأمن لتسوية الأزمة، وأخفق المجلس فى التوصل إلى قرار خلال جلساته التى عقدها فى يونيو ١٩٦٧، وإزاء هذا الإخفاق طلب الاتحاد السوفييتى عقد دورة غير عادية للجمعية العامة للأمم المتحدة، ورغم إعتراض الولايات المتحدة فقد تقرر دعوة الجمعية العامة إلى الإنعقاد فى ١٧ يونيو ١٩٦٧.

وقدم كوسيجين رئيس وزراء الأتحاد السوفييتى، والذى افتتح مناقشة الجمعية العامة للموضوع ، مشروع قرار يتضمن:

١ ـ إدانة إسرائيل.

٢ ـ مطالبتها بالإنسحاب.

٣ ـ مطالبتها بدفع تعويضات.

٤ ـ مناشدة الأمم المتحدة أن تتخذ إجراءات فعالة لإزالة آثار العدوان.

وكان الرئيس جونسون قد أوضح ـ فى خطاب ألقاه على محطات التليفزيون قبيل إلقاء الرئيس السوفييتى لخطابه فى الأمم المتحدة مباشرة ـ موقف الولايات المتحدة فى خمس نقاط يجب أن يتم على أساسها تسوية الأزمة وهى:ـ

١ ـ اعتراف الدول العربية بإسرائيل.

٢ ـ حل مشكلة اللاجئين حلا عادلا.

٣ ـ حرية المرور فى الممرات الدولية «قناة السويس وخليج العقبة»

٤ ـ وقف التسابق على التسلح بين دول المنطقة.

٥ ـ احترام الإستقلال السياسى والسلام الإقليميين لجميع دول المنطقة.

وكان هناك خمسة مشروعات قرارات أخرى أمام الجمعية العامة بخلاف المشروعين السوفييتى والأمريكى، وقد أخفقت فى إصدار أى منها لعدم حصول أيا منها على أغلبية الثلثين المطلوبة.

وقد حاولت الدبلوماسية العربية نقل القضية من الجمعية العامة إلى مجلس الأمن، فطلبت مصر فى ٧ نوفمبر ٦٧ عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لبحث الموقف الخطير الناشئ عن رفض إسرائيل الإنسحاب من الأراضى العربية التى احتلتها نتيجة للعدوان.

وعقد مجلس الأمن أولى جلساته فى يوم ٩ نوفمبر وطرح عليه أربع مشروعات بقرارات، مشروع ثلاثى تقدمت به الهند ونيجريا ومالى، ومشروع أمريكى، ومشروع سوفييتى، ومشروع بريطانى، وبعد مناقشات حادة وطويلة نال المشروع البريطانى الموافقة الإجماعية لأعضاء المجلس فى ٢٢/١١/٦٧، وهذا القرار يعتبر محور التحرك الدبلوماسى منذ صدوره، (القرار ٢٤٢)، ولأهميته نورد أهم ماجاء فيه بعد الديباجة: «يؤكد أن تنفيذ مبادئ الميثاق تتطلب إقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط على أساس المبدأين التاليين:-

(أ) «إنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى جرى إحتلالها» (وهذا فى النص الفرنسى)، لكن النص الإنجليزى يقول: «من أراضى جرى إحتلالها» نتيجة للنزاع الأخير».

(ب) إنهاء حالة الحرب وإحترام السيادة والحدود الإقليمية والإستقلال السياسى لكل دول المنطقة، وحقها فى أن تعيش بسلام فى نطاق حدود آمنة ومعترف بها، محمية من التهديد بإستعمال القوة أو إستعمالها.

يؤكد مجلس الأمن أيضا ضرورة:-

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة.

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(جـ) ضمان الحرمة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة عن طريق تدابير منها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

وقد اختلف طرفى الصراع على تفسير مدلول هذا القرار، فكان التفسير الإسرائيلى إنه لايتم الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى التى احتلتها فى حرب يونيو ١٩٦٧ إلا بعد توقيع معاهدة صلح تعقد بين إسرائيل والدولة العربية، أى يكون الإنسحاب لاحقا لعقد معاهدات الصلح ونتيجة لإبرامها ومسجلا فى أحكامها، كما يجب أن تكون المفاوضات مباشرة بين الأطراف المعنية لتسفر عن إتفاق تعاقدى يتضمن رسما للحدود الآمنة الدائمة التى تنسحب إلى ما وراءها القوات الإسرائيلية من بعض الأراضى العربية، وليس كلها، حسب النص الإنجليزى، وهو النص الوحيد الذى تعترف به إسرائيل.

أما التفسير العربى للقرار ٢٤٢ فكان إنسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضى التى تم إحتلالها بعد ٥ يونيو ويجب أن يسبق الإتصالات أو المفاوضات التى يمكن أن تجرى بين الأطراف المعنية إذا أريد تحقيق حل سلمى للقضية وليس هناك أساس فى القرار ٢٤٢ يمكن الإستناد إليه فى القول الإسرائيلى بأن المفاوضات يجب أن تكون مباشرة، بل أن تعيين مبعوث خاص للأمين العام للأمم المتحدة فى المنطقة يعنى أن الإتصال بين الطرفين يكون بطريق غير مباشر من خلال الأمم المتحدة.

ولعل فى التعرف على طبيعة العلاقات العربية الأمريكية إبان حكم الرئيس جونسون ما يلقى الضوء على الدور الأمريكى والتصورات الأمريكية فى هذه الفترة الزمنية الحرجة، فقد أدى وجود مصر فى اليمن لمساعدة ثورتها، ووجود دلائل على الأعداد لحلف إسلامى بمبادرة من السعودية بضم كل من إيران والأردن، بدعم من الولايات المتحدة ومعارضة مصر له، إلى تصور الإدارة الأمريكية أن عبد الناصر يتحدى النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط ويرفض كل المبادرات الأمريكية.

وكان تورط أمريكا فى مستنقع فيتنام قد أدى إلى وضوح الإنتصار السوفييتى هناك وإلى مزيد من الضغوط على الإدارة الأمريكية التى أصبحت لا تتحمل هزيمة أخرى فى الشرق الأوسط، تضاف إلى هزيمتها فى فيتنام، فأطلقت يد إسرائيل للتخفيف عنها وجذب الرأى العام الأمريكى والعالمى بعيدا عن فيتنام، وتحقيق نصر سريع وغير باهظ التكاليف فى الشرق الأوسط، وهو أمر أدى إلى هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧، وتكييفها فى الواقع مؤامرة لتحجيم مصر والقضاء على هيبة عبد الناصر، وتوجيه ضربة مباشرة إلى النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط، وإرساء قواعد السلام ـ الأمريكى ـ والذى يعنى:

ـ إرباك السوفييت فى الشرق الأوسط وتدمير الجيوش التى تستخدم السلاح السوفييتى.

ـ تجربة أداء السلاح الأمريكى فى مواجهة السلاح السوفييتى.

ـ ضرب هيبة جمال عبد الناصر والعمل على إسقاطه.

ـ تمكين إسرائيل من الإستيلاء على أراضى عربية جديدة، تكون رهينة فى يدها لجر العرب إلى مائدة المفاوضات فى موقف الضعيف.

وقد وقفت الولايات المتحدة بصلابة لمساندة إسرائيل فى الأمم المتحدة ـ مجلس الأمن ـ وعرقلت صدور قرار الإنسحاب الفورى على غرار ماحدث عام ١٩٥٦ .

٣ ـ مشكلة الشرق الأوسط فى بداية عهد الرئيس نيكسون

التصور الأمريكى للمشكلة والحلول

(أ) فى أوائل السبعينات كانت الإدارة الأمريكية تتصور أن مشكلة الشرق الأوسط لها ثلاثة أوجه مختلفة وخطيرة، ويتعذر وجود حل لكل منها فى حد ذاتها، غير أنه لا يمكن معالجة أية منها على حدة. فقد أشتبك بعضها ببعض، كل منها يؤدى إلى الزيادة من خطورة الآخر وتعقيده. فإن نزاع الشرق الأوسط له ثلاثة أبعاد هى:ـ

ـ النزاع العربى الإسرائيلى الذى ظل أكثر من عشرين عاماً يتأزم فى الأوقات التى لم يكن يشتعل فيها، وهو يمثل المشكلة الجوهرية فى نزاع الشرق الأوسط ولم تخف حدته حتى اليوم.

ـ الخلافات القائمة بين العرب والتى ترتكز أساساً على ما إذا كان من الممكن قبول تسوية النزاع الإسرائيلى عن طريق المفاوضات، أم إذا كان استعمال القوة هو الحل الوحيد، وهناك خلافات أخرى حول أسلوب الحكم فى البلاد العربية، وقد أدت تلك الخلافات أكثر من

مرة إلى الحرب الأهلية، كما أن هناك خصومات مصدرها الخلافات القائمة بشأن علاقات الدول العربية فيما بينها فى سعيها إلى تحقيق وحدة العالم العربى.

- التناقض بين مصالح الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة، وكل من الدولتين أكثر إشتباكا فى النزاع العربى الإسرائيلى اليوم عما كانت فى أى وقت من الأوقات. وقد أشارت الأحداث التى أحاطت بالاشتباكات التى دارت فى الأردن فى شهر سبتمبر إلى ضعف الحواجز التى تمنع المواجهة المباشرة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

وأن مصلحة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط - ومصلحة العالم أجمع تتركز فى منع تحطم الهيكل العالمى للسلام فى تلك المنطقة ، غير أنه يجب السعى نحو تحقيق هذه الغاية فى موقف يتطور تطوراً سريعاً.

وقد تطورت العلاقات بين بلاد الشرق الأوسط والدول الكبرى، فإن أسلوب السيطرة الخارجية الذى ساد فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين قد انقض عهده. وقد حققت شعوب الشرق الأوسط استقلالها القومى، وهناك سعى مستمر نحو تحقيق توازن جديد بين الشعور المرهف بالقومية الذى يجتاح مختلف دول المنطقة وبين القوى الخارجية.

كما تطورت طبيعة النفوذ الخارجى، ويجب على بلاد الشرق الأوسط وفق التصور الأمريكى أن تتكيف على مختلف المستويات

مع الوجود الأمريكى من الناحية التكنولوجية والسياسية والعسكرية على السواء، وكذلك مع التسلط السوفييتى الجديد، وأخيرا مع أوربا الجديدة التى تقيم علاقات اقتصادية مع بعض دول المنطقة بواسطة السوق الأوروبية المشتركة.

(ب) وتقع هذه المعركة المريرة طويلة الأمد فى قلب أزمة الشرق الأوسط. وقد زادت احتمالاتها الضارة بتورط القوى الكبرى. ولكن تبقى حقيقة أن استمرار هذا الصراع يخرب بشكل جسيم مصالح كل الأطراف المعنية.

فقد جرت الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة إلى مواجهة أشد قربا بالنسبة للمتحاربين بكل الخطر الذى يسببه ذلك للسلام العالمى، وقد سببت قطع العلاقات الطبيعية للولايات المتحدة مع عدد من الدول العربية. وهذا بدوره زاد من الاعتماد الحالى للعرب والزائد عن الحد على العون السوفييتى وبالتالى قابليتهم للنفوذ السوفييتى الفائق.

كما أدى الوضع العام إلى مناخ أستغلته واحتكرته العناصر الراديكالية لتمزيق الاستقرار الداخلى للدول العربية.

وقد أبقت على مدى عصرين على شعب فلسطين، الذى يبلغ ٥ مليون والدول العربية المجاورة فى حالة عداء دائم وفى خوف مستمر من الهجوم. وأدت بكل من الدول العربية وإسرائيل إلى تحويل نسبة كبيرة من مصادرها إلى أدوات وأنشطة تكرس للحرب.

وقضى على اللاجئين الفلسطينيين أن يقضوا حياتهم فى البؤس والحقد الذى يجفف القلوب، وتشمل صفوف اللاجئين بالاضافة إلى

أولئك، الذين فروا من ديارهم أصلا عند إنشاء دولة إسرائيل، جيل كامل ولد ونشأ فى البأس فى معسكرات اللاجئين. ويمثل هؤلاء اللاجئين المادة التى يخلق منها التاريخ مآسى المستقبل.

إن جميع الأطراف المعنية لها مصلحة فى تسوية المشكلة، وأن هدف الولايات المتحدة هو مساعدة الأطراف على أن تعد فيما بينها اتفاقية سلام يكون لكل منها مصلحة فى المحافظة عليها وتقوم سياستنا بهذا الشأن على شعور بالرأفة نحو مصالح الأطراف.

وتريد إسرائيل أن تحمل الدول المجاورة على الاعتراف بوجودها القومى فى ظروف آمنة، ولذا كان أسلوب التسوية لن يكتفى الإسرائيليون بمجرد تصريحات بالسلام وشرعية وجود إسرائيل - أنهم يسعون إلى الحصول على الأمن المادى أيضا. فإن السلام فى نظر إسرائيل يجب أن يكون أكثر من مجرد حبر على ورق.

وتسعى الحكومات العربية إلى استعادة الأراضى التى فقدتها أثناء حرب يونية، وتحقيق العدل إزاء من فقدوا أراضيهم وديارهم خلال أكثر من عشرين عاما من النزاع، واكتساب احساس بالكرامة والأمن يمكنها من التغلب على شعورها بالتعرض للهجوم. ويجب أن يكون السلام حقيقياً بالنسبة لها أيضاً. ويجب أن تتحقق ثلاثة شروط من أجل التوفيق بين تلك المصالح:

- اقتناع كل من الطرفين بأن الطرف الآخر على استعداد لاتخاذ التزامات من شأنها أن تؤدى إلى سلام دائم قائم على العدل، والعمل بتلك الالتزامات.

- اقتناع كل من الطرفين بأن المجتمع الدولى يستطيع أن يقدم ضمانات إضافية واقعية بالنسبة لآية اتفاقيات يتم عقدها فى المستقبل.

(جـ) وخلال عام ١٩٦٩ سعت الولايات المتحدة لوضع إطار للعمل من أجل تسوية مقبولة من خلال المباحثات الثنائية مع الاتحاد السوفييتى والمباحثات المتعددة الأطراف للقوى الأربع الكبرى، وكذلك من خلال التشاور المستمر مع إسرائيل والأردن والجمهورية العربية المتحدة، فى إطار خطوط توجيه يمكن للسفير يارنج، الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة، أن يستخدمها لبدء المباحثات بين الأطراف.

وبحلول مايو ١٩٧٠ تعطلت هذه الجهود، وعند تقدمها بلغت حدة النزاع مرة ثانية مستوى حرجا، فلقد كان هناك قتال يومى على طول قناة السويس. وانتقاما لذلك وصلت القوة الجوية الإسرائيلية إلى الأعماق فى مصر. وشكلت هجمات الفدائيين حوادث خطيرة على خطوط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وكل من الأردن ولبنان وسوريا. وقام الاتحاد السوفييتى بخطوات لتحويل الميزان العسكرى إلى صالح مصر. وظهرت فى عديد من الدول قوى معارضة لأى نوع من التسويات.

وفى ١٩ يونيو، بناء على ذلك، أعلنت الولايات المتحدة مبادرة من أجل الوصول بالأطراف إلى:

*إعادة إحلال وقف إطلاق النار.

*مراعاة التسكين العسكرى فى منطقة متفق عليها على جانبى خط وقف إطلاق النار الإسرائيلى المصرى.

* الموافقة على مجموعة من المبادئ تكون بمثابة نقط بداية أساسية لمحادثات عربية إسرائيلية تحت إشراف السفير يارنج.

ولقد وصف روجرز هذا الاقتراح فى ٢٥ يونيو، بأنه مبادرة سياسية من أجل تشجيع الأطراف على وقف القتال وبدء المحادثات، ولقد قبلت كل من الـ ج. ع. م والأردن وإسرائيل الاقتراح، وكذلك فعل الاتحاد السوفييتى. ولقد نتج عن المبادرة نتائج هامة:

* أوقفت سفك الدماء على طول خط وقف إطلاق النار، ومن ثم ساعدت على تخفيض حدة المشاعر القومية إلى حد يسمح بجعل التسوية أكثر تقبلا.

* مكنت من الحصول - لأول مرة - على موافقة كل من إسرائيل والأردن والـ ج. ع. م على البحث عن سلام عادل ودائم بينهم قائم على:

١ - الاعتراف المتبادل بين كل من الـ ج. م. ع والأردن وإسرائيل بسيادة كل منهم وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى.

٢ - الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة فى صراع ١٩٦٧، وكلاهما تبعا لقرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

ومع ذلك فإن الهدف الأكبر للمبادرة هى مباحثات سلام جادة، ولم يتحقق ذلك لأن إنشاء القوات العسكرية استمر على طول قناة

السويس بواسطة المصريين والسوفييت إلى ما بعد بدء وقف إطلاق النار فى ٧ أغسطس. ولقد زاد تعرض البداية الهشة نحو السلام للخطر فى أوائل سبتمبر بأعمال الجماعات الفلسطينية التى حاولت إجبار حكومة الأردن على الانسحاب من الجهود الرامية للوصول إلى تسوية.

(د) شكل السلام فى الشرق الأوسط:

ترى الولايات المتحدة الأمريكية أن السلام يمكن الوصول إليه بواسطة الأطراف الداخلة فى النزاع فقط وعن طريق المفاوضات مع بعضهم البعض.

وبالاضافة إلى ذلك فإن بعض المبادئ والعناصر يجب أن تؤخذ فى الاعتبار مثل أن:

* الحكومات العربية لن تقبل تسوية لاتشمل استعادة الأراضى التى فقدت فى حرب ١٩٦٧، وبدون قبول هذه الحكومات فلن يكون لأية تسوية صفة الدوام التى تعتبر أساسية.

* إسرائيل لن تقبل الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ـ التى ترى أنها تزيد من ضمان أمنها ـ إلا إذا توافرت لديها الثقة فى دوام تسوية السلام. وتعتقد إسرائيل كذلك أن الحدود النهائية التى ستنسحب إليها يجب أن تتم بشأنها مفاوضات ويتفق عليها فى تسوية سلام ملزمة. ويجب ـ بناء على ذلك ـ أن تتوافر لإسرائيل الثقة من أنه لن يقع عليها أى هجوم والثقة فى تقبل جيرانها لها وضمانات أخرى.

* عدم توافر الثقة المتبادلة بين إسرائيل والدول العربية من العمق، بحيث أن ضمانات الدول العظمى يمكن أن تضيف عنصراً تأمينياً. وهذه الضمانات يمكن أن تضفى الدوام على الأتفاق بتخفيض القوات المسلحة للطرفين مع مرور الزمن.

* لايمكن تحقيق تسوية دائمة فى الشرق الأوسط دون مواجهة الآمال الشرعية للشعب الفلسطينى. وقد كانوا لأكثر من عشرين عاماً ضحايا ظروف تستحق الشفقة ولسلام يستلزم حياة مثمرة لهم ولأطفالهم وتسوية عادلة لمطالبهم.

* والمهمة العاجلة هى مساعدة المتحاربين لإقامة اتفاق يحقق توازن عملى بين الأمن والأعتراف اللذان تسعى لهما إسرائيل والحل العادل للأراضى الفلسطينية الذى تسعى إليه الدول العربية. ولا يمكن تشييد السلام إلا عن طريق هذا التوازن.

(هـ) صراع الدول العظمى:

فى هذا الصدد تتصور الولايات المتحدة مايلى:-

. أن منطقة الشرق الأوسط تثير الاهتمام البالغ للقوى الكبرى. وبالنسبة لحلف شمال الأطلنطى وأوروبا يعتبر استقلالها أمرا حيويا من الناحية الاقتصادية والعسكرية. ونفس الشئ فللأتحاد السوفييتى مصالح هامة نعترف بها، ورغم عمق هذه المصالح وربما بسبب هذه المصالح إلى حد كبير لم تقيم الدول الأربع الكبرى نظام من العلاقات مع الشرق الأوسط يتفق مع مصالح الجميع. والقلق الذى نشأ من هذه الحقيقة عميق بسبب تقلب وعدم استقرار المنطقة.

- وكان أى جهد من جانب القوى الأربع الكبرى لضمان موقف دائم يمكن أن يزيد النزاعات المحلية ويؤثر فى أمن أوروبا وبشكل متزايد الخطر تجاه السلام العالمى - ونحن لانسعى لمثل هذا الوضع ولانسمح للآخرين أن ينشئوا وضعا مماثلا.

- إن استقرار الشرق الأوسط يتطلب اقامة توازن بين أنشطة القوى الخارجية المختلفة المعنية فى المنطقة. وكل منها يجب أن يكون له الحق فى أن يتابع مصالحه الشرعية ولكن ضمن الحدود التى يفرضها احترام مصالح الآخرين الشرعية وسيادة دول المنطقة.

- وعلى هذا الأساس سعت الولايات المتحدة فى عامى ١٩٦٩، ١٩٧٠ إلى الدخول فى مفاوضات مع الاتحاد السوفييتى حول مشكلة الشرق الأوسط التى تحظى بأهمية فائقة بالنسبة لنا، ويمكنها أيضا أن تتفهم فى إقامة مفاوضات سلام بناءة بين العرب والإسرائيليين.

- وأوضحت الولايات المتحدة لقادة الأتحاد السوفييتى الرغبة فى الحد من سباق التسلح فى الشرق الأوسط على أسس متبادلة. وأقترحت فى ٤ فبراير ١٩٧٠ لكوسيجين أن تتناول المناقشات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى مسألة الحد من الأسلحة التى تزود بها كل من دولتى الشرق الأوسط. وعارض السوفييت هذا القرار كما رفضوا اقتراحات مماثلة فى الماضى.

- وأعلن روجرز فى ٢٣ مارس أن الولايات المتحدة قد ترجئ البت فى القرار الخاص بطلب إسرائيل طائرات أكثر موضحا أن التوقف

مطلوب من جانب المصادر الأخرى الرئيسية التى تزود الشرق الأوسط، ولن يكون ممكنا أن تسعى أى دولة من أجل الحصول على فائدة فردية فى المنطقة إذا تحقق السلام. وكان رد فعل السوفييت إرسال شحنات من الصواريخ المضادة للطائرات، والطائرات التى يقودها طيارين حربيين سوفييت إلى مصر، وهذه أول مرة يرسل طيارين عسكريين روس إلى دولة خارج الدائرة الشيوعية.

وخلال معظم عام ١٩٦٩ حاولت الولايات المتحدة إشراك الاتحاد السوفييتى فى تطوير أساس المفاوضات بين العرب وإسرائيل. وتركزت مباحثاتنا مع السوفييت بوجه خاص على ثلاث نقاط:ـ

* الحاجة إلى التزام إسرائيل بالأنسحاب من الأراضى المحتلة كجزء من السلام الملزم الذى ينشأ عنه حدود آمنة معترف بها.

* حاجة كلا الطرفين إلى الدخول فى مفاوضات حقيقية لاعداد الأساليب المنفصلة لتسوية سلمية بينهما.

وقد دعا السوفييت باصرار إلى التزام إسرائيل بالانسحاب الكلى من الأراضى المحتلة ـ ودعوا أيضا إلى تسوية لمشكلة اللاجئين تعكس المشاكل الإنسانية العملية ومايتعلق بالأمن على كلا الجانبين. وأعترفت الولايات المتحدة أن أى تغييرات فى حدود ما قبل الحرب قد تكون طفيفة ولكننا نصر أن أى اتفاق لتحديد الحدود النهائية يجب أن يرتبط مباشرة باتفاقية سلام تقضى بتدابير عملية متفق عليها فيما بينهما تؤمن هذه الحدود. وهذه هى نقاط المفاوضات التى تقوم بين الطرفين. وقد أصر السوفييت على أن تقوم القوى الأربع الكبرى بعمل هذه التعديلات وبعد ذلك نفرضها على الجانبين.

- وفى يونيو ١٩٧٠ قدم الأتحاد السوفييتى صيغا أخرى عن بعض الالتزامات التى تقضى بأن كل الأطراف تتعهد بعدم القيام بأعمال عدائية تنشأ من أرضه فى الوقت المحدد الذى يسود فيه السلام فيما يتعلق بانسحاب القوات إلى الحدود النهائية. ولكن هذه الصيغ التى تعتبر تعديلات لأقتراحات سوفيتية سابقة كانت قاصرة ولم تنجح فى الأخذ فى اعتبارها الحاجة إلى المفاوضات التى يشترك فيها الطرفين بأنفسهم.

- ولا تزال الولايات المتحدة ترحب بالأقتراحات السوفيتية من أجل الوصول إلى تسوية. ولكن لكى تكون هذه الأقتراحات جادة يجب أن تتوافق مع الاهتمامات الشرعية ليس لطرف واحد فقط ولكن لكلا الطرفين.

- وبعيدا عن الصراع العربى الإسرائيلى ظهرت قومية عربية قوية كرد فعل لحقبة من التحكم السياسى الخارجى الذى وصل نهايته الآن، وقد غذاه شوق شديد إلى الاتحاد فيما بين الدول العربية. ولكن التنافس التقليدى والايديولوجى جعل من الصعب بالنسبة للعرب أن يوافقوا على الشكل الذى تتخذه الوحدة بينهم. وعلى ذلك فإن محاولات وضع شكل للاتحاد تشكل توترا.

- وفى قلب هذه الصراعات هناك اختلاف ايديولوجى أساسى عن الكيفية التى يتجاوب بها المجتمع العربى للضغوط التى تهدف إلى العصرية الحديثة. ونتيجة لذلك استغلت بعض القوى المناضلة موضوعات مناهضة الاستعمار والقومية العربية حتى لاتشكل هذه الموضوعات مسائل حقيقية، وسعوا لأسباب تخص قوميتهم أو

أسبابا أيديولوجية إلى الاقلال من مركز الولايات المتحدة وكانت نتيجة عملهم هذا - إذا قدر لهم النجاح - أن يجعلوا المنطقة أكثر تعرضا للتحكم الخارجى.

(و) وبالنسبة للرؤية المستقبلية ترى الولايات المتحدة مايلى:

- البحث عن السلام - على الأخص تسوية النزاع العربى الإسرائيلى - والسعى لعلاقات أمريكية سوفيتية مستقرة تساعد على المحافظة على استقلال وسلامة كل دولة فى هذه المنطقة ستبقى لها أعلى أولوية. وهدفنا هو رؤية بداية فترة تكون فيها الدول القوية المستقلة فى المنطقة - بالاشتراك مع بعضهم كما يشاءون - تتعاون مع العالم الخارجى بطريقة مباشرة وفى حرية. والولايات المتحدة على استعداد للبحث فى وسائل جديدة للمساعدة فى تنمية المنطقة بما فيه فائدة العرب والإسرائيليين من تحقيق سلام حقيقى.

- وعند تعقب هذه الأهداف فإن الولايات المتحدة ستواجه هذه الموضوعات الرئيسية فى الشهور القادمة:

أولا: إذا كان للولايات المتحدة أن تلعب دوراً رئيسياً كما وعدت فى المعاونة فى عمل تسوية عربية إسرائيلية وتقديم الضمانات المطلوبة - فماذا ستكون طبيعة وهوى تورط الولايات المتحدة الدبلوماسى؟

وهنا تقع المسئولية الأولية لتحقيق السلام على دول الشرق الأوسط مع ضرورة توازن العلاقة بين جهود المنظمة الدولية لتشجيع تسوية وبين مسئولية الأطراف المتفاوضين أنفسهم؟

ثانيـــاً: أن العلاقات الثنائية مع الدول العربية فى تغير، إذ قطع البعض العلاقات الدبلوماسية الرسمية - ودول أخرى لم تقطعها -. فأن الاتجاهات تجاه الولايات المتحدة والغرب تخضع لإعادة النظر.

وقد أثارت العلاقات المتغيرة فى الخليج الفارسى بالضرورة إلى موضوعات جديدة بالنسبة للسياسة الأمريكية، فكيف يمكننا تشجيع والمعاونة على أكمل وجه القوى البناءة فى المنطقة لاقامة نظام إقليمى لعلاقات مستقرة؟

- وأخيرا هناك نطاق لموضوعات عالمية أوسع تشكل خلفية لسياسة الشرق الأوسط، فإن الحد من التزويد الخارجى بالأسلحة للمنطقة من بين هذه الموضوعات والعلاقات الأمريكية السوفيتية العسكرية فى منطقة البحر الأبيض المتوسط موضوعا آخر. وفيما عدا ذلك - ماهى سياسة الولايات المتحدة تجاه الاتحاد التجارى الموسع الذى تنشأه السوق الأوروبية مع دول المنطقة؟

وكيف يمكننا أن نساعد فى تأكيد دخول امدادات البترول إلى غرب أوروبا واليابان، وكيف يمكننا المعاونة فى تأكيد حصول الدول المنتجة على عائد عادل من بترولها؟

- وأخيراً الأسهام فى الوصول إلى علاقات سلمية بين دول المنطقة وبين الدول الكبرى.

القسم الثانى

حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

مقدمات حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الثانى

الاستعداد واندلاع الحرب.

الفصل الثالث

آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الرابع

دور الإعلام المصرى فى حرب ١٩٧٣

المرحلة الساداتية

حرب أكتوبر ١٩٧٣

(قد يحسن قبل شرح أبعاد المرحلة الساداتية ودوافعها ونتائجها العامة أن نعرض لأبرز احداث هذه المرحلة وهى حرب أكتوبر بحيث تجئ عملية التأصيل المتعلقة بالمظاهر والنتائج بشكل متكامل يلم تماماً بأبعاد المرحلة الساداتية. وسوف نتعرض لمعالجة هذه المرحلة فى فصلين متتابعين).

مقدمات حرب أكتوبر ١٩٧٣

١ - تعديل الاستراتيجية:

(أ) قبل حرب يونيو ١٩٦٧ كان العالم العربى يتبنى خط تحرير فلسطين التى أغتصبتها العصابات الصهيونية بمساعدة دولة الانتداب وغيرها من الدول الغربية والأمريكية.

وقد جاءت هزيمة ١٩٦٧ بعدة نتائج تتفق مع طبيعة الحدث وعمق التآمر الخارجى واتساع نطاق التسيب والأهمال والتفكك السارى فى العالم العربى فى مواجهة لهذه المخططات. فمن ناحية ترسخت عدة تصورات داخل العالم العربى عن:

- عدوانية وتوسعية إسرائيل واستخدامها للقوة لفرض إرادتها فى المنطقة.

- وقوة ومدى التأييد السياسى والاقتصادى والعسكرى الأمريكى للدولة الصهيونية.

- واهتزاز ثقة الرأى العام العربى فى قوة العرب وقدرتهم على هزيمة إسرائيل واستعادة كل فلسطين العربية، وكيفية مواجهة المخطط الإسرائيلى - الأمريكى بالمنطقة.

ومن ناحية أخرى ظهر توجه جديد فى مصر - الناصرية بعد عام ١٩٦٧ لاقى موافقة من القادة العرب ومؤداه:

«رفع شعار إزالة آثار العدوان» بمعنى إستعادة المناطق التى احتلتها إسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧، وقد انبثق هذا التوجه عن مؤتمر القمة العربية الرابع بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) (١) رغم أن القادة المشاركين قد اختلفوا حول أسلوب الصراع: سياسى أم عسكرى، وانتصر الرأى القائل بالأسلوب السياسى ،ومع ذلك رفض المجتمعون اقتراح جمال عبد الناصر بدعوة الدول العربية لقبول اتفاق تحت رعاية الأمم المتحدة بضمان حدود الدول فى الشرق الأوسط مقابل الأنسحاب الإسرائيلى ،مع السماح بحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة. ومع ذلك توصل المؤتمر إلى قرارات هامة مثل: تحقيق وحدة الصف العربى، ووحدة العمل الجماعى. ودعا المؤتمر إلى سرعة تصفية القواعد العسكرية الأجنبية من

(١) د. اسماعيل صبرى مقلد «الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط» ذات السلاسل للطبع، الكويت، ١٩٨٦ ص ٢٩٩ - ٣٠٢.

الأراضى العربية. كما نوقشت فكرة استخدام سلاح البترول ضد الدول التى أيدت إسرائيل وهى: أمريكا وبريطانيا وألمانيا، إلا أن الرأى الذى انتصر استخدام ضخ البترول لتحقيق عائد يسهم فى دعم دول المواجهة العربية، كما تم التأكيد على المبادئ الأساسية فى العمل وهى: لاصلح ولا تفاوض ولا اعتراف مع إسرائيل، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه وأرضه.

(ب) مأزق القرار ٢٤٢ :

انتهت مداولات الدول الكبرى إلى صيغة عرفت باسم القرار ٢٤٢ فى ١٩٦٧/١١/٢٢، ويلاحظ طول الفترة التى استغرقتها للوصول إلى تفاهم حول القرار (من يونيو حتى نوفمبر). ورغم احتواء القرار على بعض الألفاظ الغامضة وأبرزها الخلاف حول كلمة «من أراضى» بدلا «من الأراضى» فإن ديباجة القرار لم تترك مجالا للشك فى أن قصد القرار هو الانسحاب من كل الأراضى المحتلة. وقد عمدت إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لأسباب تتصل أيضا بالمصالح الأمريكية إلى عرقلة تنفيذ هذا القرار لمدة طويلة متذرعة بالاختلاف حول التفسير وبذلك مكنت الولايات المتحدة إسرائيل من الابقاء على الأراضى المحتلة رهينة هذا الالتواء المستمر فى تفسير القرار حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وكانت الولايات المتحددة تتخوف من مصر لأنها وفق التصور الأمريكى قد سهلت التواجد السوفييتى فى الشرق الأوسط ودعمت من قدراته (١).

(١) انظر د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» عالم المعرفة، الكويت ابريل ١٩٨٧ ـ ص ٢١٧ ـ ٢٢٠ .

وينبع التأييد الأمريكى الضخم لإسرائيل من التصور الأمريكى بأن إسرائيل هى الامتداد الأمريكى حضاريا وسياسياً وعسكريا فى الشرق الأوسط، وقد رسخ هذا التصور بتأثير اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الذى ربط بين هذا التصور وبين المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط وهى مصالح اقتصادية وأخرى تتصل بالسياسة الكونية الأمريكية التى تهتم بتعقب وتحجيم النفوذ السوفييتى. والغرض من وراء التأييد الأمريكى اللامحدود لإسرائيل هو إرهاق وإستنزاف الدول العربية الثورية ومن ثم التأثير سلبا على النفوذ والتواجد السوفييتى فى المنطقة (٢).

(جـ) وقد عانت الأمة العربية من عوامل ضعف واضحة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وكان المنطقى أن تتجاوز أزمتها لمواجهة آثار العدوان وإزالته.

وأولى عوامل الضعف كانت الخلافات الجانبية والانتقادات المتبادلة بين الدول العربية. يضاف إلى ذلك أن الدول العربية بدلا من الالتزام بقرارات مؤتمر الخرطوم عمدت إلى معارضة كل مبادرة لحل الأزمة فى إطار القرار ٢٤٢، وبذلك أعطت مسوغا لاستمرار الاحتلال وتجميد الموقف.

كذلك د. اسماعيل صبرى مقلد، المرجع السابق ص ٣٠٤ ـ ٣٠٧ .
كذلك جون بادو «الموقف الأمريكى تجاه العالم العربى» الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة كتب مترجمة عدد ٦٩٢ ص ٨٠ ـ ٨٥ .
كذلك انظر صلاح منتصر «الطريق إلى السلام ـ مدريد ١٩٩١ دار المعارف، القاهرة ١٩٩١ ص ٥ ـ ٧ .
(٢) فهمى هويدى: «الدعم الاقتصادى للمعركة» السياسة الدولية، القاهرة، يناير ١٩٧٤ ص ٥٩ ـ ٦٢ .

وأخيرا نجد الدول العربية البترولية قد اقتصرت مساندتها على حد المبالغ الرمزية المحدودة التى أقرها مؤتمر الخرطوم وكان كل مايعنيها هو تقديم هذا الدعم المادى دون تفهم لب الاستراتيجية وهى قومية المعركة بكل ماتحمله الكلمة من آفاق (١).

(د) عوامل القوة:

كانت رؤية الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) من أبرز عوامل القوة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لأن أحداث التاريخ لا تنشأ من فراغ بل وفق مقدمات تؤدى إلى مسار محدد ثم إلى نتائج تتفق مع هذه المقدمات. وقد عدل مؤتمر الخرطوم كما سبق أن ذكرنا من جوهر الاستراتيجية العربية من وحدة الهدف إلى وحدة الصف، ومن التحرير الكامل لأرض فلسطين إلى إزالة آثار العدوان، ومن التنافر الشديد إلى قدر مطلوب من التنسيق رغم بقاء عوامل الخلاف حول أسلوب معالجة آثار العدوان.

وثانى عوامل القوة هو الدعم الذى قدمته الدول العربية القادرة إلى دول المواجهة مصر وسوريا والأردن. ورغم أن هذا الدعم للمواجهة لم يكن كافيا إلا لتعويض خسائر دول المواجهة عن الموارد المتوقفة والعجز المتراكم نتيجة الحروب إلا أنه كان دعما لازما لاستمرار استعداد دول المواجهة لإزالة آثار العدوان والصمود أمام الضغوط الخارجية (٢)، والجدير بالذكر أن الدول العربية لم تستخدم

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٦٥ .

(١) فهمى هويدى : «الدعم الاقتصادى للمعركة» السياسة الدولية، القاهرة، يناير / ١٩٧٤ ص ٥٩ ـ ٦٢ .

كافة أسلحتها الاقتصادية لدعم دول المواجهة ومن ذلك سلاح البترول وسلاح الأرصدة العربية وسلاح التجارة الدولية (١).

وثالث عوامل القوة هو نمو المقاومة الفلسطينية منذ منتصف الستينات والتى أخذت شكل «منظمة التحرير الفلسطينية» والتى أصبح لها جيش خاص بها وأجهزتها التنفيذية المستقلة وانضواء كافة الاتجاهات تحت مظلة المنظمة مع بقاء هامش معقول للرأى المستقل للمنظمات الحركية المنظمة (٢).

ورابع عوامل القوة نجده فى حرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٩ - ١٩٧٠ والتى مكنت من رفع الروح المعنوية واكتساب المهارات القتالية واستطلاع مراكز وتحصينات العدو استعدادا للمعركة القادمة (٣).

وخامس عوامل القوة كان إلحاح الجماهير العربية على الحل العسكرى طريقاً للتحرير واستعادة الأرض المحتلة ولم يكن فى مخيلة الجماهير العربية أى تصور للحل السياسى للقضية (٤).

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) نبيه الاصفهانى: «تحرك المنظمة الفلسطينية فى أزمة الشرق الأوسط»، السياسة الدولية، القاهرة يناير ٧٤ ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) صلاح زكى أحمد، «قاموس الناصرية»، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١٨ - ١٣١ .

(٤) صلاح زكى أحمد، «قاموس الناصرية»، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١٨ - ١٣١ .

٢ ـ التصور الأمريكى عام ١٩٧١ :

قد تصلح فترة الرئيس الأمريكى نيكسون فى أوائل السبعينات مؤشرا لإيضاح الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ (١) .

أولا : ترى الإدارة الأمريكية أن تسوية النزاع لا تزال بعيدة بسبب قوة المشاعر المترسبة على الجانبين عبر التاريخ بسبب النزاع ولن يكون هناك حل مرض مالم تدرك أطراف النزاع ضرورة التوصل لحل وسط قائم على تنازلات متبادلة، وإلى حين تحقق هذا الشرط يوقف إطلاق النار كحد أدنى يجب الحفاظ عليه.

وثانيا : لاتتوقع إدارة نيكسون انفرادها بصياغة السلام لوجود قوى أخرى لايجب اهمالها مثل الاتحاد السوفييتى، وإذا تعذر التوصل إلى تسوية نهائية للصراع فيجب أن يتم تضنييق نطاق النزاع ومنع الاشتباك المباشر بين القوى الكبرى، وهو بُعْد هام وضح ابان أزمة الشرق الأوسط.

وتعبر الولايات المتحدة عن استعدادها للتفاوض مع الأتحاد السوفييى من أجل تحقيق السلام ولكنها ستقاوم محاولة السيطرة السوفيتية على المنطقة. ودعا نيكسون إلى التعاون الدولى للحد من شحنات الأسلحة إلى المنطقة بوصفها خطوة نحو الاستقرار مؤكدا فيه دور أمريكا لمراقبة الحفاظ على التوازن الدقيق للقوى العسكرية.

(١) رسالة الرئيس نيكسون إلى الكونجرس الأمريكى فى ١٩٧١/٢/١٨ .

ثالثـــا : أوضحت الولايات المتحدة مدى علاقاتها بدول المنطقة وأهمية قبول أطراف النزاع ـ اقتناعا أو تسليما ـ بأهمية صيانة مصالحهم الأساسية المتبادلة وسيكون تعاون الولايات المتحدة مع كل دول المنطقة على أساس المشاركة الفعالة فى دعم العلاقات.

رابعـــاً : ترى الولايات المتحدة أن النزاع العربى الإسرائيلى ليس التحدى الوحيد الذى تواجهه المنطقة فهناك أيضا المنافسات المحلية وعوامل عدم الاستقرار الناشئة عن المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وأكدت الولايات المتحدة على أهمية تشجيع دول المنطقة على التحول إلى اقتصاد عصرى بإعادة الهيكلة وتعديل القوانين والاعتماد على الجهود الذاتية وأن ينبثق التحويل من دول المنطقة نفسها (١).

٣ ـ قرار الحرب والمواجهة السياسية :

قرار الحرب :

على عكس ماروج عدد من المحللين بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يعتمد قرار الحرب على لحظة آنية أو على رغبة قيادة أو زعامة عربية، ولكن قرار الحرب كان محصلة تراكمات متعددة بدأت بحدث الهزيمة، ومرت خلال مؤتمر الخرطوم فى أغسطس سنة ١٩٦٧، ثم تشابكت مع الضغوط الدبلوماسية الدولية وضغط المقاومة الفلسطينية وحرب الاستنزاف مابين ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠، وانتهت فى

(١) يلاحظ أن مجمل هذه التطورات هى التى يتم تنفيذها منذ اتفاقيات كامب ديفيد وحتى الآن.

مرحلة منها بوفاة جمال عبد الناصر ويوم وداعه الملئ بالجماهير والتى تذكرت أن عبد الناصر كان يعد بإلحاح لمعركة إزالة آثار العدوان، ومع ذلك يمكن بلورة الضغوط التى أدت بالسادات إلى إتخاذ قرار الحرب بالإضافة إلى العوامل التى أشرنا إليها توا:

(أ) ضغط الجماهير العربية نحو التحرير.

(ب) ضغوط القوات المسلحة العربية.

(جـ) ثقل حالة اللاسلم واللاحرب وتأثيرها النفسى الضار على جماهير الأمة العربية.

(د) كما فهمت مصر من اتصالها مع الولايات المتحدة (كيسنجر) أن الاسترخاء العسكرى لا يساعد على التحرك أو ربما جاء الفهم ضمنا. أو القول مستترا أو عفو الخاطر وأعطى هذا الحوار قوة لفكرة التحريك وليس التحرير.

ثانيا: اندلاع الحرب ومشكلاتها

١ ـ الاستعداد للحرب:

كما سبق أن أوضحنا فإن الفترة التى أعقبت هزيمة عام ١٩٦٧ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ كانت كلها استعدادا للحرب لإزالة آثار العدوان على النحو الذى ذكرناه من قبل، ولعل أبرز العوامل التى أدت بالأمة العربية إلى تبنى طريق الحرب كان عاملا ذو شقين: الأول الشعور العربى بما يتحملونه من مهانة طوال فترة الاحتلال، والشق الثانى: ماوقر فى ذهنهم من أن الولايات المتحدة الأمريكية والتى بيدها إمكانات كبيرة للإسهام فى تحقيق السلام قد عمدت إلى المناورة والتباطؤ والتعلل بأسباب إجرائية وبعدم استعداد أطراف النزاع لإقامة سلام دائم (١).

وقد تأكدت مخاوف الرئيس السادات تجاه أمريكا عندما أوفد السيد/ حافظ إسماعيل مستشاره للأمن القومى فى فبراير ٧٣ لمقابلة الرئيس نيكسون، وذكر له الأخير إمكانية صياغة اتفاق يحافظ على

(١) انظر المرجع السابق، رسالة نيكسون إلى الكونجرس الأمريكى فى ١٩٧١/٢/١٨ .

أمن إسرائيل وعلى سيادة مصر على أرض سيناء (١) . وقد غادر حافظ إسماعيل واشنطن وهو يشعر بالارتياح والتفاؤل الذى سرعان ما انتهى عندما وصل إلى باريس، واطلع على خبر مؤداه أن الرئيس نيكسون قد قرر إمداد إسرائيل بمزيد من الطائرات سكاى هوك والفانتوم (٨٤ طائرة).

وقد أدى هذا الحدث إلى تأكيد الشكوك وبدأت القيادة المصرية تتحرك بجدية لدى الدوائر العربية والأفريقية للاعداد للحرب، وقد وقر فى ذهن العرب أن غيرهم لن تكون بيده مفاتيح الحل وتحريك القضية وأن الأمر يتطلب الاعتماد على جهد العرب أولا (٢).

وفى شهر سبتمبر كانت مصر قد اقنعت الملك فيصل (السعودية) وبقية دول الخليج بالتلويح بسلاح البترول وممارسة مزيد من الضغوط على أمريكا، واقنعتها بزيادة اسهاماتها للاستعداد للمعركة، وعلى سبيل المثال وافقت السعودية على دفع مبلغ ٦٠٠ مليون دولار (٣).

وعندما دعم الرئيس السادات جبهته الخارجية اتجه لمزيد من الدعم للجبهة الداخلية، فأطلق سراح كثير من المعتقلين وأعاد عدداً كبيرا من المثقفين إلى أعمالهم، وزاد من مساحة الحرية والتعبير وعمد إلى تمويه سياسى - عسكرى فأعلن تخفيض الاعتمادات العسكرية. وبسبب المعركة الجوية التى دارت فى سبتمبر ١٩٧٣ بين

(١) يلاحظ أن الحديث هنا دار حول سيناء فقط وليس بقية الأراضى المحتلة. محادثات حافظ اسماعيل وكانت مع كيسنجر.

(٢) ادوارد شيهان «الحرب التى شنها السادات»، السياسة الدولية، القاهرة، يناير ١٩٧٤ ص ٢٢٣ - ٣٣٤ .

(٣) نفس المرجع، ص ٢٢٥ .

الطائرات السورية والطائرات الإسرائيلية والتى ترتب عليها سقوط ١٣ طائرة سورية فى البحر طلب الرئيس حافظ الأسد من الرئيس السادات تقديم موعد الحرب ليصبح أوائل رمضان بدلا من نهايته(١).

والجدير بالذكر أن إسرائيل نظراً لحساسيتها المفرطة تجاه أمنها كانت تعمد إلى استنفار قواتها - الطوارئ - فى مواجهة أية حشود أو تحركات عربية قرب حدودها، وهو ماحدث مثلا ابان أزمة سبتمبر بين الأردن والمنظمة عام ١٩٧٠، وعندما دخلت القوات السورية إلى لبنان فى مايو عام ١٩٧٣، ومع ذلك لم تتخذ إسرائيل نفس الاجراء الوقائى عندما تحركت قوات مصر وسوريا تحت ستار القيام بمناورات تقليدية خلال سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩٧٣ وذلك لأن إسرائيل كانت:

(أ) مشغولة بحملتها الانتخابية.

(ب) وفى مواجهة عمليات الهجوم الفدائى ضد مصالحها فى الداخل والخارج.

(جـ) ولاهتمامها بتنمية مناخ السياحة فى الداخل للحصول على مزيد من العملات الصعبة.

(د) بالاضافة إلى أن الأزمة الاقتصادية فى إسرائيل كانت شديدة الوطأة ويؤدى استنفار القبوات إلى إهدار ملايين الدولارات يمكن توجيهها إلى أنشطة منتجة أخرى.

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٢٥ .

(هـ) هذا بالاضافة إلى أن إسرائيل لم تكن تعتقد بقدرة مصر وسوريا على القيام بعمل عسكرى وهو أمر تعتبره بمثابة مغامرة معروفة النتائج.

وكل ما أقدمت عليه إسرائيل هو رفع درجة بسيطة من الاستعداد وإبلاغ الولايات المتحدة الأمريكية باحتمالات الخطر حيث قام هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة بتوجيه نداء إلى الحكومات العربية لضبط النفس وهو أمر يعد كشفا للمخطط العربى يؤدى إلى إجهاضه وفق التصور الإسرائيلى الأمريكى ، ومع ذلك كانت إسرائيل واثقة تماما من قدرتها على مواجهة الموقف بسبب قوتها واستحكاماتها القوية.

٢ - القتال على الجبهتين:

(أ) بدأت الحرب بعد ظهر ٦ أكتوبر تطويرا للمناورات المصرية السورية، على الجبهة السورية، تقدمت القوات على ثلاث محاور الأمر الذى أربك القوات الإسرائيلية واضطرها إلى إخلاء المستعمرات من الأطفال والنساء وتشديد المقاومة انتظارا للدعم العسكرى من العمق الإسرائيلى.

وعلى الجبهة المصرية كانت إسرائيل قد أقامت أقوى خط دفاعى عرفه التاريخ العسكرى فى العالم وهو خط بارليف الذى تكون من سلسلة من الدشم المسلحة المترابطة وبذلك تخلت إسرائيل من خلال هذا الخط عن عقيدتها العسكرية التى ترتكز على الدفاع النشط وأخذ زمام المبادرة ونقل المعركة سريعا إلى أرض معركة



العبور أكتوبر ١٩٧٣ .

الخصم، وقد دعمت إسرائيل الخط بشبكة من أنابيب النابالم تمر تحت مياه قناة السويس تحيل مياهها إلى جحيم ملتهب عند العبور القتالى. هذا بالإضافة إلى إقامة ساتر ترابى عالى يصعب على المدرعات اختراقه، وخط مساعد مزود ببطاريات مدفعية من جميع الأعيرة وبعض الدبابات المساندة، وكذلك خط اضافى من حوالى ١٧٠ دبابة على بعد خمس كيلو مترات من خط بارليف، وفرقة مدرعة كاملة على بعد ٢٠ ميلا بالقرب من ممرى متلا والجدى لغلق الممرات ومنع تدفق القوات المهاجمة إلى عمق سيناء. ومجمل هذه الخطوط فى التصور الإسرائيلى تكبد المصريين خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات وخاصة إن ابتعدت القوات المصرية عن مجال شبكة الصواريخ التى تشكل مظلة حماية للقوات المصرية.

(ب) وقد أدارت القيادة المصرية الحرب مستعينة بعدة عوامل أدت إلى نجاح العبور وتقليل الخسائر ومن هذه العوامل:

- دقة التمويه الذى أشرنا إليه من قبل.
- رفع الروح المعنوية للجنود بالعبور أثناء صوم شهر رمضان وبصيحة «الله أكبر».
- نجاح تدمير شبكة النابالم فى مياه القناة قبل العبور.
- سرعة انتشار قوات الصاعقة (الكوماندوز) شرق القناة لارباك القوات المدافعة وإنزال الخسائر بها ونصب الكمائن للدبابات المهاجمة.
- فتح ثغرات فى السد الترابى العالى باستخدام مضخات مياه هائلة بالاستعانة بالخبرة الهندسية المستقاة من بناء السد العالى.

- تحييد الطيران الإسرائيلى، أى تحييد التفوق الإسرائيلى، بالتحرك داخل مظلة حائط الصواريخ المصرية الذى كبد الطيران الإسرائيلى خسائر فادحة وهو الحائط الذى أقيم ابان حرب الاستنزاف ١٩٦٩ - ١٩٧٠ كما أدت عمليات الصاعقة - الكوماندوز ابان حرب الاستنزاف إلى رصد المواقع الإسرائيلية الحساسة.

- دقة خطة الطيران المصرى وخاصة بحصوله على أنواع جديدة من الطائرات مثل الميراج، وميج ٢٣ وتطوير مالدى مصر من الطُرز الأخرى من الطائرات السوفيتية.

(جـ) وكان الأداء العسكرى المتناسق رائعا بالمشاة والمدرعات والطيران والمهندسين وهو أمر أدى إلى إرباك العدو، وخاصة بسبب نجاح جندى المشاة المصرى والسورى فى نشر الكمائن والتصدى للمدرعات المهاجمة من الخط الثانى مستخدما قاذفات مضادة للمدرعات، الأمر الذى غير من التصور العسكرى لأهمية استخدام المدرعات، فى إرباك المشاة، وقد تحول جندى المشاه بقاذفاته إلى ند كامل أمام المدرعات الإسرائيلية وهو أمر يعد من قبيل عنصر المفاجأة فى حرب أكتوبر أدى إلى تكبيد إسرائيل خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات والأسرى لأول مرة فى تاريخ الحروب العربية الإسرائيلية.

(د) وهناك عامل مكن القوات المصرية من سرعة تطهير دفاعات خط بارليف، وهو أن إسرائيل كانت تخشى الجبهة السورية لأن الهزيمة فى هذه الجبهة يهدد الكثير من المستوطنات ويهدد

العمق الإسرائيلى، أما الجبهة المصرية فيمكن تأخير التعامل معها إلى حين تلافى الخطر الأكبر على العمق الإسرائيلى القريب من الجبهة السورية.

(هـ) وهناك بعد نضالى هام فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ يتعلق بدور نشط لمنظمة التحرير الفلسطينية التى تم اخطارها للاستعداد للقتال فاندمجت بسرعة وبحماس فى قتال يتصل اتصالا وثيقاً بقضيتها الوطنية، فضاعفت من عملياتها العسكرية النشطة على مختلف الجبهات المصرية والسورية واللبنانية، وبلغت عملياتها داخل الأرض المحتلة الفلسطينية أكثر من ١٠٠ عملية خلال مدة وجيزة تقدر بعشرة أيام فقط، وعلى الجبهتين المصرية والسورية اشترك جيش التحرير الفلسطينى فى المعارك (١).

بل أن أول نبأ لاختراق القوات الإسرائيلية للجبهة المصرية لمحاولة بناء ثغرة بالضفة الغربية، جاء ذلك بتحذير من القوة الفلسطينية المشتركة فى القتال على الجانب المصرى.

(و) وأخيراً بعد نجاح العبور اشار القادة بضرورة تطوير القتال للوصول إلى الممرات محددين يوم ٩/ ١٠ لتطوير القتال، إلا أن المشير أحمد اسماعيل. نظرا لشخصيته الحريصة، فضل وجود وقفة تعبوية للاستعداد والتقييم حتى يوم ١٣/ ١٠، وهى فترة أربعة أيام أعطت إسرائيل فترة لإعادة تنظيم فلولها والحصول على مساعدات ضخمة وصلتها من الولايات المتحدة

---

(١) نبيه الاصفهانى: «تحرك المقاومة الفلسطينية فى أزمة الشرق الأوسط»، السياسة الدولية القاهرة، يناير ١٩٧٤، ص ٤٠ .



أكبر معركة دبابات عرفها التاريخ.

يوم ١٢/ ١٠، كما أدت هذه الفترة (٤ أيام) إلى الضغط المتزايد على الجبهة السورية (١).

(ز) وبعد هذا الانتصار العربى على إسرائيل تحركت أمريكا بعصبية ودعت إلى وقف إطلاق النار والعودة إلى خطوط ماقبل الحرب، وهو أمر غريب إذ أن العرب يقاتلون على أرضهم . والحرب تمثل حرب تحرير مشروعة طبقا لميثاق الأمم المتحدة، وفى المقابل قام الاتحاد السوفييتى بتعطيل المطالبة الأمريكية وطرح ضرورة إنسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ . ثم عادت الولايات المتحدة تطالب فى ١٠/ ١٠/١٩٧٣ بإيقاف اطلاق النار عن الخطوط الحالية.

ووافق الإسرائيليون بعد أن وعدتهم أمريكا للحصول على مزيد من الأسلحة، وصدر قرار من مجلس الأمن، بذلك، وبدأت الأسلحة تتدفق على إسرائيل بل تم نقلها إلى أرض المعركة فى سيناء. وفى مقابل الجسر الجوى الأمريكى قام السوفييت باقامة جسر جوى إلى مصر وإلى سوريا وبلغت الرحلات الجوية السوفيتية ٣٠ رحلة فى الفترة من ٩ - ٢٢ أكتوبر، وهنا وجدت الولايات المتحدة أنها لا تسمح بهزيمة إسرائيل كما أنها لاتسمح بتسلل شيوعى إلى الشرق الذى يحتوى على البترول والثروات المعدنية، فقامت بشحن أسلحة عالية التقنية إلى إسرائيل جوا تمكنها من التفوق والوقوف أمام مصر وسوريا والمد الشيوعى فى المنطقة (٢).

(١) حديث المشير عبد الغنى الجمسى عن حرب أكتوبر. مجلة الوسط فى ١٩٩٢/٩/٢٨ ص ٣٥/٣٤ .

(٢) بشأن العون الأمريكى اللامحدود لإسرائيل انظر: ريتشارد نيكسون، ١٩٩٩ نصر بلا حرب، اعداد وتقديم المشير أبو غزالة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .



بسالة الجندى المصرى واستيعابه للتكنولوجيا الحديثة.

٣ - الهجوم الإسرائيلى - الأمريكى المضاد «الثغرة» :

رؤية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة.

الهجوم الإسرائيلى المضاد:

فضلت إسرائيل عدم مواجهة الاداء الناجح المصرى السورى معا حتى لاتصاب بخسائر فادحة فى الأرواح وفضلت مواجهة الجبهة السورية وحدها.

الجبهة السورية:

كثف الطيران الإسرائيلى ضرباته على المستودعات ومحطات القوى السورية، ثم نقل غاراته إلى العمق السورى، الأمر الذى أدى بسوريا إلى تحريك شبكة الصواريخ لحماية العمق وهو ما أعاد السيطرة للطيران الإسرائيلى وتمكنت إسرائيل من التركيز على جبهة واحدة وبالاستعانة بالأسلحة والمعدات الجديدة التى وصلتها من الولايات المتحدة من الضغط على القوات السورية وإجبارها على التراجع، وهددت الطريق الموصل إلى دمشق لولا وصول النجدة من القوات الأردنية والعراقية واستماتة الدفاعات السورية الأمر الذى أوقف الزحف الإسرائيلى بسبب تزايد الخسائر فى المعدات والأرواح، ولكن بعد أن كانت إسرائيل قد أعادت سوريا إلى مابعد الخط السابق على القتال.

الجبهة المصرية:

وعلى الجبهة المصرية كان أمام إسرائيل خطتين، الأولى: استدراج القوات المصرية بعيداً عن حائط الصواريخ إلى عمق

الصحراء والقضاء عليها، والثانية: نقل المعركة إلى غرب القناة ومحاصرة القوات المصرية، وفى هذا الصدد رويت عدة روايات:

الأولى، الرواية الإسرائيلية:

استفادت القيادة الإسرائيلية من المعلومات التى كان ينقلها القمر الأمريكى إلى إسرائيل أول بأول، لأن أمريكا كانت فى حالة حرب فعلية ضد مصر، وانتهزوا فرصة نقل الفرقة المصرية المدرعة ٢١ إلى الضفة الشرقية للقناة لمحاولة تخفيف الضغط على سوريا بعد النداء الذى وجهه الرئيس حافظ الأسد، واستمعوا إلى نصيحة البنتاجون الذى كان يراقب من خلال قمره الصناعى ساعة بساعة، وهى نصيحة فتح ثغرة نحو الضفة الغربية مستفيدين من حركة نقل الفرقة المدرعة المصرية ٢١ لانقاذ الموقف الإسرائيلى المتدهور فى سيناء (١).

وبسبب هذه الثغرة والعون الأمريكى عالى التقنية الذى كان يصل إسرائيل إلى مطار العريش، ولأن السادات تبين أنه لايحارب إسرائيل وحدها بل يحارب أمريكا معها، قرر قبول إيقاف إطلاق النار حتى لايتكرر سيناريو هزيمة ١٩٦٧ وتدمير القوات المسلحة المصرية (٢). وقد أدى هذا التسلل الإسرائيلى إلى الثغرة أن تمكنت إسرائيل من تدمير بعض من بطاريات الصواريخ المصرية.

الثانية، رواية المشير الجمسى:

وهناك رواية أخرى لمعركة الدفرسوار التى عرفت باسم «الثغرة» يرويها المشير الحمسى بالقول: بأن المبادأة انتقلت إلى

(١) أنور السادات «البحث عن الذات، المكتب المصرى الحديث، القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٧١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

الجانب الإسرائيلى يوم ١٠/١٥ بسبب الامدادات الأمريكية المشار إليها من قبل والتى لم يتوقف إرسالها مباشرة إلى ميدان القتال. إذ فى ليلة ١٥ ـ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ تجمعت فرقتان إسرائيليتان مدرعتان كل منهما تضم ٣٥٠ دبابة أحدهما بقيادة الجنرال شارون، والأخرى بقيادة الجنرال آدن على الطريق الأوسط فى مواجهة الفرقة ١٦ مشاة ميكانيكى المصرية، وضغط الإسرائيليون.. وفشلوا ثم حاولوا ليلة ١٦ ـ ١٧ ونجحوا فى أن يصلوا إلى الضفة الشرقية للقناة بقوة كتيبة مظلات وكتيبة دبابات، ثم عبرت وحدة المظلات القناة مع جزء من الدبابات يتراوح عدده بين سبع وعشر دبابات واختفوا بين الأشجار الموجودة فى الضفة الغربية، ثم بدأت معركة الدفرسوار، التى يطلق عليها الثغرة، والتى شهدت تقييماً إعلامياً من الجانب المصرى وتضخيماً إعلامياً من جانب العدو.. وقد ترتب على هذه المعركة توسيع الثغرة إلى أن تدخل كيسنجر وأوقف القتال يوم ١٠/٢٢ .. وكان الجانب الإسرائيلى يعارض وقف إطلاق النار يوم ١٠/٢٢ لأن قواتهم كانت قابعة فى شريحة صغيرة من الأرض يعتبرونه غير مؤمن .. وبالتالى .. خرقوا وقف إطلاق النار حتى يوم ١٠/٢٥ وحاولوا الإتجاه عبر منطقة الثغرة إلى مدينة الإسماعيلية فى الشمال على أمل دخول مدينة مصرية كبيرة تصبح ورقة فى يدهم ولكنهم فشلوا فاتجهوا جنوبا إلى السويس وفشلوا أيضاً.

الرواية الثالثة، رواية السفير (اللواء) طه المجدوب:

(أ) ليس ثمة شك أن إسرائيل قد منيت أثناء هذه الحرب ـ أكتوبر ـ بخسائر فادحة لم تتصورها أدت إلى فقدان اتزان قواتها المسلحة

ولقدر كبير من فاعليتها، الأمر الذى دفعها إلى الاستنجاد بالولايات المتحدة لإنقاذها من الانهيار، فكان التدخل الأمريكى السريع بالمساعدات العسكرية الضخمة أثره المباشر فى استرداد قوات إسرائيل جزء كبير من قدرتها شجعها على القيام بمغامرتها غرب القناة فى اليوم الذى كان مقدرا فيه أن يحدث الانهيار فى القوات الإسرائيلية وهو اليوم العاشر للقتال.

(ب) ولقد دارت معركة شرسة عرفت باسم ثغرة الدفرسوار فى محاولة لقلب موازين الموقف الاستراتيجى والحصول على بعض المكاسب السياسية والاستراتيجية يمكن أن تعدل بها إسرائيل هزيمتها القاسية شرق القناة.

(جـ) ومع تطور المغامرة الإسرائيلة ازداد الموقف الاستراتيجى للقوات الإسرائيلية سوءاً إذ أصبحت القوات التى عبرت إلى الغرب معرضة للمخاطر والانشطار والعزل والحصار، خاصة مع امتداد خطوط امدادها لمسافة تزيد على ٢٠٠ كيلو متر الأمر الذى أحدث خللا جسيما فى الوضع الاستراتيجى للقوات الإسرائيلية المعرضة للانقسام، هذا بالاضافة إلى الخسائر الفادحة التى أصابت القوات الإسرائيلية فبينما نجحت القوات المصرية غرب القناة فى إعادة تنظيم صفوفها وحشد تشكيلاتها لاحتواء وحصار الجيب الإسرائيلى بشكل سريع ومكثف فيما عدا عنق الزجاجة الذى حدث فى الدفرسوار وأصبح يمثل الشريان البرى الوحيد الذى كان يمد قوات إسرائيل بالحياة وبالتالى فإن قطع هذا الشريان كان سيحرم هذه القوات من أسباب الحياة.

(د) وفى نفس الوقت وقفت القوات المصرية شرق القناة صامدة.

ـ و لتفهم موضوع الثغرة يحسن إيراد الوقائع التالية:

١ ـ البيانات العسكرية المصرية: (من الوثائق العسكرية):

(أ) يوم ١٦ أكتوبر:

بيان رقم ٤٣ :

«حاول العدو ظهر اليوم تجميع حشد كبير من المدرعات على المحور الأوسط وقام بهجمات قوية مضادة محاولا التقدم من خلال رأس جسر أحد تشكيلاته وتجرى حالياً معركة ضارية .. لصد اختراق العدو وتدميره ..»

بيان رقم ٤٤ :

«... وأثناء القتال قام العدو .. بعد ظهر اليوم باغارة يائسة متسللا بسبع دبابات عبر البحيرات المرة فى محاولة للاغارة على المواقع غرب القناة.. وتم تدمير ثلاث دبابات منها وتشتيت الباقى وتقوم قواتنا بمطاردتها للقضاء عليها نهائياً..».

(ب) يوم ١٨ / ١٠ :

بيان رقم ٤٦ :

«وكان هدف العدو طوال ليلة أمس ومنذ صباح اليوم التسلل عبر البحيرات المرة فى منطقة محدودة محاولا القيام بعمليات ازعاج للقوات، وتقوم قواتنا حالياً بمحاصرته وأنذرته اما بالتسليم أو بالقضاء عليه..».

(جـ) يوم ١٩/١٠ :

البيان رقم ٤٩ :

«.. كما أن قواتنا مازالت مشتبكة بعنف مع عناصر العدو التى تسللت إلى الضفة الغربية للقناة عبر البحيرات المرة..».

(د) يوم ٢٠/١٠ :

البيان رقم ٥٠ :

«تمكنت تشكيلاتنا البرية ووحداتنا الخاصة بالتعاون مع القوات الجوية ونيران المدفعية خلال المعارك التى دارت طوال اليومين الماضيين فى منطقة المحور الأوسط والدفرسوار من تكبيد العدو خسائر فادحة فى المعدات والأفراد وما أمكن حصره منها حتى الآن تدمير ٨٥ دبابة - ٥٦ عربة نصف جنزير وأسر أطقم كاملة من أفراد بعض دباباته..».

(هـ) يوم ٢١/١٠ :

البيان رقم ٥١ :

«استمرت معارك الدبابات دائرة بعنف فى منطقة المحور الأوسط والدفرسوار وقامت تشكيلاتنا البرية بهجمات مضادة ناجحة ضد قوات العدو المبعثرة..».

البيان رقم ٥٢ :

«... هذا ومازالت الاشتباكات قائمة شرق وغرب القناة بين قواتنا وقوات العدو وقد تمكنت قواتنا من تكبيد العدو مزيدا من الخسائر الفادحة فى المعدات والأفراد خلال معارك اليوم».

البيان رقم ٥٣ :

«دارت طوال اليوم أضخم وأعنف المعارك بين تشكيلاتنا البرية وقوات العدو شرق القناة وفى منطقة الدفرسوار وقد سيطرت قواتنا على هذه المعارك فى ثبات وثقة وكبدت العدو خسائر كبيرة فى معداته وأفراده ..»

(و) يوم ٢٢ / ١٠ :

فى الساعة ٤٥ر٦ مساء أصدر الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة بياناً جاء به:

«صدر أمر القائد الأعلى للقوات المسلحة بايقاف إطلاق النار اعتبارا من الساعة ٥٢ر١٨ اليوم ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣ بتوقيت القاهرة إذا التزم العدو بايقاف إطلاق النار فى هذا الموعد»

(ز) يوم ٢٣ / ١٠ :

«استغل العدو قرار وقف إطلاق النار وقام بدفع عدد من دباباته ليلة أمس إلى منطقة الدفرسوار محاولا التسلل لاكتساب بعض المواقع الجديدة قبل قرار وقف إطلاق النار.. وتعلن القيادة العامة أن هذه الأعمال تعد خرقا لقرار وقف إطلاق النار واستفزازا للقوات المصرية بما سيضطرها إلى ردع هذه الاستفزازات».

البيان رقم ٥٦ :

«انتهز العدو فرصة وقف إطلاق النار وقام خلال الليل بتدعيم قواته فى منطقة الدفرسوار ثم مهاجمة مواقع قواتنا وإطلاق النار عليها..»

(ح) يوم ٢٤/١٠ :

البيان رقم ٥٨ :

«... ولقد أعلنت إسرائيل فى بيانها الصادر فى الساعة٢٠ يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ أن قواتها انتشرت فى مساحة ٤٧٥ ميلا مربعا غربى القناة أى حوالى ٢٤ ميلا فِى ٢٠ ميل عرض، وعلى الرغم من أن هذه المساحة مبالغ فيها ولاتتفق مع الواقع... بأن هذا الاعلان من جانب إسرائيل جاء لاحقا لبدء سريان وقف إطلاق النار ... وبدأت فى الانتشار مرة أخرى فى اتجاه الجنوب متداخلة مع قواتنا بغرض اظهار اتساع رقعة الأرض المتواجدة فيها ولكنها اصطدمت بقواتنا واشتبكت معها بالنيران..»

(ط) يوم ٢٥/١٠ :

البيان رقم ٦١ :

«لثالث يوم على التوالى يواصل العدو انتهاكه لقرار مجلس الأمن بشأن ايقاف إطلاق النار وقد عاود العدو محاولاته ظهر اليوم لاقتحام مدينة السويس بالدبابات والمدفعية فتصدت له قواتنا المسلحة...».

البيان رقم ٦٢ :

«... حاول العدو للمرة الثانية بعد ظهر اليوم اقتحام مدينة السويس مستخدما أعدادا كبيرة من الدبابات تعاونه طائراته ومدفعياته بعيدة المدى..».

٢ - رواية الرئيس السادات (من كتاب البحث عن الذات ص ٢٧١) :

(أ) .. اتضح لي أن القمر الصناعي الأمريكي الذي كان يوصل المعلومات لإسرائيل ساعة بعد ساعة، تم اخطارهم بنقل الفرقة ٢١ المدرعة المصرية من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية لمحاولة التخفيف للضغط على سوريا كما طلب وألح الرئيس الأسد، أن البنتاجون قد نصح الإسرائيليين بمحاولة عمل الثغرة لانقاذ الموقف الإسرائيلي المنهار على جبهة سيناء.

(ب) ولقد استخدم الكوبرى الجوى الأمريكي لنجدة إسرائيل مطار العريش لنزول القوات الأمريكية الجبارة التي تحمل الدبابات وكل الأسلحة الحديثة.

(جـ) لقد دخلت أمريكا الحرب لانقاذ إسرائيل.

(د) وأعود إلى يوم ١٠/١٦ أرسلت رئيس الأركان الجنرال سعد الشاذلي للتعامل مع الثغرة وكان من السهل جداً التعامل معها ... ولكنه أضاع الليلة بأكملها في جمع المعلومات وإنشاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الجنرال أحمد اسماعيل، وكانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة ولكن الشاذلي أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود في الثغرة.

(هـ) وقال السادات إنه أرسل للرئيس حافظ الأسد بأنه مضطر لقبول وقف إطلاق النار لأن أمريكا دخلت الحرب بمعلوماتها وأقمارها وأسلحتها المتطورة.

٣ ـ المواجهة الأمريكية ـ السوفييتية:

مع تدهور الموقف على الجبهتين السورية والمصرية تحرك الأتحاد السوفييتى وأقام جسرا جويا لامداد مصر وسوريا بالأسلحة، واستمرت الولايات المتحدة فى نقل المعدات عالية التقنية إلى إسرائيل، ونشطت الدبلوماسية داخل مجلس الأمن فصدر القرار ٣٣٨ فى ٢١ ـ ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ دعا فيه جميع الأطراف إلى وقف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط عسكرى فى فترة ١٢ ساعة وذلك فى المواقع التى يحتلونها «الآن» ويدعو المجلس كل الأطراف المعنية إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ١٩٦٧/٢٤٢ بجميع أجزائه ويقرر مجلس الأمن أن تبدأ المفاوضات فوراً تحت الاشراف الملائم بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط (١).

وقد اكتنف صدور هذا القرا والقرارات اللاحقة مناورات وضغوط وتهديدات علنية وضمنية من كل الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية، وقد دعا الاتحاد السوفييتى إلى تنفيذ القرار ٣٣٨ بالقوة لاعادة القوات الإسرائيلية إلى خط ٢٢ أكتوبر، وهددت الولايات المتحدة بأن أعلنت حالة الاستعداد بين قواتها فى مختلف أنحاء العالم، ثم صدر القرار ٣٣٩ عن مجلس الأمن فى ٧٣/١٠/٢٣ يدعو فيه إلى إعادة القوات إلى المواقع التى كانت

(١) انظر فحوى القرار فى مجلة السياسة الدولية العدد ١٩٧٤/١ ص ٢٠١ .

تحتلها وقت سريان ايقاف إطلاق النار ويطلب إلى السكرتير العام اتخاذ تدابير لايفاد مراقبين من الأمم المتحدة فوراً للإشراف على هذه المهمة (١).

والذى أدى إلى هذه المواجهة والجلبة التى شهدها مجلس الأمن بصدور القرارات الأربعة المتالية فى نفس الشهر ٣٣٨،٣٣٩،٣٤٠،٣٤١ هو أن مصر بعد أن قبلت ايقاف إطلاق النار فى ٧٣/١٠/٢٢ قامت إسرائيل باغتنام الفرصة لتطويق الجيش المصرى الثالث فى شرق القناة مما أدى بالسادات إلى دعوة القوتين العظمتين بارسال قواتهما لتنفيذ وقف إطلاق النار عند مواقع ١٠/٢٢ (٢).

ونظرا لاصرار الأتحاد السوفييتى على تصحيح الوضع وانقاذ الجيش الثالث فقد ضغطت الولايات المتحدة على إسرائيل فى إطار موقف «حافة الحرب» أى احتمالات المواجهة بين العملاقين ضغطت لقبول إسرائيل السماح لقوات الطوارئ الدولية بنقل المؤن غير العسكرية إلى الجيش المصرى الثالث (٣).

والجدير بالذكر أن استخدام الدول العربية لسلاح النفط فى ١٩٧٣/١٠/١٨ وخفض تصديره إلى الولايات المتحدة كان له أكبر الأثر فى استجابة الولايات المتحدة وممارستها لضغوط محسوبة على إسرائيل (٤).

---

(١) فحوى القرار ٣٣٩ انظر السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٧٤/١ ص ٢٠١، وكذلك د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» المرجع السابق ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦ .

(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» ص ٢٤٥ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٢٥٠، وكذلك أنور السادات «البحث عن الذات» المرجع السابق الاشارة إليه ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠ .

رؤية لحكاية الثغرة بعد ٢٢ سنة من حرب أكتوبر ١٩٧٣

وبعد استعراضنا للروايات المتعددة التى رويت فى موضوع الثغرة. فإنه من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن جريدة العربى - وبعد اثنين وعشرين عاما - نشرت تحقيقا صحفيا بعددها رقم (١١٩) بتاريخ ٩/١٠/١٩٩٥ شرحت فيه قصة الثغرة الكاملة وما ترتب عليها من آثار سياسية وعسكرية.

وقد رأينا أن نسردها كما وردت بالتحقيق الذى نشرته الجريدة، حرصا منا على إطلاع القارئ على كل ما نشر دون تدخل منا.

وهذه هى قصة الثغرة كما روتها الجريدة:.

الورقة الأولى

البدايات

كان الجيش المصرى قد أنهى المرحلة الأولى من حرب أكتوبر بنجاح مذهل وذلك بإتمام عبور كامل الوحدات المقاتلة للفرق الخمس مع مدرعاتها، وبعد أن تم توحيد رؤوس الجسور فى ثلاثة لتشكل كل فرقتين رأس جسر واحد، على مستوى الجيش وبعمق ١٠ - ١٢ كيلو مترا:

- فى الجنوب: فرقتا مشاه.
- مقابل الإسماعيلية: فرقتا مشاه.
- مقابل مدينة القنطرة. فرقة مشاه واحد.

ونجحت قيادة الجيش الثانى (مقابل الإسماعيلية) فى الاستيلاء على بعض المواقع الإسرائيلية الحصينة ومنها مقر قيادة شارون غرب «الطاسة»، وذلك بعد أن حاول شارون القيام بهجوم مضاد دون أمر القيادة ففشل فى هجومه وانسحب. وتابعت القيادة المصرية تقوية الخط الدفاعى الذى أنشئ، وعمقت رؤوس الجسور حتى ١٥ كم فى بعض المناطق.

ولكن بعض الوحدات الإسرائيلية كانت قد اكتشفت الفجوة بين الجيشين الثانى والثالث شمال البحيرة المرة الكبرى المقابلة للدفرسوار.

وفى الوقت الذى صدر القرار المصرى بالوقفة التعبوية بعد النجاح المذهل للعبور، كان الإسرائيليون يفكرون فى طريقة للالتفاف حول هذا النجاح.

- كيف؟ كان هذا هو السؤال الذى بدأ يلح على الإسرائيليين؟

وفى كثير من الكتابات حول حرب أكتوبر من المتخصصين أو أولئك الذين شاركوا فى قيادة عمليات الحرب، فإن خط بارليف كان قد سقط فى الثلاثة أيام الأولى للحرب والسادات نفسه يعترف بذلك فى «البحث عن الذات».

وكانت الفرصة - متاحة - ولا نقول ضخمة، لاستغلال هذا النجاح الباهر، ثم الفشل الكبير للهجوم المضاد الإسرائيلى، نقول كانت الفرصة متاحة لكى تندفع القوات نحو منطقة الممرات مستغلة اختلال توزان العدو وضعف قواته نسبياً.

ولكن هذا لم يحدث.

الأسباب كثيرة .. والآراء متعارضة.

ولكن الجميع يوافق على أن الفرصة كانت قائمة.. وضاعت.

- يقول الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل «اعتقادى الشخصى أنه لو كان التقدم نحو الممرات قد استمر والاستيلاء عليها قد تم لأمكن تحرير سيناء كلها مع ما يترتب على تحريرها بنصر كهذا من نتائج سياسية لا يمكن تقديرها».

ومع بداية الوقفة التعبوية - فى رابع يوم قتال - اكتشف العدو عدم وجود نية مصرية بالتحرك السريع نحو الممرات، فقرر متابعة القتال على الجبهة الشمالية (سوريا) بقوة، ودفع معظم احتياطاته الإستراتيجية.

وبدأ يحقق على هذا الصعيد بعض النتائج، ووجدت القوات السورية نفسها في وضع صعب.

وأخذت العلاقات بين القيادات فى مصر... وفى سوريا التى بدأت بالتحالف والتنسيق.. طريقها نحو الأفتراق منذ تلك اللحظة.

كانت تلك هى أولى الاختراقات فى العلاقة بين مصر وسوريا وكانت تلك هى أولى نقاط التدهور فى الموقف العربى بعد عبور ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

والشاهد أن المشير أحمد اسماعيل أخبر هيكل - كما روى بنفسه فى «الطريق إلى رمضان» - أنه كان ينوى الاندفاع نحو الممرات

ولكن بسبب تركيز الهجوم على الجبهة السورية فأنه «لابد لنا إذا ما تحول العدو وركز كل هجماته علينا من أن نتجنب بأى ثمن أن تكون قواتنا منتشرة بطريقة خطيرة».

وأصبحت كل جبهة تقاتل منفردة.

وأنتقلت المبادرة من يد العرب (مصر وسوريا) إلى أيدى إسرائيل مرة أخرى.

وكانت هذه أولى بوادر التحسن فى الموقف الإسرائيلى بعد زلزال ٦ أكتوبر.

وخلال الأيام من ٦ حتى ١٠ أكتوبر كانت القوات المسلحة المصرية قد استطاعت أن تمحو إلى الأبد عار ما حدث فى يونيو ١٩٦٧، وأن تسقط نظرية الأمن الإسرائيلية وتحقق مفاجأة استراتيجية بكل المقاييس، فى نفس الوقت الذى عبرت فيه إلى الضفة الشرقية من القناة لكى يسقط بين أيدى رجالها خط بارليف الذى طالما تغنى العدو بقدرة وقوة تحصيناته الجبارة.

لكن الأيام التالية كانت تحمل فى طياتها ـ كما يقول هيكل ـ قصة مختلفة.

- وقفة تعبوية.
- وتركيز للهجوم الإسرائيلى ضد الجبهة الشمالية.
- وحالة انتظار فرضت على القوات المصرية.

وبعدها ـ بعد طول انتظار والزمن فى أوقات الحرب أكثر منه فى الأوقات الأخرى دائما يقاس بالدقائق والثوانى ـ قامت القوات المصرية يوم ١٤ أكتوبر بالتقدم شرقاً باتجاه الممرات بعد أن كانت الفرصة المتاحة قد ضاعت.

وفشل ما سمى فيما بعد بـ «تطوير الهجوم» وانتهت المعركة بخسائر كبيرة فى المدرعات المصرية.

وكما ذكر الأستاذ هيكل فى «الطريق إلى رمضان» « فقد حدث بعد فشل الهجوم المصرى الذى بدأ يوم ١٤ أكتوبر أن صدرت الأوامر للجيش فى شرق القناة أن يتخذوا مراكز دفاعية ويتشبثوا بالأرض التى احتلوها ويقاوموا هجمات العدو. وكانت وجهة نظر الرتب العليا من ضباط القيادة المصرية أنه من الأفضل العودة إلى الخطة البديلة التى تقوم على أساس جعل الإسرائيليين يضربون رؤوسهم ويحطمونها فى جدار النيران المنصبة عليهم من نقط إرتكاز بدلا من المجازفة بالاشتباك معهم فى معركة فى عمق سيناء أغلب احتمالاتها أن تكون لهم اليد الطولى فيها».

وبدا أن زمام المبادرة قد انتقل إلى أيدى الإسرائيليين.

وبدأت فكرة القيام بعمليات التفاف وتطويق تناقش منذ١٠ أكتوبر.

الفكرة ليست بغريبة عن العقيدة العسكرية الإسرائيلية التى تعتمد مبدأ الحرب الخاطفة أو الصاعقة وتطبيقها باتباع استراتيجية «التقرب غير المباشر» وذلك بالقيام بتطويق مؤخرة جيش الخصم

لأحداث انهيار فى القيادة تحت وطأة الصدمة النفسية التى يحدثها مثل هذا التطويق.

المصادر الإسرائيلية تؤكد أنه بعد احتلال سيناء عام ١٩٦٧ وخلال قيادة شارون للمنطقة الجنوبية منذ العام ١٩٦٩، وحتى قبل حرب أكتوبر بشهور، وضعت خطة عبور درست احتمالاتها، كما عينت ثلاث مناطق للعبور :- فى القنطرة - ومقابل الدفرسوار - وشمال مدينة السويس وجهزت الأماكن لتجميع الآليات ومعدات العبور فى هذه المناطق.

وسواء كان ذلك صحيحا أم غير صحيح فهو ليس مستغربا عن العقيدة العسكرية الإسرائيلية.

وهكذا تقرر القيام بعملية عبور مضاد.

فى القيادة الإسرائيلية كان هناك خلاف فيما إذا كان يمكن لشارون أن يقوم بعملية العبور المضاد منذ ١١ أكتوبر أو تأجيلها لتجميع عدد أكبر من الوحدات الاحتياطية طالما أن القوات المصرية اتخذت وضعا دفاعيا ولا تشكل خطرا متفاقما وفوريا على القوات الإسرائيلية، وخاصة أن عمق سيناء يسمح بمبادلة الوقت بالأرض وإذا قامت القوات المصرية بهجوم فى عمق سيناء فسيكون ذلك أفضل لأن القوات الإسرائيلية تمركزت دفاعيا استعدادا لمثل هذه العملية بعد أن أعطيت الوقت الكافى بسبب الوقفة التعبوية المصرية وبذلك تضمن إسرائيل تدمير أكبر عدد من المدرعات المصرية التى كانت ستسحب من غرب القناة مما يسهل عملية العبور ويقلل الخسائر.

إلا أن عملية انتظار الهجوم المصرى لم تكن هى العنصر الأساسى فى الاعتبار الإسرائيلى لاتخاذ مثل هذا القرار، فرئيس أركان العدو أصدر أمره فى ١٣ أكتوبر بأن تتم عملية العبور مساء ١٤ أكتوبر سواء تم الهجوم المصرى صباح ذلك اليوم أم لم يتم.

وحين قام الهجوم المصرى صباح ذلك اليوم وجدت القوات الإسرائيلية أن الفرصة التى كانت تنتظرها لإيقاع أكبر خسائر بالمدرعات المصرية فى حرب الحركة قد جاءت وهذا ما تم لها خلال ساعتين وأجل العبور لمساء يوم ١٥ أكتوبر.

الورقة الثانية

الخطة

وكان العد التنازلى للقيام بعملية الثغرة قد بدأ.

تلخصت خطة العبور الإسرائيلية فى أن يقوم شارون بقيادة هذه العملية، فقسم ألويته الأربعة إلى لواء يشاغل الجناح الأيمن للجيش الثانى المصرى بهجوم يهدف إلى تثبيته باتجاه محور الطاسة ـ الإسماعيلية، بينما يقوم لواء ثانى بالإلتفاف جنوباً ثم شمالا، مستغلا عدم وجود قوات مصرية على الشاطئ الشرقى للبحيرة، للقيام بتوسيع مدخل الثغرة وذلك بالضغط على الجناح الأيمن للجيش الثانى باتجاه جنوبى ـ شمالى كما يؤمن الطريق بين الطاسة وضفة القناة (المزرعة الصينية) والذى كان مهدداً بمدفعية وصواريخ مشاه القوات المصرية، كما يقوم هذا اللواء بحماية مدخل الثغرة بعد

التطهير، ويتبع هذا اللواء لواء مظلى يقوم بالعبور وتأسيس رأس جسر على الضفة الغربية، ومن ثم يتبعه لواء مدرع آخر يقوم بتركيب جسرين للعبور، وبعد ذلك تعبر «فرقة ابراهام آدان» وتتجه جنوباً لحصار الجيش الثالث، بينما يتابع قسم من « فرقة شارون» تقدمه جنوبا وقسم يحمى مدخل رأس الجسر، ولم يكن التقدم بإتجاه الإسماعيلية واردا فى ذلك الوقت لأن القيادة العسكرية الإسرائيلية قررت أن تنهى العملية بسرعة قبل وقف إطلاق النار.

وفى «الطريق إلى رمضان» يقول محمد حسنين هيكل:

تصرف الجنرال شارون والجنرال «تال» على هدى القول المأثور لنابليون - كما فعل سلفاهما ديان ويادين فى العام ١٩٤٨ - وهو أن من يسيطر على تقاطع الطريق فى المعركة يصبح سيد الأرض وكان أهم تقاطعات الطرق غربى القناة التقاطع الواقع إلى الشرق من الإسماعيلية، والتقاطع المشهور عند الكيلو (١٠١) إلى الغرب من مدينة السويس، والتقاطع المعروف باسم تقاطع عثمان أحمد عثمان، وقد احتلت قوات شارون هذه التقاطعات عندما تأكد الإسرائيليون من أن احتياطى مصر الاستراتيجى قد دخل المعركة.

صدر لشارون فى النهاية الأذن الذى ظل يطلبه لبدء هجومه عبر القناة يوم ١٥ أكتوبر، وكانت هناك فى منطقة الدفرسوار - أبو سلطان فجوة بلا حراسة بالفعل، مسافتها نحو ٤٠ كيلو مترا تفصل بين الجيشين واستطاعت القوات البرمائية الإسرائيلية التى عبرت البحيرات المرة أن تنشئ لنفسها نقطة ارتكاز سريعة فيها.

ثم يقول هيكل:

«مما يثير الدهشة أنه كانت فى خط بارليف نقطتان حصينتان لم تتم تصفيتهما أو إنسحاب الجنود الإسرائيليين منهما، وكانتا أداة عون كبير للقوات الإسرائيلية التى عبرت القناة» (!).

ويستطرد:

«واستطاعت هذه القوات التى كانت تتقدم شمالا فى صباح يوم ١٦ أكتوبر أن توسع الممر الذى عبرت منه، ولم يأت بعد ظهر ذلك اليوم إلا وكانت وحدات عدة كاملة تقف عبر القناة، وقد أبلغت بعض الوحدات المرابطة فى المنطقة بما يحدث فيها، لكن الاتصالات بين الجبهة ومقر القيادة العامة كانت سيئة جداً».

وكانت تلك هى الثغرة الحقيقية!

كانت العملية قد بدأت فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٥ أكتوبر إلا أن الدفاع المصرى، المشاة والمدفعية، كان عنيفا جدا على طريق الطاسة ـ المزرعة الصينية بحيث استطاع تأخير تقدم اللواءين المكلفين بالعبور، ولكن بعض القوات المظلية الإسرائيلية استطاعت التسلل خلال المعارك ووصلت إلى ضفة القناة ولكن دون أن يستطيع العدو إقامة الجسر بسبب القصف المدفعى، وعندما رأى شارون هذا التأخير أمر وحدة مكونة من مائتى مظلى بالعبور بقوارب مطاطية مع سبع دبابات برمائية وعشر ناقلات جنود برمائية بعد الساعة الواحدة من صباح ١٦ أكتوبر، وشددت القوات المصرية تهديدها للطريق بين الطاسة ومنطقة العبور وجرت معارك ضارية ألحقت

بالإسرائيليين خسائر كبيرة بالأرواح والمعدات.

كانت المعارك على محورى الطاسة ـ الإسماعيلية من ناحية والطاسة ـ المزرعة الصينية، تشى بالأهداف الحقيقية وراء الهجوم الإسرائيلى، ولكن ضعف الاتصلات من جهة، وعدم تقدير حقيقة الأهداف الإسرائيلية من ناحية أخرى كان وراء اتساع الثغرة دون أى رد فعل ذى أثر فعال على أرض المعركة.

رواية الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى حرب أكتوبر تقول: «إن الفرصة كانت قائمة فى منع القيادة الإسرائيلية من المجازفة بالعبور المضاد إذا ما جرى الموافقة على اقتراحاته الخاصة بإعادة الاتزان إلى الأوضاع الدفاعية التى اتخذها انتشار الجيشين الثانى والثالث فى شرق القناة».

يقول فى كتابه «حرب أكتوبر» «فى صباح يوم ١٥ أكتوبر اقترحت إعادة تجميع الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة الرابعة المدرعة فى غرب القناة حتى يمكننا أن نعيد الإتزان إلى موقفنا الدفاعى، ولكن الوزير (أحمد إسماعيل) عارض الإقتراح على أساس أن سحب هذه القوات قد يؤثر على الروح المعنوية للجنود وقد يفسره العدو على أنه علامة ضعف فيزيد من ضغطه على قدراتنا ويتحول الإنسحاب إلى ذعر».

لم أكن لأوافق على هذا الرأى.

كنا نتكلم بلغتين مختلفتين ولا يستطيع أى منا أن يقتنع برأى الآخر.

هناك سبب آخر لعدم سحب القوات - يقول الشاذلى - ولكنه كان سببا سياسيا، فقد كان مقررا أن يلقى السادات خطابا سياسيا مهما أمام مجلس الشعب المصرى، وكان السادات يريد أن يسمع صوته لأمريكا وإسرائيل من موقع قوة.

إلى الآن لم يقل لنا أحد هل كان فى مخطط القيادة احتمال قيام إسرائيل بمثل هذا الاختراق؟

هيكل يقدم إجابة على هذا التساؤل فيقول فى «الطريق إلى رمضان» كان المخططون المصريون يضعون هذا فى اعتبارهم وأعدوا بالفعل خطة لمواجهة هجوم تقوم به القوات الإسرائيلية على الضفة الغربية للقناة أطلق عليها اسم «الخطة ٢٠٠» وخصصوا لها القوات التى ستقوم بتنفيذها وكان الدفرسوار أحد ثلاثة أماكن محتملة لاستخدامها فى العبور إلى الضفة الغربية.

وكانت الخطة تقوم على تصور اختراق الدفاعات المصرية عند نقطة الالتقاء بين الجيشين، وعبور القناة بقوات ومعدات كافية لقطع المواصلات المصرية، وتدمير عدد كاف من مراكز الصواريخ لفتح فجوة فى غطاء الدفاع الجوى المصرى تمكن الطائرات الإسرائيلية من الاشتراك فى المعركة، ولمجرد أن تؤمن القوات الإسرائيلية ركيزة لنفسها فى الضفة الغربية فأنها عندئذ تتفرق فى وحدات صغيرة وتنتشر بسرعة فى منطقة واسعة، ويعود بذلك إلى الجيش الإسرائيلى دوره التقليدى بأنه «فى كل مكان لكنه ليس فى أى مكان».

الورقة الثالثة

المواجهة

وهكذا ومع التباشير الأولى ليوم ١٦ أكتوبر بدأ المظليون الذين عبروا إلى الغرب بالانتشار فى جماعات لتدمير قواعد صواريخ سام وفتح ثغرة فى شبكة الدفاع الجوى المصرى وتسهيل عمل الطيران الإسرائيلى، وتم لهم تأسيس رأس جسر بعرض ٥ كيلو مترات فى غرب القناة حول مطار الدفرسوار غير المستعمل منذ العام ١٩٦٧ وفى ذلك الوقت تمكنت بعض قوات المشاه الإسرائيلية، والدبابات من الوصول إلى منطقة العبور. إذ عبر حوالى ٢٠٠٠ جندى مع ٣٠ دبابة على عبارات متحركة لعدم تمكن العدو من تثبيت الجسر، ومنذ الساعة ١١ر٣٠ صباح ١٦ أكتوبر توقف العبور الإسرائيلى لعدم وصول قوات جديدة وبسبب شدة القصف المدفعى المصرى ولم تعبر أية وحدة معادية طوال ٣٧ ساعة.

كانت الفرصة ـ ربما الأخيرة ـ متاحة لسحق العملية عند نقطة بدايتها، وكانت العملية إلى هذه اللحظة فاشلة عسكريا ويسهل سحقها.

ولكن ..

كيف علمت القيادة العامة للقوات المسلحة بالمعلومات الأولى عن اختراق العدو .. ومتى؟

يجيب الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان فيقول:

على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة وصلتنا المعلومات الأولى عن اختراق العدو صباح يوم ١٦ أكتوبر، كانت المعلومات مقتضبة ولا تثير أى انزعاج وكان البلاغ الأول يقول:

«نجحت جماعات صغيرة من العدو فى العبور إلى الضفة الغربية ويقوم الجيش باتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء عليها».

كانت المعلومات الأولية مطمئنة إذن ورغم ذلك - يقول الشاذلى - فقد رفعت درجة استعداد اللواء المدرع ٢٣ الموجود فى القاهرة وأصدرت إلية أمراً انذاريا بأن يستعد للتحرك إلى الجبهة فى قطاع الجيش الثانى.

ولكن الأمر تغير فجأة وبدأت بوادر الانزعاج تحل محل الشعور بالطمأنينة.

يقول الشاذلى: فى خلال نهار يوم ١٦ أكتوبر بدأت المعلومات تصل إلينا بأن عددا من كتائب الصواريخ سام قد هوجمت بواسطة دبابات العدو، وكانت بعض هذه الكتائب تقع على عمق حوالى ١٥ كيلو مترا غرب القناة، كان الموقف مائعا وعجزت قيادة الجيش عن تحديد حجم ومكان القوة المعادية، كانت دبابات العدو تظهر فجأة بقوة ٧ إلى ١٠ دبابات بالقرب من أحد مواقع سام ثم تشتبك مع الموقع من مسافة ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر فتقوم بتدميره أو إسكاته ثم تنسحب فجأة لتظهر فى مكان آخر وهكذا.

ولم تكن كتائب الصواريخ سام لديها الأسلحة التى تستطيع أن ترد بها على مثل هذا الهجوم وبالتالى فإن دبابات العدو كانت

تنسحب بعد تنفيذ المهمة بها دون أن تتلقى عقابا، هكذا يقول رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الأسبق.

وقبل أن نعرف كيف تصرفت القيادة العسكرية مع موضوع الثغرة بعدما تبينت بعض ملامحها، نعود لكى نلقى الضوء على ما حدث فى صباح اليوم نفسه، حيث كانت القيادة السياسية ممثلة فى أنور السادات ترى أن «الوقت يدنو من بدء المرحلة السياسية من الحرب» لذا فقد قرر أن يتحدث إلى مجلس الشعب وأن ينتهز فرصة هذا الحديث ليعرض مشروع سلام.

قال السادات أمام عدسات التليفزيون وميكروفونات الإذاعة:

١ - أن مصر مستعدة لوقف القتال بشرط إنسحاب إسرائيل إلى خطوط يونيو ١٩٦٧ .

٢ - بمجرد حدوث الإنسحاب فإن مصر مستعدة لحضور مؤتمر سلام تعقده الأمم المتحدة.

٣ - أن مصر مستعدة لأن تبدأ العمل فورا فى تطهير قناة السويس بحيث تفتح للملاحة الدولية.

نسنطيع أن نقول - اليوم - أن الوقت كان مبكراً لمثل هذه المقترحات ولكن هذا ما حدث.

وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء العدو على موعد للحديث فى الكنيست الإسرائيلى يقارب موعد إلقاء السادات لخطابه أمام مجلس الشعب، وعندما علمت أن الرئيس المصرى سوف يتحدث فى الموعد

نفسه قررت أن تعطى نفسها فرصة للرد على ما سوف يتضمنه خطاب السادات.

يقول محمد حسنين هيكل:

وعاد الرئيس السادات من مجلس الشعب إلى قصر الطاهرة فى موكب أكثر حماسة وعاطفية من ذلك الذى لقيه ذاهبا إليه، واتصل تليفونيا بـ «محمد حسنين هيكل».

وكان خطاب جولدا مائير يلح على الاهتمام أكثر من أى شاغل أخر، وقام هيكل بإبلاغ الرئيس السادات بما قالته جولدا مائير فى خطابها وقرأ عليه برقية من وكالة «الأسوشتيدبرس» نصها:

«أعلنت جولدا مائير أمام الكنيست الآن أن القوات الإسرائيلية تحارب شرق وغرب قناة السويس».

وبدا أن الرئيس السادات مستنكر لما يسمع، وكان رد فعله الفورى هو أن ما قالته جولدا مائير هو مجرد محاولة لاضعاف تأثير خطابه على العالم، وكان رأى هيكل «أن الموضوع لابد أن يكون له أساسا بشكل ما لأنه لا يتصور أن تقف رئيسة وزراء إسرائيل أمام الكنيست وتقول كلاما مختلقاً بالكامل».

ورد الرئيس السادات بأنه سوف يسأل الفريق أحمد إسماعيل ويعود للاتصال بـ هيكل مرة ثانية.

وبعد عشر دقائق عاد الرئيس السادات يتصل بـ هيكل، ورأيه أنه يظهر أن «الأمور مفكوكة فى إسرائيل وقد عملوا اليوم مسرحية

فبعثوا بشوية دبابات تبرجس».

ولما أبدى هيكل عدم فهم لكلمة «تبرجس» ترجمها الرئيس السادات بقوله:ـ يعنى فوتوا شوية دبابات يتسللوا للغرب ويستخبوا فى وسط الشجر علشان تقدر تقول أن عندها قوات فى الغرب.

ثم أبدى الرئيس السادات اقتناعه بـ «أنها مسرحية قصد بها اعطاء جولدا مائير شيئا تتكلم عنه فى خطابها لكى تغطى خطابه هو وتشوش عليه».

ثم عبر عن يقينه بأن هذه الدبابات دخلت مصيدة لن تخرج منها.

كان هذا هو تصور القيادة المصرية لأهداف عملية الثغرة عند بدايتها!

يتابع هيكل فيقول:

ولم تكد المكالمة مع الرئيس السادات تنتهى، حتى دق التليفون وكان المتحدث هو الفريق أحمد اسماعيل الذى بدأ على الفور بكلمات عتاب أبدى فيها أنه «ليس من الضرورى إزعاج الرئيس بأى خبر تنقله وكالات الأنباء ثم أضاف أن:

«كل ما هنالك هو ٧ أو ٨ دبابات تبرجس»

وسأله هيكل:

ـ إذن فلابد أن تكون أنت صاحب تعبير «البرجسة» الذى سمعته

الآن من الرئيس السادات؟

ورد الفريق أحمد إسماعيل قائلا:

هل تريد أن تقول إنك لا تعرف شيئا عن برجسة الخيل؟ الخيل عندما ترقص؟

وكان تقدير القائد العام بعد ذلك «أن ما قامت به إسرائيل هو محاولة من محاولات الحرب النفسية أكثر منها عملا عسكريا، فهى تريد استغلال مقولة أنهم يقاتلون فى الغرب بقصد إعطاء قوة لخطاب جولدا مائير، وأيضا للتأثير على الرأى العام الإسرائيلى الذى أصبح على علم كامل بحجم الخسائر الإسرائيلية فى الحرب».

وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وكانت وكالات الأنباء ملأى بأخبار عن العمليات العسكرية الإسرائيلية غرب القناة، عاد هيكل فاتصل بالفريق أحمد اسماعيل قائلا له أنه يشعر بالقلق لسببين:

١ ـ أن برقيات معظم وكالات الأنباء القادمة من منطقة القنال (datliive) من غرب القناة، وهذا معناه أن هناك مراسلين لوكالات الأنباء العالمية موجودون فعلا فى المنطقة.

٢ ـ أن برقيات وكالات الأنباء تتحدث عن وجود جنرال إسرائيلى مع القوات فى الغرب، وإذا كان هناك جنرال إسرائيلى فى مواقع بهذه الخطورة فمعنى ذلك أن هناك قوات إسرائيلية لا يمكن أن يقل حجمها عن مجموعة لواء.

وكان الفريق أحمد اسماعيل على استعداد لأن يقبل أن حجم

المدرعات الإسرائيلية التى تسللت إلى الغرب أكبر ما جرى تقديره سابقا، ثم كان قوله بعد ذلك أنه سوف يتم القضاء هذه الليلة على كل الدبابات الإسرائيلية التى عبرت إلى الغرب.

ثم عاد الفريق أحمد إسماعيل بعد ساعة واتصل قائلا:

- إن تقديرنا هو أن هذا نوع من حرب العصابات بالدبابات وسوف يتم القضاء على هذه القوة الليلة حتى ولو اضطررنا إلى حرق كل مزارع الفاكهة التى تختبئ فيها هذه الدبابات.

يبدو أن هذا كان كلاما للجرائد ليس أكثر. فالذى حدث فى المركز رقم ١٠، مقر قيادة الحرب كان شيئا آخر.

الورقة الرابعة

الخلافات

رواية سعد الدين الشاذلى تحكى التفاصيل فيقول:

عقد مؤتمر بالقيادة بعد ظهر يوم ١٦ لبحث الموقف واتفقت مع الوزير على أن نقوم بتوجيه ضربة قوية ضد العدو فى منطقة الاختراق صباح يوم ١٧ ولكننا اختلفنا مرة أخرى على طريقة توجيه هذه الضربة.

كانت نظريتى فى ضرورة إعادة الاتزان إلى مواقفنا الدفاعية بسحب جزء من قواتنا فى الشرق إلى غرب القناة مازالت قائمة.

كان الوزير مازال ضد أية فكرة لسحب القوات من الشرق إلى

الغرب، وبالتالى رفض سحب الفرقة الرابعة مدرعة وقرر أن يقوم اللواء المدرع ٢٥ بتوجيه ضربة من شرق القناة فى اتجاه من الجنوب إلى الشمال لكى يلتقى مع هجوم الفرقة ٢١ مدرعة، وأن يقوم اللواء ١١٦ مشاه بتوجيه ضربة ثانوية من الغرب إلى الشرق.

كان هناك إذن خلاف بينى وبين الوزير، فبينما كنت أريد أن تكون ضربتنا الرئيسية موجهة إلى الثغرة من غرب القناة مع توجيه ضربة ثانوية ضد فتحه الثغرة شرق القناة، كان الوزير يرى العكس تماما، فقد كان يرى أن تكون الضربة الرئيسية من شرق القناة وأن تكون الضربة الثانوية من غرب القناة.

ماهى مزايا وعيوب وجهتى نظر الوزير ورئيس الأركان؟

هيكل يتولى الرد فيقول:

كان رأى الفريق أحمد إسماعيل هو الأكثر رجاحة فى هذه اللحظة لأى مراقب ينظر إلى الموقف نظرة شاملة، فالقائد العام لم يكن ينظر إلى الموضوع من وجهة نظر العمليات فقط، وإنما كانت نظرته أشمل، وقد قال بوضوح أنه إذ بدأ سحب قوات الفرقة المدرعة إلى غرب القناة فى هذه الساعات فإن القوات كلها فى الشرق سوف تشعر بحركتها وقد تتصور خصوصا مع إنتشار أخبار الثغرة - أن تلك مقدمة لإنسحاب عام يقوم به الجيش المصرى من الشرق وبالتالى فإن هذه القوات سوف تبدأ - راضية أو كارهة - فى التأثر بعملية الإنسحاب وهذا قد يعيد إليها أجواء سنة ١٩٦٧ .

يستطرد هيكل:

كان الفريق أحمد إسماعيل على حق، ففى تلك اللحظات وبصرف النظر عن آية آراء سابقة فإن الإعتبارات النفسية كان لابد أن يكون لها الغلبة فى أى حساب تخطيط لطريقة مواجهة الثغرة.

لكن المشكلة الكامنة أن الاختلاف الذى احتدم بين الرجلين وتفجر أخرج ما كان مكتوما فيصدر كل منهما تجاه الآخر من تأثيرات علاقاتهما السابقة.

وكان منطقيا أن ينحاز الرئيس السادات إلى صف الفريق أحمد إسماعيل، لكنه من تأثير الضغوط الواقعة عليه ترك انحيازه يتحول إلى إهانة لرئيس الأركان.

هذه شهادة هيكل ورأيه.

ولكن ماذا يقول الفريق الشاذلى؟

فى رأى الشاذلى أن المزايا التى كان يمكن تحقيقها من خلال خطته عديدة تتمثل فى الآتى:

اللواء المدرع ٢٥ كان ضمن الواجبات التى تدرب عليها قبل بدء القتال تدمير العدو إذا نجح فى الاختراق فى منطقة الدفرسوار.

وبالتالى فإن ضباط وجنود اللواء كانوا على إلمام تام بطبيعة الأرض التى تقع غرب القناة ويعرفون كل ثنية أرضية فى الأرض التى سوف يقاتلون عليها وتلك ميزة عظيمة يجب ألا نضحى بها.

إن سحب الفرقة المدرعة الرابعة واللواء المدرع من شرق القناة إلى غربها سوف يعيد الاتزان إلى مواقفنا الدفاعية ويجعلنا أكثر قدرة

على مقابلة أى تهديد يقوم به العدو للوصول إلى مؤخرة قواتنا.

- إن قيامنا بتوجيه الضربة الرئيسية غرب القناة يضمن لنا اتمامها تحت مظلة الدفاع الجوى سام، أما إذا قمنا بها من الشرق فسوف تتم خارج هذه المظلة ويمكن أن تقع قواتنا فريسة للهجوم الجوى المعادى وأن حادث تدمير اللواء الأول مشاه بواسطة طيران العدو لم يكن قد مضى عليه سوى خمسة أيام فقط.

إن توجيه الضربة الرئيسية بقوة لواءين مدرعين من غرب القناة تحقق لنا قوة الصدمة التى يمكن أن نوجهها للعدو بالإضافة إلى توفير القوات اللازمة لتأمين قاعدة الهجوم وأجنابه، أما إذا قام بها اللواء المدرع ٢٥ من الشرق فإن الضربة ستكون ضعيفة وسوف تكون قاعدة هجومه وجانبه الأيمن معرضين للخطر.

رفض الفريق أحمد إسماعيل الاقتراح وكان هناك أمل إذا ماعرض الأمر برمته على القائد الأعلى أن يستجيب لاقتراح الشاذلى.

كان السادات على موعد مع رئيس الوزراء السوفييتى «اليكس كوسيجين مساء اليوم نفسه «١٦ أكتوبر»، وخلال اجتماعه الأول معه رفض السادات مشروعا بقرار يصدر من مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، لأن ذلك كان يعنى قبول وقف إطلاق النار فى المواقع الحالية، ولما كان الإسرائيليون الآن يتواجدون فى مواقع على الضفة الغربية للقناة فقد كان معنى القبول بوقف اطلاق النار أن تبقى القوات الإسرائيلية فى الغرب وهو الذى كان يتوقع - طبقا للتقارير العسكرية

ـ أنه سوف تتم تصفية الثغرة وتدميرها ولو بالحريق هذه الليلة والكلام هنا منقول عن هيكل.

أبلغ الرئيس السادات بعد انتهاء مقابلته مع كوسيجين فى الساعة الحادية عشر والثلث مساء ـ أن الفريق أحمد إسماعيل اتصل به تليفونيا ووجده مشغولا مع رئيس الوزراء السوفييتى فقرر أن يتوجه إلى المركز رقم «١٠» وطلب من مدير مكتبه للشئون العسكرية إبلاغ القائد العام بأنه فى الطريق إليه.

وكان وصول الرئيس السادات إلى مركز القيادة فى وقته تماما.

ويكمل الشاذلى قصة ماحدث بعد ذلك فى حضور السادات فيقول:

بعد ساعات قليلة وصل الرئيس إلى المركز «١٠»، كان لا يزال هناك متسع من الوقت، وفكرت أن استعين برئيس الجمهورية لكى ينقض قرار الوزير وأن يوافق على وجهة نظرى فيما يتعلق بسحب بعض القوات من الشرق وأن نقوم بتوجيه ضربتنا الرئيسية ضد الثغرة من الغرب، شرحت الاقتراحات السابق ذكرها، ولكن الرئيس لم يمهلنى لكى أتم اقتراحاتى وثار ثورة عارمة فى وجهى بعصبية:

ـ أنا لا أريد أن أسمع منك مرة ثانية هذه الاقتراحات الخاصة بسحب القوات من الشرق، إذا أثرت هذا الموضوع مرة أخرى فأنى سوف أحاكمك.

حاولت أن أشرح له ـ يقول الشاذلى ـ بأن المناورة بالقوات شئ والأنسحاب شئ آخر، ولكنه كان فى ثورة عارمة لايريد أن يسمع

ولا يريدنى أن استرسل فى الكلام. لقد أصابنى كلام السادات بجرح عميق، جال بخاطرى أن أستقيل ولكن سرعان ما استبعدت هذا الخاطر. كيف أترك القوات المسلحة فى أوقات الشدة؟ ماذا سيقول عنى الخصوم؟ هرب عند وقوع أول أزمة؟ لا لن أقبل ذلك على نفسى.

..... ابتلعت كبريائى والتمست العذر للسادات وقلت لنفسى: لابد أن السادات أعصابه متوترة حتى أنه لم يستطع أن يواجه الموقف. يجب أن أتحمله ولو مؤقتا من أجل مصر، وهكذا قمنا باصدار التعليمات الخاصةبعمليات يوم ١٧ طبقا للقرار الذى اتخذه الوزير والرئيس.

الورقة الخامسة

التوغل

وفى الوقت الذى كان يبتلع فيه رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية كبرياءه أمام الثورة العارمة، وفقدان الأعصاب لقائده الأعلى، كانت قوات قائد القطاع الشمالى الإسرائيلى ابراهام آدان قد بدأت بالتقدم لتطهير الطريق الذى تهدده القوات المصرية إلى أن تمكنت من فتح إحدى الطرقات الفرعية وأوصلت جسر العبور فى الليل إلى نقطة تركيبه.

وعند ذلك تنبهت القيادة إلى أن هناك عملية عبور كبيرة تجرى وليس بضع دبابات برمائية متسللة كما أبلغ المشير إسماعيل بعد ظهر ذلك اليوم، فقررت شن هجوم بقوات من الجيش الثانى باتجاه

الجنوب، وبقوات من الجيش الثالث باتجاه الشمال لاغلاق مدخل الثغرة فى شرق القناة وذلك ليل ١٦ ـ ١٧ أكتوبر. ولكن قوات شارون وأدان كانت قد تمكنت فى المنطقة انذاك، وفشل الهجوم المصرى وحاولت قوات الجيش الثالث إغلاق المدخل ثانية ففشلت العملية أيضا!

ونامت الجبهة على هذه الأوضاع.

ولكن الرجال لم يكونوا بقادرين على النوم فى ظل هذه الأوضاع.

صباح يوم ١٧ أكتوبر كان جسر العبور الإسرائيلى قد أصبح جاهزا لتدفق القوات إلى غرب القناة، والطيران الإسرائيلى يسيطر على سماء المعركة بسبب تدمير قواعد الصواريخ من قبل القوات المظلية الإسرائيلية وبدأت قوات ادان بالعبور بعد ظهر ذلك اليوم.

أما القيادة المصرية فأوقفت المقاومة إلا بوحدات صغيرة من القوات الخاصة فى غرب القناة التى ابدعت فى الاستبسال. والبطولة ويذكر هيكل أنها نجحت فى الوصول إلى نقطة العبور ولكن أمرت بالتراجع من قبل القيادة.

يقول هيكل بالنص: إلى أن كان يوم ١٧ أكتوبر حيث صدر الأمر إلى تشكيل مشهود له بالكفاءة هو اللواء المظلات المصرى ٢٢ بالتحرك للسيطرة على الموقف، وكانت عناصر من هذا اللواء وصلت تقريبا إلى تقاطع الطرق الإسرائيلية، كما كان رجال الضفادع البشرية بالتنسيق مع قيادة اللواء قد استعدوا لنسف الجسر عندما تلقوا

الأمر بالتراجع وإقامة جبهة على خط الفرقة نفسه الواقفة بجانبهم لتجنب وجود نتوء، وكان من العسير على العقيد قائد اللواء أن يصدق أن هذا الأمر صادر من مقر القيادة المصرية، وطلب تعزيزا له، فجاءه التعزيز من ضابط يعرف صوته ولكنه فى محاولة منه لكسب الوقت، وإتاحة الفرصة لنجاح مهمته فإنه طلب تعزيزا للأمر من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فى القاهرة، وجاءه التعزيز أيضا فأضطر رغم أنفه إلى رفع قبضته عن «زمارة» الرقبة الإسرائيلية وكان قاب قوسين أو أدنى منها.

علامة استفهام كبيرة يطرحها هيكل ضمن العديد من علامات الاستفهام التى تطرحها الثغرة ومازال فى حاجة إلى إجابة.

من ناحيته يتهم السادات الفريق الشاذلى بأنه هو الذى أصدر هذا الأمر فيقول فى كتابه «البحث عن الذات»:

كانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول، واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة، ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالأنسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

ومن جبهة القتال، إلى الجبه السياسية ـ :

تلقى الرئيس السادات من مكتبه للشئون العسكرية تقارير أولية عما يجرى فى ميدان القتال، كان أثرها المبدئى عليه هو أن طلب إخطار كوسيجين برجائه فى تأجيل الاجتماع الذى كان مقررا له صباح اليوم إلى بعد الظهر فلم يكن فى مقدوره ـ ومن وجهة نظره ـ

أن يجلس مع كوسيجين ويتفاوض بأعصاب هادئة.

وقبل كوسيجين بتأجيل الموعد ولعله رحب به، فقد أحس أنه هو الآخر فى حاجة إلى معلومات إضافية تكمل له صورة الموقف على الجبهة قبل أن يقابل الرئيس السادات.

وتضيف رواية هيكل للأحداث فتقول:

دخل السادات إلى إجتماعه مع رئيس الوزراء السوفييتى وقد تشبث فى تفكيره بنقطتين، كان الألحاح عليهما فى تلك الظروف غير مبرر فى الواقع الموضوعى.

فى النقطة الأولى راح الرئيس السادات يلوم الاتحاد السوفييتى على تقصيره فى إمداد مصر بالسلاح، وقد استشهد مرات بالفارق الكمى والنوعى بين جسر الأمداد الأمريكى لإسرائيل وجسر الأمداد السوفييتى لمصر.

وكانت النقطة الثانية أن الرئيس السادات حاول التهوين من شأن الثغرة الإسرائيلية، مظهرا مقدرة القوات المصرية على التعامل معها وضربها مع تسلميه بأن الأمر قد يحتاج إلى وقت أطول عما كان مقررا.

يقول هيكل الذى ينقل عن محضر للجلسة كتبه المهندس عبد الفتاح عبد الله وزير شئون رئاسة الجمهورية:

وبدا نفاد الصبر على لهجة كوسيجين وهو يتحدث فقد ضايقه ما بدا له أنها محاولة لالقاء اللوم على الأتحاد السوفييتى وبدأ كلامه قائلا:

- إنه يريد أن يتحدث مع الرئيس بصراحة. ثم قال كوسيجين:

- «إننا قبل هذه الأزمة كنا أصدقاء وبهذه الأزمة ونحن فيها معا، فقد أصبحنا حلفاء ولقد قدمنا إليكم ماطلبتموه منا. وحتى هذه اللحظة فإن الجسر الجوى السوفييتى نقل إلى مصر أكثر من ستة آلاف طن من المعدات وقد حاربتم بالمعدات السوفييتية فى الأيام الأولى من القتال بطريقة اثبتت كفايتها وكفاءتها. وبعد ذلك فإن إدارة المعركة كانت فى أيديكم ونحن لم نقترب منها، مع أنه كانت لنا ملاحظات على الطريقة التى دخلتم بها المعركة، وحققتم انتصارا مبدئيا شهد به العالم لكم، ثم توقفتم بعد ذلك دون سبب مفهوم وقد تركتم حلفاءكم على الجبهة الشمالية حتى يضربهم العدو ثم يتحول إليكم، ومع ذلك فأنا لا أريد أن أدخل فى تفاصيل إدارة مجهودكم الحربى لأن ذلك شئ يخصكم. لكنى اضطررت إلى ابداء ما ابديت من الملاحظات ازاء ماقلتموه، والأتحاد السوفييتى ليس على استعداد لقبول ماقلتموه. حين يتحقق انتصار - فهذا الانتصار لكم وحدكم ولا شأن لنا به، وحين تقع مشكلة فنحن سبب المشكلة بتقصيرنا فى إمداد السلاح اللازم وأنتم لادخل لكم بالموضوع».

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية عن حجم القوات الإسرائيلية التى تمكنت من دخول الثغرة فقد قال كوسيجين:

- «صديقنا الرئيس السادات يقلل من الخطر الذى تواجهه القوات المصرية وأنا مضطر أن أضع أمامه الحقيقة حتى يستطيع أن يقيم حساباته على أساس سليم».

والتفت كوسيجين إلى أحد العسكريين من أعضاء وفده، الذى رفع حقيبة كان يضعها تحت مائدة الاجتماع ثم فتحها وأخرج منها مظروفا كبيرا سلمه لـ «كوسيجين» الذى أخرج منه مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملتقطة بالأقمار الصناعية «وكان عددها ١٨ صورة»، وقام كوسيجين من مقعده متجها إلى الناحية التى يجلس عليها الرئيس السادات من مائدة المفاوضات، ثم وضع أمامه الصور راجيا منه أن يدقق النظر فيها.

كانت الصور واضحة بطريقة مذهلة فقد بدت منطقة الثغرة الإسرائيلية وما حولها، وكانت هناك علامات ودوائر مرسومة عليها تحدد مواقع القوات الإسرائيلية وطوابيرها.

وراح كوسيجين يشرح قائلا:

- هذه الصور لا تشير إلى قوات صغيرة تمكنت من عبور الثغرة إلى الضفة الغربية من القناة، ثم استطرد كوسيجين يقول:

هذه الصور تظهر أنه حتى ساعة التقاطها ظهر اليوم «١٧ أكتوبر» كان لإسرائيل فى الغرب ٧٦٠ قطعة مدرعة مابين دبابات وعربات مصفحة، وهذه قوة كبيرة وتعزيزها لازال مستمرا، وأنتم أمام موقف خطير تفرض عليكم الظروف مواجهته ووقفه عند حده حتى تستطيعوا المحافظة على حجم انتصاراتكم المبدئية.

كان الرئيس السادات يستمع إلى كوسيجين وإحساسه - كما قال بنفسه فيما بعد - إنه لم يشعر بكراهية الروس قط مثلما شعر بها فى هذه اللحظة، وقد استمع بدون حماس إلى ما عرضه كوسيجين عليه

بعد ذلك من أنهم فى موسكو يجرون اتصالات مع واشنطن على أعلى مستوى ويحاولون التوصل إلى مشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن على أن ينص فيه صراحة على ضرورة الإنسحاب الكامل.

وعقب السادات بأنه على استعداد لقبول قرار من هذا النوع إذا نص فيه فعلا على الإنسحاب الكامل.

هذه هى رواية هيكل بالوثائق، ولكن السادات كان قد اعتاد على خلط التواريخ وعلى أن يحكى القصة الواحدة بأكثر من رواية وبتضارب فى التفاصيل حسبما يتراءى له وقت رواية القصة، ونفس قصة لقاءاته مع كوسيجين التى رواها هيكل بالتفصيل وبالتاريخ وبالساعة وبوثيقة من داخل دولاب العمل فى رئاسة الجمهورية نفسها، نفس هذه القصة يرويها لنا أنور السادات بطريقة أخرى مغايرة تماما فى البحث عن الذات.

الورقة السادسة

المسئولية

وما أن جاء صباح ١٨ أكتوبر حتى تمكن الإسرائيليون من احتلال منطقة المزرعة الصينية، ودفع جناح الجيش الثانى الأيمن حوالى ٥ كيلو مترات إلى الوراء باتجاه الشمال مما أمن طرق الأمدادات ووسع مدخل الثغرة الشرقى، وعند ذلك اقترح شارون ادخال تغيير على الخطة الأصلية وطلب الاندفاع شمالا باتجاه الإسماعيلية بعد أن وجد أن هناك متسعا من الوقت بسبب بطء رد

فعل القيادة المصرية وكان له ما أراد.

فى اتجاه الجنوب بدأت قوات آدان بالتقدم، وحين تيقنت القيادة الإسرائيلية أن رأس جسرها قد تم توطيده غرب القناة وأن خطتها قد نجحت بتثبيت القوات المصرية شرق القناة بدون قتال يذكر - فيما عدا لواء من فرقة شارون بقى يشاغل القوات المصرية من الجيش الثانى مقابل الإسماعيلية - أمرت لواءين من فرقة ماجن المتمركزة فى مواجهة رأس جسر الجيش الثالث بالعبور إلى غرب القناة والابقاء على لواء فى الشرق فقط ومن ثم التقدم جنوبا إلى اليمين من أماكن تقدم قوات أدان لتغطى مواقع قوات شارون التى ستتقدم شمالا.

وفى ليل ١٨ أكتوبر تم إنشاء جسر متحرك آخر للعبور بعد أن تعرض الجسر الأول لقصف مدفعى مصرى شديد أعطبه، وتبعه جسر ثالث.

وفشلت أول محاولة لشارون بالتقدم شمالا لقطع طريق الإسماعيلية - القاهرة بسبب عنف المقاومة المصرية، فقام بمحاولة ثانية يوم ١٩ أكتوبر كان نصيبها الفشل كذلك، أما قوات آدان فكان تقدمها يواجه بمقاومة أيضا ولكن أخف من المقاومة فى الشمال.

وعلى ذلك حين عبرت قوات ماجن وتقدمت إلى يمينها يوم ١٩ أكتوبر لمحاولة قطع طريق السويس - القاهرة عملت على إضعاف المقاومة المصرية أمام قوات آدان، ولكن مع ذلك اضطر ماجن لمقاتلة الفرقة المدرعة المصرية الرابعة لمدة ثلاث أيام فى مواقعها الدفاعية.

وشرق القناة تمكن العدو من دفع قوات الجيش الثانى شمالا عند مدخل الثغرة حوالى ٨ ـ ١٠ كيلو مترات، كما استولى غرب القناة على عدة مطارات استعملها للإمداد.

....

وكانت الأوضاع على الجبهة قد بدأت تتفاقم ساعة بعد ساعة ... وراح السادات يفكر فى تحميل مسئولية ما حدث للآخرين وكان الشاذلى هو المرشح الأول لدى السادات لكى يرمى عليه بكل ثقل المسئولية عن الثغرة.

يقول فى مذكراته:

فى يوم ١٩ أكتوبر عاد الشاذلى منهارا وقال لابد أن نسحب قواتنا من شرق القناة لأن الغرب مهدد، وكان هذا ـ لو تم ـ هو م يريده الإسرائيليون؟

هل هذا الاتهام صحيح، قبل أن نستمع إلى دفاع الشاذلى، هنا شهادة للتاريخ كتبها «الجمسى» فى كتابه عن «أكتوبر ٧٣» يق بالحرف:

فى مثل هذا الموقف المعقد الذى كانت تواجهه قواتنا، تتعد الآراء وتتباين وجهات النظر، وعندما يتخذ القائد العام ـ أو أى قا فى مستوى أقل ـ قراره فلابد أن تلتزم قيادته وقواته بالتنفيذ لقدعاصرت الفريق الشاذلى خلال الحرب وقام بزيارة الجبهة أكث من مرة، وكان بين القوات فى سيناء فى بعض هذه الزيارات، وأ أنه عندما عاد من الجبهة يوم ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وص

الرئيس السادات فى مذكراته، بعد الحرب، لا أقول ذلك دفاعا عن الفريق الشاذلى لهدف أو مصلحة ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ.

موسى صبرى فى وثائق حرب أكتوبر يحاول أن يقدم تفسيرا لما قاله السادات عن الشاذلى فيقول:

«الواضح أن المشير أحمد إسماعيل أوغر صدر السادات بسبب كراهيته للشاذلى، وكان السادات قد تطور إلى وضع نفسى سئ.. لأنه كان فى الصباح يعلن للعالم كله أمام مجلس الشعب انتصار قوات جيش مصر.. ويقول العبارة المشهورة «أصبح للأمة درع و سيف» بينما كانت الثغرة قد بدأت وهو على منصة مجلس الشعب، ومن هنا صور أحمد إسماعيل لأنور السادات أن الشاذلى منهار- وأنه فشل .. وأنه السبب فى عدم القضاء على الثغرة.

والآن جاء دور الشاذلى لكى يرد عن نفسه اتهام السادات، فيقول:

«يدعى السادات بأننى عدت من الجبهة منهارا يوم ١٩ أكتوبر وأننى طالبت «بسحب قواتنا من شرق القناة لأن الغرب مهدد» ويؤسفنى أن أقول إن هذا كذب رخيص. لقد كنا تسعة أشخاص، وأنا أتحدى إذا كان أحد من الأحياء يستطيع أن يشهد بصدق ما يدعيه السادات. لقد طالبت حقا بسحب جزء من قواتنا من الشرق إلى الغرب وكانت مطالبتى بهذه العملية يوم ١٩ أكتوبر هى خامس محاولة جادة لإنقاذ الموقف.

....

مرة أخرى، كانت الأوضاع قد تفاقمت على جبهة القتال الدائر فى غرب القناة، وأصبحت خطة العدو واضحة وضوح الشمس كما يقول الفريق الشاذلى: «إنه يهدف إلى تطويق الجيش الثانى والجيش الثالث ويقوم بتوسيع الثغرة كل يوم».

ولهذا اقترح الشاذلى على الوزير أحمد اسماعيل سحب ألوتينا المدرعة من الشرق لمقابلة التهديد فى الغرب ويقول:

«كان فى رأيى أن سحب هذه الألوية الأربعة من الشرق خلال الأربع والعشرين ساعة التالية لن يؤثر على سلامة خطوطنا ومواقعنا فى الشرق وسوف يزيد من قدرتنا على مقابلة تهديد العدو لنا فى الغرب».

وفشل الشاذلى من جديد فى إقناع أحمد إسماعيل.

وبرزت مرة أخرى الحاجة إلى قرار من القائد الأعلى من أنور السادات.

ووجد السادات نفسه مرة أخرى مطلوبا للذهاب إلى مركز القيادة عبرمكالمة تليفونية كان على طرفها الآخر أحمد إسماعيل نفسه، ومن الساعة العاشرة مساء «وقت المكالمة» حتى الثانية صباحا مكث السادات فى المركز رقم «١٠».

الورقة الأخيرة

التراجع

قصة هذه الساعات الأربع لها أكثر من رواية تتناقض فيما

بينها وتختلف وتتفق ولكنها جميعا تشى بالحالة التى كانت عليها القيادة العسكرية والسياسية المصرية فى أقسى اللحظات منذ بداية حرب أكتوبر.

هناك ـ أولا ـ رواية السادات

هناك ـ ثانيا ـ رواية محمد عبد الغنى الجمسى

وهناك ـ أخيرا ـ رواية سعد الدين الشاذلى

تقول الرواية الأولى:

طلب منى أحمد إسماعيل فى منتصف ليلة ١٩/ ٢٠ أكتوبر أن أذهب إلى القيادة حتى اتخذ قرارا مهما بوصفى القائد الأعلى للقوات المسلحة .. ذهبت إلى القيادة واستعرضت الموقف فوجدت أن لنا خمس فرق كاملة فى شرق القناة، وعندنا ١٢٠٠ دبابة فى الشرق أيضا. أما فى الغرب فعندنا فرقة مدرعة تواجه قوات إسرائيل، وفى القاهرة فرقة يمكن سحبها ـ هذا غير الحرس الجمهورى الخاص بى «كذا» والذى أدخلته الحرب وقاتل قتالا مجيدا وعاد كاملا بكل دباباته.

بعدما اتضح الموقف لى جمعت القادة كلهم وكان معى الفريق أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة والفريق الجمسى مدير العمليات والفريق حسنى مبارك والفريق محمد على فهمى قائد سلاح الصواريخ وكانوا جميعا من رأيى وهو أنه لم يحدث شئ يستدعى القلق .. فأعطيت الأمر الذى أعتبره أهم من قرار ٦ أكتوبر بألا ينسحب جندى واحد ولا بندقية واحدة ولا أى شئ على الاطلاق

من شرق القناة وأنه علينا أن نتعامل مع الغرب حسب الأوضاع الموجودة. ثم بدأت اتصل بنفسى مع الفرقة المدرعة فى الغرب وكان يقودها ضابط اسمه قابيل وهو بطل من أبطال حرب أكتوبر وقلت له:

ثبت الإسرائيليّين ولا تجعلهم يتمكنون من التوسع وإياك أن تشتبك معهم إلى أن تصل الأمدادات.

....

فى هذه الليلة أعطيت تعليماتى لأحمد إسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين ... وفى نفس الليلة استدعيت الجمسى وعينته رئيسا للأركان.

وفى هذه الليلة اتخذت القرار بوقف إطلاق النار فقد كان لى عشرة أيام أحارب فيها أمريكا وحدى بأسلحتها الحديثة التى لم يستخدم أغلبها من قبل.

وفى مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى بعنوان «أكتوبر ١٩٧٣» جاءت رواية ما حدث بطريقة أخرى تقول:

حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات، وبعد أن استمع إلى تقرير عن الموقف من الفريق أحمد إسماعيل تقرر ايفاد الفريق الشاذلى إلى قيادة الجيش الثانى بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر، وكنت على اتصال مستمر معه لتبادل المعلومات والآراء، وبعد أن ألم بالموقف تماما، عاد مساء يوم ١٩ أكتوبر بالرأى الذى يراه لمواجهة

تهديد العدو الموجود فى غرب القناة، هو ضرورة سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب خلال ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو، وأن ذلك من وجهة نظره لا يؤثر على كفاءة دفاعاتنا فى الشرق، كما كان يرى أن الموقف خطير ويجب طلب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه.

ويواصل الجمسى سرد تفاصيل أحداث المركز (١٠) يوم ٢٠ أكتوبر فيقول:

عندما حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ٢٠ أكتوبر كان الفريق الشاذلى واللواء محمد حسنى مبارك واللواء محمد على فهمى وأنا واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية واللواء سعيد الماحى مدير المدفعية مجتمعين فى غرفة المؤتمرات داخل مركز المعلومات.

واجتمع الرئيس مع الفريق أول أحمد إسماعيل على انفراد لمدة حوالى ساعة قبل بدء المؤتمر، ومن الطبيعى أن يكون الوزير أحمد إسماعيل قد قدم للرئيس تقريرا عن الموقف ووجهة نظره ورأى الفريق الشاذلى، وهما رأيان متعارضان، لمواجهة هذا الموقف وكانت نقطة الخلاف الرئيسية هى أن الشاذلى كان يرى سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب أما أحمد إسماعيل فكان يرفض ذلك.

دخل الرئيس ومعه الوزير أحمد اسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية غرفة المؤتمرات، طلب الرئيس رأى المجتمعين واحدا بعد الآخر.

بدأ مدير المخابرات الحربية بشرح موقف العدو ونواياه التى أبرز فيها أن العدو يهدف من معركة غرب القناة إلى احتلال مدينة الاسماعيلية أو السويس وهو ما يحقق له هدفا سياسيا بالاضافة إلى تأثير ذلك على الموقف العسكرى لقواتنا.

وكنت أنا المتحدث الثانى حيث شرحت فى حديثى موقف قواتنا، أبرزت فيه أن قواتنا فى شرق القناة قوية بالقدر الكافى الذى يجعل منها صخرة تتحطم عليها أى محاولات للعدو ضدها. ونظرا لأن الانجاز العسكرى الكبير الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء لا يجب التنازل عنه أو تعريضه للخطر، لذلك فإن المحافظة على قواتنا شرق القناة كما هو دون سحب أى قوات رئيسية منها أمر واجب، وكان رأيى أن سحب اللواءات المدرعة المصرية من الشرق إلى الغرب يترتب عليه اهتزاز دفاعات قواتنا فى الشرق الأمر الذى لا يمكن قبوله.

فضلا عن ذلك فإن التأثير المعنوى على القوات بعد سحب اللواءات المدرعة من الشرق يصبح شديدا بطريقة سلبية، وأتذكر أننى قدمت أعداد الأسلحة الرئيسية من الدبابات والمدفعية وأسلحة المشاه وبصفة خاصة كميات الذخيرة الموجودة بالشرق، موضحا أنها تكفى لتحقيق مهمة الاحتفاظ بمواقع قواتنا فى سيناء بكفاءة.

وبعد أن استمع الرئيس لرأى القادة لاحظت أن الفريق الشاذلى لم يتكلم، وقرر الرئيس «عدم سحب أى قوات من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب»..

وفى نهاية روايته لأحداث مركز العمليات يوم ٢٠ أكتوبر يقول الجمسى:

وعندما انتهى الاجتماع غادر الرئيس مركز العمليات دون أن يبين لنا أنه يفكر فى الموافقة على وقف إطلاق النار بعد أن تكرر رفضه له أكثر من مرة خلال الحرب.

أما الشاذلى فيصف لنا وقائع ما حدث فى مركز القيادة فيقول:

وصل رئيس الجمهورية ومعه المهندس عبد الفتاح عبد الله إلى المركز (١٠) حوالى الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩ أكتوبر، وتوجه فورا إلى غرفة أحمد إسماعيل حيث بقى معه ما يقرب من ساعة، بينما كنت أنا مجتمعا مع باقى الأعضاء فى غرفة المؤتمرات الملاصقة لغرفة العمليات نتبادل وجهات النظر حول الموقف.

وفى النهاية دخل علينا الرئيس ومعه أحمد إسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله. طلب الرئيس الكلمة من المجتمعين واحدا بعد الآخر، وقد قام كل منهم بشرح موقف القوات بأمانة تامة وبعد أن استمع اليهم جميعا، لم يطلب منى الكلمة وعلق قائلا:

- لن نقوم بسحب أى جندى من الشرق.

لم أتكلم ولم أعلق، غمزنى المهندس عبد الفتاح عبد الله وهمس فى أذنى.

- قل شيئا.

ولكنى تجاهلت نصيحته. ماذا أتكلم وقد أتخذ الرئيس القرار ولا

يريد أن يسمعنى، أننى أريد أن اسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق وهو يعارض سحب جندى واحد، إنه لم يتخذ هذا القرار عن جهل بل عن معرفة تامة بالموقف، أنه لا يستطيع أن يدعى بعد ذلك بأنه كان يعتقد أن العدو لديه ٧ دبابات فى الغرب، وأنه يعرف كل الحقائق عن الموقف وهذا هو قراره.

.... أما بعد

هل تنبئ هذه الروايات عن شئ أكثر من حجم الكارثة التى كانت موجودة فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى وقت تخوض فيه هذه القوات أنبل وأشرف معاركها فى تاريخها الحديث؟

ألا تطرح هذه التوترات، وألا يؤكد هذا الانقسام بين القائد العام ورئيس الأركان خطأ تعيين أحمد إسماعيل وزيرا للدفاع وسعد الشاذلى رئيسا للأركان فى وقت كانت العدواة فيما بينهما قديمة وشرسة وكان التعاون بينهما صعبا، وقد حذر منه الشاذلى نفسه عندما أبلغه السادات بنيته على تعيين أحمد إسماعيل وزيرا للحربية.

هل كان انحياز السادات إلى آراء أحمد إسماعيل نتيجة لضعف إدراكه العسكرى أم نتيجة لخطة سياسية ضغط بها على وزير الحربية؟

وهل لو استمر تطوير الهجوم بقوة الاندفاع بعد المشهد الافتتاحى الكبير، وبعد النصر المذهل الذى حققته القوات المسلحة المصرية فى الأيام الأربعة الأولى للقتال وما كان يمكن أن يحدث نتيجة لذلك من آثار، كنا قد وصلنا إلى هذه النقطة؟

انتهى الاجتماع الخطير قبيل فجر يوم ٢٠ أكتوبر، ويروى السادات أحداث ما جرى فيما بعد فيقول:

«في يوم ١٩ أكتوبر بعد اجتماعي بالقواد عدت إلى قصر الطاهرة، وبدأت فى الحال تنفيذ قرارى. طلبت منهم أن يستدعوا لى السفير السوفييتى.

وجاء السفير السوفييتى فقلت له:

- «لقد قبلت وقف اطلاق النار على الخطوط الحالية».

فى هذا الوقت كان كيسنجر فى طريقة إلى موسكو بشأن عملية وقف اطلاق النار فاستأنفت حديثى مع السفير وقلت له:

- «الدولتان العظميان يجب أن تضمنا وقف اطلاق النار والتنفيذ الفورى لقرار ٢٤٢».

وصدر قرار مجلس الأمن.

وتلقى حافظ إسماعيل رسالة كيسنجر يبلغه فيها موافقة إسرائيل على وقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٥٢ر٦ يوم ٢٢ أكتوبر بتوقيت القاهرة، وفى الساعة الخامسة والثلث كانت قد صدرت توجيهات القيادة العامة إلى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة المصرية تنص على وقف اطلاق النار إذا التزم العدو بالقرار على أن تبقى القوات المسلحة فى حالة تأهب كاملة لحين صدور تعليمات أخرى..

ولم تلتزم إسرائيل بالقرار كعادتها، وتوسعت الثغرة وزادت

قواتها بسرعة فى نقط ارتكازها غربى القناة إلى خمسة ألوية دبابات ولواءين ميكانيكين ولواء مظلات.

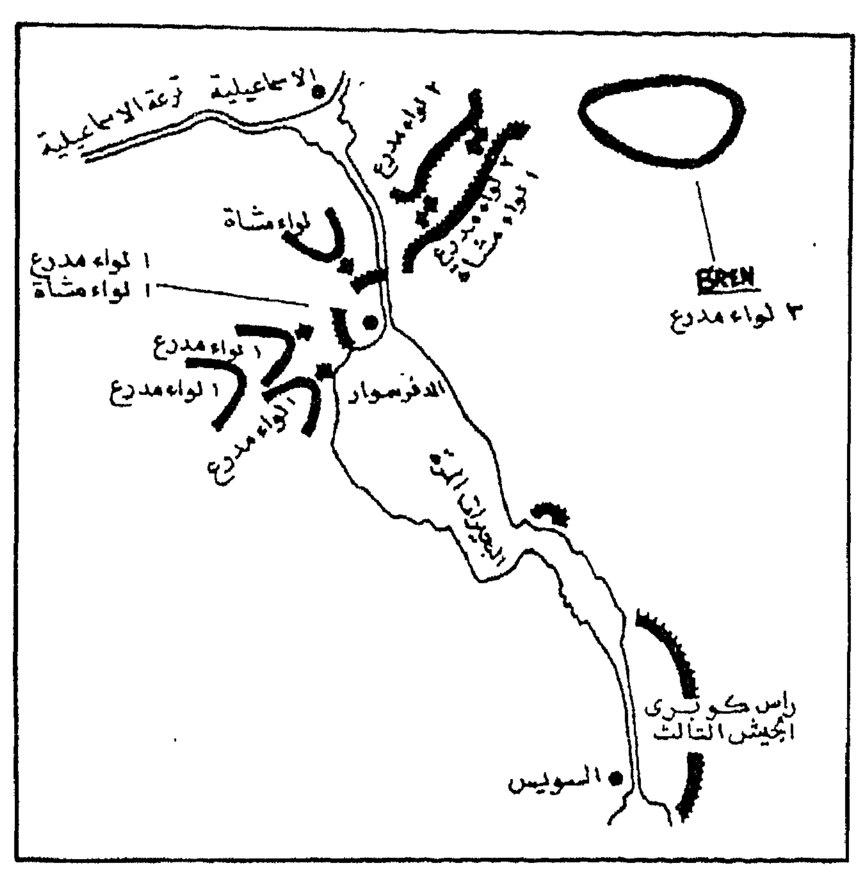
وكانت تلك الحقائق على الأرض تفرض نفسها بقوة على كل ما جرى فيما بعد من اتفاقيات.

وكان كسينجر قد شكر حافظ إسماعيل على دعوته إلى زيارة القاهرة راجيا تلبيتها فى أقرب فرصة.

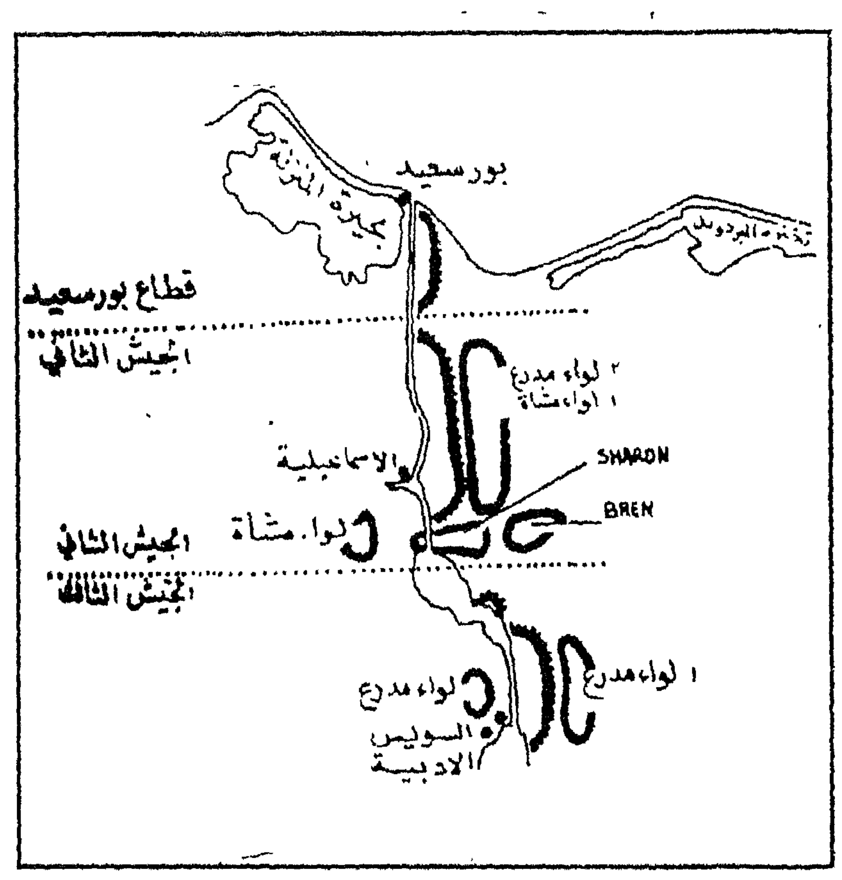
كانت أبواب القاهرة فتحت له على مصراعيها.

وبدأت رحلات كيسنجر المكوكية، وخطوة خطوة جرت أسوأ إدارة سياسية لنتائج ما حدث عند ظهر اليوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

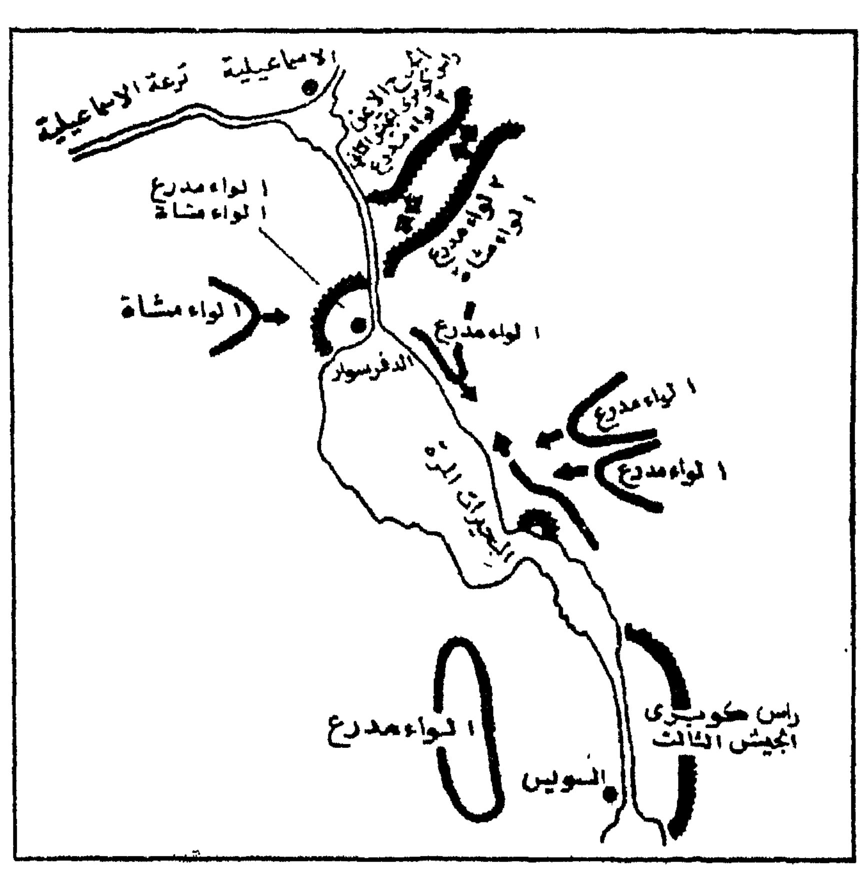
.... ويبقى للرجال - رغم كل ما حدث - ما صنعوه فيما يشبه الإعجاز، وتبقى تلك الصفحة من التاريخ هى صفحة الجندى والضابط المصرى الذى كان على - على حسب قول الإسرائيليين - هو المفاجأة الكبرى فى حرب ١٩٧٣ .



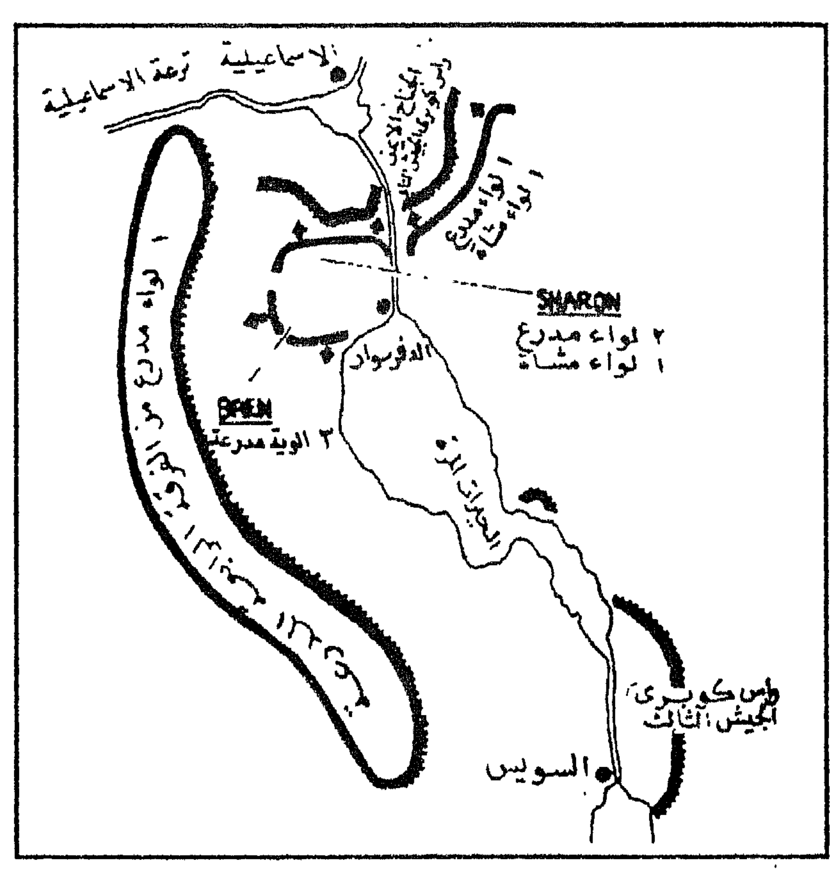
توزيع القوات ليلة ١٦ و١٧ اكتوبر



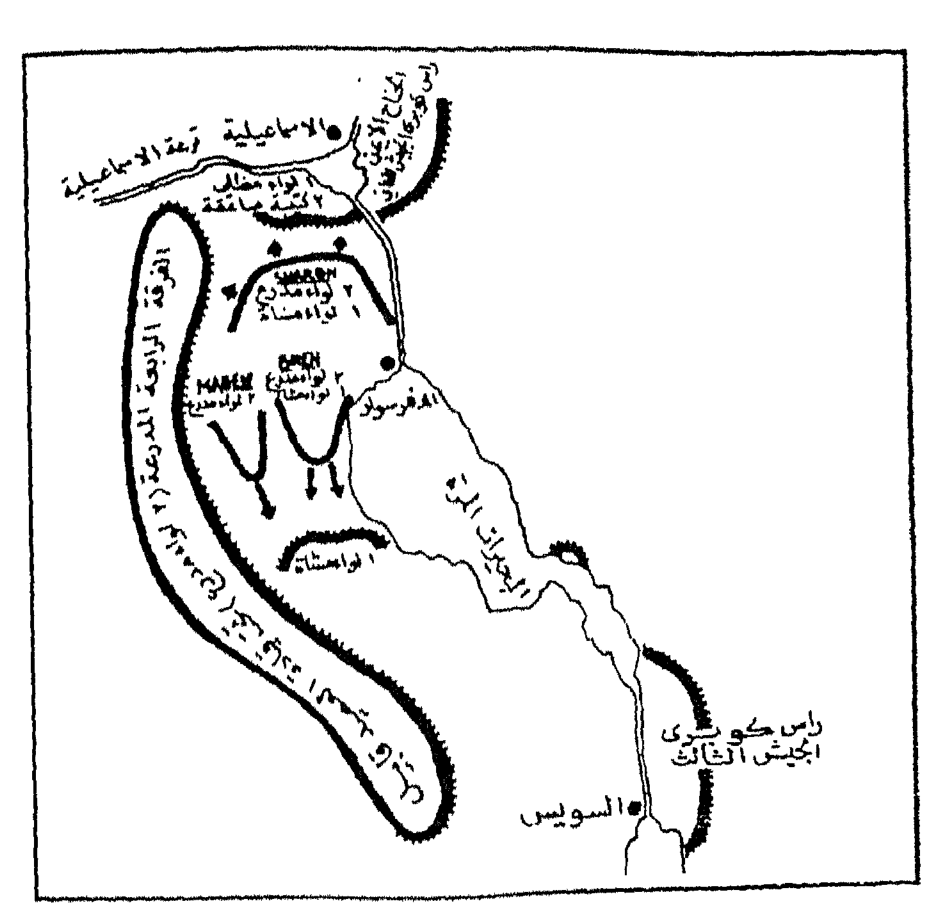
معركة الدفرسوار كما كان يريدها الفريق الشاذلى يوم ١٧ اكتوبر



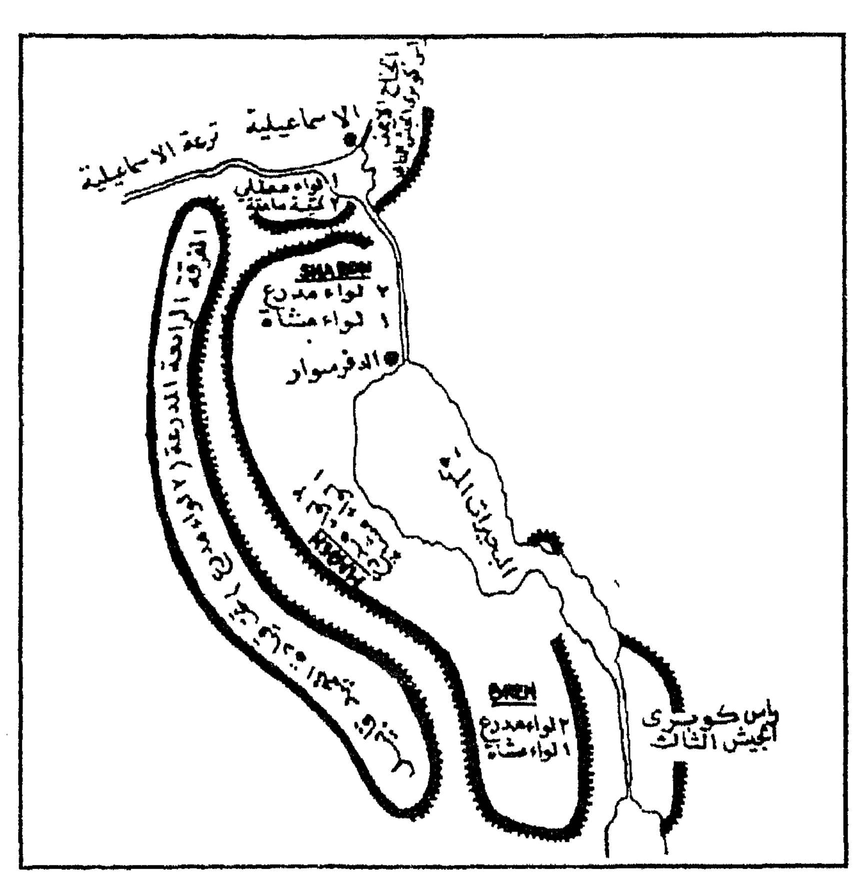
معركة الدفرسوار يوم ١٧ اكتوبر



موقف الثغرة مساء ١٨ أكتوبر



الموقف مساء ٢٢ اكتوبر



الموقف صباح ٢٥ أكتوبر



يبكى اليهود عند دفن موتاهم بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣

١ ـ الآثار العامة : ـ

(أ) المجال العسكرى :

أثبتت حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣ أهمية الصواريخ على اختلاف إستخداماتها فى تغيير كثير من تصورات القادة حول الأداء العسكرى. وكان سلاح الصواريخ من الأهمية بمكان بالنسبة للعرب، لأن إسرائيل متفوقة فى مجال الطيران والمدرعات، وجاء الرد على هذا التفوق من خلال إقامة حائط الصواريخ المصرى ومثيله السورى، وقيام الجندى العربى باستخدام القاذفات الصاروخية المضادة للمدرعات وهو أمر كبد إسرائيل خسائر فادحة فى المعدات والأرواح. كما سبق أن أثبتت الصواريخ المنطلقة من زورق يديره عدد محدود من الأفراد قدرتها على تدمير قطعة بحرية كبيرة، وهو ماحدث بالنسبة للقطعة البحرية «إيلات» قرب الشواطئ المصرية بعد حرب عام ١٩٦٧ . وعلى هذا يمكن القول أيضا أنه قد عادت الأهمية مرة أخرى لجندى المشاة بعد أن كانت هذه الأهمية قد توارت خلف فعالية أسلحة الطيران والمدرعات.

وثبت مرة أخرى عدم جدوى إقامة خطوط الدفاع المنيعة، فقد فشل خط بارليف وهو أقوى خط دفاعى عرفه التاريخ العسكرى فى العالم، فشل فى صد هجوم منظم ومحكم (١).

وأثبت جهاز المخابرات الإسرائيلية فشله تماماً فقد ركز عمله على النوايا المعادية وأهمل متابعة القدرات المعادية التى لم تكن فى الحسبان ويعود ذلك إلى السرية والأمن والتمويه العربى (٢).

وكان عنصر المفاجأة من أهم دروس أكتوبر. وقد استخدم المصريون والسوريون بنجاح فى عبورهم فى السادس من أكتوبر وفى كفاءة استخدام سلاح الصواريخ واستخدمه الإسرائيليون فى أحداث ثغرة الدفرسوار (٣).

وبالنسبة للقوتين العظمتين نجحت سياسة «حافة الهاوية» فى منع بدائل التوصل إلى حل مرضى الذى بدونه تتحقق هزيمة أحد الأطراف أو نشوب حرب عالمية ثالثة. وبالنسبة لمصر نجح تصورها فى إنهاء حالة الركود الذى عرف بحالة اللا سلم واللا حرب. وأخيراً فشلت نظرية التفوق العددى البشرى حتى الآن، ولكن لا أحد يعلم ما يأتى به المستقبل لدعم هذه النظرية وهنا يصبح على إسرائيل أن تسعى إلى سلام دائم وهى فى حالة قوية فى الوقت الراهن (٤).

(ب) الآثار الاقتصادية: ـ

لمواكبة التحرك العسكرى الفعال على الجبهتين المصرية والسورية ولمنع تدهور الموقف بسبب مساندة الولايات المتحدة

(١) كولونيل ت.ن.د.دوبوى «تحليل عسكرى لحرب أكتوبر» السياسة الدولية، القاهرة، ١/١٩٧٤ ص ٢١٠ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

لإسرائيل اجتمع وزراء البترول في ١٧/ ١٠/١٩٧٣ في مدينة الكويت وقرروا خفض إنتاجهم من البترول بنسبة ٢٠٪ مما كانت عليه في أول سبتمبر على أن يستمر الخفض بنسبة ٥٪ إبتداء من ديسمبر ١٩٧٣ حتى تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وأيضا قطع إمدادات البترول نهائيا عن الدول المساندة لإسرائيل (١).

وقد عانت الولايات المتحدة وهولندا من هذا الحظر معاناة شديدة، وقام المعلقون وخاصة في الصحافة الأمريكية وعدد من الصحف الأوروبية بمهاجمة سياسة إستخدام سلاح البترول ووصفوها بالابتزاز والابتعاد عن الأخلاقيات، ووصل البعض إلى درجة القول بعدم جواز استخدام سلاح البترول في السياسة. وعموما فإن القانون الدولي يعطي الدول العربية الحق في خفض صادراتها من البترول إلى الدول الأخرى على أساس مبدأ السيادة الدائمة للدول على مواردها الطبيعية (٢).

وقد أحدث استخدام سلاح البترول نتائج إيجابية أضافت قوة إلى الدول العربية وخاصة أن الدول العربية المنتجة للبترول قامت برفع الأسعار بنسبة ٧٠٪ وبذلك كانت أولى نتائج هذا السلاح هو إكتساب الدول العربية المنتجة للبترول عائدات ضخمة تترجم إلى قوة إقتصادية إذا أحسن استخدامها. وجاءت النتيجة الثانية بحدوث شقاق بين أوربا وأمريكا وتقارب بين أوربا وبين الدول العربية. وثالث هذه النتائج كان التوجه الذي أعلنته الدول التسع الأعضاء في السوق

(١) د. جعفر عبد السلام «سلاح البترول وقواعد القانون الدولي» السياسة الدولية، القاهرة، ١/١٩٧٤ ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦ - ٥٠.

الأوربيـة المشتركـة والذى أكد على ضرورة قيام سلام فى الشرق الأوسط يستند إلى مبادئ: عدم جواز إكتساب الأراضى بالقوة، وضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربيـة، وضرورة إحترام سيادة جميع دول المنطقة واستقلالها ووحدتها الإقليمية (١).

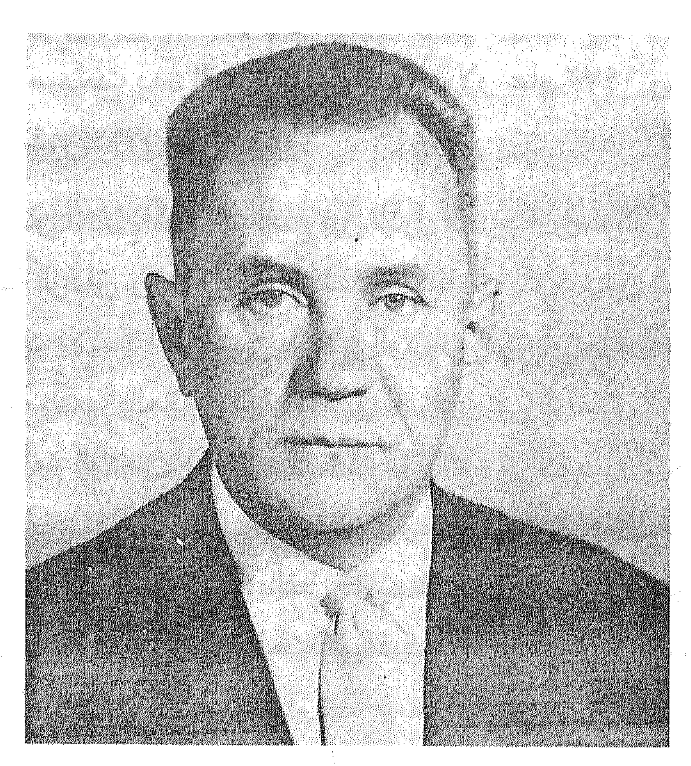
ويلاحظ أن إستخدام سلاح البترول كان اجراء لم يستثمر بعد عدوان ١٩٧٦ ولكن استخدم بحد أدنى من المطلوب لأن سرعان ما رفع الحظر دون الوصول إلى الغايات التى حددها قرار الحظر وهو جلاء القوات الإسرائيليـة عن الأراضى العربيـة التى احتلتهـا فى ١٩٦٧/٦/٥ .

وقد عارضت عدة دول عربية إستخدام سلاح البترول بشكل هين ومن ذلك ماوصفه أحد المعلقين العراقيين فى حينه من أن قرار الحظر بالشكل الذى صدر به كان يقصد به المزايدة السياسية وإمتصاص نقمة الجماهير وأنه كان بغرض كسب الوقت إلى حين إيقاف إطلاق النار على الجبهتين (٢).

(جـ) الوفاق الدولى : ـ

أمام الوفاق السوفييتى ـ الأمريكى تراجعت أهمية المشاكل الساخنة فى العالم ومنها النزاع العربى الإسرائيلى الذى تحول إلى المرتبة الثانية وجاءت قبله مصالح القوتين العملاقتين فى أنحاء الكرة الأرضية. ولم يكن الوفاق الدولى مفيدا للعملاقتين على

(١) صلاح منتصر «المجابهة فى ميدان النفط» السياسة الدولية، القاهرة ١/٧٤ ص ٥١ ـ ٥٤ .
(٢) حربى محمد «النفط العربى وأزمة الطاقة فى العالم» دار الثورة، بغداد، ١٩٧٤ ص ٦٩ ـ ٧٢ .



الكس كوسوجين

رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى آبان حرب أكتوبر١٩٧٣م.

أقام جسراً جوياً لامداد مصر وسوريا بالمعداد والعتاد العسكرى، وقد مارس ضغوطاً سياسية ودبلوماسية على الولايات المتحدة فى إطار سياسة «الوفاق» القائم بين الدولتين العظميين.

اختلف موقف الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٧٣ عنه فى عام ١٩٥٦ حينما هدد خرشوف بضرب لندن وباريس بالصواريخ إذا لم يوقفوا اعتدائهم على مصر.

المستوى السياسى أو الاسترخاء العسكرى فقط بل امتد للعلاقات الاقتصادية، ومثال ذلك أن التبادل التجارى والفنى بين الدولتين العظميين عام ١٩٦٨ ، من قبل سياسة الوفاق، لم تتجاوز ٥٨ مليون دولار وأصبحت بعد الوفاق ٥٤٧ مليون دولار عام ١٩٧٢ وحوالى ١٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٣ .

وكان اندلاع النزاع المسلح بين الدول العربية وإسرائيل محكاً لأهمية الوفاق. وقد اجتاز الأمتحان بالفعل بالرغم من إنذارات وتحذيرات الاتحاد السوفييتى وإعلان الولايات المتحدة حالة الطوارئ فى كل مواقعها بالعالم، والدليل تعاون الدولتين فى الوصول إلى قرار تبنته الأمم المتحدة (٣٣٨) فى ٧٣/١٠/٢٢ وتم التوصل إليه بعد رحلة قام بها هنرى كيسنجر إلى موسكو مما بين هزال التنظيم الدولى - الأمم المتحدة وأنه بالفعل تنظيم غير ديمقراطى ولايتفق مع أمانى الشعوب التى تطلعت إلى غد أفضل فى ظل المنظمة الدولية[1] .

٢ - الآثار بالنسبة للعرب : -

(أ) أبرز آثار حرب أكتوبر بالنسبة للأمة العربية كان نجاحها فى تحريك القضية العربية برمتها من ثلاجة اللاسلم واللا حرب إلى مجال التفاوض والنقاش، مع تأكيد هذه الحرب على ضرورة التوصل إلى حل عادل ودائم فى الشرق الأوسط. ولأن الحرب كانت حرب تحريك وليس تحرير فى إطار إمكانات العرب

(١) جمال مرسى بدر «انعكاسات حرب أكتوبر على إطار الوفاق الدولى» السياسة الدولية. القاهرة العدد ١٩٧٤/١ ص ١١٦ - ١٢٠ .

العسكرية (محدودة) والاقتصادية. وفى ظل الوفاق الدولى بين العملاقتين فإن نتائجها تعد مفهومة بالنسلة للقدر المحدود من التحريك الذى أحدثته والذى توقف مؤقتا عند حد فشل مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ . ومع هذا فقد هيأت هذه الحرب أذهان القادة الإسرائيليين إلى ضرورة السير فى إجراءات التوصل إلى سلام فى المنطقة لأن الأرض المحتلة والاستحكامات التى قامت عليها وأبرزها خط بارليف لم توفر حدودا آمنة لإسرائيل.

(ب) وقد سبق أن أشرنا إلى سلاح البترول العربى وما جلبه من أموال للدول العربية المنتجة وخاصة بعد رفع أسعاره بنسبة ٧٠٪ ثم تجاوز هذا الرقم فيما بعد، إلا أن هذه القوة الاقتصادية تعد قوة فردية لايمكن أن تأخذ الاعتبار الكافى إلا إذا قننت فى إطار استخدامات التنمية فى كل العالم العربى ورفع كفاءة القوات المسلحة فى دول المواجهة، وهو مالم يحدث حيث بقت القوة فردية للدولة المنتجة للبترول.

(جـ) وبالرغم من كفاءة التخطيط العسكرى العربى فى حرب أكتوبر وشجاعة الجندى العربى المحارب خلف عدالة قضيته، إلا أن تطور هذه الحرب أثبتت محدودية الاستراتيجية العربية التى توقفت عند حد التحريك وافتقدت التصور والجرأة للاستمرار. وأمامنا مثال الثغرة التى أحدثتها القوات الإسرائيلية فى الدفرسوار بعد الارتباك الذى عانت فى الأيام الأولى للمعركة.

(د) ولعل أبرز أسباب محدودية الاستراتيجية العربية هو افتقاد العرب إبان الحروب لقيادة موحدة وتنسيق متناغم ومساندة اقتصادية

فعالة. فعلى الجانب الإسرائيلى نجد المساندة السياسية والاقتصادية من اليهود المهاجرين ومن الولايات المتحدة الأمريكية ذات الإمكانات المادية والتقنية الضخمة، وفى المقابل نجد القوات العربية تعتمد أساساً على جهود ذاتية لدول المواجهة مع نذر محدود من الدعم المالى من دول النفط الغنية بالاضافة إلى محدودية الدعم السوفييتى للدول العربية نظراً لقدراته الاقتصادية المقيدة.

(هـ) وبوجه عام أثبتت حرب أكتوبر أهمية حشد الطاقات العربية ولو كانت محدودة فى مواجهة إسرائيل - ومن خلفها المساندة الأمريكية الضخمة - لأن الحشد العربى كان له أثر مباشر وضخم فى تعديل موقف دول أوربا الغربية. وفى تليين الموقف الأمريكى للضغط على إسرائيل. ولنتصور إمكانية حشد الجهود العربية إلى أقصاها، لكانت الحرب قد انقلبت تحريرا وليس تحريكا وماكان فى مقدور أحد أن يوقفها لأنها تدور على أرض عربية محتلة وفى مواجهة دولة غاصبة.

٣ - الآثار بالنسبة لإسرائيل:-

(أ) سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية:-

نظرا لضيق مساحة إسرائيل وقيامها على فلسفة عنصرية توسعية، فقد عمدت إلى التوسع إلى حدود اعتبرتها آمنة إبان حرب ١٩٦٧ . وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتثبت خطأ هذه النظرية وخاصة سقوط أكبر مانع عسكرى عرفه تاريخ العالم العسكرى، كما تبينت إسرائيل بسبب حرب أكتوبر أن الحرب لايمكن أن تكون وسيلة

لتسوية خلافاتها مع جيرانها العرب بعد أن خسرت أعدادا كبيرة من الضباط والجنود وخاصة من الطيارين وهى أعداد لم تخسرها من قبل.

وكانت نظرية الأمن هذه والتى أسقطتها حرب أكتوبر ١٩٧٣ تقوم على عدة محاور :-

١ - طرد السكان العرب من ديارهم بقوة السلاح وإرهاب السكان العرب من خلال المذابح الجماعية.

٢ - الاستيلاء على المدن والمناطق الفلسطينية.

٣ - الاستعانة بنظام المستعمرات الحصينة.

٤ - الاستعانة بقوات ضاربة سريعة الحركة لصد الهجوم العربى.

٥ - تأمين إمدادات السلاح من أوربا بمعاونة المؤسسات الصهيونية (١) .

هذا عن النظرية، أما إستراتيجية الجيش الإسرائيلى فكانت تقوم على مايلى:-

أولا : على جيش قوى مزود بأحدث الأسلحة وأحدث التدريبات.

ثانيا : الاستناد إلى الحروب الوقائية.

ثالثا : وجود جهاز مخابرات متميز.

---

(١) اللواء الركن يوسف كعوش «نظرية الأمن القومى الإسرائيلى» السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٩٧٦/١ ص ٢١١ .

رابعــاً: القدرة على المفاجأة والمبادأة.

خامسـاً: أن تكون الحـرب قصـيرة وحاسـمة لأسـباب سياسـية واقتصادية.

سادسـا: أن يتم نقل المعركة إلى أرض الخصم.

سابعـاً: التمتع بسياسة خارجية ذكية ومرنه (١).

وجاءت حرب أكتوبر لتهدم نظرية الأمن الإسرائيلية ويضاف إليها ضغط المقاومة الفلسطينية واكتساب القضية الفلسطينية مزيدا من الدعم فى المحافل الدولية.

(ب) إرهاق الاقتصاد الإسرائيلى:-

أحدثت حرب ١٩٦٧ إنتعاشا فى الاقتصاد الإسرائيلى وأعطته فترة إستقرار طويلة وموارد طبيعية إضافية فى الأرض المحتلة منها بترول سيناء. ثم جاءت حرب أكتوبر لتضرب هذا الاقتصاد فحرمته من البترول ومن المياه ومن مصادر الثروة الزراعية فى سيناء، كما تأثر بالخسائر الفادحة إبان الحرب، وبسبب ضياع ساعات العمل والإنتاج التى وجهت للحرب عانت إسرائيل منها إقتصاديا.

ويكفى أن نعلم بالأرقام أن الحرب كلفت إسرائيل ١٫٥ مليار جنيه إسرائيلى يومياً، أى أنه فى مدى العشرين يوماً للحرب الفعلية فى أكتوبر /٧٣ نجد إسرائيل أنفقت حوالى ٣٠ مليار جنيه إسرائيلى أى مايعادل موازنة إسرائيل لعام كامل. ويضاف إلى ذلك أثر بقاء

(١) نفس المرجع السابق ص ٢١١ - ٢١٢.

أكثر من ٣٠٠ ألف عامل إسرائيلى تحت السلاح وضياع دخل السياحة لفترة طويلة وتأثير ما أحدثته المقاطعة العربية والمقاطعة الافريقية، ناهيك عن التضخم وضغوط إرتفاع الأسعار (١).

(جـ) عزلة إسرائيل السياسية:

كان من نتائج حرب أكتوبر أن زاد عدد الدول التى تؤيد المطالب العربية وحل مشكلة الشعب الفلسطينى. وقد بدأت دول أوروبا تدرك خطورة استمرار مشكلة الشرق الأوسط بلا حل مناسب فأخذت تضغط على إسرائيل فى هذا الاتجاه. يضاف إلى ذلك أن الجمعية العامة للأمم المتحدة أصدرت فى نوفمبر ١٩٧٥ قراراً يدمغ نظام إسرائيل بالعنصرية لممارساته فى الأرض المحتلة، كما صدر عن الأمم المتحدة قراران قبل ذلك يدعو أحدهما إلى إشراك منظمة التحرير فى دورة المنظمة بجنيف والآخر لإقامة لجنة لمساعدة الفلسطينيين لممارسة حقوقهم المشروعة . وقد أظهرت هذه التحركات مدى عزلة إسرائيل السياسية.

(د) جبهة إسرائيل الداخلية: ـ

كانت إسرائيل فى منتصف حملتها الانتخابية عندما فاجأتها الحرب واضطرت حكومتها إلى تأجيل إنتخابات الكنيست، وطالب الرأى العام الإسرائيلى بضرورة إجراء تحقيق وانتهى التحقيق بتوجيه تهمة التقصير إلى القيادة الإسرائيلية التى وصلتها تحذيرات كافية بقرب هجوم المصريين والسوريين، وترتب على التحقيق إستقالة

(١) نبيل صباغ «ضغوط الحرب على الاقتصاد الإسرائيلى»، السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٧٤/١ ص ١١١ ـ ١١٤

رئيس الأركان ثم سقطت حكومة جولدا مائير بعد ذلك. وبدأت عوامل التفرق تظهر فى المجتمع الإسرائيلى. «وابتدأت بوادر تهاوى الوعى الزائف بدور إسرائيل فيما بدأ يظهر من مقالات لكتاب يهود إسرائيليين يتحدثون بصراحة عن نهاية دولة إسرائيل الكبرى ...... وأن عقدة الدولة الإسرائيلية الكبرى التى تقف فى مواجهة جيرانها العرب والتى كانت راسخة تماما ومستحكمة للغاية، ومنذ مالا يزيد عن شهرين اختفت هذه الدولة تماماً بدون أن تخلف أية أثار [١].

تأثير الحرب علي مصر (نظرة خاصة)

بدايات ملموسة للتقارب المصرى - الأمريكى، والمصرى - الإسرائيلى.

جاء وقف إطلاق النار ولكل جانب همومه الخاصة: مصر كانت تهتم باستمرار إمدادات الجيش الثالث المحاصر شرق القناة، وإسرائيل كانت تتخوف من تواجدها فى الثغرة غرب القناة وتصلها إمدادات عبر ممر ضيق خلال الخطوط (المصرية) أى يعد موقفها سيئا هى الأخرى. وقد أعلن الرئيس السادات رغبته فى التعاون مع الولايات المتحدة وإعادة العلاقات معها، وكان ذلك بمثابة رسالة شجعت الولايات المتحدة على مزيد من الاقتراب من مصر، وبخاصة أن إسرائيل كانت تعانى من عزلة دولية نتيجة ضغوط دول أوروبا الغربية بسبب الحظر البترولى العربى الذى أتى بنتائج ملموسة، وقد التقط هنرى كيسنجر الخيط وطرح إمكانية قيام محادثات سلام بين

(١) السيد ياسين «التغيرات الاجتماعية داخل إسرائيل» السياسة الدولية، القاهرة ١٩٧٤/١ ص ١٠٠ .

مصر وإسرائيل، على غرار محادثات لوزان بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٩ . وقد تبلور التصور باجتماع وزراء خارجية مصر والأردن وإســرائيل فى ١٩٧٣/١٢/٢٢ تحت رعــاية الدولتين العظميين، ولم يتم التوصل إلى شئ ملموس وأعلن تأجيل المؤتمر مع تعهد كل من مصر وإسرائيل بمواصلة المحادثات العسكرية لفض الاشتباك بينهما.

وبعد تجربة اجتماع جنيف فى ديمسبر ١٩٧٣ لم يكن السادات متحمسا للعودة إلى جنيف وفضل عليها وساطة كيسنجر، بالاضافة إلى أن إسحاق رابين الذى خلف جولدا مائير كان يجد إسرائيل تمر بظروف صعبة وضغوط وعزلة دوليين ولذا كان مستعدا لإجراء تسوية مباشرة مع مصر وأكثر رغبة فى مقايضة الأرض بالسلام. وكان معظم إهتمام إسرائيل هو السلام مع مصر لأنه، أى السلام، مع مصر، يعيد الثقة إلى إسرائيل ويقضى على عزلتها ويجنبها الضغوط الدولية ويوفر الأمن لها.

فخروج مصر من المعركة يؤدى إلى إستقرار تنشده إسرائيل بعد ضرب إقتصادها بالحرب، وخاصة أن إنسحابها من سيناء سيقابله الكثير من التنازلات المصرية، مثل فتح الممرات المائية بما فيها قناة السويس أمام الملاحة الإسرائيلية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والكف عن الدعاية ضد إسرائيل، وكان الجانبان المصرى والإسرائيلى تحت المظلة الأمريكية مهيئان للإتفاق حول فض الاشتباك ثم حول السلام. وبفضل تحرك كيسنجر وإستجابة كل من مصر وإسرائيل للأسباب التى ذكرناها من قبل تم التوصل لإتفاقيتى الفصل بين القوات الأولى فى يناير ١٩٧٤ والثانية فى سبتمبر ١٩٧٥ .

وقد حاولت الحكومة المصرية من خلال الهيئة العامة للإستعلامات وبعد إتمام الاتفاق الثاني للفصل بين القوات على الجبهة المصرية أن ترد على كثير من الشائعات والتساؤلات (١). وهى ردود تعكس أصل الشائعة أو التساؤل على النحو التالى :-

= هل أدت الإتفاقية إلى تجميد الموقف؟

= هل أدت الإتفاقية إلى تجزئة القضية؟

= هل أدت إلى ترك الثورة الفلسطينية تقاتل وحدها؟

= هل شكلت الإتفاقية إعترافا بإسرائيل؟

= هل هى تكريس للسياسة الإسرائيلية المعلنة منذ زمن بعيد والقائلة بأن الصراع مع العرب ينبغى أن يحل بالمفاضات الثنائية؟

= هل ثبتت الإتفاقية حدوداً آمنة للعدو مع مصر داخل الأراضى المصرية ذاتها؟

= هل انتهت حالة الحرب بين مصر وإسرائيل؟

وقراءة متأنية لهذه الردود الساذجة وغير الواقعية على تساؤلات وشكوك أثبت الزمن جديتها، تبين أن الإعلام المصرى آنذاك فى مواجهة الشكوك العربية قد وصل إلى حد المصارحة.

وكانت فرصة كيسنجر سانحة لتحقيق عدد من الأهداف وخاصة أن الرئيس السادات كان مهددا بهزيمة عسكرية تشابه هزيمة ١٩٦٧ فعمد إلى :-

(١) انظر كتيب الهيئة العامة للاستعلامات - وزارة الإعلام - القاهرة - التاريخ (بدون) بعنوان «الإتفاق الثانى لفصل القوات على الجبهة المصرية ص ٣٣ - ٤٦

(أ) إنجاح خطوتى فك الاشتباك الأول والثانى، وهو أمر جذب الرئيس السادات ومصر ناحية الولايات المتحدة، وكان الرئيس مهيئا لهذه الظروف بعد أن دعم علاقاته بالدول العربية المحافظة وخاصة السعودية.

(ب) الإستعانة بالرئيس السادات نفسه لرفع الحظر الدولى البترولى عن الغرب وهو أمر يحدث تفككا فى الجبهة الصامدة ويضرب الخط السوفييتى فى الشرق الأوسط، وفعلا قرر وزراء النفط العرب المجتمعين فى فيينا فى مارس ١٩٧٤ رفع الحظر (١) .

ولم يكن أمام السوفييت فى مواجهة هذا الهجوم الدبلوماسى الأمريكى إلا التحرك وفق محاور ثلاثة: (٢)

الأول : ـ شن حملة ضد السادات للوصول إلى عزلته داخل مصر وخارجها.

الثانى : ـ زيادة الدعم السوفييتى لسوريا والعراق لمنعهما من الإقتداء بمصر.

الثالث : ـ تحسين العلاقات مع ليبيا بعد أن تفهمت الموقف السوفييتى.

وأخيرا أدى التقارب المصرى الأمريكى ومرونة الموقف الأمريكى بعد أن لمح تغيرات هامة فى سياسة الرئيس السادات

(١) د. اسماعيل صبرى مقلد ،الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط، المرجع السابق ص٣٦٣ ـ ٣٧٠

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٧١ .

الخارجية إلى إجهاض كثير من منجزات وتأثيرات حرب أكتوبر. وقد أدى كل ذلك إلى تجميد الموقف وإخراج مصر من المعركة ومنح إسرائيل فترة إستقرار طويلة ووأد سلاح البترول قبل أن ينجز كامل مهمته، وكان إيذانا ببداية النهاية للنفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط وبداية حقيقية لنمو المصالح الأمريكية فى المنطقة.

دور الإعلام المصري

فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

الآن قد مضت سنوات طويلة على أكتوبر ١٩٧٣ صدرت خلالها المذكرات الكثيرة عن الحرب، سواء من جانب المسئولين الحربيين فى مصر أو فى إسرائيل، وأصبحت هذه المعركة تدرس فى المعاهد الاستراتيجية فى العالم، إلا أن هناك نقصا كبيراً بالنسبة لموضوع هام يجب أن يسجل للأجيال القادمة، ويجب أن يدرس فى كل المعاهد العلمية للإدارة، وهو موضوع حكومة ٦ أكتوبر وإدارتها لما قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

إن كل الذى نعرفه عن هذه الحكومة أن الرئيس الراحل أنور السادات أصدر قراراً بتشكيل حكومة برئاسته، وكلف الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء وقتئذ بأن يكون رئيسا لمجلس الوزراء، وأن يكون مسئولا عن الحكومة أمام مجلس الشعب، وبذلك يتحمل المسئولية البرلمانية لإدارة الحكومة - قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

ثم وجدنا اجتماعات مجلس الوزراء برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم تستمر أكثر من خمس ساعات، بل وصلت أحياناً ـ حسبما أعلن وقتئذ فى الصحف والإذاعة والتليفزيون ـ إلى تسع ساعات ، الأمر الذى جعل بعض الكتاب ينتقد طول وقت انعقاد مجلس الوزراء، واتضح بعد قيام المعركة أن مجلس الوزراء كان يدرس ويضع تنظيما إداريا (لم يعلن عنه) ولكن ظهرت نتائجه فى حرب ٦ أكتوبر.

فقد فوجئنا بإعلام جديد لم تعرفه مصر إلا فى حرب ١٩٥٦، إعلام يقول الحقيقة ويصارح الشعب بكل المشاكل ـ لاتشنج ولا مظاهرات ولا هتافات، بدأ هذا الخط الإعلامى بعد تشكيل الحكومة مباشرة.

وفى اليوم الثالث من حرب أكتوبر لخص الدكتور محمد عبد القادر حاتم، فى حديث أذيع من صوت العرب، «سياسة الإعلام المصرى» بقوله: نعتمد فى سياستنا الإعلامية على المبادئ التالية:

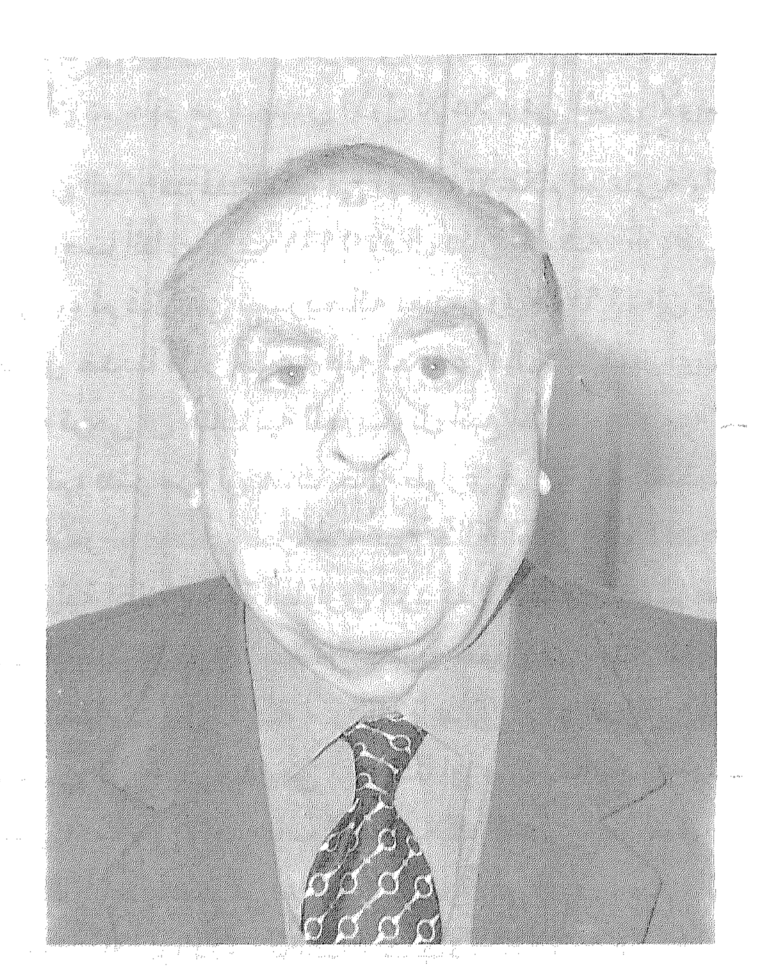
أولا : تقديم الحقائق للشعب والعالم بأسره برزانة وموضوعية.

ثانيا : الابتعاد عن المبالغات والمغالاة فى تقدير قوتنا وانتصاراتنا، وكذلك الامتناع عن الاستخفاف بقوة العدو.

ثالث : انتهاج أسلوب هدفه تقديم الحقائق بعيدا عن الانفعال.

رابعا : الالتزام بمبدأ الايحاء بالأعمال وليس بالكلام.

إن كل من يذكر حرب أكتوبر يذكر بالفخر أسلوب إعلام هذه



دكتور محمد عبد القادر حاتم رائد الإعلام العربى.

الحرب، ويقارنه بما كان عليه الحال فى حرب ١٩٦٧ - يذكر كيف وضع د. محمد عبد القادر حاتم رئيس وزراء حكومة أكتوبر، بالنيابة عن الرئيس الراحل السادات، خطة الإعلام قبل وأثناء وبعد المعركة.

ولابد أن نذكر ماقاله الغرب وعلماء الإعلام، فقد قالت جريدة التايمز أن د. حاتم هو المهندس الأول للإعلام فى الشرق الأوسط.

كان العالم قد فقد الثقة فى أجهزة الإعلام المصرية والعربية وخصوصا أثناء حرب ١٩٦٧ وقال ديان كلمته: «إن العرب لا يقرأون»، ثم قال فى تصريحاته بعد حرب ١٩٧٣: «إن الإعلام المصرى خدعنا أكبر خدعة فإنه لم يذكر قبل ٦ أكتوبر أى خبر أو معلومة توحى أن هناك نية للحرب، بل اتبع أساليب إعلامية جديدة فى العالم، فنشر مرة أن هناك حالة طوارئ فى القوات المسلحة، ولما بحثنا الأمر لم نجد أى تحركات تبين حالة الطوارئ، وكانت القوات الإسرائيلية أعلنت حالة الطوارئ كرد فعل لهذا الخبر. ثم بعد ذلك بشهر سربت أجهزة الإعلام المصرية خبراً بأن حالة الطوارئ قد أعلنت، فقامت مرة ثانية إسرائيل بإعلان حالة الطوارئ، واتضح أيضاً بأن هذا غير حقيقى.. ورددنا أن ماتذيعه أجهزة الإعلام المصرية ما هو إلا من باب الاستهلاك المحلى. ولذلك لما أعلنت حالة الطوارئ بمصر فى ٤ أكتوبر تأخرنا فى إعلان حالة الطوارئ فى القوات الإسرائيلية - فكانت المفاجأة الإعلامية التى قامت بها أجهزة الإعلام سبباً فى عدم توازننا الداخلى».

خطة الإعلام المصرى فى حرب أكتوبر:

التمهيد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وأثناءها: يجب الاعتراف بأن البداية العلمية للتخطيط الإعلامى للمعركة قد انبثقت أساساً من أخطاء الإعلام فى معركة ١٩٦٧، ففى ضوء ما حدث من أخطاء فى تلك الفترة وتمهيداً للاستراتيجية السياسية التى وضعتها القيادة السياسية، تم وضع خطة إعلامية شاملة ومسبقة، تنهض على أسس علمية واضحة أدخلت فى اعتبارها المراحل التالية:

١ ـ مرحلة ما قبل المعركة.

٢ ـ مرحلة أثناء المعركة.

٣ ـ مرحلة مابعد المعركة.

وتضمنت خطة كل مرحلة، تخطيطاً سليما لموقف الإعلام المصرى فى الداخل والخارج.

كما وضع فى الاعتبار أيضا البدائل التى يمكن استخدامها وفقاً لما يطرأ على الموقف من احتمالات أو تغييرات على الخطة الأصلية.

خطة الإعلام الداخلى:

تجنب الإعلام المصرى الارتجال، وردود الأفعال الانفعالية التى تجلب من الضرر أكثر مما تأتى بالنفع. وقامت خطته على مبادئ أساسية بالنسبة للداخل، أهمها:

* حق المواطن فى أن يعلم، وهو حق قرره الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، فطبقا لهذا الإعلان ينبغى احترام حق المواطن فى أن

يعلم، وتعتبر الأجهزة الإعلامية مسئولة عن أن يقف المواطن على الأخبار والبيانات والمعلومات منها؛ قبل أن يستمع إليها من أجهزة إعلامية أخرى.

*إطلاق حرية الصحافة ورفع الرقابة عنها لتصبح أداة فعالة فى خدمة الشعب.

* حق المواطن فى أن يعرف عدوه، وعلى ذلك كان أهم ما راعته الخطة الإعلامية هو الافراج عن الكتب الخاصة بإسرائيل تحت شعار «اعرف عدوك» وتم ترجمتها ونشر طبعات شعبية منها.

*العمل على ترسيخ العقيدة كدافع مؤثر فى سلوك الفرد والجماعات سواء كانت عقيدة دينية أو وطنية. ففى العقيدة الدينية تمجيد للقتال والاستشهاد من أجل الوطن.. وفى تحقيق ذلك كله ابتعد الإعلام عن الحملات التشنجية والتزم بالموضوعية التامة.

* تقديم المعلومات والحقائق للجماهير والشعب أول بأول وفى أسرع وقت، فذلك هو السبيل العلمى للقضاء على الشائعات التى تشكل خطرا على الجبهة الداخلية.

خطة الإعلام الخارجى:

كان من أول ما اتخذه الإعلام المصرى قبل حرب أكتوبر: فتح الأبواب أمام وكالات الأنباء والصحف والإذاعات العالمية، ورفع الرقابة التى كانت مفروضة على مراسلاتها. وما كاد هذا الإجراء ينفذ حتى سارعت وكالات الأنباء والصحف العالمية إلى إيفاد مراسليها إلى مصر. وبدأت أخبار مصر تظهر للعالم بأسلوب جديد يقوم على الحقائق لا الانفعالات.

وكان الهدف الرئيسى للإعلام الخارجى هو التركيز على رغبة العرب فى السلام للتفرغ لأعمال البناء والتعمير والتقدم، وتوضيح الحقائق التى تؤكد أن حكام إسرائيل لايؤمنون بالسلام، لأن مجدهم الشخصى قائم على شن الحروب وإكتساب البطولات الزائفة على جثث الضحايا من شعبهم. ودليلنا على ذلك العدوان المتكرر الذى مارسوه منذ عام ١٩٤٨ .

وهكذا أصبحت أجهزة الإعلام العالمى تستمع إلى مصر، بل وجدنا أن أجهزة إعلام إسرائيل نفسها كانت تذكر خسائر بلادها وهى تتحفظ فى ذكر هذه الخسائر كعادتها، ولكن الأغرب من ذلك أن أجهزة الإعلام المصرية كانت تذكر خسائر إسرائيل بأقل مما تقوله عن نفسها، الأمر الذى جعل العالم يصدق مصر ويثق فى الجهاز الإعلامى المصرى، بل يحترم كلمة مصر ويشيد بإعلامها.

ولاشك أن الدكتور حاتم وهو رائد الإعلام العربى، وقد وضع هذه الخطة الإعلامية، سوف لايضن على معاهد الإعلام المصرية والعربية بنشر وثائق هذه الخطة. وإذا كان لم ينشر حتى اليوم مذكراته التى ستكون المصدر الرئيسى والسجل الرسمى لإدارة حكومة أكتوبر ـ فإن الوقت قد حان لنشر هذه السجلات الرسمية.

القسم الثالث

الأوضاع فى الشرق الأوسط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

الأوضاع فى مصر

المرحلة الساداتية والتغيير الأول

التعقيب

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية فى إسرائيل بعد حرب ١٩٧٣ وقبل رحلة السادات

الفصل الثالث

الرؤية الأمريكية السياسية فى النزاع العربى بصفة عامة

المرحلة الساداتية
المظاهر والدوافع ونظرة عامة

أولا مظاهر التغيير (١) :

نبدأ بمظاهر التغيير على الصعيد الداخلى إبان عهد الرئيس الراحل أنور السادات، فنجد الضربة التى وجهها إلى القوى الناصرية وإلى اليسار بشكل عام تحت مسمى «ثورة مايو ١٩٧١» ولم تكن هذه الضربة إلا بداية تصفية عهد والدخول إلى مرحلة جديدة تختلف فى مرتكزاتها عن المرحلة الناصرية.

وقد رفعت حركة التصحيح فى مايو ١٩٧١ شعار القضاء على مراكز القوى بمعنى دعم الديمقراطية، إلا أن الدلالة المباشرة لضرب مراكز القوى هو الابقاء على مركز واحد للقوة هو تصورات الرئيس قائد المرحلة.

ومظهر ثان للتغيير الداخلى، كان اقدام السادات بعد حرب أكتوبر

(١) نقسم التغيير فى مظاهره إلى تغير على الصعيد الداخلى وتغير على الصعيد الخارجى.

١٩٧٣ على تدعيم سياسة ليبرالية على كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما فى ذلك بداية فك الإجراءات الاشتراكية.

والمظهر الثالث، وكان مدخله دعم التوجه الليبرالى، هو محاولة الدخول إلى اتفاق عام مع الجماعات المحافظة فى المجتمع المصرى وهى جماعات دينية واقتصادية وسياسية واجتماعية بهدف ضرب مسلمات ومفاهيم الحقبة الناصرية وإيجاد المؤيدين الذين يشيدون بعهد السادات ويؤيدونه، بمعنى أن يكون هنا ساداتيون فى مقابل ومواجهة الناصريون.

وفى نفس عام ضرب مراكز القوى ١٩٧١ قاد السادات حملة عريضة للافراج عن المعتقلين وإصدار عفو عن الصحفيين وكان أكبر المستفيدين من هذا الافراج جماعة الاخوان المسلمين والهدف إطلاق هذا المارد من القمقم الذى حشره داخله عبد الناصر ليواجه الناصريين واليسارين المضروبين.

ورابع المتغيرات الداخلية نجده فى إقدام السادات على السماح بوجود منابر للرأى تحولت إلى ثلاثة أحزاب منذ عام ١٩٧٦ بضوابط رسمها قائد المرحلة، وأن يكون حزب مصر العربى الاشتراكى «حزب الرئيس» معبرا عن الوسط وحزب الأحرار يمثل اليمين، وحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى يمثل اليسار، ورفض السادات أية طلبات جديدة لقيام أحزاب من الناصريين أو الإخوان المسلمين أو غيرهم.

وخامس المتغيرات الداخلية نجده فى قيام السادات بتعديل الدستور عام ١٩٧٩، جعل فيه الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وهو أمر دعم من حركة الجماعات الإسلامية.

وأخيراً نجد سياسة الانفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات فى عام ١٩٧٤ بهدف تحرير الاقتصاد المصرى وإنهاء إحتكار القطاع العام وتشجيع القطاع الخاص والاستثمارات العربية والأجنبية، وقد كشفت هذه السياسة أن السادات قد تراجع تماماً عن الرؤية الناصرية، وقد لاقت هذه السياسة تأييداً من الرأسمالية المصرية ورجال الأعمال، وعارضتها الشرائح ذات الدخل المحدود وكذلك القوى الناصرية واليسارية بشكل عام.

وهناك مظاهر للتغيير على الصعيد الخارجى أولها: إستجابة السادات للرؤية الأمريكية فى فض الاشتباك، وكذلك بإعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٧٤ .

وثانى هذه المظاهر نجده فى اختيار السادات للتحالف مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية (١) بديلا عن سياسات القوة العربية وعدم الانحياز والتحالف مع الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى فى العالم وكانت للرئيس السادات دوافعه إلى ذلك وهو مانشير إليه فيما بعد.

وثالث المظاهر الخارجية فى التغيير كان الصلح مع إسرائيل

(١) أدى التحالف إلى استئناف المعونة الأمريكية لمصر ،عام ١٩٧٤ وإلى وساطة أمريكا فى فض الاشتباك الأول والثانى وإلى مساهمة أمريكا وأوروبا بدور هام فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة وحددت استرخاء عام فى المنطقة وهو أمر يهم الغرب فى المقام الأول لأسباب اقتصادية

بديلا عن سياسة ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة، وسياسة اللاءات الثلاث التى انبثقت عن مؤتمر القمة بالخرطوم عام ١٩٦٧ : لاسلام - لا تفاوض - ولا اعتراف بإسرائيل مع التمسك بحق الشعب الفلسطينى فى أرضه وفى وطنه.

ورابع هذه المظاهر الخارجية كان على المستوى العربى إذ اتسم تحرك السادات دون قيد من تصورات ومسلمات عربية سابقة وهو أمر أوقعه فى خلاف كبير مع العالم العربى.

وخامس هذه المظاهر كان تقطيع أواصر التعاون والتحالف مع الاتحاد السوفييتى خطوة خطوة، بأن بدأ بتوجيه الانتقادات إلى الصديق السوفييتى، ثم طرد ٢٠ ألف خبير عسكرى سوفييتى من مصر فى يوليو ١٩٧٢ وإلغاء معاهدة الصداقة مع السسوفييت عام ١٩٧٦ وهى المعاهدة التى وقعها عام ١٩٧١ ذراً للرماد.

وسادس هذه المظاهر كان التحرك النشط فى عداء للتحرك السوفييتى الخارجى ومن ذلك مساعدته لجعفر نميرى فى السودان لسحق الحزب الشيوعى فى يوليو ١٩٧١ .

ثانياً: دواعى التغيير:

ويمكن النظر إلى دواعى التغيير بتصنيفها إلى أربعة مجموعات:- دواعى داخلية، ودواعى عربية، وثالثة متصلة بالولايات المتحدة وإسرائيل، وأخيراً المتعلقة بالاتحاد السوفييتى.

وأول الدواعى الداخلية نجده فى توجس الرئيس السادات من القوى الناصرية واليسارية وتصوره أنها لن تتركه يستمر، وهو

ماقوى شعوره بالخطر منها ومن حليفها الاتحاد السوفييتى، وكان الطريق إلى تسكين هذا الشعور هو مواجهة «مراكز القوى» وقطع صلاته التقليدية بالأتحاد السوفييتى وتغير تحالفاته ناحية الولايات المتحدة.

وثانى هذه الدوافع الداخلية كان تأثير الأوضاع الاقتصادية المتردية بعد سلسلة من الحروب والتضحيات، واجتمع هذا الدافع مع الشعور بالخوف من مراكز القوى وتحالفاتها وقاده إلى طريق واحد هو الطريق الأمريكى.

ونأتى إلى الدافع الثالث وهو يتصل بالشخصية نفسها، فقد عانى السادات طويلا من عقدة الرجل الثانى أو أبعد من ذلك ولم يتمكن من تجاوزها إلا بتجسيد تصوراته الشخصية والتخلص من مسلمات عصر سلفه ودفعه إلى ذلك أيضا مجمل الظروف الداخلية والخارجية آنذاك.

وهناك دواعى تتصل بعلاقات السادات العربية ومن ذلك ما شرحه مثقفو المرحلة الساداتية من أن مصر تحملت كل العبء بالمال والسلاح والرجال وأن الدول العربية رغم إنها جنت أرباحا هائلة بسبب استخدام سلاح البترول إبان حرب ١٩٧٣ قد احجمت عن تقديم المساعدات الكافية إلى مصر للنهوض من عثرتها الاقتصادية. كما تم الترويج إلى فكرة أن السوريين والفلسطينيين ليسوا فى عجلة من أمرهم لإنهاء نزاع الشرق الأوسط لأنهم يستفيدون من استمراره. وحدث تصعيد آخر مع عودة الرئيس السادات من زيارة القدس الشهيرة عام ١٩٧٧ وذلك عبر المناقشات الحامية التى قالت بأن

حضارة مصر هى جزء من حضارة البحر الأبيض المتوسط أى جزء من الحضارة الأوروبية (١)، وأن العرب مازالوا بدواً غير قادرين على إدراك أن السلام مع اسرائيل يعبر عن سلوك متحضر وعن إلتقاء حضارتين قديمتين عظيمتين، ولذلك يتعين على مصر عقد سلام مع إسرائيل وإلتزام الحياد فى مجال السياسة الخارجية وضغط نفقات التسلح والتركيز على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهذه الأفكار لم تكن جديدة على المصريين بل تعود إلى رؤية الخديوى إسماعيل بأن مصر قطعة من أوربا وهو اتجاه يحيى اللبرالية المصرية بعد أن سيطر القوميون العرب والتيارات الإسلامية على الساحة تماماً، وقد حظى هذا التيار اللبرالى بتأييد من السادات، بل نقل أن السادات كان محييه، ووصل الأمر إلى التشكيك فى عروبة مصر والأشارة إلى اصولها الفرعونية، ثم انتهى الأمر برفع شعار مصر أولا ومصر أخيرا وهو شعار يصطدم مع شعارات القومية العربية.

وهناك من الدوافع ما يتصل بالولايات المتحدة وإسرائيل، ومن ذلك إقتناع السادات بأن الولايات المتحدة هى أقوى دولة فى العالم ويمكنها أن تقوم بأدوار تتعدى القدرات السوفيتية، ومن ذلك قدرتها على تقديم المعونات الاقتصادية لمصر للخروج من أزمتها، أو ليست امريكا هى التى تقدم كل شئ لإسرائيل؟، وكذلك قدرتها على تحديث سلاح وفاعلية القوات المسلحة المصرية، وأخيرا أنها الوحيدة القادرة على الضغط على إسرائيل للاستجابة لقرارات الأمم المتحدة والانسحاب من الأراضى العربية المحتلة وخاصة الأراضى

(١) يلاحظ اقتراب هذه النظرة من دعوة «الفينقية» فى لبنان.

المصرية.

ونجد الدوافع المتصلة باسرائيل وبالسلام الذى ترعاه الولايات المتحدة، وكان مدخل ذلك تعديل العلاقة الاستراتيجية من الاتحاد السوفيتى إلى الولايات المتحدة. وكانت زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ والصلح مع اسرائيل عام ١٩٧٨ مدخلا إلى تحقيق سلام عادل ودائم فى تصور الرئيس السادات يتيح لمصر فترة استقرار لازمة لاعادة بناء اقتصادها وان يكون هذا الاستقرار بديلاً عن حشود الاستعداد والمواجهة، كما وقر فى ذهنى الرئيس السادات أن الحرب لاطائل من ورائها وأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح بهزيمة إسرائيل ولذا يجب البحث عن حل سلمى بمباركه أمريكا. وأخيرا نجد الدوافع المتصلة بالاتحاد السوفيتى وقد تم التعرف عليها من خلال عرض الدوافع بأمريكا وإسرائيل والاضافة الوحيده هى اقتناع السادات بأن الاتحاد السوفيتى غير قادر على مساعدة مصر فى مجالين أساسيين وهما المعونات والفعل المؤثر لحل مشكلة الشرق الأوسط.

التعقيب على مظاهر التغيير ودوافعه

تعقيب عام:

نجد امامنا عده ملاحظات عن مرحلة «السادات» والتى عرضناها من خلال مظاهر التغيير ودواعى التغيير.

الملاحظة الأولى أن السياسة الخارجية هى انعكاس أمين للأوضاع الداخلية فى بلد ما، وهذه مقولة أثبتت الأحداث صحتها حقبة بعد الأخرى، ولهذا فإن ما اعتبره بعض المحللين انقلاباً فى السياسة الخارجية بعد تولى الرئيس السادات الحكم، بمعنى انقلاب غير مفهوم، لايستند ذلك إلى أساس لأن السادات لم يكن يقدم على التحول الدرامى داخلياً ومن ثم خارجياً إلا نتيجة ضغط الظروف الداخلية والخارجية التى سبق أن أشرنا إليها، وأبرزها الخوف من اليسار ومن الاتحاد السوفيتى واقتناعه الراسخ بأن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك ٩٩٪ من أوراق حل مشكلة الشرق الأوسط.

والملاحظة الثانية تتراكم فوق الملاحظة الأولى، لأن السادات بدأ يمهد السبيل إلى التعاون مع أمريكا مبكراً بعد توليه الحكم، وذلك

بالضربة التى وجهها إلى اليسار المصرى وخاصة الناصرية، ثم بطرد الخبراء العسكريين السوفيت، ولما لم تفلح اشاراته فى تحقيق ما يصبوا إليه قام بحرب أكتوبر بغرض التحريك وليس التحرير، وتحقق له ما أراد بفتح الباب المؤدى إلى التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية.

والملاحظة الثالثة تتراكم هى الأخرى على الملاحظتين السابقتين، لأن مصر فى السبعينيات كانت قد حققت تعاوناً إقتصادياً مدراً للمعونات والعملات الصعبة من خلال العمالة المهاجرة إلى الخليج، والمعونات الاقتصادية والمالية العربية، ومع ذلك كانت آمال السادات أبعد من ذلك لأنه كان يرفع التحرك بعيداً عن مسلمات العالم العربى المتصلة بحل النزاع العربى - الإسرائيلى وهو ما يدفعه حتما للصدام مع بقية العالم العربى. فقد كان السادات يسعى إلى مناخ استقرار بديلاً عن المناخ الثورى، ومصدر للمعونات أكثر سخاء من العالم العربى والأتحاد السوفييتى، وكان يتصور فى السلام مع إسرائيل والتحالف مع أمريكا طريق إلى ذلك، وأنتهى به التفكير إلى افساح الطريق أمام التشكيك فى عروبة مصر وإلى أن الأنتماء المصرى هو أقرب إلى الفرعونية وحوض البحر الأبيض المتوسط، وانتهى الأمر إلى عداء من جهتين داخلية وخارجية: من الناصريين والاسلاميين ومن الدول العربية.

والملاحظة الرابعة تتراكم هى الأخرى، أى تنسجم مع ما سبق لأن قواعد التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لا تتجزأ فكان عليه ان يقيم دعائم الديموقراطية التى قامت أولاً على المنابر ثم التعددية الحزبية، واقتضى ذلك السير فى سياسة الانفتاح الاقتصادى

وتدعيم قوانين السوق الحرة فى الداخل وهما شرطان لتحقيق التعاون مع أمريكا .

والملاحظة الخامسة المتراكمة هى اضطرار السادات إلى فتح المجال أمام الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى لموازنة اية تحركات يسارية أو ناصرية، وأقدم على خطوة اكبر عام ١٩٧٩ بأن أدخل تعديلا على الدستور جعل فيه الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وهو أمر دعم من استمرار مطالب الجماعات الإسلامية.

والملاحظة السادسة المركبة نلخصها فى القول بأن سياسة الرئيس السادات القائمة على المحاور الأربعة لم تلق النجاح الذى كان ينشده، والدعائم منها دعامتين متصلتين بالداخل، وهما الانفتاح الاقتصادى والديمقراطية المحسوبة، ودعامتين متصلتين بالخارج، وهما التحالف مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الامريكية والصلح مع إسرائيل، وبالنسبة لسياسة الانفتاح الاقتصادى وأعمال آليات السوق بديلاً عن التخطيط والدعم، فقد أنتهى إلى ارتفاع مستمر فى نفقات المعيشة وتذمر القطاعات محدودة الدخل واتساع الفروق بين قطاعات الشعب، وأدى ذلك إلى كم من الفساد ومن التضخم والتذمر عبر عن نفسه بانتفاضه الطعام فى يناير ١٩٧٧ وكانت بمثابة نذير للحكومة.

وبالنسبة للديمقراطية المحسوبة فقد خرج الأمرمن يد السادات بعد أن أطلق المارد من «القمقم»، وفشل السادات فى التعامل مع المعارضة بكل فصائلها وانتهى الأمر عام ١٩٨١ بأن أوقف صدور

عدد من الصحف والمطبوعات واعتقل أكثر من ١٥٠٠ من أبرز الشخصيات المعارضة لايجمعها رابط إلا معارضة السادات أو شعوره بالخطر من معارضتها، كما قام بخطوة غير مسبوقة فى التاريخ الحديث بعزل البابا شنوده بابا الكنيسة القبطية من منصبه وحدد اقامته. واعتقل قيادات الاخوان المسلمين فيما اسماه «الفتنة الطائفية».

وعن استخدام الجماعات الإسلامية فى عملية التوازن السياسى نجدها قد استفادت من المناخ الديمقراطى المحسوب ولجأت قطاعات منها إلى استخدام العنف للضغط من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية مسترشدة بالخومينية فى إيران وأصبحت صورة الاتجاه الإسلامى الأصولى فى عهد السادات على النحو التالى:-

= أصبح الشعب المصرى أكثر تدينا وتحفظا كما بدأت موجة التعذيب فى الانحسار.

= أحرزت جماعة الاخوان المسلمين وهى الحركة الإسلامية الرئيسية فى مصر منذ العشرينات موقعا متميزا رغم عدم تمتعها بوضع رسمى كحزب أو جماعة، إلا أنها تمكنت من العمل ضمن الإطار الشرعى السائد، وبعد أن بعثها السادات وسمح لها بالحركة وأصبحت أكثر استعدادا لقبول الديمقراطية الليبرالية طريقاً لاكتساب الشرعية السياسية، وتحالفت مرة مع حزب الوفد وأخرى مع حزب العمل وحزب الأحرار وحصلت على ٤٠ مقعداً فى انتخابات ١٩٨٧ وتحولت إلى أكبر قوة معارضة، وقد اتسم سلوكهم بالاعتدال والمرونة وخاصة لقبولهم بفكرة التدريجية فى

تطبيق الشريعة ونبذ العنف والإرهاب ولذا عادتهم الجماعات المتطرفة بوصفهم قوة مستأنسة، وقد استندت قوة الاخوان المسلمين إلى سيطرتهم على مؤسسات اقتصادية سيطرة عرفت باسم «توظيف الأموال». وقد ظهرت إلى جانبهم جماعات دينية تمكنت من اغتيال الرئيس السادات فى أكتوبر ١٩٨١ وتحولت الجماعات - المعتدلة والمتطرفة - إلى القوة فى الشارع السياسى المصرى مقارنة بقوة القومية فى الخمسينيات والستينيات والليبرالية فى السبعينيات.

وبالنسبة للتحالف مع أمريكا والصلح مع إسرائيل نجح السادات فى الحصول على معونات اقتصادية وعسكرية أمريكية وتمكن من استرداد سيناء، إلا أنه لم ينجح فى تحقيق سلام عربى - إسرائيلى شامل أو احتواء عدوانية إسرائيل تجاه العالم العربى وذلك لأن إسرائيل بعد أن خرجت مصر من المعركة من خلال اتفاقيات السلام اتجهت إلى أجزاء أخرى من الوطن العربى تفرض فيها هيمنتها مثل العراق ولبنان، كما فشلت مصر فى توظيف النفوذ الأمريكى لكبح جماح إسرائيل وهو ما أكد عصر قوة الرابطة الأمريكية - الإسرائيلية وقوة النفوذ الإسرائيلى داخل مؤسسات الفعل الأمريكى.

كما اتضح لمصر أن الولايات المتحدة الأمريكية تحابى وتتحيز لإسرائيل فى أكثر من مجال، مثال ذلك فى مجالات المعونات الاقتصادية والعسكرية، كما مارست الولايات المتحدة ضغوطها على مصر لتوقيع معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية بينما تركت لإسرائيل الحبل على الغارب.

الأوضاع السياسية في إسرائيل

قبل رحلة السادات

كان من نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ أن سقطت «جولدا مائير» ومعها حزب العمل الذى استمر فى الحكم أكثر من ٢٩ عاما، فقد أشتد الاستقطاب بين الكتلتين اللتين تتنازعان على الحكم بعد حرب ١٩٧٣ ، وهما كتلة حزب العمل بزعامة «شيمون بيريز»، وكتلة الليكود بزعامة «مناحم بيجين» (١) و «اسحاق شامير» (٢)، وهذا الاستقطاب كان قائما بصور مختلفة داخل الحركة الصهيونية.

وكان هذا الخلاف قبل عام ١٩٧٧ خلافا نظريا فى معظمه، لأن معسكر حزب العمل كان يسيطر على المسرح سيطرة تامة ولم يكن للتحدى الممثل فيما يسمى بمعسكر التصحيحيين أو المعسكر الوطنى تأثير يذكر على السياسة العملية. وطرأ تغيير أساسى على هذا الوضع فى يونية ١٩٧٧ ، قبل خمسة أشهر فقط من رحلة السادات إلى القدس، عندما شكل «بيجين» حكومته الأولى، وبذلك تحول

(١) ، (٢): سيرة حياة كل منهما فى الملحقات.

الجدل الأيديولوجى إلى صراع سياسى حاسم سيطر على العقد الثانى برمته.

ولم يؤد التحول الذى حدث فى ١٩٧٧ إلى احلال سيادة الليكود المطلقة محل سيادة حزب العمل، لأن الليكود لم يحصل خلال هذا العقد إلا على أغلبية ضئيلة على حزب العمل (١٩٧٧ـ ١٩٨٤) أو كان متكافئا معه ومضطرا إلى إشراكه معه فى الحكم (١٩٨٤ ـ ١٩٨٨)، وقد حد هذا الوضع كثيرا من قدرة الليكود على اتخاذ القرارات فى القضية الأساسية المتعلقة بالحرب والسلام، وجعل من المناقشات التى تدور بين المعسكرين حول البرامج خلافا أساسيا حول المسلك العملى الذى تبعه إسرائيل.

ومن الطبيعى أن تقسيم الآراء السياسية إلى مدرستين فكريتين، هو تعميم واسع ولايستخدم إلا لأغراض التحليل. فقد كان مدى تنوع الآراء حول القضايا المرتبطة بعملية السلام من الاتساع بحيث يصبح مجرد ذكر مختلف الاتجاهات أمرا يتجاوز نطاق هذا الفصل. كما أنه ليس فى الوسع إيراد بيان هنا للاختلاف فى وجهات النظر بين القادة الإسرائيليين حتى داخل المعسكر السياسى الواحد ـ مثل الاختلاف بين «اسحاق شامير» «وآريل شارون» و «ديفيد ليڤى» فى كتلة الليكود، أو «شيمون بيريز»، و «اسحاق رابين»، و«أبا إيبان» فى حزب العمل.

ومع التسليم بأن للشعب اليهودى حقوقا تاريخية فى أراضيه، فلابد لإسرائيل من تقديم حلول وسط بشأن الأراضى، وأن تتخلى عن المناطق التى يقطنها العرب بأعداد كبيرة. وربما كان من الخطأ

عدم التمسك بنوع من الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضى فى سيناء أيضا، فى مقابل وضع أكثر ملائمة بشأن قضيتى الضفة الغربية وغزة. فأمن إسرائيل هو الاعتبار الأسمى، ويقول مؤيدو هذه المدرسة أن عدم الوصول إلى تسوية أكثر شمولا ربما يؤدى إلى انهيار على الجبهة الشرقية، بل وقد يؤدى أيضا إلى إضعاف السلام القائم فى مصر.

والفرضيات الأساسية الكامنة وراء هذا الخلاف فى الرأى لها جذور عميقة فى تاريخ الصهيونية الفكرى والسياسى السابق على قيام الدولة. فقد ظهرت هذه الخلافات لأول مرة فى المرحلة الأخيرة للعصر العثمانى، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهى التيار الذى خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين فى المستعمرات الصهيونية الأولى. كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعى إلى إقامة الصهيونية بانشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطنى سياسى ضمن اطار مخطط دولى واسع.

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا فى فترة الانتداب، عندما انسحب «زئيف فلاديمير جابوتنسكى» من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذى خرج منه حزب بيجين). وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية ذات الطابع الرومانسى والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسى هو ايطاليا فى القرن التاسع عشر)، وأكدوا أن

«الوطنية قيمة مطلقة، وأنها تعبير عن التقدم الثقافى، وعن الحيوية، وعن تحقيق الهوية المتفردة، وتحقيق الذات والمصير المشترك» (١).

ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودى إلى موقف انعزالى متمركز على الذات، فقد بنى أساطيره الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة، وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الاتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتى نهر الأردن. واستهدف التصحيحيون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التى لابد من الإعداد لها، لا كخيار طارئ بل كعمل من أعمال تأكيد الذات. وأكدوا أن الصهيونية لايمكن واقعيا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط، وقد رفض «جابوتنسكى» فكرة تقسيم فلسطين، ورأى أنها فكرة خالية تماما من أى معنى (٢).

وعلى خلاف ذلك كانت الرؤية الوطنية لمعسكر حزب العمل (وهو القوة الأساسية فى الحركة الصهيونية فى ذلك الحين، وكان قائدة المبرز «ديفيد بن جوريون») متأثرة بنظرة أكثر شمولا تمثلت فى الاشتراكية الروسية واشتراكية أوروبا الشرقية فى أطوارها المبكرة، وكانت هذه الحركة تمجد قيم العمل والأرض، وجهود الرواد، والمساواة الاجتماعية، والإحياء الثقافى.

---

(١) انظر «موقف حركة التصحيحيين من الحركة الوطنية العربية، بقلم «ياكوف شافيت» فى «الصهيونية والمسألة العربية» باللغة العبرية. (القدس: مركز زالمان شازار للتاريخ اليهودى، ١٩٧٩) ص ٧٩ . ويعتبر شافيت فى أوساط الليكود منحازا ايديولوجية التصحيحيين.

(٢) انظر «الصهيونية والعرب» ١٨٨٢ ـ ١٩٤٨ دراسة فى الأيديولوجية. بقلم يوسف جورنى (أكسفورد: كلاريندون برس، ١٩٨٧) ص ٢٦٧ .

وفيما يتعلق بانشاء المجتمع الجديد فى فلسطين باعتباره الوسيلة الوحيدة لاقامة أمة، ركزوا جهودهم على بناء المؤسسات، والمستوطنات، وعلى التنمية الاقتصادية، ودعا فريق كبير من معسكر حزب العمل الصهيونى إلى التضامن والتعاون مع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية، وتمسك بهذا الهدف من ناحية المبدأ حتى فى الفترات التى كان يبدو فيها أنه هدف غير عملى، وكانت الحلول التى يقترحونها «المشكلة العربية» أكثر تنوعا وأقل وضوحا من الحلول التى يقدمها منافسوهم، ولكنها كانت أيضا حلولا أقرب إلى التنفيذ العملى. ومن بين النماذج المختلفة للحلول القائمة على الحل الوسط ثم فى نهاية الأمر اعتماد فكرة التقسيم ـ باعتبارها اختيارا لأقل الأضرار وخضوعا للقيود الموضوعية التى لاسبيل إلى تغييرها.

وعندما تعرض «بن جوريون» للهجوم من جانب معارضيه لعدم محاولته احتلال جميع الأراضى فى عام ١٩٤٨، رد فى الكنيست بأن ذلك لم يكن فى الوسع تحقيقه إلا عن طريق مذابح من طراز مذبحة دير ياسين وطرد السكان بالجملة، أو بالتخلى عن الديمقراطية وعن الطابع اليهودى للدولة، وأنه «لا يمكن فى الواقع تصور دولة يهودية فى مجموع أراضى إسرائيل التاريخية، أو حتى فى الجزء الغربى منها بدون دير ياسين» (١).

ومهما يكن من الاختلافات فى الجذور الأيديولوجية بين الليكود وحزب العمل فإنها لاتمثل تعارضا تاما بين هاتين المدرستين، وإذا كان هناك خطأ فيما يقوله المراقبون العرب من أن هذه الفروق هى

(١) محضر الجلسة ٢١ للكنيست، ٤ ـ ٦ ابريل ١٩٤٩، وقد ورد اقتباس لها فى كتاب «الخيار الأردنى» بقلم دان شوفتان (باللغة العبرية، (رامات جان، إسرائيل: ياد تابنكين، ١٩٨٦) الصفحتان ٢٤٧، ٢٤٨ .

خلافات تكتيكية ووهمية لا أكثر، فمن الخطأ أيضا المبالغة فى تلك الفروق وتصور أن الموقفين هما على طرفى نقيض ايديولوجيا، ولاشك فى أن استقطابا ايديولوجيا فى إسرائيل، ولكنه ليس بين الكتلتين الرئيسيتين، بل بين الفئات المتطرفة إلى الجانبين فى الطيف السياسى الإسرائيلى، بين أصحاب النظرة الدينية لاستعادة الأرض، وبين أصحاب النظرة التى تقوم على التصالح المتكافئ مع الفلسطينيين، أما الخلافات بين الكتلتين الرئيسيتين فأكثر من ذلك تعقيدا، وهى تعرض عادة فى الحوار العام على أسس برجماتية لاعلى أسس أيديولوجية.

ورغم تشبث كتلة الليكود بمعتقداتها الأيديولوجية، فإن حملاتها السياسية لاتعتمد على تلك المعتقدات، إذ تضم قيادة الليكود وأعضاؤه الكثيرين من ذوى الفكر الواقعى والمواقف العملية، ممن يدركون أن قيام إسرائيل التاريخية ليس مجرد ايمانا قويا بأن فهمهم للجانب العربى وللخريطة السياسية أكثر واقعية من فهم خصومهم، وأن برنامجهم يخدم المصالح الاستراتيجية الوطنية بصورة أفضل.

وقد تصادف أن كان الليكود على قمة السلطة حينما فاجأ السادات مصر والعالم العربى بزيارته الشهيرة للقدس وخطابه الذى القاه فى الكنيست الإسرائيلى، كان هدفه هدم الحاجز النفسى الذى يفصل العرب وإسرائيل وبناء الثقة لتحقيق سلام عادل وشامل.

ولم تأت هذه الزيارة من فراغ أو قفزة غير ممهد لها. بل بدأ السادات السير نحو كامب ديفيد منذ عام ١٩٧٠ - عام رحيل جمال عبد الناصر، وقام بتغيير واضح داخليا وخارجيا وهو أمر شرحناه من قبل.

الفعل الأمريكى

١ ـ على النحو الذى ذكرناه من قبل، كان التحرك الأمريكى للإسهام فى حل مشكلة الشرق الأوسط دون نتائج ملموسة رغم التحركات والاشارات المفهومة التى بعث بها الرئيس السادات إلى واشنطن وإلى إسرائيل، وكان لاستئناف الأتحاد السوفييتى لشحنات الأسلحة إلى مصر نتيجة ايجابية مكنت الرئيس السادات من شن حرب تحريك لضرب الجمود الذى فرضته إسرائيل ووافقت عليه الولايات المتحدة والذى عرف بحالة اللا سلم واللا حرب وهو موقف فى صالح إسرائيل وحدها.

٢ ـ وللدلالة على الموقف الأمريكى قبل عام ١٩٧٣ نورد ماجاء فى خطاب الرئيس نيكسون إلى الكونجرس فى ١٨/٢/١٩٧١ وهو خطاب فيه الشرح المفصل والواضح.

(أ) الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى:

١ ـ ترى الولايات المتحدة أن إمكانية تسوية هذا النزاع لا تزال بعيدة، فالمشاعر المحلية مترسبة وعميقة بحيث تجعل من المتعذر

على القوى الخارجية التأثير على الدول المعنية فى المنطقة، وإلى أن يتم تخطى هذه المشاعر حين تدرك أطراف النزاع أهمية التوسط لحل وسط مبنى على التنازلات المتبادلة فسيكون متعذرا التوصل إلى تسوية يرضى بها الطرفان (إلى معيار محايد «لتسوية عادلة ومعقولة).

٢ - وانطلاقا من هذا الأساس، فإن الولايات المتحدة تؤكد بأن قرارات الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار تمثل الحد الأدنى اللازم توافره فى سبيل التوصل إلى تسوية للنزاع، وأن دور الولايات المتحدة كان حث الأطراف المعنية على معاودة الحفاظ على وقف إطلاق النار.

٣ - وبقيام هذا الحد الأدنى، فإن المجال للتسوية يوجد فقط على أساس الأخذ والعطاء بين الأطراف المعنية وفى شكل مفاوضات تنتهج وضع إطار لمفاوضات بين الطرفين تحت إشراف يارنج وتتفق مع القرار ٢٤٢ نوفمبر ١٩٦٧، أخذه فى الاعتبار المسائل المشروعة التى تهم الدول المعنية.

(ب) الأزمة وصلتها بسياسات القوى:

١ - ذكر نيكسون أنه لا يجوز توقع انفراد حكومته بصياغة شروط السلام فى المنطقة أو ضمانه، فالآخرين - سواء داخل المنطقة أو من القوى الكبرى - مدعوين لواجب البحث عن مجالات التفاهم بحيث تغلب كل منها اعتبارات السلام على مصالحها الخاصة، وبما يضمن للجميع مصلحة فى الحفاظ على السلام فى هذه المنطقة.

٢ ـ وأن الولايات المتحدة لم تحقق الكثير مما كانت ترجوه فى مباحثاتها مع الاتحاد السوفييتى أو فى إطار المحادثات الرباعية.
وأضاف نيكسون أن إدارته قد ذهبت إلى أبعد حد تراه مجديا انتشارا لتجارب الأطراف الأخرى إزاء مقترحاتها، الاستمرار فى الحوار طالما كان ممكنا للحكومة المساهمة بشئ فى هذا الصدد.

٣ ـ أنه إذا تعذر التوصل إلى تسوية نهائية للنزاع، فينبغى على الأقل حصر نطاقه والحد من احتمالات وقوع اشتباك مباشر بين القوى الكبرى، ويشير نيكسون إلى ذلك بوصفه بعدا ثانيا لأزمة الشرق الأوسط مع تعارض مصالح القوى الكبرى وتنافسها وتداخل ذلك كله بالصراع بين دول المنطقة، ولم يفته فى هذا الصدد أن ينوه بأن درس ٦٧ يوضح حاجة القوى الكبرى إلى اليقظة لكى لاتجرفها القوى الذاتية لدول المنطقة إلى خضم الصراع. ومن هنا كان حرص إدارته بأن توضح للسوفييت والآخرين معارضتها لكافة الخطوات المتصلة بالأزمة والتى من شأنها زيادة تورط القوى الكبرى.

٤ ـ أن لتزايد النشاط السوفييتى فى الشرق الأوسط والبحر الأبيض فى السنوات الأخيرة نتائجه التى تتعدى حجم النزاع العربى الإسرائيلى. فهناك التزامات الولايات المتحدة وعلاقات تربطها بعدد من دول الشرق الأوسط حيث تسعى إلى حماية كيان هذه الدول وحريتها وأنه إذا كانت أمريكا تقبل التعاون مع الأتحاد السوفييتى من أجل تحقيق السلام، فإنها ستنظر إلى أية محاولة يقوم بها للسيطرة على المنطقة على أنها مدعاة للقلق الشديد.

وأضاف نيكسون بأن أية محاولة من قوة خارجية لاستغلال الصراع المحلى لتوفير مزايا خاصة بها لما يتعارض وسياسة الولايات المتحدة الأصيلة فى المنطقة.

٥ ـ ولذلك فلم تقتصر جهود إدارة نيكسون على الدعوة إلى احترام وقف إطلاق النار والدعوة إلى محادثات بهدف التوصل إلى سلام حقيقى فحسب، بل وفى الدعوة إلى اتفاق لتحديد شحنات الأسلحة للمنطقة كخطوة يمكن أن تساعد على استقرار الموقف فى المنطقة. وأضاف نيكسون قائلا: «وفى الوقت نفسه فإنى أؤكد نوايانا التى سبق وعبرنا عنها بالاستمرار فى المراقبة الدقيقة لتوازن القوة العسكرية، وبأن تزود الدول الصديقة بالسلاح كلما استدعت الضرورة ذلك».

(جـ) آفاق العلاقات الأمريكية بدول المنطقة:

١ ـ ذهب نيكسون إلى أن مشاكل الشرق الأوسط لن تحل إلا بقبول أطراف النزاع ـ اقتناعا أو تسليما ـ مصالحهم الأساسية المتبادلة. والولايات المتحدة من جانبها ستواصل السعى للتعاون مع كافة دول المنطقة على أساس احترام المصالح القومية المشروعة لهذه الدول، مع احترام هذه الأخيرة للمصالح القومية المشروعة للولايات المتحدة. وأنه ينبغى التركيز على جانب «المشاركة» فى هذه العلاقة.

٢ ـ ليس النزاع العربى ـ الإسرائيلى هو التحدى الوحيد الذى تواجهه السياسة الأمريكية، فهناك المنافسات المحلية الأخرى، وعدم

الاستقرار المصاحب للتغييرات الاجتماعية والاقتصادية ووراء ذلك كله، ينبغى التفكير فى الأسلوب البناء للعلاقات الأمريكية مع منطقة لديها امكانياتها الخاصة للتمويل. فهناك عدد من دولها قد انطلق فى الطريق نحو بناء اقتصاد عصرى، والبعض منها من لا تتوافر لديها رؤوس الأموال اللازمة ستنتظر مساعدة الدول المجاورة على أساس إقليمى.

٣ ـ ويحدد هذا الوضع دور الولايات المتحدة، إذ ستتضاءل الحاجة لمعونتها من رؤوس الأموال وكذا الأنماط المساعدة الاقتصادية التى دأبت فيما سبق على تقديمها، ولكن ستبقى الحاجة إلى تعاون وثيق لدول المنطقة.

(د) والجديد الذى يسترعى الانتباه فى رسالة نيكسون هو الدعوة لما وصفه بسياسة جديدة للولايات المتحدة فى علاقاتها بدول المنطقة خلال السبعينيات، إذ حدد منطلق هذه السياسة من القول بأن هذه الدول بحاجة فى نموها إلى التعاون على أساس اقليمى أكثر من حاجتها للمساعدات الخارجية، مع تحديد دور الولايات المتحدة فى تزويد هذه الدول بالخبرات الفنية والإدارية وبالاستثمارات التى وصفها نيكسون بأنها «مصالح أمريكية مشروعة» يتعين على الآخرين احترامها إذا أريد أن تحترم الولايات المتحدة مصالح هؤلاء.

وإذا كان النزاع العربى الإسرائيلى لا يتيح فى الظروف الراهنة تحقيق اندماج إسرائيل بدول المنطقة على أساس إقليمى (والذى سبق أن عبر الجمهوريون عن الأمل فى تجميده فى شكل مشروع

شتراوس) فإن السياق الوارد بالرسالة يتيح لدول أخرى مثل تركيا وإيران بأن تشكل جزءا من دائرة التعاون الاقليمى الذى يدعو إليه نيكسون فى منطقة الشرق الأوسط.

لذلك يصح الافتراض بأن السياسة الأمريكية تتجه نحو خلق تكتل إقليمى له مزاياه الظاهرة فى خدمة الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة بالمنطقة فضلا عما ترجوه من ورائه فى توفير جانب من الحماية للنظم العربية المحافظة فى مواجهة التيار الثورى الذى يدعمه نموذج الثورة الليبية والإسلامية فى إيران.

وبالنسبة لمكان مصر من مثل هذا المخطط الأمريكى ، فإنها إذا قبلت بالتعاون الاقليمى مع الدول المحايدة، فعلى أساس من الاعتراف الضمنى باستعدادها للتعايش بين نظم سياسية واجتماعية مختلفة ولعدم تهديدها للمصالح الأمريكية فى المنطقة، بعبارة أخرى أن تبدى استعدادها لقبول الوضع الراهن.

القسم الرابع

رحلة السادات المفاجئة للقدس
والرؤية الأمريكية الإسرائيلية فى السلام

الفصل الأول

أولا : وجهات النظر الإسرائيلية فى السلام مع مصر.

ثانياً: ازدواجية الرؤية.

الفصل الثانى

دور الولايات المتحدة الأمريكية

«هنرى كيسنجر» والاتحاد السوفييتى

بعد حرب ٧٣ مباشرة فى بداية مرحلة السلام والأوضاع فى مصر

وجهات النظر الإسرائيلية في السلام مع مصر

لم تكن إسرائيل تتوقع سلاما سريعا مع العرب بسبب المسلمات التى كانت محتدمة من قِبلْ كل الأوساط الشعبية والرسمية والعربية ومنها اللاءات الثلاثة التى انطلقت بعد قمة الخرطوم عام ١٩٦٧ من زعيم له وزنه هو جمال عبد الناصر حيث أكد ومن خلفه الأمة العربية: لا مفاوضة ولا سلام ولا اعتراف. ويؤكد هذا الشعور أن جرح عام ١٩٤٨ الذى أصاب العرب قد أضيف إليه جرح هزيمة ١٩٦٧ . وعلى هذا كانت إسرائيل تطرح شعار السلام بشكل تكتيكى لإحراج العرب وإظهار عدوانيتهم أمام العالم بعد أن تكون قد قامت بأعمالها العدوانية فعلا.

(أ) بالنسبة للسلام مع مصر:

كانت زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ لاتتسق مع التصور الإسرائيلى العام عن السلوك والتفكير العربى، ولذا كان يلزم إسرائيل بعض الوقت والجهد لإستيعاب التغير المفاجئ فى الموقف المصرى، وخاصة أن إسرائيل أصبحت لها هى الأخرى جراحها من

جراء الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣، واعتبرته إسرائيل من الأعمال العبقرية لرجل أستاذ فى التمويه والخداع هو الرئيس السادات، ولذلك فإن الوثوق به يقتضى وقتا. وساعد عوامل الريبة فى إسرائيل أن الرأى العام المصرى كان لا يزال لا يرحب بالإقتراب كثيرا من إسرائيل. وكانت كل العوامل السابقة سببا فى تعثر مفاوضات كامب ديفيد وكادت تضيع الفرصة أمام الإسرائيليين.

ولضمان عدم الرجوع وضعت إسرائيل بعض العقبات - نظرت إليها بوصفها ضمانات - منها وضع جداول زمنية لكل مرحلة إنسحاب يقابلها إجراءات مصرية تدعم من عملية السلام والحصول على التأكيد بعدم الربط بين التقدم على الساحة المصرية وبين إنجاز مايتعلق بالقضية الفلسطينية.

وأخيرا أكدت إسرائيل أن أولويات الإلتزام بالنسبة لمصر هو إلتزامها بنصوص إتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام، بمعنى أنها تأتى فى الأولوية قبل إلتزامات مصر العربية.

وكان صقور إسرائيل يرون أن السلام يضر بما فى يد إسرائيل وقتئذ من عمق ومن بترول ومن مصادر مياه ومواد أولية تحققه سيناء، كما يضيع عليها الاستثمارات الضخمة التى صرفتها على مستوطنات ومنشآت سيناء.

وقد أثبتت السنوات بعد كامب ديفيد أن هواجس إسرائيل ليست على أساس بل أن عوامل تفاؤل حمائم إسرائيل كانت أقرب إلى الحقيقة.

وقد أدت كامب ديفيد وما تبعها من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية إلى زيادة اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية إلى درجة كبيرة، وهو أمر اعتبرته إسرائيل خطرا ومضرا بسيادتها. ومع ذلك فإن السلام مع مصر غير اتجاه التاريخ من خلاف حول الوجود إلى خلاف حول شروط التصالح.

وبالنسبة لعملية السلام فى الشرق الأوسط عامة ومع مصر بوجه خاص كان هناك تصور خاص لكل من الحزبين الرئيسيين فى إسرائيل «العمل والليكود» يعبران عن إتجاهين مختلفين:-

الاتجاه الأول: مثله مناحم بيچين ويرى أن مهمة جيله هى الحفاظ على سلامة أرض إسرائيل الكبرى، ومن ثم فإن السلام لا يجب أن يتعارض مع هذا الهدف الأكبر ولا يجب أن يؤدى إلى إيقاف بناء المستوطنات ولا إلى ضم الأراضىّ المحتلة. ومع ذلك يرى الليكود أن السلام مع مصر يعد إنجازاً كبيرا لأنه أزال خطر أبرز الجهات وعزل مصر عن العالم العربى ومن ثم أطلق يد إسرائيل فى تحقيق حلم إسرائيل الكبرى. ولذلك فإن مبدأ الأرض مقابل السلام الذى اتبع مع مصر لن يكون نموذجا لاتفاقيات سلام المستقبل مع بقية الدول العربية. وراهنت إسرائيل على عدم الحاح مصر فى المستقبل على انجاز سلام شامل فى إطار مبدأ الأرض مقابل السلام.

والاتجاه الثانى: مثله حزب العمل « شيمون بيريز واسحاق رابين» الذى يتصور إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقومية والمتصالحة مع جيرانها والمقبولة لدى العالم الديمقراطى ولذلك يعتبر السلام مع مصر خطوة أولى تعقبها خطوة ثانية مع طرف

أردني - فلسطيني. ويرفع حزب العمل هو الآخر شعار حق إسرائيل التاريخي على جميع أراضيه، إلا أن الظروف جميعا تتطلب التعامل وفق حلول وسط والتخلي عن الأراضي التي يقطنها العرب بأعداد كبيرة. ويضيف أنصار هذا التصور أن عدم الوصول إلى تسوية شاملة سيؤدي إلى انهيار عملية السلام كلها بما في ذلك إضعاف السلام مع مصر.

وقد طرأ على هذين الاتجاهين تغير شد كل منهما إلى الحلول العملية وفاء للظروف الدولية وبالعوامل الجغرافية وخاصة وجود كثافة سكانية عربية في مناطق متعددة.

(ب) بالنسبة لمفهوم الحكم الذاتي للفلسطينيين:

مفهوم الحكم الذاتي قديم قدم كتابات المفكرين السياسيين اليهود منذ ١٩١٢، متأثرين بمقترحات الحكم الذاتي للأقليات في بلدان أوربا الشرقية مثل بولندا وأستونيا ولتوانيا ولاتفيا وهي تجارب خاصة بالأقليات هناك.

كما أضيف لهذه الأدبيات السياسية الأفكار التي طرحت إبان الانتداب البريطاني بالنسبة لكل من السكان العرب واليهود. وكان التصور الإسرائيلي الذي استفاد من تجارب الماضي التي لمسها عن قرب يهدف إلى إبقاء الأراضي والسكان تحت سيطرة إسرائيل، بمعنى أن ينخفض الحكم الذاتي إلى درجة «إدارة الشئون الخاصة» وهو تقريبا التصور الذي تقدم به «بيچين» بالنسبة للحكم الذاتي الفلسطيني إلى كل من كارتر والسادات، إلا أن اتفاقيتي كامب ديڤيد

كانت تتعلق بأمور أكبر من الإدارة الذاتية أى بالاستقلال الذاتى وهو أمر يؤدى إلى استبعاد ضم هذه الأراضى من جانب إسرائيل.

وكانت أداة الرفض الإسرائيلى بعد أن أصبح الاستقلال الذاتى التزاما فى إطار كامب ديڤيد هو تطبيق مفهوم الحكم الذاتى والمماطلة فى التنفيذ وهو أمر يؤدى إلى ركود العملية برمتها وهو ما كان «الليكود» يسعى إليه. وهذا التصور ينطلق من رفض الصقور لأية حقوق للفلسطينيين ورفض وصفهم بالشعب وأرضهم بالوطن بل هم مجرد سكان فى إسرائيل الكبرى.

وأدى الموقف الإسرائيلى المتشدد والمعوق والموقف المصرى الصلب حتى لا يتهم بالتفريط ومعارضة الفلسطينيين والأردن إلى فشل محادثات الحكم الذاتى عام ١٩٨٢ .

النظرة الاسرائيلية إلى مصر وعملية السلام بعد رحلة السادات

ازدواجية الرؤية

ذكر «شيمون شامير» سفير إسرائيل فى مصر فى مذكراته أن السلام أخذ إسرائيل على غرة، فقد اعتبر معظم الإسرائيليين مبادرة السادات وما أعقبها من اتفاق للسلام انقاذا حقيقيا من عند الله، إذ تعلم الإسرائيليون على مدى العقود التى انقضت منذ اقامة دولتهم، أن ينظروا إلى السلام مع دولة عربية كبرى على أنه أمر يخرج عن نطاق الأهداف القابلة للتحقيق، واستند هذا الاعتقاد إلى عناصر أساسية فى موقف العرب من إسرائيل، رفض الاعتراف بشرعية وجود الدولة الإسرائيلية، مما جعل هذا النزاع يختلف نوعيا عن النزاعات «المعتادة» بين الدول، ثم عمق الجرح الذى شعرت به الدول العربية فى عام ١٩٤٨ والذى ارتبط بذكريات عديدة فى التاريخ العربى والإسلامى، والاعتقاد بأن التفوق العددى الهائل للعرب يجعل انتصارهم فى نهاية الأمر على الدولة الصهيونية مسألة حتمية تاريخية.

ولم يكن يلوح فى الأفق أى عرض للسلام من جانب أى زعيم عربى، ولم تكن إسرائيل ترى فى الأحاديث العربية عن النوايا السلمية غير محاولة للخداع والتضليل. ولذا فإن ما أقدم عليه أنور السادات من «اجتياز الحاجز النفسى» وظهوره المسرحى أمام الكنيست فى نوفمبر ١٩٧٧ كان بمثابة نشاز لدى العقل الإسرائيلى، إذ أصبحت السياسة على حين غرة فن المستحيل (١).

وعندما هدأت الفورة الأولى. كان موقف إسرائيل يتميز بشعور عميق بالشك المعذب للنفس، فالجرح الذى نجم عن الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال فى الذاكرة الجماعية لإسرائيل، هذا فضلا عن أن السادات فى نظر كثيرين من الإسرائيليين هو أولا وقبل كل شئ أستاذ فى فن الخداع، ولاحظ الإسرائيليون أن مبادرة السادات لم تسبقها فى مصر أى مراجعة أيديولوجية للآراء والنظرات عن الدولة اليهودية، وأن المواقف السائدة لاتتفق مع روح مصالحة حقيقية، فالمسئولون والمثقفون المصريون كانوا فى العادة لايرحبون بالتعامل مع الإسرائيليين، وقد استقال اثنان من وزراء الخارجية احتجاجا على سياسة السادات. وكثيرا ما نشرت صحف القاهرة هجوماً مقزعاً ضد حكومة إسرائيل، وآثر كثير من الإسرائيليين الذين علمتهم التجربة التاريخية ألا يطمئنوا لابداء حسن النية المفاجئ، أن يتحفظوا فى حكمهم على

(١) على سبيل الدقة، يجب أن نذكر أنه كان هناك قبل عام ١٩٧٧ شعور لدى بعض الساسة الإسرائيليين، ومن بينهم «موشى ديان» بأن استعداد أنور السادات للسلام يزداد باضطراد، لكنهم لم يروا أن هذا التغيير وصل من العمق إلى حد يدعو إلى إدخال تغيير على سياسة إسرائيل. وكذلك استشعر الأكاديميون الإسرائيليون التغير الطارئ على موقف مصر. انظر: «مصر فى عصر السادات: البحث عن اتجاه جديد» بقلم شيمون شامير (باللغة العبرية) (تل أبيب: ديفير، ١٩٧٨).

صدق اليد الممدودة بالسلام، فمن ناحية، كانت هناك رغبة واضحة من جانب الرأى العام الإسرائيلى فى عدم إضاعة الفرصة التاريخية التى أتاحها السادات، ولكن كان هناك من ناحية أخرى الحرص على عدم الوقوع فى الفخ الذى ينصبه هذا الخصم الماكر.

وكان لهذا الحذر الشديد أثره فى الطريقة التى أدار بها الإسرائيليون مفاوضات السلام. وكان يثير قلقهم أنهم يدركون أن المتوقع من إسرائيل أن تتخلى عن أصول محدودة وملموسة فى مقابل علاقة سلمية غير محدودة، ويمكن بسهولة العدول عنها، ومن ثم فإن عدداً من القضايا التى تبين فيما بعد أنه ليست لها أهمية عملية تذكر، كان لها دور حاسم فى عملية المساومة، بل أنها هددت فى بعض الأوقات باجهاض العملية برمتها، وكان من هذه المسائل مشكلة الجداول الزمنية - «حجم السلام» الذى يتحقق قبل كل مرحلة من مراحل الانسحاب، ثم مسألة الارتباط - إلى أى مدى تتوقف العناصر الثنائية فى الاتفاق على تنفيذ العناصر المتعلقة بفلسطين، ثم مشكلة أولوية التعهدات - هل يجوز لمصر أن تنفذ التزاماتها المتعلقة بالمواثيق الدفاعية مع الدول العربية الأخرى فى حالة تعارضها مع المعاهدة المبرمة مع إسرائيل، وقد أوشك بعض هذه المسائل أن يذهب الآن إلى طى النسيان، ولكنها توضح أن الموقف الإسرائيلى من السلام كان يخشى المخاطر بقدر مايتوقع المنافع.

الأوضاع في مصر بعد حرب ١٩٧٣ ودور أمريكا (هنرى كيسنجر)

كان التحول المطرد فى سياسة مصر الخارجية وانحيازها العالمى، وذلك بالابتعاد عن السوفييت والتقارب مع الأمريكيين. فقد أمر السادات بطرد ٢٠ ألف خبير عسكرى سوفييتى من مصر فى منتصف ١٩٧٢ . وأكدت هذه الخطوة ماسبقها من مؤشرات بضياع الثقة المتبادلة. وتضمنت هذه المؤشرات التصدى السافر من جانب السادات للعناصر الناصرية فى مايو ١٩٧١، والتى ينظر إليها كعناصر صديقة لموسكو، وايحاءاته المتواصلة بأن السوفييت يتباطأون فى تقديم الأسلحة لمصر برغم وقوف السوفييت إلى جانب مصر فى حرب أكتوبر، وتصديهم للجسر الجوى الأمريكى لنقل الأسلحة إلى إسرائيل بإقامة جسر جوى سوفييتى لمصر وسوريا، إلا أن السادات كان يدرك أن غالبية الشعب المصرى قد ضاقت ذرعا برابطة عبد الناصر بالسوفييت بعد هزيمة ١٩٦٧ . ولم يأسف سوى القلة من المصريين لمواقف السادات غير الصديقة تجاه السوفييت.

وجاء التقارب الحذر مع الولايات المتحدة فى السنوات الأولى من تولى السادات منصب الرئاسة، عن طريق المملكة العربية

السعودية وغيرها من القنوات. ولم تكد تمضى بضعة أسابيع على حرب أكتوبر حتى قام السادات بتكثيف تحركه من أجل «علاقة خاصة» مع الولايات المتحدة. وفى أوائل ١٩٧٤ عادات العلاقات الديبلوماسية الكاملة بين البلدين (كانت العلاقات مقطوعة منذ حرب يونيه ١٩٦٧). وسيطرت دبلوماسية هنرى كيسنجر على مسرح الأحداث فى الشرق الأوسط، وحظت بمباركة السادات وتقديره.

وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨، الذى تم فيه الربط بين وقف الأعمال العسكرية، والبدء فى تسوية سلمية. وفى هذا القرار وجه نداء إلى جميع الأطراف للإعداد لمؤتمر سلام، يعقد لحل مجموعة بكاملها من المسائل المتصلة بتسوية نزاع الشرق الأوسط وإقامة سلام عادل ودائم فى المنطقة.

وقد دارت مناقشات بين وزير الخارجية الأمريكى كيسنجر والزعماء السوفييت فى موسكو قبل اتخاذ هذا القرار، ووافقت الولايات المتحدة، فى ضوء الموقف الذى نشأ، على فكرة التركيز على ايجاد تسوية شاملة، وذلك من أجل إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى والذى بدأ منذ عهد طويل، وعلى ذلك، بدأ التأييد الأمريكى للتسوية السلمية بعد أن ظهر لهم فشل عقيدة إسرائيل السياسية والعسكرية، كما كشفت عن ذلك حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد وافق السياسيون الأمريكيون، الزعماء فى موسكو على أن هناك إمكانية محددة للتوصل إلى تسوية شاملة للصراع العربى الإسرائيلى، ووافقوا أيضاً على أن الآلية الخاصة بتحقيق هذا الهدف قد نشأت، وهى مؤتمر چنيف.

إلا أنه بعد الموافقة على قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ مباشرة، بدأت الولايات المتحدة، فى محاولة فصل وقف إطلاق النار عن عملية التسوية الشاملة، ويذكر كيسنجر فى مذكراته كيف أصبح التفاهم الذى توصل إليه فى موسكو عديم القيمة بالنسبة له، وكيف بدأ عن عمد فى تقويض الجهود المبذولة من أجل الإعداد لتسوية شاملة فى الشرق الأوسط فى الوقت الذى بدت فيه الظروف المتعلقة بمثل هذه التسوية فى النضوج. «لقد كان مؤتمر جنيف المعقود فى ديسمبر ١٩٧٣ بمثابة طريقة لتسخير جميع الأطراف للقيام بعمل رمزى واحد، وبذلك يتمكن كل طرف من انتهاج مسلك منفصل لفترة ما على أقل تقدير، وكان من الصعب تجميع هذا الملتقى الكبير مثلما كان من الصعب الابقاء عليه مطوعا بعد ذلك عندما عادت الدبلوماسية إلى قنواتها الثنائية».

وهكذا فإنه منذ البداية لم تعتبر الولايات المتحدة مؤتمر جنيف ضرورة، بل رأت فيه عوضا عن ذلك طريقة لصرف انتباه الجميع عن الصفقة التى كان يعدها الأمريكيون بالتعاون مع إسرائيل والرئيس السادات، وبالتالى بدأت الآمال المتعلقة بمؤتمر جنيف تختفى إذ أنه بعد جلسته الأولى فى أواخر عام ١٩٧٣، لم تنعقد أبدا جلساته التالية.

وقد عكست اتفاقيتا فض الاشتباك بين القوات الإسرائيلية والمصرية، وبين القوات الإسرائيلية والسورية، نهجا مختلفا تجاه عملية التسوية.

وكان لإسرائيل والولايات المتحدة أفكارا مختلفة، ففى ١٦

ديسمبر ١٩٧٣، وبينما كان كيسنجر فى القدس، وصف استراتيجيته الشاملة للقيادة الإسرائيلية كما يلى:

«أن هدف محادثات فض الاشتباك هو الدوران حول الحاجة إلى التحدث فى الوقت الحاضر عن الحدود والترتيبات النهائية. كما أن نجاح المحادثات (بشأن فض الاشتباك) سيقضى أيضا إلى إنجاز آخر- رفع الحظر عن النفط، وسوف ينهى هذا أيضا عزلة إسرائيل بالتخفيف من الضغط الموجه لها أساساً من دول أوروبا الغربية واليابان»، وحذر كيسنجر قائلا: «يجب ألا يكون لدى أى أحد فى إسرائيل أقل شك فى أن فشل محادثات فض الاشتباك سيحدث شرخا فى السد الذى يحول دون الضغوط على إسرائيل، وهذه المرة لن يكون ذلك من أجل الإنسحاب الجزئى، بل الإنسحاب الكامل إلى حدود ٤ يونيه عام ١٩٦٧» .

وتعزيزاً لنشاطه قام الرئيس ريتشارد نيكسون بزيارة مصر واستئناف إرسال المعونة الأمريكية عام ١٩٧٤، وأدت الوساطة والمساعدة الأمريكية إلى تحقيق اتفاقيتين لفض الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية على طول قناة السويس وفى سيناء، واتفاقية مماثلة على الجبهة السورية، وساهمت المساعدات الأمريكية والأوروبية بدور رئيسى فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة الدولية.

التدخل السوفييتى الأمريكى ومفاوضات الكيلو ١٠١ فى السويس

وفى مساء ٢٤ أكتوبر بعث بريچنيف رسالة شخصية إلى نيكسون، يحذره فيها بأنه إذا استحال العمل سويا فى هذا الأمر، فسيضطر الاتحاد السوفييتى تحت ضغط الضرورة الملحة، وبالجهد السوفييتى أن يعمل وحده لفك حصار الجيش الثالث المصرى. وكرد فعل عكسى عبأت الولايات المتحدة كل قدراتها العسكرية لمواجهة التحدى السوفييتى. ولما لم تكن المواجهة العسكرية الشاملة مع الولايات المتحدة محل تفكير قادة الكرملين. فقد أعطى بريچنيف تعليماته بعد ظهر ٢٥ أكتوبر لسفيره فى الأمم المتحدة بحذف المطالبة بعمل عسكرى سوفييتى - أمريكى لحفظ السلام، وقبل الروس الصياغة الأمريكية بإنشاء قوة تابعة للأمم المتحدة، ومن غير قوات القوى العظمى للفصل بين المتحاربين. وهذا ما أقره مجلس الأمن بعد ظهر الخامس والعشرين من أكتوبر. حيث أعلن كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة فى اليوم التالى أن قوة الطوارئ الأولى المكونة من ٧٠٠٠ رجل، «قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة» «U.N.E.F»، والمشكلة من الاستراليين والفنلنديين والسويديين،

والمأخوذة من بين وحدات الأمم المتحدة لحفظ السلام العاملة فى قبرص وقد وصلوا إلى مصر. وعندما توقف القتال، كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت مساحة خمسة وعشرين ميلا غربى قناة السويس وأصبحت تتحكم تقريبا فى المسافة مابين جنوب الإسماعيلية وخليج السويس. بينما وزعت القوات المصرية فى الضفة الشرقية على امتداد خط بارليف وبعمق من ثلاثة إلى خمسة أميال، باستثناء ممر إسرائيلى ضيق شمال شرق البحيرة المرة الكبرى.

وفى ٢٦ أكتوبر وبعد مفاوضات مباشرة بين كيسنجر وكلا من ممثلى الإسرائيليين والمصريين تم التوصل إلى صيغة يسمح بمقتضاها لقافلة واحدة من الصليب الأحمر محملة بالامدادات الطبية والأغذية بالمرور عبر الخطوط الإسرائيلية. وللتوصل إلى تفاصيل تلك العملية، أجتمع ضباط برتب كبيرة من كلا الطرفين تحت إشراف الأمم المتحدة فى ٢٦ أكتوبر على طريق السويس - القاهرة عند الكيلو «١٠١» على طرف الأراضى التى احتلتها إسرائيل غرب القناة، وكانت المحادثات هناك تعنى بدء أول اتصالات رسمية مباشرة بين المصريين والإسرائيليين منذ انهيار لجنة الهدنة المشتركة منذ سبعة عشر عاما إبان العدوان الثلاثى على مصر. وبعد مفاوضات تم التوصل إلى اتفاق عبرت بمقتضاه فى ٢٨ أكتوبر قافلة من مائة عربة نقل (شاحنة) تحت إشراف بعض أفراد من الأمم المتحدة الخطوط الإسرائيلية فى طريقها إلى الخطوط المصرية. وقد قام الإسرائيليون وسمحوا لها بالمرور نظير قيام مصر بتقديم قائمة بالأسرى الإسرائيليين الجرحى فى الحرب، وقد سمح للصليب الأحمر

بزيارة هؤلاء الرجال. وعند ذلك أصبح واضحا أن الصراع العسكرى لن يستأنف. وأن الخمسة حروب بين مصر وإسرائيل تكاد تكون قد وصلت إلى نهايتها.

القسم الخامس

العلاقات المصرية الأمريكية الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

العلاقات المصرية ـ الأمريكية

الفصل الثانى

العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية

الفصل الثالث

مواقف الولايات المتحدة ومبادراتها إزاء النزاع العربى الإسرائيلى حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣م

العلاقات المصرية ـ الأمريكية

أولا: الخلفية:

منذ توليه الحكم فى أواخر سبتمبر ١٩٧٠ قام السادات بمبادرات لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، وكانت استجابة واشنطن سلبية إلى أن قامت حرب ١٩٧٣ بما جرته من إحتمالات المواجهة بين الدولتين العظميين، ورأت إدارة نيكسون فى السادات سياسى عربى معتدل.

وبعد حرب ١٩٧٣ تعدلت صورة مصر وبدا تأثيرها فى العالم العربى، إلا أن الأمريكيين كانوا غير متأكدين من قدرة مصر على توجيه منظمة التحرير الفلسطينية نحو السلام رغم أن السادات كان يؤكد سيطرته على المنظمة كان الأمريكيون يتصورون أن السادات كان يؤيد الأمانى الفلسطينية باللفظ فقط لأن عقيدته كانت مصرية وليست عربية وهو مستعد للوصول إلى حل وسط للقضايا العربية طالما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

وكان السادات يروج لفكرة أنه طالما إتفقت مصر فسترضخ بقية الدول العربية.

وكان مما يشجع واشنطن على التعامل مع السادات أنها رأت مصر تواجه إنهيارا إقتصاديا شاملا، وأن السلام بالنسبة لها ضرورة وأنها غير قادرة على الاستمرار فى الحرب. وعزز من هذا الرأى سرعة قبول السادات لاقتراحات كيسنجر بشأن فض الاشتباك الأول رغم تواضعها ومعارضة مستشارى الرئيس، وعزز السادات هذا التصور بطلبه مساعدة اقتصادية وعسكرية ملحة من واشنطن، ورأت الأخيرة أنها بهذه المعونة يمكنها تحريك عملية السلام وتقليص النفوذ السوفييتى، ثم كان تصرف السادات مع السوفييت وتقييده لحركتهم فى مصر بمثابة محاولة إحداث أثر طيب لدى أمريكا. وهكذا تحولت المعونة الاقتصادية والوعد بالمعونة العسكرية بمثابة تزييت وتليين التحرك المصرى نحو السلام وإتسامة بالمرونة.

وابتداء من ١٩٧٤، عام عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، تحركت علاقات البلدين نحو نمط بارز من العلاقة الخاصة ارتكز على تزايد المعونات الاقتصادية وتدفق المعونات العسكرية بعد ذلك إلى أن وصلت إلى ذروتها بالجهد الخاص الذى بذله الرئيس كارتر لإنجاح لقاءات كامب ديڤيد عام ١٩٧٨ وأصبحت مصر تتسم فى تحركاتها الخارجية بما لا يصطدم بمصالح أمريكا بل يمكن القول بما يخدم الاستراتيجية الغربية، مثل مساعدة كارتر والسماح للطائرات الأمريكية باستخدام المطارات العسكرية المصرية إبان أزمة الرهائن الأمريكيين فى إيران عام ١٩٨٠، وتدخل مصر لمساندة موبوتو (زائير) صديق الغرب عام ١٩٧٧ . ورغم مساعدات مصر - السادات لأمريكا فى مجالات

التنسيق العسكرى والمناورات وتأمين النظم الموالية للغرب، فإن مصر لم توافق على تواجد قواعد عسكرية أمريكية دائمة على أرض مصر وكانت هذه النقطة مثار خلاف بين البلدين.

وهناك موضع خلاف كبير وهو فى اقناع مصر- مبارك بأن أمريكا منحازة فى علاقاتها بإسرائيل بل وتتواطأ أحيانا ولا تضغط عليها بالقدر الكافى.

إذ أن هذا الانحياز يظهر فى المجال الاقتصادى حيث تحصل إسرائيل وحدها على حوالى ثلاثة أمثال ماتحصل عليه مصر من معونات أمريكية.

وكان النزاع فى الشرق الأوسط وحقوق الشعب الفلسطينى من أبرز المشاكل التى أزمت علاقات مصر بأمريكا فى كثير من الأحيان إذ اختلفت مواقف الدولتين حول عدة نقاط منها:-

(أ) أن مصر تفضل هى والعرب أن يكون مؤتمر السلام دوليا تحت رعاية الأمم المتحدة وبتواجد السوفييت وتفضله إسرائيل وأمريكا إقليميا بعيداً عن تواجد الأمم المتحدة أو الأتحاد السوفييتى.

(ب) وترى مصر ضرورة تعامل أمريكا وإسرائيل مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى أما أمريكا وإسرائيل فترفضان ذلك.

(جـ) وتقتنع مصر بأن معنى حق تقرير المصير للفلسطينيين هو حقهم المشروع فى إقامة دولتهم، وترفض إسرائيل ومن ورائها

أمريكا قيام دولة فلسطينية، ويمكن فقط أن تكون إقليما فى إطار اتحادى مع الأردن.

وفيما بعد كانت حادثة السفينة «أكيلى لاورو» وماتبعها من اعتراض الطائرات الحربية الأمريكية لطائرة مدنية مصرية، كان لذلك أثر سيئ لأن مصر اعتبرتها إهانة بالغة وانتهى الأمر بشبه اعتزار أمريكى.

ومنذ تولى الرئيس مبارك القيادة كان حريصا على إعادة علاقات مصر بالعرب بينما كانت الولايات المتحدة تقلل من أهمية هذا الأمر بل وتخشى عواقبه.

ولعل أبرز مشكلات العلاقات المصرية الأمريكية كان فى نظرة الولايات المتحدة إلى مصر بأنها دولة تابعة بسبب المعونات المشروطة التى تتلقاها، بينما رأت مصر - مبارك أن العلاقة تحكمها الندية وخاصة أن التاريخ يبين أن حكومات مصر المتعاقبة - ومنها ما كان فى ظل الإحتلال البريطانى - لم يراودها أبدا الشعور بالتبعية بل شعرت دوما بأن مصر دولة معتدى عليها.

وقد كان تصرف الرئيس مبارك حاسما إبان حادث الطائرة ورفض زيارة إسرائيل وتمهل فى تطبيع العلاقات وأسرع فى تدعيم علاقات مصر العربية وكان كل ذلك بمثابة تعبير عن ندية العلاقات.

وقد وصلت هذه الرسالة تماما إلى الولايات المتحدة وظهر ذلك من خلال تصرفات رئيسها وخاصة إبان حكم الرئيس بوش.

ثانياً: المسار:

١ - فى ٧٨/٩/١٧ وقعت اتفاقيتا كامب ديڤيد، جاءت الأولى بخطوات عريضة للسلام بين مصر وإسرائيل نتيجة جهود ضخمة للرئيس كارتر، وتنازلات فى السنة التالية ١٩٧٩ فى معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية قدمها السادات أثر تلميح كارتر بأن علاقات أمريكا بمصر ستصبح فى متانة العلاقات بين أمريكا وإسرائيل، وأخذ السادات التلميح على أنه حقيقة، وأن العلاقات بين أمريكا وكل من مصر وإسرائيل ستكون متوازنة.

كما جاءت الاتفاقية الأولى بعبارات مبهمة ومرنة تتحمل تفسيرات شتى، كما تم تأجيل البت فى بعض القضايا الخلافية مما يفتح الطريق أمام الخلافات مستقبلا.

أما الاتفاقية الثانية فقد تناولت موضوع الحكم الذاتى الفلسطينى دون تحديد دقيق لمفهوم هذا الحكم فى الضفة الغربية وقطاع غزة على أساس أنه مرحلة متوسطة.

ورغم الانتقادات التى وجهت إلى كامب ديڤيد إلا أنها كانت بداية علامة ثنائية جديدة تتوثق باستمرار بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

والعلاقة الثنائية بين أى بلدين تقوم إلى حد كبير على القواعد التالية.

١ - ثبات المصالح المتبادلة.

٢ - التفاعل بين صفوة قيادات كل منهما بشأن قضايا محددة.

٣ - التأييد الداخلى المستمر للتعاون الوثيق بينهما.

ولم تتمكن الدولتان من إرساء علاقاتهما وفق التصور السابق نظراً لنشوب خلافات حول تصورات كل منهما، ولتفوق العامل السياسى على كل ما عداه من أوجه التعاون.

٢ ـ ومع موت السادات المفاجئ تضاءل النفوذ المصرى فى واشنطن وهو نفوذ اعتمد إلى حد كبير على شجاعة رئيس الدولة المصرى وشخصيته. وخلال السنوات العشر التى تلت كامب ديفيد كانت علاقات مصر والولايات المتحدة طيبة بوجه عام مع وجود خلافات بينهما، ثم انحسرت كما قلنا بموت السادات إلا أنها اكتسبت طابعاً برجماتياً قربها من الواقعية وهو أمر صحى.

- وعلى عكس السادات المتساهل المستعد لقبول المقترحات الأمريكية، بدأ مبارك متشددا إلى حد ما وغير مستعد للتساهل. وكانت صراحته وإنتقاداته فى حديثه مع القادة الأمريكيين صريحة أحيانا برغم أنه ما يزال ملتزما بمعاهدة السلام مع إسرائيل ومؤيدا لجهود إستئناف وتوسيع عملية السلام فى الشرق الأوسط.

- ويروج بعض الأمريكيين للقول بأن إرتباط مصر بالولايات المتحدة لا رجعة فيه بسبب توجه الصفوة القائدة حاليا وتخطيطها الاقتصادى واعتمادها على القوة العسكرية فى دعم مواقفها. ورغم منطقية هذا القول إلا أن التاريخ أثبت أن مصر أحدثت تغييراً دراميا فى علاقاتها بالدولتين العظميتين فى الماضى ويمكن أن تفعل ذلك مرة أخرى وذلك أمر يتوقف على:

(أ) القيادة.

(ب) وعلى الظروف.

ولا شك أن مبارك مثله مثل السادات يريد أن تستمر العلاقة الوثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية ولكن هناك من المتغيرات ما يخرج عن سيطرة قيادتى البلدين مثل:

(أ) الإجراءات التى يتخذها الكونجرس مستقبلا بشأن المعونة الاقتصادية والعسكرية.

(ب) حدوث صدام شديد بين إسرائيل وسوريا.

(جـ) معاملة إسرائيل للفلسطينيين ورد الفعل الأمريكى.

(د) أو ظهور عوامل سياسية داخلية مؤثرة فى السياسة المصرية.

٣ ـ وأخيراً هناك ملاحظات عامة على العلاقة بين البلدين:ـ

أولا: أن العلاقة تقوم بين قيادة الصفوة وليس لها جذور عميقة حتى الآن فى المجتمع المصرى، ولذلك فإن أية تصرفات أمريكية غير محسوبة قد تلحق ضرراً بالقيادة المصرية المعتدلة كما يمكن أن تكون وقودا تستفيد منه عناصر المعارضة الديماجوجية.

ثانيا: يجب أن لا تتصور الولايات المتحدة أن المعونة الأمريكية الكبيرة لمصر ستؤدى إلى خضوعها سياسيا، إذ لا بد أن تقوم العلاقة بين ندين.

ثالثاً: وعموماً يختلف وضع مصر عن وضع إسرائيل فالأخيرة تعتبر حليف من خارج حلف الأطلنطى بالإضافة إلى أن المصريين لا يميلون إلى التحالف بسبب عمق سياسة عدم

الانحياز فى تاريخهم - وقد رفضت مصر إبرام إتفاقية أمن محدودة مع الولايات المتحدة على غرار الاتفاق مع إسرائيل.

رابعاً: والأرجح أن يكون نمط العلاقات فى المستقبل هو الصداقة والتعاون ضمن حدود متفق عليها مع اقتران ذلك بتخوف مصر من اعتداء أمريكى حقيقى أو متخيل ضد سيادتها.

ثالثا: عوامل التعثر فى علاقات مصر بالولايات المتحدة:

١- من هذه العوامل أن السادات ذكر أو تصور أن هناك التزاما أمريكيا بمعاملة مصر على قدم المساواة مع إسرائيل فيما يتعلق بالمعونة الاقتصادية والعسكرية. وقد أدت تصرفات أمريكا وخاصة قبولها وتغاضيها عن بعض السياسات الإسرائيلية إلى إثارة شكوك مصر بشأن ما وعدت به أمريكا من اتباع سياسة متوازنة، كما أكد هذا الانطباع إصرار واشنطن وخاصة فى عهد ريجان على قيام مفاوضات مباشرة وهو أمر يزكى وجهة النظر الإسرائيلية بدلا من المؤتمر الدولى الذى يفضله العرب. ومن العوامل الهامة أيضا أن واشنطن لم ترض عن المراوغة المصرية بشأن ما يهم الولايات المتحدة مثل طلب قواعد عسكرية وتسهيلات خاصة وتطبيع كامل للعلاقات مع إسرائيل.

٢ - وأيضا كان لبقاء قضية الحكم الذاتى الفلسطينى معلقة تأثير واضح فى إذكاء الخلاف.

وكان مجئ رئيس وزراء جديد لإسرائيل عام ١٩٨٣ «شامير» وهو من المعارضين لكامب ديفيد بمثابة عامل جديد يؤدى إلى إفساد علاقات مصر بالولايات المتحدة.

٣ ـ وكان حسنى مبارك إبان عمله نائبا للرئيس السادات من مؤيدى السياسة السلمية، وعندما تولى الحكم فى أكتوبر ١٩٨١ أبدى إهتماما كبيرا باستعادة مصر دورها الهام بين الدول العربية. بالاضافة إلى أن مبارك لم يكن يلجأ إلى المراوغة الإعلامية مثل السادات ولم يكن له نفس التأثير على الإدارة والكونجرس الأمريكى. وكان من نتائج سياسة مبارك القومية أن رد على غزو إسرائيل للبنان بالابطاء فى تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

٤ ـ ونجد أيضا تعثر عملية السلام وزيادة نفوذ إسرائيل من العوامل التى أدت إلى التعثر ومزيد من التعثر فى العلاقات، أدى غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ وفشل السياسة الأمريكية فى إحتواء الموقف بشكل متوازن إلي تعميق الخلاف بين مصر وأمريكا.

وقد أدى الرهان الأمريكى والإسرائيلى على دور الأردن فى تقديم مظلة لتمثيل الفلسطينيين، أن وجدت مصر نفسها خارج مجال الحركة بالنسبة لقضية السلام فى الشرق الأوسط، بمعنى أنها خرجت من المعركة سياسيا.

٥ ـ ثم جاءت مشكلة طابا لتزيد من شكوك مصر لأن واشنطن نظرت إليها بوصفها مشكلة فرعية، أما مصر فقد اكتسبت طابا بالنسبة لها أهمية رمزية.

وكانت حادثة السفينة «أكيلى لاورو» فى أكتوبر ١٩٨٥ وماتبعها من تعامل مصر مع المشكلة وما أدى إليه من قيام طائرات عسكرية أمريكية بارغام طائرة مدنية تحمل الإرهابيين بالهبوط فى إيطاليا، واعتبر مبارك ذلك إهانة وطنية.

إن زيادة فعالية التجسس من قبل وكالة المخابرات المركزية. ومحاولة واشنطن الحصول على قواعد وتسهيلات عسكرية بشكل علنى ومستديم ومعارضة مصر لهذه الصيغة، وأيضا نجد واشنطن بسبب ضخامة المعونات الاقتصادية والعسكرية التى تقدمها إلى مصر، على أساس أن مصر دولة متعاونة تستجيب لمطالب واشنطن وحساسية الموقف المصرى بسبب هذه المعونات حتى لاتجور على استقلالها.

وكان أسلوب التشاور بين البلدين بمثابة عامل جديد للخلاف، إذ أبدت الإدارة الأمريكية ـ كارتر وريجان ـ ترحيبها بالتشاور السياسى مع مصر لتحقيق قدر من التعاون بشأن قضايا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إلا أن التشاور أصبح محدودا فى المسائل الجوهرية لأن القاهرة انتقدت واشنطن لأنها تميل إلى استخدام العصا الغليظة وأنها فى تقديراتها متأثرة بإسرائيل. أما واشنطن فترى مصر متأثرة.بالاعتبارات العربية.

٦ ـ ورغم أن سوريا كانت معادية لمصالح مصر السياسية، منذ عام ١٩٧٤، إلا أن مصر إستاءت من تواطؤ الولايات المتحدة مع إسرائيل ضد سوريا فى لبنان ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ وكان هذا الإستياء بسبب أن هذا التواطؤ أضر بجهود مصر لاستعادة مكانتها العربية، وبنفس الشكل كانت ليبيا معادية لمصر منذ عام ١٩٧٤، ولذا أطلق السادات أجهزة الإعلام ضدها فى هجوم لم يعرف من قبل، إلا أن مبارك أوقف هذه الحملات الإعلامية عندما تولى السلطة عام ١٩٨١ رغم إستمرار حملات القذافى ضد مصر ومناوءته لها فى

تشاد والسودان وتونس. كانت مصر تتبادل الرأى مع الولايات المتحدة حول الخطر الذى يمثله القذافى إلا أن لكل منهما موقف مغاير بالنسبة للإجراءات الواجب اتباعها. وعندما أقدمت الولايات المتحدة فى عام ١٩٨٦ على قصف بنغازى وطرابلس جوا وصفت مصر ذلك بأنه قصر نظر سياسى واشتركت مع الدول العربية الإسلامية فى ادانة القصف.

وقد استاءت القاهرة عندما انكشف التواطؤ الأمريكى الإسرائيلى فى نوفمبر ١٩٨٦ من خلال شحنات الأسلحة السرية الأمريكية إلى إيران فى الوقت الذى ادعت فيه أمريكا أنها تفرض حظرا للسلاح على إيران.

٧ - وعلى خلاف تعاون السادات بشكل كامل فى سياسة الحد من النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط، بدأ مبارك راغبا فى تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وهو اتجاه آثار قلق أمريكا التى تركز فى سياستها الكونية على مناهضة الأتحاد السوفييتى.

وقد تعللت مصر لتفسير خطوتها بسياسة عدم الانحياز، وقد يكون إقدام مصر على هذه الخطوة أشبه بالعلاج السياسى حتى لاتتعرض للخطر بسبب اعتمادها الزائد على الولايات المتحدة.

٨ - وكان تقدير واشنطن لمعالجة مبارك للاعتداء على الديبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة فى أغسطس ١٩٨٥، أنها كانت معالجة تتسم بعدم المبالاه. وقد زاد استياء واشنطن بعد حادث إعتداء مجند مصرى على سبعة من السياح الإسرائيليين فى سيناء، وأكدت أن مبارك لا يقدر خطورة هذه الأعمال. ولما كانت هذه

الاعتداءات من عمل المتطرفين الإسلاميين فقد فسر سلوك مبارك بأنه محاولة لاسترضائهم. وعموما لم تدرك واشنطن المهارة والمرونة الفائقة التى عالج بها مبارك مشكلة الأصوليين الإسلاميين فى مصر.

كما شعرت واشنطن منذ منتصف عام ١٩٨٧ بالقلق من الأعمال الإرهابية ضد الأمريكيين التى يقوم بها الناصريون الجدد.

ومن المسلم به أن التأثير السياسى للناصريين الجدد أضعف من تأثير الأصوليين الإسلاميين، وأيا كانت الاختلافات الأيديولوجية بين الحركتين فإن لهما عدو واحد هو الولايات المتحدة وإسرائيل.

رابعا: عوامل هامة فى علاقات مصر والولايات المتحدة

١ ـ العامل الفلسطينى وغزو إسرائيل للبنان:

= كانت الإتفاقية الثانية لكامب ديفيد عام ١٩٧٨ بداية جديدة للعلاقات المصرية ـ الأمريكية حول القضية الفلسطينية، ولم يكن الأمريكيون متأكدين من إمكانية مصر توجيه منظمة التحرير الفلسطينية نحو السلام رغم أن السادات كان يردد دائما أنه المسيطر على المنظمة وأنه يأمر ياسر عرفات فيطيع. ولأن ولاء السادات للقومية المصرية وليس للقومية العربية فإنه كان يؤيد الأمانى الفلسطينية باللفظ فقط وهو مستعد للوصول إلى حل وسط للقضايا العربية طالما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

● وعندما بدأت مباحثات الحكم الذاتى فى أغسطس ١٩٧٩ أصيب السادات بخيبة أمل نظرا لعدم تحرك كارتر بشكل ايجابى لانجاح

المباحثات لأن ظروف الرئيس الأمريكى كانت بالغة الصعوبة فى ذلك العام. وانتهى الأمر بأن فشلت الأطراف الثلاثة: مصر - أمريكا - وإسرائيل فى تحديد معنى الحكم الذاتى.

- وأقدم السادات على خطوة أحرجت واشنطن - ريجان وهو فى طريقه إلى العاصمة الأمريكية فى زيارة رسمية فى أغسطس ١٩٨١، إذ اقترح إنشاء حكومة فلسطينية فى المنفى. وكان هذا التصرف من السادات مناقضا لما كان يردده أمام القادة الأمريكيين من عدم وجود مصلحة له فى حل المشكلة الفلسطينيه، والواقع أن مصر أرادت تحقيق تسوية مرضيه للقضية لاستعادة مكانتها فى العالم العربى.

- بعد أن أدركت واشنطن متأخرة أنه رغم إدعاءات السادات فإن مصر لا تستطيع أن تتحدث بأسم الفلسطينيين. ولما كانت منظمة التحرير الفلسطينية غير مقبوله لدى إسرائيل كشريك فى المفاوضات، كان المطلوب العثور على متحدث آخر وكان الأردن هو الخيار المنطقى. وجاءت مقترحات ريجان فى سبتمبر ١٩٨٢ لترفض قيام دولة فلسطينية مستقلة، كما ترفض ضم الضفه الغربية وغزة لإسرائيل. وبالتدريج وقر فى ذهن أمريكا أن دور مصر قد أصبح هامشيا بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط. أى تم إخراج مصر عسكريا ثم الآن سياسيا، وقد ابلغت إدارة ريجان هذا التصور لزعماء الدول العربية.

- وفى عام ١٩٨٢ اقتنعت واشنطن بعجز الأطراف العربية عن دفع محادثات السلام، وبأنه يمكن إحداث تقدم بتحريك المشكلة

اللبنانية بالقضاء على الفوضى الداخلية والعمل على إبرام معاهدة سلام بين لبنان وإسرائيل. وقد عارضت مصر هذا التصور وتوقعت فشله لأنها ترى أن المشكله الفلسطينية هى لب الصراع بعكس التصور الأمريكى الإسرائيلى .

- وفى يونيو ١٩٨٢ قامت إسرائيل بغزو لبنان لإزالة الوجود العسكرى الفلسطينى، وأدى عدم تحرك أمريكا لمواجهة هذا الغزو إلى تزايد شكوك مصر. ووجد مبارك نفسه محرجا للغاية وخاصة أن دول الرفض العربية إتهمت مصر بالتواطؤ، وبدا كأن إسرائيل أطلقت يدها فى الشرق الأوسط بعد كامب ديڤيد، وزدات مشاعر العداء ضد أمريكا. وكان الرئيس مبارك يدرس الاجراء المناسب فى هذا الصدد فى إطار التزامات مصر الدولية والعربية، إلا أن مذابح صابرا وشاتيلا فى سبتمبر ١٩٨٢ دفعت مبارك إلى سرعة الحركة وخاصة أن أمريكا كانت قد أعطت تأكيدات مكتوبة للمنظمة بحماية المدنيين فى المعسكرات بعد خروج المقاتلين ولذلك:

- قامت مصر بسحب السفير المصرى من إسرائيل.

- جمدت تطبيع العلاقات.

- سمحت للصحافة بإستئناف الهجوم على إسرائيل.

- وفى إطار تصورات ريجان عن المؤتمر الدولى للسلام والخيار الأردنى، تم التوصل إلى إتفاق بين الأردن والمنظمة فى فبراير ١٩٨٥ ، وأيدت مصر الإتفاق إلا أن أمريكا لم تبذل جهدا لإنجاحه مما أدى إلى تزايد شكوك مصر.

- وابتداء من عام ١٩٨٦ كانت واشنطن وإسرائيل تأملان أن يحل الفلسطينيون فى الداخل محل المنظمة كشريك مع الأردن فى التفاوض، واستمرت مصر بتمسكها بضرورة إشتراك المنظمة وحثت الأردن على إعادة العلاقات مع عرفات ولكن الإدارة الأمريكية لم تتحرك أيضا التحرك الكافى فى نظر مصر.

- وأدت الإنتفاضة الفلسطينية فى ديسمبر ١٩٨٧ إلى إقناع واشنطن بضرورة التدخل الأمريكى إذا أريد منع حدوث المزيد من التدهور السياسى فى الشرق الأوسط، وضغط مبارك أثناء زيارته لواشنطن فى يناير ١٩٨٨ لدفع واشنطن لتحرك عاجل.

٢ـ العامل الإقتصادى:

- فى وقت إبرام إتفاقيتى كامب ديفيد كانت مصر تحصل على حوالى مليار (ألف مليون) دولار معونات إقتصادية وكانت تلح فى طلب معونات أكبر لتتساوى مع إسرائيل. وكانت مصر وإسرائيل أكبر متلقى للمعونه الأمريكية، وتأتى إسرائيل فى المرتبة الأولى.

- وكانت واشنطن تشعر بالقلق لفشل مصر فى علاج العيوب الهيكلية فى نظامها الإقتصادى، رغم أن المعونه حققت إنجاز كبيرا فى مجالات توليد الكهرباء، وصناعة الأسمنت، وصوامع الغلال، وتحسين شبكات الصرف الصحى، وتحسين وسائل الزراعة، وتوفير المواد الغذائية وأصبحت مصر تحصل على قسم من احتياجاتها من القمح والدقيق الأمريكى. ومع هذا لم يلق برنامج

المعونة تأييد الجماهير التى لم تشعر بتحسن فى معيشتها وتحولت المعونة إلى مصدر شك وإحتكاك. وفى المقابل كانت هناك إنتقادات أمريكية من عدم كفاءة وثبات الأجهزة المصرية.

- وكان موضوع الدعم الذى ترى أمريكا ضرورة إلغائه وبتخوف مصر من هذا الإجراء، موضوع خلاف مستمر. وخاصة أنه أدى عام ١٩٧٧ إلى إضطرابات شعبية ضخمة، ولكن مصر وقعت فى مايو ١٩٨٧ إتفاقا مع صندوق النقد الدولى بتخفيض الدعم تدريجيا وتعويم الجنيه المصرى.
- وهناك مشكلة الديون الخارجية وبلغت عام ١٩٨٧ حوالى ٤٤ مليار دولار منها ١٠ مليار تخص أمريكا وكان الخلاف حول إعادة الجدولة وسعر الفائدة.
- ونجد كذلك سياسة الإنفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات ولم تنجح فى إجتذاب رأس المال الأمريكى. واتهمت السياسة بأنها تسببت فى وجود خط استهلاكى ضار وظهور طبقة انتهازية، وربط الأصوليون الإسلاميون بين هذه الفئة وبين الولايات المتحدة واعتبروا هذه السياسة مخططا من الغرب لإبقاء مصر ضعيفة إقتصاديا.

٣ ـ العامل العسكرى:

- منذ وقت مبكر فى عام ١٩٧٤ سعى السادات إلى الحصول على أسلحة ومعونات عسكرية أمريكية وقد وافق فى نفس العام على قيام سفن الأسطول الأمريكى بزيارة وديه لميناء الإسكندرية للإستفادة من خدماتها وكان هذا أمراً مفيداً للولايات المتحده وتتطلع إليه بشغف.

- وكانت المعونه العسكرية وسيله لحصول السادات على تأييد العسكريين المصريين الذين لم يعارضوا فكرة السلام بل عارضوا شروط المعاهدة فقط وشعروا بأن إسرائيل لاتزال الخصم العسكرى لمصر (تصريح المشير أبو غزاله فى مجلس الشعب)، وعارضت إسرائيل إمداد مصر بالسلاح الأمريكى ثم وافقت بشرط ألا يصل الأمر إلى درجة التكافؤ العسكرى معها.

- ولما سأل الكونجرس الأمريكى عن العدو المرتقب لمصر من أجل تزويدها بالسلاح، ردت الإدارة بعبارات غامضة بأنها تواجه التهديد من ليبيا وتحتاج للدفاع عن السودان لحماية منابع النيل، وكذلك إحتمال الدفاع عن دول الخليج الغنية بالبترول فى مواجهة إيران. بالإضافة إلى مواجهة الشيوعية فى دول جنوب الصحراء فى إفريقيا، وقد وافق الكونجرس مع بعض التحفظات بعد موافقة إسرائيل.

- وأدى برنامج المعونة العسكرية، هو الآخر، إلى شكوى المصريين من عدم كفاية المعدات ونقص تطورها وبطء التسليم وهى معونة لا تجئ على مستوى ما يقدم لإسرائيل.

- وقد عرض السادات على أمريكا أن تقوم بتطوير وإصلاح قاعدة رأس بناس المصرية وتقوم بإستخدام إمكاناتها الجوية والبحرية، واهتمت أمريكا بهذا العرض لحاجتها إليه ولموازنة القواعد السوفيتية فى أثيوبيا. وبموت السادات توقفت المحادثات حول هذا الموضوع بفضل قرار مبارك، واعتبرت أمريكا هذا التصرف بمثابة دليل على عدم الثبات فى السياسة المصرية وعدم الإعتماد

على مصر. أما مصر مبارك فقد وجدت فى التواجد الأمريكى الدائم على أرض مصر تعارضا مع سياسة عدم الإنحياز.

- كما حدث خلاف حول تزويد الطائرات الأمريكية بالوقود فى المطارات المصرية بصوره دورية ودائمة وتمسكت مصر بضرورة مناقشة كل حالة على حدة حتى لاتتورط فى عمليات غير مقبوله سياسيا.

- وبنفس الشكل اشترطت مصر بالنسبة للمناورات العسكرية والبحرية المشتركة عدم الإعلان عنها وهو أمر لم ترتح إليه واشنطن .

- وبالنسبة لمرور السفن الحربية الأمريكية التى تستخدم الطاقة الذرية فقد عارضت مصر أول الأمر رغم الضمانات الأمريكية وعادت للموافقه مع زيادة فى الرسوم بدعوى تعطيل مرور السفن وقت المرور الأمريكى.

- وبالرغم من قيام قدر من التعاون العسكرى بين البلدين فإن أمريكا تراه أقل من اللازم بالاضافة إلى أنه عرضة لتغيير الموقف المصرى. وإذا حدث وتوقفت المعونة العسكرية أو ضعفت فإن هذا التعاون سوف يتوقف وقد وضح هذا التمسك بحقوق مصر العسكرية بعد تولى الرئيس مبارك السلطة مباشرة.

- - إن العلاقة الخاصة بين مصر - السادات وبين الولايات المتحدة لم تبدأ متأخرة بل بدأت مع تولى الرئيس السادات السلطة فى أواخر عام ١٩٧٠، وقد دفعته عدة عوامل إلى السير فى طريق اقتنع بصوابه لمصر، وحتى يحافظ على استقرار الحكم فى ظل

ظروف خاصة، ومن ذلك شعوره بالخطر من القوى الداخلية التى آمنت بجدوى الصداقة المصرية السوفييتية لمواجهة إسرائيل والولايات المتحدة، وكان الطريق إلى تسكين هذا الشعور هو مواجهة هذه القوى التى أسماها «مراكز القوى» وقطع صلاته بالصداقة التقليدية مع السوفييت وهو أمر لايقود إلا إلى الطريق الأمريكى بسبب حاجته إلى المعونات الاقتصادية والعسكرية التى سيفقدها بابتعاده عن الاتحاد السوفييتي، وأيضا لاقتناعه بأن حل مشكلة الشرق الأوسط بسبب الدعم الأمريكى الكامل خلف إسرائيل، لن يكون عسكريا، ولذا كانت حرب ١٩٧٣ بمثابة تحريك للموقف الراكد وليس تحرير الأرض، بمعنى أن يكون التحريك طريقا إلى الحوار مع الولايات المتحدة وأيضا لوعيه بخطورة الوضع الاقتصادى وأهمية الوصول إلى صيغة كفيلة بانعاش هذا الاقتصاد، ولذا اجتمع الخوف من «مراكز القوى» والرغبة فى انعاش الاقتصاد المصرى عن طريق واحد هو الطريق الأمريكى.

- وأخذت السياسة الخارجية المصرية سمات جديدة نتيجة دخول مصر منذ عام ١٩٧٤ فى علاقات صداقة وتعاون مع الولايات المتحدة حصلت من ورائها على معونات اقتصادية وعسكرية وزادت هذه المعونات بتوقيع معاهدة السلام مع إسرائيل.
- وأصبحت أبرز سمات السياسة الخارجية المصرية فى عهد الرئيس السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١) هى مايلى:-
- الاهتمام بتدفق المعونة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية إلى مصر وقد تحقق ذلك بالتساهل والتسليم لمطالب أمريكا .

- محاولة ايجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط يتيح لمصر إستعادة مكانتها العربية والإسلامية، ولم يتحقق هذا البعد بسبب التواطؤ الأمريكى مع إسرائيل.
- العمل على فك الانحياز الأمريكى نحو إسرائيل وهو هدف لم يتحقق هو الآخر أيضا.

العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية

- بعد مؤامرة إنشاء الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ وزرعها فى قلب العالم العربى، قامت إسرائيل بأعمال عدوانية توسعية لا إنسانية (منها طرد السكان) ووصل الأمر إلى مأساة يونيو ١٩٦٧ .

وقد تحركت الأمة العربية لإزالة آثار العدوان وفق مقررات مؤتمر القمة بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) وقادت مصر معركة الاستنزاف (١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) كبداية وتجربة وتدريب لمعركة إزالة آثار العدوان بالقوة وتحقق ذلك بمعركة أكتوبر ١٩٧٣ .

- وقد تجرعت إسرائيل فى هذه الحرب ـ رغم إنها كانت حرب تحريك وليست حرب تحرير ـ تجرعت مرارة الخسارة البشرية والاقتصادية والنفسية وعانت ولاتزال من آثارها بعيدة المدى، فقد اسقطت الحرب نظرية الأمن الإسرائيلية وأدت إلى إرهاق الاقتصاد الإسرائيلى وعملت على عزلة إسرائيل عن أصدقائها التقليدين وعن المجتمع الدولى ووجهت ضربة نفسيه إلى جبهة إسرائيل الداخلية وإلى فكرة المجتمع المختار الذى لايخضع بسهولة وإلى الجيش الذى لايقهر.

- وقد انتهى أمر الحرب على النحو الذى فصلناه فى القسم الأول إلى اتفاقيتى فض الاشتباك ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥، ثم قام الرئيس السادات بزيارته المفاجئة إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ .

- ورغم مظاهر حسن النية المصرية ورغبة مصر الصادقة فى السلام الشامل والعادل اقدمت إسرائيل على غزو جنوب لبنان فى مارس ١٩٧٨ مستهدفة سوريا والمنظمة، وفشلت الدول العربية فى مواجهة هذا الغزو كما فشلت محاولات الاتحاد السوفييتى فى التحرك وكان الهجوم أيضا اختبارا لطبيعة تحرك ونوايا السادات.

- وجاء صلح كامب ديڤيد فى ١٩٧٨/٩/١٧ وتبعه مؤتمر بغداد (نوفمبر ١٩٧٨) وقطع الدول العربية علاقاتها بمصر وتعليق عضويتها بالجامعة العربية، ومع ذلك وجدت مصر نفسها تثير مع إسرائيل قضية دير السلطان بالقدس بالطرق الدبلوماسية وهو موضوع ماكان يجب ـ مع حسن النوايا ـ أن تجعله إسرائيل محكاً للنزاع مع كل ماقدمه الرئيس السادات.

- وتمادت العربدة الإسرائيلية باحراج الرئيس السادات وإظهاره ـ بشكل المتواطئ، وكان قد اجتمع مع بيچين فى شرم الشيخ فى ٨١/٦/٤ وبعدها بثلاثة أيام ضربت إسرائيل المفاعل الذرى العراقى (١٩٨١/٦/٥).

وفى ديسمبر ١٩٨١ قبل اتمام انسحابها من سيناء أثارت إسرائيل مشاكل حدودية أبرزها مشكلة طابا بهدف التنصل من إتمام الانسحاب، ثم اقدمت بعد اتمام انسحابها من سيناء فى ٨٢/٤/٢٥ على غزو لبنان فى يونيو من نفس العام، ثم ارتكبت مذابح صابرا

وشاتيلا فى سبتمبر ١٩٨٢ ويلاحظ دائما أن إسرائيل عندما تقدم على تنازل أو إنسحاب أو تعبير عن المرونة لأحد الأطراف تضرب طرفا آخر لتعتدل الكفة فى تصورها وهو أمر يحرج الطرف المستفيد فى تصور المعلقين والمراقبين.

● ثم توالت عربدة وعدوانية إسرائيل وأبرزها:

الغارة الإسرائيلية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس (١٩٨٥). وكشفت صفقات الأسلحة السرية التى أرسلتها الولايات المتحدة إلى إيران بالتواطؤ مع إسرائيل وتم إكتشاف التورط فى نوفمبر ١٩٨٦، والأعمال الوحشية ضد الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت عام ١٩٨٧، ثم الأحداث التى شهدتها فترة التسعينيات وأبرزها الممارسات اللا إنسانية الإسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة ومراوغة إسرائيل فى محاولات السلام التى بدأت بمؤتمر مدريد (أكتوبر ١٩٩١).

الفصل الثالث

مواقف الولايات المتحدة ومبادراتها إزاء النزاع العربى الإسرائيلى حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ م .

المشروعات الأمريكية المكتوبة بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط مقسمة حسب عناصر التسوية

	الرد علي المشروع السوفيتي الأول	ورقة العمل الأمريكية	النقاط الثلاثة عشر	النقاط الأربعة عشر	النقاط العشر
(١) قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر١٩٦٧	إن إسرائيل قد قبلت القرار وتوافق علي تنفيذه بواسطة الاتفاق.	قبول الأطراف المعنية للقرار والاستعداد لتنفيذ كافة بنوده بما يتفق والفقرة الثالثة منه.	قبول الطرفان للقرار ويوافقا على تنفيذه بنية صادقة بالنسبة لكافة بنوده بما يتفق مع الاتفاق النهائى.	تأكيد الطرفان لالتزاماتهما بموجبه والاستعداد لتنفيذه بحسن نية في كافة بنوده.	تأكيد الطرفان لالتزاماتهما بموجبه والاستعداد لتنفيذه بحسن نية فى كافة بنوده.
(٢) المفاوضات	ضرورة اتفاق الأطراف المعنية علي تسوية نهائية على أساس قرار ٢٢ نوفمبر بطريق التفاوض. تنسحب القوات	ضرورة اتفاق الأطراف المعنية على جميع عناصر التسوية قبل بدء تنفيذ أى جزء من القرار. يتبادل الطرفين وجهات النظر الموضوعية بشكل غير مباشر عن طريق يارنج، ثم مباحثات غير مباشرة يعقبها اتصال مباشر فى مرحلة ما.	يجتمع ممثلى الطرفين فى أقرب وقت تحت اشراف يارنج وفى مكان وزمان يحدده الأخير، بهدف التوصل فيما بينهما لاتفاق نهائى وملزم بغرض إقامة سلام عادل ودائم.	يجتمع ممثلى الطرفين تحت اشراف يارنج دون تأخير ليضعا اتفاقا نهائيا ملزما للطرفين بالتبادل بشأن طريقة تنفيذ القرار وبغرض إقامة سلام عادل ودائم.	يتبع ممثلى الطرفين - تحت اشراف يارنج - الاجراءات التى اتبعاها فى ردوس سنة ٤٩، دون تأخير، يحدوهما الأسس التى تتضمنها الأحكام الواردة فيما يلى للتوصل إلى اتفاق نهائى بشأن طريقة تنفيذ القرار وبغرض إقامة سلام عادل ودائم.

(٣) الأنسحاب	الإسرائيلية إلى حدود آمنة وفقا للأتفاق بين الطرفين.	تنسحب القوات الإسرائيلية إلى حدود آمنة ومعترف بها. يرتبط الإنسحاب ارتباطا وثيقا بالالتزام التعاقدى للسلام وبنصوص محدودة للضمانات.	توافق إسرائيل، بعد اتفاق الطرفين على كافة بنود الأتفاق النهائى ودخولها حيز النفاذ، على سحب قواتها إلى الحدود الآمنة والمعترف بها. يجرى تنفيذ الأنسحاب وفقا لبرنامج زمنى ونظام يتفق عليه مع الأطراف.	يحدد الطرفان برنامج زمنى ونظام لسحب القوات الإسرائيلية من أراضى ج.م.ع. تنسحب القوات إلى حدود يتم تخطيطها باتفاق الطرفين كحدود آمنة ومعترف بها. يبدأ الأنسحاب يوم ايداع الإتفاق النهائى بالأمم المتحدة، وينفذ فى مدى ٣ شهور مبدئيا تحت مراقبة ممثلى الأمم المتحدة.	يحدد الطرفان برنامج زمنى ونظام لسحب القوات الإسرائيلية من أراضى ج. م.ع. تنسحب القوات الإسرائيلية إلى حدود ستبين طبقا لهذا المشروع (راجع بند ٦)
(٤)إنهاء حالة الحرب	تنتهى حالة الحرب خلال مرحلة التحول من الهدنة إلى السلام الحقيقى.		يتفق الطرفين علي انهاء كل الدعاوى أو حالات الحرب. ويتفقا على منع الاعتداءات أو التهديد	تنتهى حالة الحرب بين إسرائيل وج.م.ع. منذ اللحظة التى يودع فيها الأتفاق النهائى لدى الأمم المتحدة.	تنهتى حالة الحرب بين إسرائيل وج.م.ع. يمتنع كلا الطرفين عن الأعمال التى تتنافى مع حالة السلام وإنهاء حالة

			بهـا بواسطة قـواته المسلحة. يتفق الطرفان على أن الأعمال العدوانية التي يقوم بها أفراد أو تجمعات أو منظمات من اقليم أحدهما ضد الطرف الآخر لما يتعارض وحالة السلام ويبذلا كل ما بوسعهما للتأكد من أن مثل هذه الأعمال لم تنشأ أو ترتكب داخل أقليم كل منهما.	تمتنع الدولتان وتمنعا جميع الأفراد أو التجمعات على اقليميهما من القيام بأعمال تتنافى مع حالة السلام وانهاء حالة الحرب، ويمتنعا عن التحريض أو تشجيع هذه الأعمال.	الحرب.
(٥) السلام	الهدف هو إقامة سلام حقيقى أنه لا يمكن فرضه بمعرفة الدول الكبرى.	الهدف هو اقامة سلام دائم وعادل يقوم على اتفاق الأطراف المعنية.	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمية اعتبارا من تاريخ دخول الأتفاق النهائى دور التنفيذ. تعترف كلا من	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمى لحظة ايداع الأتفاق النهائى لدى الأمم المتحدة. يحدد الطرفين إتفاقهما حول إرساء السلام،	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمى. لا يجوز لأحد الطرفين القيام بعمل عدوانى أو التهديد به بواسطة قواته المسلحة نظامية كانت أو

			الدولتين وتحترم سيادة الطرف الآخر وحقه فى العيش بسلام بعيدا عن التهديد أو باستعمال القوة. يؤكد الطرفين أنه مما يتنافى فى حالة السلام أن يضع أيا منهما تحفظات على تطبيق المعاهدات بالنسبة للطرف الآخر. تأكيد الطرفين باتباع ماورد فى الميثاق وخاصة المادة ٢ فى علاقاتهما المتبادلة.	بالأتفاق على منع الاعتداءات أو التهديد بها بواسطة قواته المسلحة مع بذل كل مافى طاقتهما للحيلولة دون قيام هيئات حكومية أو مؤسسات أو أفراد بارتكاب أعمال عدائية ضد طرف من أقليم الطرف الآخر.	غيرها ـ برية أو بحرية أو جوية ـ ضد شعب الطرف الآخر أو قواته المسلحة. يتعهد الطرفان بعمل كل مابوسعهما لتأمين عدم حدوث أعمال عدائية وحربية من قبل الهيئات الحكومية أو الخاصة (أفرادا أو منظمات) ضد طرف من أقليم الطرف الآخر. يمتنع كلا الطرفين عن التدخل المباشر أو غير المباشر فى الشئون الداخلية لأيا منهما، لأية أسباب سياسية أو اقتصادية أو غيرها. تأكيد الطرفان باتباع ما

					ورد بالمادة الثانية (فقرة ٣، ٤) من الميثاق.
(٦) الحدود الآمنة	يجرى تعديل الحدود باتفاق الطرفين فى مرحلة التحول من حالة الهدنة إلى السلام الحقيقى وبما يناسب أمن إسرائيل.	وثيقة الأرتباط باعتبارات الأمن الهامة لكلا الطرفين. التعديلات التى تجرى بين الخطوط السابقة وتلك الحالية يجب أن تقتصر على تلك التى يتطلبها الأمن المتبادل وألا تعكس ثقل الغزو.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها بينهما. وتحدد على خرائط تلحق بالأتفاق النهائى. توافق إسرائيل على ألا تستبعد بالضرورة الحدود الإسرائيلية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين تحت الأنتداب كحدود آمنة ومعترف بها.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها بينهما. وتحدد على خرائط تلحق بالأتفاق النهائى، توافق إسرائيل على ألا تستبعد بالضرورة الحدود الإسرائيلية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين تحت الانتداب كحدود آمنة ومعترف بها.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها التى سوف توضح على خريطة أو خرائط تصبح جزءا من الاتفاق النهائى. تصبح الحدود الدولية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين تحت الأنتداب الحدود الآمنة والمعترف بها بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة.
(٧) قطاع غزة				يتفق الطرفين فيما بعد	

		يجب مراعاة ترتيبات خاصة بقطاع غزة.	يتفق الطرفان فيما بعد على تحديد وضع القطاع بمعرفة إسرائيل والأردن وج. م. ع. تحت اشراف يارنج. يسجل ماينتهي إليه الأتفاق بهذا الشأن فى الاتفاق النهائى بين إسرائيل وكل من الدولتين على حده.	على تحديد وضع القطاع بمعرفة إسرائيل والأردن وج.م.ع تحت اشراف يارنج. يسجل ما ينتهي إليه الأتفاق بهذا الشأن فى الاتفاق النهائى بين إسرائيل وكل من الدولتين على حده. وتكون الموضوعات التالية محل اعتبار: * مسألة سحب قوات إسرائيل. * نزع سلاح غزة وإجراءات الأمن الأخرى. * امكانية تواجد إدارة مؤقتة للأمم المتحدة. * الوضع النهائى لغزة.	يتفق الطرفان على ترتيبات الأمن العملية التى تناسب الوضع النهائى لغزة.

(٨) القدس		يكون للأردن دور مدنى واقتصادى ودينى محدد فى القدس التى يجب أن تبقى موحده وأن يكون هناك ترتيبات معينة من شأنها ضمان حقوق سائر الأديان.			
(٩) شرم الشيخ	يراعى بشأنها القدر الأقصى من الترتيبات الآمنة بالنسبة لحقوق الملاحة عبر مضايق تيران. مطالب إسرائيل عن ضرورة تواجد قواتها فى شرم الشيخ ترتبط بما يتوصل إليه الطرفين فى إطار التسوية.	يتطلب الأمر ترتيبات خاصة بشرم الشيخ. تأمين حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل فى خليج العقبة.	يؤكد الطرفان بأن خليج العقبة ممر مائى دولى ويتعهدا بأنهما وكل الدول سيحصلا على حرية الملاحة بدون تمييز أو تدخل. ضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران بواسطة الطرفين.	يعلن كلا الطرفين أن مضيق تيران ممر مائى دولى، ويؤكدان مبدأ حرية الملاحة فى مضيق تيران وخليج العقبة لسفن جميع الدول. يتفق الطرفان على إجراءات الأمن بالنسبة لمنطقة شرم الشيخ والتى تضمن برضا ـ ما المتبادل ـ تأمين حرية الملاحة دون رجوع فى	يتفق الجانبان ويؤكد مجلس الأمن أن مضيق تيران هو ممر مائى دولى وأن لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل حرية المرور فيه وفى خليج العقبة. يتفق الجانبان على ترتيبات الأمن العملية بمنطقة شرم الشيخ لتأمين حرية الملاحة عبر مضيق تيران.
(١٠) قناة السويس	ضرورة التفاوض بين				

	الأطراف على ضمان الحقوق الملاحية الواردة فى الفقرة الثانية (٩) من قرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .	تأمين حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل فى قناة السويس.	يؤكد كلا الطرفين ويعلنا بأن قناة السويس ممر مائى دولى، ويتعهدا بأنهما وكل الدول سيحصلا على حرية الملاحة بدون تمييز أو تدخل. يضمنا كلاهما حرية الملاحة فى القناة.	ذلك. وتؤكد ج.م.ع حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها اسرائيل دون تمييز أو تدخل وذلك من خلال ممارستها لحقوقها على القناة. يتفق الطرفان على التنسيق بين أعمال تطهير القناة واستئنافها للملاحة وبين انسحاب القوات الإسرائيلية.	تؤكد. ج.ع.م. حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل فى قناة السويس دون تمييز أو تدخل، وذلك من خلال ممارستها لسيادتها على القناة.
(١١) المناطق المجردة من السلاح	نزع سلاح سيناء بالكامل على أساس أن حربى ٥٦، ٦٧ قد نشأت بسبب الأحداث والنشاط فيها. وجوب الاتفاق بين الولايات المتحدة	ينزع سلاح مناطق معينة «حساسة».	يوافق الطرفان على أن المناطق التى تنسحب منها القوات الإسرائيلية يجرى تجريدها من السلاح. ويتفقا تحت إشراف	تقام مناطق منزوعة السلاح تتكون من الأراضى التى تنسحب منها إسرائيل. لايجب أن تتيح هذه المناطق ميزة لأى من	يتفق الجانبان على المناطق التى يجرى تجريدها من السلاح، وعلى الاجراءات التى تؤمن ذلك، وذلك بما يضمن سلامة أراضى

	والاتحاد السوفيتى حول مستويات التسلح والحد منها فى المنطقة.		يارنج على الاجراءات الخاصة بالرقابة على تجريد هذه المناطق من السلاح.	الطرفين، وتقتصر القيود بالنسبة لادارتها على المسائل العسكرية البحتة. يضع الطرفان الاجراءات الخاصة بتأمين وضع المناطق المجردة من السلاح مستخدمين إمكانيات الأمم المتحدة على النحو الذى يتم به اتفاقهما.	الجانبين والحدود الآمنة والمعترف بها بينهما.
(١٢) اللاجئين		تتضمن التسوية مايكفل حل مشكلة اللاجئين. يجب أن يتاح للاجئين مباشرة حقهم فى الاختيار بحرية بين العودة أو إعادة التوطين	يقبل كلا الطرفين المبدأ بأن لاجئ ١٩٤٨ الخاضعين لأشراف وكالة الغوث لهم الخيار بين العودة لاسرائيل أو إعادة التوطين مع التعويض.	يقبل كلا الطرفين المبدأ بأن لاجئ ٤٨ الخاضعين لاشراف وكالة الغوث لهم الخيار بين العودة أو اعادة التوطين مع التعويض. يعترف الطرفان بالحاجة العملية لتنفيذ	يلتزم الطرفان بأحكام التسوية العادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لما يتضمنه الأتفاق النهائى بين الأردن وإسرائيل، كما يشاركا فى وضع أحكام هذه التسوية إذا اعتبر السفير يارنج هذا

		مع التعويض. يتفق الأطراف على الكيفية التى يمكن أن تسير المشكلة بموجبها لفترة ممتدة.	يوافق الطرفان على أنه بهدف تحقيق مثل هذه التسوية، يجب تحديد والموافقة على الاجراءات والشروط التى بموجبها يمكن تنفيذ العودة وإعادة التوطين وكذلك العدد الكلى للعائدين. يوافق الطرفان على أن هذه الاجراءات والشروط ستجرى تحت اشراف يارنج بواسطة اسرائيل وج. م. ع وأطراف أخرى منها بصفة خاصة الأردن إذا رأى يارنج ذلك ضروريا ومرغوبا فيه. يتفق الطرفان على أن	ماتقدم عن طريق اجراءات وشروط يقبلها الطرفان بالتبادل. توضح هذه الاجراءات الشروط الخاصة بالعودة وكذا نسبة المقبولين سنويا والاجراءات والشروط والنسب المتقدمة تحت اشراف يارنج بين إسرائيل وج. م. ع وأطراف أخرى معها بصفة خاصة الأردن إذا رأى يارنج ذلك ضروريا ومرغوبا فيه. يتفق الطرفان على أن تنفيذ باقى أحكام الأتفاق النهائى لا يحتاج الأنتظار حتى يتم التنفيذ الكامل	أمرا مرغوبا فيه. يكون مفهوماأن الاتفاق بين ج. م.ع وإسرائيل يجرى متوازيا مع اتفاق بين الأردن وإسرائيل شامل لتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين. ولا يبدأ تنفيذ كلا الاتفاقية إلا بعد الأتفاق على كافة البنود ككل.

			تنفيذ باقى أحكام الاتفاق النهائى لا يحتاج الانتظار حتى يتم تنفيذ كامل لتسوية مشكلة اللاجئين.	لتسوية مشكلة اللاجئين. يتفق الطرفان علي أن تصل المجوعة الأولى من اللاجئين الذين اختاروا العودة إلى إسرائيل خلال ٣ شهور من دخول الأتفاق النهائى دور النفاذ.	
(١٣) الأعتراف			يتفق الطرفان بالتبادل على أحترام والأعتراف بسيادة كل منهما ووحدة اقليمه، وعدم جواز انتهاكه واستقلالها السياسى وبحق كل طرف فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها متحررة من استعمال القوة أو التهديد بها.	إن ج٠م٠ع وإسرائيل باتفاقهما المتبادل تحترمان وتعترفان بسيادة كل منهما ووحدة اقليمه وعدم جواز انتهاكه واستقلالها السياسى، وبحق كل طرف فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها متحررة من استعمال القوة أو التهديد بها.	أن ج.م.ع وإسرائيل باتفاقهما المتبادل تحترمان وتعترفا بسيادة كل منهما وبوحدة اقليمه وبعدم جواز انتهاكه، وباستقلاله السياسى، وبحق كل طرف فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها دون التعرض للتهديد بالقوة أو باستخدامها.

(١٤) وثيقة الصلح		يجب أن يكون هناك التزامات متبادلة بين الأطراف بشأن التسوية. وجوب تحديد التزام تعاقدى للسلام مصحوب بنصوص محدودة للضمانات.	يتفق الطرفان على أن الاتفاق النهائى والذى يوقع عليه من كلاهما سيودع طرف مجلس الأمن للتصديق. الاتفاق النهائى الموقع عليه يعتبر نافذا بالتوقيع عليه وبعد الاجراءات من قبل مجلس الأمن، ويبدأ بذلك تنفيذ الأطراف لالزاماتهما وفقا لشروط الأتفاق النهائى.	يسجل الأتفاق النهائى فى وثيقة يوقعها الطرفان تودع فورا لدى الأمم المتحدة، وبعد الإيداع يطلب الطرفان مباشرة من السكرتير العام أخطار مجلس الأمن وجميع أعضاء الأمم المتحدة بهذا الخصوص. بالنسبة لتنفيذ الأتفاق النهائى يكون مفهوما لدى الأطراف الطابع التبادلى والمترابط لالتزاماتهما وأنه منذ لحظة ايداعها فإن الوثيقة تصبح ملزمة وغير جائز الرجوع فيها وتبدأ بذلك تنفيذ ومراقبة الأطراف لبنود	يسجل الأتفاق النهائى فى وثيقة يوقعها الطرفان وتودع فورا لدى الأمم المتحدة. وبعد الايداع يطلب الطرفان مباشرة من السكرتير العام اخطار مجلس الأمن وجميع أعضاء الأمم المتحدة بهذا الخصوص. منذ لحظة الايداع، تصبح الوثيقة ملزمة وغير جائز الرجوع فيها وتبدأ بذلك تنفيذ ومراقبة الأطراف لبنود الأتفاق. بالنسبة لتنفيذ الأتفاق النهائى. يكون مفهوما لدى الأطراف الطابع التبادلى والمترابط

				الأتفاق.	لالتزاماتهما، وينص الاتفاق النهائى على أن الانتهاك المادى له من قبل أحد لأطراف يعطى الطرف الآخر أساسا يوقف بموجبه تنفيذ الاتفاق كلية أو جزئيا
(١٥) الضمانات الدولية	توجيه جهود الدول الكبرى لوقف الزيادة الخطيرة فى عمليات الإرهاب العربى.	لاتستثني المساومة الدولية كأحد عناصر الضمان الشامل لأحكام التسوية، وذلك فى شكل ابدائها لوجهات النظر حول كيفية تحقيق اتفاق شامل بين الأطراف.	يصدق مجلس الأمن على الأتفاق النهائى الموقع من قبل الطرفين. يسجل الأتفاق النهائى بعد توقيعه فى هيئة الأمم المتحدة وفقا للمادة ١٠٢ من الميثاق. يتخذ مجلس الأمن الإجراءات المناسبة لتنفيذ الأتفاق.	يقدم الأتفاق النهائى مرفقا به الخرائط لمجلس الأمن لاعتماده. استخدام امكانيات الأمم المتحدة اذا اتفق الطرفان على ذلك ضمن اجراءات تأمين المناطق المجردة من السلاح. يكون مفهوما أن الدول الأربع الكبرى ستتقدم بقرار مناسب لمجلس	حتى تتم علاج ذلك الانتهاك. يوافق الطرفان على تقديم الأتفاق النهائى إلى مجلس الأمن لاعتماده. يكون مفهوما أن الدول الأربع الكبرى ستتقدم بقرار مناسب لمجلس الأمن مؤيد فيها مع تعهد ببذل جهودها مستقبلا لمساعدة الأطراف على التمسك

				الأمن مؤيد فيها بتعهد خاص ببذل جهودا مستقبلا لمساعدة الطرفين على التمسك بكافة أحكام الأتفاق النهائى.	بكافة أحكام الاتفاق النهائى.

القسم السادس

اتفاقية كامب دافيد وما بعدها

الفصل الأول

مقدمات ونصوص اتفاقيتى «كامب دافيد»

والخطابات المتبادلة بين كل من الرئيس «كارتر»

والرئيس «السادات» ورئيس وزراء إسرائيل «مناحم بيجين».

الفصل الثانى

نبذة عن الشخصيات الرئيسية

التى ساهمت فى إنجاز إتفاقيتى «كامب دافيد»

الفصل الأول

تمهيد :

(أ) هناك علامات على التاريخ تميز مراحل تاريخية معينة عن غيرها، ومثال ذلك مايقال عن حدث أنه وقع قبل الميلاد أو بعد الميلاد (ميلاد السيد المسيح) .

- وحدث آخر فيقال قبل ثورة يوليو المصرية أو بعدها.
- وقبل نكسة يونيو ١٩٧٦ وبعدها.
- وقبل نصر أكتوبر ١٩٧٣ وبعده.
- وأيضا يمكن أن نعد اتفاقيتى كامب دافيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ بمثابة علامة هامة فى تاريخ النظام الاقليمى ومنطقة الشرق الأوسط إذ قامت بالفصل بين مرحلتين: ماقبل كامب دافيد ومابعدها.

(ب) ويقاس أى حدث بنتائجه، ووفق هذا التصور فإن حدث كامب دافيد ضخم، أنه أحدث تغيرات ضخمة على المسرح السياسى لإسرائيل فى فترة ما بعد عام ١٩٧٨ ، فقد إزداد الإنقسام الإسرائيلى حدة فى المجالين السياسى والإجتماعى. واهتزت

الثـوابت الإسـرائيليـة التى كـانت بـارزة منذ عـام ١٩٤٨ . وأصـبح السلام حقيقة لأنه قام واستمر مع أكبر دولة عربية وهى مصر.

وعلى الصعيد العربى: ترسخت مفاهيم كامب دافيد بوصفها حقيقة تاريخية وخاصة بزوال الاتحاد السوفييتى، القطب الدولى الثانى، وقامت صيغة مدريد على أساس كامب دافيد، وكذلك ارتكزت صيغة اتفاقية غزة - أريحا، على فقرات كاملة من كامب دافيد، تدور حول فكرة الحكم الذاتى الفلسطينى.

كما أدى خروج مصر من المواجهة العسكرية بتنفيذ إتفاقية كامب دافيد أن أصبحت فرص الحرب العربية - الإسرائيلية تتلاشى تدريجيا لتحل محلها ضرورات السلام وفق مبدأ الأرض مقابل السلام.

وبعد كامب دافيد تغيرت الأولويات لتحل محل الحرب والمواجهة:

- أولوية الأندماج الأقتصادى والاجتماعى فى الشرق الأوسط بالنسبة لإسرائيل وصولا إلى التنمية والرخاء عبر الاستقرار.

- وفى الدول العربية برزت أولويات التنمية والأستقرار واالديمقراطية ودعم حقوق الإنسان.

(جـ) وهناك دفعة تاريخية رئيسية نتجت عن كامب دافيد وهو ظهور ضرورة للاندماج الاقتصادى والاجتماعى ومن ثم السياسى لكل دول الشرق الأوسط لأن هذا الدمج هو الوسيلة الرئيسية لإزالة شبح الحرب بشكل نهائى، ولذلك شملت عملية

التفاوض فى مدريد، وبعدها، عدة مسويات تدور حول التعاون الإقتصادى وتطبيع العلاقات ودراسه موضوعات مثل المياه والأمن والتبادل الأقتصادى والثقافى.

وقد يؤدى هذا الدفع إلى قيام سوق شرق أوسيطة، وربما فى المستقبل بناء نظام شرق أوسطى يقوم على المصالح والتعاون بدلا من المواجهة والحروب.

(د) ومع ذلك فإن كل ما سبق مشروط بضرورة أن تكتمل إجرءات كامب دافيد بأن تتحول عملية السلام إلى:

- عملية دائمة.

- عملية شاملة.

- وعادلة.

- وتتجه إلى علاقات قائمة على تبادل المنافع وليس الاستثمار بالمنافع والمغانم.

- وأن تصبح الولايات المتحدة شريكا بالفعل لصنع السلام والاستقرار، وهذا يتطلب منها عدم الإنحياز وعدم تفضيل إسرائيل وخاصة تسامحها فى مجال التسلح النووى الإسرائيلى.

اتفاقيتا كامب دافيد، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ :

مقدمة :

إن السعى نحو السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بما يلى:

- إن الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين إسرائيل وجيرانها، وهو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه.

- بعد أربع حروب وقعت خلال ثلاثين سنة، وبالرغم من الجهود البشرية المكثفة، فإن الشرق الأوسط، مهد الحضارة ومكان ولادة ثلاث ديانات عظيمة، لم يستمتع حتى الآن ببركات السلام. إن شعوب الشرق الأوسط تتطلع إلى السلام، حتى يمكن تحويل موارد المنطقة البشرية والطبيعية الهائلة إلى نشدان السلام، ومن أجل أن تتمكن هذه المنطقة من أن تصبح نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم.

- إن مبادرة الرئيس السادات التاريخية المتمثلة بزيارته للقدس، والإستقبال الذى قابله به برلمان وحكومة وشعب إسرائيل، والزيارة المقابلة التى قام بها رئيس الوزراء بيجين إلى الإسماعيلية، وعروض السلام التى قدمها الزعيمان، بالإضافة إلى الترحيب الحار الذى قابل به شعبا الدوليتن، هاتين المهمتين، قد أوجدت فرصة للسلام لا سابق لها، يجب أن لا تضيع، إذا كان لهذا الجيل والأجيال المقبلة أن تتجنب مآسى الحرب.

- أن نصوص ميثاق الأمم المتحدة، والقواعد الأخرى المقبولة فى القانون الدولى والشرعية الدولية، توفر الآن مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول.

- من أجل تحقيق إقامة علاقة سلام بموجب روح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة، فإن إجراء مفاوضات بين إسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادىء القرارين ٢٤٢، ٣٣٨.

- إن السلام يتطلب إحتراما للسيادة، وسلامة إقليمية وإستقلالا سياسيا لكل دولة فى المنطقة، وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، خالية من التهديدات أو أعمال العنف، وأن التقدم نحو ذلك الهدف يمكنه أن يسرع التحرك نحو عهد جديد من المصالحة فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون فى تعزيز النمو الإقتصادى وفى المحافظة على الإستقرار، وفى ضمان الأمن.

- فالأمن يتعزز بعلاقات سليمة، وبتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية. وبالإضافة إلى ذلك، وبموجب شروط معاهدات السلام، تستطيع الأطراف على أساس التبادل، أن تتفق على ترتيبات أمنية خاصة، مثل مناطق منزوعة السلاح، ومناطق محدودة التسلح، ومحطات إنذار مبكر، ووجود قوات دولية، وإقامة إتصال متبادل، وتدابير مراقبة متفق عليها، وترتيبات أخرى يوافقون على أنها مفيدة.

مع أخذ هذه العوامل فى الأعتبار. فإن الطرفين مصممان على التوصل إلى تسوية عادلة شاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط، من خلال عقد معاهدات سلام، تستند إلى قرارى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ٣٣٨، بجميع أجزائها. أن الهدف هو تحقيق سلام وعلاقات جوار حسنة. وهما يعترفان بأنه إذا كان للسلام أن يدوم ، فإنه يجب أن يتناول جميع الذين تأثروا بصورة عميقة بالنزاع. ولهذا فإنهما يتفقان على أن إطار العمل هذا بإعتباره ملائما، قد قصدا به أن يشكل أساسا للسلام، ليس فقط بين مصر وإسرائيل، بل أيضا بين إسرائيل وكل من جيرانها، الذين هم على إستعداد للتفاوض بشأن السلام مع إسرائيل على هذا الأساس، ومع وجود هذا الهدف ماثلا فى الذهن.

وفى إطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط، فقد اجتمع محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، ومناحم بيجين، رئيس وزراء إسرائيل بجيمى كارتر، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، فى كامب دافيد من الخامس من سبتمبر حتى السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨، واتفقا على إطار العمل التالى، للسلام فى الشرق الأوسط، وهما يدعوان الأطراف الأخرى فى النزاع العربى الإسرائيلى للتقيد به.

إطار العمل:

(أ) الضفة الغربية وغزة:

١- على مصر وإسرائيل والأردن، وممثل الشعب الفلسطيني، أن يشتركوا في مفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بجميع وجوهها. ولتحقيق ذلك الهدف، يجب أن تتم المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة على ثلاث مراحل:

(أ) إن مصر وإسرائيل تتفقان على أنه من أجل ضمان انتقال سلمي ومنظم للسلطة، ومع الأخذ بالحسبان الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف، يجب أن تكون هناك ترتيبات إنتقالية للضفة الغربية وغزة، لمدة لا تتجاوز الخمس سنوات.

ومن أجل توفير حكم ذاتي تام للسكان، فإن الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية، سوف تنسحب حالما يجرى إنتخاب سلطة حكم ذاتي إنتخابا حرا، من قبل سكان هذه المناطق، لتحل محل الحكومة العسكرية القائمة. ومن أجل التفاوض حول تفاصيل الترتيبات الإنتقالية، ستدعى حكومة الأردن إلى الإشتراك في المفاوضات على أساس إطار العمل هذا. ويجب أن تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتباراً مناسباً لمبدأ الحكم الذاتي من قبل سكان هاتين المنطقتين وللاهتمامات الأمنية الشرعية للأطراف المعنية في آن معا.

(ب) ستتفق مصر وإسرائيل والأردن على كيفية إنشاء سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة الغربية وغزة. وقد يتضمن وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة، أو فلسطينيين آخرين، كما يتفق على هذا الأمر بصورة متبادلة.

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة. وسيجرى سحب القوات الإسرائيلية المسلحة، وستتم إعادة تمركز القوات الإسرائيلية المتبقية في مواقع أمنية معينة.

وستتضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لضمان الأمن الداخلي والخارجي والنظام العام. وسيتم إنشاء قوة بوليس محلية قوية، قد تشتمل على مواطنين أردنيين. إضافة إلى ذلك

ستشترك القوات الإسرائيلية والقوات الأردنية فى دوريات مشتركة، وفى تزويد مراكز المراقبة بالرجال من أجل ضمان الحدود.

(جـ) وعندما يتم إنشاء سلطة الحكم الذاتى (وهى المجلس الإدارى) فى الضفة الغربية وغزة، وتباشر هذه السلطة أعمالها، ستبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية. وفى أسرع وقت ممكن، ولكن فى وقت لا يتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقالية، ستجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما بجيرانهما، ولعقد معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن فى نهاية الفترة الانتقالية.

وستجرى هذه المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن، وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة المنتخبين، وسيعقد اجتماع للجنتين مستقلتين ولكن مرتبطتين. إحداهما تتألف من ممثلين للأطراف الأربعة التى ستتفاوض وتتفق بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها. وتتألف اللجنة الثانية من ممثلين عن إسرائيل وممثلين عن الأردن يشترك معهم ممثلون منتخبون من قبل سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن، آخذين فى الاعتبار الاتفاقية التى يتم التوصل إليها بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة.

إن المفاوضات سترتكز على جميع نصوص ومبادئ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وستسوى المفاوضات بين أمور أخرى: موقع الحدود، وطبيعة ترتيبات الأمن. ويجب أيضا أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ومتطلباته العادلة. وبهذه الطريقة سيشترك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم عن طريق:

١ ـ المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة للاتفاق على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وغير ذلك من القضايا المعلقة، فى موعد أقصاه نهاية الفترة الانتقالية.

٢ ـ عرض اتفاقهم للتصويت من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة.

٣ ـ تمكين الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة من أن يقرروا كيف سيحكمون أنفسهم فى صورة تتمشى مع بنود اتفاقهم.

٤ ـ المشاركة حسبما ذكر أعلاه، فى عمل اللجنة التى تجرى المفاوضة حول معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن.

٢ ـ جميع الاجراءات اللازمة ستتخذ وجميع النصوص ستوضع لضمان أمن إسرائيل وجيرانها أثناء الفترة الانتقالية وما وراءها.

وللمساعدة فى توفير مثل هذا الأمن، سيجرى تشكيل قوة بوليس محلية قوية من قبل سلطة الحكم الذاتى. وستتألف هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة. وسيبقى البوليس على اتصال متواصل حول شؤون الأمن الداخلى مع الضباط الإسرائيليين والأردنيين والمصريين المعتمدين.

٣ ـ أثناء الفترة الانتقالية، سيشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى، لجنة مستمرة لتبت بالاتفاق فى كيفية معالجة إدخال أشخاص شردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧، مع الاجراءات اللازمة لمنع الفوضى والاضطراب، كذلك يمكن لهذه اللجنة معالجة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك.

٤ ـ ستعمل مصر وإسرائيل مع بعضهما، ومع الأطراف الأخرى المعنية، على وضع اجراءات متفق عليها لتنفيذ فورى وعادل ودائم لحل مشكلة اللاجئين.

(ب) مصر وإسرائيل

١ ـ تتعهد مصر وإسرائيل بألا تلجأ إلى التهديد با قوة أو استعمالها لتسوية النزاعات. وأن أية نزاعات ستسوى بوسائل سلمية وفق نصوص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة.

٢ ـ لكى يتم تحقيق السلام بينهما، يوافق الفريقان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا، بينما تدعى أطراف النزاع الأخرى للمضى فى نفس الوقت فى التفاوض وعقد معاهدات سلام مماثلة

بقصد تحقيق سلام شامل فى المنطقة . وسيحكم إطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، مفاوضات السلام بينهما . وسيوافق الفريقان على كيفية المعالجة وجدول زمنى لتنفيذ تعهدهما بموجب المعاهدة .

(جـ) مبادئ مرافقة

١ - تعلن مصر وإسرائيل أن المبادئ والنصوص المشروحة أدناه يجب أن تنطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وكل واحدة من جاراتها: مصر والأردن وسوريا ولبنان.

٢ - إن الموقعين أدناه سينشئان فيما بينهما علاقات طبيعية كتلك القائمة بين دول فى سلام مع بعضها . ومن أجل هذه الغاية يجب أن يتعهدا بالالتزام بجميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة . وتشمل الخطوات التى ستتخذ فى هذا الصدد:

(أ) الاعتراف الكامل.

(ب) إزالة المقاطعة الاقتصادية .

(جـ) الضمان بأن مواطنى الأطراف الأخرى الذين تحت سلطتهما القضائية سيتمتعون بحماية عملية القانون المناسبة .

٣ - يجب أن يتقصى الموقعان الإمكانيات من أجل تطور اقتصادى فى اطار معاهدات سلام نهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصداقة الذى هو هدفهما المشترك .

٤ - يمكن إنشاء لجان مطالبة من أجل التسوية المتبادلة لجميع المطالب المالية .

٥ - ستدعى الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات حول مسائل تتصل بكيفية معالجة تنفيذ الاتفاقات ووضع جدول زمنى لتطبيق تعهدات الطرفين .

٦ - سيطلب من مجلس الأمن الدولى بأن يصادق على معاهدات السلام ويضمن بألا تخرق

نصوصها. وسيطلب من أعضاء مجلس الأمن الدائمين بأن يكفلوا معاهدات السلام ويضمنوا الاحترام لنصوصها، وسيطلب منهم أيضا بأن يجعلوا سياساتهم وتصرفاتهم متمشية مع التعهدات الواردة فى إطار العمل هذا.

عن حكومة جمهورية مصر العربية — **عن حكومة إسرائيل**

أنور السادات — **مناحم بيجين**

شاهد التوقيع

چيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

إطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل.

لكي يتحقق سلام بين مصر وإسرائيل. توافق الدولتان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا.

لقد اتفق على:

أن مكان المفاوضات سيكون تحت علم هيئة الأمم المتحدة في موقع أو مواقع يتفق عليها في صورة متبادلة.

جميع مبادئ قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ستطبق في هذا الحل للنزاع بين مصر وإسرائيل.

ما لم يتفق على غير ذلك في صورة متبادلة، ستنفذ شروط معاهدة السلام خلال مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات بعد التوقيع على معاهدة السلام.

لقد اتفق على الأمور التالية بين الفريقين:

(أ) الممارسة الكاملة للسيادة المصرية على الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب.

(ب) انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من سيناء.

(جـ) استعمال المطارات التي يتركها الإسرائيليون قرب العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض السلمية فقط، بما في ذلك الاستعمال التجاري الممكن من قبل جميع الدول.

(د) حق المرور الحر لسفن إسرائيل عبر خليج السويس وقناة السويس على أساس انطباق ميثاق القسطنطينية لعام ١٨٨٨ على جميع الدول، وأن مضيق تيران وخليج العقبة هما ممران مائيان دوليان يجب أن يكونا مفتوحين لجميع الدول من أجل حرية ملاحة غير معرقلة وغير متوقفة وتحليق جوي.

(هـ) بناء طريق برى عريض بين سيناء والأردن وقرب إيلات مع مرور حر وسلمى مضمون لمصر والأردن.

(و) مرابطة قوات عسكرية كما هو مبين أدناه.

مرابطة القوات

(أ) لايسمح بمرابطة أكثر من فرقة واحدة «مدرعة أو مشاة» من القوات المصرية المسلحة داخل منطقة تقع على مسافة ٥٠ كيلو مترا تقريبا إلى الشرق من خليج السويس وقناة السويس.

(ب) إن قوات الأمم المتحدة وقوات البوليس المدنى المزودة بأسلحة خفيفة لإنجاز المهام البوليسية العادية، هى فقط سترابط ضمن منطقة تقع غربى الحدود الدولية وخليج العقبة، ويتراوح عرضها بين ٢٠ كيلو مترا و٤٠ كيلو مترا.

(جـ) داخل المنطقة الواقعة على مسافة ٣ كيلو مترات إلى الشرق من الحدود الدولية، ستكون هناك قوات إسرائيلية عسكرية، لا تتجاوز أربع كتائب مشاة، ومراقبون دوليون.

(د) ستكمل وحدات من دوريات الحدود لا تتجاوز الثلاث كتائب، البوليس المدنى، فى المحافظة على النظام فى المنطقة غير المشمولة أعلاه.

سيتقرر التخطيط الدقيق للمناطق أعلاه خلال مفاوضات السلام.

يمكن إقامة محطات للإنذار المبكر لضمان الامتثال لنصوص الاتفاق.

سترابط قوات الأمم المتحدة ـ

(أ) فى جزء من منطقة سيناء الواقعة ضمن حوالى ٢٠ كيلو مترا من البحر الأبيض المتوسط ومتاخمة للحدود الدولية.

(ب) ـ فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور عبر مضيق تيران. وهذه القوات لن

تسحب ما لم يوافق على هذا الانسحاب مجلس الأمن الدولى بتصويت إجماعى للأعضاء الدائمين الخمسة.

بعدما توقع معاهدة سلام، وبعدما يكتمل الانسحاب المرحلى، ستقام علاقات طبيعية بين مصر ورسرائيل، بما فى ذلك: الاعتراف الكامل، ويشمل العلاقات الديبلوماسية والاقتصادية والعوائق التى تعترض التنقل الحر للسلع والأشخاص، والحماية المتبادلة للمواطنين بعملية القانون المناسبة.

الانسحاب المرحلى

خلال فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وتسعة أشهر بعد توقيع معاهدة السلام، ستنسحب جميع القوات الإسرائيلية إلى الشرق من خط يمتد من نقطة تقع شرقى العريش إلى رأس محمد، وسيتحدد الموقع الدقيق لهذا الخط باتفاق متبادل.

عن حكومة جمهورية مصر العربية. **عن حكومة إسرائيل**

أنور السادات مناحم بيجين

شاهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل إلي الرئيس جيمي كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس،

لى الشرف أن أبلغك بأنه خلال أسبوعين من عودتى إلى بلادى سأقدم اقتراحا للبرلمان الإسرائيلى (الكنيست) لكى يتخذ قرارا حول الموضوع التالى:

إذا ما اتفق أثناء المفاوضات حول عقد معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر على جميع القضايا المعلقة، «هل تحبذون إزالة المستوطنات الإسرائيلية من مناطق سيناء الشمالية والجنوبية أم تحبذون إبقاء المستوطنات المذكورة آنفا فى تلك المناطق؟».

إن التصويت على هذا الموضوع ياسيادة الرئيس سيكون متحررا كليا من القواعد الحزبية البرلمانية المألوفة من حيث الأئتلاف رغم أنه يلقى الآن تأييدا من ٧٠ عضوا من أصل ١٢٠ عضوا، فإن كل عضو فى الكنيست، حسبما أعتقد، من مؤيد للحكومة ومعارض لها، سيتمكن من التصويت حسبما يمليه عليه ضميره.

المخلص

التوقيع

مناحم بيجين

رسالة من الرئيس جيمي كارتر الي الرئيس المصري أنور السادات، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزي السيد الرئيس،

أنقل إليكم هنا نسخة من رسالة وردت إلى من رئيس الوزراء بيچين يشرح فيها كيف يقترح عرض قضية مستوطنات سيناء على الكنيست لكى يتخذ الأخير قراره.

وفى هذا الصدد أفهم من رسالتكم أن موافقة الكنيست على سحب جميع المستوطنين من سيناء وفق جدول زمنى ضمن المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام هى شرط أساسى لأية مفاوضات حول معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل.

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

مرفق: رسالة من رئيس الوزراء مناحم بيچين

رسالة من الرئيس المصري أنور السادات إلي الرئيس جيمي كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس:

بصدد « إطار العمل لتسوية فى سيناء» يجرى توقيعه هذا المساء، أود أن أعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى المستوطنات:

١ ـ جميع المستوطنين الإسرائيليين يجب أن ينسحبوا من سيناء وفق جدول زمنى خلال المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام.

٢ ـ إن موافقة الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ الأساسى هى لذلك شرط أساسى لبدء مفاوضات السلام من أجل عقد معاهدة سلام.

٣ ـ إذا تعذر على إسرائيل تلبية هذا التعهد سيصبح «إطار العمل» لاغيا وباطلا.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس جيمي كارتر الي مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء:

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتى تشرح كيف تنوى أن تطرح مسألة مستقبل المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء أمام الكنيست من أجل قراره بشأنها.

مرفق طيه نسخة من كتاب الرئيس السادات إلىّ حول هذا الموضوع.

المخلص

التوقيع

چيمى كارتر

مرفق: رسالة من الرئيس السادات

رسالة من الرئيس المصري أنور السادات الي الرئيس جيمي كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزي الرئيس:

أكتب إليكم لكى أعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى القدس:

١ ـ إن القدس العربية هى جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية، وإن الحقوق العربية القانونية والتاريخية فى المدينة يجب أن تحترم وتستعاد.

٢ ـ إن القدس العربية يجب أن تكون تحت سيادة عربية.

٣ ـ إن السكان الفلسطينيين للقدس العربية يحق لهم ممارسة حقوقهم الوطنية الشرعية كونهم جزءا من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية.

٤ ـ إن قرارات مجلس الأمن المتصلة بالموضوع، وعلى الأخص القرارين ٢٤٢ و٢٦٧ يجب أن تطبق فيما يختص بالقدس. وإن جميع الإجراءات التى أخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة هى لاغية وباطلة ويجب نقضها.

٥ ـ جميع الشعوب يجب أن تكون لها حرية الوصول إلى المدينة والتمتع بالممارسة الحرة للعبادة ويحق الزيارة والعبور إلى الأماكن المقدسة بدون تمييز أو تفرقة.

٦ ـ إن الأماكن المقدسة لكل ديانة يمكن أن توضع تحت إدارة وإشراف ممثليها.

٧ ـ إن المهام الجوهرية فى المدينة يجب أن تكون غير مجزأة وفى استطاعة مجلس بلدى مشترك مؤلف من عدد متساو من الأعضاء العرب والإسرائيليين أن يشرف على تنفيذ هذه المهام. وبهذه الطريقة ستبقى المدينة غير مجزأة.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل الي الرئيس جيمى كارتر ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس:

لى الشرف أن أبلغك يا فخامة الرئيس أن البرلمان الإسرائيلى (الكنيست) نشر فى ٢٨ يونية ١٩٦٧ وأبرم قانونا يقضى بأن: «الحكومة مخولة الصلاحية بمرسوم لأن تطبق القانون والسلطات التشريعية والإدارية للدولة على أى جزء من أرض إسرائيل (أرض إسرائيل ـ فلسطين)، كما حدد فى ذلك المرسوم».

وعلى أساس هذا القانون أصدرت حكومة إسرائيل مرسوماً فى يولية ١٩٦٧ يقضى بأن القدس هى مدينة واحدة غير مجزأة وعاصمة دولة إسرائيل.

المخلص

التوقيع

مناحم بيچين

رسالة من الرئيس جيمى كارتر الى الرئيس المصرى أنور السادات ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس:

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٨٧ التى تحدد الموقف المصرى حول القدس. وإنى مرسل نسخة من تلك الرسالة إلى رئيس الوزراء مناحم بيجين لاطلاعه.

إن موقف الولايات المتحدة حول القدس لا يزال كما أعلنه السفير جولدبيرج فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يولية ١٩٦٧، وفى وقت لاحق السفير بوست فى مجلس الأمن الدولى فى أول يولية ١٩٦٩ .

المخلص

التوقيع

چيمى كارتر

رسالة من الرئيس المصرى أنور السادات إلى الرئيس جيمى كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى الرئيس:

بصدد، إطار العمل للسلام فى الشرق الأوسط، أكتب إليك هذه الرسالة لأعلمك بموقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى تنفيذ التسوية الشاملة.

لضمان تنفيذ النصوص المتصلة بالضفة الغربية وغزة ولكى تضمن الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى، ستكون مصر مستعدة للقيام بالدور العربى المنبثق من هذه النصوص بعد مشاورات مع الأردن عن الشعب الفلسطينى.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس چيمى كارتر إلى مناحم بيچين رئيس وزراء إسرائيل، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء،

أثبت هنا أنك ابلغتنى ما يلى:

(أ) فى كل فقرة من وثيقة إطار العمل المتفق عليه، التعبيران «الفلسطينيون» أو «الشعب الفلسطينى» يجرى تفسيرهما وفهمهما، وسيفسران ويفهمان من قبلكم على أنهما يعنيان «فلسطينيين عرباً».

(ب) فى كل فقرة يظهر فيها التعبير «الضفة الغربية» يفهم وسيفهم من قبل حكومة إسرائيل على أنه يهودا والسامرة.

المخلص

التوقيع

چيمى كارتر

رسالة من هارولد براون وزير الدفاع الي عزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى، مرفقة بالوثائق التى اتفق عليها في كامب ديفيد، نشرت فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٨

٢٨ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الوزير.

تدرك الولايات المتحدة أنه فى ارتباط بتنفيذ الاتفاقيتين التى تم التوصل إليهما فى كامب ديفيد؛ فإن إسرائيل تنوى بناء قاعدتين جويتين عسكريتين فى مواقع مناسبة فى النقب لتحلا محل القاعدتين فى وايتام إتزيون اللتين ستجلوا إسرائيل عنهما بمقتضى معاهدة السلام المبرمة بين مصر وإسرائيل. وتدرك أيضا العجلة والأولوية الخاصتين اللتين توليهما إسرائيل لإعداد القاعدتين الجديدتين فى ضوء اقتناعها بأنها لا تستطيع أن تترك قاعدتى سيناء الجويتين وهى آمنة إلا إذ أصبحت القاعدتين الجديدتين جاهزتين للتشغيل.

واقترح أن تتشاور حكومتانا حول حجم وتكاليف القاعدتين الجويتين الجديدتين، وكذلك حول أشكال المساعدة المرتبطة بذلك، والتى تستطيع الولايات المتحدة تقديمها بصورة ملائمة فى ضوء المشكلات الخاصة التى قد يثيرها تنفيذ مثل هذا المشروع على أساس عاجل. والرئيس مستعد لالتماس موافقات الكونجرس الضرورية على مثل هذه المساعدة حسبما يوافق عليه الجانب الأمريكى نتيجة لمثل هذه المشاورات.

هارولد براون

نص الحديث الصحفى لبيجين لصحيفة التايم الأمريكية بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٢٠

تصريحات بيچين بعد توقيعه مباشرة على اتفاقية كامب دافيد، موضحاً النقاط والأسس التى توضح وجهة نظره ونظر جميع الساسة الإسرائيليين وهى النابعة عن القوالب الصهيونية التى وضعها بن چوريون وأصبحت لزاماً على كل سياسى إسرائيلى أن يتبعها فى مفاوضاته مع العرب (١) .

رغم نتائج ختام مؤتمر كامب دافيد فقد بقيت بعض النقاط غير المتفق عليها بين رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيچين والمسئولين الأمريكيين حول عدد من العناصر الرئيسية فى الاتفاق. ناقش الزعيم الإسرائيلى هذه النقاط وغيرها فى حديث خاص «للتايم» .

س: من كان عليه أن يعطى أكثر؟

جـ: لم يتنازل أحد عن مبادئه فى كامب دافيد. فقد تمسك الوفد الإسرائيلى بمبادئ خطته للسلام، وكان من المثير تقديمها فى ديسمبر، وهى مفيدة الآن أيضا. ولم نسأل الرئيس السادات أن يتنازل عن مبادئه.

س: ألم يكن على السادات أن يتنازل عن مطلبه بإعادة كافة الحدود العربية؟

جـ: لا أستطيع الحديث بالنيابة عن الرئيس السادات. والذى أعرفه أنه قد تم الاتفاق حول سؤال يهودا والسامرا وقطاع غزة والذى ترك بغير تحديد. وكان هذا مفتاح الاتفاق. لأننا ـ وأنا أعتقد هذا من كل قلبى ـ لنا الحق والادعاء بالسيطرة على يهود وسامرا وقطاع غزة. ولكن هناك دعاوى أخرى. ولهذا فقد كانت فكرتنا هى: «دعنا نترك السؤال حول السيطرة قائما غيرمقرر، ولنتعامل مع البشر. فسوف يكون للعرب سلطة كاملة وسيكون لنا الأمن الكامل على اعتبار أن القوات الإسرائيلية سوف تتمركز فى يهودا وسامرا وقطاع غزة.

س:ماذا يحدث فى نهاية فترة السنوات الخمس الانتقالية ؟

جـ: سنقول بالطبع أننا لنا السلطة على يهودا وسامرا وقطاع غزة وسيأتى آخرون ويدعون ذلك. ماذا ستكون النتيجة؟. إننا لانقبل هذا النوع من الاتفاقية ولكن مانستطيع التأكيد عليه هو أننا فى كامب دافيد أحياناً ما نواجه مشاكل تبدو غير ذات حل وأننا سوف نحاول ذلك. لأن ذلك هو طبيعة العقل البشرى. فإذا ما كان هناك اثنان بين الفرق المتباحثة فعندئذ يستطيع كلُ القول بأن هناك اتفاق. ولكن إذ لم يكن هناك اثنان فإن ترتيبات الأمن الاسرائيلية الحالية سوف تستمر. ولهذا ففى كلا الحالين لن يحدث شئ على غير ما يرام. ولهذا فأنا متفائل بالنسبة للمستقبل.

س: ماذا فى الحقيقة تم الاتفاق عليه فيما يتعلق ببناء مستوطنات فى الضفة الغربية؟ يقول الأمريكيون أنه قد تم الاتفاق على أنه لا مستوطنات فى خلال السنوات الخمس الانتقالية؟

جـ: لم أقدم مثل هذه الموافقة. بالأمس سألت الرئيس كارتر فى البيت الأبيض: «سيدى الرئيس هل أعطيتكم إقراراً حول خمس سنوات؟ قال: «لا لم تعطنى مثل هذا الاقرار». هناك بعض الخلط فى وجهات النظر حول ما تم الاتفاق عليه حقيقة حول هذه المسألة.

ولكن كما أن رفيقى فى المفاوضات مع كارتر هما الآن فى إسرائيل فيجب أن أشاورهما. فلدى تصورى وهناك رأى أمريكى يختلف ولا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أعد أننى سأقارن بين النقاط مع أصدقائى الذين كانوا معى فى المناقشات مع كارتر.

س: عندما تقول «أقارن الملاحظات» أتعنى أنه لا يوجد سجل رسمى.

جـ: أنا لا أدون ملاحظات. ولكى أتصور أن السكرتير فانس قد دون بعض الملاحظات وأن الرئيس قد دون أيضا. ولكنا نقارن الأفكار فى ذاكرتنا أيضا. فسوف أذهب إلى القدس هناك السماء صافية وتصبح الذاكرة أكثر صفاء..

س: ولكنك لاترى هذا الاختلاف على أنه حجر عثرة يمنع اتفاقية السلام؟.

جـ: لايجب أن يكون كذلك على الإطلاق. كلا مطلقاً. كلا مطلقا إنه النقطة الخطيرة الآن بين مصر وإسرائيل هى المستوطنات فى شمال سيناء. فهذه المستوطنات أنشئت عن طريق الحكومة السابقة كمنطقة عازلة يتمتع قطاع غزة بالسلام كما نتمتع نحن به، ولكن بالنسبة للرئيس السادات فهى مسألة يقول فيها «لا أستطيع» وعلى هذا فهو قرار على الكنيست أن يتخذه إن علينا طاعة البرلمان.

س: أتشعر بأنك فى مصاعب سياسية فى إسرائيل؟

جـ: إنه لأمر خطير. فإن بعض أفضل أصدقائى، بعض أعز أصدقائى ضد هذه السياسة، وأعتقد أنهم سيصوتون ضدها فى الكنيست وهم ينتقدون الاتفاق كذلك، وفى لغة حادة جداً ينتقدوننى بالطبع. إن حقهم الطبيعى أن يفعلوا ذلك، فالفرنسيون لديهم تعبير فرنسى فى هذا «إنها الحياة.. Cést la vie» .

لدينا الآن اتفاق. اطار عمل لخطة سلام موقعة بين مصر وإسرائيل هى غالباً اتفاقية سلام. لقد قمنا بحل مشكلة اتفاقية السلام بنسبة ٩٨ ٪ والآن تخيل قد يكون قريباً جداً سيكون هناك آتفاق سلام بين مصر وإسرائيل. إن تغيير ثورى فى الوضع فى الشرق الأوسط أعتقد أنه الطريق الصواب وسوف أستمر.

س: كيف ترى فرص اشتراك الأردن فى المحادثات؟

جـ: نود من الملك حسين أن يشارك. لقد طلب منا عرضاً مسبقاً أن نعود إلى حدود ٤ يونيه ١٩٦٧ بما فى ذلك القدس. وهذا لن يكون مقبولاً لأى حزب فى إسرائيل فيما عدا الشيوعيين.

س: إذا لم يشارك ماذا يحدث؟

ج : لن يحدث شئ. فسوف يشارك الفلسطينيون العرب ويحصلون على وضعهم ونحصل على أمننا سوف نعيش معاً.

س: كيف تحصلون على سلام بينما بقية العرب يعارضون الاتفاق؟

جـ: ربما يكون هناك اختلاف فى التفكير. فالسوريون متطرفون، يحبون أن يرونا محطمين الخ. ولكن سوريا لا تستطيع مهاجمتنا سيكون إنتحارياً والأردن لن تهاجمنا وحدها. فهم لا يستطيعون فعل ذلك. والعراق خلف الأردن. ولهذا فإنه عندما يكون لدينا سلام بين مصر وإسرائيل فإن لدينا فى الحقيقة *defacta* سلام فى الشرق الأوسط.

س : ماذا فعلت هذه التجربة لك شخصياً؟ ماذا تشعر عقب مثل هذا الحدث؟

جـ: أشعر بسعادة. ولكنى شعرت بسعادة قبل كامب دافيد أيضا. إن العامل المجد جداً كان الرئيس كارتر كان فى جميع اللجان. كنت مع أصدقائى بينما كان هو فى كل مكان وكنا نأوى لفراشنا فى الثانية أو الثالثة أو حتى الرابعة صباحاً. ولكن عندما تكون لك روح معنوية عالية تختفى المتاعب الجسدية.

■ خطاب الرئيس رونالد ريجان ونقاط المحادثات، أول سبتمبر ١٩٨٢*.

بنى وطنى الأمريكيين، كان اليوم، يوما يدعونا جميعا إلى الفخر، لأنه سجل نهاية جلاء منظمة التحرير الفسطينية عن بيروت، لبنان بنجاح. وما كان لهذه الخطوة السلمية أن تتحقق على الإطلاق لولا المساعى الحميدة للولايات المتحدة، وعلى الأخص العمل البطولى بالفعل الذى قام به الدبلوماسى الأمريكى الكبير السفير فيليب حبيب. فبفضل جهوده، يسرنى أن أعلن أن فرقة مشاة البحرية الأمريكية التى ساعدت فى الإشراف على عملية الجلاء قد أنجزت مهمتها. ويتعين بعد ذلك أن يغادر شبابنا لبنان فى غضون أسبوعين. وقد أدى هؤلاء الشبان أيضا خدمة لقضية السلام بجدارة وبشكل يدعونا جميعا إلى الاعتزاز بهم.

إلا أن الوضع فى لبنان ليس سوى جزء من المشكلة الشاملة لنزاع الشرق الأوسط، ومع أن الأحداث فى بيروت قد هيمنت على الصفحات الأولى فى وسائل الإعلام خلال الأسبوعين الماضيين، فقد تمكنت الولايات المتحدة بهدوء وخلف الستار من بذل مجهود يرمى إلى وضع أساس لسلام أشمل فى المنطقة .. ولم يحدث فى هذه المرة تسرب للأنباء قبل الأوان فيما كانت البعثات الدبلوماسية الأمريكية تجوب عواصم الشرق الأوسط، واجتمعت هنا بطائفة واسعة من الخبراء لوضع أساس مبادرة سلام أمريكية لشعوب الشرق الأوسط التى تعانى منذ زمن طويل، أى الشعوب العربية والشعب الإسرائيلى على السواء.

لقد ثبت لى بالاتفاق الذى تم التوصل إليه فى لبنان أن لدينا فرصة لبذل مجهود سلمى بعيد الأثر فى المنطقة، ولقد صممت على انتهاز هذه الفرصة. وكما جاء فى كلمات الكتاب المقدس، فإن الوقت قد حان «للسعى وراء الأشياء التى تحقق السلام».

* ورد نص الخطاب فى النيويورك تايمز، ٢ سبتمبر ١٩٨٢ . وقد صحبت نقاط المحادثات رسالة بعث بها الرئيس ريجان إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل. وقد قدمت نفس النقاط للحكومات ـ انظر النيويورك تايمز، ٩ سبتمبر ١٩٨٢ .

دور الولايات المتحدة

وبودى الليلة أن أطلعكم على الخطوات التى اتخذناها والاحتمالات التى يمكن أن تتيحها للتوصل إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط. إن أمريكا ملتزمة منذ أمد بعيد بإحلال السلام فى هذه المنطقة المضطربة. وقد سعت الحكومات الأمريكية المتعاقبة منذ أكثر من جيل إلى تطوير عملية عادلة وقابلة للتطبيق يمكن أن تؤدى إلى سلام حقيقى ودائم، بين العرب والإسرائيليين. إن دورنا فى البحث عن إحلال السلام فى الشرق الأوسط ليس مسألة تتعلق بالتفضيلات، وإنما هو واجب أخلاقى حتمى. ذلك أن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة معروفة تماما.

إلا أن الدافع وراء سياستنا يتعدى المصالح الاستراتيجية، إذ أن لدينا أيضا التزاما لا رجوع فيه إزاء بقاء ووحدة أراضى دول صديقة. كما أنه ليس بوسعنا أن نتجاهل حقيقة أن ازدهار الجزء الأكبر من الاقتصاد العالمى مرتبط باستقرار منطقة الشرق الأوسط التى تمزقها النزاعات. وأخيرا، فإن اهتماماتنا الإنسانية التقليدية تملى علينا ضرورة مواصلة الجهود لحل النزاعات بصورة سلمية.

وعندما تولت حكومتنا مقاليد السلطة فى شهر يناير عام ١٩٨١ قررت أن يتبع الإطار العام لسياستنا فى الشرق الأوسط الخطوط العريضة التى وضعها أسلافى.

كان من الضرورى معالجة قضيتين رئيسيتين. الأولى، التهديد الاستراتيجى للمنطقة الذى يمثله الاتحاد السوفييتى والدول العميلة له، والذى اتضح على خير وجه فى الحرب الوحشية فى أفغانستان. والثانية، عملية السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب. وفيما يتعلق بالتهديد السوفييتى، فقد قمنا بدعم جهودنا بهدف تطوير سياسة مشتركة مع أصدقائنا وحلفائنا لردع السوفييت وعملائهم عن القيام بمزيد من التوسع فى المنطقة، والتصدى له إذا لزم الأمر. وفيما يتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى؛ تبنينا إطار كامب دافيد بصفته السبيل الوحيد للتقدم للأمام. غير أننا أدركنا أيضا أن حل النزاع العربى الإسرائيلى ذاته وفى حد

ذاته لا يمكن أن يضمن تحقيق سلام فى أرجاء منطقة شاسعة ومليئة بالاضطرابات مثل الشرق الأوسط.

وكان هدفنا الأول بموجب عملية كامب دافيد هو ضمان التطبيق الناجح لمعاهدة السلام المصرية. وقد تحقق هذا بعودة سيناء إلى مصر بطريقة سلمية فى شهر أبريل من عام ١٩٨٢ . وحتى نحقق هذا الهدف، بذلنا جهودا شاقة مع أصدقائنا المصريين والإسرائيليين، وأخيرا مع بلدان أخرى صديقة من أجل إنشاء قوة متعددة الجنسيات تمارس الآن مهامها فى سيناء.

وخلال هذه الفترة من المفاوضات الصعبة والتى استهلكت وقتا طويلا، لم تغب عن بصرنا أبدا الخطوة التالية فى كامب دافيد، وهى محادثات الحكم الذاتى لتمهيد السبيل على نحو يسمح للشعب الفلسطينى بممارسة حقوقه المشروعة. غير أنه بسبب حادث الاغتيال المفجع للرئيس السادات والأزمات الأخرى فى المنطقة، لم نستطع بذل جهد رئيسى لاستئناف تلك المحادثات حتى يناير عام ١٩٨٢ . لقد قام وزير الخارجية هيج والسفير فيربانكس بثلاث زيارات لإسرائيل ومصر فى مطلع هذا العام لمتابعة محادثات الحكم الذاتى. وقد تحقق تقدم كبير فيما يتعلق بتطوير المخطط الرئيسى للنهج الأمريكى الذى كان سيعرض على مصر وإسرائيل بعد شهر أبريل.

إن استكمال إنسحاب إسرائيل من سيناء بنجاح، والشجاعة التى أبداها فى هذه المناسبة كل من رئيس الوزراء بيجين والرئيس مبارك بالارتفاع إلى مستوى الالتزام بما بينهما من اتفاقات، أقنعانى أن الوقت قد حان لبدء سياسة أمريكية جديدة تستهدف محاولة تخطى الخلافات المتبقية بين مصر وإسرائيل بشأن عملية الحكم الذاتى. ولذلك فقد دعوت فى شهر مايو إلى اتخاذ اجراءات محددة ووضع جدول زمنى محدد للمشاورات مع حكومتى مصر وإسرائيل بشأن الخطوات التالية فى عملية السلام، غير أنه قبل الانطلاق فى هذا الجهد الجديد، أدى الصراع فى لبنان إلى إجهاض جهودنا . وتجمدت محادثات الحكم

الذاتى أساسا فى الوقت الذى كما نسعى فيه إلى فك الاشتباك بين الأطراف وإسكات مدافع الحرب.

إن الحرب فى لبنان بكل مافيها من مآس قد أتاحت لنا فرصة جديدة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط. وعلينا أن نغتنم هذه الفرصة الآن ونحقق السلام فى تلك المنطقة التى تعانى من الاضطرابات، والتى تمثل أهمية حيوية لاستقرار العالم حيث لا يزال الوقت متاحا لذلك. وبهذا الإيمان القوى، أصدرت تعليمات منذ أكثر من شهر، قبل إتمام المفاوضات الحالية فى بيروت، إلى وزير الخارجية شولتز ليجرى استعراضاً جديدا لسياستنا، ويجرى المشاورات مع طائفة واسعة النطاق من الأمريكيين البارزين حول أفضل الطرق لتعزيز فرص السلام فى الشرق الأوسط.

ولقد تشاورنا مع الكثيرين من المسؤولين الذين كان لهم دور فى العملية من الناحية التاريخية، ومع أعضاء الكونجرس، ومع أفراد من القطاع الخاص، كما أجريت مشاورات موسعة مع مستشاريى حول المبادئ التى سوف أحددها لكم الليلة.

لقد اكتمل الآن جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت. ونستطيع الآن مساعدة اللبنانيين على إعادة تعمير بلادهم التى مزقتها الحرب. وعلينا واجب إزاء أنفسنا وتجاه ذريتنا من بعدنا أن نتحرك بسرعة لتعزيز هذا الإنجاز والبناء انطلاقا منه. إن وجود لبنان الذى يتمتع بالاستقرار والازدهار من جديد أمر ضرورى لتحقيق كل آمالنا فى السلام فى المنطقة. إن شعب لبنان يستحق من المجتمع الدولى بذل أفضل الجهود لتحويل ذلك الكابوس الذى جثم على أنفاسه خلال السنوات العديدة الماضية إلى فجر جديد من الأمل.

مواجهة الأسباب الجذرية للنزاع

غير أن فرص إحلال السلام فى الشرق الأوسط لا تبدأ وتنتهى فى لبنان. فبينما نساعد لبنان على إعادة بناء نفسه، علينا أيضا أن نتحرك نحو معالجة أسباب النزاع بين

العرب، والإسرائيليين من جذورها. لقد أظهرت الحرب فى لبنان أشياء عديدة، غير أن اثنتين من النتائج لهما أهمية كبرى بالنسبة لعملية السلام:

أولا: إن الخسائر العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تقض على تطلع الشعب الفلسطينى إلى حل عادل لمطالبه.

ثانيا: إنه فى حين أن النجاحات العسكرية الإسرائيلية فى لبنان أظهرت أن القوات المسلحة الإسرائيلية لا تضاهيها قوة فى المنطقة، فإنه لا يمكن لهذه القوة وحدها أن تحقق السلام الدائم والعادل لإسرائيل وجيرانها.

وتتلخص المسألة الآن فى كيفية التوفيق بين المطالب الأمنية المشروعة لإسرائيل، وبين الحقوق المشروعة للفلسطينيين. ولن تتم الإجابة على هذا السؤال، إلا على مائدة المفاوضات. فعلى كل طرف أن يسلم بضرورة أن تكون النتائج مقبولة للجميع وأن السلام الحقيقى سيتطلب حلولا وسطا من الجميع.

لذلك فإننى الليلة أدعو إلى بداية جديدة. فهذه هى اللحظة المناسبة لتقوم كل الأطراف المعنية للمشاركة فى وضع أساس عملى للسلام أو لدعمه. إن اتفاقية كامب دافيد ما زالت تشكل أساس سياستنا. فلغتها توفر لكافة الأطراف المهلة التى تحتاج إليها للمفاوضات الناجحة.

وإننى أدعو إسرائيل أن توضح أن الأمن الذى تتطلع إليه لا يمكن تحقيقه إلا من خلال سلام حقيقى، سلام يتطلب شهامة وبعد نظر وشجاعة.

وأدعو الشعب الفلسطينى إلى التسليم بأن تطلعاته السياسية مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالاعتراف بحق إسرائيل فى مستقبل آمن.

والعدل لا يمكن تحقيقهما إلا عن طريق المفاوضات المباشرة والمنصفة والشاقة.

وإننى أعترف وأنا أوجه هذه الدعوات للآخرين بأن على الولايات المتحدة مسؤولية

خاصة، فلا توجد أمة غيرها فى وضع يمكنها من التعامل مع الأطراف الرئيسية للنزاع على أساس من الثقة والاطمئنان.

لقد حان الوقت لتتحلى جميع شعوب الشرق الأوسط بنزعة واقعية جديدة، فدولة إسرائيل حقيقة راسخة، تستحق شرعية لا نزاع فيها داخل المجتمع الدولى.

غير أنه لم يعترف بشرعية إسرائيل حتى الآن سوى عدد قليل من البلدان، كما أن جميع الدول العربية ما عدا مصر أنكرت هذه الشرعية. إن إسرائيل موجودة، ولها الحق فى الوجود فى سلام وراء حدود آمنة يمكن الدفاع عنها، ولها الحق فى مطالبة جاراتها بالاعتراف بهذه الحقائق.

لقد تابعت شخصيا وأيدت كفاح إسرائيل البطولى من أجل البقاء منذ تأسيس دولة إسرائيل قبل ٣٤ سنة. لقد كان عرض إسرائيل عند أضيق نقاطها لا يتعدى العشرة أميال فى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ . وكانت أغلبية سكان إسرائيل تعيش على مرمى مدفعية الجيوش العربية المعادية. إننى لن أطلب من إسرائيل أن تعيش بتلك الطريقة مرة أخرى.

لقد أظهرت الحرب فى لبنان واقعا آخر فى المنطقة. فقد عبر رحيل الفلسطينيين عن بيروت، أكثر من أى وقت مضى، عن مأساة تشرد الشعب الفلسطينى.

فالفلسطينيون يشعرون بقوة أن قضيتهم أكثر من مسألة لاجئين. وأنا أوافق على ذلك. إن اتفاقية كامب دافيد اعترفت بهذه الحقيقة عندما تحدثت عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومطالبه العادلة. ولكى يبقى السلام ثابتا يجب أن يشمل كل الذين تضرروا من النزاع على نحو أعمق من غيرهم. ولن يمكن لإسرائيل أن تثق فى أن جاراتها ستحترم أمنها ووحدة أراضيها إلا بتوسيع نطاق المشتركين فى عملية السلام، وخاصة الأردن والفلسطينيين على وجه السرعة. فمن خلال عملية التفاوض فقط يمكن لجميع الأمم فى الشرق الأوسط أن تحقق سلاما آمنا.

مقترحات جديدة

تلك إذن هى أهدافنا العامة. فما هى المواقف الأمريكية الجديدة على وجه التحديد، ولماذا نتخذها؟

من خلال محادثات كامب دافيد استطاعت كل من إسرائيل ومصر حتى الآن التعبير عن آرائهما بحرية فيما يتعلق بالنتيجة التى يجب التوصل إليها. والمفهوم أن آراءهما كانت مختلفة فى العديد من النقاط.

وقد سعت الولايات المتحدة حتى الآن إلى القيام بدور الوسيط. وقد تجنبنا التعليق علنا على القضايا الأساسية. لقد اعترفنا دوما، وسنواصل الاعتراف بأن الاتفاق الطوعى للأطراف المشتركة اشتراكا مباشرا فى النزاع هو وحده القادر على تحقيق الحل الدائم. غير أنه اتضح لى أن توضيح الموقف الأمريكى حول القضايا الأساسية بقدر أكبر ضرورى للتشجيع على حشد تأييد أوسع لعملية السلام.

أولا: وكما جاء فى اتفاقية كامب دافيد، يجب أن تكون هناك فترة من الزمن يتمتع خلالها السكان الفلسطينيون فى الضفة الغربية وقطاع غزة باستقلال ذاتى كامل فى شؤونهم الخاصة، ويجب أن يعطى اعتبار كاف لمبدأ الحكم الذاتى لسكان الأراضى المحتلة وللمشاغل الأمنية المشروعة للأطراف المعنية.

وهدف الفترة الانتقالية التى تستمر خمسة أعوام، والتى ستبدأ بعد إجراء انتخابات حره لاختيار سلطة فلسطينية للحكم الذاتى، هو أن تثبت للفلسطينيين أن فى وسعهم إدارة شؤونهم، وأن مثل هذا الاستقلال الذاتى الفلسطينى لايشكل تهديداً لأمن إسرائيل.

إن الولايات المتحدة لن تؤيد استغلال أية أراض إضافية بغرض إقامة مستوطنات خلال الفترة الانتقالية، والواقع أن قيام إسرائيل بتجميد بناء المستوطنات على وجه السرعة يمكنه، أكثر من أى إجراء آخر، أن يخلق الثقة التى يتطلبها توسيع نطاق المشاركة فى هذه

المحادثات فالمزيد من النشاط الاستيطاني غير ضروري على الإطلاق لأمن إسرائيل، ويقلل فقط ثقة العرب في إمكانية التفاوض بإنصاف وحرية حول النتيجة النهائية.

إنني أريد أن يُفهم الموقف الأمريكي فهما جيدا: إن الهدف من هذه الفترة الانتقالية هو انتقال السلطة بصورة سلمية ومنظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وفي الوقت ذاته يجب ألا يتعارض هذا النقل مع متطلبات إسرائيل الأمنية.

وفيما وراء هذه الفترة الانتقالية، ونحن ننظر إلى مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، يتضح لي أنه لا يمكن تحقيق السلام عن طريق إقامة دولة فلسطينية مستقلة في هاتين المنطقتين. كما لا يمكن تحقيقه عن طريق ممارسة إسرائيل لسيادتها أو سيطرتها الكاملة على الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولذلك فإن الولايات المتحدة لن تؤيد إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولن تؤيد ضمهما أو السيطرة الكاملة عليهما من جانب إسرائيل.

غير أن هناك سبيلا آخر إلى السلام. إذ يجب بطبيعة الحال أن يتم الاتفاق على تحديد الوضع النهائي لهاتين المنطقتين عن طريق مفاوضات تقوم على الأخذ والعطاء. إلا أن الولايات المتحدة ترى بحزم أن حكما ذاتيا من جانب الفلسطينيين للضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالأردن يوفر أفضل فرصة لسلام دائم وعادل وثابت.

ونحن نبني موقفنا بصورة متوازنة على مبدأ أن النزاع العربي الإسرائيلي يجب أن يحل بمفاوضات تنطوي على مبادلة الأرض بالسلام. وهذه المبادلة منصوص عليها في قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الذي تم دمجه بدوره بجميع جوانبه في اتفاقيتي كامب دافيد. ومازال قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ صالحا في مجمله كحجر الأساس لجهود السلام التي تبذلها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

إن موقف الولايات المتحدة يقوم على أساس أنه فى مقابل إحلال السلام تنطبق المادة الخاصة بالانسحاب فى القرار رقم ٢٤٢ على جميع الجبهات، بما فى ذلك الضفة.

وعندما يجرى التفاوض بين الأردن وإسرائيل حول مسألة الحدود، فإن رأينا حول المدى الذى ينبغى به مطالبة إسرائيل بالتخلى عن الأرض سيتأثر إلى حد كبير بمدى السلام الحقيقى والتطبيع والترتيبات الأمنية المعروضة فى المقابل.

وأخيرا، فإننا مازلنا مقتنعين بضرورة أن تظل القدس غير مجزأة، إلا أن وضعها النهائى يجب أن يتقرر بالتفاوض.

وخلال عملية المفاوضات المقبلة، ستؤيد الولايات المتحدة المواقف التى تبدو لنا منصفة وحلولا وسطا معقولة ينتظر أن تؤدى إلى اتفاق سليم. كما سنتقدم باقتراحاتنا المفصلة الخاصة عندما نعتقد أنها يمكن أن تكون مفيدة.

وليعلم الجميع دون أى لبس أن الولايات المتحدة سوف تعارض أى اقتراح - من أى طرف وفى أية مرحلة من مراحل عملية التفاوض - من شأنه أن يهدد أمن إسرائيل. فالتزام أمريكا بأمن إسرائيل التزام راسخ، وقد أضيف أن التزامى أنا هو كذلك بالمثل.

التزام الولايات المتحدة بالسلام

خلال الأيام القليلة الماضية، قدم سفراؤنا فى إسرائيل ومصر والأردن والمملكة العربية السعودية إلى حكومات الدول المضيفة المقترحات التى عرضتها الليلة هنا بتفصيل كامل. وإننى مقتنع الآن بأن هذه المقترحات يمكن أن تحقق العدل والأمن والثبات لسلام عربى إسرائيلى. إن الولايات المتحدة ستتمسك بهذه المبادئ بتفان كامل. وهى مبادئ تتمشى كلية مع متطلبات إسرائيل الأمنية ومع تطلعات الفلسطينيين. وسنعمل جاهدين على توسيع نطاق المشاركة حول مائدة السلام كما استهدفت عملية كامب دافيد. وإننى آمل بقوة فى أن يقبل الفلسطينيون والأردن، بدعم من إخوتهم العرب، هذه الفرصة.

إن الإضطرابات المفجعة فى الشرق الأوسط تعود إلى فجر التاريخ. وفى وقتنا الحاضر، اقتضى نزاع تلو الآخر، ضريبة وحشية هناك بالمنطقة. وفى عصر التحدى النووى والتكافل الاقتصادى، تشكل مثل هذه النزاعات تهديدا لكل شعوب العالم، لا للشرق الأوسط فحسب. وقد حان الوقت لنا جميعا، فى الشرق الأوسط وفى جميع أنحاء العالم، أن ندعو إلى وضع حد للنزاع والكراهية والتعصب، لقد حان الوقت لكى نقوم جميعا بجهد مشترك للتعمير وإحلال السلام والتقدم.

لقد قيل فى أحيان كثيرة - وهو قول غالبا ما كان صحيحا مع الأسف - أن قصة البحث عن السلام والعدالة فى الشرق الأوسط هى مأساة الفرص الضائعة. وفى أعقاب التسوية التى تم التوصل إليها فى لبنان، نواجه الآن فرصة لإحلال سلام أوسع نطاقا. ويتعين علينا هذه المرة ألا ندع الفرصة تفلت من أيدينا. ويجب علينا أن نتخطى صعوبات وعقبات الحاضر، ونتحرك بإنصاف وحزم نحو مستقبل أكثر إشراقا. إننا مسؤولون أمام أنفسنا وأمام الأجيال القادمة ألا نفعل أقل من ذلك.. ذلك أننا إذا ضيعنا الفرصة لتحقيق بداية جديدة، فقد ننظر إلى هذه الفترة بعد فوات الوقت وندرك مدى الثمن الذى سندفعه لإخفاقنا جميعا.

هذه إذن هى المبادئ التى تستند إليها سياسة الولايات المتحدة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى. لقد قطعت على نفسى التزاما شخصيا لأرى هذه المبادئ تسود، وبعون الله سوف تنظر جميع الشعوب التى تتحلى بالمنطق والإنسانية إلى هذه المبادئ على أنها منصفة وقابلة للتحقيق وأنها لصالح جميع الذين يرغبون فى أن يروا السلام يتحقق فى الشرق الأوسط.

والليلة، عشية ما يمكن أن يكون بزوغ أمل جديد لشعوب منطقة الشرق الأوسط التى يسودها الاضطراب، ولجميع شعوب العالم التى تحلم بمستقبل يسوده السلام والعدالة، أطلب منكم أيها المواطنون الأمريكيون تأييدكم وصلواتكم لنجاح هذا التعهد.

نص نقاط المحادثات التي أرسلها الرئيس ريجان
إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل

مبادئ عامة:

(أ) سنحافظ على التزامنا بكامب دافيد.

(ب) سنحافظ على التزامنا بالشروط التى نطالب بها للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض معها.

(جـ) يمكننا تقديم ضمانات للموقف الذى سنتخذه فى المفاوضات. ومع ذلك، فلن نكون قادرين على أن نضمن مقدما نتائج هذه المفاوضات.

تدابير انتقالية:

(أ) موقفنا هو أن هدف الفترة الانتقالية يتمثل فى نقل السلطة سلميا، وبطريقة منظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين.

(ب) سنؤيد: قرار الاستقلال الذاتى الكامل باعتباره يعطى للسكان الفلسطينيين سلطة حقيقية على أنفسهم، وعلى الأرض ومواردها، بشرط وجود ضمانات عادلة بشأن المياه.

- علاقات اقتصادية وتجارية وثقافية بين الضفة الغربية وغزة والأردن.
- مشاركة سكان القدس الشرقية الفلسطينيين في انتخابات سلطة الضفة الغربية - غزة.
- تجميد حقيقى للمستوطنات.
- تزايد المسؤولية الفلسطينية عن الأمن الداخلى استنادا إلى القدرة والأداء.

(جـ) وسنعارض: إزالة المستوطنات القائمة.

الأحكام التى تمثل تهديدا مشروعا لأمن إسرائيل، المحدد بطريقة معقولة.

● عزل الضفة الغربية وغزة عن إسرائيل.

● التدابير التى تعطى إما للفلسطينيين أو للإسرائيليين حقوق سيادة معترف بها.

بصفة عامة باستثناء الأمن الخارجي، الذى ينبغى أن يظل فى أيدى إسرائيل خلال فترة الانتقال.

القضايا المتعلقة بتحديد الوضع النهائى:

(أ) قرار مجلس أمن الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ :

موقفنا هو أن القرار ٢٤٢ ينطبق على الضفة الغربية وغزة ويقتضى انسحاب إسرائيل مقابل السلام، وينبغى أن تحدد المفاوضات الحدود. وموقف الولايات المتحدة فى هذه المفاوضات بشأن نطاق الانسحاب سيتأثر كثيرا بنطاق وطبيعة ترتيبات السلام والأمن المقدمة فى مقابله.

(ب) السيادة الإسرائيلية :

فى اعتقادنا أن المشكلة الفلسطينية لا يمكن حلها (من خلال) السيادة أو السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية وغزة. وبالتالى، فلن نؤيد مثل هذا الحل.

(جـ) الدولة الفلسطينية:

إن التفضيل الذى سنسعى من أجله فى المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائى هو ارتباط الضفة الغربية وغزة بالأردن. ولن نؤيد تكوين دولة فلسطينية فى تلك المفاوضات. فليس هناك أساس للتأييد السياسى لمثل هذا الحل فى إسرائيل، أو الولايات المتحدة. ومع ذلك، فإن النتيجة ينبغى أن تحددها المفاوضات.

(د) تقرير المصير:

فى سياق الشرق الأوسط، يعادل تعبير تقرير المصير على وجه الحصر، تكوين دولة

فلسطينية . ونحن لن نؤيد هذا التعريف لتقرير المصير. ونعتقد أنه ينبغى للفلسطينيين أن يقوموا بالدور القيادى فى تحديد مستقبلهم، وأن يؤيدوا بالكامل الحكم الوارد فى اتفاقيتى كامب ديفيد والذى ينص على انتخاب ممثلين لسكان الضفة الغربية وغزة ليقرروا كيف سيحكمون أنفسهم اتفاقا مع أحكام ما اتفقوا عليه فى المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائى.

(هـ) القدس:

سنؤيد بالكامل الموقف القائل بأن وضع القدس ينبغى تحديده من خلال المفاوضات .

(و) المستوطنات:

ينبغى تحديد وضع المستوطنات الإسرائيلية فى خلال مفاوضات تحديد الوضع النهائى. ولن نؤيد استمرارها كقواعد أمامية فى أراضى الغير.

نقاط إضافية للمحادثات:

١ - مفاتحة حسين:

قام الرئيس بمفاتحة حسين لتحديد مدى اهتمامه بالمشاركة.

وقد تلقى الملك حسين نفس التحديد لموقف الولايات المتحدة مثلكم. ويرى حسين أن مقترحاتنا جادة وهو يوليها اهتماما جادا.

ويدرك حسين أن كامب دافيد هى الأساس الوحيد الذى سنقبله للمفاوضات. كما أننا نناقش هذه المقترحات مع السعودية.

٢ - الالتزام العلنى:

أيا كان التأييد من هذين البلدين العربيين أو غيرهما، فإن هذا هو ما توصل الرئيس إلى أنه ينبغى القيام به.

والرئيس مقتنع بأن مواقفه عادلة ومتوازنة وتحمى أمن إسرائيل حماية كاملة. وبالاضافة إلى هذا، فإنها تتيح فرصا عملية للتوصل فى نهاية المطاف إلى معاهدات السلام التى ينبغى أن تربط إسرائيل بجيرانها.

وسيلقى خطابا يعلن فيه هذه المواقف، ربما خلال أسبوع.

٣ ـ خطوات إجرائية تالية:

لو كانت الإستجابة لأقتراح الرئيس إيجابية، فستتخذ الولايات المتحدة خطوات مباشرة لبدء مفاوضات الأستقلال الذاتى بأوسع مشاركة ممكنة كما هو منصوص عليه فى إتفاقيتى كامب دافيد.

كما نبحث قيام الوزير شولتز بزيارة قريبة للمنطقة.

وإن لم تكن الإستجابة إيجابية، فإن الرئيس كما قال فى رسالته إليكم، سيدافع رغم ذلك عن موقفه بالإخلاص المناسب.

التذييل «هـ»

■ قرارات مؤتمر القمة العربي الثاني عشر، فاس، المغرب، ٩سبتمبر ١٩٨٢ *.

إنعقد بمدينة فاس مؤتمر القمة العربى الثانى عشر، فى ٢٧ محرم ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٨١ . وبعد أن أرجأ أشغاله أستأنفها فى الفترة ما بين ١٧-٢٠ ذو القعدة ١٤٠٢ الموافق ٦-٩ سبتمبر ١٩٨٢ ، برئاسة جلالة الملك الحسن الثانى ملك المملكة المغربية، وقد شاركت فى أعمال المؤتمر جميع الدول العربية بإستثناء الجماهيرية العربية الليبية.

واعتبارا للظرف الخطير والدقيق الذى تمر به الأمة العربية. وبوحى من الشعور بالمسئولية القومية التاريخية، درس أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والسيادة ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية القضايا الهامة المطروحة على المؤتمر، واتخذوا بشأنها القرارات التالية:

حيّا المؤتمر صمود قوات الثورة الفلسطينية والشعبين اللبنانى والفلسطينى والقوات المسلحة العربية السورية، وأعلن مساندته للشعب الفلسطينى فى نضاله من أجل إسترداد حقوقه الوطنية الثابتة.

وإيمانا من المؤتمر بقدرة الأمة العربية على تحقيق أهدافها المشروعة وإزالة العدوان، وانطلاقا من المبادىء والأسس التى حددتها مؤتمرات القمة العربية، وحرصا من الدول العربية على الأستمرار فى العمل بكل الوسائل من أجل تحقيق السلام القائم على العدل فى منطقة الشرق الأوسط، وإعتمادا على مشروع فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذى يعتمد الشرعية الدولية، أساسا لحل القضية الفلسطينية، وعلى مشروع جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حول السلام فى الشرق الأوسط.

* مقتطف من إدارة الرباط المحلية، ٩ سبتمبر ١٩٨٢، فى نشرة الاذاعات الخارجية لهيئة الاستعلامات

وفى ضوء المناقشات والملاحظات التى أبداها أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والملوك والرؤساء والأمراء، فقد قرر المؤتمر إعتماد المبادىء التالية:

١ ـ إنسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية.

٢ ـ إزالة المستعمرات التى أقامتها إسرائيل فى الأراضى العربية بعد عام ١٩٦٧ .

٣ ـ ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان بالأماكن المقدسة.

٤ ـ تأكيد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيرة وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ممثله الشرعى والوحيد، وتعويض من لا يرغب فى العودة.

٥ ـ تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة إنتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر.

٦ ـ قيام الدولة الفلسطينية بعاصمتها القدس.

٧ ـ يضع مجلس الأمن الدولى ضمانات السلام بين جميع دول المنطقة، بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

٨ ـ يقوم مجلس الأمن الدولى بضمان تنفيذ تلك المبادىء.

التذييل « و »

■ إتفاقية بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، ١١ فبراير ١٩٨٥ .

الاتفاقية

إنطلاقا من روح قرارات قمة فاس المتفق عليها عربيا، وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين، وتمشيا مع الشرعية الدولية، وانطلاقا من الفهم المشترك لبناء علاقة مميزة بين الشعب الأردني والفلسطيني، اتفقت حكومة المملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية على السير معا نحو تحقيق تسوية سلمية عادلة لقضية الشرق الأوسط ولإنهاء الإحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، وفق الأسس والمبادىء التالية:

١ ـ الأرض مقابل السلام، كما ورد في قرارات الأمم المتحدة، بما فيها قرارات مجلس الأمن.

٢ ـ حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. يمارس الفلسطينيون حقهم الثابت في تقرير حق المصير عندما يتمكن الأردنيون والفلسطينيون من تحقيق ذلك ضمن إطار الأتحاد الكونفيدرالي العربي المنوي إنشاؤه بين دولتي الأردن وفلسطين.

٣ ـ حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حسب قرارات الأمم المتحدة.

٤ ـ حل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها.

٥ ـ وعلى هذا الأساس تجري مفاوضات السلام في ظل مؤتمر دولي، تحضره الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي وسائر أطراف النزاع، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ضمن وفد مشترك (وفد أردني ـ فلسطيني).

الفصل الثاني

نبذة عن الشخصيات الرئيسية
التى ساهمت فى إنجاز إتفاقتى كامب دافيد

١ ـ أنور السادات

٢ ـ جيمى كارتر

٣ ـ مناحم بيجين

٤ ـ موشى ديان.

أنور السادات

- راجع الفصل الأول من القسم الأول تحت عنوان «بداية عهد السادات».
- وراجع أيضاً الفصل الأول من القسم الثالث تحت عنوان «المرحلة الساداتية، المظاهر والدوافع ونظرة عامة».

٢ ـ جيمي كارتر

تأثير شخصية كارتر على مفاوضات «كامب دافيد»

عندما دعا الرئيس كارتر كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجين للاجتماع فى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨، كانت إدارة كارتر مثخنة الجراح فعلا من معاملات مع إسرائيل ومؤيدى إسرائيل فى الكونجرس. وكان كارتر قد استثمر على نحو لم يسبق له مثيل، من الوقت والجهد والرصيد السياسى فى حملته التى عقد فيها العزم على الوصول إلى تسوية سلمية عربية إسرائيلية. كان كارتر بأسلوبه الدبلوماسى قد رفع حالة الانتباه الإسرائيلية إلى مستوى عال من العصبية. وزادت الشكوك حول نوايا كارتر البعيدة إزاء إسرائيل بسبب ما أعلنه عن سياسته العالمية بشأن العلاقات الأمريكية السوفيتية، وسياساته الجديدة بشأن نقل السلاح، والتى بدت وكأنها كارثة على احتياجات إسرائيل.

كان كارتر مزيجا فريدا من النوازع المتضاربة، كان ضابطا بحريا ومهندسا وفلاحا وسياسيا صنع نفسه بنفسه، ومبشرا دينيا. كان

متفانيا فى أداء الواجب،دؤوبا لا يعرف الكلل، إذ له قدرة اسطورية على العمل وعزيمة على النجاح أيا كانت العوائق، أو الثمن السياسى الذى يدفعه. وكان يتحكم فى التفاصيل الصغيرة، ولديه قدرة هائلة على ضبط النفس، واقتناع بأن فى الوسع حل أى مشكلة بالتذرع بقدر كاف من النيْة الطيبة والعمل المضنى - كانت هذه الصفات جميعا خصائص هذا الرجل. ولئن كان صادقا ومقنعا وسط الجماعات الصغيرة، فقد بدا عليه نفور من المناسبات الرمزية أمام الجماهير الكبيرة. وكان ملما بالكتاب المقدس، ولكن فهمه السابق لليهود كان قليلا، ولا سيما فهمه للجيل الذى أضير بالمذابح (النازية) والذى ما زال يحكم إسرائيل. وهو كرجل يحتكم إلى العقل وإلى التوجه الداخلى من ذات نفسه، فقد كان فى كثير من الحالات يفهم، وبصورة جيدة جداً، جميع الجوانب الخاصة بكل مشكلة.

واستغرق كارتر فى كل جانب من جوانب الأزمة العربية الإسرائيلية المثقلة بالتاريخ، وذلك إلى أدق تفاصيلها. وكان فى وسعه مناقشة التأويلات القانونية للمعاهدات مع كبار المحامين الإسرائيليين، ومناقشة التاريخ الدينى (التوراتى) مع كبار رجال الدين.

وكان كارتر يترجح بين التعاطف الحار تجاه إسرائيل وبين المواجهة الباردة معها. وهو يرى أن الشعب اليهودى قد عانى عناء شديداً وأعاد إقامة وطنه من جديد، والإسرائيليون خليقون بأن يعيشوا فى سلام. غير أن للفلسطينيين بدورهم مطلبا تاريخيا صحيحا. إنهم شعب مشرد جرد من ممتلكاته ولديه حق مشروع فى أن ينتمى إلى

أمة ويكون له وطن. ولئن كانت إسرائيل قوية، فلا يسعها أن تحقق السلام الدائم إلا بالتوافق مع هذه الحقيقة الموازية. واعتبر كارتر أن رسالته الشخصية هى تحقيق ذلك لمصلحة شعوب المنطقة، وكذلك لفائدة مصالح الولايات المتحدة، وإن كان الاعتبار الأول هو الأساس.

وكان لكارتر فريق متجانس ومتماسك بالنسبة لمشاكل الشرق الأوسط. ولم يحدث أبدا فى التاريخ الحديث أن عمل وزيرا للخارجية والدفاع والموظفون التابعون لهما بمثل هذه السلاسة فى التجهيز. وكان كبار الموظفين المعنيين بالشرق الأوسط ضمن موظفى مجلس الأمن القومى وفى وزاة الخارجية زملاء قدامى، وهذا يصدق أيضا على سفراء كارتر المحترفين فى جميع العواصم الهامة فى الشرق الأوسط تقريبا، وقد تمت الاستعانة بهم أيضا كأعضاء دائمين فى فريق كارتر الخاص بالسياسة. وكان يحسن التفويض فى الاختصاصات، وقد كلفه الوقت الذى استنفد فى ذلك ثمنا غاليا فى قضايا أخرى أجنبية ومحلية، ولكنه حقق انتصاره فى كامب دافيد. وواضح أن عجزه عن مواصلة هذا المستوى الكثيف من الانشغال الشخصى كان عاملا من عوامل الاخفاق فى إنجاز المرحلة الثانية.

٣ - مناحم بيچين

أولا: حتى قيام دولة إسرائيل:

١ - ولد مناحم بيجين فى بولونيا عام ١٩١٣ ودرس القانون فى جامعة وارسو وتزعم حركة بيتار التى كانت تتبع قائد الحركة التصحيحية «زئيف فلاديمير جابوسنكى»، وأصبح فى عام ١٩٣٨

على رأس التيار النشط في الحركة الذى تصدى للخط السائد فى الحركة التصحيحية المؤيد لبريطانيا كحليف بزعامة جابوسنكى، ودعا إلى تغيير هذا الخط.

٢ - وكان بيجين منسقا مع مبعوثى منظمه إتسل اليهودية المسلحة إلى بولونيا وعند سقوطها (بولونيا) فى يد النازيين هرب إلى ڤيلنا وواصل نشاطه الصهيونى عقب إحتلال الجيش السوفيتى للمدينه، الأمر الذى تسبب فى إعتقاله على يد الروس وأودع فى معتقل شمال روسيا.

- وعقب الإتفاق الذى تم بين ستالين والجنرال شيكورسكى رئيس حكومة بولندا فى المنفى أفرج عن بيجين ليخدم فى الجيش البولندى، ووصل إلى فلسطين مرتديا الزى العسكرى البولونى دون أن يكون على علم بتطورات منظمه إتسل وعن الانشقاق داخلها وعن مصرع رزئيل وشترن. وقد رفض تسلم قيادة إتسل، إلى بعد ترك الخدمة العسكرية وتم ذلك فى عام ١٩٤٣ .

٣ - وقد بدأ الشقاق داخل صفوف إتسل وهو أمر أدى إلى نشأة منظمة ليحى بعد ذلك، ويحاول جابوسنكى فى رسالته إلى كل من رزئيل وشترن أن يتفادى الشقاق، إلا أن جابوسنكى أصيب فى ٣/٨/ ١٩٤٠ بأزمة قلبية فى نيويورك أودت بحياته وأدى هذا؛ إضافة إلى مصرع قائدى إتسل الأصلى والإنشقاق - رزئيل وشيرن - إلى فراغ كان لابد من ملئه، وكانت هذه هى مهمة القائد الجديد لإتسل مناحم بيجين الذى قام بتعيين قيادة جديدة وتحديد مهامها فى أربعة بنود هى:-

(أ) رفع شعار الحرب القومية «من أجل الوحدة القومية» .

(ب) غرس فكرة حرب التحرير بين جماهير الشعب .

(جـ) إشتراك الشبيبة وجماهير الشعب فى الحرب .

(د) بعث التقاليد السامية والطهارة الأخلاقية لإتسل المقاتلة وتوحيد صفوفها .

- وفى بداية قيادة بيجين أعلنت إتسل وقف الهدنة مع بريطانيا، وبدء الحرب ضد الحكم الأجنبى على شكل تمرد فى عامى ١٩٤٢-١٩٤٣ وأتهم سياسة حكومة بريطانيا بالخيانة لإستمرارها إنتهاج سياسة الكتاب الأبيض الذى صدر عام ١٩٣٩ وأعد ونفذ عددا من عمليات التخريب والإغتيال ضد المنشآت والشخصيات البريطانية.

٤ - وفى ١٩٤٤/١١/٢ نجحت منظمة ليحى فى إغتيال وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط، «اللورد موين» بالقرب من منزله فى القاهرة وفق خطة رسمها إسحق شامير .

وقد خشى بيجين من تأثير الحادث على منظمة إتسل، رغم أن إتسل وليحى كانا يعملان فى تنسيق معا ضد بريطانيا، إلا أن عملية اللورد موين إنفردت بها ليحى، ولذلك أدان بيجين العملية ودعا ليحى إلى الإنضمام إلى إتسل تفاديا للتصفية من جانب بريطانيا أو من جانب الهاجاناه .

٥ - وعندما حضرت لجنة الأمم المتحدة إلى فلسطين فى منتصف ام ١٩٤٧ للإستماع إلى قادة المنظمات والإتجاهات المختلفة قبل

قرار التقسيم، عرض مناحم بيجين فى إجتماع ضم قادة المنظمة وأعضاء اللجنة، عرض تاريخ منظمة إتسل وأهدافها وتحدث عن اللاسامية والمجازر النازية، مؤكدا أن الحل هو إقامة دول يهودية فى أرض إسرائيل، ويعنى بها فلسطين وشرق الأردن، مع إمكانية بقاء العرب داخل الدوله والعيش فيها كمواطنين، ومعارضته لأى حل يمنح العرب كيانا مستقلا سواء بالتقسيم أو الفدرالية أو الدولة ثنائية القومية، بحجة أن الوطن حق لا يجب المتاجرة به، ورد على رئيس اللجنة بأن العرب إذا هاجموا اليهود «سنضربهم ضربا موجعا». وليس العدد هو المحسوب فى الحرب الحديثة بل الرأس والقدره على القتال.

٦ ـ بعد ظهور مشروع التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحده عام ١٩٤٧ قام مناحم بيجين بمعارضته بشكل متطرف مما أزعج الهاجاناه «بقيادة بن جوريون» ومن ذلك مطالبته بريطانيا بالإنسحاب من أرض إسرائيل التى تشمل فلسطين وشرق الأردن لتكون كلها أرض إسرائيل.

٧ ـ وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وافق مناحم بيجين على حل منظمة إتسل العسكرية (الإرهابية) وحولها إلى حزب استقطب فيه أعضاء الحركة التصحيحية وحمل اسم «حركة حيروت».

ثانيا: بعد قيام الدولة:

١ ـ سيطرت حكومات حزب العمل فى إسرائيل حتى طرأ تغيير هام فى يونيو ١٩٧٧، أى قبل خمسة أشهر من رحلة السادات التاريخية إلى القدس، وذلك عندما شكل مناحم بيجين حكومته

الأولى، وعندئذ تحول الجدل الأيديولوجى إلى صراع سياسى حاسم سيطر على العقد التالى برمته.

ولم يؤد قيام حكومة الليكود عام ١٩٧٧ إلى إحلال سياسته المطلقة محل سياسة حزب العمل، لأن الليكود وحكمة (١٩٧٧ـ١٩٨٨) لم يحصل خلال هذا العقد إلا على أغلبية ضئيلة وكان شبة متكافىء مع أصوات حزب العمل، مما اضطر إلى إشتراكه معه (١٩٨٤ـ ١٩٨٨)، وقد حدّ هذا الوضع كثيرا من قدرة بيجين والليكود على إتخاذ القرارات فى القضية الأساسية المتعلقة بالحرب والسلام.

وكانت إسرائيل حيال سياسيتين أساسيتين بالنسبة للحرب والسلام، تزعم إحداهما مناحم بيجين «الليكود» الذى قال: «بأن الرسالة التاريخية لهذا الجيل هى المحافظة على سلامة أراضى إسرائيل الكبرى من أجل الشعب اليهودى، وأن السلام مع مصر لا يجب أن يتعارض مع هذا الهدف لأن السلام مع مصر استلزم تقديم تنازلات كبيرة، إلا أن الليكود لم يكن يقبل بالسلام إذا أدى إلى فرض قيود على إقامة المستوطنات أو اعترف بحقوق وطنية جماعية للسكان العرب فى يهودا والسامره وغزة، أو حال دون المطالبة بضم هذه الأراضى إلى دولة إسرائيل. إن السلام مع مصر كان إنجازا كبيرا لأنه أزال خطر الحرب من إحدى الجهات وفصل مصر عن المعسكر العربى المتمسك بالحرب وأطلق يد إسرائيل للتركيز على إقامة إسرائيل الكبرى. وأن إتفاق السلام فى سيناء لن يكون نموذجا لإتفاقيات تعقد مع الدول العربية الأخرى ولن يعتد بمبدأ الأرض مقابل السلام».

أما المدرسة الثانية فقد مثلها شيمون بيريز زعيم حزب العمل الذى يرى أن الهدف هو إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقومية والمتصالحة مع العرب والمقبولة لدى العالم المستنير.

٢ ـ وفى ١٩٧٨/٩/١٧ وقع كل من بيجين، وكارتر والسادات إتفاقيتى كامب دافيد التى تحدد المبادئ التى تحكم التفاوض بشأن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ومعها صيغة تتعلق بكيفية معالجة المسألة الفلسطينية.

وبعد التوقيع نشبت خلافات بين كارتر وبيجين، إذ كان كارتر مقتنعا بأن بيجين قد تعهد بأن تلتزم إسرائيل بتجميد إنشاء مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية وغزة إبان إجراء المفاوضات من أجل الحكم الذاتى الفلسطينى، وتمسك بيجين بأنه وافق فقط على التجميد لمدة ثلاثة أشهر، وفى النهاية تغلب عناد بيجين كما كان بإستمرار فى تفسير النقاط الدقيقة فى كامب دافيد، وأدرك السادات حقيقة الموقف الذى وضعه فيه بيجين لأنه سيتهم من العالم العربى ومن بعض المصريين بأنه قد تخلى عن الفلسطينيين.

٣ ـ وعندما عرض بيجين إتفاقيتى كامب دافيد على الكنيست ووجه باعتراض شديد من حزبه ومن الإئتلاف الحاكم، إلا أنه دافع عن الإتفاقيتين موجها النظر إلى أهمية إخراج مصر من المعركة وإلى ضمان أمن إسرائيل، وتفتت العرب، وكان من معارضيه: إسحاق شامير وموشى أرينز وجيئولا كوهين وأريل شارون، إلا أن مهارة بيجين فى تبنى آراء معارضيه من حزب العمل مكنته من تمرير الإتفاقيتين. ومن رأى المعلقين السياسيين أن من المشكوك فيه أن

تتمكن حكومة من غير الليكود «أى العمل» من تمرير إتفاقيتى كامب ديفيد.

ومن سوء حظ بيجين أن المعارضة الشديدة جاءت من داخل حزبه «حيروت» ومن داخل الإئتلاف الحاكم الليكود، واتهموه بأنه عرض أمن إسرائيل للخطر نتيجة ضغوط كارتر.

- وقد اتخذ بيجين خطوات متشددة ليثبت العكس ومن ذلك.

- أنه وجه تهديدات لنقل العاصمة إلى القدس الشرقية.وأطلق صيحات غاضبة ضد كارتر.
- واستخف بأى دور يمكن أن تقوم به السعودية فى عملية السلام .
- وأكد أن الحكم الذاتى الفلسطينى لن يشتمل على الأراضى بل موجه للسكان فقط.

٤ - وعندما تعامل بيجين مع ريجان بعد رحيل كارتر أخذت علاقات البلدين تتدهور بسبب صلف بيجين وإعتداده بنفسه وعدم صدقه والتزامه بوعوده، عندما وعد بعدم معارضته صفقة الأواكس للسعودية ثم عمد إلى غير ذلك، بالإضافة إلى إحراج الولايات المتحدة بأعمال إستفزازية وحشية مثل غزو لبنان ١٩٨٢ .

٥ - وقد تراكمت أخطاء وأعمال بيجين ومنها ضرب المفاعل العراقى، وغزو لبنان، وضم الجولان، وقمع مظاهرات حركة «السلام الآن» وإنتهى الأمر لأسباب غير محددة إلى استقالة بيجين فى سبتمبر ١٩٨٣ .

موسى ديان

وزير الدفاع الإسرائيلي حتى عام ١٩٧٤، ولد في فلسطين ويعتبر من **الصابرا**. كان والده من **رواد** الاستيطان، وقد عاش لفترة في احدى مزارع **الموشاف** ودرس الزراعة بها وانضم للهاجاناه وعمل مع مجموعات الحراسة التي نظمها **الانتداب** البريطاني لمواجهة المظاهرات العربية، كما اشترك في الوحدات التي نظمها **وينجيت** للحراسة الليلية وتأثر بنشاطاته في العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية.

وقبضت عليه السلطات البريطانية لنشاطه السرى في الحركة الصهيونية المسلحة عام ١٩٣٩ وأفرج عنه عام ١٩٤١ لكي يقود جماعات **البالماخ** التي كانت مكلفة بمهام استكشافية (وليست قتالية) إبان الغزو البريطاني لسوريا حيث فقد عينه اليسرى في اشتباك مع القوات التابعة لحكومة فيشي. وقد عمل مع المخابرات البريطانية في إقامة شبكة إذاعية تعمل في حالة وقوع فلسطين تحت الاحتلال الألماني، كما عمل كضابط اتصال وتخابر مع البريطانيين في **القدس** حتى ١٩٤٤ .

وفي حرب ١٩٤٨ قاد ديان عمليات القوات الصهيونية في وادي الأردن، كما قاد القوات التي استولت على اللد والرملة وعمل في جبهة القدس قبل اشتراكه في محادثات رودس (١٩٤٩) مع الأردن كرئيس للوفد العسكري في لجان الهدنة المشتركة.

وفي عام ١٩٥٠ عين قائدا للقطاع الجنوبي، ثم قائدا لقطاع الشمال عام ١٩٥١، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات العسكرية.

وفى عام ١٩٥٢ تولى رئاسة الأركان العامة ثم رئاسة أركان الجيش عام ١٩٥٣ وبهذا يكون قد تولى أهم المناصب الرئيسية فى الجيش الإسرائيلى. وقد قام ديان بتدبير سلسلة من الأعمال الانتقامية ضد مصر وسوريا والأردن ولبنان عام ١٩٥٥ ، وبدأ نجمه فى الصعود بعد توليه قيادة حملة سيناء عام ١٩٥٦ ، وفى أواخر عام ١٩٥٧ درس القانون والأقتصاد والعلوم السياسية.

وقد تولى بن جوريون حضانة ديان سياسيا، فدخل الكنيست عام ١٩٥٩ عن حزبة «**المابای**»، وأسندت إليه وزارة الزراعة فى عام ١٩٥٩ إلا أنه ترك الوزارة عام ١٩٦٤ على أثر نشوب خلاف بينه وبين أشكول، وما لبث أن انشق عن الماباى مقتفيا خطى بن جوريون لتكوين حزب رافى، وذهب بعد ذلك إلى فيتنام الجنوبية لدراسة أسلوب مقاومة الشعب الفيتنامى للجيش الأمريكى الذى يستخدم معدات حربية متقدمة. وقد كان لآراء ديان بصدد ضرورة التفوق العسكرى الإسرائيلى كأسلوب للتعامل مع الدول العربية المجاورة أكبر الأثر فى تدعيم التصور الصهيونى للأمن وفى تزايد سطوة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. وكان من الطبيعى أن يتولى وزارة الدفاع فى أغسطس عام ١٩٦٦ إبان إعداد إسرائيل لشن حرب يونيو ١٩٦٧ . وفى الفترة التالية للحرب صار ديان رمزا لتسلط فكر المؤسسة العسكرية على المجتمع، وتولى إدارة الأراضى المحتلة من خلال الحكم العسكرى. وباعتباره وزيرا للدفاع كان ديان مسئولا عن تنفيذ سياسة إسرائيل تجاه الأراضى العربية المحتلة باستخدام أسلوب العقاب الجماعى ونسف المنازل وتبنى سياسة الجسور المفتوحة

والردع الجسيم ضد الفدائيين الفلسطينيين فى أعقاب أى من عملياتهم العسكرية. ونادى ديان بإنشاء مزيد من المستعمرات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة وبإنشاء ميناء يميت قرب رفح، وهو الأمر الذى اعتبره عدد من قيادات حزب العمل إعلانا مبكرا عن النوايا الإسرائيلية.

ويصف البعض ديان بنقص الثقافة والغرور والتكالب على كسب شعبية بين الشباب، كما أنه يجرى وراء الآثار القديمة والتنقيب عنها. وله كتابات عدة أشهرها مذكراته عن حرب عام ١٩٥٦ .

وقد وجهت لديان عقب حرب ١٩٧٣ انتقادات لاذعة من العسكريين والقيادات المدنية الأخرى فى حزب العمل وخاصة **شابيرو وسابير وايبان** مما أدى إلى عدم اشتراكه فى وزارة **رابين**. وعقب هذا عاد ديان للاهتمام ببيع العاديات وبالاشترك فى حملات الجباية الصهيونية فى الخارج.

وإن كان قد بدأ أخيرا فى تبنى مواقف معارضة لأى «تنازلات» للعرب قد تقوم بها وزارة رابين، كما أنه يتردد فى الدوائر السياسية الإسرائيلية الحديث عن احتمال انضمام بطل المعراخ العسكرى لليكود.

وقد شارك فى مفاوضات «كامب دافيد» ممثلا لحزب العمل والجيش «والصابرا»، وكان مناحم بيجين يأخذ فى أغلب الموضوعات بتوصياته وآرائه التى لا تخرج عن آراء ومبادئ أستاذه «بن جوريون».

القسم السابع

أوضاع إسرائيل الداخلية والخارجية فى ظل كامب دافيد.

الفصل الأول

الأوضاع الداخلية فى إسرائيل

الفصل الثانى

علاقات إسرائيل الخارجية

١ - نظرة إلى مرحلة ما قبل كامب دافيد.

(أ) كانت إسرائيل فى عشية المبادرة المسرحية للرئيس السادات عند مفترق طرق سياسية. إذ كانت تحتفل فى عام ١٩٧٧ بمرور عشر سنوات على حرب الأيام الستة وإحتلال مرتفعات الجولان والضفة الغربية وسيناء وغزة. ولم يكن هناك إتفاق فى الرأى بشأن ما يترتب على استمرار وجود إسرائيل فى تلك المناطق من أثر على الشكل الجغرافى للدولة، وعلى تكوينها الديموغرافى ونسيجها السياسى.

وأدت حرب أكتوبر ١٩٧٣ إلى عزلة إسرائيل فى المجتمع الدولى، وإلى إنخفاض الروح المعنوية بين كثير من المواطنين.

ووجه الإتهام إلى قادة قوات الدفاع الإسرائيلية والوزراء المسؤولين بأنهم إنسانيون أكثر مما ينبغى. وتبددت الأسطورة التى كانت شائعة عن أن الجيش الإسرائيلى لا يقهر. وساد البلاد نوع من الوهن والشعور بالسأم. ومع ازدياد تدهور الأوضاع الاقتصادية وتفاقم المنازعات الداخلية، إزداد الحديث عن عدم كفاءة القيادة

القائمة وعدم نزاهتها. وفى مايو ١٩٧٧ جاءت الانتخابات فأنهت هيمنة حزب العمل التى استمرت ٢٩ عاما ودفعت إلى الساحة بحكومة الليكود التى ليست لها تجربة، وبدأت مفاوضات السلام مع مصر فى هذا الجو من السيولة وعدم اليقين.

(ب) وكانت الصهيونية هى الأيديولوجية الأساسية لإسرائيل المعاصرة. وهى قائمة على إفتراض وجود علاقة عضوية بين أرض إسرائيل والشعب اليهودى وإقامة مؤسسات سياسية سيادية.

وكانت الخطوط الأساسية للمشروع الصهيونى دائماً محلا لتفسيرات متعددة. وقبل إنشاء الدولة كانت هناك تيارات أيديولوجية متعددة متنافسة.

(جـ) وحتى عام ١٩٦٧ كانت هذه الآراء تتعايش مع النهجين الثقافى والماركسى لتناول الصهيونية فى ظل توازن دقيق وهش. غير أن إحتلال المناطق فى حرب ١٩٦٧ إستلزم إعادة بحث العلاقة بين الأسس الجغرافية والإنسانية والسياسية للدولة.

فقد أظهر الصراع الأيديولوجى الذى أعقب ذلك وجود تعارض بين الإهتمام الزائد بالأمن والإعتبارات الجغرافية «وقد مثله فى المقام الأول الليكود» وبين الإعتبارات الديمقراطية والإجتماعية وقد عبرت عنها «دوائر حزب العمل» وتأكد تعذر الجمع بين هذين النهجين المتعارضين عندما شرعت إسرائيل فى مفاوضات السلام مع مصر.

(د) وقبل عام ١٩٧٧ كانت إسرائيل تنظر إلى مصر، وهى أكبر وأقوى الدول المجاورة والمعادية لها، على أنها الخطر الأساسى على وجودها، فمصر، على خلاف سوريا والأردن ولبنان، كان لها دور إيجابى فى الحروب الأربع جميعا، كما كان لها الدور القيادى فى الهجوم الدبلوماسى على إسرائيل فى المحافل الدولية. وهى التى عندما شنت حرب يوم كيبور فى عام ١٩٧٣، كانت المسؤولة بشكل مباشر عن تحطيم شعور إسرائيل بأن قواتها العسكرية لاتهزم.

٢ ـ النتائج الأولية لكامب دافيد:

(أ) حدثت تغيرات كبيرة على المسرح السياسى الإسرائيلى خلال العقد الذى أعقب توقيع إتفاقيتى كامب دافيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ خلال أربع مراحل.

١ ـ مرحلة الإنجازات الدبلوماسية وزيادة الإستقطاب الداخلى، لكتلة ليكود برياسة مناحم بيجين «١٩٧٧ ـ ١٩٨١».

٢ ـ والمرحلة الثانية هى مرحلة الإضطرابات السياسية والركود الدبلوماسى تخللها الغزو الإسرائيلى للبنان فى يونيو ١٩٨٢ .

٣ ـ والمرحلة الثالثة تميزت بإستقرار داخلى تدريجى مصحوب بعجز عن اتخاذ قرارات سياسية حاسمة فى ظل حكومة الوحدة الوطنية المشتركة بين حزب العمل وكتلة ليكود «١٩٨٤ ـ ١٩٨٧».

٤ ـ والمرحلة الرابعة أعلنتها الإنتفاضة المدنية فى الضفة الغربية وغزة والتى بدأت فى ديسمبر ١٩٨٧ .

(ب) وخلال هذه السنوات اختفى تماما الآباء المؤسسون لإسرائيل، وحل محلهم جيل جديد من القادة السياسيين، وإزداد الإنقسام الإجتماعى حده، وانتقل مركز الثقل فى التوازن السياسى، وحدث تحول فى الأولويات السياسية، وانتهت فورة التفاؤل التى تولدت عن زيارة الرئيس السادات إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ وحل محلها مزيج من التطرف من ناحية، والإتجاه إلى تأمل الذات والتوقف عن التحرك من ناحية أخرى.

(جـ) لقد أثرت إتفاقيتا كامب دافيد والعمليات التى صحبتهما على مسار الحوار السياسى فى إسرائيل، وعلى المواقف من الصراع العربى الإسرائيلى. وعلى الإنحيازات السياسية، وعلى جدول أعمال الرأى العام وأساليب التحرك السياسى، وعلى العلاقات الخارجية.

(د) وقد أدى التقارب بين إسرائيل ومصر إلى بدء سلسلة من عمليات التكيف السياسى، لم تلبث أن اكتسبت مسارا خاصا بها خلال عقد الثمانينات.

(هـ) وقد حاول مناحم بيجين أن يدافع عن الإتفاقيتين اللتين نتجتا عن كامب دافيد بالفصل بين قضية السلام ومسألة الأراضى. فأعلن أثناء المناقشة التى دارت فى الكنيست حول شروط السلام مع مصر، بصورة قاطعة: «إن إسرائيل لن تعود أبدا إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ . والقدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لإسرائيل.ولن تقسم أبدا بعد الآن، ولن تقوم دولة فلسطين فى يهودا والسامرة وغزة». وكان بيجين يأمل أن يبرر بذلك عودة

سيناء إلى مصر، وإرساء الأساس لإحتفاظ إسرائيل بالضفة الغربية إلى مالا نهاية، واسترضاء المجموعات الوطنية المتطرفة داخل معسكره ذاته.

(و) وقد أدت إتفاقيتا السلام إلى بداية التشرذم الأيديولوجي للقاعدة المؤيدة لليكود. وفي هذه المرحلة وضعت الخطوط الأساسية للتطرف الديني والوطني، والذي يتمثل في قيام شخصين منشقين على جماعة حيروت هما جيئولا كوهين، ويوفال نيمان بإنشاء حزب تحيا في عام ١٩٧٩).

(ز) وأدت مبادرة السادات إلى تشجيع إحتمالات إخراج مصر من دائرة المواجهة وتحييد الخطر الذي تتعرض له حدودها الجنوبية، كما أن المبادرة أدت إلى إيقاع الفرقة بين الصفوف العربية.

٣ ـ النظرة إلى السلام:

(أ) إتخذت الأفكار العامة عن السلام صورة نموذجية مثالية، وتوقع كثير من الإسرائيليين أن تتحول مصر على الفور من العداء إلى الصداقة. وطفقت الصحف تتحدث عن الإنتقال من الكراهية إلى توقف القتال بنفس العبارات السيكولوجية التي تستخدم في العلاقات الشخصية. وكان من نتائج هذه النظرة أن أصبح كل تردد مصري، أو تأجيل أو تسويف ينظر إليه على أنه دليل على التراجع.

وواقع الأمر أن السلام مع مصر لم يحقق في بعض الأحيان التوقعات المتفائلة التي عززتها كامب دافيد في أذهان الإسرائيليين

وخلال العقد الأول من التقارب المصرى الإسرائيلى، أصبحت مسألة إمكانيات التنفيذ العملى لمعاهدة السلام جزءا من الحوار السياسى الدائر داخل إسرائيل. فكان غير الراغبين فى إستكشاف سبل جديدة للسلام يبرزون العقبات القائمة بين البلدين، والثمن الباهظ الذى دفعته إسرائيل مقابل ذلك. بينما كان من يسعون إلى المزيد من المبادرات يشيرون إلى الهدوء السائد على الحدود الجنوبية لإسرائيل.

(ب) وقد خلقت عملية السلام بين مصر وإسرائيل مجالا للتمييز بين السيادة على الشعب والسيادة على الأرض، وبين الحكم الذاتى الإدارى والحكم الذاتى التشريعى، وبين الإشراف السياسى والسيطرة العسكرية. والأهم من ذلك أنها تطلبت لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ أن تقدم الحجج المؤيدة لإستمرار الإحتلال مستندة إلى أساس داخلى محلى، لأن الحجج الخارجية القائمة على منطق الدفاع لم يعد لها مايبررها فى حد ذاتها.

(جـ) وكان من المفارقات أن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل قللت أيضا من الشعور الذى كان قائما بضرورة البحث العاجل عن تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى فى نطاقه الأوسع. فإتفاقيتا ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ عندما أتاحتا للحكومة الإسرائيلية فترة لإلتقاط الأنفاس، ويربطهما بين إستمرار التقدم فى عملية السلام وتحسين العلاقات مع مصر، أجلتا ـ مؤقتا على الأقل ـ المواجهة الجدية لمسألة علاقات إسرائيل المقبلة بجيرانها الآخريين.

٤ ـ زيادة حدة الخلافات الداخلية:

أدت التصورات التى نتجت عن كامب دافيد إلى زيادة حدة الخلافات الداخلية. فالذين يؤيدون الوصول إلى حل وسط قالوا إن إسرائيل لن تستطيع أن تبقى كدولة يهودية إلا بالإنسحاب من المناطق التى يوجد فيها العرب بتركيزات كبيرة. أما من يسعون إلى تحقيق حلمهم بإسرائيل الكبرى، فكانوا يريدون الإحتفاظ بالإحتلال «وبالقوة إذا لزم الأمر»، بل ووصل البعض إلى حد وضع خطط لترحيل السكان «الترانسفير»، وكان من المحتم أن تستخدم الاعتبارات الديموغرافية فى الآراء الداعية إلى زيادة عدد اليهود، سواء عن طريق زيادة معدل المواليد، أو عن طريق التوسع فى الهجرة التى يأتى معظمها من الاتحاد السوفييتى.

وقد ترتب على التشرذم الأيديولوجى الذى صحب توقيع معاهدة السلام مع مصر، تفاقم ما لوحظ فى السبعينيات من إنهيار قواعد التعايش التى كانت سائدة فى السنوات الأولى لقيام الدولة.

٥ ـ الأمن الإسرائيلى:

(أ) وقد عالجت الإتفاقيتان جميع الجوانب الأمنية التى تهتم بها جميع الفئات السياسية فى إسرائيل تقريبا. فقد كان فى وسع المعتدلين «فى الليكود كما فى حزب العمل» أن يروا فى المعاهدة دليلا على خطأ الحكمة الشائعة التى تقول: إن جميع العرب عقدوا العزم على إزالة إسرائيل من الوجود. وشعر المتشددون أيضا بالإغتباط لأن المعاهدة أدت عمليا إلى زيادة قدرة إسرائيل على تحقيق أهدافها العسكرية فى الأنحاء

الأخرى. ورأى المواطنون الذين أنهكهم القتال فى الإتفاقيتين قدرا من تخفيف العبء على الأقل.

(ب) غير أن إتفاقيتى كامب دافيد لم تقضيا على مخاوف إسرائيل الأمنية، بل غيرتا اتجاهها فحسب. وقد حدث بعد مفاوضات السلام إعادة توجيه للأهداف الإستراتيجية، ولكن دون تغيير للإفتراضات الأساسية. وبحلول أوائل الثمانينيات كانت سوريا قد أصبحت أهم خصم خارجي يواجه إسرائيل. كما وجه مزيد من الإهتمام إلى «العدو الداخلى» إذ أصبح الفلسطينيون - ولا سيما منظمة التحرير الفلسطينية - هم المحور الأساسى لإهتمامات إسرائيل الأمنية. ومن ثم يمكن أن يقال إن كامب دافيد أدخلت تعريفا جديدا للعدو، وجعلته جزئيا عدوا داخليا.

(جـ) وقد أثرت هذه التغييرات الفكرية على مسار النزاع العربى الإسرائيلى، وأصبح الإهتمام موجها فى الأساس إلى الجبهة الشمالية. وكان قصف المفاعل النووى العراقى فى يونيو ١٩٨١ مؤشرا أوليا على هذا التوجه الجديد. وكان فرض القانون الإسرائيلى على الجولان تعبيرا أكثر خطورة عن ذلك. وكانت حرب لبنان هى ذروة هذا الإتجاه.

التأثيرعلى البناء السياسى - الاقتصادى والاجتماعى.

١ - الحياة الحزبية والديمقراطية:

(أ) الديمقراطية البرلمانية فى إسرائيل تقوم على سيادة مجلسها الوطنى (الكنيست). ونظامها القائم على التمثيل النسبى الذى وضع أصلا لإتاحة الفرصة لمختلف المجموعات للمشاركة فى رسم السياسة، لم يشجع على التنافس الفردى بينما شجع على تعدد الأحزاب. ولما كان الحصول على ١٪ من الأصوات كافيا لشغل مقعد فى الكنيست، كان من الطبيعى أن تتعدد الأحزاب وتتفتت.

غير أن الوصول إلى السلطة أصبح يمر أيضا عن طريق تلك الأحزاب الصغيرة، وأصبح قادتها يتمتعون بقدر من النفوذ يتجاوز بكثير ما لهم من أصوات. وكانت الأحزاب الصغيرة متجانسة فى داخلها بوجه عام إذ تمثل فئات محددة، أما التكتلات الكبيرة فهى بحكم طبيعتها تضم مصالح متعددة، وابتليت هذه التكتلات بصورة مستمرة بالصراعات الداخلية القائمة على الخلافات الشخصية

بالاضافة إلى الخلافات الأيديولوجية والتكتيكية. وفى داخل هذه الظروف لم يحصل حزب واحد على الأغلبية، وكان على الحكومات أن تعتمد على تحالفات هشة للبقاء فى الحكم. وتتجه الحياة السياسية فى مثل هذا النظام المعقد إلى أوضاع غير مستقرة. ورغم السيطرة التى مارسها حزب العمل خلال السنوات الثلاثة الأولى من إستقلال إسرائيل، فقد كانت هذه الخصائص ظاهرة بوضوح، وإن كان قد أمكن السيطرة على جوانبها المتطرفة.

(ب) وأدت إنتخابات مايو ١٩٧٧ إلى إحداث تحول أساسى فى توازن القوى داخل إسرائيل. إذ أصبحت مجموعة الليكود «التى تتألف من حيروت والحزب الليبرالى ومجموعة لعام الصغيرة» تسيطر على ٤٣ مقعداً. وبذلك غدت أكبر حزب فى الكنيست بعد أن استقطبت سخط الفئات المحرومة، ومعظمها من السفارديم، وحصلت على أصواتهم فى المدن الجديدة والأحياء الفقيرة. وانخفض عدد نواب حزب العمل إنخفاضا حادا، من ٥١ فى عام ١٩٧٣ إلى ٣٢ فى عام ١٩٧٧ . وكان ضعف مؤسسة العمل «وهى تتألف أيضا من عدة فصائل» ملحوظا منذ بعض الوقت».

فقد أسهم فى ضعف تأثير الحزب جمود حركته، وعجزه عن الاستجابة السريعة للأحداث، وعدم الكفاءة، وعدم تحديد السياسات. وتحولت أصوات الناخبين الذين إعتادوا تأييد حزب العمل إلى الحزب الجديد المسمى «الحركة الديمقراطية من أجل التغيير»، وهو تشكيل وسطى كان من شعاراته الإنتخابية إجراء تعديل لنظام

الانتخاب. وكانت نتيجة الإنتخابات تحديا خطيرا للديمقراطية، التى مازالت ضعيفة التكوين فى إسرائيل.

(جـ) وجاء السادات إلى القدس فى الوقت الذى كان فيه كثير من الساسة والأحزاب والمواطنين مازالوا يحاولون التكيف مع الواقع السياسى الجديد. وأدت مفاوضات السلام إلى المزيد من تفاقم المناخ السياسى المتوتر. وكانت الحجج تتطاير فى داخل الكتلتين الأساسيتين حول محتوى الإتفاقيتين ونتائجهما السياسية.

ووقع حزب العمل حائرا بين تأييده للمعاهدة من حيث المبدأ وخوفه من تأثر مركزه السياسى نتيجة لتوصل الليكود إلى اتفاق ناجح. وانقسم الليكود أيضا بين الوطنيين المتطرفين الذين رأوا فى إعادة سيناء تنازلا لايمكن قبولة، وبين اللذين أيدوا التصديق على إتفاقية السلام.

(د) وقامت جماعة جوش إمونيم (كتلة المؤمنين) التى تأسست فى عام ١٩٧٤ بدور الداعى الأساسى للتعجيل بإنشاء المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية وغزة. وتحرك أعضاؤها بين الكواليس، مع المجموعات المتحالفة معهم «اللجنة المناهضة للإنسحاب من سيناء، وحركة كاخ التابعة للحاخام مائير كاهان» للعمل ضد الإتفاقيتين.

وتشكلت حكرة «السلام الآن» بصورة تلقائية بعد أن وجه ٣٥٠ من ضباط الإحتياط رسالة إلى مناحم بيجين فى عشية سفره إلى كامب دافيد يناشدونه فيها أن يضع قضية السلام على رأس جدول أعماله. وأصبحت هذه الحركة فى مقدمة المؤيدين للإتفاقيتين.

(هـ) وصوتّ الكنيست مؤيدا لإتفاقيتى كامب دافيد بأغلبية ساحقة وكانت أغلبية أصوات المعارضين من داخل صفوف الإئتلاف ذاته، وكان من العوامل التى مكنت بيجين من التمسك بموقفه أنه لم يواجه معارضة رسمية من خارج حزبه حول هذا الموضوع.

وهو عندما تبنى بمهارة نفس الدعوات التى كان حزب العمل يتبناها وضع منافسيه فى وضع لايملكون معه إلا أن يؤيدوا الإتفاقيتين. ومن المشكوك فيه أن تكون حكومة أخرى، لايرأسها تكتل الليكود، قادرة فى ذلك الوقت على ضمان التأييد البرلمانى اللازم للمعاهدات.

غير أن السياسات الداخلية المرتبطة بمعاهدة السلام الإسرائيلية المصرية أدت إلى المزيد من الخلافات، فقد تم عمليا تحييد معارضة حزب العمل. إذ سرعان ماتبددت الأسطورة التى كانت تردد أن التصحيحيين إذا ما وصلوا إلى السلطة لن يلبثوا أن يجروا البلد إلى حرب أخرى.

(و) وأيضا تأثر تركيب الأحزاب السياسية نتيجة لتوقيع إتفاقيتى كامب دافيد فالحركة الديمقراطية من أجل التغيير إنقسمت على نفسها. وبذلك إنهار الفريق الذى يشغل الموقع الأوسط. وخلال أشهر معدودات من التصديق على معاهدة السلام فى ١٩٧٩، إنفصل عن الحكومة إثنان من المفاوضين الأساسيين وهما وزير الخارجية موشى ديان، ووزير الدفاع عزرا وايزمان، وذلك بسبب مسلك الحكومة فى محادثات الحكم الذاتى.

ومن ثم خرج صوتان من أصوات المعتدلين. وغضب المتطرفون اليمينيون فى حيروت بسبب إعادة سيناء. فانفصلوا وكونوا جماعة تحيا. وفى داخل حزب بيجين ظل المؤيدون والمعارضون لكامب دافيد يتنافسون على السيطرة على المؤسسات الرئيسية للحزب.

وهناك عامل آخر إذ أصبح للحركات خارج البرلمان فى ظل هذا الوضع دور سياسى أكبر مما كان لها فى السابق.

وشكلت حركتا «جوش إمونيم» و «السلام الآن» مع مجموعة متباينة من الحركات تجمع بين اليمين واليسار، شبكات تنظيمية لصيغة جديدة من المواجهة السياسية. ولما كانت هذه المجموعات غير مقيدة للإنضباط الحزبى، فقد إبتعدت بساحة النشاط السياسى عن أبهاء الكنيست والمكاتب الحكومية وحولتها إلى شوارع المدن الرئيسية ومواقع المستوطنات المقترحة.

وهناك أيضا، تأثير عمليات المواءمة السياسية التى تمت فى أواخر السبعينيات على الحد من الضوابط المفروضة على مراكز السلطة. فعندما تضاءلت قوة حزب المعارضة فقد الكنيست سلطانه وتفشت المنازعات داخل الأحزاب، وقوى نفوذ الفئات غير البرلمانية، وإزداد المركز الشخصى لمناحم بيجين ترفعا، ولم تبق غير آليات قليلة للغاية لمراقبة النشاط الحكومى. وفى هذه المرحلة تدعم مركز الليكود، وزادت أهمية تركيز السلطة والإعتبارات المتعلقة بها.

(ز) وجاءت إنتخابات عام ١٩٨١ فضاعفت من التوتر السياسى الداخلى الذى كانت عملية كامب دافيد قد أذكته. ورغم ما تبين من أن حكومة ليكود الأولى غير مؤهلة لمعالجة أدواء البلد الاقتصادية المتفاقمة، ورغم تزايد السخط الاجتماعى، فإن تكتل حزب العمل لم يتمكن من الإستفادة من الأخطاء الحكومية الصارخة، وأثبت بيجين مرة أخرى أنه السياسى الذى لايشق له غبار.

(ح) أدى غزو لبنان فى يونيو ١٩٨٢ إلى إحياء المعارضة التى أخمدتها كامب دافيد، وجعل منها مركزا لإثارة الإهتمام ولكن دون أن تنشأ عنه أية مبادئ تنظيمية توحيدية. وتكاثرت حركات الإعتراض: فإلى جانب حركة «السلام الآن» ظهر عدد من التجمعات المناهضة للحرب من بينها حركة «الأمهات المعاديات للصمت» و «اللجنة المعارضة للحرب فى لبنان» وحركة «هناك حد»، وعمل المدافعون عن حقوق الإنسان على تعزيز «لجنة التضامن مع جماعة بيرزيت» و «رابطة الحقوق المدنية فى إسرائيل» و «حركة الحقوق المدنية» التى تزعمها شولاميت ألونى.

(ط) وصل التوتر المتزايد فى النظام السياسى إلى ذروته فى إنتخابات عام ١٩٨٤ ورغم جو السخط السائد، وعدم الكفاءة الصارخ لحكومة الليكود، والتفوق الظاهر لحزب العمل فى استطلاعات الرأى التى سبقت الإنتخابات، خرج التحالفان الرئيسيان فى النهاية متكافئين تقريبا. وفقد كل من الحزبين

الرئيسين عددا من الأصوات لصالح المجموعات المنشقة من اتجاهه ذاته. ونجح في الوصول إلى الكنيست ١٥ حزبا وكان كل من التكتلين الرئسيين قد أخطأ في تقدير مدى رغبة الناخبين في وجود وسيلة يمكن بها التعرف على التحركات السياسية مقدما.

وخرج من الطريق الإنتخابى المسدود حل عملى: فأنشئت حكومة «للوحدة» الوطنية تضم حزبى العمل والليكود، واتفق على نظام معقد لتوزيع المقاعد الوزارية، وعلى تبادل زئاسة الوزارة بين شيمون بيريز رئيس حزب العمل، وإسحق شامير رئيس الليكود. وكان هذا الترتيب تعبيرا عن حل وسط، ولكنه لا يصل إلى حد التوافق فى الرأى.

ودليلا على انتصار اعتبارات السلطة على الأيديولوجية والمبادئ، والأرجح أن هذا الترتيب كان أيضا، فى الظروف التى تم فيها، هو المخرج العملى الوحيد من مواجهة مأزق سياسى شامل.

وترتب على تشكيل حكومة الوحدة الوطنية عدد من التغيرات الهامة فى الخريطة السياسية لإسرائيل. منها القبول بصيغة الاشتراك فى الحكم أحدث تغييرا فى هيكل القيادة. فمن الأشخاص الذين يتولون المناصب الرئيسية، وهى رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية بالتبادل بين اسحاق شامير وشيمون بيريز ووزارة الدفاع «اسحق رابين، تشكلت هيئة ثلاثية (ترويكا) وأصبح رابين هو صاحب السلطة الرئيسية، وإن لم يكن دائما هو الشخصية البازة جماهيريا، بل إزدادت سلطته السياسية نتيجة لاستمراه فى منصبه طوال فترة السنوات الأربع التى تقضيها الوزارة فى الحكم. وبالتالى كان هو أكبر

المستـفيدين من الترتيبـات التى وضعت لحكومة الوحـدة الوطـنية. ومـابدا أنه إنـتقال إلى شكل من أشكال القيادة الجماعـية، تحـول إلى وسيلة لتثبيت إنقسام السلطة فى القمة، وتحاشى المسؤولية الجماعية لمجلس الوزراء.

وأيضا عندما جمعت هذه التركيبة بين قوى متعارضة داخل الإئتلاف الحـاكم، لم تعد الحكومة قادرة على التصرف بقـوة. وقد أمكن تحـقـيق بعض التـقـدم فـى المسائل ذات الإهتـمـام المشـتـرك «الإقتصاد والإنسحاب من لبنان» ولكن لم يكن فى الوسع تحقيق تقدم يذكر فى المسائل الأساسية التى يقوم بشأنها الخلاف (وهى مسائل الأراضى المحـتلة، ومـبـادرات السـلام، وبعض جـوانب العـلاقـات الخارجية، ثم أهم الموضوعات وهو أسلوب معالجة الإنتفاضة المدنية فى الضفة الغربية وغزة) وكـان هذا الترتيب يستلزم الإعـتدال، ولكنه شجع على العناد والتشبث بالرأى.

(ى) وقد عملت هذه الترتيبات، بتجميدها للنشاط السياسى على بقاء الموجـودين بالفـعل فى السلطة، وحـاولت دون تجـديد القـيـادة السـيـاسـيـة. وأسـفـرت فـى النهـاية عن إغـلاق قنوات الإتصـال السـياسى، ومن ثم حـدّت من الحـافـز للتـغـيـيـر. ولذا فـقـد أثارت تجربة حكومـة الوحـدة الوطـنيـة تساؤلات جدية عن مـدى قـدرة الديمقراطية فى إسرائيل بصورتها الحاضرة على الإحـتفاظ بأية قوة دافعة.

وتضـخـمت بعض هذه القـضـايا عـشـيـة الذكـرى العـاشـرة لإجتمـاعـات كـامب دافيد، إذ اختلف شيمون بيريز وإسحـاق شامير

حول كيفية معالجة التحدى الفلسطينى، وكيفية تحريك العملية الدبلوماسيَة. وخلال الشهور الحاسمة فى الفترة بين ديسمبر ١٩٨٧ وفبراير ١٩٨٨ لم تكن للحكومة سياسة معروفة وكان الشخص الذى يقرر الإجراءات التى تتخذ هو فى الغالب إسحاق رابين بوصفه الوزير المسؤول عن الأمن.

وفى هذا الجو تمت باستعجال المراحل الأولى للحملة الإنتخابية فى عام ١٩٨٨ وإذا كان قد بدأ فى أواخر عام ١٩٨٧ أن إسرائيل ستشهد نتيجة لا تختلف كثيرا عن نتيجة إنتخابات ١٩٨٤، فإن أحداث بداية سنة الانتخابات جعلت التنبؤ بالنتائج أمرا محفوف بالمخاطر على الأقل. فلم يكن فى الوسع التنبؤ بدرجة من اليقين بتأثير الهزه الفلسطينية على سياسات الأحزاب.

والخلاصة، أن المسرح السياسى الداخلى فى أواخر الثمانينيات كان يختلف إختلافا كبيرا عن الأوضاع التى كانت سائدة عشية إجتماعات كامب دافيد. وقد أثرت مفاوضات السلام على التجمعات السياسية وعلى الإجراءات والقواعد والممارسات.

(٢) التركيب الإقتصادى - الإجتماعى:

(أ) رغم ما أبداه المجتمع الإسرائيلى فى بعض الفترات من تماسك خارجى شديد، فقد كان يفتقر دائما إلى التماسك الداخلى. وخلال القرن العشرين، ومع إتساع نطاق الهجرة، وتشكيل أنواع مختلفة من المؤسسات الإجتماعية، ظهرت شروخ فى واجهه الوحده فنجد:

(أ) الإنقسامات العنصرية التى تقسم البلد بوجه عام إلى معسكر للسفارديم (يهود البلدان المتحدثة بالعربية) ،والإشكينازى - اليهود ذوو الأصول الأوربية والغربية،

(ب) الفوارق الطبيعية المتزايدة والتى تتمثل فى الإختلاف فى الدخل والمهنة، والإختلافات الجغرافية ،وهى فى معظمها بين سكان الكيبوتز المخضرمين وسكان المدن الجديدة المجاوره.

(جـ) الفوارق الدينية التى تمتد بين الفئات الأرثوذكسية والفئات العلمانية.

(د) التكتلات الأيديولوجية التى كانت محورا للتواصل والتفاعل الإجتماعى.

(هـ) التجمعات الوطنية التى تفصل بين أغلبية اليهود والمواطنين العرب، ومن ثم فإن العلاقات الإجتماعية تتميز بطبيعتها بدرجة من السيولة الكامنة، كما أن أسباب القلق الداخلى تتغير من وقت لآخر.

وفى أوائل السبعينات، زادت الأنقسامات الإجتماعية وضوحا بين اليهود فى إسرائيل. وكانت إنتخابات عام ١٩٧٧ قد أضفت على تلك الفوارق طابعا سياسيا.

(ب) وكان الإجهاد الناتج عن المواجهة الإنتخابية مازال ملموسا

عندما قام السادات بزيارته للقدس. ومع ذلك كان التوقيت أفضل مايكون لزيارة كهذه، فالسنوات الطويلة من النزاع جعلت لنداء السلام جاذبيه خاصه.

وأدت عملية السلام بين مصر وإسرائيل إلى تخفيف كثير من مشاعر القلق لدى معظم الإسرائيليين. وعندما تضاءل الخوف من الحرب إتجه إهتمام الجمهور وطاقته إلى القضايا الداخلية التى أهملت لبعض الوقت.

ودعم هذا الإتجاه ما قام به مناحم بيجين بمهارة من الربط بين السلام والرخاء الإجتماعى فى دفاعه عن التصديق على إتفاقيتى كامب دافيد فضلا عما فى ذلك من تهدئة لمطالب العناصر الجديدة التى إنضمت إلى مؤيدى الليكود. ومن ثم فإن المعاهدة أدت بشكل غير مباشر إلى السماح باستخدام السياسة وسيلة لتحقيق مكاسب فئوية، وعززت الفكرة القائلة بأن الدولة هى موزعة المنافع. وبذلك زادت المعاهدة من التوقعات الشعبية من الحكومة. وأثرت على إيقاع المبادلات الاجتماعية وطبيعتها ومحتواها.

(جـ) وكانت عملية السلام مع مصر واحدة من العوامل العديدة التى سمحت بالسعى وراء الأهداف المادية، وكشفت عن الميول البراجمانية للإسرائيليين فى العقد الرابع بعد الإستقلال. ففى هذه الفترة أصبح الإهتمام العام يتركز بدرجة أكبر على الأمور المباشرة والملموسة. وغدت الأولويات تتحدد بصورة متزايدة على أساس المطالب المحلية، وحتى بعد تخفيف المشكلات الإقتصادية الجوهرية ظلت الشئون المحلية هى التى لها الأولوية فى إهتمام الجماهير، وذلك نتيجة لتدهور الخدمات الإجتماعية، وكثرة المطالب المتعلقة بالأجور، والإضرابات العمالية المعلنة والمستترة، كما أنفجر عدد من الفضائح المالية.

وفى الوقت ذاته إزداد التوتر حول القضايا الدينية. وبينما إستمرت بعض الضغوط الداعيه إلى معالجة مسألتى الأرض والسلام إلا أنها توارت وراء مجموعة واسعة من الإهتمامات المحدودة والضيقة التى ظلت تشغل وقت الحكومة.

وكانت هذه التحولات دخيلة على أنماط التفاعل الإجتماعى فى إسرائيل. ففى المرحلة التى أعقبت كامب دافيد مباشرة إرتبط قدر من الدعه المادية بإرتفاع الروح الوطنية. ولما كانت المصالح العنصرية الطبقية قد إزدادت صقلا ووجدت أشكالا تنظيمية للتعبير عنها، فإن المطالب الإجتماعية الإقتصادية للفئات التى كانت محرومة السابق أصبحت تلقى آذان صاغية وتغيرت تبعا لذلك أنماط الإنفاق الحكومى.

(د) وفى بداية الثمانينيات، كان هناك هيكل ثلاثى يميز المسرح الإجتماعى اليهودى: إذ تشكلت فى هذه المرحلة مجموعتان إجتماعيتان كبيرتان، هما على وجه التقريب جماعة الإشكينازى فى مقابل جماعة السفارديم، الحمائم مقابل الصقور، القادرون على الترقى فى السلم الإجتماعى مقابل المحرومين، والعلمانيون مقابل التقليديين. وكانت هناك جماعة ثالثة بدأت تتبلور حول قضايا عملية خالصة. وهى جماعة غير محددة الشكل وليست لها إرتباطات إيديولوجية إجتماعية قوية، تضم فئات توجه القدر الأكبر من إهتمامها إلى مطالب الحياة اليومية لا إلى القضايا الكبرى المتعلقة بالحرب والسلام والأمن. وكانت كل جماعة من هذه الجماعات مكتفية بذاتها إلى حد

كبير. ولا يتم التواصل بينها على الخطوط إلا فى أضيق الحدود مع ما ينطوى عليه ذلك من نزاعات. ويقف القطاع العربى خارج هذه المجموعات، إحتياجاته مهملة، وشعوره بالغربة يزواد.

وتجلى بوضوح شديد هذا الإبتعاد عن القضايا السياسية الكبرى خلال هذا العقد فى إحتدام الإنقسامات الدينية إذ إزدادت أهمية فرق الأرثوذكس المتطرفة، والأرثوذكس، والتقليديين، والعلمانيين، والمناهضين للدين. وانتشرت المنازعات ذات الجذور الدينية، واتخذت أشكالا عنيفة. وأصبحت العلاقات بين المجموعات ذات العقائد الدينية المختلفة أكثر حدة، وزادت النزعات الأصولية. وهذه المنازعات الدينية على خلاف المنازعات السياسية والاقتصادية، غير قابلة للتفاوض. ولما كانت هذه الجماعات أقل قابلية للتغير، وأقل إستعدادا لعقد تحالفات مع من ينتمون إلى العقائد الأخرى، فقد إزدهرت عندما إفتقد البديل، وهو التجمع على أساس المصالح. وكان لهذه الإتجاهات أثرها السياسى الواضح. فبحلول عام ١٩٨٨ كان الإئتلاف القديم بين حزب العمل والحزب الدينى الوطنى قد إنتهى إلى غير رجعة. وغدت الأحزاب الدينية أكثر إرتباطا بمعسكر الليكود، ومن ثم زادت قدرتها على التأثير فى التوازن السياسى بعد إنتخابات عام ١٩٨٨ . وكان هذا الإزدهار للتيارات الدينية تحديا للقيم الديمقراطية الأساسية القائمة على التسامح والتعددية، وبذلك إصطدمت بأهم قواعد المجتمع الإسرائيلى.

والخلاصة هى أنه بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر، مر المجتمع الإسرائيلى فى البداية بعملية استقطاب، ثم بإنقسامات

وإنقسامات فرعية، ثم بعملية تفتت وتشرذم. وفى حين تعمقت الخلافات الرئيسية لم تتشكل تحالفات جديدة، ومن ثم انتقل مجال النشاط من القضايا العامة التى تهم الوطن كله إلى مسائل أقرب للإهتمامات المحلية، ثم إلى مصالح لاتمس غير فئات محدودة. وربما يكون إهتمام المجتمع بالسياسة قد زاد، ولكنه إهتمام يفتقر إلى الإتجاه المترابط، وبالتالى إلى التأثير السياسى.

وزاد الإستقطاب فى العلاقات بين اليهود والعرب داخل إسرائيل بعد عام ١٩٨٧، وقام القطاع العربى الذى كان تهميشه يجرى بصورة منظمة خلال العقد السابق، بتنظيم إضراب عام تأييدا للمقاومة أو الإنتفاضة، وتمسك بمعارضته للسياسة الإسرائيلية - مع إستخدام العنف فى بعض الأحيان. وتفاقم الإنقسام بين المواطنين والعرب فى إسرائيل وبين الأغلبية اليهودية. وربما كان أوضح مثال على ذلك هو ما قرره عبد الوهاب دراوشه، عضو الكنيست عن حزب العمل، من الخروج من الحزب، وفى عشية الإنتخابات عام ١٩٨٨ كان الناخبون من غير اليهود حريصين على الابتعاد سياسيا عن الكتلتين الرئيسيين، ولو عبئت إمكانياتهم الإنتخابية التى تستطيع أن تحصل على ١٤ مقعدا فى الكنيست لكان لها أثر عميق على مجرى السياسة المحلية فى السنوات المقبلة.

وقد عبر المناخ الوطنى بطبيعة الحال عن كثير من هذه التحولات فى جوهر الحياة الاجتماعية وإيقاعها. ففى فترة التفاوض مع مصر كانت السمه المميزه هى الساحه السياسية وتناقصت الرغبة فى المشاركة، وإنتشرت ظاهرة «روش كاتان» «العقل الصغير»

ومؤداها إنعدام الرغبة فى فهم الجدل السياسى، أو التأثير فيه. وكانت كل من النزعة الأصولية والنزعة إلى الجمود شكلا من أشكال الهروب، وقبل ديسمبر ١٩٨٧ كان كل زعيم جكومى وكل حزب سياسى مضطرا لأن يتصدى للبحث عن وسيلة لمحاربة اللامبالاة دون التخلى عن السيطره للفئات الهامشية. ولكن أحداث ذلك الشهر أدت إلى إخراج كثير من الإسرائيليين من لا مبالاتهم، وإن كان هناك ما يدل على أن المسؤولين لم يستجيبوا للأحداث بالسرعة اللازمة وحل مزيج من عدم اليقين والشك والخوف محل رباطة الجأش التى سادت فى السنوات السابقة.

وساعدت مفاوضات السلام التى إقتربت بإضفاء طابع سياسى على الفوارق الاجتماعية فى أواخر السبعينيات، على حفز التغير الاجتماعى الإقتصادى فى إسرائيل.

وقد لوحظ أن مستوى المعيشة ارتفع بصورة ملموسة فى السنوات العشر التالية، لكن العلاقات الإجتماعية لم تستقر خلال تلك الفترة، وزادت الرغبة فى تجنب مناقشة القضايا الاجتماعية. ومن ثم فإن جدول الأعمال العام كان فى ١٩٨٨ أكثر غموضا وإضطرابا عنه فى ١٩٧٨ . وعندما تنظر الآن إلى الوراء لترى تأثير عملية السلام بين مصر وإسرائيل، نجد أنها كانت حافزا للتحول الداخلى.

١ ـ علاقات إسرائيل الخارجية :

(أ) منذ أن أصدرت الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧ قرارها المؤيد لإنشاء دولة إسرائيل فى العام التالى، بات وجود هذه الدولة وإزدهارها معتمدين دائما، لدرجة ما، على موقفها فى المجال الدولى. ولذا كان للعلاقات الخارجية دورها الأساسى فى سياسة إسرائيل. وقد صحب حرب ١٩٦٧ قطع العلاقات مع الكتلة الشرقية، وتوقف الدعم العسكرى الفرنسى، وتراجع مكانة إسرائيل فى المحافل الدولية. وبعد حرب عام ١٩٧٣ كان الحظر النفطى وما أعقبه من ركود إقتصادى عالمى وقطع معظم بلدان أفريقيا علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل، أصبحت إسرائيل، تعيش على تخوم المجتمع الدولى.

وكان ضعف موقف إسرائيل واضحا فى عشية محادثات كامب دافيد. وأتاح الوصول بالمفاوضات إلى خاتمة ناجحة، الفرصة لإسرائيل لتجديد القدرة على التحرك فى الخارج، ولكن فى نفس اللحظة التى تحسنت فيها الإمكانيات الدبلوماسية، زادت تبعية إسرائيل للولايات المتحدة.

(ب) وقد شهد العقد الذى تلا التصديق على معاهدة السلام مع مصر تحسنا ملحوظا فى الوضع الدولى لإسرائيل. وعندما تم الجلاء عن سيناء أبدت عواصم كثيرة فى أوروبا والعالم الثالث إستعدادها لإعادة تقييم الموقف من إسرائيل. ولولا غزو لبنان، وما أثاره من استهجان دولى شديد لترتب على ذلك الاستعداد لنتائج ملموسة فى وقت مبكر. وعلى أية حال، فإنه مع نهاية عام ١٩٨٣ كانت قد أعيدت العلاقات الدبلوماسية مع زائير وليبيريا، كما بدأت عملية إعادة العلاقات مع بلدان أفريقيا الأخرى. وفى ظل حكومة الوحدة الوطنية نجحت إسرائيل فى إحراز تقدم ملموس فى كل من آسيا وأفريقيا.

ولا شك فى أن هذه التحولات ترجع ايضا إلى التغير فى طبيعة التنافس بين الدولتين العظميين، والتغيرات التى طرأت على محتوى جدول الأعمال العالمى، والنظرة الجديدة إلى محاور النزاع، والعوامل الجيوبوليتيقية فى الشرق الأوسط التى كان لها أثرها على أحداث كامب دافيد. ومع ذلك، كان لعملية السلام دور ملموس فى توسيع نطاق علاقات إسرائيل الخارجية. غير أن سياسة إسرائيل الخارجية ظلت تتميز طوال الجانب الأكبر من السنوات ١٩٨٧ - ١٩٨٨ بأنها ردود أفعال.

(جـ) وقد بينت الآثار السياسية التى ترتبت على كامب دافيد أن النجاح فى فرض ضغوط خارجية على إسرائيل كان يتوقف إلى حد كبير على قبول تلك الضغوط داخليا. والإنقسامات الداخلية قد حالت دون وضع سياسة خارجية منسقة، وأسهمت

فى زيادة تدخل القوى الخارجية فى السياسات الداخلية لإسرائيل، واستخدمت الإشارة إلى العوامل الخارجية لتأييد القرارات السياسية الصعبة «مثال ذلك ما قيل فى عام ١٩٨٧ من أن إيقاف العمل فى مشروع الطائرة لا فى كان سببه إصرار الحكومة الأمريكية على ذلك» . كما استخدمت الروابط الخارجية لتعزيز المكانة السياسية فى الداخل.

ومن المهم للغاية أن حجم العزلة الدولية أو القبول لدى المجتمع الدولى أصبحا جزءا جوهريا فى الحوار الأيديولوجى الدائر.

وكان مناحم بيجين من الشخصيات التى عجلت بإدخال العناصر الخارجية فى المجال السياسى الداخلى، عندما عمل على تعبئة يهود الشتات «ولاسيما فى الولايات المتحدة» لمساندة مفاوضات السلام فى البداية، ثم لتأييد عدد من التدابير السياسية «من بينها تطبيق القانون الإسرائيلى على مرتفعات الجولان، وغزو لبنان» .

وقد توقف النجاح فى محادثات السلام بين إسرائيل ومصر على الوساطة الإيجابية من جانب الولايات المتحدة. وأكد شكل الاجتماعات وطريقة عقدها مدى الإرتباط الوثيق بين العوامل الداخلية والخارجية فى صياغة السياسة.

وخلال السنوات العشر التى تلت ذلك كانت هناك قيود أيديولوجية وموضوعية ومؤسسية شديدة تفرض نفسها على من يرسمون السياسة الخارجية، بينما بذلت محاولات نشيطة لإجتذاب

الشـركـاء الخـارجـيين المحـتـملين. ومـا زالت العـلاقـة بين شكل المفاوضات المقبلة ومصدرها ومحتواها، من الأمور التى يدور حولها النقاش.

٢ ـ مكانة كامب دافيد:

(أ) أصبحت معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر جزءا لا يتجزأ من مسار السياسة الإسرائيلية فى السنوات الأخيرة. فقد أثرت المعاهدة على القيم والإهتمامات والأساليب والهياكل وأنماط التعامل السياسى فى إسرائيل.

(ب) وعلى المستوى الموضوعى، هناك إعتراف عام بأن التقارب مع مصر أفضى إلى توسيع الخيارات المتاحة لراسمى السياسة، نتيجة لكسر العزلة التى كانت قائمة بين إسرائيل والدول العربية المجاورة، ولهذا السبب كان لمعاهدة السلام أثر ملموس على جميع جوانب الحياة فى إسرائيل. ولهذا السبب أيضا لايمكن الفصل بين هاتين الإتفاقيتين وبين الإتجاهات السياسية السائدة الآن.

(جـ) وعلى المستوى الإجرائى، كانت أهمية إطار كامب دافيد محلا لجدل مستمر، فما أن جاء أهم المعارضين الداخليين لكامب دافيد إلى السلطة «إسحاق شامير، وموشى أرينز، وآريبل شارون» حتى تحولوا إلى مدافعين متحمسين عما تضمنته من أحكام بشأن الحكم الذاتى، إذ رأوا فيها وسيلة للإحتفاظ بالضفة الغربية، ودعوا مرارا إلى تجديد المحادثات المباشرة مع قيام

الولايات المتحدة بدور الوسيط. أما المدافعون عن كامب دافيد «فى شخص شيمون بيريز فى الفترة الأخيرة» فقد سعوا إلى إيجاد صيغ بديلة من أجل تجديد قوة الدفع لعملية السلام، وتمسكوا بإجراء مفاوضات تحت إشراف دولى.

(د) وعلى المستوى التنفيذى، يرى كثير من الإسرائيليين أن إطار المفاوضات التى دارت فى ١٩٨٧ ليس من السوابق التى يلزم الإقتداء بها. فكل المحاولات التى بذلت على نفس النهج، لم تحقق نتائج ملموسة فى السنوات العشر التى أعقبت كامب دافيد. وعندما بدأت التفاصيل المحددة لإحداث ١٩٧٧ ـ ١٩٧٩ تخبو فى المذاكرة الجماعية لإسرائيل، أخذ السلام مع مصر يتحول بالتدريج إلى فكرة مستقلة عن العملية الجارية، التى يفترض أنها بدأت فى ذلك التاريخ.

(هـ) وعلى المستوى الرمزى، كان للتفاهم بين إسرائيل ومصر تفسيرات متعددة، يختلف أحدها عن الآخر إختلافا نوعيا، تبعا للمعتقدات الأيديولوجية والميول السياسية. ولم يتم التوصل فى إسرائيل إلى اتفاق واضح فى الرأى حول القضايا الأساسية، بعد التصديق على الإتفاقيتين، بل بدأ التخلى عن أسطورة توافق الآراء نفسها. ولما كانت مهمة التصدى للأوضاع الإسرائيلية المتميزة قد تأجلت، فقد تعذر التوصل إلى إتفاق عملى بشأن الأهداف الوطنية.

(و) لقد عقدت إجتماعات كامب دافيد عند منعطف فريد فى التاريخ السياسى لإسرائيل. وقد أمكن داخليا التصديق على الإتفاقيتين لأنهما تمنحان لكل فرد شيئا فيما يتعلق بجميع القضايا الحيوية.

وتتمثل أهمية هاتين الإتفاقيتين لإسرائيل فى أنهما توافقتا مع مطالب السياسة الداخلية فى أواخر السبعينيات. وإن بقاء هاتين الإتفاقيتين وإستمرارهما لهو دليل على أنهما أصبحتا جزءا من نسيج السياسة الإسرائيلية. وقد يتطلب الأمر فى السنوات العشر التالية نوعا أخر من البراعة، يأخذ فى الحسبان التحولات السياسية التى حدثت بالفعل، ويضفى على عملية السلام ديناميكية جديدة.

٣ ـ أهداف إسرائيل من الغزو اللبنانى:

(أ) قام بالتخطيط والتنفيذ للغزو الإسرائيلى للبنان فى يونيو ١٩٨٢ قادة أفادوا من ميزة أن إسرائيل ليس لها أن تخشى هجوما من جانب مصر. وقد شنت إسرائيل الحملة اللبنانية بهدف تحقيق خمسة أهداف أساسية:

- إقامة حزام أمنى بعرض أربعين كيلو مترا على إمتداد الحدود الشمالية لإسرائيل.
- طرد سوريا من لبنان.
- إزالة البنية الأساسية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى جنوب لبنان وفرض عدم الشرعية على وجود قادتها هناك.
- الإطاحة بالحكومة اللبنانية ليقوم مكانها تحالف مسيحى مستعد لتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل.
- تعزيز الهيمنة الإسرائيلية على الضفة الغربية.

وفى البداية كانت ردود الفعل الداخلية للحرب تابعة للمواقف الحزبية، فالمؤيدون قبلوا ما أكدته الحكومة من أن العملية ضرورية،

بينما تشكك فى ذلك المعارضون. لكن السخط على الحرب أخذ يتصاعد بالتدريج.

وتركزت التحفظات، أولا، على خطأ استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف سياسية. وتلا ذلك الإعراب عن الشك فى سلامة التفكير الإستراتيجى الكامن وراء الحملة اللبنانية، إذ كان الطابع الهجومى السافر «لعملية السلام للجليل» مخالفا للمفاهيم الدفاعية التى كانت نقطة إنطلاق العمليات العسكرية السابقة. وأشعل قصف بيروت فى أغسطس ١٩٨٢ ومذابح صابرا وشاتيلا فى سبتمبر، لأول مرة فى تاريخ إسرائيل، جدلا شديدا حول مدى أخلاقية الحرب.

(ب) وعندما حل موعد الانتخابات فى عام ١٩٨٤ كان من الواضح أن الأهداف المعلنة للحرب لم تتحقق. فمنظمة التحرير تشتتت، ولكنها لم تفقد سمعتها، وسوريا إنشغلت، ولكنها لم تضعف ولم تزد عزلتها، وقضية الضفة الغربية وغزة هدأت مؤقتا ولكنها لم تنته، والخريطة السياسية للبنان تغيرت، ولكن بصورة لا تخدم مصالح إسرائيل. وبلغت تكلفة عملية غزو لبنان أكثر من ٦٠٠ قتيل إسرائيلى، وأكثر من خمسة مليارات دولار.

(جـ) وأصبح الخروج من لبنان يتصدر أولويات حكومة الوحدة الوطنية التى تسلمت مقاليد الحكم فى سبتمبر١٩٨٤ . ولم تكد تنقضى تسعة أشهر حتى أجرى رئيس الوزراء «شيمون بيريز» ووزير الدفاع إسحاق رابين إنسحابا من جانب واحد للقوات الإسرائيلية من معظم أنحاء لبنان. وقد حقق الإنسحاب الإسرائيلى السريع مطلب الرأى العام فى الداخل، بدون إزالة

الوجود العسكرى الإسرائيلى من الحزام الأمنى فى جنوب لبنان، وبدون الإضرار بقدرة إسرائيل الضاربة فى إتجاه الشمال.

وإذا كانت كامب دافيد قد أذكت، بصورة غير مباشرة، الروح العسكرية الإسرائيلية وشجعت على غزو لبنان، فإن هذه الحرب ونتائجها أدت بدورها إلى أنقاص إحتمالات قيام إسرائيل بمغامرات عسكرية أخرى فى المستقبل القريب.

٤ ـ الحقوق الفلسطينية والحكم الذاتى:

(أ) كان قطع محادثات الحكم الذاتى «التى أوقفها السادات من طرف واحد فى مايو ١٩٨٠ بعد مناقشات مطولة وغير مثمرة» بالإضافة إلى ما أعلنه الليكود من الفصل بين عملية السلام وإستمرار الوجود الإسرائيلى فى الضفة الغربية، من العوامل التى مهدت الطريق للتغيير القانونى للوضع فى القدس، والإسراع بعملية الإستيطان الإسرائيلى فى المناطق.

(ب) وارتبطت حرب لبنان بمستقبل الأراضى المحتلة، إذ كان من الأهداف الفرعية للغزو فى شهر يونيو ١٩٨٢ إدامة الحكم الإسرائيلى بفرض الصيغة الضيقة للحكم الذاتى التى رأتها الحكومة على الضفة الغربية، وذلك بعد إضعاف النزعات الوطنية الفلسطينية ولا سيما إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية، وبتشجيع إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الشرقية للأردن.

(جـ) وأدى إنفجار المقاومة على نطاق واسع فى ديسمبر ١٩٨٧ ضد

الحكم الإسرائيلى فى غزة والضفة الغربية إلى إعادة فتح أبواب المناقشة الداخلية التى كانت قد أغلقت.

واندفع الجمهور وصناع القرار السياسى فى محاولة لإعادة النظر فى الأوضاع القائمة. وإذا كانت كامب دافيد قد دعت إسرائيل للشعور بالأمن، فإن أحداث أواخر ١٩٨٧ بعثت مسألة الأراضى من جديد فى ظل ظروف أقل مواتاه للوصول إلى حل سياسى دبلوماسى.

(د) وأيضا يمكن القول أن كامب دافيد قلصت، لفترة من الزمن وعلى نحو غير مباشر، إحتمالات التوصل إلى حل وسط بالنسبة للأراضى فى الضفة الغربية وغزة.

فهى إذ فكت الاقتران بين السلام والأراضى، شجعت فى الواقع على إقامة المستوطنات الإسرائيلية. وهى إذ تعمدت أن تترك فكرة الحكم الذاتى الفلسطينى مبهمة. سمحت بأن يقوم مختلف القادة الإسرائيليين بوضع صيغ تدريجية للحكم الذاتى التنفيذى لتمييع المطالبة بتقرير المصير. وهى رؤية أعطت الحكومات المتعاقبة شعورا زائفاً بالأمن، رؤية أعمت القادة الإسرائيليين عن ردود الفعل الفلسطينية لنتائج الحكم الإسرائيلى.

والإنتفاضة الفلسطينية ألزمت الإسرائيليين أن يواجهوا أسئلة جديدة. فقد أثير فى الدوائر الرسمية لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ إحتمال أن يكون إستمرار الإحتلال عقبة فى سبيل بقاء الدولة. وبدأت القضايا التى يشملها جدول الأعمال الأيديولوجى تتغير، كما

تغيرت لهجة الحوار. والأهم من ذلك أن أصحاب الآراء المتعارضة إضطروا إلى إعادة تقييم مواقفهم. وأصبح من الواضح أن هناك قدرا من السيولة الأيديولوجية لا يقارن بما كان قائما فى العقد السابق.

(هـ) وفى ١٩٨٨ وصلت إسرائيل إلى منعطف حاسم. ولم يعد فى الوسع فصل قضية المحافظة على المؤسسات الديمقراطية للدولة وطابعها اليهودى عن مسألة الإحتلال.

فالإحتفاظ بالضفة الغربية لأمد طويل أحدث بالفعل تغييرا فى التكوين البشرى للدولة وهياكلها السياسية.

وكان من الصعب التمسك بالمبادئ الديمقراطية وبالإعتبارات اليهودية داخل الحدود التى أصبحت عليها الدولة بعد عام ١٩٦٧ .

(و) وقد أكدت أعمال العنف التلقائية التى إنبثقت فى أواخر العقد الأول بعد كامب دافيد، النظرة القائلة بأن التحركات الفلسطينية هى المصدر الأساسى للعدوان على إسرائيل. وترتب على القسوة التى واجه بها الإسرائيليون الإنتفاضة، والتى بلغت فى بعض الأحيان درجة الوحشية، أن تأكدت النظرة إلى الفلسطينيين على أنهم خطر جدى على الأمن، وهو خطر لم يكن يلقى تقديره الصحيح من قبل.

والأهم من ذلك أن هذه الأحداث كانت دليلا على تغيير طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى خلال هذه السنوات العشر. ففى الفترة بين ١٩٧٨ - ١٩٨٢ كان الصراع يتخذ شكل العمليات العسكرية التقليدية.

أما فى الفترة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٧ فقد أصبحت تكتيكات حرب العصابات أوسع إنتشاراً، ثم جاء ديسمبر ١٩٨٧ وتهيأت الظروف المناسبة لإعادة إضفاء الطابع الفلسطينى على الصراع العربى الإسرائيلى، وصحبت ذلك مرحلة جديدة من المقاومة المدنية، والمواجهة الجماهيرية.

وكان هناك وجه آخر لتغيير دلالة المسألة الفلسطينية فى نظرة إسرائيل إلى المعادلة العربية الإسرائيلية، تمثل فى التحركات الديبلوماسية والسياسية. وقد سعى ممثلو إسرائيل فى الخارج، ولا سيما مندوبوها لدى الأمم المتحدة، إلى تفويض شرعية مطالبة الفلسطينيين بتقرير المصير، والتشكيك فى أوراق إعتماد المتحدثين بإسمهم. وفى الوقت ذاته أولت إسرائيل إهتماما خاصا لإبعاد الزعماء المتصلين بالمنظمة عن المراكز المؤثرة فى الضفة الغربية. وترتب على هذا الموقف أن أصبحت القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية غير مستعدة لرصد الاتجاهات فى الأراض المحتلة وغير مهيأة لمواجهة المقاومة التى انتشرت على نطاق واسع.

(ز) وباتت مشكلة تمثيل الفلسطينيين حجر عثرة فى سبيل إستئناف عملية السلام. وهناك أسباب عديدة لاحجام الإسرائيليين عن التفاوض مع أعضاء الجماعات الوطنية الفلسطينية، لكن هذا الإحجام يعكس أيضا تغيرا فى التوجهات الإستراتيجيه الإسرائيلية فيما يتعلق بالموقف من المنظمات الفلسطينية. وبعد توقيع إتفاقيتى كامب دافيد أصبحت مواقف الإسرائيليين تجاه العرب الفلسطينيين يتم الإفصاح عنها بقدر أكبر من الوضوح

فضلا عن تباينها لتشمل جميع الإتجاهات. ففى أحد الأطراف كانت الإدعاءات العنصرية التى يرددها الحاخام مائير كاهان مؤيدوه الذين ينظرون إلى الفلسطينيين على أنهم نوع أدنى من مرتبة البشر.

وفى الوسط كان هناك كثير من الإسرائيليين الذين يرفضون الإتفاق مع الفلسطينيين كأفراد، وقع ذلك يحاولون أن يميزوا بين منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطينى، ثم هناك مواقف أكثر تطوراً من جانب كثيرين من مؤيدى الصهيونية العالمية الذين يسلمون بفكرة وجود شعب فلسطينى.

وأخيرا كانت هناك الصيحات التى صدرت عن مجموعة ضئيلة من اليسار الذى أعرب عن عطفه على محنة الفلسطينيين.

وبقدر ما أدت أحداث الفترة الأخيرة من ١٩٨٧ إلى إلزام الإسرائيليين بإعادة النظر فى هذه المواقف. فإنها أيضا أثرت فى نظرة الإسرائيليين إلى أنفسهم.

وبعد عام ١٩٧٨ إزداد الإدراك بأنه لا بد من مواجهة المسألة الفلسطينية إذا أراد الإسرائيليون أن يصلوا إلى إتفاق فيما بينهم. وهناك إدراك هو ما يفسر التوسع فى الإتصالات غير الرسمية بين بعض سكان إسرائيل ونظرائهم فى الضفة الغربية، وبين الإسرائيليين والفلسطينيين فى الخارج. «بما فى ذلك الممثلون الرسميون لمنظمة التحرير الفلسطينية.

القسم الثامن

نظرة إسرائيل للسلام

الفصل الأول
المفاجأة واختلاف الرؤى

الفصل الثانى
التصور حول الحكم الذاتى

الفصل الثالث
التطبيع

الفصل الرابع
الأزمة اللبنانية

الفصل الخامس
مبادرات دفع السلام

المفاجأة واختلاف الرؤى

١ ـ مفاجأة السلام:

(أ) كان السلام مفاجأة لإسرائيل، فقد اعتبر معظم الإسرائيليين مبادرة السادات وما أعقبها من اتفاق للسلام انقاذا حقيقيا من عند الله. بسبب رفض العرب الإعتراف بشرعية وجود الدولة الإسرائيلية، ثم عمق الجرح الذى شعرت به الدول العربية فى عام ١٩٤٨ والذى ارتبط بذكريات عديدة فى التاريخ العربى والإسلامى، بالإضافة إلى جرح يونيو ١٩٦٧ العميق.

ولذا فإن ما أقدم عليه أنور السادات من «اجتياز الحاجز النفسى» وظهوره المسرحى أمام الكنيست فى فبريار ١٩٧٧ كان بمثابة نشاز فكرى لدى العقل الإسرائيلى، إذ أصبحت السياسة على حين غرة فن المستحيل.

وعندما هدأت الفورة الأولى كان موقف إسرائيل يتميز بشعور عميق بالشك المعذب للنفس . فالجرح الذى نجم عن الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال حيا، هذا فضلا عن

أن السادات فى نظر كثير من الإسرائيليين هو أولا وقبل كل شئ أستاذ فى فن الخداع.

(ب) وكان لهذا الحذر الشديد أثره فى الطريقة التى أدار بها الإسرائيليون مفاوضات السلام. وكان يثير قلقهم أنهم يدركون أن المتوقع من إسرائيل أن تتخلى عن أصول محددة وملموسة فى مقابل علاقة سلمية غير محددة، ولم يؤد النجاح فى إبرام اتفاقيتى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨ وتوقيع المعاهدة الثنائية فى مارس ١٩٧٩، إلى تبديد تلك المخاوف. إذ كانت إسرائيل ترى أن الالتزم بالجلاء عن سيناء مخاطرة محسوبة محفوفة بالشكوك.

فلم يكن لدى الإسرائيليين من سبيل يجعلهم يطمئنون تماما إلى أن اتفاق السلام لم يتم مع السادات وحده، وأن هذا الأتفاق سيصمد فى حالة تغيير القيادة فى مصر. وضاعف من هذا الشك بطبيعة الحال الشعور الصادق بالخسارة نتيجة للألتزام بإعادة سيناء، وأن ذلك سيحرم اسرائيل من مجال المناورة العسكرية، ومن سلاح فى يدها فى مواجهة جيرانها فى الجنوب، ومن حقول نفط غنية ومناطق بها إمكانيات كبيرة للتنمية، ومن الأستثمارات الضخمة التى انفقت فى إنشاء المستوطنات والمطارات وغيرها من المرافق.

ولم تؤكد السنوات التالية شيئا من تلك المخاوف. ولم يؤثر اغتيال السادات وتولى حسنى مبارك مقاليد السلطة على معاهدة السلام. كما أنها لم تتأثر بإتمام الإنسحاب من سيناء. ولم يرضخ المصريون فى سعيهم لإعادة العلاقات مع الدول العربية لأى

محاولة لفرض الرأى عليهم فيما يتعلق بسياستهم فى النزاع مع إسرائيل. وعندما توارت ذكرى المشاهد المحزنة للجلاء ولم يتحقق شيء مما خشية المتشائمون، لم يجد حتى بعض أشد المعارضين لكامب دافيد مفرا من الأعتراف بأن إسرائيل كسبت من ورائها. وتمثلت هذه المكاسب على أصعدة مختلفة.

٢ - أهم نتائج كامب ديفيد.

(أ) كان أهم نتائج كامب دافيد بالنسبة لاسرائيل هو إزالة خطر العمليات الحربية عن حدودها الجنوبية، وبذلك تحررت أجهزتها الأستراتيجية من عبء الأستعداد الدائم لحالة نشوب الحرب فى جبهتين. ومن الصحيح أن إسرائيل لم تتحرر نهائيا من هذا الخطر، وكان على القائمين بالتخطيط أن يدخلوا فى أعتبارهم احتمال أن ينهار نظام السلام، أو نظام الحكم الذى دافع عنه. ومع ذلك فإن التحسن الأساسى فى وضع إسرائيل الأستراتيجى لا يمكن أن ينكر. والحقيقة المؤكدة أنه خلال عشر سنوات من كامب دافيد لم تشهد الحدود الإسرائيلية المصرية أى أضطراب، وهى أطول فترة هدوء متصلة منذ بداية النزاع العربى الإسرائيلى.

(ب) كما أن كامب دافيد عززت العلاقة الخاصة بين إسرائيل والولايات المتحدة، ورغم أنها لم تكن السبب الوحيد فى هذا التطور، فمن المؤكد أن العقد الذى أنقضى منذ إبرامها شهد تعاونا وثيقا بين البلدين، لم يسبق له مثيل فى المجالين السياسى والأستراتيجى، كما شهد مستوى لم يسبق من قبل فى المعونة الأقتصادية الأمريكية لإسرائيل.

(جـ) وأخيرا فإن السلام مع مصر أرسى سابقة تاريخية أدت بشكل ما إلى تغيير أوضاع الصراع العربى الإسرائيلى برمتها.. وهذه النتيجة هى أقل نتائج كامب دافيد واقعية، وإن كان لا يمكن أن يبالغ فى أهميتها. إن السلام الذى عقده السادات مع اسرائيل حطم الكثير من المحرمات العربية، بحيث لم يعد ممكنا العودة إلى الرفض المطلق الذى كان سائدا فيما مضى.

(د) ومع ذلك.. ورغم التغير الذى حدث فى موقف إسرائيل وفى نظرتها، لم يتحقق التحول الفكرى الشامل الذى توقع بعض المراقبين والمشاركين أن يحدث فى موقف إسرئيل الأساسى تجاه العرب. ولم يكن من الصعب تفسير جانب من هذه الأستجابة المتحفظة. فبينما كان المصريون مطمئنين إلى أن الأتفاق مع إسرائيل سيسمح لهم بالتحول الكامل من الأعمال العدائية إلى حالة السلام، كان الإسرائيليون يعرفون أنه لابد لهم من الأستمرار فى مواجهة الواقع القاسى للصراع مع البلدان العربية الأخرى. ولذا آثروا أنْ ينظروا إلى عملية السلام على ضوء الصراع الشامل مع العرب، بدلا من أن ينظروا إلى الصراع على ضوء السلام مع مصر.

(هـ) وكان هناك بغير شك استعداد كبير لتقديم تنازلات حتى تتحقق الإمكانات الكامنة لعملية السلام، ولكن لم يحدث تغير هيكلى فى المواقف الإسرائيلية الأساسية.

٣ ـ الأختلاف بين العمل والليكود:

(أ) خلال العقد الذى تلا كامب دافيد، كان استمرار ـ أو تعزيز ـ الأستقطاب الأساسى فى نظرة إسرائيل إلى العلاقات مع العرب هو أهم العناصر التى شكلت موقف إسرائيل تجاه عملية السلام. وخاصة موقف العمل وموقف الليكود المختلفين. والواقع أن الخلاف قد اشتد منذ عام ١٩٦٧، عندما أصبح مستقبل الأراضى المحتلة هو القضية الأساسية فى إسرائيل، وكان قائما بصور مختلفة داخل الحركة الصهيونية منذ نهاية القرن الماضى. ولكن قبل عام ١٩٧٧ كان الخلاف نظريا فى معظمه، لأن معسكر حزب العمل كان يسيطر على المسرح سيطرة تامة، ولم يكن للتحدى المتمثل فيما يسمى بمعسكر التصحيحيين أو المعسكر (الوطنى) تأثير يذكر على السياسة العملية إلا بعد أن حكمت كتلة الليكود عام ١٩٧٧ .

(ب) ولكن حتى إذا لم يكن هناك استقطاب فكرى كامل، فإن انقسام المشتغلين بالسياسة فى إسرائيل إلى مدرستين كان أمرا بالغ الأهمية، بل ربما كان هو أهم عنصر منفرد يؤثر فى سياسة إسرائيل الخارجية، وقد أدى التوزان بينهما إلى خلق حالة من الاعتماد المتبادل القلق.

(جـ) ولما كانت هناك عملية مماثلة للتشدد فى التفسير من الجانب المصرى فى الوقت ذاته، بدا أن محادثات الأستقلال الذاتى مقضى عليها بالفشل منذ البداية. وقد عقدت اللجنة أكثر من ١٢ إجتماعا حتى نهاية عام ١٩٨١ دون أن تصل إلى إتفاق

شامل. فالخلافات التى لم يتم التوصل إلى تسوية حقيقية لها فى كامب دافيد عادت إلى الظهور فى هذه المحادثات بجلاء أكبر. ولم يكن بالإمكان التوصل إلى إتفاق بشأن قضايا أساسية مثل طبيعة مجلس الحكم الذاتى، أو مصدر سلطته، أو حجمه، أو صلاحيته، أو شموله لسكان القدس الشرقية، أو دور الوجود العسكرى الإسرائيلى.

٤- رؤية الليكود

(أ) ترى الكتلة الأولى، وأبرز المعبرين عنها هو «مناحم بيجين»، أن الرسالة التاريخية لهذا الجيل هى المحافظة على سلامة أراضى إسرائيل الكبرى من أجل الشعب اليهودى، وأن السلام مع مصر لا يجوز أن يتعارض مع هذا الهدف. واستلزم تحقيق هذا السلام تقديم تنازلات كبيرة، ولكن الليكود لم يكن ليقبله لو أنه فرض أية قيود على إقامة المستوطنات أو أعترف بحقوق وطنية جماعية للسكان العرب فى يهودا أو السامرة وغزة، أو حال دون المطالبة فيما بعد بضم هذه الأراضى إلى دولة إسرائيل.

لقد كان السلام مع مصر عن المعسكر العربى المتمسك بالحرب، وأطلق يد إسرائيل للتركيز على إقامة إسرائيل الكبرى، وكان أيضا خطوة هامة فى الطريق إلى السلام، وهو الطريق الذى ستستمر اسرائيل على السير فيه مادام لا يشكل خطر يهدد سيطرتها على الأراضى برمتها. ولن يكون اتفاق سيناء نموذجا لاتفاقات تعقد مع الدول العربية الأخرى، وأن السعى إلى السلام فى المستقبل سيوضع على أساس يختلف عن مبدأ «الأرض مقابل السلام».

والأرجح أن المصريين الذين يشعرون نحو القضية الفلسطينية بالتزام غير عميق سوف يسلمون بهذا الواقع.

(ب) فقد ظهرت هذه الخلافات لأول مرة فى المرحلة الأخيرة للعصر العثمانى، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهى التيار الذى خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين فى المستعمرات الصهيونية الأولى، كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعى إلى إقامة الصهيونية بانشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطنى سياسى يضمن إطار مخطط دولى واسع.

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا فى فترة الانتداب، عندما أنسحب «زئيف فلاديمير جابوتنسكى» من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذى خرج منه حزب بيجين). وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية ذات الطابع الرومانسى والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسى هو ايطاليا فى القرن التاسع عشر).

ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودى إلى موقف انعزالى متمركز على الذات، فقد بنى أساطيره الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة. وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الأتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتى نهر الأردن، وأستهدف التصحيحيون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التى

لابد من الاعداد لها، لا كخيار هادىء بل كعمل من أعمال تأكيد الذات. وأكدوا أن الصهيونية لا يمكن واقعيا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط.

(جـ) رغم تشبث كتلة الليكود بمعتقداتها الأيديولوجية، فإن حملاتها السياسية لا تعتمد على تلك المعتقدات، إذ تضمْ قيادة الليكود وأعضاؤه الكثيرين من ذوى الفكر الواقعي والمواقف العملية، ممن يدركون أن قيام إسرائيل التاريخية ليس مجرد خيار أيديولوجى، وإنما هى مسألة تتعلق بالسياسة الواقعية والفهم السليم.

غير أن الليكود كان على قمة السلطة فى المراحل الحاسمة عند وضع اتفاقية السلام، وبذا كان من مفارقات التاريخ أن مهمة أقتراح حل لمشكلة الفلسطينيين والضفة الغربية، على أن يكون حلا مقبولا لدى الجانب العربى، وقعت على عاتق ذلك الفريق من الساسة الاسرائيليين الذى التزم التزاما تاما بمبدأ الأحتفاظ بأرض إسرائيل الكبرى برمتها. وقد وضع بيجين خطة الحكم الذاتى فى أواخر عام ١٩٧٧ فى محاولة للخروج من هذا الموقف المتناقض.

٥ - رؤية حزب العمل

(أ) أما الكتلة الثانية، وخير من مثلها فى ذلك العقد هو «شيمون بيريز»، فترى أن الهدف الذى يأتى قبل أى هدف سواه هو رؤية إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقوية والمتصالحة مع جيرانها العرب والمقبولة لدى العالم المستنير. وأن لاتفاقيتى

كامب دافيد أهميتهما فى حد ذاتهما، وكذلك بوصفهما خطوة أولى فى عملية السلام، وأن الخطوة التالية يجب أن تتخذ مع شريك أردنى فلسطينى. ومع التسليم بأن للشعب اليهودى حقوقا تاريخية فى جميع أراضيه العريقة، فلابد لإسرائيل من تقديم حلول وسط بشأن الأراضى، وأن تتخلى عن المناطق التى يقطنها العرب بأعداد كبيرة. وربما كان من الخطأ عدم التمسك بنوع من الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضى فى سيناء أيضا، فى مقابل وضع أكثر ملاءمة بشأن قضيتى الضفة الغربية وغزة. فأمن إسرائيل هو الأعتبار الأسمى. ويقول مؤيدو هذه المدرسة إن عدم الوصول إلى تسوية أكثر شمولا ربما يؤدى إلى إنهيار على الجبهة الشرقية، بل وقد يؤدى أيضا إلى إضعاف السلام القائم مع مصر.

(ب) وعلى خلاف ذلك كانت الرؤية الوطنية العسكرية لحزب العمل (وهو القوة الأساسية فى الحركة الصهيونية فى ذلك الحين، وكان قائده المبرز ديفيد بن جوريون) متأثرة بنظرة أكثر شمولا تمثلت فى الاشتراكية الروسية واشتراكية أوروبا الشرقية فى أطوارها المبكرة. وكانت هذه الحركة تمجد قمة العمل والأرض، وجهود الرواد، والمساواة الأجتماعية والأحياء الثقافى.

وفيما يتعلق بإنشاء المجتمع الجديد فى فلسطين باعتباره الوسيلة الوحيدة لإقامة أمة، ركزوا جهودهم على بناء المؤسسات، والمستوطنات، وعلى التنمية الاقتصادية. ودعا فريق كبيرمن معسكر حزب العمل الصهيونى إلى التضامن والتعاون مع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية. ومن بين النماذج المختلفة للحلول القائمة على

الحل الوسط تم في نهاية الأمر اعتماد فكرة التقسيم ، باعتبارها اختيارا لأقل الأضرار وخضوعا للقيود الموضوعية التى لا سبيل إلى تغييرها. وعندما تعرض بن جوريون للهجوم من جانب معارضيه لعدم محاولته احتلال جميع الأراضى فى عام ١٩٤٨، ردّ فى الكنيست بأن ذلك لم يكن فى الوسع تحقيقه إلا عن طريق مذابح من طراز مذبحة دير ياسين وطرد السكان بالجملة، أو بالتخلى عن الديمقراطية وعن الطابع اليهودى للدولة، وأنه «لا يمكن فى الواقع تصور دولة يهودية فى مجموع أراضى إسرائيل التاريخية، أو حتى فى الجزء الغربى منها بدون دير ياسين.

(جـ) وكانت المعتقدات الأيديولوجية لحزب العمل أكثر مرونة وأقل تشددا، وأعترف كثير من المتحدثين باسم الحزب بأنهم كانوا يفضلون أن تمتد حدود إسرائيل حتى نهر الأردن، لكن الواقع الديموغرافى والسياسى يجعل من ذلك أمراً غير عملى، إذ ستنشأ عنه ثنائية وطنية يصعب تحملها، أو ينشأ عنه نظام للعزل العنصرى يؤدى إلى عزلة إسرائيل دوليا وأزدياد حدة النزاع مع العرب. وحتى هذا البرنامج القائم على حل وسط ضيق النظرة لم يكن يلقى تأييدا صادقا داخل حزب العمل، وكان كثير من أعضائه يراقبون بقلق شديد محاولة «بيريز» توسيع نطاق السلام مع مصر ليشمل المنطقة الأردنية الفلسطينية.

التصور حول الحكم الذاتى

١ - فكرة الحكم الذاتى:

لم يكن مفهوم الحكم الذاتى جديدا تماما، إذ سبق أن ظهر فى كتابات التصحيحيين، ولا سيما فى الفكر السياسى لجابوتنسكى. كما أن هذا المفهوم كان منتشرا فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى والتى يبدو أنها شكلت كثيرا من الأفكار الأساسية لبيجين وهى الفترة التى قامت فيها بلدان أوروبا الشرقية، مثل أوكرانيا ولتوانيا واستونيا وبولندا، بتجارب فى الحكم الذاتى للأقليات المقيمة بها. وقد نوقشت فى فلسطين - خلال فترة الانتداب - خطط متعددة للحكم الذاتى، لكل من اليهود والعرب ولا بد أن خطة كامب دافيد للحكم الذاتى تأثرت أيضا بالاستراتيجية التى وضعها ديان للضفة الغربية، والتى تهدف إلى بقائها تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة مع السماح لقاطنيها بإدارة شئونهم الخاصة، والأحتفاظ بروابطهم مع الأردن.

٢ - نظرة الليكود:

(أ) قدم بيجين خطته عن الحكم الذاتى وكانت هذه الخطة فى النهاية هى أساس «إطار» التسوية المقترحة لمشكلة الضفة الغربية وغزة فى اتفاقيتى كامب دافيد.

وأفاد الأتفاق الخاص بمفهوم الأستقلال الذاتى على نحو ما فى تلافى المعضلة، وذلك بإرجاء القرار المتعلق بالوضع النهائى لتلك الأراضى حتى نهاية فترة السنوات الخمس من الحكم الذاتى، مع الأحتفاظ بحق كل جانب فى تقديم مطالبه فى المفاوضات التى تؤدى إلى اتخاذ ذلك القرار. وتضمن الأتفاق وعدا للسكان العرب فى تلك الفترة الانتقالية «بالحكم الذاتى الكامل»، والحق فى انتخاب «سلطات الحكم الذاتى» وأشتراك ممثليهم المنتخبين فى المفاوضات الرامية إلى تحديد مستقبلهم، وإنسحاب الحكومة العسكرية الإسرائيلية والإدارة المدنية التابعة لها، وتركيز القوات الإسرائيلية فى «مواقع أمنية محددة». وتقرر أن يكون للأردن ومصر دور فى المفاوضات المتعلقة بكل من ترتيبات الاستقلال الذاتى، والوضع النهائى للمناطق.

(ب) وتمكن بيجين من تقديم هذه التنازلات رغم الانتقاد الشديد، حتى من داخل حزبه، لأنه كان يستطيع أن يقول إن هذه التنازلات لاتتخطى الخط الأحمر للحزب. ومن الناحية العملية، فإن الاتفاق ترك السيطرة الاستراتيجية على المنطقة فى يد إسرائيل، ولم يفرض قيودا على إنشاء المستوطنات اليهودية، بل لم ترد كلمة القدس فى نص الاتفاق. وبقى الخيار مفتوحا للمطالبة بضم الأراضى فى المستقبل، أو على الأقل امتداد ترتيبات الحكم الذاتى لمدة أطول من الفترة الانتقالية. وحرص بيجين على أن يبين بطريقة عملية، فى أعقاب كامب دافيد، وغير عابئ بإحتجاجات كارتر، أن إنشاء المستوطنات مستمر بشكل مؤكد.

بل إن التنازلات اللفظية المتضمنة فى الأعتراف «بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى» وحل «المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها» وهى بادرة ليست قليلة الأهمية بالنسبة لقائد ولحركة كانت تعلق دائما أهمية كبيرة على الكلمات والرموز ـ فقدت كثيرا من مغزاها عندما قدم بيجين توضيحا «سلم به الرئيس كارتر» مؤداه أن كل استخدام لعبارة «الشعب الفلسطينى» يقصد بها «العرب الفلسطينيون» وباللغة العبرية «عرب إسرائيل الكبرى» وعلى خلاف تعاليم جابوتنسكى الذى سلم بالهوية الوطنية الجماعية للسكان العرب، لم يقبل بيجين الفكرة القائلة بأن للجماعات الفلسطينية ولحقوقها السياسية بعدا وطنيا. وكان المبدأ الذى تمسك به أن الحكم الذاتى (أو على الأصح الإدارة الذاتية) لن تمنح لأراضى يهودا والسامرة وغزة، بل ستمنح فقط لسكانها العرب.

(جـ) وما أن تم التوقيع على معاهدة السلام حتى أصبح بيجين أقرب إلى موقف مجموعة الصقور فى مجلس الوزراء. وفى مايو ١٩٧٩ تبنى بيجين توصيات هذه المجموعة وأعطى تفسيرا ضيقا للحكم الذاتى، وتفسيرا واسعا لسلطات أداة السيطرة الإسرائيلية ولامتيازات المستوطنين اليهود. وأعرب بوضوح عن عزمه على أن يطلب فى نهاية الفترة الانتقالية سيادة إسرائيل على المناطق بكاملها. وكانت لدى الوفد الإسرائيلى فى محادثات الاستقلال الذاتى التى بدأت المفاوضات بشأنها فى ذلك الشهر تعليمات بهذا المعنى، مما أدى فيما بعد إلى إستقالة موشى ديان وعزرا وايزمان من مجلس الوزراء.

٣ ـ نظرة حزب العمل:

(أ) هاجمت كتلة حزب العمل مفهوم الاستقلال الذاتى، «من اليمين واليسار فيه على السواء». فقد حذر ممثلو جناحه المتشدد من أن اتفاقيتى كامب دافيد هما بمثابة «وعد بلفور» للفلسطينيين، وأنهما تخلقان تيارا يؤدى حتما إلى ظهور دولة فلسطينية ذات سيادة، وهو أمر يعارضه حزب العمل معارضة رسمية. وقال الجناح الأقرب إلى الحمائم إن الاستقلال الذاتى لا يعدو أن يكون لعباً بالألفاظ، لا تستطيع عباراته المبهمة أن تخفى عدم شموله لحل ملموس لمشكلة المناطق وسكانها الفلسطينيين، وأنه ليس لها من غرض غير استمرار الإحتلال.

(ب) وبقيت الأغلبية فى معسكر حزب العمل متمسكة بمفهوم الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضى، وأيدت بصورة أو أخرى خطة آلون التى تهدف إلى ضمان المصالح الاستراتيجية الحيوية لإسرائيل بدون فرض حكمها على التركيزات الكبيرة من السكان الفلسطينيين. وكان التناقض واضحا بين هذا المفهوم، ومفهوم الاستقلال الذاتى.

ولكن لما كانت اتفاقيتا كامب دافيد هما الآن الأساس الوحيد لعملية السلام التى وافقت عليها الدولتان، ولم يتقرر الأستقلال الذاتى إلا كترتيب انتقالى، فقد كان الاتجاه فى حزب العمل هو قبول الاتفاقيتين على الرغم مما فيهما من غموض.

(جـ) وكان هذا التوجه بالذات هو ما يخشاه قادة الليكود. فرغم تأكيدات بيجين، لم يكن هناك مفر من إدراك أن الاستقلال

الذاتى يمكن أن يفتح الباب أمام عمليات ليس لإسرائيل عليها سيطرة تذكر. وأنه يدق إسفينا بين إسرائيل والأراضى، وأنه أدى عمليا إلى استبعاد خيار ضمها إلى إسرائيل. وبأفتراض أن بيجين لم يتخل عن التزامه بإسرائيل الكبرى، لم يكن فى وسعه أن يعتمد إلا على أحد تصورين ممكنين: أحداهما وضع تفسير ضيق لشروط الاستقلال الذاتى يؤدى إلى تجميد الأوضاع الراهنة واستمرار السيطرة الإسرائيلية، ثم ضم المناطق على مهل. وقد تطورت الأحداث التالية فى هذين الاتجاهين معا.

التطبيع :

١ - مفهوم التطبيع :

(أ) بينما شعر المصريون بخيبة أمل لأن نظام كامب دافيد لم يؤد إلى حل مشكلة الضفة الغربية وغزة، بالإضافة إلى استيائهم من السياسات الإسرائيلية التى تريد أن تفرض عليهم صلحا منفرداً يسبب لهم حرجا سياسيا، شعر الإسرائيليون أيضا بخيبة أمل لطبيعة العلاقة الثنائية بين البلدين. وبدأ كثير من الإسرائيليين يتشككون فى أن المسلك المصرى لا يصدر عن استعداد حقيقى للوصول إلى مصالحة كاملة مع إسرائيل، ولتنفيذ اتفاقات التطبيع بنية حسنة.

وربما كان مفهوم «التطبيع» على النحو الذى فهم به فى السياق الإسرائيلى المصرى، شيئا فريدا فى العلاقات الدولية. وقد نبع هذا المفهوم من إدراك الإسرائيليين أن نزاعهم مع العرب، على غير الحال فى النزاعات الدولية الأخرى، إنما يتعلق بحق دولتهم فى الوجود. ولما كان المنتظر من الإسرائيليين هو تقديم تنازلات ملموسة تتمثل فى الأراضى. الأمر الذى ينطوى على مخاطر أمنية كبيرة،

فقد كانوا يريدون أن يطمئنوا إلى أنهم سوف يأخذون فى مقابل ما يعطون. وعلى ذلك كان المقصود بالتطبيع أن يكون تجسيدا ملموسا للمعاملة بالمثل من جانب مصر.

(ب) وكان من المتوقع أن تؤدى عملية التطبيع إلى إيقاف الدعايات المعادية، والتعاليم الأيديولوجية التى أذكت النزاع. وكان المأمول أن يؤدى الأخذ بهذه السياسة، ولا سيما فتح باب تبادل المعلومات إلى إحداث تغيير كبير فى الصورة والمواقف المتبادلة، بحيث يتضاءل الميل للعودة إلى حالة الحرب. وكان المتوقع قبل كل شئ أن تؤدى اتفاقات التطبيع إلى إيجاد شبكة واسعة من المعاملات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية تضفى على العلاقات «طابعا إنسانيا»، وتجعل العودة إلى الأعمال العدائية أقل إحتمالا.

وعلى خلاف ما رآه منتقدو العملية من المصريين، الذين رأوا فى التطبيع محاولة من جانب إسرائيل لفرض الأمبريالية الإقتصادية والغزو الثقافى، لم يبد الإسرائيليون اهتماما يذكر لما قد يتحقق من مكاسب مادية من هذه العملية: فقد كانت بالنسبة إليهم فى المقام الأول اختبارا لا غنى عنه، مهما يكن ضعفه، نظرا لعدم وجود وسيلة غيره، تبين مدى الاستعداد لما كانت «جولدا مائير» تسمية «السلام الحقيقى».

(جـ) وعندما بدأت الإتصالات السلمية المباشرة مع مصر على مستوى الحياة اليومية، وصلت حقيقة السلام إلى أذهان الإسرائيليين بشكل أقرب مما وصلت إليها عن طريق التحولات

السياسية والاستراتيجية التى هى تحولات أكثر أهمية، ولكنها ليست محسوسة بنفس الدرجة. وكان فتح الحدود بين البلدين تجربة مثيرة. وخاصة لمجتمع يعيش من ثلاثين عاما فى حالة أشبه بالحصار. وبدت اللقاءات الأولى بالمصريين طيبة إلى حد يثير الدهشة، وأحدثت تغييرا فوريا فى الصورة التى كونها الإسرائيليون عنهم، وهى صورة مأخوذة إلى حد كبير من مشهد الجماهير الهستيرية وهى تهتف أثناء خطب جمال عبد الناصر النارية. ورأى الإسرائيليون المصريين الآن فى صورة شعب ودود كريم وطيب المعشر يتحمل مشاق الحياة اليومية بصبر يدعو للإعجاب وحس فكاهى آسر غير أن التطبيع لم يذهب إلى مدى بعيد. فقد تطور بالتدريج قرب انتهاء الإنسحاب من سيناء، ولمدة أسابيع قليلة بعده، ثم تعرض لنكسة شديدة بعد نشوب الحرب فى لبنان، واستقر بعد ذلك عند حالة ثابتة تقريبا.

(د) وكانت النقاط الإيجابية الرئيسية لعملية التطبيع حتى الآن هى افتتاح السفارتين والمكاتب القنصلية، وتبادل الزيارات من جانب كبار الساسة والمسئولين، وبيع النفط المصرى لإسرائيل، والتجارة فى المنتجات النفطية، وحجم متواضع للتجارة العامة (معظمها فى السلع الزراعية) واستخدام السفن الإسرائيلية لقناة السويس (والموانى المصرية)، ورحلات منتظمة للطيران التجارى. وحجم كبير للسياحة الإسرائيلية فى مصر، والإتصالات السلكية واللاسلكية، ونشاط المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة.

٢ ـ السلام البارد:

(أ) كانت سياسة القاهرة منذ البداية أن تستخدم التطبيع أداة فى المساومة مع إسرائيل، وأن تبقى العملية خاضعة للسيطرة الكاملة للوكالات الحكومية، ومع ذلك سمحت القاهرة فى الفترة السابقة على حرب لبنان بالتعامل فى مجال أوسع. وكان من تلك الأنشطة تبادل مجموعات الشباب فى المعسكرات الصيفية، وتبادل الفرق الموسيقية الزائرة والمعارض الفنية، وعدد من المشروعات المشتركة للبحث العلمى، وتبادل البرامج التليفزيونية، ومراجعة الكتب الدراسية لاستبعاد العبارات المعادية، وإجراء دراسات تمهيدية لمشروعات زراعية إلا أن هذه العلاقات توقفت منذ يونيو ١٩٨٢ .

(ب) وأيا كان الحال، فقد اتخذت العلاقات الثنائية الشكل الذى وصفه «بطرس بطرس غالى» بأنه «سلام بارد». وهو تعبير يعنى حالة يسود فيها الركود فى عملية السلام، ويكون فيها مستوى المعاملات العادية محددا عمدا، كرد فعل للسياسات والتحركات الإسرائيلية. وفسر بعض المصريين، وخاصة من ينتقدون عملية السلام، عدم تحقيق تقدم فى مجال التطبيع بقولهم إنه لا يمكن أن تنشأ أصلا علاقات طبيعية مع إسرائيل، أو على حد تعبيرهم أن «تفرضها» إسرائيل على الأقل فى المرحلة الحاضرة.

أما المصريون فى الدوائر الحكومية فقد حاولوا أن يفسروا هذا الركود بأن يعزوه إلى عوامل لاتتصل من قريب أو بعيد بالعلاقة الثنائية. ولكنهم كانوا يقولون بصراحة فى بعض الأحيان إن تجميد

العلاقات هو رد فعل متعمد للسياسات والتصرفات الإسرائيلية التى تتعارض مع الفهم المصرى لاتفاق السلام. ويقدم المصريون فى هذا الصدد قائمة طويلة من الشكاوى، تشمل توقف محادثات الحكم الذاتى، وضم الجولان والقدس، واستمرار إنشاء المستوطنات، ومعاملة الفلسطينيين، والتمسك بطابا، والوقوف مع أثيوبيا ضد الأقباط فى النزاع على دير السلطان، والعمليات العسكرية ضد أهداف فى البلدان العربية، والأهم من ذلك الحرب فى لبنان، التى نتجت عنها أشد التدابير مناهضة للتطبيع.

(جـ) وكان لهذه التدابير تأثير قوى على الإسرائيليين. ويبدو أن كثيرين منهم لم يقدروا شدة غضب المصريين لبعض المسائل التى يشكون منها، كما تشككوا فى صحة بعضها الآخر. لكن الجمهور الإسرائيلى بوجه عام لم ير أن مصادر شكوى المصريين تبرر إتخاذ تدابير يعتبرها إنتهاكا سافرا لمعاهدة السلام.

٣ ـ نظرة اللكيود:

وكانت نظرة معسكر الليكود إلى المشكلة أكثر برودا. فهو إذ يدرك أن موقفه من يهودا والسامرة وغزة لا يتفق مع موقف مصر، وكان يرى أنه من الطبيعى أن يحدث بين البلدين قدر من الإحتكاك. والمهم فى رأى هذا الفريق أن مصر خرجت من معسكر الحرب العربى. ويذكر مؤيدو هذا الإتجاه عادة أنه يجب على مصر أن تتعود على قبول تصرفات إسرائيلية معينة حتى إذا لم تكن على هواها ـ وهم يصفون هذه التصرفات أحيانا بأنها «إختبار» يجب أن تجتازه القاهرة لبيان مدى التزامها بالمعاهدة. ويقول بعض المراقبين

أيضا إن كتلة الليكود لم تشعر بالإستياء للتفسير الضيق من جانب المصريين لبنود التطبيع فى معاهدة السلام، لأنه يتوازن مع تفسير الليكود الضيق لحقوق الفلسطينيين المشروعة المنصوص عليها فى اتفاقيتى كامب دافيد.

٤ ـ نظرة حزب العمل:

(أ) لكن حزب العمل كان يولى إهتماما أكبر لدور العلاقات بين المجتمعين فى تطوير دينامية السلام، وبالتالى فهو أكثر حرصا على أن تتطور هذه الدينامية. ورغم أن حزب العمل أيضا يرى أن الإجراءات التى تخدم الأمن الوطنى ـ مثل العمليات العسكرية الإنتقامية والوقائية ضد البلدان العربية الأخرى، وإنشاء المستوطنات فى المناطق الأمنية، وتعزيز السيطرة فى الجولان ـ يجب أن تكون لها الأولوية على مراعاة حساسيات المصريين، فقد كان يعرب عادة عن توجسه الشديد لما قد يتعرض له السلام من مخاطر إذا استمر تدهور العلاقات مع مصر ولما كان حزب العمل أكثر تفاؤلا بشأن إمكانية استمرار عملية السلام فى إتجاه الوصول إلى حلول وسط مع الدول العربية الأخرى المجاورة لإسرائيل، فإنه يؤمن أيضا بإمكان إقامة علاقات أكثر إنسجاما مع مصر، ويؤمن بأهمية هذا الإنسجام بالنسبة للسلام.

(ب) ومع ذلك كان معسكر حزب العمل فى مجموعه يقدر الصعوبات التى تواجه صانعى القرارات فى مصر، ولم يكن راغبا فى أن يحصل الإلحاح على التطبيع سببا فى زيادة

العقبات التى تعترض سبيل الاستمرار فى عملية السلام. وبذا كان المعسكران، كل منهما لأسبابه الخاصة، يشعر بأنه لا ضرورة لدفع الأمور قسرا أكثر مما ينبغى فى سبيل إقامة علاقات طبيعية. وكانت تجمع بينهما فوق ذلك الرغبة فى وقف تدهور الإوضاع نتيجة لإنفجار أحداث أليمة.

أعطت الإدارة الأمـريكيــة فى مـســتـهل رئاسـة (ريجان) الضوء الأخضر لإسرائيل للقيام بغزو لبنان. والنتيجة كانت وخيمة على كل منهما، إذ سقطت الولايات المتحدة فى «المستنقع اللبنانى» وخرجت منه تجر أذيال الهزيمة والعار، بعد أن أجبرتها فتاة لبنانية إنتحارية على فرار جنود البحرية الأمريكية فخرج مقاتليها تحت ستار الليل يحملون جثث أكثر من ثلاثمائة قتيل، ومعهم نائب مدير المخابرات المركزية إلى سفن الأسطول السادس فى عرض البحر. ومنذ ذلك الحين، لم تجرؤ الولايات المتحدة حتى على التفكير فى مغامرة أخرى فى لبنان ليقينها أن سوريا وحزب الله ومن ورائهما إيران يقفون لها بالمرصاد.

أما إسرائيل فما زالت تتخبط فى وحل المستنقع بعد أن خضبت يديها بالدماء والخسة والعار فى مذابح العزل والأبرياء فى «صابرا وشاتيلا» وما زالت تدفع الثمن غاليا فى القتال الدائر على حدود ما سمته بالحزام الأمنى (جنوب لبنان).

الأزمة اللبنانية

١ ـ أسباب الحرب فى تصور الليكود:

(أ) فترة الحرب التى خاضتها إسرائيل فى لبنان تقسم بدقة العقد الذى انقضى بعد كامب دافيد إلى ثلاث فترات: الأولى إبرام اتفاق السلام وتنفيذه (١٩٧٨ ـ ١٩٨٢) . والثانية حرب لبنان وتوقف عملية السلام (١٩٨٢ ـ ١٩٨٥) . والثالثة السعى إلى إحياء عملية السلام عن طريق فكرة المؤتمر الدولى (١٩٨٥ ـ ١٩٨٨) . وحرب لبنان فى حد ذاتها لا تدخل فى نطاق هذا الفصل، ولكن تجدر الإشارة إلى إرتباطها بالعملية التى بدأت باتفاقيتى كامب دافيد.

(ب) ولم يكن جميع أعضاء حكومة الليكود التى بدأت الحرب فى لبنان يشاركون مهندس تلك الحرب، وهو وزير الدفاع «آريبل شارون»، التزامه بجميع عناصر مخططه الكبير، غير أن الإطار الفكرى العام لاستراتيجية حرب لبنان مستمد من الخطوط الأساسية لعقيدة الليكود، ولقى تأييدا إجماعيا من هذا

المعسكر السياسى. ووفقا لما يقول به من وضعوا خطة الحرب، لم يكن هدفها هو مجرد إزالة الخطر المتمثل فى قواعد منظمة التحرير الفلسطينية من جنوب لبنان، بل كان الهدف الأساسى هو توجيه ضربة قاصمة إلى المنظمة للقضاء على نفوذها فى الضفة الغربية وغزة، وتعزيز ارتباطها بين المنطقتين بإسرائيل. وتوقع الذين خططوا للحرب كذلك أن تؤدى إلى تعزيز التعاون الاستراتيجى بين إسرائيل والولايات المتحدة فى المنطقة، وتحييد خطر النظام الراديكالى فى سوريا - مما يزيد من حرية الحركة لإسرائيل فى تلك الأراضى. ولو أن مخطط السلام على الطريقة الإسرائيلية نجح فى لبنان، لأثبت أن عملية السلام يمكن أن تستمر دون مساومة على الأراضى ودون تنازلات كبيرة للفلسطينيين.

ولم يبد معسكر الليكود إهتماما كبيرا لعقوبات من جانب مصر واعتراضها، بل أكد أن معاهدة السلام صمدت لاختبار الحرب، وبالتالى أثبتت صدق نظرة واضعى الاتفاق، وفى رأى مدرسة الليكود أنه ليس لمصر أن تتدخل فى مسألة لبنان.

٢ - نظرة حزب العمل

(أ) وجد أن حزب العمل يوافق على أهداف الحرب على النحو الذى أعلنت به فى البداية، وهى إزالة قواعد منظمة التحرير الفلسطينية من منطقة بعرض ٤٠ كيلو مترا على إمتداد الحدود الإسرائيلية. فعملية كهذه تتفق مع المفاهيم الاستراتيجية الأساسية لحزب العمل، وتبدو مماثلة للعمليات العسكرية الأخرى التى نفذت فى الماضى فى جنوب لبنان وأيدها

الحزب. ولكن عندما اتسع نطاق الحرب واتضحت أهدافها السياسية بعيدة المدى، شدد حزب العمل من انتقاده للحرب حتى وصل المعسكران آخر الأمر إلى مواجهة بينهما في صراع سياسي مرير أدى إلى فتح مجمل قضية عملية السلام وسياسة إسرائيل في الأراضي.

(ب) وبشكل عام فإن معسكر حزب العمل كان يميل للإعتراف بمشروعية قلق مصر من هذا النزاع، وأضاف ضرورة العمل لرأب صدع العلاقات مع القاهرة ضمن قائمة الإعتبارات التي تستلزم إنهاء الحرب في أسرع وقت.

٣ - نظرة مصر:

وكان تأثير الحرب في لبنان على السلام مع مصر عنصرا هاما في ذلك الجدل. فقد رأت مصر في الغزو الإسرائيلي للبنان إنتهاكا صارخا لاتفاق السلام، أو انتهاكا لروحه على الأقل، كما رأت أن الغزو يقضي على مصداقية الحجج التي تستخدمها مصر في الجدل الدائر داخلها وفي المناقشة مع الدول العربية، وجوهرها أن السلام الذي أبرمته مصر مع إسرائيل ليس خروجا على التضامن العربي، ولا يعرض الدول المجاورة لإسرائيل لأي هجوم عسكري. وردت القاهرة على الحرب بوقف جميع مشروعات التطبيع تقريبا بعد أن كان قد بدأ الإعداد لها، وأنقصت العلاقات التجارية إلى حد كبير، وكثفت الهجوم على إسرائيل في وسائل الإعلام. ولكن الحكومة المصرية قاومت من ناحية أخرى الضغوط الخارجية والداخلية للإنسحاب من التزاماتها الأساسية في معاهدة السلام. وكانت الضجة

التى أثيرت حول مذابح «صابرا وشاتيلا» هى وحدها التى حدث بمصر لأن تضيف إلى العقوبات التى اتخذتها ضد إسرائيل استدعاء سفيرها من تل أبيب «للتشاور».

مبادرات دفع السلام

١ - مبادرة بيريز:

(أ) أخذ المبادرة فى هذا الصدد «شيمون بيريز» فى أواخر عام ١٩٨٤ بعد أن تقلد فى شهر سبتمبر رئاسة الوزراء فى حكومة الوحدة الوطنية. وكان هدفه العاجل فى المسائل الخارجية هو إعادة قدر من الثقة المتبادلة والتعاون مع مصر من أجل إحياء عملية السلام. وكان عليه لتحقيق هذا الغرض أن يعالج القضايا الثلاث التى رأى المصريون أنها تحول دون إستئناف الحوار السياسى مع إسرائيل وعودة سفيرهم إلى تل أبيب وهى: إحتلال الأراضى اللبنانية، والأحوال السائدة فى الضفة الغربية وغزة، والنزاع حول طابا.

(ب) وكانت أولى تلك القضايا جاهزة للحل، إذ توفر آنذاك ما يقرب من التوافق الوطنى على تأييد الإنسحاب من لبنان، ورغم أن المصريين اعترضوا على إستمرار وجود بعض القوات الإسرائيلية فى المنطقة الأمنية فى الجنوب، فقد رحبوا بالجلاء

عن لبنان ورأوا فيه ما يدعو إلى تحسن كبير فى العلاقة المتبادلة. وكان الوصول إلى نتائج ملموسة بشأن القضية الثانية أكثر صعوبة، ولكن الحكومة الجديدة إتخذت تدابير معينة من بينها التصريح لأحد البنوك الأردنية بالعمل في الضفة الغربية، بالإضافة إلى تجميد إنشاء المستوطنات على أساس الأمر الواقع مما أزال هذه العقبة أيضا.

وتبين أن مسألة طابا هي أكثرها صعوبة. فالرأى العام الإسرائيلى لم يرحب فى أى وقت بمطالب مصر فى طابا، ورأى أنه مهما كان من قوة أو ضعف الحجة الإسرائيلية من الناحية القانونية فإن لمصر شاطئا طويلا يمتد على البحر الأحمر لمئات الكيلو مترات، ولم يكن ينبغى أن تضخم النزاع بشأن شريط لا يتجاوز ٨٠٠ متر حتى يصبح قضية وطنية كبرى.

٢ - خطة فهد:

لم يثر خلاف كبير فى إسرائيل بشأن خطة فهد للسلام التى قدمها فى أغسطس ١٩٨١، وما تلاها من قرارات فاس فى سبتمبر ١٩٨٢، لأن إسرائيل نظرت إليها على أنها محاولة للوصول إلى توافق فى الرأى بين الدول العربية وليست سعيا حقيقيا للتسوية مع إسرائيل.

وقد لاحظ المراقبون فى القدس أن واضعى مشروع الخطة سارعوا إلى توضيح أنها لا تعنى أى إعتراف بإسرائيل أو تفاوض معها، وعلى ذلك اتفق المعسكران فى إسرائيل على رفض تلك المقترحات.

٣ - خطة ريجان:

وكانت خطة ريجان التى قدمت فى سبتمبر ١٩٨٢ كفيلة بأن تثير خلافا أكبر. وكان من الواجب النظر فيها بعناية نظرا لصدورها عن رئيس أمريكى أثبت إهتمامه بأمن إسرائيل ورخائها، ونظرا لأن معظم الحكومات العربية حرصت على ألا ترفضها على الفور. ولكن حكومة بيجين وجدت أنه لا مفر لها من رفضها، لأنها تتعارض مع كل الأفكار التى يقوم عليها الليكود تقريبا. فالخطة تدعو إلى الحكم الذاتى بالنسبة للأراضى لا بالنسبة للسكان وحدهم. كما أنها تسرى على القدس الشرقية أيضا.

وكذلك دعا ريجان إلى تجميد إنشاء المستوطنات، ورفض ضم الأراضى إلى إسرائيل رفضا قاطعا. وكان من السهل على بيريز أن ينتقد تسرع بيجين فى رفض خطة ريجان لسببين:

الأول: أن الإتجاه الرئيسى للخطة يعتمد على مفهوم حزب العمل بشأن «الخيار الأردنى».

والثانى: أن الخطة تستبعد أيضا إحتمال قيام دولة فلسطين منفصلة.

٤ - حوار إسرائيل حول السلام:

(أ) وفى ظل حكومة الوحدة الوطنية، إستؤنف الجدل حول استصواب وضع خطط للسلام. فكانت كتلة الليكود ترى أن الوقت يتطلب التمهل. وطفق المتحدثون بإسمها يذكرون الرأى العام الإسرائيلى بأن نهاية النزاع مع العرب ليست على مدى البصر، وأنه ليس هناك سبيل لإختصار الطريق إلى السلام.

(ب) وعلى العكس من ذلك كانت كتلة حزب العمل ترى أن الوقت يمضى سريعا، وأن الحالة فى الأراضى تدعو إلى قلق متزايد، وأن البلد يسير بسرعة - وربما بصورة لا رجعة فيها - فى طريق القومية المزدوجة، وأن المشكلة «ديموغرافية - ليست جغرافية» وأن السلام مع مصر يتعرض للخطر، لأن عملية السلام إما أن تتحرك إلى الأمام أو تتراجع إلى الوراء، وأنه ليس أمام إسرائيل من خيار غير التركيز على القضية الأردنية الفلسطينية.

(جـ) وفى الوقت ذاته ١٩٨٥/١٩٨٦ حدد «بيريز» مفهومه الخاص للمفاوضات، وهو أن يقبل أن يكون هناك دور ما لمحفل دولى. وقد طرأت على هذه الخطة فى السنوات التالية تعديلات شتى، لكن أفكارها الأساسية بقيت بوجه عام كما يلى:

تبدأ عملية السلام الجديدة بعقد مؤتمر دولى يضم الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن، ووفدا أردنيا فلسطينيا، وسوريا ولبنان ومصر وإسرائيل. ويعقد المؤتمر بدون شروط مسبقة، على أساس موافقة المشاركة فيه، وقبول القرارين ٢٤٢، ٣٣٨، ورفض الإرهاب والعنف. ويكون هدف المؤتمر حل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها.

(د) وأعقب ذلك إتخاذ خطوات هامة متعددة لتنفيذ هذه الإستراتيجية. إذا نجح بيريز خلال محادثاته مع مبارك فى القاهرة فى فبراير ١٩٨٧، فى تغيير الموقف المصرى، من التمسك بأن يشارك فى المفاوضات على الفور وفد رسمى من منظمة التحرير الفلسطينية إلى قبول تحقيق ذلك على مراحل.

وكانت هذه الموافقة من جانب مصر من العوامل التى أتاحت للملك حسين أن يتخذ خطوة أخرى لتضييق الفجوة بينه وبين بيريز. وفى إبريل ١٩٨٧ تم التوصل إلى تفاهم بينهما فى لندن، قامت بالوساطة فيه الولايات المتحدة. وكان أهم ما تحقق فى هذا الإجتماع، وفقا لما أدلى به مساعدو بيريز، هو تخلى الأردن عن إصراره على «إحالة الأمر» إلى المؤتمر الدولى. وعلى ذلك وافق الأردن على الدخول فى مفاوضات مباشرة وجها لوجه من أجل السلام مع إسرائيل، فى إطار مؤتمر دولى يعقد وفقا للقواعد المذكورة آنفا، ولا تكون له سلطة فرض تسوية، أو الإعتراض على التسوية التى يتم التوصل إليها فى اللجان الثنائية. ووافق على أن تكون كل من هذه اللجان مستقلة إحداها عن الأخرى.

لكن ذلك لم يتحقق، وخلال عام ١٩٨٧ شدد الليكود معارضته لمفهوم المؤتمر الدولى، وتمكن عمليا من تجميد المشروع برمته. ووجهت مدرسة شاميرالفكرية هجوما عنيفا لهذا المفهوم. وإعتبرت أنه يضر بفرض السلام بدلا من أن يشجع عليها.

(هـ) وقال رجال الليكود أنه إذا كانت هناك فى الوقت الحاضر ضرورة لإجراءات للسلام فقد يمكن عقد مؤتمر إقليمى يشارك فيه الأردن ومصر وفلسطينيون محليون من غير المنظمة والولايات المتحدة. وهناك حل بديل وهو أن تجرى مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والأردن تحت رعاية القاهرة. وهناك إحتمال آخر، وهو الشروع فى مفاوضات مباشرة عن طريق إفتتاح محفل يرأسه قادة الدولتين العظميين على أن يكون مفهوما أنه لن يكون لهم أى دور آخر فى العملية ولا تشارك فى ذلك الأمم المتحدة.

٥ ـ صيغة حسين ـ عرفات:

وقد وقعت أهم التطورات فى عمان. إذ شمل إتفاق ١١ نوفمبر ١٩٨٥، بين الملك حسين وياسر عرفات، ضمن نقاطه الخمس عناصر عديدة كان يمكن أن تؤدى للوصول إلى صيغة للتفاوض ويقبلها حزب العمل. إذ تضمن الإتفاق فكرة إجراء مفاوضات السلام فى إطار مؤتمر دولى، ومبدأ «الأراضى مقابل السلام» والموافقة على تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية ضمن وفد أردنى فلسطينى مشترك، والسعى إلى تقرير المصير فى إطار إتحاد كونفدرالى أردنى فلسطينى مشترك، وتضمن الإتفاق جوانب كثيرة لا يمكن أن يقبلها بيريز، كما لا يقبلها شامير، فضلا عن أنه لم يتحول إلى إتفاق ثابت بين المنظمة والأردن. وبحلول فبراير ١٩٨٦ لم يعد الإتفاق ساريا.

٦ ـ الانتفاضة:

(أ) وقد تعرض هذا الركود لهزة مفاجئة فى ديسمبر ١٩٨٧ على أثر الهبة فى الضفة الغربية وغزة، والتى يطلق عليها إسم «الإنتفاضة» فقد أدت أعمال الشعب فى غزة والضفة الغربية إلى إثارة مشاعر معادية للعرب. وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهر فى الصفوف الأولى للإنتفاضة دعاة جهاد راديكاليون، لا يبدون أى اهتمام بالوصول إلى حل سياسى، ويرفعون شعارات تطالب بالحد الأقصى للأمانى الوطنية، مما أثار المزيد من العداء أو القلق لدى كثير من الإسرائيليين. وفى الوقت نفسه ترتب على الأزمة أن زاد نشاط مجموعات الحمائم التى تعارض الأحتلال. وتلح فى ضرورة التعجيل بإنهائه.

(ب) والأرجح أن الإنتفاضة ساعدت على تقوية هذه الإتجاهات. ولكن كان من المتعذر فى منتصف عام ١٩٨٨ أن يتبين أثرها الدائم على مختلف الإتجاهات السياسية فى إسرائيل. وقد بدا أن النتيجة المباشرة هى الإتجاه إلى مزيد من التشدد.

وفقد «الخيار الأردنى» الذى دعا إليه حزب العمل كثيرا من مصداقيته. ولما كان إسحاق رابين، وهو من وزراء حزب العمل، هو المكلف بإخماد الإنتفاضة، فقد ساعد ذلك على تضييق الفجوة بين المعسكريين. ومن الواضح أن المصادمات العنيفة فى هاتين المنطقتين أدت إلى إنهاء الفكرة القائلة بأن إستمرار الوضع الحالى هو أنسب الخيارات، وأقلها مشاكل بالنسبة لإسرائيل. كما أدت الإضطرابات إلى إعادة النظر فى الجوانب الأساسية لموقف إسرائيل فى تلك الإتجاه.

وواقع الأمر أنه كان هناك إتجاه لإجراء تقييم جديد يتشكل منذ بضعة شهور قبل الإنتفاضة، نتيجة لإزدياد القلق الناشئ عن «المشكلة السكانية».

٧ ـ خطة شولتز:

(أ) ولما كان من المتعذر القول بأن الوقت يعمل فى الأراضى لصالح إسرائيل ، ولما كانت حدود القوة قد تجلت بصورة متزايدة، فقد نشأ فى إسرائيل إتجاه قوى يرى أن الوسيلة الوحيدة لمعالجة الموقف هى عن طريق «حل سياسى». وعجل هذا الشعور الجديد من صياغة خطة شولتز فى مارس ١٩٨٨ ـ

وهى أول مبادرة أمريكية رسمية للسلام منذ خطة ريجان فى عام ١٩٨٢ .

وقد وضعت إقتراحات شولتز جدولا زمنيا ضيقا تنهى خلاله الأطراف مفاوضاتها حول الترتيبات المرحلية، وتبدأ المحادثات بشأن التسوية النهائية قبل حلول نهاية العام. وفيما عدا ذلك كانت الإقتراحات مطابقة فى جوهرها لخطة المؤتمر الدولى التى تم الإتفاق عليها بين بيريز والملك حسين فى لندن.

(ب) والوقائع أن خطة شولتز، التى كانت فى ربيع عام ١٩٨٨ هى الخطة الوحيدة المطروحة فى الساحة، قطعت شوطا طويلا فى الإبتعاد عن كامب دافيد. فإتفاقية ١٩٧٨ التى سبق للأردن والفلسطينيين أن رفضوها، ولم تتمكن إسرائيل ومصر من تنفيذها فى الضفة الغربية وغزة، لم يعد فى الوسع أن تفيد كأساس للتقدم بعملية السلام. ومع ذلك لا يمكن إنكار مساهمتها الجوهرية فى هذه العملية. وسيكون من العسير إلى أقصى حد أن تتجاهل مفاوضات السلام المقبلة الأفكار المختلفة التى تضمنتها كامب دافيد.

فقد حددت كامب دافيد الحقوق الأساسية والمصالح المشروعة، وأرست التمييز بين الترتيبات الإنتقالية والوضع النهائى، وإقترحت المشاركة الأردنية الفلسطينية، وحددت أن السلام الكامل هو الهدف النهائى.

القسم التاسع

العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية
فى ظل كامب دافيد

الفصل الأول

مجمل العلاقات بين مصر وأمريكا.

الفصل الثانى

تأثير المشكلات العربية.

الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية والعسكرية.

مجمل علاقات البلدين

١ - مرحلة ما قبل كامب دافيد:

(أ) كان القرار الذى اتخذه السادات بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالعمل مع واشنطن للوصول إلى تسوية مع إسرائيل فرصة نادرة. وكان السادات على إثر تقلده رئاسة الجمهورية فى أواخر سبتمبر ١٩٧٠ قد اتخذ مبادرات متعددة لإبداء رغبته فى تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، وكان رد واشنطن سلبيا. ولكن أيا كانت الشكوك التى ساورت أمريكا بشأن السادات، فقد سلمت إدارة نيكسون بأنه «معتدل». ولما كانت مصر هى أكبر الدول العربية وأقواها، وهى التى أسهمت بالجانب الأكبر من القوى البشرية العسكرية العربية فى العمليات الحربية المتكررة التى نشبت بين العرب وإسرائيل، فقد رأت واشنطن أن مصر «والتى يرأسها السادات» ربما تكون قادرة أيضا على قيادة شقيقاتها من الدول العربية إلى حوار للسلام مع إسرائيل.

وبطبيعة الحال لم يكن هناك إتفاق بين الجميع على التسليم بالدور القيادى لمصر بين الدول العربية. فبعد أن إنتهى عنفوان القومية العربية فى أيام جمال عبد الناصر، ولاسيما بعد الهزيمة الساحقة التى أنزلتها إسرائيل بمصر فى يونيو ١٩٦٧، بدأت تظهر مراكز منافسة لمصر فى العالم العربى، كان من بينها سوريا والجزائر والعراق، كما لم يكن هناك ما يؤكد ماتصوره بعض المراقبين الأمريكيين من أن مصر ستتمكن من إلزام منظمة التحرير الفلسطينية، بقبول ماتقره مصر.

(ب) وكان المعتقد أنه مهما أبدى السادات من تأييد لفظى للأمانى الفلسطينية، فإنه يفعل ذلك لأسباب تتعلق بوضعه فى الشرق العربى، ولا تتعلق بمعتقداته الحقيقية.

فعقيدته الوطنية هى فى المقام الأول مصرية لا عربية، وهو على إستعداد للوصول إلى حلول وسط بشأن القضايا العربية إذا ما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

وكان هناك تصور أمريكى آخر فى ١٩٧٣ يجعل من مصر السادات شريكا مفيدا فى المفاوضات. إذ كان المعتقد أن مصر، بعد سلسلة من الحروب المدمرة مع إسرائيل، وبعد الأضرار التى ترتبت على نظام الإشتراكية العربية الذى نفذه عبد الناصر عن طريق الدولة، تواجه إنهيارا إقتصاديا شاملا. وقيل وقتها إن السلام بالنسبة لمصر ضرورة حتمية.

وكان ريتشارد نيكسون وهنرى كيسنجر يعرفان أنه لولا تدخل الولايات المتحدة فى الوقت المناسب لتمكنت إسرائيل بالمساعدة

العسكرية الأمريكية غير المحدودة من التفوق على مصر مرة أخرى عام ١٩٧٣ وأن إدراك السادات للإحتمال القوى لتعرض مصر مجددا للهزيمة العسكرية، بالإضافة إلى العوامل الإقتصادية، من شأنه أن يلزم السادات بالتعاون مع حكومة الولايات المتحدة، وأن يسعى إلى التفاوض للحد من الآثار الضارة للهزائم السابق.

وعزز هذا الرأى مسارعة السادات إلى قبول إقتراحات كيسنجر بشأن فض الإشتباك الأول، رغم تواضع تلك الإقتراحات ومالقيته من معارضة عنيفة من جانب كبار المستشارين المصريين، كما عزز هذا الرأى بما قام به الرئيس المصرى من مطالبة مباشرة وملحة بمساعدة إقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة. ورأت واشنطن أنه إذا أمكن تقديم تلك المساعدة لمصر، سيكون فى وسعها التوسط للوصول إلى حلول وسط متبادلة بين مصر وإسرائيل تكفى للتحرك نحو السلام فى الشرق الأوسط، وكان من رأى واشنطن أن السادات هو الطرف الأكثر إستعداد للإذعان .

(جـ) وعندما قدم نيكسون إستقالته بسبب ووترجيت وهو ما أدى إلى تجميد فكرة المساعدة العسكرية. وقد تلقت مصر كميات محدودة من معدات ليست لها أهمية كبيره بعد إتفاقية فض الإشتباك الثانية فى عام ١٩٧٥، رغم المعارضة العنيفة من جانب إسرائيل، لكن السادات أحيط علما بأن الكونجرس لن يوافق على تقديم مساعدة عسكرية كبيرة إلا عندما يتحقق تقدم ملموس نحو السلام.

(٢) مرحلة كامب دافيد:

(أ) فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨، وقعت إتفاقيتا كامب دافيد.

وقد تضمنت إحداهما خطوطا توجيهية للسلام بين مصر وإسرائيل، بينما تضع الثانية تصورا لمفاوضات تجرى بشأن الحكم الذاتى للفلسطينيين، دون تحديد دقيق لما تعنيه هذه العبارة، فى الضفة الغربية وغزة، بإعتبار ذلك الحكم الذاتى مرحلة متوسطة فى سبيل الوصول فيما بعد لتحديد وضع نهائى لهاتين المنطقتين اللتين تحتلهما إسرائيل. وجاء توقيع الإتفاقيتين بعد أسبوعين من مفاوضات شاقة. وقد أمكن التوصل إلى حلول وسط بجهود مضنية، وذلك فى كثير من الأحيان بإستخدام عبارات مبهمة تحتمل تفسيرات شتى. كان لابد من تأجيل بعض القضايا الحاسمة. مما كان ينبئ بظهور مشاكل جديدة فى المستقبل.

وكان التصور العام أن رئيس الولايات المتحدة قد تمكن فى آخر الأمر من تحقيق إنجاز قد يكون جزئيا، ولكنه بالغ الأهمية فى الصراع العربى الإسرائيلى الذى طال عليه الأمد بغير حل. ورحب المراقبون بما سمى «روح» كامب دافيد، وأعربوا عن أملهم فى أن تنتقل عدواها إلى الأطراف الأخرى. وبعد ذلك بستة أشهر وقعت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، والتى كانت هى الصياغة القانونية لإحدى إتفاقتى كامب دافيد، بعيدا للغاية عما كان متوقعا.

(ب) وقد رأى الكثيرون فى الإتفاقيتين وفى معاهدة السلام المترتبة عليهما، والتى تشكل فى مجموعها صفقة كامب دافيد

الإجمالية إتفاقا ثنائيا بين مصر وإسرائيل، واتُهِمَتْ مصر بأن الولايات المتحدة استدرجتها للخروج على وحدة الصف العربى. وسخر الناقدون العرب والسوفيت، بالإضافة إلى المتشككين من الأوربيين، مما أعلنه السادات وكارتر من أن الإتفاقيتين ستكونان «حجر الزاوية» فى التسوية الشاملة. ولكن صفقة كامب دافيد كانت أيضا بداية لعلاقة ثنائية جديدة تتخذ شكلا أوثق بين الولايات المتحدة ومصر.

وكان كارتر قد تنبأ بذلك فى لقائه الأول بالسادات فى يوم ٤ إبريل ١٩٧٧ فى البيت الأبيض، عندما قال أنه إذا نجحت محادثات السلام، فإن الأرتباط بين الولايات المتحدة ومصر يمكن أن يصبح خلال عشر سنوات فى مثل متانة إرتباطها بإسرائيل. وأدى هذا التلميح من جانب الرئيس الأمريكى بالتكافؤ مع إسرائيل إلى تشجيع السادات على تقديم التنازلات التى قبلها فى كامب دفيد فى السنة التالية.

(جـ) وكانت نقطة الذروة فى العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة ومصر، هى الفترة بين توقيع إتفاقيتى كامب دافيد وتبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى أواخر إبريل ١٩٧٩ ولكن خلال العقد التالى تبين أن هذه العلاقة التى عمل كل من نيكسون وفورد وكارتر ووزراء خارجيتهم على دعمها بحذق وبراعة لا تسير على النحو المطلوب.

(د) ورغم أهمية صفقه كامب دافيد، فقد أدت إلى تعميق الإنقسامات القائمة فى العالم العربى، وترتب على عجز أمريكا عن

الحصول على الأقل على تأييد المملكة العربية السعودية للإتفاقيتين، وهو ماكان السادات يعول عليه، أن تعرضت مصر لفترة طويلة من العزله فى السياسيتن العربية والإسلامية.

ومع مرور الوقت أصبحت إتفاقيتا كامب دافيد، خارج إسرائيل والولايات المتحدة، عاملا يعرقل التقدم نحو محادثات للسلام أوسع نطاقا، بدلا من أن يشجع على إجراء مثل تلك المحادثات.

(هـ) ولاجدال فى أن صفقه كامب دافيد كان لها أثر كبير فى الإرتباط السياسى بين الولايات المتحدة ومصر، وبالنسبة للولايات المتحدة ومصر على السواء، يسيطر البعد السياسى للعلاقة على الحوار الدائر بينهما، وحتى المعونة سواء منها الإقتصادية أو العسكرية، تحمل نغمة سياسية. وفى الإطار السياسى كانت هناك عوامل متعددة أسهمت فى عدم الإتفاق منها تعثر عملية السلام فى الشرق الأوسط، وإزدياد تأثير إسرائيل على سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة، والقضية الفلسطينية، وتناقض السياسات المصرية فى مسائل تمس الولايات المتحدة بالإضافة إلى عوامل أخرى.

(و) وفى أوائل سبتمبر ١٩٨١ أقدم السادات على خطوة غير مسبوقة، وهى إعتقال نحو ١٥٠٠ من معارضية من مختلف الإتجاهات السياسية وقد فعل ذلك بسبب قلقه الذى ربما كان مبالغا فيه، لإحتمال قيام تلك العناصر خلال الشهور القليلة المقبلة لتنظيم مظاهرات يمكن أن تستغلها القيادة الإسرائيلية لتأجيل الإنسحاب النهائى.

٣ ـ سوء الفهم فى العلاقات:

(أ) والحقيقة أنه كانت لدى كل من الولايات المتحدة ومصر فكرة مبالغ فيها عن إرادة الطرف الآخر وقدرته على التأثير فى ساحة الشرق الأوسط. فقد مال الأمر يكيون إلى اعتبار أن السادات هو مصر. ولم يولوا الإهتمام الواجب للآراء المعارضةفى مصر، وعندما هدأت الضجه التى أحاطت بتوقيع إتفاقيتى كامب دافيد ومعاهدة السلام، شعر كل من الطرفين بخيبة أمل لما اعتبره ترددا من جانب الطرف الآخر، وماتشعر به من عدم القدرة على الإعتماد عليه. ولم تلبث عبارة «الشريك الكامل» التى رفعت فى كامب دافيد أن تبددت، وأصبحت عبارة بلا مضمون. وإذا كانت العلاقة فى جوهرها ظلت وثيقة وإيجابية، وأدى قبول الولايات المتحدة وتغاضيها عن بعض السياسات الإسرائيلية إلى إثارة شكوك مصر بشأن ماوعدت به أمريكا من إتباع سياسة متوازنة، وعلى غرار ذلك أيضا كان ما اعتبرته الولايات المتحدة مراوغة من جانب مصر، بشأن أمورتهم الولايات المتحدة، مصدراً لقلق زعمائها.

(ب) وزاد من الصعوبات إختفاء المسؤولين الأمريكيين والمصريين الذين تفاوضوا للوصول إلى هاتين الإتفاقيتين من المسرح السياسى، إذ خسر كارتر إنتخابات الرئاسة فى ١٩٨٠، واغتيل السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١، وكانت شخصية الرئيس الأمريكى الجديد رونالد ريجان مغايره لشخصية سلفه، ولم تكن تبدى إهتماما يذكر بإستمرار قوة الدفع لعملية السلام.

(جـ) وكان الرئيس حسنى مبارك الذى تولى السلطة فى أكتوبر ١٩٨١ ، قد أيد سياسة السادات الرامية إلى السلم عندما كان نائبا للرئيس، ولكن عندما اصبح على رأس الدولة أبدى إهتماما مكثفا بأن تستعيد مصر دورها بين البلدان العربية، وذلك بالإضافة إلى أنه ليس من الشخصيات التى تصل عن طريق أجهزة الإعلام.

٤ ـ العامل الإسرائيلى:

(أ) كان الرئيس السادات يلح فى معاملة متساوية مع إسرائيل وفقا لتعهدات الرئيس الأمريكى كارتر، وكان يتهم الولايات المتحدة بأنها تنحاز إلى جانب إسرائيل.

(ب) وكان مبارك على أثر إغتيال السادات مباشرة يخشى أن تستغل إسرائيل الإضطرابات الداخلية فى مصر وترفض الإنسحاب من سيناء وفقا لأحكام معاهدة السلام. وإزداد هذا القلق عندما تمسكت إسرائيل بقولها «إن طابا لم تكن تاريخيا ولا جغرافيا جزءا من سيناء، وأن إسرائيل ستبقى فيها».

وبجهود أمريكية تم التوقيع على بروتوكول تؤكد فيه إسرائيل عزمها على الإنسحاب من سيناء يوم ٢٥ إبريل ١٩٨٢ . واتفق فيما يتعلق بمسألة طابا على إجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين لحلها، فإذا لم يتمكنا من ذلك يمكن اللجوء إلى تدابير الوساطة والتحكيم.

(جـ) كان من أسباب قلق مصر أن مقدم الإدارة الريجانية اقترن بزيادة توثق العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل،

ومهما بلغ ما تبديه واشنطن من حين لآخر من استياء لتصرفات إسرائيلية تضر بالمصالح الإقليمية للولايات المتحدة، مثل قصف المفاعل النووى العراقى فى ٧ يونيو ١٩٨١، أو الغزو الإسرائيلى للبنان فى صيف ١٩٨٢، فإن ذلك الإستياء نادرا ما ترجم إلى أكثر من مجرد معارضة شكلية.

(د) وكانت الولايات المتحدة تسارع إلى إيجاد مبرر قوى لأعمال العنف التى تقدم عليها إسرائيل. فلم تكن هناك فى ذلك الوقت علاقات دبلوماسية رسميه بين الولايات المتحدة والعراق. وكانت العراق تبذل جهودا متصلة لإحباط الجهود الأمريكية لتحقيق سلام بين العرب وإسرائيل، ورغم أن واشنطن أعلنت عدم موافقتها على قصف المفاعل النووى، كان الكثير من الأمريكيين يعتقدون أن هذا العمل سيحول دون إحراز العراق للقدرة النووية. وكان بعض كبار رجال الحكومه الأمريكية يتوقعون أن يؤدى اجتياح لبنان إلى إزالة ما يمثله الفلسطينيون من «دولة داخل الدولة» فى لبنان وفوق ذلك كان كثير من المسئولين الأمريكيين يرون أنه رغم العناد الذى تبديه إسرائيل فى بعض الأحيان فإنها الحليف الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه فى المنطقة.

٥ - العامل السوفيتى:

(أ) على خلاف ما أبداه السادات من تعاون كامل مع سياسة الولايات المتحدة الرامية إلى الحد من النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط، بدا أن مبارك يريد تطبيع العلاقات مع الأتحاد

السوفيتى. وقد ذكر علنا أنه يرى أن العلاقات الأمريكية المصرية أشبه ما تكون بالعلاقات الهندية السوفيتية. وقال إن أيا من هذه العلاقات لاتمنع من قيام حوار دبلوماسى طبيعى مع الدولة العظمى الأخرى. ورغم أنه لم يتخذ غير خطوات محدودة فى هذه الأتجاه، فقد كانت كافية لإثارة قلق الإدارة الأمريكيه.

(ب) ففى يناير ١٩٨٢ طلبت مصر عودة ٦٦ عن الفنيين السوفيت، وكان الغرض الظاهرى لذلك هو ضمان صيانه المعدات السوفيتية فى مصر. وفى مارس ١٩٨٣ اتفقت مصر والأتحاد السوفيتى على عودة العلاقات الدبلوماسية، وفى مايو ١٩٨٣ أبرم إتفاق تجارى جديد بين مصر والأتحاد السوفيتى.

وفى منتصف مارس ١٩٨٧ استقبلت موسكو وفدا وزاريا مصريا لمناقشة مسائل الديون والتجارة وإمكانيات زيادة المساعدة السوفيتية فى رفع مستوى الوحدات الصناعية المصرية. وعاد الوفد بإتفاق جديد - وهو إتفاق مجز من وجهة النظر المصرية - يقضى بتأجيل سداد الديون العسكرية للأتحاد السوفيتى لمدة ٢٥ عاما.

(جـ) ولم ينقض وقت طويل حتى ترددت أبناء فى القاهرة بأن مصر طلبت من الأتحاد السوفيتى صواريخ ومدفعية مضادة للطائرات، وفى أوائل عام ١٩٨٧ وجه السوفيت الدعوه لمبارك لزيارة موسكو، وقيل إنه قبلها من حيث المبدأ، ولكن لم يتحدد لها موعدا مؤكدا.

وإذا حصلت مصر على معدات عسكرية سوفيتية، فإن ذلك سيواجه الولايات المتحدة ببعض المشاكل، نظرا لأن أمريكا تعارض

تقليديا تجمع بين الأسلحة الأمريكية والسوفيتية، وما تقوله مصر من أن تعاملها مع موسكو إنما هو جزء من سياسة عدم الأنحياز التى تسير عليها، وأنها علاقات محدودة النطاق، لا يكفى لطمأنة المسؤلين فى الإداره الأمريكية أو فى الكونجرس الذين تساورهم الشكوك، ومع ذلك فقد زال هذا التخوف الأمريكى خاصة بعد السقوط السوفيتى وتدعيم علاقات مصر الإقتصادية والعسكرية والسياسية بالولايات المتحدة الأمريكية.

٦ - علامات فى سياسة الولايات المتحدة بعد كامب دافيد.

(أ) وخلال العقد التالى لإتفاقيتى كامب دافيد كانت السياسة الأمريكية تجاه مصر تتوقع أن يترتب على معاهدة السلام، أن يتناقص إحتمال قيام عمليات عسكرية واسعة النطاق بين العرب وإسرائيل، وأن تشعر إسرائيل بقدر أكبر من الأمن مما يجعلها أكثر استعدادا للوصول إلى حلول وسط مع الدول العربية المجاورة الأخرى. وأخيرا فإن المعاهدة ستؤدى إلى المزيد من إضعاف النفوذ السوفيتى فى المنطقة.

وكان من الأهداف السياسية أيضا أن يقوم تعاون أمنى بين مصر والولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وأفريقيا، وأن تحصل الولايات المتحدة على تسهيلات عسكرية تمكنها من الوصول إلى المناطق الأخرى، أو تتيح لها ميزات أخرى فى أوقات الطوارئ وكانت ثمة آمال غير محدوده فى قيام قدر من التعاون الأمنى الثلاثى على نطاق المنطقة بأسرها تشترك فيه إسرائيل.

وعلى الجبهة الإقتصادية يمكن دفع مصر، مع إنهاء حالة الحرب، إلى تحويل مواردها إلى التنمية الإقتصادية التى هى فى مسيس الحاجة إليها وإجراء الإصلاحات الأقتصادية الهيكلية التى يحتاج إليها البلد منذ أمد طويل، وإقامة علاقات تجارية بين مصر وإسرائيل يمكن أن تحقق المنفعة المتبادله، فما يساعد فى تعزيز معاهدة السلام.

(ب) وعموما فإن نوعية العلاقة الثنائية مع أى بلد، بما فى ذلك مصر، تعتمد إلى حد كبير على ثبات المصالح المتبادلة، والتفاعل بين صفوة قيادات كل من البلدين بشأن قضايا محدده، والتأييد الداخلى المستمر فى كل من البلدين للتعاون الوثيق بينهما. وقد كانت هذه العوامل قبل كامب دافيد أقوى مما كانت بعدها، وكان من دواعى القلق من وجهة نظر السادات، تباطؤ ريجان فى دعوته لزيارة الولايات المتحدة، فرغم أن السادات كان يتوقع أن يدعى للزيارة فى مارس ١٩٨١، فإن الزيارة لم تتحقق إلا فى أوائل أغسطس من ذلك العام.

(جـ) ومع موت السادات المفاجئ تضاءل النفوذ المصرى فى واشنطن، وهو نفوذ كان يعتمد إلى حد كبير على شجاعة رئيس الدوله المصرية وشخصيته.

ولم يكن خليفته، حسنى مبارك، معروفا جيدا لدى القادة الأمريكيين، ولم يكن هناك تقدير لكفاءاته القيادية. ولم يكن لهذا الخوف ما يبرره، وإن كان مبارك ـ تحت تأثير مستشاريه الذين

يتمسكون بالقومية العربية أكثر من تمسكهم بالقومية المصرية - يميل إلى إتاحة مجال أوسع للبيروقراطية الحكومية المصرية، يسمح لها بالابطاء فى تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وهو الذى كان بطيئاً بالفعل. وقد وردت تقارير مثلا عن أن وزارة الداخلية تعمل على عدم تشجيع المصريين الذين يرغبون فى زيارة إسرائيل، وكان رد الفعل الإسرائيلى سريعا وسلبيا، ولم يلبث أن أبلغ إلى واشنطن. وأثارت هذه التصرفات من جانب مصر مزيدا من القلق لدى الدوائر الحكومية العليا فى الولايات المتحدة.

وكان هناك سبب آخر لخيبة الأمل، وهو ما رأت فيه القيادة المصرية عدم وفاء من جانب الولايات المتحدة بالإلتزامات التى قطعتها على نفسها فى كامب دافيد فقد كان القادة المصريون يتوقعون، بسبب ما قام به السادات من وضع جانب كبير من مصير بلادهم فى أيدى أمريكا، أن تستمر الولايات المتحدة بغض النظر عن تغير الإدارات، فى العمل «كوسيط شريف» للوصول إلى تسوية للجوانب التى لم تتم تسويتها فى إتفاقيتى كامب دافيد.

(د) وعلى النقيض من ذلك، كثيرا ما كانت سياسات مصر تبدو فى نظر الأمريكيين مترددة وذات وجهين، بل وكانت تتسم فى رأى بعض الأمريكيين بالجحود ونكران الجميل. فمنذ إتفاق كامب دافيد أصبحت مصر تعتمد إلى حد كبير على المساعدة العسكرية والإقتصادية الأمريكية السخية، ومع ذلك لا تكف القاهرة عن إثارة إعتراضات تافهة وفرض حدود للتعاون. وكان الإختلاف فى موقف الولايات المتحدة من البلدين واضحا تماما للقيادة المصرية ولم يكن لمصر أن تعترض على قيام

إرتباط وثيق بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ولكنها كانت مستاءة للدور الثانوى الموكول إليها فى المعادله الثلاثية: واشنطن - القدس - القاهره.

ومنذ عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى فبراير ١٩٧٤، كانت مصر تسعى إلى قيام علاقة ثنائية مستقلة مع الولايات المتحدة، لكنها وجدت بعد صفقه كامب دافيد أنها تورطت فى علاقة ثلاثية مفروضة من أعلى وغير متكافئة.

وكان معنى ذلك فى الواقع أن واشنطن تحكم على مصر على أساس تصرفها إزاء إسرائيل. وقد أبدت إدارة ريجان ، شأن إدارة كارتر من قبل، ترحيبها بالتشاور السياسى مع مصر وخاصة المشاورات الرامية إلى إقامة قدر من التعاون بشأن قضايا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ذات الإهتمام المشترك بين البلدين. وعلى إمتداد سنوات طويلة كانت هناك عملية تفاوضية قائمة بين الدولتين على مستويات مختلفة. وكان نطاق الحوار التحليلى والتنفيذى واسعا، كما اتسم بدرجة عالية من الصراحة، إلا أن هناك عوامل متعددة حصرته فى مجالات محددة. فواشنطن ترى أن تعاون مصر فى القضايا الجوهرية لم يكن دائما على المستوى المطلوب، بينما ترى القاهرة أن الولايات المتحدة تفتقر فى أحيان كثيرة إلى الحساسية، وتميل إلى إستخدام اليد الغليظة. والقاعدة العامه أن أيا من الجانبين لم يقنع الآخر بكفاءته السياسية. وظل كل منهما ينظر إلى تقديرات الآخر على أنها تقديرات منحازة: فتقديرات الولايات المتحده متأثرة بإسرائيل، وتقديرات مصر متأثرة بالاعتبارات العربية

(هـ) وخلال السنوات العشر التى إنقضت منذ إتفاقيتى كامب دافيد ظلت العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر طيبه بوجه عام، ولكن كانت أيضا هناك خلافات بين البلدين فى بعض الأحيان وكل من الجانبين يلوم الآخر على تصرفات يراها معادية لمصالحه. وقد إنحسرت العلاقات منذ أيام السادات، ولكنها اكتسبت خلال ذلك مستوى براجماتيا من الواقعية. وذلك أمر مرغوب فيه ويعتبر صحيا من الناحية السياسية. ومازال مبارك ملتزما بمعاهدة السلام مع إسرائيل، مؤيدا للجهود المبذولة لإستئناف عملية أوسع للسلام فى الشرق الأوسط. ولكن لم تتحقق الآمال التى علقتها الولايات المتحدة على قيام علاقات مصرية إسرائيلية وثيقة فى المجالات السياسية والإستراتيجية والإقتصادية نتيجة لمعاهدة السلام، وليس من المتوقع أن يتغير هذا الوضع إلا إذا نشأت حركة أوسع للسلام فى الشرق الأوسط، بما فى ذلك التوصل إلى تسوية مقبولة للمشكلة الفلسطينية. ومع ذلك فإن من دواعى إرتياح الأمريكيين قيام حوار معقول بين مبارك وشيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل حول عقد مؤتمر دولى للسلام.

ومنذ سنوات، كان الأمريكيون يعربون عن تخوفهم بالنسبة لمستقبل مصر لما يبدو من أن إنفجارها السكانى لا سبيل إلى السيطرة عليه، كما أن مجموعة المشاكل الإقتصادية الداخلية المعقدة، وتباطؤ البيروقراطية الداخلية، والديون الخارجية الهائلة، وغير ذلك من المشاكل، أسهمت كلها فى حالة التيأس السائدة بشأن المستقبل. وأدى

إزدياد قـوة الأصـوليين الإسـلامـيين فى مـصـر، وربما ـ أيضـا ـ الناصريون الجدد، والتأثير المتوقع لذلك على المستقبل، إلى زيادة مخاوف القادة الأمريكيين.

(و) وفى الوقت ذاته فإن هناك إتجاها بين المسئولين فى الولايات المتحدة إلى أخذ مصر على علاتها. فهم يرون بوعى أو بغير وعى أنه نظرا لبرامج المعونة الإقتصادية العسكرية الضخمة التى تقدمها الولايات المتحدة، فإن مصر دولة متعاونة، يتوقع أن يكون موقفها مطابقا للموقف الأمريكى عندما تطلب منها واشنطن ذلك.

وجاء نشر كتاب «الحجاب» بقلم «وود وارد» فى عام ١٩٨٧ بما حواه من معلومات ضارة عن الأنشطة السرية التى قامت بها وكالة المخابرات المركزية ضد مصر خلال السنوات الخمس الأخيرة، فزاد من نفور المصريين عموما من الولايات المتحدة، وهو لم يؤد فقط إلى الإستياء الشخصى لمبارك، بل عرضه أيضا داخليا للحرج السياسى نتيجة للمعلومات التى كشف عنها الكتاب.

(ز) وما دامت المعونة الإقتصادية والعسكرية الأمريكية الكبيرة لمصر مستمرة، فسيستمر الحوار الثنائى بين البلدين إيجابياً، وإن تخللته المنازعات فى بعض الأحيان، وذلك على خلاف الوضع فى إسرائيل، التى تعتبر حليفا من خارج حلف الأطلنطى. أما مصر فليس هناك تحالف بينها وبين الولايات المتحدة، كما أن معظم المصريين، سواء منهم الشخصيات العامة أو الخاصة، لايبدون رغبة فى التحالف وقد غرس عدم الأنحياز فى الفكر السياسى المصرى منذ أمد طويل.

(ح) ولكن ينبغى أن نضيف فى النهاية كلمة تحذير فبعض الأمريكيين مقتنعون بأن إرتباط مصر بالولايات المتحدة أمر لا رجعة فيه. ويستشهدون فى ذلك بالتوجه الحالى لقيادة الصفوة، وبتخطيطها الإقتصادى واعتمادها على القوة العسكرية فى دعم مواقفها. ورغم أن هذه الأقوال ليست خاليه من الصواب، فإنها تتجاهل الخبرة التاريخية، فمصر قد أحدثت تغيرا دراميا فى علاقاتها بالدولتين العظميين فى الماضى ويمكن أن تفعل ذلك مرة أخرى.

(ط) ولكن هناك الكثير الذى يتوقف على متغيرات تخرج عن سيطرة أى من القيادتين: مثل الإجراءات التى قد يتخذها الكونجرس فى المستقبل بشأن المعونه الإقتصادية والعسكرية، أو حدوث صدام شديد بين إسرائيل وسوريا، أو معاملة إسرائيل للفلسطينيين ورد الفعل الأمريكى، أو ظهور عوامل سياسية داخلية مؤثرة فى السياسة المصرية.

وفى كل الأحيان يحسن بالمسؤولين وأعضاء المجلس التشريعى الأمريكيين ألا يتصوروا أن المعونة الأمريكية الكبيرة لمصر ستؤدى بشكل ما إلى خضوعها للولايات المتحدة سياسيا. فأية إشارة بذلك كفيلة بإستثارة الحكومة المصرية والشعب المصرى، وستكون نتيجتها مخالفة، ولابد أن تستمر العلاقة قائمة بين ندين يتمتعان بالسيادة، وأن تستمر الولايات المتحدة فى الإهتمام بما تعانيه مصر من مشاكل وحساسيات متعددة إذا أريد للعلاقة بين البلدين أن تزدهر.

تأثير المشكلات العربية

١ ـ تعثر محادثات السلام:

(أ) بدأت المحادثات بشأن الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة، والذى نصت عليه كامب دافيد، فى أغسطس ١٩٧٩ . وكان من دواعى خيبة أمل السادات أن كارتر لم يتمكن من القيام بدور إيجابى. فقد كان الرئيس الأمريكى مشغولا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩ فصاعدا بالأزمة المحرجة للرهائن فى إيران. كما كان مشغولا بالمعركة الأنتخابية لفترة الرئاسة الثانية. وقد نصحه مستشاروه المقربون بعدم المشاركة فيما كانوا يتوقعون أن تكون مفاوضات طويلة الأمد بشأن القضايا الخلافية المتعلقة بالضفة الغربية وغزة. وكان كارتر قد تعرض للإنتقاد من جانب أعضاء الطائفة اليهودية الأمريكية عندما طالب إسرائيل بالتخلى عن مستوطناتها فى سيناء.

ولجأ كارتر إلى تعيين ممثلين خاصين له فى المحادثات، هما أولاً «روبرت شتراوس»، ثم أعقبه «صول لينوفيتش» وهما رجلان لا

شك فى كفاءتهما، ولكن سابقة كامب دافيد كانت تستلزم درجة عالية من مشاركة الرئيس بنفسه كشرط للنجاح. وذلك بالإضافة إلى أن قضيتى الضفة الغربية وغزة كانتا بطبيعتهما أكثر تعقيدا من قضية سيناء.

ورغم الجهود التى بذلها هذان المبعوثان، فى وضع صيغة للحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة تكون مقبولة لدى الطرفين، لم يتحقق سوى تقدم هامشى.

ونظراً لاستياء السادات لعدم إحراز تقدم، فقد أوقف محادثات الحكم الذاتى ثلاث مرات فى ١٩٨٠ حتى يتمكن كارتر، كما كان السادات يأمل، من المشاركة فى المفاوضات. وكان من دواعى خيبة أمل السادات، على المستويين الرسمى والشخصى، أن خسر كارتر الانتخابات.

(ب) ولم يلبث أن تبين أن الرئيس الأمريكى الجديد، رونالد ريجان، له أولويات تختلف عن أولويات سابقه. وكانت محادثات الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة تأتى فى مرتبة أدنى فى جدول أعماله.

وعلى العكس من ذلك كان التوافق الإستراتيجى الرامى إلى مواجهة الخطر السوفييتى المحتمل على الشرق الأوسط هو الهدف الأساسى لسياسة ريجان الخارجية.

وكان الرئيس الجديد يتصور أنه ينبغى لمصر وإسرائيل والأردن، وربما المملكة العربية السعودية، أن تقلل بشكل ما من التركيز على خلافاتها حول القضايا التى لم يتم فيها التوصل إلى حل

لها فى العلاقات العربية الإسرائيلية، وأن تتعاون بدلا من ذلك فيما بينها ومع الولايات المتحدة لمناهضة السوفييت فى المنطقة.

(جـ) وفى ذلك الحين كانت واشنطن قد أدركت متأخرة حقيقة جوهرية أخرى، وهى أنه رغم كل ما قد قاله السادات فإن مصر، على خلاف ما كانت أمريكا تأمل فى الماضى، لا تستطيع أن تتكلم باسم المطامح الوطنية للفلسطينيين. ولما كانت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية غير مقبولة لدى إسرائيل كشريك فى المفاوضات، كان من المطلوب العثور على متحدث آخر باسم الفلسطينيين. وكان الخيار المنطقى فى رأى الإدارة الأمريكية (وإسرائيل) هو الملك حسين ملك الأردن.

وبالتدريج، ولكن بصورة متصلة، أصبحت إدارة ريجان ترى أن دور مصر فى أية محادثات للسلام تعقد فى المستقبل ثانويا، ولن يتجاوز فى أحسن الأحوال تعزيز موقف الملك حسين إذا أمكن إقناع الأردن بالإشتراك فى المفاوضات. وكانت هذه هى الرسالة غير المباشرة التى حملها الممثلون الخاصون لريجان إلى الشرق الأوسط، ومن بينهم فيليب حبيب ودونالد رامسفيلد، فى الفترة بين ١٩٨١ و ١٩٨٣ . وأحدث ذلك ردود فعل متباينة لدى المصريين. فمن ناحية، شعرت القيادة المصرية بالارتياح لإعفائها من المسئولية عن فلسطين، ومن ناحية أخرى كان هناك قلق من أن تتناقص أهمية مصر فى عين الولايات المتحدة.

(د) وقام ريجان فى أول سبتمبر ١٩٨٢، فى أعقاب الغزو الإسرائيلى للبنان، بتوضيح أفكاره لأول مرة بشأن التسوية السلمية للشرق

الأوسط. ورفضت إسرائيل الإقتراح على أساس أنه لا يتفق مع كامب دافيد.

وأيدت مصر اقتراح ريجان بإعتباره الوسيلة الوحيدة لإحياء عملية السلام، وأكدت أنه يتفق مع مفاهيم كامب دافيد. لكن القاهرة شعرت بخيبة أمل عندما لم تبذل الحكومة الأمريكية جهدا حقيقيا لتنفيذ إقتراحها. وكان من دواعي اغتباط الولايات المتحدة، ودواعي شعور مصر بخيبة الأمل أن أجهض الإتفاق بين الأردن والمنظمة في أوائل ١٩٨٦ بسبب الإختلاف في التفسير. وابتداء من ذلك الحين كانت واشنطن (وإسرائيل) تأمل أن يحل فلسطينيون من أبناء الضفة الغربية وغزة محل منظمة التحرير الفلسطينية كشركاء في التفاوض مع الأردن. واستمرت مصر في تمسكها بضرورة مشاركة المنظمة في أية مفاوضات للسلام، وحث الأردن على إعادة العلاقات مع عرفات.

(هـ) وبينما يسلم القادة المصريون بصعوبة إحياء عملية السلام، فقد شعروا بخيبة أمل لموقف الولايات المتحدة القائل بعدم اتخاذ مبادرات جديدة إلا إذا كشفت إسرائيل والأطراف العربية عن رغبة واضحة في استئناف المحادثات. ويرى المصريون أنه يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن تواصل السعي إلى إجراء محادثات جديدة. وأدت الإنتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة التي بدأت في ديسمبر ١٩٨٧ إلى اقتناع واشنطن مؤخرا بضرورة التدخل الأمريكي إذا أريد منع حدوث المزيد من التدهور السياسي في منطقة الشرق الأوسط.

٢ ـ المشكلة الفلسطينية:

(أ) كان من دواعى دهشة حكومة ريجان أن أعلن السادات أثناء وجوده فى لندن فى أغسطس ١٩٨١، وهو فى طريقه إلى الولايات المتحدة، إقتراحه بإنشاء حكومة فلسطينية فى المنفى. وبدا هذا التصرف متناقضا مع ما ذكره السادات من قبل، من أنه ليست له مصلحة حقيقية فى القضية الفلسطينية. ولم تدرك واشنطن أنه مهما كانت الإنتقادات التى يوجهها السادات دائما إلى القيادة الفلسطينية، فإن مصر لا تستغنى عن تسوية مرضية للقضية الفلسطينية، إذا أرادت أن تستعيد ما فقدته من مكانتها فى العالم العربى.

وأقدم السادات على إجراءات اعتقالات واسعة فى سبتمبر ١٩٨١ . وفسر كثير من المصريين هذه الخطة التى اتخذها السادات عقب زيارته لواشنطن بأنها جاءت بوحى من أمريكا. ورأت الإدارة الجديدة التى كانت لا تزال تسعى لتحديد اتجاهها أن هذه الاعتقالات الواسعة النطاق إنما تدل على عدم الاستقرار الداخلى فى مصر. وأدى إغتيال السادات بعد ذلك بشهر واحد إلى مضاعفة هذه المخاوف وإلى تعطيل إحداث دفعة للمشكلة الفلسطينية.

(ب) ومازال الخلاف مستمرا أيضا بشأن القضية الفلسطينية بعد وفاة السادات. ففى عام ١٩٨٢ عندما كان فيليب حبيب، المبعوث الأمريكى الخاص إلى الشرق الأوسط، يتفاوض لوضع الترتيبات الخاصة بخروج المقاتلين الفلسطينين من لبنان، رفضت مصر ماطلبه من استقبال أربعة آلاف من أولئك

المقاتلين، ورأت واشنطن أن هذا الموقف غير ودى. وأدهشها أن مصر أرسلت بعد ذلك فى عام ١٩٨٣ سفنا حربية لتحرس السفينة التى خرج بها ياسر عرفات من طرابلس، ثم استقبل مبارك عرفات علنا فى القاهرة عند مرور سفينة قائد منظمة فتح بقناة السويس. ورحبت وسائل الإعلام المصرية بالتقارب بين مبارك وعرفات، عندما عاد مبارك إلى حث الولايات المتحدة وإسرائيل، عبثا، على قبول منظمة التحرير الفلسطينية كشريك فى المفاوضات. واعتبرت واشنطن هذه السياسة المصرية تعارض لما تراه الولايات المتحدة (وإسرائيل) من أن منظمة التحرير الفلسطينية عموما، وعرفات خصوصا، هم من الإرهابيين الدوليين.

(جـ) وفى أكتوبر ١٩٨٥ عندما وقعت حادثة السفينة أكيلى لاورو. رأت الحكومة المصرية أنها عندما اقنعت الفلسطينيين بالتسليم بعد أن استولوا على السفينة الإيطالية وقتلوا على ظهرها رجلا أمريكيا فإنها بذلك قد أنقذت حياة الركاب الآخرين. لكن رفض مصر لتسليم الفلسطينيين المحتجزين إلى الولايات المتحدة، ومحاولة لإرسالهم سراً إلى تونس بدعوى محاكمتهم بمعرفة قيادة المنظمة، أدى هذا إلى إتهامات تكاد تكون صريحة لمبارك بأنه أخفى ما كان يعلمه. ومن الجانب الآخر، فإن ما حدث بعد ذلك من قيام طائرات عسكرية أمريكية بإرغام طائرة مدنية مصرية تحمل الفلسطينيين وقائدهم على الهبوط فى إيطاليا. كان فى نظر مبارك والشعب المصرى إهانة وطنية.

ورأت إدارة ريجان التى جعلت من مكافحة الإرهاب الدولى هدفا أساسيا للسياسة الخارجية، أن تصرف مبارك هو تقاعس من جانب مصر عن الوفاء بمسئوليتها الأدبية تجاه المجتمع الدولى، وتملصا من الإلتزام نحو الولايات المتحدة التى تعرض أحد مواطنيها للقتل بطريقة وحشية. أما مصر، فكانت ترى أن إيمان الإدارة الأمريكية القاطع بأنه لا سبيل إلى مواجهة الإرهاب إلا بالقوة وبغير نظر لأسبابه الجذرية، يعتبر من قبيل قصر النظر من الناحية السياسية. وأشارت مصر إلى حالات مماثلة امتنعت فيها أوروبا عن تطبيق السياسة الأمريكية فى مناهضة الإرهاب.

(د) وبرز العامل الفلسطينى بقوة فى المعادلة الثلاثية بين مصر والولايات المتحدة وإسرائيل نتيجة للإنتفاضة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة. وأدت التدابير القمعية الإسرائيلية الصارمة التى أسفرت فى منتصف ١٩٨٨ عن أكثر من مائتى قتيل من الفلسطينيين، وآلاف عديدة من المصابين، وأكثر من خمسة آلاف من المعتقلين، وطرد أكثر من عشرين من بلادهم، إلى إثارة احتجاجات مصرية قوية وعاجلة، كما أدت مرة أخرى إلى توتر العلاقة المصرية الإسرائيلية الهشة.

وكانت هذه التصرفات الإسرائيلية التى جاءت عقب قمة عمان التى استردت فيها مصر جانبا كبيرا من مكانتها السياسية، من عوامل إحراج مبارك، خاصة فى العالم العربى.

(هـ) وقد شعر المصريون فى البداية بالارتياح لوجود قدر من المشاركة فى اعتراضات أمريكا على التصرفات الإسرائيلية، إذ دعت واشنطن إسرائيل إلى الالتزام بالاعتدال، وقامت فى

مناسبتين منفصلتين ـ إحداهما فى أواخر ١٩٨٧، والأخرى فى أوائل ١٩٨٨ ـ باتخاذ خطوة غير مألوفة، وهى الإمتناع عن التصويت على قرارات الأمم المتحدة التى تستنكر التصرفات الإسرائيلية. كما أنها ألحت على إسرائيل ألا تلجأ إلى طرد الفلسطينيين على سبيل العقاب.

٣ ـ المشكلة اللبنانية:

(أ) فى أوائل عام ١٩٨٢ أقتنعت واشنطن بأنه ما دام الأردن يرفض الإشتراك فى المفاوضات، ومادمت مصر عاجزة عن إحياء محادثات السلام، فإنه يمكن بعث مفاوضات أوسع نطاقا للسلام فى الشرق الأوسط عن طريق التدخل الأمريكى فى لبنان لإنهاء الوضع الداخلى المتسم بالفوضى فى ذلك البلد، والعمل فى الوقت ذاته على إبرام معاهدة للسلام بين لبنان وإسرائيل. وكانت هناك مصلحة قوية للولايات المتحدة فى تأييد القيادة المسيحية المارونية التى كانت لها بالفعل علاقات غير رسمية بإسرائيل.

(ب) وكانت مصر متعاطفة مع تسوية المشكلة الداخلية فى لبنان، ولكنها رأت أن تلك الأفكار الأمريكية ساذجة، ولا تتناول صميم المشكلة. وكان المصريون على يقين من أن التسوية اللبنانية التى تتوخاها الولايات المتحدة لن تؤدى إلى حل مرضٍ للمشكلة الفلسطينية.

(جـ) وفى يونية ١٩٨٢ قامت إسرائيل بغزو لبنان بزعم إزالة الوجود العسكرى الفلسطينى فى الجنوب. ولم يكن سرا أن هجوما كهذا

سيقع عاجلا أو آجلا. وكانت مصر قد أعربت لواشنطن مسبقا عن قلقها بشأن نوايا إسرائيل. وأدى إحجام الولايات المتحدة عن منع إسرائيل من ذلك رغم التحذير منه منذ أمد طويل، والشك في أن التصرف الإسرائيلي لم يتم إلا بموافقة الدوائر الأمريكية العليا، إلى توتر شديد في العلاقات بين مصر والولايات المتحدة. وقد وجد مبارك نفسه في موقف سياسي محرج للغاية. واتهمت دول الرفض العربية مصر بالتواطؤ.

وبدا أن إسرائيل تعتقد أن صفقة كامب دافيد تطلق يدها في منطقة المشرق العربي، كما بدا أن الولايات المتحدة لا تكترث بموقف إسرائيل. وانتشرت في أنحاء البلاد المشاعر المعادية لأمريكا.

وواجه مبارك ضغطاً داخليا متزايداً للرد على ما رآه المصريون عدوانا إسرائيليا على العرب. وقد سبق له أن قاوم ذلك لمدة طويلة، وحذر ناقديه من أن القيام بعمل للرد على إسرائيل يهدد بخفض أو منع المعونة العسكرية والإقتصادية الأمريكية.

لكن مذابح صابرا وشاتيلا في ١٦ سبتمبر ١٩٨٢ دفعت مبارك دفعا إلى التصرف. ورغم أن إدارة ريجان شجبت تلك المذابح أيضا، وشعرت مؤقتا بشئ من الحرج.

واستجابة للسخط الداخلي قام مبارك بسحب سفيره من تل أبيب، وجمد تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل. ورأت القيادة الأمريكية أن هذا التحرك لا يفيد، ولن يكون له من أثر غير زيادة الأمور تعقيداً.

(د) وخلال السنوات الأربع التالية، ورغم الضغط الأمريكى الذى لم يتوقف، حتى يعيد مبارك السفير المصرى ويستأنف تطبيع العلاقات، فقد رفض الرئيس المصرى ذلك، ولاحظت أمريكا (وإسرائيل) بإنزعاج أنه قد سمح للصحف المصرية بأن تستأنف الهجوم على إسرائيل.

ورأى المصريون أن الإتفاق اللبنانى الإسرائيلى الموقع فى ١٧ مايو ١٩٨٣ ، والذى تم بالتفاوض مع وزير الخارجية چورچ شولتز، وهو إتفاق متحيز لإسرائيل وضار بالفلسطينيين. وعلى النقيض مما شعرت به واشنطن من خيبة أمل، لم تبد مصر أى أسف عندما قام الرئيس اللبنانى فى شهر مارس من العام التالى بإلغاء ذلك الإتفاق من جانب واحد.

ومما زاد الطين بلة أن شولتز اعتبر أن مبارك أخل بالتزام قيل إنه قدمه للولايات المتحدة بأنه سيعيد سفيره إلى تل أبيب بمجرد إنسحاب إسرائيل من لبنان. وأنكرت مصر أنها قدمت مثل هذا الالتزام فى أى وقت، وتمسكت فوق ذلك بأن القوات الإسرائيلية لم تنسحب انسحابا تاما، بل بقى جزء منها فى جنوب لبنان بحجة أو بأخرى.

واستمر الوضع معلقا حتى سبتمبر ١٩٨٦ عندما توصلت مصر وإسرائيل عن طريق مزيج من الإقناع والوساطة من جانب الولايات المتحدة، إلى إتفاق يحدد مشارطة التحكيم بشأن مسألة طابا. وتمت بعد ذلك ترقية القائم بالأعمال المصرى فى تل أبيب إلى درجة سفير. وأقيمت علاقة ديبلوماسية رمزية مماثلة من الجانب الآخر.

(هـ) ولايفوتنا قبل إنهاء الحديث عن الأزمة اللبنانية أن نشير إلى الموقف السورى، فقد أصبحت سوريا منذ عام ١٩٧٤ معادية لمصالح مصر السياسية فى المنطقة. ومع ذلك استاءت القيادة المصرية لما اعتبرته تواطؤ بين الولايات المتحدة وإسرائيل ضد سوريا فى لبنان ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ وهى لم تفعل ذلك بسبب ميلها إلى سوريا، ولكن لأن هذا التواطؤ، بالصورة التى رآها العالم العربى، كان ضارا بالجهود التى تبذلها مصر لأستعادة مكانتها بين الدول العربية. كما أنه يضع عقبات إضافية فى سبيل التوصل إلى تقارب مصرى سورى فيما بعد. وتعتقد القيادة المصرية أن سوريا خففت من موقفها العدائى تجاه مصر.

وفى عام ١٩٨٧ شرعت إدارة ريجان فى السعى إلى إقامة علاقات جديدة مع سوريا.

٤ ـ المشكلة الليبية:

(أ) كانت مسألة ليبيا أكثر تعقيدا. ففى خلال فترة السادات وصل التوتر بين مصر وليبيا إلى درجة عالية، وعندما تولى مبارك السلطة فى أكتوبر ١٩٨١ أمر بوقف تلك الحملات على القذافى، ولكن لم يحدث تغير يذكر فى العلاقات بين الدولتين. واستمرت حملات القذافى على القيادة المصرية ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بلا هوادة. كما أن تصرفات ليبيا فى تشاد والسودان وتهديدها لتونس كانت من دواعى قلق مصر.

(ب) وهناك تبادل منتظم للآراء بين الولايات المتحدة ومصر بشأن الخطر الذى يمثله القذافى على مصالح كل منهما. لكن كلا من واشنطن والقاهرة تشكو من أن الجانب الآخر له موقف متناقض بشأن ما ينبغى عمله لاحتواء القذافى.

(جـ) وفى سبتمبر ١٩٨٥ قام «چون بونيد كستر»، الذى كان فى ذلك الحين نائبا لمستشار الأمن القومى، بزيارة للقاهرة ليقترح على مبارك أن تقوم الولايات المتحدة بالاشتراك مع مصر بعملية عسكرية ضد القذافى من أجل إسقاطه. وكان المفروض أن تكون مصر رأس الحربة فى الهجوم البرى مع دعم من الطيران الأمريكى. ولكن مبارك أزعجه الضغط الأمريكى، وقال بأن مصر ستتصرف بالصورة المناسبة وفى الوقت وبالأسلوب الذى تختاره. ونوقش المزيد من التخطيط العسكرى المشترك بين الولايات المتحدة ومصر ضد ليبيا، سواء للأغراض الدفاعية أو الوقائية، فى القاهرة فى فبراير ١٩٨٦ .

(د) وعلى الرغم من هذا التخطيط المشترك وجهت مصر انتقادات علنية لما أقدمت عليه الولايات المتحدة من قصف طرابلس وبنغازى فى أبريل عام ١٩٨٦، ووصفته بأنه قصر نظر سياسى، واشتركت مصر مع الدول العربية والإسلامية الأخرى فى إدانته. وقال قادتها سرا إن هذا التصرف الأمريكى يعمل على حشد التأييد العربى والإسلامى للقذافى.

(هـ) غير أنه كانت هناك حالات أخرى تطابقت فيها وجهتا النظر المصرية والأمريكية، وقام بينهما تعاون منسق. ففى سبتمبر

١٩٨٥ مثلا قام مبارك بتأييد من الولايات المتحدة بتوجيه إنذار علني إلى القذافي بألا يحاول أن يغزو تونس عسكريا.

وفي عام ١٩٨٦ أجريت مناورات بحرية مشتركة بين الولايات المتحدة ومصر أمام سواحل ليبيا. وربما كان لهذين التحركين أثر رادع. كما كان هناك تعاون أمريكي مصري خلال عامي ١٩٨٦ - ١٩٨٧ لتأييد حكومة حسين حبري في تشاد من أجل احتواء وصد التدخل العسكري الليبي في الجزء الشمالي من تشاد.

٥ - الحرب العراقية الإيرانية:

(أ) وقع حدث كان له أثره في الوقائع الجارية على مسرح الشرق الأوسط، هو وصول أية الله الخوميني إلى الحكم وإعلان قيام جمهورية إيران الإسلامية في عام ١٩٧٩، وما أعقب ذلك من إذلال للولايات المتحدة أثناء أزمة الرهائن، مما شجع حركات الأصولية الإسلامية في غير إيران من أنحاء الشرق الأوسط، والإسلاميون المصريون الذين اغتالوا السادات وهم من المعادين لأمريكا وإسرائيل وكامب دافيد.

(ب) وقد دعمت مصر العراق في صراعها مع إيران، وكانت تعتقد أن الولايات المتحدة تفعل نفس الشئ. ومصر ترى أن الأصولية الإسلامية التي تصدرها إيران إلى الخارج خطر يهدد الشرق الأوسط بكامله، وأعتقدت أن الولايات المتحدة تشاطرها هذا الرأي. وعندما انكشفت في نوفمبر ١٩٨٦ شحنات الأسلحة السرية التي أرسلتها الولايات المتحدة إلى إيران بالتواطؤ مع

إسرائيل، وفى نفس الوقت الذى كانت واشنطن تتظاهر فيه بأنها تريد فرض حظر عالمى على توريد الأسلحة لإيران، جاء ذلك بمثابة صدمة لمصر.

(جـ) غير أن ما حدث بعد ذلك من اشتداد القبضة الأمريكية فى الخليج الفارسى أثلج صدر القيادة المصرية. وكان من دواعى اغتباط القاهرة أن كشفت الولايات المتحدة، بزيادة قواتها البحرية فى الخليج ونجاحها فى زيادة الإهتمام الأوروبى بمسائل الأمن فى تلك المنطقة، عن عزمها على الوقوف بقوة فى وجه إيران. فمصر شديدة الإهتمام بقدرة العراق على البقاء فى مواجهة التفوق البشرى الإيرانى. وقد أمدت القاهرة بغداد ببعض المعدات العسكرية.

٦ ـ تأثير الفصائل الأصولية:

(أ) كان تقدير القيادة الأمريكية لمعالجة مبارك للإعتداء على الدبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة فى أغسطس ١٩٨٥، أنها معالجة تتسم باللامبالاة. ثم حدث بعد ذلك بقليل أن قتل سبعة من السياح الإسرائيليين فى سيناء على يد مجند مصرى قيل إن عواطفه قد استثيرت، فزاد ذلك من إستياء واشنطن. ورغم أن مصر اعتذرت عن الحادثين فقد بدا للبعض أن مبارك لا يقدر مدى خطورتهما.

ولما كان المعتقد أنهما من عمل المتطرفين الإسلاميين، فقد أوحى لهم عدم اتخاذ مبارك لموقف أكثر شدة بأنه ربما يسعى إلى

إسترضاء تلك العناصر. كما لوحظت أمثلة أخرى على التسامح مع الأصوليين الإسلاميين.

ويؤكد مبارك أن المتطرفين الإسلاميين فى مصر تحت سيطرة الدولة. لكن كثيرين من الأمريكيين ليسوا على ثقة من ذلك. فالإصابات الخطيرة التى أصيب بها فى مايو ١٩٨٧ وزير داخلية سابق، والهجوم الذى تعرض له رئيس تحرير إحدى المجلات المصرية المعروفة فى أوائل يونية ١٩٨٧، والمحاولة الفاشلة التى تعرض لها وزير آخر للداخلية فى أغسطس ١٩٨٧، زادت من مخاوف الولايات المتحدة بشأن عدم الإستقرار السياسى والأمنى فى مصر، والذى قد يكون راجعا إلى الأصوليين الإسلاميين.

(ب) وأصبحت الولايات المتحدة تشعر منذ منتصف ١٩٨٧ بالقلق للأعمال الإرهابية الموجهة ضد الأمريكيين فى مصر والتى يقوم بها الناصريون الجدد. وقد بينت التحريات أن إطلاق النار على ثلاثة من الدبلوماسيين الأمريكيين بالمعادى فى مايو ١٩٨٧ كان من عمل مجموعة ذات ميول ناصرية، تعلن الولاء الكامل لمبارك، ولكنها تستنكر بشدة ما يصفه أنصارها بأنه وضع مصر أسيرة للولايات المتحدة من الناحيتين السياسية والاقتصادية. وقيل أن أكبر ابناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر متورط فى هذا الحادث، وكان إحتمال اشتراكه يفرض مشاكل سياسية على كل من مبارك والولايات المتحدة.

وكان من المتوقع أن يضفى ممثلو الدفاع على إجراءات المحاكمة لونا وطنيا .واستخدم تورط ابن الرئيس الراحل فى الحادث

لتجديد الحديث عن تحدى عبد الناصر لما كان يسميه الأمبريالية الجديدة للولايات المتحدة.

ومن المسلم به أن التأثير السياسى للناصريين الجدد وهو الآن أضعف من تأثير الأصوليين الإسلاميين، لكن ذلك التيار ليس بغير مؤيد من سواء بين الكبار أو الشباب. وأيا كانت الإختلافات الأيديولوجية بين الحركتين فإن لهما عدوا واحدا وهو الولايات المتحدة وإسرائيل.

العلاقات الاقتصادية والعسكرية

١ - العلاقات الاقتصادية:

(أ) هناك عنصران أساسيان يشكلان البعد الإقتصادى للعلاقةبين مصر والولايات المتحدة: المساعدة الإقتصادية، والجهود الأمريكية المبذولة لإقناع مبارك بإجراء الإصلاح الإقتصادى اللازم.

(ب) وفى وقت إبرام إتفاق كامب دافيد كانت مصر تحصل بالفعل على ما يقرب من مليار دولار من المعونات الاقتصادية فى كل عام. وأثناء المفاوضات النهائية لمعاهدة السلام أثار السادات مع كارتر الحاجة إلى معونة أقتصادية إضافية، وإذا كان كارتر قد وافق على دفع مبلغ إضافى يبلغ ٣٠٠ مليون دولار كمعونة اقتصادية خلال ثلاث سنوات، فإنه لم يعط تعهدا أمريكيا بزيادة تلك المساعدة، لأن الإدارة الأمريكية كانت تشعر بالقلق إزاء النظرة الشائعة عن فشل مصر بشكل مستمر فى علاج العيوب الهيكلية فى نظامها الاقتصادى،

وترى أن المزيد من المعونة الإقتصادية لن تؤدى إلى إطالة التسويف فى معالجة مصر لمتاعبها الاقتصادية المتباينة.

(جـ) وكانت عودة أمريكا للظهور على المسرح المصرى فى أواخر ١٩٧٣ داعيا إلى حدوث رد فعل جماهيرى هائل، شجعه المسؤولون الحكوميون إلى حد ما، على أساس أن اقتصاد البلد المتداعى سوف تستقيم الآن خطواته عن طريق ما يتلقاه من مساعدات غير محدودة، وكان ذلك توقعا لا يستند إلى أساس. وحققت هذه المساعدة إنجازات ملموسة، وإن كانت بطيئة الظهور فى بعض الأحيان. إذ أدت إلى توفير طاقة لتوليد الكهرباء تكافئ طاقة مجمع السد العالى، وأنشئت مصانع للأسمنت وصوامع للغلال، وتحسنت شبكة الصرف الصحى فى القاهرة والأسكندرية.

وتحسنت الزراعة عن طريق تحسين شبكة الصرف وتحسين البذور واستخدام أكثر كفاءة للموارد المائية، وتوافرت الواردات السلعية فى صورة مواد خام وقطع غيار. وحصلت مصر على كميات كبيرة سنويا من القمح والدقيق، وغير ذلك. «تحصل مصر على مايقرب من نصف خبزها من الدقيق الذى تقدمه لها الولايات المتحدة بشروط ميسرة».

(د) ومن المؤسف أن برنامج المساعدة الأمريكية لا يلقى التقدير الكافى بين الجماهير المصرية عموما، بل وبين بعض المسؤولين، ومثل هذا البرنامج الواسع والمتعدد الأنشطة لا بد أن يعانى من بعض المشاكل المزمنة. وحدث ما كان متوقعا من

أنه نتيجة الاعتماد المصرى المفرط على المعونة الاقتصادية الأمريكية أن أصبحت هذه المعونة ذاتها مصدرا لبعض الإحتكاكات والمشاحنات.

فبالإضافة إلى الشكوى المستمرة من أن المعونة الاقتصادية الأمريكية ليست كافية، فإن المسؤولين المصريين الذين يشعرون بالإحتياجات الهائلة لبلدهم كثيرا ماينتقدون عملية الإنتقاء والبطء فى تنفيذ المشروعات التى تحظى برعاية الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

(هـ) وقد طالب القادة المصريون فى مناسبات مختلفة بأن تفعل الولايات المتحدة مع مصر ما تفعله مع إسرائيل، ألا وهو تسليمها المبالغ المعتمدة، وترك المصريين يقررون المشروعات التى يرون إستخدامها فيها وأن يضعوا بأنفسهم جداول صرفها. ويقدمون فى هذا المجال أيضا مطلب التكافؤ مع إسرائيل فيما يتعلق بالتدابير الإجرائية. أما الجانب الأمريكى فيرى أن الحكومة المصرية ليس لديها من التنظيم أو الإنضباط ما يتيح لبعثة شراء واحدة، مثل بعثة إسرائيل، أن تشترى كل إحتياجات الوزارات الحكومية. كما أن هناك الخوف من أن تتحول إعتمادات المعونة إلى مصلحة بعض الأفراد.

وفى عام ١٩٨٥، عندما تعرضت إسرائيل لأزمة اقتصادية قرر الكونجرس أن يزيد المساعدة الاقتصادية لإسرائيل، وأن يحول معظمها إلى منح لا ترد. وطلبت مصر أن تُعامل بالمثل، وألمحت إلى ما زعمته إدارة كارتر من الإلتزام بالمساواة بينها وبين إسرائيل،

فطالبت بزيادة مماثلة فى المساعدة فى صورة منح. وانتهى الأمر بأن حصلت إدارة ريجان على موافقة الكونجرس على زيادة إعتمادات المعونة الاقتصادية بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار، ووافقت على أن يكون الجانب الأكبر من المعونة من الآن فصاعدا فى صورة منح لا ترد.

(و) وإذا كانت هناك شكاوى من الجانب المصرى بشأن المعونة الاقتصادية الأمريكية، فهناك إنتقادات أمريكية مناظرة للإجراءات المصرية. إذ ترى أمريكا أن التخطيط الأقتصادى لمصر لا يتسم بالكفاءة ولا بالثبات. وهناك صعوبة فى تحديد الأولويات، وليس هناك تعاون يذكر بين الوزارات الاقتصادية.

وكانت المبالغ الهائلة التى تدفعها مصر لدعم السلع مصدر قلق خاص للولايات المتحدة منذ أمد طويل. ففى السنوات بين ١٩٧٨، ١٩٨٦ بلغ الدعم المباشر وغير المباشر الذى تحملته الحكومة المصرية نحو ٦ مليارات دولار سنويا.

وإن ذكرى إضطرابات يناير ١٩٧٧ بسبب ارتفاع الأسعار لا تمحى من عقول القادة السياسيين فى مصر. وقد حاولت الولايات المتحدة أن تجعل المعونة الاقتصادية الإضافية لمصر مشروطة بأن تتحرك السلطات المصرية بقوة أكبر فى سبيل ترشيد الأسعار. وبعد سنوات من المناقشات العسيرة والمحبطة لكل من الطرفين. وقعت مصر أخيرا فى مايو ١٩٨٧ إتفاقا مؤقتا مع صندوق النقد الدولى يقضى بتخفيض الدعم بالتدريج، ولكن بدرجة ملموسة، وبتعويم الجنيه المصرى بدرجة محدودة.

(ز) وخلال سنوات إرتفاع أسعار البترول، وذلك حتى سنة ١٩٨٥ بما في ذلك تلك السنة نفسها، كانت مصر تجنى حصيلة كبيرة من النقد الأجنبى. وكانت مصادرها الأساسية هى: مبيعات البترول، وتحويلات المصريين العاملين فى الخارج، ورسوم قناة السويس، وإيرادات السياحة. وينتقد بعض المسؤولين الأمريكيين مصر لأنها لم تستخدم ذلك الدخل المؤقت عندما كان متاحا لها من أجل علاج مشاكلها الاقتصادية الداخلية.

(ح) وقدرت الديون الخارجية لمصر فى منتصف عام ١٩٨٧ بما يقرب من ٤٤ مليار دولار، منها نحو ١٠ مليارات من الدولارات تخص الولايات المتحدة. وفى كل عام تصل المبالغ التى تدفعها مصر سدادا للفوائد وحدها إلى ما يقرب من ٢ر٥ مليار دولار من حصيلة نقدها الأجنبى المتناقصة. وطلبت مصر كما كان متوقعا تخفيف شروط السداد. واقترحت الولايات المتحدة فى البداية إطالة فترة السداد، ولكن فى هذه الحالة ستكون الأقساط الأخيرة مرتفعة للغاية، ودون أن يشمل ذلك تخفيض سعر الفائدة. واستقبلت القيادة المصرية هذا الاقتراح بالإستياء.

ومع ذلك، تم فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٧ ، وبعد مفاوضات دبلوماسية مطولة، توقيع إتفاق ثنائى لإعادة جدولة جزء كبير من ديون مصر المدنية والعسكرية للولايات المتحدة.

(ط)وهناك عنصر آخر لابد من الإشارة إليه، لأنه بحلول الوقت الذى أبرم فيه إتفاق كامب دافيد كانت سياسة الإنفتاح التى

اتبعها السادات مطبقة لما يقرب من خمس سنوات، ومع ذلك فإنها لم تجتذب غير مبالغ ضئيلة من رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية، بما فى ذلك الاستثمارات الأمريكية. وفى سبتمبر ١٩٨٢ تم توقيع إتفاق مع مصر تتعهد فيه الحكومة الأمريكية بتشجيع استثمار رؤوس الأموال الأمريكية فى مصر.

ولكن النجاح فى هذا المجال ظل محدودا. فالمقدر الآن أن رؤوس الأموال الأمريكية الخاصة المستثمرة حاليا فى مصر تبلغ نحو ١ر٦ مليار دولار. ومازال المستثمرون الأمريكيون المحتملون يشيرون إلى الإجراءات البيروقراطية المطولة التى تأخذ بها مصر فى الموافقة على المشروعات المشتركة. ويشكو المصريون من أن كثيرا من المستثمرين الأمريكيين المحتملين يريدون أن تكون حصتهم فى رأس المال هى المعرفة الفنية والكفاءة الإدارية، ولكنهم غير مستعدين لتوفير رؤوس الأموال الأساسية.

وطوال حقبة الثمانينات كانت إدارة ريجان تعلن رغبتها فى توسيع القطاع الخاص المصرى. وعندما اشترطت أن تخصص حصة من المعونة الأمريكية السنوية لهذا العرض، كانت بذلك تلح على السلطات المصرية لإطلاق العنان للقطاع الخاص الذى طال بقاؤه مقيدا.

(ى) وإجمالا فإن القادة الأمريكيين يعتقدون أن مصر لا تستجيب للمشورة الاقتصادية السليمة إلا لماما. ولذا يخلصون إلى القول بأنه لا بد من إستخدام المعونة الاقتصادية الأمريكية فى بعض الأحيان وسيلة لإلزام مصر بتصحيح عيوبها الهيكلية.

٢ ـ العلاقات العسكرية:

(أ) منذ توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل أصبح للبعد العسكرى أهمية خاصة فى العلاقة الثنائية بين الولايات المتحدة ومصر. ومنذ وقت مبكر يرجع إلى ١٩٧٤ كان السادات قد سعى للحصول على أسلحة ومعدات أمريكية.

ورغم الوعود الأمريكية التى تلقاها السادات فى أول الأمر لم تحصل مصر على أى دعم عسكرى أمريكى إلا بعد إتفاقية سيناء الثانية. وحتى فى ذلك الحين اقتصرت مبيعات الأسلحة على كميات رمزية من معدات الإمداد والتموين والنقل الجوى.

(ب) وعلى مستوى آخر فى التعاون العسكرى. وإثباتا للرغبة فى التعاون، وافق السادات منذ عام ١٩٧٤ على أن تقوم السفن الحربية التابعة للأسطول السادس بأربع زيارات ودية للموانئ المصرية فى كل عام. وحرص الأسطول الأمريكى على أن يرفع عدد الزيارات المسموح بها إلى ثمان فى كل عام.

وكانت تلك خدمة عظيمة للأسطول الأمريكى الذى كان يعانى عجزا فى الموانئ التى يمكن أن يستخدمها فى شرق البحر المتوسط.

(جـ) ومع توقيع معاهدة السلام إنفتح الطريق أمام إدارة كارتر لطلب موافقة الكونجرس على برنامج واسع لتوريد الأسلحة لمصر. والواقع أن الوعد المتجدد بهذه المساعدة العسكرية من أجل إعادة تجهيز القوات المسلحة المصرية كان له أثره فى إقناع السادات بقبول إتفاقيتى كامب دافيد ومعاهدة السلام. رغم أنه كان

يعلم أن تلك الوثائق لا تعرب بدرجة كافية عن الإلتزام السياسى لمصر بالقضية العربية الشاملة.

(د) ومن وجهة نظر السادات، لم يكن هناك غنى عن الإحتفاظ بالقطاع العسكرى مؤيدا لسياسته السلمية. ولم يكن جميع الضباط الكبار فى مصر، ناهيك عن صغار العسكريين، مرتاحين لمعاهدة السلام. وهم لم يكونوا يعارضون السلام، بل كانوا يعارضون شروط المعاهدة.

وكانت إسرائيل غير متحمسة لأى برنامج للمساعدة الأمريكية لمصر بعد توقيع المعاهدة. غير أنها قبلت الفكرة على مضض طالما سيجرى فرض قيود حذرة على طرز وكميات المعدات العسكرية الأمريكية التى قد يتم توريدها.

(هـ) ومنذ بداية المعونة العسكرية لمصر حتى نهاية عام ١٩٨٧ خصص ما يقرب من ٩٫٥ مليار دولار للمعدات الجديدة والتدريب. وقد بدأ وصول الأسلحة إلى مصر فى منتصف عام ١٩٨٠، وما زال مستمرا حتى الآن.

(و) وكما كان متوقعا، أدى برنامج المعونة العسكرية الأمريكية لمصر إلى خلق بعض المشاكل. فالمصريون يشكون من عدم كفاية حجم المعدات، والبطء فى التسليم، كما يتحدثون عن الإفتقار إلى الحساسية الثقافية من جانب بعض المدربين العسكريين الأمريكيين عند التعامل مع المتدربين المصريين.

وكان لابد أيضا من معالجة مسألة التعاون العسكرى فى نطاق أوسع. ففى وقت مبكر يرجع إلى فبراير ١٩٧٩ اقترح السادات على

وزير الدفاع الأمريكى، أن تقوم الولايات المتحدة بتجديد وإستخدام رأس بناس على ساحل البحر الأحمر، وكان ذلك بسبب القواعد السوفييتية التى أقيمت أولا فى مصوع بأثيوبيا، ثم فى جزر دهلك.

(ز) وحتى يمكن الحصول على إعتمادات من الكونجرس لتعمير المرافق العسكرية فى رأس بناس، كانت الإدارة الأمريكية فى حاجة إلى إتفاق مكتوب مع مصر تسمح فيه للولايات المتحدة بإستخدام تلك المرافق. وتردد السادات فى إعطاء تصريح مكتوب. وكالعادة، أصر فى البداية على أن التزامه الشفوى يجب أن يكون كافيا.

(ح)وكان من الأحداث المحزنة للولايات المتحدة أنه عندما أغتيل السادات بعد ذلك بشهر واحد وتولى مبارك الرئاسة، سحبت القيادة المصرية الجديدة العرض الخاص برأس بناس. وبناء على طلب مصر، أوقفت أيضا المحادثات التى كانت جارية بشأن إحتمال توفير قاعدة لقوة الإنتشار السريع، وكان ذلك فى مايو ١٩٨٣ . ورأى بعض القادة الأمريكيين أن هذا التغير فى المواقف يدل على عدم وجود سياسة ثابتة.

وخلال السنتين الأخيرتين من حياة السادات كان قد عرض على الولايات المتحدة أيضا أن تستخدم مطارات عسكرية مصرية شتى على أساس الموافقة على كل حالة منها على حده.

وقد استخدمت طائرات سلاح الطيران الأمريكى تلك المرافق من حين لآخر، بما فى ذلك استخدامها للتزود بالوقود فى الجو فى عملية طاباز لإنقاذ الرهائن الذين كانوا محتجزين فى إيران فى عام

١٩٨٠، وهى العملية التى منيت بالفشل. وقد استمرت هذه الترتيبات فى عهد مبارك أيضا.

وإبتداء من عام ١٩٨١ تجرى فى الصحراء الغربية مناورات مشتركة مرة كل سنتين بين القوات المصرية والقوات الأمريكية التابعة للقيادة المركزية، والتى يطلق عليها اسم «النجم الساطع». وقد أشاد القادة العسكريون الأمريكيون بأداء القوات المصرية فى تلك المناورات. كما أجريت من وقت لآخر مناورات بحرية مشتركة بين الأسطول المصرى ووحدات من الأسطول السادس الأمريكى. وتتمسك السلطات المصرية بعدم الإعلان عن المناورات العسكرية المشتركة إلا فى أضيق الحدود. وهذا القيد من جانب مصر غير مريح للبنتاجون الذى يدرك أهمية العلاقات العامة.

(ط) وإذا كانت الولايات المتحدة لم تنضم إلى معاهدة ١٨٨٨ بشأن قناة السويس، على الرغم من أن السادات حثها كثيرا على ذلك، فإن الأسطول الأمريكى يعلق أهمية كبيرة على المرور الحر بغير عائق فى ذلك الشريان الإستراتيجى لسفنه الحربية وكذلك للسفن الأخرى. ولم تنشأ صعوبات فى هذا الصدد إلا فى حالة واحدة، وهى حالة السفن الحربية التى تستخدم الطاقة النووية.

وظل الأمر على ذلك حتى عام ١٩٨٦ عندما سمح لأول سفينة حربية تعمل بالطاقة النووية، وهى السفينة «أركنساس»، بالمرور عبر القناة، وحتى فى هذه الحالة تمسكت سلطات قناة السويس بألا يكون مرورها إلا فى إتجاه الجنوب، وأوقفت الحركة العادية للسفن المتجهة إلى الشمال أو إلى الجنوب إلى حين خروج السفينة من مياه القناة.

وكـان من دواعى دهشـة الأمـريكيين أن مـصـر فـرضت على مرور السفينة رسوما مرتفعة بصورة استثنائية، بدعوى أنها تمثل الدخل الذى ضـاع نتيجة لإيقاف مـرور القوافل أثناء وعبور السفينة. ونظرا للمعونة الكبيرة التى تـقدمها الولايات المتـحدة لمصر، رأى المسؤولون الأمريكيون فى هذا المطلب نوعا من الإبتزاز.

(ى)والخـلاصة أنه رغم قيام قدر من التعاون العسكرى بين البلدين خلال السنوات العشر الأخيرة، فإنه مازال أقل مما ترغب فيه الولايات المتـحدة، فضلا عن أنه كـان عرضة لتغيـر الموقف المصرى من حين لآخـر، ولا يتـجاوز هذا التعاون الحدود التى تراها السلطات المصرية، لأسباب سياسية، لازمة ومقبولة سياسيا لضمان إستمرار المعونة العسكرية الأمريكية. وإذا حدث فى أى وقت أن أوقفت المعونة العسكرية الأمريكية، أو جرى تخفيضها تخفيضا شديدا على يد الكونجرس أو السلطات الحكومية، فإن هذا التعاون العسكرى القائم بين البلدين لن يلبث أن يتوقف.

القسم العاشر

العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية
فى ظل كامب دافيد

الفصل الأول
تصور كارتر للسلام فى الشرق الأوسط

الفصل الثانى
فترة ريجان وتعثر العلاقات وتحسنها بعد استقالة بيجين

تصور كارتر للسلام في الشرق الأوسط

١ - أسس العلاقات الأمريكية الإسرائيلية:

(أ) فترة السنوات الإثنى عشر التى شملت رياستى جيمى كارتر، ورونالد ريجان شهدت تحولات فى سياسة أمريكا تجاه الصراع العربى الإسرائيلى، إلا أن المشاحنات المريرة التى كثيرا ما حدثت بين واشنطن وإسرائيل لم تحجب، إلا بصوره مؤقتة، مايكمن وراءها من إستمرارية فى العلاقة الودية الأمريكية الخاصة، و «تساهل» لحساب إسرائيل وهو أمر قوض ماللولايات المتحدة من مصالح أوسع فى الشرق الأوسط.

وعموما فقد استمرت أسس السياسة الأمريكيه وهى: «إلتزام فريد بأمن الدوله اليهودية، وإقتناع بأن التقدم صوب الحل السلمى للصراع العربى الإسرائيلى هو وحده الكفيل بصيانة المصالح الإستراتيجية الأساسية للولايات المتحدة فى المنطقة وكذلك المستقبل القومى لإسرائيل».

(ب) وحتى يتأتى تشريح عناصر الثبات فى العلاقة الأمريكية الإسرائيلية تشريحا وافيا، يتعين علينا أن نعيد بحث أسس

مـألوفـة لنا. وفى هذا تسـاهم عناصـر التـاريخ، والدين، والقـيم الديمقراطية، والشبكات العائلية، ورواسب الإحساس بالذنب حول مصير المجتمع اليهودى الأوروبى.

ومع نسيان الأجيال الجديدة من الأمريكيين للحرب العالمية الثانية، نشأت فى الولايات المتحدة طرق جديدة للتعبئة السياسية لتعزيز أسس مناصرة المصالح الذاتية السياسية. وقد صار الكونجرس أكثر حماسا من أى وقت مضى لتأييد إسرائيل ومتطلبات الأمن الإسرائيلى، حتى مع شروع المواطنين اليهود الأمريكيين هنا وهناك فى التساؤل بحياء عن حكمة السياسات الإسرائيلية بإزاء المأزق الفلسطينى. على أن هذا التساؤل لا يعبر عن أى شكوك أساسية حول أهمية إسرائيل المحورية بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

(جـ) وفى العقد التالى لكامب دافيد عمد اليهود المؤيدون لإسرائيل إلى تعزيز نفوذهم السياسى داخل الكونجرس، وأداتهم الأولى فى ذلك هى اللجنة الأمريكية للشؤون العامة الإسرائيلية، التى نمت وأصبحت منظمة للضغط السياسى داخل الهيئة التشريعية، وهى ذات عضوية حاشدة وفاعلية هائلة.

وضاعف الإتجاه نحو آليات تمويل الحملة السياسية من دعم الجهود للجنه الأمريكية للشؤون العامة الإسرائيلية، يضاف إلى هذا أن إسرائيل قد صارت قضية شعبية لدى كثير من الجماعات الدينية المسيحية الإنجيلية والأصولية.

(د) وهناك قاعدة أساسية عريضة للعلاقة الوثيقة وغير العادية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وهى أشبه ما تكون بحلف غير مكتوب لايتجاهله أى رئيس أمريكى إلا إذا أقدم على مخاطرة سياسية كبيرة. كما أن الكونجرس يتردد فى إتخاذ أى إجراء يمكن أن يوصف بأنه معاد لإسرائيل، وهو يبدى حماسا لأى مبادرات من جانب السلطة التنفيذية من شأنها زيادة إحتمالات السلام العربى الإسرائيلى، طالما أن حكومة إسرائيل لا تستنكرها لأنها تعرض أمن إسرائيل لخطر.

وفى هذا الإطار المحلى الأمريكى، تميزت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية منذ كامب دافيد بإنتصارات دبلوماسية باهرة، وإخفاقات كاملة. وإتفاقيتا كامب دافيد ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل هى مأثرة باقية لتصميم الرئيس كارتر. وقد تمتع الحلف الإستراتيجى، القائم بحكم الواقع، بين واشنطن والقدس، والذى أمتدت جذوره إلى الأعماق فى الفترة الثانيه لإدارة ريجان، بتأييد سياسى واسع فى كلا البلدين ومع ذلك فإن الآمال العريضة التى بشرت بها كامب دافيد لفتح الباب أمام حل دائم للصراع الفلسطينى الإسرائيلى وللسلام الشامل بين إسرائيل وجيرانها قد ذوت، مخلفة وراءها تركة مثقلة من المرارة والإحباط للفلسطينيين، وقد سقطت إسرائيل والولايات المتحدة فى المستنقع اللبنانى الذى لطخ الأمتين معا، وعجل بإنهيار دولة لبنان الهشه.

(هـ) وليس فى الوسع فهم عقد صناعة القرار فى الولايات المتحدة فيما بين عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ بمعزل عما قبله، فالبذور قد

ألقيت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبات الإسرائيليون لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ يتشككون فى تقديرات زعمائهم لأمور البقاء القومى على قيد الحياه. وبسبب الإنفاق الهائل على الموارد البشرية والإقتصادية، اضطرت إسرائيل إلى الأعتماد إعتمادا شديدا على الولايات المتحدة فى أعقاب الحرب، فالتمست معونه عسكرية وإقتصادية ضخمة، وحصلت على ماأرادت.

وأصبح الإستقلال الحقيقى لإسرائيل، ولأول مرة مهددا، ووضح دهاء دبلوماسية هنرى أ.كيسنجر التى انتزعت من مصر وسوريا الخطوات الأولى صوب سلام بعيد فى ثلاث إتفاقيات لفض الإشتباك، كان هو سمسارها فى عامى ١٩٧٤ و ١٩٧٥، كما أنه فرض هيمنة الولايات المتحدة على العملية الدبلوماسية للوساطة بين إسرائيل وخصومها العرب.

ثم إن الحرب فى نهاية الأمر قد أقنعت الرئيس أنور السادات، وربما بعض الزعماء العرب الآخرين، بأن من غير المستطاع هزيمة إسرائيل عسكريا، وأن لا سبيل لإسترداد سيناء إلا عن طريق مائدة المفاوضات ووساطة من الولايات المتحدة.

٢ - شخصية كارتر.

(أ) كان كارتر مزيجا فريدا من النوازع المتضاربه: كان ضابطا بحريا، ومهندسا، وفلاحا، وسياسيا، صنع نفسه بنفسه، ومبشرا دينيا كان متفانيا فى أداء الواجب، دوؤبا لا يعرف الكلل. إذْ له قدره أسطورية على العمل وعزيمه على النجاح أيا كانت

العوائق أو الثمن السياسى الذى يدفعه وكان يتحكم فى التفاصيل الصغيرة، ولديه قدرة هائلة على ضبط النفس، وإقتناع بأن فى الوسع حل أى مشكلة بالتذرع بقدر كافٍ من النية الطيبة والعمل المضنى، وكان ملما بالكتاب المقدس ولكن فهمه السابق لليهود كان قليلا، وهو كرجل يحتكم إلى العقل وإلى التوجه الداخلى من ذات النفس، فقد كان فى كثير من الحالات يفهم، وبصورة جيدة جدا، جميع الجوانب الخاصة بكل مشكله.

(ب) أما وجهة نظر كارتر فكانت عن الشرق الأوسط واضحة، وترى أن إسرائيل تستحق العطف وأمنها جدير بالتعضيد القوى من جانب الولايات المتحدة، فقد عانى الشعب اليهودى عناءاً شديدا وأعاد إقامة وطنه من جديد، والإسرائيليون خليقون بأن يعيشوا فى سلام. غير أن للفلسطينيين بدورهم مطلبا تاريخيا صحيحا. إنهم شعب مشرد جرد من ممتلكاته ولديه حق مشروع فى أن ينتمى إلى أمة ويكون له وطن. ولئن كانت إسرائيل قوية، فلا يسعها أن تحقق السلام الدائم إلا بالتوافق مع هذه الحقيقة الموازية.

وأعتبر كارتر أن رسالته الشخصية هى تحقيق ذلك لمصلحة شعوب المنطقة، وكذلك لفائدة مصالح الولايات المتحدة، وإن كان الاعتبار الأول هو الأساسى.

واستغرق كارتر فى كل جانب من جوانب الأزمة العربية الإسرائيلية المثقلة بالتاريخ، وذلك إلى أدق تفاصيلها. وكان فى وسعه مناقشة التأويلات القانونية للمعاهدات مع كبار المحامين

الإسرائيليين، ومناقشة التاريخ الديني «التوراتي» مع بيجين أو يوسف بورج، العالم والعميد الديني للحزب الديني القومي في إسرائيل.

(جـ) وكان كارتر يتأرجح بين التعاطف الحار تجاه إسرائيل وبين المواجهة الباردة معها. ويقوم بدور الظهير الموجه لفريقه الخاص بالشرق الأوسط في ساحة اللعب، فكان يوجه وينسق حركات لاعبيه مستخدما مواهبهم الخاصه في الإضطلاع بالمهام المتعددة، وكان له فريق متجانس ومتماسك داخليا على نحو يلفت الأنظار، ولو بالنسبة للشرق الأوسط.

ولم يحدث أبدا في التاريخ الحديث أن عمل وزيرا الخارجية والدفاع والموظفون التابعون لهما بمثل هذه السلاسة في التجهيز. وكان كبار الموظفين المعنيين بالشرق الأوسط ضمن موظفي مجلس الأمن القومي وفي وزارة الخارجية زملاء قدامى، وهذا يصدق أيضا على سفراء كارتر المحترفين في جميع العواصم الهامة في الشرق الأوسط تقريبا، وقد تمت الإستعانة بهم أيضا كأعضاء دائمين في فريق كارتر الخاص بالسياسة.

وكان يُحْسِنْ التفويض في الاختصاصات، في حين كان يقبض بيدين ثابتين على الزمام. وقد كلفه الوقت الذى استنفذ في ذلك ثمنا غاليا في قضايا أخرى أجنبية ومحلية، ولكنه حقق إنتصاره في كامب دافيد. وواضح أن عجزه عن مواصلة هذا المستوى الكثيف من الإنشغال الشخصي كان عاملا من عوامل الأخفاق في إنجاز المرحلة.

(د) والحقيقة أن كلا من كارتر وريجان كانا يؤمنان بأن للولايات المتحدة مسؤولية خاصة تجاه إسرائيل، ولقد نظر كارتر إلى إسرائيل من خلال معرفته للتاريخ الدينى.

وساعد إنشغال كارتر بالعالم الثالث على إدراج عملية صنع السلام فى الشرق الأوسط على قمة جدول أعماله العالمى، وتعامل مع إسرائيل بإعتبارها لاعبا حاسما فى هذه اللعبة، وأحيانا بإعتبارها شريكا، وفى أحيان كثيرة بإعتبارها خصما، وكثيرا ما أعتبرها عائقا فى الطريق ينبغى التغلب عليه.

٣ ـ العمل من أجل السلام.

(أ) وقتما دعا كارتر كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجين للإجتماع فى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨، كانت إدارة كارتر مثخنة الجراح فعلا، من معاملات مع إسرائيل ومؤيدى إسرائيل فى الكونجرس، وكان كارتر قد استثمر على نحو لم يسبق له مثيل، من الوقت والجهد والرصيد السياسى الشحيح فى حملته التى عقد العزم فيها على الوصول إلى تسوية سلمية عربية إسرائيلية، متجاهلا أولئك المستشارين الذى حثوه على إلتزام الحذر.

وإذ كان كارتر نافذ الصبر للشروع فى مفاوضات سلام شامله من خلال استئناف عقد مؤتمر جنيف، فقد حاول أن يتجاهل كون حكومة رئيس الوزراء إسحاق رابين غارقة فى حملة إنتخابات فى النصف الأول من عام ١٩٧٧، وأنها لم تكن فى وضع يطوع لها أن تفتح أى باب دبلوماسى جديد.

وما أن طفا بيجين على السطح، على غير ما كان متوقعا، فى أواسط مايو، وأصبح زعيم إسرائيل الجديد، كان كارتر بأسلوبه الدبلوماسى الذى يتعمد تحطيم الأصنام، قد رفع حالة الإنتباه الإسرائيلية إلى مستوى عال من العصبية. وزادت الشكوك حول نوايا كارتر البعيدة إزاء إسرائيل بسبب ما أعلنه عن سياسته العالمية. وعندما حل بيجين، المعروف بجموده الفكرى وأسلوبه البلاغى النارى، محل رابين الهادئ الحذر، وصاحب الفكر التحليلى، وصار هو المفاوض الإسرائيلى الرئيسى مع كارتر، لم يكن هناك مناص من حدوث فرقعات.

(ب) ومنذ زيارة بيجين الأولى إلى واشنطن، بوصفه رئيسا للوزراء، فى شهر يوليو ١٩٧٧، وحتى موعد كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨، تأرجحت سياسة الولايات المتحدة والعلاقات الأمريكية الإسرائيلية تأرجحا مستمرا بين النقيضين: من بيانات دافئة مطمئنة حول القيم المشتركة والعلاقات الخاصة، إلى تشهير بارد غاضب بالتصلب الإسرائيلى المزعوم.

(جـ) وعندما حطم السادات حالة الركود التى تزداد صلابة برحلته الدرامية إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧، تردد كارتر فى بادئ الأمر، ولم يلبث فى تردده أن وضع على الرف خططه بسلام شامل يكرس فى جنيف. ومع ذلك، فقد عمل جاهدا هو ومستشاره طوال عام ١٩٧٨ فى محاولات إدماج أى إتفاقية سلام إسرائيلية مصرية ضمن إطار أعرض وأشمل يتصدى لمشكلة فلسطين المتقيحة، ومن ثم يحمى مصر من إنتقام العرب لأنها فرقت الصفوف فى سبيل التوصل إلى سلام منفرد.

واشتملت هذه الحملة العنيدة على جهد واعٍ فى ربيع عام ١٩٧٨ لشحذ الخلافات الأمريكية مع إسرائيل حول مستوطنات الضفة الغربية، ومضى قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وغير ذلك من القضايا الرئيسية، رغبة فى حشد تأييد الكونجرس الأمريكى والجمهور الأمريكى والزعامة اليهودية الأمريكية للوقوف فى وجه مقاومة بيجين، وهو جهد منى بالإخفاق إلى حد كبير.

وفى هذه الأثناء كانت المصادمات بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل شمالى منطقة الحدود اللبنانية الإسرائيلية تؤدى بصورة دورية إلى الابتعاد إبتعادا خطيرا عن عملية صنع السلام، وكانت نذيرا بمآس مقبلة. وفى مارس ١٩٧٨ قام الفدائيون الفلسطينيون بعملية خطف لسيارة أوتوبيس إسرائيلية جنوب حيفا، وانتهت العملية نهائية دموية بإطلاق الرصاص ومقتل عشرات من المدنيين الإسرائيليين.

وعجل هذا بشن هجوم إسرائيلى كثيف على معاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى جنوب لبنان، وأسفر عن مجئ قوة حفظ السلام التابع للأمم المتحدة على الرغم من معارضات إسرائيل والضغط الأمريكى الحثيث لانسحاب إسرائيل بلا إبطاء.

وأخيرا لعب كارتر بالورقة الأخيرة عنده لإنقاذ سياسته الخاصة بالشرق الأوسط، ألا وهى مؤتمر كامب دافيد، فكان ذلك منه طلقة بعيدة المرمى. وبحلول هذا الوقت كانت سياسة الولايات المتحدة قد تراجعت شيئا فشيئا عن مطامح كارتر الأولى فى تحقيق تسوية شاملة إلى جهد يائس لإنقاذ إتفاقية ما بين إسرائيل ومصر تبرر بصورة

جزئية المغامرة الدرامية التى أقدم عليها السادات، وكذلك الإستثمار السياسى الهائل القوى الذى أقدم عليه كارتر.

٤ ـ إنجاز كامب دافيد:

(أ) وعندما خطا كاتر وبيجين والسادات خارجين من هليكوبتر الرئيس فى الحديقة الخلفية للبيت الأبيض فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والإتفاق رهن أيديهم، بدا أن مقامرة كارتر كانت مقامرة رابحة. وترتب على دراما تلك الأيام الثلاثة عشر فى كامب دافيد أن زالت بصوة مؤقتة شكوك كل من الأمريكيين والإسرائيليين. فها هى معاهدة سلام مصرية إسرائيلية فى قالب مجمل، يضاف إلى ذلك أنه أمكن شق طريق إلى المشكلة الفلسطينية يبشر بالنجاح، وإن لم يكن كاملا، وهو يرتهن بموافقة الأردن والسكان الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، كما يرتهن ببعض التأييد من أطراف عربية أخى ولاسيما المملكة العربية السعودية. والآن أصبح بيجين وكاتر «شريكى سلام» مع السادات فى مغامرة تاريخية كبرى.

وإستشعارا من كارتر بأن الإتفاقية هشة، وبأن السادات مستهدف من منتقديه العرب، طلب من بيجين أن يكون عونا له بما يقدمه من عبارات تنم عن كياسة رجال السياسة لإمكان إقناع العالم العربى بأن الإتفاقيات جديرة بالتأييد. وكان لا بد من إغراء الأردن على الإنضمام إلى المرحلة التالية من المفاوضات المتعلقة بالحكم الذاتى فى الأراضى، وكذلك الفلسطينيين.

(ب) ومن سوء الحظ أن بيجين كانت لديه هموم وأولويات مختلفة، مثل إنشقاق داخل حزبه الخاص «حيروت» بشأن الإنتصار الذى حققه، وإستشاط غضبا لأن كثيرين من أقدم شركائه السياسيين عارضوا إتفاقياته، وأتهموه بالتفريط فى أمن إسرائيل تحت ضغط كارتر. وكان شغله الشاغل المباشر هو التغلب على هذه المعارضة داخل بلاده ـ وهو ما حققه بأن قلل علنا وإلى الحد الأدنى من التساهلات التى قدمها، وأكد أن الحكم الذاتى الفلسطينى المقترح إنما سيكون فى حدود ضيقة.

يضاف إلى ذلك أن بيجين وزملاءه كانت أولويتهم الأولى هى التأكيد على معاهدة السلام مع مصر، وكانْ لا بد من توخى كل عناية فى سبيل اجتياز كل دقيقة من الدقائق لأن قيام إسرائيل باجلاء دفاعاتها الحالية الهائلة، وتخليها عن عدد من المدن اليهودية مثل «ياسيت» وفقدانها كل الحيز الاستراتيجى» فى سيناء، كانت أموراً يصعب حتى على حمائمِ حزب العمل أن يتصورها. وأيا كان الأمر، فقد أشترطت المعاهدة ستة أشهر مليئة بالتوتر لإنجازها عوضا عن الأشهر الثلاثة التى خُططت لها.

(جـ) وخشية من كارتر فى أن يفلت من يديه إنجازه الذى أحرزه بشق الأنفس، عمد مرة أخرى فى مارس ١٩٧٩ إلى استثمار الحد الأقصى لهيبته السياسية فى سبيل إتمام هذه الصفقة. فطار إلى القاهرة ثم إلى القدس لجولة نهائية من المفاوضات المتوترة الحادة المعلقة وحقق نجاحا باهظ الثمن. فلم يقتصر الأمر على أن الولايات المتحدة أرتضت تمويل حصة كبيرة من تكلفة جلاء المنشآت العسكرية والقواعد الجوية الإسرائيلية

من سيناء، بل إن مصر إنضمت إلى إسرائيل فى أنها أصبحت من الفئة المحظوظة فى تلقى المعونة. فقد وضعت كامب دافيد مستوى من الاعتماد الاقتصادى على معونة الولايات المتحدة بالنسبة للأمتين.

(د) وإلى أن ترك كارتر منصبه فى يناير ١٩٨١، ظل مصراً على تعقب هدف الحكم الذاتى للفلسطينيين الذى اتفق عليه فى كامب دافيد وجاهد مفاوضاه الدبلوماسيان الخاصان لكى يقنعا الوفدين الاسرائيلى والمصرى بالتصور الأمريكى ألا وهو أن الوقت صيد ضائع، ولكنهما أخفقا. وكان بيجين آنذاك يخشى من أن يكون قد غرس عن غفلة بذرة دولة فلسطينية مستقلة فى أقتراحه الخاص بالحكم الذاتى.

(هـ) وكانت الأولوية الطاغية لدى مصر هى جلاء القوات الإسرائيلية عن سيناء فى موعده. وكان لابد من تفادى حدوث مواجهة مع إسرائيل حول الحكم الذاتى الفلسطينى - إن كان هذا مستطاعاً - تفادياً لخطر إنفجار من شأنه إجهاض الإنسحاب، وهو قلق شاطرت فيه الولايات المتحدة، مما حدا بفريق كارتر الآن إلى أن يضيق بأى فرقعات يمكن تفاديها مع بيجين. غير أن غياب ممثلين أردنيين وفلسطينيين أصاب حركة الدبلوماسية المصرية بالشلل.

(و) ومع مرور الشهور، تحول واضعو السياسة فى الولايات المتحدة باطراد إلى غير ذلك من الأزمات. وتورط كارتر بسبب حملات إعادة انتخابه فى سوء الفهم مع المؤيدين اليهود.

وأصبح تزايد وجود منظمة التحرير الفلسطينية مصدراً للإثارة في جنوب لبنان، إذ أدى إلى هجمات إرهابية وأعمال إنتقامية وضربات وقائية إسرائيلية وقعت في لحظات حرجة، مما أفسد التوازن السياسي المصري وعرقل المفاوضات.

وأدت المستوطنات الجديدة في الضفة الغربية إلى تعكير المياه مع واشنطن والقاهرة وفي أول مارس ١٩٨٠ إقترعت الولايات المتحدة، مؤيدة قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بشأن المستوطنات في الضفة الغربية وبشأن القدس، فأثار ذلك ثائرة إسرائيل وعرض كارتر لمهانة، فأضطر مرغما إلى التنصل من ذلك بسبب الضجة السياسية من اليهود.

ومع الإضطرابات التي حدثت في إيران، وأعتقال رجال سفارة الولايات المتحدة في طهران كرهائن، ومع الغزو الروسي لأفغانستان، واستقالة فانس من منصبه كوزير للخارجية، ومع تحدى كيندى لكارتر في إعادة الترشيح، تداعت مفاوضات الحكم الذاتي بين إسرائيل ومصر إلى منزلة دنيا في أولويات الإدارة (الأمريكية)، بعد ما زادت حينذاك صلابة بيجين وموقفه الدفاعي المناوئ، وأصبح السادات محاصرا بعداوة العرب. ومع ذلك فلعل صانعي السلام في كامب دافيد أثاروا دهشة الناقدين ومستشاريهم الخاصين. إذ كان لثلاثتهم جميعا مصلحة شخصية كبيرة في الحفاظ على إنجازهم التاريخي، بل لقد كان على بيجين والسادات أن يدافعا على جوائز نوبل للسلام. ومما لا شك فيه أنه لولا الضغوط السياسية التي كان يستشعرها كارتر لاحتمال إعادة انتخابه لمارس ضغوطا أشد على بيجين حتى يتذرع بالمرونة، وإن كان من المؤكد أن بيجين

سيردّه على أعقابه. وكان من الممكن لسياسة الولايات المتحدة إزاء إسرائيل أن تكون أكثر إصرارا فى فترة ثانية لرياسة كارتر، ومن المتصور أن تؤدى إلى النجاح عند الشروع فى وضع خطة للحكم الذاتى.

(ز) ولكن كارتر لم يظفر بالفرصة أبداً. وكان آخر إجتماع له مع بيجين فى الأسبوع التالى لهزيمته فى الإنتخابات. ولئن صح أن هذا كان وداعاً مصطنعاً بين صديقين قديمين، فقد كان فى واقع الأمر لحظة مريرة بالنسبة لكارتر الذى أصيب بقنوط شديد واقتنع بأن الخطة الخاصة بالشرق الأوسط لم يكتمل نصفها، بسبب خداع بيجين وأخيرا كان كارتر يعتقد بأن جحود اليهود الأمريكيين كلفه خسارة الإنتخابات على الرغم من جهوده المضنية فى سبيل البحث عن سلام لإسرائيل.

ومع ذلك، فإن كارتر عامل بيجين بحرارة واحترام وذوق بصورة غير عادية. وقد رحب كثيرون من الإسرائيليين بفوز ريجان، إذ كانوا قد هبوا لمقاومة إدارة ثانية لكارتر.

فترة ريجان ـ تعثر العلاقات

١ ـ بداية حكم ريجان:

(أ) بدأت الإدارة الأمريكية منصب الرياسة وهى عازمة عزما تاما على التعاون مع إسرائيل تعاونا وثيقا، ولكنها لم تكن فى عجلة فى إلتقاط أطراف الخيط لعلمية كارتر الخاصة بكامب دافيد. ولطالما أعجب الوزير «هيج» بجيش الدفاع الإسرائيلى، وكانت للهجة هيج الحادة تأثير قوى وخلفت إنطباعا خاطئا بأن إدارة ريجان فى مجموعها ترحب بالتدخل العسكرى الإسرائيلى دفاعا عن المسيحيين اللبنانيين.

ومن هذا المنعطف المبكر، إبتليت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية مراراً وتكرارا، فى عهد ريجان، بإشارات مختلطة من فريق ريجان المنقسم على ذاته. وفى ٢٨ إبريل أسقطت الطائرات الإسرائيلية طائرتى هليكوبتر سوريتين فوق وادى البقاع اللبنانى. وبهذا إنتهكت إتفاقية «الخط الأحمر» غير المكتوبة التى كان كيسنجر سمسارها فى عام ١٩٧٤ . وعلى الفور أصدر الرئيس حافظ الأسد أمرا بإطلاق

قذائف سام، «أرض جو» داخل لبنان، لتهديد الرحلات الجوية الاستطلاعية الإسرائيلية.

ولم يلبث لبنان أن برهن على أنه هو القضية المهيمنة على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى السنوات المقبلة. وهى قضية عولجت على نحو بغيض من جانب كل من الحكومتين. ومع أن بيجين لم يلبث أن أنسحب من منصبه فى سبتمبر ١٩٨٣ فى ظل المغامرة المفجعة التى قامت بها إسرائيل فى لبنان، فإن ريجان قد عانى بدوره هزيمة مذلة فى السياسة الخارجية. فهو لم يلبث أن ألتزم بوضع قوات كبيرة من مشاة الأسطول والبحرية للدفاع عن الحكومة اللبنانية الضعيفة من الميليشيات الإسلامية المؤيدة من السوريين - حرصا منه على ما سماه علنا «بمصالح أمريكا الحيوية» ولكن لم يلبث أن سحبها بطريقة مخزية فى فبراير ١٩٨٤ بعد أن قام حلفاء سوريا بكسر شوكة جيش لبنان وهو مسيحى فى غالبيته.

(ب) والواقع أن الأشهر الأولى لريجان شهدت ظهور إتجاهين متضاربين: فقد كان صناع السلام فى واشنطن والقاهرة والقدس يتباطؤون فى حركتهم لإنجاز إرث كامب دافيد وصيانته. ولكن سحب الحرب كانت فى الوقت عينه تتكاثف فى الأفق من معاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ومن دمشق. ووقعت معا حادثتان لا رابطة بينهما لكى تجعلا الموازين تبتعد عن صناع السلام، ألا وهما: الأنتصار غير المسبوق الذى حققه بيجين من وراء الظهر على حزب العمل فى ٣٠ يونيو، وإغتيال أنور السادات فى ٦ أكتوبر.

بدأت الفترة الثانية لبيجين كرئيس للوزراء فى يوليو ١٩٨١ فكانت فترة غير موفقة بالنسبة لإدارة ريجان، إذ أن حكومته الجديدة إفتقرت إلى الأصوات المعتدلة كموشى ديان وعزرا وايزمان وإيجال يادين الذين خففوا من الجمود الأيديولوجى لإئتلافه الأول. واستطاع آرييل شارون المتصدر للإستيطان اليهودى السريع فى الأراضى المحتلة، والخصم الشرس لعدو إسرائيل، وهو منظمة التحرير الفلسطينية، أن يحقق هدف حياته فى آخر الأمر ويصبح وزيرا للدفاع. وكان مسلك بيجين نفسه تجاه عملية صنع السلام وتجاه أعداء إسرائيل أدعى إلى الدهاء.

(جـ) ثم كان هناك الإحتجاب المفاجئ المأساوى للسادات قبل الجلاء الإسرائيلى النهائى من الأراضى المصرية، والذى كان مقررا أن يتوج أعظم إنجازاته، بستة أشهر، وفى الإجتماع الأخير الذى تم فى الإسكندرية بين بيجين والسادات قبل مصرع السادات بضعة أسابيع، بدآ فى آخر الأمر يحققان قدرا من الإحترام الشخصى والدفء.

(د) ولم تلبث إدارة ريجان أن أيدت مفاوضات الحكم الذاتى وكامب دافيد، ولكن بقدر محدود من الحماس، وأنطوى مسلك ريجان بإزاء المنطقة على أولويات مختلفة. إذ أن كفة إحباط مخططات السوفييت وعملاء السوفييت رجحت كفة البحث عن ترتيبات سلمية للمنازعات الإقليمية الشائكة والتى ربما كانت بلا حل. وفيما يتعلق ببيجين، كانت كامب دافيد تعنى أساسا تحقيق سلام طبيعى مع مصر.

٢ ـ شخصية ريجان:

(أ) كان ريجان يجسد أسلوب حياة «الإسترخاء» فى كاليفورنيا: فهو خلو من التوتر، إنفعالى، واثق بالنفس ثقة كاملة، متفائل، سطحى، مسلٍّ، لديه غريزة الممثل الذى يؤدى أدوارا رمزية ويواجه الجماهير والأضواء. كان له بين اليهود الأمريكيين أصدقاء كثيرون، وتعرف فى وقت مبكر على الأفلام المرعبة التى التقطت لمعسكرات الموت الهتلرية التى بقيت صورتها حية فى ذهنه وعباراته.

ولكونه محاربا أيديولوجيا يقف عن إقتناع عميق ضد الشيوعية العالمية ويرتاب ريبة كاملة فى النوايا السوفييتية، لهذا كله كان ريجان أول رئيس أيديولوجى حقيقى للولايات المتحدة.

(ب) ويرى ريجان أن إسرائيل تندرج فورا ضمن فئتى الديمقراطية والحليف بجيشها الباعث على الإعجاب. وكثيرا ما كانت التفاصيل تبدو ضبابية أمامه. وقد سلم بيجين النقاط المعدة لمحادثاته من واقع بطاقات فهارس، حتى وهما فى إجتماع خاص، ولم يلبث أن تحول بسرعة إلى الحكايات والنوادر. وكان دائما يتفادى المواجهة الشخصية حتى عندما كان يستبد فى غضب صادق، وإن يكون ذلك لفترة قصيرة، كما حدث فى أثناء الحرب اللبنانية.

وعندما كان يتعين عليه توجيه بعض الملاحظات الإنتقادية الحادة، فإنه كان يعمد دائما إلى تخفيف وقعها بإبتسامة وبمسلك

إعتذارى. وواقع الأمر أن ريجان كان صادق الإعجاب بقوة إسرائيل وشجاعتها وديمقراطيتها ومعاداتها للشيوعية عن إقتناع. وكانت نظرته إلى منظمة التحرير الفلسطينية والعالم العربى مختلفة كثيرا عن ذلك.

(جـ) أما سياسات ريجان العربية الإسرائيلية فكانت تزخر بتناقضات داخلية، تجلت بأوضح ما يكون فيما يختص بلبنان. كان أسلوب ريّجان الخاص فى الإدارة أقرب ما يكون إلى أسلوب صاحب فرقة كرة قدم محترفة منه إلى أسلوب الظهير الموجه. لقد توسع فى التفويض فى الإختصاصات، وكان كثير الإستعانة بلاعبين ضعاف فى المنصب المحورى لمستشار مجلس أمنه القومى وكان شديد التفضيل لإجماع الآراء بين الموظفين مع تردد مستمر فى البت فى الخلافات الهامة أو فى فرض النظام على المساعدين ذوى الرأى. وكان عنيدا فى حرصه على العطف على إسرائيل وتأييدها بصورة أساسية بإعتبارها حليفا صادقا.

(د) وكانت أولويات ريجان فى نواح أخرى: فى السياسات المحلية، والإصلاحات الإقتصادية، والتعزيز العسكرى حتى يمكن بصورة أفضل مجابهة مواقف التصلب العالمية السوفييتية. وكانت إسرائيل تمثل، بالنسبة للرئيس الجديد، رصيدا عسكريا إستراتيجيا أصلا فى الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وإن يكن ذلك فى منطقة واحدة فقط.

ولكن التقلبات التى عرفتها هذه المنطقة وإستهدافها «للمخاطر» عقب سقوط الشاه، وغزو السوفييت لأفغانستان، وتنامى الدور

العسكرى السوفييتى فى سوريا، جعلت القدرات العسكرية والإستخبارية التى أظهرتها إسرائيل تبدو وكأنها أرصدة جذابة. وبشكل عام فقد نظر إلى إسرائيل من خلال منظار المجابهة العالمية بين الشرق والغرب بإعتبار أنها حليف طبيعى.

(هـ) وكان ريجان يرفض الموافقة على اتخاذ إجراءات عقابية شديدة كرد فعل على تصرفات إسرائيلية تبدو تصرفات غير مسؤولة، مثل تدمير المفاعل النووى العراقى بالقرب من بغداد فى أوائل فترة رياسته.

(و) وإذ نعود بالنظر إلى الوراء لن ندهش لأن سجل ريجان فى الشرق الأوسط إنما يدل على فشل فى توسيع دائرة السلام العربى الإسرائيلى أكثر مما يدل على نجاح فيه. وإن كان لا سبيل إلى إنكار أن ريجان قد قرب بين إسرائيل والولايات المتحدة بإعتبارهما حليفين إستراتيجيين وسياسيين بأكثر مما حدث فى أى وقت فى التاريخ، وعلى الرغم من الآثار المدمرة للحرب اللبنانية. وليست ثمة دليل أفضل من ذلك على أن الزعماء الوطنيين هم الذين يقومون فى نهاية المطاف بممارسة النفوذ الحاسم فى العلاقات بين الأمم.

٣ - تعثر العلاقات:

(أ) ولم تمض إلا بضعة أسابيع على زيارة هيج فى عام ١٩٨١ حتى شرع بيجين وريجان، وهما الحليفان الأيديولوجيان الطبيعيان، فى التنازع حول موضوع واردات السلاح دون الموضوعات الأخرى. على أن بيجين أقدم بعد ذلك، ودون

توقع، على إطلاق سلاحه الجوى للإغارة بجسارة على بغداد لتدمير المفاعل النووى العراقى الجديد قبل أن يصبح «خطراً» فصعق ريجان، وكان أكبر ما صعقه مابدا من عدم إجراء أى تشاور سابق مع «الحليف الوثيق» لإسرائيل حول موضوع له تأثيره الواضح على مصالح أمريكية حيوية فى العالم العربى.

(ب) وعرّض بيجين السادات لمهانة فى أعين العرب بسبب ضربته هذه التى شنها بعد أربعة أيام فقط من اجتماع عقد بين الزعيمين فى شرم الشيخ الواقعة فى جنوب سيناء المحتل من جانب إسرائيل. وأدت الأخبار المتواترة من أن طائرات إف - ١٦ الموردة من الولايات المتحدة قد استخدمت فى الإغارة، إلى إثارة صيحات غاضبة فى البنتاجون،وفى أماكن أخرى فى واشنطن. فأمرت الإدارة (الأمريكية) بإجراء تحقيق فى الإنتهاكات الإسرائيلية المحتملة لقانون الرقابة على صادرات الأسلحة، واتخذت خطوة لا سابق لها - وكانت صدمة كبيرة لبيجين - وهى وقف شحن أربع طائرات من طراز إف - ١٦ كانت إسرائيل قد دفعت ثمنها فعلا. وإنضمت جين. ج. كيركباتريك، ممثلة الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة، إلى قرار إجماعى إتخذه مجلس الأمن أدان فيه بشدة التصرف الإسرائيلى.

(جـ) واحتاج بيجين إلى ما يزيد على شهر لكى يلم شتات وزارته الإئتلافية الجديدة مع بقاء إسحاق شامير وزيراً للخارجية وإنتقال شارون إلى الدفاع. وأخيراً وصل بيجين إلى واشنطن فى الأسبوع الثانى من سبتمبر ١٩٨١ . ومنذ ذلك الوقت وإلى أن ترك بيجين منصبه مثبط الهمة فى سبتمبر ١٩٨٣، حدث

إنهيار سريع فى علاقات وزارته بإدارة ريجان، مع فترات قصيرة من التحسن المؤقت.

وفى وسع المرء إذ يسترجع هذه الأحداث أن يتبين أن حالات عدم التفاهم والخلافات الحادة، والشكوك والعداوات الشخصية المريرة التى تزايد إعتراضها للعلاقات إنما نشأت إلى حد كبير عن عاملين هما:-

أولا : تعاظم ثقة بيجين بنفسه، وإسرافه فى تأكيد ما بينه وبين ريجان من ألفه إيديولوجية.

ثانيا : إستعداد ريجان بدوره للإذعان لاقتراح من بيجين بشأن «إتفاقية تعاون استراتيجى» مع عناصر من التحالف الرسمى الصادق المبدئى بين الأمتين.

(د) لقد اجتهد بيجين دائما - دون نجاح يذكر - فى إقناع كارتر بأن إسرائيل هى أكثر جداً من كونها دولة «زبونة» وأن الأمر أكثر من مجرد كونها مسئولية عاطفية بالنسبة للولايات المتحدة. وساق حججه المرة بعد المرة قائلا: إن قدرات إسرائيل فى المخابرات، وأن الوضع المتطور للإحتراف العسكرى الفورى لجيش الدفاع الإسرائيلى هما رصيد إستراتيجى هام بالنسبة للولايات المتحدة. وإذا بالإقتراحات التى بدت فى نظر كارتر مثيرة للشك إلى حد كبير، تصادف اليوم آذان صاغية كثيرة حول مائدة الحكومة، ولاسيما آذان ريجان وهيج.

(هـ) ولم يكد بيجين يغادر المكتب البيضاوى حتى إندلع أول سوء تفاهم. فريجان حصل على وعد من بيجين بألا يحشد قوى الضغط ضد بيع طائرات الأواكس إلى المملكة العربية السعودية. وواقع الأمر أن بيجين وعده بذلك، ولكنه لم يفسر عبارة «عدم حشد قوى الضغط» بإعتبارها حظراً ضد الإعراب عن إعتراضه على البيع متى سئل فى ذلك.

وعندما سئل فى هذا من أعضاء الكونجرس أثناء إجتماعاته التى كانت إذ ذاك بروتوكوليه مع أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب، رد عليهم بيجين بطريقته الجافه المعتادة. وعلى الفور إنتقلت أخبار الملاحظات التى أبداها بيجين إلى البيت الأبيض، فاشتعلت نيران الغضب لدى كبار مستشارى ريجان.

(و) وعلى حين غرة، ودون إنذار، إستدعى بيجين مساعديه وأشار بضم مرتفعات الجولان، وقيل أن ذلك كان رد فعل غاضب على تصريح للرئيس السورى أبداه علناً وقال فيه: «إنه يرفض إلى أجل غير مسمى أى فكرة للسلام مع إسرائيل. ومر التشريع، الذى اقتصر من الناحية الفنية على مد سريان القانون الإسرائيلى إلى الجولان، خلال حكومة بيجين المذعنة لرغباته، ثم فى الكنيست بسرعة لا مثيل لها، حتى أنه لم تتح للولايات المتحدة فرصة حقيقية للتدخل الدبلوماسى كسباً للوقت.

وكان قانون الجولان بالنسبة لإدارة ريجان - التى كانت قد تصدت تواً لأزمة كريهة فى بولندا - أمراً واقعاً لا يمكن التسامح معه.

وشكل الإجراء الذى إتخذته إسرائيل حائلاً دون أى عودة إلى عملية عريضة للسلام العربى الإسرائيلى، وهو هدف نذرت له سياسة الولايات المتحدة نفسها. والإعتبار الأهم هو أن هذا الإجراء بدا إجراء مبيتاً لإثارة الولايات المتحدة.

(ز) وواضح أن للولايات المتحدة مصالح كبيرة فى عملية السلام، ومن الواجب - كحد أدنى - أن تتاح لها فرصة تسوق فيها حججها المضادة لأى إجراء ترى فيه واشنطن إنتهاكا للقرارات المختلفة للأمم المتحدة وإتفاقيتى كامب دافيد. رجاء حل هذه العقدة سريعاً. إذ أن ريجان بعد تسعة عشر يوما فقط من التوقيع على مذكرة التفاهم الجديدة بشأن التعاون الإستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل أمر «بوقف» هذه المذكرة ريثما يصدر توضيحات مرضية بشأن التشاور مستقبلاً حول القضايا الرئيسية.

(ح) إلا أن التشابك بين إسرائيل والولايات المتحدة كان من القوة بحيث لا يسمح لزعمائهما بترف التباعد عن بعضهم لمدة طويلة. وسرعان ما حاول هيج وسواه من رجال الإدارة إصلاح العلاقات. وإذا بالسحابة الداكنة المنذرة بحدوث صدام وشيك بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان - هزت الولايات المتحدة، على أن تحاول الإحتفاظ بيد تكبح بها الولع المتزايد بالقتال لكل من بيجين ووزير دفاعه. يضاف إلى ذلك أن واشنطن كانت عازمة على تأمين التنفيذ الكامل لمعاهدة السلام مع مصر فى إبريل ١٩٨٢ .

وأرادت إدارة ريجان الوقوف فى وجه مخططات شارون وآخرين التى تثير الشكوك وتستهدف الحيلولة دون الإنسحاب الإسرائيلى النهائى، ومن ثم لجأت إلى العلاقات الشخصية مع بيجين و شارون حول هذا الأمر.

٤ - الأزمة اللبنانية:

(أ) إن حرب إسرائيل المدمرة فى لبنان قد كثرت من حولها كتابات مسهبة ومتزايدة. ووصف الباحثون والصحفيون العمليات العسكرية، والدمار الذى أصاب الأهداف المدنية، والمناقشات المحلية، والأخطاء فى حسابات المواقف، والأثر المخرب للحرب، وإحتمالات حل هذه العقدة فى لبنان.

وكان بيجين قد قبل بعد تردد وقف إطلاق النار مع منظمة التحرير الفلسطينية، الذى تحقق من خلال وساطة حبيب فى يوليه ١٩٨١ . ولم يكن ذلك إلا بسبب عجز جيش الدفاع الإسرائيلى عن إسكات المصادر المراوغة للهجمات بصواريخ منظمة التحرير الفلسطينية ومدفعيتها على مدن إسرائيل الشمالية. وكان هو وشارون يتميزان غضباً إزاء الإعتراف الضمنى بمنظمة التحرير الفلسطينية فى «تفاهمات» حبيب. ولئن بقى وقف إطلاق النار ساريا إلى حد كبير بطول الحدود فى الشهور الأحد عشراً التالية. فإن اعتداءات الفلسطينيين على الإسرائيليين فى أماكن غيرها، وعلى اليهود فى المدن الأوروبية استمرت من وقت إلى آخر، فى حين استمر بناء القوة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية شمال الحدود مباشرة.

وما أن أفسح عام ١٩٨١ الطريق لعام ١٩٨٢ حتى أخذ شارون المرة بعد المرة ينذر المسئولين الأمريكيين والصحفيين قائلاً: «أن إسرائيل لايسعها بعد الآن أن تتسامح مع هذا الوضع». وفى اجتماع عقده مع حبيب ونائبه موريس دريبد فى القدس ٦ ديسمبر ١٩٨١ صعق وزير الدفاع السامعين له وغير المصدقين تمثله حله المفضل - ألا وهى الإقدام على غزو شامل لسحق معاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان، وطرد المقاتلين الفلسطينيين نهائيا.

وعلى مدى ستة أشهر حثت الولايات المتحدة إسرائيل على التذرع بأقصى حد من ضبط النفس، وحذرت من المبالغة فى تقدير التهديد العسكرى لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعجلت بالوقوف ضد الحظر المتمثل فى بدء حرب كبيرة مع سوريا، وأكدت على الملابسات الدولية الأوسع لعمليات الإنتقام العسكرية الإسرائيلية التى لم يكبح جماحها ولكن هذا كله كان عبثا.

(ب) وهكذا فلما جاء الأعتداء الإسرائيلى فى آخر الأمر فى ٦ يونية ١٩٨٢، أرتضى ريجان وهيج فى بادئ الأمر التأكيدات العلنية والخاصة لبيجين بأن «عملية سلام الجليل» لايراد بها إلا دفع وحدات منظمة التحرير الفلسطينية بعيدا عن مدى وصول المدفعية والصواريخ إلى إسرائيل، على بعد يقرب من ٤٠ كيلو متراً، وأن إسرائيل لا ترغب الإشتباك مع القوات السورية بأية كيفية. وفى الأيام التى تلت ذلك، لم يتضح إلا ببطء لفريق ريجان، كما اتضح ببطء لمعظم أعضاء الحكومة الإسرائيلية والكنيست والرأى العام، أن جيش الدفاع الإسرائيلى مشتبك فى

مصادمات برية وجوية مع القوات السورية فى لبنان، وأنه يتعمد الزحف على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى ضواحى بيروت. وبدا شيئا فشيئا أن «عملية سلام الجليل» تشبه فكرة شارون الشخصية الضخمة، وهى طرد منظمة التحرير الفلسطينية من أرض لبنان.

أما وقد أدركت إدارة ريجان هذه الحقيقة، فقد استولت عليها حالة إنفصام بإزاء إسرائيل ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية، وهى حالة لم تبرأ منها إلا بعد مرور أكثر من سنة على ذلك، وإن بقيت أعراضها واضحة إلى أوائل عام ١٩٨٤ .

ومنذ اللحظة التى وضح فيها لواشنطن أن أهداف إسرائيل تجاوزت منطقة الأمن المعلنة وهى أربعون كيلو مترا، وبدأت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تتآكل. وازداد الاتجاه النزولى فى العلاقات إلى عمق سحيق. وفى الأسبوع الثالث من يونيه، إجتمع بيجين وريجان فى واشنطن حيث لقيت تأكيدات بيجين بشأن نوايا إسرائيل قدراً كبيراً من الإستجابة. وعلى مدى الشهرين التاليين، شهدت الولايات المتحدة عدداً لا يحصى من حالات خرق قرار وقف إطلاق النار، ومن تسلل الزحف الإسرائيلى إلى قرب قلب بيروت، ومن الصور التليفزيونية التى تقطع نياط القلب للضحايا المدنيين لعمليات القصف المدفعى وإلقاء القنابل بالطائرات فوق المدينة المحاصرة والتى قام بها جيش الدفاع الإسرائيلى، أما أبعد النتائج أثرا وقدرا فكان فقدان بيجين مصداقيته عند ريجان.

(جـ) كانت مصداقية بيجين فى واشنطن قد تبددت تقريباً، واستنفد آخر رصيد منها فى أواسط سبتمبر عندما حدث، فى أعقاب

اغتيال بشير الجميّل فى بيروت الشرقية، أن أرسل بيجين وشارون جيش الدفاع الإسرائيلى إلى قلب بيروت الغربية، وهو ما يمثل انتهاكا للالتزام الذى قطعه بيجين لريجان. وبعد ذلك اتخذ جيش الدفاع الإسرائيلى موقف المتفرج السلبى، بينما كانت قوات الكتائب المسيحية تذبح المئات من المدنيين الفلسطينيين العزل بعد أن جلا مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية من معسكرى صابرا وشاتيلا للاجئين.

وسرعان ما أدرك البيت الأبيض الدلالات اللعينة لهذه الفظائع. وكانت تأكيدات حسن النية الأمريكية التى تلقاها ياسر عرفات بشأن سلامة هذين المعسكرين الفلسطينيين تعد جزءاً من المفاوضات التى أدت إلى جلاء منظمة التحرير الفلسطينية. واستندت هذه التأكيدات بدورها إلى ما قطعه بيجين من التزامات لحبيب، ومؤداها أن جيش الدفاع الإسرائيلى لن يدخل بيروت الغربية. ومن هنا فإن ريجان وقد اجتاحته موجة من الشعور بالذنب لأنه قبل أيام قليلة قام بسحب إحتياطى مشاة البحرية الأمريكية من القوة المتعددة الجنسيات لحفظ السلام فى بيروت - اتخذ قراراً متعجلاً يفتقر إلى الحكمة بإعادته إلى دوامة بيروت الهائلة. ثم جرى توزيع الوحدات الأمريكية والفرنسية والإيطالية فى بيروت الغربية لتحل محل القوات الإسرائيلية التى سحبها شارون، وهو حانق، إلى مشارف المدينة تحت ضغط دبلوماسى أمريكى شديد.

ومنذ بداية خريف عام ١٩٨٢ وإلى فبراير ١٩٨٣ بقيت العلاقة بين إسرائيل وواشنطن علاقة مواجهة مريرة مع تزايد الأزمة اللبنانية عمقاً.

وكان حلم إسرائيل فى توقيع معاهدة سلام جديدة مع دولة عربية قد انفجر مع انفجار مقر بشير الجميل، ولكن الحلم قد مات موتاً. والواقع أنه بعد أن أصاب سوريا الهلع مؤقتا، تعاون الديبلوماسيون الأمريكيون والإسرائيليون تعاونا حذراً، وإن يكن وثيقاً، فى محاولة لإقناع أمين - شقيق بشير الجمّيل - بالتفاوض حول اتفاقية عريضة تنسحب القوات الإسرائيلية بمقتضاها، ويقيم لبنان علاقات عادية مع إسرائيل بما فى ذلك فتح الحدود، مع تعاون وحدات عسكرية لبنانية وإسرائيلية فى سبيل تأمين الهدوء فى مناطق الحدود.

إلا أن أى تعاون عسكرى للولايات المتحدة مع إسرائيل فى صدد لبنان كان - فى هذه الأثناء - محظوراً حظراً صارماً. فعجرفة شارون (١) وأسلوبه البذئ فى التعامل مع الرسميين الأمريكيين، قد فاقت جميع الحدود.

(١) جنرال فى الجيش الإسرائيلى وعضو بارز فى تحالف ليكود الصهيونى اليمينى الرأسمالى، اشترك فى نشاط الهاجاناه فى مطلع شبابه ثم حرب ١٩٤٨، حيث اشترك فى حصار الفالوجا وجرح أثناء الحرب.

وقد قام بدور فعال فى تعقب «المتسللين» العرب عام ١٩٥٢ حينما رأس قوة الكوماندوز الخاصة المسماة بالوحدة رقم ١٠١ أو «حيش ديان الخاص» كما كانوا يسمونها. وكان أعضاء هذه الوحدة لا يرتدون زيا عسكريا ولا يحملون رتبا، ولا يتلقون تدريبا عسكريا تقليديا، وإنما كانوا يتدربون على غارات الحدود وقد ظل أمر الوحدة سرا غير معروف إلا لأفراد قلائل من النخبة الحاكمة فى إسرائيل). وقد قاد شارون رجاله فى أول حملة رسمية سرية لهم فى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ فاتجه إلى قرية قبية العربية ودكها على من فيها فسقطت ٤١ دارا للسكنى وقتل ٦٩ شخصا نصفهم من النساء والأطفال. وقد أنكر بن حوريون رئيس الوزراء آنئذٍ علمه بالعملة وأكد أن جميع وحدات الجيش الإسرائيلى كانت فى ثكناتها ولكن كتاب المظليين الإسرائيلى الصادر عام ١٩٦٩ تحدث متباهيا عن هذه العملية.

وقد اشترك شارون فى حرب ٥٦ ثم فى حرب ١٩٦٧ حيث قاد المجموعة التى استولت على ممر متلة. وقد عين بعد الحرب قائدا للمنطقة الجنوبية حيث طرد ٦٠٠ بدوى من ديارهم فى رفح. وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وبعد انهيار خط بارليف قام الجنرال شارون بعملية الدفرسوار التى أدت إلى احتلال أجزاء من الضفة الغربية لقناة السويس، وتعرف هذه العملية باسم الثغرة. وقد نال شارون شعبية بين الجنود الإسرائيليين. وقد اضطر شارون إلى الاستقالة من الجيش الإسرائيلى بعد حرب أكتوبر وذلك نظرا لرغبته فى ترشيح نفسه لعضوية الكنيست عن كتلة ليكود. وقد فشلت الكتلة فى ادخال تعديل على قانون الانتخابات يجيز الجمع بين العمل العسكرى والترشيح للانتخابات.

وهو مهندس مذبحة صابرا وشاتيلا.

(د) وبحلول الوقت الذى تم فيه أخيراً عقد مفاوضات ثلاثية رسمية فى نهاية شهر ديسمبر، كانت ثقة سوريا فى ذاتها قد استعادت حيويتها بفضل العودة إلى توريد كميات هائلة من الأسلحة السوفييتية. وبدأت سوريا تمارس ضغطاً على «الجميّل» لكى يصمد. وطالت المفاوضات لأكثر من أربعة أشهر، إذا كان مفاوضو بيجين يحاولون إدخال أكبر عدد ممكن من العناصر لعقد معاهدة سلام رسمية ضمن نص الإتفاقية فى مقابل الإنسحاب.

وأخيراً اضطر چورج ب . شولتز وزير الخارجية إلى الإنضمام إلى حبيب. فى حالات مكوكية يراد بها إتمام إتفاق ١٧ مايو، ولكن سوريا كانت إذ ذاك عازمة - وهى فى وضع قوى - على نسف الإتفاق وهو ماحدث سريعا.

والواقع أنه لولا أن لجنة التحقيق فى مذابح صابرا وشاتيلا تدخلت فى فبراير لإخراج شارون من منصبه القوى فى وزارة الدفاع، لكان أرجح الإحتمالات عدم التوصل أبدا إلى إتفاق ١٧ مايو.

(هـ) وبحلول أوائل عام ١٩٨٣ كان تقييم واشنطن لشارون، بل لبيجين أيضا، قد بات من القسوة بحيث بدا أن «الحلف الطبيعى» بين الولايات المتحدة وإسرائيل، الذى رحب به ريجان وهيج قبل عامين اثنين لاغير، قد أصبح شيئاً أكثر قليلاً من قشرة خاوية. وقد يقال إن هذا كان نتيجة غير مباشرة لكامب دافيد.

ويجمع الرأى العام العربى، وكذلك بعض المحللين الغربيين على اقتناعهم بأن إسرائيل ما كانت لتقدم أبداً على غزوها للبنان لو لم تورث معاهدة السلام مع مصر بيجين شعوراً بالأمن إزاء حدود إسرائيل الجنوبية.

(و) واستمر هذا النمط بل تعمقت جذوره على الرغم من التبدد البطئ للأمل فى تحقيق إتفاق مع لبنان، وعلى الرغم من إندلاع نيران حرب أهلية بين الميليشيات المسيحية والدرزية والشيعية، وذلك بعد شروع جيش الدفاع الإسرائيلى فى الإنسحاب جنوبا.

ومن التورط العسكرى الأمريكى المتزايد فى هذا الصراع حتى وصل إلى مايقرب من حرب مع سوريا، ومن تدمير ثكنات مشاة البحرية الأمريكية بقنابل الإرهابيين، وفقدان حياة مئات من مشاة البحرية، ومن إنهيار الجيش اللبنانى الذى كانت الولايات المتحدة تدعمه، ومن إنهيار الآمال الأمريكية والإسرائيلية فى رؤية حكومة مستقرة فى بيروت تستطيع فرض القانون والنظام فى لبنان، ولاسيما فى لبنان الجنوبى، بما يبرر الإنسحاب الإسرائيلى الكامل.

والواقع أن إنهيار لبنان كان يمثل الدرك الأسفل فى رياسة ريجان قبل مأزق بيع الأسلحة لإيران فى ١٩٨٦ - ١٩٨٧، ويحاول كثيرون قائلين إن إسرائيل كانت هى المخططة.

فترة ريجان ـ تحسن العلاقات:

١ ـ إختفاء بيجين ومرحلة شامير:

(أ) كان عام ١٩٨٣ و ١٩٨٤ يمثلان مرحلة إنتقالية فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية. إذ بدأ الشك والمرارة والمواجهة تخلى مكانها لتعاون ديبلوماسى وعسكرى متجدد مع مرور الوقت.

وأهم تعليل لذلك يكمن فى التغييرات التى جرت فى الشخصيات الرئيسية على المسرح.

توارى بيجين على مهل بأعتباره اللاعب الإسرائيل المحورى، وانسحب فى صمت مكتئبا فاتر الهمة من المشاركة النشيطة فى أحابيل الديبلوماسية. كما أن خروج شارون فتح الطريق أمام موشى آرينز للعودة من مقر السفير فى واشنطن إلى وزارة الدفاع.

وكان شولتز يحترم آرينز. وبمجرد خروج شارون من منصبه، انبرى شولتز لاستعادة علاقات العمل الودية مع القدس. ومما سهّل عليه مهمته هدوؤه ومسلكه الحكيم وخبرته الطويلة فى مفاوضات

العمال، ولم يلبث ذلك أن أكسبه احتراماً شديداً لدى بيجين وزملائه. وعندما أنضم شولتز إلى حبيب فى مائدة المفاوضات لم تلبث إتفاقية ١٧ مايو الثلاثية أن أنجزت.

وتغير إتجاه حركة المدّ والجزر بعد ذلك، إذ أن هذه الإتفاقية - التى لم يتم التصديق عليها من جانب لبنان أبداً، وأنتهى الأمر بنقضها تحت ضغط سورى - كانت تمثل فشلاً ذريعاً فى التوصل إلى علاقة جديدة بناءة بين لبنان وإسرائيل.

(ب) عاد شامير وآرينز إلى واشنطن فى أواخر نوفمبر، فرأيا إنعكاسا أكيداً لهذا العصر الجديد. وهيمنت على الإجتماعات مناقشات مدرسية حول إختبارات غير سارة بالنسبة للأمتين.

فعرض شولتز تقديم مساعدة تخصصية غير رسمية من خلال لجنة مشتركة من الخبراء تساعد شامير على السيطرة على التضخم المتصاعد فى إسرائيل. وأعاد البنتاجون فتح خزائنه وخطوط إمدادات الأسلحة. ووافق ريجان وشامير على الشروع فى المفوضات لإقامة منطقة تجارية ثنائية حرة فريدة فى نوعها.

٢ - حكومة الوحدة الوطنية:

(أ) وفى سبتمبر ١٩٨٤ أصبح بيريز رئيساً للوزارة فى ائتلاف لحكومة وحدة وطنية جديدة، وشغل المنصب سنتين قبل أن يضطر إلى تبادل المناصب مع شريكه المزعج فى الإئتلاف، وهو وزير الخارجية شامير. ووجه بيريز القدر الأكبر من طاقته للتصدى للتضخم الفوضوى المنفلت، وأزمة العملة الأجنبية، ثم

لإحتوائها فيما بعد. ولقد كانت هاتان المشكلتان مجرد أثرين من الآثار المرة التى تخلفت عن حرب لبنان، وعن سبع سنين من السياسات الإقتصادية لحزب الليكود بزعامة بيجين وشامير. ومع ذلك، أحتل صنع السلام أولوية أولى لدى بيريز الذى بدأ على الفور يشغل شولتز وريجان باستراتيجية بارعة لمراودة الملك حسين على الدخول فى مفاوضات.

ورحب كذلك بمساعدة أمريكا على حل نزاع الحدود المتخلف مع مصر بشأن ساحل طابا الصغير بالقرب من إيلات. وكان منطق بيريز أن إثارة بعض الدفء فى السلام المصرى الإسرائيلى الذى أصبح آنذاك بارداً كالثلج يمثل ضرورة جوهرية لتهيئة الرأى العام الإسرائيلى لتقديم تنازلات أخرى فى سبيل السلام مع الأردن متى حان الوقت.

ولكن هدف بيريز الأول كان يتمثل فى الملك حسين. وفى الحدود الضيقة المتاحة له بحكم اتفاقه الإئتلافى مع الليكود، لجأ إلى أساليب كثيرة لإقناع حسين بالتعاون فى استراتيجية بيريز الداعية إلى البدء فى مفاوضات داخل إطار يشمل - فى بادئ الأمر - شركاءه فى ائتلاف الليكود. وكان فى تقديره أنه سيتمكن بذلك من تجسيد قدر من فرص السلام يكفى لفوزه فى الانتخابات الجديدة وتأليف حكومة من حزب العمل رغبة فى التوصل بعد ذلك إلى تسوية سلمية طبقا للشروط التى قد يقبلها حسين، وإن كان من المؤكد أن الليكود، لن يؤيدها أبدا. ومن سوء حظ بيريز أن حسين كان يمضى بناءً على جدول أعمال مختلف، إذ كان يحاول أن يوقع فى شراكه ياسر

عرفات بحيث يضطلع بدور مساعد فى منهج مشترك يفضى إلى مفاوضات السلام. إذ بدون عرفات لم يكن حسين يحّس بأن له من القوة ما يكفى للمخاطرة بالتعرض للمقاومة السورية لإجراء مفاوضات مباشرة بين الأردن وإسرائيل.

وبحلول الوقت الذى تخلى فيه حسين، وهو ساخط، عن هذه المحاولة فى أوائل عام ١٩٨٦، وكانت فترة بيريز قد أشرفت على نهايتها.

(ب) وخلال هذه المناورات جميعاً، حرص بيريز حرصاً دؤوباً على إحاطة شولتز علماً، وعلى الظفر بمشورته وتأييده، وقام بتنسيق تحركاته مع واشنطن.

واستاء شامير - بوصفه رئيساً للوزارة للفترة الثانية بعد أكتوبر ١٩٨٦ - من مبادرات بيريز التى أدار دولابها بحرية، وإن كان واثقاً من أنها ستخرج بلا شئ. وبحلول أواسط عام ١٩٨٧، كان شامير وبيريز يتنافسان تنافساً نشيطاً فى سبيل الظفر بتأييد شولتز وريجان لخططهما المتعارضة بشأن صنع السلام.

(جـ) وأسفرت نتائج الإنتخابات الإسرائيلية فى عام ١٩٨٤ عن شبه تعادل بين حزبى العمل والليكود، وهى نتيجة فرضت على العلاقات الأمريكية مع إسرائيل تعقيدات فريدة بين عامى ١٩٨٤ و ١٩٨٨ . وكان التفوق الكبير لحزب العمل قبل الإنتخابات قد ذاب أثناء الحملة، ولم يستطع لا شامير ولا بيريز أن يؤلف وزارة أغلبية إئتلافية.

وأنتهى الأمر بعد تردد شديد إلى قيامهما بضم الصفوف لتأليف حكومة وحدة وطنية ذات قاعدة عريضة، وأضاف إليها سمة فريدة هى اتفاقهما الشخصى على تناوب منصبيهما فى منتصف الطريق خلال فترة السنين الأربع الإنتخابية، وكانت الفترة الأولى من نصيب بيريز كرئيس للوزراء، وأصبح رابين وزيراً للدفاع طوال فترة السنين الأربع.

(د) إلا أن مظهر شامير كجد عجوز كان يخفى وراءه شخصية قوية عنيدة مع قدرة على تحمل الصدمات. فقد نشأ وتعلم بين صفوف الحركات السرية اليهودية قبل قيام الدولة، حيث عمل قائدا رئيسيا للعمليات، ثم دانت له خبرة طويلة فى الموساد، وهى وكالة المخابرات الإسرائيلية السرية لما وراء البحار، فأكتسب من ذلك قدرة على الكتمان وضبط النفس والحذر والشك بإعتبار أن هذه الصفات تشكل جزءاً من طبيعته الثانية.

ولئن كان شامير جامدا جمود بيجين من الناحية الأيديولوجية فيما يتعلق بمستقبل يهودا والسامرة، إلا أنه كان مختلفاً فى أسلوبه عن بيجين. وإذ كان شامير دمث الأخلاق لا يعرف الأدعاء ولا الزعامة الملهمة، وإذا كان صبوراً حسن الإصغاء، عملى الأسلوب بصورة تكتيكية، صعب الإقناع، ولكن مع التحلى بالرزانة، فقد كان التعامل معه مريحاً بإعتباره رئيسا للوزراء فى الفترة من سبتمبر ١٩٨٣ إلى سبتمبر ١٩٨٤، ومرة أخرى إبتداء من أكتوبر ١٩٨٦ وطوال العامين الآخرين من فترة رياسة ريجان.

وكذلك بيريز كان من هذه الشاكلة. وإذ كان يترقب فرصته طوال سبع سنين أليمة كزعيم لحزب العمل المعارض، فقد أقام علاقات مع المسئولين والسياسيين الأمريكيين كلما سنحت له الفرصة لذلك. وبفضل ما تمتع به من سرعة بديهة فى المحادثة، وبفضل جاذبيته وحصافته وفضوله الفكرى وتحليله البصير للمعضلات التى تعانى منها إسرائيل أصبح يجد ترحيبا كمتحدث وضيف. وإن فى وسعه أن يبدى مشاطرة وجدانية تجاه مشكلات أمريكا، وكذلك مشكلات العرب المعتدلين مثل السادات ومبارك وحسين.

يضاف إلى هذا أن وزيرى الدفاع فى إسرائيل خلال فترة ريجان الثانية عمل كلاهما سفيراً فى واشنطن، وكان لهما أصدقاء كثيرون فى الإدارة ودوائر الكونجرس، ومنهم الوزيران، واينبرجر وشولتز. وفهما بصورة أفضل، من معظم الإسرائيليين، النظام المعقد واللامركزى والذى لا يخضع لسيطرة ما والذى بمقتضاه تخرج السياسة الخارجية للرئيس إلى حيز الوجود. وكان آرينز أقرب حليف سياسى لشامير فى حزب الليكود. أما رابين، وهو رئيس وزراء سابق من حزب العمل، فطالما كان غريم بيريز اللدود فى زعامة الحزب. إلا أن كليهما توصلا فى آخر الأمر إلى صيغة عملية فى الحملة الإنتخابية لعام ١٩٨٤، وعملا معا بهدوء فى الحكم فى هذه المرة وإن عاودهما بعض أسباب الحذر.

(هـ) وأدت التغييرات بين زعماء إسرائيل إلى تبدل الجو الظاهرى للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى فترة ريجان الثانية. ومع

استثناء نادر، تعامل هذا الكادر من الزعماء الإسرائيليين مع واشنطن بإعتبارها عاصمة أكثر أصدقاء وحلفاء إسرائيل أهمية وحسما. وعاملوا زعماء الولايات المتحدة بإعتبارهم أصدقاء يراد إقناعهم أو محاورين فى خلاف شريف وليس باعتبارهم خصوماً. ولم يلبث التغيير فى أسلوب العلاقة الرسمية أن صار ملموسا حتى بالنسبة لواينبرجر، الذى كان أكثر أعضاء إدارة ريجان تشاؤما من تعزيز الروابط الإستراتيجية والسياسية بين إسرائيل وواشنطن. وعاد ريجان إلى تعاطفه الطبيعى مع إسرائيل.

(و) وخلال فترة شامير كرئيس للوزراء لمدة عامين التى تلت فترة بيريز، تضاعفت التعقيدات. وإذ أن بيريز لم يستطع أن يتكيف بسهولة لدور الرجل رقم (٢) فى الحكومة. لقد مَل روتين وزارة الخارجية، وعقد العزم على أن يدفع استراتيجيته الخاصة بالسلام إلى الأمام، لذا فقد نحى جانباً تحفظات شامير، ولاحق حسين وشولتز بإقتراحات اعترض عليها شامير، وكان يتصرف فى الخارج وكأنه لم يجر أى تناوب فى المناصب بينه وبين شامير.

وفيما يتعلق بريجان وشولتز، فإن هذه الدبلوماسية العجيبة قد أصبحت فى آخر المطاف أمراً يثير الأعصاب نوعاً ما. ولئن أصبحت علاقة رابين، وايبينرجر، وعلاقة جيش الدفاع الإسرائيلى والبنتاجون، مستقرة الان بصورة عامة فى شكل مثمر بين محترفين، فلقد كان على شولتز أن يتعامل دائما مع سياستين خارجيتين إسرائيليتين متعارضتين، ولو بالنسبة لأهم مشكلة وأعقدها

ألا وهى: كيف يستطاع متابعة عملية صنع السلام فى المنطقة. لقد عجز بيريز وشامير عن أن يتفقا شهوراً على بديل لسفير إسرائيل فى واشنطن، وهو الذى كان يمثل بصورة دائمة تقريباً رابطة حساسة فى سلسلة العلاقات مع الإدارة والكونجرس والجمهور الأمريكى. فلم يكن لدى بيريز ثقة فى الشخص المرشح، وهو مائير روزين، الموظف المجتهد والخبير القانونى الدولى الذى أختاره بيجين بنفسه لهذا المنصب. وأخذ بيريز يتخطى روزين ويتعامل مع شولتز من خلال مبعوثين شخصيين، ومن خلال السفير الأمريكى فى تل أبيب. ورد شامير على ذلك بأن أوفد مبعوثيه الخاصين إلى واشنطن، منهم موشى آرينز صديق شولتز، لتحذير شولتز من النظر إلى مقترحات بيريز بإعتبارها تمثل السياسة الإسرائيلية. وكان وزير الخارجية غارقا فعلا فى أزمة ريجان الخاصة بإيران - الكونترا - ، ودبلوماسية جورباتشوف التى تخطف الأبصار.

(ز) وأيا كان الأمر، فقد كانت واشنطن شديدة التشاؤم من احتمالات تحقيق أى عملية اقتحام للجبهة الدبلوماسية العربية الإسرائيلية، كما أن الإشارات المتضاربة التى كانت تخرج من إسرائيل عززت طبيعة الحذر. ثم إن التعامل مع جناحى الوزارة الإسرائيلية دون فقدان ثقة أيهما قد واجه السفير (الأمريكى) فى تل أبيب بتحدٍ غير عادى. وصفوة القول إذن أن حكومة الوحدة الوطنية فى إسرائيل قد حافظت على استقرار العلاقات الأمريكية الإسرائيلية على الصعيد الكلى، ولكنها واجهت فريق ريجان الدبلوماسى بمشكلات دقيقة لا حل لها.

وكان عنصر التعاون الجديد بين الولايات المتحدة وإسرائيل عصراً مربحاً جداً فى المجال الاقتصادى. فقد تم إنجاز إتفاقية للتجارة الحرة وصودق عليها.

و وجدت صناعة إسرائيل الحربية أن الأبواب أمامها مفتوحة إلى الأسواق الحربية الأمريكية. والأهم هو أن إدارة ريجان والكونجرس استجابا بلباقة وحكمة وسخاء لما طلبته إسرائيل من المشورة والدعم المالى للتصدى لأزمتها الاقتصادية.

(ح) وكانت هناك قضايا أخرى واجهت واشنطن وإسرائيل بتحديات عسيرة فى السنوات الأخيرة لريجان فى منصبه. وهى لم تسبب إلا ضرراً قليلاً فى العلاقات لأنها عولجت فى العاصمتين علاجاً دقيقاً. ولو كان التعامل جرى مع زعماء آخرين، لكان من المحتمل أن يتخلف عنها تأثير انفجارى. ذلك أن رغبة الإدارة (الأمريكية) فى بيع أسلحة متطورة إلى الأردن والمملكة العربية السعودية أثارت معارضة لا مفر منها فى إسرائيل وفى الكونجرس.

وكانت هناك قضية مزعجة تتعلق بالتجسس الإسرائيلى فى الولايات المتحدة - وهى «قضية بولارد» - فهددت هذه القضية بإثارة مواجهة قاسية، ثم إن الدور الكبير الذى لعبته إسرائيل فى محاولة ريجان الخاطئة لاستخلاص الرهائن الأمريكيين من أيدى الإرهابيين ببيع الأسلحة إلى إيران سراً، كان من شأنه أن يضر بالعلاقات ضرراً شديداً، ولكنه لم يحدث. ومع دخول كل من إسرائيل والولايات المتحد فى مواسم الحملات الإنتخابية الوطنية فى

نوفمبر ١٩٨٨، فقد بلغت العلاقة بين إدارة ريجان وزعماء إسرائيل أعلى مستوى من المودة بلغته فى جميع الأوقات.

٣ ـ تصور ريجان للسلام:

(أ) نعى كثيرون من رجال الشرق الأوسط والأوربيين والأمريكيين على ريجان وهيج وشولتز أنهم سمحوا لعملية السلام العربى الإسرائيلى بأن تتوقف. وقيل إن إدارة ريجان أكدت على قضايا الصراع بين الشرق والغرب، والقضايا الإستراتيجية العسكرية، فى حين أهملت أعطاء قدر كاف من الوقت والإهتمام والإصرار للمضى قدما بإرث كارتر فى كامب دافيد.

وكان ريجان ومستشاريه، يتابعون مهمة صنع السلام بصورة متقطعة وكرد فعل للضغوط والأحداث الإقليمية. إستثناء ما يسمى «بمبادرة ريجان للسلام فى الشرق الأوسط» التى صدرت فى أول سبتمبر ١٩٨٢ ـ قد أعدّ بمهارة من حيث جوهرة، ولكنه ولد ميتاً. وظلت إقتراحات المبادرة مطروحة على المائدة أمام الإسرائيليين والعرب طوال السنين الست التالية.

وبذل شولتز ومشاركوه فى وزارة الخارجية جهوداً جاهدة ـ إن لم تكن عارضة ـ لإقناع الأردن وإسرائيل وبعض العناصر الفلسطينية بتبنى المبادرة، بعد القمة الثانية عشرة للجامعة العربية التى إنعقدت فى فاس بالمغرب فى أوائل سبتمبر دون أى ترفضها صراحة، وإن كانت القمة أقرّت المشروع العربى الخاص (خطة فاس). غير أن رفض بيجين المباشر والمتهور للمبادرة أطفأ حماس ريجان.

(ب) إلا أن التوقيت كان غير مناسب أبداً وراء هذه التقلبات الجوية السياسية، وذلك لأن إسرائيل كانت فى شغل شاغل بلبنان الذى كان يمثل بالنسبة لها أولوية وطنيه طاغية تستأثر بكل إهتمامها. وإلى أن يتم إستيعاب نتائج الحرب، وتعود القوات إلى بلادها، وتوضع علاقة جديدة محددة مع بيروت تشبه ـ على الأقل ـ علاقة السلام الشكلى ، فلم يكن بين زعماء إسرائيل من هو على إستعداد أو لديه القدرة لمعالجة أعصى الموضوعات السياسية جميعا.

ألا وهو موضوع مستقبل الضفة الغربية. وقد يكون شيمون بريز بوصفه زعيماً للمعارضة، قادراً على تحمل ترف تأييد مبادرة ريجان، إذ لو كان هو رئيساً للوزراء فى ذلك الوقت، لكان مجال المناورة الديبلوماسية أمامه محدوداً بدرجة أكبر.

(جـ) وأخيراً فإن المد الدرامى لموجة العنف فى الأراضى المحتلة الذى ارتفع على غير توقع فى ديسمبر ١٩٨٧ أقنع ريجان وشولتز بالتقدم بمبادرة ديبلوماسية أمريكية من طراز رفيع لإحياء عملية السلام المحتضرة وذلك من خلال إقتراح أمريكى يستند إلى تقريب الإطار الزمنى للمفاوضات الذى اتفق عليه فى كامب دافيد.

وكانت إمكانيات النجاح قليلة، إذ كان شامير وبيريز على طرفى نقيض،وكانا يتطلعان إلى انتخابات جديدة، وكان حسين حذراً، والأسد معارضاً، ومنظمة التحرير الفلسطينية غير راغبة فى السماح للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة بأن يرقوا إلى مرتبة تحدى شولتز

الدبلوماسى. إلا أن الأحداث أكرهت ريجان على مالا يحب وأقنعته بأن يبذل جهداً بغض النظر عن قله إحتمالات النجاح.

(د) وفى الدور المرتقب لريجان كصانع سلام فى الشق الأوسط، رزخ على مدى فترة رياسته الثانية تحت وطأة النيران المتقاطعة المنبعثة من المنافسة السياسية المحلية الإسرائيلية، وكذلك تحت وطأة الوضع الضعيف لحسين فى الساحة العربية، والإنهيار الذى أصاب رصيد ريجان السياسى فى أواخر عام ١٩٨٦ بسبب قضية بيع السلاح لإيران. ولم تكن المشكلة المحورية تتمثل فى الإفتقار إلى مبادرة أمريكية.

وعلى أن مما يبعث على الإهتمام أن الإدارة الأمريكية التى كانت فى بادئ الأمر تستنكف من سياسات كارتر بشأن الشرق الأوسط قد باتت بعد ثمانى سنوات عصيبة تعجب بما إنطوت عليه إتفاقيتا كامب دافيد من تنازلات دقيقة. بل أن ريجان بات يتقبل بصورة أولية فكرة وجود ضرب من ضروب الرعاية الأمريكية السوفييتية لمفاوضات الشرق الأوسط مع توافر ضمانات دقيقة. أما الفكرة الرئيسية التى وردت فى كامب دافيد بشأن قيام نظام إنتقالى مؤقت فى الضفة الغربية وغزة، فقد أصبحت بحلول عام ١٩٨٨ عنصراً محورياً فى تفكير إدارة ريجان بشأن النتائج المحتملة للتفاوض.

٤ ـ تصور عام: ـ

(أ) إن إثنتى عشرة سنة مضطربة تنتهى الآن بأزمة ممتدة مثبطة للهمم بشأن سيطرة إسرائيل على الأراضى المحتلة، وبجهود

مثابرة يبذلها شولتز لتوجيه الإنتفاضة الفلسطينية خلال القنوات الديبلوماسية نحو إجراء مفاوضات للتوصل إلى تسوية سليمة. وإن أساليب إسرائيل التى تتسم بالعجز فى بادئ الأمر، وبالفظاظه فى كثير من الأحيان، التى تلجأ إليها لإخماد عنف الإنتفاضة قد أهتز لها كثير من الأصدقاء الأمريكيين المخلصين، وبصورة خاصة بعض أقسام اليهود الأمريكيين. إلا أن إدارة ريجان لم تتخلف عن تأييد إسرائيل فى هذه الشهور التى عانت فيها إسرائيل من الإحباط، بينما يكابد جيش الدفاع الإسرائيلى مشقة فى محاولة لإستعادة السيطرة وإعادة إقرار الوضع على ما كان عليه وهو مالن يتحقق تماماً. وفى الوقت عينه، فالسياسة التى تسير عليها الولايات المتحدة تؤيد إسرائيل تأييداً قوياً فى المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة، كما يجرى التوسع فى هدوء فى إعداد مجموعة من ترتيبات التعاون العسكرى الإستراتيجى، وهناك منطقة للتجارة الحرة بدأت تدر ثماراً تجارية راسخة للبلدين، كما أصبحت إسرائيل أكثر أمناً ضد أى عدوان عربى خارجى منها فى أى وقت مضى منذ الإستقلال، فضلاً عن أنها فى سلام رسمى مع مصر.

وتضم هذه الصورة العريضة (البانوراما) إقتصاداً إسرائيلياً استرد عافيته، وقليلا من فتح الأبواب السوفيتية أمام (هجرة) اليهود الروس، وتضاؤلاً فى العزله الدولية للدبلوماسية الإسرائيليه، وتأييداً طاغياً من الكونجرس والشعب لإسرائيل ولإحتياجاتها إلى المعونه الإقتصادية والعسكرية، وعلاقه عمل وثيقه بين كبار القادة الأمريكيين والإسرائيليين بالقدر الذى يمكن تصوره بين أمتين

متبانيتين وذاتا سيادة. إلا أن قليلين من الإسرائيليين هم الذين يثقون ثقة كبيرة فى إستمرار هذه الحال على مدى عام ١٩٨٩ وما بعده.

(ب) يتضمن التحليل السابق عدة عناصر هى: -

أولاً: أن كل عاصمه تتوقع من العاصمة الأخرى شيئاً كثيراً جداً.

ثانيـــاً: أن الولايات المتحدة دولة عظمى لها أدوار عالمية ولها مسئوليات مفهومة. أما إسرائيل فهى - فى أحسن الأحوال دولة إقليمية صغيرة لديها جيش وسلاح جوى قويان، وتشغلها أسباب قلق حول أمنها المباشر. وهذا المنظور المختلف للأحداث كثيراً ما يؤدى إلى خلاف حاد.

ثالثا: أن للولايات المتحدة إنطباعات مغايرة حول مدى كون الخطر الذى يهدد إسرائيل من الإرهاب أو من هجوم عسكرى سافر خطراً مباشراً. وإسرائيل قريبة من خطر متصور يجئ من قواعد جوية وقذائف صاروخية وقواعد للإرهابيين.

أما واشنطن فهى بعيدة جدا عن هذه المخاطر والمحللون الأمريكيون والإسرائيليون الذينً يجرون تقييماً للتهديدات يسمحون دائما بوجود هوامش متباينة للخطأ.

رابعـاً: أن تاريخ إسرائيل يجعل من الصعوبة بمكان قبول بيانات حول نوايا العرب السلمية. يضاف إلى هذا أن الأصوات الفلسطينية التى ارتفعت أثناء الإنتفاضة الأخيرة، والتى أكدت أن فلسطين بأسرها ينبغى أن تكون عربية خالصة، إنما تزيد من إعتقاد إسرائيل الجازم بأن هذه المعركة إن

هى إلا معركة أخرى فى حرب إسرائيل الطويلة فى سبيل البقاء. وإن المسئولين الأمريكيين الذين يقفون وقوفاً ميسوراً على التيارات الناشئة فى العواصم العربية سوف يختلفون فى كثير من الأحيان إختلافاً حاداً مع المحللين الإسرائيليين المتشائمين إزاء نوايا منظمة التحرير الفلسطينية، أو نوايا بلدان مثل المملكة العربية السعودية أو العراق.

خامساً: أن الشعبين الأمريكى والإسرائيلى بينهما روابط عميقة دينية وعائلية وتاريخية، وهو ما يعنى أن سياساتهما الوطنية تترابط بدورها. ولعل من الإعتبارات الفريدة أن تفادى التدخل المتبادل فى السياسات المحلية من طرف للطرف الآخر هو هدف يستحيل تحقيقه.

سادساً: أن ردود الفعل المتبادل بين الزعماء تؤثر فى وضع هذه العلاقة بأكثر مما تؤثر فى علاقة أى بلدين آخرين.

سابعاً: أن تنامى إعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة إعتماداً إقتصادياً منذ عام ١٩٧٣ يضخم من الشعور المألوف بالاستهداف الذى تستشعره أمه صغيرة فى نظرتها إلى دولة أكبر منها ترعاها. وإسرائيل بوصفها دولة يهودية تشعر أن من اليسير تعرضها للخطر بصورة خاصة بسبب التأرجح الذى يطرأ على السياسة فى عاصمة حليفها الأكبر بل الوحيد.

والأرجح لهذه الأسباب أن يستمر هذا النمط المتذبذب فى الإدارات الأمريكية المقبلة. إن الإقلال إلى أدنى حد ممكن من حدة

التـأرجح إنما يتـوقف فى المقـام الأول على قـرارات إسـرائيل فى المسـتـقـبل، وعلى الناخـبين الأمـريكيين. وبالنسـبـة للإنقسـامـات الإسرائيلية الأمـريكية فهى أمر مقدور عليه طالما أن الرؤساء ورؤساء الوزارات ووزراء الخـارجيـة والدفـاع فى الدولتين يسعـون إلى حلهـا جـاهدين بإعـتبـارها خـلافـات بين أصـدقـاء حـسنى النيـة، وليست مـواجـهـات مـبيتـة بين خـصـوم. وإن العناصـر الأسـاسية التى تصـون رابطة الحلف الأمـريكى الإسـرائيلى غيـر المكتـوب ستـسـتمـر طوال المستقبل المنظور.

(جـ) وأخيراً مـا هو إرث كامب دافيد؟ إنه فوق أى إعتبار آخر، نزاع عـربى إسرائيلى قد جـرى تغيـره تغـييـراً دائمـاً فـى بعض من أبعاده الأسـاسيـة، فـالحـاجز النفسى الذى كـان يقوم سدا يبـعد إسرائيل عن بقية المنطقة بدأ يتهاوى.

وأثبـتت كـامب دافيد أيضـا أن المشاركـة الفعالة المتعـاطفة من جانب رئيس أمريكى فى وسعها - متى كانت الأرض ممهدة لذلك - أن تقلب الميزان بحيث تمكن زعيماً إسرائيلياً من أن يتنازل فى سبيل تحقيق إتفاق.

إن فـشل كـامب دافـيـد فى حل المشكلة الفلسطينيـة «بجـمـيع جوانبها» كـان نذيراً بمجئ عقد من الركود والإحباط. وتتمثل إحدى النتائج المباشرة لهذا الفشل فى الحرب اللبنانية، وفى الإنشقاق العميق الذى أحـدثتـه بين واشنطن وإسرائيل. وعلى أى حـال، فقـد لاح قبل عام ١٩٨٨ أن هناك تفاهمـاً متزايداً بطيئـا بين سكان المناطق المحتلة بأن عليهم أن يقبلوا - بالنسبة للمستقبل المرئى بعض التنازلات.

إن كامب دافيد بالنسبة لإسرائيل قد زادت من إعتمادها النفسى والإقتصادى على الولايات المتحدة. ولئن فتحت الحدود إلى مصر، فإن «السلام البارد» الذى جاء فى أعقاب ذلك قد بدد كثيرا من أحلام إسرائيل حول السلام.

وهكذا، فإن العقد الذى شهدته العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قد هيمنت عليه كامب دافيد هى والدوامات التى حركتها، وهى موجات أوشكت الآن على الزوال، وربما أثبتت الإنتفاضة الفلسطينية فى آخر المطاف على أنها المحرك والدافع الجديد والجوهرى لكسر الركود الحالى فى السياسة الإسرائيلية الداخلية، وفى العلاقات العربية الإسرائيلية.

القسم الحادى عشر

التصور السوفيتى للسلام
فى الشرق الأوسط
ونظرته لكامب دافيد

التصور السوفيتى للسلام في الشرق الأوسط

١ - الاهتمامات السوفيتية فى الشرق الأوسط:

كان للشرق الأوسط أهمية خاصة من بين اهتمامات الاتحاد السوفيتى العالمية بسبب موقعه الاستراتيجى بوجه خاص واقترابه - وخاصة من خلال الصراع العربى الإسرائيلى - من الحدود السوفيتية. وهو أمر دعا إلى أهتمام الأتحاد السوفيتى، لأن الشرق الأوسط كان مجالا رئيسيا لإهتمامات الغرب العسكرية والسياسية فى إطار ما اطلق عليه المجابهة مع الأتحاد السوفييتى.

ويضاف إلى ما سبق، الأهمية الأقتصادية الخاصة للشرق الأوسط بسبب علاقات الأتحاد السوفييتى الأقتصادية بكثير من بلدانه وبخاصة أبان تصاعد القومية العربية فى الستينات. وفى هذا الصدد فإن... الاتحاد السوفييتى يدرأ عن شبهة أنه يسعى وراء نفط الشرق الأوسط.

وكان فى كل تحركاته يدرك المصالح الموضوعية للغرب فى المنطقة والتى تتمثل فى النفط والملاحة البحرية وعلاقاته بدول

المنطقـة وهـى مـصـالح لا يجب أن تقـوم على حـسـاب المصـالح السوفييتية المماثلة.

وفى إطار هذه الرؤية يعطى الأتحاد السوفـيـيتى اهتـمـامـا بالغا بالأستقرار فى الشرق الأوسط وكان يسير وفق المبادئ التالية:

= أهمية التسوية الشاملة التى تستند إلى حل وسط.

= أهميـة خاصة لحل المشكلة الفلسطينية وفق حق تقرير المصير من خلال إقامة دولة قومية وبدون ذلك يستحيل تحقيق تسوية.

= حق الوجود لجميع دول المنطقة.

= إبقـاء المنطقة خـارج مجـال المجابهـة الأمريكيـة السوفـيتـيـة، وشجب ما يروجه الغرب بأن للأتحاد السوفييتى مصلحـة فى استمرار الصـراع العـربى الإسرائيلى دون تسـوية، وهو منظور خـاطئ لأن استقرار المنطقة يهم الأتحاد السوفييتى الذى يسعى فى النهاية - وفق مبادئه - إلى إقرار السلام، والدليل على ذلك أن استمرار الصراع لم يدعم مواقع الأتحاد السوفيتى ولم يقو التيارات اليسارية، ولم يضعف القوى المحافظة فى المنطقة.

٢ - دلائل حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى التصور السوفييتى:

لم يقم الأتحاد السوفـيـيتى بتـشـجـيع الحل العسكرى فى الشرق الأوسط، وعندمـا قـدم مسـاعـدات عسكرية لدول المنطقة كـان ذلك بهدف كبح السياسات التوسعية لإسرائيل ومنع الأندفاع نحو الحرب، والدليل على ذلك أن الاتحاد السوفييتى كـان يكبح السادات فى ميله نحـو الحل العـسكرى، ولذا قـام السـادات بطرد الخـبـراء العـسكريين السوفييت فى يوليو ١٩٧٢، وهو أمر شجعته الولايات المتحدة، كما

شجعت السادات فى عام ١٩٧٦ على إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون التى أبرمت بين مصر والاتحاد السوفييتى عام ١٩٧١ - وعلى عكس الاتجاه السوفيتى قامت أمريكا دوما بدفع الأحداث ناحية الانفجار العسكرى.

ومع اندلاع حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان الأمل أن تكون محدودة، إلا أن الواقع اثبت عكس ذلك. مما دعا مجلس الأمن لاصدار القرار ٣٣٨ فى ٢٢/١٠/١٩٧٣ ربط فيه بين وقف الأعمال العسكرية وبين البدء فى تسوية سلمية شاملة، إلا أنه بعد الموافقة على القرار مباشرة بدأت الولايات المتحدة تفصل بين إيقاف الأعمال العسكرية وبين تحقيق تسوية شاملة. وانتهى الأمر بتفريغ محتوى مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ من أجل أفساح المجال أمام الصفقة التى كانت تدار خفية بين كل من الولايات المتحدة ومصر وإسرائيل، بدءا باتفاقيتى فض الإشتباك الأولى بين القوات المصرية والإسرائيلية وبين القوات السورية والإسرائيلية عام ١٩٧٤، وكان هدف الأتفاقيتين عزل القضايا ونهج التسويات الجزئية هو الالتفاف حول الحاح مطلب التفاوض والتسوية فى الوقت الراهن ورفع حظر النفط وإنهاء عزلة إسرائيل بسبب ضغوط أوروبا الغربية واليابان.

٣ - بوادر التسوية :

كان مجئ إدارة الرئيس كارتر مبشرا باحتمالات التسوية، وخاصة أن مساعدية، كانت لديهم أفكارا جيدة حول تسوية الصراع بالمنطقة، وبالفعل أثمرت الاتصالات بصدور بيان مشترك أمريكى - سوفييتى فى أكتوبر ١٩٧٧ أكد على أهمية التسوية الشاملة وانسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧، وحل المسألة الفلسطينية بما

فى ذلك احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، وقد انصاعت الولايات المتحدة بعد ذلك للضغوط الإسرائيلية وتم وأد البيان المشترك.

وكانت زيارة السادات إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ بمثابة تعويق لاستمرار مؤتمر جنيف رغم أنه وصف الزيارة بأنها تستهدف «اختراق الحاجز النفسى»

وقد أدت أحداث يناير ١٩٧٧ (انتفاضة الخبز) واضطراب الجبهة الداخلية المصرية إلى إسراع السادات إلى تسوية مصرية - إسرائيلية. وكانت أهداف زيارة السادات - وفق تصور السوفييت - هى: استعادة سيناء وتحول مصر إلى أحد الشركاء الرئيسين للولايات المتحدة (١). هذا ولم يكن السادات يستهدف الحل المنفصل أول الأمر، ولكن إسرائيل أخطرته فى النهاية إلى قبول الحل الجزئى المنفصل وذلك بفضل مساعدة الولايات المتحدة وسعيها وراء الأهداف الإسرائيلية وانتهى الأمر فى سبتمبر ١٩٧٨ بتوقيع إتفاقيتى كامب دايفد، وفى مارس ١٩٧٩ بتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية المنفصلة.

٤ - تقييم معاهدة السلام المصرية (منظور سوفييتى)

روج خبراء أمريكيون بأن معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية لم تعبر عن حل منفصل لأن دباجتها تؤكد أهمية الحل العادل والشامل والدائم وفقا لقراراى مجلس الأمن ٢٤٢ - ٣٣٨، ثم عادوا فأكدوا بأن المعاهدة تحولت إلى حل منفصل بعد ذلك وهو قول لم يقبله الخبراء

---

(١) أى تغيير المواقع من الاتحاد السوفييتى إلى الولايات المتحدة من أجل تسوية معقولة والحصول على المعونات الأمريكية.

السوفييت الذين رأوا فى المعاهدة صفقة منفصلة لصالح إسرائيل وقدموا أمثلة على ذلك منها:

١ ـ أصبح للمعاهدة مع إسرائيل الأولوية على ما عداها من التزامات مصر فى حالة التضارب، وتبين خطورة ذلك من أن أضخم قوة عسكرية «مصر» قد استبعدت من النزاع.

٢ ـ لم تؤكد الصفقة حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره بل أشارت إلى سلطة الحكم الذاتى فى الضفة وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان، وهذا الأمر لايعترف بحق تقرير المصير ولا بوجود الشعب الفلسطينى ـ بل مجرد سكان ـ والحكم الذاتى يكون للسكان وليس للأرض.

٣ ـ لم تمنع الصفقه أقامة المستوطنات.

٤ ـ أضفى أصطلاح «سلطة الحكم الذاتى» شرعيته على الاحتلال الإسرائيلى ودعم من سياسة الاستيطان.

٥ ـ دعمت الصفقة من ظروف توسيع التواجد العسكرى الأمريكى الدائم فى المنطقة وفاء بمهمة تنفيذ المعاهدة.

وقد صدق حدس الخبراء السوفييت فقد قامت إسرائيل بعد توقيع صفقة كامب دافيد ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بمضاعفة اعمالها التوسعية والعدوانية، فقامت بانشاء المزيد من المستوطنات، ورفضت بشكل قاطع قيام دولة فلسطينية ورفضت التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأعلنت ضم القدس وأنها أصبحت عاصمة أبدية لإسرائيل، وقامت بضرب المفاعل النووى العراقى... وضم الجولان إليها، ثم أقدمت على غزو لبنان عام ١٩٨٢ .

٥ - كامب دافيد فى التصور السوفيتى:

يمكن القول أن معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية قد أصبحت إحدى حقائق المنطقة، وأدت إلى تشدد إسرائيل تجاه كل مسائل التسوية وخاصة المسألة الفلسطينية والأردنية والسورية واللبنانية.

واحدثت صفقة كامب دافيد مشاكل ومواقف جديدة مثل تفاقم الصراع فى الشرق الأوسط، ووضوح الطابع الثورى على الصراع واحتمالات تزايد التطرف الأصولى فى المنطقة ككل، كما أحدثت صفقة كامب دافيد شقاقا داخل العالم العربى وأضعفت النضال العربى بإخراج مصر من المعركة، وطفت الحرب الإيرانية - العراقية على السطح، وزاد لهيب الحرب الأهلية فى لبنان عام ١٩٧٥، واستمر الاتحاد السوفييتى على قناعته بأن المهمة العاجلة لاتزال تحقيق حل شامل وعادل وأيضا إشاعة الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

وبرغم شدة وطأة الأحداث فى الخليج (الحرب العراقية - الإيرانية) التى بدأت فى سبتمبر عام ١٩٨٠ - تقدم الإتحاد السوفييتى فى سبتمبر ١٩٨٢ باقتراحات مفصلة من ست نقاط بشأن إيجاد تسوية عادلة فى الشرق الأوسط [١] مستفيدا من المناخ العام لمؤتمر القمة العربى الذى عقد فى مدينة فاس بالمغرب فى سبتمبر ١٩٨٢ والذى عرض لأول مرة فى التاريخ اقتراح عربى جماعى عن تسوية شاملة مع إسرائيل متضمنا الأعتراف بإسرائيل [٢].

---

(١) أنظر الجدول آخر القسم.

(٢) أنظر نفس الجدول السابق الأشارة إليه.

وتزامنا مع المقترحات السوفيتية ومقترحات القمة العربية في فاس أعلنت مبادرة الرئيس ريجان.

وقد لاحظ الأتحاد السوفييتي أن الولايات المتحدة تربط بين الحلول المنفصلة وبين توجيه أهتمام العرب إلى ما اسمته التهديد السوفييتي، كما واكب النشاط السياسي الولايات المتحدة العمل على تكثيف وجودها العسكري في المنطقة، وقد سبق أن وقعت الولايات المتحدة مع إسرائيل اتفاقا التعاون الأستراتيجي عام ١٩٨١، وأكدته باتفاق جديد عام ١٩٨٣، وأصبحت الولايات المتحدة وخاصة في ظل إدارة ريجان أكثر تسامحا عن ذي قبل بالنسبة للتوسع الأقليمي الإسرائيلي ورفضها تنفيذ القرارات الدولية، وبذلك أخذت الولايات المتحدة تتجه بشكل رئيسي نحو فكرة الحلول المنفصلة.

ورغم ضغط كل من الولايات المتحدة وإسرائيل فقد فشلت الولايات المتحدة في ترويج نموذج كامب دافيد لكل من الأردن ولبنان وأصبح التصور الأكثر الحاحا هو أن تكون التسوية الشاملة هي البديل الوحيد لاتفاقيتي كامب دافيد.

وفي منتصف الثمانينات تطورت الظروف الدولية لصالح عقد مؤتمر دولي وقبل المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر في أبريل ١٩٨٧ فكرة المؤتمر الدولي، وقد أضافت الانتفاضة الفلسطينية في ديسمبر ١٩٨٧ قوة دفع هائلة للمطالب الفلسطينية.

ولاشك أن الاسترخاء الذي حدث بسبب المتغيرات السوفيتية (البيروسترويكا - والجلاسنوست) والتي بدأت في أبريل ١٩٨٥ مضافا إليها توقيع المعاهدة السوفيتية الأمريكية بشأن إزالة القذائف

المتوسطة والقصيرة المدى فى شهر ديسمبر ١٩٨٧ ، وأدى ذلك إلى نمو مناخ المؤتمر الدولى للسلام.

وكان من أبرز اهتمامات الأتحاد السوفيتى تخوفه ورفضه لموجة الأعمال الأرهابية فى الشرق الأوسط وهى موجه لم تهئ الظروف المناسبة لحل المشكلة الفلسطينية - وقد اتجه النشاط الدبلوماسى السوفيتى إلى تنمية رأى عام دولى مناسب لخدمة أهداف النضال الفلسطينى المشروع، ولذلك يعترف العالم كله الآن فيما عدا (اسرائيل والولايات المتحدة) بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

وأخيرا فإن الأتحاد السوفيتى لا يعارض حل المشكلات خطوة خطوة شريطة أن تكون الخطوات متصلة فى أتجاه تسوية شاملة، ولذلك يمكن الجمع بين الحل الشامل والمفاوضات الثنائية المباشرة بين البلدان العربية وإسرائيل آخذين فى الأعتبار ضمان التمثيل الفلسطينى الحقيقى فى المفاوضات، بالأضافة إلى أن نفوذ كل من الأتحاد السوفيتى والولايات المتحدة سيكون هاما من أجل عقد مؤتمر دولى فعال، وبدون هذا التوجه الذى يستند إلى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحقوق الأطراف الأخرى وصولا إلى الحل الشامل قد يواجه الجميع مصائب جديدة ، والجميع بمعنى العرب وإسرائيل والمجتمع الدولى بأكمله.

«الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط «دار السلسبيل الكويت ١٩٨٦م ص ص ٥٣٢ ـ ٥٤٨» *

الموقف الأوروبى	مبادرة فهد (ولى لعهد) أغسطس ١٩٨١م	مبادرة ريجان ـ أكتوبر ١٩٨٢م	خطة فاس ـ نوفمبر ١٩٨٢	خطة السلام السوفييتية فى مطلع عام ١٩٨٢م
من خلال جلسات الحوار العربى الأوروبى (لجنة الحوار فى تونس فبراير ١٩٧٧) ١ ـ عبر الجانبان عن القلق البالغ حول الأزمة لإنعكاسها على الأمنين الأوروبى والعالمى. ٢ ـ أساس التسوية هو الإعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومنها التعبير الفعلى عن كيانه الوطنى المستقل. ٣ ـ القلق من إستمرار إحتلال إسرائيل للأراضى العربية منذ عام ١٩٦٧ . ومعارضة التوسع فى إنشاء مستوطنات. (ومن خلال بيان المجموعة الأوربية فى يونيو ١٩٧٩). ٤ ـ إدانة المستوطنات فى الضفة الغربية. (ومن خلال خطاب دول المجموعة بالجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر ١٩٧٩).	١ ـ إنسحاب إسرائيل من الأراضى التى إحتلتها عام ١٩٦٧ . ٢ ـ إزالة المستوطنات من الضفة ومن جميع الأراضى العربية المحتلة. ٣ ـ كفالة حرية العبادة لكافة الطوائف الدينية فى الأراضى المقدسة. ٤ ـ الإعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم وتعويض من لا يرغب فيهم فى العودة. ٥ ـ وضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت وصاية الأمم المتحدة لفترة إنتقالية تستمر لعدة أشهر. ٦ ـ إقامة دولة فلسطينية مستقلة على أن يكون القطاع العربى من القدس عاصمة لها.	١ ـ التأكيد على إلتزام الولايات المتحدة لضمان أمن إسرائيل وذلك بتعزيز قدراتها الدفاعية وضمان حدود يسهل الدفاع عنها ووجود مناطق منزوعة السلاح بتواجد قوات تابعة للأمم المتحدة. ٢ ـ الحكم الذاتى للفلسطينيين لفترة إنتقالية لا تزيد عن خمس سنوات كخطوة لإلحاق الضفة وغزة بالأردن وعدم السماح بإقامة دولة فلسطينية على أن يعترف الفلسطينيون بإسرائيل. ٣ ـ التأكيد على مبدأ مقايضة الأرض بالسلام وفقا للقرار ٢٤٢ ـ وإتفاقيات كامب ديفيد مع ضرورة تطبيع العلاقات. ٤ ـ رفض إعادة تقسيم القدس مع وجود ترتيبات تحفظ حق كل طرف.	إعتمد مؤتمر قمة فاس الثانى مبادرة الأمير فهد كأساس للتسوية وإستجاب للشرط السورى بعدم الخوض فى مبادرات عن عودة مصر إلى الصف العربى. ٢ ـ تشكيل لجنه سباعيه لشرح الحطه لقادة الدول العربية. ٣ ـ قامت خطة فاس على أساس الحلول الوسط بسبب الموقف المتردى فى لبنان بعد الغرو والضغط المتزايد على المقاتلين الفلسطينين فيه ولخروج مصر من حلبة المواجهه. ويلاحظ أن:ـ ـ أيدت مصر المبادرة رغم تفضيلها لمبادرة ريجان بسبب إمكانية تنفيذها. ـ وجاء تأييد مصر لخطة فاس	١ ـ إنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى العربية التى إحتلتها عام ١٩٦٧ . ٢ ـ ضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى بما فى ذلك إقامة دولة مستقلة فى الصفة وعزة. ٣ ـ إيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئيه الفلسطينين. ٤ ـ الإعتراف بحق كل دول المنطقة فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة معترف بها. ٥ ـ تعهد إسرائيل بالكف عن بناء المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة. ٦ ـ عقد مؤتمر دولى للتفاوض حول الإحراءات والترتيبات فى إطار الأمم

* المرجع : د. اسماعيل صبرى مقلد.

٥ ـ المطالبة باحترام حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. (ومن خلال إعلان مؤتمر البندقية للمجموعة الأوروبية يونيو ١٩٨٠). ٦ ـ أكد إحترام حق دول المنطقة بما فيها إسرائيل في الوجود والأمن والإعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. ٧ ـ رفض إحتلال إسرائيل للأراضي العربية. ٨ ـ تمثل المستوطنات عقبة في سبيل السلام.. ٩ ـ ضرورة إنضمام كل الأطراف بما فيها الفلسطينيين لجهود التسوية. ١٠ ـ معارضة المبادرات المنفردة التي تغير وضع القدس. ويلاحظ إيجابية النظرة الأوروبية إلا أن دورها سيتعاظم مع تحقيق الوحدة الأوروبية.	٧ ـ الإعتراف بحق جميع دول المنطقة في العيش في سلام. ٨ ـ ضمان أي إتفاق في هذا الصدد من قبل الأمم المتحدة أو من قبل بعض أعضائها. ويلاحظ على المبادرة: ـ أنهـا لم تذكر إسرائيل صراحة. ـ عارضها السادات لأنها مجرد تصريحات لاتتضمن جديدا. ـ تراوح رد الفعل الفلسطيني بين مؤيد ومعارض. ـ أيدتها دول الخليج. ـ عارضتها إسرائيل. ـ تحفظت عليها الولايات المتحدة. ـ انتقدها الإتحاد السوفييتي.	٥ ـ توسيع إطار عملية السلام لتشمل كل الدولة العربية المجاورة لإسرائيل وخاصة الأردن والفلسطينيين ويلاحظ أن المبادرة :ـ ـ لم تعترف بسيادة إسرائيل على كل القدس. ـ قبلت مصر المبادرة وإعترضت عليها معظم الدول العربية. . ـ رفضتها إسرائيل بزعم وجود تنازلات للعرب على حساب أمن إسرائيل. ـ وضح إنحيازها الشديد لإسرائيل ـ أنكرت حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة الدولة.	بعد ابتعاد السادات ولم تعد مصر تصر على أن كامب ديفيد هي الأساس الوحيد للتسوية.	المتحدة ومشاركة كل أطراف الصراع. ويلاحظ أن المبادرة: ـ جاءت بعد إبتعاد أو إبعاد السوفيت عن ساحة المبادرات والمقترحات وهو ما أضعف موقفهم في الشرق الأوسط ـ وأكدت على صيغة المؤتمر الدولي أساسا للتسوية. ـ إلا أن مصيرها لم يكن أفضل من سوابقها.

ملاحظة عامة ـ المعلومات للمصدر المشار إليه أعلاه والجدول لنا

القسم الثانى عشر
الأمن القومى المصرى ونشاط المخابرات الأمريكية المركزية
C. I. A.

الفصل الأول: الأمن القومى المصرى فى عهد كل من عبد الناصر والسادات.

الفصل الثانى: المخابرات الأمريكية وأنشطتها فى مصر فى عهد السادات.

الأمن القومي المصري

«المخابرات العامة»

أولا: نظرة عامة

١ ـ يعرف الأمن القومي الوطني، والذى تعارف على إطلاق اصطلاح الأمن القومي عليه، يعرف باختصار، بأنه ضمان سلامة أراضى الدولة واستقلالها السياسى ضد الأخطار الداخلية والخارجية، وتأمين مصالح الدولة، وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق أهدافها القومية التى تعكس الأتفاق العام فى المجتمع.

٢ ـ وفى هذا الإطار تحرك جهاز الأمن القومي المصرى (المخابرات العامة) وتمكن من حماية مصالح مصر فى مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.

٣ ـ وقد عمل هذا الجهاز فى صمت ودون إعلام، بسبب دقة وأهمية مسئولياته واستمر فى العمل المخلص رغم ما تعرض له من نقد لأسباب سياسية تعود إلى خلط مسئولياته مع أجهزة سياسية أخرى.

٤ ـ ورغم تعدد الرؤى السياسية فى عهد عبد الناصر إلى السادات إلى مبارك، إلا إن هذا الجهاز كان يتحرك وفق مبادئ ثابتة أهمها:

(أ) الأخلاص للوطن وحده.

(ب) السرية والبعد عن الإعلام.

(جـ) دعم كفاءة الأجهزة ماديا وعلميا وثقافيا لأن عمل المخابرات والمعلومات أصبح يتطلب كل هذه المهارات.

٥ ـ ورغم ضعف إمكانيات هذا الجهاز بالمقارنة بالأجهزة الأخرى ومنها CIA،GPU والموساد الإسرائيلى وغيرها، إلا أنه تمكن بسبب؛ قوة بنائه المعنوى الوطنى، من تعقب أعمال هذه الأجهزة الدولية وإبطال معظم مخططاتها، وكان من أبرزها أعمال الموساد فى الخمسينات على أرض مصر، وآخرها أعمال التصنت الأمريكى على محادثات كبار المسئولين المصريين فى عهد مبارك. ونجحت فى فك أجهزة التصنت التى نصبت فى عهد الرئيس السادات وبموافقته، طبقا لما ذكره بوب وود ورد مؤلف كتاب «القناع» وكتاب «القادة».

٦ ـ كما أدت مشاركة الجهاز فى كشف الأعمال الأرهابية التى استهدفت شخص رئيس الدولة فى تجنب مصر هزات درامية كانت كفيلة بضرب استقلالها ونمائها.

٧ ـ والجدير بالذكر أن هذا الجهاز المصرى وضع الأمن القومى أمانة بين يديه لم يتأثر بالتحالفات السياسية المصرية عبر العهود الثلاثة: عهد عبد الناصر ـ السادات ـ مبارك.

بل كان يكشف أعمال أجهزة المخابرات الأخرى ونشاطاتها المعادية بغض النظر عن الصداقات والتحالفات المرحلية وهو أمر يظهر فى الوقت الراهن فى كشف أعمال الجماعات المتسترة وراء المهام العلمية فى مصر، ووراء الجمعيات الثقافية أو الدراسات الإنسانية والتحذير من خطورة أعمالها.

٨ ـ إن جهاز المخابرات المصرية يعد من أدق وأنشط أجهزة المخابرات فى العالم، وخاصة أنه جهاز لا يعلن عن نفسه ولا يتيح لبعض المروجين أن يضعوه فى بؤرة الدعاية والإعلام، لأن هدفه النهائى ليس الكشف عن أعماله ولكن الحفاظ على أسراره من أجل مصلحة وأمن الوطن.

ومع أن بوب ودو ورد قد تحدث فى كتاباته النى تعرض لها فيما بعد عن أعمال المخابرات الأمريكية والسوفيتيته والفرنسية والبريطانية والإسرائيلية، وأنه قد أطلق لخياله العنان فى عرض والهاب وتضخيم أعمال هذه الأجهزة فى مصر والعالم العربى، وخاصة عن الامكانات المادية والسياسية لهذا الأجهزة.

إلا أن أعمال هذه الأجهزة كانت فى الواقع مراقبة ومحصورة من قبل الأمن القومى الذى يقوم بأحباط المخططات التى تحاك ضد مصر قبل وقوعها، كما رصد بشكل دقيق أسماء وأعمال عملاء هذه الأجهزة سواء أكان ذلك فى دور الأعداد أو المحاولة، كما تمكن من فرز هؤلاء العملاء من داخل غطائهم الدبلوماسى أو داخل المنظمات الدولية والمعاهد العلمية الأجنبية.

ثانيا: الأمن القومى المصرى فى عهد عبد الناصر:

١ ـ لكل مرحلة تحدياتها وانجازاتها وخصائصها، ومجمل القول أن عهد الرئيس عبد الناصر كان مثقلا بالمهام والتحديات والإنجازات نظرا لطبيعة المرحلة التى اتسمت بالتحرر من الأستعمار ومواجهة المخططات الأمريكية التى كانت تركز أساسا على تعقب النفوذ السوفيتى أينما وجد.

ـ يضاف إلى هذه المهام، أنه كان، على أجهزة الأمن القومى مواجهة عداء الطبقات أو الطبقة التى أضيرت من جراء الأجراءات الثورية من تأميم ومصادرة وعزل، وقد اتخذ هذا العداء، فى بعض الأوقات، شكل التنسيق بين الأفراد المضرورين وبين أجهزة مخابرات الدول الأجنبية المعنية.

٢ ـ وأبرز انجازات الأمن القومى فى تلك المرحلة كان حماية الجبهة الداخلية، ومنع أعمال ومحاولات أضعاف الاستقرار الداخلى، وكذلك مواجهة أعمال التجسس والتخريب الخارجية.

ـ وقد كشف جهاز المخابرات العامة النقاب عن كثير من هذه المحاولات، وقدم مرتكبوها إلى القضاء المصرى.

٣ ـ كما استجاب جهاز المخابرات العامة فى عهد الرئيس عبد الناصر إلى متطلبات الثورة فى دعم حركات التحرر الوطنى، ومثال ذلك إنشاء العملية، صلاح الدين، فى تعز، لنصرة ثورة اليمن الجنوبى.

ـ وقد تم امداد هذه الثورة الوليدة بالمعلومات والأسلحة والأموال لأخراج الأستعمار البريطانى ،وهو أمر انتهى بنجاح تام وإعلان جلاء القوات البريطانية عن عدن عام ١٩٦٧ .

٤ ـ ويمكن التعرف على مدى الجهود التى قام بها جهاز المخابرات العامة إذا عرفنا أن أشق المهام والأخطار قد تعرضت له مصر أبان عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

ثالثا: الأمن القومى المصرى فى عهد الرئيس السادات:

١ ـ قام الرئيس السادات بتغيير اتجاه البوصلة السياسية الداخلية ١٨٠ درجة، ومع ذلك، التزم جهاز المخابرات العامة بالشرعية الدستورية ووقف وراء رئيس الجمهورية.

٢ ـ ورغم هذا الألتزام لم يسلم الجهاز الوطنى من التغيير وخاصة فى قياداته العليا.

٣ ـ وقد أقدم الرئيس السادات على قرار حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأدى جهاز المخابرات دورة أبان هذه الحرب فى حماية الجبهتين الداخلية والخارجية.

٤ ـ وبعد الحرب، وبعد أن نقل الرئيس السادات تحالفه نحو أمريكا، لم يتغير ولاء هذا الجهاز بل استمر فى حماية الجبهة الداخلية وفى مراقبة العمليات الأمريكية المتعلقة بالتجسس والتى أتخذت أشكالا متعددة، منها الدراسات العلمية والتعاون الفنى، وكان يقدم تقاريره أولا بأول لرئيس الدولة الذى لم يكن يخشى من التحرك الأمريكى.

٥ ـ وقد كشف كتاب تناول تاريخ المخابرات الأمريكية فى أجزاء متفرقة من العالم ومنها مصر، أن رئيس المخابرات المركزية ذكر أن الرئيس السادات كان متعاونا تماما مع المخابرات

المركـزية، وأنه أوكل إليـهـا مـهـام مـتـعـددة ومنـهـا حـمـايتـه الشخصية، وأنتهى الأمر باغتيال الرئيس السادات فى اكتوبر ١٩٨١ وهو بين قواته، مما أوقع الارتباك فى صفوف القيادة السياسية الأمريكية وفى دوائر مخابراتها. وكان هذا الأمر دليل على خطورة أن يسلم الرئيس مسئولية أمته إلى مخابرات أجنبية لاتدرك طبيعة الناس والمكان.

ـ ورغم أن السمة الرئيسية لجهاز المخابرات المصرى ـ ولا تزال ـ هى اليقظة، إلا أنه أبان عهد الرئيس الراحل أنور السادات وضحت لديه نزعة محاولة معرفة كل شئ، وكان أحيانا يستخدم المعلومات الدقيقة لجهاز المخابرات فى أحاديثة، مما قد يسبب حرجا لهذه الأجهزة ويدفعها إلى تصحيح الأمور باعادة رسم مخططاتها أو اللجوء إلى البدائل المعدة من قبل.

ولذلك عمدت المخابرات إلى وضع هذه الخاصية التى اتسم بها الرئيس السادات فى الحسبان، حرصا على مصالح الأمن القومى المصرى، ووضعت لكل موقف بدائل للمواجهة فى إطار قناعتها بأن صاحب القرار قد يلجأ إلى تصرفات لأسباب سياسية أو أقتصادية لا تتسق مع تصورات الأمن القومى.

مثل تصور القيادة السياسية أن من المصلحة غض الطرف عن بعض تصرفات بعض عملاء الدول الكبرى طالما أنها لا تشكل خطرا جسيما، وفى كل هذه الأحوال كانت أجهزة الأمن المصرية ترتب أمورها تحوطا لكل طارئ.

المخابرات الأمريكية وانشطتها
في مصر فى عهد السادات

أولا: المعونات الأمنية ونشاط المخابرات المركزية فى مصر (١):

١ - قامت المخابرات المركزية والأجهزة التجسسية الأخرى بعمليات دقيقة، حصلوا خلالها على محادثات فى أعلى المستويات فى دول أوروبا والشرق الأوسط وآسيا، بما فى ذلك المحادثات التليفونية. وكان يقوم بذلك رجال المخابرات تحت مظلة السفارات الأمريكية.

وكانت المعونات فى مجال الأمن وأعمال المخابرات التى قدمت للرئيس المصرى أنور السادات قد أظهرت مزايا وعيوب مثل هذه الخدمات السرية.

فقد تولى السادات الحكم علم ١٩٧٠ . وبعد عامين طرد الروس خارج مصر، وبدأ برنامج مساعدات المخابرات الأمريكية لمصر فى

(١) أنظر بوب وود ورد «النقاب» ص ٧٨، ٢٥٢ - ٣٥٣

مجال الحراسة والمخابرات. وقد ارادت الولايات المتحدة أن تحافظ على حياة السادات وأيضا أرادت نظاما يضمن استمرار تدفق المعلومات عن السادات من الداخل وعن سياسات الرئاسة ومناوراتها. وكان معظم ما حصلت عليه المخابرات قليل الفائدة، إلا أن المخابرات المركزية كانت تسعد لوصولها إلى مصادر الأخبار الأساسية، حيث تمكنت من تصنيف تطورات ورغبات وطموحات وسياسات عشرات من الوزراء ونوابهم. ورغم تدفق المعلومات بشكل غزير دفعت أجهزتها فى حيرة نتيجة الكم الهائل من المعلومات، فقد كان السادات يتخذ أجهزة المخابرات الأمريكية أداة ليصل إلى المنافذ الخلفية للحكومة الأمريكية للحصول على معلومات خاصة وبعض المساعدات بل والأموال.

٢ ـ وقد عامل السادات رئيس المخابرات المركزية بوصفه من الموظفين، وقد شعر رئيس المخابرات بذلك أبان زيارة السادات لواشنطن عام ١٩٧٥، بمعنى شعوره بالتجاهل.

٣ ـ باختصار، السادات كان مهما من ناحية المخابرات ولم يكن يخضع لسيطرتها، ولكنه فتح بلاده ونفسه فى إطار ما وصفه بالمنافع المتبادلة والمصالح المشتركة للمخابرات المركزية، وكان الأمر خطرا للجانبين.

٤ ـ وكان عددا من رجال المخابرات المركزية حذرين من العلاقة مع السادات، لأن الأمر كان يتعلق بأسلوب السادات الذى جعل كل طرف يعتقد أنه يمتلك السادات، وفى الحقيقة فقد باع السادات ١١٠٪ من نفسه لمن فى يده الأوراق الرابحة. الولايات المتحدة والمخابرات المركزية ظنوا أنهم يمتلكونه، وكذلك ظن الجيش

المصرى وكذلك دول عربية أخرى. وبعد كامب دافيد ظنت إسرائيل أنها تمتلكه، وهى طريقة السادات فى التعامل مع الأطراف لحظة الحسم. فقد فشل حراسه بعد عمل طويل.. وجاء اغتياله أثناء أستعراض عسكرى عام فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ منهيا واحدا من أهم العلاقات للمخابرات المركزية الأمريكية.

٥ - بالنسبة للتجسس على السوفيت فهناك مثل آخر قدمه تيريز بالقول: بأن كل من NSA, CIA قد تصنتت تماما الكترونيا على كل قسم فى الحكومة المصرية وقد مهد لذلك أن الرئيس السادات كان متعاونا تماما مع المخابرات والأمن القومى الأمريكى.

ثانيا: دعم التعاون المصرى الأمريكى (١):

١ - عملية افغانستان كانت عملية تعاونية ضخمة تقوم على شحن السلاح اساسا عبر مصر، وأن تكون باكستان بمثابة الموصل الجيد إلى المقاومة الأفغانية، وتكون السعودية الممول الرئيسى للعملية أكثر من تمويل المخابرات المركزية.

٢ - وكانت جهود القيادة السوفيتية - برجنيف - والـ K G B وهى المخابرات السوفيتية توجه أيضا لأفساد العلاقات المصرية - الأمريكية.

٣ - وعندما تحدث كاس عن هزائم السوفيت فى العالم سقط منه حالة مصر.

٤ - وقد تصورت الولايات المتحدة والمخابرات المركزية أنهم سيطروا على السادات وامتلكوه، وكذلك فكر الجيش المصرى، وكذا عدد

---

(١) أنظر بوب وود ورد، المرجع السابق، ص ٩٩ + ١٧٢؛ ٢٥٧ + ٢٦٦ + ٣٢٩ + ٣٥٣.

من الدول العربية بل وإسرائيل، إلا أن هذه كانت طريقة وأسلوب السادات فى إدارة شئونه.

٥ـ والدليل على ذكاء ومناورة السادات فى تصور الولايات المتحدة، أن حرب أكتوبر كانت هزيمة عسكرية لمصر، إلا أن السادات أعلن النصر وبذلك عبر عن رأيه وحولته المعركة إلى قائد عربى.

ثالثا: السلام وأغتيال السادات [٢]:

١ـ فى ٦ أكتوبر استقبل كاس «مدير المخابرات» رسالة تقول أن الرئيس المصرى أنور السادات قد قتل بالرصاص أبان استعراض عسكرى بالقاهرة. ومع ذلك استمرت الأذاعة المصرية تبث أن الرئيس فى صحة جيدة وأنه تغلب على جراحه، إلا أن التلفزيون الأمريكى أكد أن الرئيس السادات قد مات.

٢ـ وكانت المخابرات الأمريكية تساعد على إبقاء السادات فى السلطة. وعند توقيع اتفاقية كامب دافيد عام ١٩٧٨، ومعاهدة السلام مع أسرائيل عام ١٩٧٩، وجد السادات نفسه فى عزلة فى الشرق الأوسط.

وكان السادات إلى حد ما موضع أعجاب الشعب الأمريكى والصحافة الأمريكية ولم يكن له نفس التقدير داخل مصر. وكانت زوجته السيدة جيهان بملابسها الغربية وعاداتها وأفكارها واستقلاليتها بمثابة تحدى لكثير من الأصوليين الإسلاميين. وكان لدى المخابرات الأمريكية معلومات عن السادات وعن مواطن ضعفه وطبيعة القوى المناوئة له.

---

(١) أنظر بوب وود ورد «المرجع السابق» ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

وقد أُعْطى كل هذه المعلومات فى الشهر السابق على أغتياله وخاصة التهديد الموجه له من ليبيا وأثيوبيا وسوريا وإيران.

- وبعد عدة ساعات أكدت الأذاعة المصرية موت السادات الذى مات فى نفس الوقت نتيجة تلقيه العديد من الطلقات.

القسم الثالث عشر

مقارنة بين عبد الناصر
والسادات

عبد الناصر والسادات

يمكن إجراء مقارنة سريعة بين شخصيتين وعهدين على النحو التالى:

١ ـ إن عبد الناصر كان قائد الثورة وزعيمها بلا منازع، وكان يتميز بالتخطيط الدقيق ويبتعد عن القفزات المغامرة، أما السادات فكان أحد قادة الثورة رقم ٦ أو ٧ أو ٨، وتحسن وضعه القيادى بعد عام ١٩٦٧ بزوال وتنحية عدد من القيادات التى كانت تأتى قبله فى الترتيب، وأخيرا ادى موت عبد الناصر المفاجئ فى ٢٨/٩/١٩٧٠ إلى وضع السادات فى المقدمة.

٢ ـ كان الأول بطل القومية العربية، أما الثانى فقد اتجه نظره ناحية التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية.

٣ ـ الأول أقام استراتيجية على أساس معاداة الأستعمار والإمبريالية والعنصرية الإسرائيلية، والتحالف بشكل حذر مع الاتحاد السوفيتى، فى إطار سياسة عدم الانحياز. والثانى أقام استراتيجية على أساس التحالف مع الولايات المتحدة والصلح مع إسرائيل والعمل ضد التغلغل السوفييتى فى كل مكان، وذلك من أجل

تحقيق الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى المصرية والحصول على معونات إقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية. ولعلنا نذكر قوله الشهير بأن الولايات المتحدة تحوز ٩٩٪ من أوراق اللعب بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط.

٤ ـ الأول كان يقيم نظامه على أساس تحالف قوى الشعب العامل والتوجه نحو الإشتراكية وتحقيق العدالة الإجتماعية وتذويب الفوارق بين الطبقات. والثانى أقامه على أساس التعددية الحزبية والانفتاح الاقتصادى وإعلاء دور القطاع الخاص.

٥ ـ الأول إهتم أساسا بالتعاون مع الدول العربية فى إطار فكر القومية العربية، والثانى قلل من أهمية الالتحام بالعالم العربى وعمق من فكرة الهوية المصرية.

٦ ـ فى الداخل أقام الأول تحالف مع القوى الوطنية واليسار بما فى ذلك الفصائل الماركسية، وحجم من تواجد ودور القوى الأصولية الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمين. أما الثانى، فقد أقام تحالف مع رجال الأعمال واليمين المصرى، وأطلق قوى الأصولية من عقالها لتعمل من أجل ضرب وتحجيم القوى الناصرية واليسارية.

٧ ـ دفع الأول ثمن معاداته للأستعمار ولأمريكا ووقوفه أمام التوسع الإسرائيلى فكانت الحرب الاقتصادية وعدوان عام ١٩٦٧ . أما الثانى، فقد استفاد من حرب الإستنزاف التى قادها الأول، كما إستفاد من الإستعدادات العسكرية وإعادة بناء القوات المسلحة، التى تمت فى عهد عبد الناصر، وشن حرب تحريك «وليس تحرير» هى حرب أكتوبر، التى تحركت الولايات المتحدة أثناءها

إلى جانب إسرائيل، ثم توقفت لتعطى الفرصة للسادات لفك الاشتباك، ومن ثم التفاوض المباشر، وانتهاءا بكامب دافيد لأنها تيقنت من رغبته فى التعاون.

٨ - ونجد الأول قد توفى أثر مرض السكر والقلب وشيع فى جنازة لم يعرف العالم العربى لها مثيل. بينما تعرض الثانى للإغتيال فى ٦/١٠/١٩٨١ وخلت جنازته من كثير من ممثلى الدول العربية الذين ناصبوه العداء.

٩- وملاحظة أخيرة هى أن الأول إنتهى بعده النظام الذى بناه، أما الثانى، فقد استمر نظامه بعد وفاته بسبب تعدل الظروف الأقليمية والدولية.

المراجع العربية

(١) اسرائيل الكبرى الدكتوراسعد رزق، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨.

(٢) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى. الدكتور أسعد رزق.

(٣) إسرائيل ١٩٨٥؛ أحداث ومواقف. اعداد رضا سليمان.

(٤) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر الدكتور محمد عبدالعزيز ربيع.

(٥) إسرائيل ١٩٨٤.

(٦) الأخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل. حسين كروم.

(٧) الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائقية دكتور يونان لبيب رزق.

(٨) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى ـ مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٩) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله.

(١٠) التفسير الكبير للفخر الرازى ط (٣) (١١)تاريخ الرسل والملوك. امين جرير الطبرى، دار المعارف.

(١٢) التاريخ السرى لحرب إسرائيل. ميشيل بار زدهار.

(١٣) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى.

(١٤) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل. وزارة الخارجية المصرية.

(١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦.

(١٦) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل. م.ص. سيجال، ترجمة وتعليق دحسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧.

(١٧) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.

(١٨) حقيقة اسرائيل. اللواء الركن محمود مشيت خطاب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

(١٩)دلالة الحائرين. موسى ميمون - عرضه بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢.

(٢٠) دقت أجراس السلام، عبدالمنعم شميس.

(٢١) الدبلوماسية الصهيونية .الدكتور فايز صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٧.

(٢٢) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢.

(٢٣) السادات رجل الحرب... ورجل السلام، موسى بدوى.

(٢٤) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وأخرين.

(٢٥) السلام الصعب. فوميل لبيب.

(٢٦) السلام الضائع فى كامب ديفيد. محمد ابراهيم كامل.

(٢٧) السياسة الأميريكية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب دفيد. محمود محمد عبدالغفار.

(٢٨) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية. نصار علمية.

(٢٩) الشرق الأدنى القديم؛ حـ ١ مصر والعراق عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٦٧.

(٣٠) عند مفترق الطريق - حرب أكتوبر ماذا حدث فيها وماذا حدث بعدها، محمد حسنين هيكل.

(٣١) العرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلى مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٣٢) الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٣٣) الفكر الدينى الإسرائيلى .حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١.

(٣٥) قاموس الكتاب المقدس - بطرس عبدالملك وآخرون. بيروت، ١٩٦٤.

(٣٦) القرآن الكريم.

(٣٧) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.

(٣٨)قصص الأنبياء .ابن كثير. القاهرة.

(٣٩) قصص الأنبياء. أحمد الثعلبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤.

(٤٠) قصص القرآن. عبدالوهاب النجار، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤١) القصصي القرآني. عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥.

(٤٢) قنطرة الشر إسرائيل؛ طريق الامبريالية إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٤٣)كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات. وليام ـ ب كوانق.

(٤٤) الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٤٥) الكتب التاريخية في العهد القديم. مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨.

(٤٦) الماباي الحزب الحاكم في إسرائيل. ابراهيم العابد، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٧) ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منير الريس.

(٤٨) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرين توثيق وتحليل علمي. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٤٩)محاربون ومفاوضون. كمال حسن علي.

(٥٠) المدخل إلى سياسة اسرائيل الخارجية. سيد نوفل.

(٥١) مصر وأمريكا ـ عرض تاريخي لتطور العلاقات المصرية الأمريكية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٥٢) مصر والصراع العربي الاسرائيلي.

(٥٣) مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٥٤) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. أبوالمحاسن عصفور ـ دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

(٥٥) معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفةالغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

(٥٦) معاهدة السلام العربية لإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط. ابراهيم محمد العنانى.

(٥٧) الملل والنحل. محمد بن عبدالكريم الشهر ستانى مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٧.

(٥٨) المناظرة بين بطرس غالى وموش ديان، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية. اسامة الغزالى حرب.

(٥٩) المنظمة الصهيونية العالمية. اسعد عبدالرحمن منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧ .

(٦٠) مؤتمر كامب ديفيد.. رؤية علمية. عبدالعزيز سليمان فؤاد وأخرين.

(٦١) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر. د. عبدالعظيم رمضان.

(٦٢) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة. بأقامة ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة. وزارة الخارجية المصرية.

(٦٣) الوجود الاسرائيلى والعربى فى أفريقيا.
محبات أمام الشرابى

(٦٤) وعليكم السلام. محمود عوض.

(٦٥) اليوميات الفلسطينية مجلد ٥,٤ من ٦٧/٧/١ الى ١٩٦٧/١٢/٣١ .

(٦٦) اليوميات الفلسطينية مجلد ٦ من ٧/١/٦٧ إلى ١٩٦٧/١٢/٣١

المراجع الأجنبية

1- The Road to Camp David. U. S. Negotiation Strategy towards t Arab– Israeli Conflict. Thomas Parken.

2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.

3 - The Commanders. Bop Woodward.

4- Present at the Creation, "My years in the State Department".De Acheson.

5 - Herzil. Amos Elon.

6 - Israel's Secret Wars. I an Blak& Benny Morr.

7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litrinoff.

8 - Zionism and the Arabs, 1882-1948. (Astudy of Ideology).Yos Gorny.

9 - Ben- Gurion. Robert St. John.

10- Ben- Gurion and the Palestinian Arabs from Peace to War.Shabta Tereth.

11- Ben- Gurion "The Burning Ground" 1986- 1948.Shabtal Tereth.

12- Ben- Gurion (Apolitical Biograbhy).Maurice Edelman.

13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.

14- Suze The Twice- fough War (Ahistory).Kennet Love.

15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.

16 - Israel: Year of Challenge.

17- Ben- Gurion looks back.

18- The Arab Brycott of Israel.

19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.

20 - Israeli Pitnetion. The Promise of Peace Economic Cooperation Between.Arab, Ruth. W.

21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.

22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.

23 - Decisions in Israeles Forign Policy. Aronse, Shloms.

24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foriegn Policy. Brecher, Michael.

25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.

26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.

27 - Negotiating for Peace in the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.

28 - Egypt- Israeil.Fahmy Ismail.

29- The United States and Israel. Sacher, Morley.

30 - The Palestinian proplem and U. S. Policy. Reich, Bernard.

31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.

32- Politicial Ideologesof israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.

33 - Ideogical Change in Israil Micihigan State University. Any-onovsky, aoron.

34 - The Government of the State of Israeil, Twayne Pulishers INC, New Yourk 1963. Arayan; Alan.

35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.

36 - Ben- Gurion Looks back (talks withe Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biograbhy of Ben-Gurion Arthur Barmer Limited, London 1966.

38- Badi Joseph. The Covernment of İsrael Twayne Publishers Inc. New York 1963.

39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.

40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.

41- Ben Curion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical libary, New York, 1954.

42- Bernestien, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.

43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israeal Random House, New York 1967.

44- Gooke, Hedley V. Israeal: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.

45- Dayan, Moshe. Dıary of the Sinıai Cammpaıng English Translation by George Weıdenfield and Nicolson Ltd London, 1966.

46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whititlesey Housse, New York, 1950.

47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.

48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.

49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.

50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc New York 1950.

52- Learsi, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.

53- Desmond Donnlly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-1963 New York: St. Martin's.

54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington, D.C.U.S. Government Prınting office) Vol. III, p. 20 I.

55- Foreign Relatiions of the United States, 1942 (Washington, D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.

56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV, pp 841. 42.

57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3) pp; 909-10.

58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C. U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.

59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington; D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.

60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Printing Office, 1949.

61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princetion University Press 1949) p, VIII.

62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52. 53.

63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.

64- Current Development in United States Foreign Policy (Washington, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp. 4,5.

65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Columbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

66- Michael Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab World' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.
67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.
68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.
69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.
70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.
71- Ceorge Livet- les Cuerres de Relıgion 2a, edıcao Paris, 1966.
72- Ceorges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.
73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay-(France)- pg. 200.
74- Cecile Morrisıon - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.
75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.
76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.
77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.
78- Idem, idem, pg. 19.
79- Idem, ıdem, pg 24.
80- Idem, idem, pg 26.
81- Idem, idem, pg 29.
82- Idem, idem, pg 30.

Bibliography:

1- David Sling, Shimon Peres, Intervews, London, 1972.
2- Aaron S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman-Bras sey's intemational Defense publishers, New York 1990.

3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglo-Israel sociation, 1957.

4- Herzi Diaries, Vol. I.

5- Dr. Fayez Sayegh, The Zioist Diplomacy, Research, Center, P.L.O. Beirut, 1969.

6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.

7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London. 1952.

8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.

9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.

10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.

11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford University press, 1972.

12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government of Israel, Year Book, 1952.

13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.

14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, Internationol politics and Forign policy, 1969.

15- Chaim Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon Books, New York, 1969.

16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Challenge.

17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a Paleastinian State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.

18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.

20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.

21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.

22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and translted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987

2- The New Times, May, 15, 1990.

3- The Jewish Observer, August 25. 1987.

4- The New Outlook, August/ September, 1985.

5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeli Foreign Policy.

6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.

7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.

8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.

9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.

10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.

11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?

12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.

13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

14- Bernstein, Marver, H., The Politics of Israel, Princeton, Princeton University Press, 1957.

15- Cooke, Hedley Vicars, Israel, a Blessing and a Curse, London, Stevens, 1960.

16- Gordon, A. D., Selected Essays, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestine, 1938).

17- Government of Israel, Corernment Yearbook, 1953- 1954.

18- Government of Israel, Statısical Abstact, 1964.

19- Hadwin; Arnold, politics in Israel, London, Anglo - American Association, 1960.

20- Kerem Moshe, The Kibbutz, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.

21- Kraines, Oscar, Gorernment and Politics in Israel, Boston, Houghton Mifflin, 1961.

22- Lillienthal, A. What Price Israel, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.

23- New Outlook, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.

24- Peretz, Don, The Middle East Today, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.

25- Seligman, Lester, G. Leadershib in a New Nation, Athzrton Press, New York, 1964.

26- Who's Who (Israel)

27- Zweig, Ferdynand, The Israel Worker, Sharon Books New York, 1959.

28- Dead- Line Date of World Affairs, New York 1948-1966.

29- Keesings Contemporary Archıres, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standerd Jewish Encyclopedia.

محتويات الكتاب

الموضوع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/١٥٧٠

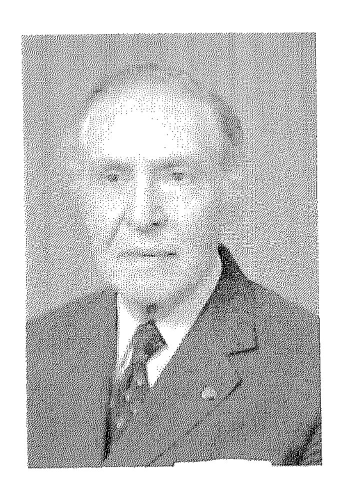
I.S B N 977-01-455-7

تصميم الغلاف

محمود القاضي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

السفير الدكتور/ حسين شريف



* حاصل على ليسانس في القانون ـ ودكتوراه في العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.

* إلتحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢ وعمل بالأتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل. وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.

* مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

* وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
* مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
* النواحى الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
* التحدى اليابانى فى التسعينات.
* السياسة الخارجية الأمريكية ـ اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان).
* المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ـ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ ق م ـ ١٩٩٥م (أربعة أجزاء).
* له مقالات عديدة فى السياسة الدولية.
* حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.

  ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.

  ووسام الرافدين من العراق.

  ووسام وكزويرودى سول من البرازيل.

٢٠٧٥ قرشا

المفهوم السياسى والأجتماعى لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية

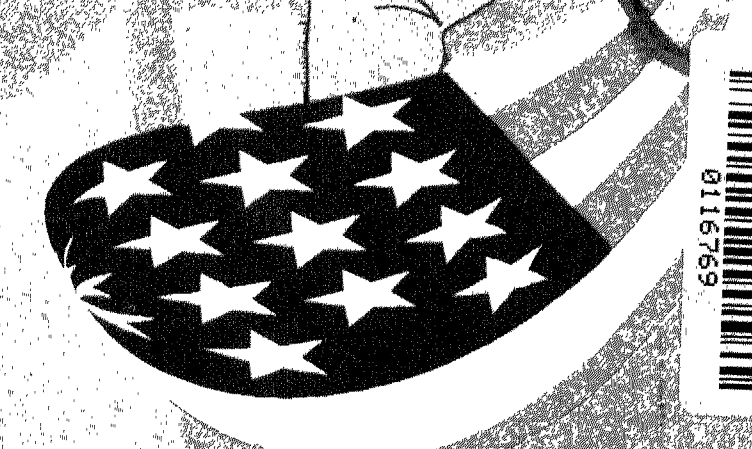
(١٩٠٠ ق . م - ١٩٩٥ م)

الشرق الأوسط

فى ظل النظام الدولى الجديد ١٩٨١ حتى ١٩٩٥

الجزء الرابع

تأليف
سفير/ د. حسين شريف



المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ

(١٩٠٠ ق.م / ١٩٩٥م)

الجزء الرابع

الشرق الأوسط فى ظل النظام الدولى الجديد ١٩٨١ حتى ١٩٩٥

تأليف

سفير/ د. حسين شريف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

الإخراج الفنى
صبرى عبد الواحد

المحتويات

كلمة المؤلف

رغم السقوط السوفييتى وانتصار النموذج الغربى ونجاح الولايات المتحدة فى حشد حوالى ثلاثين دولة ومعها الأمم المتحدة فى عاصفة الصحراء لضرب العراق بعد غزو الكويت عام ١٩٩٠ .

رغم كل ذلك، ورغم انفراد الولايات المتحدة بالسيطرة على النظام الدولى الجديد إلى حين، فإن هذا النظام ما زال فى حالة سيولة يبحث عن صيغة ملائمة له حيث نجد أن سمات عالم اليوم لا تختلف كثيراً عن عالم الحرب الباردة، لأن أبرز سمات عالم اليوم لا تزال : الصراع الدولى، وتوازن القوى الاقتصادية الذى يعبر عنه أحيانا بالحرب الباردة الاقتصادية أو التجارية.

وقد أثبتت المنظمات الأقليمية مثل الجامعة العربية، ومجموعة عدم الانحياز عجزها عن مواجهة مسئولياتها ووظائفها، ويشهد على ذلك الأداء السيئ للجامعة العربية إبان حرب الخليج «عاصفة الصحراء»، وأزمة الصومال، واليمن فى التسعينيات، كذلك تحولت مجموعة عدم الانحياز إلى منظمة هامشية تبحث عن صيغة جديدة تكون بمثابة الديكور.

كذلك فقدت دول العالم الثالث قوتها المحركة داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وداخل المنظمات الأقليمية وأصبحت متخلفة، ضعيفة فى مجال الأنتاج والإبداع والتكنولوچيا، متورطة فى مجال القروض والاستيراد الأستهلاكى.

وأصبح عالم اليوم والغد يقوم على التكتلات الاقتصادية العملاقة مثل : «النافتا» و«الاتحاد الأوروبى»، وقوة العملاقين الآسيويين «اليابان والصين»، ولا مجال للدول الصغيرة إلا الفتات.

وأخذ مصير دول العالم الثالث يتحدد من خلال تصورات مفروضة من أعلا، ومثال ذلك محاولة إقامة نظام شرق أوسطى يضم الدول العربية وإسرائيل وتركيا وإيران - بعد تفريغ الثورة الإسلامية من داخلها - وربما باكستان بعد تطويعها.

وهذا النظام الشرق أوسطى سيكون حليفا للولايات الأمريكية وتجسيدا لما كان يهدف إليه واضعو الاستراتيجية الأمريكية، بدءاً من حلف بغداد إلى باقى الأحلاف الأمريكية الأخرى التى سبق أن رفضت فى منطقة الشرق الأوسط.

والجدير أن هذا الاتجاه لن يكون موجها ضد روسيا الاتحادية التى تغط حاليا فى سبات، بل سيكون حليفا لصيانة المصالح الأمريكية وخاصة البترولية والتسويقية فى الشرق الأوسط، وضمان نمو هادئ لربيبة الولايات المتحدة وحليفتها الوحيدة فى الشرق الأوسط «إسرائيل».

ماذا إذن مصير مصر وهى القيادة التاريخية للعالم العربى وجزء هام من قيادة العالم الثالث؟

وجوابنا أن هذا المصير سيتحدد باستعادة مصر لموقعها القيادى الذى فقدته بالضغوط والأنحسار والحاجة إلى المعونات الأجنبية. وهذه الاستعادة قد تبدأ من المجال الطبيعى، أى العودة إلى تجسيد كيان قوى يجمع مصر، والسودان، وليبيا ـ إذا صفت النفوس وسادت الحكمة وصواب الرؤية ـ ويعبر هذا الكيان عن القوة الاقتصادية والجيوبوليتيكية والسياسية والثقافية والحضارية، وتنطلق من خلال هذا الكيان دولة جديدة تحقق آمال الأمة العربية فى الوحدة والريادة. مع عدم إهمالها للبعد الأفريقى والإسلامى وعلاقتها بدول العالم الثالث بشكل عام.

والذى يؤكد أهمية وإمكانية هذا التصور أن النظام الدولى الجديد ـ أو فى سبيل أن يكون جديداً ـ هو نظام لم يتبلور بعد، وستقوم بداخله قوى أخرى نامية وقوية إلى جانب الولايات المتحدة، ونعنى بذلك: أوروبا الموحدة، والخطر الأصفر «اليابان والصين»، واحتمال استعادة روسيا الاتحادية لقدراتها الحيوية.

وإنى فى هذا المجال استرعى نظر القارئ إلى أن زوال الحرب الباردة كان ضربة قاصمة لتطور الشعوب النامية، إذ أنها حرمت من مجال المناورة بين النظامين، للاستفادة من أحدهما فى مجالات التنمية والمعونات والقروض الميسرة، والآن تغيرت قواعد اللعب، فليس هناك توازنات ولكنه أمر واقع مفروض «الغنم للكبار والفتات للصغار».

فالعالم الثالث يعيش اليوم فى غابة تحكمها «الديناصورات» والوحوش المفترسة الضارية، فأى قانون يسود هذه الغابة!؟

على أن مصر وهى تكافح فى سبيل إقرار الحقوق والعدالة لجميع شعوب المنطقة ، وفى مقدمتها أمتنا العربية ، كانت وماتزل كعهدِها دائما ، معتزة بقيادتها ، معتدة بريادتها، مهما عصفت رياح المتغيرات، أو تكاثرت غيوم المشكلات.

وفى هذا المجال نبرز كلمة حق ينبغى أن تقال عن قيادتها الآن:

ذلك أن الرئيس مبارك منذ تولى السلطة لم يسجل التاريخ له أنه أقبل على عمل مخالفا للشرعية، بل على العكس من ذلك اتسمت تصرفاته بالأتزان والتمسك بحقوق الوطن مع المحافظة على مصالح الشعب ورعايته.

إن الذين دبروا وحاولوا الأعتداء عليه فى أديس أبابا نسوا أو تناسوا، ما كان يعانيه الشعب المصرى طوال أزمان مديدة، من كبت وأضطهاد قبل الثورة، ثم ما أعقبها ـ لظروف خاصة ـ من شراسة وغطرسة مراكز القوى.

على أن بوادر الحرية والديمقراطية فى مصر أشرقت أضواؤها مع عهد الرئيس مبارك، فتمتع بالعدالة كل معارض، حيث تسيطر سيادة القانون فلا يدان أحد إلا وفقا له ..... وبالحق والعدل، لا بتحكم الأغراض والأهواء.

وما زلنا على الطريق فى سبيلنا إلى نهضة نتطلع إليها بعد أن تحقق لبلادنا من البناء ما يكفل مستقبلا مشرقا. فقد تم إنجاز البنية الأساسية لأغلب المرافق، وتحققت لمسيرة الإصلاح الاقتصادى كثيرا من النجاح.

وها نـحن نسـتكمل بناءنا الديمـقـراطـى المنشـود، فليـتق الله المغرضون، ولينظروا بعين الأنصاف إلى كل انجاز، وليكفوا عن الشر إن لم يقدروا على المشاركة فى بناء صروح الخير.

والله ولى التوفيق.

سفير د. حسين شريف.

القسم الأول

عهد الرئيس محمد حسنى مبارك

فى الفترة من ١٩٨١ حتى ١٩٩٥

تمهيد

الفصل الأول

مظاهر التغيير الثانى فى عهد مبارك

الفصل الثانى

الانجازات التى تمت فى خمسة عشر عاما الأولى من عهد مبارك

الفصل الثالث

الأمن القومى المصرى فى عهد حسنى مبارك

الفصل الرابع

نشاط المخابرات الأمريكية (C.I.A) فى مصر والعالم العربى

الفصل الخامس

مقارنة بين عهدين ـ الرئيس السادات والرئيس مبارك

تمهيد

تسلم الرئيس مبارك الحكم عام ١٩٨١ وكان عليه أن يحقق الأهداف المصرية والعربية والقومية، واستمرار تلقى المعونات الكبيرة وأن يحافظ على استقلالية القرار المصرى.

وكذلك العمل على ايجاد حل مناسب لمشكلة الشرق الأوسط وبذل محاولات جدية لاقناع الولايات المتحدة بانتهاج سياسة متوازنة غير منحازة لإسرائيل، وكان أبرز ما واجه الرئيس مبارك فى العام التالى لتوليه السلطة هو تواطؤ أمريكا وإسرائيل فى غزو لبنان مما أحرج مصر ووضعها داخل دائرة الشبهات، وأثار السخط داخليا فى مصر مما لا يمكن تجاهله. وقد اضطرت مصر للرد على هذا الغزو باجراءات محددة سبق وأن فصلت من قبل.

- وفى أكتوبر ١٩٨٢ وسط مشاعر السخط من الغزو الإسرائيلى للبنان وكان يستهدف منظمة التحرير الفلسطينية أصلا، ويحاول تمهيد الأرض لتسوية مشكلة الشرق الأوسط ترضاها كل من إسرائيل

وأمـريكا، وسط هذه المشـاعـر تـقـدم الرئيس ريجـان بمبـادرة أرادت جـذب اهتـمـام مـؤتمر القـمـة العـربى فى فـاس الذى كـان علـى وشك الانعقاد (١).

ـ وقـد توقـفت مـبـادرة ريجـان عند مـرحلة طرحـهـا بسـبب الاعـتراضـات الإسرائيلية والعربية، أما مصر فقد وجدت فيها بداية طيبـة، إلا أن الرفض الإسرائيلى قتل المبـادرة فـى المهـد ووصـفتـهـا إسرائيل بأنها تنازل للعرب على حساب أمن إسرائيل (٢).

ـ والجدير بالذكر أن روح هذه المبادرة رافقت الإدارة الأمريكية فى كثير من أبعادها حتى وصلت مع التعديل إلى صيغة مدريد عام ١٩٩١ .

= وقـد حـاولت «مصر ـ مـبارك» عام ١٩٨٥ ، حث إدارة ريجان، علـى تحـريك قـضـيـة الشـرق الأوسط وذلك بالموافـقـة علـى اجـتـمـاع أمريكى مع قادة المنظمة وبوجود دور للإتحاد السوفييتى فى الوصول إلى التـسـويـة. إلا أن جـهـود مـصـر باءت بـالفـشل بسـبب الرفض الإسرائيلى والانحياز الأمريكى.

وعندمـا قام الرئيس مبـارك بزيـارة مـوسكو لتقديم واجب العزاء فى وفاة الرئيس السوفييتى، ثم كـرر العزاء بزيارة السفارة السوفييتية بالقاهـرة. وفسر ذلك التـحرك بأنه رسالة ضمنية موجهـة من الرئيس

(١) انظر د. اسماعيل صبرى مقلد «الصراع الأمـريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط» منشورات ذات السلاسل ـ الكويت ١٩٨٦ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص/ ٥٤٤ .

إلى الإدارة الأمريكية تعبر عن استياء مصر لفشل جهودها مع الإدارة الأمريكية (١).

ورغم استمرار التوجه المصرى السابق الإشارة إليه فى التعليق بالنسبة للمعوقات وحل مشكلة الشرق الأوسط ومحاولة معالجة الانحياز الأمريكى إلا أن الظروف التى مرت بها مصر وخاضتها منذ بداية التسعينيات جعل اهتمامها يتركز على القضايا الاقتصادية. وشهد عام ١٩٩٠ اتصالات مكثفة فيما يتعلق بقضية المديونية وخاصة العسكرية، وفى أواخر أكتوبر ١٩٩٠ وافق الكونجرس على مشروع قرار باعفاء مصر من ديونها العسكرية (٢).

= والآن يمكن تأصيل الموقف بالنسبة للعلاقات الأمريكية المصرية بالقول بأن الرئيس بوش كان فى سبيله إلى تحقيق نوع من التسوية الشاملة قد تميل إلى صالح الأمن الإسرائيلى ولكنها تؤمن بمبادلة الأرض بالسلام، ولكن الرئيس بوش فشل فى إعادة انتخابه، وجاء «كلينتون» وكان لا يعرف أحد تصوراته تماما، وقد اتضح فيما بعد أن تصرفاته لا تخرج عن تصرفات من سبقه على الأقل حتى الآن مثل كارتر صاحب «كامب دافيد» وريجان.

وهذا يجرنا أيضا إلى الخوف من تناقص المعونات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية - بسبب الركود العالمى - وتركيز كلينتون على

(١) انظر التقرير الاستراتيجى - العربى ١٩٨٥، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٨٦ ص ٣٧٨ - ٣٨٥.

(٢) انظر التقرير الاستراتيجى العربى ١٩٩٠، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ص ٤٩٨ - ٥٠٠.

الاصلاح الاقتصادى الداخلى وقد ينتهى الأمر بالتخفيض أو الالغاء، وهو عامل لا يمكن الحديث عن نتائجه الآن.

وقد استمرت المعونات فى عهد كلينتون للظروف الدولية والشرق الأوسطية، وكذلك استمرار انحياز أمريكا لإسرائيل واحتمال ضياع قوة دفع عملية السلام من خلال تلاعب إسرائيل بالمسائل الإجرائية ولا يزال المأزق يواجه مصر - خصوصاً بعد أن قرر الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

مظاهر التغيير الثاني
في عهد مبارك

أولا : مظاهر التغيير الداخلى :

رغم أن حسنى مبارك كان اختيارا قام به السادات بنفسه،إلا أن مبارك لم يتحرك وفق أسلوب ساداتى أو أسلوب ناصرى، بل كان له أسلوبه فى الحكم والتغيير بحكم التصورات الخاصة ووفق الظروف المصرية والعربية والدولية المعاصرة.

وأول مظاهر التغيير على الصعيد المحلى، كان الاسترخاء السياسى والاجتماعى والاقتصادى العام الذى أحدثته سياسة مبارك المتأنية المرنة. وتجد ذلك فى مساحة الديمقراطية المتزايدة، وإن بقيت رغم ذلك ديمقراطية محسوبة وباستثناء ما حدث من تحجيم لحزب مصر الفتاة ومحاولة تحجيم حزب العمل فى عامى ١٩٩٢ - ١٩٩٣ .

وثانى مظاهر التغيير الداخلى، كان انسجام الحزب الوطنى الديمقراطى الحاكم مع رؤية بقية الأحزاب فيما يختص بشجب

التصرفات الاسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة وفى تأكيد تجميد تطبيع العلاقات طالما استمر التعنت الاسرائيلى.

وثالث مظاهر التغيير الداخلى، منح مزيد من التحرك الديمقراطى للمنظمات الجماهيرية وخاصة النقابات، وهو أمر أدى إلى تقليص نفوذ الحكومة وحزبها داخل هذه المنظمات، وفتح الطريق أمام سيطرة الاتجاه الدينى، وهو ماحدث داخل نقابة المحامين والأطباء والمهندسين، مما حدى بالحكومة فى عام ١٩٩٣ إلى تعديل قانون النقابات لتوسيع دائرة المشاركين فى انتخابات أعضاء مجالس النقابات من أجل الحد من سيطرة التيار الدينى الممثل أساسا فى الاخوان المسلمين.

ورابع مظاهر التغيير الداخلى، كان نمو قوة وتأثير جماعة الضغط والمصالح الاقتصادية «جمعية رجال الأعمال» وهو أمر يتسق مع ما يدعو إليه صندوق النقد الدولى وتستجيب له الحكومة من تغيير الهياكل الاقتصادية بما فى ذلك القوانين التى تطلق قوى قوانين السوق من عقالها.

وخامس مظاهر التغيير الداخلى، كان التوسع فى سياسة الانفتاح تأكيدا لخط الاقتصاد الحر والبدء فى اجراءات تصفية وبيع القطاع العام وهو أمر لم يحسم فيه السادات برأى حتى وفاته.

وسادس مظاهر التغيير الداخلى، هو المواجهة الحاسمة والتى لا رجعة فيها للعنف الذى اختارته الجماعات الدينية المتطرفة لخلخلة النظام وجعله آيلا للسقوط، ثم توجيه ضربة إليه لانهائه على غرار مادار فى أفغانستان، وكان ضرب السياحة التى تغذى الميزانية

بأرقام متزايدة من العملة الصعبة، ثم الاعلان عن ضرب الاستثمارات الأجنبية وهو أمر واضح فى التسعينيات بمثابة تخطيط منظم ودقيق وطويل النفس للوصول إلى الهدف.

وسابع مظاهر التغيير الداخلى، كان السماح للناصريين باقامة حزبهم وقد فسر البعض ذلك بأنه عمل فى اتجاه مغاير لما أقدم عليه السادات الذى أعطى الضوء الأخضر للأخوان المسلمين فى السبعينات للعمل بحرية لوزن القوى الناصرية واليسارية المعارضة، وتضخمت الأداة التى تصورها السادات واصبحت الخطر الذى أدى إلى اغتياله والسيطرة على قسم كبير من الشارع السياسى المصرى، وهنا أقدم مبارك على اطلاق سراح الحزب الناصرى تحت التأسيس ليعمل بحرية ويواجه التطرف الدينى المتوغل.

وثامن مظاهر التغيير الداخلى، فى عهد مبارك كان امتناع الرئيس عن تعيين نائب له، واستمرار هذا الاقتناع قد يعود إلى أن عملية الاختيار صعبة بين رجل مدنى ورجل بخلفية عسكرية لأن النظام قد اكتسب شرعية منفصلة عن شرعية ثورة يوليو ١٩٥٢ وأصبح الشارع المصرى ينظر إلى الرئيس بوصفه رجل مدنى ويتوقع منه أن يعين مدنيا خلفا له - نائبا للرئيس - أما القوات المسلحة فترى الرئيس ابنا لها تخرج من مدرستها وتتوقع أن يكون اختياره من داخل القوات المسلحة، وهو أمر جد محير والامتناع عن البت فيه خير.

وأخيرا نجد فى معالجة الحكومة للأزمة التى أحدثها المجند سليمان خاطر عام ١٩٨٥ وللأزمة الأخرى التى أحدثتها قضية ثورة

مصر التى تم القبض على المتورطين فيها كانت معالجة هادئة راعت الشعور الوطنى ولم تستفز توقعات الشعب المصرى.

مظاهر التغيير على الصعيد الخارجى:

وأول مظاهر التغيير الخارجى، كان علاقة مبارك بالدول العربية فقد تبين خطأ عزلة مصر عن مجالها الطبيعى، وأكد ذلك وجود عدد كبير من العاملين المصريين بالدول العربية وخاصة الخليجية وبروز أهمية تحويلاتهم بالعملة الصعبة إلى مصر، هذا بالأضافة إلى تفضيل رجال الأعمال المصريين لوجود علاقات طيبة مع العالم العربى، وقد تمكن مبارك عبر سياسة هادئة وعن طريق إيقاف الحملات الإعلامية ومد الجسور، من رأب الصدع، وقد ساعده على ذلك استمرارالتهديد الايرانى لدول الخليج ووصول القوات الإيرانية إلى شبه جزيرة الفاو وكان قصف مدافعها يسمع فى دول الخليج. وكان لابد من إحداث التقارب والوفاق العربى مرة أخرى، وقد تداعت عدة خطوات بعد ذلك تؤكد من أهمية ونمو الدور المصرى عربيا، ومن ذلك تأكيد مصر التزامها بالدفاع عن العالم العربى فى إطار اتفاقية الدفاع العربى المشترك ونجاح مصر فى تأكيد احترامها وتدعيمها لمبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية بين الدول العربية، وكان قمة الألتزام المصرى هو رفضها للغزو العراقى للكويت فى أوائل التسعينيات ومشاركتها بجهد واضح لازالة آثار هذا الغزو.

وثانى مظاهر التغيير على الصعيد الخارجى، نلمحه فى علاقة مصر بإسرائيل فقد أكدت مصر احترامها لالتزاماتها وفقا لاتفاقيتى

كامب دافيد بشرط التزام الجانب الآخر - إسرائيل - وإلا كانت مصر فى حل من ايقاف بعض بنود الاتفاقية مثل ماحدث من تضييق أو تجميد بنود تطبيع العلاقات، وفى هذا الإطار لم يقم مبارك بزيارة إسرائيل ومع هذا استقبل كبار القادة الإسرائيليين فى القاهرة. وقد بدأ مبارك موقفا وطنيا بأن الزم إسرائيل باتمام الإنسحاب من سيناء فى إبريل ١٩٨٢، ورفض رغبة إسرائيل فى الاحتفاظ بمنطقة طابا المصرية. وتعرضت العلاقات المصرية الإسرائيلية لأزمات متعددة مع كل عدوان إسرائيلى ضد الدول العربية، ومن ذلك موقف مصر الثابت إبان غزو إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢، وفى حادثة قصف إسرائيل لمقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس عام ١٩٨٥، وقيام مصر بشجب وإدانة ومقاومة وحشية إسرائيل فى التعامل مع الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت عام ١٩٨٧ . وفى أواخر عام ١٩٨٤ وضع الرئيس مبارك ثلاثة شروط لتحسين العلاقات مع إسرائيل وهى: حل نزاع طابا حلا عادلا، وانسحاب قوات إسرائيل من لبنان، وتحسين ظروف الحياة للفلسطينيين فى الأرض المحتلة.

وثالث مظاهر التغيير على الصعيد الخارجى، نجده فى تعامل مبارك مع الولايات المتحدة الأمريكية، فقد هاجم مبارك تخاذل أمريكا فى إدانة العدوان الإسرائيلى على الدول العربية بل وأتهم أمريكا بالتواطؤ مع إسرائيل فى غزو لبنان عام ١٩٨٢، كما كان موقفه متشددا يعكس المصلحة والكرامة الوطنية فى معالجته لموضوع اختطاف الطائرة المصرية من قبل الطائرات الأمريكية أثر حادث الباخرة الايطالية (أكيل لورو) عام ١٩٨٥ .

ورابع مظاهر التغيير على الصعيد الخارجى نجده فى عودة مصر للأتزان فى علاقات مصر الخارجية.

ثالثا: دوافع التغيير:

يمكن اجمال دوافع التغيير داخليا بالرغبة فى دفع عجلة التنمية وتجاوز الأزمة الاقتصادية لكى يتحول الموقف المصرى إلى مجتمع منتج لغذائه ومصدر للمواد الأولية والمصنوعة، وهذا لن يتأتى الإ عبر فترة استقرار طويلة وممارسات ديمقراطية، هذا بالإضافة إلى الرغبة فى تحجيم الجماعات الدينية واجتثاث جذور الإرهاب حتى لا تضيع الاجراءات التى اتخذت لدفع عجلة التنمية.

أما الدوافع الخارجية فتتراوح بين أهمية عودة مصر إلى العالم العربى لأنها بدون هذه الصلة تفقد الكثير من أهميتها فى مجال العلاقات الدولية، وأيضا من أجل أحداث التوازن فى علاقات مصر الخارجية ولدفع واقناع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية بضرورة قيام سلام عادل ودائم فى المنطقة.

رابعا: رؤية عامة:

والآن تبقى أمامنا ملاحظتان: الأولى عن محصلة سياسة مبارك داخليا وخارجيا وتأثرها بالظروف المحيطة، والثانية خطأ التصورات الغربية وبعض التصورات العربية عن مستقبل النظام فى مصر.

وبالنسبة للملاحظة الأولى نجد أن الرئيس مبارك قد تسلم إرث السادات المتمثل فى أبعاده الأربعة: الانفتاح الاقتصادى -

الديمقراطية المحسوبة، والعلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، والصلح مع إسرائيل، وحاول إعادة التوازن إلى الأوضاع الداخلية والخارجية على النحو الذى بيناه وتبقى بعض ملاحظات:

أولا: أمكن لمصر احترام التزاماتها وفق الاتفاقيات المبرمة مع إسرائيل بالقدر الذى لا يضر بانتمائها العربى، وبالقدر الذى لا يظهرها بمظهر اللامبالاة فى مواجهة عدوانية إسرائيل، وبالدرجة التى تحافظ على تماسك الجبهة الداخلية.

وثانيا: ساعد مصر على ذلك أن المعارضة المصرية لم تعد تطالب بإنهاء دولة إسرائيل بل اقتصرت مطالباتها على الغاء صيغة كامب دافيد أو حتى مجرد سحب السفير المصرى من إسرائيل ورفض التطبيع.

وثالثا: أن الدول العربية التى كانت رافضة وصامدة اضطرت نتيجة الظروف العربية والخليجية خاصة والظروف العالمية إلى تعديل موقفها على النحو الذى لمحناه من خلال قمة فاس ١٩٨٢، وما ظهر من خلال هذا المؤتمر وغيره من استعداد للتعايش مع إسرائيل والأعتراف بها.

ورابعا: نجح الرئيس مبارك بسياسته التى اتسمت بالصبر والمثابرة والبعد عن المهاترات والارتباط دوما بالأمانى والمصالح العربية إلى استعادة وضع مصر الإسلامى من خلال استعادة عضوية مصر فى منظمة المؤتمر الإسلامى (١٩٨٤)، وأشترك الرئيس مبارك شخصياً فى مؤتمر القمة الإسلامية بالكويت (يناير ١٩٨٧)، كما استعاد وضع مصر العربى، وانتهى الأمر بالحصول

على إلغاء كامل لقرارات بغداد من خلال مؤتمر قمة عمان (نوفمبر ١٩٨٧).

وخامسا : فإنه لا يمكن إهمال تأثير الظروف المحلية والعربية والدولية التى ساعدت الرئيس مبارك لانجاز تصوراته ومنها :

- إعلان المعارضة المصرية فى معظمها أنها تثق فى شخص الرئيس مبارك.
- أدت نبرة الاسترخاء الطويلة دون حرب مع إسرائيل منذ عام ١٩٧٣ إلى حرص الشعب المصرى على الاستقرار سبيلا إلى الرخاء.
- أدى غياب مصر عربيا إلى إعادة تقييم تتبنى فيه الدول العربية أهمية التواجد المصرى واستعادة مصر لدورها العربى.
- نمو قوة إسرائيل وتراجع قوة الدول العربية عسكريا.
- تنامى قوة إيران وتهديدها لدول الخليج ووصولها إلى شبه جزيرة الفاو.
- تراجع القدرة المالية لدول النفط العربية.
- نجاح سياسات مصر الخارجية وفق دبلوماسية نشطة ومرنة.

ولا يزال الرئيس مبارك يبحث عن صيغة جديدة للعمل المتناغم داخليا وخارجيا، وتدعوه إلى ذلك ضرورة مراعاة عدة عوامل جديدة أو قديمة متغيرة أو متصاعدة منها:

(أ) ازدياد هجمة الإرهاب الداخلى ألذى تغذيه وتوجهه عناصر أصولية متطرفة.

(ب) استمرار التعنت الإسرائيلى حول مسيرة السلام، وهو تعنت يتخذ طابعا ذكيا ومرنا على غرار «أضرب وأعلن حسن النوايا والرغبة فى السلام».

(جـ) والاستفادة من مساعدات الدول العربية القادرة على مساعدة مصر فى مجالات الاستثمار وتخفيض بعض ديونها الخارجية.

(د) وتنامى قوة الانتفاضة الفلسطينية وإمكانية استمرارها بشكل عاقل، وتماسك الجبهة الداخلية الفلسطينية لأن هذا الأمر يعطى مبارك مرونة أكبر فى تدخلاته لدعم مسيرة السلام.

(هـ) وتشجيع الولايات المتحدة على عملية السلام والتدخل فى الوقت المناسب لايقاف مراوغة الجانب الإسرائيلى.

والملاحظة الثانية تتصل بالسيناريوهات التى تصورها المعلقون لمستقبل مصر بعد كامب دافيد وهى تصورات تتجاهل تاريخ مصر وأهمية التعرف على مختلف الجوانب والقوى المؤثرة فى مسار الشعب المصرى.

وقد تصور الباحثون الغربيون مستقبل مصر بعد كامب دافيد من خلال ثلاث مسارات أو سيناريوهات رئيسية هى :

١ ـ استمرار سياسة الرئيس السادات بنفسه أو بخليفته، وبذلك تستمر

سياسة السلام مع إسرائيل والانفتاح الاقتصادى من أجل الرخاء، وتشكك المحللون فى إمكانية استمرار هذا المسار حتى عام ٢٠٠٠م، نظرا لاتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء فى مصر والشعور بالأغتراب نتيجة سياسة التغريب (١).

٢ ـ والمسار الثانى هو قيام نظام ناصرى يتهم خط السادات بالخيانة للقضية الفلسطينية ويهاجم سياسة الانفتاح ويدين الخروج من الصف العربى وتغيير التحالف مع الأتحاد السوفييتى إلى الولايات المتحدة الأمريكية وينتهى النظام الناصرى الجديد بارتكاب نفس أخطاء النظام الناصرى القديم.

٣ ـ والمسار الثالث هو قيام نظام إسلامى أصولى أشبه بالنظام الإيرانى ـ الخومينى، وتقوم باتباع سياسة التقشف والأعتماد على الذات والتنمية الزراعية والمساواة والشمولية، وقد تصبح مصر فى ظله مثل الصين الشعبية حيث تقوم الأصولية الإسلامية بتفريغ القيادات، ويؤدى قيام هذا النظام إلى مواجهة مع كل من : إسرائيل وأمريكا والسعودية ويكون حليفه الطبيعى ليبيا ـ القذافى.

ونظرة إلى خريطة مصر فى أواخر الثمانينات تدل على خطأ كل هذه التنبؤات فقد جاء خط مبارك بمسار لا يعد ناصرياً أو إسلامياً ولا يزال خط السادات السياسى والاقتصادى سارياً مع تعديل يتفق مع واقع مصر العربى وغير المنحاز. وقد تغلب تحالف مصر

(١) أى الارتباط بالغرب فكرا وعملا.

مع الولايات المتحدة الأمريكية على كل العقبات الناشئة مثل حلافات مصر مع إسرائيل والحاجات للتسوية العادلة للنزاع العربى الإسرائيلى. بل وأصبحت مصر واحدة من أكبر المتلقين للمعونة الأمريكية (٣ر٢ بليون دولار) الاقتصادية والعسكرية، واتسع نطاق التعاون العسكرى بين البلدين. كما لا يزال أرث كل من عبد الناصر والسادات موجودا (ولا تزال سلطات رئيس الجمهورية وفقا للدستور، وهى سلطات عريضة موجودة، ولا تزال القوات المسلحة محركة ثورة ١٩٥٢ صاحبة القول الفصل فى السياسة المصرية.

وعلى صعيد السياسة الخارجية لم تبتعد مصر عن الخط الناصرى بضرورة انسحاب إسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة، كما تمكن مبارك من إحداث توازن فى السياسة الخارجية بإقامة علاقات قوية مع الأتحاد السوفييتى واستعادة دور مصر العربى من خلال قمة عمان ١٩٨٧ .

وأيضاً تبدو الأصولية الإسلامية فى مصر اليوم فى وضوح الساداتية والناصرية وتعبر عن قوى اجتماعية واقتصادية وسياسية تسعى إلى إقامة دولة إسلامية فى مصر، ونجحت فى أن يتضمن الدستور المصرى نصا يقول: «بأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع»، كما حقق الأخوان المسلمين مكسبا بحصولهم على ٤٠ مقعدا فى مجلس الشعب المصرى عام ١٩٧٧ . وتحولوا بذلك إلى أكبر قوة معارضة بالمجلس وقد عملوا أولا تحت غطاء الوفد ثم بالمشاركة مع حزب العمل والأحرار.

وهذا المسار يؤكد أن بوتقة الحياة السياسية فى مصر لاتزال

تحتوى تفاعل العوامل الثلاث : الليبرالية (السادات) والقومية العربية (عبد الناصر) والإسلام ممثلاً فى الجماعات المتعددة.

الفصل الثانى

الانجازات التى تمت فى أربعة عشر عاما
الأولي من عهد مبارك

مرحلة الرئيس مبارك

وقفة تحليلية

١ - ظروف بداية المرحلة:

فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ - فى مناسبة الاحتفال بنصر أكتوبر - اغتالت جماعات التطرف المستترة بالإسلام الرئيس أنور السادات أثناء العرض العسكرى احتفالا بالنصر، وكانت حجتها المعلنة هى معاداة سياسة الرئيس فى كامب دافيد، أما أبرز أهدافها فكان إحداث فوضى شاملة تمكنها من الاستيلاء على السلطة. وأسرعت القوى السياسية القابضة على السلطة إلى تأمين انتقال السلطة إلى من اختاره الرئيس السادات وهو نائبه حسنى مبارك، والذى تولى مقاليد الحكم فى ١٤/١٠/١٩٨١ فى هذا الجو المشحون بالتوتر السياسى الداخلى.

وكانت القوى السياسية الداخلية المعارضة فى حالة غضب شديد

بسبب إقدام الرئيس السادات على اعتقال رموز المعارضة والفكر والأدب والدين فى مصر، وكان هذا هو الظرف الثانى الذى تولى فى ظله الرئيس مبارك السلطة.

وكان الظرف الثالث هو الحالة الاقتصادية المتردية واهتراء البنية الأساسية للمرافق وعدم نجاح الانفتاح الاقتصادى للوفاء بحاجات الجماهير وإحداث نهضة معقولة للاقتصاد المصرى.

وعلى الصعيد العربى وجد الرئيس الجديد نفسه فى مواجهة معارضة عربية شبه كاملة بسبب اتفاقيات كامب دافيد ومحاولات مستمرة لعزل مصر عربياً وإسلامياً.

أما إسرائيل فقد أخذت تناور لعدم تكملة انسحابها من سيناء، فى مناورة تستهدف تفهم القيادة السياسية الجديدة واحراجها عند اللزوم.

كما كانت الولايات المتحدة فى مرحلة تحسس مواقفها بعد اختفاء السادات وخاصة أن رجالها كانوا يروجون بأن الرئيس الجديد أكثر تشدداً وعناداً.

وإذا كان تاريخ البشرية يقاس بآلاف السنين، والأمم والشعوب بمئات السنين، فإن حياة القادة يمكن حسابها بالعقود، أى بعشرات السنين، وعلى هذا فإن أربعة عشر عاماً تعد مناسبة للحكم على فترة مبارك حتى الآن واستشفاف مسارها مستقبلا بإذن الله.

وبداية نقول بأن محك التحليل هنا سيدور حول مختلف التحديات التى واجهت حكم الرئيس والتى عمد مبارك إلى حلها بهدوء وباللجوء إلى أهل الخبرة من مستشاريه، ومن أبرز هذه التحديات :

- التحدى السياسى الداخلى.
- التحدى الاقتصادى.
- التحدى السياسى العربى.
- تحدى أزمة الشرق الأوسط.
- التحدى الاجتماعى.

٢ - التحدى السياسى الداخلى:

(أ) كانت قنوات الاتصال قد سدت تماما بين الرئيس السادات وبين قوى المعارضة فى الداخل سواء فى ذلك المعارضة اليمينية أو اليسارية، وأقدم الرئيس السادات - خشية توقف عملية السلام - على اعتقال رموز المعارضة المصرية من كل الاتجاهات وذلك فى سبتمبر ١٩٨١ .

ومع تولى الرئيس مبارك الحكم وضحت رغبته الصادقة فى تحقيق الوفاق الوطنى، فقام بالأفراج عن السياسيين والكتاب والمفكرين الذين اعتقلوا فى سبتمبر، وأعيدت الصلاحيات الدستورية للأحزاب المعارضة لتمارس نشاطها من جديد فى ظل انفراج ديمقراطى عبر عن حسن النية والرغبة فى التعاون.

(ب) وفى أول يناير ١٩٨٥ أصدر الرئيس مبارك قرارا بانهاء عزلة البابا شنودة ودعوته إلى ممارسة مهامه وكان قد أوقف بقرار من الرئيس السادات إبان أزمة سبتمبر تحت لافتة «الفتنة الطائفية». وبعودة الأنبا شنودة انتهت تماماً كل آثار سبتمبر ١٩٨١ وشهدت مصر فترة استرخاء وسلام.

(جـ) ومع بداية ولايته فى أكتوبر ١٩٨١ حرص الرئيس مبارك على الاستماع إلى آراء وآمال كُتاب ومُفكرى الشعب المصرى وأبنائه ليتعرف على آراء وآمال الشارع المصرى.

ـ وكانت آراء الكُتاب والمفكرين تدور حول مطالب وآمال محددة منها :

- إن مصر تريد حاكما ديمقراطياً يحمى الدستور.
- إن مصر تحتاج إلى تغيير شامل يحقق الرخاء والحرية للشعب.
- إن مصر تتطلع إلى الاستقرار.
- وإن بداية مبارك تبشر بالخروج من المحنة إلى آفاق المستقبل.

ولذلك حرص مبارك على الزيارات المستمرة، لمواقع العمل والإنتاج للتعرف على جوانب البلد الذى يقوده إلى الآمال المطلوب تحقيقها، فزار المصانع والمزارع والمدارس والمستشفيات وأقسام القوات المسلحة والشرطة والجامعات.

وكان حرص الرئيس مبارك واضحاً على اللقاء بالمواطنين البسطاء أثناء جولاته الميدانية للاطمئنان على أحوالهم وحل مشاكلهم لادراكه أن حل مشاكل البسطاء ليس انحيازاً ولكنه واجب.

(د) فى ١٩٩٢/١٠/١٢ ضرب الزلزال المدن المصرية وأحدث خسائر فادحة، وخاصة فى المبانى القديمة، وقطع الرئيس زيارته لليابان وكوريا إبان زيارته للصين.

وقد كشف الزلزال عن أزمة العشوائيات في مصر وأمر الرئيس بوضع مشروع قومي لحل هذه الأزمة، وإعادة بناء ما تهدم وسرعة تقديم المساعدات إلى المنكوبين، وقد كان اداء الحكومة سريعا وفعالا بفضل عناية ومتابعة الرئيس.

(هـ) ومع تصاعد الآمال في دعم التحول الديمقراطي ازدادت المواجهة بين نظام الحكم وبين الجماعات الإرهابية المسلحة المتدثرة بعباءة الإسلام والتي بلغت شراستها بتدمير عدد من المنشآت وما ترتب عن ذلك من مقتل عدد من المواطنين الآمنين، وكذلك محاولة اغتيال عددا من رموز الحكم مثل وزير الداخلية ووزير الإعلام ورئيس الوزراء، ثم أخيرا محاولة أغتيال رئيس الجمهورية نفسه في أديس أبابا في ١٩٩٥/٦/٢٥، كما قتلوا وحاولوا قتل رموز الانفتاح على العصر الحديث ومثال ذلك محاولة أغتيال كاتب مصر الكبير نجيب محفوظ ،مما أدى إلى تشديد العقوبات على جرائم الإرهاب والتوسع في محاكمة المدنيين أمام المحاكم العسكرية.

وقد تمكن مبارك من حشد مختلف الاتجاهات الشعبية وراء حملته لمحاربة الإرهاب ونجح في الربط بين نمو الإرهاب وبين محاولة تحطيم الاقتصاد المصري وتجربة الديمقراطية المصرية وبهذا تمكن من وضع اللبنات الأولى لعزل الإرهاب في مصر.

(و) ووضح أن مبارك قد قرر أن يكون حكمه ديمقراطيا مستندا إلى الدستور وإرادة الشعب وأبرز دلالات هذا الاتجاه نجده فيما يلي:

● الخطوات التي اتخذها الرئيس لإزالة الآثار السلبية لقرارات سبتمبر

١٩٨١ والتى هددت التحول الديمقراطى فى عهده وحولته إلى تحول يتم بارادة السادات الذى يمكنه أن يعطله أو يطلقه.

- قبول الرئيس مبارك لأحكام القضاء ـ ولضرورة المرحلة ـ فسمح بتوسيع الحياة الحزبية فأسقط الحظر على تولى الشخصيات الوفدية البارزة وأسقاط الإعتراض على قيام الحزب الديمقراطى العربى الناصرى عام ١٩٩٢ وأصبح عدد الأحزاب ١٤ بدلا من ٤ .

- قبول الرئيس لقدر واسع من التعددية الفكرية والسياسية خارج المجالس النيابية فى الصحف والنقابات المهنية ونوادى أعضاء هيئات التدريس والمنظمات غير الحكومية.

- استجابة الرئيس بعد ثورة الصحفيين إلى السير فى إجراءات استبدال القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ والدخول فى حوار مع الصحفيين حول قانون جديد.

٣ ـ التحدى الأقتصادى:

(أ) فى بداية ولاية مبارك كان الوضع الأقتصادى غاية فى السوء وكانت مياه المجارى تطفح فى كل الأحياء بالعاصمة، وكانت الكهرباء تقطع عن أحياء كاملة بالتبادل، وكانت المصانع تعمل بأقل من نصف طاقتها لنقص الكهرباء.

وفى تلك الأيام ازداد إتساع السوق السوداء وابتلعت أمامها السوق الحقيقية وزادت طوابير الجمعيات لندرة السلع وقلة الإنتاج.

(ب) وفى فبراير ١٩٨٢ افتتح الرئيس أول مؤتمر عام لإصلاح مسار

الأقـتـصـاد المصرى وأتيح لرجـال الأقـتـصـاد من مـخـتلف المدارس الفكرية والسياسية المشاركة بفعالية.

وكـان هـدف المؤتمر الذى دعـا الرئيس إليـه، هو البـحث عن مخرج من الانفتاح الاستهلاكى ومعالجة مشاكل الديون المتفاقمة.

(جـ) وفى عـام ١٩٨٣ أعلن الرئيس مـبـارك سـيـاسـة الانفـتـاح الأقتصادى الإنتاجى وتم التركيز على المشروعات الصناعية.

وليس مـعنى ذلك أن النهـضـة الاقـتـصـادية لم تكن مطلبـا قـبل ذلك، فمنذ قـيام ثورة ١٩٥٢ سعت الدولة إلى تحـقيق توزيـع أفضل للدخول عبـر قوانين الإصلاح الزراعى، ثم تصدت بعد ذلك لقوى العدوان عام ١٩٥٦، وعندما حاولت حكومة الثورة بعد عام ١٩٥٦ أن تسير قـدمـا فى تحـقيق النهـضـة الأقـتـصادية لم تتـعاون مـعـهـا الرأسـمـاليـة الوطنيـة مما دفع النظام حـينئـذ إلى الاتجاه إلى الملكيـة العامة والتأميم بعد ذلك.

وقد حمل السادات هموم التنمية جنبا إلى جنب مع محاولة إزالة آثار العدوان بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر.

إلا أن الظروف بعد وفاة الرئيس السادات كانت ناضجة للتركيز على التوجه نحو النهضة الأقتصادية، لأن النظام تخلص من عبء العدوان الخارجى ومحاولات التعويق الدولية.

٤ ـ التحدى السياسى العربى:

(أ) بسبب سياسة كامب دافيد كانت علاقات مصر مقطوعة مع الدول العربية فيما عدا السودان وسلطنة عمان.

- وتم نقل الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس.

- فى هذا الجو المشحون تولى مبارك الحكم.

- ونتيجة لسياسته المتزنة استأنفت معظم الدول العربية علاقاتها مع مصر. وكانت هناك عوامل مساعدة أدت إلى اقتراب الدول العربية من مصر ومنها ضراوة الحرب الايرانية / العراقية التى هددت عددا من دول الخليج وموقف مصر المساند للعراق وللدول العربية الخليجية، وجاءت عودة الدول العربية نتيجة مؤتمر القمة فى عمان عام ١٩٨٧ .

- وجاءت القمة العربية فى المغرب عام ١٩٨٩ لتعيد مصر إلى الجامعة العربية، ثم الجامعة نفسها إلى القاهرة بعد ذلك.

(ب) وقد تمكن مبارك من إعادة التوازن إلى السياسة الخارجية المصرية ومن ذلك:

- النظر إلى علاقة مصر وإسرائيل من خلال كامب دافيد كحق لمصر لا تتراجع عنه وفى نفس الوقت ترفض التطبيع الا فى حالة أتمام عملية السلام الشاملة.

- ابتعاد مصر عن أسلوب الدعاية الصارخة والهجوم الأذاعى والصحفى.

- عدم مصادرة حق الدول العربية فى الاختلاف مع مصر حول السياسة الواجب اتباعها نحو إسرائيل.

- رفض مصر أن يتحول مجلس التعاون العربى الذى تكون فى فبراير ١٩٨٩ وضم مصر والأردن والعراق واليمن إلى محور ضد

دول عربية أخرى وهو أمر وضح من خلال موقفها المتوازن إبان العدوان العراقى ضد الكويت.

- ولم يمنعها وجودها داخل مجلس التعاون العربى أن تعمد إلى تحسين علاقاتها مع سوريا فور إعادة سوريا لعلاقاتها مع مصر أواخر عام ١٩٨٩ .

- ورفضاً للعدوان العراقى على الكويت ساهمت مصر فى قوة التحالف الدولى ،مع رفضها فى نفس الوقت إبادة الشعب العراقى أو تجزئة العراق.

- وظهر هذا التوازن أيضا ابان أزمة «لوكيربى» ـ الأزمة الليبية مع الغرب ـ فقد التزمت بقرار الحظر الجوى المفروض على ليبيا بقرار من مجلس الأمن، لكنها استمرت فى الدفاع عن المصالح الليبية استنادا إلى طبيعة مصالح البلدين والعلاقة الخاصة التى تربط بينهما.

- كذلك وضح التوازن بالنسبة للتسوية فى الشرق الأوسط، فقد أيدت مصر مبدأ التسوية السياسية إلا أنها دعمت الموقف السورى السليم المتمسك بضرورة عودة الأراضى المحتلة بالكامل.

٥ ـ تحديات أزمة الشرق الأوسط

(أ) أعلن الرئيس مبارك فور توليته الحكم التأكيد على السلام، مع إسرائيل ولكنه رفض بناء على طلب إسرائيل أن يكتب تعهدا لها بمواصلة سياسة سلفه مؤكدا على استمرار السياسة المصرية كسياسة دولة ومؤسسات.

كما رفض زيارة إسرائيل دون مبرر يقتضى هذه الزيارة ملمحا إلى ضرورة أتمام عملية السلام الشامل.

(ب) كما رفض الرئيس أن يكون التطبيع اندفاعا أحمق إلى العلاقات مع إسرائيل دون إدراك المصالح المصرية والعربية وضرورة أتمام عملية السلام الشامل.

(جـ) وقد حاولت إسرائيل المراوغة لإتمام الإنسحاب من سيناء بعد وفاة الرئيس السادات، إلا أن موقف مبارك الحاسم دفعها إلى احترام تعهداتها وتم الإنسحاب فى ١٩٨٢/٤/٢٥ وارتفع علم مصر فوق شرم الشيخ ورفح ولم يتبق إلا «طابا» التى افتعلت إسرائيل نزاعا حولها.

(د) ومع اصرار مصر مبارك على عدم التفريط فى حبة رمل واحدة من سيناء رضخت إسرائيل للتحكيم وفق المعاهدة وخسرت إسرائيل التحكيم، وقام الرئيس مبارك برفع العلم المصرى فوق طابا، وبذلك استعادت مصر كامل ترابها الوطنى.

أمر الرئيس بتوجه سفينة مصرية من بورسعيد محملة بالأغذية والأدوية وعليها عدد من الصحفيين والفنانين إلى بيروت للتضامن مع لبنان وفلسطين، واهتم الرئيس بتأمين خروج رئيس المنظمة ياسر عرفات إلى تونس، وسحبت مصر سفيرها فى إسرائيل احتجاجا على العدوان، ووجهت إسرائيل دعوة إلى الرئيس لزيارة القدس فرفضها.

(و) وقـد سـاهم الرئيس بجـهـد واضح فى تقـريب وجـهـات النظر الفلسطينية والإسرائيلية مما أدى إلى نجاح اتفاقية إعلان النوايا وبدء الطريق نحو إقامة الدولة الفلسطينية.

كما قام تنسيق كامل وواضح بين الرئيس مبارك والرئيس الأسد لتنشيط عملية السلام العادل على الجبهة السورية.

وأعلن الرئيس مـرارا أن السلام لن يكتـمل بدون أتمام اجـراءاته مع كل من سوريا ولبنان.

(ز) وبالنسبـة للتطبـيع والتـعـاون كـانت لمبـارك مـلاحظات بناءة وخاصة بالنسبة للمشاريع الشرق أوسطية، فقد أكد دوما على أن السلام أولا ثم يأتى التعاون حتـى لا تكون استفادة اسرائيل من جانب واحد.

٦ـ التحدى الاجتماعى:

(أ) ايمانا بأهمية رعاية غير القادرين وضرورة القضاء على البطالة وتوفيـر فرص العمل للشبـاب بعيدا عن الوظائف الحكومـيـة، أصدر الرئيس مبارك فى فبراير ١٩٩١ قرارا جمـهوريا بانـشاء الصندوق الاجتماعى للتنمية.

(ب) ومنذ بداية عـهده قامت الأجـهزة الرقابية بفتح ملفات الفساد فأثيـرت قضايا توفيق عبـد الحى ورشاد عـثمان، وعـصمت السادات وأحيل عدد آخر إلى القضاء وأدينوا.

(جـ) وفى عهده تم اثراء الحياة الثقافية ومثال ذلك إنشاء دار الأوبرا وحصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل، والعناية بآثار مصر، ونجاح البرنامج العريض «القراءة للجميع».

(د) كما شهد عصر مبارك إعلاء كرامة الفنان المصرى ودخوله إلى مجلس الشعب والشورى، وأقيم العديد من المتاحف والمزارات.

(هـ) كما عنى مبارك بنهضة الجامعات المصرية وتقديم جوائز الدولة للبارزين بها.

٧ ـ نظرة إلى المستقبل:

(أ) أكد حسنى مبارك بالسلوك وليس بالقول فقط أن مصر انتقلت من عصر الشمولية إلى عصر ديمقراطى حقيقى.

(ب) وأكد المسار المشار إليه أن مبارك يعتقد أن القائد يخدم شعبه ولا يتصرف بعيدا عن حسه.

ـ وهى صفة واضحة فى حسنى مبارك لاتتناقض مع تاريخه العسكرى.

ـ كما أن هذا التصور لم يكن اضطرارا من القائد بل اختيارا يعتمد على طبيعته الإنسانية.

ـ والطبيعة الإنسانية البسيطة السمحة من أبرز أسس العمل الديمقراطى.

(جـ) كما أن الرئيس مبارك قد تفهم تماما الشخصية المصرية التى ترفض الشطط والتطرف، وتعامل معها على هذا الأساس واستند إلى تأييدها فى محاربة الإرهاب.

(د) كما أنه تفهم السلوك الانعزالى المتفرج للشخصية المصرية بسبب استبعادها لفترة طويلة من العمل السياسى واعتمادها كلية على القيادة وعلى الدولة.

وهو يريد من الشخصية المصرية أن تخلع رداء السلبية والانعزالية وتنحو إلى الفاعلية، إذ أنه بدونها لن يكتب لبرامج النهضة الإقتصادية النجاح.

(هـ) وعلى هذا فالمستقبل ملئ باحتمالات نمو الاتجاهين الديمقراطى والإصلاحى.

الفصل الثالث

الأمن القومى المصرى في عهد الرئيس مبارك

١ - من خلال كتاب النشاط السرى الأمريكى فى مصر والعالم العربى «لبوب وود ورد» اتضح بأن الرئيس مبارك كان يكره أساليب المراقبة الأمريكية.

وقد تعرض لخبرة مؤلمة إبان حادث الباخرة الايطالية « اكيلو لورو» وما انتهى إليه الأمر من قيام الطائرات الحربية الأمريكية باختطاف طائرة ركاب مصرية وإجبارها على الهبوط فى إيطاليا وهو أمر أدى إلى استياء الرئيس مبارك، ولكنه عالج هذا الأمر بحكمة، وانتهى الأمر بنقل السفير الأمريكى من القاهرة واعتذار الحكومة الأمريكية.

٢ - وقد ارتكن الرئيس مبارك إلى جهاز المخابرات المصرى - عكس سلفه - وهو أمر أتاح له معلومات وطنية وسليمة، مكنته من استبعاد المراقبة الأمريكية على وسائل الاتصال، كما مكنته من اتخاذ القرارات السليمة تجاه الأزمات، ومنها محاولة الولايات المتحدة توريط مصرى فى غزو مشترك لليبيا وهو أمر رفضه الرئيس، وكان لذلك صدى عربياً كبيراً.

٣ - ورغم علاقات الصداقة والتعاون الواضح، بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقات السلام بين مصر وإسرائيل فإن جهاز المخابرات المصرى لم ينس دوره الحيوى، فقام بالكشف عن العديد من أعمال الأختراق والحصول على معلومات من جانب المخابرات المركزية أو من جانب الموساد الإسرائيلى.

٤ - وجاء عهد الرئيس مبارك مختلفاً عن عهد السادات من حيث اهتمام الرئيس مبارك بالحفاظ على خصوصية جهاز المخابرات ووفاء بمصلحة وأمن مصر، فقام بوضع كافة الامكانات لاعلاء شأن الأمن القومى المصرى، وابتعد عن التصرفات والتصريحات والأحاديث التى قد تكشف بعضاً من أسرار الدولة، لأن شخصية الرئيس مبارك بعيدة كل البعد عن سمات الاستعراض ومناورات الذكاء، وأكبر دليل على ذلك، موقف الرئيس القاطع إبان أزمة السفينة «اكيلو لورو» التى جعلها الرئيس مرتكزا لتطهير كل الجيوب الاستشعارية التى زرعت إبان عهد الرئيس السادات والتى كانت أداة توصيل للمعلومات على علاتها إلى الأجنبى، ولم يتوقف من أجل الدفاع عن أمن وكرامة مصر عند حد، إلى الدرجة التى أدت به إلى طرد السفير الأمريكى وقتئذ من البلاد بوصفه شخصاً غير مرغوب فيه وبطريقة لبقة.

الفصل الرابع

نشاط المخابرات الأمريكية المركزية (C.I.A) في مصر والعالم العربي في عهد مبارك

ارتباك المخابرات الأمريكية بعد مصرع السادات (١)

(أ) وقد سهرت الحكومة الأمريكية نتيجة هذه المعلومات عن مصرع السادات، وخشيت أن يحملها نائب الرئيس (مبارك) النتائج - لأن المخابرات المركزية التى دربت حراس الرئيس فشلت فى انذاره - ولكن لم يحدث أى شئ ولا حتى مجرد كلمة واحدة.

وعرف أن القتلة كانوا أعضاء فى مجموعة محلية فى مصر، وكانت المخابرات الأمريكية قد بذلت مجهوداً ضخماً فى التصنت والتجسس والنظر إلى المخاطر الخارجية ضد السادات، ولكنها لم تعط الأهمية للأخطار الداخلية، وكان الأمر قريباً من السيناريو الذى حدث فى إيران.

(ب) وهذا الأمر أكد أن المخابرات المركزية الأمريكية تحتاج إلى مزيد من القنوات للحصول على المعلومات فى مصر. وركزت

(١) انظر بوب وورد «النقاب» ص ١٧٩ - ١٨٠

المخابرات الأمريكية على كل من الأجهزة الألكترونية والمصادر البشرية حتى فى أعلى مناصب الحكومة المصرية الجديدة. لمنع تكرار ماحدث للسادات مع مبارك.

وكان الرئيس مبارك يكره نظام المراقبة بالصوت فى التليفونات والتى زرعها الأمريكان فى مصر.

(جـ) كان الرئيس ريجان لا يقرأ كثيراً بل يفضل مشاهدة الأفلام، فقد عمدت المخابرات الأمريكية عمل عروض مصورة سينمائيا عن الزعماء فى الدول الأخرى لتعرضها على الرئيس فى البيت الأبيض أو فى كامب دافيد.

(د) وكان هناك عرضا عن الرئيس الجديد لمصر ـ مبارك حيث بدأ الراوى قائلا بصوته على الشاشة «هذا هو حسنى مبارك» وترد الموسيقى والمقدمة الفنية، ثم تعرض الصور للقرية الصغيرة التى عاش فيها حسنى مبارك ـ كفر المصيلحة ـ وتقع فى الجزء الشمالى من إحدى محافظات الدلتا.

(ز) وكان من أبرز الشخصيات التى عرضتها المخابرات الأمريكية من خلال أحد الأفلام هى شخصية مناحم بيجين وبشكل يخدم المصالح الإسرائيلية. إذ بدأ الفيلم بهدير البلدوزرات فى معسكر اعتقال نازى وصوت بيجين على الفيلم «لن يحدث مرة أخرى مثل هذا» ويكرر الجملة مرة أخرى.

عاصفة الصحراء لإنقاذ الكويت (١)

(أ) عرضت السعودية سرعة التحرك الأمريكى والاستفادة من الدول العربية الصديقة للسعودية والصديقة للولايات المتحدة

(١) انظر بوب وود ورد «القادة» ص ٢٥٤، ٢٥٧، ٤٣١ .

الأمريكية مثل مصر والمغرب، وقد اثنى مستر تشينى على هذا التصور الذى عرضه الملك فهد.

(ب) وتصور تشينى أن صدام حسين ليس شخصاً انتحارياً، إلا أن بعض النزاع أو الخلاف مع الولايات المتحدة قد لا يكون بالضرورة شيئاً ضاراً لصدام، كما تصور تشينى أن موقف صدام يشابه موقف الرئيس الراحل السادات فى حرب ١٩٧٣ التى بدأتها مصر وسوريا بشبه هجوم مباغت على إسرائيل. ولم يكن السادات مضطرا لهزيمة إسرائيل لكى يكسب تلك الحرب، وكل ما كان عليه هو أن يعبر قناة السويس ليبين أنه مستعد لمحاولة استعادة سيناء من إسرائيل.

(جـ) وكان ما يقلق تشينى هو ظهور أية تطورات مفاجئة كما كان يشعر بأن التحالف هش، لأن أطرافه وخاصة فى الشرق الأوسط مثل السعودية ومصر وسوريا ودول الخليج كانوا متخوفين من أن الولايات المتحدة قد تجد عذراً لعدم التحرك.

موقف الرئيس مبارك من نشاط المخابرات المركزية الأمريكية تجاه ليبيا.

١ - اختطاف طائرة ركاب أمريكية :

ـ فى ١٩٨٥/٦/١٤ قام اثنان من رعايا لبنان باختطاف طائرة T.W.A التى اقلعت من أثينا إلى روما، وفى الطريق اجبرت على الهبوط فى بيروت ومنها إلى الجزائر. وهنا بدأت عملية اتصال استمرت ١٧ يوماً وقد نشطت أجهزة التليفزيون فى تصوير العملية

التى نقلت تماماً إلى المشاهدين فى البيت الأبيض والمخابرات والشعب الأمريكى ـ وأظهرت لقطات التليفزيون قائد الطائرة. وقد قتل فى الاختطاف جندى بحرى أمريكى ولكن بقية المختطفين بما فيهم ٣٩ أمريكى أطلق سراحهم بعد ذلك دون أى أذى.

ـ وكان من رأى قادة الأمن فى أمريكا أن الإدارة الأمريكية كانت أسعد حظاً بالمقارنة بما حدث أيام احتجاز إيران للرهائن فى عهد كارتر لمدة ٤٤ يوما، ولكنهم عرفوا أيضاً مواطن ضعف الإدارة الأمريكية والتى كشفتها حادثة T. W.A إلى بيروت من حيث قدرة تعاملها مع الإرهاب وافتقادها لسياسة هجومية.

وأدى هذا الأمر إلى احتجاجات واضرابات ضد السياسة الأمريكية الضعيفة.

ـ ورغم أن مدير المخابرات المركزية لم يكن متأكداً ممن كانوا وراء العملية إلا أن الدلائل كانت تشير إلى القذافى وليبيا، وخاصة أن القذافى كان يستخدم شفرة بدائية تمكنت أجهزة الأمن الأمريكية من حلها.

ـ وأظهرت مراسلاته أنه أكثر القادة تأييدا للارهابيين وكانت عملياته بدائية تترك آثاراً خلفها تدل عليها.

ـ أما سوريا وإيران على النقيض كانت أكثر انضباطا وعملا فى الظلام.

---

(١) انظر بوب ودد ورد «النقاب»، ص ٤٦٩ ـ ٤٧٦ + ٤٨٢ ـ ٤٨٣ + ٤٩٨+ ٥٠٢ ـ ٥٠٣ + ٥١٢ .

٢ ـ وكانت فرصة لضرب الإرهاب وضرب القذافى معا :

ـ أبقى رئيس المخابرات من خلال تقاريره صورة القذافى وأعماله حية مستمرة وملحة انتظاراً للحظة المناسبة ... وقبل ذلك بثلاثة أشهر فى مارس ١٩٨٥ قدم تقريراً عن تحدى القذافى للمصالح الأمريكية والغربية.

ـ وأكدت المخابرات أن القذافى سينشر المشاكل فى كل أجزاء العالم، يقدم الرجال والأسلحة وقواعد للعمليات وتسهيلات السفر والتدريب إلى حوالى ٣٠ مجموعة ثورية وأصولية وإرهابية.

ـ وقدمت المخابرات المركزية خريطة لأنشطة القذافى العالمية تصل إلى حجم ما كانت عليه عمليات التوسع السوفيتية فى الخمسينيات وفق تقرير قدم فى ذلك الوقت.

ـ ومن مناطق عمل القذافى وفق تقرير المخابرات المركزية نجد :

جواتمالا ـ السلفادور ـ كولومبيا ـ شيلى ـ الدومينكان ـ أسبانيا ـ تركيا ـ العراق ـ لبنان ـ باكستان ـ بنجلاديش ـ تايلاند ـ الفلبين ـ النيجر ـ تشاد ـ السودان ـ نامبيا ـ وغيرها من ثمان دول أفريقية.

ـ وصفت المخابرات الأمريكية مناطق أخرى بوصفها تتلقى لمساعدات ليبيا بهدف التدخل فى شئونها الداخلية وتوجيه المساعدات إلى المعارضة السياسية والقادة اليساريين وكان هذا يشمل:

النمسا ـ بريطانيا ـ كوستاريكا ـ سانت لوتشيا ـ دومنيكا ـ انتيجوا ـ واستراليا.

ـ وربطت التقارير بين قوات القذافى وبين القواعد السوفييتية فى أووبا الشرقية وهو ماقد يدعوه إلى القيام بمغامرات نظراً لزيادة ثقته فى نفسه. وأكدت تقارير المخابرات أن القذافى يضع الشخصيات والمؤسسات الأمريكية ضمن أهدافه فى حالة شعوره بأنه مستهدف من الولايات المتحدة، أو أنه يستطيع الضرب دون رد من الولايات المتحدة.

٣ ـ وحددت المخابرات أهداف القذافى فى الآتى :

(أ) تدمير معارضيه.

(ب) السيطرة الأقليمية.

ـ وقد جعلت المخابرات موضوع ليبيا حيا أمام ريجان مما جعله يقرر قيام مناورات بحرية قرب السواحل الليبية.

ـ وكان رجال المخابرات يعرفون رغبة رئيسهم فى تسخين الأزمة مع ليبيا فأمطروه بالتقارير الخاصة.

ـ وفى ١٩٨٥/٥/٩ عرضت صحيفة خاصة بمعلومات المخابرات لموضوع ليبيا بمناسبة مرور سنة على محاولة قلب نظام القذافى فى ١٩٨٤/٥/٨ عندما هاجمت قوات معادية تكنات القذافى وأكدت أن القذافى لا يزال يقوم بأعمال ارهابية وأنه وراء عملية كانت تستهدف دفع سيارة ملغومة إلى داخل السفارة الأمريكية فى القاهرة.

ـ وكانت هناك تقارير عن دعم القذافى لسلاحه الجوى وسلاح المدرعات والسلاح البحرى.

ـ ورغم أن معارضى القذافى لم يشكلوا بعد خطورة على نظامه إلا أنهم كانوا يتلقون دعما متعدداً، مثل قاعدة ثابتة والأموال والتدريب من كل من ـ مصر ـ الجزائر ـ السودان ـ العراق ـ وجناح عرفات فى المنظمة.

٤ ـ وبدأ مساعدوا ريجان بعد حادث الطائرة T. W. A (إلى لبنان)

يعيدون دراسة الموقف على أساس أن العقوبات الاقتصادية والضغوط الدبلوماسية لم تؤت ثمارها، وقد اجمع على ذلك كل القادة ومنهم، كاسى وشولتز ووابنبرجر وغيرهم، وهو اجماع غريب، ولذا تم التوصل إلى خطة عامة: وأخذت اسم كودى «ايورده» وإلى جانبها اسم كودى «التوليب» وهى عملية مخابرات بقصد اسقاط نظام القذافى، ويشمل ذلك الاستعانة بالجبهة القومية لإنقاذ ليبيا، وهى التنظيم فى المهجر المناوئ للقذافى، بالإضافة إلى دول أخرى متضررة من القذافى ولا تريده بالمنطقة مثل مصر.

ـ ويضاف إلى ما سبق اسم كودى آخر «روز» وهى ضربة عسكرية وقائية ضد ليبيا بالتنسيق مع حلفاء الولايات المتحدة وخاصة مصر على أساس أن تقدم الولايات المتحدة التسهيلات الجوية ويكون هناك هدف واحد هو معسكر القذافى التى يمكن اعتبارها مركزاً للإرهاب.

ـ والسؤال الذى أثير: هل هذه الضربة تعد اغتيالا ؟ ؟

وهنا قال الرئيس الأمريكى لايجب أن تشغلهم هذه المشكلة وأنه يتحمل المسئولية فى قتل القذافى وانتهى النقاش.

- وفى حالة فشل الضربة العسكرية (تيوليب وروز) فإن هذه الضربة تخلق حالة من الفوضى داخل ليبيا تساعد المناوئيين للقذافى لاسقاطه.

- وأعد خطاب للرئيس لإعلان الضربة الوقائية الانتقامية التى اعتبرتها المخابرات بداية إعادة تشكيل خريطة شمال أفريقيا.

- وفى مايو سافر بويند كستر المسئول عن الخطة الليبية إلى القاهرة لمقابلة الرئيس مبارك ومعه وعد من الرئيس ريجان بمساعدات أمريكية مباشرة فى الضربة ضد ليبيا.

وقبل أن يتمكن كستر من عرض أفكاره قاطعه الرئيس مبارك، وهو رجل نافذ الصبر يميل إلى الاستماع أكثر من التحدث، وقال له : انظر ياادميرال :

عندما نقرر مهاجمة ليبيا سيكون هذا قرارنا ووفق أولوياتنا الزمنية.

الفصل الخامس

مقارنة بين الرئيس السادات والرئيس مبارك

مقدمة

هناك من العوامل ما يحدد طبيعة وسمات المرحلة التى يقودها زعيم من بلد من بلدان العالم الثالث ومن أبرز هذه العوامل:

- الصفات الشخصية للقائد.
- تحديات المرحلة.
- طبيعة النظام الدولى والنظام الاقليمى فى المرحلة الزمنية المعينة.

ولذلك يمكن القول أن الحكم على قائد فى زمن معين بمعايير زمن آخر هو أمر لا يصل بالباحث إلى تقييم موضوعى للمرحلة محل الدراسة.

وقد يكون من المفيد فى هذا الصدد أن نعرض لعوامل بارزة فى العلاقات الداخلية والخارجية فى مصر، ولن يبتعد بنا هذا المنهج عن التقييم الموضوعى نظراً لتلاحق المرحلتين التاريخيتين محل البحث وهما عهد الرئيس السادات وعهد الرئيس مبارك.

١ ـ بالنسبة لقرار حرب عام ١٩٧٣ :

(أ) يرتبط الزعيمان هنا برؤية واحدة حيث تجعل كليهما مسئولاً عن الاعداد للحرب والضربة الأولى المفاجئة.

وكان آداء القائد مبارك هو المعزز الأول لاختيار الرئيس السادات له ليكون نائباً لرئيس الجمهورية معبراً عن رؤية جديدة هى «روح أكتوبر» «وروح العبور» والنصر.

٢ ـ وعلى الصعيد الداخلى :

(أ) نجد أن الرئيس السادات قد قام بتوجيه ضربة إلى الفصائل الناصرية واليسارية وخاصة إبان سنة ١٩٧١ .

فى الوقت الذى تعامل فيه الرئيس مبارك مع القوى الناصرية واليسارية بشكل معقول، مؤمنا بأن هذه القوى هى جزء من النظام وأنه من الأجدى أن تعمل فى النور وفوق الأرض. فلم يعترض على قيام الحزب الناصرى بشكل علنى وشرعى وهو أمر أدى إلى تدعيم الوحدة الوطنية وإلى إعلاء الممارسة الديمقراطية.

(ب) اتفق الزعيمان على تدعيم السياسة اللبرالية فى كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وخاصة فى اتجاه تشجيع القطاع الخاص.

إلا أن الرئيس السادات كان يعمد أحيانا إلى مواجهة اتجاهات المعارضة بالقوة، وذروة ما حدث كان فى عام ١٩٨١ عندما أوقف صدور عددا من الصحف والمطبوعات وأعتقل أكثر من ١٥٠٠ شخصية معارضة بارزة.

أما الرئيس مبارك فكان يعلن دائما أن دعم الديمقراطية هو مزيد من الديمقراطية، ولذلك ازدهرت فى عهده الممارسات الديمقراطية واكتسب مزيدا من الانصار بين المثقفين، وخاصة الصحفيين الذين شعروا بمزايا الكتابة دون رقيب.

(جـ) حاول الرئيس السادات استخدام القوى الداخلية فى عملية توازن داخلى - مثال ذلك اطلاق حرية العمل للقوى الدينية وخاصة الأخوان المسلمين ليحدث التوازن الداخلى فى مواجهة الناصريين واليسار.

أما الرئيس مبارك فكان يضع نصب عينيه فى التعامل مع القوى الداخلية عدة عوامل، أبرزها ضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية وضمان الاستقرار. ولهذا لم يتردد فى مواجهة القوى الإرهابية المتدثرة بالدين والتى استهدفت ضرب الوحدة الوطنية وعوامل الاستقرار الداخلى، ولا تزال معركته مع قوى الإرهاب مستمرة.

(د) ونجد أيضاً الرئيس السادات يقدم على إحداث التغييرات الدستورية وفاءاً بتصوراته، ومثال ذلك إقدامه على تعديل الدستور عام ١٩٧٩ استجابة لضغوط الجماعات الإسلامية وجاء التعديل لينص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع.

أما الرئيس مبارك فيرى فى مواجهة مناداة المعارضة بضرورة تعديل الدستور، أن مهمة المرحلة الحالية هى الاصلاح الاقتصادى ودعم الجبهة الداخلية والاستقرار قبل النظر فى أى تعديل للدستور.

(هـ) وهناك مظهر آخر وهو أن الرئيس السادات كان صاحب الانفتاح الاقتصادى، إلا أن مسار الانفتاح كان محكوماً بإرادته ولذلك تأخر التطور الديمقراطى المتمثل فى وجود جماعات ضغط ومصالح، والتى ظهرت فى عهد الرئيس مبارك فى شكل جمعية «رجال الأعمال» وهو أمر يتسق مع رغبة الحكومة فى تغيير الهياكل الاقتصادية بما فى ذلك القوانيين التى تطلق قوى وقوانين السوق من عقالها.

وكان من نتائج سياسة مبارك هذه، التوسع فى تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص من أجل إنهاء أعباء الحكومة وإطلاق مبادرات الأفراد نحو زيادة الإنتاج.

(و) وبينما كانت معالجة الرئيس السادات للأزمات تتم من خلال الصدمات. نجد أن الرئيس مبارك قد عالج الأزمات بشكل هادئ يراعى الشعور الوطنى ولا يستفز توقعات الشعب المصرى، ومثال ذلك، معالجته للأزمة التى أحدثها المجند سليمان خاطر عام ١٩٨٥، والأزمة التى ثارت بسبب قضية ثورة مصر التى تم القبض على المتورطين عام ١٩٨٧ .

٣ ـ وعلى الصعيد الخارجى نجد المقارنات التالية :ـ

(أ) أن السادات قد اختار التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية ونظر إليها بوصفها تحوز ٩٩٪ من الأوراق لحل مشكلات الشرق الأوسط.

ولم يبتعد الرئيس مبارك عن هذه الرؤية كثيراً إلا أنه فضل أحداث توازن فى علاقات مصر الخارجية مع الابقاء على الصداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) وبالنسبة للسلام مع إسرائيل فإن كل منهما آمن بالسلام العادل مع إسرائيل إلا أن الرئيس السادات كان يعمد إلى تقديم التنازلات من الناحية التكتيكية، بينما تمسك الرئيس مبارك بعدم تقديم تنازلات لأن السلام فى مفهومه هو الأرض مقابل السلام، وأن السلام لابد أن يكون عادلا وشاملا.

ومثال ذلك أن مبارك أكد احترامه لالتزامات مصر وفقا لمعاهدة السلام مع إسرائيل إلا أنه تمسك بضرورة التزام إسرائيل ببنود المعاهدة وإلا كانت مصر فى حل من تنفيذ بعض البنود، وهو ماحدث عندما ضيقت أو جمدت مصر من بنود التطبيع احتجاجاً على العدوان الإسرائيلى على لبنان وعلى الشعب الفلسطينى وهو ماحدى بالرئيس مبارك إلى عدم زيارة إسرائيل .. ومع ذلك - وبمرونة سياسية - يقوم باستقبال قادة إسرائيل والتباحث معهم بالقاهرة.

كما اتخذ مبارك موقفا صلبا بضرورة اتمام إسرائيل لإنسحابها من سيناء فى أبريل ١٩٨٢ .

ورفض بشكل قاطع رغبة إسرائيل فى الاحتفاظ بمنطقة طابا المصرية رغم ضآلة مساحة هذه الوقعة.

وقد وضح موقف مبارك تماماً فى أواخر عام ١٩٨٤ عندما وضع شروطاً ثلاثة لتحسين العلاقات مع إسرائيل وهى:

- حل نزاع طابا حلا عادلا.
- انسحاب قوات إسرائيل من لبنان.
- تحسين ظروف الحياة للفلسطينيين فى الأرض المحتلة.

(جـ) وعلى الصعيد العربى اتسم تحرك السادات بالتحرر من أى تصورات عربية مسبقة، وهو ما أوقعه فى خلاف كبير مع معظم العالم العربى، ولم يحسب الرئيس السادات بدقة حساب القوة العربية المناوئة مما أدى إلى عزلة مصر عربياً.

أما الرئيس مبارك فقد عمل على إزالة عزلة مصر العربية دون أن يقدم تنازلاً يضر بالتزامات مصر وفق معاهدة السلام مع إسرائيل، ولجأ الرئيس إلى التغلب على الصعوبات العربية مستعينا بعدة عوامل أبرزها :

- ايقاف كل الحملات الإعلامية التى قامت إبان عهد الرئيس السادات.
- قيادة سياسية عربية هادئة تؤمن بالخطوات بديلا عن القفز.
- المساهمة فى حل مشكلات العالم العربى، ومثال ذلك الاسهام بشكل فعال وهادئ وبعيداً عن صخب الإعلام فى حل مشكلات الحرب العراقية الإيرانية.
- إعلان الرئيس مبارك بشكل قاطع التزام مصر بالدفاع عن العالم العربى فى إطار اتفاقية الدفاع العربى المشترك.
- احترام مصر - مبارك لمبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية.

- وكان قمة الالتزام المصرى بالقيم - فى عهد مبارك هو رفض مصر للغزو العراقى للكويت فى أوائل التسعينيات ومشاركتها بجهد واضح لإزالة آثار الغزو.

(د) وبالنسبة للقوى الكبرى قام الرئيس السادات بتقطيع أواصر التعاون مع الأتحاد السوفييتى واتجه إلى التحالف الكامل مع الولايات المتحدة.

أما الرئيس مبارك فقد أعاد علاقات مصر مع الأتحاد السوفييتى اقتصادياً وتجارياً وهو أمر أعطى بعداً واضحاً لتوازن علاقات مصر الخارجية.

(هـ) وهناك أيضاً موقف مصر - السادات من التجاوزات الأمريكية، فقد كان الأمر يتسم بهدوء وبالطرق الدبلوماسية.

أما الرئيس مبارك فقد كان حاسما فى إدانة تخاذل الولايات المتحدة فى إدانة العدوان الإسرائيلى على الدول العربية واتهم أمريكا بالتواطؤ مع إسرائيل فى غزو لبنان عام ١٩٨٢، كما كان موقفه متشدداً بشكل واضح إبان معالجة اختطاف الطائرة المصرية من قبل الطائرات الحربية الأمريكية أثر حادث الباخرة الإيطالية «أكيلو لاورو» عام ١٩٨٥ .

(و) وهناك مثل واضح نورده فى مجال المقارنة وهو علاقة مصر بليبيا، فقد عمد الرئيس السادات إلى ضرب القواعد الليبية بعملية تأديبية.

وعندما حانت الفرصة مرة أخرى لتأديب ليبيا بناء على اقتراح أمريكى بالمشاركة فى ذلك رفض الرئيس مبارك أن تكون الأرض المصرية منطلقاً لضرب أية دولة عربية وبذلك اضطرت أمريكا إلى ضرب ليبيا من قواعد بريطانية قريبة.

٤ ـ وكما سبق أن ذكرنا فإن الصفات الشخصية مهمة بالنسبة للمقارنات التاريخية وهنا نجد :ـ

(أ) الرئيس السادات يميل إلى أسلوب الصدمات.

أما الرئيس مبارك فيميل إلى معالجة الأمور بشكل هادئ.

(ب) يميل السادات إلى الاغراق فى استخدام وسائل الإعلام للوصول إلى عقلية المشاهد وخاصة الخارجى.

أما الرئيس مبارك فيستخدم الإعلام فى وقته الصحيح.

(جـ) كان الرئيس السادات ميالا إلى تغيير الأشخاص بسرعة.

أما الرئيس مبارك فيميل إلى الاستقرار وإتاحة الفرصة للشخصية العامة للعمل فى هدوء ومن أجل الحكم على قدراته.

(د) الرئيس السادات كان متحفظاً ناحية الفلسطينيين وعدد من الدول العربية.

أما الرئيس مبارك فقد نجح فى اكتساب ثقة المنظمة (منظمة التحرير الفلسطينية) وهو أمر مكنه من القيام بجهود فعالة لدفع عملية السلام وكان من نتائجها. التوصل إلى حل ملائم للقضية الفلسطينية.

(هـ) وهناك مقارنة أخرى لابد من إيرادها إذا أردنا للصورة أن تكتمل، وذلك أن الرئيس السادات ترك المجال عريضا للسيدة حرمه لتقوم بأدوار متعددة قد لا تتفق والتقاليد المصرية.

أما الرئيس مبارك فقد رسم مهام ثقافية وتربوية واجتماعية أدت إلى زيادة رصيد الرئيس فى مجال الممارسة العامة دون أن تحمله تعليقات قد لا تكون مناسبة.

القسم الثانى

القضية الفلسطينية فى إطار صيغة كامب دافيد

مقدمة

شهد عقد التسعينيات ظروفاً ومبادئ جديدة في إطار دولي جديد يتشكل على أنقاض النظام الدولي السابق الذي بدأ بعد الحرب العالمية الثانية وعرف بنظام القطبية الثنائية، وكانت أبرز ملامحه، الحرب الباردة والمواجهات الخطيرة بين النظامين الدوليين، كما شهد بشكل خاص الأولوية التي أعطتها الولايات المتحدة لتعقب النفوذ السوفييتي واحتوائه.

وقد أثر النظام الدولي القديم - القطبية الثنائية - على أوضاع منطقة الشرق الأوسط وعلى مصالح الدول العربية بشكل خاص، إذا اضطرت عدد من الدول العربية نتيجة التعنت الإسرائيلي والانحياز الأمريكي لإسرائيل إلى البحث عن مصادر أخرى للدعم والسلاح ووجدت بغيتها في الأتحاد السوفييتي، وبذلك حدث فرز على صعيد الشرق الأوسط بين الأتحاد السوفييتي وبين أصدقائه، والولايات المتحدة وأصدقائها، وقد أدى هذا الفرز إلى تعثر مشكلة الشرق الأوسط، بل انتهى إلى هزيمة النظم العربية المعادية لأمريكا من خلال حرب عام ١٩٦٧ .

وبموت الرئيس جمال عبد الناصر وتولى الرئيس أنور السادات، شهدت المنطقة تطوراً أحدثته استراتيجية السادات بعد حرب ١٩٧٣، والتى أقامها على أساس التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية ـ التى تحوز ٩٩٪ من أوراق اللعب حسب تعبيره ـ طلبا للمعونات الاقتصادية والعسكرية ورغبته فى حل قضية الشرق الأوسط، وخاصة مشكلة الأراضى المحتلة المصرية، حلا عادلا ودائماً، كما أقامها على أساس الصلح مع إسرائيل لأنه لن يستطيع التعامل مع الولايات المتحدة إلا من خلال هذه النافذة، وأخيراً كان عليه أن يعنى بشرط آخر من أجل تحقيق التحالف والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، فعمد إلى تغيير النظام ليستند على التعددية الحزبية والاقتصاد الحر القائم على احترام آليات السوق ودور القطاع الخاص.

وبعد معاناة طويلة، وبعد أن تأكدت الولايات المتحدة من جدية الرئيس السادات، نجح الرئيس الأمريكى كارتر عام ١٩٧٨ فى عقد اتفاقيتى كامب دافيد، بتوقيع الرؤساء: الأمريكى والمصرى والإسرائيلى، وأعقب ذلك توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ .

وقد قاومت الدول العربية الأتفاق طويلا، ووجدت الولايات المتحدة وإسرائيل الطريق أمام إتمام عملية التسوية مسدوداً إلى أن حدث المتغير الدولى الخطير بالسقوط السوفييتى فى أواخر الثمانينات «ورسميا فى عام ١٩٩١». ومع تنامى ضغوط حرب الخليج الثانية «الغزو العراقى للكويت»، أصبحت المنطقة مهيأة لدفعة جديدة للسلام

وفق التصور الأمريكى، ودرءا لأتهام الولايات المتحدة بالأزدواجية والكيل بمكيالين، كان انعقاد مؤتمر مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ ، والذى أثمرت صيغته: «اتفاق المبادئ الإسرائيلى الفلسطينى عام ١٩٩٣»، و«الاتفاق الأردنى ـ الإسرائيلى عام ١٩٩٤»، وينتظر أن تستمر قاطرة السلام والتسوية لتشمل كل دول المنطقة بحلول عام ١٩٩٦ .

وقد كفلت صيغة مدريد ـ التى تعد أحد انطلاقات كامب دافيد ـ التفاوض على مستويين الأول ثنائى بين إسرائيل وكل دولة عربية أخرى، تحت رعاية الولايات المتحدة (فعلا) وروسيا (شكلا) ، ثم التفاوض المتعدد الأطراف بهدف مناقشة وسائل التعاون والتنمية الأقليمية.

وقد دفعت الولايات المتحدة المنطقة فى اتجاه التفاوض المتعدد وتم ذلك فى إطار مؤتمر التعاون لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذى عقد فى كازابلانكا بالمغرب فى ١٩٩٤/١٠/٣٠ وحضره ممثلو ٦١ دولة وعدد ١١١٤ من رجال الأعمال، من كافة أنحاء العالم وقاطعته من دول الشرق الأوسط كل من : العراق، وإيران، وليبيا، وسوريا، والسودان، ولبنان، واليمن، إلا أن المؤتمر شهد مشاركة عريضة ورغبة واضحة فى التعاون بديلا عن المواجهة.

وبدلا من طرح التساؤل حول جدوى الشرق أوسطية، وحول المخاطر الناجمة عن هيمنة إسرائيل، والتخوف من إنهاء النظام العربى المتمثل فى الجامعة العربية، أصبح السؤال الآن هو أن المطلوب هو : شرق ـ أوسطية تقوم على السلام العادل والشامل والدائم، والتسليم بحق فلسطين فى القدس الشرقية وفى إقامتها

دولتها، وفى قيام إسرائيل نفسها بالتحول إلى دولة طبيعية بدلاً من الدولة التوسعية العدوانية، وكذلك شرق أوسط يمكنه استيعاب التعاون الأقليمى العريض بوجود إسرائيل وتركيا وإيران ودول أخرى، إلى جانب تواجد النظام العربى المتمثل فى الجامعة العربية.

خطوات كاشفة عن صيغة كامب دافيد

القضية الفلسطينية في إطار

صيغة كامب دافيد (١٩٧٨)

وصيغة مدريد (١٩٩١)

تمهيد:

قبل صيغة كامب دافيد كانت القضية الفلسطينية تحظى برعاية الدول العربية على اختلافها، وتمدها بالمعونة المادية والإعلامية والسياسية والمعنوية، وكان المناخ العام الذى تعيشه القضية الفلسطينية هو مناخ موات يعتبر القضية هى القضية المحورية فى الصراع العربى - الإسرائيلى وبدون حلها حلاً عادلاً لايمكن قيام سلام بين إسرائيل والدول العربية.

وجاءت صيغة كامب دافيد لتعدل بين المواقف وتضع القضية الفلسطينية فى مأزق، ثم أعقبها مأزق جديد هو ما أفرزته حرب الخليج من اتجاه معاد للفلسطينيين وللقضية الفلسطينية، ونقصد بحرب الخليج غزو العراق للكويت.

ثم نجد القضية الفلسطينية منظوراً إليها من خلال «صيغة مدريد» وأخيراً من خلال صيغة «غزة وأريحا أولاً».

وكان أبرز الصيغ تأثيراً على القضية الفلسطينية قبل صيغة مدريد هى صيغة «كامب دافيد» ولذا يحسن التعرف على الآراء الفلسطينية حولها ونجد أمامنا النقاط الأربعة التالية:

أولا : خطوات كاشفة عن «كامب دافيد».

ثانيا : تقييم فلسطينى «لكامب دافيد».

ثالثا : التأثير السياسى لصيغة كامب دافيد فى التصور الفلسطينى.

رابعا : التحول بعد كامب دافيد.

* * *

أولا : خطوات كاشفة عن صيغة كامب دافيد:

١ - البداية فى نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

يتصور الفلسطينيون - وخاصة داخل «م . ت. ف » [١] - أن الخطوة الأولى على طريق كامب دافيد بدأت مع نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، بل أثناء الحرب نفسها، فقد عمد الرئيس السادات إلى العمل بشكل منفرد دون استشارة أو التشاور مع سوريا، حليفته فى الحرب، مما أدى إلى ابتعاد مصر عن سوريا والفلسطينيين (المنظمة) وعدد من الدول العربية، ومن علامات الانفراد مفاوضات الكيلو ١٠١

(١) اختصار «منظمة التحرير الفلسطينية».

وحضور مصر مؤتمر جنيف للسلام فى ديسمبر ١٩٧٣، ثم ما أعقب ذلك من الأتفاق لفض الأشتباك الأول فى سيناء فى يناير ١٩٧٤، والاتفاق الثانى والأخطر وهو فض الأشتباك الثانى عام ١٩٧٥، وهى أمور لم يتم التشاور بشأنها مع كل من سوريا والمنظمة.

ومن سمات الأنفرادية والأبتعاد عن العالم العربى تحرك السادات بعيداً عن السوفييت والموافقة على استبعاد أى دور لهم فى مفاوضات السلام فى الشرق الأوسط، وقد أدت هذه التحركات الأنفرادية إلى تخلف القضية الفلسطينية عن دائرة الضوء.

وكانت الخطوة الثانية هى أحداث الفترة من ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨، وهى فترة تحولت إلى حرب باردة عربية وبداية واستمرار عزلة مصر العربية وإنسحابها تدريجياً من المجال العربى.

وقد اتسمت فترة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ بصراع حاد فى لبنان كان أحد أطرائفه منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ وغزو إسرائيل للبنان (الجنوب) عام ١٩٧٨، وقد وقع الغزو أثناء مفاوضات كامب دافيد.

٢ ـ استعراض القوة :

وعقب توقيع إطار كامب دافيد عام ١٩٧٨ ومعاهدة السلام المصرية/ الإسرائيلية استعرضت إسرائيل قوتها بحملات جوية وبحرية على منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٦، ثم غزو لبنان عقب الجلاء عن سيناء فى أبريل ١٩٨٢ .

٣ ـ الدروس التى تلقاها الفلسطينيون (اثر كامب دافيد) :

واستطرادا لسرد وجهة النظر الفلسطينية، فقد توصل الفلسطينيون إلى تلخيص الآثار الاستراتيجية لكامب دافيد على النحو التالى :

(أ) مع كل مرحلة من مراحل السلام بين مصر وإسرائيل، تتحقق المرحلة بثمن يدفعه الفلسطينيون واللبنانيون.

(ب) أن العريدة الإسرائيلية سببها خروج مصر من المعركة.

(جـ) انتهاء التضامن العربى مهما كان محدوداً، وهو تضامن كان يسود قبل صيغة كامب دافيد.

(د) نقل الصراع العربى الإسرائيلى إلى لبنان.

(هـ) أن الجبهة الشرقية أصبحت فى مأزق.

(و) أن التقارب المصرى ـ الإسرائيلى ـ الأمريكى قد أضر بالقضية الفلسطينية.

٤ ـ تأكيدات حرب إسرائيل فى لبنان ١٩٨٢ :

كان أكبر تطبيق للدروس المستفادة التى تلقاها الفلسطينيون هو حرب عام ١٩٨٢ ، عندما قامت إسرائيل بغزو لبنان فى ظل ظروف عربية متدهورة وحساسية سورية ـ فلسطينية.

وقد عززت حرب لبنان ١٩٨٢ من شعور (م.ت.ف) بالعزلة والمرارة لتصورهم ـ أى الفلسطينيين ـ بتعرضهم لتآمر مصرى/

سورى/ سعودى، وهو أمر أدى إلى اقتناع المنظمة بضرورة الاعتماد على الذات وإعادة علاقاتهم بالأردن للاستفادة من الخيار الأردنى.

٥ ـ الخيار الأردنى :

ويعتبر المحللون الفلسطينيون أن الخيار الأردنى هو من نتاج صيغة كامب دافيد، بمعنى أنه من نتائجها، وكان لهذا الخيار مشكلاته مثل:

(أ) أنه تسبب فى حدوث شقاق واضح وحاد فى صفوف الفلسطينيين.

(ب) وأثار عداء النظام السورى بزعم أن المنظمة تسير فى اتجاه تسوية منفصلة تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية.

(جـ) وأن أهداف الملك حسين من هذا الخيار تختلف تماماً عن أهداف المنظمة.

(د) وأخيراً لم تبد إسرائيل وأمريكا إهتماماً بهذا التحرك الفلسطينى نحو الخيار الأردنى.

* * *

ثانياً: تقييم فلسطيني لكامب دافيد:

١ ـ كارثة :

رأى معظم الفلسطينيين أن صيغة كامب دافيد تشكل كارثة تزداد حدتها على القضية الفلسطينية، وقد بدأت هذه الكارثة منذ اقتناع الرئيس السادات بأهمية إشراف الأمريكيين وحدهم على التسوية وأنه لا مناص من التضحية بالقضية الفلسطينية.

٢ - الموازنة بالثورة الإيرانية :

وبقيام الثورة الإيرانية انتعشت آمال الفلسطينيين لإمكانية وجود حليف وسند، إلا أن هذا الوهم تلاشى بقيام العراق بمهاجمة إيران.

٣ - التشبث بلبنان :

وكان الوجود الفلسطينى فى لبنان بمثابة أمل جديد، إلا أنه كان يضعف باستمرار نتيجة الحساسية السورية واللبنانية تجاه الفلسطينيين.

* * *

ثالثاً: التأثير السياسي لكامب دافيد في التصور الفلسطيني:

إلى جانب الآثار الاستراتيجية، كان لصيغة كامب دافيد عدة آثار سياسية خطيرة فى التصور الفلسطينى، ومن ذلك :

١ - حرية إسرائيل فى التصرف :

أصبحت يد إسرائيل طليقة، وخاصة بعد عام ١٩٨٢، فى التصرف فى مقدرات غزة والضفة الغربية وهى أراضى محتلة أصبحت داخلة فى وعى الشعب الإسرائيلى بوصفها جزء من إسرائيل الكبرى.

٢ - الخيار الأردنى :

كان الأردن قد تخلى عن دوره فى عام ١٩٧٤ بالنسبة للتحرك فى إطار تسويات الشرق الأوسط، وفى عام ١٩٨٨ أعلن الملك حسين بشكل قاطع أنه يرفض التحدث باسم الفلسطينيين، بهدف استبعاد أى دور لمنظمة التحرير الفلسطينية والفلسطينيين، ومع هذا تقوم إسرائيل والولايات المتحدة من آن لآخر بتشجيع فكرة الخيار الأردنى.

٣ ـ تفادى المشكلة الفلسطينية :

أفرزت صيغة كامب دافيد أيضاً سياسة تفادى المشكلة الفلسطينية، وأبقاء أغلبية الفلسطينيين فى مهاجرهم.

٤ ـ الحالة النفسية للفلسطينيين واللبنانيين :

كما أدرك الجانبان الفلسطينى واللبنانى بسراب قرب انفراج الأزمة وانتقال الفلسطينيين من لبنان إلى دولتهم فى غزة والضفة، وكان على كل من الجانبين أن يحدد مساره وفق هذا التصور الواقعى.

٥ ـ فصل المنظمة عن الدول العربية :

كما أدت صيغة كامب دافيد إلى إكراه المنظمة على عدم التعويل على مساعدة ومساندة دول عربية أخرى مثل مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية، أى انتهى الأمر بضرب التضامن العربى.

٦ ـ انتصار تيار العزلة الفلسطينى :

بعد تخلى الدول العربية عن دورها ووضوح المأزق الفلسطينى، انتصر داخل المنظمة التيار الذى ينادى بالعزلة والأعتماد على الذات.

٧ ـ صعوبة التفاوض عبر الوسطاء :

هذا بالإضافة إلى وضوح صعوبة وخطورة التعامل مع إسرائيل والولايات المتحدة عبر الوسطاء، وهنا أصدر المجلس الوطنى الفلسطينى قراره فى أبريل ١٩٨٧ بالاتصال مع القوى الإسرائيلية

الديمقراطية، كما اجتمع ياسر عرفات فى جنيف فى سبتمبر ١٩٨٧ مع أعضاء فى الكنيست وصحفية إسرائيلية.

* * *

رابعاً: *التحول بعد كامب دافيد:*

١ - أفضلية التعامل مع الأمم المتحدة :

بعد ثبوت صيغة كامب دافيد عبر خالد الحسن رئيس لجنة الشئون الخارجية فى المجلس الوطنى الفلسطينى عن هذه الأفضلية بعرض خمس نقاط للسلام تتمثل فيما يلى :

(أ) الانسحاب الإسرائيلى من كافة الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وتسليمها للأمم المتحدة باعتبارها الممثلة الشرعية الدولية بالإضافة إلى كونها الجهة التى خلقت هذه المشكلة.

(ب) تبقى هذه الأرض لفترة انتقالية تحت رعاية الأمم المتحدة.

(جـ) يتم خلال ذلك تمكين شعب فلسطين من تقرير مصيره حول مستقبله.

(د) وإذا قرر شعب فلسطين، تحت إشراف الأمم المتحدة وبالتنسيق مع ممثله الشرعى «م.ت.ف» أن يقيم دولته المستقلة فتتم إجراءات قيام الدولة وعضويتها فى الأمم المتحدة.

(هـ) ثم يقوم اجتماع يضم كافة الأطراف المعنية بما فى ذلك الدول الكبرى تحت مظلة الأمم المتحدة لبحث كافة المشاكل المطروحة.

كان هذا هو التفضيل الفلسطينى، إلا أن الولايات المتحدة ـ كان بيدها مثلا معظم الأوراق ـ فلم تلق هذه النقاط الخمسة للسلام أذنا صاغية.

٢ ـ أبعاد جديدة للصراع :

ولأن أحداث التاريخ لا تجرى فى مختبر معملى فإن تلك الأحداث يصعب التنبؤ بها بدقة، ولذلك فإن صيغة كامب دافيد ـ وفق التصور الفلسطينى ـ قد أفرزت أبعاداً جديدة للصراع الفلسطينى الإسرائيلى من النواحى الديموجرافية والدينية وبخاصة بعد الانتفاضة الفلسطينية.

٣ ـ الانتفاضة :

ولعل أبرز افرازات مرحلة مابعد كامب دافيد كانت الانتفاضة الفلسطينية فى ديسمبر ١٩٨٧ وهى تطور ثورى جماهيرى فشلت إسرائيل فى التعامل معه وبات مستحيلاً إخفاء مد الأنتفاضة عن الرأى العام العالمى، وبخاصة الأمريكى، وهو أمر كشف فاشية النظام الإسرائيلى فى التعامل مع العزل.

٤ ـ إعادة النظر :

كما أدت صيغة كامب دافيد إلى أن تعيد المنظمة النظر فى كثير من حساباتها على هدى الظروف الجديدة وهو أمر أدى إلى استبعاد كثير من سلبيات العمل الفلسطينى مثل الهجمات المسلحة غير المبررة.

٥ ـ استبعاد مقولة الفرص الضائعة :

كما أثار المحللون الفلسطينيون تساؤلا عما إذا كان المشاركون الثلاثة ـ مصر وإسرائيل وأمريكا ـ فى عملية التسوية عام ١٩٧٥ أو فى عام ١٩٧٨ جادون فى اشراك الفلسطينيين فى هذه العملية وعلى قدم المساواة، أم أن عرض الاشراك كان فى الظاهر لأن إسرائيل لم تكن تسمح بذلك، ويؤكد ذلك أن الرئيس السادات الذى كان يسعى بشكل حثيث ويائس لإجراء التسوية ، كان سيضحى بالاشتراك الفلسطينى أمام الرفض الإسرائيلى.

٦ ـ تأييد خطة فهد :

ومن علامات التحول أيضا أن منظمة التحرير الفلسطينية أيدت خطة «فهد» (أغسطس ١٩٨١)، وخطة «فاس» التى أقرتها قمة الجامعة العربية فى سبتمبر ١٩٨٢ . وقد عرضت مبادرة فهد لحق كل دول المنطقة فى أن تحيا بسلام، وقد تبنت قمة فاس هذه الفكرة أيضا، وقبول (م.ت.ف) لهذه الخطة يعبر عن مرونة تتمشى مع الظروف السائدة.

٧ ـ الاعتماد على النفس :

وأخيراً نلمح علامة أخرى على التحول فى الموقف الفلسطينى بعد كامب دافيد وهو الاقتناع الفلسطينى بضرورة الاعتماد على النفس بدلا من المراهنة على مواقف دول عربية، أو على استجابة الولايات المتحدة الأمريكية، ويعكس خالد الحسن رئيس لجنة الشئون الخارجية فى «م.ت.ف» هذه الحالة النفسية فى كتيب بعنوان «الدولة الفلسطينية شرط أساسى للسلام العالمى» صدر عام ١٩٨٢ بالقول بأن

(أ) معاناة الشعب الفلسطينى منذ عام ١٩١٧ وحتى الآن أدى به إلى حالة من التوتر النفسى الحاد التى لاتهدأ إلا بعودته إلى وطنه، واستعادة مواطنيه فى دولة ذات سيادة ليمارس انتمائه الوطنى والحضارى.

(ب) والحيلولة بالقوة بين الشعب الفلسطينى وبين استعادة حقوقه الطبيعية تفرض عليه العمل على استعادتها بالقوة، وقد أباح القانون الدولى مقاومة الاحتلال بكل الوسائل المتاحة باعتبارها حقا من الحقوق الطبيعية، وقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها عام ١٩٧٧ على حق الشعب الفلسطينى بالنضال بكل الوسائل لاستعادة حقوقه الوطنية وفق أحكام ميثاق الأمم المتحدة.

(جـ) وبذلك تتضح أمام الشعب الفلسطينى عدة حقائق كنتائج حتمية لقيام الكيان الصهيونى العنصرى التوسعى الاستيطانى العدوانى فى فلسطين وهى :

ـ حتمية قيام الدول العربية بالدفاع عن نفسها أمام التوسع الصهيونى.

ـ ضرورة قيام الشعب الفلسطينى بتنظيم نفسه فى حركة نضالية للتغلب على القوة التى تحول بينه وبين العودة.

ـ أى كيان يقوم على الفكر الصهيونى يمثل حالة متناقضة مع السلام فكراً وممارسة.

ـ توقف العون العسكرى للكيان الصهيونى، وأيضا العون الاقتصادى

من حلفاء إسرائيل سيحول أهداف إسرائيل بعيداً عن أحلام التوسع.

- وأن اضطهاد اليهود فى أوروبا لا يعنى أن يدفع الفلسطينيون الثمن. بل أن موقف الفلسطينيين إنسانياً عندما رفعوا شعار الدولة العلمانية الديمقراطية للجميع.

القسم الثالث
المتغيرات الدولية فى التسعينيات وتأثيرها على الأوضاع العالمية

مقدمة

وضح فى السنة السنة الأولى من التسعينيات أول سمات العقد الجديد، ونعنى بذلك تطور النظام الدولى من توازن المصالح إلى اختلال توازن القوى نتيجة الفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت الأتحاد السوفييتى والدول الأشتراكية، والاضطراب الواضح الذى نتج عن الانتقال المفاجئ من نظام اجتماعى واقتصادى شمولى إلى نظام جديد قائم على نمط الديمقراطية الغربية وآليات السوق الحرة.

وقد جاء السقوط السوفييتى بعد ذلك مدوياً فى ديسمبر ١٩٩١ بإعلان رسمى بإنهاء الأتحاد السوفييتى وتفككه إلى دول الكمنولث واستقلال دول البلطيق الثلاث.

ونتيجة لما سبق فقد أعلن الرئيس الأمريكى بوش انتصار النموذج الغربى، وبزعامة الولايات المتحدة الأمريكية لنظام دولى جديد يقوم على احترام الشرعية الدولية وقواعد القانون الدولى، والنظام الدولى الجديد اتسم بالانفرادية بهذا الشكل، وهى انفرادية

مؤقتة، إذ يظهر فى الأفق بوادر قطبية متعددة ومرشح لها إلى جانب الولايات المتحدة كل من : اليابان والصين، وأوروبا الموحدة، وروسيا الأتحادية مع كوكبة دول الكمنولث من حولها. وكان أكبر محك لزعامة الولايات المتحدة للنظام الدولى الجديد وللضعف السوفييتى ثم الروسى هى أزمة الخليج التى حدثت فى أغسطس ١٩٩٠ وجاءت اختبارا للوفاق الدولى الجديد بالأنفرادية الأمريكية. وإبان الأزمة برز اتجاهان رئيسيان: أولهما، يقول به الاتحاد السوفييتى وبدعم أوروبى يفضل حل مشكلة الغزو العراقى للكويت حلاً سلمياً ودفع العراق للتسليم بالقررات الدولية، والاتجاه الآخر، كان أمريكياً ورفع شعار الحل العسكرى إلى جانب الحلول الأخرى السياسية والأقتصادية والمعنوية. وقد انتصر التصور الأمريكى ونجح فى توجيه ضربة قاصمة للعراق مستخدماً مظلات متعددة: الأمم المتحدة، وأهم الدول العربية مثل مصر والسعودية وسوريا، ومظلة مكونة من دول التحالف وبريطانيا وفرنسا وغيرها، وكانت عاصفة الصحراء مظاهرة لإبراز الزعامة الأمريكية والأنفرادية الأمريكية بالرغم من حرصها على مشاركة قوى أخرى إلى جانبها.

وبعد أن وضح السقوط السوفييتى وبزوغ روسيا الأتحادية بدلاً منه، وبعد أن تربعت الولايات المتحدة، ولو مؤقتاً، على عرش النظام الدولى الجديد وأكدت فعاليتها من خلال حرب «عاصفة الصحراء» ظهرت فى الأفق تحديات جديدة تتلاءم مع مستجدات حقبة التسعينيات.

وأبرز التحديات الجديدة هى ما يلى :

١ ـ التحدى الذى تمثله أوروبا الموحدة التى سيكون لها عملتها

الخاصة عام ١٩٩٩، وهو أمر سيلغى عملة الدولار الأمريكى أساس التعامل الدولى إلى جانب قاعدة الذهب، وأوروبا الموحدة تحاول تضييق الفجوة التكنولوجية التى تفصلها عن الولايات المتحدة وتهيئ نفسها لتكون القوة الاقتصادية والسياسية الأولى فى العالم.

٢ ـ روسيا الأتحادية التى تعمل على تضميد جراحها والسيطرة من جديد على دول الكمنولث وتبرز من خلال إطلالها زعامات قومية متشددة تستهدف إعادة الإمبراطورية الروسية من جديد.

٣ ـ «الخطر الأصفر» المتمثل فى القوة الاقتصادية اليابانية والصينية وحولها كوكبة من النمور الآسيوية وما يجره هذا من قوة عسكرية وتأثير سياسى بالغ.

الحرب الاقتصادية بديل عن الحرب الباردة :

بدأت التسعينيات بملامح حرب اقتصادية بين تكتلات تتكون أبرزها من التكتل الأوروبى، والتكتل الآسيوى، والنافتا (الأمريكية). وهذه الحرب ستكون الصيغة الجديدة للصراع الدولى بديلاً عن الحرب الساخنة وصيغة الحرب الباردة التى سادت فى الخمسين سنة الماضية.

دورة العظماء :

ومن الآن يتحدث كبار النظريين عن أن السقوط السوفييتى كان بمثابة دورة طبيعية تنمو فيها الدول ثم تسقط، والدور الآن على

الولايات المتحدة التى ترشحها عوامل متعددة أبرزها العنف الداخلى والركود الاقتصادى الشديد، وتنامى السلبيات الاجتماعية، مثل الوضع المتدنى للسود وزيادة البطالة والتضخم وانتشار وباء الإيدز.

إن حقبة التسعينيات بالنسبة للإدارة الأمريكية حملت اثنين من الرؤساء :

١ ـ مرحلة «بوش» ١٩٨٩ ـ ١٩٩٢ وقد اتسمت بالتركيز على القضايا الدولية وإحراز انتصارات بدون حروب بالنسبة للسقوط السوفييتى، وبحرب تأديب سريعة وفعالة وقاسية هى «عاصفة الصحراء»، وبمباردة واضحة فى إطار مؤتمر مدريد لحل مشكلة الشرق الأوسط حلاً شاملاً قائماً على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨ وعلى أساس الأرض مقابل السلام، وقد عقد مؤتمر مدريد فى أكتوبر١٩٩١ .

ـ ولم تشفع كل هذه الانتصارات الخارجية للرئيس «بوش» إبان معركته الانتخابية لإعادة انتخابه للرئاسة.

٢ ـ مرحلة كلينتون «١٩٩٣ ـ ولاتزال مستمرة، فقد أعلن فيها الرئيس كلينتون أنه سيركز على الأوضاع الداخلية دون إهمال الدور الأمريكى الخارجى، وفى عهده تمت صياغة بالتوقيع على اتفاق المبادئ المعروف باسم غزة ـ أريحا أولاً، كما بدأ عهده بتكثيف التحضير لحرب اقتصادية إذا لم تمتثل الدول الصناعية الكبرى إلى المطالب الأمريكية. وقد ظهر ذلك إبان توقيع اتفاقية التجارة الدولية «الجات» التى تعرف الآن باسم «وتو».

الفصل الأول

انهيار الاتحاد السوفييتي
البدايات ـ الأسباب ـ الآثار

أولا : البدايات :

١ ـ كانت البداية المعلنة لانهيار الأتحاد السوفييتى هى ظهور النهج الجديد الذى ناقشته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى يونيو ١٩٨٥، أى فى عام تولى «جورباتشوف» السلطة، والذى ظهر فيما بعد فى كتاب بعنوان «البيروسترويكا» (١)، أى إعادة البناء، وعلى هذا فإن السقوط لايؤرخ بانتهاء صيغة الفيدرالية فى الأتحاد السوفييتى واستقالة «جورباتشوف» فى نهاية عام ١٩٩١ وهى استقالة مقررة، لأن كل جزء فى الأتحاد السوفييتى ذهب لحاله.

وهذا النهج الجديد لم يكن من صنع «جورباتشوف» وحده، بل رؤية مجموعة من قيادات الحزب برز فيها فيما بعد اسم «يلتسين».

(١) ميخائيل جورباتشوف : «البيروسترويكا» فكر جديد للبلاد وللعالم، دار الشروق ـ القاهرة بيروت، ترجمة حمدى عبد الجواد (١٩٨٨).

ولهذا يعبر النهج الجديد عن رؤية مجموعة صغيرة نوعاً ولكنها ديناميكية استغلت أو وظفت المعاناة الداخلية لتقديم حلم جديد على النحو الذى سنراه .

وقد يكون من الأصوب أن نستلهم هذه البدايات من كلمات البيروسترويكا التى وصفها «جورباتشوف» بأوصاف متعددة، يؤدى مجملها إلى تفهم هذه البدايات :

(أ) إن البيروسترويكا ضرورة ملحة فى المجتمع السوفييتى الجانح للتغيير، وأى تأخير فى ذلك يؤدى إلى تفاقم الوضع الداخلى بسرعة، مما يؤدى إلى أزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة فى بلد لا مثيل له فى التاريخ. فخلال العقود السبعة الماضية ـ وهى فترة قصيرة فى عمر البشرية ـ اجتاز الأتحاد السوفييتى قروناً طويلة وأصبح أحد أقوى الدول فى العالم تحل محل الإمبراطورية الروسية المتخلفة ـ شبه الإقطاعية، وشبه المستعمرة ـ وأن لدى الأتحاد السوفييتى قوى إنتاج ضخمة، وقدرات فكرية جبارة، وثقافة عالية، ومجتمعاً يضم أكثر من مائة أمة وقومية، ورعاية اجتماعية واسعة لعدد ٢٨٠ مليون نسمة، فوق رقعة تشكل ١/٦ الكرة الأرضية.

(ب) وقد لاحظت القيادة السوفييتية فى النصف الأخير من السبعينيات أن البلاد تفقد قوة اندفاعها وتكرر الإخفاق الاقتصادى، وبدأت المشاكل تتراكم، وظهرت عناصر الركود الاقتصادى فى وقت أتاحت فيه الثورة العلمية والتكنولوجية آفاقاً جديدة للتقدم الأقتصادى والأجتماعى.

(جـ) وأثرت معدلات النمو الهابطة والركود الأقتصادى على مختلف نواحى الحياة الأجتماعية فى الأتحاد السوفييتى، وبدأت القيادة تلاحظ تدهوراً تدريجياً فى القيم الأيديولوجية المعنوية للشعب.

(د) وكانت الحاجة إلى التغيير تختمر فى الوعى الشعبى أيضاً، وكان هناك اتفاق عام بأن الأمور لا يمكن أن تسير على ما هى عليه، وتفجرت الحيرة والسخط بين الجماهير.

وتوصلت القيادة إلى استنتاج مؤداه ضرورة تنشيط العامل البشرى وجذب الناس إلى المشاركة فى إعادة البناء، لأن الناس بكل تنوعهم الإبداعى هم صناع التاريخ.

٢ ـ معنى البيروسترويكا :

وقد عبر «جورباتشوف» فى كتابه عن معنى النهج الجديد فى إعادة البناء فيما يلى :

(أ) تعنى التغلب على الركود من أجل تسريع التقدم الاجتماعى والأقتصادى، وإعطائه ديناميكية أكبر.

(ب) مبادرة الجماهير والتطوير الشامل للديمقراطية والحكم الذاتى الأشتراكى وتشجيع المباردة.

(جـ) التكثيف الشامل للاقتصاد السوفييتى والتخلى عن الإدارة بالأوامر.

(د) التحول الكامل إلى الأساليب العلمية.

(هـ) إعطاء الأولوية لتطوير المجال الأجتماعى.

(و) تجديد دقيق لكافة الحياة السوفييتية.

(ز) توحيد الأشتراكية مع الديمقراطية.

(ح) إن البيروسترويكا ثورة، وهى تعنى البناء ولكنها تتضمن أيضاً الحاجة إلى تدمير كل ما هو عتيق وراكد وكل ما يعوق التقدم، وبدون تدمير لايمكن تمهيد الموقع الجديد للبناء.

٣ ـ البيروسترويكا فى تصور الغرب :

ويعبر «جورباتشوف» بنفسه عن هذا التصور بالقول: «بأن هناك اقتراحات غريبة ـ بعضها محلى ـ تقول بأن تغيير النظام الاجتماعى بالتوجه إلى الأساليب والأشكال لوضع اجتماعى مختلف»، وهذا التصور فى نظر «جورباتشوف» مستحيل، حتى لو كان هناك من يرغب فى تحويل الأتحاد السوفييتى إلى الرأسمالية إذ كيف «نوافق على أن ١٩١٧ كان خطأ وأن كل السنوات السبعين من حياتنا وعملنا وجهدنا ومعاركنا كانت كذلك خطأ تاماً، وأننا كنا نسير فى الاتجاه الخاطئ».

ويلاحظ هنا أن تصورات «جورباتشوف» إن كانت فعلاً مخلصة وليست تكتيكا وتمويها، كانت تصورات خاطئة على النحو الذى سنوضحه فيما بعد.

٤ ـ وقد ترتب على سياسة القفز بالإصلاح إلى مشاكل من نوع جديد مثل :

(أ) المعارضة من القوى المحافظة.

(ب) المعارضة من القوى المطالبة بتسريع الإصلاح نحو اقتصاديات السوق والتعددية الحزبية وعلى رأسها «يلتسين».

(جـ) الأمراض المعروفة لدى دول الغرب مثل البطالة والتضخم وما تؤدى إليه معايير الكفاية الإنتاجية وجودة السلع إلى نقص الإنتاج.

(د) أمراض التوقعات الزائدة لدى الجماهير ولدى القيادة.

(هـ) وعدد من الأمراض الاجتماعية الخطيرة ومنها النزعة الاستهلاكية والتمايزات الاجتماعية المفاجئة وانتشار الفساد والجريمة.

٥ - وهناك احتمال أن «جورباتشوف» لم يكن مدركاً منذ البداية لضخامة ولخطورة الإسراع فى الإصلاح وهى عملية كما ذكر بنفسه تقتضى الهدم والإزالة.

وأصبح همه الأول تحاشى الأنفجار، حتى يجنب العالم مخاطر الأنفجار المندفع من الداخل والذى كان يمكن أن يفضى إلى حرب نووية مدمرة.

ولم تصبح القضية مباراة بين نظامين وإنما كيفية التعامل مع نظام ينفجر من الداخل.

٦ - والجدير بالذكر أن الصين كانت أول من لمح بوادر السقوط السوفييتى مبكراً ولكن بطريقتها، فقد وجهت النظر إلى التحريفية السوفييتية والإمبريالية الاشتراكية وتنبأت بسقوط الأتحاد السوفييتى.

٧ ـ وهنا يثور تساؤل سيبقى بلا إجابة لمدة طويلة وهو : لماذا سقطت آلية الأشتراكية فى الأتحاد السوفييتى ولم تسقط فى الصين الشعبية ؟!

ثانياً : الأسباب :

الأسباب المرئية لإنهيار الأتحاد السوفييتى كثيرة، ونقتصر فيما يلى على أبرز هذه الأسباب :

١ ـ العامل الاقتصادى يأتى فى المقدمة، فقد حققت الدول الأشتراكية والأتحاد السوفييتى خاصة، نمواً واضحاً فى الخمسينيات والستينيات، ثم شهد عقد السبعينيات انخفاضاً فى معدلات النمو بعد أن استنفدت كل امكانات الثورة الصناعية الأولى والثانية. وقد وصل الأقتصاد السوفييتى ـ والأشتراكى عامة ـ فى الثمانينات إلى وضع لايتفق مع رؤية الأشتراكية فى قيام نموذج للتقدم الاقتصادى والاجتماعى وظهر التعثر والتراجع واضحاً. ومع ظهور الثورة التكنولوجية فى مجال الحاسبات الآلية والألكترونيات والاتصالات والهندسة الوراثية (الثورة الصناعية الثالثة) وانتشارها فى اليابان والولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية، وما أحدثته من ثورة فى العملية الإنتاجية والادارية المصاحبة، فإن الفجوة زادت بين القوتين وأصبحت تشكل معضلة أمنية إلى جانب المشكلات الاجتماعية والأقتصادية.

٢ ـ فكانت البيروسترويكا نفسها عاملاً من عوامل انهيار الأتحاد السوفييتى، لأنها تضمنت إطلاق طاقات الجماهير فى النقد

والسخط والرغبة فى تحسين مستوى المعيشة، وكان ذلك الوقت وفقاً لتصورات جماعة جورباتشوف، أن تبدأ الرؤية بالهدم من أجل إعادة البناء، وتحولت آلة الهدم فى النهاية إلى آلة لا تتوقف.

٣ - وكانت للفجوة بين النظامين آثار متعددة، منها شعور القادة السوفييت بتهديد يواجه أمن البلاد. فكان الاستسلام على شكل تنازلات متتالية بديلاً عن الحرب المدمرة.

٤ - ويعود السقوط أيضاً إلى الإفلاس الأيدويولوجى أو إلى التبادل أو التعامل الخاطئ مع الأيديولوجية التى أصبحت فى نظر الجماهير مبرراً لإقامة بناء مؤسسى (مؤسسة) ينطوى على قدر كبير من الكبت والعلاقات اللاديمقراطية.

كما استطاعت آلية بناء الأشتراكية، لأن المفروض فى النظام الإشتراكى قدرته على تحقيق حياة أفضل للجماهير، وهو أمر لم يحدث، بل وجدنا نقيضه.

وبدلاً من أن تقوم المؤسسات بتحقيق رسالة الأيديولوجية - أى التحرير والرخاء والعدالة - أصبحت المؤسسات ترمز إلى النقيض.

٥ - وأيضاً فالمجتمع الأشتراكى لم ينشأ فى مجتمع حقق الرأسمالية أولاً، على أساس أن الأشتراكية هى نتاج الرأسمالية، ولم تكن روسيا مرشحة لبناء الأشتراكية، بل كانت مجتمعاً متخلفاً إقطاعياً، ولذلك فإن النظام الأشتراكى الذى أنجز هذا القرن كان مآله السقوط والأنهيار من الداخل لأسباب تتعلق بأسلوب إقامته أصلاً.

٦ ـ وهناك التحرك النشط والعدوانى للرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، والتى كانت تحارب وتستنزف التجربة الأشتراكية وتجرها إلى صراعات جانبية.

٧ ـ كما يعود السقوط إلى العبء الثقيل الذى تحملته النظم الأشتراكية الجديدة، ومثال ذلك : رفع مستوى شعوب متعددة داخل الأتحاد السوفييتى، ونشر مظلة الضمان الاجتماعى فوق ٢٨٠ مليون نسمة ـ سكان الأتحاد السوفييتى ـ ومساعدة دول أوروبا الأشتراكية ودول آسيا الأشتراكية وأبرزها الصين الشعبية، والعبء الشديد لحركات التحرر الوطنى فى العالم.

٨ ـ وهناك سبب آخر يحسن إيراده لاستكمال الرؤية ـ رغم أنه لا يستند إلى حقائق علمية ـ وهو التآمر الغربى مع عناصر مجندة داخل الأتحاد السوفييتى استغلت أمراضاً حقيقية منها معاناة الجماهير وغياب الديمقراطية، وفجرت الأتحاد السوفييتى من الداخل بإطلاق مارد « الجماهير» بزعم ثورة اشتراكية تصحيحية جديدة وفق تعاليم لينين، وعندما تحركت آلة الهدم لم تتوقف.

ثالثا: الآثار :

كانت ولاتزال النتائج المترتبة على الأنهيار السوفييتى ضخمة توازى ضخامة الأتحاد السوفييتى ودوره العالمى وصورته الضخمة بوصفه أحد قطبى القيادة الدولية. ولا يمكن تتبع كل نتائج هذا السقوط بشكل دقيق ومحايد إلا بعد مرور فترة طويلة وتبين دور كل من ساهم فى هذا الأنهيار ونحاول فيما يلى تلخيص أبرز ما ترتب على الأنهيار السوفييتى.

١ ـ بالنسبة للعالم العربى :

(أ) مثلت أزمة الخليج، أو ما عرف فيما بعد بعاصفة الصحراء اختبارا حقيقياً للنظام الدولى الجديد بعد سقوط الأتحاد السوفييتى، رغم أن الأزمة جاءت فى وقت لم تكن قد تبلورت فيه أسس ومبادئ وآليات النظام الدولى الجديد لأن أزمة الخليج ـ غزو العراق للكويت ـ حدثت فى النصف الثانى من عام ١٩٩٠، بينما صدرت شهادة وفاة الأتحاد السوفييتى باستقالة «جورباتشوف» فى نهاية ١٩٩١ .

وعلى الرغم من ارتفاع شعارات الأعتماد المتبادل، ورفض استخدام القوة، وتوازن المصالح ونشر الديمقراطية، إلا أن بعض دول ـ قيادات ـ العالم الثالث فشلت فى تفهم ما حدث وخاصة ظهور الهيمنة الأمريكية التى تحوز آلة حرب فائقة التدمير، مستعدة لأستخدامها ضماناً لمصالحها. كما لم يتفهم عدد كبير من قادة دول العالم الثالث أن توازن القوى قد انتهى أمره، وحتى توازن المصالح هو شعار خاو، والمتاح هو نظام دولى تقف على قمته دولة مهيمنة هى الولايات المتحدة لها نزعة عسكرية عدوانية لحل المشكلات التى تهتم بحلها.

كما لم تتفهم دول العالم الثالث أن الإقليمية ومنها النظام العربى ليس له القول الفصل فى حل المشاكل الإقليمية لأن القطب الذى انتهى ـ الأتحاد السوفييتى ـ يقف «ديكورا» إلى جانب السلطة الدولية الفعلية.

وطوال مراحل الأزمة، برز اتجاهان دوليان رئيسيان ومتعارضان:

أولهما : الأسلوب السوفييتى بدعم من بعض دول أوروبا ويدعو إلى حل الأزمة سلمياً ودفع العراق إلى التسليم بالقرارات الدولية.

والثانى: الأسلوب الأمريكى الذى يفضل الحل العسكرى جنباً إلى جنب مع الضغوط الأخرى السياسية والاقتصادية والمعنوية.

ورغم أن الرؤية السوفييتية مثلت قيداً على التحرك الأمريكى إلا أن هذا الأمر لم يمنع الولايات المتحدة فى النهاية من استخدام القوة المسلحة ضد العراق، الأمر الذى أدى إلى طرد العراق من الكويت وإلى توجيه ضربة عسكرية واقتصادية وسياسية شديدة إلى العراق أرجعته سنوات طويلة إلى الوراء وبشكل لم يقصد به إنهاء الاحتلال فقط، بل أيضاً القضاء على إمكانات العراق.

(ب) أدى انهيار الأتحاد السوفييتى وانفراد النمط الغربى بشئون العالم إلى مزيد من ربط الدول العربية بالسوق العالمية، وتحول المنطقة العربية إلى منطقة شرق أوسطية، وهو أمر يهدد بقاء وفعالية النظام العربى نفسه.

(جـ) وكان للانهيار السوفييتى تأثيره الواضح على القضية المركزية فى العالم العربى، وهى القضية الفلسطينية خاصة، وعلى حل مشكلة الشرق الأوسط بشكل عام، ومن ناحية أصبحت كل الأوراق فى يد الولايات المتحدة. ومن ناحية أخرى فقدت إسرائيل معظم الدور الذى وظفته الولايات المتحدة للحفاظ على

مصالحها فى الشرق الأوسط، بل تحولت إسرائيل إلى عبء مالى وسياسى على كاهل الولايات المتحدة، وهنا تحركت الهيمنة الجديدة وفرضت صيغة مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ ، وشارك الأتحاد السوفييتى، الذى أعلنت وفاته بعد هذا التاريخ بشهور معدودة. وعلى هذا لايمكن القول بأن السقوط السوفييتى قد أضر بالقضايا العربية، لأنه يمكن الرد بأن السقوط عدل من المواقف لصالح الإسراع فى حل الأزمة، لأن الولايات المتحدة كانت تحتفظ بالموقف ساخنا ومتجمداً لضرب الأتحاد السوفييتى، وهو عامل اختفى وحلت محله مستجدات أخرى.

(د) ولعل من نتائج السقوط أن الغرب لم يعد يواجه عدواً وهو لايستطيع أن يعيش فى إطار إستراتيجيته التى اعتادها إلا بوجود «عدو». وهنا قامت دراسات تحاول أن تقدم «الأصولية الإسلامية» بوصفها عدو الحضارة الغربية وهو أمر ساذج وخاطئ، وقد تنبأت أو تفهمت دول أوروبية كثيرة خطأه، ولكنه لايزال فى الذاكرة، وقد يستبدل به اعتبار الحركات الأصولية التى توصف بالإرهاب - وليس العالم الإسلامى بمثابة العدو، وهو أيضاً أمراً خاطئ ومضلل.

٢ - التأثير على دول أوروبا :

(أ) بالنسبة لأوروبا عامة، نجد الغرب قد انتصرت مبادئه ونموذجه، وانهارت النظم الأشتراكية فى شرق أوروبا، وخضعت للتطور وفق المنظور الغربى الرأسمالى القائم على آليات السوق والتعددية الحزبية واحترام حقوق الإنسان.

وعلى الصعيد الألمانى، انهار سور برلين فى نوفمبر ١٩٨٩ مع

انتهاء الحرب الباردة، وتم عام ١٩٩٠ إعادة توحيد ألمانيا وموافقة الأتحاد السوفييتى على انضمامها - ألمانيا الموحدة - إلى حلف الأطلنطى.

كما أصبحت أوروبا الغربية فى غير حاجة إلى الدعم الدفاعى الأمريكى، وهو أمر يفتح آفاقا جديدة فى المستقبل لنظام أمنى خاص بأوروبا وحدها بعد تهيئة دول أوروبا الشرقية للدخول فى المجموعة.

وأدى الأنهيار إلى احتمالات عدم الاستقرار فى شرق وجنوب أوروبا، وإلى تزايد الخوف من عدوانية ألمانيا الموحدة مستقبلاً بعد زوال الضوابط التى تواجدت بسبب تواجد القطب السوفييتى. وقد شاهدنا تفكك يوغوسلافيا المأساوى إلى صرب وكروات وبوسنيين، وتفجر الخلافات الدينية والعرقية.

٣ - نظرية الفراغ :

لاشك أن الأتحاد السوفييتى قد ترك فراغاً فى المجال الدولى أدى إلى أنفراد أو شبه أنفراد الولايات المتحدة بالنظام، وطبيعة الأمور أن تبرز قوى جديدة تشغل هذا الفراغ والمرشحون لهذا الدور : اليابان والصين وأوروبا الموحدة، وقد تتعدل الصيغة إلى أتحاد آسيوى يضم اليابان والصين والنمور الآسيوية الأخرى الصاعدة، إلى جانب أوروبا والولايات المتحدة، أى نجد أمامنا نظام «ترويكا» متعدد الأقطاب.

٤ - النظام الدولى الجديد :

بالإضافة إلى ما سبق، نجد فى الوقت الراهن على الأقل هيمنة أمريكية، ونهاية للحرب الباردة، ومناخا دولياً يتسم بالأسترخاء نتيجة التنازلات السوفييتية السابقة التى أدت إلى التوصل إلى حلول

لمشاكل كثيرة، أبرزها:

الحد من التسلح وحقوق الإنسان، ومشاكل البيئة والتجارة الدولية، ومكافحة المخدرات والإرهاب. وعلو النموذج الغربى الذى يقوم على عاملين أساسيين هما : اقتصاد السوق والتعددية الحزبية، بما فى ذلك الديمقراطية بالنمط الغربى واحترام حقوق الإنسان.

وأخيراً نجد أن النزاعات الإقليمية قد اختصت بمعالجتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد غيبة القطب الثانى وبعد تطوع الأمم المتحدة للتغطية للعمليات الأمريكية.

٥ ـ الأمم المتحدة :

لاشك أن الأمم المتحدة قد اتخذت شكلاً جديداً بعد زوال القطب السوفيتى وتحمله ـ فى الظاهر ـ أعباء جديدة لحل المشكلات الإقليمية.

وقد وضح دور الأمم المتحدة خلال عملية «عاصفة الصحراء» ضد العراق ومن خلال معالجة الأزمة الصومالية.

وهذا الدور مرسوم بعناية متروك للولايات المتحدة أن تتوسع فيه، ومثال ذلك أن مؤتمر مدريد (أكتوبر ١٩٩١) جاء فى غيبة الأمم المتحدة لأنه يتصل بمصلحة حيوية للولايات المتحدة.

٦ ـ مشاكل داخل الأتحاد السوفييتى السابق :

وترتب على السقوط مشاكل هائلة داخل أطراف ما كان يعرف بالأتحاد السوفييتى سابقاً مثل :

(أ) مشكلة القوميات والأديان فنجد صراعاً عرقياً دينياً بين الأرمن والأذربيجان، وصراعاً عرقياً بين مجموعات من ديانة واحدة مثل الصراع بين الأزبكستان والأتراك.

(ب) مشكلات سياسية داخلية مثل خلافات رئيس الروس مع البرلمان والتى انتهت فى ١٩٩٣/١٠/٤ باقتحام البرلمان وتوجيه ضربة للديمقراطية بمساندة الغرب.

(جـ) تفجر الاضطرابات العمالية مثلماً حدث مع عمال سيبيريا.

(د) الفوضى الاقتصادية والاجتماعية الشاملة نتيجة الهدم غير المحسوب.

(هـ) التمزق والتشرزم الذى أصاب الأتحاد السوفييتى.

٧ ـ هل سقطت الأشتراكية ؟ :

والسؤال الأخير هو: هل سقطت الأشتراكية بسقوط الأتحاد السوفييتى أم أن السقوط يعود على النظام الذى فشل وليس إلى الأيديولوجية التى لم تجد من يحسن تطبيقها.

وقد ذكر أحد المناظرين الأشتراكيين أن الرأسمالية تلتحم من جانب مع الأشتراكية لينتج البديل المستقبلى للبشرية، بمعنى أن الرأسمالية نفسها مقضى عليها بالدمار.

وهناك من الأشتراكيين من ينكر سقوط الأشتراكية بدليل نجاحها الاقتصادى فى الصين الشعبية.

الفصل الثانى

حرب عاصفة الصحراء

تمهيد

عندما نشير إلى الوضع أو إلى الأوضاع فى الخليج، نقصد بذلك مجموعة القوى الفاعلة التى يؤدى اتفاقها وأنسجامها بدرجة مقبولة إلى استقرار الوضع فى تلك المنطقة. وفى حالة اختلاف تصورات وسلوك القوى الفاعلة ويصل الاختلاف والسلوك إلى مقربة من نقطة الصراع ،نقول إن هناك أزمة فى الخليج، وكل أزمة تبحث بالضرورة عن حل لتصل الأوضاع إلى درجة الأستقرار النسبى مرة أخرى.

وفى هذا الصدد فإن التركيز على قوة إقليمية وحدها يؤدى إلى استنتاجات خاطئة، وبنفس الشكل فإن التركيز على قوة دولية بمفردها يؤدى إلى نفس الخطأ.

إذن أزمة الخليج ليست غزو العراق للكويت، أو عاصفة الصحراء، أو إيران الثورة، أو العراق الثورة أو تدخلات الدول الكبرى. والمطلوب هو معرفة درجة تأثير كل قوة وتصوراتها

الحقيقية وليست المعلنة فقط، وهنا تتبلور أمامنا صورة كاملة للأزمة ومن ثم يسهل الوصول إلى استنتاجات صحيحة.

وأزمة الخليج لها جذور عميقة ولها أطراف متعددة، ومثال ذلك وضع الفوضى والتفتت الذى عاشته المنطقة العربية ومنها الخليج بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية، وحساسيات دول الخليج من التحديد المصطنع للحدود السياسية، بل إن زرع إسرائيل فى قلب الأمة العربية، كل ذلك متصل بالأزمة. يضاف إلى ذلك عوامل متعددة تتصل بالقوى الصاعدة منذ الخمسينيات والقوى الأصولية الإسلامية التى انتشرت بشكل بارز إثر الثورة الإسلامية فى إيران. بالنظر بدقة إلى كل ما سبق يمكن فهم الأزمة.

الغزو العراقى للكويت وعاصفة الصحراء

تنبع الأهمية الخاصة لمنطقة الخليج من وجود النفط والأسواق ومنطقة تطويق الأتحاد السوفييتى. تظل أهمية الخليج تعود إلى النفط والأسواق وعائدات البترول التى يعاد استثمارها وإيداعها فى بنوك الولايات المتحدة.

وكانت استراتيجية الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط والخليج خاصة هى استبعاد الأصدقاء والأعداء على حد سواء للأنفراد بمقدرات المنطقة، فتم للولايات المتحدة استبعاد بريطانيا وفرنسا وأخيراً الاتحاد السوفييتى. وبنفس الشكل حرصت الولايات المتحدة على إضعاف وإنهاء التيار القومى العربى التحررى وتم لها ما أرادت، وتقوم الآن باستبعاد التيار الأصولى الإسلامى لأنها

لاتستطيع إملاء شروطها على أى من التيارين لنزعة كل منهما الأستقلالية.

هذا وقد بدأ الغزو العراقى للكويت صباح ١٩٩٠/٨/٢ وأعطت قيادة الدول المتحالفة مهلة للعراق للإنسحاب حتى ١٩٩١/١/١٥ ولما لم يستجب بدأت عاصفة الصحراء فى ١٩٩١/١/١٧ لمدة ٤٣ يوماً حتى ١٩٩١/٢/٢٨ وهو تاريخ استجابة العراق لقرارات الأمم المتحدة.

وستكون أمامنا ثلاث نقاط رئيسية لمعالجتها فى هذا الصدد وهى :

١ ـ البدايات.

٢ ـ هجوم التحالف.

٣ ـ الآثار.

١ ـ البدايات

(أ) البداية المستندية للأزمة تعود إلى المذكرة التى بعث بها وزير خارجية العراق إلى أمين عام الجامعة العربية فى ١٩٩٠/٧/١٥ يتهم فيها الكويت بالإقدام على استغلال انشغال العراق بالحرب مع إيران وقيامه ببناء المخافر والمنشآت العسكرية والنفطية على أرض العراق، وإشتراك حكومتى الكويت والإمارات فى عمليات إغراق أسواق النفط بتجاوز الحصص الخاصة بهما، مما أدى إلى تدهور الأسعار والإضرار

ضرراً بالغاً بالعراق، كما أتهم الكويت بسحب كميات ضخمة من حقل الرميلة العراقى بدون وجه حق (سرقة) تبلغ قيمتها ٢٤٠٠ مليون دولار.

- وبطبيعة الحال ردت الكويت بنفى هذه الادعاءات.

- وأدت اتصالات الجانبين إلى تصعيد الموقف مما حدا بعدد من الدول العربية أبرزها مصر والسعودية بعرض الوساطة.

- وقد أثمرت جهود الوساطة اجتماعا على مستوى عال فى جدة فى ٧/٣١ بين ممثلى العراق والكويت، وقد فشلت المحادثات رغم استمرار رغبة الكويت فى حل المشكلات بالتفاوض والحوار، إلا أن الجانب العراقى كان يستخدم اللقاء لستر نياته المبيتة فى الغزو.

(ب) وبعد فترة وجيزة من اجتماع جدة أقدمت العراق على غزو الكويت فى ١٩٩٠/٨/٢ واتخذت خطوات متسرعة لضم الكويت قولاً وعملاً.

- ثم قامت العراق بإثارة قضايا أخرى لاتتصل بالغزو لصرف الأنظار عن الموضوع الأساسى.

وشجعت العراق على الساحة العربية وروجت دولياً مقولة: «ضرورة حل المشكلة حلاً عربياً» لتستبعد بذلك إحتمالات أو تأكيدات التدخل الأجنبى.

- وزيادة فى التعمية رفعت العراق شعارات منها: أن القضية أصبحت المواجهة مع الاستعمار الغربى الذى يريد العودة،

وشعارات دينية وأخرى متصلة بعدالة التوزيع، وهى أمور بعيدة عن القضية الرئيسية وهى الغزو غير المبرر.

- كما أدعت العراق أن الغزو فى ١٩٩٠/٨/٢ جاء لمساندة الأنقلاب العسكرى (المزعوم) الذى أطاح بحكومة الكويت وهو أسلوب معروف يلجأ إليه الغزاة.

- وارتكب العراق أخطاء قاتلة بإشعاله حرب محاصرة البعثات الأجنبية (الدبلوماسية) فى الكويت لإجبارها على المغادرة، ثم أعتبار الرعايا الأجانب فى العراق والكويت رهائن لإجبار أمريكا والغرب على عدم التحرك.

- وحاول العراق أن يتحرك على المستوى السياسى لإمتصاص آثار أزمة الغزو بعدة مبادرات كان أبرزها مبادرته عن تسوية الأزمة على النحو التالى:

١- إعداد ترتيبات إنسحاب متزامنة، أى تنسحب العراق من إيران وإسرائيل من الأراضى العربية المحتلة وسوريا من لبنان.

٢- تنسحب القوات الدولية - الأجنبية من السعودية وتحل محلها قوات عربية تحت رعاية مجلس الأمن ليس منها قوات مصرية.

٣- تجمد قرارات المقاطعة والحصار ضد العراق.

ولم يشر العراق إلى الإنسحاب من الكويت.

- وفى حركة يائسة وبعد مبادرات عربية وعراقية غير ناجحة وجه الرئيس العراقى نداءً إلى الجماهير العربية بمقاومة حكامها، وأكد

حق بلاده على الكويت وأدعى الأنتساب إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(جـ) العالم العربى بين الرفض والتأييد:

مهما كانت دعاوى العراق فإن المنطقى أن يقابل الغزو برفض واستنكار شديدين من العالم العربى، حكومات وشعوبا، إلا أن الرصد الممكن بين أن العالم العربى توزع رفضه وتأييده بنسبة حوالى ٥٠٪ وكان هذا الأمر غريبا، ولكنه حدث ولا يجب الخجل من مناقشته.

وقد جاء تأييد قسم كبير من الجماهير العربية بسبب التدخل الأجنبى وهو أمر نجح العراق فى توجيه الأنظار إليه. أما تأييد عدد من الحكومات العربية للعراق فجاء بسبب الحاجة إلى المعونات العراقية أو بسبب العداء للسعودية.

أما منظمة التحرير الفلسطينية فقد كانت قصيرة النظر فى التأييد الذى أضر بها وبالقضية الفلسطينية على أرض الخليج ضررا بالغا، وجاء التأييد بسبب إغراءات النظام العراقى وكحركة يائسة لحل المسألة الفلسطينية بربطها بأزمة الخليج، ولمعارضتها هى الأخرى للتدخل الأجنبى الذى جاء أساساً من الولايات المتحدة المساندة الرئيسية لإسرائيل، وعموماً كان الموقف الفلسطينى يتسم بالغباء والبعد عن المصداقية بل والمصلحة الوطنية.

والموقف الغريب أيضا هو موقف الجماعات الإسلامية فى كل الوطن العربى التى خدعت بنداءات الجهاد التى أطلقها العراق وأعطته التأييد الكامل كرها فى الوجود الأجنبى، وكان إجماع

الجماعات الإسلامية على هذا الموقف فيما عدا الجماعة الإسلامية فى الكويت التى وقفت إلى جانب الحق الوطنى الكويتى تأييداً لحكومتها الشرعية.

أما النظام العربى ممثلاً بالجامعة العربية فقد وقف ضد الغزو العراقى وإن اختلفت بعض جوانبه حول الوجود الأجنبى والحل العسكرى.

(د) حسابات العراق:

- تصور العراق أن النظام الدولى يتكون، وبذلك لا يعد فى مرحلة القيام بعمل عسكرى، بالإضافة إلى تصوره أن الأتحاد السوفييتى لايزال قائما مع أنه قد سقط ولم يبق إلا إصدار شهادة الوفاة.
- كما تصور أن الغرب والعرب سيدخلون فى مساومات سياسية معه تعطى له فرصة تدعيم مكانته ولم يحدث.
- كما أعطى العراق للجماهير العربية دورا أكبر من الواقع، وخاصة أن صدام حسين ليس عبد الناصر والأخير لم يكن يقدم على غزو أو أعتداء وكانت صلته بالجماهير المحبة والتقدير، أما صدام حسين فكانت صلته بالحكومات وبالناس الخوف والرهبة.
- كما راهن العراق على وجود معارضة كبيرة كويتية ضد حكومتها، وهو أمر لم يحسب جيداً لأن هناك معارضة بالفعل ولكنها وطنية وقفت إلى جانب الشرعية الكويتية تحت كل الظروف، ونفس الموقف وقفته المعارضة الإسلامية.
- كما فوجئت العراق بهروب أمير البلاد وولى عهده وكبار رجالات الدولة ولجوئهم إلى السعودية وهو أمر لم يكن فى حسبان العراق.

- وأخيرا لم يتوقع العراق رد الفعل الدولى العنيف المصمم على ضرب الغزو وإجبار العراق على الإنسحاب.
- وكان أكبر خطأ فى حسابات العراق أنه وقد ظهرت بوادر التحرك الدولى العنيف، كان عليه أن يسحب قواته قبل نفاد الفترة المحدودة له وهى ١٩٩١/١/١٥ ، وبذلك يحقق إنتصاراً سياسياً وعربياً ولو فى الظاهر ويجنب العراق مخاطر التدمير الشامل.

(هـ) الأسباب:

يمكن نلمس أسباب ودواعى الغزو فى عدد كبير من العوامل:

أولهـا : فشل النظام السياسى العربى فى كل من المشرق والمغرب فى القيام على أسس ديمقراطية ونيابية ومؤسسية وتقوم على الصلاحية والمساءلة.

الثانى : تراكم المشاكل والعداوات فى الخليج بسبب التقسيم العشوائى للمناطق وتحديد الحدود والذى تم بواسطة سلطة الإحتلال.

الثالث : تعود إلى شخصية الرئيس صدام حسين الذى أراد زعامة العالم العربى بعد الفراغ فى السبعينيات الذى ترتب على وفاة عبد الناصر وإنسحاب مصر من قيادة العالم العربى بسبب، كامب دافيد.

الرابع : نمو قوة العراق وخاصة العسكرية بعد ثمان سنوات من الحرب مع إيران (١٩٨٠ - ١٩٨٨) وإرتفاع شعار «العراق حامى البوابة الشرقية للعرب».

الخامس : رغبة العراق فى تعويض خسائره إبان حرب الخليج مع إيران بالإستيلاء على بترول وثروات الكويت.

السادس : شعور العراق بأنه دفع ثمناً باهظاً للدفاع عن دول الخليج فى حربه مع إيران وأنه لم يلق الجزاء المناسب.

أما الدعاوى التى أثارها العراق فى مواجهة الكويت فلم تكن إلا ذرائع الغزو.

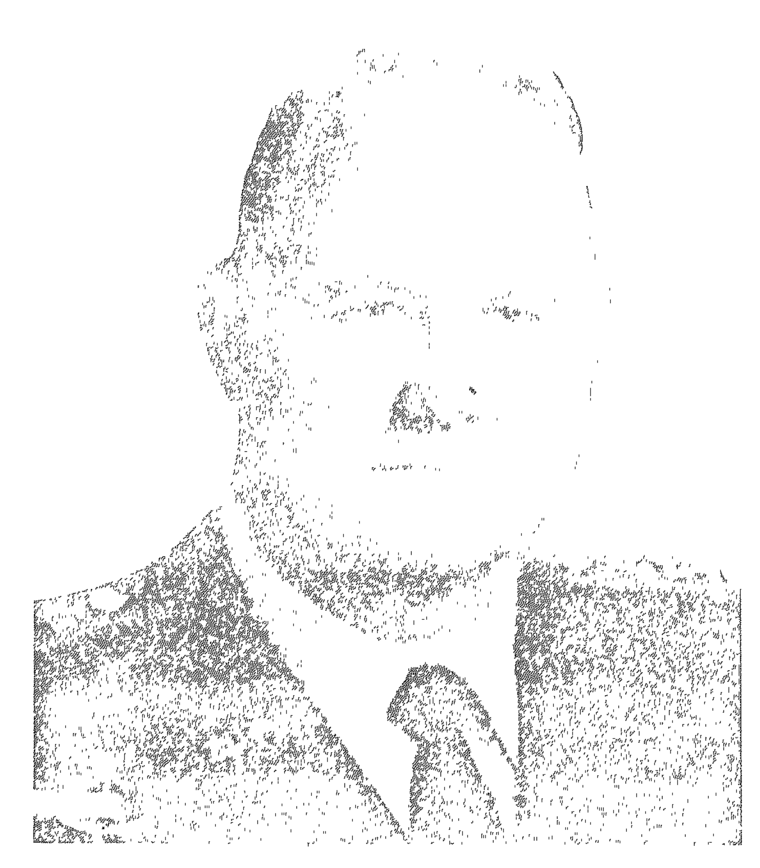
٢ ـ هجوم التحالف (العاصفة)

(أ) جاء رد الفعل على الغزو العراقى عنيفا منذ البداية، وفى نفس اليوم أصدر مجلس الأمن القرار ٦٦٠/١٩٩٠ فى ١٩٩٠/٨/٢ أدان فيه الغزو ويطالب بإنسحاب العراق وجاء القرار بالإجماع (١٤ صوتا من ١٥ نظراً لغياب ممثل اليمن).

وصعدت أمريكا ومجلس الأمن العقوبات إلى العقوبات الاقتصادية والتجارية، وتجميد الأرصدة والممتلكات، والحصار الجوى إلى أن وصل الأمر إلى موافقة مجلس الأمن على إتخاذ كل التدابير اللازمة بما فى ذلك استخدام القوة.

– وتحركت آلات الحرب والإعلام والدبلوماسية الغربية جميعاً فى إطار عاصفة الصحراء التى حظيت بغطاء وشرعية دولية وعربية، وبتواجد قوات أمريكية وبريطانية وفرنسية وسورية ومصرية ومغربية وسعودية وكويتية.

(ب) وبدأت عاصفة الصحراء فى ١٩٩١/١/١٧ وأنتهت فى ١٩٩١/١/٢٨، وقد مهدت الحملة بضرب جوى متواصل لم يحدث له مثيل فى تاريخ المعارك الدولية حتى إبان الحرب العالمية الثانية، وكانت الهجمات الدولية الجوية تستهدف تدمير



نورمان شوارسكوف

H.Norman Schwarzkopf

قائد قوات الحلفاء في الحرب العراقية الكويتية التي لقبت بعاصفة الصحراء. وقد اكتسب شراسة قتالية منذ اشتراكه في الحرب الفيتنامية، وهو وحيد أبويه ومن مواليد ٢٢ أغسطس ١٩٣٤ بنوجرسي.

قاد الحرب العراقية الكويتية بطريقة شرسة لاسيما من جانب الطيران الأمريكي. أدت إلى تدمير البنية الأساسية لدولة العراق. وقد حاول غزو جنوب العراق لقطع خط الرجعة على القوات العراقية المنسحبة ولكنه اشتبك معها في معركة تصادمية أدت إلى وقف إطلاق النار.

طاقات العراق وإرجاعه عشرات السنين إلى الوراء ولم تقتصر على تدمير الطاقات العسكرية وحدها.

(جـ) وانتهى الأمر بتركيع العراق وإذلاله وإنتهاء أسطوره القوة العراقية إلى الآن.

٣ ـ الآثار

(أ) من أبرز نتائج الغزو والعاصفة ضرب قوة العراق العربية وهو أمر يضعف فى نفس الوقت فعالية الأمة العربية، وبمعنى آخر تم إخراج العراق من المواجهة مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

(ب) إنهاء ما تبقى من قوة لدى النظام العربى الذى كشف الغزو عن ضعفه وعدم قدرته على حل المشاكل العربية.

(جـ) معاناة الشعبين الكويتى والعراقى.

(د) تأثرت إقتصاديات الدول العربية سلباً ومنها سوريا ومصر.

(هـ) الأزمة النفسية التى تعرض لها الشعب الكويتى الذى فقد إيمانه بالأمة العربية وإنتمائه إليها.

(و) بحث دول الخليج عن نظام أمن جديد وتصورت وجوده فى إعلان دمشق إلا أن هذا التصور لم يكن صحيحا.

(ز) بروز وتنامى فكرة النظام (الشرق أوسطى) بديلا عن النظام العربى.

(ح) إلحاح تسوية النزاع العربى الإسرائيلى وهو أمر قام به الرئيس «بوش» بعقد مؤتمر «مدريد» للسلام فى أكتوبر ١٩٩١ .

(ط) قبول كل الأطراف العربية بما فيها المنطقة ودول الخليج لصيغة «كامب دافيد» التى غلفت فى صيغة «مدريد»..

تعقيب

المخطط الأمريكى للسيطرة على الشرق الأوسط

كانت المرحلة الأولى من المخطط الأمريكى، إخضاع العراق، ودرئ الخطر عن إسرائيل من الشمال، بعد أن أمّنت كيانها ووجودها من ناحية الجنوب بالصلح مع مصر، بدور أمريكا فى إتفاقية «كامب دافيد».

وكانت المرحلة الأولى من الخطة، تحريض إسرائيل على تدمير المفاعل الذرى العراقى عام ١٩٨١، بمساعدة تقنية واستخبارية وتأييد دبلوماسى وسياسى على الصعيد الدولى من جانب الولايات المتحدة الأمريكية.

والمرحلة الثانية كانت تهيئة المناخ وإشاعة الفرقة بين الجارتين الإسلاميتين المعاديين لإسرائيل (العراق - إيران) واللتين لديهما إمكانيات إقتصادية وعسكرية وعوائد بترولية تمكنهما من أن يصبحا قوتان نوويتان يتفوقان على إسرائيل - عصا التأديب فى المنطقة - ربيبة الولايات المتحدة.

وقد استمرت الحرب بين الجارتين الإسلاميتين ثمان سنوات إستنفدا فيها أغلب ما يملكان من أرصدة بشرية وماديةوإخلاقية.وقد كشفت فضيحة «إيران جات» «IRAN GATE» الدور المأسوى التآمرى الذى لعبته الولايات المتحدة فى الحرب العراقية الإيرانية من حيث

قيامها ببيع السلاح والعتاد لإيران بواسطة إسرائيل، وفى نفس الوقت إمدادها وتزويدها العراق بالمعلومات والإستخبارات التى تحصل عليها من أقمارها الصناعية، وكان المقصود بهذا الدور إطالة أمد الحرب وإنهاك قوى الدولتين بشرياً ومادياً.

والمرحلة الثالثة ـ مع شديد الأسف ـ أبتلاع العراق الطعم الذى قدمته له الولايات المتحدة بواسطة سفيرتها فى العراق، معتقدا أن لديه الضوء الأخضر لإجتياح الكويت جارته العربية الصغيرة، [١] مما أتاح الفرصة للولايات المتحدة إلى تجنيد ثلاثة وثلاثون دولة للأشتراك فى تدمير العراق تحت راية منظمة الأمم المتحدة، وبذلك إنتهت الجبهة الشمالية المهددة للكيان الإسرائيلى، وفى نفس الوقت قضت على القوة النووية الوحيدة التى كانت محتملة أن تكون فى حوزة الأمة العربية.

وهكذا حققت الولايات لمتحدة أهدافها فى منطقة الشرق الأوسط إذ جردت دولها من مقومات القوة بإستثناء إسرائيل الدولة الحارسة على المصالح الأمريكية، والتى سمح لها بإمتلاك أسلحة الدمار الشامل.

وجميع الشواهد والملابسات تدلل الآن على أن إستراتيجية الولايات المتحدة تتجة بعد تمزيق وتحجيم العالم لعربى إلى مناهضة العالم الإسلامى لتجريد دوله التى يعتقد أن لديها نشاط نووى متقدم، وتأليب الرأى العام الدولى عليها.

.(١) المناقشات السرية التى دارت فى جلسة الأستماع فى الكونجرس لتقرير سفيرة أمريكا فى العراق حينئذ.

فالشعوب الإسلامية والإسلام فى نظر الولايات المتحدة، كما ذكر مرارا «الرئيس نيكسون» أشد خطورة على الديمقراطية من الشيوعية.

هل حان الوقت للعرب والمسلمين أن يستيقظوا ويدركوا ما يدور ويحاك حولهم؟.

الفصل الثالث

النظام الدولي الجديد

تمهيد

ظهر موضوع النظام الدولى الجديد مع تصريحات الرئيس الأمريكى السابق «بوش» عام ١٩٩١، وكذلك فإن الموضوع - مثله مثل النظام نفسه - لم يتبلور تماماً.

عوامل تشكيل وتطور هذا النظام :

أولاً : تعريف بالمصطلح.

ثانيا : تطور النظام الدولى منذ الحرب العالمية الثانية.

ثالثا : عوامل أثرت فى تشكيل النظام الدولى الجديد.

رابعاً : تصورات حول مستقبل النظام الدولى.

خامساً : قضايا النظام الدولى فى التسعينيات.

* * *

أولا : تعريف بالمصطلح :

يعنى مصطلح النظام الدولى فى تعريفه : مجموعة القواعد العامة للتعامل الدولى، فى جوانبه الصراعية والتعاونية، كما تضعها القوى الكبرى فى الجماعة الدولية، وتفرضها على القوى الأخرى فى المرحلة التاريخية المعينة. والنظام الدولى هو تنظيم قواعد «اللعبة» الدولية فى عصر معين، يقوم به القوى ويفرضه على الأقل قوة. ويتميز النظام الدولى فى التاريخ الحديث والمعاصر، وتحديداً منذ أواخر القرن ١٩ وحتى الآن، بظاهرة «القطبية الدولية» بالمعنى الواسع للظاهرة، حيث يمكن النظر إلى دولة يتركز فيها ثقل قرارى دولى، باعتبارها قطباً دولياً.

وهكذا عرفت الجماعة الدولية عبر القرن الحالى تنويعات متدرجة من القطبية الدولية بمعنى تعدد مراكز القرار الدولى ذو الفعالية الممتدة من وحدات الجماعة الدولية. فمنذ أواخر القرن ١٩ وحتى انتهاء الحرب العالمية الأولى عاش العالم خبرة القطبية التعددية الواسعة حيث سيطرت على المسرح الدولى آنذاك ثمان دول امتلكت قدرة القرار الدولى الممتد فى نطاقه إلى دول أخرى عديدة، وكانت تلك الدول هى : بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والنمسا والمجر والولايات المتحدة واليابان.

إلا أن النظام الدولى الذى يعيش فيه عالمنا المعاصر منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية هو نظام القطبية الثنائية الدولية، والذى كانت إرهاصاته الأولى قد بدت فى مؤتمر يالتا (عام ١٩٤٥). وإن كان مؤتمر يالتا ثلاثيا بين الحلفاء الثلاثة الكبار آنذاك اجتمعوا واتفقوا

على ترتيبات سير المعارك الأخيرة الحاسمة فى القضاء على النازية الألمانية وعلى العسكرية اليابانية. وتولد هذا المؤتمر الذى قنن بين أطرافه النتائج السياسية لبدايات الانتصار العسكرى للحلفاء على المحور داخل أوروبا، وعلى الطرف الآسيوى من ذلك المحور خارج أوروبا وهو اليابان؛ إلا أنه قد تولد عن هذا المؤتمر - فى ظل ظروف القوى الكبرى وواقعها الجديد - قطبان عالميان هما الولايات المتحدة والأتحاد السوفييتى، أصبحا يتقاسمان مقاليد السيطرة والتحكم فى سير العلاقات ما بين الدول الأخرى الأقل قوة. فى أوروبا وآسيا وهكذا بدأ نظام القطبية الثنائية الدولى.

ثانيا : تطور النظام الدولى منذ الحرب العالمية الثانية : (القطبية الثنائية) :

والقطبية الثنائية مظهرها التنظيمى هو انقسام الدول ذات الثقل الحضارى وذات الوزن الاستراتيجى والاقتصادى والسياسى إلى معسكرين كبيرين يدور كل منهما فى فلك سياسات ومواقف ومصالح قطب ضخم ينفرد بتملك مفاتيح إنتاج ونشر سلاح عالمى المدى ، ويستأثر بالهيمنة العقيدية والسياسية والاقتصادية والتنظيمية الدولية، على مجموعة الدول المكونة لمعسكره التابع له.

ويوضح التحليل العلمى السياسى للسياق العام لنظام القطبية الثنائية الدولى، أنه قد تميز فى أواسط أعوام الثمانينيات بمسارات أربعة لها مسميات لاتعبر كل منها إلا عن جزئية واحدة من كليات كل مرحلة على حدة.

١ ـ الحرب الباردة الأولى :

امتدت منذ عام ١٩٤٦ وحتى أواسط أعوام الخمسينيات حيث سيطرت على العلاقات الأمريكية السوفييتية فلسفة حتمية الصراع الشامل بينهما بأدوات العنف العسكرى، ولكن دون الوصول إلى مدى حرب عالمية ثالثة، وبدأت واستمرت هذه المرحلة للحرب الباردة فى الاحتكار الأمريكى للسلاح الذرى وفى ظل التوسع السوفييتى فى دول أوروبا الشرقية.

٢ ـ التعايش السلمى :

منذ أواخر الخمسينيات حتى أواخر الستينيات، وتميزت هذه المرحلة بتراجع العملاقين عن فكرة حتمية الحرب العسكرية بين القطبين، والتقبل المتبادل للتناقض الأيديولوجى بينهما، والتنافس السلمى على المصالح الذاتية فى نطاق العالم الثالث. وكانت علامة البداية فى هذه المرحلة هى لحاق الأتحاد السوفييتى بالولايات المتحدة فى مجالات التسلح النووى عابر القارات مما أدى إلى نشوء ما يسمى بتوازن «الرعب» النووى (خشية كل قطب من القوة النووية الضاربة المجهولة التى توجد فى حوزة القطب الآخر).

٣ ـ مرحلة الوفاق الدولى:

منذ أواخز الستينيات وحتى أواخر السبعينيات، كان شعارها العام المفاوضة بدلا من المواجهة، وأهم ممارساتها الحوار والتنسيق والصفقات غير المعلنة فى القضايا الدولية المصيرية وعلى رأسها الحد من التسلح النووى والتعاون التكنولوجى والاقتصادى بين

القطبين وبين المعسكرين، والتوصل المشترك إلى أوضاع مصلحية توازنية فى البؤر الساخنة العالمية، وكانت قائمة هذه المرحلة هو توازن الردع النووى.

٤ ـ الحرب الباردة الثانية بين القطبين:

منذ أواخر السبعينيات وحتى أواسط الثمانينات، وعلى وجه التحديد حتى ظهور «جورباتشوف» على قمة السلطة فى الأتحاد السوفييتى وتبلور زعامته الجديدة لها عام ١٩٨٦ . وكانت مؤشرات التحول فى هذه المرحلة هى سياسات متبناه من جانب كل من القطبين لإحداث خلل لصالحه فى معادلة الردع النووى بينهما وفى ميادين النشر الصاروخى وفى مجالات تسليح الفضاء.

تلك كانت معطيات وملامح النظام الدولى السائد فى عالمنا المعاصر منذ نهاية الحرب العالمية وحتى أواخر الثمانينات، أى حتى الأعوام القليلة السابقة مباشرة على عقد التسعينيات.

ثالثا : عوامل أثرت فى تشكيل النظام الدولى الجديد:

إن التغير فى النظام الدولى يحدث نتيجة لظهور عوامل جديدة تؤثر بصفة أساسية على هيكل النظام وأنماط تفاعلاته وقيمه وقواعده ومؤسساته.

ويشهد النظام الدولى ـ الذى تبلور فى مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية ـ فى الوقت الراهن مجموعة من التحولات والتغيرات الكبرى، التى قد يكون من شأنها خلق نظام دولى جديد، وذلك لما قد تحدثه من تأثيرات ـ إيجابية وسلبية ـ على مختلف مكونات النظام

الراهن، وبالرغم من صعوبة التنبؤ بالشكل النهائى الذى يمكن أن تستقر عليه هذه التطورات، وذلك نظراً لحالة السيولة الدولية المرتبطة بها، إلا أنه من الممكن رصدها، وتحليل مقوماتها الأساسية، وتحديد مساراتها الأكثر إحتمالاً.

والتغيرات الجارية فى النظام الدولى، وما يمكن أن تتركه من تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة - إيجابية أو سلبية - على دول العالم تنحصر فى الآتى:

١ - الثورة الصناعية الثالثة :

يشهد العالم المعاصر بعض مظاهر الثورة الصناعية الثالثة، وتتمثل فى التقدم التكنولوجى الهائل فى مجالات الأتصال والفضاء والمعلومات والحاسب الآلى، بأجياله المختلفة، والألكترونات الدقيقة والهندسة الوراثية .. إلخ . وتقوم هذه الثورة على أساس إنتاج العقل البشرى من الأفكار والمعرفة المكثفة. ولذلك فإن الاستثمار فى أنشطة البحث والتطوير يعتبر من دعاماتها الأساسية. وتأتى كل من اليابان والولايات المتحدة الأمريكية على قمة الدول الممسكة بزمام تلك الثورة الصناعية والتكنولوجية، تليها فى هذا الإطار بعض دول أوروبا الغربية.

ولاشك أن هذه الثورة - بإنجازاتها - يمكن أن تؤدى إلى إعادة تعريف عناصر قوة الدولة. وإعادة تشكيل بعض التوازنات الدولية القائمة، لما قد يترتب عليها من آثار متداخلة، فعلى سبيل المثال، هناك إمكانات لتخليق واستحداث مواد جديدة تحل محل المواد الخام

الطبيعية التى تستخدم فى الصناعة، واستحداث محاصيل جديدة وبدائل جديدة للطاقة. وكل ذلك يمكن أن يؤثر فى القيمة الاستراتيجية لبعض الموارد الطبيعية التى تمتلكها بلدان العالم الثالث، وبالتالى يؤثر فى بعض جوانب العلاقات بين الشمال والجنوب. كما أنه قد ينجم عن هذه الثورة خلق وتدعيم وسيطرة الدول الرأسمالية الغربية واليابان على النظام الدولى العالمى، باعتبارها الدول القائدة فى هذه المجالات، هذا بالإضافة إلى احتمالات فتح آفاق جديدة للتعاون أو التنافس بين تلك الدول.

٢ ـ التحولات فى الأتحاد السوفييتى وبقية دول أوروبا الشرقية :

جرت تحولات كبرى فى الأتحاد السوفييتى وبقية دول أوروبا الشرقية. وقد أطلق عليها البعض اسم «الثورة الديمقراطية الثانية» حيث تمركزت حول إنهاء سيطرة نظام الحزب الواحد. وتقليص سيطرة الدولة على الأقتصاد والأتجاه نحو أشكال من التعددية السياسية والحزبية وتوسيع دائرة حقوق الإنسان، وتعكس هذه التحولات الأزمة الهيكلية التى تعانى منها الأشتراكية كمذهب سياسى ونظام اجتماعى.

وبالرغم أن لمحاولات التغيير جذورها التاريخية فى الكتلة الشرقية، إلا أن الدفعة الحقيقية للتغيير فى هذه الدول جاءت فى أعقاب السياسة الجديدة التى طرحها، ومضى فى تنفيذها الزعيم السوفييتى «جورباتشوف» وهى ترتكز على دعامتين أساسيتين هما : إعادة البناء (البيروسترويكا). والمصارحة «الجلاسنوست». فهذه

السياسة تركت تأثيراتها على بقية دول أوروبا الشرقية، وأحدثت بها عملية تحول نفسى وفكرى واجتماعى، تفاعلت مع بعض المتغيرات الموضوعية متمثلة فى : الركود الاقتصادى - فى أغلب الحالات - وتواضع معدلات النمو، وسيطرة البيروقراطية والفساد، وعدم قدرة النظم الحاكمة على التكيف مع المتغيرات الدولية الجديدة .. إلخ، تفاعلت معها لتؤدى إلى حدوث التغيير. وفى الحالات التى لم يأخذ فيها الحزب الشيوعى بزمام المبادرة والاستجابة للتغيير، فرض التغيير بفضل الضغوط الجماهيرية التى أخذت شكل تظاهرات واضطرابات وعمليات احتجاج واسعة النطاق وذلك على غرار ماحدث فى رومانيا.

وإذا كانت السياسة السوفييتية الجديدة عاملاً أساسياً فى تحريك عمليات التغيير فى أوروبا الشرقية، فإن هذه العمليات جاءت بأسرع مما هو متوقع، بل تجاوزت ما يحدث فى الأتحاد السوفييتى ذاته، بالرغم من ذلك فإن القيادة السوفييتية تجاوبت مع حركة التغيير ورحبت بها، ولم يتم التدخل لمنع التغيير أو ضبطه على غرار ما حدث فى المجر عام ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٧٨ . ويعتبر هذا تخليا عن «مبدأ برجنيف» الذى قام على أساس تبرير تدخل الأتحاد السوفييتى لمنع الأوضاع السياسية بالشكل الذى يهدد سيطرة الأحزاب الشيوعية فى تلك الدول.

وقد انتهى الأمر بسقوط الأتحاد السوفييتى فى نهاية ١٩٩١ وتفككه وقيام كمونولث ضعيف، وإنهيار النظام الشيوعى وتبنى دول أوروبا الشرقية جميعاً للتعددية الحزبية واقتصاديات السوق الحرة.

ومن المتوقع أن تؤثر هذه التطورات على كثير من الدول منها اليابان من عدة جوانب منها :

(أ) أنه إذا استمرت حركة الإصلاح والتغيير فى دول العالم الشيوعى نحو تدعيم آليات السوق والديمقراطية السياسية، فإن ذلك قد يدفع اليابان إلى إعادة النظر فى بنية علاقاتها الاقتصادية مع هذه الدول، ومع الدول الغربية، أو علاقاتها بدول شرق وجنوب شرق آسيا. وذلك نظراً لاعتبارات عديدة، وفى هذا السياق فإن اليابان تمثل مصدراً هاماً للتكنولوجيا المتقدمة والقروض والمعونات التى يعتبر الأتحاد السوفييتى وبقية دول أوروبا فى حاجة لها من أجل التحديث الاقتصادى بمعناه الواسع.

وفى الوقت نفسه فإن أسواق هذه الدول، وبعض الموارد الطبيعية الموجودة فيها، وبالذات فى منطقة سيبيريا يمكن أن تشكل دعامات استمرار نمو الاقتصاد اليابانى، كما أن تطور العلاقات الاقتصادية قد يفتح المجال لطرح «المشكلة الإقليمية» برمتها بين الأتحاد السوفييتى واليابان حيث تطالب اليابان ببعض الجزر الشمالية التى تدخل فى أقليمها، التى وضع الأتحاد السوفييتى يده عليها مع نهاية الحرب العالمية الثانية. وعلى كل، فهناك جهود مشتركة جارية لتدعيم العلاقات بين موسكو وطوكيو.

(ب) إذا مانظرنا إلى مايحدث فى أوروبا الشرقية فى إطار المتغيرات العالمية الأخرى، فإنه سيكون لكل ذلك آثار على التوازنات والسياسات الدولية الراهنة، وسواء استمرت التطورات فى

مساراتها الإيجابية أو أصيبت بانتكاسة. فإن ذلك سيخلق أوضاعا دولية جديدة، سيكون من شأنها تدعيم الأستقرار على مستوى النظام الدولى أو تعويقه. وتمثل الحالة الأولى فرصة بالنسبة لليابان. فالأستقرار على المستوى الدولى معناه الأزدهار اليابانى نظراً لاستمرار أو نمو معدل التجارة الدولية. وهو من الدعامات الأساسية لتقوية الأقتصاد اليابانى، كما ستكون هناك مجالات غير عسكرية، اقتصادية وتكنولوجية .. إلخ . للتعاون أو التنافس بين الدول، ولا شك فى أن لليابان قدرات هائلة فى هذا المضمار. أما حالة عدم الاستقرار الدولى فسيكون لها تداعيات سلبية على اليابان نظراً لما يترتب عليها من أضرار تلحق بعمليات التبادل التجارى بين الدول، وما تخلفه من استقطاب حاد فى العلاقات الدولية.

وبالتالى، فإن اليابان لايمكن أن تعزل نفسها عن الأحداث والتفاعلات على المستوى الدولى، خاصة وأنها تسعى للقيام بدور أكثر فاعلية فى السياسة الدولية.

٣ ـ الوفاق الدولى الجديد:

كان لسياسة الزعيم السوفييتى «جورباتشوف» دور هام فى دفع وجهود الوفاق الدولى بين القوتين العظميين، حيث تضمنت «البيروسترويكا» الكثير من المفاهيم والقيم الجديدة عن الصراع والتوازن والأمن والحرب والسلام والعلاقات الدولية .. إلخ، فأكدت على معانى الترابط والدعم المتبادل وتشابك المصالح ونبذ العنف وتوفير الأمن للجميع .. إلخ، وإلى جانب هذا التفكير السوفييتى الجديد فقد كانت هناك عدة عوامل موضوعية، ساهم بعضها فى

إنتاج هذا التفكير، والاتجاه نحو الوفاق الجديد منها : زيادة الشعور لدى العملاقين بأن أية إضافات إلى ترسانات الأسلحة النووية لن تضيف جديداً إلى أمن كل منهما، بل إن حرب نووية ما هى إلا إنتحار نووى. كما كان هناك شعور العملاقين بأن استمرار زيادة نفقات التسليح يهدد قدراتهما على مواجهة المشكلات والتحديات الداخلية وبالتحديد المشكلات الاقتصادية والاجتماعية. فلكى يحقق الأتحاد السوفييتى برنامجه للإصلاح، ويُحَدِّثْ الاقتصاد، فإنه لابد وأن تتسم علاقاته الدولية بقدر من الاستقرار، كما تعانى الولايات المتحدة فى الجانب الآخر من مشكلات المديونية وعجز الموازنة والبطالة .. إلخ.

وإزاء هذا الوضع، فإن تهدئة التوتر فى العلاقات بين العملاقين من شأنه أن يسمح لكل منهما بتوجيه المزيد من الاهتمام لترتيب شئونه الداخلية.

وهناك عوامل أخرى دفعت التطورات فى هذا الاتجاه منها: رغبة الولايات المتحدة فى إدماج الأتحاد السوفييتى وبقية بلدان أوروبا الشرقية فى إطار النظام الرأسمالى العالمى. هذا إلى جانب بعض المشكلات التى واجهت السياسة الخارجية لكل من العملاقين (الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان، الولايات المتحدة فى لبنان - على سبيل المثال).

وعلى صعيد الممارسة السياسية، فقد تمثل الوفاق الجديد فى عدة مظاهر منها: اللقاءات الثنائية على مستوى القمة بين المسئولين فى البلدين، وهناك المبادرات المتلاحقة - وبالذات من قبل الأتحاد

السوفييتى ـ وكذلك المحادثات والاتفاقات بشأن نزع بعض الأسلحة والحد من أسلحة أخرى، وتخفيض أسلحة ثالثة. ومن الخطوات البارزة على هذا الطريق التوصل إلى معاهدة لإزالة الصواريخ المتوسطة والأقصر مدى فى ديسمبر ١٩٨٧، ومحادثات لخفض الأسلحة الاستراتيجية، والأسلحة التقليدية والكيماوية. كما ظهر هذا التوجيه الجديد أيضاً فى اتجاه العملاقين نحو تسوية بعض المشكلات الإقليمية فى العالم الثالث، ومنها ـ على سبيل المثال ـ محاولات التسوية فى أفغانستان، وجنوب أفريقيا وأمريكا الوسطى وشبه الجزيرة الكورية وكمبوتشيا.

ومن المتوقع استمرار هذا الوفاق الدولى الجديد خلال عقد التسعينيات وإن كان ذلك سيظل رهنا باعتبارات عديدة أبرزها استمرار السياسات الإصلاحية للقيادة السوفييتية، وذلك لأن انتكاس هذه السياسات، ووصول عناصر متشددة إلى السلطة قد يفتح المجال لتصعيد المواجهة بين العملاقين، وخلق مناخ ملائم لحرب باردة جديدة. وفى زحم هذا الوفاق الجديد، يبدو أن هناك تغييراً أساسياً فى المعادلة الاستراتيجية الدولية التى قامت على أساس المواجهة حتى النهاية بين العملاقين، ويعنى ذلك أن الحرب الباردة بمعناها التقليدى المتعارف عليه قد انتهت فى التسعينيات بتوقيع معاهدة الحد من الأسلحة التقليدية بين ٣٤ دولة فى شهر نوفمبر ١٩٩٠، وقد يشهد إعادة ترتيب بعض الأوضاع الدولية على أسس جديدة. ولكن من الأرجح أن ذلك سيكون فى إطار الوفاق بين العملاقين، بما يتضمنه من احتمالات للحد من استخدام القوة فى العلاقات الدولية،

واحتواء بعض التناقضات ومراكز التوتر التى من شأنها خلق حالة من الفوضى على المستوى الدولى.

٤ ـ خطوات توحيد أوروبا :

تعتبر ظاهرة التكتلات الاقتصادية الكبرى من التطورات الهامة الجارية فى النظام الدولى لما قد تتركه من تأثيرات بالغة على الأقتصاد العالمى من جانب، وعلى التوازنات والعلاقات بين فواعل النظام الدولى من جانب آخر.

وأهم هذه التكتلات وهو المتمثل فى «مشروع أوروبا ١٩٩٢» لأن نجاح هذا المشروع سيكون أحد العوامل الحاكمة للتطورات الدولية خلال التسعينيات، أو على الأقل خلال النصف الثانى منها، ويمثل هذا المشروع حلقة هامة فى مسيرة المجموعة الأوروبية نحو إنجاز بعض الأهداف التى تضمنتها معاهدة روما ١٩٧٥، ومنها : «إقامة اتحاد قوى ودائم بين شعوب أوروبا». وبالتالى فهو يهدف بصفة أساسية إلى إقامة سوق أوروبية موحدة تضمن حرية انتقال السلع والأشخاص والخدمات ورؤس الأموال بين دول المجموعة الأوروبية. ويتطلب هذا إزالة كافة العوائق الفنية والمادية والضريبية التى تحول دول تحقيق هذا الهدف، وهو الأمر الذى يعنى استبدال ١٢ نظاماً مختلفاً للإدارة فى مجالات البنوك والتأمين والمواصلات والمواصفات والمقاييس والهجرة. إلخ، بنظام وجهاز سياسى اقتصادى ونظام قانونى موحد.

رابعا: تصورات حول مستقبل النظام الدولى:

١ ـ التصور الأول: نظام القطب الواحد :

يرى هذا الاتجاه أن النظام الدولى يتجه فى التسعينيات ليرتكز حول قطب واحد وهو المعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وسيكون ذلك فى إطار هيمنة الرأسمالية الجديدة، وعالمية الاتصال، ويرى هذا الاتجاه أن هناك أربع متغيرات تشكل الأساس الموضوعى لذلك النظام وهى : الضعف البنائى للنظام الأشتراكى، وقدرة النظام الرأسمالى على التكيف، وانقسام العالم الثالث، والثورة الصناعية الثالثة.

وفى إطار تفنيد الحجة القائلة بإمكان تبلور أقطاب دولية أخرى خلال التسعينيات، وعلى رأسها المجموعة الأوروبية واليابان، فإن أنصار هذا الأتجاه يطرحون عدة حجج منها :

(أ) أن هناك مجموعة من العقبات تعرقل ـ ولو لبعض الوقت ـ مشروع «أوروبا ١٩٩٢» ومنها :

عدم وجود اتفاق بين دول المجموعة، هل هى مجرد «سوق اقتصادية موحدة» بين دول ذات سيادة وهذا هو حدها الأدنى، أم سيأخذ شكل ولايات متحدة أوروبية بما يعنيه من توحيد للسياسات الخارجية والدفاعية للدول الأعضاء، وهذا هو حدها الأقصى، كما أن هناك اختلافات بين دول المجموعة بصدد مسائل عديدة، تتعلق بحدود ومجالات السيادة، وإنشاء بنك مركزى وعملة موحدة كدعامة أساسية للسوق الموحدة، وطبيعة علاقات المجموعة بكل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، والموقف من التطورات فى

أوروبا الشرقية، ناهيك عن الاختلافات بين دول الأعضاء بشأن تطبيق الإجراءات الخاصة بإنجاز المشروع.

وبالرغم من وجود إمكانات للتغلب على تلك المشكلات، ومن ثم المضى فى إنجاز مشروع «أوروبا ١٩٩٢» وقد يستغرق ذلك عقد التسعينيات كله - إلا أنه من المستبعد أن تتحول المجموعة الأوروبية إلى قطب دولى خلال هذا العقد.

(ب) إن المقدرات المالية والاقتصادية والتكنولوجية الهائلة لليابان تجعلها قوة اقتصادية عظمى، وقد تتجه فى التسعينيات إلى ترجمة هذه القوة إلى نفوذ سياسى على المستوى الدولى، إلا أنه من المستبعد أن تصبح قطباً دولياً بالمعنى الاستراتيجى العسكرى فهى لاتنتج الأسلحة النووية ولاتسمح بدخولها الأراضى اليابانية، كما أن هناك قيوداً دستورية على انفاقها الدفاعى.

(جـ) بالرغم من وجود مجالات واحتمالات للتنافس بين القوى الرأسمالية متمثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية واليابان، إلا أن هذه الأطراف، باعتبارها الكتلة الرئيسية للنظام الرأسمالى سوف تزداد اندماجاً وقوة، ذلك بفضل المؤسسات المشتركة التى خلقتها، والشبكة الكثيفة من الشركات عابرة القوميات التى ترسلها، وسبقها فى مجالات الثورة التكنولوجية، وستزداد أهمية هذا التنسيق والتحالف فى ضوء سعى الدول الغربية لإدماج دول الكتلة الشرقية وبلدان العالم الثالث، فى إطار النظام الرأسمالى العالمى.

٢ ـ التصور الثانى : نظام متعدد الأقطاب :

على النقـيض من الاتجـاه الأول، يرى هذا الاتجـاه أن النظام الدولى فى التسعينيات سيشهد تعدداً حقيقياً فى الأقطاب، وذلك نظراً للاعتبارات التالية:

(أ) التـراجع النسبى فى قـوة كل من الولايات المتـحـدة والأتحـاد السـوفـيـيـتى، وقـد سـبق الإشـارة إلى بعض المشكلات التى يواجـهـا الأتحـاد السوفـييتى فى أكثـر من موضـع، وبالنسبة للولايات المتـحـدة الأمـريكيـة، فـهناك بعض المؤشـرات التى تكشف عن تـراجع نسـبى فى قـوتهـا، ومن هذه المؤشـرات: هبـوط نصـيبـهـا فى إجـمـالى الناتج العـالمى، والاسـتـثـمـارات الخـارجـيـة، وتراجع قـدرتهـا على المنافـسـة فى الأسـواق الخـارجــيـة، وتراجع الـدولار أمـام الين اليـابانـى. والمارك الألمانـى.

(ب) فى إطار اتجاه دول المجموعة الأوروبية لتجميع قدرتها وخلق سوق أوروبية موحـدة، ونتيـجـة لسيـادة حـالة من الوفـاق بين الشرق والغرب، فإن هذا قد يسمح لدول المجموعة الأوروبية بدرجة أكبر من الاستقلالية عن الحليف الأمريكى، وقد تتجه إلى توثيق علاقاتها بدول أوروبا الشرقية، وذلك فى إطار وحدة أوروبيـة أكـبـر، والأرجح أن ذلك سـوف يكون على حـسـاب علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية.

(جـ) نتيجة للتراجع النسبى فى بعض عناصر قوة كل من القوتين العظميين، وفى إطار الوفاق الدولى فإن اليابان ستكون قادرة

فى التسعينيات على ترجمة قوتها الاقتصادية إلى دور سياسى فعال على المستوى الدولى، هذا بالإضافة إلى أن هناك قوى أخرى مرشحة لتلعب أدواراً هامة على المستوى الدولى فى التسعينيات ومنها الصين والهند.

٣ ـ التصور الثالث: مستويان للنظام الدولى :

التمييز بين مستويين للنظام الدولى ينطلق من هذا الاتجاه وتتبناه هذه الدراسة من مقولة أساسية تقوم على أساس التمييز بين مستويين للنظام الدولى.

الأول: مستوى النظام الدولى الاستراتيجى، والثانى: مستوى النظام الدولى الاقتصادى والسياسى، وانطلاقاً من تحليل قدرات وإمكانات وسياسات القوى الرئيسية الفاعلة فى النظام الدولى والمؤهلة لأدوار فاعلة فيه، فإن هذا الاتجاه يخلص إلى أن النظام الدولى على المستوى الاستراتيجى سيستمر ثنائى القطبية خلال حقبة التسعينيات أو على الأقل خلال النصف الأول منها. فبرغم التراجع النسبى فى بعض مؤشرات القوة لكل من العملاقين، إلا أن الفجوة فى القدرات العسكرية والنووية التى يملكها كل منهما، وتلك التى تمتلكها أطراف دولية أخرى تبقى هائلة، وذلك بالرغم من التخفيض المتوالى فى الترسانة العسكرية لكل منهما، أما على المستوى الاقتصادى والسياسى، فمن المرجح أن يكون النظام الدولى متعدد الأقطاب فاليابان قوة اقتصادية كبرى، وإنجاز مشروع «أوروبا ١٩٩٢» سيجعل من المجموعة الأوروبية قوة اقتصادية عظمى، هذا إلى جانب بعض الأطراف الدولية الأخرى التى تستجمع عناصر قوتها كالصين

والهند. وفى كل الحالات، فإن القدرة الاقتصادية تشكل رصيداً للقيام بأدوار أكثر فاعلية على مستوى السياسة العالمية.

وهكذا يكون من المتوقع أن يتسم النظام خلال عقد التسعينيات أو على الأقل خلال النصف الأول منه بحالة من السيولة يتداخل فيها أكثر من مستوى، ومن المرجح أن تتعدى أقطابه على المستوى الاقتصادى والسياسى، ويمكن القول بأن التطورات والتفاعلات الجارية فى النظام الدولى فى الوقت الراهن، والمقدر لها أن تؤتى تأثيراتها خلال النصف الأول من التسعينيات ستعتبر حاكمة لمستقبل النظام الدولى خلال النصف الثانى منها، فإذا ما استمرت جهود الدولتين العظميين من أجل تخفيض الأسلحة ونزع السلاح، واستمر اهتمام الأتحاد السوفييتى بعمليات إعادة البناء فى الداخل، واستمرت بعض القوى الأخرى مثل اليابان والصين والمجموعة الأوروبية فى تدعيم مقدراتها الاقتصادية والدفاعية، فإن النصف الثانى من التسعينيات قد يشهد نظاماً دولياً متعدد الأقطاب استراتيجياً واقتصادياً وسياسياً.

وعند التعرض لقضية بنية النظام الدولى وهى تتضمن - إلى جانب مكونات أخرى - ترتيب الفواعل وأوضاعها فى النظام الدولى. وتوازنات القوى فيه، وكل ذلك يرتبط بنسب توزيع الموارد والمقدرات بين وحدات النظام فإن هناك إشكالية نظرية ومنهجية فى غاية الأهمية تتعلق بالتعريف الإجرائى للقطب الدولى أو القوة العظمى وما الذى يميز القوة العظمى والقوة الكبرى.

وفى هذا السياق، فإن الكثير من الدراسات تتحدث عن القوتين العظميين أو عن القطبية الثنائية أو عن القوى الكبرى كمسلمات، دونما تحديد للمعايير والضوابط الحاكمة لهذه المفاهيم.

ومع الإقرار بصعوبة التمييز بين القوة العظمى أو القطب الدولى من جانب والقوة الكبرى من جانب آخر، فقد حاول بعض الباحثين وضع تعريف للقطب الدولى وهو يتضمن العناصر الآتية:

بناء القيم الفكرية والأيديولوجية المتميزة والمتعلقة بالعالم، وذات اختلاف رسمى مع قيم وأيديولوجيات الأقطاب الأخرى، ووجود سلطة مركزية تمتلك حق القرار السياسى والاقتصادى، وتتنافس مع السلطات المركزية للأقطاب الأخرى، ووجود قوة عسكرية نووية كبرى تعكس التقدم التكنولوجى والاقتصادى معاً، ولها مدى كونى يمكن أن يمتد لكل العالم لتحقيق أهداف ومصالح السلطة المركزية».

ولعل الاختلاف حول التعريف بمفهوم القطب الدولى هو المسئول عن ظهور عدة اتجاهات بخصوص بنية النظام الدولى فى التسعينيات، ومع التسليم بأهمية الاجتهاد السابق. إلا أن الدراسات تؤكد على أن تحديد معايير للقطب الدولى مسألة نسبية، تختلف من حقبة تاريخية إلى أخرى، طبقاً لاعتبارات عديدة، سياسية واقتصادية وتكنولوجية وعسكرية، ترتبط بقدرات وإمكانات وقضايا القوى الرئيسية فى النظام الدولى، وبالتالى، فإنه فى ضوء التغييرات الراهنة فى النظام الدولى، والتى سبق الإشارة إليها، قد يكون من المطلوب إعادة تعريف مفهوم القطب الدولى. فالقدرة النووية إذا تجاوزت حدوداً معينة لاتضيف جديداً إلى أمن الدولة التى تمتلكها،

ومن هنا كان اتجاه العملاقين للعمل من أجل الحد من التسلح ونزع بعض الأسلحة. كما أن أمتلاك إمكانات اقتصادية وعسكرية لا يعنى بالضرورة القدرة على ترجمتها إلى فاعليات سياسية على المستوى الدولى، وعلى هذا الأساس يمكن إعادة تعريف مفهوم القطب الدولى أو القوة العظمى فى ضوء حسابات القوى الشاملة لفواعل النظام الدولى، وهى عملية نسبية ومتغيرة، ويكون من المهم فيها البحث عن عناصر القوة التى يزداد وزنها فى سياق تاريخى معين، لأن ذلك يعتبر محدداً لوضع الدول التى تمتلكها فى هيكل النظام الدولى.

خامسا: قضايا النظام الدولى فى التسعينيات:

١ ـ حلف وارسو وحلف الأطلنطى:

بسقوط الأتحاد السوفييتى وانتصار النموذج الغربى الليبرالى القائم على التعددية الحزبية ونظام السوق الحر وتداعى دول حلف وارسو لم يصبح للحلف وجود فعلى، بل وصل الأمر إلى طلب دول حلف وارسو الانضمام لحلف شمال الأطلنطى فى إطار التعاون. وبعد زوال العداء التقليدى واستجابت دول حلف شمال الأطلنطى ويتوقع المراقبون أن يضعف الحلف لأن أسباب وجوده قد زالت.

٢ ـ الوحدة الألمانية :

انهار سور برلين بكل ما يمثله فى نوفمبر ١٩٨٩ . وتم إعادة توحيد ألمانيا بشكل فاجأ الجميع فى عام ١٩٩٠ بموافقة الأتحاد السوفييتى ،وقد تمت الموافقة أيضاً على انضمام ألمانيا الموحدة إلى حلف الناتو.

وأدى انهيار وضعف دول شرق وجنوب أوروبا وتفكك يوغوسلافيا إلى الخوف من إعادة بعث العملاق العدوانى الألمانى وهو أمر يواجه النظام الدولى فى التسعينيات.

٣ ـ مرونة التحالفات الدولية:

فقد تشهد التسعينيات درجة أكبر من المرونة بالنسبة للتحالفات على المستوى الدولى، فقد تتجه الولايات المتحدة الأمريكية للتنسيق مع اليابان فى مواجهة أوروبا الموحدة، وقد تتجه اليابان إلى إقامة تكتل آسيوى تكون له علاقات وثيقة بالصين أو بروسيا الكمنولث، وقد يتجه الأمر إلى مزيد من التنسيق بين واشنطن وموسكو من أجل ترتيب الأوضاع الدولية، ونلمح مؤخراً اتجاهاً أمريكياً نحو دول الباسفيك بديلا عن دول الأطلنطى.

٤ ـ قضايا الشمال أولاً:

وينتظر فى التسعينيات أن تكون الأولوية لقضايا الشمال مع انزواء وتراجع قضايا الجنوب مالم تتحرك دول العالم الثالث لفرض قضاياها على المجتمع الدولى.

مصير النظام الدولى الجديد

أولا : إطلالة على مسار النظام الدولى الجديد:

١ ـ الطور السابق من النظام الدولى الجديد والذى يمكن أن نطلق عليه النظام الدولى القديم أو المنتهى كان «صياغة أوروبية» فقد قام على توازن المصالح بين الدول الأوروبية فى إطار الخطوط التى رسمها مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ بعد هزيمة «بونابارت»، ثم

تعرض النظام لأزمة عام «١٩١٤» لأن التوازن أصبح صعبا بل مستحيلا، ولذا قامت الحرب العالمية الأولى بين دول مفترسة قسمت العالم وفق مصالحها، وعقب الحرب رسم مؤتمر فرساى عام ١٩١٩ خطة التوازن العالمى، وقد فشل هذا النظام أيضاً بسبب ضعف نظام الأمن الجماعى وتنافس أعضاء أو قيادة النظام وفاء بمصالحها الاستعمارية، وانتهى الأمر بالحرب العالمية الثانية وبقيام الدول المنتصرة - وهى أوروبية - بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية، التى تعد امتداداً لأوروبا حضارياً، برسم خطوط توازنات جديدة فى مؤتمر يالتا ١٩٤٥ ، وقد اتسمت فترة سيادة التطبيق الثنائية والحرب الباردة بتفجر حركات التحرير فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهو تغير هام كان له تأثيره الفعال إبان الخمسينيات والستينيات. كما اتسمت الفترة بعداء شديد بين النظامين الرأسمالى والشيوعى ومحاولات استقطاب من الجانبين. وانتهى هذا الطور من النظام الدولى بسقوط الأتحاد السوفييتى وزوال الحرب الباردة وظهور مرحلة جديدة أطلق عليها الرئيس الأمريكى «جورج بوش» اصطلاح «النظام الدولى الجديد» مواكبا لغزو العراق للكويت.

٢ - أدى السقوط السوفييتى الذى بدأ منذ عام ١٩٨٥ وتكرس عامى ١٩٩٠/١٩٩١ وزوال الحرب الباردة إلى فراغ احتلته الولايات المتحدة إبان حرب الخليج - الغزو العراقى للكويت - وأعلن الرئيس الأمريكى «جورج بوش» ميلاد النظام الدولى الجديد وزعامة الولايات المتحدة له وأنه يقوم على قواعد العدالة الشرعية ووفقاً لأهداف وميثاق الأمم المتحدة.

وعلى هذا يمكن تأصيل إطلالة النظام الدولى الجديد على النحو التالى :

(أ) أنه يظل نظاماً بالمعنى القانونى الذى يتطلب سلطات محددة وقنوات مستقرة وقانون ينظم العلاقات، وهو أمر التصق بالطور السابق للنظام الدولى.

(ب) واصطلاح الدولى، يعنى أن سلطته تمتد لتشمل العالم أجمع وفق معايير حددها ميثاق الأمم المتحدة، أى أن السلطة غير مطلقة.

(جـ) واصطلاح الجديد أراد به الرئيس «بوش» أن يعلن ميلاد حقبة جديدة على غرار ما بعد الحرب العالمية الأولى (عصبة الأمم)، وما بعد الحرب العالمية الثانية (الأمم المتحدة)، وما بعد السقوط السوفييتى وزوال الشيوعية (النظام الدولى الجديد) وهو أمر يحقق لبوش صورة أسطورية ويحقق لأمريكا انفرادية بالنظام الدولى.

(د) كما أعلن الرئيس «بوش» وهو الذى أشرف على ولادة النظام الدولى الجديد، أعلن أنه يسير ويعلى قواعد العدل والمبادئ الإنسانية ويؤكد الديمقراطية وحقوق الإنسان، فقد أثبت الواقع العملى أن إدارة أمريكا للنظام الدولى استهدفت مصالحها ومصالح حلفائها الغربيين، ودليل ذلك معالجتها الحاسمة لأزمة غزو العراق للكويت. حيث استخدمت كل ما بيدها بقوة ونشاط وفاعلية لتوجيه ضربة شديدة للمعتدى، وأعقبتها بضربات ضد المراكز الصناعية والحربية لشل فاعلية النظام العراقى لسنوات

طويلة، ثم استصدرت قرارات من مجلس الأمن تتدخل من خلالها فى الشئون الداخلية للعراق وتعطى لنفسها حق التفتيش والحظر والتغيير بدرجة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفى المقابل استمرت العربدة الإسرائيلية تحتل وتضرب وتشرد فى أعمال منافية للعدل ولحقوق الإنسان ولميثاق الأمم المتحدة - ولاتزال - وكل ما فعلته الولايات المتحدة أن أجلست العرب وإسرائيل على مائدة المفاوضات فى مدريد مستبعدة الأمم المتحدة وهو أمر يناقض الإعلان عن ميلاد النظام الدولى الجديد الذى يستند إلى الشرعية الدولية. وهناك أمثلة أخرى غنية عن البيان فى ليبيا والصومال والبوسنة. وجنوب أفريقيا.

(هـ) وقضية إعلان النظام الدولى الجديد أنه يستند إلى الشرعية الدولية ممثلة فى منظمة الأمم المتحدة وميثاقها، ومع ذلك تقوم قيادة النظام الدولى باستخدام المنظمة الدولية بالطريقة التى تراها - العراق - وتستبعدها عندما تفضل ذلك - الصراع العربى الإسرائيلى - وهو أمر يؤدى إلى استنتاج واحد وهو أن المصلحة فقط هى القانون الذى يقف وراء النظام الدولى الجديد.

ثانيا: قضايا خاصة:

١ - يمكن القول إنه من السابق للأوان الحكم على تأثير النظام الدولى الجديد على أبرز القضايا والمشاكل التى تواجه عالم ما بعد انتهاء الحرب الباردة. ولكن هناك رغم ذلك مؤشرات تمكن الدارس من إطلاق حكم مبدئى.

ويمكن إيجاد أبرز القضايا على النحو التالى:

(أ) النظم الإقليمية :

تؤدى انفرادية الولايات المتحدة بالنظام الدولى الجديد والنظر إلى مصالحها بشكل أساسى إلى اضعاف فعالية النظم الإقليمية وهو أمر يضر فى المدى البعيد بقيادة النظام الدولى لأن الولايات المتحدة لن تستطيع بمفردها - باقتصادها وقواتها المسلحة - أن تعالج المشاكل المتفجرة فى العالم، فسوف يكلفها هذا الكثير من الأموال والضحايا، الأمر الذى يفجر فى داخلها مشاكل متزايدة وتزيد من ضغط الرأى العام الأمريكى على إدارته لتعطى اهتماما أكبر لقضايا الداخل.

والذى يعنينا هو النظام العربى الذى أصيب بضربة قاصمة خلال حرب الخليج - احتلال الكويت - لأن الولايات المتحدة أصرت على معالجة الموقف بمفردها مع وجود «ديكور» و «مسوغ» و «غطاء» من قرارت الجامعة العربية وقرارات الأمم المتحدة وبعض الوحدات المساهمة من دول أخرى، وهو أمر أدى إلى كشف ضعف النظام العربى عن معالجة إحدى أبرز أزماته والتى سبق أن عالج مثلها فى الستينيات بنجاح (تهديد عبد الكريم قاسم بغزو الكويت). وقد يقال إن أمريكا تحركت نظراً لضعف هذا النظام وهو قول خطأ لأن الولايات المتحدة لو لم تتحرك لكانت الدول العربية تحت مظلة الجامعة العربية الفاعلة مثل السعودية ومصر، كان يمكن أن تجبر العراق على التراجع، ولكن حرصت الولايات المتحدة على تعرية النظام العربى والتصرف منفردة لأنها كانت ترسم سيناريو أحداث ما بعد عاصفة الصحراء حيث ينتهى الأمر باتفاقيات عربية - إسرائيلية بدأت بكامب دافيد من قبل، وظهر خلال اتفاق «غزة - أريحا» ويراد لها أن

تنتهى بنظام شرق أوسطى وسوق شرق أوسطى يصبح فيها النظام العربى عضواً لا يصله دم ولا أعصاب ومن ثم يسقط بالتقادم.

(ب) الاتجاهات الراديكالية والأصولية :

النظام الدولى الجديد بالانفرادية الأمريكية لا يريد مد أجل أى نزاع أقليمى أو دولى، لأن مد الأجل يعنى مصروفات ضخمة واحتمال خسائر فى أرواح غالية فى العالم الغربى، ولهذا يتصور النظام الدولى أنه لامكان فى عالم اليوم للنظم والحركات الراديكالية والأصولية وهو أمر ينطبق أيضاً على حركات الإسلام السياسى.

وستتم محاربة هذه النظم والاتجاهات بسلاح الديمقراطية وحقوق الإنسان، وجر هذه النظم إلى صراعات فرعية تؤدى إلى تدمير اقتصادياتها ومن ثم القضاء عليها من داخلها وبتشجيع خارجى.

(جـ) إسرائيل :

رغم أن السقوط السوفييتى وزوال الحرب الباردة قد نزع من يد إسرائيل ورقة تلعب بها فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية وكانت جزءاً هاماً فى الاستراتيجية الإسرائيلية الأمريكية لحصار الشيوعية، إلا أن الألتزام الأمريكى بأمن إسرائيل وبقائها وتفوقها لايزال قائما وإن كانت التسوية قد أصبحت ملحة لمصلحة الأقتصاد الأمريكى، وهنا تحركت الولايات المتحدة لحل مشكلة الشرق الأوسط بتقديم أو إعادة بعض المسلوبات إلى العرب وإقناعهم بقبول الحد الأدنى والعمل على تسكين مجمل الصراع العربى الإسرائيلى دون المساس بأمن وتفوق إسرائيل.

كما عمدت الولايات المتحدة إلى خلق دور جديد لأصدقائها فى المنطقة وخاصة تركيا وإسرائيل بعرض مشروع النظام الشرق أوسطى والسوق الشرق أوسطية، وهو أمر يدعم المصالح الأمريكية فى التجارة الدولية ويعود بالنفع على أصدقائها فى المنطقة. ويلاحظ أن الولايات المتحدة زادت من اعتمادها على تركيا فهى تستخدمها كطرف أساسى فى المشروع الشرق أوسطى، وتستخدمها فى جر الدول الإسلامية فى رابطة الكمنولث إلى النموذج الإسلامى العلمانى فى تركيا.

ومع هذا فقد تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن، لأن إسرائيل نفسها تتخوف من السلام والتعاون والاسترخاء لأنها بمضى المدة ستفقد أظافرها ومخالبها وتنتهى بعد الاسترخاء وضياع زخم الاستنفار والمعارك إلى كيان اقتصادى ترفيهى يماثل إلى حد ما، «مونت كارلو» و «هونج كونج» و «سويسرا»، وهى بداية النهاية لأن هذا الطريق يؤدى إلى إمتصاص إسرائيل داخل الشرق - أوسطية مع وجود احتمالات تصدير المفاهيم الضارة إلى العالم العربى وهو أمر وارد. نتيجة فتح النوافذ على مصراعيها.

ثالثاً : المصير؟:

١ - اثبت التاريخ أن العدوانية لابد وأن تنتهى، وهو ماحدث مع الإمبراطورية الرومانية، ومع غزوات بونابرت ومغامرى الحرب العالمية الأولى و الثانية، وهو ما يحدث الآن مع النظام الإسرائيلى لأن مفاهيم الإنسانية تعلو باستمرار، وهذا يحدث الآن مع الولايات المتحدة الأمريكية التى تحولت إلى أكبر مستدين فى

العالم. وبعد أن تدخلت الولايات المتحدة فى العراق وفاء بمصالحها البترولية فى الخليج، فشلت فى الصومال وبدأت خطوات انسحابها، وفشلت فى الأقتراب من البوسنة، وتركت المأساة كلها لأوروبا وللأمم المتحدة التى فشلت وتعثرت حتى الآن، والسبب أن العدوانية والقيادة المنفردة أصبحت تكلف أموالاً وأرواحاً، ولاننسى أن بوش فقد حملته الأنتخابية لهذا السبب.

٢ ـ ونلمح من الآن التراجع الأمريكى عن الأنفرادية لأسباب اقتصادية وداخلية، ولذلك يمكن القول أن النظام الدولى الجديد لايزال يتشكل وأمامه احتمالات متعددة منها:

(أ) أن يظل متعثراً أو ملتصقاً بانفرادية الولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) أن يتحول من جديد إلى نظام دولى بقيادة أوروبية ـ أمريكية وهو أمر يشكل انتكاسة كبيرة.

(جـ) أن يتحول إلى نظام دولى جديد حقيقة وذلك بتوسيع دائرة قيادة النظام وتواجد ممثلين لدول العالم الثالث وهو أمر يشكل ثنائية منسجمة ومنطقية من القيادة الجديدة ومن منظمة الأمم المتحدة.

(د) أن تتطور الأمم المتحدة لتحدث اندماجية ما بين قيادة النظام الدولى بشكلها العريض وبين تنظيمات الأمم المتحدة بعد التطوير لتصبح فى مواجهة حكومة كونفدرالية عالمية تسير وفق قواعد العدل والقانون.

الفصل الرابع

الصراع الاقتصادي بدلا من الحرب الباردة في النظام الدولي الجديد

أولا : تطور الصراع الاقتصادي (نظرة تمهيدية) :

١ - ارتبط العصر الحديث منذ بدايته بحروب تجارية دولية كان محورها السيطرة على المستعمرات سبيلا إلى الاستئثار بالمواد الأولية والأسواق. وقد تعاملت الدول الاستعمارية بكل السلع واستخدمت كل الطرق غير المشروعة، ووصل بها الأمر إلى الاتجار فى البشر - الرقيق - سعيا وراء الكسب واستنزاف ثروات الشعوب من أجل بناء القوة.

* وقد تمكنت دول استعمارية مثل البرتغال وأسبانيا وأنجلترا وإيطاليا من بناء مجتمعاتها وتحقيق الرخاء على حساب شعوب المستعمرات.

* وكان القانون الدولى - الذى وضعت قواعده الدول الكبرى القوية - يقنن ويجيز أعمال الدول الاستعمارية تحت ستار الحضارة ومحاربة الوثنية.

٢ ـ وقد قامت الحرب العالمية الأولى بسبب سوء توزيع المغانم والأسلاب وانتهت بهزيمة عدد من الدول، ونتيجة هذه الهزيمة كانت إعادة توزيع الأسلاب.

٣ ـ ثم قامت الحرب العالمية الثانية وحاول قادة النظام الدولى ـ الحلفاء ـ وقتئذ وضع الأسس الكفيلة لإنقاذ الشعوب من ويلات الحروب التى جلبت على الإنسانية خلال قرن واحد أحزاناً يعجز الإنسان عن وصفها، وأن يؤكدوا ـ وفقا لما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة بعدئذ ـ إيمانهم العميق بحقوق الإنسان وتحقيق العدالة واحترام مبادئ القانون الدولى والعمل على تحقيق ظروف اجتماعية واقتصادية أفضل لشعوب الكرة الأرضية.

*ولم ينتظر قادة الحلفاء انتهاء الحرب كلية بل اجتمعوا أثناءها فى مؤتمرات لتحديد شكل العالم الجديد فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وجاءت اجتماعاتهم فى «كازابلانكا» والقاهرة وطهران وموسكو ويالتا وبوتستدام.

* ولم يغب عن ذهن المؤتمرين أهمية البعد الاقتصادى، فتم عقد مؤتمر اقتصادى فى «برتين دودز» عام ١٩٤٤ الذى قرر إنشاء هيئتين دوليتين لتنظيم النقد والمعاملات المالية والدولية، أولهما البنك الدولى للإنشاء والتعمير والثانية صندوق النقد الدولى.

* وفى المقابل قامت الدول الاشتراكية فيما بعد انتهاء الحرب بإقامة تجمع اقتصادى خاص بها سمى «الكوميكون».

* ومع بداية نظام القطبين الناشئين عقب الحرب العالمية الثانية، ومن خلال الحرب الباردة بين النظامين الدوليين، وضح أن

المسيطر دولياً كان البنك الدولى وصندوق النقد الدولى، وقد انضم إليهما كأداة فى يد الغرب، بشكل خاص منظمة «الجات» وهى منظمة عالمية غير دائمة تمارس أعمالها من خلال سكرتارية دائمة فى «جنيف»، واكتسبت سبب وجودها من خلال الممارسة وليس بقوة القانون وعقدت جولاتها التفاوضية منذ عام ١٩٤٧ تحت شعار «تحرير التجارة الدولية»، وأتمت ثمان جولات كان آخرها جولة «أرجواى» التى بدأت عام ١٩٨٦ وانتهت فى «جنيف» فى ديسمبر ١٩٩٣ .

٤ ـ وقد اكتسبت اتفاقية التجارة الدولية الجديدة فى ١٩٩٣/١٢/١٥ أهمية خاصة، وذلك لأن انتهاء الحرب الباردة كان يعنى أن الصراع الذى يتشكل فى إطار النظام الدولى الجديد فى التسعينيات سيكون من أجل بسط النفوذ الاقتصادى وتحقيق المصالح الخاصة للدول القوية.

* وقد واكب هذا التحول من الحرب الباردة إلى الحرب الاقتصادية تبلور ثلاث تكتلات اقتصادية رئيسية: الأولى فى «أوروبا»، والثانية فى أمريكا الشمالية، والثالث فى آسيا حول اليابان بشكل خاص.

* ولذلك تشهد حقبة التسعينيات فصلاً جديداً من الصراع الدولى يتمثل فى الحرب التجارية والاقتصادية.

٥ ـ وقد أدت عوامل كثيرة إلى تغيير هيكل ومضمون النظام الدولى من القطبين إلى حالة من السيولة قد يطلق عليها أحياناً «الانفرادية الأمريكية» ومن هذه العوامل:

(أ) سقوط الأتحاد السوفييتى رسمياً عام ١٩٩١ .

(ب) حرب الخليج - عاصفة الصحراء - التى وجهت رسالة واضحة إلى العالم، وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية بمظلتين أوروبية وعربية.

(جـ) تضاؤل أهمية وفاعلية دول العالم الثالث.

(د) سيادة المفاهيم الليبرالية - الغربية بشقيها: الديمقراطية وسيادة آليات السوق الحرة.

٦ - وهنا تبرز أهمية الثالوث الذى يتحرك لخدمة الدول القوية وهو: البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى، ومنظمة التجارة الدولية «WTO» التى كانت تسمى حتى ديسمبر ١٩٩٣ «الجات».

كما تبرز أهمية الثالوث الاخر ونعنى بذلك التكتلات الاقتصادية النافذة ودول أوروبا الموحدة ، واليابان، وقد يكون معها الصين والدول الآسيوية القوية الأخرى.

ثانيا : أدوات الصراع الأقتصادى حتى التسعينيات :

١ - كانت الحرب الباردة بكافة أشكالها هى السمة الرئيسية للصراع بين النظامين العالميين الرأسمالية والأشتراكية، ومع ذلك نجد فى داخل هذا الصراع العام تشعباً قد يخرج أو يغير من هذه السمة الرئيسية، ومثال ذلك الحالة الخاصة «ليوغوسلافيا» و «رومانيا» و «الصين» داخل المعسكر الأشتراكى، والحالة الخاصة «لفرنسا» وغيرها داخل المعسكر الرأسمالى.

* وعلى نفس المنوال نجد الخط النابع من التيار الأساسى للصراع السياسى، وهو خط الصراع الاقتصادى، يتخذ اتجاهات متعددة داخل المعسكر الواحد، ومثال ذلك ما نجده داخل المعسكر الرأسمالى منذ الستينيات من محاولات للتكتل الاقتصادى والأنفراد الأقتصادى من أجل حماية المصالح الخاصة وهو ما حدث فى حالة الاتجاه إلى أوروبا الموحدة والاتجاه الخاص لليابان فى بناء القوة الاقتصادية وصدامها الواضح مع المصالح الأمريكية.

٢ ـ الكوميكون:

فى مواجهة سيطرة العالم الغربى على ثلاثة أدوات رئيسية للصراع الاقتصادى وهى: صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى للإنشاء والتعمير، وآلية اتفاقيات «الجات» للتجارة الخارجية. نجد المعسكر الاشتراكى قد أنشأ جهازا خاصاً سمى «كوميكون» ـ أى مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة ـ وتم ذلك عام ١٩٤٩ بهدف تنظيم المساعدة المتبادلة وتنسيق معاملات التجارة الخارجية والتنمية المشتركة للموارد وتبادل الخبرات الاقتصادية بين الدول الأعضاء على أساس مبادئ الأخوة والتعاون.

وقد جاء إنشاء «الكوميكون» كرد فعل للسيطرة الاقتصادية والمالية للدول الغربية على المؤسسات المالية الدولية ولموازنة مشروع «مارشال» للإنعاش الأوروبى.

٣ ـ صندوق النقد الدولى:

ـ وهو الضلع الأول من أضلاع الثالوث الاقتصادى الذى تسيطر

عليه الدول الغربية، والضلعين الآخرين هما : البنك الدولى للإنشاء والتعمير، وإتفاقيات «الجات» الخاصة بالتجارة الدولية.

- وقد أنشئ الصندوق عام ١٩٤٤ من خلال اتفاقية «برتين وودز»، وأهم أحكام الصندوق ضرورة إتباع الدول المتعاملة معه لنظام صرف قابل للضبط، بمعنى التزام كل دولة من الأعضاء فى الصندوق بتحديد قيمة وحدة عملتها بالذهب أو الدولار.

- ويتم ضبط نظام الصرف لكل دولة عن طريق :

(أ) رصيد موازنة لكل دولة يتبع البنك المركزى أو وزارة المالية ويستخدم هذا الرصيد فى ضبط سعر الصرف تجنبا لحدوث التقلبات.

(ب) وأيضا يقوم الصندوق بمنح قروض قصيرة الأجل ذات العجز المؤقت أو قصير الأجل فى ميزان المدفوعات.

* وقصة صندوق النقد الدولى مع دول العالم الثالث - ومنها مصر - هى قصة معروفة، فقد اشترط الصندوق فى حالة مصر تعويم تدريجى لسعر صرف الجنيه المصرى للوصول إلى سعره الحقيقى، وإبقاء رصيد موازن بالبنك المركزى المصرى، وإلغاء الدعم على السلع الأساسية فى فترة سنوات معدودة، وتحرير التجارة الخارجية، والخصخصة. وهى إجراءات سليمة من الوجهة الاقتصادية الأكاديمية أما نتائجها الاجتماعية فسيئة وأبرزها حدوث ردود فعل شعبية تضر بالأستقرار وتعزز من مناخ الإرهاب والتطرف.

٤ ـ البنك الدولى للإنشاء والتعمير:

ـ وقد كان البنك هو الآخر ثمرة اتفاقية «برتين وودز» لعام ١٩٤٤ وخضع طوال تاريخه لسيطرة العالم الغربى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ وقد بدأت أعمال البنك فى الإقراض عام ١٩٤٧ بغرض إعادة بناء مادمرته الحرب، ثم تحول الهدف الرئيسى إلى تحقيق أهداف التنمية.

ـ وقد بدأ البنك الدولى بمساهمة من ١٠٢ دول يشكلون الدول الأعضاء فى صندوق النقد الدولى وكانت مساهمة كل دولة على قدر ثرائها، وشكل ما دفعته الولايات المتحدة بمفردها حوالى ١/٢ نصف رأس مال البنك وهو أمر يعبر بشكل منطقى عن السيطرة الأمريكية على البنك.

ـ وأهم ما يميز البنك الدولى ما يلى :

(أ) يعتبر الملاذ الأخير للإقراض، لأن قروضه تقتصر على المشروعات الإنتاجية التى تتوافر لها رؤوس الأموال الخاصة.

(ب) توجه نسبة كبيرة من القرض إلى المشروعات الأساسية مثل السدود والصحة والرى والمواصلات.

(جـ) يقوم البنك بتوفير المساعدات الفنية للدول النامية.

* والبعد السياسى للبنك واضح وأبلغ دليل على ذلك، قصة إنسحاب البنك الدولى من تمويل مشروع السد العالى فى مصر، وكان

الإنسحاب بتحريض من الولايات المتحدة للضغط على حكومة مصر ـ عبد الناصر ـ وقد انتهز الأتحاد السوفييتى الفرصة وتقدم وساعد مصر على بناء السد العالى على النحو الذى يعرفه الكافة.

٥ ـ الجات : (الضلع الثالث فى ثالوث السيطرة الغربية)

ـ وهى الاتفاقية العامة للتعريفة والتجارة الدولية.

ـ وكان من أبرز أهدافها تحرير التجارة الخارجية، وذلك بإزالة الحواجز الجمركية وغيرها، والتى تضعها الدول فى وجه التجارة الدولية.

ـ وقد تحولت «الجات» فى نهاية عام ١٩٩٣ إلى «منظمة الجات العالمية» وهدفها كسابقتها تحرير التجارة الدولية بشكل تحيطه الكثير من الضوابط التى تم تقنينها.

ـ ومنظمة التجارة العالمية كسابقتها أيضاً تعمق من تطبيق مبادئ الليبرالية الاقتصادية التى تتبنى الحرية الاقتصادية وحرية التجارة الدولية طريقاً إلى التخصص والإنتاج الأفضل والأرخص.

ـ وفى ظل التطور الجديد لما بعد «الجات» امتد تطبيق قواعد التجارة الدولية الحرة إلى كثير من السلع والخدمات التى كانت خارج إطار «الجات» ومن ذلك :

(أ) المنتجات الزراعية.

(ب) المنسوجات والملابس الجاهزة.

(جـ) الخدمات المالية والمصرفية.

(د) السياحة.

(هـ) خدمات النقل.

(و) خدمات المقاولات والاستشارات.

(ز) حقوق «الملكية الفكرية» مثل براءات الاختراع وحقوق الطبع والنشر والعلامات التجارية والأسرار الصناعية.

ـ والاتفاقية الجديدة المنشئة لمنظمة التجارة العالمية فى ١٥/١٢/١٩٩٣ لاتعنى أن هناك التزاماً كاملاً بما جاء بها أو أنها نهاية المطاف، وذلك لأن كثيراً من الدول قامت من قبل بخرق اتفاقيات «الجات» السابقة.

ـ وقد يحسن إيراد بعض المحاذير على الاتفاقيات الأخيرة لعام ١٩٩٣، لأن هذه المحاذير قد تؤدى إلى عدم الإلتزام بها، من ذلك :

(أ) بعض الدول المتقدمة الغنية قد لاتوافق برلماناتها على التصديق على الاتفاقية الجديدة، بسبب المعارضة الشديدة لأنصار حماية البيئة.

(ب) كما قد يعارضها أنصار القومية الاقتصادية وحماية الإنتاج الوطنى.

(جـ) قد تلجأ بعض الدول المتقدمة إلى إتخاذ إجراءات من طرف واحد للتأثير على حركة التجارة الدولية وفاء بمصالحها.

(د) كما أن هناك دولا قد أخرجت بالفعل المصنفات الصوتية والمرئية من الاتفاقية ، وهو ما أصرت عليه فرنسا انحيازاً لهويتها فى مواجهة الغزو الثقافى الأمريكى.

(هـ) كما أباحت الأتفاقية الأخيرة الدعم بأشكال متعددة وبشكل استثنائى، مثل : تعويض خسائر المزارعين لإنخفاض أسعار الحاصلات الزراعية أو دعم الصناعة ماليا فى مجال الأبحاث.

(و) كما عجزت الاتفاقية الجديدة عن إيجاد قواعد كافية لمكافحة الإغراق وهو بيع المنتج بأقل من سعر التكلفة.

- إن مفاوضات «الجات» قد وصلت إلى تصور شبه نهائى مع نهاية عام ١٩٩٣ وذلك بسبب المتغيرات الدولية وأبرزها السقوط السوفييتى وتحول الدول الاشتراكية وكثير من الدول النامية إلى اقتصاديات السوق الحر. ومع ذلك فإن العالم يعيش فى حركة مستمرة ويتسم واقعه بالسيولة السياسية لانعلم أين تقودنا، هل تصل بنا إلى الانفرادية الأمريكية أم إلى قطبية متعددة، أم إلى وضع لا يمكن التنبؤ به الآن، وخاصة أنه بعد السقوط السوفييتى استمرت «الصين الشعبية» على نظامها السياسى والاقتصادى وكذلك «كوريا الديمقراطية» و «كوبا».

ولم تتخل دول أوروبا الاشتراكية - الديمقراطية عن الشق الاشتراكى فى نظامها الحزبى.

- وهذه السيولة السياسية تواكبها هى الأخرى سيولة فى الصراع الاقتصادى الجديد منذ التسعينيات، أى مع وضوح السقوط السوفييتى وعدم تشكل النظام الدولى الجديد بشكل قاطع.

ثالثاً: سمات الصراع الاقتصادى فى التسعينيات:

١ - بعد السقوط السوفييتى وزوال أخطار الحرب الباردة وانتهاء أحلاف المعسكر الاشتراكى ومنها حلف «وارسو» و «الكوميكون»،

كشف الواقع الاقتصادى وخاصة على جانب التجارة الدولية التى أصبحت عريضة وضمت كل شئ قابل للتجارة والانتقال، كشف الواقع عن الحاجة إلى المظلة الدولية الجديدة التى تحكم قواعد اللعبة إلى جانب صندوق النقد الدولى والبنك الدولى، وكان أن تعدلت اتفاقية «الجات» باتفاقية «وتو» (WTO) فى ١٩٩٣/١٢/١٥، وجاء هذا الإتفاق بعد معارضة تفاوضية اتسمت بالتهديد بالحروب التجارية والأقتصادية بين دول العالم الغربى نفسه، وأخيراً هدأ غبار المعركة باتفاقية (وتو) التى حددت قواعد اللعبة بعد أن ضمن الكبار مصالحهم.

- وكانت قواعد اللعبة فى السابق وخاصة إبان عهد الاستعمار المباشر وغيره، تدور بين الدول الصناعية المصدرة لمنتجاتها - والتى تزيد أسعارها باستمرار - وبين الدول النامية التى تنتج المحاصيل الزراعية والمواد الخام والتى تصدر منتجات تقل وتنقلب أسعارها باستمرار لصالح الدول الصناعية.
- والآن بعد التقدم التكنولوجى المذهل ظهر عالم جديد من أبرز خصائصه إعادة توطين الصناعات كثيفة العمالة والتى لاتعتمد على التقدم التكنولوجى، بالإضافة إلى التخلص من كثير من الصناعات الملوثة للبيئة ونقلها إلى دول العالم الثالث التى لا توجد بها قوانين صارمة لحماية البيئة، وهى القوانين التى تضيف أعباء مالية إضافية لمواجهة التلوث، ومن ثم تقلل إلى درجة كبيرة من الأرباح، وبدلاً من ذلك تخصصت الدول الصناعية الكبرى فى إنتاج التكنولوجيا المتقدمة مثل صناعة الكمبيوتر وخاصة الأجيال الجديدة المتطورة، وصناعة الخدمات المالية الدولية والاستشارية والسياحية وغيرها، وهو تخصص

يحقق قيمة مضاعفة ومرتفعة ولا تحكمه المعايير التقليدية للمكسب والخسارة وهو تخصص قائم على تكثيف استخدام رأس المال مع التكنولوجيا المتقدمة ويخلق للصناعة الخاصة ميزة تنافسية كبيرة.

٢ ـ كما اتسم العصر، أو الفترة الزمنية الحالية، بأنه عصر المعلومات وارتفاع قيمتها وتكثيف الاستثمار فيها، ولذلك أصبحت قضية «الملكية الفكرية» وخاصة براءة الاختراع وإجراءات منع التقليد ذات أهمية كبرى للدول الصناعية المتقدمة، لأن الملكية الفكرية تحقق أرباحاً ضخمة كان من الصعب المطالبة بها قبل الاتفاقيات الأخيرة فى ١٩٩٣/١٢/١٥ . التى أكدت ضمان حقوق الملكية الفكرية دولياً. وبذلك انهت عصر إعادة تكرار «المعجزة اليابانية» ومعجزة النمور الآسيوية التى قامت على تقليد براءات الاختراع الأوروبية والأمريكية وإعادة بيع المنتجات بأسعار منخفضة.

٣ ـ وقد جاءت اتفاقية «وتو» ١٩٩٣ نتيجة حوار الأقوياء، وهو تكرار لما حدث عند نشأة قواعد القانون الدولى بواسطة الدول القوية والأستعمارية، وقد أسفرت اتفاقية عام ١٩٩٣ عما يلى:

(أ) استفادة الدول الصناعية الغنية واستئثارها بحوالى ٧٥٪ من تجارة الصادرات من التجارة الدولية.

(ب) التهم معظم باقى النسبة الصين ونمور آسيا ولم يبق لأفريقيا وأمريكا اللاتينية إلا الفتات.

(جـ) تمكنت دول العالم الثالث الفقيرة من تحقيق بعض المكاسب نتيجة تواجدها داخل المفاوضات، مثل الحصول على مهلة أطول من المهلة المعطاة للدول الغنية لتخفيض الرسوم

الجمركية، والوعد بأن تقوم الدول الغنية بتعويض الدول الفقيرة عن الخسائر المتوقعة، بالإضافة إلى وعد بمعونات غذائية فى المستقبل.

٤ ـ يقدر بعض الاقتصاديين استفادة مختلف الأطراف من التحسن الذى يطرأ على التجارة الدولية فى المستقبل مع بداية القرن ٢١ كما يلى :

(أ) تحظى الدول الأوروبية بنسبة ٥٠٪ من الزيادة.

(ب) تحظى اليابان بنسبة ١٧٪ من الزيادة.

(جـ) تحظى الولايات المتحدة بنسبة ١٣٪ من الزيادة.

المجموع = ٨٠٪.

ـ وإذا أضيفت «كندا» وبعض الدول الأخرى لن يتبقى لدول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية (فيما عدا الصين والنمور الآسيوية) إلا الفتات.

٥ ـ كما يتصور عدد من الاقتصاديين أن اتفاقية «وتو» لسنة ١٩٩٣ هى بمثابة إعلان للحرب الاقتصادية لصالح الدول الغنية فى الشمال وضد مصلحة الدول النامية (الجنوب) لأن الصيغة الجديدة تؤدى إلى سحب الأموال لتضخ فى الشمال مع مجرد وعد من الدول الغنية بمساعدة الدول الفقيرة.

٦ ـ يضاف إلى ذلك الحرب التى يثيرها وجود الثالوث الخاص بالتكتلات الاقتصادية الثلاثة التى نشير إليها فيما بعد.

رابعاً: ثالوث التكتلات الاقتصادية:

١ ـ أمريكا الشمالية (النافتا):

(أ) كان من المنطقى بعد زوال الحرب الباردة وتنامى دور الولايات المتحدة كقائد ـ فى الوقت الراهن على الأقل ـ للنظام الدولى الجديد أن يترجم هذا الموقف ـ من وجهة النظر الأمريكية ـ إلى مكاسب اقتصادية تعين الولايات المتحدة على الخروج من الركود الأقتصادى والأزمة المالية.

ـ ومما زاد من مخاوف الولايات المتحدة أنه مع ترتيبات إصدار العملة الأوروبية الموحدة سيتراجع دور الدولار الأمريكى كعملة دولية رئيسية، وقد تراجع الدولار بالفعل خلال العشرين عاماً الماضية فى مواجهة «الين» اليابانى و «المارك» الألمانى.

ـ هذا بالإضافة إلى احتمال ركود صناعة السلاح الأمريكية بعد زوال الحرب الباردة وهو أمر يضر إلى حد كبير بأحد أهم الصناعات الأمريكية ويعمق الركود والإنكماش فى فترة تعمد فيها القوى الأخرى ـ مثل اليابان وأوروبا ـ إلى زيادة نفقات تسلحها، أى تشغيل طاقات جديدة فى مجتمعاتها.

(ب) وإثر انتهاء الحرب الباردة ولمواجهة الخطر الاقتصادى الأوروبى والآسيوى ومواجهة احتمالات فشل مفاوضات «الجات» قامت الولايات المتحدة فى منتصف عام ١٩٩٢ بالاتفاق مع كندا والمكسيك لإقامة سوق أمريكية مشتركة قد تضم فيما بعد دول «الكاريبى» وعدد من دول أمريكا اللاتينية وعرف التجميع الاقتصادى الجديد باسم «نافتا».

ويحوز هذا التجمع مزايا متعددة إذ أنه يؤكد أهمية «مبدأ مورو» ويضم دولا غنية ونامية هى المكسيك، وتمتلك التكنولوجيا والسوق العريضة والعمالة الوفيرة الرخيصة.

- ويذكر أن سبب الإسراع فى إقامة هذا التكتل الاقتصادى كان رغبة الرئيس «بوش» فى انجازه إبان حملته الإنتخابية فى مواجهة منافسة «بيل كيلنتون».

- وبعد توقيع الاتفاق عارضته بعض الدوائر الكندية بدعوى أنه يزيد من البطالة فى «كندا» بسبب توافر العمالة الرخيصة من المكسيك.

(جـ) وقبل إعلان الاتفاق الجديد «وتو» فى ١٩٩٣/١٢/١٥ أعلن الرئيس الأمريكى فى ١٩٩٣/١٢/١٤ أن الولايات المتحدة على وشك تحقيق نصر تاريخى من أجل فتح الأسواق الخارجية أمام المنتجات الأمريكية.

- وأكد فى ١٩٩٣/١٢/١٥ عقب توقيع الاتفاقية أن بلاده ستقود العالم فى المجال الاقتصادى بعد أن قادته على المستوى العسكرى.

- واعترف الرئيس بأن الاتفاقية لم تحقق كل ما كانت تريده بلاده، وأكد عزمه على الاستمرار فى بذل الجهود لفتح أسواق جديدة والتوصل إلى اتفاقيات جديدة خاصة بالبنوك.

(د) وقد يؤدى الاتفاق الجديد (١٩٩٣/١٢/١٥) مع وجود تكتل «النافتا» فى حالة تحركها بفعالية إلى التخفيف من الأزمة التى

تضغط اقتصاديا على الولايات المتحدة، كما قد تؤدى إلى حرب اقتصادية طاحنة، وذلك لأن الأتفاقية لاتعالج جذور الأزمة الأقتصادية الدولية بفعالية كافية، ومثال ذلك أن العلاقات الأقتصادية الدولية لاتقوم على أساس من العدالة.

وقع نهائياً على اتفاقية وتو «اتفاقية التجارة العالمية» ١٢٥ دولة فى أول مايو ١٩٩٥، وصارت ملزمة منذ ذلك التاريخ بالنسبة للدول الموقعة عليها.

٢ ـ الجماعة الأوروبية الموحدة:

(أ) تكتل دول أوروبا الذى انبثق عن السوق الأوروبية المشتركة ويضم ١٢ دولة يتمتع بخاصية الجوار الجغرافى، بالإضافة إلى وجود منطقة للعمالة الرخيصة والسوق المفتوح فى الدول الاشتراكية السابقة (شرق أوروبا)، تشكل خلفية جغرافية للجماعة الأوروبية المتقدمة الغنية والتى تزمع تدشين عملتها المستقلة وتتحول إلى الولايات المتحدة الأوروبية.

ـ وقد تحدد عام ١٩٩٧ موعداً لإصدار العملة الأوروبية الموحدة وإنشاء بنك مركزى أوروبى موحد، وقد بدأت من الآن خطوات إنشاء قوة عسكرية أوروبية مشتركة.

(ب) وقد تزايد القلق الأوروبى منذ إعلان قيام «النافتا» فى منتصف عام ١٩٩٢، وذلك لأن أوروبا كانت قد حددت عام ١٩٩٣ لإزالة الحواجز فيما بين دولها لتنشيط التجارة الأوروبية، وهو قلق نشأ عقب زوال الحرب بين الشرق والغرب.

(جـ) ويمكن القول بأن الإحصائيات تبين أنه لاداعى للقلق لأن أوروبا الموحدة مازالت أكبر قوة اقتصادية تجارية فى العالم حيث يصل حجم التجارة الخارجية لدول المجموعة الأوروبية إلى ١١٥٠ مليار دولار أمريكى سنوياً فى الوقت الذى لا يتعدى فيه حجم التجارة الخارجية للدول الثلاثة فى «النافتا» عن ٧٧٠ مليون دولار أمريكى سنوياً، بالإضافة إلى إجمالى الدخل القومى لأوروبا الموحدة يمثل حوالى ٧ آلاف مليار دولار أمريكى ويمثل بالنسبة لدول «النافتا» ٦٢٠٠ مليار دولار أمريكى (نصيب الولايات المتحدة منها ٥٠٠٠ مليار دولار تقريباً) كما تتفوق أوروبا فى واحد من أهم الصناعات وهى صناعة السيارات، فقد تم إنتاج أكثر من ١٣ مليون سيارة عام ١٩٩١ بينما كان إنتاج دول «النافتا» ٧ ملايين سيارة.

ـ إلا أن أسباب القلق الأوروبى الحقيقى يعود إلى :

* تفوق دول «النافتا» من حيث تعداد السكان إذ تضم ٣٦٠ مليون نسمة وتضم أوروبا الموحدة ٣٤٠ مليون نسمة.

* كما تتفوق دول «النافتا» فى مجال إنتاج البترول والحبوب وهما مجالان استراتيجيان فى معرض الصراع المستقبلى بين «النافتا» و «أوروبا» و «آسيا» (اليابان وغيرها).

(د) وقد بدأت بوادر الفراغ مع محاولات توقيع اتفاقية «وتو» التى تخلف اتفاقية «الجات» حيث تحفظت أوروبا واليابان بالنسبة لإزالة الحواجز الجمركية وغيرها أمام الحاصلات الزراعية

خشية المنافسة الأمريكية القاتلة، وقد تراجعت أوروبا واليابان فى هذا المجال بعد أن حققوا فترة سماح وتأجيل قبل تطبيق بنود الأتفاقية الجديدة وهو أمر يعد انتصاراً لوجهة النظر الأمريكية.

(هـ) وحين حدثت المواجهة بشأن المصنفات الفنية والناحية الثقافية بشكل عام وقفت فرنسا موقفاً صلباً بهويتها وخاصة أن الأحصائيات تبين أن أكثر من ٧٠٪ من المادة الثقافية المطروحة فى أوروبا أمريكية الصنع وترتفع النسبة فى ألمانيا وإنجلترا إلى ٧٥٪ فى وقت لاتحظى فيه الأفلام الأوروبية المعروضة فى السوق الأمريكية على أكثر من ٣٪ من مجموع الأفلام المعروضة.

وبالمثل «أفلام التليفزيون» و «الفيديو» والتسجيلات الصوتية والكتب. أى أن هناك غزواً أمريكياً يعبر عن الفجوة التكنولوجية التى تفصل بين الولايات المتحدة وأوروبا لصالح الأولى (حذر «شريبر» فى كتابه التحدى الأمريكى «فى الستينيات من هذا الغزو).

- ولا يتعلق الأمر بالنسبة لفرنسا بالتكاليف والأموال التى تحول إلى الولايات المتحدة، ولكنه يتعلق بالهوية الفرنسية التى أخذت تتآكل مع الغزو الثقافى الأمريكى الذى يترك تأثيراً سيئاً على عادات ومفاهيم الشعب الفرنسى، حتى الطعام والملبس تعرضا للغزو.

- وقد لجأ الرئيس الفرنسى فى مواجهة تهديدات العزلة إلى القول: بأن القرار لن ولا يجب أن يكون فرنسيا فقط بل يتصل

بالمجموعة الأوروبية، ويعد محكاً هاماً لاختبار قدرة أوروبا الموحدة للدفاع عن مصالحها بعد توقيع اتفاقية «ماستريخت». وبذلك حولت فرنسا النزاع من فرنسي - أمريكي ، إلى أوروبى - أمريكي.

وقد سبق أن قلنا أن أحد موضوعات النزاع وهو دعم المحاصيل الزراعية انتهى الأمر بشأنه تحقيق الدعم بنسبة ٢٠٪ على مدار ٦ سنوات تبدأ من عام ١٩٩٥ . أما النزاع الثقافى فقد اتفق على تجميد الموضوع لمدة خمس سنوات، وهو أمر يعنى انتصاراً جزئياً لفرنسا، وأوروبا مطالبة بعد هذه المهلة بالخروج من المحلية الثقافية إلى العالمية لمواجهة الغزو الأمريكي.

٣ - التكتل الآسيوى:

وهو تكتل لم يكتمل شكله بعد ، لأن اليابان بمفردها تشكل تكتلاً فريداً يهدد التكتلات الأخرى فى حالة قيام حرب اقتصادية - وليس بسبب صورة اختلال ميزان المدفوعات الأمريكى المستمر لصالح «اليابان» - فى مواجهة الولايات المتحدة وغيرها.

وهناك احتمال أن تنضم «الصين الشعبية» و «النمور الآسيوية» مع خلفية من العمل الرخيص والسوق العريضة لتشكل كل هذه الدول تكتلاً اقتصادياً يضر ضرراً بالغاً بالتكتلين الآخرين - أوروبا والنافتا - بشكل مؤكد.

وهذا ما يطلق عليه أحيانا «الخطر الأصفر» أو «التحدى المستقبلى» للحضارة الغربية أو العدو المرتقب فى القرن الواحد والعشرين.

- ويخشى أن تتحد مصالح الكبار من تهميش دور الصغار، وهى دول العالم الثالث، وقد وضح بالفعل هذا الاتجاه من خلال الخطوات التالية:

(أ) اتجه تدفق المال العالمى بالدرجة الأولى إلى الدول الصناعية الكبرى، حيث بلغت رؤوس الأموال الجديدة المتدفقة عليها حوالى ٧٠٠ مليار دولا أمريكى عام ١٩٨٩، فى حين بلغت التدفقات على الدول النامية مجتمعة فى نفس العام ١٢٠ مليار دولار، وقد استأثرت الولايات المتحدة بقسم كبير منها.

(ب) تشير الإحصائيات إلى اتساع الفجوة بالنسبة للتدفق الرأسمالى بين الدول الصناعية الكبرى وبين دول العالم الثالث.

(جـ) كما يخشى أن تتحول التكتلات الاقتصادية العملاقة الثلاثة إلى «ديناصورات» تتصارع فيما بينها وقد تجد الحل على حساب بقية دول العالم - وهو ما حدث مثلا فى اتفاق ١٥/١٢/١٩٩٣ .

ويضاف إلى ماسبق أن الصين تمتلك الحكمة والتروى ومعرفة المصلحة الصينية، ولذلك لاينتظر مستقبلاً أن تدخل فى تحالفات هجومية مع اليابان مثلاً . والمثال على ذلك، أنه فى يونيو ١٩٩٢ دعت الحكومة الصينية اليابان إلى الحذر بشأن موضوع إرسال قوات يابانية إلى الخارج، وأكد وزير الخارجية الصينى ضرورة أن تتصرف الحكومة اليابانية بحذر تجاه تلك المسألة التى وصفها بأنها شديدة الحساسية. وقد ناقش البرلمان اليابانى فى نفس الوقت مشروع قانون إرسال قوات يابانية فى إطار قوات حفظ السلام التابعة للأمم

المتحدة، لأن الدستور اليابانى يحظر حتى الآن إرسال قوات خارج اليابان.

وقد سبق للصين أكثر من مرة أن حذرت من نهوض النزعة العسكرية اليابانية، لأن ذكرى الاحتلال اليابانى للصين ماثلة للأذهان وخاصة «مجزرة نانكين» عام ١٩٣٧ وفظائع الاحتلال اليابانى عام ١٩٤٥ .

وعلى ذلك فالمنتظر أن تصبح الصين الشعبية فى المستقبل قطباً دوليا له اهتمامات إقليمية خاصة بآسيا من أجل حماية النفس، واهتمامات خاصة بدول العالم الثالث ودون أن تكون طرفاً فى أى حلف عسكرى أو سياسى.

الفصل الخامس

القوى المتنافسة للسيطرة على
النظام الدولي الجديد
دور القوى الفاعلة

أولا : الولايات المتحدة الأمريكية المسيطرة إلى حين على النظام الدولى الجديد) :

١ - كانت حركة التغيير متسارعة فى الولايات المتحدة الأمريكية إبان حكم الرئيس «بوش»، وتزايدت سرعة الحركة مع نجاح «بيل كلينتون» فى نوفمبر ١٩٩٢ وقد وضح هذا التغيير السريع فى المجالات الداخلية والخارجية.

على الصعيد الداخلى:

(أ) وضح التركيز على القضايا الداخلية وخاصة فى النقلة نحو رئاسة جديدة «كلينتون» وذلك استجابة لاتجاهات الرأى العام الأمريكى الذى عكسته عدة استقصاءات داخلية.

(ب) ظهرت خطورة تردى الأوضاع الأقتصادية وارتفاع معدلات البطالة وزيادة العجز فى الموازنة الفيدرالية.

(جـ) زيادة موجات العنف الداخلى ونمو عوامل عدم الأستقرار، وهو ماكشفته أحداث العنف العنصرى فى لوس أنجلوس فى أبريل ١٩٩٢ .

(د) تفشى الفساد السياسى فى كافة المواقع فى مؤسسات لها قيمتها وهيبتها، مثل مؤسسة الرئاسة والكونجرس والهيئة القضائية.

وعلى الصعيد الخارجى :

تأثرت الولايات المتحدة بعوامل متعددة منها: سقوط الأتحاد السوفييتى وزوال الشيوعية، وعدم نمو القدرة المنتظرة لأوروبا الموحدة بالشكل الذى كان متوقعاً، وتراجع أدوار دول وتجمعات العالم الثالث وقيامها بدور المتلقى والمستجيب بدلاً من الدور الفاعل الذى عرفه العالم فى الخمسينيات والستينيات. كما تأثرت السياسة الخارجية الأمريكية نتيجة الفشل فى تحديد «العدو» بعد سقوط الشيوعية - وتراوحت الاقتراحات مابين اليابان، وهو اقتراح سقط بسبب قوة علاقات البلدين المتشابكة المصالح، وأيضاً بعض الدول العربية مثل العراق وليبيا؛ إلا أن قدرات مثل هذه الدول ضعيفة، وأيضاً إيران إلا أن مشاكل إيران الداخلية ومحدودية القدرة الإيرانية التى فشلت فى مواجهة العراق من قبل أدى إلى استبعادها هى الأخرى، ثم رشحت الدول الراديكالية والدكتاتورية، إلا أن هذه الدول ليس من بينها ديناصوراً واحداً يؤهلها للقيام بدور العدو، ثم عرض اقتراح اعتبار «الإسلام السياسى» أو «الأصولية الإسلامية» بمثابة العدو، إلا أن هذا الأمر يفجر مشكلات كثيرة منها إهانة واستعداء عدد من الدول الصديقة (الإسلامية) ووصف الأقتراح بالعنصرية ومحاربة الدين، وأخيراً أنتهى الأمر بالإدارة الأمريكية

إلى تبنى اقتراح أن يكون المحور ليس العدو، ولكن رسالة الولايات المتحدة الحضارية إلى العالم بإعلاء مبادئ الديمقراطية وإحترام حقوق الإنسان.

٢ـ خطوط عريضة فى ظل كلينتون :

وضحت الخطوط العامة التالية بالنسبة للسياستين الداخلية والخارجية والرؤية الأستراتيجية للولايات المتحدة فى ظل إدارة الرئيس «كلينتون».

(أ) حتمية إحداث انتعاش اقتصادى داخلى لتصبح الولايات المتحدة قادرة على المنافسة الخارجية وتأكيد دورها الفاعل فى العالم، وأبرز الوسائل يدور حول تخفيض ميزانية الدفاع بعد السقوط الشيوعى وتحويلها إلى الاستثمار الأقتصادى.

(ب) منع انتشار السلاح النووى وأسلحة الدمار الشامل، وذلك بعد السقوط السوفييتى، وذلك بمنع أو وقف التكنولوجيا النووية والكيماوية والقذائف وإحداث وسائل للتفتيش، وهذا ما طبق فعلا مع العراق، ويطبق بالضغوط والتهديد على كورريا الديمقراطية، وكذلك فى محاولات لإقناع روسيا بنزع السلاح النووى لأوكرانيا.

(جـ) حماية البيئة حيث تقوم الولايات المتحدة بدور القائد الذى يحمى بيئة الكرة الأرضية وخاصة لما عرف باسم «ثقب الأوزون»، وهو دور ينسجم مع دورها كقائد للنظام الدولى الجديد.

(د) حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولذلك نلمح تزايد الضغوط الأمريكية على الصين الشعبية التى رفضت هذه الضغوط أول الأمر ثم عادت وألمحت إلى إستجابة جزئية لإلغاء تأثير أحداث ميدان «السلام السماوى» فى بكين، ومن المتوقع أن تزداد حجة حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان فى مواجهة الدول الراديكالية وخاصة التى تسير فى إتجاه الحصول على التكنولوجيا المتطورة، ومن الدول المرشحة لذلك مستقبلاً : كوريا الشمالية ـ كوبا ـ سوريا ـ إيران ـ العراق ـ ليبيا.

(هـ) وقد تبلورت رؤية الولايات المتحدة الأستراتيجية حول الشرق الأوسط فيما يلى :

١ـ ضمان أمن إسرائيل والحفاظ على تفوقها العسكرى فى مواجهة الدول العربية مع الحد من العربدة الإسرائيلية وعدم إطلاق يدها حرصاً على استمرار المصالح الأمريكية فى المنطقة، وهو أمر عكسته اتفاقية غزة/ أريحا أولاً، وعكسته أيضاً الإمدادات العسكرية الأمريكية الأخيرة فى عام ١٩٩٣ لإسرائيل مكافأة لها على توقيع الاتفاقية مع منظمة التحرير الفلسطينية.

٢ـ ردع وإحتواء النظم الراديكالية فى المنطقة.

٣ـ استمرار تدفق واردات النفط.

٤ـ الحفاظ على حرية خطوط الملاحة من وإلى الغرب.

٥ـ أمن الخليج مسئولية أمريكية باستخدام غطاء الشرعية من الأمم المتحدة.

٦ـ الحفاظ على أمن دول الخليج وهى الصديق الرئيسى فى المنطقة بعد إسرائيل.

٧ ـ توزيع المساعدات الأمريكية فى العالم ـ وفى الشرق الأوسط ـ وفقاً لأهداف معينة وليس إلى دول خاصة ومن أبرز الأهداف: الالتزام بالديمقراطية، وتشجيع التجارة الحرة، ومواجهة الإرهاب ،وحظر الإنتشار النووى، والحد من التضخم السكانىّ وتحسين وضع المرأة فى الدول النامية.

ثانيا: أوروبا نحو التوحيد:

١ـ والمغزى الحقيقى لمشروع «أوروبا ١٩٩٢» هى سعى دول المجموعة الأوروبية للتغلب على الفجوة التكنولوجية التى تفصلها عن الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وبالذات فيما يتعلق بمجالات الثورة الصناعية الثالثة. وتدعيم دورها على المستوى العالمى، بحيث يتزايد الوزن النسبى لأوروبا فى الشئون الاقتصادية والسياسية والدولية، وهذا الإنجاز من شأنه تدعيم الإتجاه نحو إقامة «اقتصاد عالمى ثلاثى» يرتكز على أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية واليابان . وهناك وثيقتان تمثلان دليل العمل لإنجاز «مشروع أوروبا ١٩٩٢»، هما: الكتاب الأبيض الذى صدر عام ١٩٨٥ ، والذى يتضمن ١٣٠٠ إجراء لتحقق السوق الأوروبية الموحدة مع نهاية ديسمبر ١٩٩٢ ، ولقد تم تخفيض هذه الإجراءات إلى ٢٧٩ بعد صدور الكتاب، وهناك أيضاً القانون الأوروبى الواحد الذى صدر فى يوليو ١٩٨٧ ، وهو يعتبر مكملاً للكتاب الأبيض، ويتضمن تعديلاً لاتفاقية «روما»

المنشئة للمجموعة الأوروبية، وبالذات فيما يتعلق بعملية اتخاذ القرارات داخل المجموعة وآليات العمل فيها، وحتى يونيو ١٩٨٩ تمكنت الهيئة الأوروبية من أن تدخل إلى حيز التطبيق الفعلى ٦٨ إجراء. وحتى ذلك التاريخ لم يتم تطبيق سوى ١٧ إجراء من قبل جميع الدول الأعضاء، وفيما عدا ذلك تختلف دول المجموعة من حيث الإجراءات التى تقوم كل منها بتطبيقها.

وتشير العديد من الدلائل إلى صعوبة تحقيق مشروع «توحيد أوروبا» فى المدى القصير، وذلك لتباطؤ بعض دول المجموعة فى تنفيذ الإجراءات، ووجود بعض المشكلات والعقبات والإختلافات بينها بشأن بعض القضايا الأساسية المرتبطة بإنجاز المشروع (ستتم الإشارة إلى بعض هذه العقبات فيما بعد) وبالتالى فإن «أوروبا الموحدة يجب النظر إليها باعتبارها عملية مستمرة وممتدة لسنوات كثيرة مقبلة وليست تغيراً مفاجئاً فى الأوضاع. ولذلك فإن عمليات التكيف والمواءمة وتطبيق الإجراءات ومعالجة السلبيات الخاصة بمشروع «أوروبا الموحدة» قد تستغرق عقد التسعينيات كله.

٢ - ولكن ما هى التأثيرات المحتملة لمشروع «أوروبا الموحدة» الذى لايزال قيد التبلور والتشكيل - على اليابان والولايات المتحدة:

ولاشك فى أن الأستمرار فى العمل من أجل سوق أوروبية موحدة، وتحقيق نجاح ملموس فيه، لاشك فى أن ذلك سيلقى بتأثيراته الإيجابية والسلبية على الكثير من الأطراف الخارجية، بل وعلى بنية الاقتصاد العالمى برمته، فتجميع المقدرات الأقتصادية لدول المجموعة الأوروبية يسمح لها بأن تكون قوة أقتصادية من

حيث حجم سوقها الداخلى (أكثر من ٣٢٠ مليون نسمة) وحجم مساهمتها فى الناتج العالمى، ومعدل إنفاقها على البحوث والتطوير .. إلخ . كما أن اقتصاديات الحجم الكبير سيكون من شأنها تخفيض نفقات الإنتاج، وزيادة معدل نمو الناتج القومى، وفتح المجال لإندماج الشركات الأوروبية فى كيانات أكبر، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية واليابان. ومن الأرجح أن يكون لعملية التوحيد الأقتصادى الأوروبى انعكاساتها السياسية والعسكرية، والتى بدأت فى إطار المجتمع المعاصر، والتى لايمكن فى إطارها الفصل بين ماهو اقتصادى وما هو دبلوماسى، ومن ثم فإن أية خطوات جادة على طريق تنسيق أو توحيد السياسات الخارجية والدفاعية لدول المجموعة سيكون «تدشين» دور المجموعة الأوروبية ليس كعملاق اقتصادى فحسب، ولكن كقطب سياسى وعسكرى أيضاً، ولاشك فى أن ذلك سيكون له تأثيره على ميزان القوى العالمى. ويعتبر ذلك رهناً بمدى التقدم فى إنجاز مشروع توحيد أوروبا.

وبالرغم من وجود بعض مصادر القلق والتنافس فى علاقات كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان بالمجموعة الأوروبية، إلا أن البعض يرى أن هناك مبررات قوية للتغلب على المشكلات الأساسية فى هذا الصدد، ومنها: الروابط السياسية والأمنية والاقتصادية بين الأطراف الثلاثة، وهى روابط تنامت بقوة بعد الحرب العالمية الثانية. هذا بالإضافة إلى كثافة وتعقيد الإعتماد المتبادل بينهم فى العديد من المجالات وهو الأمر الذى يكون أكثر مراعاة للتشاور والتنسيق، كما أن الشركات متعددة الجنسيات ساهمت فى خلق جسور للتواصل بين الجماعة الأوروبية وكل من اليابان

والولايات المتحدة، وهو الأمر الذى يجعل فرص وإمكانات التعاون أكبر.

ومع التسليم بأهمية العوامل التى تقف خلف الموقف اليابانى والأمريكى من مشروع الوحدة الأوروبية وهو موقف التأييد المشوب بقدر من القلق، إلا أن بعض التطورات الدولية خلال التسعينيات قد تزيد من احتمالات المنافسة بين الأطراف الثلاثة، وذلك باعتبارهم الكتلة الرئيسية للنظام الرأسمالى العالمى: ومن هذه التطورات مثلاً تراجع التهديد السوفييتى لدول أوروبا الغربية واليابان، وزيادة انخراط دول أوروبا الشرقية فى منظومة الاقتصاد الرأسمالى العالمى .. إلخ، ومن هذا المنطلق - ونتيجة لعوامل أخرى - اتجهت الولايات المتحدة إلى إقامة تكتل اقتصادى مع كندا، ومن المتوقع أن يكتمل فى النصف الثانى من التسعينيات. كذلك هناك إحتمال أن تتجه اليابان إلى إقامة تكتل اقتصادى فى شرق آسيا يكون قادراً على استيعاب إمكاناتها الأقتصادية والتكنولوجية. ولايستبعد البعض احتمال بروز محور أمريكى - يابانى فى مواجهة أوروبا الجديدة.

وهكذا تمثل التطورات الجارية فى أوروبا الغربية فرصة أو على الأقل حافزاً لليابان لتواصل نموها الأقتصادى وتدعم قدراتها التكنولوجية، وذلك لما تحمله هذه التطورات من احتمالات لبروز قطب اقتصادى جديد يدخل حلبة المنافسة على الأسواق العالمية.

٣ - بعض أزمات أوروبا:

(أ) من أبرز الأزمات الأوروبية - التى تشكل معوقاً أمام الوحدة الأوروبية - صعود اليمين الأوروبى وهو صعود يشكل ظاهرة

على الصعيد الأوروبى، وأبرز تعبيراته المظاهرات الضخمة ومهاجمة المهاجرين، ونجاح العناصر اليمينية المتطرفة فى الانتخابات المحلية والبرلمانية، وهذا ما حدث فى شمال أوروبا وفى فرنسا وألمانيا وإلى حد ما فى بريطانيا. وقد ساعد على صعود اليمين المتطرف انهيار الأتحاد السوفييتى، وقد كان هذا الأتحاد حافزاً للجماهير فى أوروبا للالتفاف حول الأحزاب الليبرالية تخوفاً من الخطر الشيوعى. وكذلك أدت الوحدة الألمانية إلى تخوف الدول الأوروبية والتحصن خلف مصالحها والتمسك بثقافتها وتراثها المحلى بإيجابياته وسلبياته، كما أن سقوط دول شرق أوروبا فجر النزاعات الدينية والعرقية والقومية وهى دماء جديدة لليمين المتطرف، ومثال ذلك ما حدث فى يوغوسلافيا السابقة وكذلك بين دول رابطة الكمنولث، وكذلك من أسباب الصعود الأزمات الاقتصادية وخاصة إنتشار البطالة وشعور المواطن فى الدول الأوروبية بالأغتراب وافتقاد الأمن بمفهومه العريض.

ولعل صعود اليمين المتطرف وانتشار مفاهيم العزلة واللجوء إلى التراث المحلى قد جاء مناقضاً لروح العصر فى أوروبا الذى يسير وفق الاتفاقيات نحو تدعيم الوحدة الأوروبية.

(ب) وأزمة أخرى هى التخوف من الوحدة الألمانية وخاصة مع النمو الأقتصادى المتنامى الألمانى، واتساع دائرة العنف اليمينى بشكل واضح فى المجتمع الألمانى وظهور نزعات توحى بتمجيد النازية والعودة للماضى وهو أمر يدعو المجتمع الأوروبى من تخوف إحياء النازية بشكل أو بآخر، وكذلك

لهيمنة ألمانية على أوروبا أو قيام ألمانيا القوية بالسير منفردة بعيداً عن مخططات الوحدة الأوروبية.

(جـ) ومن حيث الأمن الأوروبى، تمر أوروبا بمرحلة انتقالية بعد زوال الحرب الباردة وسعى أوروبا لتشكيل هوية أمنية أوروبية مستقلة بديلاً عن حلف شمال الأطلنطى أو نظام أمنى يكون فيه لأوروبا القول دون هيمنة أمريكية، وفى هذا الصدد هناك بعض الملاحظات:

١ - أن الولايات المتحدة تشعر بحساسية شديدة تجاه التقارب فى أوروبا بما يهدد بعزلها عن مقدرات القارة، فيما كانت الولايات المتحدة ولاتزال تصون أمنها من خلال صراع وتنافر مجموعات دول القارة، وحدث هذا إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية.

٢ - أن دول أوروبا لاتجد معنى فى التنسيق والوحدة السياسية والاقتصادية مالم تدعمها آلية دفاعية بهوية أوروبية.

٣ - أن معظم دول شرق أوروبا ودول رابطة الكمنولث ترى أمنها وإزدهارها مرتبطاً بغرب القارة، بمعنى أنها تفضل وجود نظام أمنى بالمعنى العريض يؤكد أمنها ويساهم فى إزدهار اقتصادها، والنظام الأمنى المتصور هو نظام أوروبى.

(د) بالإضافة إلى أزمات أخرى عديدة منها الأزمات العرقية والقومية والعنصرية بشكل عام.

ثالثاً: اليابان:

١ - إن التطورات الجارية فى النظام الدولى تطرح فرصاً ملائمة لليابان لتمارس دوراً أكثر فاعلية فى عملية إرساء قواعد النظام الدولى الجديد، كما أن التغييرات المحتملة فى بنية ذلك النظام، وفى أنماط القيم والقواعد التى تحكم تفاعلاته، تظل مدخلات ملائمة لليابان لتترجم مقدراتها الأقتصادية إلى دور سياسى له وزن على المستوى الدولى، ويتوقف الأمر فى النهاية على تصور اليابانيين لدورهم فى النظام الدولى وأبعاد هذا الدور، والإمكانات التى تسانده والقيود التى تعرقله.

وهناك مجموعة من العوامل تمثل منجزات لليابان لتمارس دوراً أكثر فاعلية على المستوى الدولى، يرتبط بعضها بالتغيرات الجارية فى البيئة الدولية، وبعضها الآخر يرتبط بطبيعة القدرات الذاتية لليابان وبعلاقاتها الخارجية، وبالذات مع بعض الأطراف الفاعلة فى النظام الدولى، وفى هذا المقام، فإنه يمكن التركيز على بعض العوامل الهامة، منها: المقدرة الاقتصادية الهائلة لليابان، وتنامى إحساس لدى اليابانيين بأهمية ترجمة تلك المقدرة إلى فاعلية سياسية على المستوى الدولى، والتراجع النسبى فى بعض مؤشرات القوة للدولتين العظميين، ووجود دلائل هامة على تحرك النظام الدولى نحو التعددية القطبية، ولو على المستوى الاقتصادى والسياسى، ومن ثم على اليابان أن تثبت وجودها ضمن هذه التعددية، كما أن هناك العديد من الأطراف الدولية التى ترى ضرورة قيام اليابان بدور أكثر فاعلية على المستوى الدولى، وأن هناك قدر من الأختلاف بين هذه الأطراف من حيث تصورها لطبيعة هذا الدور وأدوات ممارسته.

٢ ـ وهناك عدة علاقات حاكمة، يجب أخذها بعين الأعتبار، لأنها تشكل خلفيات ومحددات لأبعاد أو ملامح رؤية اليابانيين لدورهم فى النظام الدولى خلال العقد القادم:

أولها: علاقتها السياسية والاقتصادية، ويمكن فهمها على مستويين:

الأول: أنه لم يعد من الممكن ـ فى ظل تعقيدات العالم المعاصر ـ الفصل بين القضايا والأعتبارات الأقتصادية وتلك ذات الطابع الاستراتيجى والسياسى، وبذلك يسقط أحد الأسس التى كانت اليابان تحرص عليه خلال العقود التالية للحرب العالمية الثانية، وهو القائم على محاولة الفصل بين النوعين من القضايا، حيث فى الوقت الذى كانت تعطى فيه المزيد من الأولوية والأهتمام للمسائل الاقتصادية والتجارية، ظلت حريصة وحذرة من التورط ـ أكثر مما يجب ـ فى القضايا والمنازعات السياسية.

والثانى: أن القدرة الأقتصادية تمثل ركيزة هامة لدور فعال، ومن ثم يبقى على اليابان فى العقد القادم أن تحدد أفضل الأساليب وأكثرها ملاءمة لترجمة قوتها الاقتصادية إلى فاعليات سياسية.

وثانيها: علاقة الداخل والخارج، فمع التسليم بأن هناك بعض العوامل الداخلية الأساسية للنهضة والتنمية فى اليابان، إلا أن هناك بعض المدخلات الخارجية الجوهرية لها أيضاً، فاعتماد اليابان على العالم الخارجى يعتبر أساسياً، حيث تحصل على معظم احتياجاتها من المواد الخام من الخارج.

وبخصوص رؤية اليابان لطبيعة العلاقات الدولية فى العقد القادم، فإنها تعتبر محكومة بطبيعة التطورات الجارية على المستوى

الدولى، وبالذات فيما يتعلق بالوفاق الدولى الجديد بين العملاقين، وكذلك بطبيعة المشكلات العالمية، التى تلقى بتأثيراتها على مختلف الأطراف الدوليةوبدرجات متفاوتة وبأشكال مختلفة.

وبصفة عامة، فإن هذه الرؤية تدور حول الاعتقاد بسيادة النمط التعاونى فى العلاقات الدولية خلال العقد القادم، وهو يجسد تشابك المصالح وترابطها، كما يعكس أهمية وضرورات الأعتماد المتبادل بين الدول، وبالتالى فإنه من المتوقع أن يقل الأعتماد على الأدوات العسكرية والمواجهات الأيديولوجية لتنفيذ السياسات الخارجية للدول وإدارة علاقاتها الدولية، وفى نفس الوقت ستزداد أهمية الأساليب الأخرى مثل الدبلوماسية، والأدوات الأقتصادية، وجهود التعاون والتنسيق على المستويات الأقليمية والدولية.

وهكذا، فإن لليابان نظرتها الخاصة للعلاقات الدولية فى التسعينيات سواء من حيث أولوياتها وقضاياها الرئيسية، أو من حيث أساليب إدارتها، أو من حيث منظومة القيم التى ستؤثر فى التفاعلات الدولية.

٣ - ووجهة نظر الخارجية اليابانية الرسمية عبر عنها نائب وزير الخارجية «تاكاكازو كورياما»، بأنه فى عام ١٩٨٨ بلغ إجمالى الناتج القومى للعالم قرابة عشرين تريليون دولار. نصيب كل من الولايات المتحدة والمجموعة الأوروبية واليابان يمثل ثلثى إجمالى الناتج القومى فى العالم على وجه التقريب. إن هؤلاء الأعضاء الثلاثة الذى تمثل نسب أنصبتهم «٥ - ٥ - ٣» من إجمالى الناتج الرقمى يشتركون فى القيم الأساسية للحرية

والديمقراطية وحقوق الإنسان، كما أن الثلاثة يربطهم معا الأعتقاد بأن أفضل سبيل لتحسين معيشة الشعب هو من خلال الإدارة الأقتصادية القائمة على آليات السوق.

والواقع أن هذه القيم السياسية والمبادئ الأقتصادية التى يشتركون فيها هى التى دفعت إلى التغييرات الجذرية نحو الديمقراطية والحرية الأقتصادية فى العالم، ولهذا السبب يتعين على اليابان والولايات المتحدة، وأوروبا الغربية، أن تتعاون فى الأخذ على عاتقها مسئولية بناء نظام عالمى جديد لفترة التسعينيات، لقد ولى تماماً العصر الذى كان يمكن فيه للولايات المتحدة بمفردها أن تساند النظم الأقتصادية والسياسية العالمية، وأصبح مفتاح سلام العالم ورخاؤه يعتمد على النظام التعاونى بين اليابان والولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وبالصدفة حدث أن نفس النسبة «٥ ـ ٥ ـ ٣» كانت تمثل ذات يوم مسئوليات المحافظة على النظام العالمى فى عصر ماقبل الحرب. فمعاهدة واشنطن البحرية لعام ١٩٢٢ جعلت السفن التابعة للولايات المتحدة وبريطانيا واليابان بنسبة «٥ ـ ٥ ـ ٣» وباعتبارها واحدة من القوى البحرية الثلاث الكبرى فى العالم، كانت اليابان فى مراكز المشاركة فى مسئولية الحفاظ على السلام العالمى مع الولايات المتحدة وبريطانيا، إلا أن اليابان غالت فى ثقتها فى قوتها العسكرية وبدلاً من الدفاع عن النظام العالمى اختارت تغيير النظام بالقوة.

ويكشف التاريخ أن هذا الأختيار كان له عواقب وخيمة بالنسبة للعالم بأسره، وبعد نصف قرن تجد اليابان نفسها من جديد كعضو

فى معادلة «٥ ـ ٥ ـ ٣» التى تقوم فى هذا الوقت على أساس القوة الأقتصادية، وأنها فى وضع يمكنها من المشاركة فى المسئولية من أجل خلق وصيانة النظام العالمى. فهل يمكن لليابان أن تستخدم قوتها الجديدة فى الاتجاه الصحيح عن طريق الوفاء بمسئولياتها العالمية بالتعاون مع الولايات المتحدة وأوروبا ؟ هذا هو السؤال الأساسى الذى يواجه سياسة اليابان الخارجية اليوم.

ويعتبر النظام العالمى بالنسبة للدول الصغرى أساساً حقيقة قائمة، وأن هدف دبلوماسية هذه الدول هو الحفاظ على أمنها وحماية مصالحها الأقتصادية عن طريق التكيف مع النظام العالمى القائم. وبطبيعة الحال يمكن للدول الصغرى أحياناً أن تتجمع معاً وتستخدم قوتها المشتركة فى تعديل النظام العالمى لصالحها، والمثال الواضح لهذا النهج هو دبلوماسية البترول التى تنتهجها دول الأوبك أحياناً، إلا أن مثل هذه الحالات هى الاستثناء وليست قاعدة. وأن دبلوماسية الدول الصغيرة عادة مضطرة إلى أن تتخذ موقفاً سلبياً تجاه النظام العالمى القائم.

لقد انتهجت سياسة اليابان الخارجية فى فترة ما بعد الحرب مثل هذه السلبية ،ونعمت بالسلام والرخاء مستفيدة بأقصى ما يمكن من النظام العالمى الذى تصونه الولايات المتحدة، ويمكن أن تعتبر هذه السياسة واحدة من أنجح الحالات فى السياسة الخارجية لدولة صغيرة.

لكن بعد أن أصبحت اليابان تمثل الرقم (٣) فى صيغة «٥ ـ ٥ ـ ٣» ،لايمكن لليابان باعتبارها عضواً هاماً فى مجموعة الدول

الديمقراطية الصناعية، أن تتبع سياسة خارجية سلبية بالنسبة للنظام العالمى القائم، واليوم يتعين على اليابان أن تسهم بشكل إيجابى فى الجهود العالمية الرامية إلى خلق نظام عالمى جديد لضمان أمنها ورخائها، وفى هذا الإطار يتعين على سياسة اليابان الخارجية أن تنتقل بأقصى سرعة ممكنة، من سياسة دولة صغرى إلى السياسة الخارجية لدولة كبرى.

وكخطوة أولى يتعين على اليابان أن تعترف بأن أحد العوامل الرئيسية، التى جاء بفكرة التغيير هذه، هى اليابان نفسها، ففى مجالات السياسة والأقتصاد الدولية كانت اليابان دائماً تمثل كياناً صغيراً، إلا أنها فى الثمانينيات، ولاسيما فى النصف الأخير من العقد، نما التواجد الدولى لها بشكل كبير، وفجأة برزت اليابان كقوة اقتصادية كبرى، وأن تصرفات اليابان فى المجتمع الدولى تؤثر بشكل مبالغ على الأقتصاد العالمى وعلى السياسات الدولية على حد سواء.

٤ - وفى إطار العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، هناك روابط خاصة تربط اليابان والولايات المتحدة لايمكن أن توجد بين اليابان وأوروبا الغربية وذلك لعاملين:

العامل الأول: يتمثل فى العلاقة الجغرافية والأقتصادية والبشرية بين البلدين، ففى حين تجد اليابان وأوروبا الغربية نفسيهما فى طرفى قارة أوراسيا، يربط المحيط الهادى بين اليابان والولايات المتحدة. ولاجدال أن اليابان قوة هامة فى آسيا ومنطقة الباسفيك. كما يتعين على الولايات المتحدة، لكى تظل قوة عالمية، أن تحافظ

على علاقاتها الوثيقة مع أوروبا كقوة أطلنطية، وتحافظ فى الوقت نفسه على تواجدها السياسى والأقتصادى فى منطقة آسيا والباسفيك كقوة باسيفيكية، ومعنى هذا أن المصالح القومية تفرض على كل من اليابان والولايات المتحدة أن تشتركا فى الاهتمامات والمسئوليات من أجل السلام والأستقرار والنمو والرخاء فى منطقة آسيا والباسفيك، وأن تخفف حدة التوتر فى شبة الجزيرة الكورية، وتسوية المشكلة الكامبودية، وتعمير الهند الصينية، والاستجابة للتفكير الجديد للسياسة الخارجية السوفييتية، والتعاون الاقتصادى بين آسيا والباسفيك، هى مهام تواجه هذه المنطقة فى التسعينيات، وتتطلب تنسيقاً سياسياً وتعاوناً وثيقين بين الدولتين، ومن ثم فإن المسرح الرئيسى «للمشاركة العالمية» بين اليابان والولايات المتحدة هو منطقة آسيا والباسفيك.

أما العامل الثانى: الكامن وراء العلاقات الخاصة بين اليابان والولايات المتحدة فيتمثل فى علاقة التحالف القائمة على أساس معاهدة الأمن المبرمة بينهما، أن تعبر علاقة التحالف - يعنى هنا أنه لا يشمل الجوانب العسكرية لمعاهدة الأمن فحسب - بل يشمل أيضاً علاقة التعاون السياسى والأقتصادى الأوسع نطاقاً، كما تنص عليها المادة الثانية من المعاهدة، وفى الوقت الذى تتحول فيه العلاقات بين الشرق والغرب من المواجهة إلى الحوار، هناك حاجة إلى أن نعترف من جديد بالمغزى العصرى لعلاقة التحالف، وغنى عن الذكر أن الردع هو الدور الأساسى لمعاهدة الأمن، ومهما يكن التغيير الذى طرأ على الأتحاد السوفييتى فإنه لايزال بدون تغيير كقوة عسكرية كبرى بقواته النووية والتقليدية الضخمة، وحتى أوروبا الغربية حيث

ينحسر بسرعة التهديد السوفييتي نتيجة لتفسخ حلف وارسو بابتعاد دول أوروبا الشرقية عن الأتحاد السوفييتي، يوجد إقرار عام بضرورة الإبقاء على منظمة حلف الأطلنطي، وفي المنطقة المحيطة باليابان لايزال المناخ الأمني غير واضح مع الأستمرار في تحديث القوات البحرية والجوية السوفييتية، ووجود التوتر بين الشمال والجنوب في شبه الجزيرة الكورية. في ظل هذه الظروف يعتبر ضمان الردع الفعال يكلفه الحفاظ على العلاقات الأمنية بين اليابان والولايات المتحدة أمراً جوهرياً للسلام والأمن في الشرق الأقصى بما في ذلك اليابان.

أما الدور الثاني لمعاهدة الأمن اليابانية الأمريكية، فهو أن تكون بمثابة أساس قد يقوم عليه حوار بناء مع الأتحاد السوفييتي، لقد أصبح الحوار وتقدم المفاوضات بين الشرق والغرب ممكناً بفضل تضامن الدول الغربية القوى عن طريق منظمة حلف شمال الأطلنطي، وأخيراً بدأت العلاقات بين اليابان والأتحاد السوفييتي تنمو على نحو يمكن معه البدء في حوار حقيقي من أجل بناء أساس حقيقي ومستقر للعلاقات بين البلدين وذلك بتسوية مسألة الجزر الشمالية، وإبرام معاهدة سلام، وحتى يؤتي هذا الحوار ثماره تعتبر علاقة التحالف الوثيقة بين اليابان والولايات المتحدة شرط أساسي. كما أنه لاغنى عن دعوة الأتحاد السوفييتي للإنضمام إلى النظام العالمي الجديد لمنطقة آسيا والباسفيك كشريك إيجابي ومسالم، ولايمكن للأتحاد السوفييتي أن يعتبر اليابان دولة يتجاوب معها بجدية إلا بوجود علاقة التحالف هذه.

أما الدور الثالث لمعاهدة الأمن اليابانية الأمريكية، فيتمثل فى حقيقتها كأهم إطار للاستقرار والتنمية فى منطقة آسيا والباسفيك، فمن ناحية تعتبر المعاهدة الركيزة الهامة لاستمرار التواجد الأمريكى فى هذه المنطقة، ولو ألغيت المعاهدة لانحسر بشدة التواجد الأمريكى فى منطقة آسيا والباسفيك لاعسكريا فحسب بل وسياسياً وإقتصادياً على حد سواء، ومن ناحية أخرى تعطى معاهدة الأمن مصداقية دولية لموقف اليابان الأساسى من أنها لن تصبح قوة عسكرية كبرى، ومن ثم تيسر على جيران اليابان تقبل أن تقوم اليابان بدور سياسى واقتصادى أكبر.

وفيما يتعلق بهاتين النقطتين، توفر الترتيبات الأمنية بين اليابان والولايات المتحدة أساساً للأدوار النشطة التى تضطلع بها اليابان والولايات المتحدة فى منطقة آسيا والباسفيك. واليوم وقد أصبحت الدولتان الديمقراطيتان الصناعيتان الكبريان اللتان يربطهما المحيط الهادئ فى منتهى الأهمية لمستقبل هذه المنطقة وذلك بالنسبة للتنسيق السياسى والتعاونى بينهما، فإنه لايمكن إغفال هذا الدور الثالث لعلاقة التحالف.

وفى ظل العلاقات الدولية السائدة اليوم حيث التغييرات سريعة والتكهن بالمستقبل غير مؤكد، لابد وأن تظل معاهدة الأمن بوظائفها الثلاث وهى الردع والحوار، والإطار للاستقرار والتنمية، فى منطقة آسيا والباسفيك الركيزة الأساسية للعلاقات اليابانية - الأمريكية وبلوغاً لهذه الغاية يتعين على اليابان والولايات المتحدة ألا تدخرا جهداً ضرورياً بخصوص فعالية هذه المعاهدة.

٥ ـ وأخيرا نلمح أن اليابان تتدرج لتتحول من قوة اقتصادية إلى قوة عسكرية يتفق مع المستوى الأقتصادى الذى حققته.

وقد خفضت اليابان نموها الأقتصادى من خلال ارتباطها السياسى بالولايات المتحدة وهو أمر جنبها الأنفاق الباهظ على الدفاع.

وقد وضح تقدم اليابان نحو التوازن الأقتصادى ـ العسكرى من خلال الإنفاق على المجالات العسكرية، وقد ظهر تقدم اليابان نحو هذا الهدف من خلال إشتراكها الأخير إبان أزمة الخليج بأسطول يابانى محدود.

والجدير بالذكر أن الإنفاق اليابانى فى المجالات العسكرية وصل فى أوائل الثمانينات إلى ١ ٪ من إجمالى الناتج القومى عام ١٩٩١ ليصل إلى ٢ر٣٪ من إجمالى الناتج القومى.

وقد حدث عدة عوامل بإسراع اليابان نحو تدعيم قدراتها العسكرية، ومن ذلك حالة عدم الأستقرار التى سادت دول المعسكر الأشتراكى إبان تفككه، وكذلك إقتراب موعد إنسحاب المملكة المتحدة من هونج كونج عام ١٩٩٧ . بالإضافة إلى إعلان الولايات المتحدة عزمها لخفض وجودها العسكرى فى الفلبين وكورريا الجنوبية واليابان فى إطار الجهود التى تبذلها لإصلاح الأقتصاد الأمريكى.

رابعاً السقوط السوفييتى ومصير روسيا والكمنولث* :

١ ـ السقوط السوفييتى : (١٩٩١)

* انظر التفصيلات بكتاب المؤلف «السياسة الخارجية الأمريكية».

(أ) الأخطاء:

كان انهيار الأتحاد السوفييتى مفاجأة لمعظم المحللين والكتاب الأشتراكيين، بل وغيرهم، بسبب ضخامة البناء وتشعبه وسطوته. وإذا عدنا إلى الوراء لمعرفة الأخطاء تجد البداية باندلاع ثورة ١٩١٧ التى قامت فى وقت وصلت فيه الإمباطورية الروسية إلى قمة توسعها، وقد جاءت ثورة ١٩١٧ تتبنى مفاهيم عالمية، ثورة «كارل ماركس» بمخطط يستهدف نشر ميادئ الثورة الجديدة لتغطى معظم العالم القديم.

وقد بدأت الأخطاء منذ فترة ستالين الذى فشل فى استيعاب طبيعة الثورات الآسيوية، فلم يقف إلى جانب الثورة الصينية ضد اليابان، وهو قصور فى الرؤية ينسحب إلى كل معاونى ستالين.

وقد ارتكب القادة السوفييت منذ عهد ستالين عدة أخطاء منها، السياسة السوفييتية الخاطئة تجاه الصين، مما دفع الأخيرة إلى إعادة تقييم المواقف وإتهام القيادة السوفييتية بالهيمنة والإمبريالية الأشتراكية، ثم قرار إعلان حصار برلين عام ١٩٤٨ والمواجهة مع دول الغرب، وهو أمر أدى إلى إنفاق باهظ على التسليح لا تتناسب مع موارد الأتحاد السوفييتى، ومع تطلعات الشعوب السوفييتية إلى الرخاء، وأيضا السياسة الغبية تجاه يوغوسلافيا، وأخيراً الأخطاء السياسية والأقتصادية المتعددة وأبرزها الصرف المتزايد على حركات التحرر والحلفاء بما يعنى الإفلاس المبكر.

(ب) هل الفاشية مصير روسيا؟:

اختارت روسيا الأتحادية ومعظم دول الكمنولث الأسلوب الديمقراطى ـ التعددية الحزبية ـ واقتصاديات السوق الحرة أساساً

للنظام الجديد، ألا أن هناك عوامل متعددة قد تؤدى إلى قيام «فاشية» فى الدولة الجديدة.

وهناك عدد من الأسباب قد تؤدى إلى هذا الأتجاه منها :

١ ـ الإحساس بالهزيمة التاريخية وسقوط النظام الضخم الذى كان يشكل نصف إدارة العالم.

٢ ـ الانهيار الأقتصادى الحالى، والمتمثل فى التضخم الخطر، وإرتفاع الأسعار بشكل جنونى واحتمالات التعرض للمجاعة فى بعض المناطق.

٣ ـ إحساس القوات المسلحة بضعف مستقبلها فى ظل النظام الجديد وما قد يؤدى ذلك إلى الأقدام على مغامرة عسكرية أو الأشتراك فى إنقلاب مدنى.

٤ ـ القوى الشيوعية التى لم تنته بل تقوم بتنظيم صفوفها، وهى وإن لم تكن متجهة إلى الفاشية إلا أنها قد تدفع القوى المحافظة إلى التعجيل بإقامتها.

٥ ـ الخوف العام من المستقبل.

ورغم ذلك فإن هناك عوامل تقلل مثل هذا التخوف وأبرزها المعونات الأقتصادية التى تقدمها الدول الغربية، وعدم رغبة الجماهير فى الدخول إلى مغامرة جديدة.

(جـ) خطورة صراع القوميات:

واجهت روسيا الأتحادية مشكلات تفكك الأتحاد السوفييتى بما يحمله من نزعة كل قومية إلى الأستقلال وما يجره هذا الأمر من

صراع حول الحدود، وحول نصيب كل جمهوررية مستقلة من الأسلحة وخاصة الأسلحة النووية.

وقد نشب صراع بالفعل بين القوميتين الأوكرانية والروسية حول إمتلاك الأسلحة النووية، وتم تسوية الموقف بتدخل الولايات المتحدة التى تسير سياستها على تقييد عدد الدول النووية فى العالم.

ولاتزال أكبر المشكلات الآن بعد تسكين المشكلات مع أوكرانيا هى مشكلات القوميات الإسلامية التى كانت تشكل أجزاء من الأتحاد السوفييتى وهى جمهوريات:

- تركمانستان وتشغل ٢ر٢ ٪ من مساحة الأتحاد السوفييتى وعدد السكان ٦ر٣ مليون نسمة.
- أوزبكستان وتشغل ١ر٢ ٪ من مساحة الأتحاد السوفييتى وعدد السكان ٠ر٢٠ مليون نسمة.
- وطاجيكستان وتشمل ٨و٪ من مساحة الأتحاد السوفييتى وعدد السكان ١و٥ مليون نسمة.
- وأذربيجان وتشغل ٥ر٠ ٪ من مساحة الأتحاد السوفييتى وعدد سكانها ٠ر٧ مليون نسمة.
- كازاخستان وتشغل ٥و١٢ ٪ من مساحة الأتحاد السوفييتى وعدد السكان ٥ر١٦ مليون نسمة.
- وقرقيزيا وتشغل ٩ر٪ من مساحة الأتحاد السوفييتى وعدد السكان ٣ر٤ مليون نسمة.

مجموع ١٩٪ ٥ر٥٦ مليون نسمة.

وهذه الجمهوريات الست التى تشغل حوالى ١٩ ٪ من مساحة الأتحاد السوفييتى السابق وحوالى ٧ر١٩ ٪ من سكانه تعد من أبرز مشكلات روسيا الأتحادية والكمنولث الجديد، بسبب تنافس كل من إيران وتركيا والسعودية على النفوذ بها، وبالتالى تنافس الأتجاه الأصولى المتطرف الذى تمثله إيران، والإتجاه الإسلامى العلمانى الذى تمثله تركيا، والإتجاه المؤيد للولايات المتحدة والذى سيضطر إلى مؤازرة تركيا وهو الاتجاه السعودى.

وصراع القوميات يمكن أن يؤدى إلى اتجاهات فاشية أو تكتلية لصالح عودة الأتحاد السوفييتى أو بنشر الفوضى والاقتتال بين القوميات، وخاصة مع تردى الأوضاع الأقتصادية، إلاأن صمام الأمان هو فى قوة روسيا العسكرية وإنفرادها بمعالجة الأضطرابات فى أجزاء الأتحاد السوفييتى السابق بمباركة أمريكية.

(د) عمق الأزمة :

أدت عدة عوامل إلى أن تصبح الأزمة فيما عرف بالأتحاد السوفييتى أزمة عميقة تنذر بالخطر ويمكن إجمال هذه العوامل فيما يلى:

١ - إن انهيار الأتحاد السوفييتى جاء بصورة مفاجئة عكس كل التوقعات وهذه الفجائية تلد الفوضى.

٢ - وجاء السقوط فى ظروف داخلية صعبة بسبب تآكل نفوذ الحزب الشيوعى الذى كان قد انفصل فعلا عن الجماهير وبسبب الأزمة الأقتصادية الطاحنة.

٣ ـ ولأن الانهيار جاء دون أن يواكبه برنامج بديل، وهو أمر أدى إلى الارتجالية وليس التخطيط بالنسبة للمستقبل، فتم إنشاء آلية الكمنولث على مرحلتين أولهما في ديسمبر ١٩٩١ بين الجمهوريات السلافية الثلاث وهي (روسيا ـ أوكرانيا ـ بيلوروسيا) وأنعقد في نفس الشهر إتفاق آخر ضم إحدى عشر جمهورية أخرى.

٤ ـ وصاحب الانهيار تنوع في التصورات حيث تمسكت روسيا وأوكرانيا بإقامة حكم ديمقراطي يقوم على التعدد الحزبي، نجد الأمر غير واضح بالنسبة للجمهويات الأخرى.

٥ ـ وقد أغرت هذه الفوضى السياسية في التصور إلى محاولة اتجاهات جديدة لملء الفراغ مثل: الاتجاهات المحافظة، والاتجاهات الفاشية، وقد شجع ذلك إنسحاب النخبة السياسية السابقة من ميدان العمل السياسي لأسباب متعددة. بالإضافة إلى تآكل شعبية الرئيس «يلتسين» وخاصة إبان وبعد قيامه بضرب البرلمان الروسي وهو أمر أدى بروسيا إلى وضع يشبه وضع الإمبراطورية الروسية قبل ثورة ١٩١٧ .

٦ ـ ومعنى ما سبق أن الوضع يتسم بدرجة كبيرة من السيولة تعني أن كل شئ متوقع.

٢ ـ مصير روسيا الأتحادية والكمنولث (الأوضاع الداخلية) :

يتحدد مصير ومستقبل روسيا الأتحادية، وعلاقات دول

الكمنولث من خلال مسار عدة عوامل داخلية وخارجية وعلى ضوء ونتائج هذا المسار يتحدد المستقبل.

وفيما يلى أبرز جوانب الأوضاع الداخلية:

(أ) الحياة الحزبية الجديدة فى روسيا الأتحادية:

اتسمت الفترة بين ١٩٩٠ حتى نهاية ١٩٩٣ بصراع حاد، أخذ يتصاعد إلى حد المواجهة المسلحة فى أكتوبر ١٩٩٣ وكانت أطراف الصراع الرئيسية ثلاثة هى:

- اتجاه المجموعة الليبرالية بزعامة «يلتسين» والتى سارت على طريق الإصلاح الأقتصادى السريع، ورفع الأسعار بشكل سريع ومتتابع، وتفكيك الأقتصاد الموجه، وإحلال الخصخصة محله والحد من الدعم الحكومى، وتعويم الروبل بشكل ينذر بالخطر.
- والمجموعة المحافظة أبرز رجالها «حسب الیلاتوف رئيس البرلمان» ترى أن إنقاذ الأقتصاد يتطلب ميزانية موجهة مع وجود حواجز حامية والتحكم فى الأجور والأسعار.
- ثم رأينا إتجاها قوميا فاشيا بزعامة «جيرونوفسكى» المتطرف اليمينى الذى استطاع حزبه أن يحصل على قرابة ربع أصوات الناخبين (٢٥ ٪)، ٧٨ مقعداً بالبرلمان الروسى وكان الحزب يحمل اسم «الحزب الليبرالى - الديمقراطى» وذلك فى انتخابات ديسمبر ١٩٩٣ .

وقد وجه «يلتسين» ضربة قاضية إلى البرلمان، وتم اعتقال «حسب اللاتوف» وأجريت انتخابات ديسمبر ١٩٩٣ وكانت صدمة يلتسين والغرب فى بزوغ نجم الفاشية فى شخصية «جيرونوفسكى».

هذا وقد عاشت روسيا ودول الكمنولث فى إطار الأتحاد السوفييتى لمدة (٧٠) عاما فى ظل تخطيط اقتصادى وسياسى وحزب واحد مسيطر ونظرية شاملة. وقد شاركت فى انتخابات ديسمبر ١٩٩٣ فى روسيا الأتحادية ١٣ حزباً بمشارب وبرامج مختلفة، يمينا ويسارا وإتجاها فاشيا تزعمه «جرونوفسكى».

وقد تزاوجت فوض الأحزاب والتصورات السياسية مع المصاعب الأقتصادية الواضحة لتؤدى إلى حالة من السيولة تؤدى إلى كثير من الاحتمالات ومنها احتمال الفاشية.

(ب) عمق مشكلات أوروبا الشرقية:

عندما انهار الأتحاد السوفييتى وأوروبا الشرقية عبر الغرب عن فرحته بالإنتصارات، ولكنه عاد وأنزعج بسبب ارتفاع مد العنف والتطرف وشبح المجاعات والإنهيار الأقتصادى الذى ساد المنطقة.

ورغم خطوات حسن النية وبناء الثقة التى قامت بها دول المنطقة التى كانت شيوعية، ومنها تبنى الخط الديمقراطى وإقتصاديات السوق الحرة، وتوقيع روسيا الأتحادية على معاهدة تخفيض الأسلحة الاستراتيجية الثانية فى يناير ١٩٩٣، إلا أن الغرب المستفيد من هذا الاتجاه فشل فى إقامة برنامج عاجل وفعال لمساعدة جمهوريات المنطقة على تجاوز أزمتها.

وقد أدت الأزمة الأقتصادية والأزمة السياسية، وما صاحبهما من أزمات اجتماعية ونفسية، إلى نمو مظاهر العداء للغرب وللولايات المتحدة بشكل خاص، وإلى تفريغ البديل فى إطار اليأس، ويمثل فى اتجاهين: الأول قومى ـ فاشى، والثانى يستدعى الحرس القديم لإعادة

البناء - أى يمهد لعودة الشيوعية إلى الحكم فى عدد من الجمهوريات.

٣ - مصير العسكرية الروسية:

(أ) العقيدة العسكرية :

تتجه العسكرية الروسية نحو التغيير، بسبب الضرورة وتغير النظام، وحتمية التغيير ليواكب التغيير الحادث فى المجتمع الروسى كله، ويأخذ التغيير بالنسبة للعقيدة العسكرية أكثر من اتجاه أبرزها:

١ - التخلى عن المفهوم الماركسى - اللينينى، وهو تصور كان يرى الحرب ظاهرة اجتماعية تاريخية ويعبر عن الصراع الطبقى . وبدلا من ذلك تتبنى المؤسسة العسكرية المفهوم التقليدى للحرب التى تقوم فى المجتمع الدولى نتيجة فوضى أو صراع على المصالح.

٢ - التخلى عن مفهوم المواجهة الأستراتيجية العالمية.

٣ - ارتباط بناء القوات المسلحة بالحد اللازم للاحتياجات الأمنية والدفاعية وخاصة لإلتزامات روسيا الأتحادية تجاه أمن دول الكمنولث، وهو التزام أعطته روسيا الأتحادية نفسها بما يضعها فى مكانة الدول «الحامية».

٤ - أصبح الأستخدام النووى يأتى فى نهاية سلم التصعيد وفى أعقاب حرب تقليدية عريضة.

وهناك مصادر ثلاثة رئيسية محتملة لتهديد الأمن الروسى هى :

١ - الغـرب الذى لايزال يمثل خطراً على الأمن الروسي وخـاصـة تصاعد بناء حلف شمال الأطلنطى.

٢ - الأضطرابات والقلاقل من دول العالم الثالث بما فى ذلك مخاطر الأنتشار النووى والإرهاب الدولى.

٣ - احتمالات نشوب اضطرابات داخل دول الكمنولث.

ويتوقف مستقبل روسيا ودول الكمنولث إلى حد كبير على ثبات رؤية وتقاليد المؤسسة العسكرية الروسية لأن عدم الثبات قد يجر روسيا إلى مغامرات عسكرية وإنقلابية تعيد رسم المستقبل بشكل لايتفق والتصور الراهن.

(ب) التركة العسكرية :

وإثر السقوط السوفييتى كان التخوف أساساً من شيوع الأسلحة النووية بين الجمهوريات السلافية وخاصة أن أوكرانيا تمتلك ترسانة نووية ضخمة، وقد انتهى الأمر بإتفاق على أن تقوم روسيا بفك الترسانة النووية الأوكرانية وتدمرها وحصول أوكرانيا على تعهدات أمنية واقتصادية من الولايات المتحدة مقابل ذلك.

وعلى هذا فإن روسيا سترث معظم كوادر القوات السوفييتية وكل الترسانة النووية السابقة.

وهذا التطور الأخير يعنى، أن روسيا الأتحادية أصبحت الوريث العسكرى الوحيد للأتحاد السوفييتى وهو أمر يمثل تهديداً محتملا للغرب ولجمهوريات الكمنولث.

٤ ـ العلاقات الأمريكية الروسية :

(أ) بداية علاقات جديدة :

منذ انهيار الأتحاد السوفييتى سادت علاقات جديدة بين روسيا الأتحادية والولايات المتحدة بسبب إختلاف التوجهات والأهداف، وزوال صفة العدو والتى حل محلها صفة الصديق.

وبدأت الولايات المتحدة فى تنمية علاقات تعاون جدية بديلا عن المواجهة، وخصصت معونات عاجلة لإغاثة الدولة الجديدة، ودعم التوجه الديمقراطى بها، وعمل الرئيس «كلينتون» بشكل جاد على مساندة الرئيس «يلتسين» فى صراعه مع البرلمان بالرغم من الممارسات الدكتاتورية فى تصفية المعارضة البرلمانية.

ويلاحظ على البدايات الجديدة بين الدولتين:

١ ـ أهمية الشق الأقتصادى فى العلاقة.

٢ ـ تزايد الاهتمام بقضايا الشئون الداخلية وتراجع قضايا السياسة الخارجية الروسية.

٣ ـ نفاذ أجهزة أعلام كل من الدولتين بحرية إلى الدولة الأخرى على أساس مناخ الصداقة والتعاون وليس مناخ العداء والمواجهة.

(ب) رؤية مشتركة جديدة :

فى قمة بوش - يلتسين فى فبراير/ ١٩٩٢ فى كامب دافيد اتفق الطرفان حول عدد من القضايا أبرزها:

١ - زوال صفة الخصم من علاقة البلدين، لتحل مكانها علاقات الصداقة والتعاون المشترك والثقة المتبادلة والإلتزام المشترك بالديمقراطية والحرية الأقتصادية.

٢ - الرغبة المشتركة لمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل والتكنولوجيا المتصلة بها.

٣ - تشجيع التجارة الحرة والاستثمار والتعاون الاقتصادى بين البلدين.

٤ - حل الخلافات بالطرق السلمية ومكافحة الإرهاب والمخدرات والعناية بالبيئة.

٥ - يضاف إلى ذلك اتفاق الطرفين على الحد من التسلح النووى ووقف إنتاج وتصدير الأسلحة البيلوجية.

(جـ) الخلاف حول عدد من القضايا.

ورغم هذه المساحة العريضة من اتفاق وجهات النظر فإن العلاقة الطبيعية وهى علاقة «ندية وصداقة» تشير إلى وجود عدد من القضايا المختلف حولها ومنها:

١ - الخلاف حول معالجة أزمة «البوسنة» ومساندة روسيا للصرب.

٢ - وحول تواجد الجيش الروسى فى دول البلطيق.

٣ - وعن جزر الكوريل المتنازع حولها مع اليابان.

وعموماً فإن محاور التعاون أهم بكثير من القضايا الخلافية وهو أمر أدى بالرئيس كلينتون إلى الوقوف خلف الرئيس الروسى فى كل الأحوال رغم الإدانة الغربية ليلتسين بأنه يتعامل مع البرلمان الروسى بشكل دكتاتورى.

٥ ـ الأمن القومى الروسى نقلة جديدة :

(أ) ملامح التغيير :

١ ـ فى أواخر ١٩٩٣ أعلنت روسيا ـ بعد موافقة رئيسها ـ عن رؤيتها الاستراتيجية الجديدة التى تفى بالأمن القومى الروسى وأمن حلفاء روسيا فى ظل الأوضاع الدولية الجديدة.

٢ ـ وتحدد هذه الاستراتيجية أهداف روسيا فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة، والتى تعنى عدم وجود عدو خارجى فى الوقت الراهن.

كما تعبر عن رغبة روسيا فى إزالة جميع أسلحتها النووية ـ وفق خطة دولية شاملة ـ بحيث تتحول قوتها إلى قوات دفاعية أكثر منها هجومية.

٣ ـ واستهدفت الأستراتيجية الجديدة:

(أ) منع الحروب والنزاعات:

(ب) والتعاون مع دول رابطة الكمنولث ودول حلف وارسو السابقة.

(جـ) ومنع تصعيد النزاعات المسلحة التى تستخدم الأسلحة التقليدية أو تحويلها إلى حروب ذرية.

(د) ولذلك ستكون الترسانة النووية الروسية مجرد وسيلة للردع فى حالة مواجهة احتمال شن حرب على روسيا أو أحد حلفائها.

(هـ) وأعلنت وزارة الدفاع الروسية أن موسكو لن تستخدم السلاح النووى ضد أية دولة وقعت معاهدة حظر الإنتشار النووى لعام ١٩٦٨ والتى لاتملك سلاحاً نووياً.

(و) ومع ذلك وبغض النظر عما جاء فى (هـ) فستستخدم روسيا السلاح النووى فى عدة حالات:

* اعتداء دولة ترتبط بتحالف مع دولة أخرى تملك سلاحاً نووياً باعتداء مسلح على أراضى روسيا.

* أو قيامها بهجوم مشترك على أراضى روسية بالاشتراك مع دولة نووية.

* كما تحتفظ روسيا بحقها فى إستخدام الضربة النووية الأولى إذا ما تعرضت مصالحها الحيوية للخطر.

(ز) وهذه الرؤية العامة هدفها منع دول الكمنولث أو دول أوروبا الشرقية من الدخول تحت نفوذ حلف شمال الأطلنطى أو اتحاد أوروبا الغربية.

٤ ـ وعندما أعلنت روسيا إعادة نشر قواتها ليكون لها مفهوماً دفاعياً، أعلنت واشنطن ارتياحها لهذه السياسة وظهرت فى الأفق بوادر رؤية استراتيجية مشتركة (روسية ـ أمريكية) وخاصة من المجال النووى.

(ب) استمرار الردع النووى: *

١ ـ ومع كل ما سبق، أعلنت وزارة الدفاع الروسية استمرار مبدأ

الردع النووى، لأن بقية دول العالم النووية لم تقم بإزالة أسلحتها النووية.

٢ ـ كما سبق أن أعلنت روسيا تخليها عن مبدأ إحداث التوازن العسكرى مع الولايات المتحدة الأمريكية، لأن كلا منهما وافق على تخفيض مخزون الأسلحة الهجومية الأستراتيجية إلى الثلث، مع إستمرار العمل على الوصول بهذا المخزون إلى أدنى حد ممكن.

٣ ـ وهناك رغبة فى أن يقوم تنسيق بين كل من روسيا والولايات المتحدة فى جانب، وبريطانيا وفرنسا والصين من جهة أخرى، لتحقيق هذا التخفيض.

٤ ـ وبوجه عام ترى روسيا أن السلاح النووى غير رشيد، ولذلك فإن أحد الأخطار العسكرية لعالم اليوم هو خطر انتشار السلاح النووى.

٥ ـ وعلى المجتمع الدولى العمل على تصفية وإزالة أسلحة الدمار الشامل التى تهدد وجود البشرية ذاتها.

٦ ـ أما عن السلاح النووى فى أوكرانيا فقد تم الاتفاق على تفكيكه مقابل ١٧٥ مليون دولار (نفقات) بالإضافة إلى ١٥٥ مليون دولار معونات من الولايات المتحدة.

٧ ـ كما تؤيد روسيا حظر جميع التجارب النووية تمهيداً لتقليص الترسانة النووية فى العالم، ويمكن تحقيق هذا التصور الروسى فى إطار نظام للأمن الدولى يتسم بأنه شامل وقائم على أسس ثابتة.

(جـ) القوات المسلحة الروسية :

١ ـ وأبرز ملامح الاستراتيجية العسكرية الروسية الجديدة بالنسبة للقوات المسلحة فيما يلى:

(أ) التركيز على الدفاع.

(ب) تفادى الحروب.

(جـ) التأهب لصد العدوان.

(د) ضرورة وجود قوات سريعة الإنتشار عند الحاجة.

٢ ـ هذا وستكون القوات المسلحة الروسية مكونة وفقاً للاحتياجات الجديدة من:

(أ) قوات استراتيجية وهى عامل رئيسى فى منع نشوب حرب نووية أو تقليدية واسعة الإنتشار وتحقيق إستقرار إستراتيجى.

(ب) قوات دائمة التأهب وقليلة العدد ويمكنها مواجهة أى خطر خارجى محدود النطاق.

(جـ) قوات الإنتشار السريع وهى قادرة على الحركة إلى أى منطقة.

(د) نظرة عامة:

١ ـ هذه الاستراتيجية السوفييتية ذات شقين، الأول إنسانى يدعو إلى الحفاظ على الجنس البشرى ومنع قيام الحروب وخاصة الذرية والشق الآخر مرن ويحتفظ بحق الردع والضربة الأولى بل وتوجيه ضربة نووية إلى دولة غير نووية فى حالة تحالفها مع دولة نووية أخرى.

٢ ـ وهذه الاستراتيجية رسالة إلى العالم الغربى التقليدى تقول: «إن روسيا لها مصالحها ولها نطاقها الحيوى ومناطق نفوذها». وخير دليل على هذا التصور التحرك الروسى فى مشكلة البوسنة والهرسك، وتلويح الغرب بضرب قوات الصرب وهو أمر انتهى إلى احترام المصالح الروسية فى المنطقة، ومثال آخر إيقاف روسيا أية محاولة لانضمام دول الكمنولث أو دول أوروبا الشرقية إلى حلف شمال الأطلنطى.

٣ ـ والاستراتيجية الجديدة حازت على رضا واشنطن، الأمر الذى أدى إلى قيام تنسيق استراتيجى أمريكى ـ روسى بديلا عن المنافسة والمواجهة، وهو اعتراف من أمريكا بأن روسيا لاتزال عملاقاً يجب احترام مصالحه رغم الصعاب الأقتصادية والسياسية الداخلية.

كلمة ختامية

١ ـ يعد السقوط السوفييتى أكبر أحداث النصف الثانى من القرن العشرين، وكانت له نتائج خطيرة وسيستمر السقوط السوفييتى يفرز العديد من النتائج الخاصة بمنطقة شرق أوروبا وبالنظام الدولى الجديد على النحو التالى:

(أ) أحدث السقوط السوفييتى تغييراً ضخما فى موازين القوى الدولية، مما أدى بكثير من المحللين إلى وصف النظام الدولى الجديد بالإنفرادية أو بأنه فى حالة سيولة شديدة.

(ب) وكان أكبر التأثير فى الحقل الثقافى والأيديولوجى العالمى الأمر الذى يعد انتصاراً للنمط الآخر القائم على الديمقراطية الغربية وعلى السوق الحر.

(جـ) كما أدى السقوط إلى إمكانية بروز كيانات جديدة على الفراغ القيادى الدولى ومنها روسيا الأتحادية وأوروبا الموحدة وألمانيا الأتحادية واليابان والصين.

(د) كما أدى السقوط إلى إعادة رسم الجغرافيا السياسية لشرق أوروبا ولوسط آسيا، وخاصة بالنسبة للجمهوريات الإسلامية التى تتعرض لتأثير متعدد من روسيا الأتحادية وإيران وتركيا والسعودية.

٢ ـ والآن برغم التحليلات السابقة يصعب التنبؤ بدقة عما سيكون عليه وضع روسيا الأتحادية والكمنولث ودول أوروبا الشرقية فى المستقبل، وبالوضع الذى تمثله روسيا فى النظام الدولى الجديد. غير أن استقراء الماضى القريب يبين الحقائق التالية مضافاً إليها استنتاجات الحاضر والرؤية المستقبلية الممكنة.

(أ) إن الموقع والسكان والموارد الطبيعية والخبرات الفنية والمستوى العسكرى، كل ذلك يتيح لروسيا الأتحادية نمواً مستمراً فى المستقبل.

(ب) ويضاف إلى ما سبق أن الاحتكاك المباشر وبدون حساسيات بين روسيا وبين تكنولوجيا الغرب سيتيح لها طفرة تكنولوجية كانت تحتاجها الدولة السوفييتية.

(جـ) أن روسيا لن تكون محاصرة ـ مقارنة بالأتحاد السوفييتى ـ بل ستتمتع بمزايا التعاون الدولى مع ما يتيحه الصرف المعتدل على السلاح من طفرة اقتصادية.

٣ - ويظل العامل القومى الروسى هو العامل الأكثر تأثيراً بالنسبة لمستقبل منطقة أوروبا الشرقية وبالنسبة لمستقبل التعامل الروسى مع بقية دول العالم، لأن إمكانية قيام فاشية أو دكتاتورية من أى نوع تستند إلى الدفع القومى فقط - وهو مانلمح بوادره الان - قد يؤدى بالدب الروسى إلى الدخول فى مواجهات جديدة تحرمه من مزايا التعاون الدولى وتخلق منه عدواً جديداً للغرب الأوروبى.

* * *

خامسا: صحوة *العملاق الصيني* ... *إلي أين؟*:

عانت الصين من مشكلات عبر التاريخ، لم يعان منها شعب من قبل، فقد عرفت الأستعمار والتدخل والمذابح على أيدى الأجانب، وانتشر فيها ومنها تجارة وتعاطى الأفيون والإتجار فى الرقيق الأبيض (الأصفر) وبيع الأطفال، ولذلك خرجت الصين بعد الحرب العالمية الثانية وبعد نجاحها من خلال حركة التحرر الوطنى التى قادها الحزب الشيوعى بقيادة «ماوتسى تونج»، خرجت بعقدة تخوف من الأجنبى ومن شبح الماضى مما زاد من تمسكها بتقاليدها وقيمها وطريقها الخاص من أجل البناء.

وقد اتخذت الصين من الأتحاد السوفييتى صديقاً وحليفاً، ومن الولايات المتحدة عدواً، إلى أن تبينت أن استقلالها أصبح فى خطر وأن حريتها مهددة، بالإضافة إلى حاجتها إلى تكنولوجيا الغرب وخاصة من الولايات المتحدة، فأحدثت نقلة فى علاقاتها الخارجية بعد فترة ما عرف بالنزاع «الصينى - السوفييتى» وأقامت علاقات

صداقة وتعاون مع الولايات المتحدة خلال حكم الرئيس الأمريكى نيكسون.

وقد استفادت الصين من العلاقات مع الغرب سياسياً واقتصادياً، ولكنها تمكنت من الاحتفاظ بهويتها واستقلالية قرارها، وكان صمودها الأكبر بعد السقوط السوفييتى الذى تصوره البعض بمثابة قانون طبيعى ينسحب إلى بقية الدول الشيوعية، إلا أن حالة الصين كانت فريدة لأن نظامها خاص بها يمزج الماركسية ـ اللينينية بالفكر والتقاليد والممارسات الطبيعية القديمة من خلال إضافات «ماوتسى تونج» التى تعبر عن روح الصين، ولم تستطع رياح حركة المطالبة بالديمقراطية أن تغير من اتجاه القيادة الصينية، بل نجد الصين قد تحولت الآن إلى عملاق اقتصادى وتقنى يسير قدماً نحو مقدمة الدولة القوية فى عالم التسعينيات.

صحوة العملاق الصينى

أولاً: رياح التغيير فى الصين:

١ ـ اتجاهات الصين الثلاثة:

منذ التاريخ القديم، والصين تثير خيال الرجل الأوروبى والأمريكى، ولقد رأى بعض المحللين السياسيين أنه إذا كانت الولايات المتحدة والأتحاد السوفييتى ستظلان عنصر التوازن فى الأعوام العشرين الأخيرة من القرن العشرين، إلا أن الصين ستكون أقوى دولة على ظهر الأرض فى القرن الحادى والعشرين. فالصين دولة ذات إمكانات غير محدودة، وقد بدأت تتحقق من أنها تملك

هذه الإمكانات وتقـدرها التـقـدير السليم. إن الصين ذات القـوة العسكرية غير المحدودة تستطيع أن تدخل القرن الحادى والعشرين بوصفهـا أعظم قوة على ظهر الأرض، بوصـفهـا واحدة من أقوى الدول اقتصاديا، خاصة إذا ما أكملت بنجاح تحولها إلى دولة حديثة واستمرت مسيرتها بعيداً عن النظريات الأقتصادية الشيوعية. وأن الطريق الذى ستختاره الصين هو الذى سيحـدد ما إذا كان سيقدر للغرب أن يصمد ويبقى فى مواجهة الصراع الدولى.

القيادة الصينية الحالية تضم رجالاً من ذوى المعرفة بشئون الحـيـاة، والذين يفكرون بأسلوب عـالمى. وذلك رغم أنهم فى نفس الوقت صينيون وشيوعيون، ولكن التغيير الحالى فى القيادة وفى السياسة تدور بشأنه كثير من علامات الإستفهام، خاصة فيما يتعلق بمعرفة ما إذا كان التغيير الجديد أمراً مؤقتاً أم دائما. لو استمرت القيادة السياسية الحالية، على خطها الحالى، فقد يتغير مجرى الأحداث فى العالم.

فهل سيتفهم العالم (الصين اليوم)، ويغير من أسلوب التعامل مع القيادة السياسية الجديدة بحيث يغيرون من طريقتـهم القديمة فى نظرتهم إلى الصين الشعبية. إن ثمة مقارنة مفيدة توضح الفارق بين الأسلوب السوفييتى والأسلوب الصينى، فقد أقام السوفييت سور برلين للإبقاء على رعـاياهم داخل إقليمـهم وتحت سيطرتهم، بينما أقام الصينيون القدامى سور الصين العظيم لصد الغزاة ولإبقائهم خارج الأقليم الصينى . لقـد كـان الخطر يأتى من الشمـال ومن الرعـاة والبرابرة الذين يترددون على الإقليم الصينى بصفة موسمية للغزو،

واليوم لم تتغير نظرة الصين إلى (البرابرة الجدد) الذين يهددونهم من إتجاه الشمال، ولقد شهد القرنان التاسع عشر والعشرون علاقات بين الصين وأوروبا الغربية يسودها التوتر وعداوة (الشياطين الأجانب)، مع تعالى الصين واعتزازها بتفوقها الحضارى إزاء القوى الأجنبية على اختلافها، ومع حساسية بالغة لأى تصرف يصدر عن الأوروبيين أو الأمريكيين يمس كرامتهم وكرامة الشعب الصينى ككل، ومن هذا المنطلق كانت كراهيتهم للامتيازات الأجنبية، وللمستعمرات التى أقامتها بعض دول أوروبا الغربية على الأقليم الصينى. ولقد طالما جرح إحساس الصينيين وصفها بأنها (مزرعة أفيون العالم)، وهم يدركون جيداً أن الغرب فرض حرب الأفيون بهدف إرغام الصين على فتح أبوابها للتجارة الخارجية الأجنبية وللاستغلال، ولأن تمنح امتيازات تجارية للأجانب، وفى أول حرب الأفيون اقتطعت بريطانيا لنفسها هونج كونج التى كانت جزءاً لايتجزء من الأقليم الصينى، وحصلت لرعاياها المقيمين بالصين على امتيازات، ولقد عانت الصين على أيدى القوى الأوروبية الغربية ألوانا من الامتهان المصحوب بتمزيق إقليم الصين وإنشاء مناطق تتقاسمها دول أوروبا الغربية ـ وقد شاركت روسيا واليابان ودول أوروبا الغربية فى المخطط السالف.

واليوم تتقاسم الصين الأتجاهات، فبعضها يدعو إلى عدم العودة إلى العزلة والأخذ بالتكنولوجيا الغربية على أمل الحصول على القوة الكافية التى تهيىء، لهم ليس فقط طرد الأجانب بل، مواجهة الغرب والحضارة الغربية، فلا يزال الصينيون ـ رغم التقارب مع الأوروبيين، أنهم إنما قدموا للصين ومعهم السلطة العسكرية، ففرضوا

إرادتهم على الصين، فأصبح من الصعب النظر إليهم إلا على الوضع الذى وصفوه لهم (البرابرة والشياطين).

ولقد أمكن للدكتور، صن يات سن، أن يقضى على نظام الحكم الإمبراطورى الذى أستمر ألفى سنة، كوسلية لمواجهة صحيحة مع القوى الأجنبية، إلا أن خلفه، «ماوتسى تونج»، زاد من معدل الخطواط بعد حرب طويلة مع جبهات عديدة داخلية وخارجية بل بلغ الأمر حد الحرب المعلنة بين الصين واليابان، والصدام على الحدود مع الاتحاد السوفيتى ثم هاهى فيتنام تجد نفسها فى حرب ـ غير معلنة ـ مع الصين ، وكلها حروب أو صدامات أخذت موقعها من التاريخ بعد الحرب العالمية الثانية، ودخلت فى عصر ما يطلق عليه الحرب العالمية الثالثة . ولا تزال إلى الآن هناك صين شعبية وصين وطنية، والموقف شبيه بالخلافات العائلية والصينيون فى الجانبين هم صينيون قبل كل شىء لهم نفس التراث، وينتمون إلى نفس القومية، ففى بكين ـ بوصفهم شيوعيين ـ يكرهون قيادة تايوان (تاييبه)، ولكنهم بوصفهم صينيين يحترمون، «شيانج كاى شيك»، كلما ورد ذكره فى الأحاديث الخاصة، والواقع أن عمل، «ماوتسى تونج»، وما قام به يستحق أن يلقى الإنصاف. صحيح أن قادة الثورة أتسمت تصرفاتهم بالعنف وبالخشونة، ولكن هذه هى طبيعة الثورات، ومثل ما قاموا به يحتاج إلى شىء من العزيمة مع العنف، فقد وجدوا الصين أرضا ممزقة تتقاسمها سلطات نفوذ الدول الأجنبية الأوروبية الغربية، فقاموا بحركاتهم لتغيير الصين، ولتغيير العالم، ولكنهم وإن استطاعوا تغيير بلادهم إلا أنهم لم يستطيعوا أن يغيروا

من العالم إلا (بعض ضواحى بكين) كما يقول «ماوتسى تونج»، فى حيث خاص له مع الرئيس نيكسون، وهو يشير هنا إلى الأنظمة الشوعية، فى بعض الدول المحيطة بالصين.

ونظرة إلى الصين فى السنوات العشرة الأخيرة نجد أنه كان فيها ثلاثة خطوط سياسية متميزة. أولها: خط «ماوتسى تونج» المستوحى من خبرة المسيرة الكبرى الذى يؤمن بالثورة المستمرة المتجددة والحروب طويلة الآن. وثانيها: الخط النظرى التقليدى الماركسى اللينينى الستالينى الذى يتجه إلى موسكو الذى يتزعمه «ليوشاوشى» وقد تمت الإطاحة به فى ثنايا الثورة الثقافية التى شنها «ماوتسى تونج» والحرس الأحمر خلال الثورة الثقافية، ولم يبق الآن سوى الخط الثالث البراجماتى الذى تزعمه «تنج هسيا وينج» الخط الواقعى العملى الذى يهمه أساسا التطور الاقتصادى، ولا مانع فى الدخول فى تسويات على حساب الأيدولوجية، والتعامل مع الغرب - يهمه تحقيق الهدف مهما كانت الوسيلة - وكما قال «تنج هسيا وينج» (لا يهمنا أن القطة التى قتلت الفأر كانت بيضاء أو سوداء طالما أنها تقتل الفأر). ولقد تولى الفريق الثالث قيادة بلادهم السياسية، بعد أن أرهقت نتيجة الثورة المستمرة من كوميونات شعبية، ثم الوثبة الكبرى للأمام ثم الثورة الثقافية، وكلها تمثل محاولة استمرار روح الكفاح والطهارة من خلال التطهير.

٢ - سر الصين:

إن الصين كانت - ولا تزال - سر من الأسرار لا يمكن اكتشاف أبعاده، وكم يكون مفيدا لو أمكن معرفة العمق الذى سيصل إليه

تحركها نحو الغرب فى الخارج والإبتعاد عن النظام الماركسى فى الداخل.

وهنا يمكن الاستطراء إلى ما حدث فى العشرينات عندما شجع «لينين» - بل ورحب - برءوس الأموال الأمريكية، ولما أستنفدت هذه الخطة أغراضها، قرر الكريملين السير بمفرده وطرد الأمريكيين وسائر الرأسماليين، وأعادهم إلى بلادهم دون رءوس أموالهم، وهذا يمكن أن يتكرر فى الصين رغم إقتناع الصينيين فى المرحلة الحالية بما يعود عليهم من الإستثمارات الأجنبية المشتركة، وما تحققه لأقتصادهم من تقدم ورخاء، ولكن هذا أيضا يحتاج إلى التعرض لاستعداد أصدقائهم من الدول الغربية الرأسمالية، فالذهاب للصين برءوس أموال قد لا تحقق لهم ربحا عاجلا، إذ أن الهدف من توجه الغرب اقتصاديا إلى الصين إنما هو للمدى البعيد استثمار طويل المدى.

والواقع أن القيادة الصينية الحالية لم تعد مرتبطة - كما كانت فى الماضى - بالعقيدة المجردة فى سياستها الخارجية - وهو المسلك الذى أخذت قيادات سائر المعسكر الإشتراكى تتجه إليه وإن تظاهرت هذه الدول - بإستثناء الصين - بالتمسك والإخلاص للفكرة الاشتراكية، بينما الواقع أنها تنهج نهجا برجماتيا فى إطار وحدة المنظومة الاشتراكية تحت لواء موسكو بوصفها صاحبة الزعامة داخل هذه المنظومة.

وقادة بكين يرون أن ما يضعف الأتحاد السوفييتى هو عامل قوة الصين، وييسر لها الوسائل لتهديد السوفييت، لذلك فالصين تؤيد كل ما يزيد حلف الناتو قوة، يدفعها إلى ذلك ماتراه من دعم السوفييت

لفيتنام وتحريضها ضد الصين . وعلى ذلك فهم يرون أن الولايات المتحدة هى الجانب المقابل للأتحاد السوفييتى، لذلك تفتحت على واشنطون، بل ولم تتحرج أن تضغط على أمريكا وتدعم دفاعاتها، هذا المسلك الجديد الذى خططت الصين من أجله، وأصبح لا يهمها كثيرا أسلوب تنظيم الآخرين لشئونهم الخاصة الداخلية، بقدر ما يهمها علاقاتها الخارجية بالدول الأخرى.

ولكن السؤال الذى يقتضى جوابا، ما هو الوضع إذا ما طورت الصين إقتصادها وزادت من قدرتها العسكرية، وأصبحت أقوى دولة فى العالم؟ كيف ستستعمل الصين قوتها؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتوقف على مدى تمسك الصين بصبغتها الصينية الأصيلة أم لونها الشيوعى المكتسب، فإن الصينيين إذا عادوا لسياستهم فى الخمسينيات أو الستينيات فى محاولة توسيع سيطرتهم على العالم من خلال آسيا، فإنهم فى هذه الحالة سيشكلون تهديدا خطيرا للسلام العالمى، يصطبغ بالصبغة الشيوعية، ولكن الصين إذا اقتنعت بأن تظل دولة متوسطة، ذات إكتفاء ذاتى، ليس لها مصلحة فى الغزو الأجنبى وأن المصلحة أن تكون الصين صينية أكثر من كونها شيوعية، إذا إقتنعت القيادة الصينية بذلك، فتكون قد خدمت مصالحها، ومصالح الولايات المتحدة، ومصالح العالم، وتستطيع الصين فى هذا أن تعتمد على الولايات المتحدة وعلى مساعدتها.

وإذا كان نجاح اليابان سببه الأساسى عدم تأثرها بالفلسفة الشيوعية أو النظام الاشتراكى، فإن الصين تحاول الآن أن تحرر نفسها بقدر الاستطاعة من التزاماتها العقائدية حتى تستطيع أن تحقق التقدم الاقتصادى المنشود الذى يفوق سائر النجاحات الاقتصادية

للدول الأخرى العظيمة. بفضل عدم تكرار أخطاء الماوية فى المسار الاقتصادى للصين، هذه الأخطاء التى زادت فى الأعوام العشرة من حكم «ماوتسى تونج» إلى حد تخريب الاقتصاد الصينى، والتى يتحدث عنها القادة الصينيون الحاليون - دون ماتجريح «لماوتسى تونج» - والتى يركزون فيها على وجوب شفاء الاقتصاد الصينى من أخطائه الماضية عندما كانت السياسة والعقائدية هما المسيطران، وهما الأساس لكل شئ - وموقف القادة الحاليين دليل على أنهم واقعيون، لايتعاملون مع النظريات المجردة.

٣ - فى الأسلوب السياسى الصينى:

وعلى أى الحالات فمن الصعب التنبؤ بالشكل الذى سيأخذه الاقتصاد والمجتمع الصينى فى السنوات القادمة، فالصينيون من أشد الناس عناداً وهم أمام الغربيين الأوروبيين يمثلون لغزا من الصعب العثور على حل له. وعموما فإنه فى المرحلة الحالية، يبدى الصينيون مرونة فيحاولون اجتذاب الاستثمارات الأجنبية وإقامة المشروعات المشتركة الغربية مع الشركات الغربية، وهم إنما تحدوهم أساساً الرغبة فى الاستفادة من تجارب الآخرين، ولكن فى الوقت نفسه تصطدم المؤسسات الأوروبية الغربية لدى تعاملها مع الصينيين بالبيروقراطية وهى صفة للنظم الشيوعية والاشتراكية. وهى نقطة الضعف فى الصين منذ عهد الإمبراطور.

ثانيا : الخلاف الصينى السوفييتى :

١ - بوادر الخلاف :

إن نجاح الثورة الصينية جاء معاصراً لبدء الحرب، بعد أربعة أعوام من نهاية الحرب العالمية الثانية، ورغم أن السوفييت ساعدوا

النظام الجديد، إلا أنه سرعان ما تحول السوفييت إلى حلفاء لا يعتمد عليهم، خاصة وأن القيادة فى بكين - نظراً لأنها كانت شديدة التمسك بقوميتها الصينية - لم تكن متحمسة ، أو حتى راغبة ، فى مسايرة «موسكو» أو الإقرار بحق السوفييت بدون منازع - فى زعامة الجنس البشرى.

الخلاف بين السوفييت والصين:

وفى سنة ١٩٧٢ تم أهم حدث من وجهة النظر الجيوبوليتكية، فقد تقاربت الصين مع الولايات المتحدة، إنه أخطر حادث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ويعتبر الخلاف الصينى السوفييتى عاملا هاماً أدى إلى إمكان هذا التقارب الصينى الأمريكى، ومن منطلق عداوتهما المشتركة للسوفييت، تقاربت وجهات النظر الأمريكية والصينية.

وكان الخلاف الصينى السوفييتى أمراً لامفر منه، بالرجوع إلى ظروف وخلفية كل من البلدين، بالإضافة إلى المصالح المتنافرة، ولم يكن هناك وسيلة لتفادى الخلاف بل والصدام أحياناً، رغم ماكان من الظاهرة التى سادت علاقات موسكو مع بكين فى أول الثوة الصينية، من التحام الكتلة الصينية السوفييتية، بل وتطرف الصينيون فى عدائهم للغرب إلى مدى أشد من تطرف السوفييت، فساندت الدولتان شمال كوريا لدى غزوها لكوريا الجنوبية سنة ١٩٥٠ ، وقدم السوفييت السلاح، كما قدم الصينيون الرجال المحاربين، بما فيهم أحد أبناء «ماوتسى تونج» . لولا أن المنافسة بين العملاقين الشيوعيين، لم تلبث حتى طفت على السطح، وتطورت الأمور، وأصبح الهدف لكل واحد الحصول على زعامة العالم الشيوعى، فأتهم كل واحد منهما زميله

بالمروق عن الشيوعية الحقيقية الأرثوذكسية. ولم يكن ممكناً أن يكون الاثنان رقم واحد فى الأسرة الشيوعية، ولم يقبل أى منهما أن يكون رقم اثنين فى الهيكل التقليدى، فلم يكن سوى مكان واحد لصاحب السلطة العليا وكانت موسكو قد اعتادت على أن تكون لها اليد العليا فى العالم الشيوعى، وكانت الصين بدورها قد أعتادت على أن تكون العظمى فى عالمها الخاص.

٢ - جذور الخلاف:

ووراء الخلاف الصينى السوفيتى أزمة عدم ثقة عميقة الجذور، وكراهية قديمة بين الشعبين، فالصينيون منذ التاريخ البعيد يحتقرون أهل روسيا، تماما مثل أحتقارهم للهنود، هذا فى الوقت الذى يعامل الروس رعايا الصين دائما كما لو كانوا فى درجة أقل، ولقد طالما نصح السوفيت - خروشتشوف مثلا - فى إتصالاتهم الشخصية مع القادة الأمريكين، بعدم الإصغاء لما يردده الصينيون الذين وصفوهم بأنهم يمثلون (امتهانا للجنس البشرى)، ولقد كرر الرئيس برجينيف لدى لقاء القمة مع الرئيس نيكسون، التحذير من (التهديد الصينى) ووصف الصينيين - بالتوحش والبربرية خاصة فى معاملة شعوبهم، وقال: (إننا نحن الأوروبيين يجب أن نتحد لأحتواء التهديد الصينى المحتمل الخطير). هذا فى الوقت الذى كان الصينيين لا يتورعون عن الإعلان أنهم يعتبررون الروس همجيين برابرة وعلى هذا الأساس وعلى هذه العواطف قامت العلاقة بين موسكو وبكين.

ودليلا على الجذور العميقة للخلافات الصينية السوفيتية أن، ماوتسى تونج، فى سنة ١٩٦٥ أبلغ «كوسجين»، فى حديث معه إنه من الممكن أن يستمر الحوار بين الصين والإتحاد السوفيتى على ما

بينهما من خلاف عشرة آلاف سنة، ولا يصلون إلى حل، فلما أستفسر منه «كوسجين» بعد نهاية المحادثات عما إذا كان قد أقنعه بأسانيده، أجاب، ماوتسى تونج، بأن «كوسجين» كان حقا يحاول أن يكون مقنعا ضاغطا ولهذا يمكن للصين أن تنقص ألف سنة من العشرة آلاف سنة المقدرة، وأن الحوار عندئذ يمكن أن يستمر تسعة آلاف سنة.

أسباب الخلاف بين الصين والسوفيت:

ولقد تصاعد الخلاف الصينى السوفيتى فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، وكان يأس الصينيين من الحصول على مساعدات سوفيتية ذات فعالية، كان ذلك من العوامل التى أسهمت فى تصعيد الخلاف، خاصة وأن السوفيت أمتنعوا فى ١٩٦١ عن مساعادتهم لتطوير القدرات الصينية النووية، وقد سبق فى سنة ١٩٦٠ أن سحبوا فجأة الخبراء السوفيت من الصين، تاركين وراءهم عديدا من المشروعات كانوا قد ساعدوا فى بدء إنشائها، فتركوها قبل أن تكتمل، مما هز إقتصاد الصين، التى لم تر مفرا من مواجهة هذا الإجراء بشن الحرب الأيديولوجية، هذه الحرب التى تمثلت فى المناظرات التى خرجت إلى مسرح السياسة الدولية.

٣ ـ الصين تمتص الغزاة:

وعلى أية حال فإن الحزب الشيوعى الصينى لازال هو المسيطر ولا يزال القادة الصينيون يذكرون «ماو» فيقولون جملة عارضة بين الحين والحين (قال، ماوتسى تونج)، ومع ذلك فلا تزال الصين فى تحول مستمر.

ولم يكن «ماوتسي تونج»، في إنفتاحه على الولايات المتحدة، إلا مستهدفاً مصلحة الصين ذاتها، فقد كان يريد أن يطمئن أنه بعد ذهابه سوف تستمر الاتجاهات التي أرسى دعائمها في ظل الأمان، حتى ولو أدى به إلى التعاون مع الولايات المتحدة، وتغيير موازين القوى تغييرا جذريا في مجال السياسة الداخلية.

رؤية الولايات المتحدة لمسار العلاقات مع الصين.

ولكن المشاهد أن الصين كانت دائما تمتص الغزاة وتستوعبهم وتضفي عليهم الطابع الصيني حتى يذوبوا في بوتقتها - ويصبحوا صينيين كسائر مواطني الصين، والمتوقع أن هذا هو نفس ما سيحدث بالنسبة للثورة الشيوعية، فلن يمضي وقت طويل حتى تمتص القومية الصينية مظاهر هذه الثورة الطارئة على التراث والتقاليد الصينية، بحيث تأخذ طابعاً ثورياً بالإضافة إلى الطابع الصيني الأساسي، وعلى العموم فقد بدأت منذ أواخر أيام «ماوتسي تونج»، نفسه المسيرة لإمتصاص الثورة الشيوعية لتأخذ قالبا صينيا.

ثالثا: التعاون الصيني مع الغرب:

١ - الانفتاح الصيني الأمريكي:

ونظرا لأن الصين كانت في محاربتها للغرب - بما فيه الولايات المتحدة - أشد من الأتحاد السوفييتي في المواجهة، وكانت أشد حماسا في مساندة حروب التحرير، ونشر الشيوعية في العالم بالأسلوب الصيني، في كل مكان تستطيع أن تصل إليه، وذلك في ظل القاعدة الصينية السلطة السياسية تنبع من فوهة البندقية) فقد أضعف هذا من التماسك الصيني السوفييتي، في الوقت الذي بدت الصين فيه، وهي

ليست أقل تهديدا للعالم وللحضارة الغربية، وأستمر هذا الوضع إلى أن بدأت رياح التغيير.

ولكن - كما يقول «نيكسون» - لم يكن ممكنا أن تترك الولايات المتحدة الصين الشعبية خارج المجتمع الدولى، وإلا أزدادت تطرفا وتعصبا وحقدا وتهديدا لجيرانها، وكأنه لا يوجد مكان على ظهر هذا الكوكب الصغير لشعب من أقدر البشر، مما يضطرهم لأن يعيشوا فى عزلة غاضبة، ونادى نكسون سنة ١٩٦٧ فى مقال له فى مجلة (الشئون الدولية الأمريكية)، أنه على المدى القصير، فالمجتمع الدولى فى حاجة إلى إقناع الصين أن مصالحها لا يمكن أن تتحقق إلا إذا انصاعت إلى قواعد الحضارة الدولية، وأنه بذلك يمكن استعادة الصين ثانية إلى المجمتع الدولى، بوصفها دولة عظمى ذات حضارة وليس بوصفها بؤرة أو مركزاً للثورة، وذلك يقتضى - فى رأى نيكسون فى هذا المقال - أن يقتنع قادة بكين بتحويل طاقاتهم إلى الداخل وليس إلى الخارج، وأن يقتنعوا بمزايا الحوار مع الأخرين.

ولقد اندهش العالم عندما أعلن «نيسكون» فى ١٥ يوليو سنة ١٩٧١ أنه قد يزور الصين فى أوائل ١٩٧٢، وكان ذلك يعتبر تحولا شاملا، بالنسبة للولايات المتحدة وليس بالنسبة «لريتشارد نيكسون» شخصيا، وقد كانت الولايات المتحدة على مدى أكثر من عشرين عاماً تساند حكومة تايوان، رغم أن قادة الصين الوطنية كانوا بالنسبة للولايات المتحدة حلفاء مخلصين، فى عالم لم يكن كثير من قادة الدول، يسلكون المسالك المسئولة، أو يقدرون المسئولية، لكنهم فى «تايوان» احترموا مسئوليتهم التى أخذوها على عاتقهم، وقد

أستطاعت الولايات المتحدة أن تحافظ على إلتزاماتها إزاء «تايوان» رغم تقاربها مع الصين الشعبية، وهو ما أعلنته واشنطن، ولكن هذا التحويل كان أمرا مؤلما بالنسبة لقادة«تايوان» الذين نظروا للأمور على أنها تخل من الولايات المتحدة عنهم، فقد صبروا على مضض وعلى مرارة.

٢ ـ أسباب الأنفتاح الصينى على الولايات المتحدة:

ورحبت بكين بالتقارب مع الولايات المتحدة بعد أن كانت عدوها الأول، ولكن التقارب كان فى صالحها، فقد كانت الصين الشعبية فى حاجة إلى الولايات المتحدة، وكانت الولايات المتحدة محتاجة بدورها للصين الشعبية، وتقاربت الدولتان الواحدة من الأخرى فى حذر وفى شك وعدم اطمئنان، ولم يكن فى قدرة أحد الطرفين أن يدرك تماما ماذا يتوقع من الآخر، فقد كانت أعواما طويلة من العداوة تسيطر عليهما ـ منذ تولى «ماوتسى تونج»، مقاليد الأمور فى الصين الشيوعية، واشتراك القوات الصينية فى حرب كوريا، ثم إمداد بكين المساعدات إلى هانوى التى حاربت الولايات المتحدة فى فيتنام، وكان الوصف المألوف فى أمريكاعن الصين أنها (الخطر الأصفر) وهو أيضا الوصف الذى أطلقه عليها «بريجينيف» الذى كان يسمى قادتها أيضا (العطشى للدماء) ليس فقط دماء الأجانب ولكن أيضا دماء أبناء شعبهم ذاته.

وحتى الآن فإن الأمريكين والصينيين يسيران معا فى وفاق، ومن واقع السجلات القديمة لتاريخ العلاقات الأمريكية الصينية فإن الولايات المتحدة لم تستفد فائدة مباشرة من المزايا التى كانت للدول الغربية الأوربية، فهى لم تنشىء أى مستعمرة لها على أرض الصين

الشعبية، ولم يكن للرعايا الأمريكيين أى امتيازات أو مناطق نفوذ، بل وحتى البعثات التبشيرية الأمريكية التى كانت محل سخط من الرسميين الصينيين، بالإضافة إلى أن كثيرا من الصينيين الذين يمثلون الطبقة المختارة درسوا فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وسبب العداوات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الصين إنما شهدتها الفترة من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٧٢، نتيجة لأسباب سياسية محضة، وكان السبب فيها تصادم المصالح، وليس تصادم الثقافات الحضارية، فلما تغيرت العوامل السياسية، والتقت المصالح، أمكن أن يحل الأحترام والصداقة، بل والإخلاص، محل العداوة، بغض النظر عن الخلافات الفلسفية، ودون محاولات لفرض هذه الفلسفة أو تلك، مع محاولة صادقة لتطوير المصالح المشتركة والمصالح المتعارضة، وحل الخلافات فى ظل درجة عالية من الثقة، وعلى أساس أن الدول العظمى فى سياستها الخارجية إنما تسترشد المصالح العليا، قبل العاطفة والعلاقات الشخصية التى تسوء وتزدهر.

لعله من أسباب تحول الصين الشعبية إلى التقارب مع الولايات المتحدة هو أنها تبينت أنها محاطة بقوات معادية من أكثر من اتجاه. ففى الشمال يهدد «بكين» توثب الأتحاد السوفييتى ، فى تقدير الصينيين لغزو الأراضى الصينية، خاصة بعد أن لم يعودوا رفقاء السلاح، وبعد أن ركزوا قواتهم بما يهدد الحدود الصينية. وفى الجنوب تبينت بكين أن الهند تتهددها، واسترجعوا ذكريات صدام الحدود الهندية الصينية سنة ١٩٦٢، ثم نظروا فرأوا الهند تعمل ـ بمساندة السوفييت ـ فى تمزيق أوصال باكستان حليفة الصين، وفى جنوب شرق الصين تبينت بكين، موقع اليابان، ثالث قوة اقتصادية

فى العالم، ورأت أن اليابان رغم أنها لا تمتلك أسلحة نووية، إلا أن لديها القاعدة الصناعية التى تمكنها من تطوير نفسها ـ وتطوير تسلحها النووى، إذا أرادت ـ فبالنسبة لليابان لاتزال الصين تسترجع فى ذاكرتها، غزو اليابان للصين، فيتجدد قلقها رغم عدم وجود مخاوف حقيقية لديها ـ إزاء اليابان ـ فى الوقت الحالى . وفى الشرق تبينت الصين وجود الولايات المتحدة، التى ليس لديها مطامع إقليمية فى أراضى الصين مثل الأتحاد السوفييتى، رغم تعارض النظام الأمريكى مع النظام الصينى، وتناقض المصالح الأمريكية مع المصالح الصينية. لقد استعرض الصينيون ذلك رغم تقديرهم لمواقف علاقاتهم الخارجية، فوجدوا أن الجار الملاصق ـ الأتحاد السوفييتى ـ يمثل أخطر تهديد للصين ووجدوا أن المنطق يؤدى إلى القول بوجوب أن تسود علاقاتهم بالولايات المتحدة، روح المودة والتفاهم بالقدر الممكن دون ما الدخول فى أعماق الأيديولوجية أو التناقضات.

وكان على الولايات المتحدة أن توحى إلى الصين إنه يمكنها أن تعتمد على حسن النوايا الأمريكية، مع تأكيد إرادتها لرعاية المصالح الحيوية للولايات المتحدة.

فكانت العلاقة الجديدة الأمريكية الصينية بمثابة وثبة عظمى للأمام. وإذا كانت ـ فى الماضى ـ فى عالم سياسات القوى العظمى، تقضى الأيديولوجية الثورية الصينية، على الصين مقاومة الوجود الأمريكى، إلا أنه قد أملت ـ اليوم ـ مصالح الصين شيئاً آخر ـ وإذا كان الصينيون لم يعترفوا بذلك علانية، إلا أنهم صرحوا به فى

اتصالاتهم الخاصة مع الساسة الأمريكيين، فقالوا للرئيس نيكسون، إنه عندما كان لهم الخيار فقد انتصرت مصالحهم الاقتصادية، رغم أن الصين الشعبية قبلت أن تتفاهم مع الولايات المتحدة رغم مواقفها من تايوان وتصميمها على عدم التراجع عن التزاماتها إزاء «تايوان».

٣ - الصين تفضل التعامل مع الغرب :

(أ) ومن الأسئلة الهامة التى تتردد فى المجتمع الأمريكى وسائر المجتمعات الدولية، والتى سيستمر ترددها طوال السنوات الباقية من القرن العشرين وأغلب القرن الحادى والعشرين «إلى متى سيستمر النزاع الصينى السوفييتى؟» أو بمعنى آخر إلى أى مدى ستستمر العلاقات الجديدة الصينية الأمريكية؟» فإن نتائج خطيرة ستترتب على المدى الذى ستصل إليه البراجماتية الواقعية الجديدة التى سيتبعون سبيلها لتطوير إمكانياتهم الاقتصادية الضخمة، وأيضاً نتائج خطيرة سوف تترتب على نوع الأفكار الدولية التى سيعتنقها قادة الصين، وعلى نوع الدور الذى يريدون أن يلعبوه على المسرح الدولى، وكل الإجابات على هذه الأسئلة متوقف على واشنطون وبكين معاً.

إن الصينيين يعلمون جيداً أن الولايات المتحدة ليس لديها تطلعات للتوسع الإقليمى بالنسبة لهم، وهم يعرفون ويقدرون ويطلبون مساعدات الولايات المتحدة لهم فى المجالات التكنولوجية والاقتصادية، حتى يتمكنوا من مواصلة المواجهة مع الأتحاد السوفييتى، فهم يعرفون أن الولايات المتحدة هى الوحيدة القادرة على إيقاف أطماع السوفييت التوسيعية، وإذا أمكن للصين أن تصبح

قوية ـ بمساعدة الولايات المتحدة ـ فإن ذلك سيساعدها بالتالى على أن تطور بوسائلها الخاصة قوتها العسكرية للدفاع عن مصالحها، على المدى الطويل، أما بالنسبة للسنوات الباقية من القرن العشرين، فإن الصين لن يكون لها القدرة الكافية، مما سيؤدى بها إلى أن تتجه إلى الولايات المتحدة للاستفادة بما لديها من قوة وزعامة وإرادة، إذ أن أمريكا لن تمانع فى أن يستفيد أصدقاؤها بما لديها من مزايا، ليس فقط فى الدفاع عن الولايات المتحدة وحدها بل وفى الدفاع عن أصدقائها وحلفائها إذا ماهددهم عدوان سوفييتى، وإذا ما فقد الصينيون ثقتهم فى قدرات الولايات المتحدة ، فإن ما سيقدم من مساعدات اقتصادية لن تكفى فى دفع علاقات البلدين بالقدر المطلوب. وعلى أى حال فإن الصين اليوم تندفع للحاق بركب الدول المتقدمة، مستعينة بالخبرة الغربية التى لايوازيها شئ، حتى تستطيع مواجهة عدو يربض على حدودهم الشمالية.

(ب) إن الشواهد تشير إلى أن الصينيين يحبون الأمريكيين أكثر من حبهم للروس، فالروس فى الوقت الحاضر يهددونهم، بينما الولايات المتحدة لاتهددهم، فى الوقت الذى يتصور الصينيون أن الولايات المتحدة هى الدولة العظمى التى تملك القوة والعزيمة، والتى تستطيع الوقوف أمام الروس، وهذا سبب قوى لصمود الصداقة الجديدة الصينية الأمريكية.

ولكن هناك احتمال غير مستبعد، وهو وارد دائماً، وهو أن تصطدم المصالح الأمريكية مع المصالح الصينية فى آسيا أو فى أى جزء من العالم، أو أن يتصور الصينيون أن الأمريكيين أصدقاء أو حلفاء لايوثق بهم، فالحل البديل هو أن يتجه الصينيون إلى الروس ـ

رغم مابين بكين وموسكو من منازعات إقليمية أو عقائدية أو حتى شخصية.

والواقع أن الصينيين - فى تعاملهم مع الأمريكيين - لايحترمون من يظهر بمظهر المتلهف الذى يرتمى فى أحضانهم، الذى يتحمس لإدخال السعادة والسرور عليهم - إن الصين تحتاج للولايات المتحدة بقدر حاجة الولايات المتحدة إلى الصين، وعلى ذلك فإذا كانوا الأكثر حاجة للأمريكيين، وإذا كان العدو السوفييتى مشتركاً بين واشنطون وبكين، فقد أصبحت الصين أكثر رغبة فى الأقتراب من الولايات المتحدة.

اتجاهات السياسة الخارجية فى الصين :

فالصين أصبحت تركز اهتماماتها بالنسبة لسياستها الخارجية، على الأمن دون التوسع، بالتطور الداخلى وليس المغامرات الخارجية، ولكن أولوية أولى فى اهتماماتهم هى التهديد الروسى، مما يجعلهم حريصين على معرفة والتأكد من أن الولايات المتحدة ستكون فى صفهم ولن تخذلهم. وعلى ذلك فإن ظهور الولايات المتحدة قوية يمكن الاعتماد عليها، هو عامل كبير وهام فى المحافظة على الأمن، الذى تطمئن إليه الصين فتصبح دولة عظمى وتقدمية وقوة من أجل مزيد من التعاون الأمريكى الصينى.

٤ - أهمية النموذج اليابانى :

يمكن - إن لم يكن قد بدأ - أن يقوم تعاون صينى يابانى، فإن شعبى الدولتين يمتازان بالذكاء والموهبة، وكلاهما له حضارة قديمة،

وهما على درجة عالية من التنظيم، ولكن الفارق أن أسلوب كليهما فى التفكير يختلف عن الآخر. فاليابان قد أستوعبت تماما التكنولوجيا الغربيـة، بينما الصين قـاومت الأخذ بالأساليب الغربية خشـية من أثرها المفسد، ثم عاودت الصين تقدير موقفها فبدأت تعمل ما عملته اليـابان فـى وقت مـبكر حـتى أصـبـحت الآن تكاد تكون ثانـى دولة متقدمـة من ناحية القوة الصناعية، فإذا مـابدأت الصين على أول نفس الطريق، فستستغرق أجيالاً ليتم تحولها إلى العالم الحديث، ولكن طبيعة التكوين الصينى الدءوبة تجعلها تؤمن أنها ستصل ـ وستصل ـ إلى مستوى اليابان الصناعى إن لم تتـفوق عليـها، بفضل العزيمة والواقعية والصبر، والتفكير المنظم.

٥ ـ مشكلة تايوان :

أما عن موضوع «تايوان» ـ بالنسبة للعلاقة الأمريكية الصينية الجديدة ـ فهو موضوع شائك، وسيظل شائكا لفترة طويلة، فالولايات المتحـدة الأمـريكيـة لاتسـتطيع ـ ويجب ألا تتـخلى عن مسـاندتـها الحـازمة «لتـايوان»، خـاصـة وأن بيان شـانغـهـاى سنة ١٩٧٢ عـقب زيارة «نيكسون» للصين أكـد رفض اسـتـعمـال القـوة لحل المشـاكل ـ وعموماً فليس من مصلحـة بكين فى الآونة الحاضرة استخدام القوة ضد «تـايوان»، لأن ذلك سيؤدى إلى كشف حدود الصين الطويلة مع روسيا، وسيصيب فى الوقت نفسه علاقة الصين الجديدة بالولايات المتحـدة بالشلل والعـجـز، هذا بالإضـافـة إلى أنه ليس من المنطقى فرض نظام اقتصاد بكين ـ الذى لايزال فى مـرحلة البدائيـة ـ على «تايوان» التـى تملك واحـداً من أكـثـر الأنظمـة رخـاء فى القـارة

الآسـيـوية. اللهم إلا إذا أسـرعت «بكين» الخطوات نحـو التـحـول الاقتصادى، فمن الممكن عندئذ تصور أساليب يمكن بمقتضاها أن يتم تعاون مع «تايوان»، بحيث يتفقان على نوع تدريجى من التوحيد أو الأتحاد. وعموماً فمن المصلحة - فى الآونة الحاضرة - تأجيل إثارة الموضوع، نظراً للظروف المختلفة المتباينة بين النظامين.

الصين إلى أين ؟

أولا : الأوضاع الداخلية فى التسعينيات :

١ - هموم الصين الشعبية فى التسعينيات:

(أ) التخوف الصينى الدائم :

الصين الشـعـبـيـة بلد واسع مـتـرامى الأطراف به العديد من القوميات (أكثر من خمسين قومية) ويدار بسلطة مركزية هى فى الأساس قيادة الحزب الشيوعى الصينى . وتتخوف الصين دائما من الأجنبى ومن المجهول وتخشى نتائج عدم الاستقرار والحروب الأهلية والتدخل الأجنبى وتاريخ الصين حافل بكل هذه المخاطر.

وقد غذى هذا الشعور باستمرار وجود القيادات الرائدة على قمة الحزب فى مرحلة مابعد «ماوتسى تونج».

ويزيد من حدة هذا الخوف وهذه النظرة المحافظة أن الصين فى الأساس مجتمع محافظ يهتم تماماً بالتقاليد والعادات القديمة وتنتشر به علاقات المجتمع الزراعى التقليدى، ولذلك فإن إقامة الاشتراكية فى هذا المجتمع جاءت وفق النظرة الصينية وليس من

خلال القوالب الماركسية ـ اللينينية ولذلك تعتبر الاشتراكية الصينية بصفة تصورات «ماوتسى تونج» و «شوين لاى» و «دنج هسياوبنج» وهى تصورات تعد إفرازاً لروح المجتمع والتاريخ الصينى.

ولم تبدد العلاقات النامية بين الصين والغرب هذه النظرة المتخوفة التى قد تفسر فى نفس الوقت أسباب النزاع الصينى السوفييتى، ولذلك فإن الصين الشعبية وجدت نفسها فى التسعينيات ـ وهى حقبة حرب الخليج والسقوط السوفييتى ـ فى مواجهة عدة مشكلات تبحث عن الحل فى إطار التصورات الصينية شريطة ألا يكون الحل مفروضا من الخارج.

(ب) المعالجة الصينية للمشكلات :

وكان أبرز المشكلات هى مشكلة التعامل مع الجماعة الطلابية وغيرها، المطالبة «بالديمقراطية» والتى وصلت إلى ذروتها فى مايو ١٩٨٩، التى أطلق عليها اسم «ربيع بكين» وهى مظاهرة وقعت فى ميدان «تيان آن مين» حيث تمت المواجهة بين الدولة والجيل الجديد عام ١٩٨٩ وقد تعاملت الدولة مع هذا الحدث بتطهير الدولة والحزب من أنصار الديمقراطية الغربية مع إحكام قبضة الحزب الشيوعى على الأوضاع الداخلية.

وكانت المشكلة الثانية هى محاولة الصين الحفاظ على تجربتها الاشتراكية التى لم تكن وليدة الماركسية ـ اللينينية وحدها، وقد جاء الخطر من الانهيار الكبير الذى صاحب السقوط السوفييتى وتداعى دول شرق أوروبا الاشتراكية معه، وكأن التداعى إن استمر يعنى السقوط الصينى وهو سقوط ـ فى ظل الخوف الصينى ـ يعنى العودة

إلى الفقر والدعارة والأفيون والاحتلال أو التدخل الأجنبى. ولما كانت التجربة الاشتراكية الصينية لصيقة بتاريخ وتقاليد ومتطلبات الصين، فإنها لم تسقط بل استمر المجتمع الصينى متقدما إلى الأمام.

وأخيراً نجد المشكلات الاقتصادية ومشكلات العلاقات الخارجية وقد تمت معالجتها وفقا للأسلوب الصينى على النحو الذى نراه فيما بعد.

٢ - الوضع الاقتصادى:

تمتلك الصين الشعبية الآن اقتصاداً قويا يضعها فى مصاف ثالث أو رابع أكبر دولة اقتصادية فى العالم بعد الولايات المتحدة واليابان وألمانيا الأتحادية، فهى تضم $\frac{1}{5}$ «خمس» سكان العالم وستصبح أول النمور الآسيوية بعد قليل، فالناتج القومى الإجمالى للاقتصاد يعادل من ٤ر١ - ٥ر١ تريليون دولار فى أواخر عام ١٩٩٢ (الترليون = ألف مليون).

وتركز الصين الشعبية على إقامة اقتصاد قوى مستفيد من آليات السوق الحرة فى ظل نظام اشتراكى يرتكز أساسه على القطاع العام.

وقد مكن الصين من تحقيق هذه الطفرة تركيزها على العمل الداخلى دون الإغراق فى المشاكل الخارجية، واستمرار الانفتاح على الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، والعمل الدءوب لنقل وامتصاص التكنولوجيا الغربية. وأهم من هذا كله هو برنامجها الفريد فى تحديد النسل الذى حقق نتائج مذهلة وشعاره «طفل واحد لكل أسرة». وقد اتبعت الصين لتنفيذ ذلك خطة صارمة تتنوع من الترغيب إلى الترهيب الأمر الذى أدى إلى نجاح حملة تحديد النسل

وزيادة السكان ونجاح الحزب فى تعديل وجهة النظر الاجتماعية بالنسبة لإنجاب الأطفال.

ثانيا : الأوضاع الخارجية فى التسعينيات.

١ ـ تركزت محاولة الحركة الصينية فيما يلى :

(أ) استمرت الصين الشعبية تعلن انتماءها وارتباطها بدول العالم الثالث وهى بذلك تتصور نفسها قوة عظمى نابعة من دول العالم الثالث وهو أمر يؤكد ما تراه من ثوريتها ونقائها وابتعادها عن الإمبريالية والهيمنة.

وقد حدد الفكر المادى فى إطار نظرية العوالم الثلاث، ثلاث مجموعات فى العالم هى: العالم الأول: ويتكون من الإمبريالية الرأسمالية وهى الولايات المتحدة، والإمبريالية الاشتراكية وكانت الأتحاد السوفييتى. ثم العالم الثانى : ويتكون من الدول المتقدمة اقتصاديا مثل أوروبا الغربية وكندا واليابان. ودول العالم الثالث: وهى المجموعة الثالثة التى تنتمى إليها الصين.

(ب) والمحور الثانى، للحركة الصينية كان التشدد المستمر فيما يتعلق بحقوق الصين التاريخية تجاه هونج كونج وتايوان.

(جـ) والمحور الثالث، عماده المرونة فى العلاقات الخارجية وقد ظهرت المرونة الصينية إبان أزمة الخليج واحتلال الكويت ثم من خلال إقامتها لعلاقات طبيعية مع إسرائيل.

مبادئ وأهداف الصين الشعبية:

يمكن تلخيص أبرز مبادئ الصين الشعبية فى سياستها الخارجية على النحو التالى :

- مقاومة الهيمنة.

- صيانة الأمن والسلم الدوليين.

- التعاون من أجل الرخاء.

- المساواة بين الدول.

- التمسك بالاستقلال تحت كل الظروف.

- مقاومة الذيلية (التبعية) لأية قوة كبرى وعدم إقامة تحالفات معها.

- الالتزام بالمبادئ الخمسة للتعايش السلمى وهى: الاحترام المتبادل للسيادة، وسلامة الأراضى، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل، والمساواة والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمى.

- إن تدعيم قوة وتماسك دول العالم الثالث ـ الذى تنتمى إليه الصين يعد نقطة ارتكاز أساسية.

- معارضة سباق التسلح ومده للفضاء الخارجى.

- تأكيد الأنفتاح على العالم الخارجى فى إطار التعاون المثمر.

- التقيد بأهداف وميثاق الأمم المتحدة.

خلاصة القول:

إن الصين الشعبية القوة الاقتصادية والبشرية الضخمة ظهرت فى التسعينيات وبعد السقوط السوفييتى والشيوعى العام، بوصفها قوة

اقتصادية نامية قد تصبح القوة الأولى فى المستقبل، وهى لاتنقصها القدرة الاقتصادية والقدرة على الإدارة فى عالم متلاطم. وقد تطورت القوة الاقتصادية الصينية فى إطار النظام الاشتراكى اللصيق بالصين الشعبية وهى بذلك رفضت أن يشار عليها بتغيير الملابس وفقا «لمودة» العصر وأن تتحول تماماً إلى النموذج الغربى القائم على التعددية الحزبية وآليات السوق الحرة.

ويبدو أن العالم قد احترم الإرادة الصينية لأن البديل هو الدخول فى مواجهات عسكرية بقصد التدخل فى الشئون الداخلية للصين، وهو أمر صعب حتى على الولايات المتحدة التى فشلت فى معالجة الوضع فى دولة أفريقية ضعيفة وفقيرة وهى الصومال. أما الحالة الوحيدة التى نجحت فيها القوة العسكرية الأمريكية فكانت عاصفة الخليج، وكان سبب النجاح المظلة العربية التى قدمت للقوات المتحالفة والقوات الثابتة فى السعودية وغيرها، بالإضافة إلى عنصر هام جداً وهو التمويل للمعركة فقد تحملته دول الخليج البترولية بشكل أثر على توازنها الاقتصادى فيما بعد.

والصين الشعبية لم ترتكب نفس الخطأ السوفييتى لأن القيادة لم تنعزل عن الشعب، والحزب الشيوعى لم يورط نفسه فى مساعدات خارجية لاقبل له بها فقد كان الصينيون يرددون دائما مقولة «أنهم بلد فقير ينتمى لدول العالم الثالث وإمكاناته محدودة».

ويضاف إلى ما سبق أن الصين تمتلك الحكمة والتروى ومعرفة المصلحة الصينية، ولذلك لاينتظر مستقبلا أن تدخل فى تحالفات هجومية مع اليابان مثلا، والمثال على ذلك أنه فى يونيو ١٩٩٢

دعت الحكومة الصينية اليابان إلى الحذر بشأن موضوع إرسال قوات يابانية إلى الخارج وأكد وزير الخارجية الصينى ضرورة أن تتصرف الحكومة اليابانية بحذر تجاه تلك المسألة التى وصفها بأنها شديدة الحساسية. وقد ناقش البرلمان اليابانى فى نفس الوقت مشروع قانون إرسال قوات يابانية فى إطار قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة لأن الدستور اليابانى يحظر حتى الآن إرسال قوات خارج اليابان.

وقد سبق للصين أكثر من مرة أن حذرت من نهوض النزعة العسكرية اليابانية لأن ذكرى الاحتلال اليابانى للصين ماثلة للأذهان وخاصة مجزرة نانكين عام ١٩٣٧، وفظائع الاحتلال اليابانى عام ١٩٤٥.

وعلى ذلك فالمنتظر أن تصبح الصين الشعبية فى المستقبل قطبا دوليا له اهتمامات إقليمية خاصة بآسيا من أجل حماية النفس واهتماما خاصة بدول العالم الثالث ودون أن تكون طرفا فى أى حلف عسكرى أو سياسى.

سادساً : تطور المنظمات الدولية فى ظل النظام الدولى الجديد:

أولا : الأمم المتحدة:

١ ـ الفكرة :

(أ) كان المفكرون ورجال السياسة يحلمون بمنظمة دولية تهيئ سبل التعاون والتفاهم بين الدول وتجنب البشرية ويلات الحروب المدمرة وتعمل على رخاء البشر.

وقد جالت هذه الأفكار فى خاطر العديدين مثل «بيردى بوا» المشرع الفرنسى فوضع فى عام ١٣٠٥ مشروعا خاصا بذلك، وكذلك قام الوزير الفرنسى «سلى» بوضع تصور لإنشاء جمهورية مسيحية كبرى تضم جميع شعوب أوروبا عام ١٦٠٣م، كما تقدم الأب «سان بيير» بمشروع إنشاء عصبة أمم أوروبية عام ١٧١٣ وذلك أمام موتمر اوترخت.

كما عرض أكثر من مفكر لهذا الأمر ومنهم «جان جاك روسو».

(ب)وقد شهدنا بداية عملية للتنظيمات الدولية القائمة على التعاون خلال القرن التاسع عشر ومن أمثلة ذلك :

- تشكيل لجان الأنهار فى أوروبا مثل لجنة الراين عام ١٨٠٤ بالاتفاق بين فرنسا وألمانيا لتنظيم حركة الملاحة فى نهر الراين.
- ولجنة الدانوب الأوروبية عام ١٨٥٦ .
- الأتحاد العالمى للبرق عام ١٨٦٥ .
- واتحاد البريد العالمى عام ١٨٧٤ .
- وانتشرت المنظمات هذه فى كثير من المجالات مثل الزراعة والسكك الحديدية والتعريفة الجمركية والمقاييس وبراءات الاختراع ومكافحة المخدرات.

(جـ) وقد شجع نجاح هذه المنظمات الدولية الفنية إلى تطبيق التنظيم الدولى على المسائل الشائكة المتصلة بالحرب والسلام،

وقد تجسد ذلك من خلال مؤتمر لاهاى الأول عام ١٨٩٩ وكان يضم دولا أوروبيـة فـقط (٢٦ دولة) . ثم كـان مـؤتمـر لاهاى الثـانـى وكـان يمثل تجمعا أقرب للعالمين وذلك فى عـام ١٩٠٧ وضم حوالى (٤٤ دولة) أوروبية ومن أمريكا اللاتينية .

● وقد أقر المؤتمران مبدأ المساواة فى السيادة بين الدول .

٢ ـ عصبة الأمم :

(أ) وأدت كارثة الحرب العالميـة الأولى إلى سعى الدول لمنع تكرار الحـروب مـسـتـقـبلا وجـاءت الإجابة فـى شكل نظام دولى قـائم على تعدد الدول، وهكذا نشأت عصبة الأمم التى وضع ميثاقها فى باريس عام ١٩١٩ .

(ب) وقد تكونت عصبة الأمم من عدد من الأجهزة وهى :

١ ـ الجمعية .

٢ ـ مجلس العصبة .

٣ ـ السكرتارية .

٤ ـ محكمة العدل الدولية الدائمة .

٥ ـ مكتب (منظمة) العمل الدولى .

(جـ) وقد حققت عصبة الأمم عددا من المنجزات أبرزها :

١ ـ تنفيذ نظام الأنتداب .

٢ ـ حماية حقوق الأقليات.

٣ ـ دعم التعون الأقتصادى والفنى فى المجتمع الدولى.

(د) وقد فشلت عصبة الأمم لعدة أسباب أبرزها :

١ ـ إن تسويات الحرب أعتبرتها بعض الدول عملا انتقاميا موجها ضد كيانها القومى.

٢ ـ تخلى بعض الدول الكبرى ومنها الولايات المتحدة عن مسئولية حفظ السلام والأمن الدوليين.

٣ ـ ظهور عدد من الأنظمة الدكتاتورية فى عدد من الدول الكبرى مثل الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا والدكتاتورية العسكرية فى اليابان.

٤ ـ فشل تطبيق نظام الأمن الجماعى فى مواجهة اعتداءات الدول الكبرى.

٥ ـ افتقاد عصبة الأمم إلى تأييد رأى عام دولى أو شعبى يستطيع موازنة مناورات وتجاوزات الدول الكبرى.

٦ ـ عدم وجود قوة بوليسية دولية تحت تصرف العصبة لتنفيذ توصياتها وقراراتها.

٧ ـ سيطرة الشعور بالقومية على تصرف الدول.

٣ ـ الأمم المتحدة :

(أ) الفكرة :

جاءت الحرب العالمية الثانية لتؤكد من جديد أهمية قيام تنظيم دولى فعال فى مجالات حفظ السلام والتعاون الدولى.

- وقد تم التشاور حول ذلك فى عدة مؤتمرات فى واشنطن (١٩٤٢) وفى «دمبرتون اوكس» ١٩٤٤، ويالتا ١٩٤٥ .

- وأخيرا مؤتمر سان فرانسيسكو وشاركت فيه الدول التى أعلنت، الحرب ضد ألمانيا واليابان قبل مارس ١٩٤٢، ووقعت على تصريح الأمم المتحدة الصادر فى يناير ١٩٤٢ .

- وأنتهت المشاورات فى الموتمر الأخير بالموافقة على ميثاق المنظمة الدولية المتحدة فى ١٩٤٥/٦/٢٦ .

(ب) الأهداف :

حددت الأمم المتحدة أهدافها فيما يلى:

١ ـ حفظ السلم والأمن الدوليين.

٢ ـ تنمية العلاقات الودية بين الدول.

٣ ـ تنمية التعاون الدولى فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية.

٤ ـ جعل الأمم المتحدة مرجعا لتنسيق أعمال الدول الأعضاء وتوجيهها نحو الغايات المشتركة.

(جـ) التكوين :

وقد اشتملت الأمم المتحدة على الأجهزة التالية:

١ ـ الجمعية العامة.

٢ ـ مجلس الأمن.

٣ ـ المجلس الاقتصادى والاجتماعى.

٤ ـ مجلس الوصاية.

٥ ـ محكمة العدل الدولية.

٦ ـ الأمانة العامة.

(د) الإنجازات :

١ ـ بالرغم من تقاعس المنظمة الدولية والشلل الذى يصحبها أحيانا إلا أنها تحركت فى مجال حفظ السلم والأمن الدوليين. ومثال ذلك موقفها إبان أزمة السويس ١٩٥٦ ، وإبان أزمة احتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠ .

٢ ـ وكان للمنظمة تحركها الفعال فى مجال نزع السلاح والرقابة على التسلح ومثال ذلك التوقيع على معاهدة حظر إجراء التجارب النووية فى الجو والفضاء الخارجى وتحت الماء التى تم التوقيع عليها فى موسكو ١٩٦٣ ، ومعاهدة حظر إنتاج وتخزين الأسلحة النووية فى أمريكا اللاتينية الموقع عليها فى مكسيكو سيتى عام ١٩٦٧ .

٣ ـ وكذلك كان للأمم المتحدة دور فى مجال التنمية الاقتصادية وخاصة تجاه الدول النامية.

٤ ـ ونجحت الأمم المتحدة بسبب الظروف المحيطة وقتئذ فى مجال تصفية الاستعمار وإعلان استقلال كثير من الدول الجديدة.

٥ ـ كما كان لها دور بارز فى مجال الدفاع عن حقوق الإنسان، ومثال ذلك صدور الإعلان العالمى لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ .

٦ ـ وكذلك تحركت الأمم المتحدة فى مجال دعم مبادئ وإحكام القانون الدولى، ومثال ذلك صدور عدة اتفاقيات ومعاهدات دولية تنظم القواعد القانونية التى يجب مراعاتها فى العلاقات الدولية.

(هـ) الصعوبات :

وعلى الرغم من هذه الإنجازات التى أشرنا إليها نجد العديد من المثالب والصعاب التى تعترض طريق المنظمة الدولية ومنها :

١ ـ المشكلات المالية التى نتجت عن عمليات حفظ السلام.

٢ ـ المشكلات الناجمة عن عدم وجود تعريف محدد وشامل للعدوان.

٣ ـ المشكلات الناجمة عن اتساع الهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية.

٤ ـ أن الأمم المتحدة لم تتحول بعد إلى سلطة عالمية ترتفع فوق السيادة القومية للدول.

٥ ـ المعاناة من عدم التنسيق بين الدول الكبرى داخل المنظمة الدولية وخاصة نتيجة الصراع الدولى، ومحاولة الدول الكبرى أو بعضها السيطرة على اتجاهات المنظمة.

٦ ـ شعور الدول الصغرى بأنها غير ممثلة تمثيلاً حقيقيا وعادلا داخل المنظمة وهو الأمر الذى دعا ممثل مصر بالأمم المتحدة فى

مارس ١٩٩٤ إلى المطالبة بزيادة عدد الدول الأعضاء فى مجلس الأمن الدولى، لأن الضرورة تقتضى زيادة عدد الأعضاء ليكون أكثر من ١٥ وأقل من ٢٥ على أن يوضع فى الاعتبار ضرورة تحقيق التوازن بين الدول التى تمثل افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فى المجلس، كما طالب ممثل مصر بوضع صيغة جديدة تتجاوز صيغة الدول الدائمة العضوية والدول الأخرى مع تحقيق تعاون بين مجلس الأمن والمنظمات الأقليمية الأخرى، واعطاء صلاحيات جديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة.

٧ ـ عدم وجود قوة دولية فعالة ودائمة تحت تصرف مجلس الأمن لتنفيذ نظام الأمن الجماعى.

٨ ـ عدم احتواء ميثاق الأمم المتحدة على تعريفات محددة لما يعتبر أموراً إجرائية ويؤدى إلى تعقيد عملية التصويت فى مجلس الأمن.

٩ ـ هيمنة الدول صاحبة حق الفيتو بما يهدد بتجميد المشكلات الساخنة وإدخالها فى إطار الصراع مع الدول الكبرى وهو ماحدث بالنسبة للصراع العربى / الإسرائيلى.

١٠ ـ تحول الأمم المتحدة إلى أداة بيد الدول المهيمنة وخاصة بعد السقوط السوفييتى وهو أمر يهدد هوية واستقلالية بل وفعالية الأمم المتحدة.

١١ ـ لقد كانت الحرب الباردة عائقا أمام المنظمة الدولية لتحقيق أهدافها وأبرزها، صيانة السلم والأمن الدوليين. وبعد السقوط السوفييتى ونهاية الحرب الباردة، شهد العالم «بروفة» جديدة من

خلال عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ إثر غزو العراق للكويت، وحصلت المنظمة الدولية بمقتضى هذه التجربة على فعالية لم تكن لها من قبل. وكان تحرك مجلس الأمن فعالا وأصدر قرارات لم تلق أى اعتراض من الدول دائمة العضوية، ويشهد العالم تحركا ناجحا للدبلوماسية الأمريكية التى تحركت بحرية بعد السقوط السوفييتى، كما شهد العالم عمليات عسكرية ضخمة تعتبر أمريكية فى المقام الأول وتمت تحت غطاء الشرعية الدولية.

١٢ ـ ومع ذلك لم تظهر هذه الفعالية للمنظمة الدولية فى معالجة الأزمات الإقليمية الأخرى مثل أزمة الصراع العربى ـ الإسرائيلى، وأزمة الصومال والبوسنة والهرسك، وهو أمر كشف عن انتقائية تتصل بالمصالح الأمريكية فى المقام الأول.

١٣ ـ ويرى بعض المعلقين أن الأمم المتحدة اكتسبت ديناميكية وفعالية بزوال الحرب الباردة، ويدللون على ذلك بنجاح الأمم المتحدة فى حل أزمات السلفادور وكمبوديا والكويت (الغزو)، ويضيفون بأن نجاح المنظمة أدى إلى بروز اقتراحات لدعمها بأفكار جديدة مثل زيادة المقاعد الدائمة باعطاء مقعد دائم لكل من اليابان وألمانيا والهند (عن آسيا) ومقعد لدولة من أمريكا اللاتينية. وآخر لدولة من أفريقيا.

١٤ ـ وهناك فريق يرى أن الأمم المتحدة أثبتت عجزها فى السابق، وبعدزوال الحرب الباردة أيضا، وذلك لأنها كانت أداة فى يد الولايات المتحدة التى انفردت بقيادة النظام الدولى الجديد والتى أخذت تعامل المشكلات الإقليمية من زوايا مصالحها

فقط، وهذا يفسر تغاضى الولايات المتحدة عن العدوان الإسرائيلى المستمر وفتورها فى معالجة أزمة البوسنة والهرسك وتعاملها الفج مع الأزمة الصومالية.

ثانيا: المنظمات الأقليمية والدولية الأخرى.

التنظيم الأقليمى هو مظهر جديد لتنشيط العلاقات الدولية، ووسيلة لتعميق الصلة بين الشعوب المجاورة التى تربطها وحدة الأصل واللغة، أو تجمع بينها مصلحة خاصة مشتركة. وهى نوع من أنواع الأتحاد أو التعاهد الدولى ولايؤثر فى حرية واستقلال الدول المكونة لها.

- وقد ظهر هذا التنظيم فى نصف الكرة الغربى من الدول الأمريكية، وعرف باسم «اتحاد الدول الأمريكية» من عام ١٩١٠، وقبل ذلك اتخذ اسم «المكتب التجارى للجمهوريات الأمريكية» منذ عام ١٨٩٩ .
- كذلك لجأت إلى هذا الشكل من التنظيم الأقليمى دول أوروبا الوسطى والشمالية التى عرفت باسم «الاتفاق الصغير» والاتفاق البلطى أو الأسكندنافى».
- كما عرفته الدول العربية فيما سمى بجامعة الدول العربية.
- كما سعت دول العالم الثالث المتحررة إلى تشكيل مجموعة عدم الإنحياز.
- وأنشأت دول أفريقيا تنظيم الدول الأفريقية.

ـ وقد يحسن الإشارة باختصار إلى جامعة الدول العربية، ومجموعة عدم الانحياز بوصفهما نموذجان هامان للعالم العربى ولمصر.

١ ـ جامعة الدول العربية:

ـ راودت فكرة الجامعة العربية عقول القوميين العرب على اختلافهم وكانت العقبة أمام تجسيد هذا الأمل هو وقوع معظم الدول العربية تحت الاحتلال الأجنبى.

ـ وقد بدأت الدول العربية المستقلة تنفيذ الفكرة فى مؤتمر الأسكندرية فى سبتمبر/ أكتوبر ١٩٤٤ وساهمت فيه سبع دول عربية هى : سوريا ـ شرق الأردن ـ العراق ـ السعودية ـ لبنان ـ مصر ـ واليمن .

ـ وانتهت الإجراءات إلى إخراج بروتوكول الأسكندرية فى ١٩٤٤/ ٧/ ١٠، وفى السنة التالية مارس ١٩٤٥ اجتمعت الدول السبع فى القاهرة ووقعت اتفاق جامعة الدول العربية فى ١٩٤٥/٣/٢٢ .

ـ والجامعة العربية ذات طابع سياسى وتهدف إلى توثيق الصلات بين الدول العربية المشتركة وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة استقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها.

وتشتمل الجامعة على:

١ ـ مجلس الجامعة.

٢ ـ الأمانة العامة.

٣ ـ اللجان الخاصة.

- وقد كان للجامعة العربية نشاطاً ملحوظا منذ قيامها وخاصة فى الخمسينيات والستينيات حيث ظهر لها آلية جديدة تتفق وواقع العالم العربى وهى آلية مؤتمرات القمة العربية.

إلا أن الجامعة العربية لم تنجح بالدرجة المرجوة بسبب :

١ - الانقسام الشديد بين الأنظمة.

٢ - التنافس بين الزعامات.

٣ - النظم الدكتاتورية الملكية والجمهورية.

٤ - عدم وجود آلية فعالة لتنفيذ القرارات ومواجهة العدوان الخارجى.

- وبعد سقوط وانزواء النظم التقدمية العربية، وأيضا سقوط الأتحاد السوفييتى ظهرت الجامعة العربية مشلولة فى مواجهة التزاماتها وهو ما اظهرته المشاكل العربية الملحة، مثل مشكلة الشرق الأوسط العراق - الكويت، وأزمة ليبيا - لوكربى، وأزمة الصومال فى التسعينيات وأزمة الوحدة اليمنية عام ١٩٩٣/١٩٩٤ .

- ولابد من القول بأن كيان الجامعة العربية قد تعرض لهزة شديدة بنقلها من القاهرة فى أعقاب سنة ١٩٧٩ ، ومقاطعتها لأهم عضو فاعل فيها وهو مصر. مما نتج عنه تعثر - بل تعطل كثير من أجهزتها.

- والآن فإن الجامعة فى حاجة إلى يقظة سريعة وعاجلة، تستطيع من خلالها مواكبة المتغيرات العالمية المتلاحقةو حتى لاتفقد فعاليتها، بل وكيانها ذاته.

وأول ماينبغى عمله فى هذا الاتجاه هو ايجاد صيغة جديدة لعملها، بحيث يمكن أن تكون قراراتها ذات قيمة عملية على الصعيد العربى على أقل تقدير، فتعدل عن ضرورة أن تكون قرارتها بالاجماع، بل بالأغلبية المطلقة.

وأن يتحرك مجلس الوحدة الاقتصادية لتكون له ايجابياته فى خضم الكيانات الاقتصادية الدولية، والتكتلات الجديدة شرقاً وغرباً.

مع ضرورة إيقاظ مشروع السوق العربية المشتركة التى مضى على إقرارها سنوات طويلة، دون أن يكون لها أثر يذكر حتى الآن، بينما تنشط السوق الأوروبية المشتركة وغيرها من التكوينات الاقتصادية الدولية والأقليمية.

وأهم ماينبغى لفت النظر إليه أن الجهاز الإدارى للجامعة يتكون بشكل غير سديد، حيث توزع المناصب والأمكنة بما يمثل نوعاً من «المحسوبية»، فتشغل المناصب فى الداخل أو فى الخارج تبعا لتأثيرات معينة أقل ما يقال فيها أنها لاتراعى الكفاءة، ولكن تراعى الأشخاص والخواطر.

٢ ـ مجموعة عدم الإنحياز.

- عدم الانحياز أو الحياد الإيجابى، مبدأ سياسى تنتهجه الدول التى تحاول الحفاظ على استقلالها وحريتها فى اتخاذ القرار، وهو لا يعنى العزلة وإنما يعمد إلى النضال من أجل التحرر وأبعاد شبح الحرب عن العالم.
- وقد نشأ مؤتمر عدم الانحياز من خلال المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى عقد فى باندونج عام ١٩٥٥ وتبلورت مبادئه وأهدافه فى المؤتمرات اللاحقة وخاصة فى بلجراد عام ١٩٦١، والقاهرة ١٩٦٢

.وتتضمن مبادئ عدم الانحياز مايلى:

١ ـ حفاظ الدولة العضو على شخصية دولية مستقلة يتيح لها انتهاج سياسة داخلية وخارجية تتفق مع مصالحها القومية.

٢ ـ مصادقة من يصادق الدولة ومعادات من يعاديها.

٣ ـ تبادل المنافع مع الدول الأخرى على قدم المساواة.

٤ ـ الامتناع عن الانخراط فى أحلاف سياسية أو عسكرية.

٥ ـ عدم تقديم قواعد عسكرية للدول الكبرى.

٦ ـ العمل على تخفيف حدة التوتر الدولى وشجب سياسة استخدام القوة وتشجيع نزع السلاح وتحريم الأسلحة الذرية.

٧ ـ الاسهام فى تحرير البلاد غير المستقلة والقضاء على الامبريالية والاستعمار.

٨ ـ الامتناع عن استخدام وسائل الضغط فى العلاقات الدولية أو التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.

٩ ـ معاداة والقضاء على التميز العنصرى.

١٠ ـ التعاون من أجل الرخاء.

ـ وقد تعرضت حركة عدم الانحياز لضربات متتالية بسبب تراجع تأثير الدول التقدمية الرائدة، وفقدان الحركة لطابعها المميز بعد انضمام عدد من الدول التى لايمكن اعتبارها غير منحازة. وأخيرا بسبب المتغيرات الدولية وانتقال النظام الدولى إلى طور جديد تنفرد فيه الولايات المتحدة بالقول الفصل ـ ولو إلى حين ـ

وهى متغيرات تختلف عن مناخ العالم الذى انبثقت من خلاله، وهو عالم القطبين الثنائيين. والآن لم يعد هناك مجال للحديث عن عدم الانحياز بل يمكن تحويل الحركة طبقا لإقتراحات الدول الأعضاء ومنها مصر، إلى حركة وجزء من المجموعة ٧٧ التى تدافع عن حقوق دول الجنوب الاقتصادى.

ـ وينبغى أن نلاحظ أن إحدى القوى التى كانت شديدة الفعالية فى مجموعة عدم الانحياز قد انهارت تماماً وهى دولة يوغوسلافيا، وحل محلها عدة دول أودويلات، ماتزال الصراعات دائرة بينها فى حرب ضروس أطرافها بقايا الأتحاد اليوغسلافى، ممثلا فى :صربيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك.

والغريب أن منظمة دول عدم الانحياز ليس لها أى دور على الاطلاق فى هذه المشكلة التى تخصها فى المقام الأول، لأنها تدور على أرض البلد التى كانت بمثابة الرائد لهذه المجموعة عند انشائها. إن عجز هذه المجموعة عن مجرد الاقتراب من المشكلة اليوغسلافية ـ يشير إلى أنها أعجز عن مواجهة المتغيرات الأخرى على الساحة العالمية.

٣ ـ المؤسسات أو «الوكالات المتخصصة»:

وهى وفقا لنص المادة ٥٧ من ميثاق الأمم المتحدة «الوكالات المختلفة التى تنشأ بمقتضى أتفاق بين الحكومات والتى تضطلع بمقتضى نظمها الأساسية بصلاحيات دولية واسعة فى الاقتصاد والاجتماع والثقافة والتعليم والصحة وما يتصل بذلك من شئون أخرى.

ومن هذه الوكالات المتخصصة ما يلى:

١ ـ منظمة العمل الدولية وأنشئت بعد الحرب العالمية الأولى.

٢ ـ مؤسسة التغذية والزراعة وقد تكونت فى ظل الأمم المتحدة.

٣ ـ مؤسسة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو» وقد أنشئت عام ١٩٤٦ .

٤ ـ مؤسسة الطيران المدنى الدولى وقد أنشئت عام ١٩٤٧ .

٥ ـ البنك الدولى للإنشاء والتعمير وأُنشئ عام ١٩٤٥ .

٦ ـ صندوق النقد الدولى وأُنشئ عام ١٩٤٥ .

٧ ـ الأتحاد الدولى للمواصلات البرقية وأنشئ عام ١٨٦٥ .

٨ ـ اتحاد البريد الدولى وأُنشئ عام ١٨٧٤ .

٩ ـ مؤسسة الصحة العالمية وانشئت عام ١٩٤٦ .

١٠ ـ المؤسسات الدولية للاجئين وانشئت عام ١٩٤٦ .

١١ ـ المؤسسات الدولية للتجارة وأُنشئت عام ١٩٤٨ .

١٢ ـ مؤسسة الملاحة البحرية الاستشارية للحكومات وانشئت عام ١٩٤٨ .

وهذه الوكالات المتخصصة تتعرض هى الأخرى لضغوط الدول الكبرى وخاصة التى تساهم فى ميزانيتها بمبالغ كبيرة.

ثالثاً : العوامل التى تضر بالتنظيم الدولى :

١ ـ التنظيم بديلا عن الفوضى :

(أ) الفوضى الدولية أدت إلى الحروب واقتسام المستعمرات ومناطق النفوذ والدخول فى أحلاف مضادة.

وقد جاء القرن العشرين ليحمل معه سمة هامة فى العلاقات الدولية وهى نشأة العديد من المنظمات والمؤسسات الدولية بشكل لم تعهده العلاقات الدولية من قبل. وقد تنوعت مسئوليات المنظمات الدولية ووظائفها فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وحقوق الإنسان بشكل خاص.

وقد تحولت هذه المنظمات إلى ركيزة هامة من ركائز التعامل الدولى وخاصة إبان وجود نظام القطبية الثنائية وهو ما يخص الماضى الذى نقوم بقراءته وبنفس القدر سنتعرف فيما بعد على مستقبل التنظيم الدولى فى ظل النظام الدولى الجديد التى يتسم بسيولة شديدة.

(ب) والتنظيم الدولى يتسم بالواقعية والعملية لأنه يعترف بالواقع الدولى القائم على مجموعة من الدول، وبعدم وجود حكومة عالمية لها سلطات فوق ـ قومية. ولذلك فالأمر المتاح هو الأتفاق الأختيارى بين الدول لتبيان كيفية حل المنازعات بالطرق السلمية ووجود مؤسسات دولية لها كيان محدد وسلطات معترف بها ومتفق عليها من الدول التى تنشئها.

(جـ) وهناك ثلاثة أغراض رئيسية يحاول التنظيم الدولى تحقيقها وهى :

١ ـ تحقيق السلام ويتطلب أساليب ردع فعالة وأجهزة قوية تمارس عملها لحل المنازعات بالطرق السلمية.

٢ ـ تحقيق الرخاء ويتوقف هذا الأمر على قدرة التنظيمات الدولية على حل المشكلات الفنية والسياسية الخاصة بتوسيع إطار التعاون الاقتصادى بين الدول.

٣ ـ وهدف النظام وهو أمر لا يتحقق فى ظل أوضاع الفوضى والفقر والمرض والتطرف القومى والتمييز العنصرى والضغوط الاستعمارية.

٢ ـ الصراع الدولى :

(أ) وظاهرة الصراع الدولى تحكمت فى مسار العلاقات الدولية على مدى قرون طويلة وهى ظاهرة شديدة التعقيد بسبب تداخل أسبابها ومصادرها وتعقد تأثيراتها المباشرة وغيرها.

ومفهوم الصراع غير مفهوم الحرب ولا يجب الخلط بينهما لأن الصراع هو تنازع الإرادات الوطنية بسبب اختلاف دوافع وتصورات وأهداف وتطلعات الدول.

كذلك تتنوع مظاهر وأشكال الصراع الدولى فقد يكون سياسيا واقتصاديا أو مذهبيا أو دعائيا أو حضاريا، كما تتنوع أدوات الصراع الدولى أيضا.

(ب) والصراع الدولى تتعدد أسبابه ودوافعه وتصوراته ويمكن ايجازها لأهميتها على النحو التالى:

١ ـ التصور السيكلوجى ويرجع أسباب الصراع إلى النزعة وإلى العدوان وإلى الطبيعة الإنسانية كما قد يعود إلى الشعور القومى بالأحباط والأخفاق، كما يعود إلى الطابع العدوانى لبعض القوميات.

٢ ـ وهناك التصور الأيديولوجى، ومثال ذلك ضغوط الأيديولوجية الماركسية وخاصة الصراع الطبقى، وضغوط الأيديولوجية الرأسمالية أيضا تؤدى إلى تأجج الصراع، وهو ما شاهدناه فى السلوك الأمريكى تجاه الكتلة الاشتراكية.

٣ ـ كما نجد أيضا اختلاف المصالح القومية التى تؤجج الصراع.

٤ ـ وتؤدى سياسة التسلح هى الأخرى إلى زيادة حدة الصراع الدولى.

٥ ـ ويعمل النظام الدولى القائم على مبدأ السيادة القومية على خلق الفوضى والصراع.

٦ ـ ومن الأسباب أيضا الضغوط التى تولدها ظروف المكان وهو تصور جيوبوليتيكى ومن ذلك عدم وجود منفذ على البحر أو الافتقاد إلى مصادر المياه أو مصادر الطاقة.

٧ ـ وهناك تصور سياسى يتصل بوجود التكتلات والتحالفات الدولية الأمر الذى يؤدى إلى قيام الحروب أو التعجيل بقيامها.

٨ ـ وهناك تصور يتعلق بطبيعة النظام السياسى الداخلى، ويقول بأن أنظمة الحكم الشمولية تعمد إلى تأجيج وتعقيد الصراع الدولى.

٩ ـ وإلى جانب ذلك نجد التصور الاقتصادى ومثاله النظرية الماركسية التى تقوم على التفسير الاقتصادى للتاريخ.

١٠ ـ وزيادة عدد الدول المستقلة حديثا ودخولها إلى معترك العلاقات الدولية يؤدى إلى زيادة الاستقطاب والانحياز ومن ثم زيادة حدة الصراع الدولى.

١١ ـ وهناك تصور سوسيولوجى ويقول بأن الزيادات السكانية الضخمة تؤدى إلى الصراع الدولى. وقيام الحروب بسبب الرغبة فى الحصول على مجال حيوى لاستيعاب الزيادة السكانية، ولعل فى ظاهرة استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل تفسيراً لإنشاء المستوطنات والتمسك بالأراضى العربية المحتلة. ومن ثم زيادة حدة الصراع فى المنطقة.

١٢ ـ ومن روافد التصور السوسيولوجى أيضا نظرية النخبة المسيطرة صناعيا واقتصاديا وإعلاميا مما يلغى كل دور للرأى العام الداخلى ومثال ذلك النخبة الأمريكية.

٣ ـ توازن القوى :

(أ) وفكرة التوازن أن العلاقات الدولية غيّرها الصراع بين الدول بسبب المصالح القومية المتعارضة، وبسبب محاولة كل دولة زيادة قوتها على حساب الدول الأخرى، مما يدفع الأخرى إلى الدخول فى تكتلات وأحلاف لإعادة التوازن وهو أمر ـ أى التوازن ـ نظرى لايمكن أن يتحقق على أرض الواقع إذ لابد أن يختل الميزان هنا أو هناك وهو أمر يؤدى إلى مزيد من الفرز على الصعيد الدولى لتقوم تكتلات جديدة ومنازعات جديدة.

(ب) أما الوسائل التى تحقق التوازن فى تصور الدول فهى :

١ ـ سياسة فرق تسد.

٢ ـ سياسة فرض التعويض على الخصوم.

٣ ـ سياسة التسلح والتفوق فى السلاح.

٤ ـ التحالف.

٥ ـ المناطق العازلة (BUFFER ZONE).

٦ ـ التدخل وهو إما تدخل دفاعى لإعادة التوازن أو هجومى لإسقاط حكم معين لإعادة التوازن.

(جـ) توازن الرعب النووى :

وقد طبق التوازن فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تطور الأسلحة النووية وهى أسلحة دمار شامل وخاصة بعد تطوير نظام الصواريخ الحاملة للأسلحة ـ أو الرؤوس النووية.

ويعتمد التوازن النووى على الردع النووى المتبادل أى قدرة كل من الطرفين الأمريكى والسوفييتى على تدمير بعضها تدميرا شاملا ونهائيا فى حالة قيام الحرب النووية ومعنى ذلك لا غالب ولا مغلوب.

٤ ـ ويضاف إلى ذلك عدة عوامل أخرى أبرزها :

(أ) انفراد دولة بادارة شئون العالم وهو مايحدث مؤقتا فى عقد التسعينيات ممثلا بقوة الولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) تراجع نفوذ وفعالية الأمم المتحدة.

(جـ) ضعف وتراجع قوة ونفوذ المنظمات الأقليمية والدولية الأخرى.

(د) إهمال مصالح دول العالم الثالث الفقيرة.

(هـ) أن يكال فى تطبيق قواعد القانون الدولى بأكثر من مكيال وهو ماحدث بالنسبة للعراق وإسرائيل وكلاهما معتدٍ.

(و) أن تصبح التكتلات الاقتصادية والحروب التجارية بديلا عن التعاون من أجل الرخاء الذى تقوم به الوكالات الدولية المتخصصة.

(ز) أن يستمر النظام الدولى فى حالة - سيولة لمدة طويلة.

وقد حدث كل ذلك، ولذلك لا يمكن التنبؤ بشكل العلاقات الدولية فى المستقبل القريب ويصبح التشاؤم بديلا عن التفاؤل فى استشفاف المستقبل.

كلمة ختامية عن النظام الدولى الجديد:

١ - اثبت التاريخ أن العدوانية لابد وأن تنتهى، وهو ما حدث مع الإمبراطورية الرومانية ومع غزوات بونابارت ومغامرى الحرب العالمية الأولى والثانية، وهو مايحدث الآن مع النظام الإسرائيلى. لأن مفاهيم الإنسانية تعلو باستمرار وهذا يحدث الآن مع الولايات المتحدة الأمريكية التى تحولت إلى أكبر مستدين فى العالم. وبعد أن تدخلت الولايات المتحدة فى العراق

وفاء بمصالحها البترولية فى الخليج، فشلت فى الصومال وبدأت خطوات انسحابها، وفشلت فى الاقتراب من البوسنة وتركت المأساة كلها لأوروبا وللأمم المتحدة التى فشلت وتعثرت حتى الآن، والسبب أن العدوانية والقيادة المنفردة تكلف أموالا وأرواحا ولاننسى أن بوش فقد حملته الانتخابية لهذا السبب.

٢ - ونلمح من الآن التراجع الأمريكى عن الانفرادية لاسباب اقتصادية وداخلية ولذلك يمكن القول أن النظام الدولى الجديد لايزال يتشكل وأمامه احتمالات متعددة منها :

(أ) أن يظل متعثرا أو ملتصقا بانفرادية الولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) أن يتحول من جديد إلى نظام دولى بقيادة أوروبية - أمريكية وهو أمر يشكل انتكاسة كبيرة.

(جـ) أن يتحول إلى نظام دولى جديد حقيقة وذلك بتوسيع دائرة قيادة النظام وتواجد ممثلين لدول العالم الثالث، وهو أمر يشكل ثنائية منسجمة ومنطقية بين القيادة الجديدة وبين منظمة الأمم المتحدة.

(د) أن تتطور الأمم المتحدة لتحدث اندماجية ما بين قيادة النظام الدولى بشكلها العريض وبين تنظيمات الأمم المتحدة بعد التطوير لتصبح فى مواجهة حكومة كونفدرالية عالمية تسير وفق قواعد العدل والقانون.

القسم الرابع

النزاع العربى الإسرائيلى فى ظل المتغيرات الدولية

النزاع العربي ـ الإسرائيلى في ظل المتغيرات الدولية:

يشهد العالم فى الوقت الراهن قفزة إلى حل مشكلة طال أمدها وأصبحت من بؤر التوتر الشديد فى العالم المستعصية على الحل، وهى مشكلة النزاع العربى ـ الإسرائيلى، ولم ينتج الحل نتيجة عبقرية تفاوضية أو ضغوط عسكرية ولكن بسبب متغيرات دولية ضخمة أدت بشكل منطقى إلى التمهيد لحل القضية بشكل يبدو مفاجئا ولكنه فى الواقع محصلة طبيعية.

ومن خلال هذا التحليل سنضطر إلى تجاوز الكثير من المعلومات المطروحة التى أصبحت فى ذمة التاريخ لأن واقع المتغيرات قد تجاوزها، ولذلك فإن التحليل السياسى فى ظل المتغيرات الدولية التى شهدها العالم، ولايزال، إبتداء من عام ١٩٨٥ والتى اتضحت معالمها تماماً قبل أن يخطو العالم إلى سنوات التسعينيات، هذا التحليل لابد وأن يأتى جديداً ليتجاوز ماكنا نطلق عليه الثوابت، التى تجاوزتها المتغيرات وهذه هى سنة الحركة وسنة العلاقات الدولية.

وسنقوم بعرض الأفكار الرئيسية وفق التقسيم التالى :

●● المتغيرات الدولية ـ قفزة إلى المعلوم.

●●الأتحاد السوفييتى على رأس المتغيرات الدولية.

●●الانتفاضة الفلسطينية.

●● صيغة مدريد.

* * *

أولاً : المتغيرات الدولية ـ قفزة إلى المعلوم.

١ ـ تظهر المتغيرات الدولية واضحة مع تعدل الأستراتيجيات الكونية للقوى الدولية الفاعلة والقابضة على مسار العلاقات الدولية وهى استراتيجيات نجد عناصرها واضحة فى المصالح المتناقضة ومايصاحب ذلك من أحلاف وحروب وتوترات.

وبعد أن ظهرت الحركة الصهيونية ومشروعها الذى ردت به على حركة «التنوير» اليهودية التى انتشرت بين يهود العالم تحضهم على الاندماج فى المجتمعات المضيفة، نجدها قد وعت أهمية المتغيرات الدولية وضرورة الاستفادة منها، والارتباط بالقوى الدولية الفاعلة والقابضة على مسار العلاقات الدولية.

ولأن إسرائيل تعمل أداة للقوى الدولية الفاعلة وتتأثر تبعا لذلك بالمتغيرات الدولية فقد حرصت على دراسة وتتبع هذه المتغيرات حتى لا تتأثر الثوابت الإسرائيلية بهذه المتغيرات، والملاحظ هو تصاعد ونمو حركة الاتجاهات اليمينية المتطرفة فى إسرائيل كلما

ظهرت بوادر انفراج فى العلاقات الدولية تخوفاً من الأضرار بالثوابت الإسرائيلية وأبرزها الاحتفاظ بالأرض طريقاً إلى تحقيق الأمن.

٢ ـ ولعل أبرز دليل على وعى إسرائيل بأهمية دراسة والتعامل الذكى مع المتغيرات الدولية هو تحركها عقب الحرب العالمية الثانية ونجاحها فى إعلان الدولة اليهودية، ثم من بداية الخمسينيات قامت بزيادة ميلها إلى القوة الدولية الصاعدة ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ على النحو الذى نعرض له فيما بعد.

وعندما تصاعدت حركات التحرر الوطنى فى العالم العربى وخاصة بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢، ودخول حركات التحرر فى صراع طبيعى ضد القوى الاستعمارية والقوى المتحالفة معها، استقبلت هذا المتغير الذى كان يتهدد هدف الحركة الصهيونية التوسعى (من النيل إلى الفرات) ووظفت إمكاناتها متحالفة مع العالم الغربى، وتحولت إلى أداة الغرب وخاصة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

وأيضا نجد نموذج الاستغلال الإسرائيلى للظروف والمتغيرات، عندما انخرطت فى التآمر الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، واجتاحت سيناء مستغلة انشغال العالم وأمريكا خاصة بأزمة المجر.

وعندما أضطرت حركات التحرير الوطنى للتعاون مع الاتحاد السوفييتى والدول الأشتراكية بحثا عن السلاح والتعاون الاقتصادى، أستغلت إسرائيل هذا المتغير ولعبت على وتر التغلغل الشيوعى الذى يتهدد المصالح الأمريكية والغربية فى المنطقة، وكان لها أقصى

ماتريد بضربة ٥ يونيو ١٩٦٧ التى جاءت بتشجيع وتخطيط أمريكا موجه أساساً ضد التغلغل السوفييتى، وعندما حاولت الدول العربية اللجوء إلى سلطات مجلس الأمن حرصت الولايات المتحدة على عدم صدور قرار بالإنسحاب الفورى بل وافقت على إصدار قرار غير محدد تماماً وهو القرار ٢٤٢ حيث أصبحت الأراضى المحتلة رهينة بيد الولايات المتحدة وإسرائيل.

٣ - وجاءت حرب ١٩٧٣ بضربة مذهلة شتت مسلمات الأمن الإسرائيلية إلا أنها لم تترجم إلى مكاسب سياسية مما دعا الرئيس السادات إلى تعديل الاستراتيجية المصرية تعديلا كاملا من أجل دفع مشكلة الشرق الأوسط نحو الحل الدائم وهى استراتيجية قامت على الأسس التالية:

(أ) التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية بديلا عن التعاون مع الأتحاد السوفييتى.

(ب) الصلح مع إسرائيل.

(جـ) التعاون مع القوى المحافظة فى الداخل بعيداً عن القوى الناصرية واليسارية.

(د) إقامة النظام المصرى الجديد على أساس ديمقراطية التعددية والانفتاح الاقتصادى.

ورغم هذه الخطوة لم يحدث انفراج كبير بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط لأن الوجود السوفييتى فى المنطقة كان لايزال فاعلا واقتصر الأمر على سلام منفرد بين مصر وإسرائيل.

٤ ـ وعندما شهد العالم بداية السقوط السوفييتى تدريجيا منذ عام ١٩٨٥ والذى اتضحت معالمه تماماً مع نهاية الثمانينات بدأت الولايات المتحدة تعيد حساباتها وتعدل استراتيجيتها الكونية على هدى نهاية الحرب الباردة.

٥ ـ وقد شهد العالم متغيراً ضخما بقيام الولايات المتحدة بقيادة تحالف غربى تحت مظلة الأمم المتحدة وعدد من الدول العربية أبرزها مصر بطرد قوات الغزو العراقية من الكويت، وهنا تعالت صيحات المعارضين للتدخل الأجنبى لحل القضايا العربية ورفعوا شعار أن الولايات المتحدة تكيل بمكيالين، فهناك عدوان واحتلال عراقى للكويت، وهناك أيضا عدوان واحتلال إسرائيلى لأرض عربية، ولابد من حيث المنطق أن تعمل آلية حفظ السلام بشكل متساو مع الحالتين. وقد وعد الرئيس «بوش» وقتئذ بحل أزمة الشرق الأوسط بعد الانتهاء من أزمة الكويت وهو أمر عُرف باسم «الربط بين الأزمتين»، وفور انتهاء أزمة الكويت تحركت الدول العربية تطالب أمريكا بالوفاء بتعهداتها وهى تعهدات جاءت فى مصلحة أمريكا فى نفس الوقت لأنها كانت تئن تحت وطأة الأزمة الاقتصادية الدولية، وتبينت (وخاصة إبان حرب الخليج. وبعد زوال الحرب الباردة) أن التحالف مع إسرائيل وابقاء المشكلة دون حل أصبح مكلفاً ومحرجا فعمد الرئيس «بوش» إلى صيغة «مدريد» فى أكتوبر ١٩٩١ وهى صيغة تعبر عن واقع التسعينيات.

٦ ـ وكانت إسرائيل فى اتخاذ قراراتها تضع فى اعتبارها دائما

ضغوط ومتطلبات المتغيرات الدولية، وتضع نصب عينيها دائما عدة عوامل أبرزها :

(أ) مدى قدرتها على التعامل والتحرك داخل هذه المتغيرات.

(ب) قوة العرب ـ اقتصاديا وسياسيا ـ ومدى تأثير القوة العربية فى المتغيرات الدولية.

(جـ) مدى تأثير هذه المتغيرات على مصالح إسرائيل.

(د) علاقات إسرائيل بالتجمعات الأقليمية فى أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية نظراً لأن هذه التجمعات لديها مصالح خاصة مع كل مناطق العالم ومنها منطقة الشرق الأوسط.

(هـ) مكانة إسرائيل فى الاستراتيجية الكونية الأمريكية.

(و) علاقات إسرائيل مع يهود العالم.

٧ ـ وفى النهاية أفرزت المتغيرات الدولية بعض نتائجها فى عام ١٩٩٣ ومنها اتفاق المبادئ الفلسطينى ـ الإسرائيلى الذى نعود إليه فيما بعد والذى فرضته هذه الظروف والمتغيرات وقيادة الولايات المتحدة للفصل فى العلاقات الدولية فى هذه المرحلة على الأقل.

* * *

ثانيا: الاتحاد السوفييتي علي رأس المتغيرات الدولية.

١ ـ بعد الحرب العالمية الثانية خضع العالم لنظام ثنائى القطبية: أحد القطبين الولايات المتحدة والآخر الأتحاد السوفييتى، وقادت الولايات المتحدة العالم الغربى بمثله ونظمه الاقتصادية والسياسية فى مواجهة ضد المعسكر الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفييتى وأصبح العالم أجمع يتأرجح فى خضم الحرب الباردة.

٢ ـ وقد انحاز عدد كبير من دول العالم الثالث إلى المعسكر الاشتراكى رغم قيام تنظيم ثالث يجمع بين معظم هذه الدول تحت اسم «دول عدم الانحياز» وبات التهديد الشيوعى هو الشغل الشاغل للولايات المتحدة والعالم الغربى واحتل هذا البعد مكانا بارزا فى الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة الأمريكية.

٣ ـ وقد تأثرت الدول العربية تأثيرا سلبيا بسبب التعقب الأمريكى للنفوذ السوفيتى وهو أمر عطل إيجاد حل عادل ودائم لمشكلة النزاع العربى ـ الإسرائيلى، نظرا لتشابك المصالح ولقيام إسرائيل بتوظيف قدراتها فى المنطقة لخدمة المصالح الأمريكية والمصالح الإسرائيلية بطبيعة الحال.

٤ ـ وعندما أعلن «جورباتشوف» «البريسترويكا» عام ١٩٨٥ فاجأ العالم الذى لم يتمكن من هضم وفهم هذا المتغير الضخم الذى أدى إلى تفكك وسقوط الاتحاد السوفييتى، وأحدث هذا السقوط مع نهاية الثمانينيات دويا شديداً معلناً فى نفس الوقت سقوط بقية الدول الاشتراكية فى أوروبا.

٥ ـ وقد أدى ظهور هذا المتغير إلى بزوغ متغيرات أو دلائل أخرى منها :

(أ) انتصار النهج الغربى القائم على الديمقراطية الغربية وآلية السوق.

(ب) انفراد الولايات المتحدة ولو مؤقتا بإدارة شئون العالم.

(جـ) تنامى دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن بشكل خاص وظهر هذا واضحا إبان معالجة أزمة الغزو العراقى للكويت عام ١٩٩٠ وتثور بعض الشكوك حول استقلالية المنظمة الدولية خشية أن تتحول إلى أداة أمريكية.

٦ ـ وبسبب انتهاء الحرب الباردة بسقوط الأتحاد السوفييتى مضافا إليها تأثيرات الأزمة الاقتصادية الدولية أعلنت الإدارة الأمريكية عن تقليص ميزانياتها العسكرية.

٧ ـ وترتب أيضا على المتغير السوفييتى أن تكاتفت جهود القوتين: الأولى الولايات المتحدة، والثانية روسيا الأتحادية لحل كثير من المشاكل والنزاعات الأقليمية والدولية، فتم حل:

(أ) المسألة الناميبية.

(ب) وأخذت جنوب أفريقيا تتجه نحو الواقعية ببدء التخلى عن سياسة الفصل العنصرى.

(جـ) وانسحبت كوبا من أنجولا.

(د) والسوفييت من أفغانستان.

(هـ) وانتهت الحرب العراقية ـ الإيزانية.



ميخائيل سيرجوف جورباتشوف

من مواليد ١٩٣١ .

تولى منصب السكرتير العام الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى سنة ١٩٨٤ بعد قسطنطين تشرنكوف، وأصبح رئيسا للاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٩٠ .

يرتبط اسم «جورباتشوف» بمجموعة التغييرات والاصلاحات التى قام بها بعد كتابه «البيروسترويكا» ـ اعادة البناء ـ خاصة فى مجال السياسة الخارجية، والنظم الاجتماعية والاقتصادية السوفيتية مما أدى إلى انهيار الدولة المركزية.

وفى اصلاحات «الجلاسنوست» هدف جورباتشوف من خلال «المصارحة» إلى فتح مجال الحريات بكافة صورها وأشكالها من حرية الكلام إلى حرية الصحافة.

عالميا : سحب جورباتشوف القوات السوفييتية من أفغانستان، وانتهج سياسة منع التدخل فى شرق أوروبا ١٩٨٩ و ١٩٩٠، وأيد إعادة توحيد ألمانيا.

ونظرا لجهوده فى الداخل والخارج حصل على جائزة نوبل ١٩٩٠

أكبر المشاكل التى واجهته استمرار أزمة الاقتصاد السوفييتى وصعود الصراعات القوميه ومطالب الجمهوريات بالاستقلال بالاضافة إلى إستمرار القيادات البيروقراطية والعسكرية فى الحزب الشيوعى.

التاريخ وحده هو الذى سيحدد كنية هذا الرجل ومسئوليته عن الأوضاع التى أدت إلى تفكك الاتحاد السوفييتى وانحسار نفوذه وإنفراد الولايات المتحدة بإداره مقدرات العالم بأكمله، وموقفه السلبى فى الأزمة العراقية الكويتية بالرغم من وجوده معاهدة صداقة بين العراق والاتحاد السوفييتى.

(و) ثم أصبح ممكنا أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من حلفائها تحت مظلة الأمم المتحدة ودعم معظم الدول العربية بتأديب العراق وطرده من الكويت فى حملة «عاصفة الصحراء».

(ز) وأخيراً معجزة حل مشكلة الشرق الأوسط.

(ح) تضاف إليها معجزة سقوط حائط «برلين» وتوحيد ألمانيا وإنهاء حلف وارسو.

٨ ـ وترتب على المتغير السوفييتى أيضاً استنتاج أن يصعب على المراقب التنبؤ بشكل القوى الفاعلة على الصعيد العالمى فى المستقبل، لأن العامل الاقتصادى أصبح يتقدم على عامل القوة العسكرية .. ألم يسقط الأتحاد السوفييتى نتيجة الضغوط الاقتصادية ! !. وهنا نجد أمامنا من المرشحين لملء الفراغ الدولى! اليابان وألمانيا الموحدة وأوروبا الموحدة والصين، كما يمكن التنبؤ بتعاظم دور الكتل والتحالفات الأقليمية.

* * *

ثالثا : الانتفاضة الفلسطينية متغير كبير:

١ ـ باختصار شديد يمكن القول أن الانتفاضة الفلسطينية (ديسمبر ١٩٨٧) كانت مفاجأة شاملة أربكت مخططات إسرائيل وكان لها نتائج خطيرة.

٢ ـ وقد اعترف عدد من الخبراء العسكريين والسياسيين الإسرائيليين

فى ندواتهم وكتاباتهم بجملة حقائق عن الانتفاضة يمكن إجمالها فيما يلى:

(أ) إن الانتفاضة تعد حربا بالمعنى الفنى للكلمة ولذا يجب على الجيش الإسرائيلى أن يخرج منها منتصراً.

(ب) وأنها قد ألحقت بإسرائيل أضراراً تفوق تلك التى سببتها حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

(جـ) وأحدثت هزة كبيرة فى عدد من المفاهيم الأساسية التى ارتكزت عليها العقيدة الأمنية الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن.

(د) وقد فاجأت الانتفاضة قادة إسرائيل مما شكل قصوراً فى عمل جهاز المخابرات الإسرائيلية، وبذلك حرمت إسرائيل من ميزة المفاجأة - بل فوجئت هى - وهو أمر يعبر عن اهتزاز عنصر هام من عناصر الأمن الإسرائيلى.

(هـ) كما أدت إلى سقوط المفهوم الاستراتيجى الثانى وأحد الثوابت فى الأمن الإسرائيلى، أى مفهوم العمق الاستراتيجى، وهو المفهوم الذى دعا إسرائيل إلى التمسك باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، لابعاد المناطق كثيفة السكان فى الشريط الساحلى ما بين حيفا وتل أبيب - يافا عن نيران الجيوش العربية، وكان هذا المفهوم وراء قيام إسرائيل بنقل المعركة إلى الأراضى العربية، وفى ظل الانتفاضة انتقلت المعركة إلى قلب إسرائيل، وهى فعلا تعد حربا داخل إسرائيل نفسها.

(و) وكذلك أسقطت الانتفاضة مفهوم الأمن المرتكز على الاستيطان الذى تحول إلى عبء أمنى يستدعى حماية الجيش له ولخطوط مواصلاته.

(ز) كما أسقطت الانتفاضة مفهوم موازين القوى بأن جمدت وحيدت التفوق العسكرى الإسرائيلى وحرمت الجيش المحتل من استخدام التكتيكات العسكرية التقليدية وبذلك فقدت سياسة القبضة الحديدية قدرتها على المواجهة.

(ح) كذلك اهتز مفهوم المبادرة التى انتقلت إلى يد الانتفاضة.

(ط) وبعد كامب دافيد وخروج مصر من المعركة، اهتمت إسرائيل بميادين القتال المحتملة مع سوريا والأردن ولبنان، إلا أنها لم تعد نفسها لميدان معركة فى الداخل وهو أمر أحدثته الانتفاضة.

(ى) كما ضربت الانتفاضة مفهوم وممارسات التواجد العسكرى فى الداخل وأدت إلى كثافة التواجد العسكرى، أى استمرار حالة الحرب ومن ثم الاستنزاف الاقتصادى.

(ك) وحققت الانتفاضة تعاطفاً دولياً مع الشعب الفلسطينى لم تصل إليه أحداث فلسطينية سابقة، الأمر الذى يهدد بعودة عزلة إسرائيل وبعدها عن الرأى العام العالمى.

(م) وقد أدت الانتفاضة إلى تحرك الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة بعد وضوح السقوط السوفييتى، فتزايد اهتمام الولايات

المتحدة بمصالحها فى الشرق الأوسط (المنطقة العربية) بصياغة اتفاق ينهى لُب النزاع، وقامت بالضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات والاعتراف بفعالية القرارات الدولية، وقد أضطرت إسرائيل للإذعان تحت وطأة الضغط الأمريكى وضغط الانتفاضة والرأى العام العالمى.

وأذعن الجانب العربى ـ الفلسطينى بسبب غياب القطب الثانى وبسبب رغبة الجانب الأمريكى ـ وفاء بمصالحه ـ لإنهاء النزاع.

* * *

رابعا: صيغة مدريد:

١ ـ الخطوط العامة :

(أ) جاء بنص الدعوة التى وجهها الرئيسان «بوش» و«ميخائيل جورباتشوف» إلى الدول المعنية لحضور مؤتمر السلام الدولى فى مدريد ـ أكتوبر ١٩٩١، تصوراً عاماً مؤداه، أنه بعد مفاوضات مكثفة مع إسرائيل والدول العربية والفلسطينية تعتقد الولايات المتحدة والأتحاد السوفييتى بأن هناك فرصة تاريخية للعمل من أجل السلام الحقيقى فى كل المنطقة، وهما على استعداد لمساعدة الأطراف على تحقيق تسوية شاملة ودائمة وعادلة من خلال مفاوضات مباشرة تأخذ مسارين بين إسرائيل والدول العربية، وبين إسرائيل والفلسطينيين، وترتكز على قرارى مجلس الأمن (الأمم المتحدة) رقم ٢٤٢، ٣٣٨ وهدف هذه العملية هو سلام حقيقى.

(ب) ولن تكون للمؤتمر سلطة فرض حلول على الأطراف.

(جـ) وبالنسبة للمفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين الذين هم جزء من الوفد الأردني - الفلسطيني المشترك فستدور المفاوضات على مراحل تبدأ بمحادثات الحكم الذاتي المؤقت.

(د) وجاء بخطاب «جورج بوش» بالمؤتمر الذى انعقد فعلا فى ٣٠/١٠/١٩٩٣ فى مدريد :

- أن الهدف يجب أن يكون واضحا وصريحا، فهو ليس مجرد إنهاء حالة الحرب فى الشرق الأوسط، فهذا لا يكفى ولن يستمر، بل نص إلى السلام الحقيقى بمعنى: معاهدات أمن، وعلاقات دبلوماسية، وعلاقات اقتصادية، وتجارة واستثمارات، وتبادل ثقافى وسياحى.

- وما تسعى إليه الدول هو شرق أوسط لا تكرس موارده الضخمة للسلاح وللقتال.

- والسلام ليس حلماً ولكنه يتحقق نتيجة مفاوضات مباشرة وتنازلات وأخذ وعطاء ولا يمكن أن يفرض من الخارج.

- ولا يمكن للسلام أن يقوم على الوعود فقط، ويجب أن يقوم على توفر الأمن للجميع بما فى ذلك إسرائيل.

- كما يجب أن يقوم على العدل أيضا، لأن فى غيابه لن تكون هناك شرعية أو استقرار وهذا ينطبق قبل كل شئ على الشعب الفلسطينى الذى عرف كثير من أبنائه الاضطراب والاحباط.

(هـ) أما اسحق شامير (١) رئيس وزراء إسرائيل ورئيس الوفد الإسرائيلى فقد تعرض خطابه فى المؤتمر لموضوعات مطاطة تعكس رغبته فى الهروب من القضايا الحقيقية ونية فى المراوغة، ومثال ذلك :

١ - أنه بدأ خطابه بالدعاوى التاريخية لليهود وبالمظالم والمذابح التى التى تعرضوا لها فى كل القارات وآخرها على يد النازية فى ألمانيا.

٢ - وأن إسرائيل كانت تود مصادقة الزعماء العرب ولكنهم رفضوا الدولة الإسرائيلية وأدعوا أن أرض إسرائيل هى جزء من الأراضى العربية من المحيط إلى الخليج.

٣ - وقد مدت إسرائيل منذ قيامها عام ١٩٤٨ يدها إلى العرب بالسلام دون جدوى.

٤ - وأخيراً حدث انفراج فى سور العداء عام ١٩٧٧ عندما زار

---

(١) إسحاق شامير وزيراً للخارجية فى حكومة بيجين، وكان يبدو عليه فى كثير من الأحيان وكأنه يتحلى ببعض صفات الممثل، وكان قليل الكلام متفانيا فى تأييد بيجين إلى آخر الشوط.

إلا أن مظهر شامير كان يخفى وراءه شخصية قوية عنيدة مع قدرة على تحمل الصدمات. فقد نشأ وتعلم بين صفوف الحركة السرية اليهودية قبل قيام الدولة، حيث عمل قائدا رئيسياً للعمليات، ثم دانت له خبرة طويلة فى الموساد، وهى وكالة المخابرات الإسرائيلية السرية لما وراء البحار، فاكتسب من ذلك قدرة على الكتمان وضبط النفس والحذر والشك باعتبار أن هذه الصفات تشكل جزءاً من طبيعته الثانية. ولئن كان شامير جامداً جمود بيجين من الناحية الأيديولوجية فيما يتعلق بمستقبل يهودا والسامرة، إلا أنه كان مختلفا فى أسلوبه عن بيجين. وإذ كان شامير دمث الأخلاق لا يعرف الإدعاء ولا الزعامة الملهمة، وإذ كان صبوراً حسن الإصغاء، عملى الأسلوب بصورة تكتيكية، صعب الاقناع، ولكن مع التحلى بالرزانة، والتعامل معه مريحاً باعتباره رئيسا للوزراء فى الفترة من سبتمبر ١٩٨٣ إلى سبتمبر ١٩٨٤، ومرة أخرى ابتداء من أكتوبر ١٩٨٦ وطوال العامين الآخرين من فترة رياسة ريجان.

الرئيس المصرى أنور السادات «أورشليم» وكسر بذلك المقاطعة ضد إسرائيل.

٥ - وأن الاجتماع فى مدريد هو ثمرة جهود أمريكية متواصلة تقوم على مشروع السلام الذى قدمته إسرائيل فى مايو ١٩٨٩ والقائم بدوره على أساس اتفاقيات كامب دافيد، وبموجب مبادرة الولايات المتحدة، فإن هدف هذا الأتفاق هو البدء فى المفاوضات المباشرة بين إسرائيل وكل واحد من جيرانها، بإجراء مفاوضات متعددة الأطراف حول مواضيع إقلمية بين جميع دول المنطقة.

٦ - وسيكون من المؤسف لو تركزت المحادثات على موضوع الأرض لأن الأمر لا يتعلق قبل كل شئ على هذا الموضوع، وإنما الموضوع الأصلى هو الوجود الإسرائيلى، وإذا تركزت المفاوضات حول الأرض فسيكون هذا هو أسرع الطرق إلى الجمود.

(و) وجاء خطاب السيد حيدر عبد الشافى رئيس الوفد الفلسطينى فى مدريد ١٩٩١/١٠/٣١ مؤكدا أن :

١ - الشعب الفلسطينى يقف الآن بكل آلامه وتضحياته وعزته ورغبته الصادقة فى الحرية والعدالة والسلام.

٢ - وهو يقف شامخا تحت الإحتلال الإسرائيلى متجها بنظره إلى القدس عاصمة وطنه ودولته المرتقبة.

٣ ـ أن السياسة الرسمية لإسرائيل ليست الأرض مقابل السلام بل هى الأرض للاستيطان غير المشروع.

٤ ـ ولقد تمت قفزة كبيرة داخل المجلس الوطنى الفلسطينى فى نوفمبر ١٩٨٨ حيث أعلنت المنظمة مبادرتها للسلام على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨ وأعلنت الأستقلال الفلسطينى بناء على القرار ١٨١ للأمم المتحدة (قرار التقسيم).

٢ ـ تصورات فلسطينية (١) :

(أ) لم تكن الاستجابة لدعوة التفاوض فى مدريد هى الطريق الوحيد أمام الشعب الفلسطينى، لأن استبعاد أية خيارات أخرى يعنى الاستسلام وقبول الحد الأدنى الذى يقبله الطرف الآخر، والواقع كانت الخيارات أمام الفلسطينيين متعددة ومنها :

ـ تصعيد الانتفاضة وتطوير وسائلها، وتتضمن أيضا العودة إلى خيار الكفاح المسلح، ومع ذلك فإن خيار التفاوض كان الأبرز فى إطار زيارات وزير الخارجية الأمريكية «بيكر» للمنطقة، وانتهاء حرب الخليج بهزيمة العراق وإلصاق صفة الحليف للعراق المهزوم ومنظمة التحرير الفلسطينية، بالإضافة إلى رغبة م.ت.ف فى الخروج من الحصار وعدم الرغبة فى تحمل مسئولية فشل المسعى الأمريكى.

---

(١) مزيد من التفاصيل انظر: زياد أبو زياد، نقطة الإنطلاق الإسرائيلية، مجلة دراسات فلسطينية العدد (١٢) ١٩٩٢.

- وقد وضح داخل (م.ت.ف) تياران أحدهما يدعو إلى الاستمرار فى العملية السياسية والآخر يرى أنها سراب.

- ويرى فصل التفاوض أن الاقتصاد الإسرائيلى منهار وليس أمام إسرائيل لتجاوز هذه الحالة إلا حل الصراع مع العرب بشكل سياسى مما يفتح أمام إسرائيل أسواق العالم العربى ومعونات أوروبا وأمريكا واليابان.

- ويرى التيار الاخر أن (م.ت.ف) قد اضطرت إلى قبول شروط غير عادلة - إذعان - وكان هدفها تيسير عملية التفاوض حتى لاتجد حكومة الليكود ذريعة للهرب وتحميل المنظمة مسئولية الفشل. ويتوقع هذا التيار أن تتمخض المرحلة الانتقالية (للحكم الذاتى) إلى مجرد مفهوم للحكم الإدارى.

(ب) الخطأ الفلسطينى الكارثى:

- ويرى قسم من الفلسطينيين أن الخطأ الذى تسبب فيه الفلسطينيون أنفسهم هو موافقتهم على التوجه إلى مدريد فى أكتوبر ١٩٩١، بالشروط الأمريكية والشروط الإسرائيلية المجحفة التى تنتقص وتختزل الحقوق الوطنية.

- إن (م.ت.ف) كانت الطرف الأقوى لأن بدونها لايكون مؤتمرا للسلام وبدون حل مشاكلها لايمكن إقامة سلام دائم فى المنطقة، والآن وضعت نفسها فى مكان الطرف الضعيف وافقدت نفسها عناصر قوتها.

ـ وقد أدى إلى هذا الموقف الضعيف غياب الديمقراطية فى التعامل مع القضايا المصيرية وهو أمر يعكس نفسه سلبا داخل العلاقات الوطنية الفلسطينية.

(جـ) خطورة الفترة الانتقالية:

ـ والفترة الانتقالية هى الفترة التى تتوسط مرحلتين: الأولى هى الوضع القائم (الاحتلال والقمع)، والثانية هى المرحلة النهائية، والمفترض أنها الحكم الذاتى السياسى بكل ماتحتويه من حق تقرير المصير وإقامة الدولة. والوضع القائم هو نتاج تراكم إجراءات السياسة القمعية الإسرائيلية طوال ٢٥ عاماً منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن هدفت إلى خلق أمر واقع فى الضفة وغزة والقدس.

ـ وقد جاء المشروع الفلسطينى للفترة الانتقالية بحيث يتفادى الحساسيات الإسرائيلية بعدم إثارة موضوعات قد تجمد التفاوض، وبذلك شكل المشروع الفلسطينى تراجعاً عن المشروع الذى تقدم به الطرف الفلسطينى فى نهاية الجولة الرابعة. إن مقدمة المشروع تستخدم تعبيرات مختصرة ومطاطة تفتح الباب أمام تفسيرات عدة.

ومثال ذلك جاء بالمشروع الفلسطينى فى البند الرابع نصاً عن إنسحاب الحكومة العسكرية وقواتها، بشكل يجعل هذا النص غير قابل للتنفيذ لمصلحة الفلسطينيين لأنه أردف قوله: ويتم إعادة انتشارها ـ أى القوات الإسرائيلية ـ فى مواقع أمنية متفق عليها. وبالنسبة للبند

الخامس الخاص بالقدس فإنه يحمل تناقضا، فبينما يدعى النص سريان الاتفاق على القدس الشرقية، فإنه يضع مدينة القدس فى نفس الوقت خارج المفاوضات.

(د) وانتهت تحليلات الفلسطينيين إلى دروس عن التفاوض فى إطار صيغة مدريد مؤداها:

١ - أن م.ت.ف مستهدفة بوصفها إطاراً وهوية ورمزاً للتطلعات الوطنية للشعب الفلسطينى وليست مستهدفة من خلال أشخاصها.

٢ - أن العملية السياسية حققت بعض التقدم من حيث الآلية والأسلوب والعلاقة الإنسانية، ولكنها لم تحقق اقتحام المشكلات بشكل يؤدى إلى حلول ملموسة وعادلة ودائمة.

٣ - أن استمرار المشاركة الفلسطينية فى العملية السياسية أمر فى غاية الأهمية.

٤ - أن المجتمع الإسرائيلى يمر بمرحلة تغيير، وهو أمر موات ويفتح آفاقا جديدة.

٣ - تصورات إسرائيلية :

(أ) يرى الفلسطينيون أن «شامير» لم يكن ينوى الدخول فى التفاوض بشكل جدى، بل كان يستهدف إضاعة الوقت ودفع الفلسطينيين إلى الرفض ليخرج من اللعبة بعطف العالم ودعمه المالى. وقد أكد شامير بنفسه ذلك التصور بعد هزيمته الإنتخابية بالقول، بأنه كان ينوى الاستمرار فى التفاوض أكثر

من عشر سنوات يتم خلالها توطين أكثر من مليون مهاجر فى الضفة والقطاع ليصبح اليهود فيهما أكثرية، وقد فشل هذا المخطط بابتعاد شامير عن السلطة، وبفضل الذكاء الفلسطينى الذى دخل لعبة التفاوض وأصر فى نفس الوقت على إيقاف بناء المستوطنات.

- وعندما تولى رابين الحكم حاول السير على نهج شامير بالاستمرار فى بناء المستوطنات مع الإعلان عن إيقافها، ولم تفلح هذه الخطة نظرا لأن أمريكا كان بيدها إيقاف ضمانات القروض، وقدرها عشرة مليار دولار، وهى ورقة ضغط استخدمتها الولايات المتحدة بفعالية.

- ولأن إسرائيل تتعرض لأزمة اقتصادية ومالية طاحنة فإن السبيل أمام حكومة رابين للخروج منها هو بالموافقة على تحقيق تقدم فى العملية السياسية بفتح الباب أمام تدفق المال لإسرائيل وإتاحة الأسواق العربية وغيرها أمام المشروعات الإسرائيلية.

- وقد بدأت إسرائيل تفيق من وهم التوسع وابتلاع الأراضى والسكان لأنها أدركت بعد أن أدرك العالم أن الشعب الفلسطينى حقيقة لا يمكن تجاهلها. وأن استمرار السيطرة على القطاع والضفة سيؤدى إلى تدمير الاقتصاد الإسرائيلى المريض وإلى تهديد أمن إسرائيل داخل إسرائيل نفسها.

(ب) الخيارات الإسرائيلية:

إن الانتفاضة الفلسطينية والتوازن السكانى الفلسطينى قد نسف مقولة استسلام الفلسطينيين للأمر الواقع، وكان على إسرائيل أن

تبحث عن أسلوب يلقى عن كاهلها مسئولية إدارة السكان العرب دون المساس بالسيطرة العسكرية أو بحق الاستيطان، وهذا الأسلوب يقود حتما إلى الحكم الذاتى، ولكن خيار إسرائيل لاينحصر فى تقديم فكرة الحكم الذاتى الفلسطينى بل فى كيفية تحديد تفصيلاته وهنا تبدأ المخاطرة.

- وأول المخاطر هو احتمال تعرض علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة لبعض الضرر إذا تعنتت بشأن مفردات الحكم الذاتى وخاصة أن أهمية إسرائيل الاستراتيجية لأمريكا الآن محدودة.
- وثانى المخاطر هو صعوبة حماية المستوطنات المزروعة داخل الأرض المحتلة بعد قيام الحكم الذاتى.
- إن الحكم الذاتى - وهو ثالث المخاطر - سيتمخض عن حق تقرير المصير الذى تقوم دول العالم بدعمه وهو أمر يؤدى حتما وبالضغط الدولى إلى قيام دولة فلسطين.
- ورابع المخاطر أن العملية التفاوضية متى انطلقت فلن تتوقف لأن هذا الأمر فى مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية ومصلحة العالم أجمع ،وهو أمر يتناقض مع المصالح الإسرائيلية التى تريد أن تعطى القليل وتأخذ الكثير، وظروف العالم الراهن لم تعد تسمح لإسرائيل بحرية كبيرة فى المناورة.

٤ - تصورات أمريكية:

(أ) منذ بداية حرب الخليج - الكويت - أرادت الولايات المتحدة تحقيق عدد من الأهداف منها:

ـ ضرب القوة العسكرية العراقية المتمردة.

ـ وضع السعودية ودول الخليج تحت مظلتها.

ـ إرهاب دول المنطقة حتى تخضع للهيمنة الأمريكية.

ـ محاولة الخروج من الركود الاقتصادى الأمريكى بالتمسك، ودعم زعامة الولايات المتحدة للعالم الرأسمالى بشكل خاص والعالم أجمع عامة.

(ب) وعقب حرب الخليج ١٩٩١ وسقوط الأتحاد السوفييتى، أعلنت الولايات المتحدة أنها ستعمل على إقامة سلام إقليمى فى الخليج، وإيجاد تسوية سلمية للصراع العربى الإسرائيلى، وفرض قيود جديدة على تصدير الأسلحة إلى الشرق الأوسط، وتحقيق تنمية اقتصادية لدول المنطقة.

(جـ) وقد حددت الولايات المتحدة رؤيتها بالنسبة لمناخ التغيير فى الشرق الأوسط وفقا لما يلى:

١ ـ الأمن الأقليمى : تعزيز الوجود العسكرى الأمريكى البرى خاصة، وتخزين الإمدادات بالمنطقة، وإجراء مناورات مشتركة، وتقديم ضمانات أمريكية لدول الخليج، وتخفيض مبيعات الأسلحة التقليدية، والتطبيق الصارم لقرارات الأمم المتحدة بنزع الأسلحة العراقية ومراقبتها.

٢ ـ مراقبة التسلح: ومنها بذل المساعى للحد من التسلح، وبدلا من ذلك وجود تدابير فعالة لبناء الثقة المتبادلة.

٣ ـ التنمية الاقتصادية: تخفيف حدة الفقر، وإعادة توجيه الأموال الأمريكية نحو البرامج الاجتماعية بدلا من البرامج العسكرية.

٤ ـ تشجيع التغيير السياسى: بمعنى دعم حقوق الأفراد ودعم الديمقراطية.

(د) نتائج عامة لدراسات أمريكية:

١ ـ أول هذه النتائج تقول بأن على الولايات المتحدة أن توسع من دائرة اهتمامها لتشمل دولا أخرى فى الشرق الأوسط إلى جانب إسرائيل والدول العربية.

٢ ـ وثانى هذه النتائج أن الولايات المتحدة تجد فى مصر والسعودية وإسرائيل وتركيا حلفاء فى المنطقة يرجحان كفة النفوذ الأمريكى.

٣ ـ وثالث هذه النتائج أن منطقة الشرق الأوسط لم تعد ساحة نزال بين عملاقين ومع ذلك فلابد من تأييد المصالح الأمريكية الحيوية فى هذه المنطقة.

القسم الخامس

اتفاق المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي

(أوسلو ١٩٩٣)

أولاً: اتفاق المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي

الثمرة الأولي لصيغة مدريد:

(الاتفاقية ـ الدلالة والأهمية والنتائج)

(أ) مضمون الاتفاقية:

توفر الاتفاقية الفلسطينية الإسرائيلية الجديدة بداية للإدارة المحلية الفلسطينية فى قطاعين هما غزة وأريحا، وما قد يلى ذلك من قطاعات أخرى، على أن تترك بقية الدولة فى يد حكومة إسرائيل وجيشها. بمعنى أن الأرض ومصادر المياه والطرق والسيادة تظل فى يد إسرائيل، بينما يكون للفلسطينيين مسئولية التعليم والصحة وخدمات البريد والثقافة الخاصة بهم، ولكن بدون أدنى رقابة أو سيطرة على الأرض.

(ب) دلالة الاتفاقية :

لا يتعدى الاتفاق الثنائى للاعتراف بدولة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، والذى تم التوقيع عليه فى ١٣ سبتمبر الماضى فى واشنطن، كونه حدثاً تاريخياً ينهى صراع ثلاثة قرون وتجاهل دور ومسئولية منظمة التحرير الفلسطينية عن الشعب وحقوقه السياسية.

ومع ذلك وبعكس تقارير الولايات المتحدة فإن هذه الخطوة لا تمثل حدثاً جديداً أو خطوة جديدة للمنظمة، لأنها بالفعل قد وافقت على تقسيم فلسطين واعترفت بوجود إسرائيل فى ١٩٨٨ فى حين لم توافق إسرائيل أو الولايات المتحدة على ذلك. أما فى الوقت الراهن فإن إسرائيل قد وافقت جزئياً على التعايش مع منظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها، ولكن ليس بالدولة الفلسطينية فى حد ذاتها.

(جـ) الصعوبات المصاحبة لتوقيع الأتفاقية :

قالت الصحافة الأجنبية إن المفاوضات بدأت صباحا فى القاهرة قبل توقيع الأتفاقية، وأنتهت إلى أن حجم أريحا سوف يظل مفتوحاً للمناقشة إلى جانب دور الفلسطينيين فى «كوبرى اللينبى» فى الأردن ومنفذ رفح بين قطاع غزة ومصر.

وعند توقيع الأتفاقية رفض ياسر عرفات التوقيع على الخرائط لأنه تصور إنها خرائط نهائية بدون مناقشتها وقياسها. أما الإسرائيليون فقد أرجعوا ذلك إلى رغبة ياسر عرفات فى فتح باب المناقشات مرة أخرى.

وقد انقذ «وارن كريستوفر» وزير الخارجية الأمريكى الموقف عندما طلب استراحة لمدة خمس دقائق، وبعدها كانت المشكلة قد تم حلها بعد أن عرض رابين كتابة خطاب يضمن فيه مناقشة مسألة الخرائط ووافق عرفات على هذا الحل.

(د) أهمية توقيع الاتفاقية :

أصبح توقيع الأتفاقية بعد سنوات من الخوف والمشاحنات أمراً واقعاً، ويجب أن يعلم الفلسطينيون أن حريتهم أمر مرهون بالأمن الإسرائيلى.

وعزا بعض الكتاب توقيع الأتفاقية إلى إدارة بوش وكلينتون واللتين أوعزتا لإسرائيل بعدة مسارات غير سياسية ولم تكن ظاهرة من قبل، وهوما فشلت بريطانيا فى تحقيقه فى الهند، أو فرنسا فى الجزائر، أو هولندا فى أندونيسيا، أو الأتحاد السوفييتى فى أفغانستان، أو أمريكا فى فيتنام وجنوب أفريقيا.

وتعطى عملية السلام لإسرائيل فرصة استعادة مكانتها الديمقراطية، فليس من الديمقراطية فى شئ أن تحكم دولة ١٫٨ مليون شخص من أمم مختلفة دون المساواة بينهم كمواطنين أو إعطائهم الفرصة لتطبيق العدالة الخاصة بهم.

وكما كانت الحقيقة واضحة فى عام ١٩٤٨، فإنها واضحة أيضا فى عام ١٩٩٤ حيث أن الفلسطينيين والإسرائيليين يمكنهم إقامة علاقات متبادلة عن طريق التعايش السلمى جنبا إلى جنب فى مناطق منفصلة ذات اقتصاد متكامل.

أما من ناحية مدى تأييد الأتفاق من الجانب الإسرائيلى فيمكن القول بأن اسحاق رابين يبدو أنه لا يحظى إلا بأغلبية بسيطة وهى تكفى لإتخاذ القرارات فى النظم الديمقراطية.

وفيما يختص بالدور الذى تلعبه المساعدات الأمريكية

الاقتصادية فى الجبهة الإسرائيلية السورية فإنه ليس من المتوقع أن تقدم أمريكا معونات ضخمة لاى من الأطراف حتى تحثهم على التعايش، أما فى حالة سوريا فيمكن تنظيم مجموعة من مانحى المساعدات والذين يقدمون قروضاً ومساعدات تجارية وفنية إذا ألتزمت بالسلام.

٢ - أبرز نتائج الأتفاقية :

من أبرز النتائج الإيجابية أنها المرة الأولى التى توافق فيها إسرائيل على التفاوض مع الفلسطينيين بشأن التخلى عن الأراضى الفلسطينية وهى مرحلة تتعدى كامب دافيد والتى لم تتضمن أى ذكر للإنسحاب.

أما فى حالة فشل الاتفاقية فقد يمكن إرجاع السبب فى عدم قدرة الفلسطينيين على مواجهة المشاكل والتحديات اليومية التى تطرأ نتيجة الحكم الذاتى، إلى جانب عدم قدرتهم على فرض القانون والمضى فى مرحلة التنمية الاقتصادية .. إلخ، وهذه المشكلات دائما ما تواجه من ليس لهم الخبرة فى الحكم الذاتى وليس لديهم موارد كافية لاستغلالها. ولكن العالم يعتقد أن ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية سوف يواجههون التحدى والذى لن يكون هينا.

أما بخصوص كيفية الربط بين مراحل الأتفاقية الأولى ومرحلة السلام الكامل فيمكن القول بأنها سوف تبدأ بعد سنتين بما فى ذلك بقية الضفة الغربية.

ومع ذلك ليس هناك مايؤكد نجاح عملية السلام فى هذه المرحلة فهى تعتمد على قوة القادة واتخاذهم لقرارات صارمة. وإذا ما اختفى أحد القادة من الصورة فسوف تثور العديد من التساؤلات، وعلاوة على ذلك فإن هناك عمليات عنف قد تؤثر فى عملية السلام ولكن ومن الناحية التاريخية يبدو أن الخلاف العربى الإسرائيلى قد تقلص على مر السنين.

٣ - (أ) تكييف اتفاق رابين عرفات :

يقترب اتفاق رابين وعرفات فى صورته من خطة «آلون» فهو يدور حول السلطة المحلية للفلسطينيين فى مناطق كثافة السكان الفلسطينيين، والتى تقدر بحوالى ١٢ ٪ على الأكثر من فلسطين، وتترك الحالة النهائية لهذه الأرض غير محددة ومن ثم يصبح الفلسطينيون شريكاً ضعيفاً بلا أرض زراعية أو تحكم فى موارد المياه.

(ب) المصالح الفلسطينية والإسرائيلية فى السلام :

يرى الكثيرون أن العرب والفلسطينيون على وجه الخصوص إذا لم يشعروا أن عملية السلام سوف تؤدى إلى حل سياسى لإستقرار الدولة فإنهم سوف يرجعون إلى حمل السلاح لتحقيق مافشلت الأتفاقية فى تحقيقه.

من ناحية أخرى، فإن إسرائيل إن لم تشعر بالأمان فإنها لن تتورع عن إخضاع أراض أخرى فى الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان للوصول إلى السلام، بل قد تذهب إلى أبعد من ذلك وتعارض فى مد فترة الحكم الذاتى الفلسطينى.

ولقد قال رابين صراحة «إنه بدون أمن إسرائيل وأمل جديد للفلسطينيين فى المستقبل والدولة المستقلة التى يأملون فى قيامها بعد خمس سنوات، أما إسرائيل فهى تركز على طريقة تحقيق السلام وقتيا أو فى الوقت الراهن على الأكثر.

وترى صحيفة «الميدل ايست» فى تحليلها أن الفلسطينيين دائماً مايبحثون عن الكرامة الفلسطينية والاستقلال. أما رابين فهو يرى أن منظمة التحرير الفلسطينية لاتسعى إلا للحصول على الأعلام والطوابع وغيرها من الرموز أكثر من الحكم الحقيقى. وتتساءل الصحيفة عما إذا كان الفلسطينيون قادرون على حكم المنطقة وتوفير التعليم والرعاية الصحية والوظيفة .. إلخ.

وقال «سفيان أبوزيد» أحد قادة فتح للتليفزيون الإسرائيلى: «إن منظمة التحرير الفلسطينية غير جاهزة للحكم فى المنطقة بين يوم وليلة، ولكنها تحتاج إلى ثلاثة أسابيع لتعيين البوليس الفلسطينى، وثلاثة أشهر لتحديد الهيكل الحكومى والتنظيمى للدولة، ليس لأننا عرب وأنتم إسرائيليون ولكن لأنكم دولة ونحن منظمة مبعثرة أفرادها فى العديد من الدول.

٤ ـ أهمية الدور المصرى فى دفع عملية السلام :

أعرب الرئيس كلينتون أن مصر عملت دائماً كشريك دائم فى عملية السلام منذ أمد بعيد وأنها تمثل شريكاً هاماً فى عملية استقرار الشرق الأوسط. وقد كانت آخر جهود مصر البارزة كشريك للولايات المتحدة الأمريكية أثناء عملية عاصفة الصحراء فى حرب الخليج.

ويعتبر الرئيس مبارك وهو فى فترة رئاسته الثالثة زعيما يمتلك الشجاعة والتصميم لبناء وإصلاح الاقتصاد القومى من أجل القضاء على البطالة وفتح الأسواق الحرة وهى عملية حيوية للشعب المصرى.

وعلى صعيد الشرق الأوسط ساعدت مصر وحكومتها إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية للوصول إلى اتفاق ١٣ سبتمبر ومن ثم تحول الحلم إلى حقيقة.

وفى المرحلة القادمة تسعى الولايات المتحدة للتفاوض مع الرئيس مبارك وبعض الرؤساء العرب لمساعدة العالم العربى فى خلق جو جديد من التحاور والتعايش مع إسرائيل.

* * *

ثانيا: اتفاق المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي ونظرة علي المستقبل:

أولا: اتفاق المبادئ الفلسطينى - الإسرائيلى (غزة - أريحا أولا)

١ - يخطئ من يظن أن اتفاق المبادئ الفلسطينى - الإسرائيلى هو ابن اللحظة أو محصلة تآمر جديد، لأن الحقيقة أن هذا المشروع الذى اشتهر ببعد واحد فقط وهو اتفاق (غزة - أريحا أولا) وغيره من المشروعات المرتقبة لإنهاء الصراع الطويل فى الشرق الأوسط هو نتاج الظروف التى نعيشها والتى لم تأت من فراغ، وإنما هى الأخرى أتت من خلال عملية تراكمية طويلة انتهت إلى الصورة الدولية التى نعيشها الآن. والاتفاق يعد إتفاقا دولياً لأنه لم يأت

نتيجة إرادة فلسطينية وإسرائيلية فحسب ،بل جاء من تحت عباءة قيادة النظام الدولى - الولايات المتحدة الأمريكية - وفق تصوراتها وشروطها بشكل لايدعو أى طرف إلى الرفض.

٢ - وبما أن هذا الأتفاق يأخذ صفة الدولية، لذا يحسن أولا تتبع الظروف والمتغيرات التى تم فى ظلها الأتفاق ونوجزها على النحو التالى:

(أ) الظروف الدولية أبرزها سقوط الأتحاد السوفيتى، وتراجع أهمية إسرائيل تبعا لذلك، وزيادة ضغوط الأزمة الأقتصادية الدولية على الاقتصاد الأمريكى بما يؤدى إلى إعادة النظر فى التزامات ومساعدات الولايات المتحدة خارجيا ورغبة الولايات المتحدة فى ضمان أمن أسرائيل وأمن حلفائها وأصدقائها الجدد فى المنطقة بأقل التكاليف. ورغبة دول أوروبا واليابان فى تسكين وإنهاء النزاع العربى الإسرائيلى الذى يؤثر سلبا فى مصالحها.

(ب) أما الظروف العربية فأبرزها التأثير السلبى الذى أحدثه الغزو العراقى للكويت على التضامن والثقة فى العالم العربى، وهو أمر أدى الى مزيد من التمزق والشعور بالمرارة بما يعقبه من بطء فى الحركة والحذر الشديد عند التعامل مع الأحداث.

(جـ) ونصل إلى الظروف الفلسطينية وأهمها الخطأ الواضح فى حسابات المنظمة بالنسبة للغزو العراقى للكويت وبعض نتائجه كان عزلة نسبية للمنظمة وحرمانها من دعم مالى كبير وخاصة من دول الخليج، بالأضافة إلى أن منظمة التحرير كانت قد حرمت من دعم قوة كبرى تراجعت أهميتها - الأتحاد

السوفيتى - ومن دعم دول العالم الثالث التى أخذت تسقط الواحدة تلو الأخرى فى مشاكلها المالية والسياسية، ووجدت المنظمة نفسها وحيدة إلا من الأنتفاضة الشعبية بالأضافة إلى التنسيق الذى قدمته الدبلوماسية المصرية.

(د) وأخيرا نصل إلى الظروف الإسرائيلية التى أخذت تدفع بحكومة إسرائيل نحو التسوية، ومنها تدنى أهميتها الأستراتيجية والتغيير فى الرأى العام الأسرائيلى ليؤيد السلام، وضغوط الأزمة زادت من حالة عدم الأمان لدى المواطن الإسرائيلى، ونقلت المعركة إلى قلب إسرائيل، ويضاف إلى ذلك تراجع إسهامات الجاليات اليهودية فى الخارج وتأييدها لبناء سلام عادل ودائم، وأخيرا نجد إسرائيل تواجه عنصرا جديدا متناميا داخل العالم العربى وداخل الأراضى المحتلة، وهو ضغط القوى الأصولية الإسلامية وتزايد دورها - حماس - فى قيادة العمل الفلسطينى، وهو أمر يعنى مزيد من التطرف فى محاربة إسرائيل، وهو أمر يدعو إلى التعامل مع جهة مدنية أكثر لينا وهى منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة تنظيم فتح.

٣ - وبالنظر إلى اعلان المبادىء حول ترتيبات الحكم الذاتى الأنتقالى للفلسطينيين الذى وقع يوم ١٩٩٣/٩/١٣ نجده قد جاء أكثر من مجرد حكم ذاتى وأقل من درجة الأستقلال ويمكن إبراز أهم جوانبه على النحو التالى:

(أ) إن المفاوضات الاسرائيلية - الفلسطينية هدفت إلى جانب أمور أخرى إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية بمجلس منتخب فى الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية لاتتجاوز

خمس سنوات، تؤدى إلى تسوية دائمة على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ـ ٣٣٨، ومن مفهوم أن الترتيبات الانتقالية هى جزء لا يتجزأ من عملية السلام الشامل .

(ب) ستجرى انتخابات وفق المبادئ الديمقراطية لانتخاب المجلس الفلسطينى تحت اشراف ورقابة دولية، فى الوقت الذى تقوم فيه الشرطة الفلسطينية بالحفاظ على النظام العام، وسيكون للمجلس ولاية على الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء قضايا سيتم التفاوض بشأنها لا حقا .

(جـ) وتبدأ مرحلة السنوات الخمس الانتقالية فور الانسحاب من غزة ومن منطقة أريحا، وتبدأ مفاوضات الوضع الدائم فى أسرع وقت لا يتعدى السنة الثالثة .

(د) وتشمل المفاوضات المتبقية بما فى ذلك القدس واللاجئين والمستوطنات والترتيبات الأمنية والحدود والعلاقات والتعاون مع الجيران وقضايا أخرى ذات اهتمام مشترك .

(هـ) ولدى دخول إعلان المبادئ حيز التنفيذ والانسحاب من غزة وأريحا يتم نقل السلطة من الحكومة العسكرية الاسرائيلية إلى الفلسطينيين .

(و) سيحدد الأتفاق الانتقالى السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية للمجلس الفلسطينى .

(ز) يدعو الطرفان كل من الأردن ومصر للمشاركة فى ترتيبات التعاون بين حكومة إسرائيل والممثلين الفلسطينيين من جهة، وبين حكومتى مصر والأردن من جهة أخرى .

(حـ) سيتم الإنسحاب الإسرائيلى من القطاع وأريحا .

(ط) تعتبر كل البروتوكولات الملحقة بالأتفاق جزء لا يتجزأ منه .

٤ ـ وهناك عــدد من الملاحظات فى هذه الظروف التى يمر بهـا الشعب الفلسطينى وأبرزها :

(أ) أن أتفاق « غزة ـ أريحا أولا » لم تعلن كل مستنداته حتى الآن ليتسنى قراءته بشكل متأنى، وبالاضافة إلى أن الأهمية إنما تتركز على سلوك الأطراف المعنية أكثر من صياغة ومواد الاعلان. وعموما فالاتفاق بوضعه الحالى يعد بداية جيدة من أجل تحـقـيق أهداف الشـعب الفلسطينى وبناء لبنة الدولة الفلسطينية .

(ب) ونلاحظ هنا أن الأتفاق قد حظى بتأييد معظم الشعبين الفلسطينى والاسرائيلى، وغالبية الدول العربية وكل الدول الأوروبية والأمريكية الشمالية ، ومع ذلك فقد لاقى الاتفاق تحفظا من قلة من الدول العربية واحدة أو اثنين، ومعارضة من بعض القوى الفلسطينية وأبرزها « حماس » التى تمثل القيادة الأصولية داخل العمل الفلسطينى، وعموما فان الاتجاهات الأصولية الاسلامية ومنها « حماس » فى الأرض المحتلة والإخوان المسلمين فى مصر قد أعلنت رفضها للاتفاق، كما انضم إلى هذا الاتجاه الحزب الناصرى فى مصر .

(جـ) وهناك تخوف محدد من أن يؤدى هذا المشروع إلى حرب أهلية فلسطينية، وقد يكون هذا الأمر فى حسابات الحكومة الاسرائيلية بحيث يتم القضاء على الانتفاضة من داخل القوى

الفلسطينية نفسها وهو ما يشبه سياسة الفتنمة (نسبة إلى فيتنام) والتى اتبعتها الولايات المتحدة في حوالى منتصف السبعينيات للخروج من مستنقع فيتنام بأقل التكاليف البشرية .

(د) كما يجرنا هذا الأمر إلى التخوف من أن تعمد إسرائيل إلى تحويل هذا الاتفاق - عند تعدل الظروف الدولية - من « غزة - أريحا أولا» إلى « غزة - أريحا أولا وأخيرا» ، بمعنى أن يتحول الاتفاق إلى « جيتو» فلسطيني أو إلى ابقاء وضع قائم لا يتغير (Staus Qva) يقضى على آمال الفلسطينيين .

(هـ) ويتطلب هذا الاتفاق لإنجاحه تعقل الأطراف الفلسطينية وامتناعها عن الاقتتال وحشد طاقاتها لانجاح نموذج الحكم الذاتى ، لتتطور إلى حكم ذاتى كامل ثم إلى دولة فلسطينية ، وكذالك يتطلب الأمر عدم ترك الدول العربية للادارة الفلسطينية لتواجه قدرها بمفردها دون دعم مالى وسياسى ، وكذلك يتطلب الأمر استمرار التنسيق المصرى - الامريكى ، والخليجى الأمريكى ، من أجل ضمان عدم إقدام إسرائيل العمل أو إسرائيل - الليكود ، على إهدار هذا الأتفاق استمراراً لسياسة إسرائيل فى استغلال الظروف لصالحها .

(و) وأخير يجب الحذر بالنسبة لما نص عليه الاتفاق من تعاون بين كل من إسرائيل والفلسطينيين مع الدول المجاورة (الأردن ومصر) أى بالنسبة لأريحا وغزة ، وهذا الحذر يتجه نحو إسرائيل وما قد تكون رتبته ليتحول هذا التعاون إلى إطار كونفدرالى للضفة مع الأردن ولغزة مع مصر وبهذا تنهى إسرائيل الحق الفلسطينى فى إقامة دولة لكل الفلسطينيين .

ثانيا : نظرة على المستقبل :

١ ـ اقتنعت معظم الأطراف نتيجة استمرار النزاع لفترة طويلة وتأثيره الضار على مجمل العلاقات الدولية بأن التفاوض أخذ يطرح نفسه فى عالم اليوم بديلا عن المواجهة، وأن فى هذا التعاون مصلحة ورخاء للجميع، بشرط قيام سلام عادل و دائم. ونقصد بالأطراف: أمريكا وأوروبا واليابان والدول العربية واسرائيل والمنظمة، وقد جاء هذا الاقتناع نتيجة المتغيرات الدولية والعربية والمحلية، مما أقنع الأطراف بضرورة الأتفاق بعيدا عن التطرف فى الرأى وفى المطالب، والتخلى عن الثوابت التى كانت تعطل الأتفاق أو تحقيقها على مراحل على أقل تقدير.

٢ ـ وكان من الطبيعى أن يخرج الأتفاق من عباءة الولايات المتحدة الأمريكية ويتم التوقيع على أرضها فى ١٣ / ٩ / ١٩٩٣ بحضور جمع غفير يضم حشد كبير، منهم أعضاء الكونجرس الأمريكى وهو أمر يظهر تأييد السلطة التشريعية الامريكية للأتفاق .

٣ ـ وكانت الظروف الدولية والعربية والمحلية هى الصانع الأساسى للأتفاق ـ كما سبق أن قلنا ـ ولذلك لا يمكن دفع الفلسطينيين الموقعين أو نظرائهم الإسرائيليين بالتخلى عن القضايا، وذلك لأن الظروف قد تغيرت والمرفوض فى الماضى أصبح مقبولا فى الحاضر، والسياسة فى النهاية هى فى الممكن وليس عمل المستحيل .

٤ ـ ومناخ العالم الآن يدل على أن القوة العسكرية لن يكون لها وحدها القول الفصل فى المستقبل، ألم يسقط الأتحاد السوفييتى لأسباب اقتصادية وثورة « الصين » لأسباب اقتصادية وتتحد ألمانيا لدوافع اقتصادية ويعلو شأن اليابان لأسباب اقتصادية !!! وقد يؤدى هذا الموقف ـ التسوية الشرق أوسطية ـ إلى اندفاع الشرق الأوسط نحو تحقيق التعاون الاقتصادى فى اطار سوق شرق أوسطية تحت المظلة الامريكية وبتعاون من أوروبا واليابان .وهنا لا يجب على العرب أن يتحولوا إلى مجرد توابع بل لابد أن يكون هدفهم هو اللحاق بركب التقدم الاقتصادى تحقيقا للقوة الفعلية لهذا العصر .

٥ ـ وهناك من المحاذير ما يتصل بمناورات إسرائيل التى رضخت لقانون المتغيرات الدولية ولربحية فائدة النظام الدولى الراهن، وقد تحاول الالتفاف حول الجميع لمنع اكتمال أركان الأتفاق لأن « الطبع يغلب التطبع» وفقا للمثل العربى المعروف .

٦ ـ وهناك احتمال أن تندفع اسرائيل وراء غريزتها المالية والاقتصادية لتقتنص الفرص للمضاربة وجمع المال والخروج بنصيب الأسد من مجال التعاون الشرق أوسطى، وهذا سيجرها إلى الاسترخاء وفتح أبوابها أمام المغامرين وطلاب المتعة، وهى أمور لصيقة بالمجتمعات التجارية المتقدمة مما قد يحولها فى النهاية إلى نموذج « موناكو » فى الشرق الأوسط .

٧ ـ والأحتمال المقابل أن تقوى شوكة اسرائيل وتضعف قوة العرب وهو أمر ليس بيد إسرائيل وحدها بل سيتحمل العرب وزره قبل غيرهم .

٨ ـ وكلمة أخيرة وهى أن المد الأصولى الإسلامى فى العالم عامة وفى الشرق الأوسط خاصة قد أصاب الولايات المتحدة وإسرائيل بالقلق لأن التعامل مع الأصولية لن يكون سهلا. ودليل على عمق هذا القلق أن منظرى الاستراتيجية الأمريكية يبحثون عن «العدو» بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، لأن أى قطب يدير شئون العالم لا يمكن أن يعمل دون تواجد «العدو» وقدحاول المنظرون أن يجدوا ضالتهم فى الاصولية الاسلامية الصاعدة، ولاشك أن هذا الأمر كان فى خلفيته وفكر صانعى القرار فى الولايات المتحدة ومستقبلى القرار على الجانبين العربى والاسرائيلى، وهو أمر عجل بالوصول إلى صيغة مقبولة. وعموما فان التصور الأمريكى هذا ـ عن الأصولية ـ خاطىء وخطر، وعلى العالم الاسلامى العمل على تصحيحه بالأسلوب التنويرى.

* * *

ثالثا: اتفاق المبادئ الفلسطيني ـ الإسرائيلي (الجذور ـ الصعوبات والمصير):

كان اتفاق المبادئ الفلسطينى ـ الإسرائيلى الذى عرف باسم «غزة ـ أريحا ـ أولا» مفاجأة لكل الأطراف العربية بما فيها التى كانت تقوم بالتفاوض فى واشنطن حتى توقيع الاتفاق فى منتصف سبتمبر ١٩٩٣.

وتصور عدد محدود من المراقبين أن الأتفاق أنهى صراعا أستمر أكثر من خمسين عاما، ولكن الأتفاق تعثر لأسباب متعددة ولذلك قد يكون من المفيد أن نلقى نظرة سريعة على بعض أبعاد وظروف الأتفاق، (الجذور والصعوبات ورؤية المستقبل).

الجذور:

١ـ كانت الدول العربية ومعها الدول المؤيدة لوجهة نظرها تتحدث عن السلام الشامل والعادل والدائم، وهى أبعاد ثلاثة تؤدى إلى معالجة المشكلة من جذورها ومن كافة أبعادها.

والسلام الشامل يعنى مقايضة الأرض بالسلام بمعنى أنسحاب إسرائيل من كل الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧، لأنه وفقا للقرار ٢٤٢ ـ فى الديباجة ـ نجد نصا بعدم جواز اكتساب أراضى الغير بالقوة، وهو نص فيه أعمال لقواعد القانون الدولى وتطبيق لميثاق الأمم المتحدة.

والسلام العادل يعنى إعادة الأرض لأصحابها، وحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى، وضمان حدود آمنة للجميع، بما فى ذلك نزع أسلحة الدمار الشامل من الشرق الأوسط مما يؤدى إلى تطبيع حقيقى.

والسلام الدائم يستند إلى ما سبق أن شرحناه من مقومات السلام الشامل والعادل، لأنه وفقا لهذا التصور وحده نصل إلى سلام حقيقى دائم.

٢ ـ وكانت إسرائيل ومن ورائهاالولايات المتحدة الأمريكية تتحدث عن سلام مخالف لهذه الرؤية، وقد نجحت إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة فى إبرام سلام جزئى مع مصر وفق أتفاقيتى كامب ديفيد، وبذلك تم أفراغ مضمون السلام من أسسه التى أشرنا إليها وهو أن يكون السلام: شامل وعادل ودائم.

ويعود النجاح الإسرائيلى إلى ظروف العالم والمنطقة ومصر حينئذ

٣ - ومع السقوط السوفيتى (١٩٩١) وحرب الخليج (عاصفة الصحراء) والوعود الأمريكية بمعالجة مشكلة الشرق الأوسط بعد إنتهاء العاصفة حتى لا تتهم بالكيل بمكيالين فى آن واحد ونتيجة تعدل الظروف الدولية والعربية والمصرية والفلسطينية، وهى ظروف تدفع الولايات المتحدة - المنفردة بالنظام الدولى الجديد - إلى فرض تسوية سلمية للنزاع تحمل بذرة العدالة والشمولية وتكون فى نفس الوقت دائمة، وهى صيغة متناقضة، تمكنت من الضغط على طرفى الصراع الرئيسيين (الفلسطينى والإسرائيلى) وتم التوقيع على أتفاق المبادىء فى سبتمبر ١٩٩٣ فى واشنطن بحضور الرئيس الأمريكى «كلينتون»، وهنا ظهرت لمسات المشروعات الإسرائيلية السابقة وأبرزها مشروع «ايجال آلون».

٤ - ويحمل مشروع ايجال آلون الذى تم أستلهام الأتفاق من بين بنوده، وأسباب فشله، فنجده متناقضا وظالما على النحو التالى:

(أ) نص على ضمان الحقوق التاريخية للشعب اليهودى على أرض إسرائيل.

(ب) مع حدود يصلح الدفاع عنها.

(جـ) ودولة يهودية ديمقراطية تعيش فى داخلها أقلية عربية تضمن لها حقوقها.

(د) وأن تكون حدود الدولة فى الشرق هى نهر الأردن، والخط المار من منتصف البحر الميت، وتضم إسرائيل إليها المساحة الواقعة

بين نهر الأردن والبحر الميت والمرتفعات الجبلية المقابلة، لتشكيل حزام أمنى يترك فى وسطه ممرا بعرض ٤كم يشمل مدينة أريحا ليصل بين المناطق الآهلة بالسكان فى الضفة الغربية والأردن.

(هـ) إقامة مستعمرات مسلحة على طول حدود الأردن وضواحى القدس وقطاع غزة ومشارف رفح وسيناء لضمان أمن إسرائيل.

(و) إنشاء مدينتين جديدتين إسرائيليتين أحداهما مجاورة للخليل والأخرى مشرفة على أريحا.

(ز) تبقى القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل مع تأمين وضع خاص للأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين.

(حـ) أن يقوم أتحاد بين الفلسطنيين وبين الأردن.

(ط) إقامة حكم ذاتى فلسطينى يتحمل مسئولية الشئون الداخلية، أما شئون الدفاع والعلاقات الخارجية فتبقى بيد إسرائيل.

(ي) ضمان بقاء إسرائيل دولة يهودية.

(ك) أن تؤكد إتفاقيات السلام التعاون الأقتصادى وتبادل المنافع فى المنطقة.

الصعوبات:

تلك كانت أبرز أبعاد مشروع «آلون» أما أتفاق «غزة - أريحا» الذى سبق معالجته - فيحمل هو الآخر العديد من الثغرات التى إن تركت تحمل عوامل فشله وانهياره، وأبرزها:

١ - أن الأتفاق يعبر عن مرحلة غير واضحة مما يدعو إسرائيل إلى إستخدام التسويف والتهديد والتعليق وهو يتناقض مع كون الحل دائم.

٢ - لم يتطابق الأتفاق مع قواعد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة من حيث حق تقرير المصير للفلسطينيين لأن العقبات والتفسيرات التى وضعها الجانب الإسرائيلى تفرغ حق تقرير المصير من مضمونه.

٣ - لم يعالج الأتفاق وضع قوات الإحتلال الإسرائيلية بوصفها قوات إحتلال، ويجب أن تقف إلى جانبها فى الفترة الأنتقالية قوات دولية تابعة للأمم المتحدة، لمنع التجاوزات ولحماية الشعب الفلسطينى وخاصة أن المستوطنين الإسرائيليين مسلحين تسليحا ثقيلا.

٤ - أستند الأتفاق من الناحية القانونية على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨ بدلا من قواعد القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة وهو أمر يسلب الجانب الفلسطينى قدرة على الحركة.

٥ - غموض ومعنى الصلاحيات التشريعية المخولة للمجلس التمثيلى الفلسطينى وهل تعد تشريعية أم إدارية.

٦ - جاء الأتفاق صيغة معدلة لمشروع آلون الذى يمكن تلخيصه بأن فرض سلام بلا سلام ويفتقد الشمول والعدل ويحمل فى طياته عوامل ضعفه ونهايته.

٧ - أن الاعتراف المتبادل بين المنظمة وحكومة إسرائيل لا يعد متكافئنا لأنه تم فى ظل الإحتلال والقوة العسكرية.

٨ - يفرض الأتفاق تطبيعا بلا حدود مع إنهاء العداء مقابل وعد بإنسحاب غير محدد الملامح ويمكن التراجع عنه أو عن تفصيلاته الهامة.

٩ - أن استمرار المستوطنات بإصرار إسرائيل، يمثل خطرا على المستقبل الفلسطيني ويعد قنبلة موقوته داخل الجسم الإسرائيلى وداخل منطقة الشرق الأوسط كلها.

١٠ - أن المفاوضات التى لا زالت مستمرة حتى الآن بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى، والتى أستهدفت الأتفاق على تفاصيل ما جاء باتفاق المبادئ، قد دخلت فى دهاليز التسويف والتهديد من جانب إسرائيل، ومحاولة إستخلاص الحقوق من جانب الفلسطينيين، فى مباراة غير عادلة تملك إسرائيل كل شيء وتحاول فيها المنظمة أنتزاع حقوقها فى ظل أوضاع عربية شديدة الأنقسام.

١١ - ومما زاد الطين بلة أن إسرائيل تتعنت فى موضوع المعابر والسيطرة عليها، وكذلك تصر على الأحتفاظ لنفسها بحق التعقب والمطاردة الساخنة «Hot Persuit» خارج الحزام الأمنى للمستوطنات فى حالة التعرض للهجوم، وبطبيعة الحال فإن الذى يحدد هذه الحالة هى إسرائيل.

١٢ - وبإختصار فإن المفاوضات قد تعثرت والسبب هو تراجع إسرائيل عن الوفاء بتعهداتها بالأنسحاب وتمارس ضغوطا شديدة للحصول على أكبر تنازلات من الطرف الآخر قد يؤدى إلى نسف عملية السلام من أساسها.

المصير ـ المستقبل :

١ ـ شكل الأتفـاق الفلسطينى ـ الإسـرائيلى (غـزة ـ أريحـا) أبرز المستـجـدات على ساحـة الصـراع فى الشـرق الأوسط حـيث لن تقـتـصر نتـائجـه على طرفيـه بل ستشـمل كل الأطراف القريبة والبعيدة والتى تسكن منطقة الشرق الأوسط، وقد يمتد الأمر إلى باكستان البعيدة نسبيا.

٢ ـ كما سيؤثر الأتفاق فى حالة نجاحه على شكل ومضمون النظام الأقليـمى، لأن الحـديث عن نظام الشـرق أوسطى، يعنى زوال النظام العربى ودخـول المنطقـة فى نظام مـصطنـع سيـاسى، هو النظام الشرق أوسطى ليضم الدول العربية (سابقا) وتركيا وإيران بعد إجهاض ثورتها وباكستان، فى إطار نظام سياسى إقتصادى إجتماعى حضارى واحد يفرض إذابة فروقه الرئيسية وبطبيعة الحال سيحاول النظام الإسرائيلى وهو لب النظام الشرق أوسطى، سيحاول أن يحتفظ بنقائه وبمضمونه لأنه سيظل يخدم المصالح الأمريكية والإسرائيلية.

٣ ـ كما ينهى الأتفاق الفلسطينى ـ الإسرائيلى ـ محور القضية وهى الزاوية الفلسطينية، لتبرز إلى جانبها محاور أو محورا جديدا لأن المنطقة لا تزال فى حالة صراع أبرز جوانبه:

(أ) القومية العربية.

(ب) الأصولية الإسلامية.

٤ ـ وإذا حـاولنا أن نتـبين أسـبـاب تعـثـر الحل الأمـريكى للمـشكلة الفلسطينية سنجدها على النحو التالى:

(أ) المناورات والتسويفات الإسرائيلية.

(ب) أن مفهوم الأمن الإسرائيلى هو مفهوم توسعى يحتفظ بالأرض تحت مسميات متعددة.

(جـ) أن المفاوضات تدور حول محورين أساسيين:

- إسرائيل ترفض التخلى عن الأرض وهو باطل.
- الفلسطينيون يتمسكون بالأرض وهو حق.

٥ - وكانت آخر حلقة فى سلسلة المأساة هو الهجوم المسلح أو المذبحة على المصلين فى الحرم الإبراهيمى مما كشف النزعة العنصرية التوسعية الأسرائيلية، وأدى بالمفاوضات إلى التوقف وأعطى القوميين والأصوليين العرب دلائل جديدة على خطأ الأتفاق وعلى ضرورة التوصل الى حل شامل وعادل ودائم.

٦ - والطلقات التى بدأتها العنصرية والإرهاب الإسرائيلى فى الحرم الإبراهيمى مع رد الفعل العربى الإسلامى الشديد سيؤدى إلى عدة أتجاهات أبرزها:

(أ) أما اعتدال الجانب الإسرائيلى.

(ب) أو تحرك الأجهزة الدولية لحماية الشعب الفلسطينى.

(جـ) أو فشل إتجاه السلام برمته والعودة الى بداية الصفر التفاوضى.

القسم السادس

الحكم الذاتى الفلسطينى فى خمسة عشر عاما

تمهيد

* * فى كامب دافيد عام ١٩٧٨ رفض الفلسطينيون والعرب مجمل الاتفاقية بما فى ذلك إطار الحكم الذاتى الفلسطينى.

* *وأستمر الرفض العربى الفلسطينى حتى تعدلت الساحة الدولية والعربية والإسرائيلية على النحو الذى نذكره فيما بعد، ومن ذلك السقوط السوفييتى، وانفراد الولايات المتحدة بالنظام الدولى الجديد، وإفرازات عاصفة الصحراء، والدور الفعال والمنفرد الذى أخذت تلعبه الدول العربية المعتدلة بالإضافة إلى عوامل أخرى.

* *وهنا نجد أن معظم الفلسطينيين بما فى ذلك قسم كبير من المنظمة قد قبلوا باتفاق غزة ـ أريحا الذى لايختلف كثيرا عن ترتيبات كامب دافيد.

والصفحات القادمة تعالج كل هذه التصورات.

أولاً : الحكم الذاتى الفلسطينى [1] فى إطار كامب دافيد:

١ ـ اجتمع رؤساء مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فى كامب دافيد فى الفترة من ٥ ـ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨، واتفقوا على إطار السلام فى الشرق الأوسط الذى يدعون الأطراف الأخرى للأنضمام إليه.

= اتفق المجتمعون فى كامب دافيد على أن أساس التسوية هما «قرارا مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨» بهدف تحقيق سلام دائم يشمل جميع الأطراف التى تأثرت بالنزاع فى المنطقة.

= وقد اتفقت الأطراف الثلاثة على ما مايلى:

(أ) أن تشترك مصر وإسرائيل والأردن وممثلو الشعب الفلسطينى فى المفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بكل أبعادها.

(ب) وتتفق مصر وإسرائيل على أهمية النقل المنظم والسلمى للسلطة، وعلى تحقيق الأمن لكل الأطراف، ولذلك يلزم ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة لاتتجاوز خمسة سنوات.

(جـ) ومن أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للفلسطينيين (سكان الضفة وغزة) فإن الحكومة الإسرائيلية العسكرية وإدارتها المدنية تنسحبان بمجرد انتخاب سلطة الحكم الذاتى من قبل سكان المنطقة، انتخابا حرا وتحل محل الحكومة العسكرية الحالية.

---

(١) انظر معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، والأتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة وغزة، وزارة الخارجية ـ القاهرة، ١٩٧٩ (كتاب وثائقى فى ٢٣٩ صفحة).

(د) وعند مناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية فإن حكومة الأردن مدعوة للإنضمام للمباحثات.

(هـ) وأن تتفق مصر وإسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة الحكم الذاتى وقد يكون ذلك عبر وفد يضم مصر والأردن وممثلى القطاع والضفة أو فلسطينيين آخرين.

(و) ويتم تشكيل قوة بوليس محلية قد تضم مواطنين أردنيين.

(ز) وستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس عندما تقوم سلطة حكم ذاتى «مجلس إدارى» فى الضفة والقطاع فى أقرب وقت ممكن بما لا يتجاوز العام الثالث بعد بداية الفترة الانتقالية.

(ح) هذا وتجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة وغزة وعلاقتها مع جيرانها، ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الإنتقالية، وسيكون أطراف هذه المفاوضات: مصر وإسرائيل والأردن والممثلين المنتمين لسكان الضفة الغربية وغزة.

٢ ـ المبادى المرتبطة:

= اتفقت الأطراف فى كامب دافيد ـ على شكل العلاقة بين دول المنطقة فى ظل السلام ومن ذلك:

(أ) الاعتراف الكامل.

(ب) إلغاء المقاطعات الاقتصادية.

(جـ) ضمان تمتع المواطنين (بعض مواطنى كل جانب فى البلد الآخر) بحماية قانونية ومن ذلك حق اللجوء إلى القضاء.

(د) استكشاف إمكانيات التطور الاقتصادى فى ظل اتفاقيات السلام النهائية من أجل صنع السلام والتعاون والصداقة التى تعتبر أهدافا مشتركة.

٣ - خطابات متبادلة حول القدس ملحقة بكامب دافيد:

(أ) وجه الرئيس السادات خطابا إلى الرئيس كارتر فى ١٩٧٨/٩/٢٢ أكد فيه أن القدس العربية جزء لايتجزأ من الضفة الغربية.

- وأن القرارات الصادرة من مجلس الأمن وخاصة القراران ٢٤٢ ورقم ٢٦٧ يجب أن تطبق بشأن القدس وتعتبر كافة الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل فى المدينة لاغية.

- ويجوز وضع الأماكن المقدسة لكل دين من الأديان الثلاثة تحت إدارة وإشراف ممثل هذا الدين.

- كما لا ينبغى أن تقسم الوظائف الضرورية بالمدينة، ويمكن إقامة مجلس بلدى يضم العرب والإسرائيليين للإشراف على تنفيذ هذه الوظائف، وبهذه الطريقة فإنه لن يتم تقسيم المدينة.

(ب) وقد وجه رئيس الوزراء الإسرائيلى رسالة إلى الرئيس الأمريكى تقول بأن البرلمان الإسرائيلى قد أصدر قانونا فى ١٩٦٧/٦/٢٨ يقضى بأن يكون من سلطة الحكومة - بمرسوم -

اخضاع أى جزء من أرض إسرائيل الكبرى للقانون والقضاء والسلطة الإدارية للدولة، وقد تم ذلك فى يوليو ١٩٦٧ بمرسوم ينص على أن القدس مدينة موحدة غير قابلة للتقسيم وأنها عاصمة لدولة إسرائيل.

(جـ) وقد رد الرئيس الأمريكى على رسالة الرئيس المصرى بشأن القدس، بأن موقف الولايات المتحدة من ذلك هو نفس ما أعلنه السفير «جولدبرج» أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩٦٧/٧/١٤ وهو ما أكده السفير «بوست» أمام مجلس الأمن فى ١٩٦٩/٧/١ .

(د) وقد جاء خطاب السفير «جولدبرج» مستفيضا عن مشكلة الشرق الأوسط، وانتهى بأن بلاده لم تعترف على الإطلاق بمثل هذه الإجراءات - يقصد الإجراءات الإسرائيلية بضم القدس - المتخذة من جانب واحد، من قبل أية دولة بالمنطقة على أنها تتحكم بالوضع الدولى للقدس.

(هـ) وأوضح السفير بوست فى خطابه أمام مجلس الأمن معارضة بلاده للإجراءات التى اتخذتها إسرائيل بالنسبة للقدس، ولكن بلاده لاتستطيع النظر فى مشكلة القدس بعيدا عن الإطار الصحيح وهو وضع الشرق الأوسط عموما.

٤ - خطابات متبادلة بشأن المستوطنات فى سيناء ملحقة بكامب دافيد :

(أ) فى ١٩٧٨/٩/٢٢ وجه الرئيس المصرى إلى الرئيس الأمريكى خطاباً جاء به مايؤكد الموقف العربى حول المستوطنات فى سيناء على النحو التالى:

** يجب إجلاء جميع المستوطنين الإسرائيلين من سيناء طبقا لجدول زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام.

** وفى حالة فشل إسرائيل فى الوفاء بهذا الالتزام فإن إطار التسوية يكون لاغيا.

(ب) وقد أوردنا هذا الخطاب حول «المستوطنات فى سيناء» ليمكن الاسترشاد به لتفهم مستقبل المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة وغزة، رغم اختلاف ظروف الحالتين المصرية والفلسطينية.

- ومع هذا نقول إن المستوطنات أزيلت فعلا من سيناء رغم التشدد الإسرائيلى الكامل.

٥ - خطابات متبادلة حول الضفة وغزة ملحقة بكامب دافيد:

(أ) وجه الرئيس السادات فى ١٩٧٨/٩/٢٢ خطابا إلى الرئيس الأمريكى، مؤكدا أن مصر مستعدة للاضطلاع بالدور العربى الذى تحدده بنود الاتفاق بعد المشاورات مع الأردن وممثلى الشعب الفلسطينى وذلك من أجل حماية الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى.

٦ - الأتفاق التكميلى المتعلق بالحكم الذاتى الكامل:

(أ) فى ٢٦ مارس ١٩٧٢ - أى فى العام التالى لتوقيع إطار السلام فى كامب دافيد - وجه الرئيسان المصرى والإسرائيلى خطابا

إلى الرئيس كارتر أعادا فيه تأكيد ما تم التوصل إليه فى كامب دافيد بشأن الحكم الذاتى.

(ب) والإضافة الجديدة كانت اتفاق مصر وإسرائيل فى حالة قرار الأردن بعدم الإشتراك فى المفاوضات فسيتم إجراؤها بين مصر وإسرائيل.

٧ - إجراءات بناء الثقة (ملحق كامب دافيد) :

– فى ١٣/١٠/١٩٧٨ أى بعد شهرين من توقيع إطار كامب دافيد قدمت مصر مذكرة إلى الجانب الأمريكى بشأن الإجراءات الواجب اتخاذها من جانب إسرائيل بهدف خلق جو يؤدى إلى التنفيذ السليم لأحكام إطار السلام فى الشرق الأوسط.

– وقد عرضت المذكرة المصرية للإجراءات التالية من أجل حسن إتمام مفاوضات الحكم الذاتى، ومن أجل بناء الثقة بين الأطراف فى المنطقة:

(أ) أن تعلن إسرائيل أنها على استعداد للتعامل مع أية جماعة فلسطينية تقبل القرار ٢٤٢ .

(ب) كما تعلن تجميد المستوطنات فى الضفة وغزة وفقا لخطابها للرئيس كارتر وإزالة عدد من المستوطنات.

(جـ) والتزام إسرائيل بأن المستوطنين فى الضفة وغزة لن يشتركوا فى الانتخابات الخاصة بإقامة سلطة فلسطينية.

(د) وأن عرب القدس الشرقية يشتركون فى هذه الانتخابات.

(هـ) واستعداد إسرائيل لإعادة الأراضى العامة فى الضفة وغزة إلى السلطة الفلسطينية.

(و) وأن تسمح للمصارف العربية فى الضفة وغزة باستئناف أعمالها.

(ز) ورفع الحظر على الاجتماعات السياسية والسماح بحرية التعبير.

(ح) وحتى قيام السلطة الفلسطينية تمتنع إسرائيل عن أى أعمال من شأنها التشكيك فى نواياها فى الضفة وغزة مثل إقامة منشآت صناعية أو القيام بأنشطة تجارية إسرائيلية.

(ط) إلغاء القيود على حرية الحركة لسكان الضفة وغزة وعلى حريتهم فى السفر والعودة من الخارج.

(ى) ووقف المناورات العسكرية فى المنطقتين.

(ل) واتخاذ إجراءات لم شمل الأسر الفلسطينية والسماح بعودة عدد من النازحين.

(م) والموافقة على قيام الأمم المتحدة أو أية هيئة دولية بمراقبة انتخابات المجلس الفلسطينى.

(ش) سحب بعض القوات الإسرائيلية فورا من أجزاء من المنطقتين وإعادة توزيع القوات بهما بما يقلل من حجمها ومن مساحة المناطق المتمركزة فيها.

٨ ـ خطابات رئيس الوزراء المصرى، ووزير الخارجية إلى وزير الخارجية الأمريكى بشأن المستوطنات.

– فى ١٩٧٩/٢/٢٣ وجه رئيس الوزراء المصرى خطابا إلى وزير خارجية الولايات المتحدة مؤكدا أن إقامة إسرائيل للمستوطنات فى الضفة وغزة هو أمر غير مشروع، ومشيرا إلى موقف الولايات المتحدة وخاصة موقف الرئيس كارتر الذى أعرب فيه عن عدم موافقته على السياسةالإسرائيلية باقامة المستوطنات فى الأراضى المحتلة.

– وأشار الخطاب إلى إستمرار الحكومة الإسرائيلية فى اقامة المستوطنات الجديدة وتوسيع نطاق القديم منها بعد توقيع إطار كامب دافيد.

– وأكد رئيس الوزراء المصرى أن هذه الممارسات الإسرائيلية غير شرعية وتهدر عملية السلام بكاملها والمتفق عليها فى كامب دافيد.

* * *

ثانيا: *النظرة الفلسطينية إلي كامب دافيد*:

– شرحنا فى القسم السابق (أولا) مختلف أبعاد الحكم الذاتى الفلسطينى وفقاً لإطار كامب دافيد الموقع فى سبتمبر ١٩٧٨ بين كل من مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

– وحتى تكتمل الصورة يحسن عرض التصور الفلسطينى لمجمل عملية كامب دافيد حتى تتضح الرؤية فيما بعد عندما وافقت

منظمة التحرير الفلسطينية على اتفاق المبادئ بشأن (غزة - أريحا أولا).

١ - الرؤية الاستراتيجية لكامب دافيد:

(أ) تعد اتفاقية كامب دافيد قسما من اتجاه إقليمى أوسع تؤدى إلى تسوية منفصلة بين مصر وإسرائيل وتقوم فيها الولايات المتحدة الأمريكية بدور السمسار.

(ب) أن هذه العملية برمتها بدأت فى أعقاب حرب ١٩٧٣، ومؤشرات ذلك:

** قطع ارتباطات مصر ببقية العالم العربى.

** واتاحة الفرصة أمام الولايات المتحدةللاستئثار بدور السمسار فى عملية التسوية على حساب الاتحاد السوفييتى.

** وتأثير الاتجاه السابق على سياسات الدول العربية.

** وإعادة تحويل القضية الفلسطينية من قضية بين الدول العربية وإسرائيل إلى قضية بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

** وانفراد أنور السادات بالعمل أثناء حرب ١٩٧٣، ثم قبوله لوقف إطلاق النار دون التشاور مع حلفائه وأبرزهم سوريا.

** وأيضا نتلمس البوادر من مفاوضات الكيلو ١٠١، وحضور مصر مؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الأوسط فى ديسمبر ١٩٧٣، والاتفاق الأول لفض الاشتباك عام ١٩٧٤، والاتفاق التالى لفض الاشتباك عام ١٩٧٥ .

** وضوح اتجاه مصر إلى تحقيق تسوية سلمية منفردة.

(جـ) ويمكن تفهم النهج الأمريكى فى كامب دافيد فى ضوء التصرفات المصرية فى الخمس سنوات السابقة على عام ١٩٧٨ وهى السنوات التى شهدت ابتعاد مصر عن الاتحاد السوفييتى بطريقة منظمة وحازمة، وهو أمر أدى إلى ارتداد القضية الفلسطينية إلى الخلف بعيدا عن بؤرة الضوء.

(د) وقد أقترنت أحداث عامى ١٩٧٥، ١٩٧٨ بالصراع فى لبنان وكان لمنظمة التحرير الفلسطينية دور فيه من أجل إعاقة الجهود الأمريكية لإجراء أى تسوية منفردة بين مصر وإسرائيل.

- كما صعدت إسرائيل من هجماتها على لبنان وعلى الفلسطينيين، ومثال ذلك الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٧٨، وحملتها الجوية والبحرية والبرية على المنظمة فى عام ١٩٧٩، فى فترة الأشهر الستة التالية للتوقيع على اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية فى مارس ١٩٧٩ .

- بالإضافة إلى غزو لبنان بعد الجلاء عن سيناء فى أبريل ١٩٨٢ .

٢ ـ الآثار الاستراتيجية لكامب دافيد:

(أ) من أبرز الآثار أن كامب دافيد أجهزت على التضامن العربى.

(ب) وأخرجت مصر من المعادلة الاستراتيجية العربية الإسرائيلية.

(جـ) وأعطت إسرائيل وضعاً عسكريا متميزااستغلته فى حرب لبنان والأعتداء على بغداد وتونس بالغارات البحرية والجوية.

(د) كما تركت الأطراف الأصغر بمفردها ،على الجهة الشرقية، وهى لبنان ـ والأردن ـ وسوريا والفلسطينيين.

(هـ) وتسببت فى نقل الصراع العربى - الإسرائيلى وصراعات المنطقة إلى لبنان الذى أصبح الساحة الرئيسية للصراع فيما بعد عام ١٩٧٨، ودفع لبنان ثمنا غاليا لذلك.

(و) التأثير سلبا على علاقات الدول العربية ببعضها، وعلى وضع منظمة التحرير.

(ز) وبروز حرب عربية باردة مصغرة.

(ح) وعزلة مصر عن العالم العربى.

٣ - التأثير السياسى لكامب دافيد على المنظمة :

- ويمكن اجمال التأثير السياسى لكامب دافيد على منظمة التحرير الفلسطينية فيما يلى:

(أ) أن اتفاقية الحكم الذاتى الفلسطينى ولدت ميتة لأنها لم تكتسب أى تأييد فلسطينى أو أردنى أو عربى وخاصة أنها تتضمن فرض «وصاية الحكم الذاتى» على شعب يطالب بحق تقرير المصير.

(ب) بينما كانت المنظمة مشغولة بمعارضة كامب دافيد وبالدفاع عن نفسها فى لبنان، كانت إسرائيل حرة التصرف فى الضفة وغزة مما أدى إلى نجاحها فى إدماج هذه الأراضى بصورة واقعية فى «الوعى الإسرائيلى» مما أدى إلى رفض معظم الإسرائيليين لفكرة إعادة هذه الأرض إلى السيطرة العربية لأنها أصبحت فى التصور الإسرائيلى جزءاً من «إسرائيل الكبرى».

(جـ) وفى الوقت الذى كانت فيه المنظمة مشغولة بالدفاع عن كيانها كان الأردن يلقى تشجيعا من الولايات المتحدة وإسرائيل ومصر لتعميق دور «الخيار الأردنى» ، إلا أن هذا التحرك فشل عام ١٩٨٨ عندما أعلن الملك حسين رفضه القيام بهذا الدور معلنا أن منظمة التحرير الفلسطينية هى التى تتحمل المسئولية الكاملة عن مستقبل الأراضى المحتلة.

(د) وضوح تفضيل الولايات المتحدة وإسرائيل لحل القضية الفلسطينية بدون الفلسطينيين وعلى حسابهم.

(هـ) انهت كامب دافيد كل أمل للفلسطينيين فى تحقيق تسوية عادلة قريبة المنال.

(و) ازدياد ارتباط الفلسطينيين واللبنانيين على أرض لبنان ببعضهم على أساس أنهم فى قارب واحد، ومع استمرار المعاناة تغير الوضع الفلسطينى فى لبنان.

(ز) أدت إلى حرمان منظمة التحرير من استخدام مصر(والمملكة العربية السعودية وسوريا، أو أية دولة أخرى، لتكون وسيطا فى التعامل مع إسرائيل أو الولايات المتحدة.

(حـ) ونتيجة لكامب دافيد ساد تصور داخل المنظمة ينادى بالعزلة والاعتماد على الذات.

(طـ) وترتيبا على ما سبق نجد اتجاها داخل المنظمة شجع ووافق على الاتصالات مع القوى الإسرائيلية الديمقراطية، مثل الصحفيين وبعض أعضاء الكنيست.

٤ ـ نظرة الفلسطينيين إلى مجمل عملية كامب دافيد:

(أ) يعتقد الفلسطينيون أن السلام المصرى الإسرائيلى كان له ثمن «هو تكثيف إسرائيل للحرب ضد منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة فى لبنان».

(ب) وأن كامب دافيد تشكل كارثة على القضية الفلسطينية.

(جـ) ونظرا للضياع الفلسطينى بعد كامب دافيد، فقد كانت انظارهم تتجه إلى حليف جديد، وقد جاءت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ بهذا الأمل، الذى ضعف وتوارى بعد قيام العراق بمهاجمة إيران.

(د) أن كامب دافيد مكنت إسرائيل من العربدة، ومن ذلك أنها أوقعت بلبنان خسائر فادحة، وحمل اللبنانيون الوجود الفلسطينى الوزر.

(هـ) وتمكنت إسرائيل بفضل الأوضاع الجديدة بعد كامب دافيد من تعديل الصورة الاستراتيجية للمنطقة بالتعاون مع حزب الكتائب.

(و) وبعد كامب دافيد ضعف موقف المنظمة فى لبنان وفى العالم العربى فأخذت تتلمس الطريق إلى إجراء تسوية عادلة وهو أمر أوقعها فى صراع طويل مع سوريا.

(ز) وقد اكتسب الصراع الفلسطينى ابعادا جديدة تنذر بالسوء وهى أبعاد:

** ديمغرافية (وجود عدد كبير من الفلسطينيين فى قلب إسرائيل) .

** ودينية (الأصوليين الفلسطينيين) .

** سياسية محلية إسرائيلية، وخاصة بعد الانتفاضة الفلسطينية.

** وقانونية بفشل فكرة الحكم الذاتى.

(ح) وأطلقت كامب دافيد يد إسرائيل فى المنطقة ومثال ذلك:

** تعاملها وفق ماتراه فى الضفة وغزة.

** ومع المنظمة فى لبنان.

** وزيادة عدد المستوطنات بعد الاتفاقية.

** وادماج الأراضى المحتلة فى إسرائيل.

(ط) وقد يقال أن بعض الآثار المتعلقة بكامب دافيد تعود إلى المنظمة بسبب:

** ترددها فى فترة عام ١٩٧٧، قبل أن يتوجه السادات إلى القدس وكانت هناك مساع دولية جادة لإجراء تسوية شاملة.

** وبالهجمات المسلحة على المنشآت المدنية فى إسرائيل .

- ولكن السؤال الملح هو، هل كانت المنظمة ستجد فرصة التسوية العادلة آنذاك لو كان سلوكها مخالفا؟!

- وقد تراجعت المنظمة بعد ذلك عن تشجيع الهجمات المسلحة بعد

أن أدركوا عدم جدية وجدوى هذه الأعمال التى تحدث بالعكس تأثيرات سلبية على القضية.

(ى) ومع ذلك فإن الأحداث التى تلت كامب دافيد اثبتت للفلسطينيين خطر الأعتماد على الولايات المتحدة ومصر والأردن ولذلك أخذت المنظمة تفضل إجراء تسوية شاملة تضم الأطراف الأخرى.

(ك) كما يمكن النظر إلى كامب دافيد على أنها أجلت حل المسائل الشائكة فى الشرق الأوسط لسنوات طويلة وهى مشاكل تسببت فيها إسرائيل من خلال حرب ١٩٦٧ ودبلوماسية كامب دافيد.

(ل) ومع ذلك فقد جاءت الانتفاضة الفلسطينية الشعبية لتؤكد من جديد أنه لم يعد ممكنا تجاهل هذه المسائل وهو أمر يعنى فشل كامب دافيد.

٥ - آثار حرب ١٩٨٢ :

- وحرب عام ١٩٨٢ فى لبنان هى الأخرى من افرازات كامب دافيد، وتعبر آثار الحرب عن مدى المعاناة التى عاشها الشعب الفلسطينى أيضا إلى جانب الشعب اللبنانى، وأبرز آثار الحرب هى :

(أ) قامت إسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٨٢ فى ظل تأزم علاقات المنظمة بالطوائف اللبنانية المختلفة: الكتائب فى الشمال، وأمل فى الجنوب، وسوء علاقاتها بسوريا وهى صورة قاتمة وصفت بأنها نتيجة منطقية لكامب دافيد.

(ب) عززت الحرب من الشعور بالعزلة لدى الفلسطينيين وأنهم كانوا ضحية خيانة.

(جـ) منيت سياسة المنظمة فى البحث عن تسوية بسقوط شديد.

(د) وبعد أن تصور الفلسطينيون أنهم تعرضوا لخيانات النظم المصرية والسورية والسعودية فليس أمامهم إلا الاعتماد على الذات.

(هـ) وهذا الاعتماد على الذات تبلور فى الانتفاضة وفى إعادة العلاقات مع الأردن.

* * *

ثالثاً: مابين كامب دافيد وغزة ـ أريحا:

١ ـ الخطوط العامة فى اتفاقية الحكم الذاتى الفلسطينى فى كامب دافيد لا تختلف كثيرا عن الخطوط العامة فى اتفاقية «غزة ـ أريحا» ومابين الاتفاقيتين جرت مياه كثيرة وأحداث درامية على مسافة خمسة عشر عاما.

٢ ـ ومع ذلك فإن اتفاقية «غزة ـ أريحا» تختلف عن كامب دافيد فى الخطوط الايجابية التالية لصالح الفلسطينيين:

(أ) أن منظمة التحرير الفلسطينية هى التى قادة التفاوض فى غزة ـ أريحا، عكس السيولة والرفض والغموض بالنسبة لدور الفلسطينيين، وخاصة منظمة التحرير فى إطار كامب دافيد الذى حاول التحايل والالتفاف عن طريق عرض الخيار الأردنى أو الخيار المصرى.

(ب) أن الولايات المتحدة انتقلت إلى جانب القوى الضاغطة على إسرائيل لايقاف إنشاء المستوطنات الجديدة. ولتقديم تنازلات لتصبح الاتفاقية أقرب إلى العدالة بعكس واقع كامب دافيد.

(جـ) أن الرأى العام الفلسطينى أصبح أكثر تقبلا للحل السلمى بعد أن تخلت معظم حليفات المنظمة عن دعمها لأسباب كثيرة.

(د) وكانت الترتيبات فى كامب دافيد فى التصور الإسرائيلى مجرد مناورة تحت اسم «الحكم الذاتى» من أجل تحقيق السلام مع مصر وإخراجها من المعركة، بدليل أن شامير عندما أضطر إلى الجلوس فى مدريد مع الفلسطينيين وأصبح التفاوض أمراً واقعا فشل فى الاستجابة إلى دواعى السلام مما أدى إلى إخراجه من عملية التفاوض بانقلاب سلمى ديمقراطى من داخل إسرائيل عبر انتخابات حرة تفسح الطريق أمام حزب العمل ليقود العملية التفاوضية وفق الرغبات الأمريكية.

٣ - والسؤال المطروح لماذا قبلت المنظمة مارفضته فى كامب دافيد مع اعترافنا بالاختلافات التى أشرنا إليها آنفا.

- السبب هو المتغيرات الدولية والعربية والإسرائيلية ومنها :

(أ) الانهيار السوفييتى الذى اخرج القطب الثانى من المعركة السياسية وعدل من التصورات الاستراتيجية للولايات المتحدة التى كانت ترسم سياستها إزاء مشكلة الشرق الأوسط فى إطار وجود التهديد السوفييتى.

(ب) بعد السقوط السوفييتى قلت القيمة الاستراتيجية لإسرائيل وزادت القيمة الاستراتيجية للدول العربية وخاصة البترولية.

(جـ) ما أفرزته حرب الخليج الثانية ـ عاصفة الصحراء ـ من قيم ومفاهيم جديدة أبرزها فشل إسرائيل فى القيام بدور فى المنطقة.

(د) كما أحرجت حرب ـ عاصفة الصحراء ـ الولايات المتحدة ووضعها فى صورة من يكيل بمكيالين فى تعاملها الخارجى، فوعد الرئيس بوش بحل مشكلة الشرق الأوسط حال الانتهاء من مشكلة الخليج.

(هـ) ما تركته كامب دافيد ثم عاصفة الصحراء من جراح وحسابات بين منظمة التحرير وعدد من الدول العربية، وخاصة الخليجية، مما ترك منظمة التحرير مكشوفة ومضطرة إلى التحرك السياسى الذكى لتحقيق تسوية سياسية.

(و) الدروس التى تلقتها منظمة التحرير والشعب الفلسطينى وشعورهم بأن عددا من الدول العربية قد خانهم، ولذلك يجب الاعتماد على النفس وفتح منافذ جديدة للتفاهم مع القوى الديمقراطية الخارجية فى إسرائيل والولايات المتحدة وأوروبا.

(ز) ضغوط الرأى العام الدولى وخاصة داخل الولايات المتحدة لانصاف الشعب الفلسطينى، وعلو أصوات صحفية وإعلامية جديدة تطالب بإعادة تقييم الأوضاع ومواجهة التعنت الإسرائيلى.

(ح) أن زمام المبادرة أصبح فى يد الدول العربية المعتدلة بعد أن كان الزمام بين الدول العربية ذات التوجه الأشتراكى أو

التحررى وهو أمر أقام جسرا قويا وفعالا مع من يملك تحريك القضية الفلسطينية وقضية الشرق الأوسط بشكل عام وهى الولايات المتحدة الأمريكية.

(ط) تنامى قوة الأصولية الإسلامية، الأمر الذى جعل الولايات المتحدة وإسرائيل تفضلان التعامل مع ياسر عرفات وفتح (والمنظمة) لأن البديل هو الأصولية الإسلامية متركزة فى منظمة حماس الفلسطينية التى تطالب بالجهاد.

القسم السابع

الحكم الذاتى الفلسطينى

الممارسة والمدلول

مقدمة

الفصل الأول

مفردات ومظاهر الحكم الذاتى

الفصل الثانى

العوامل المناوئة والمواتية

مقدمة

= بتولى الرئيس السادات الحكم فى مصر وسعيه الدؤوب لحل مشكلة الشرق الأوسط بالتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية التى تمتلك ٩٩ ٪ من الأوراق، وفق تصور الرئيس. أخذت - مصر السادات - توجه إشارات إلى الولايات المتحدة بالرغبة فى الحل بعيدا عن الاتحاد السوفييتى، وفشلت كل الجهود إلا الجهد العسكرى من خلال حرب ١٩٧٣ .

= ولم يحدث تقدم إلا من خلال الرؤية الأمريكية التى إنحازت إلى إسرائيل وأثمرت إتفاقيتى كامب دافيد (كإطار) فى سبتمبر ١٩٧٨ .

= ورغم قيام السلام المصرى - الإسرائيلى إلا أن الشرق الأوسط لم يحظ بالسلام العادل الدائم المنشود، لأن الأطراف العربية الأخرى وبدعم من الاتحاد السوفييتى رفضت صيغة كامب دافيد.

= وقد جاء السقوط السوفييتى، وإعلان هذا السقوط رسميا فى نهاية عام ١٩٩١ ، بمثابة نافذة جديدة إلى حل جديد لمشكلة الشرق الأوسط بسبب الظروف الجديدة، وأهمها الإنفرادية الأمريكية وإنخفاض أهمية إسرائيل كأداة فى الاستراتيجية الكونية الأمريكية.

= وقد أعدت أمريكا تحت رئاسة «چورج بوش» لصيغة جديدة حاولت من خلالها إقناع العرب بأنها صيغة عادلة ومتوازنة، رغم ذلك ،من خلال مؤتمر مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ ووضح فى المؤتمر أهمية التمثيل الفلسطينى.

= وقد عمدت الولايات المتحدة وإسرائيل إلى الدبلوماسية السرية، فقامت مفاوضات سرية فى أوسلو بين وفدين إسرائيلى وفلسطينى بعيدا عن مائدة المفاوضات الرئيسية، وأنتهت المفاوضات إلى اتفاق إعلان المبادئ ـ المفاجئ باسم «غزة ـ أريحا أولا» والذى وقع فى ١٣/٩/١٩٩٣ . وبهذه الصيغة اخرجت أمريكا لب القضية العربية من ساحتها وأصبح على كل طرف عربى أن يسرع بالأتفاق مع إسرائيل تحت رعاية الولايات المتحدة لحل مجمل القضايا فى الشرق الأوسط.

= ونحاول فيما يلى إلقاء الضوء على تطور أو مراحل حل القضية الفلسطينية بعد مفاجأة إعلان المبادئ الفلسطينى ـ الإسرائيلى.

مفردات ومظاهر الحكم الذاتي

أمكن رصد العديد من مظاهر ومفردات الحكم الذاتى التى يؤدى تعميقها من خلال الممارسة إلى تجسيد الحكم الذاتى، ليتحول إلى واقع محلى ودولى يؤدى إلى نشأة الدولة الفلسطينية المنشودة، ويمكن حصر هذه المظاهر والمفردات فيما يلى :-

١ - عودة عرفات إلى الوطن :

(أ) كانت عودة ياسر عرفات إلى أرض الحكم الذاتى وفقا للإتفاقيات المبرمة بمثابة أمر محير للمراقبين: هل يعود فى جو من التهديد بالإغتيال من كلا الجانبين الرافضين - الفلسطينى والإسرائيلى - أم يؤجل العودة.

- وقد عاد عرفات فى أوائل يوليو ١٩٩٤ إلى أرض الوطن، وحسم موقف التردد، وخاصة أن مؤسسات عسكرية ومدنية فلسطينية سبقته إلى الأرض المحررة، وهو أمر يؤدى فى حالة غيبة قيادة عرفات إلى تآكل سلطانه وشعبيته، ويعرض مجمل عملية الحكم الذاتى إلى الفشل.
- وكان تردد عرفات بسبب التنازلات التى قدمها لإسرائيل والتى لم تكن فى حجم تنازلات إسرائيل للفلسطينيين، بالإضافة إلى أنه

يعود إلى أرض الوطن خاوى الوفاض بدون أرصدة كافية للنهوض بمنطقة الحكم الذاتى.

(ب) وجاءت عودة ياسر عرفات بمثابة الخيار الوحيد الذى يمتلكه وشجعه على العودة وقوف مصر إلى جانبه.

(جـ) وقد كانت لهذه العودة أصداء واسعة مثلا :-

= خروج آلاف من أبناء الشعب الفلسطينى فى غزة يرحبون بعودة قائدهم الذى يجسد حلما جديداً.

= وعبّر عرفات فى خطابه أمام جماهير الشعب الفلسطينى أن مواطنيه انتظروا هذا اليوم طويلا، وأن شعب فلسطين يتمسك بالعهود ويعمل على إقرار السلام.

= وقد توجه عرفات فى مهرجان جماهيرى من الحدود المصرية يرافقه الرئيس مبارك ورئيس وزرائه وعدد من الوزراء المصريين، تعبيرا عن تأييد مصر لخطوة العودة.

(د) وفى مؤتمر صحفى عالمى بالقاهرة يوم أول يوليو ١٩٩٤، قبل توجه الرئيس الفلسطينى إلى غزة، علق الرئيس مبارك بقوله: إن «إحتفال اليوم يمثل خطوة على طريق إنهاء الإحتلال وقيام السلطة الفلسطينية على أرض فلسطين».

- وعلق الرئيس عرفات بأن هذا الحدث ماكان يتحقق إلا بدفع من مصر ومن رئيسها.

- وأضاف بأن المولود الفلسطينى الجديد هو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وأن القدس والمستوطنات والحدود، ستبحث خلال ثلاث سنوات.

- وأكد عرفات أنه لم يتلق من المساعدات المالية غير الوعود حتى الآن.

(هـ) وقد جسدت عودة عرفات إلى فلسطين تحول حلم حق تقرير المصير إلى حقيقة، بفضل نضال الشعب الفلسطينى وفى إطار ظروف دولية مواتية.

- ويجسد أهمية هذه اللحظة التاريخية ـ لحظة العودة ـ تعليق شارون بقوله: «إنه يوم خزى فى حياة دولة إسرائيل».

(و) وقد نجح الرئيس الفلسطينى فى تحقيق نصر جماهيرى أمتص به غضب المعارضين عندما أعلن فور عودته، أن الأولوية هى لوحدة الصف الفلسطينى، وضرورة الإفراج عن بقية المعتقلين الفلسطينيين وفى مقدمتهم مؤسسى حركة حماس، كما أكد على أهمية صيانة حقوق الإنسان الفلسطينى فى المناطق المحررة.

(ز) كما وجهت عودة عرفات ضربة إلى رهان المتطرفين الإسرائيليين الذين تصوروا إستحالة عودة عرفات أو فشلها على أقل تقدير.

(ح) لقد غيرت صورة العودة من المسلمات التى سادت ساحة الشرق الأوسط وخلقت واقعاً جديداً تنطلق من خلاله القضية الفلسطينية إلى مراحل جديدة.

٢ ـ طابع بريد وجواز سفر فلسطينى :

(أ) طيرت وكالات الأنباء من غزة أن الرئيس الفلسطينى قد وافق على نماذج جواز السفر الفلسطينى الذى طبع فى ألمانيا، كما

وافق بصفة نهائية على الطوابع البريدية الفلسطينية التى طبعت فى ألمانيا أيضا.

(ب) وقد صرح مسئول فلسطينى بأن الجواز يأخذ فى الإعتبار جوانب الأتفاق الفلسطينى - الإسرائيلى، والرغبة الفلسطينية فى الحصول على هوية فلسطينية مقبولة عالميا.

(جـ) وأضاف أن جواز السفر المزمع إصداره سيتحول إلى جواز سفر بكامل المواصفات عند قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعد إنتهاء مرحلة الحكم الذاتى.

(د) ومن المقرر أن يمنح هذا الجواز عقب إصداره للفلسطينيين فى مناطق الحكم الذاتى فقط.

٣ - طلب الإفراج عن دفعة جديدة من المعتقلين الفلسطينيين :

(أ) منذ اللحظة الأولى أخذت السلطة الفلسطينية فى الأراضى المحررة على عاتقها الضغط من أجل الأفراج عن مزيد من المعتقلين الفلسطينيين ومنهم الرئيس وأعضاء منظمة حماس فى المعتقل.

(ب) كما قامت السلطة الفلسطينية بتعيين بعض المفرج عنهم فى لجان متابعة الإفراج عن بقية المعتقلين.

٤ - البث التليفزيونى الفلسطينى :

(أ) وقد حضر إلى القاهرة مسئولون بالحكومة الفلسطينية للإشراف على نقل معدات أول محطة تليفزيون فلسطينى تبث إرسالها من أريحا وهى معدات وردت من فرنسا.

(ب) وهذا الأمـر يؤدى ولاشك إلى تعمق الممـارسـة الفلسطينيـة فى الأرض المحررة ويعمق من الشعور بالهوية الفلسطينية.

٥ ـ إنخفاض الروح المعنوية للجنود الإسرائيليين بالضفة :

(أ) كشف إستطلاع الرأى للجنود الإسرائيليين فى الضفة الغربية المحتلة، إنخفاض الروح المعنوية بينهم ، بسبب غياب القضية العـادلة لهم، وعـدم توفر الوسـائل والدوافع اللازمـة لمواجـهـة الوضع السياسى المعقد بالمنطقة.

(ب) وأعلن مـتـخـصـص فى الشـئـون المعنوية بالقـوات المسلحـة الإسرائيلية أنه لابد من أحداث تغييرات لمواجهة هذا الوضع.

(جـ) وقد أدى وصول السلطة الفلسطينية إلى الأراضى المحررة إلى تعميق هذا الشعور لدى جنود الإحتلال.

٦ ـ عرفات يؤدى اليمين كأول رئيس لفلسطين :

(أ) أدى الرئيس الفلسطينى ياسـر عـرفـات اليـمين القـانونيـة يوم ١٩٩٤/٧/٥ كـأول رئيس للسلطة الوطنيـة أمـام سليم الزعنون رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى بالنيابة ومحمد صبيح أمين السـر، ثم أدى ١٢ من أعـضـاء السلطة من أصل ١٨ اليـمين القانونية أمام عرفات.

– وقد تخلف الباقون لوجودهم فى مهام خارجية.

(ب) وبعد أداء اليمين رأس عرفات الإجتماع الإفتتاحى للسلطة الوطنية.

(جـ) وقد قام عرفات بعد ذلك بزيارة أريحا التى شهدت استقبالات حماسية للقائد الفلسطينى الذى غادر أريحا إلى غزة، فى طريقه إلى باريس لإقتسام جائزة السلام مع إسحق رابين، والتى منحتها لهما منظمة اليونسكو «جائزة السلام لعام ١٩٩٣».

٧ - **دخول الشرطة الفلسطينية إلى الأرض المحررة :**

(أ) فى شهر مايو / ٩٤ دخلت الوحدة الأولى من الشرطة الفلسطينية المكونة من ١٢٥ فرداً إلى قطاع غزة، يستقبلها آلاف من أبناء الشعب الفلسطينى بالهتاف.

- وكانت الجماهير متوترة ومترقبة بسبب تأجيل دخول القوات الفلسطينية لأسباب قيل أنها فنية.

- وكانت هذه هى المرة الأولى التى تعبر فيها قوة فلسطينية فى هدوء فى إتجاه الأرض الفلسطينية.

(ب) وقد تم دخول قوات الشرطة الفلسطينية من خلال إتفاق اللجنة المشتركة للتنسيق والتعاون الأمنى بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

(جـ) وقد وزع على أفراد الشرطة ثلاث شارات، واحدة عليها صورة نسر وكلمة الشرطة بالعربية، والثانية كتب عليها قوات الأمن الوطنى، والثالثة عليها العلم الفلسطينى.

(د) وحسب الإتفاق الإسرائيلى الفلسطينى تتكون الشرطة من وحدة متكاملة تحت سيطرة السلطة الفلسطينية وتضم أربعة فروع هى :

** الشرطة المدنية .

** الأمن العام.

** المخابرات.

** وخدمة الطوارئ والإنقاذ.

** كما سيكون هناك شرطة ساحلية .

(هـ) وستكون مهمة الشرطة الفلسطينية صعبة ومعقدة وخاصة بسبب ماقد يثيره المعارضون للإتفاق من مشاكل، بالإضافة إلى التداخل الكبير بين الوحدات الإسرائيلية والفلسطينية، وقرب المستوطنات من المناطق السكنية الفلسطينية.

٨ ـ نقل صلاحيات التعليم بالضفة للفلسطنيين:

(أ) فى منتصف يوليو استونفت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية الخاصة بنقل السلطات المدنية بالضفة الغربية إلى الجانب الفلسطينى، واقتصرت الجلسة على بحث سبل انتقال سلطة التعليم بالضفة.

(ب) وتحتل قضية مناهج التعليم بالمدارس الفلسطينية أهمية كبرى حيث يطالب الجانب الإسرائيلى بألا تشتمل هذه المناهج على أية مواد تحريضية ضد إسرائيل.

٩ ـ عرفات يدرس سبل الإستقرار والتنمية :

(أ) بدأ الرئيس عرفات مباشرة مهامه كرئيس للسلطة الفلسطينية بعقد إجتماعات مع أعضاء السلطة الفلسطينية لدراسة الخطط العاجلة فى إتجاه :ـ

** إعادة الإستقرار .

** وتوفير الخدمات للمواطنين .

(ب) ومما يعقد من مهمة عرفات، التعنت الإسرائيلى وإجراءات القمع التى اتبعت فى غزة بعد عودة عرفات، بالإضافة إلى عدم توفر الأموال الكافية لتوفير الخدمات للمواطنين.

١٠ ـ الصلاحيات التشريعية :

(أ) خول الإتفاق الفلسطينى ـ الإسرائيلى السلطة الفلسطينية صلاحية إعلان قانون يشمل القوانين الأساسية والقواعد التشريعية بشرط ألا تتجاوز حدود إتفاق الحكم الذاتى.

(ب) ومع ذلك تظل القوانين والأوامر العسكرية فى قطاع غزة ومنطقة أريحا سارية المفعول مالم يتم تعديلها أو إلغاؤها .

(جـ) وهذه الصلاحيات هامة لأن تنميتها تؤدى وبشكل تلقائى إلى تقريب موعد بناء الدولة.

١١ ـ إجراءات بناء الثقة وتسوية الخلافات :

(أ) أكد الإتفاق الفلسطينى ـ الإسرائيلى أهمية تعزيز التفاهم المتبادل والتسامح بين الجانبين.

(ب) وأهمية إتخاذ التدابير اللازمة لمنع عمليات التحريض من أى جانب.

(جـ) بالإضافة إلى التعاون فى مكافحة الأنشطة الإجرامية ومنها الإتجار فى المخدرات والتهريب وإنتهاك الملكيات .

(د) وفى نفس الوقت تقوم إسرائيل بإطلاق سراح المعتقلين والسجناء الفلسطينيين.

(هـ) وفى حالة نشوء منازعات حول تطبيق أو تفسير الإتفاقية الموقعة من الجانبين يتم تسويتها عن طريق لجنة الإتصال المشتركة.

وكل المفردات والمظاهر التى أشرنا إليها آنفا ستعمل على خدمة الهدف الفلسطينى فى تطوير الحكم الذاتى فى إتجاه دولة الفلسطينيين.

العوامل المناوئة والمواتية

١ ـ التحديات والعوامل المناوئة :

= من أجل تقييم حقيقى لتجربة الحكم الذاتى الفلسطينى التى أخذت دفعة كبيرة بعودة عرفات وزملائه الذين يمثلون سلطة الحكم الذاتى ، من أجل ذلك يجب التعرف على العوامل والظروف التى تتطور خلالها التجربة، وهى عوامل تساعد أو تعرقل تجربة الحكم الذاتى الفلسطينى.

(أ) العنف الإسرائيلى :

= العنف الإسرائيلى الموجه ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

** عنف السلطة الذى يتضح فى ممارسات إسرائيل المستمرة فى مواجهة سكان الأرض المحتلة، والممارسات الانتقامية التى توجهها لأسباب سياسية إلى جنوب لبنان، مع كل صدام يقوم بينها وبين المقاومة سواء فى الداخل أو فى الخارج.

** وعنف السلطة الذى يجسده الابتزاز والتهديد الإسرائيلى بالتلويح بامتلاك السلاح النووى من ناحية، والعمل على ضرب محاولات الدول العربية لإمتلاك سلاح ردع مواز. وهو ماقامت به ضد العراق مرتين : الأولى ضد المفاعل النووى والثانية عن طريق الذراع الأمريكى ضد القدرات الصاروخية والكيماوية للعراق إبان حرب عاصفة الصحراء.

** والعنف الثالث هو مايقوم به الإسرائيليون ضد الآمنين الفلسطينيين، وآخر مظاهره مذبحة الحرم الإبراهيمى.

= وهذا العنف الإسرائيلى لايخدم قضية السلام أو تجربة الحكم الذاتى، بل يضيف أعباء نفسية جديدة ويزيد من مساحة التباعد بين الخصوم.

(ب) عنف المقاومة الفلسطينية :

= واستخدام العنف يتم فى اتجاهين، لأن المقاومة - جزء بارز فيها - لم يوافق على صيغة الحكم الذاتى واعتبر ماحدث استسلام وتفريط وأخذ يقاوم مستخدما العنف.

= ويضم القسم الرافض اتجاهين رئيسيين هما : الفصيل الدينى، وأبرز ممثليه «حماس»، والفصيل اليسارى وأبرز ممثليه الجبهة الشعبية بشقيها. ويحاول عرفات ورجاله إقناع هذه الفصائل بأهمية خطوة الحكم الذاتى من أجل تحقيق حلم الدولة الفلسطينية.

= وقد قام عدد من قيادات المقاومة بنقل أرض المعركة الى خارج المنطقة. وهو ما حدث فى حالة التفجيرات الشديدة بالأرجنتين ضد المصالح الإسرائيلية، وهو أمر ترد عليه إسرائيل بمزيد من العنف ضد الفلسطنيين فى الداخل وفى جنوب لبنان.

(جـ) العقبات الإقتصادية:

= من أبرز التحديات فى مواجهة سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى، أفتقادها إلى الأموال لإدارة دفة الحكم الذاتى، ودفع عملية التنمية لرفع مستوى معيشة الفرد الفلسطينى الذى طال حرمانه.

= وقد وعد الجميع بتقديم مساعدات مالية وعينية لعرفات: وعدت أمريكا ودول أوروبا ودول عربية، لكن الغيث لم يبدأ، وبدأ عرفات يجأر بالشكوى.

= وما زاد الطين بلة أن أسرائيل أخذت تسحب مخصصاتها لإدارة المنطقة لاحراج سلطة الحكم الذاتى.

(د) النظام الشرق أوسطى:

= وقد يكون سبب هذه الصعوبات المزروعة فى طريق عرفات دفعه إلى ما يراد للمنطقة من سوق شرق أوسطية ونظام شرق أوسطى بحيث تتعدل روابط المصلحة فى المنطقة وتتحول إسرائيل وتركيا، وربما إيران بعد إسقاط حكومتها، الى ثالوث يدير أقتصاديات المنطقة كلها فى تناغم مع الرؤية الأمريكية فى إطار نظام أقتصادى عالمى يقوم على الحرب الأقتصادية وحماية مناطق النفوذ الأقتصادى الجديده - والأسواق.

= وهذا التوجه الشرق أوسطى لن يخدم تصورات سلطة الحكم الذاتى التى تفضل حبلا سريا يربطها بالعالم العربى مجالها الحيوى.

(هـ) المواقف الإسرائيلية المعوقة:

= تعمد إسرائيل لأنها مضطره لمسايرة تجربة الحكم الذاتى، إلى استخدام كل ما بيدها من أجل العرقلة وإضاعة الوقت، لأن أسلوب إسرائيل دائما هو المناورة لعل ظروفا جديده تأتى بمغانم كثيرة.

= ومواقف إسرائيل الرسمية تعكس هذا التصور ومثال ذلك أنها لا تخفى المخطط المستقبلى للتعاون فى الدائرة المحيطة حيث يمثلها ثالوث للتعاون الأقتصادى يضم إسرائيل والأردن وفلسطين وغنى عن التنوية أن كلمة تعاون هنا تعنى هيمنة.

= كما تعلن إسرائيل دائما أنها تطور من أسلحتها لتبقى متفوقة لمواجهة من يتعرض لها، وهى تصريحات لا تخدم هدف السلام والمصالحة.

= كما أنها تعمد إلى إذلال سلطة الحكم الذاتى، ومثال ذلك أنها رفضت أقلاع «هليوكبتر» عرفات التى خصصتها له مصر لينتقل إلى أريحا لتثبت له أن لايزال فى سنة أولى حكم ذاتى وعليه إجتياز اختبارات عسيرة.

= كما تعمد إسرائيل إلى إلقاء تصريحات مستفزة، مثل تصريح رابين عن ضروره تضافر الدول العربية وغيرها معه لمحارية الارهاب الإسلامى وقد أسرع «جون ميجور» رئيس وزراء بريطانيا بالتصريح بأن بلاده ترفض الربط بين الإسلام وبين التطرف.

(و) حقوق الإنسان الفلسطينى فى ظل الحكم الذاتى:

= اتهمت جهات مهتمة بحقوق الإنسان - فى القاهرة - إتفاقيات الأمن الإسرائيلية - الفلسطينية، بأنها تؤدى إلى توريط سلطة الحكم الذاتى فى أعمال انتهاك حقوق الإنسان الفلسطينى نيابةعن سلطة الأحتلال وذلك بهدف - من سلطة الحكم الذاتى - لاستمرار عملية السلام والبرهنة على مصداقيتها.

= كما أن إسرائيل تستهدف من هذا التوريط باحراج سلطة الحكم الذاتى، بل ونماذج السلطة العربية واتهامها بأنها لاتراعى حقوق الإنسان.

= كما أتهم عدد من رجال المقاومة الفلسطينية سلطة الحكم الذاتى بأنها أختارت أعضاء السلطة من أعضاء اللجنة التنفيذية بمنظمة التحرير وهو أمر يكشف تفرقة تنتهك حقوق الإنسان.

= وأكد أحد الباحثين من الأهرام أن مجرد قيام شرطة فلسطينية يتطلب قيام ضمانات لحقوق الإنسان.

= وأهمية ضمان حقوق الإنسان الفلسطينى فى الأتى:-

** أنها تدعم الوحدة الوطنية.

** وتؤدى إلى إعادة بناء الوطن على أسس ديمقراطية.

** وحقوق متساوية لجميع الفصائل الفلسطينية.

** تمنع منعا باتا أحتمال قيام حرب أهلية.

(ز) الدور الإيرانى:

= تقوم إيران بالتنسيق مع التيارات الأصولية الأخرى لتعويق عملية السلام بدعوى أنها إستسلام.

= وتمتلك إيران قواعد قريبة تعينها على الحركة، ومنها قاعدة حزب الله فى جنوب لبنان، وحلفائها من الأصولية فى الأرض المحتلة وأبرزهم منظمة حماس.

= وإيران وهذه الجماعات تعمل فى الواقع بمثابة إعاقة لجهود سلطة الحكم الذاتى.

(ح) الانتفاضة :

كانت الإنتفاضة الفلسطينية ولاتزال عامل دفع للحركة الفلسطينية كلها ولكنها - إذا وجدت من يحركها لمصلحة مغايرة - يمكن أن تتحول عامل معوق لسلطة الحكم الذاتى، وهو مايهدد هذه السلطة بالفشل، بل قد يؤدى إلى الحرب الأهلية ومن ثم يحقق حلم إسرائيل ورهانها لفشل التجربة.

= والإنتفاضة هى ثورة تلقائية يحركها تيارات متعددة داخل العمل الوطنى الفلسطينى وفيها من لايؤمن بالصيغة الحالية، ومن هذه التيارات حماس واليسار الفلسطينى.

= وعلى سلطة الحكم الذاتى الان واجب عدم السقوط فى أعمال قمع ضد الإنتفاضة، بل يمكنها توظيف هذه الانتفاضة لإنجاح سلطة الحكم الذاتى بالسماح بالتظاهر السلمى لدعم المطالبات الوطنية.

(ط) السلبية العربية :

= لاشك أن العالم العربى الآن فى أدنى حالاته، وكان فى الماضى يعتبر قضية فلسطين هى القضية المحورية والمركزية، وبعد أن وصل حال العالم العربى إلى مستواه الحالى تفشت السلبية بين دولة، وأصبحت الدول العربية ميالة إلى ترك الفلسطينيين لحالهم، وهى نظرة خاطئة لأن سلطة الحكم الذاتى الآن محتاجة إلى كل دعم معنوى ومادى حتى لاتترك كلية نهبا لمناورات إسرائيل ولأوضاعها الداخلية المتردية.

(ى) الصعوبات الإسرائيلية :

= ونعنى بذلك أن حكومة إسرائيل تتعرض لضغوط من الداخل بسبب ما يحدث فى جنوب لبنان ومايدور فيه ضد مصالحها فى العالم ،ولذلك فإن أسهل وسيلة لامتصاص غضب الداخل هو ضرب الفلسطينيين فى جنوب لبنان وفى الأرض المحتلة.

= وعلى سلطة الحكم الذاتى أن تفهم هذه المناورة .

(ك) المستوطنات، الحدود، القدس :

= لاشك أن المستوطنات كانت ولاتزال عقبة كبرى أمام تجسيد أمل الحكم الذاتى ،وتم تجاوز هذه العقبة مؤقتا لتعالج خلال الفترة المقبلة بالتفاوض.

= وكذلك نجد مشكلة الحدود والمعابر.

= ولعل أبرز العقبات التى تأجل نقاشها هو وضع القدس . وقد زاد من خطورة هذا التأجيل أن إسرائيل ورطت الأردن فى إطار اتفاقها معها بالقوة، بأن الأردن تعتبر راعية المقدسات الإسلامية فى القدس، وهو أمر أثار حفيظة عدة أطراف منها :

** سلطة الحكم الذاتى التى رفضت هذا التصور لأن موضوع القدس لم يبت فيه، وستكون القدس عاصمة لدولة فلسطين عند قيامها.

** وقامت الأردن بالتراجع عن هذا الموقف، وأعادة الكرة إلى الملعب الإسرائيلى ـ الفلسطينى مؤكدة أن موضوع القدس يخص الفلسطينيين.

** كما شعرت السعودية بالاجحاف لأنها حامية المقدسات الإسلامية وكان للملك فيصل فى الماضى وعد قاطع بضرورة تحرير القدس.

= وقد تمكن عرفات من إعادة موضوع القدس إلى خانته الطبيعية مؤكدا أنه سيكون موضوع بحث فى المستقبل.

٢ ـ العوامل المواتية :

(أ) الشرعية الدولية :

= من أبرز العوامل المواتية أن الشرعية ممثلة فى الأمم المتحدة وقراراتها تمنع اكتساب الأراضى بالقوة وتعطى عناية خاصة لسكان الأراض المحتلة.

= ويدعم هذه الشرعية رأى عام عالمى لايقبل ممارسات التصور السابقة.

(ب) مصالح الولايات المتحدة الأمريكية :

= بعد السقوط السوفييتى وإنفراد الولايات المتحدة، حتى الآن، بقيادة النظام الدولى الجديد، الذى لايزال فى حالة سيولة شديدة، لم تعد لإسرائيل نفس الأهمية فى إطار السياسة الكونية الأمريكية. كما لم يعد العدو القديم التقليدى ـ الشيوعية ـ عنصرا ضاغطا على الولايات المتحدة وكل ذلك مع تزايد أهمية العالم العربى للولايات المتحدة، من حيث النفط والأسواق والأموال، وهنا كان من مصلحة الولايات المتحدة أن تعيد ترتيب الأوراق وتفرض حلا

أقرب إلى العدالة على إسرائيل التى أضطرت صاغرة وغير راضية للتجاوب.

(جـ) الرغبة الأوروبية واليابانية :

= عبرت دول أوروبا واليابان دوما عن الرغبة فى حل عادل لمشكلات الشرق الأوسط نظرا لقرب المنطقة ولاحتوائها على البترول المادة الاستراتيجية.

= والولايات المتحدة لاتستطيع أن تتجاهل رغبات الحلفاء فى أوروبا واليابان.

(د) المساندة المصرية :

= قامت مصر ـ فى عهد مبارك ـ بعد المصالحة العربية مع مصر بدور الجسر بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وبين الدول العربية، وخاصة بعد تعثر اجتماعات مدريد، وكان لمساندتها ودورها لإقناع الأطراف أثر فى إبرام اتفاق النوايا بين إسرائيل ومنظمة التحرير، كما كان للتحرك المصرى النشط أكبر الأثر فى إتمام اتفاق الحكم الذاتى الفلسطينى.

= كما قامت مصر بتقديم التسهيلات للرئيس عرفات ومعاونيه للعودة إلى أرض الوطن فى إحتفال ضخم قاده الرئيس مبارك ورئيس وزرائه وعدد من الوزراء حتى الحدود مع غزة، وهو أمر أعطى انطباعا كبيرا للفلسطينيين بأن مصر حكومة وشعبا تبارك الاتفاقية.

(هـ) مساندة المؤتمر الإسلامى :

= كما قررت منظمة المؤتمر الإسلامى تقديم معونة ٢ مليون دولار أمريكى لتمويل المشروعات فى الأراضى.

= وهذا الدعم يعد معنويا بالإضافة إلى كونه ماديا.

(و) دول الخليج :

= كان للبرقية التى أرسلها خادم الحرمين إلى الرئيس عرفات مهنئا بمناسبة عودته إلى مناطق الحكم الذاتى أثرا كبيراً لأنه يعكس صفحة جديدة من التأييد يحتاجها الفلسطينيون بعد الصفحة المؤلمة التى حدثت إبان غزو العراق للكويت.

(ز) الدعم الأوروبى :

= قامت ألمانيا بطبع جوازات السفر الفسلطينية الجديدة ، وكذلك طوابع البريد الفلسطينية .

= كما أعلنت الحكومة البريطانية عن معونة للسلطة الوطنية الفلسطينية، وكبداية قدرها خمسة ملايين استرلينى، وهى إضافة لما قدم فى السنوات الثلاث الماضية، والذى بلغ سبعين مليون جنيه استرلينى.

القسم الثامن

السلام الإسرائيلى الأردنى

١ ـ تهديد الوضع الأردنى المتميز :

(أ) كان للأردن دائما وضعا متميزاً على الساحتين العربية والدولية، وكان موضع رعاية من العرب فى أحلك ساعات الصدام.

- ونتيجة ضعف البنية الأردنية كان قدر زعمائها المناورة، فهم فى وقت الحرب لا يرفضون المشاركة طمعا فى المغانم وبعدا عن الإتهام بالخيانة، وهو إتهام تردد كثيرا منذ عهد الملك عبد الله جد الملك حسين.

- كذلك كانت تعمد إلى اتصالات سرية بمعاونة الغرب من أجل استمرار مد الجسور مع إسرائيل وتحجيم ضرباتها.

(ب) ووضح الموقف المتميز ـ المركز ـ من خلال ماتم الأصرار عليه طويلا من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل، وأطلق عليه «الخيار الأردنى» واستمر هذا الخيار مفروضا على الفلسطينيين حتى دخلوا به إلى مؤتمر مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ من خلال وفد تفاوض أردنى.

– والخيار الأردنى كان لعبة إسرائيل، التى تدرك مدى الكراهية وعدم الثقة التى يحملها الفلسطينيون للملك حسين وقياداته، وذكرى أيلول الأسود (١٩٧٠)، وبسبب تخوف الملك حسين من وجود قنبلة فلسطينية داخل مملكته تمثل فى عدد كبير من رعاياه أصلهم فلسطينى.

(جـ) وفجأة عمدت إسرائيل فى إطار لعبة السياسة جذبا وإرخاءاً إلى إسقاط «الخيار الأردنى» ولو مؤقتا وغازلت الفلسطينيين سريا، وفاجأت العالم بعد مفاوضات أوسلو السرية بإعلان النوايا الذى وقع بين إسرائيل وممثلو منظمة التحرير فى سبتمبر ١٩٩٣.

(د) والأردن كما قلنا ذات وضع متميز لأنها تعد حاجزا يفصل بين إسرائيل وكل من سوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية، وتحرص إسرائيل على بقائها حاجزا أمنى يعد إحدى حلقات أمنها وإنذارها المبكر.

– ومن ناحية أخرى ستصبح الأردن فى المستقبل ـ عندما ترغب إسرائيل وأمريكا ـ معبرا آمنا إلى العالم العربى تحمل السلع والسياح والأموال من وإلى هذه المناطق.

(هـ) كما تنبع أهمية الأردن من التصور الإسرائيلى فى احتمال قيام كنفدرالية ـ اقتصادية ـ تتمثل فى الثالوث : إسرائيل فلسطين والأردن، وتكون إسرائيل قلب هذا الثالوث وبمثابة الدولة الحامية.

(و) وقد أدى إبرام اتفاق السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير إلى بروز «أزمة الهوية» التاريخية الأردنية، لأن الأردن من الناحية

التاريخية والعملية دولة مصنوعة، لأنها تفتقر إلى قاعدة عرقية ـ دينية متماسكة، وهو أمر أدى بالملك بعد الإحتلال (١٩٦٧) إلى فك ارتباطه بسكان الضفة الغربية سياسيا وإجتماعيا خشية تحقق نبوءة قادة إسرائيل القائلة بأن فلسطين هى الأردن بمعنى أن الأردن بما فيها من فلسطينيين يمكن أن تتحول إلى دولتهم .

(ز) وكما قلنا أزعج الاتفاق الإسرائيلى ـ الفلسطينى ملك الأردن لأسباب كثيرة منها :

** خشية أن يوجه دعم الغرب ماديا إلى فلسطين.

** زيادة الروابط الأقتصادية مستقبلا بين فلسطين وإسرائيل وهو أمر سيضر بالأقتصاد الأردنى الضعيف فعلا الآن.

** أن تتحول الأموال الفلسطينية فى الأردن إلى فلسطين مباشرة.

(ح) ورغم أن الكنفدرالية كان أحد صناعها وصياغتها إسرائيل وملك الأردن إلا أن الآخير أصبح منزعجا منها الآن :

** خشية تحول الفلسطينيون إلى أغلبية.

** إحتمال اشتعال حرب أهلية فى إطار الكنفدرالية.

** تحمل الأردن لأعباء أمنية نيابة عن الكيان الفلسطينى.

** إحتمال تورط الأردن بسبب الكيان الفلسطينى فى مواجهات مع سوريا أو إسرائيل.

** إمكانية الزج بالأردن فى النزاعات الداخلية الفلسطينية.

** أن تتحول الأردن وفقا لنبؤة «الليكود» إلى دولة فلسطينية.

(طـ) وكـان على الأردن أن يكون حـذرا ومناورا كـمـا قلنا، وانتظر حتى مرت عاصفة كامب دافيد وتحملتها مصر، ثم زج به فى إطار مشترك مع الفلسطينيين فى مدريد وانتظر، وتم استبعاد الفلسطينيين من وفده فى مفاوضات سرية فى أوسلو (سبتمبر ١٩٩٣) . وعـاد عـرفـات إلى فلسطين وبدأت السلطة الوطنيـة الفلسطينية تمارس أعمالها بمباركة دولية، وبدأت السلطة تطبع «طوابع البـريد» الفلسطينيـة وتـعـد لجـوازات السـفـر والهـوية الفلسطينية ويرتفع علم فلسطين فى الأرض المحررة، إذن لماذا الانتظار!!

(ى) وكانت إسرائيل فى حاجة ـ إلى الأردن لموقعة المتميز كما قلنا، وكان الأردن فى حاجة لإسرائيل لتثبيت الهوية ولإيجاد مكان على الخـريطـة، وكـان اللقـاء السـريـع جـدا والسـهل جـدا بين البلدين تحت مظلة قـائدة الشـرعـيـة الدولية وزعـيـمـة النظام الدولى الجديد ذو القطبية الواحدة : الولايات المتحدة الأمريكية تم تدشين اللقاء فى البيت الأبيض الأمريكى فى ١٩٩٤/٧/٢٥ .

٢ ـ الاتفاق الإسرائيلى الأردنى :

(أ) جـاءت إتفـاقـيـة كـامب دافـيـد عـام ١٩٨٧ بأسلوب الشـريك الأمـريكى الذى قـام به الرئيس كـارتر، وانـتـهى هذا الأسلوب ليحل محله أسلوب يوافق هوى إسرائيل وهو أسلوب المفاوضات السـرية المبـاشـرة التى تمت فى أسلو بين إسـرائيل وممثلى المنظمة والذى دشن فى سبتمبر ١٩٩٣ .

(ب) وبعد مـرور أقل من عـام تم علـى وجـه السرعـة الفائقـة وبنفس أسـلوب أوسـلو، ولكن هـذه المرة علـى الحـــدود الأردنيـــة ـ الإسرائيلية فى يوليو ١٩٩٤، تم الاتفاق حول إعلان النوايا الذى دشن فى واشنطن كما قلنا فى ٢٥/٧/١٩٩٤ .

(حـ) ولقد لاقى الاتفاق معارضة متوقعة من الجماعات الإسلامية فى الأردن وفى العالم العربى ومن الإتجاهات اليسارية عامـة، ولقى تأييد علنى أو ضمنى من مـعظم الدول العربيـة، لأنه لم يبق بعد كامب دافيد وبعد أوسلو من يلوم الملك حسين أو غيره.

(و) وانتقدت سوريا الاتفاق لأنه منفرد ويتجاهل التنسيق العربى.

(ز) وكـان الأردن كما قلنا يبحث عن دعم هويتـه المصطنعة ويعلم أن هناك خرائط جديدة للشرق الأوسط منها ـ وقد لا يكون ملحا وعـاجلا ولكن ممكن ـ احـتمـال تقسيم المملكة بين السعـودية وسوريا وفلسطين وإسرائيل، بالإضافة إلى شعور الملك حسين بأنـه يتـحـول من لاعب أسـاسى إلى مـجـرد ورقـة من أوراق اللعب.

(ح) وقد تم الإتفاق رسميا أو ضمنيا ـ قبل التوقيع ـ على عدة نقاط أبرزها :

** إعادة المساحة الضئيلة من الأرض التى احتلت عام ١٩٦٧ من المملكة والتى لا تزيد على حوالى ٣٩٠ كم ٢ فى المنطقة الممتدة من جنوب البحـر الميت وحتى العقبة، ومساحة ضئيلة أخرى لاتذكر فى الشمال مساحتها ٨٣٠ دونم.

** والاتفاق على حصة الأردن المشروعة من المياه التى حرم منها بعد استيلاء إسرائيل على معظم منابع نهر اليرموك عام ١٩٦٧ .

** إنهاء حالة الحرب بين إسرائيل والأردن.

** وتضمن بيان واشنطن إلى جانب إنهاء حالة الحرب نصاً مؤداه أن إسرائيل ستعطى أولوية عالية لدور الأردن التاريخى فى المقدسات الإسلامية فى القدس.

** كما اتفق على ربط الاتصال الهاتفى المباشر وربط شبكات الكهرباء.

** وفتح نقطتى عبور.

** وفتح ممر جوى دولى بينهما.

** وتعاون أجهزة الأمن فى إسرائيل والأردن على مكافحة الجريمة وتهريب المخدرات.

(ط) وبطبيعة الحال لم يتم الاتفاق علناً فى بيان واشنطن على كل النقاط السابقة، بل بعضها تم بصفة عملية أو ضمنية.

- وقد أدى النص على الدور الأردنى الخاص فى القدس إلى عاصفة من الاحتجاج والغضب المعلن فى فلسطين التى أصرت بأن فلسطين وحدها هى الأمينة على القدس، وعاصفة مكتومة فى السعودية التى تعد نفسها حامية الأماكن المقدسة، وردود دبلوماسية من العالم الإسلامى بأن القدس من حق كل الدول الإسلامية.

٣ ـ نظرة عامة على إعلان النوايا :

(أ) يبدو أن الولايات المتحدة وإسرائيل قد أعطيا الأردن مكانة خاصة فى السوق الشرق أوسطية وستكون نواتها الثالوث : إسرائيل القائد والأردن وفلسطين.

– وستكون الأردن همزة الوصل بين الدول العربية، وخاصة الخليجية وبين إسرائيل، وقد تم فى هدوء بناء أوتوسترادات متقدمة داخل الأردن وإسرائيل ضمن شبكة مخطط لها اقتصاديا وسياحيا وبحيث تصبح منطقة الثالوث والقلب ـ إسرائيل ـ أبرزها مركزا :

** للسياحة.

**والطيران.

**وانتقال البضائع والأشخاص.

** وللأعمال البنكية.

(ب) ومن ضمن هذه المشروعات ما يؤثر سلبيا على الأقتصاد المصرى خاصة، والأقتصاد العربى عامة ومن ذلك:

** مشاريع مد أنابيب البترول والغاز، من قطر والسعودية والعراق، يمر بالأراضى الأردنية بما يفيد إسرائيل أولا.

** مشروع إنشاء قناة البحرين.

**ومشاريع الأستثمار السياحى الضخم التى تتحول بموجبها منطقة العقبة ـ إيلات إلى أضخم تجمع سياحى ترفيهى فى المنطقة.

(جـ) كما ستؤدى وثيقة أو إعلان واشنطن إلى:

** اشتعال الحرب بين الأردن والمنظمة.

**حساسية سعودية.

** إحتمال الأضرار بمصر أقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

٤ ـ معاهدة السلام الأردنية ـ الإسرائيلية:

(أ) وفى ١٩٩٤/١٠/٢٦ تم التوقيع فى عمان على معاهدة السلام بين البلدين فى إحتفال كبير فى منطقة وادى عربة على الحدود بين البلدين وحضر التوقيع كل من الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» و«أندريه كوزيريف» وزير خارجية روسيا. (راعيا عملية السلام) وعمرو موسى «ووارين كرستوفر» وزيرا خارجية مصر والولايات المتحدة.

وقد بدأ الحفل بعزف السلام الوطنى لكل من الأردن وإسرائيل والولايات المتحدة، ثم وقف الحاضرون «حوالى ٥٠٠٠ خمسة الآف مدعو» دقيقة حدادا على أرواح ضحايا الصراع المسلح الطويل بين الأردن وإسرائيل وتليت بعد ذلك آيات من القرآن الكريم ومن التوراة.

(ب) ونصت المعاهدة على:ـ

** إقامة السلام.

** وتطبيق أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى.

** والإعتراف بسيادة كل منهما وسلامة أراضيه وإستقلاله السياسى، وبحق كل منهما فى العيش فى سلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها.

** وحل النزاعات بالطرق السلمية.

** والاعتراف بالدور الأساسى للتنمية والكرامة الإنسانية فى العلاقات الإقليمية الدولية.

** والإمتناع عن تحريك السكان قسريا فيما بينهما.

** وأن تكون الحدود بين البلدين هى الحدود فى زمن الأنتداب.

** وأن يحترم حقوق الإسرائيليين فى منطقة الباقوره نهاريم التى تكون تحت السيادة الأردنية، مع حق الإسرائيليين فى تأجير هذه الأراضى.

** الاتفاق على إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية فعالة وتبادل السفراء المقيمين.

** إجراء تسويه شاملة ودائمة بشأن مشاكل المياه.

** إتفق الطرفان على الإمتناع عن الدخول فى أى إئتلاف أو تنظيم أو حلف ذو صفة عسكرية أو أمنية مع طرف ثالث من شأنها العدوان على الطرف الثانى.

** يمنح كل طرف للآخر حريه الدخول للأماكن ذات الأهمية الدينية والتاريخية، وتحترم إسرائيل الدور الحالى الخاص بالمملكة الأردنية فى الأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس، وعند إنعقاد مفاوضات الوضع النهائى ستولى إسرائيل أولوية كبرى للدور الأردنى التاريخى فى هذه الأماكن. كما يقوم الطرفان بتعزيز حوار الأديان، بين الأديان التوحيدية الثلاثة.

** دعم التبادل الثقافى بين الطرفين.

(جـ) وقد لاقت المعاهدة تأييد معظم الحكومات العربية، وعارضتها القوى القومية العربية، مثل الناصريين والبعثيين، والقوى الإسلامية وأبرزها الإخوان المسلمين وحماس، وخاصة داخل مصر والأردن وفلسطين.

القسم التاسع

الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى

(المرحلة الثانية)

طابا سبتمبر ١٩٩٥

الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي
المرحلة الثانية ـ طابا سبتمبر ١٩٩٥

تمهيد

فى منتصف سبتمبر ١٩٩٣ جاء إتفاق المبادئ الفلسطينى ـ الإسرائيلى (غزة ـ أريحا) مفاجأة لكثير من الأطراف المعنية بالصراع فى منطقة الشرق الأوسط.

وقد تعثر الاتفاق منذ بدايته، لأن الدول العربية كانت تتصور سلاما شاملا وعادلا ودائما، ينهى صراع السنوات الطويلة ويقوم على مقايضة الأرض مقابل السلام، وهى الصيغة التى، أيدها المجتمع الدولى وتؤدى إذا حسنت النية إلى إنسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧، وفقا للقرار ٢٤٢ الذى لايجيز فى ديباجته إكتساب أراضى الغير بالقوة. وهو معنى يتفق مع قواعد القانون الدولى، ويحترم ماجاء بميثاق الأمم المتحدة.

وكانت إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة يتحدثون أو يتصورون سلاما معدلا يقوم على تجزئة التفاوض والأنفراد بكل دولة عربية على حده ويبدأ ذلك بإتفاقيتى كامب دافيد.

ومع السقوط السوفييتي عام ١٩٩١، وبروز الإنفرادية الأمريكية، وضعف العالم العربي وخاصة بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء)، ورغبة الولايات المتحدة بعد زوال الشبح الشيوعي في تسكين أوضاع المنطقة مما يمكنها من إقلال معوناتها العسكرية والاقتصادية التي تقدمها لإسرائيل ومصر. فقد أقدمت الولايات المتحدة - وأشركت معها شكلا روسيا - على إجراء حل تفاوضي بطريقة تتابع الخطوات، لتهيئة المسرح العالمي، إبتداء بصيغة مدريد في أكتوبر ١٩٩١، ومرورا بمفاوضات واشنطن، وإنتهاء بالمفاوضات السرية.في أوسلو التي توجت بالإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي في سبتمبر ١٩٩٣. وقد تعرض الفلسطينيون لمناورات متعددة من الحكومة الإسرائيلية التي أخذت تماطل في التنفيذ وتتمسك بوجود المستوطنات وتجعل من مفاوضات تطبيق الإتفاق معركة سياسية وتعلن من وقت لآخر ما يناقض الاتفاق ومثال ذلك تصريحاتها عن القدس والخليل والمستوطنات.

ومنذ إبرام الاتفاق قامت في وجهه عقبات عدة منها :-

(أ) معاداة التيار القومي العربي للاتفاق.

(ب) معاداة التيار الأصولي الإسلامي للإتفاق.

(جـ) تهديد اليمين الإسرائيلي بنسف الاتفاق في أي لحظة .

(د) الإرهاب الذي مارسته القوى المعارضة الإسرائيلية ومن ذلك مذبحة الحرم الإبراهيمي.

(هـ) الظروف الإقتصادية والإدارية الصعبة نتيجة ترك إسرائيل والعالم للسلطة الفلسطينية تبحر وحدها دون سند أو معونة فى مناطق محرومة من البنية الأساسية ومن الأساس الإقتصادى اللازم لقيام مجتمع مستقل ذاتيا.

ومع ذلك قاومت السلطة الفلسطينية كل الصعاب، كما حاولت الحكومة الإسرائيلية التعامل مع التطرف الإسرائيلى، وقامت كل من الولايات المتحدة ومصر ببذل مساعيها من أجل إنجاح تجربة قيام ونجاح السلطة الفلسطينية.

تلك كانت المرحلة الأولى للاتفاق الفلسطينى - الإسرائيلى، وفى ١٩٩٥/٩/٨ تم فى طابا المصرية توقيع المرحلة الثانية التى جاءت ولادتها متعسرة وهددت مجمل الاتفاق، إلا أن الراعى الأمريكى والدبلوماسية المصرية تمكنتا من سحب سفينة التفاوض إلى بر التوقيع فى واشنطن.

* * *

أولا : (جوانب الاتفاق الإسرائيلى الفلسطينى) (المرحلة الثانية).

١ - تمت ولادة الإتفاق فى طابا، وتم التوقيع عليه فى واشنطن برعاية الرئيس كلينتون فى إحتفالية ضخمة (مظاهرة إنتخابية) حضرها الراعى الروسى والرئيس مبارك وطرفى الإتفاق وعدد من الدول المعنية.

٢ ـ جاء الإتفاق فى حوالى ٤٠٠ صفحة وعدد من الملاحق يحدد العلاقة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية. وتعالج الملاحق عدد من القضايا الهامة أبرزها .

** الترتيبات الأمنية .

** الإنتخابات.

** نقل الصلاحيات المدنية .

** الترتيبات القضائية .

** العلاقات الاقتصادية .

** التعاون الفلسطينى والإسرائيلى .

٣ ـ ونص الاتفاق على إنتخاب مجلس فلسطينى فى المرحلة الإنتقالية (خمس سنوات) حتى نهاية عام ١٩٩٩ ،وأن تبدأ مفاوضات المرحلة النهائية لمعالجة ماتبقى من موضوعات فى حوالى منتصف عام ١٩٩٦ والتى تعالج الموضوعات التالية :ـ

** القدس.

** اللاجئون.

** المستوطنات.

** الترتيبات الأمنية.

** الحدود.

** العلاقات والتعاون مع الدول المجاورة.

٤ ـ وسيكون هناك مجلس فلسطينى منتخب وفق ترتيبات ديمقراطية تشمل كل الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة فوق ١٨ سنة والمسجلين، وتجرى الإنتخابات بعد الإنتهاء من إعادة إنتشار الجيش الإسرائيلى فى المناطق المأهولة بالفلسطينيين فى الضفة.

- وسيكون هناك إنتخاب مستقل لرئيس اللجنة التنفيذية للمجلس .
- ويرفض ترشيح أى شخص أو حزب أو مجموعة يثبت لهم أفكار أو أعمال عنصرية أو غير قانونية.
- وسيكون من حق الفلسطينيين من سكان القدس المشاركة فى الإنتخابات فى مواقع خارج القدس عن طريق البريد.

٥ ـ ويتسلم المجلس الفلسطينى المسئوليات الأمنية والمدنية فى الضفة والقطاع، وبذا تنسحب الحكومة العسكرية الإسرائيلية ويتحكم المجلس فى كل الصلاحيات التى خولت إليه.

- والمجلس مكون من ٨٢ عضوا.
- ولديه صلاحيات تشريعية وتنفيذية.
- ومع ذلك يمارس المجلس السلطة التشريعية، وتبقى السلطة التنفيذية بين لجنة من أعضاء المجلس بالإضافة إلى موظفين معينين.
- وليس للمجلس صلاحيات خاصة بالشئون الخارجية.

٦ ـ الأمن :

ستتم إعادة إنتشار الجيش الإسرائيلى حسب جدول أقرته الإتفاقية فى المرحلة الأولى، لتمكين الناخب من حرية الإختيار،

وسيتم الإنسحاب من ستة مدن هى :- جنين ونابلس وطولكرم وقليقلة ورام الله وبيت لحم بالإضافة إلى حوالى ٤٥٠ قرية.

- وستكون مسئولية الأمن الخارجى وأمن الإسرائيليين والمستوطنين فى الضفة الغربية وقطاع غزة من ضمن صلاحيات إسرائيل.

٧ - كما تنص الإتفاقية على تعديل الميثاق الفلسطينى فى النقاط التى تدعو إلى تدمير إسرائيل ويتم ذلك خلال شهرين من تأسيس المجلس الفلسطينى.

٨ - كما تنص الإتفاقية على تشكيل قوة شرطة قوامها ١٢٠٠٠ فلسطينى، وتحدد الإتفاقية نطاق إنتشارها ومعداتها، ومدى تعاون إسرائيل والمجلس الفلسطينى فى محاربة الإرهاب ومنع العمليات الإرهابية.

٩ - وللجيش الإسرائيلى والإسرائيليين حرية الإنتقال على طريق الضفة - القطاع، وتقوم دوريات مشتركة بحراسة المركبات الإسرائيلية.

- وليس من حق السلطة الفلسطينية توقيف أى إسرائيلى أو أن يطلب منه إبراز الهوية.

١٠ - ومسئولية الإشراف على الأماكن المقدسة فى الضفة والقطاع تنتقل للجانب الفلسطينى، مع كفالة حرية العبادة للجميع وخاصة فى قلب الخليل.

١١ - وعلى إسرائيل زيادة كمية المياه المخصصة للفلسطينيين.

١٢ - ونصت الاتفاقية على قيام إسرائيل بالإفراج عن السجناء الفلسطينيين على ثلاثة مراحل .

١٣ - وسيعمل الجانبان على تدعيم التفاهم ومنع الإعلام المضاد ودفع السلام بين الطرفين.

* * *

ثانيا : الموقف العربي من الاتفاق

١ - الموقف الفلسطينى.

(أ) وصف الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات الاتفاق بأنه يعبر عن سلام الشجعان، وأنه يمثل حدثا تاريخياً هاماً وتغييراً أستراتيجياً واضحاً، ثم عاد بعد ذلك - وهو أمر يعبر عن ضرورة تفاوضية وتفهماً لأسلوب إسرائيل فى العمل - وأتهم إسرائيل بوضع العراقيل أمام مسيرة السلام وعدم الوفاء ببنود اتفاق إعلان المبادئ ،ومن ذلك عدم إسراع إسرائيل بإطلاق سراح الفلسطينيين من السجون الإسرائيلية، والبطء فى إعادة انتشار القوات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة .

- وأشار إلى أن إسرائيل تحاول فرض سياسة الأمر الواقع ديمغرافياً على مدينة القدس وهى المدينة التى تعتبر العاصمة التاريخية والطبيعية للفلسطينيين ومهبط الديانات السماوية الثلاث.

- كما أتهم الرئيس ياسر عرفات إسرائيل بإتخاذ العديد من الإجراءات والممارسات ضد المؤسسات الفلسطينية والوطنية مما يمثل انتهاكا للمعاهدات والمواثيق الدولية وقرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

(ب) وكانت السلطة الفلسطينية مرنة تماماً فى تعاملها مع المعارضة الفلسطينية وأبرزها منظمة (حماس) الإسلامية. فقد بدأ عرفات بتوجيه التحذير إلى المعارضة، ثم تعامل معها بقوة فى الداخل وفى نفس الوقت أخذت قياداته تجرى حوارات ولقاءات مع قادة المعارضة حتى يمكن تفويت الفرصة على إسرائيل وخاصة اليمين الإسرائيلى - لضرب الإتفاق الفلسطينى - الإسرائيلى ووأد محاولة إقامة الدولة الفلسطينية التى أخذت ملامحها تتبلور ثم أعلن الرئيس عرفات فى ٩٥/١٠/١٢ أن حركة المقاومة (حماس) قررت الإشتراك فى إنتخابات المجلس التشريعى للحكم الذاتى والمقرر إجرائها العام القادم .

- وأعربت حماس والسلط التنفيذية الفلسطينية عن تأيدهما لإبرام اتفاق وحدة وطنية ووافق الطرفان على عقد لقاء فى القاهرة أو عاصمة عربية أخرى.

- وأخذت المحاولات تتبلور حول قناعات مشتركة بضرورة صيانة وحدة الشعب الفلسطينى توطئه لمزيد من الدعم لقيام الدولة الفلسطينية.

- بعد العديد من اللقاءات، أعلن عرفات أن قادة حماس يرحبون بالسلطة الوطنية وأن السلطة تقبل التعددية السياسية وترفض تعدد السلطات .

– وأعلن قادة حماس (د. محمود الزهار) أن هناك شرطان لنجاح أى لقاء مع عرفات وهما، الديمقراطية الحقيقية ووقف العمليات الإسرائيلية ضد فصائل حماس.

(جـ) وقد حرصت كل الأطراف الفلسطينية على صيانة الوحدة الوطنية، وشعلتها الرئيسية أبناء الانتفاضة، إعترافاً من كافة الأطراف الوطنية بأنه لولا الانتفاضة لما أدركت إسرائيل أهمية وضرورة الحوار مع الفلسطينيين.

(د) ولم تكن كل ردود الفعل الفلسطينية معارضه، بل أن نسبة كبيرة من الفلسطينيين أيدوا الاتفاق للأسباب التالية :ـ

= الأمل فى قيام الدولة الفلسطينية.

= انتهاء فترة طويلة من المعاناة.

= انهاء الإحتلال الإسرائيلى الثقيل.

= اليأس من قدرات الدول العربية والجامعة العربية.

= وأن الاتفاق يعبر عن واقع المنطقة وعلاقات القوة الأقليمية والدولية.

(هـ) ومع تنفيذ بنود الاتفاق الإسرائيلى ـ الفلسطينى يدخل أكثر من ٢٫٥ مليون فلسطينى مرحلة الحكم الذاتى، بعد إنهاء إحتلال إسرائيلى استمر منذ عام ١٩٦٧ .

ومع سريان الأتفاق يتوقع الفلسطينيون تدفق المعونة التى تقدر بنحو ٢٤٠٠ مليون دولار من قبل عددا من الدول المانحة لإعادة أعمار المناطق المحتلة.

(و) وبطبيعة الحال ونظراً لطبيعة الصراع الطويل فى المنطقة وإستمرار المناورات الإسرائيلية واستئثار إسرائيل بأكبر الفوائد من الاتفاق، فإن المعارضة العربية كانت واضحة حتى من داخل حركة (فتح) نفسها، وعلى الأقل يوجد موقف حذر من زيادة التفاؤل.

- وكان أكبر المعارضون الذين اتهموا عرفات بالإنهزامية والإستسلام هما التياران القومى ومنهم الناصرى والأصولى الإسلامى.

- وكذلك نجد موقفاً متشدداً من بعض فصائل حماس ومن كل تنظيم الجهاد الفلسطينى.

- ومن داخل المنظمة حذر فاروق قدومى (روز اليوسف) ١٩٩٥/١٠/٩ من إقدام بعض الدول العربية على إقامة تعاون إقليمى مع إسرائيل فى الوقت الحالى والذى لاتزال تواجه فيه المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية صعوبات تهدد بفشلها.

٢ ـ الموقف المصرى :

(أ) كانت الدبلوماسية المصرية دائماً فى قلب الموقف التفاوضى تحاول إزالة العراقيل عن الطريق، وتقوم بعملية الإنقاذ فى اللحظة الأخيرة حتى لاتتوقف المفاوضات.

(ب) وكانت جهود الرئيس مبارك واضحة فى هذا الصدد، إذ أجتمع مع عرفات ورابين وبيريز أكثر من مرة لتذليل الصعاب، وأنتهت المفاوضات بنجاح على أرض طابا المصرية، مما جعل المعلقين السياسيين يصفون راعيا السلام بأنهما كلينتون ومبارك وليس الولايات المتحدة وروسيا.

(جـ) وقد قدمت مصر ٢١ مليون دولار للمشاركة فى إعادة إعمار فلسطين بالإضافة إلى تقديم خبراتها الإدارية والسياسية.

- والجدير بالذكر أن التمويل العربى لبرنامج المساعدة للفلسطينيين خلال المرحلة الإنتقالية يبلغ حوالى ١٧٧ مليون دولار، تسهم المملكة العربية السعودية بحوالى ٥٦٫٥ ٪ ، والصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والإجتماعى ١٧ ٪، والكويت ١٤ ٪ ،والأردن ٧ ٪، والإمارات ٣ ٪، والجزائر ٢٫٥ ٪ .

٣ ـ الموقف اللبنانى :

ـ كان الموقف اللبنانى فاترا بالنسبة للاتفاقية الإسرائيلية ـ الفلسطينية، لأنه تأثر بالموقف السورى بالإضافة إلى أن إسرائيل لم تتحرك بشكل واضح لحل مشكلة المنطقة المحتلة فى الشريط الحدودى مع لبنان .

ـ وقد كثف حزب الله ـ الموالى لإيران ـ نشاطه العسكرى، وقام بعملية أدت إلى مقتل عدد من الجنود الإسرائيليين فى جنوب لبنان. وسارعت إسرائيل فأقحمت كل من سوريا ولبنان فى المشكلة، بينما سوريا بعيدة عن هذا الاتهام، وأن تحرك حزب الله

جاء بسبب وجود الإحتلال الإسرائيلى لجنوب لبنان، وأدعت إسرائيل أن سوريا تستخدم لبنان وحزب الله كورقة مساومة فى مفاوضاتها.

- وقد واصلت إسرائيل قصف جنوب لبنان بالمدفعية الثقيلة ضد مواقع المقاومة اللبنانية خارج المنطقة المحتلة بجنوب لبنان.

- وقد دعا «يوسف بيلين» وزير الاقتصاد الإسرائيلى إلى إعادة النظر فى إحتلال جنوب لبنان نظرا لما أعلنه حزب الله من أنه سينهى هجماته فقط عندما تنسحب إسرائيل من الأراضى اللبنانية.

- كما أعلن وزير خارجية لبنان أن بلاده لن توقف عمليات المقاومة مالم تحصل على ضمانات بإنسحاب قوات الإحتلال.

- ومما لا شك فيه أن الموقف اللبنانى يؤثر على المسار الفلسطينى الإسرائيلى لأنه يؤجج المقاومة الفلسطينية محاكاة للمقاومة اللبنانية، ويبرز صورة المحتل الإسرائيلى قبيحة أمام المعارضة العربية.

٤ - الموقف السورى :

= تحدد الموقف السوررى من خلال تصريحات الرئيس حافظ الأسد (أهرام ١١/١٠/٩٥) على النحو التالى :

** أن سوريا مقتنعة أن «كلينتون» يريد السلام العادل، وأمريكا ستواصل العمل مع سوريا وإسرائيل لإيجاد مخرج.

** ليس إسرائيل وحدها التى تحتاج إلى ترتيبات أمنية فهى حاجة عربية أيضا.

** أن أتفاق أوسلو كان يشكل ضغط على الأردن، ثم أصبح الاتفاقان الأردنى والفلسطينى يشكلان ضغطاً على الآخرين (يقصد سوريا).

** أن موقف سوريا واضح من قمة عمان الاقتصادية، ولا نرى فائدة من مثل هذه المؤتمرات الهادفة إلى التطبيع بدون سلام.

** أن إسرائيل تماطل، وقد مضت أربع سنوات من المفاوضات مع إسرائيل ولم تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام.

** وقلنا لمنسق عملية السلام أن محطات الإنذار المبكر على الأرض مرفوض حتى لو أنهارت عملية السلام.

** وتدعو سوريا القادة العرب إلى توحيد كلمتهم ومتابعة الجهود للخروج من حالة الضعف الراهن.

** وإذا كانت الشرق أوسطية تعنى تحقيق المصالح الاقتصادية، فلماذا لاتكون عبر إتفاقات ثنائية بين دول المنطقة ومنها إيران وتركيا وباكستان.

** أن الشرق الأوسط تعبير جغرافى غير محدد أما العروبة فهى تاريخ ودماء وأمة كبيرة ومقومات مشتركة.

= وعموما ترى سوريا أن الاتفاق الفلسطينى - الإسرائيلى هو سلام منفرد لا يعبر عن مصلحة الأمة العربية وأنه أتفاق هزيل.

٥ - الموقف الليبى:

ـ دون الإفاضة فى الموقف الليبى وهو موقف غريب انتهى إلى مزيد من المعاناة، نتيجة قيام ليبيا بطرد آلاف من الفلسطينيين إلى الحدود المصرية ودفعهم للعودة، ربما بغرض تأجيج الصراع داخل فلسطين.

ـ وقد استهجنت كافة الإتجاهات هذا الموقف غير المفهوم وغير المبرر.

٦ ـ الموقف الخليجى :

(أ) لم تشارك دول الخليج العربية فى الحرب العربية ـ الإسرائيلية عام ١٩٤٨ بسبب حداثة استقلالها وبعدها الجغرافى، لأن هذه الدول لم يستكمل استقلالها إلا فى الستينيات والسبعينيات باستثناء السعودية.

(ب) وقد أيدت دول الخليج دوما نضال الشعب الفلسطينى، ودعمت منظمة التحرير، واستقبلت العديد من الفلسطينيين العاملين على أرضها، ثم حدثت نكسة فى العلاقات الفلسطينية الخليجية نتيجة الموقف الفلسطينى المؤيد لغزو العراق للكويت.

(جـ) ورغم أن دول الخليج عارضت كامب دافيد بشدة، إلا أنها مع تطور الأحداث ـ وخاصة بعد الغزو العراقى، وتعدل موازين القوى الدولية أشادت عام ١٩٩١ بجهود السلام التى رعتها الولايات المتحدة فى إطار مدريد، وقد شارك مجلس التعاون الخليجى بوصفه مراقبا.

(د) وقد رحّبت دول مجلس التعاون بإعلان المبادئ بين المنظمة وإسرائيل على أساس أنه خطوة نحو حل عادل وشامل.

(هـ) وقد تراوحت ردود فعل دول الخليج بين التحفظ والإنتظار، وبين الإنفتاح الواضح على إقامة علاقات مع إسرائيل، ونموذج للموقف الثانى هو دولة قطر وسلطنة عمان.

٧ ـ الجامعة العربية (١):

(أ) والجامعة العربية فى الوقت الراهن فى أسوأ حالاتها السياسية والمالية، وهى منظمة أصبحت رمزية لاتهتم بها الدول المشاركة فيها.

(ب) وقد أيدت الجامعة العربية الاتفاق الإسرائيلى ـ الفلسطينى .

(جـ) وأعلن أمينها العام أن السلام ليس منحه من إسرائيل ويستحيل هيمنة ٥ ملايين نسمة على ٢٤٠ مليون عربى .

(د) وبعد هذا الإعلان القوى وافقت الجامعة على المشاركة فى أعمال مؤتمر عمان الاقتصادى، وهو المؤتمر الذى يعنى نجاحة موت الجامعة العربية.

***

---

(١) انظر تعليقى على الجامعة العربية فى الفصل المتعلق بالمنظمات الأقليمية.

ثالثاً: الموقف الإسرائيلي (الأمريكي):

١ ـ الموقف الأمريكى:

الموقف الأمريكى هام جدا لتفهم الموقف الإسرائيلى، لأن الذى يحرك هى أمريكا وليس إسرائيل. ونذكر بأن شامير (الليكود) إبان مؤتمر مدريد (١٩٩١) كان يعرقل عملية السلام ومستفزاً للمفاوضين، ولم ينته به الوقت طويلا إذ تمت الإطاحة به فى ظروف لم تحدد حتى الآن وجاء حزب العمل الأكثر استجابة للرؤية الأمريكية.

(ب) وبعد السقوط السوفييتى وزوال الشبح الشيوعى، أصبحت الورقة العربية ـ اقتصاديا وأمنياً ـ هامة فى إطار الإستراتيجية الكونية الأمريكية.

- وتحركت الولايات المتحدة لإصلاح الوضع فى الشرق الأوسط، وفاء بتصوراتها، بضرورة إيقاف معوناتها الخارجية ومنها المعونات لإسرائيل ومصر، لأن الاقتصاد الأمريكى يمر بضائقة واضحة.

(جـ) وتهدف أمريكا أيضا إلى الإبقاء على الدور الأمريكى فى المنطقة ومنع تنامى الدور الأوروبى، وهذا بفرض السيطرة على المنطقة اقتصاديا، وهذه السيطرة لن تتيحها العلاقات مع إسرائيل بعيداً عن التعاون العربى.

(د) وقد أكد مساعد وزير الخارجية الأمريكى بأن مناخ السلام قد تحسن بعد الاتفاق الفلسطينى ـ الإسرائيلى وعلى سوريا أن تدرك هذه الرسالة.

- كما أكد أن أى حكومة إسرائيلية لن تلغى إلتزاماتها .

- وأن أمريكا رفضت نقل سفارتها إلى القدس (١).

٢ ـ المعوقات الإسرائيلية :

(أ) وكعادتها عمدت إسرائيل إلى: التسويف والمماطلة فى تنفيذ بنود الاتفاق، رغم أن إسرائيل تعلم انها فى النهاية مضطرة لتنفيذ البنود لعدة أسباب منها :

** أن إسرائيل أصبحت محاصرة أخلاقيا بسبب الأحتلال فى عالم جديد يرفض الإجراءات القمعية الإسرائيلية.

** وبسبب إصرار دول العالم ومنها ـ بل أولها ـ أمريكا لأسباب مصلحية على إطفاء بؤر التوتر .

كما تهتم إسرائيل بالفصل بين الشعبين، لأن بقاء ملايين الفلسطينيين داخل إسرائيل يعد قنبلة موقوتة.

(ب) كما تصر إسرائيل على الاحتفاظ بمستوطناتها داخل الأراضى الفلسطينية، وهو أمر يؤدى إلى إشتعال الصراع مرة أخرى.

(جـ) وتتباطأ فى موضوع حيوى مثل أطلاق سراح المسجونيين الفلسطينيين.

---

(١) وافق الكونجرس الأمريكى على نقل السفارة الأمريكية إلى القدس فى موعد نهايته ١٩٩٩ .

٣ ـ محاولة ضرب الأطراف

- وتحاول إسرائيل ضرب الأطراف العربية بعضها بالبعض، مثال ذلك إصرارها على الحل المنفرد، ومحاولة الضغط على سوريا، بالاتفاق أولا مع المنظمة ثم مع الأردن.

- كما تعمد إلى مناورة ـ تدعمها الولايات المتحدة ـ وهى قيام مؤتمر للتعاون الاقتصادى فى عمان فى أواخر أكتوبر ١٩٩٥[١] إستمرارا لمؤتمر الدار البيضاء، وهو أمر اعتبرته عدد من الدول العربية فرض التطبيع قبل الإنهاء من تحقيق السلام.

٤ ـ موقف الكنيست :

- ومع كل المناورات وبعد ١٥ ساعة من المناقشات الساخنة وافق الكنيست الإسرائيلى فى ١٩٩٥/١٠/٦ على الاتفاقية بأغلبية ٦١ صوتا ضد ٥٩ بفارق صوتين .

- وفى تعهد ـ للاستهلاك المحلى ـ أعلن «رابين» أنه سيجمد الإتفاق، إذا لم يف الفلسطينيون بتعهداتهم.

- وقد أكد «رابين» أمام الكنيست أنه لا يمكن إيقاف سفك الدماء إذا لم تنه إسرائيل سيطرتها على الفلسطينيين، مؤكدا أن الاتفاق يعد خطوة كبيرة على طريق إنهاء النزاع الفلسطينى ـ الإسرائيلى.

- وقد عارضت قوى اليمين الإسرائيلى الاتفاق، وقامت بمظاهرات

---

(١) تم انعقاد المؤتمر فى التاريخ المحدد له.

ضخمة إحتجاجا على الاتفاق، وقامت بمحاولة إقتحام مبنى البرلمان.

- وطالب المعارضون المتشددون بقتل رابين وإسقاط حكومة العمل.

رابعا : تعليقات عامة ونتائج متوقعة :

١ ـ تعليقات عامة :

(أ) أن الاتفاق يعكس علاقات القوة عالميا واقليمياً ، ويلبى مصالح الولايات المتحدة ودول أوروبا ودول العالم التى تصر على تصفية بؤر التوتر فى العالم.

(ب) من رأى حزب العمل أنه لابد من الانسحاب الإسرائيلى لتحقيق السلام للشعب اليهودى، لأن إستمرار السيطرة على الفلسطينيين يؤدى إلى إهدار للدم وللموارد المالية ولايحقق مصلحة إسرائيل على المدى الطويل.

(جـ) ويرى حزب الليكود والمتطرفون اليهود، أن السلام مزيف والاتفاقية خطر كبير على أمريكا وإسرائيل وأن رابين خائن.

(د) المعارضة الفلسطينية وصفت الإتفاقية بالاستسلام والإنهزامية والضعف الظاهر.

– أما عرفات فقد اعتبرها خطوة على الطريق الصحيح نحو إقامة الدولة الفلسطينية وإنهاء معاناة الشعب الفلسطينى.

– ومعظم الشعب الفلسطينى رحب بالإتفاقية على أمل تحسن أحوال الشعب مادياً وبأمل إقامة الدولة الحلم.

٢ ـ النتائج المتوقعة

(أ) ورغم تشكيك المعارضة على الجانبين فى إمكانية صمود الاتفاق مستقبلا، إلا أن فرص نجاح الإتفاق واضح، نظرا

للأصرار الدولى وخاصة الأمريكى على تسكين بؤرة الصراع فى الشرق الأوسط.

(ب) وأحدى نتائج الاتفاق سيكون إقامة كيان فلسطينى مستقل فى شكل دولة أو اتحاد فدرالى أو كونفدرالى مع الأردن، والأرجح أن ينتهى الأمر بإقامة دولة فلسطينية ديمقراطية وهو أمر بدأت إسرائيل تتقبله من الآن.

(جـ) ورغم أن إسرائيل حققت مرادها مع الدول المحيطة ما عدا سوريا، فإن الزمن ليس فى صالح إسرائيل لأنه لا سلام فى المنطقة بدون سوريا والولايات المتحدة وإسرائيل تدركان ذلك. وسيتم تليين الموقف الإسرائيلى للوفاء بمتطلبات سوريا التى تصر على السلام أولا قبل التطبيع، والسلام يعنى الإنسحاب الإسرائيلى الكامل من الجولان.

(د) ولن يكون هناك تعاون إقتصادى عريض فى المنطقة إلا بعد اجتياز المرحلة وإتمام عملية السلام، ولذلك فإن فرص مؤتمر عمان الأقتصادى محدودة بالمقارنة مع الإمكانات التى تتحقق بعد إرساء السلام الدائم والعادل.

القسم العاشر

الأسلوب الصهيونى فى التعامل مع مشكلات الشرق الأوسط

الأسلوب الصهيوني في التعامل
مع مشكلات الشرق الأوسط

تمهيد

- على ساحة الشرق الأوسط قامت حركتان، الأولى متواجدة على أرضها وتحت السيطرة الاستعمارية وهى الحركة العربية، والثانية حركة دؤوب تخطط للإنتقال بثقل سكانى إلى المنطقة للاستعمار أيضا، ولكن بشكل مختلف وهو الأستعمار الأستيطانى.

- وكان قدر الحركة العربية أن تناوئ الأستعمار طلبا للإستقلال، وكان اختيار الحركة الصهيونية التعلق بركب الأستعمار والاستفادة من وجوده.

- وقد تخندقت الحركة العربية خلف حقها الطبيعى، ولجأت الحركة الصهيونية إلى استخدام كل الوسائل الممكنة التى توصلها إلى غاياتها.

- ومن المفيد نتتبع باختصار أسلوب الحركتين وبشكل عام، مركزين على الأسلوب الصهيونى وهو موضوع هذه الحركة، أما الأسلوب

العربى فقد جانبه التوفيق لأسباب كامنة فيه، ولأنه واجه أكثر الحركات التاريخية شراسة ونعنى بذلك الحركة الصهيونية ، والتحرك الاستعمارى والهيمنة الأمريكية.

* * *

أولا : ماقبل عام ١٩٤٨ :

١ ـ بسبب القهر الأوروبى لليهود وخاصة فى روسيا ودول أوروبا فى الشرق، وللأدبيات اليهودية التى تبشر بالخلاص وبالوطن اليهودى فى فلسطين، حاولت عدة جماعات قبل «هرتزل» وأثناء حياته، عرض مناطق يهاجر إليها اليهود لإقامة وطن قومى لهم، ومثال ذلك الأرجنتين وأوغندا والعريش، إلا أن المتطرفين اليهود أصروا على فلسطين لأنها تمثل لليهود الصحوة والبعث وأرض الميعاد.

٢ ـ وانتصرت المجموعة المتطرفة وتم اختيار فلسطين وطنا، كما انتصرت من قبل على التيار التنويرى داخل الحركة اليهودية الذى كان يطالب اليهود بالاندماج فى مجتمعاتهم وقصر غاية الحركة اليهودية على البعد الثقافى الإنسانى.

٣ ـ وقد حققت الجماعة المتطرفة انتصارها على محورين :

(أ) الأول تحويل الحركة إلى الوجهة السياسية.

(ب) حسم الاختيار فى فلسطين.

• ونلاحظ أن الجماعات المتطرفة كانت ولاتزال داخل الحركة

الصهيونية تدعو إلى أقصى المطالب، وهو أحد تكتيكات الحركة الصهيونية.

- كما لجأ المتطرفون إلى تكتيكات معروفة، وجهوا بعضها إلى «هرتزل»، قبل وفاته بأنه قد تخلى عن جوهر القضية، واتهموا آخرين بالخيانة والتخاذل والاستسلام.

٤ - ومع إنتصار تيار خيار - فلسطين قرروا فى مؤتمراتهم مايلى تحقيقا للهدف :

(أ) إقامة مستعمرات زراعية وعمرانية فى فلسطين (بداية الاستيطان).

(ب) تدعيم الروح المعنوية والقومية لليهود.

(جـ) الاستفادة من تنافس الدول ومساعدتها لتحقيق هدف الصهيونية (سياسة التعلق بالركب).

٥ - وطوال عمل الحركة الصهيونية نلاحظ باستمرار - وهو أمر طبيعى - وجود تيارين رئيسيين يختلفان فى الأسلوب ويتفقان فى الغايات وهما : الأسلوب القافز المتطرف (الصقور) والأسلوب المتدرج الذى يراعى الظروف (الحمائم).

- وقد وضح تلاحم الجانبين فى المواقف المصيرية فى عام ١٩٤٥ عندما تقدمت المنظمة الصهيونية ببيان إلى الدول العظمى صاغه كل من «وايزمان» و «بن جوريون» وتضمن :

(أ) أن تعلن الدول العظمى عــزمــهــا على أن تكون فلسطين كومونولث يهودى ديمقراطى (يلاحظ النغمة المعادية للفاشية والدكتاتورية للتأثير على الغرب).

(ب) تلغى قيود الهجرة وبيع الأراضى.

(جـ) ضمان مساعدات مالية وفنية.

(د) أن يصبح للوكالة اليهودية فى فلسطين حق الاستشارة والتمثيل فى المحافل الدولية والتى تتناول شئون فلسطين.

٦ ـ وقد جاء البيان الممتلئ بالمطالب بعد تاريخ طويل، منه مؤتمر «بازل» حيث حشد فيه اليهود طاقاتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية والحركية مما مكنهم من صدور (وعد بلفور) وإنهاء الإنتداب فيما بعد.

٧ ـ وكما سبق أن ذكرنا، فإن الحركة الصهيونية، استفادت من إرتباطها بالاستعمار البريطانى فصدر (وعد بلفور) وسمح لها وضع الإنتداب البريطانى بأن تزيد من هجرة اليهود إلى فلسطين، وأن تحشد الأموال لشراء الأراضى من العرب بشكل مستمر، وعندما وجدت الحركة الصهيونية أن الوقت أصبح فى صالحها وأن الظروف الدولية أصبحت مواتية تقدمت بطلباتها إلى الحلفاء عام ١٩٤٥، وأنتهى الأمر بعرض القضية على الجمعية العامة للأمم المتحدة، التى أقرت فى نوفمبر ١٩٤٧ مشروع تقسيم فلسطين وتضمن القرار :

(أ) إنهاء الانتداب البريطانى على فلسطين قبل ١٩٤٨/٨/١ .

(ب) قيام دولتين فى فلسطين أحداهما عربية والأخرى يهودية.

(جـ) إدارة دولية للقدس.

(د) يتم تنفيذ كل ذلك فى ميعاد لايتجاوز أكتوبر ١٩٤٨ .

- وقد رفضت الدول العربية والفلسطينيون قرار التقسيم، وقبلته إسرائيل التى تمكنت من انتزاع اعتراف دولى بدولة اليهود وليس بوطن لهم كما كانت تطالب من قبل.

* * *

ثانيا : فترة ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣

١ ـ لجأت الحركة الصهيونية ـ وإسرائيل إلى كل السبل لتدعيم توسع الدولة الإسرائيلية، فعمدت إلى أساليب الإبادة والإرهاب ومصاردة الأراضى وطرد السكان.

- واندفعت الدول العربية دون ترتيب أو استعداد عسكرى وسياسى إلى الحرب، وأنتهى الأمر بهزيمة العرب، بصدور قرار مجلس الأمن بوقف القتال على مختلف الجهات.

- وتقابلت وفود الدول المتحاربة عام ١٩٤٩ ووقعت اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل وكل من مصر ولبنان والأردن وسوريا.

- ويلاحظ أن إسرائيل تعلمت درس هذه الحرب جيدا، لأنها تيقنت أن مع كل حرب ضد العرب لابد وأن تخرج بميزة وبمزيد من الأراضى والأموال من الدول الغربية.

٢ ـ ويلاحظ أن «بن جوريون» ذكر زملاءه بالكنيست فى خطابه له عام ١٩٥٠ ، بأن تسعة أعشار يهود العالم لايزالون بلا وطن. وهو أمر يكشف السياسة التوسعية والاستيطانية لإسرائيل منذ أمد طويل.

كما ردد «بن جوريون» فى مقالات نشرها عام ١٩٥٢ ادعاءات الحدود الآمنة، وهو أمر يرادف التوسعية والاستيطان والعدوان المستمر.

٣ ـ وعندما واجه «عبد الناصر» الضغوط الاستعمارية البريطانية والفرنسية والأمريكية وأمم قناة السويس لجأت كل من بريطانيا، وفرنسا إلى التآمر وأشترك معهما «بن جوريون» الذى حضر مناقشة الخطة فى جناحه بباريس والفرنسية الأمريكية وأمم قناة السويس لجأت وقد حذرت الولايات المتحدة كل من بريطانيا وفرنسا باستخدام القوة ضد مصر، وكانت تفضل استخدام الضغوط السياسية والاقتصادية. وقد بدأ السيناريو بهجوم إسرائيل العسكرى الواسع ضد مصر، أعقبه تدخل عسكرى بريطانى ـ فرنسى بحجة الفصل بين القوات وحماية الممر المائى، وأنتهت المؤامرة بعد الإنذار السوفييتى والضغط الأمريكى داخل الأمم المتحدة وانسحبت قوى العدوان إلا أن إسرائيل حققت الكثير من أغراضها فقد حصلت على :

(أ) مساعدات مالية.

(ب) معدات عسكرية.

(جـ) وحق المرور فى خليج العقبة المصرى.

(د) ووجود قوات دولية من الأمم المتحدة لحفظ السلام فى بعض مناطق سيناء.

= وقد أعلن «بن جوريون» عقب إحتلال سيناء أن أهدافه الثلاثة قد تحققت :

(أ) القضاء على قوات العدو التى تهدد إسرائيل.

(ب) تحرير الأجزاء من الوطن التى لاتزال تحت الإحتلال؟؟

(جـ) ضمان حرية المرور فى العقبة والسويس.

• ويلاحظ أن إسرائيل دائما مع كل عدوان وتوسع تعلن شعار أنها دولة مسالمة وأن التفوق العددى العربى الرهيب يهدد بالقائها فى البحر، وأنها مستعدة للتفاوض دائما، وأنها مجتمع الديمقراطية والحرية، ومع ذلك باستمرار تكتسب أراضى وأموال ودعم أكبر.

• ونلاحظ إن إسرائيل بعد تجربة السويس بدأت العمل على الإنتقال من التبعية البريطانية البطيئة إلى التبعية الأمريكية الصاعدة.

٤ ـ وكما ذكرنا بدأت إسرائيل فى أوائل الستينيات تعتمد على الجانب الأمريكى، وتصبح عميلة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، وقد لاقى هذا الانتقال استجابة من الولايات المتحدة على أساس:

(أ) أن المجتمع الإسرائيلى نموذج للديمقراطية الغربية.

(ب) أن إسرائيل ستقوم بالأعمال القذرة والمكلفة نيابة عن الولايات المتحدة.

(جـ) أن إسرائيل ستكون أداة محاربة النفوذ السوفييتى فى المنطقة والحفاظ على المصالح الأمريكية.

● أما إسرائيل فقد كسبت من وراء تحالفها مع أمريكا الكثير، وعلى سبيل المثال :

(أ) مزيد من المعونات الاقتصادية.

(ب) مزيد من الأسلحة الحديثة للجيش الإسرائيلى.

(جـ) مظلة حماية أمريكية عند الضرورة.

(د) سيكون تحالفها بمثابة تباعد بين الولايات المتحدة والدول العربية.

٥ - وفى عام ١٩٦٧ بسبب التوتر فى المنطقة العربية، وضغوط بعض الدول والحركات العربية على مصر، ومناورات إسرائيل السياسية والعسكرية. طلبت مصر من السكرتير العام للأمم المتحدة سحب قواته على الحدود مع إسرائيل وقامت بإغلاق خليج العقب فى وجه الملاحة الإسرائيلية، وهنا احتشدت إسرائيل والولايات المتحدة خلفها ووجهوا ضربة قاصمة للدول العربية فى حرب الآيام المعدودة، تمكنت خلالها إسرائيل من احتلال كل سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة.

● ووافق مجلس الأمن على قرار فى يونيو ١٩٦٧ بإيقاف إطلاق النار دون أن ينص كما هى العادة على إنسحاب القوات المعتدية إلى الخطوط التى كانت تحتلها قبل العدوان، وقدمت أمريكا

مساندتها كاملة حتى يتجمد الموقف، وهو ماتحقق بالقرار ٢٤٢ الذى ضمن تجميد الأمور وهى بطبيعة الحال فى صالح إسرائيل.

= ويمكن التعرف على أساليب إسرائيل بالنظر فى خطاب «بن جوريون» أثر عدوان ١٩٦٧ فقد قال :

(أ) إن حرب الأيام الستة ليست المعركة الأخيرة لأن العرب مازالوا يخططون للقضاء على إسرائيل (ويلاحظ أنه يظهر إسرائيل بمظهر الضعف) .

(ب) لابد من قدوم موجة كبرى من المهاجرين اليهود بغرض دعم الاستيطان؟

● واستمرت مواقف إسرائيل فى مواجهة محاولات حل الموقف وكانت رؤيتها :

(أ) التمسك بقرار وقف إطلاق النار غير المحدود، وهو يفى ببقائها على خطوط المواجهة بكل المزايا السياسية والاستراتيجية التى تحصل عليها .

(ب) رفض الانسحاب من الأراضى التى احتلتها بحجة أن القرار الذى ينص على الانسحاب لايحدد ثمنا يدفعه العرب فى مقابل هذا الإنسحاب ويلاحظ أن هذه الرؤية ظلت سارية حتى اليوم ونقصد بذلك ماجاء فى (ب).

● وقد واجهت الدول العربية الموقف الإسرائيلى المتعنت بمقررات مؤتمر الخرطوم (١٩٦٧) وبالتفكير فى استخدام سلاح البترول، وبحروب الاستنزاف وبالاستعدادات العسكرية لمواجهة جديدة.

* * *

ثالثا : فترة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٩ :

١ ـ فشلت كل الجهود التى حاولتها الدول العربية لتحقيق انسحاب إسرائيل من الأرض التى احتلتها عام ١٩٦٧، وذلك بالرغم من كل المحاولات والمبادرات، ومنها مبادرات الرئيس السادات التى كانت بمثابة إشارات ورسائل ضمنية إلى الولايات المتحدة مثل :

(أ) حركة التصحيح التى قادها السادات فى منتصف مايو ١٩٧١ وفيها وجه ضربة قاصمة للناصريين.

(ب) مساعدة «جعفر النميرى» فى السودان لسحق الحزب الشيوعى السودانى ومحاولته تولى السلطة (يوليو ١٩٧١).

(جـ) الإفراج عن المسجونين والمعتقلين السياسيين (١٩٧١).

(د) قرار السادات بطرد الخبراء العسكريين السوفييت (يوليو ١٩٧٢).

● وقامت حرب التحريك العربية فى ٦/١٠/١٩٧٣ وكان أبرز نتائجها :

(أ) الأداء العسكرى العالى للقوات العربية والتى نسفت مبادئ الأمن الإسرائيلى.

(ب) استخدام سلاح البترول العربى.

(جـ) الحصار الذى نفذته اليمن الديمقراطية عند باب المندب.

(د) قيام أغلبية الدول الأفريقية بقطع علاقاتها بإسرائيل.

(هـ) الأزمة الاقتصادية والسياسة المعنوية داخل إسرائيل.

٢ ـ وفى ١٩٧٣/١٠/٢٢ صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذى تضمن الايقاف الفورى للقتال ودعا إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بكل بنوده، ودعا إلى التفاوض تحت الإشراف الدولى الملائم من أجل إقامة سلام عادل ودائم.

٣ ـ ورغم ذلك لم يحدث تحريك للموقف، رغم أن حرب أكتوبر كان المفروض أن تؤدى إلى ذلك، والسبب أن الولايات المتحدة وإسرائيل كانتا تتمسكان بالأسس المتفق عليها بينهما وهى:

(أ) تفوق عسكرى دائم على كل العرب.

(ب) تأكيد حالة الإنقسام فى الوطن العربى لتعويق المد الشيوعى.

(جـ) تحييد سلاح البترول.

(د) تعزيز النفوذ الأمريكى فى المنطقة وإضعاف النفوذ السوفييتى.

(هـ) ضرب القوى الراديكالية العربية وخاصة دول الطوق.

٤ ـ وهنا تحرك الرئيس السادات بموافقة الأمم المتحدة والقوتين العظمتين، وكان مؤتمر جنيف ١٩٧٣ (ديسمبر)، الذى تحقق نتيجة تحرك ونشاط سكرتير عام الأمم المتحدة، ووجه الدعوة إلى كل من : مصر وسوريا والأردن وإسرائيل، وحضرته كل الأطراف بما فى ذلك الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فيما عدا سوريا التى رفضت الحضور.

● وكان أسلوب إسرائيل هو المراوغة، وتقديم مطالب أكثر من الوضع القانونى واللجوء إلى موضوعات جانبية ومسائل إجرائية. وأخيرا

لجأت إلى وضع تساوم فيه للحصول على مزيد من المكاسب بلورت موقفها إبان مؤتمر جنيف فيما يلى:

(أ) أنها لن تتخلى عن كل الأراضى المحتلة، لأنها تسعى إلى تحقيق «حدود آمنة».

(ب) أن الدولة الفلسطينية ينبغى أن تقام فى الأردن.

(جـ) أن إسرائيل لن تعيد القدس (الجزء العربى) إلى الأردن.

(د) أنها تستبعد الفلسطينيين من المشاركة فى المفاوضات، لأن مؤتمر «جنيف» جاء تنفيذا للقرار ٢٤٢ الذى لم يذكر الفلسطينيين، بمعنى أن القضية الفلسطينية غير مدرجة على جدول أعمال المؤتمر.

- وقد عقد المؤتمر تحت إشراف الأمم المتحدة، ولكن برئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، وأنتهى المؤتمر عند حد خطب الأفتتاح.

٥ ـ وقد قفز الرئيس السادات قفزة أخرى، فقد أعلن موافقته على زيارة إسرائيل، والتحدث أمام الكنيست وتمت الزيارة فى ١٩٧٧/١١/١٩ .

٦ ـ وقد أثمرت هذه الزيارة نتجتين : الأولى، دمغ عدد من الدول العربية والأحزاب العربية الرئيس السادات بالخيانة وبأنه يقدم على حل منفرد. والأخرى، مؤتمر مينا هاوس بالقاهرة فى ١٩٧٧/١١/٢٧ حيث وجهت مصر الدعوة إلى حكومات

الولايات المتحدة وإسرائيل والأردن ولبنان وسوريا والفلسطينيين لحضور الاجتماع التحضيري تطبيقا لما سبق الاتفاق عليه فى مؤتمر «جنيف» ١٩٧٣ .

وأقتصر الحضور فى «مينا هاوس» على مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

● ولم يسفر المؤتمر عن شئ إيجابى إلا بناء ثقة بين مصر وكل من الولايات المتحدة وإسرائيل.

٧ ـ إتفاقيتى كامب دافيد (سبتمبر ١٩٧٨) .

= وقد أستقر فى ذهن الرئيس السادات أن حل مجمل الموقف يتطلب إجراءات خاصة، لإقتناعه وفقا لما أعلنه بأن ٩٩ ٪ من الأوراق بيد الولايات المتحد،ة فقام بتعديل سياساته بالتدريج لتصبح:

(أ) الانفتاح الاقتصادى والتعددية الحزبية فى الداخل.

(ب) التحالف مع الولايات المتحدة والصلح مع إسرائيل.

● وقد أثمرت زيارة السادات إلى «القدس» وتعديل مجمل سياساته تحركا أمريكيا. إذ قام الرئيس «كارتر» بتوجيه الدعوة إلى الرئيس السادات، ورئيس الوزراء مناحم بيجين، لاجتماع فى «كامب دافيد» «استمر أكثر من الوقت المعتاد فاستغرق من ٥ ـ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨» وتمخض عن إطار تفاوضى لحل مشكلات مصر وإسرائيل وموضوع الضفة الغربية وقطاع غزة، وتم إحراز تقدم فتم الأعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

٨ ـ وفى مارس ١٩٧٩ توصلت كل من مصر وإسرائيل إلى معاهدة سلام حددت جدولا زمنيا لانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء، وتطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية وهى معاهدة عكست مبدأين إسرائيليين هما :

(أ) التزامن بين ما تعطى وما تأخذ.

(ب) التقسيط بدلا من الحل الشامل مرة واحدة.

● وقد رفضت معظم الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية، إطار كامب دافيد، وعلقوا عضوية مصر فى الجامعة العربية وقاموا بقطع العلاقات الدبلوماسية معها، بما يعنى عزلة مصر عن العالم العربى.

٩ ـ وأنتهت هذه المرحلة فعليا باغتيال الرئيس السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ .

١٠ ـ وقد حققت إسرائيل من صفقة كامب دافيد عدة مكاسب أبرزها :

(أ) مزيد من المعونات الاقتصادية.

(ب) مزيد من المعونات العسكرية.

(جـ)إخراج مصر من المعركة العسكرية والسياسية.

(د) عزلة أكبر دولة فى المنطقة (مصر).

(هـ) توقف الحديث عن حقوق الفلسطينيين.

(و) مزيدا من التفكك فى العالم العربى.

(ز) إستعادة إسرائيل لعلاقاتها مع كثير من الدول وخاصة الأفريقية وبدء زوال العزلة الإسرائيلية.

(ح) إنفراد إسرائيل بالعالم العربى، فزادت من أعمالها العدوانية :

- قصف المفاعل العراقى (يونيو ١٩٨١).
- ضم الجولان (ديسمبر ١٩٨١).
- غزو لبنان (يونيو ١٩٨١).
- مذابح صابرا وشاتيلا (سبتمبر ١٩٨٢).
- والغارة الإسرائيلية على مقر المنظمة فى تونس (١٩٨٥).

* * *

رابعا : فترة السقوط السوفييتى والمتغيرات الجديدة.

١ ـ كما سبق أن ذكرنا، ارتبط المد الإسرائيلى بالتعلق بالركب الاستعمارى وأخره الأمريكى، والذى اتفقت مصالح كل منهما، وكانت إسرائيل بمثابة العميل لأمريكا فى المنطقة، ولكن حدثت هزة عنيفة بدأت من منتصف الثمانينات بتولى «جورباتشوف» القيادة فى الأتحاد السوفييتى، وأعلن نظرية «البرويسترويكا» التى هدفت إلى المصارحة وإعادة البناء، ولكنها انتهت إلى هدم الأتحاد السوفييتى وزوال الحرب الباردة، وكان أبرز محاك زوال هذه الحرب هى حرب الخليج ـ غزو العراق للكويت (أغسطس ١٩٩٠ ـ ١٩٩١) والتى أظهرت :

(أ) عجز إسرائيل عن التعامل مع الموقف المتفجر فى الشرق الأوسط، بل تحولت إلى عبء يجب حمايته.

(ب) الشعور العدائى العربى - وخاصة الشعبى - ضد الولايات المتحدة بسبب انحيازها لإسرائيل، وهو ما دعا الرئيس «بوش» إلى الوعد بحل مشكلة الشرق الأوسط حلا عادلا بعد إنهاء إجلاء العراق عن الكويت، وبعد أن اتهمت الولايات المتحدة، عربيا ودوليا بأنها تكيل فى تعاملها مع العدوان (إسرائيل والعراق) بمكيالين، وبعد أن فجر العراق فكرة الربط بين الإنسحاب العراقى والإنسحاب الإسرائيلى.

(جـ) أن مشكلة الشرق الأوسط أصبحت عبئا ماليا وسياسيا على كاهل الولايات المتحدة وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتى، ويجب حل هذه المشكلة فى إطار تعاون شرق - أوسطى.

٢ - (وقد برّ الرئيس بوش بوعده فتمت الدعوة إلى مؤتمر مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ :

- تحت رعاية كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، ويلاحظ أن الأخير أصبح ديكورا.

= وحضرت كل الأطراف فى المنطقة : سوريا - الأردن - لبنان والفلسطينيين إلى جانب مصر ودول مجلس التعاون الخليجى ودول الوحدة الأوروبية وممثل الأمم المتحدة.

- ونلاحظ حضور الفلسطينيين فى وفد مشترك مع الأردن، إلا أن الجانب الفلسطينى محدد وله رئيس وخصصت له فترة لإلقاء خطاب على قدم المساواة.



إسحاق رابين

رئيس وزراء إسرائيل ورئيس حزب العمل.

- وقد أشتملت صيغة مدريد على مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والدول العربية المعنية.
- وأعلنت الدول العربية قبول السلام وبشكل موحد لم يسبق حدوثه من قبل.
- وحضرت إسرائيل نتيجة ضغوط أمريكية شديدة لأنها لم تكن قد استوعبت درس المتغيرات الدولية بعد، وكانت تعمل بعقلية ماقبل السقوط السوفييتى.

٣ ـ وقد تمكنت الولايا المتحدة من فرض صيغة مدريد مستندة إلى :

(أ) الضعف الإسرائيلى بزوال أهميتها.

(ب) الضعف العربى بزوال الغطاء السوفييتى وتفكك التضامن العربى بعد غزو العراق للكويت.

(جـ) كما استخدمت الولايات المتحدة فى مواجهة إسرائيل سياسة «العصا والجزرة» أو «الثواب والعقاب» بأن أقدمت على حث الجمعية العامة للأمم المتحدة على إلغاء قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية، وتم ذلك فى ديسمبر ١٩٩١، كما أعلن وزير الخارجية الأمريكى فى الكونجرس أن على إسرائيل أن تختار بين مواصلة إقامة المستوطنات وبين الحصول على الضمانات المصرفية (١٠ مليار دولار).

٤ ـ وها هو اتفاق إعلان المبادئ (المفاجأة) الذى عرف باسم «غزة ـ أريحا أولا» والذى وقع فى ١٩٩٣/٩/١٣ يثبت أن أمريكا

«كلينتون» لا تختلف عن أمريكا ـ «بوش»، لأن مصلحة الولايات المتحدة تأتى أولا ، وهو اتفاق قضى على كل المسلمات العربية والإسرائيلية معا ، وجاء تأكيدا لرغبة قائدة النظام الدولى الجديد فى الحفاظ على مصالحها فى الشرق الأوسط وبأقل التكاليف وبأقل توتر وإثارة فى المنطقة وقد وقعه الطرفان من موقف ضعف لكل منهما وموقف قوة للولايات المتحدة.

* * *

خامساً : الشخصيات الإسرائيلية التى تولت المفاوضات مع الجانب الفلسطينى.

إسحاق رابين (١٩٢٢ ـ ١٩٩٥).

رئيس وزراء إسرائيل ورئيس الأركان السابق، ولد فى القدس عام ١٩٢٢ ، ونشأ فى تل أبيب حيث درس الزراعة، وانضم إلى البالماخ عند تكوينها، واشترك مع ديان فى مهام استكشافية لصالح قوات الحلفاء التى غزت سوريا عام ١٩٤١ ، كما أشترك فى عمليات ضد حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين. وقد تولى منصب نائب قائد البالماخ عام ١٩٤٧ ، ثم تولى قيادة اللواء الثانى من البالماخ عام ١٩٤٨ ، وهو اللواء الذى كان يتولى العمل فى منطقة القدس. وفى نفس العام ساهم فى العمليات التى أدت إلى الإستيلاء على منطقتى اللد والرملة.

وقد أرسل بعدذلك إلى بريطانيا حيث درس فى كلية الأركان، وتخرج منها عام ١٩٥٤ ، ليتولى إدارة التدريب فى الجيش

الإسرائيلى، ثم تولى القيادة الشمالية لإسرائيل فى الفترة ٥٦ ـ ١٩٥٩ قبل أن ينتقل إلى هيئة الأركان حيث رأس فرع القوى البشرية. وقد ارتبط اسمه بالخطة الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧، مما أضاف الكثير إلى الهالة المحيطة به. وقد عين سفيرا لدى واشنطون فى مارس ١٩٦٨، ولعب دوراً هاماً فى تنسيق العلاقات بين البلدين، ويقال إنه كان يتقاضى أجرا على محاضراته التى كان يلقيها أمام منظمات يهودية فى الولايات المتحدة. وقد توترت علاقاته مع وزير الخارجية إيبان، كما أثار ردود فعل متباينة داخل الولايات المتحدة وبين يهودها وفى إسرائيل، بسبب تصريحاته حول السياسة الأمريكية وتعضيده العلنى لإعادة إنتخاب الرئيس نيكسون.

وفى عام ١٩٧٣ عاد رابين إلى إسرائيل، وقد استدعى للخدمة مع عدة جنرالات سابقين إبان حرب أكتوبر، ثم طلب منه رئاسة لجنة تجمع التبرعات لصالح إسرائيل، ثم اختارته مائير وزيرا للعمل فى حكومتها قصيرة المدى. وهو يعد أحد الجنرالات الإسرائيليين القلائل الذين لم تهتز سمعتهم بسبب حرب أكتوبر، وكان هذا أحد العوامل التى شجعت على ترشيحه من جانب حزب العمل لرئاسة الوزارة الإسرائيلية، بالإضافة إلى تفهمه للسياسة الأمريكية فى المنطقة ودفاعه عنها إزاء بعض الانتقادات التى وجهت لها فى الصحافة الإسرائيلية بعد الحرب!

وقد حاول «وايزمان» الحيلولة دون تعيينه رئيسا للوزراء فكشف النقاب عما يسمى «بمذكرة وايزمان» وهى وثيقة كان الجنرال المذكور قد تقدم بها للوزارة الإسرائيلية عام ١٩٦٧ ـ وظلت فى طى

الكتمان منذ ذلك الوقت - ذكر فيها أن رابين أنهار قبل حرب ١٩٦٧ وأنه فكر فى الإستقالة.

وبرغم كل ماقيل فى الصحافة العالمية من أن وصول رابين لهذا المنصب مؤشر على تولى جيل جديد زمام السلطة وسقوط آخر بقايا الحرس القديم، فإن السياسات التى اتبعها رابين منذ توليه رئاسة الوزارة لاتظهر تغيرا جوهريا بالقياس إلى من سبقوه، كما تضمنت تصريحاته الأصرار على الحدود الآمنة ومعانى التوسع وتجاهل الطبيعة القومية للقضية الفلسطينية.

وفى عام ١٩٨٧ عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية واجهها رابين بالقبضة الحديدة. وقاد رابين حزب العمل لمرحلة جديدة من المفاوضات السلمية مع الدول العربية، كان قد سبقه إليها إسحق شامير رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق فى مؤتمر مدريد للسلام.

وحصل رابين العام الماضى (١٩٩٤) على جائزة نوبل للسلام لدوره فى التوصل لإتفاق أوسلو مع الفلسطينيين عام ١٩٩٣، كما وقع اتفاقا للسلام مع الأردن عام١٩٩٤ .

حول إغتيال رابين

١ - الحادث :

فى يوم ١٩٩٥/١١/٤ بينما كان إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل يشارك أكثر من ١٠٠ألف إسرائيلى وعدد من المراقبين فى تجمع فى ميدان «ملوك إسرائيل» فى تل أبيب للتعبير عن مساندة خطوات السلام، تعرض رابين لثلاث رصاصات أودت بحياته.

- وقد قام بإطلاق الرصاص شاب يهودى متطرف يدعى «إيجال عامير» ينتمى لمنظمة إسرائيلية متطرفة تدعى «المنظمة اليهودية المنتقمة».

وعقب الإغتيال مباشرة، ووفقا للتقاليد الديمقراطية فى مواجهة حدث غير ديمقراطى، أجتمعت الوزارة الإسرائيلية واختارت «شيمون بيريز» ليكون رئيسا للوزراء بالإنابة حتى تتم مواجهة الموقف مباشرة.

- وقد تعهد شيمون بيريز رئيس الوزراء فى إسرائيل بالإنابة بالإستمرار فى مسيرة السلام، لأنه لا بديل أمام إسرائيل إلا الإستمرار فى الطريق الذى رسمه رابين ووصفه بالقائد العظيم.

وقال المتطرف القاتل أنه :

- قتل رابين بأمر من الله وأنه غير نادم.
- واتهم الإسرائيليين بتجاهل مافعله رابين من تشجيع قيام دولة فلسطينية.
- وأن الإغتيال كان واجبا دينيا.
- وأن من يتنازل عن البلاد - رابين - هو خائن يستحق القتل.
- وقد ألقت سلطات الأمن القبض على آخرين منهم شقيق القاتل بتهمة المشاركة.

٢ - الأثر على المجتمع الإسرائيلى :

كان إنتقال السلطة سلسا ومضمونا وفق التقاليد الديمقراطية على النحو الذى ذكرناه من قبل.

واستنكر قادة حزب الليكود المنافس الحادث، ودعوا مختلف الإتجاهات الإسرائيلية إلى الوحدة فى مواجهة هذه الكارثة، وعبر رئيس الحزب عن تأييده لإستمرار ترشيح بيريز ليتولى رئاسة الوزارة دون منازعة من حزبه.

وإتهمت بعض دوائر حزب العمل حزب الليكود بالتغذية الدعائية التى أدت إلى إغتيال رابين.

وإنحسار التأييد الإسرائيلى الداخلى من قبل الرأى العام للمتطرفين اليهود.

وتعهد وزير الداخلية الإسرائيلى بسحق تيارات اليمين المتطرف.

وحذر زعيم «الليكود» فى محاولة للتنصل من أى إتهام من الإتصال باليهود المتطرفين فى أمريكا، وهى إشارة مفهومه للرأى العام الإسرائيلى.

وحذر إسحق شامير رئيس الوزراء الأسبق «الليكود» من إندلاع حرب أهلية فى إسرائيل ودعا إلى إنتخابات مبكرة لحسم الخلاف.

وأعلنت جماعة التطرف الدينى الإسرائيلى إبتهاجها بإغتيال رابين.

وقد اتهمت أرملة رابين كتلة الليكود المعارضة بالتورط فى الحادث.

٣ ـ ردود الفعل:

معظم ردود الفعل جاءت رافضة لعملية الإغتيال فيما عدا المتطرفين على الجانبين الإسرائيلى والعربى .

أدانت الدول العربية الجريمة فيما عدا من يعارضون عملية السلام.

وفتحت عملية الإغتيال الطريق لأول زيارة يقوم بها الرئيس مبارك إلى إسرائيل.

وقد حضر الجنازة قادة ورؤساء حكومات وممثلى أكثر من ٨٠ دولة.

وقد ألقى الرئيس مبارك كلمة تأبين، وأدلى بتصريحات مقتضبة جاء بها:-

- علينا أن نمنع أعداء السلام من تحقيق أهدافهم بالعنف.
- وأن بيريز سيواصل مسيرة السلام.
- وأن زيارته لإسرائيل التزام بواجب المشاركة فى الجنازة.
- وأن السلام هو الطريق الوحيد لرفاهية شعوب المنطقة بأسرها.
- وأن رابين تخطى مبادئ الماضى من أجل التعايش السلمى بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

كما ألقى الرئيس كلنتون كلمة عبر فيها عن عمق الصداقة والتحالف بين أمريكا وإسرائيل، وألقى كلمته وهو يرتدى القلنسوه الإسرائيلية «اليهودية».

٤ - نظره إلى المستقبل:

إن أغتيال رابين لم يضعف الإتجاه نحو السلام بل ساهم فى تدعيمه.

كما أن اليمين والتطرف الإسرائيلى خسر بعملية الإغتيال وهو ما أظهره إستقصاء داخلى فى إسرائيل.

أن الخاسر فى هذه العملية التطرف الإسرائيلى والتطرف العربى والرابح هو اليسار الإسرائيلى (حزب العمل) وأطراف السلام فى العالم العربى.

شيمون بيريز (١٩٢٣ - ....)

رئيس الوزراء الإسرائيلى - بعد اغتيال رابين فى ١٩٩٥/١١/٤ حيث كان وزيرا للخارجية.

ولد فى روسيا عام ١٩٢٣، ثم هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٤ حيث تلقى تعليمه فى تل أبيب، وقد أوفده الماباى إلى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين فى مدينة بال عام ١٩٤٦ ممثلا له، ثم أنضم إلى الهاجاناه وقاد وحداتها البحرية فى حرب ١٩٤٨ . وقد ترأس بعثة وزارة الدفاع الإسرائيلية فى واشنطن سنة ١٩٥٠ حيث درس فى جامعة هارفارد، كما تولى منصب المدير العام لوزارة الدفاع ٥٣ - ١٩٥٩ حيث وجه جهوده لتدعيم الصناعات الحربية لتفادى مخاطر الأعتماد المطلق على مصدر خارجى للتسلح وهى أخطر مشاكل إسرائيل.

وقد لعب بيريز دورا واضحا فى فضيحة لافون، كما عمل نائبا لوزير الدفاع من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٥ . وهو عضو بالكنيست منذ عام ١٩٥٩ . وقد رأس عديدا من البعثات العسكرية إلى فرنسا. وهو يكون مع موشى ديان أبرز حلفاء «بن جوريون»، حيث شارك



شيمون بيريز بعد توقيع اتفاق (أوسو)

معهما فى إقامة حزب رافى [1] عام ١٩٦٥ ، وتولى منصب سكرتير الحزب كما تولى منصب نائب السكرتير العام لحزب العمل الإسرائيلى الموحد.

وفى عام ١٩٦٩ تولى منصب وزير الدولة بالوزارة مع توليه مسئولية إدارة الشئون الاقتصادية فى المناطق التى احتلت عقب حرب يونيو ١٩٦٧، وفى عام ١٩٧٠ تولى منصب وزير النقل والمواصلات مع احتفاظه بعضوية اللجنة الوزارية لشئون الأمن والخارجية.

وعقب حرب ١٩٧٣، حاول بيريز الوصول إلى السلطة فقام بترشيح نفسه للحصول على تزكية حزب العمل له كرئيس للوزراء، إلا أنه خسر أمام رابين بأغلبية ضئيلة، ودخل الحكومة الجديدة كوزير للدفاع، وحاول منذ البداية أثبات جدارته بتوجيه سلسلة من الضربات العسكرية ضد لبنان ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين، كما تبنى الدعوة لأسلوب جديد فى مكافحة المقاومة الفلسطينية من خلال تشكيل جماعات مسلحة غير رسمية، وتصفه الصحافة الإسرائيلية بأنه «عملى تكنوقراطى من جيل ما بعد الأيديولوجية».

وبيريز له مؤلفان هما : المرحلة القادمة، ومقلاع داود.

---

(١) حزب عمالى أسسه (بن جوريون) عام ١٩٦٥، بعد خروجه على حزب (الماباى) بسبب النقاش حول فضيحة لافون. ومن الملاحظ أن برنامج حزب رافى لم يختلف فى جوهره عن برنامج حزب الماباى، فقد كان متفقا معه فى السياسة الخارجية، وكان ينادى بالاكتفاء الذاتى، فى أمور تصنيع السلاح، والأمن الوطنى، وبالسلام المبنى على القوة.

نظرة أخيرة

ونقصد بالنظرة الأخيرة الوضع الحالى بالنسبة لأوضاع السلام والتعاون، أو التوتر وأنعدام الثقة فى الشرق الأوسط، ويمكن تلخيصها فيما يلى:

١ ـ بالنسبة للعلاقات المصرية ـ الإسرائيلية، لا يزال معظم التطبيع مجمدا على الصعيد الرسمى، أما الصعيد الشعبى فقد حدث إختراق لا يذكر فى قطاع المثقفين وخاصة الكتاب والفنانين، واقتصرت مجالات التطبيع العريض فى مجالات الزراعة.

ولا تزال مصر تتحرك لأنهاء حركة الجمود الممثلة فى عدم التحرك على الجهة السورية وبطء الحركة بالنسبة لأتمام خطوات الحكم الذاتى الفلسطينى.

٢ ـ وعلى صعيد العلاقات الفلسطينية ـ الإسرائيلية، نجوت إسرائيل من مجالات ثلاثة:ـ

(أ) الأول، تجميد إمكانات النمو الفلسطينى اقتصاديا وسياسيا وذلك بعدم التعاون الاقتصادى الفعال وبطء الحركة فى مجال تدعيم خطوات الحكم الذاتى.

(ب) دفع فصائل الحركة الفلسطينية نحو الصدام المسلح والدموى وهو ما حدث فى ١٨/١١/١٩٩٤ .

ويدخل سجلات التاريخ بوصفه اليوم الأسود الدامى الثانى بعد أحداث أيلول الأسود فى سبتمبر ١٩٧٠ بين الفلسطنيين وقوات الملك حسين.

وقد حدث صدام نوفمبر ١٩٩٤ فى قطاع غزة بين قوات الشرطة الفلسطينية وبين الأصوليين الفلسطينين من حماس والجهاد، وراح ضحيته عدد من القتلى حوالى (٢٠) والجرحى حوالى (٢٠٠) وكانت الطائرات الهيليوكبتر الإسرائيلية تصور أحداث القتلى والجرحى.

(جـ) محاولة الأجهاز على صور القوتين الفلسطينية الرئيسية: عرفات «فتح» من جهة، وحماس والجهاد من جهة أخرى.

وبذلك لا يتبقى من الأرض المحتلة إلا الشراذم.

٣ - على المسار الأردنى، وافقت الأردن على أقامة علاقات دبلوماسية فورا مع إسرائيل وتم تعيين السفير الإسرائيلى لدى عمان ويعمد الملك حسين الأن إلى ترتيب أموره الداخلية بضرب المعارضة غير المستجيبة ومنها حماس وتطويع المعارضة غير المستجيبة التقليدية والأنسلاخ تدريجيا وبسرعة عن المجموعة العربية المتهالكة الضعيفة التى لم تعد تخيف أحد وخاصة أن الملك لم يعد يستجيب لمقترحات مصر أو لضغوط سوريا، بالإضافة إلى أن العراق مريض ودول الخليج لا تزال غاضبة من الملك، وليس أمامه إلا الولايات المتحدة وإسرائيل.

٤ ـ أما القوة الخليجية فقد أنهارت قواها ومواردها وأستجابت لضرورة العصر أمام الأنفرادية الأمريكية والحماية الأمريكية وضغطها فى أتجاه التطبيع ولو أن بعض الدول الخليجية مثل قطر ترفض أن تقوم بدور الممول للمشروعات الشرق أوسطية، ومع ذلك يمكن القول أن القوة الخليجية السياسية قد خرجت من مجال التأثير فى قضية الشرق الأوسط إلى مجال الدفاع عن النفس فى مواجهة الأخطار المحتملة من مربع الرعب المتمثل فى:-

- إحتمال نهضة المارد العراقى.

- إحتمال مد جديد للثورة الإيرانية.

- تهديد الأصولية الإسلامية المتزايد حتى فى داخل المملكة العربية السعودية.

- شبح الأستنزاف المالى والاقتصادى الذى بدأ بحروب الخليج المتتابعة وبانخفاض عائدات البترول وباحتمال وجود بدائل للبترول فى المستقبل المرئى.

٥ ـ وعلى المسار السورى: كانت المفاجأة بعد وضوح المستنقع الفلسطينى والتسليم الأردنى السريع بإعلان اسحاق رابين إبان زيارته لواشنطن فى آواخر نوفمبر ١٩٩٤، أن إسرائيل لن تكون قادرة على دفع الثمن المطلوب للسلام مع سوريا وهذا يعنى، عند تفسير هذا التصريح أن على سوريا أن تقبل بما هو معروض عليها، وهذا يعنى تجميد المباحثات على المسار السورى مع ما يحمله هذا من مخاطر على مجمل أوضاع السلام فى المنطقة.

٦ ـ وأخيرا: نجد أمامنا تقرير الميزان العسكرى السنوى الذى يصدره المعهد الدولى للدراسات الأستراتيجية بلندن، والتحليل الذى قدمه للوضع فى الشرق الأوسط، وأبرز ما جاء به أن إسرائيل تملك مائه صاروخ برؤوس نووية، وأن الناتج القومى لإسرائيل وصل إلى حوالى ٧٠ ألف مليون دولار عام ١٩٩٣، ووصل دخل الفرد إلى ١٥ ألف دولار سنويا (مقارنا بمصر ٤٠٠ دولار سنويا)، ووصل معدل التضخم بها ١١,٣٪ عام ١٩٩٣، وبلغت ميزانية الدفاع لعام ١٩٩٤، ٧,٢ ألف مليون دولار، وتصل المساعدات الأمريكية إلى ثلاثة الاف مليون دولار.

هذا فى الوقت الذى ضربت فيه قدرات العالم العربى ممثلا فى القدرات العراقية الاقتصادية والعسكرية من خلال حرب عاصفة الصحراء.

والصورة هكذا لا تبشر بسلام دائم وعادل رغم توقيع أتفاق المبادىء فى ١٩٩٣/٩/١٣ وما أعقبه من موجة تفاؤل حول فرص السلام، إقتضى الأمر توقيع أتفاق تنفيذى بعد ذلك فى القاهرة.. وثارت مشاكل جديدة حول الخرائط المرفقة بالأتفاق التنفيذى.

وفى الوقت الراهن لا تزال الخلافات حول موعد الأنتخابات وإشتراك سكان القدس فيها وعدد من أعضاء المجلس التشريعى وصلاحيات المجلس ووضع القوات الإسرائيلية خلال الأنتخابات.

وأضيفت إليها خلافات بعد حادث التفجير الأخير فى شوارع تل أبيب والذى راح ضحيته أكثر من ٧٣ إسرائيليا بينهم ٢٣ قتيلا وما

فجرته هذه العملية من خلافات حول صلاحيات الشرطة الفلسطينية وأسلوب التعامل مع حركة حماس المسئولة عن العملية الإنتحارية وتعنت السلطات الإسرائيلية بحصارها لمواطن التجمع الفلسطينين .

ولعل المؤتمر الأول للتعاون الاقتصادى فى الدار البيضاء، والمؤتمر الثانى فى عمان خطوة لازالة بعض هذه العقبات.

القسم الحادي عشر

مواقف رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية والكونجرس الأمريكى المؤيد لإسرائيل وعلاقتهم الخاصة بها منذ قيامها عام ١٩٤٨ إلى أيامنا هذه

ذكر السفير صمويل و. لويس [1] عضو هيئة المفاوضات الأمريكية فى مفاوضات «كامب دافيد» وسفير الولايات المتحدة فى إسرائيل فى أواخر السبعينيات وأول الثمانينات، أن أى رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، أو أى عضو فى الكونجرس الأمريكى لايجرؤ على معارضة مطالب إسرائيل السياسية والاقتصادية، وإلا أن يكون قامر بمستقبله السياسى والاقتصادى والاجتماعى.

(١) من كتاب الثبات والتغيير فى العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

تمهيد

بعد موقف الرئيس ايزنهاور من إسرائيل فى الأعتداء الثلاثى على مصر، عمد اليهود المؤيدون لإسرائيل إلى تعزيز نفوذهم السياسى داخل الكونجرس، وأداتهم الأولى فى ذلك هى اللجنة الأمريكية للشئون العامةالإسرائيلية، التى نمت وأصبحت منظمة للضغط السياسى داخل الهيئة التشريعية، وهى ذات عضوية حاشدة وفاعلية هائلة.

وضاعف الاتجاه نحو آليات وتمويل الحملة السياسية من دعم جهود اللجنة الأمريكية للشئون العامة الإسرائيلية، يضاف إلى هذا أن إسرائيل قد صارت قضية شعبية لدى كثير من الجماعات الدينية المسيحية الأنجيلية والأصولية.

وواقع الأمر أن هناك قاعدة سياسية عريضة للعلاقة الوثيقة وغير العادية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وهى أشبه ماتكون بحلف غير مكتوب لايتجاهله أى رئيس أمريكى إلا إذا أقدم على مخاطرة سياسية كبيرة، كما أن الكونجرس يتردد فى اتخاذ أى إجراء



الرئيس تيودور روزفلت

KLIN DELAND ROOSEVELT

الرئيس رقم ٣٢ للولايات المتحدة.

كان أول رئيس للولايات المتحدة يجتمع بزعيم عربي، الملك عبد العزيز آل سعود، على ظهر طراد أمريكى فى البحر الأحمر.

أخرج الولايات المتحدة من عزلتها عام ١٩٤١ بعد اعتداء اليابان على بيرل هاربور.

سن قانون الإعارة والتأجير Lease and Land، الذى مكن الإتحاد السوفييتى من صد الهجوم النازى والقضاء على ألمانيا الهتلرية.

كانت آخر أعماله السياسية حضوره مؤتمر يالتا فى القرم.

توفى عام ١٩٤٥ .

يمكن أن يوصف بأنه معاد لإسرائيل، وهو يبدى حماسا متوقعا لأى مبادرات من جانب السلطة التنفيذية من شأنها زيادة احتمالات السلام العربى الإسرائيلى طالما أن حكومة إسرائيل لاتستنكرها لأنها لاتعرض أمن إسرائيل لخطر.

وفى هذا الإطار المحلى الأمريكى، تميزت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية بانتصارات دبلوماسية باهرة.

ورأيت أنه من المهم أن استعرض مواقف الإدارة الأمريكية والرؤساء الأمريكيين من دعمهم للدولة الإسرائيلية منذ ولادتها وحتى مفاوضات السلام الشرق أوسطية حتى يكون القارئ العربى على بينة من واقع الحقيقة المجردة.

دور رؤساء الولايات المتحدة في تعزيز العلاقة الخاصة الأمريكية الإسرائيلية

١ ـ هناك تصور فريد للعلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل أورده «جـــون بادو» [١] فى كـتابه الصادر فى نيويورك عـام ١٩٦٧ ، والمترجم إلى العربية، ومؤدى التصورهو : «هناك جانبان آخران [٢] للعلاقات مع العالم العربى يعتبرهما الكثيرون هامان للمصالح الأمريكية، أحدهما التأييد الثابت لإسرائيل، ويرى أكثر مؤيدى إسرائيل تحمسا فى الولايات المتحدة أنها باعتبارها المجتمع الديمقراطى الوحيد فى المنطقة، تمثل نموذجا للتقدم والتنمية تحتاجه الدول العربية، وعلى ذلك فإنهم يرون أن نمو إسرائيل المستمر يعتبر مصلحة أمريكية حيوية، وإذا كان من الممكن التسليم تماماً وبصورة مستحبة بالطبيعة الديمقراطية والتنمية القوية في إسرائيل، فإن ذلك لايجعل من تأييدها مصلحة

(١) جون بادو، كان مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة ثم سفيرا أمريكيا فى مصر، (الموقف الأمريكى تجاه العالم العربى) وزارة الإرشاد القومى ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ كتب مترجمة ٦٩٢ ، ص ٢٤ .

٢ ـ يعنى بذلك الاهتمام بالاستقرار العالمى وأيضا مناهضة الاتحاد السوفييتى.

للولايات المتحدة يمكن مقارنتها بالمصالح السابق ذكرها، اللهم إذا ما تعلق الأمر باستقلالها [1]، ولاشك أنه بالنسبة لمثل تلك المصالح الحيوية فإن الارتباط الأمريكى بإسرائيل يعتبر مسئولية وعبئا وليس شيئاً فى صالحها.

٢ - ويمكن تأكيد الرؤية العامة التى تتصل بالعلاقة الخارجية وأبرزها مايتعلق بالنواحى الأمنية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من خلال قراءة رؤية ريتشارد نيكسون عن هذه العلاقات، وخاصة إبان حرب عام ١٩٧٣ وحول اتفاقيتى كامب دافيد، ونوجزها فيما يلى [2] :

أن العالم الثالث مهم لأربعة أسباب :-

- تمتعه بموارد طبيعية وبشرية هائلة أبرزها النفط.
- يعد المجال أمام الأتحاد السوفييتى أو غيره لفرض سيطرته.
- ويعد بؤرة رئيسية للحروب والثورات وهو أمر يرتبط بالصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتى أو غيره.
- كما يشكل العالم الثالث بحر الفقر الواسع، بينما يمثل الغرب جزره الغنية وهو أمر لن تهضمه جماهير هذا العالم.

«لقد أمرت فى حرب ١٩٧٣ ببدء جسر جوى للمعدات والمواد التى مكنت إسرائيل من وقف تقدم سوريا ومصر على جبهتين.»

---

(١) يلاحظ أن كثيرا من الأمريكيين قد أكدوا هذه المقولة بوصفها مسلّمة.

(٢) ريتشارد نيكسون : «نصر بلا حرب» مترجم، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٨ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٩١.

وكتبت جولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل فى مذكراتها خلال حرب «كيبور» تقول : «لقد كان الجسر أمرا له قيمة لاتقدر فهو لم يرفع معنوياتها فحسب بل أفاد أيضا فى جعل موقف أمريكا واضحا بالنسبة للأتحاد السوفييتى، وساعد بلا شك فى جعل انتصارنا أمرا ممكنا».

«إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق، فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معا شئ أقوى من أى قصاصة ورق، إنه التزام معنوى ، أنه التزام لم يخل به أى رئيس فى الماضى أبدا، وسيعنى به كل رئيس فى المستقبل بإخلاص. إن أمريكا لن تسمح أبدا لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم فى تدميرها».

«كانت المفاوضات التى أجراها الرئيس كارتر لعقد اتفاقيات كامب دافيد التى أقامت السلام بين مصر وإسرائيل فى عام ١٩٧٨ من أعظم إنجازات الدبلوماسية الأمريكية فى فترة مابعد الحرب».

(أولا) : التصور الأمريكى للسلام فى الشرق الأوسط:

لأسباب عديدة فإن التصور الأمريكى للسلام فى الشرق الأوسط يجب أن يحظى من أى محلل سياسى باهتمام كبير، لأن الولايات المتحدة الأمريكية تحوز إمكانات اقتصادية وعسكرية وسياسية ضخمة، وكان لها دور حاسم فى مؤازرة وقيام الدولة الصهيونية، وعملت على صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . ثم عادت وشجعت دولة إسرائيل على تجاوزه.

والولايات المتحدة هى الدولة التى ربطت بين محاربة وتعقب مصر ـ الناصرية، وبين محاربة التوسع السوفييتى الشيوعى فى الشرق الأوسط. وهى الدولة التى غزت إسرائيل بالسلاح والمال والدعم السياسى.

وهى الدولة التى خططت وساعدت فى تنفيذ مؤامرة وكارثة ١٩٦٧ لتضرب هيبة مصر ومكانة عبد الناصر، ولتغطى على عارها فى فيتنام، وتحرز نصراً عن طريق إدارتها فى الشرق الأوسط لأنها عجزت عن إحراز نصر فى الشرق الأقصى، وهى الدولة التى ساعدت فى إهدار نصر ١٩٧٣، ومكنت إسرائيل من الاحتفاظ بالأرض المحتلة رهينة لمساومة العرب وإضعاف موقفهم التفاوضى. وهى الدولة التى وصفها الرئيس الراحل السادات بأنها تحوز ٩٩٪ من أوراق حل قضية الشرق الأوسط.

وأخيراً هى الدولة التى هزمت النظام الشيوعى، وانفردت بقيادة النظام الدولى، المسمى بالجديد، ولاتزال القادرة وحدها حتى الآن لدفع إسرائيل للتعقل على النحو الذى لمحناه إبان رئاسة جورج بوش عندما أوقف إتفاق ضمانات القروض (١٠ آلاف مليون دولار) حتى تستجيب إسرائيل لدواعى المصلحة الأمريكية فى علاقاتها الشرق أوسطية.

وهذا الاهتمام لا يفهم على أنه إلغاء أو إقلال من أهمية الأدوار المحلية (العربية)، لأن تعدل التصورات الأمريكية، إنما تحدث بسبب عوامل الضعف أو القوة فى المواقف المحلية بالإضافة إلى العوامل الدولية الأخرى.

وعلى هذا فلا مفر من عرض سريع موجز لتطور التصور الأمريكى للسلام فى الشرق الأوسط منذ ترومان حتى كلينتون لنلمح الفوارق - وإن كانت طفيفة - فى المواقف الأمريكية.



الرئيس هارى ترومان

HARRY S TRUMAN

الرئيس رقم ٣٣ للولايات المتحدة .

تولى رئاسة الولايات المتحدة، بعد وفاة الرئيس روزفلت، لمدة سبع سنوات فى الفترة من ١٩٤٥ - يناير ١٩٥٣ .

وطد علاقته بزعماء الصهيونية فى الولايات المتحدة، وتمخضت هذه العلاقة فى اعترافه بإسرائيل بعد ساعة واحدة من المناداة بقيامها عام ١٩٤٨ ، بالرغم من أن وزارة الخارجية الأمريكية قد أشارت عليه بوضع فلسطين تحت الوصاية، فضرب عرض الحائط برأى وزارته .

فى عهده بدأت الحرب الباردة بين الأتحاد السوفييتى والولايات المتحدة .

فى عهده تم وضع أسس الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولى، ومشروع مارشال لأعمار أوروبا، والجات وغيرها من الأليات التى مكنت الولايات المتحدة من التغلغل فى أنحاء العالم .

توفى عام ١٩٧٢ .

١ ـ رعـــاية نشـــأة دولــة إسـرائيل (ترومـان / ١٩٤٥ ـ ١٩٥٣) : (١)

فى هذه الفترة وضعت إدارة الرئيس ترومان ثقلها خلف الحركة الصهيونية ودفعت إلى صدور قرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ . وبعد الاعتراف السريع بالدولة، أيدت إدارة ترومان توسع إسرائيل خارج إطار التقسيم وضم أراضى عربية جديدة وخاصة باحتلال النقب، ولتوفير الحماية لإسرائيل تعاونت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لإصدار التصريح الثلاثى عام ١٩٥٠ بغرض حماية إسرائيل وتأكيد حدودها التى وصلتها باتفاقيات الهدنة. كما قدمت الولايات المتحدة الدعم الاقتصادى لإسرائيل عام ١٩٤٩ ، وصادقت على أول قرض أمريكى مقداره ١٣٥ مليون دولار بالإضافة إلى تحويل المعونات من الجالية اليهودية الأمريكية إلى إسرائيل.

وقد أتخذ السلاح فى هذه المرحلة ـ فى التصور الأمريكى ـ هدف رعاية دولة إسرائيل وتقويتها وحمايتها وإقامة نظام دفاعى (تحالف) يجمع بين بريطانيا وفرنسا وتركيا ودول عربية لضمان أمن واستقرار الشرق الأوسط، وقد فشل هذا المشروع لمعارضة كل من مصر وإيران.

---

(١) فى هذا الصدد انظر :

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧ ص ٩٥ ـ ١٠٦ . وأيضا ـ هاشم الدجانى «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية» مجلة الوحدة ١٩٩٢/٧ ص ١٤٨ ـ ١٥٠



الرئيس دوايت ايزنهاور

DWIGHT DAVID EISENHOWER

الرئيس رقم ٣٤ للولايات المتحدة.

تولى قيادة قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

انتخب رئيسا للولايات المتحدة لمدة فترتين من ١٩٥٣ - ١٩٦١ .

كان الوحيد من بين رؤساء الولايات المتحدة الذى اختلف مع إسرائيل حينما اشتركت فى مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .

وصل تحديه لليهود فى الولايات المتحده وإسرائيل، بأن دفع الأمم المتحدة إلى فرض عقوبات اقتصادية على إسرائيل إن لم تنسحب من سيناء.

لم يوافق مطلقا على امتلاك إسرائيل لمفاعل نووى.

لم ينتهز الرئيس عبد الناصر فرصة هذا الخلاف ليوطد علاقته بالولايات المتحدة، بل قاوم مشاريعها الشرق أوسطية التى تطبق اليوم عن صدر رحب.

توفى عام ١٩٦١ .

٢ ـ مبدأ ايزنهاور (ملئ بالفراغ) [١] .

١٩٥٣ ـ ١٩٦١

في هذه الفترة كانت الولايات المتحدة تدعم إسرائيل بشكل معقول، لأن الأخيرة كانت في حماية أوروبا القديمة ـ بريطانيا وفرنسا ـ رغم أن الولايات المتحدة كانت قد وضعت قدمها بحذر في ساحة الشرق الأوسط كمقدمة لتحل محل الاستعمار القديم ـ بريطانيا وفرنسا ـ الذي لم يعد قادراً على السيطرة على المنطقة ولأن الرأسمالية الأمريكية رأت من حقها بعد الحرب العالمية الثانية أن تستفيد من ثروات وأسواق الشرق الأوسط.

وفي هذه الفترة تحالفت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لتوجيه ضربة إلى مصر ـ عبد الناصر وخاصة بعد تأميم شركة قناة السويس، وكانت مغامرة العدوان الثلاثي الفاشل عام ١٩٥٦ والتي مني فيها الأستعمار القديم بهزيمة سياسية واضحة، وتم إنسحاب قوات الدول القديمة الثلاثة بسبب المعارضة الأمريكية وخاصة داخل الأمم المتحدة مما أدى إلى صدور قرار من الجمعية العامة لوقف إطلاق النار.

وعقب فشل العدوان الثلاثي وإنتهاء دور الأستعمار القديم، قامت الإدارة الأمريكية ـ ايزنهاور بصياغة مبدأ ايزنهاور الذي يقوم على

(١) في هذا الصدد أنظر :
- د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة المشرق العربي، المرجع السابق ص : ١٠٨، ١١٨ ـ ١١٩ ١٣٧ ـ ١٥١ .
وأيضا - هام الدجاني «تطور العلقات الأمريكية الإسرائيلية، المرجع السابق،
وأيضا - هشام الدجاني «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، المرجع السابق

الدبلوماسية السرية، واستخدام سلاح المعونات، وإظهار القوة العسكرية والإنفراد بمنطقة الشرق الأوسط.

وكان هدف أمريكا من إعلان مبدأ إيزنهاور هو :

(أ) إفهام الاتحاد السوفييتى بأن الولايات المتحدة مستعدة للحرب فى حالة غزو الاتحاد السوفييتى للشرق الأوسط.

(ب) التأكيد على تدعيم الحكومات المعتدلة الصديقة التى يهددها عبد الناصر فى التصور الأمريكى.

(جـ) إيجاد وسيلة غير تقليدية لا تستند إلى المعاهدات والأحلاف لحماية دول المنطقة.

وكان مفهوم السلام - الأمريكى - إذن، هو ضمان إستقرار المنطقة ومنع تغلغل النفوذ الشيوعى السوفييتى من التسلل إليها، ومن أبرز الوسائل لتحقيق هذا الغرض تصفيه الاستعمار القديم والأنفراد بملئ الفراغ الناشئ عن ذلك.

٣ ـ الدبلوماسية المرنة المتوازنة : [1]

جون كنيدى ١٩٦١ ـ ١٩٦٣

بدأ جون كنيدى بمحاولة تفهم مشاكل المنطقة وقام بتعيين مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة «جون بادو» سفيرا لبلاده فى مصر وهو شخصية ليس لها ميول عدوانية لمصر.

وكان تصور السلام ـ الأمريكى ـ فى عهد كنيدى يؤكد على التزام بلاده بأمن إسرائيل ورخائها بشرط أن تراعى إسرائيل مصالح أمريكا فى المنطقة. وكانت سياسة أمريكا فى هذه الفترة القصيرة سياسة مرنة وهادئة.

---

(١) فى هذا الصدد انظر :

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى»، المرجع السابق ص ١٨٨ ـ ١٩١ أيضا.

هشام الدجانى «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية» المرجع السابق ص ١٥٣ ـ ١٥٤.



الرئيس جون كنيدى

J. KENNEDY

الرئيس رقم ٣٥ للولايات المتحدة.

أول رئيس للولايات المتحدة «كاثوليكى المذهب».

حاول إيجاد صيغة للتقارب بين إسرائيل ومصر، إذ دفع «بن جوريون» فى محاولة للاتصال بعبد الناصر ولم تتم.

وافق على استمرار إسرائيل فى تجاربها النووية فى مفاعل «ديمونة» كما مدها بصواريخ «هوك» لكسب صداقة زعماء الصهاينة فى الولايات المتحدة.

أغتيل فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ عند زيارته لمدينة تكساس.

٤ ـ فترة العداء للعرب ومؤامرة يونيو ١٩٦٧ (١) :

ليندون جونسون ١٩٦٣ ـ ١٩٦٩

أدى وجود مصر فى اليمن لمساعدة ثورتها ووجود دلائل على الأعداد لحلف إسلامى بمبادرة من السعودية بضم كل من إيران والأردن، وبدعم من الولايات المتحدة ومعارضة مصر له، إلى تصور الإدارة الأمريكية أن عبد الناصر يتحدى النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط ويرفض كل المبادرات الأمريكية، وكان تورط أمريكا فى مستنقع فيتنام، ووضوح الأنتصار السوفييتى هناك، إلى مزيد من الضغوط على الإدارة الأمريكية لأنها أصبحت لاتتحمل هزيمة أخرى فى الشرق الأوسط تضاف إلى هزيمتها فى فيتنام، فأطلقت يد إسرائيل للتخفيف عنها، وجذب الرأى العام الأمريكى والعالمى بعيدا عن فيتنام وتحقيق نصر سريع وغير باهظ التكاليف فى الشرق الأوسط، وهو أمر أدى إلى هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ ، وتكييفها فى الواقع مؤامرة لتحجيم مصر والقضاء على هيبة عبد الناصر وتوجيه ضربة مباشرة إلى النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط، وإرساء قواعد السلام ـ الأمريكى والذى يعنى :

- «إرباك السوفييت فى الشرق الأوسط وتدمير الجيوش التى تستخدم السلاح السوفييتى».
- «تجربة أداء السلاح الأمريكى فى مواجهة السلاح السوفييتى».
- «ضربة هيبة جمال عبد الناصر والعمل على إسقاطه».

(١) فى هذا الصدد انظر : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» المرجع السابق، ص ١٩١ ـ ٢٠٣ ، وأيضا : وأيضا هشام الدجانى «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية» المرجع السابق ص ١٥٤ ـ ١٥٩



الرئيس ليندون جونسون

LYNDON BAINES JOHNSON

الرئيس رقم ٣٦ للولايات المتحدة.

تولى رئاسة الولايات المتحدة بعد اغتيال جون كنيدى ، إذ كان نائبا له (١٩٦٣ ـ ١٩٦٩)

ورط الولايات المتحدة فى كارثة فيتنام، التى أصابت الشعب الأمريكى بعقدة نفسية تلازمه حتى يومنا هذا، إذ لم يخل بيت فى الولايات المتحدة إلا وكانت بصمات هذه الحرب مسجلة فيه بين قتيل أو جريح أو مفقود.

كانت كراهيته لعبد الناصر شديدة، بلغت ذروتها فى حرب يونية ١٩٦٧ ، فبعد أن حرض إسرائيل ومدها بالسلاح والمعلومات والاستخبارات التى مكنتها من ضرب القوات المصرية.

أصدر أوامره إلى الأسطول السادس بتصويب مدافعه على الأسكندرية وبورسعيد .

ولد فى ٢٧ أغسطس ١٩٠٨ .

● «تمكين إسرائيل من الاستيلاء على أراضى عربية جديدة تكون رهينة فى يدها لجر العرب إلى مائدة المفاوضات فى موقف الضعيف مما يمكنها من فرض سيطرتها على العرب».

وقد وقفت الولايات المتحدة بصلابة لمساندة إسرائيل فى الأمم المتحدة - مجلس الأمن - وعرقلت صدور قرار بالإنسحاب الفورى على غرار ماحدث عام ١٩٥٦ فى عهد «ايزنهاور».

٥ - محاولات السلام المنفرد التعاقدى (١) :

ريتشارد نيكسون ١٩٦٩ - ١٩٧٤ (قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣) .

هذه الفترة شهدت مرحلتين، الأولى قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ والثانية بعد الحرب، كما واكبت تحرك هنرى كيسنجر الذى كان لتحركاته المكوكية تأثير واضح على مستقبل المنطقة.

وقد تصلح فترة الرئيس الأمريكى فى أوائل السبعينيات مؤشرا لإيضاح الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

---

(١) فى هذا الصدد انظر :

(أ) ريتشارد نيكسون «نصر بلا حرب» المرجع السابق ص ٢٩٠ - ٢٩٤ .

(ب) رسالة الرئيس نيكسون إلى الكونجرس فى ١٩٧١/٢/١٨ .

(جـ) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى المرجع السابق ص ٢٢٦ - ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٥٧ - ٢٥٨، ٢٦٤ .

(د) هشام الدجانى «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية» المجع السابق ص ١٥٩ - ١٦٤ .



الرئيس رينشارد نيكسون

RICHARD NIXON

الرئيس رقم ٣٧ للولايات المتحدة.

تولى رئاسة الولايات المتحدة خلال المدة (١٩٦٩ ـ ١٩٧٤)

كان من أذكى رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، وأكثرهم رعاية للمصالح الإسرائيلية.

أقام جسرا جويا لنقل العتاد والأسلحة لإسرائيل عام ١٩٧٣ لإنقاذها من زلزال أكتوبر.

من أقواله المأثورة : «إن الشيوعية كانت خطرا على الديمقراطية ، ولكن الإسلام يعد أخطر منها».

لا يمكن التعرض أو استعراض السياسية الخارجية الأمريكية فى عهده إلا باستعراض دور وزير خارجيته «هنرى كيسنجر» اليهودى المذهب والألمانى المنشأ، حيث أنه الرجل الذى أرسى دعائم السياسة الأمريكية التى حققت لها النجاحات التى ظهرت فى التسعينيات.

ولد عام ١٩١٣ .

أولا : ترى الإدارة الأمريكية أن تسوية النزاع لاتزال بعيدة بسبب قوة المشاعر المترسبة على الجانبين عبر التاريخ بسبب النزاع، ولن يكون هناك حل مرضى ما لم تدرك أطراف النزاع ضرورة التوصل لحل وسط قائم على تنازلات متبادلة، وإلى حين تحقق هذا الشرط يجب الحفاظ على قرارات الأمم المتحدة الخاصة بوقف إطلاق النار كحد أدنى يجب الحفاظ عليه.

ثانياً : لاتتوقع إدارة نيكسون إنفرادها بصياغة السلام لوجود قوى أخرى لايجب إهمالها، مثل الاتحاد السوفييتى. وإذا تعذر التوصل إلى تسوية نهائية للصراع فيجب أن يتم تضييق نطاق النزاع ومنع الاشتباك المباشر بين القوى الكبرى، وهو بعد هام وضح إبان أزمة الشرق الأوسط.

وتعبر الولايات المتحدة عن استعدادها للتفاوض مع الاتحاد السوفييتى من أجل تحقيق السلام، ولكنها ستقاوم محاولة السيطرة السوفييتية على المنطقة. ودعا نيكسون إلى التعاون الدولى للحد من شحنات الأسلحة إلى المنطقة بوصفها خطوة نحو الاستقرار مؤكدا نية أمريكا لمواجهة الحفاظ على التوازن الدقيق للقوات العسكرية.

ثالثـا : أوضحت الولايات المتحدة مدى علاقاتها بدول المنطقة وأهمية قبول أطراف النزاع ـ اقتناعا أو تسليما ـ بأهمية صيانة مصالحهم الأساسية المتبادلة، وسيكون تعاون الولايات المتحدة مع كل دول المنطقة على أساس المشاركة الفعالة فى دعم العلاقات.

رابعـا : ترى الولايات المتحدة أن النزاع العربى ليس التحدى الوحيد الذى تواجهه المنطقة فهناك أيضا المنافسات المحلية وعوامل عدم اتر الناشئة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وأكدت



هنرى كيسنجر

HENRY A. KISSINGER

ينتمى لأسرة يهودية ألمانية، هاجرت إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٨ هربا من الأضطهاد النازى.

فى عام ١٩٤٧ حصل على منحة حكومية للدراسة فى هارفارد، حيث حصل على الليسانس والدكتوراه فى عام ١٩٥٤ .

له العديد من الكتابات والدراسات الاستراتيجية، أولها كتابيه السلاح النووى، والسياسة الخارجية، ومن خلال هذه المؤلفات يمكن تقصى حقيقة نظرة الولايات المتحدة إلى «العلاقات الدولية».

كان مستشارا لكل من حكومات : إيزنهاور، وكنيدى، وجونسون.

عينه «نيسكون» مستشارا له للأمن القومى، وطغى نفوذه القوى على سلطات وزارتى الخارجية والدفاع، حتى اختاره الرئيس «نيكسون» وزيراً للخارجية مع بقائه فى منصب مستشار الأمن القومى.

عزز النفوذ اليهودى والصهيونى لدى الرؤساء الأمريكيين - من ديمقراطيين وجمهوريين - مما أدى إلى توافق الحزبين على تأييد إسرائيل وتعزيزها ومشاركتها فى الكثير من مواجهة الأزمات الدولية والجدير بالذكر أن أفكار ونظريات «كيسنجر» أنعكست على السياسة الأمريكية حتى يومنا هذا.

لعب دورا كبيرا فى غلق ملف فييتنام، وكان له دورا بارزا فى أسلوب إدارة الولايات المتحدة لأزمة الشرق الأوسط، من خلال الضغط على الأطراف لحل المشكلة.

يعد من الخبراء فى مجال الاستراتيجية النووية، والسياسة الخارجية، ويعمل حاليا مستشارا فى مركز واشنطن للدراسات السياسية والاستراتيجية.

الولايات المتحدة على أهمية تشجيع دول المنطقة على التحول إلى اقتصاد عصرى بإعادة الهيكلة وتعديل القوانين والاعتماد على الجهود الذاتية، وأن ينبثق التحويل من دول المنطقة نفسها [1] .

ورغم أن نيكسون بدأ رئاسته بالتعاطف مع إسرائيل إلا أن السلام - فى التصور الأمريكى - فى عهده كان يرى الشرق الأوسط بمثابة برميل من البارود شديد الأنفجار ويحتاج إلى نزع الفتيل من أجل تفادى حرب واسعة.

وفى عام ١٩٦٩ ظهرت مبادرة «روجرز» ومؤداها مقايضة الأرض بالسلام والعمل على تحقيق سلام تعاقدى بين مصر وإسرائيل، وقد فشلت المبادرة لمعارضة كل من إسرائيل والاتحاد السوفييتى لها.

ومع تولى الرئيس السادات الحكم، بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، حاول أن يفتح قنوات اتصال مع الولايات المتحدة على النحو الذى ذكرناه آنفا، ولما لم يتمكن من ذلك قاد حرب التحريك عام ١٩٧٣ ، وكان لها إيجابية. وقام بعدها وزير الخارجية «هنرى كيسنجر» بمجهود لضمان تنفيذ التصور الأمريكى والذى يقضى :

- بوقف إطلاق النار على خطوط لاتضر بإسرائيل.
- تمكين إسرائيل من إعادة ترتيب أوضاعها داخليا وخارجيا.
- تحييد سلاح البترول العربى.
- تحييد مصر بايجاد ترتيبات منفردة بينها وبين إسرائيل.

---

(١) يلاحظ أن فحوى هذه التصورات هى التى يتم تنفيذها منذ اتفاقيات كامب دافيد حتى الان، كما يلاحظ أنها أول تدخل رسمى أمريكى (فى عهد نيكسون) منذ عام ١٩٦٧



الرئيس جيرالد فورد

GERLD FORD

الرئيس رقم ٣٨ للولايات المتحدة.

تولى رئاسة الولايات المتحدة خلال المدة (١٩٧٤ - ١٩٧٧)

لم تختلف سياسته عن سياسة الرئيس نيكسون ، بل كانت امتدادا لها فى تصورها للسلام فى الشرق الأوسط.

فى عهده حاولت الولايات المتحدة استقطاب مصر - السادات وأبعادها نهائيا عن التعامل مع السوفييت.

ولد عام ١٩١٣ .

٦ ـ إدارة «فورد» ١٩٧٤ ـ ١٩٧٦ :

لم تبتعد الإدارة الأمريكية إبان فترة رئاسة فورد القصيرة عن تنفيذ التصور الأمريكى للسلام فى الشرق الأوسط إبان عهد نيكسون، واستمرت قوة الدفع من جانب السادات تجاه التحالف مع الولايات المتحدة، وقوة الجذب الأمريكى لاستقطاب مصر وأبعادها نهائيا عن التعامل مع السوفييت باستخدام مرغبات المساعدات الاقتصادية والعسكرية وقدرة أمريكا على الاسهام فى تحقيق السلام العادل.

٧ ـ مرحلة كامب دافيد (١) :

جيمى كارتر ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ .

فى شهر سبتمبر ١٩٧٨ ونتيجة جهود خاصة من الرئيس كارتر تم التوصل إلى إتفاقية كامب دافيد الأولى تتضمن إطار السلام فى الشرق الأوسط تتعرض للترتيبات الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة والتعهدات بين مصر وإسرائيل والنص على المبادئ المرتبطة بهذه الأمور.

وتشمل الثانية إطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين ومصر وإسرائيل ويضمن تأكيد سيادة مصر إلى الحدود المعترف بها دولياً بين مصر وفلسطين فى فترة الانتداب وإنسحاب القوات الإسائيلية من سيناء وإجراءات أخرى خاصة بحفظ الأمن والنظام.

وفى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ وقعت مصر وإسرائيل ـ وشهد التوقيع الرئيس كارتر ـ على معاهدة السلام بينهما. وهى تنص على إنهاد حالة الحرب، والاتفاق على ترتيبات تمركز أفراد من الأمم المتحدة فى المناطق المتفق عليها، وإجراءات تطبيع العلاقات.

فى هذا الصدد أنظر :
(أ) أنور السادات «البحث عن الذات» المرجع السابق ص ٣١٠ ـ ٣٢٨ .
(ب) صلاح منتصر «الطريق إلى السلام» دار المعارف القاهرة ١٩٩١ ص ١٠ ـ ١٣ .
(جـ) هشام الدجانى «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية» المرجع السابق، ص ١٦٦ ـ ١٧١ .
(د) معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن ٧٩/٣/٢٦ وزارة الخارجية ـ القاهرة ١٩٧٩ .



الرئيس جيمس كارتر

JIMMY CARTER

الرئيس رقم ٣٩ للولايات المتحدة.

تولى رئاسة الولايات المتحدة لفترة زمنية واحدة بدأت في يناير ١٩٧٧ .

مهندس اتفاقية كامب دافيد، ويرجع إليه السبق في قيام الصلح بين مصر وإسرائيل.

اكتسبت الولايات المتحدة من وراء هذه المعاهدة امتيازات ضخمة إذ مهدت لها السبل التي أمنت بها كيان إسرائيل بتصالحها مع أقوى دولة عربية.

ولد أول أكتوبر عام ١٩٢٤ .

مازالت الولايات المتحدة شريكا في كل مبادرة تهدف إلى السلام.

٨ ـ إطلاق يد إسرائيل فى العالم العربى [١]

ـ رئاسة ريجان (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨) :

وصلت العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل إلى ذروتها فى عهد ريجان واتسمت بالتواطؤوغض أمريكا الطرف عن تجاوزات وعدوان إسرائيل، وممارساتها اللا إنسانية، وقد حاولت الولايات المتحدة إقامة نوع من التحالف اسمته الاتفاق الاستراتيجى لجميع الدول العربية المعتدلة وإسرائيل لمواجهة التغلغل السوفييتى، ولكنها فشلت وتحولت جهود الولايات المتحدة، ليقتصر إتفاق «التعاون الاستراتيجى عام ١٩٨١ على إسرائيل.

وقد شهدت فترة ريجان قمة العربدة الإسرائيلية، فقصفت الأحياء السكنية فى بيروت، وقامت بإعلان ضم الجولان، وأقدمت على غزو لبنان، وقامت بضرب المفاعل النووى العراقى، وقصفت مقر منظمة التحرير فى تونس عام ١٩٨٥ .

ووسط مشاعر السخط العربية للتواطئ الأمريكى مع إسرائيل أطلق الرئيس ريجان مبادرته للتهدئة عام ١٩٨٢، وأظهرت مبادرة ريجان ـ رغم ذلك ـ تصور أمريكا للسلام فى المنطقة، بالتأكيد على إلتزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل، وضرورة إشتراك الفلسطينيين فى محادثات التسوية، ولايسمح بإقامة دولة فلسطين مستقلة بعد

(١) فى هذا الشأن انظر :

(أ) د. اسماعيل صبرى مقلد «الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط» المرجع السابق : ص ٥٤٢ ـ ٥٤٤ .

(ب) هشام الدجانى «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية» المرجع السابق ١٧١ ـ ١٧٦ .



الرئيس رونالد ريجان

RONALD REAGAN

الرئيس رقم ٤٠ للولايات المتحدة.

شغل منصب رئيس الجمهورية لمدة ثمان سنوات (١٩٨١ ـ ١٩٨٨).

متخرج من كلية «إيركا» في الاقتصاد والعلوم الإجتماعية.

اشتغل بالتمثيل، ثم أصبح حاكما لولاية كاليفونيا قبل انتخابه رئيسا للجمهورية.

علاقته وطيدة بزعماء الصهيونية في الولايات المتحدة، وانبثقت من هذه العلاقة تأييده المطلق لإسرائيل.

في عهده عقد أول اتفاق استراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل عام ١٩٨٣ .

نجح في استدراج الاتحاد السوفييتي إلى حرب الكواكب الباهضة التكاليف، والتي أثرت بالضعف على البن
الاقتصادية للاتحاد السوفييتي وكانت السبب الرئيسي في تفككه.

من مواليد تامبكو عام ١٩١١ .

الفترة الانتقالية، وأكدت المبادرة على ضرورة تطبيع العلاقات بين إسرائيل وأصحاب الأراضى التى تنسحب منها ، ورفضت إعادة تقسيم القدس بل يمكن بالمفاوضات التوصل إلى ترتيبات تحفظ لكل طرف حقه، وأخيراً ضرورة توسيع إطار السلام ليشمل الدول العربية المحيطة بإسرائيل.

وقد توقفت المبادرة عند مرحلة طرحها بسبب الاعتراضات العربية، أما مصر فقد وجدت فيها بداية طيبة، ومع ذلك جاء الرفض الإسرائيلى لتقتل المبادرة.

والجدير بالذكر أن روح هذه المبادرة رافقت الإدارة الأمريكية فى كثير من أبعادها حتى وصلت مع بعض التعديل إلى صيغة مدريد عام ١٩٩١ .

٩ ـ هبوط أهمية إسرائيل إستراتيجيا :

- رئاسة جورج بوش (١٩٨٨ ـ ١٩٩٢[١]) :

تعد هذه الفترة من أبرز فترات الرؤساء الأمريكيين نظراً للظروف الدولية المعاشة وأولها كان انهيار القطب الثانى فى القيادة الدولية ـ الاتحاد السوفييتى ، والثانى كان تداعى القوى الراديكالية العربية. والثالث كان الأداء الخاص لحملة القيادة الدولية المنفردة ـ عاصفة الصحراء ـ لتأديب الغزو العراقى ضد الكويت. والرابع كان الركود الاقتصادى بما يجره من إحتمالات الحرب التجارية بين الدول الرأسمالية نفسها (اليابان ـ ألمانيا ـ الولايات المتحدة) .

وقد أدى سقوط الأتحاد السوفييتى، وتداعى النظم العربية الراديكالية هبوطا فى نفس الوقت فى أهمية إسرائيل الاستراتيجية بالنسبة لقيادة النظام الدولى الجديد ـ الولايات المتحدة الأمريكية، فقد أنتهى أبرز مهام أداة الردع فى الشرق الأوسط بزوال العدو، وأصبحت الأداة مكلفة، مقارنة بما يعهد إليها من مهام (لم تستغل إسرائيل فى حملة «عاصفة الصحراء» وكان التعاون مع مصر غير مكلف) وقد أثبتت عاصفة الصحراء التى اكتسبت أهميتها من أهمية منطقة العمل فى الخليج التى ترمز إلى أهمية استراتيجية للغرب عامة وللولايات المتحدة بشكل خاص وأثبتت أن إسرائيل لم يكن لها دور على الاطلاق بل طلب منها ألا تتحرك حتى لاتعقد حركتها الموقف.

١ـ فى هذا الصدد أنظر :

(أ) صلاح منتصر «الطريق إلى السلام» المرجع السابق ص ٢٦ ـ ٣٠ .

(ب) هشام الدجانى : «تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية» المرجع السابق ص ١٧٦ ـ ١٨٠ .



جورج بوش

RGE HERBKRT WALKR BUSH

الرئيس رقم ٤١ للولايات المتحدة .

تولى رئاسة الولايات المتحدة بعد الرئيس ريجان (١٩٨٨ - ١٩٩٢)

كان يتولى رئاسة المخابرات المركزية C. I. A قبل انتخابه نائبا للرئيس ريجان.

لاتختلف نزعته وميوله نحو إسرائيل عن سلفه (ريجان) .

عمل على جر العراق إلى مستنقع الحرب مع إيران، ثم توريط العراق فى الاعتداء على الكويت، وجند أكثر من ثلاثين دولة تحت علم الأمم المتحدة لضرب العراق، والقضاء على خطره على إسرائيل.

لم يتورع فى ضرب بغداد بالصواريخ سويعات قبل انتهاء فترة رئاسته.

ونظراً للصعوبات الاقتصادية التى كانت تواجهها الولايات المتحدة فإن تخفيض المعونات لإسرائيل ومصر وغيرهما أمر وارد.

وقد أكتسب تصور السلام - الأمريكى - إبان مرحلة بوش مؤشرات واضحة منها :

= الابقاء على إسرائيل قوية بوصفها احتياطى مستقبلى للتحرك الأمريكى.

= مراعاة المصالح الأمريكية فى العالم العربى : النفط والثروة.

= دفع إسرائيل إلى مائدة المفاوضات.

= الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

= إقامة نظام شرق أوسطى - إن أمكن - للسيطرة على المنطقة عسكريا وإقتصاديا وسياسيا (التطبيع).

ويكفى أن نلقى نظرة سريعة على خطاب الرئيس «جورج بوش» فى افتتاح مؤتمر السلام فى مدريد فى ١٩٩١/١٠/٣٠ لنتأكد من صحة هذا التصور. فقد أكد فى خطابه «أنه ليس مجرد إنهاء حالة الحرب فى الشرق الأوسط واحلال حالة عدم الحرب مكانها، فهذا لايكفى، وهذا لن يستمر، بل أننا نسعى إلى السلام الحقيقى، وأعنى بالسلام الحقيقى أمنا وعلاقات دبلوماسية وعلاقات اقتصادية وتجارة واستثمارات وتبادلا ثقافيا وحتى سياحة». وذكر أيضا «لايمكن للسلام أن يقوم على الوعود فقط، السلام الحقيقى والسلام الدائم يجب أن يرتكز على الأمن لجميع الدول والشعوب بما فى ذلك إسرائيل».

وربط «جورج بوش السلام بالعدل فأكد : نعرف أن السلام يجب أن يقوم أيضا على العدل، ففى غياب العدل لن تكون هناك شرعية ولن يكون هناك إستقرار ونطبق هذا قبل كل شئ على الشعب الفلسطينى الذى خسر العديد من أبنائه والاضطراب والاحباط. إن أمام إسرائيل الآن فرصة لكى تظهر أنها مستعدة للدخول فى علاقة جديدة مع جيرانها الفلسطينى، علاقة مبنية على احترام وتعاون متبادلين».

١٠ ـ فترة إلى أين ؟

رئاسة بيل كلينتون (١٩٩٢ ـ ......)

كان الرئيس بوش فى سبيله إلى تحقيق نوع من التسوية الشاملة فى إطار مبدأ الأرض مقابل السلام، ولكنه فشل فى حملة إعادة انتخابه، وجاء بعده بيل كلينتون ولم يكن أحد يعرف تماما ماتخبؤه السنوات القادمة، إلا أن ظاهر الأمور يدل على أن فترة كلينتون ، لن تكون بعيدة بالنسبة لتصورات أمريكا عن السلام.

ويكفى أن نقدم للقارئ بعض المواقف التى تصرف فيها الرئيس بيل كلينتون تجاه بلدان الشرق الأوسط وبصفة خاصة الدول العربية مما يؤكد أن الضرب الذى سار عليه لا يختلف عن سابقيه من الرؤساء الأمريكيين «انحياز كامل لإسرائيل واجحاف كامل نحو البلاد العربية والإسلامية».

وتدليلا على ذلك استرعى نظر القارئ إلى الأحداث التى اعترت المسرح السياسى خلال سنوات حكم بيل كلينتون:

١ ـ تدخل الولايات المتحدة فى الصومال وما ترتب عليه معاناة الشعب الصومالى.



بيل كلينتون

BILL CLINTON.

هو أول رئيس ديمقراطى بعد الرئيس جيمى كارتر يصل إلى البيت الأبيض منذ أوائل الثمانينات، وقد فاز كلنتون فى حملته الإنتخابية على أساس التركيز على السياسة الداخلية وتطوير البرامج الاجتماعية والاقتصادية ورفع المعاناة عن الفقراء، ورغم ذلك قد انشغل خلال السنتين الأولتين من حكمه بالسياسة الخارجية تحقيق الصلح بين العرب وإسرائيل وقد حقق بعض النجاح.

منذ دخوله البيت الأبيض ورجال الكونجريس من الجمهوريين ورجال الصحافة يثيرون أمامه الكثير من العقبات لاسيما قضية WHIT WATR، ومشكلة ضغط الحكومة للانفاق لتخفيض العجز فى الميزانية الفيدرالية.

٢ ـ موقف كلينتون وتركه حل مشكلة البوسنة، واستمرار سفك دماء المسلمين ليثبت للأوروبيين بأنه لايمكن إجراء حل لتلك المشكلة إلا بمشاركة الولايات المتحدة.

٣ ـ تصميم الولايات المتحدة فى عهده على عدم حل مشكلة العراق لتعزيز سيطرتها على منطقة الخليج.

٤ ـ استمرار الحصار على ليبيا.

٥ ـ التلويح بقطع أو خفض المعونة لمصر، لضمان ليونة الموقف المصرى من مطالب أمريكا وإسرائيل.

٦ ـ ضغط إدارة كلينتون على الأتحاد السوفييتى لإجبار إيران على عدم استخدام المفاعل الذرى فى الأغراض الحربية.

٧ ـ موقف الرئيس كلينتون من استغلال الفيتو الأمريكى لإبطال التصويت ضد إسرائيل لعدم توقيعها على معاهدة عدم الإنتشار النووى.

٨ ـ تصويت الكونجرس الأمريكى فى عهده على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

القسم الثاني عشر

النظام الشرق أوسطى

هدف أمريكى إسرائيلى صهيونى

مقدمة:

الفصل الأول

نظرة عامة على الشرق الأوسط

الفصل الثاني

النظام الشرق أوسطى والبدائل

الفصل الثالث

.. آفاق المستقبل.

مقدمة :

(أ) من أهم المبادئ المعروفة فى العلاقات الدولية، مقولة أن الظروف الجديدة تستدعى أدوات جديدة لأن الحياة فى حالة حركة مستمرة لاتتوقف.

- وقد ثبت صحة هذه المقولة التى تنطبق بشكل واضح على التصورات الأمريكية - الإسرائيلية فى الشرق الأوسط من حيث الأهداف والأدوات.

(ب) منذ عاش العالم بعد الحرب العالمية الثانية فى ظل نظام دولى عُرف باسم «القطبين الثنائيين» وأحداهما الولايات المتحدة الأمريكية وثانيهما الاتحاد السوفييتى، واستمر هذا الشكل من النظام بما يحتويه من تحالف وصراعات حتى منتصف الثمانينيات عندما تولى «جورباتشوف» السلطة فى الاتحاد السوفييتى وتبين استحالة استمرار المباراة بين النظامين وأن الصدام سيؤدى إلى انتصار محقق للولايات المتحدة، وهنا عمد جورباتشوف إلى محاولة تعديل النظام السوفييتى، وأنتهى

الأمر إلى هدمه وسقوطه أحد طرفى النظام الدولى حيث وصل النظام إلى حالة من السيولة يبدو من خلالها انفرادية أمريكية بالنظام الدولى إلى حين اكمال تشكيل هذا النظام.

(جـ) وقد كانت البروفة الأولى للنظام الدولى الجديد هى «عاصفة الصحراء» فى الخليج والتى اجهزت على الغزو العراقى للكويت وأدت إلى مزيد من القصف للنظام العربى.

(د) وعمدت الولايات المتحدة فى ظل إدارة «بوش» إلى تطبيق المبدأ القائل بأن الظروف الجديدة تستدعى أدوات ورؤى جديدة فوق أطراف فقدت أهميتها وأطرافا أخرى اكتسبت أهمية جديدة. ، وفى ظل هذا المناخ أصبح مستحيل الأمس هو - ممكن اليوم - ونعنى بذلك كل المشروعات التى حاولت الولايات المتحدة الأمريكية إقامتها فى منطقة الشرق الأوسط - كان الهدف هو محاصرة الاتحاد السوفييتى من أجل دعم المصالح الأمريكية - ومن هذه المشروعات حلف بغداد - ايزنهاور.

- ومع سقوط العراق ، بقيت المشاريع الأمريكية مهمة لأنها مطلوبة للدفاع عن المصالح الأمريكية فى المنطقة ومن هذه المصالح :

١ - البترول .

٢ - المنظمة العربية الصديقة.

٣ - الحليف الإسرائيلى.

٤ - المصالح الانتقادية الأخرى.

- ومهما تعدد غطاء الرأس فأن الموضوع يظل واحداً، وهنا اتخذ المشروع الأمريكى غطاء هو «النظام الشرق أوسطى».

(هـ) وهذا الغطاء هو انعكاس للمصالح الإسرائيلية والأمريكية.

الفصل الأول

نظرة عامة علي الشرق الأوسط

١- أهمية الشرق الأوسط:

(أ) ونقصد بذلك أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ولم تقلل هذه الأهمية سقوط الاتحاد السوفييتى وزوال العدو الكونى التقليدى - الشيوعية - بل تزداد هذه الأهمية بسبب التكتلات الاقتصادية الجديدة التى تحاول النفاذ إلى الأسواق للخروج من حالة الركود الاقتصادى العالمى.

(ب) وأبرز هذه الاهتمامات بالنسبة الولايات المتحدة هو البترول، الذى مازال حتى الآن عصب الصناعات فى العالم، وتهدف الولايات المتحدة بالنسبة للبترول إلى تحقيق هدفين رئيسين هما السيطرة على مناطق انتاج البترول، ومنع الدول المنتجة من التلاعب فى أسعاره بالتحكم فى الكميات المنتجة، بالإضافة إلى جذب فوائض البترول - الدولارية - لاستثمارها فى الولايات المتحدة. وقد أدت «عاصفة الصحراء» إلى تزايد قبضة الولايات المتحدة على دول الخليج التى اقتنعت بأن الحماية الوحيدة القادرة على تغطيتها هى الحماية الأمريكية.

(جـ) ويرتبط بالاهتمام البترولى رغبة الولايات المتحدة على حماية الدول الخليجية وهى دول صديقة أصبحت تدين بالولاء والجميل للولايات المتحدة.

(د) وتبرز إسرائيل كأبرز اهتمام أمريكى فى الشرق الأوسط لأسباب متعددة، أبرزها أن إسرائيل هى الحليف الاستراتيجى وهى النمط الحضارى الذى تريد الولايات المتحدة ترويجه فى المنطقة، من حيث الحياة الديمقراطية والارتباط بالنموذج الغربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولذلك يعتبر رخاء إسرائيل (النموذج) من الأهمية بمكان نظرا للضمانات الرسمية المتعددة التى قدمتها الولايات المتحدة إلى إسرائيل موثقة، ويقرّها كل رئيس أمريكى ولا يمكن التفريط فيها.

(هـ) إن الشرق الأوسط من أكثر بؤر العالم سخونة، وتسكين الصراع العربى ـ الإسرائيلى يؤدى إلى الحفاظ على السلام والاستقرار فى المناطق المحيطة وأبرزها أوروبا ويؤدى إلى حماية مصالح الولايات المتحدة التى أشرنا إليها آنفا.

٢ ـ تصاعد الدور الأمريكى :

(أ) منذ السقوط السوفييتى والذى دشن رسميا عام ١٩٩١ وضح تصاعد الدور الأمريكى بدءا بعاصفة الصحراء وحشد العالم ـ والأمم المتحدة ـ خلف الولايات المتحدة التى رفعت شعار الشرعية الدولية ومواجهة العدوان.

(ب) وبدء التحرك الأمريكى يتصاعد، وشاهدنا دعوة بوش ونظيره السوفييتى لمؤتمر السلام ـ الشرق الأوسط ـ فى مدريد (أكتوبر

١٩٩١) حيث مارست الولايات المتحدة ضغوطها على الجانبين العربى والإسرائيلى لتحقيق تقدم فى اتجاه تسوية دائمة وعادلة، لأن تسكين النزاع الإسرائيلى - العربى ثم انهائه أصبح مطلبا أمريكيا بعد السقوط السوفييتى، وانخفاض الأهمية الاستراتيجية لإسرائيل التى أصبح الحفاظ عليها فى ظل التوتر مكلفا للغاية من الناحيتين المالية والسياسية، وخاصة من المأزق الذى وضعت أمريكا فيه - بوش إبان حرب الخليج، وحتى لاتتهم بأنها تكيل بمكيالين، فقد وعد بوش بدفع مشكلة الشرق الأوسط نحو الحل عقب الانتهاء من «عاصفة الصحراء».

(جـ) وتحركت الولايات المتحدة على الصعيد العالمى فى ظل الانفرادية الجديدة لتدس أنفها فى كل أنحاء العالم، ومثال ذلك النزاع الذى نشب بينها وبين كوريا الديمقراطية حول البرنامج النووى بعد أن هدده «بيونج بانج» بالانسحاب من الوكالة الدولية الذرية وهددت أمريكا بفرض عقوبات اقتصادية على «بيونج بانج» رغم أن الصين الشعبية تقف وراءه. مثل هذا الأمر لم يكن يحدث فى ظل النظام الدولى السابق قبل الانهيار السوفييتى.

(د) ووصلت أصابع الولايات المتحدة الأمريكية إلى دولة ذات عضوية دائمة فى مجلس الأمن وهى الصين الشعبية.

- فمن ناحية حاولت الضغط على الصين الشعبية فى مجال حقوق الإنسان، ولما فشل الضغط والتهديد بالعقوبات الاقتصادية تحول الموقف الأمريكى نحو التهدئة حتى لا تفقد الولايات المتحدة

السوق الصينى العظيم فى مواجهة دول ومناطق أخرى مثل اليابان ودول أوروبا الغربية.

- كما حذرت الولايات المتحدة الصين الشعبية من إجراء تجارب نووية بعد التجربة التى أجرتها الصين فى شهر يونيو ١٩٩٤ تحت الأرض. وأكد مسئولون أمريكيون أن هذه التجربة ستعقد مشكلة المطالبة بتفتيش المشآت النووية فى كوريا الشمالية.

(هـ) وأيضا فى شهر يونيو ١٩٩٤ صعدت الولايات المتحدة عقوباتها الاقتصادية ضد هاييتى لإجبار حكومتها العسكرية للتنازل عن السلطة وإعادة الرئيس المخلوع «جات برتراندار يستبد».

(و) ومن قبل إبان مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ هددت الولايات المتحدة الأمريكية حكومة شامير بايقاف، ١٠ آلاف مليون دولار ضمانات قروض من أجل ابقاء بناء المستوطنات، وحتى لا تتوقف المفاوضات، ونجحت الولايات المتحدة فى تليين الموقف الإسرائيلى بل وفى اسقاط حكومة شامير بعد ذلك لتحل محلها حكومة «العمل» بزعامة رابين.

(ز) وكل الأمثلة والأدلة السابقة بهدف اثبات أن الدور الأمريكى قد وصل إلى كل بقعة فى العالم مع أهمية خاصة بالشرق الأوسط لإقامة نظام يتفق ومصلحة الولايات المتحدة وهى مصلحة أشرنا إليها مرارا وتفصيلا من قبل.

٣ ـ تدهور أوضاع دول المنطقة : (الشرق الأوسط)

(أ) وفى الوقت الذى تتنامى فيه أهمية الولايات المتحدة الأمريكية، وتزداد القدرات الانتاجية للدول المتقدمة، وخاصة الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية واليابان والصين وكندا، بسبب الثورة التكنولوجية وثورة الاتصالات نجد بشكل عام دول العالم الثالث ومنها الدول العربية تتراجع إنتاجيتها من حيث الكم والكيف إلى الدرجة التى وضعتها بين بعض هذه الشعوب،إن لم يكن كلها، بأنها أصبحت غير منتجة وغير مبدعة.

(ب) يزداد اعتماد الدول العربية ـ فيما عدا الخليجية ـ على المعونات الأمريكية والغربية مع تراجع الانتاج الصناعى والزراعى وزيادة نسبة الأمية.

(جـ) أما دول الخليج فهى مهددة هى الأخرى بسبب عاملين هامين :

أولهما، أن البترول فى المستقبل القريب قد يفقد أهميته لأنه يعد من ملوثات البيئة بالاضافة إلى سعى الدول المتقدمة حثيثا لايجاد البديل النظيف، وفى الطريق الآن «الطاقة الاندماجية» وهى طاقة نظيفة بالاضافة إلى الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها، وعند تحقيق ذلك ستنضم دول الخليج إلى بقية الدول العربية الفقيرة.

والثانى، أن هذه الدول كغيرها مهددة بالصراعات القبلية والعرقية والدينية ـ وقد ابتعلت تكاليف عاصفة الصحراء قسما كبيرا من ميزانية أكبر دولتين خليجتين هما ، السعودية و الكويت إلى الدرجة

التى وصل إليها الحديث إلى عجز فى الميزانية وإلى اقتراض من الخارج.

(د) ولاتسلم دولة مثل تركيا من النزاعات العرقية والإسلامية وكذلك إيران التى يتوقع المراقبون الغربيون أنهيار اقتصادها وسياساتها.

(هـ) أما إسرائيل وهى دولة تبدو بين دول الشرق الأوسط مثل الدول العربية وتركيا وإيران وحتى باكستان فإنها - أى إسرائيل - تعانى من العديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

- اقتصاديا إسرائيل تعيش على المعونات الأمريكية، ومعونات الجاليات اليهودية فى الخارج، وإذا أرادت أن تعيش بشكل طبيعى فى المنطقة لابد لها من الاندماج فى منطقة الشرق الأوسط اقتصاديا وهو أمر يتطلب المصالحة مع العرب وإلغاء المقاطعة وفتح صفحة جديدة من التعاون الاقتصادى والسياسى.

- وهذا الأمر يتطلب مع الفكر الصهيونى والسلوك الإسرائيلى الذى يقوم على الشعور بالتميز على العرب وبرغبته فى الأخذ دون العطاء والحصول على مكاسب اقتصادية دون التخلى عن الأراضى المحتلة.

- ومع هذا فإن السقوط السوفييتى وتناقص أهمية إسرائيل بالنسبة لأمريكا والعلاقة الحسنة التى تربط معظم دول العالم العربى بأمريكا، والضغوط الأمريكية نحو الحل حفاظا على المصالح

الأمريكية واقلالا من الاعباء الاقتصادية ـ المعونة التى تعد أكبر معونة تتحملها الولايات المتحدة الأمريكية وتصل بالنسبة لإسرائيل حوالى ٤ آلاف مليون دولار، وبالنسبة لمصر حوالى ٢ر٣ مليون دولار ـ وكل ذلك أدى إلى اضطرار إسرائيل إلى إعادة النظر فى نظرتها المتغطرسة لأنها لم تعد تحتكر الصداقة الأمريكية وتحاول النظر إلى المصالح الاقتصادية والكعكة الضخمة التى ستلتهمها فى حالة التطبيع وقيام نظام شرق أوسطى، ومن هنا جاءت أولا اتفاقيات كامب دافيد ثم غزة ـ أريحا .

(و) يضاف إلى الأوضاع المتردية السابقة مجموعة من العوامل التى تؤثر سلبا على أوضاع منطقة الشرق الأوسط منها :

- غياب الديمقراطية عن معظم دول المنطقة.
- تردى أوضاع حقوق الانسان.
- تفاقم أزمة الأقليات.
- تفاقم الصراعات العرقية.
- نمو المنظمات الإرهابية المستترة وراء ستار الدين.

(ز) وأخيرا يحسن أن نشير إلى عامل هام سنعود إليه فيما بعد، وهو ضعف وبداية انهيار النظم الأقليمية والدولية التى كانت فعالة بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط وغيرها. مثل النظام العربى وعدم الانحياز، وبقية التنظيمات والآليات التى كانت تؤدى دورا حيويا لدول وشعوب العالم الثالث، وانهيارها يستتبع البحث عن بديل، مع العلم بأن هذا الانهيار قسم منه يعود

لظروف محلية وقسم يعود لإدارة التغيير لدى الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل، لأن النظام العربى والنظم الأخرى لم تعد مرغوبا فيها فى ظل النظام الدولى الجديد.

٤ ـ القضايا والاستراتيجيات :

(أ) بالنسبة للولايات المتحدة فإنها مصممة وملتزمة بحماية ودعم حليفها الاستراتيجى ـ إسرائيل، إلا أن أهمية هذا الحليف قد تضاءلت بحكم المستجدات الدولية التى أشرنا إليها من قبل.

– وتجد أمريكا أن الفرصة سانحة الآن لإقامة سلام دائم وعادل، وقد تمكنت بالفعل ـ بالاقناع والضغط ـ من تحقيق تقدم ملموس ابتداء من كامب دافيد وانتهاء باتفاق غزة ـ أريحا.

– كما أن الولايات المتحدة مصرة على دعم استقرار الشرق الأوسط وفاء بمصالحها، وهو أمر يتطلب نوعا من التوفيق بين الأطراف المتصارعة فى الشرق الأوسط إذا أريد للسلام أن يستمر.

– ووفاء بتصوراتها عمدت الولايات المتحدة إلى تقليم أظافر العراق وحرمانه من أية قدرات نووية وكيماوية، وأخذت تضغط فى نفس الوقت على ليبيا لمنعها من تطوير أى سلاح كيماوى. ومع ذلك فشلت الولايات المتحدة حتى الآن فى إظهار قدر من الفهم والضغط لنزع السلاح النووى الإسرائيلى، وهو أمر يضر بمصداقية الولايات المتحدة إلا إذا عمدت فى مرحلة تالية إلى الضغط على إسرائيل لتحقيق قيام شرق أوسط خاليا من الأسلحة الذرية.

- والتصور العام للولايات المتحدة هو قيام نظام شرق أوسطى يستند إلى تعاون شامل بين دول المنطقة اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وثقافيا، يؤدى فى النهاية إلى مناخ تعاون طبيعى بين كل دول المنطقة.
- وللوصول إلى هذا النظام الشرق أوسطى لابد من استمرار وانجاح المفاوضات الأقليمية المتعددة الأطراف التى حضر جلستها الافتتاحية ٣٥ دولة، منها ١٤ دولة عربية ثم وصل عدد الدول إلى ٤٢ دولة.
- وتعلق الولايات المتحدة أهمية خاصة على هذه المفاوضات المتعددة للأسباب التالية :

١ - رغبة الولايات المتحدة فى الاستفادة من صورتها العالية بعد عاصفة الصحراء وخاصة بين دول الخليج.

٢ - إن هذه المفاوضات أسهل وثمارها مضمون أكثر من المحادثات الثنائية المليئة بالألاعيب والمناورات.

٣ - وتمثل هذه المفاوضات إغراء لإسرائيل لأنها تؤدى إلى التعاون المباشر مع عدد كبير من الدول العربية.

٤ - إن الموضوعات المطروحة تؤدى إلى ضعف الدول العربية، وتمهد الطريق لخلق مصالح مشتركة.

(ب) بالنسبة لإسرائيل غيرت تصوراتها على النحو التالى :

١ - عدم ربط التطبيع الكامل بالانسحاب من الأراضى وهو أمر رفضته الدول العربية، ولانعتقد أن إسرائيل كانت جادة من وراء طرحه بل يعد من قبيل المناورة واكتساب مزيد الوقت.

٢ - أن يكون التطبيع شاملا كاملا : الاقتصاد التجارة والسياسة والثقافة مع توجيه أهمية خاصة لموضوعات الأمن والمياه والتعاون الاقتصادى.

٣ - وقف سياسة التسلح ومنع انتشار الأسلحة التى تسبب عدم الاستقرار، وهى نقطة خداعية لأن إسرائيل مسلحة تسليحا شديدا ولديها إمكانات نووية تهدد بها بقية دول المنطقة.

٤ - بناء الثقة بين دول المنطقة.

٥ - تخفيض القدرة على الهجوم المفاجئ.

٦ - تدعيم الاستقرار وأدارة الأزمات.

٧ - وضع نظام للتفتيش المفاجئ على أساس تبادلى بعد إقامة السلام.

(جـ) التصور المصرى :

- أهتمت مصر بالرؤية الكلية للمشكلة ورأت أنه لا يجب طرح موضوعات ومشروعات عملية للتعاون الاقتصادى قبل تحقيق ملموس فى المفاوضات الثنائية بما يؤكد انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة.

- وأكدت مصر أن عملية السلام متكاملة وتستند إلى صيغة دولية هى الأرض مقابل السلام وهى صيغة واضحة ومحددة.

- وأن التعاون الأقليمى لا يفى بالسلام ولا يكن أن يكون بديلا له. وإنما السلام يقوم على أسس ثلاثة هى :

أولا: الحقوق المشروعة.

وثانيا: السيادة القومية على الموارد الطبيعية.

وثالثا: المنافع المتبادلة وتوازن المصالح.

(د) التصورات الإسرائيلية ـ الفلسطينية للتعاون :

– تركز إسرائيل على القضايا التى ينتظران تلعب دورا هاما فى بناء السلام. ومثال ذلك نقص المياه الذى قد يتولد عنه صراعا ويمثل عقبة أمام العلاقات السياسية السليمة.

– وتتوقع إسرائيل زيادة الناتج القومى الإجمالى لإسرائيل بنسبة ٢٢٪ فى خلال عشر سنوات من السلام. ويرجع ذلك إلى خفض الانفاق العسكرى وتوفير موارد أكثر للاستثمار والتنمية.

– وقد تزايد الطموح الإسرائيلى بعد توقيع إتفاق غزة ـ أريحا، لأن إسرائيل تتوقع أن تتحول إلى سنغافورة الشرق الأوسط وأن تصبح قاعدة هامة للشركات متعددة الجنسيات وأن تتحول إلى مركز مالى ودولى وشرق أوسطى.

– وفى المقابل هناك دراسة فلسطينية تتنبأ بأنه فى ظل السلام يمكن بناء اقتصاد فلسطينى على غرر اقتصاديات دول آسيا الصغيرة (النمور) مثل سنغافورة ـ هونج كونج، ويؤكد التصور الفلسطينى إمكانية تعاون كبير بين الأردن وفلسطين ، وفى نفس الوقت من الأهمية تعميق الروابط الاقتصادية الفلسطينية ـ الإسرائيلية. وعلى سبيل المثال بأن الاتفاقيات الفلسطينية ـ الإسرائيلية تركز

على تعاون الطرفين لتطوير اتصالات ومواصلات تربط إسرائيل والضفة وغزة وغيرهما، ودعم التجارة الأقليمية وتطوير مشروعات صناعية وإقامة بنك تنمية للشرق الأوسط والوصول إلى تعاون اقتصادى إسرائيلى - أردنى - فلسطينى.

النظام الشرق أوسطى والبدائل

١ ـ سوق أم نظام :

(أ) يتم الخلط دائما عند الحديث عن الشرق أوسطية، فتحدث عدد من المحللين عن السوق ويشير آخرون إلى النظام، ولكل مفهوم وحدود وآثار.

(ب) والسوق تعنى التعاون الاقتصادى بمعناه العريض من تصنيع وتنمية زراعية، ودعم شبكات الصرف والطرق وإيجاد رسائل وبدائل جديدة للطاقة، ومؤسسات تمويل (مثل البنوك) قادرة على توجيه ودعم كل ذلك، بل يصل الأمر إلى التسويق الثقافى والتعاون الثقافى، لأن قسم كبير من الثقافة يباع ويشترى ،مثل الأفلام الشبابية والتليفزيون والكتب وأشرطة الغناء وغيرها.

– والسوق بهذا المعنى عملية خلق لأرض ثابتة تتجه نحو إقامة النظام وذلك لأن السوق الشرق أوسطية ستؤدى إلى التأثير سلبا على مفهوم القومية العربية وعلى محتوى وأصل وجود النظام العربى، بمعنى أن السوق ستتمكن من تجاوز النظام العربى لأنها تخلق أدوات جديدة ومصالح جديدة.

- والسوق بهذا المعنى يمكن أن تتحول بسهولة وفى فترة زمنية تؤدى إلى التطبيع الكامل، وتتحول إلى نظام.

(جـ) والآن ماهو النظام ؟

النظام هو مشروع يخدم فكرة، تندمج فيه الفكرة بالمشروع اندماجا يجعل منهما وحدة ذات سلطة ديموجاجية تتعاون فيها السلطة بالأفراد.

- والتحليل الدقيق للنظام يكشف عن وجود العناصر التالية:

●● تصور راسخ لفكرة عامة بأن إجراءات أمنية معينة تدعم من شأن الجماعة وتخدم حاجاتها ومصالحها الاجتماعية.

●● تبلور وتأكد وترسيخ الفوارق التى تنبثق عن الفكرة.

●● الدوام والاستمرارية.

●● التشكيل، أى أوجه النشاط والآليات والمنشآت.

●● القواعد، مثل قواعد السلوك والقانون.

●● السلطة وهى لازمة لتنقية الغايات.

●● هيئة من الأفراد والموظفين.

- ويمكن تقديم نموذج لما سبق لفكرة القومية العربية التى تحولت إلى النظام العربى وإدارته الرئيسية (جامعة الدول العربية).

(د) وبعد هذا الاستعراض الوجيز يمكن القول أنه لا يوجد تناقض بين السوق والنظام ويمكن اعتبار السوق مرحلة تمهيدية من

مراحل بناء النظام، فإن نجحت المرحلة تؤدى إلى قيام النظام الشرق أوسطى الذى لابد أن يقوم على الفكرة والمشروع فى أتحاد كامل يعبر عن إرادة الدول المشكلة له، وقد لا يعنى هذا ضرورة هدم النظام العربى بل يمكن بقاؤه وفقا للتدابير الأمريكية والإسرائيلية ليسقط تلقائيا بمرور الزمن كالمسكن المهجور المحروم من المرافق الحيوية وهو أمر سنناقشه فيما بعد.

٢ - التصور الأمريكى :

(أ) سبق الإشارة إلى التصور الأمريكى بالنسبة لمستقبل المنطقة، وخاصة فى اطار نظام شرق أوسطى، ويمكن اجمال هذه النظرية فيما يلى :-

●● سرعة ترتيب أوضاع منطقة حساسة هى الشرق الأوسط، بسبب تزايد الحرب الاقتصادية بعد انتهاء الحرب الباردة، ووجود قوى اقتصادية مهددة هى اليابان وأوروبا والصين الشعبية، وذلك حفاظا على المصالح الاقتصادية الأمريكية فى المنطقة.

●● هبوط الأهمية الاستراتيجية وفق التصورات السابقة للحرب الباردة بسبب السقوط السوفييتى، وما أضيف إليه من نتائج حرب الخليج (عاصفة الصحراء) التى اثبتت عدم قدرة إسرائيل على صيانة المصالح الأمريكية.

●● إن استمرار السياسة الإسرائيلية المتعنتة والعدوانية بعد زوال الحرب الباردة يعرض المصالح الأمريكية للخطر، ولذلك لابد من إعادة صياغة للسلوك الإسرائيلى، وهذا اقتضى تغيير حكومة شامير إلى حكومة حزب العمل (رابين).

●● محاولة الولايات المتحدة حفظ مصروفاتها وخاصة معوناتها الخارجية، وتلتهم فيها إسرائيل مبلغا كبيرا وتليها مصر، ولا يمكن للولايات المتحدة أن تتوقف عن دفع المعونات دون العمل على انهاء الصراع فى الشرق الأوسط لأنها ملتزمة بضمان أمن إسرائيل، كما أنها مهتمة بمصالحها الخاصة.

●● ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة لم تنس أحد أعدائها السابقين - القومية العربية - وسيكون فى مشرع «الشرق أوسطية» تجاوزا لهذا العدو.

●● بالاضافة إلى أن الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر تعتبر ان «الأصولية الاسلامية» خطر يهدد المصالح الأمريكية والرد عليه هو اسقاط النظم التى تحتضن هذه الأصولية مثل إيران والسودان واليمن ، وإذابة كل شئ فى نظام شرق أوسطى يتعامل مع هذا الخطر الأمنى من خلال جهود النظام الجديد.

٣ - التصور الإسرائيلى :

= وهناك عدد من العوامل والمحاور التى تحدد التصور الإسرائيلى فى ظل الظروف الجديدة ومثال ذلك :

●● ما سبق الإشارة إليه من تصورات حول تضاؤل إسرائيل الاستراتيجى.

●● كما تبينت إسرائيل أن العنصرية فى العالم أصبحت محاصرة بعد أن ضربت فى جنوب أفريقيا.

●● وأن الرأى العام العالمى والأمريكى بل والإسرائيلى يرفض استمرار السياسة التوسعية اللا إنسانية الإسرائيلية.

●● واحتمال فقدان إسرائيل للمساندة الأمريكية.

●● وانتهاء بحصر الدعم الأمريكى اللا محدود لإسرائيل.

●● ولأن الاقتصاد الإسرائيلى اقتصاد منهار لا يعيش بمعزل عن المعونات الأمريكية والدعم من الجاليات اليهودية الفنية.

●● وأصبح السلام هو الطريق الوحيد المطروح أمام إسرائيل، وهو ما يمكنها من تحويل سياسة التوسع العسكرى والتهام الأراضى إلى توسع من نوع جديد وهو التوسع الاقتصادى والثقافى.

= ولعل كتابات «شيمون بيريز» عن «الشرق الأوسط الجديد» توضح هذا الموقف يقول: «إن الصواريخ بعيدة المدى وأسلحة الدمار الشامل أصبحت فى متناول الجميع، ويحسن أن نعالج بالبحث عن الأسباب التى تؤدى إلى استخدامها وبدون تفاهم وسلام سيكون هناك كراهية وعداء، ومن ثم إمكانية استخدام مثل هذه الأسلحة».

= ويرى بيريز أن الطريق الوحيد فى المنطقة هو طريق الحضارة الحديثة مثل الانفتاح الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة، وهو أمر ممكن ولا سيما أن ٦٠٪ من نفط العالم يتركز فى المنطقة.

= وتحقق شرق أوسط جديد من خلال تصور بيريز بالاستناد إلى عاملين رئيسين هما :

●● الأمن الأقليمى.

●● والتعاون الاقتصادى.

= وبالنسبة للعامل الأول يحسن الوصول - وفقا لحديث بيريز - إلى توافق بين الأمن القومى والأمن الأقليمى، مع الوعى بالأوضاع الجديدة التى تتركز فى انهاء المشكلة الفلسطينية التى كانت أساس الصراع العربى - الإسرائيلى، وبدلا من ذلك يواجه الجميع قضايا جديدة هى :

●● الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل.

●● الإرهاب والتطرف.

= وفى مجال التعاون الاقتصادى يرى بيريز أن الاقتصاد الحديث لا يولد وإنما يخلق، وهناك عدة تدابير للوصول إلى بناء اقتصاد حديث أبرزها :

●● تخفيض الانفاق على التسليح.

●● دعم التعليم.

●● حسن استخدام الموارد الطبيعية.

●● ايجاد بدائل للطاقة.

●● رسم خريطة جديدة للاستصلاح الزراعى.

●● فتح الحدود.

●● نقل التكنولوجيا.

= كما تقوم إسرائيل بترويج فرضيات يمكن دائما مناقشتها واثبات خطأ عن دمجها ومن ذلك :-

●● إن النفط بدأ يفقد قيمته.

●● فقدان التوازن الداخلى فى دول الشرق الأوسط، ومثال ذلك تداعى السلطة المركزية فى بعض الدول العربية.

●● أن تقرير مصير المنطقة لم يعد بيد العرب بعد انتهاء الحرب الباردة فى أوروبا والحرب الساخنة فى الخليج (عاصفة الصحراء).

●● إن القومية العربية لم تعد قادرة على الاستمرار كقضية سياسية تقررها الحقائق السياسية والعسكرية الراهنة.

●● خطر الأصولية الإسلامية يتزايد ليهدد المنطقة كلها عربا ويهودا وأتراكا وإيرانيين وباكستانيين.

●● أن انهيار النظام العربى يترتب عليه قيام نظام شرق أوسطى تكون فيه ثلاث دول محورية وفاعلة وهى: إسرائيل - تركيا - إيران (يلاحظ غياب دور مصر).

٤ - البدائل :

= فى مقابل رفض «النظام الشرق أوسطى» هناك عدة بدائل مطروحة، وقد يحسن ايرادها بايجاز لأنها تكشف تصورات قوى عديدة فى المنطقة تخشى بل وتجد فى النظام الشرق أوسطى خطرا على الأمة العربية، وقد استعرض آراء المؤيدين أو المعارضين لهذا النظام. نورد مختصرا للبدائل المطروحة:

(أ) الرابطة المتوسطية (نسبة الى البحر الابيض المتوسط) .

= وهذه الرابطة لاتصل إلى درجة النظام، ولابد وأن تقوم على أسس الحضارة الغربية الحديثة وهى:

•• الحداثة.

•• التقدم.

•• الديمقراطية.

= وهناك اتجاه بالفعل من دول المغرب العربى ناحية فرنسا وإيطاليا، ونمو تزايد للعلاقات المصرية مع دول أوروبا مثل فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا.

= إلا أنه يصعب تصورإمكانية قيام حتى «رابطة» بين دول البحر الأبيض المتوسط لأن العلاقات فى أحسن حالاتها لن تتجاوز العلاقات الاقتصادية والثقافية.

= وأداء الشرعية الدولية إبان «عاصفة الصحراء» أوضح أن القيادة كانت بين الولايات المتحدة الأمريكية ومشاركة دول أوروبا مثل فرنسا وإنجلترا.

= ولن تستطيع أوروبا ان تنافس الولايات المتحدة فى إقامة ترتيبات مستقرة دائمة فى الشرق الأوسط.

(ب) عربى ـ معدل:

= وهو أمر يصعب ـ وليس مستحيلا ـ فى ظل أوضاع الاضمحلال فى العالم العربى واتساع رقعة المشاكل بين الدول العربية، وتدويل المشاكل العربية، تليه عجز النظام العربى.

= وهذا البديل يستدعى تحقيق قدر معقول من التضامن والوفاق العربى ودعم السوق العربية المشتركة وإصلاح حال الجامعه العربية.

= وسنعود إلى هذا الموضوع وذيوله فيما بعد عند الحديث عن آفاق المستقبل

(جـ) عربى ـ قائد:

= بمعنى إصلاح النظام العر بى ليعود" قائدا من جديد، وهو أمر يعنى مشوار طويل من التنميه والاصلاح السياسى والأشجان إلى متطلبات العصر فى : الحداثه ، والتقدم والديمقراطية ومن ذلك أيضا احترام حقوق الإنسان.

(د) عربى ـ اسلامى:

= ويرى البعض أن السمات الأساسية للمنطقة هى العروبة والإسلام ولذا يجب أن يقوم النظام الجديد على هاتين الدعامتين.

= وهذه نظره تتصور أن وضع صفة الإسلامية إلى جانب «صفة العروبة» كفيل بانقاذ النظام العربى.

(هـ) الإسلامية:

= وهناك اتجاه تزايد فى السنوات الأخيرة مؤداه أن الهوية الرئيسية للفرد العربى وللفرد الشرق أوسطى بل وللفرد فى العالم هو «الإسلام».

= والاسلام بذلك يعد دينا وجنسية وهوية حضارية وهى نظرية «أممية إسلامية».

= وهذه النظرة أدت إلى تلاحم المقاتلين من مصر وأفغانستان وباكستان واليمن وغيرها، وأفرزت اتجاهات ارهابية متطرفة يمكن أن تجر المنطقة إلى الفوضي الشاملة.

(و) مصرى - ليبرالى:

= وهناك اتجاه يرى أن نتجه إلى الداخل، إلى مصر الفرعونية الحديثة التى ارتبطت بالثقافة الاوروبية زمنا طويلا.

= وهى نظرة تستند أيضا إلى:

●● الحداثة.

●● والتقدم.

●● والديمقراطية وفق المفاهيم الغربية.

= وفى هذا الإطار لاداعى لنظم اقليمية بل يكفى التواجد ضمن الشرعية الدولية - الأمم المتحدة - وتحقق الصلات بدول اوروبا ومؤسساتها.

= وهذا الاتجاه يمثل ردة بكل المقاييس بعيدا عن المجال الطبيعى لمصر وهو العالم العربى.

(ز) اقليم دول البحر الأحمر:

= ومطروح على حياء فكرة نظام اقليمى «لدول البحر الأحمر» يضم مصر - السعودية - الأردن - السودان - اليمن - وأريتريا - والصومال - وأثيوبيا - وجيبوتى.

= ويسمح هذا التجمع بدعم المنطقة سياسيا وأمنيا واقتصاديا وينهى عزلة أثيوبيا ويجر أريتريا مرة أخرى ناحية الدول العربية والأفريقية بعيدا عن إسرائيل.

= وهذا الأمر يتطلب امكانات وتحركات أكبر من قدرة الدولتين القائدتين للمشروع إن رأى النور وهما، مصر والسعودية.

= بالاضافة إلى إن إسرائيل تعتبر دولة تنتمى للبحر الأحمر ولا يمكن تجاهل وجودها.

٥ - المؤيدون للنظام الشرق أوسطى :

= النظام الشرق أوسطى الذى يبدأ بالسوق، هو نظام وافد على المنطقة من حيث الفكرة، ويتعارض مع كل الأدبيات والأحلام والتصورات التى عاشتها الشعوب العربية منذ نهاية الحرب العاملية الأولى ... وقد كان طرح هذه الفكرة بمثابة الصدمة ولذا كان أعداء الفكرة كثيرين والمؤيدون لها أقلية ولكن أى أقلية!

= هى أقلية عددية ولكنها تمثل قوة، ونعنى بذلك حكومات الدول العربية المعتدلة، ومعظم رجال الأعمال، والمستثمرون العرب، هذه مقدمة كان لابد منها.

= ونحاول فيما يلى أن نستعرض أبرز القوى المؤيدة لقيام النظام أو السوق والأفكار التى قيلت فى هذا الصدد.

(أ) يرى بعض المحللين السياسيين، ومنهم أساتذة فى الجامعة أن الشرق الأوسط القديم والنظام العربى السابق قد أصبحا فى ذمة التاريخ، وأن النظام الجديد يولد الآن ويجب أن نتعرف عليه وأن تكون ولادته بين أيدينا، حتى يخرج وهو يحمل صفاتنا فى المقام الأول.

(ب) هناك الاتجاه الليبرالى المصرى الذى لا يرفض النظام الشرق أوسطى على أساس أن هذا النظام يحافظ على المكاسب الحضارية فى الديمقراطية والحداثة والتقدم، ويحافظ على حقوق الإنسان ويبعد شبح التطرف والإرهارب المتخفى بالدين ويبتعد بمصر عن مخاطر قيام نظام شبيه بنظام الخومينى فى إيران، أو جر مصر إلى أحداث شبيهة بما حدثت فى الجزائر.

(جـ) وهناك قسم كبير من رجال الأعمال والمستثمرين المصريين والعرب لا يعارض قيام هذا النظام لأنه فى تصورهم سيعطى دفعة كبرى للأستثمار والتنمية.

(د) كما أن الحكومات العربية المعتدلة، ومنها مصر، لا ترفض السوق الشرق أوسطية مع ما يجر السوق لاحتمال قيام نظام شرق أوسطى، لأن الأوضاع الجديدة ستؤدى إلى :

●● تأكيد السلام.

●● تخلى المنطقة عن أسلحة الدمار الشامل ومنها الأسلحة الذرية والكيماوية والبيولوجية.

●● توفير ما ينفق على التسليح والحروب وهو أمر يعنى دفع عجلة التنمية ورفع مستوى معيشة الشعوب.

●● كما يؤدى إلى دعم التعاون فى مجالات الإنتاج والتكنولوجيا والمواصلات والاتصالات.

(هـ) إن المشروعات الاقتصادية بين الدول العربية ومنها السوق العربية المشتركة لم يكتب لها النجاح حتى الآن وقد ينجح النظام الجديد فيما فشل فيه غيره.

(و) والجدير بالذكر أن مصر قد أعلنت على لسان نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة أن السوق الشرق أوسطية قد أصبحت حقيقة واقعة وهى فى صالح الاقتصاد المصرى.

— وأعلن د. محمد عبد اللاه رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب ورئيس لجنة الشئون العربية بالحزب الوطنى: إن مصر يجب أن تبنى موقفها على أساس أننا نعيش فى عالم متغير أهم سماته التغيير وتعدد التكتلات الاقتصادية. مع ذلك فإن فكرة مشروع السوق الشرق أوسطية سابقة لأوانها من الناحية العملية ولاداعى للاستعجال قبل التوصل إلى أسس مقبولة واضحة للسلام، كما يجب أن نبدأ بوضع أسس التعاون العربى - العربى قبل قيام هذه السوق.

(ز) أما دول الخليج فهى خائفة من شعوبها التى عاشت طويلا فى مناخ القومية العربية، ويطلب منها الآن التطبيع الكامل مع عدو الأمس مع احتمال فقدان الهوية العربية.

- وأيضا فتخوف دول الخليج من النظام الجديد الذى يحمل معه رياح كل شئ من الحداثة إلى الديمقراطية إلى المجتمع المتقدم، وهى أمور تهدد الأساس القبلى والعائلى والأبوى لدول الخليج.

- وبنفس القدر تتخوف دول الخليج من ثورية القومية العربية وثورية الأصولية الإسلامية.

- ويبدو أن دول الخليج وخاصة بعد كارثة الغزو العراقى للكويت مضطرة لقبول السوق الشرق أوسطية مع ما يحمله من ايجابيات وسلبيات تاركةالمخاوف يحددها المستقبل .

٦ ـ المعارضون للنظام الشرق أوسطى :

(أ) بادئ ذى بدئ نقول إن القومية فى العالم العربى تعارض التطبيع مع إسرائيل سواء كان ذلك فى شكل سوق أو نظام شرق أوسطى، على أساس أن ذلك يجر الدول العربية إلى أوضاع التبعية والاستسلام ويؤدى إلى انهيار النظام العربى.

(ب) ويضاف إلى هذا التيار الجماعات الأصولية الإسلامية ولا تختلف أسانيدها عن أسانيد الأصوليين القوميين بل يزداد عليها البعد الإسلامى.

(جـ) ويتمسك كل جانب بوجود تدعيم الهوية العربية (بالنسبة للأصوليين القوميين) والهوية الإسلامية (بالنسبة للأصوليين الإسلاميين).

(د) ويمكن إجمال أبرز حجج المعارضين فيما يلى :

●● الخوف من اختراق إسرائيل للمجتمعات العربية بما يحمله هذا من سيطرة واستغلال.

●● احتمال ضياع الهوية العربية لأن السوق ستضم إلى جانب الدول العربية، إسرائيل وتركيا وإيران وباكستان، واحتمال انضمام أفغانستان أيضا وجمهوريات آسيا الوسطى الناتجة عن التفتت السوفييتى.

●● وقوع العالم العربى بين براثن استغلال الولايات المتحدة وإسرائيل وهو يعنى الدخول إلى مرحلة جديدة من مراحل الاستعمار التركى.

●● أن هذا التوجه يتيح لإسرائيل تدعيم سياستها التوسعية، وهذه المرة بوسائل اقتصادية لأن التوسع الأقليمى لم يخدم أهدافها بالقدر الكافى.

●● يمكن للولايات المتحدة وإسرائيل من توجيه الضربات مستقبلا إلى من تسميه العدو المشترك فى الشرق الأوسط أى إلى القومية (القوميين مثل الناصريين) وإلى الأصوليين الإسلاميين وهو أمر يعنى مزيد من التفتيت للجبهة العربية.

الفصل الثالث

آفاق المستقبل

١ـ غزة ـ أريحا نقطة تحول :

(أ) لم يأت اتفاق غزة ـ أريحا وليد لحظة عابرة، بل يعد نتاجا للظروف التى نعيشها ومن خلال عملية تراكمية طويلة، وبخاصة تحت تأثير السقوط السوفييتى، وزوال الحرب الباردة فى أوروبا وارهاصات حرب الخليج، أثر الغزو العراقى للكويت، وأخيرا فى إطار الأنفرادية الأمريكية بالنظام الدولى الجديد الذى يحمل صفات جديدة أبرزها سيولة النظام وعدم اكمال شكله حتى الآن.

– كما لم يأت الأتفاق نتيجة إرادة فلسطينية أو إرادة إسرائيلية، بل جاء من تحت عباءة قائدة النظام الدولى الجديد ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ ووفق تصوراتها وشروطها ووفاء بمصالحها الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية التى أشارنا إليها من قبل.

– كما جاء هذا الاتفاق معبرا عن حالة الضعف العربى وتمزق صفوف الدول العربية، وعجز النظام العربى عن حل مشاكل أعضائه.

(ب) وقد تمخض إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتى الانتقالى للفلسطينيين الذى وقع فى ١٩٩٣/٩/١٣، مجموعة من الترتيبات أبرزها:

●● إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية بمجلس منتخب فى الضفة الغربية وقطاع غزة، لفترة انتقالية لاتتجاوز خمس سنوات، تؤدى إلى تسوية دائمة قائمة على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ـ ٣٣٨ .

●● تجرى انتخابات وفق المبادئ الديمقراطية لانتخاب المجلس الفلسطينى تحت إشراف ورقابة دولية.

●● تبدأ مرحلة السنوات الخمس الانتقالية فور الأنسحاب من غزة ومن منطقة أريحا، وتبدأ مفاوضات الوضع الدائم فى أسرع وقت لا يتعدى السنة الثالثة.

●● وتشمل المفاوضات القضايا المتبقية بما فى ذلك القدس واللاجئين والمستوطنات والترتيبات الأمنية والعلاقات والتعاون مع الجيران وقضايا أخرى ذات اهتمام مشترك.

●● ولدى دخول إعلان المبادئ حيز التنفيذ والانسحاب من غزة ـ أريحا يتم نقل السلطة من الحكومة العسكرية الإسرائيلية إلى الفلسطينيين.

●● ويحدد الاتفاق الانتقالى السلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية للمجلس الفلسطينى.

●● يدعو الطرفان كل من الأردن ومصر للمشاركة فى ترتيبات التعاون.

(جـ) وقد جاء اتفاق غزة ـ أريحا مفاجأة للكثيرين، ولكنه كان محصلة قناعة الأطراف فى إطار الظروف التى أشارنا إليها بأهمية احلال التعاون محل الخلاف المرير، ومع هذا لا يزال عدد كثير من العرب متخوفا من أن يقتصر الأتفاق على غزة ـ أريحا ولا يتسع ليشمل كل الأراضى الفلسطينية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ ..

(د) ومع هذا فإن التاريخ يثبت لنا فى مثل هذه الحالة أن قطار التسوية ـ بدأ بحق تقرير المصير ـ إذا تحرك لن يتوقف إلا عند غايتين الأولى، حق تقرير المصير والثانية إقامة الدولة الفلسطينية أن كتب لها القدر أن تقام..

(هـ) ورغم أن النزاع لم ينته تماما بتوقع الاتفاق فإن ما يحدث الآن يعد من قبل ضغوط اللحظات الأخيرة ومثال ذلك ما حدث من مذابح فى الخليل، وهجمات إسرائيل على جنوب لبنان والتصريحات المستفزة لرئيس الوزراء الإسرائيلى عن بقاء المستوطنات وعدم التفريط فى القدس وعدم ايصال التقدم إلى قيام الدولة الفلسطينية.

(و) وقد أثار بعض المعارضين نقطة أن الأتفاق سرى وأن ملاحقة غير معروفة، إلا أن الملاحق أعلنت (أربعة) وتتضمن:

●● ملحق حول انتخابات مجلس الحكم المحلى الذاتى.

●● وحول إنسحاب القوات الإسرائيلية من قطاع غزة ومنطقة أريحا.

●● والتعاون الإسرائيلى الفلسطينى فى البرامج الاقتصادية.

●● والتعاون الإسرائيلى الفلسطينى فى مجال التنمية الأقليمية.

(ز) وبعد شهر من توقيع اتفاق إعلان المبادئ بدأ وفد إسرائيلى ومنظمة التحرير الفلسطينية محادثاتهما فى القاهرة حول تنفيذ الحكم الذاتى وبدء الانسحاب الإسرائيلى من غزة - أريحا فى ١٣ ديسمبر ١٩٩٣، وعندما وصل موعد بدء الانسحاب لم تسفر المفاوضات عن اتمام الانسحاب فى موعده.

= ثم عقد الوفدان جولة مباحثات فى فرنسا فى ١٩٩٣/١٢/٢٢ إلا إنها لم تحل الخلافات الأمنية.

= ثم اجتمع عرفات وشيمون بيريز فى أوسلو فى ١٩٩٤/١/٢٣، ثم فى دافوس بسويسرا بعد ذلك بأسبوع للتغلب على الخلافات فى المفاوضات التى عقدت فى طابا المصرية.

= وفى التاسع من فبراير ١٩٩٤ وقع الجانبان اتفاقا جزئيا حول تنفيذ إعلان المبادئ، وركز الأتفاق على الاجراءات الأمنية فى منطقة الحكم الذاتى والمعابر.

= وعقب هذا التطور وقعت مذبحة الحرم الإبراهيمى التى راح ضحيتها عشرات المصليين الفلسطينيين على يد متطرف يهودى فى ١٩٩٤/٢/٢٥ مما أدى إلى توقف المفاوضات خمس أسابيع. وقد أدى ذلك إلى الأتفاق على ترتيبات أمنية تتضمن إيفاد مراقبة إلى الخليل فى ١٩٩٤/٣/٣١ .

= كما اتفق على استئناف المفاوضات.

= وبسبب هذه المشاكل تأخر اتمام الانسحاب الإسرائيلى من غزة وأريحا عن الموعد المحدد فى إعلان المبادئ وهو ١٣/٤/١٩٩٤ واستمرت المفاوضات فى فنادق القاهرة حتى تم الاتفاق على توقيع «اتفاق الانسحاب الإسرائيلى» وتم ذلك فى القاهرة يوم ٤/٥/١٩٩٤ .

(جـ) وفى صباح يوم ٤/٥/١٩٩٤ أقيم احتفال عالمى تحت رعاية الرئيس مبارك وتم توجيه الدعوة إلى ممثلى أكثر من ٤٠ دولة بحضور الاحتفال والمشاركة فى مراسم التوقيع على وثيقة «تنفيذ الاتفاق الفلسطينى - الإسرائيلى الخاص بإعلان المبادئ والحكم الذاتى فى غزة - أريحا».

– وشهد الاحتفال حوالى ٢٥٠٠ مدعوا .

(طـ) وقد فتح تنفيذ اتفاق إعلان المبادئ الطريق أمام اتمام عملية التسوية على كافة الجهات ووصولا إلى إقامة السوق الشرق أوسطية، ثم قيام النظام الشرق أوسطى على النحو الذى أشرنا إليه من قبل، ولم تعد القضية الفلسطينية هى لب الصراع فى منطقة الشرق الأوسط، وبدأ مهندسو النظام الدولى الجديد يبحثون عن عدو جديد يبذرونه فى المنطقة.

٢ - هل يصمد النظام العربى ؟

(أ) تحولت الجامعة العربية وهى الإداة الرئيسية للنظام العربى إلى إطار يخضع لإرادة الدول الأعضاء وخاصة الدول القائدة.

= وقد تم دعم هذه الأداة باستحداث آلية القمة العربية التى ساهمت فى إعادة تدعيم الفعل العربى ومثال ذلك :

●● مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم عام ١٩٦٧ والذى نجح فى الوفاء بوظيفتى المواجهة والدعم.

●● وقرار وزراء النفط العربى بالكويت فى أكتوبر ١٩٧٣ مدعوما من الملوك والرؤساء بتخفيض إنتاج البترول بنسبة ٥ ٪ شهريا على الأقل لدفع عملية المجتمع الدولى للضغط على إسرائيل للانسحاب.

●● مؤتمر قمة عمان ١٩٨٧ الذى قضى بعودة مصر إلى الصف العربى وكل ذلك كان يدفع من آلية القمة العربية.

(ب) وقد تحركت الجامعة العربية - ولاسباب ليس هنا موضعها - من فشل إلى آخر فى مواجهة مشكلات المنطقة ومثال ذلك :

●● ١٩٧٥ / ١٩٧٦	الحرب الأهلية اللبنانية
●● ١٩٧٨	غزو إسرائيل لجنوب لبنان
●● ١٩٧٨	صلح كامب دافيد
●● ١٩٨٠	الحرب العراقية الإيرانية
●● ١٩٨٢	غزو إسرائيل للبنان
●● ١٩٨٥	الغارة الإسرائيلية على تونس
●● ١٩٩٠	الغزو العراقى للكويت

وغير ذلك الكثير.

(جـ) وكان هذا الفشل فى الواقع يعود إلى النظام العربى نفسه.

- أما عن المنظمات الفرعية مثل مجلس التعاون الخليجى، واتحاد المغرب العربى، ومجلس التعاون العربى، فقد قامت على نفس الأرضية السياسية والأمنية والثقافية اللصيقة بالجامعة العربية ولا تتصور أن تجئ على شكل مخاوف، ولهذا لاقت هذه المنظمات نفس الفشل.

(د) وأسباب ضعف النظام العربى وإداتة الجامعة العربية هى أسباب عديدة. وقد أدت إلى أزمة غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ وإلى مزيد من السلبيات التى تبين أو قد تفسر بعض أسباب ضعف النظام العربى ومن ذلك:

●● تزايد المرارة والكرّه وهما سمتان دخيلتان على العالم العربى.

●● اهتزاز التقاليد والقيم العربية.

●● تزايد الميل للاعتماد على الأجنبى والأبتعاد عن كل ما عربى.

●● ضعف الحس السياسى العربى بالنسبة للقضايا المصيرية ومنها القضية الفلسطينية.

●● فشل السوق العربية المشتركة وكل المشاريع المشتركة ـ أو معظمها التى كان يمكن أن تدعم النظام العربى.

(هـ) ويبقى الهاجس مطروحا بمرارة : هل انهار النظام العربى وإلى أين ؟

٣ ـ المصير :

(أ) السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هل بالضرورة أن ينتهى النظام العربى بقيام النظام الشرق أوسطى؟

– والإجابة أن النظام الشرق أوسطى هو فى التصور الخاص بالتنظيم الدولى يعد نظاما إقليميا يرتكز إلى حقائق الجغرافيا ويضم أشتاتا بدعوى التعاون ولا يحوز الأنسجام المطلوب وغالبا ـ مثل حالتنا ـ أن يكون له أب من خارج المنطقة الجغرافية.

– أما النظام العربى فهو نظام اقليمى أيضا، إلا أنه يضم دولا عربية ذات نسيج منسجم ويختص بكل خصائص الأمة العربية.

– وعلى هذا فالنظام الشرق أوسطى أوسع من حيث الأقليم وعدد المشتركين لأنه يضم إلى جانب الدول العربية ـ فى حالة قيامه ـ دولا أخرى مثل تركيا وإسرائيل وإيران وباكستان وربما أثيوبيا أيضا.

– ومن الناحية النظرية ليس بالضرورة أن ينتج عن قيام النظام الشرق أوسطى إلغاء النظام العربى، إلا أن الظروف المحيطة بالشرق الأوسط تؤكد أن قيام ـ نظام الشرق الأوسط يعنى إلغاء النظام العربى بكل أبعاده وآماله وتاريخه.

– ومشروع النظام الشرق أوسطى ليس بجديد على منطقتنا فقد تم عرضه تحت مسميات مختلفة، فى الخمسينيات والستينيات.

وكان يستهدف الدفاع عن المصالح الغربية ومواجهة التهديد الشيوعى.

(ب) والنظام الشرق أوسطى ليس فكرة أو مشروعا مطروحا، بل تم وضع أسسه بالفعل فى أكتوبر ١٩٩١ فى مدريد تحت مسمى «مفاوضات السلام الشاملة» التى فرض عليها أن تناقش كل شئ من المياه إلى التنمية إلى الأمن إلى العلاقات الثقافية والفنية، وكل ذلك يؤدى إلى إقامة النظام الشرق أوسطى لبنه فوق الأخرى حتى تجده فى النهاية ناطحة سحاب تتحدى كل ما حولها.

= ويبدو أن الولايات المتحدة مقتنعة بأن السلام والاستقرار فى المنطقة العربية لابد وأن يرتبطا باقامة هذا النظام.

(جـ) وإذا أردنا مواجهة هذا الموقف بذكاء وبعدم إهمال الظروف الجديدة فأمامنا عدة خطوات لابد من اتخاذها وهى:

●● السعى إلى إقامة ديمقراطية حقيقية يكون فيها مساحة ملموسة لاحترام حقوق الإنسان.

●● السعى إلى تنمية اقتصاديات تستهدف تكامل العالم العربى.

●● محاولة اللحاق بركب التقدم ومنجزات التكنولوجيا العالمية وثورة المعلومات والاتصالات.

(د) وكلمة أخيرة - تنبيه - نقول بأن هذا النظام الشرق أوسطى - تحت أى تسمية كانت ستكون قيادته العليا للولايات المتحدة الأمريكية وأركان حربه : إسرائيل وتركيا وإيران.

- وقد يكون لمصر دور فيه أو فى الأدوار الثلاثة السابقة وهو أمر يحرمها من مجالها الحيوى فى القيادة التاريخية والعناية بالوطن العربى.

القسم الثالث عشر

التعاون الاقتصادى والاجتماعى الشامل فى الشرق الأوسط

تمهيد

الفصل الأول: مؤتمر الدار البيضاء ١٩٩٤

الفصل الثانى: مؤتمر عمان ١٩٩٥

● نظرة عامة

الموضوعات المقدمة من إسرائيل عن الشرق الأوسط وشرق المتوسط فى مؤتمر عمان أكتوبر ١٩٩٥ .

أولا : المقدمة وحصر شامل

ثانيا : خيارات التنمية الإقليمية

ثالثا: خيارات التنمية حسب القطاعات.

تمهيد

بعد السقوط السوفييتى، وزوال نظام القطبية الثنائية، وانتقال العالم إلى نظام دولى جديد لم تتضح معالمه بعد، إلا أن مرحلته الأولى تكشف عن إنفرادية أمريكية، بعد ذلك كان على الولايات المتحدة إعادة ترتيب الأوضاع فى مختلف مناطق العالم ومن أبرزها منطقة الشرق الأوسط، بوصفها منطقة شديدة الحساسية وهامة للإقتصاد الأمريكى بسبب وجود البترول وفوائض رؤوس الأموال به.

* كما أن إسرائيل قد انتهى دورها التقليدى، وآن الأوان لترتيب الأوضاع بحيث تعيش إسرائيل فى سلام عادل ودائم فى المنطقة.
*وقد رأت الولايات المتحدة أن خير طريق هو دمج المنطقة فى مشروع اقتصادى يولد مصالح مشتركة يتجاوز النظام العربى القائم ويتجاوز طموحات إسرائيل التوسعية فى نفس الوقت بحيث، تنمو المنطقة سياسيا وإقتصاديا فى ظل نظام شرق أوسطى.
*وقد خطت الولايات المتحدة خطوتها الأولى فى مؤتمر السلام فى مدريد عام ١٩٩١، وأعقبتها محادثات سلام لنفس الأطراف المشاركة فى مدريد وفى واشنطن.

* ثم جاءت الخطوة التالية من خلال المؤتمر الاقتصادى لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فى الدار البيضاء بالمغرب فى أكتوبر ١٩٩٤ .

* وأبرز ما جاء بإعلان الدار البيضاء أن الهدف هو العمل على إقامة سلام دائم وشامل ومشاركة جدية بين رجال الأعمال والحكومات تتوخى تعزيز السلام بين العرب وإسرائيل.

* وقد جرت مياه كثيرة منذ مؤتمر الدار البيضاء أهمها تدعيم إتفاق المبادئ الفلسطينى ـ الإسرائيلى، والسير قدما فى تنفيذ بنوده. وأيضا توقيع إتفاق سلام بين الأردن وإسرائيل وبدء التعاون الاقتصادى بينهما وإستجابة كثير من الدول العربية لترتيبات السلام والتعاون، ومنها بعض دول الخليج العربى.

* ويجئ مؤتمر عمان فى أواخر أكتوبر ١٩٩٥ مكملا لمسيرة الدار البيضاء، ويعقبها المؤتمر التالى فى القاهرة.

* وبالرغم من أن التقرير الشامل المقدم من إسرائيل إلى مؤتمر عمان (أكتوبر ١٩٩٥) قد بالغ فى قدراتها الاقتصادية والتنموية، ومغالطات تاريخية صارخة أغفلت الواقع التاريخى المتعارف عليه.

إلا أننا رأينا أنه من الصواب أن نعرض على القارئ ما ورد بالتقرير من معلومات بحذافيرها، تاركين التصحيح فى تعقيبنا النهائى.

الفصل الأول

مؤتمر الدار البيضاء ١٩٩٤

وقد بدأت أعمال المؤتمر الاقتصادى لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فى الدا رالبيضاء بالمغرب يوم ١٩٩٤/١٠/٣٠ وأستمر ثلاثة أيام.

(أ) معلومات عامة عن المؤتمر :

** عقد المؤتمر بدعوة من ملك المغرب وبمساندة الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية.

** شارك فى المؤتمر ممثلو ٦١ دولة وعدد ١١١٤ من رجال الأعمال من كل أنحاء العالم.

** قاطع المؤتمر كل من العراق - إيران - ليبيا - السودان - اليمن - سوريا - لبنان (من منطقة الشرق الأوسط).

** شاركت إسرائيل بعدد ٩ وزراء من مجموع وزرائها (١٧) وكان منهم رئيس الوزراء.

** شارك فى المؤتمر أمين عام الجامعة العربية.

** صرح وزير خارجية إسرائيل بأن المؤتمر يشكل شرق أوسط جديد، وإشارة منه إلى غياب ممثلو دول شرق أوسطية مثل العراق وإيران وسوريا. قال: بأنه لا يمكن تصور الشرق الأوسط دون أن يكون هؤلاء جزء منه.

** يأتي المؤتمر في وقت أصبحت فيه معظم الدول العربية لاتلتزم بالمقاطعة ضد إسرائيل.

** عارض عقد المؤتمر القوى القومية - الناصرية - والأصولية الإسلامية، وخاصة حماس والإخوان المسلمين.

** قدمت إسرائيل مشروعات منها: إقامة شبكة طرق سريعة تربط دول المنطقة وبناء سدود على الأنهر وإنشاء وحدات تحلية المياه وإقامة مناطق سياحية على البحر الأحمر والبحر الميت، وإنشاء قنوات تربط البحر الميت بالبحرين الأبيض والأحمر، وإقامة شبكة كهرباء مشتركة، ومد خطوط أنابيب بترول إلى الموانى الإسرائيلية، وإنشاء بنك للاستثمار والتنمية.

** وركزت الدول العربية على أهمية تحقيق السلام أولا قبل دعم التعاون الاقتصادى بين دول المنطقة.

(ب) أبرز ما جاء بإعلان الدار البيضاء :

**العمل على إقامة سلام دائم وشامل ومشاركة جدية بين رجال الأعمال والحكومات تتوخى تعزيز السلام بين العرب وإسرائيل.

** هذه المشاركة تستند إلى ترابط المصالح ووحدة الأهداف التى اقتنع بها المشاركون.

**أشاد الأعلان بما تحقق من دعم للسلام عبر كامب دافيد، ومن خلال إعلان المبادئ بين إسرائيل وفلسطين، وارتكازا على معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن ، مع الأمل أن يعم السلام أيضا سوريا ولبنان.

** ضرورة اهتمام المجموعة الدولية بالحاجة الملحة إلى تنمية اقتصادية فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

** أقر المجتمعون كل سبل التعاون بين دول المنطقة مع إزالة المعوقات، مثل المقاطعة العربية.

** أهمية أن تبقى الأراضى الفلسطينية مفتوحة أمام الأيدى العاملة والسياحة والتجارة، لتمكين السلطة الفلسطينية من فرصة بناء كيان اقتصادى قوى.

** يشيد الأطراف بالمفاوضات متعددة الأطراف التى بدأت فى موسكو عام ١٩٩٢ .

**الأعلان عن بناء المجموعة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا من أجل حرية تدفق البضائع ورأس المال والأيدى العاملة ، وإتاحة آليات التمويل اللازمة بما فى ذلك انشاء بنك للتنمية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

** تشجيع إقامة غرفة تجارية اقليمية ومجلس للأعمال تابعين للقطاع الخاص لتسهيل المبادلات التجارية بين أجزاء المنطقة.

** الترحيب بتشكيل مجموعة لوضع استراتيجية اقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

(جـ) رؤية عامة لمؤتمر الدار البيضاء .

١ ـ يعد المؤتمر خطوة نحو التكامل الإقليمى من أجل التعاون وحشد الطاقات المالية والبشرية والموارد من أجل مستقبل أفضل لشعوب المنطقة فى إطار مبدأ التعاون بديلا عن المواجهة.

والمؤتمر ليس جديدا فى فكرته، إذ أنه استمرار لصيغة مدريد التى أرست قواعد المفاوضات الثنائية بين إسرائيل وكل دولة عربية من أجل إحلال السلام، ومفاوضات متعددة تشمل كل دول المنطقة ودول أوروبية وأمريكية وآسيوية، وهى دول معنية بالتعاون مع دول المنطقة.

كما أن المؤتمر أظهر حركة وقدرة القطاع الخاص الذى يراد له أن يكون لب عملية التنمية فى الشرق الأوسط تعبيرا عن انتصار الأسلوب الرأسمالى فى التنمية.

وعقد المؤتمر فى الدار البيضاء عام ١٩٩٤ ويتبعه مؤتمر عام ١٩٩٥ فى عمان، ثم مؤتمر فى العام التالى فى القاهرة أى أن إجتماعات المؤتمر ستكون دورية.

٢ ـ وفى إطار الضغوط الأمريكية الأوروبية كان مقدرا أن يكون المؤتمر متسقا متناغما، إلا أنه ظهرت بالمؤتمر اتجاهات متناقضة أبرزها :ـ

●● أن يكون التطبيع والتنمية أولا، وهو الذى تقول به إسرائيل، ومعنى ذلك أن تأخذ إسرائيل أولا وقد تعطى أو لا تعطى.

●●والاتجاه الثانى هو تصور الدول العربية أن يتم تطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام، وهى مقايضة تتم فورا، بمعنى الإنسحاب الإسرائيلى ثم التطبيع وإلغاء المقاطعة.

٣ ـ هناك جدل بين المثقفين عن الشرق أوسطية، وقد تخطى الجدل لدى بعضهم، السؤال عن جدوى أو خطورة أو أهمية الشرق أوسطية، إلى سؤال آخر يتفق مع الواقع «هو، أى شرق أوسطية يمكن أن تقوم وأن تستمر ؟

والتيار المتخوف يقول: إن النظام العربى سيختفى ليحل محله النظام الشرق أوسطى، وأن إسرائيل ستكون المهيمنة والمستفيدة من هذا النظام كما قلنا ، ثم تجاوز هذا الرأى الذى يقول به التيارين القومى والأصولى الإسلامى.

أما التيار الذى يستند إلى الواقع الجديد الذى تمكن من المنطقة فعلا، وفى إطار الموقع الأمريكى عالميا وضرورة السلام للمنطقة، فنقول: بأن المطلوب، نظام شرق أوسطى حقيقى يستطيع العيش والإستمرار ويجب أن تكون سماته الرئيسية:

** تحقيق السلام وهذا لن يتأتى إلا بالإنسحاب الإسرائيلى الكامل، وفك المستوطنات فى الأرض المحتلة والعودة إلى التفاوض بشأن القدس، بدلا من الشعار الاستعمارى «القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل» وأن يكف عن الممارسات الفاشية ضد شعوب المنطقة.

** وأن تتحول إسرائيل إلى دولة طبيعية قبل أن تطالب بالتطبيع، بمعنى أن يتم الفصل بين الدين وبين الجنسية، بحيث تصبح

الجنسية إسرائيلية تضم اليهود وغيرهم، وأن يلغى شعار العودة لكل يهود العالم، لأن هذا يعنى إستمرار الحرب والتوسع.

**وأن يكون السلام متكافئا، بمعنى أن يتحقق الأمن والاستقرار لكل الأطراف وليس لإسرائيل وحدها، وهذا يتطلب تصديق إسرائيل على معاهدة حظر انتشارأسلحة الدمار الشامل والتى تصر على عدم توقيعها حتى الآن.

٤ ـ وبالنسبة للنتائج الايجابية للمؤتمر يمكن حصر الإنطباعات التالية:

** أن المؤتمر رنجح فى توجيه النظر إلى الإمكانات الهائلة للتعاون فى المنطقة في حالة تحقق سلام دائم وشامل وعادل.

** أن المؤتمر تعدى شكل الحوار بين الدول، إلى الدخول إلى أولى درجات التعاون الفعلى، وخاصة بالمشاركة الضخمة للقطاع الخاص.

** أن المؤتمر هو إعلان رسمى بسقوط المحرمات «المسلمات» العربية الإسرائيلية والدولية السابقة، وقيام أسس ومبادئ جديدة تتفق والنظام الدولى الجديد، وعلاقات السلام التى سارت شوطا بعيدا حتى الآن.

** عرض المشروعات العملاقة التى ما كانت تتم إلا فى ظل علاقات سلام وتعاون، وقد طرح مشروع إقامة بنك التنمية للشرق الأوسط واقتراح أن يكون مقره القاهرة وكانت فكرة البنك أمريكية فى الأساس مع موافقة عدد كبير من الدول إلا أنها

قوبلت باعتراض عدد من الدول الأوروبية وعدد من الدول العربية أبرزها السعودية وقطر، ومع ذلك أكدت الولايات المتحدة أن البنك سيتم إنشاؤه فى فترة ستة أشهر.

٥ـ وعن النتائج السلبية للمؤتمر نذكر :

** أن المؤتمر جاء نتيجة ضغوط خارجية، وخاصة من الولايات المتحدة، وأن العرض الرائع الذى شاهدناه فى الدار البيضاء لن يضاهيه عرض مماثل فى مجال التنفيذ، لأن إمكانات المنطقة ضيقة، والإمكانات الوحيدة القادرة على التمويل ـ وهى دول الخليج ـ أصابها الهزال بعد غزو العراق للكويت، وبعد تهديده الأخير، وأصبحت خائفة ومتمسكة بما تبقى لها من أرصدة.

** والمؤتمر لايزال يفتقر إلى آليات دائمة رغم الإتفاق على إقامة هذه الآليات.

** وأن المؤتمر انعقد بعيدا عن رعاية الأمم المتحدة، ومن ثم لم يلتزم بأطرها الاقتصادية التى تنص على مراعاة الدول الأقل تنمية وتضع ضمانات للإستفادة المتكافئة للدول.

** أن دولا هامة فى المنطقة لم تشارك، بل وعارضت اتجاهات المؤتمر وهى إيران ـ سوريا ـ العراق ـ لبنان ـ السودان ـ واليمن.

٦ ـ والمحصلة النهائية لرؤية واقعية تقول بما يلى :

** أن نجاح التعاون الإقليمى الشرق أوسطى مرتهن بمواقف الدول المعنية ومثال ذلك :ـ

** ضرورة إتمام الإنسحاب الإسرائيلى من الجولان ومن لبنان ومن القدس الشرقية.

** أن تتحول إسرائيل إلى دولة طبيعية راغبة فى التعاون وليس فى التوسع والهيمنة.

** ألا يكون من مهام التعاون الجديد محاربة التيارين القومى والأصولى الإسلامى، حتى لا ندخل فى حرب جديدة على مستوى الشعوب فى المنطقة.

** أن يقوم التعاون الإقليمى على أساس إحترام سيادة وأمن دول المنطقة جميعا، وعلى أساس توازن المصالح وتبادل المنافع.

الفصل الثانى

مؤتمر عمان ١٩٩٥

نظرة عامة

أولا : ظروف ووقائع المؤتمر :

١ ـ ظروف انعقاد المؤتمر :

توجد عدد من الظروف السلبية والظروف الإيجابية التى واكبت انعقاد المؤتمر، وأبرز هذه الظروف :ـ

(أ) حدوث دفعة واضحة على المسار الفلسطينى، (ظرف إيجابى) .

(ب) تجدد أعمال العنف والمقاومة ضد الإحتلال الإسرائيلى فى الأرض المحتلة فى فلسطين ولبنان، (ظرف سلبى) .

(جـ) جمود الوضع على جبهة التفاوض الإسرائيلى السورى (ظرف سلبى) .

(د) قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس بشكل مستفز للعرب ويضر بمسيرة السلام (ظرف سلبى) .

(هـ) إصرار «إسحق رابين» داخل مؤتمر عمان فى كلمته على أن القدس عاصمة موحدة لإسرائيل، متجاهلا المواثيق وقرارات الأمم المتحدة (ظرف سلبى).

(و) إستمرار الغارات الإسرائيلية على جنوب لبنان (ظرف سلبى).

(ز) انعقاد المؤتمر فى جو يتسم بالضعف العربى وتمزق صفوف العرب، ومعاناة الشعبين الليبى والعراقى من جراء الحصار الاقتصادى الدولى الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية (ظرف سلبى).

(ح) تصاعد الإتهامات بين مصر والأردن تحت ستار أن كل طرف يحاول تهميش دور الطرف الآخر (ظرف سلبى).

(ط) اغتيال الأمين العام لمنظمة الجهاد الإسلامى الفلسطينى، واتهام إسرائيل بتدبير الحادث، وإعلان المسئولين الإسرائيليين إبتهاجهم لهذا الحادث (ظرف سلبى).

(ى) إستمرار قوى المعارضة المصرية والعربية بإثارة قضية مذابح الأسرى المصريين فى حربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ (ظرف سلبى).

(ك) تنامى أعمال العنف بين المتطرفين على الجانبين العربى واليهودى (ظرف سلبى).

(ل) رغبة وعمل كل الأطراف الرسمية بدول العالم ودول الشرق الأوسط لإنجاح المؤتمر (ظرف إيجابى).

٢ - وقائع المؤتمر :

(أ) فى أكبر تجمع لرجال الاقتصاد والسياسة ورجال الأعمال فى الشرق الأوسط والعالم أجمع، أشترك فى مؤتمر عمان ٦٣

دولة، وأكثر من ٢٠٠٠ من المسئولين ورجال الأعمال من كل أنحاء العالم، فى لقاء يدعو لفتح صفحة جديدة فى علاقات التعاون والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط، والتأكيد على استحالة الفصل بين السلام وبين التعاون الإقليمى.

- وقد استمر المؤتمر ثلاثة أيام من ٢٩ - ٣١ أكتوبر ١٩٩٥ أعقبه صدور إعلان عمان.

- ودارت خلال الأيام الثلاثة لقاءات متعددة وآراء متنافرة وصفقات تجارية عديدة، الأمر الذى رسم صورة جديدة لعلاقات مستقبلية فى الشرق الأوسط.

(ب) وقد أكدت مصر فى الجلسة الافتتاحية أن السلام هو القاعدة الأساسية لتحقيق التعاون والتنمية، وأنه لاحل نهائى بدون قيام الدولة الفلسطينية والانسحاب الكامل من الأراضى السورية واللبنانية المحتلة، مع ضرورة وجود ضمانات لإخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل.

(جـ) ودعت الولايات المتحدة إلى إنهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل وأكدت دعمها لإنشاء بنك التنمية الإقليمى ومقره يكون القاهرة. وأكدت أن انجازات السلام لن تكتمل إلا بانضمام سوريا ولبنان.

(د) وأكد الأردن على ضرورة وجود رؤية واضحة ومشتركة لمستقبل المنطقة، وأن المجتمع قادر على المساهمة فى مساعدة اقتصاديات دول المنطقة. كما عقب الملك حسين على قول

وزير الخارجية المصــرى «عمرو موسى» بأن بعض الدول بالمنطقة تهرول للتعامل مع إسرائيل قبل حل مشكلة المنطقة وإرساء السلام» وقال: «إن الأردن لاتهرول بل تركض، وأن الشقيقة مصر سبقتها إلى السلام مع إسرائيل بسبعة عشر عاما »، وقد تم تجاوز سوء الفهم وأعلن الملك حسين أن الموضوع منتهى.

(هـ) واقترح الفلسطينيون تأسيس صندوق لتمويل إصلاح البنية الأساسية لمناطق الحكم الذاتى.

(و) وأكدت إسرائيل ضرورة الإصلاح الاقتصادى لدول المنطقة واستثمار السلام وتجاوز الحواجز الاقتصادية.

ـ وأعلن كل من «إسحق رابين» و«شيمون بيريز» أن القدس هى العاصمة الموحدة لإسرائيل، وأن الوثائق التاريخية تؤكد ذلك، بينما لا يملك الفلسطينيون أى دليل.

ـ وقد استمد الموقف الإسرائيلى حول القدس قوة من قرار الكونجرس المشارإليه من قبل.

(ز) وأكد وزير خارجية روسيا [illegible] أنه لا يمكن إستبعاد سوريا ولبنان من اى سلام.

(ح) وقد رفضت كل من ايران وسوريا وليبيا (وأيضا العراق) إتجاهات مؤتمر عمان والاشتراك فيه. وجاء تعليق وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية السورى بقوله :

« إن سوريا ترفض تحقيق أى شكل من أشكال التعاون الاقتصادى مع إسرائيل قبل التوصل إلى تحقيق السلام الشامل فى المنطقة».

(ط) وأعلن وزير خارجية اليمن من نيويورك أن يهود اليمن الموجودين فى إسرائيل والولايات المتحدة هم آناس طيبون وسفراء جدد لليمن، وأنه لا يوجد ما يمنع من إقامة علاقات مع إسرائيل سوى الإئتلاف الحكومى مع الحزب الإسلامى فى اليمن .

(ى) وقد أيدت دول مجلس التعاون الخليجى قيام السلام بين إسرائيل والدول العربية، بل شاركت بصفة مراقب فى مؤتمر مدريد ١٩٩١ ، ولكنها بالنسبة للتعاون الاقتصادى بدت مواقفها متعددة، فمثلا رفضت السعودية المشاركة فى رأس مال بنك التنمية الإقليمى وتخوفت دول خليجية أخرى من أن تتسرب رؤوس الأموال إلى الاقتصاد الإسرائيلى، وعمدت دولة قطر إلى إعلان التعاون الاقتصادى فى مجال تصدير الغاز إلى إسرائيل بطاقة ٢٫٥ مليون طن سنويا لمدة ٢٥ عاما من عام ٢٠٠٠ وتم توقيع إتفاق مبدئى فى هذا الصدد.

- وأعلن وزير الخارجية القطرى بأن الغاز الطبيعى سيباع لإسرائيل من خلال شركة أمريكية وأن بلاده لن تدخل فى تنافس مع مصر حول بيع الغاز لإسرائيل.

كما أكد أن رفع بلاده للمقاطعة مع إسرائيل يرتبط بعدة أمور، منها موقف الجامعة العربية، وتنشيط المسارين السورى واللبنانى، وكيفية إنهاء المرحلة النهائية من المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية.

(ك) ورغم مباركة دول أوروبا (والأتحاد الأوروبى بصفة خاصة) لمسيرة السلام والتعاون فى الشرق الأوسط، إلا أن الاتحاد الأوروبى - وألمانيا بصفة خاصة - لن ينضما لعضوية بنك التنمية الإقليمى المقترح، مع إستعدادهما للإستثمار فى المنطقة.

(ل) أما عن الأمم المتحدة، فهى تؤيد، بطبيعة الحال، السلام والتنمية فى المنطقة، ولو أن مايجرى فى عمان بعيد عنها. فقد أكد الدكتور بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة أن قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ - ٣٣٨ هما الأساس لأية تسوية نهائية لتحقيق السلام فى المنطقة.

- وقال من خلال رسالتيه إلى المؤتمر: «إن المقومات الأساسية لنجاح التعاون الاقتصادى الإقليمى فى المنطقة لابد وأن تكون مستندة إلى سلام عادل وشامل».

(م) أما جامعة الدول العربية التى شاركت فى مؤتمر الدار البيضاء (١٩٩٤) وقبلت الاشتراك فى مؤتمر عمان، فقد صرح أمينها العام من العاصمة البريطانية فى ١٥/١٠/١٩٩٥ بأن الغياب عن المشاركة فى أية مؤتمرات لبحث مستقبل المنطقة ليس فى المصلحة العربية، وذكر أنه سيشارك فى أعمال المؤتمر لكى يعلن رأى الجامعة العربية.

- وأكد أن التعاون لابد له من شروط أبرزها،حل كافة المشاكل السياسية أولا ولا يمكن الموافقة على التعاون الاقتصادى مع إسرائيل قبل أن تعقد سلاما شاملا وعادلا مع الدول العربية.

(ن) وقد عرضت الدول المشاركة مشروعاتها الاقتصادية إلى جانب أفكارها الاقتصادية، وهو ما سنعرض له فى مرحلة تالية.

ثانيا : بعض نتائج المؤتمر وإعلان عمان:

١ - مشروعات مطروحة :

(أ) أقدمت كل دولة مشاركة، وخاصة الدول الرائدة، على تقديم العديد من المشروعات للحصول على أكبر قدر من الكعكة الاقتصادية.

- وقد تقدمت مصر بوثيقة تتضمن ما يزيد عن ٨٠ مشروعا منها ٥٥ مشروعا عملاقا، وبلغت تكلفة المشروعات ٢٥ مليار دولار، إلى جانب مشروعين للطرق السريعة لربط المغرب العربى بالمشرق العربى، وتيسير حركة التجارة والسياحة بين دول المنطقة، وربط الشبكات الكهربائية بين المشرق والمغرب ومشروعات لإنتاج مواد البناء ومشروعات التشييد والعمران، مشروع إعادة بناء كوبرى الفردان على قناة السويس، وتحويل مطار النقب إلى مطار دولى لتنمية السياحة فى سيناء ومشروعات استخدام المياه الجوفية فى استصلاح نصف مليون فدان فى شرق العوينات بالإضافة إلى ٢٢ مشروعا تكميليا [١].

- وأكد وزير الخارجية المصرى بالمؤتمر أن مصر مثلما كانت رائدة لعملية السلام فإن موقفها بالنسبة لمستقبل التعاون الاقتصادى فى المنطقة معروف.

---

(١) انظر المشروعات المصرية بالتفصيل بالقسم الخامس عشر من هذا الجزء.

(ب) وتقدمت إسرائيل بمشروعات تتكلف ٢٥ مليار دولار، ويتداخل بعضها مع بعض المقترحات الأردنية والفلسطينية.

- وأكدت على أهمية بناء الطرق ودعم مشروعات السياحة المشتركة.

- وأن التعاون الاقتصادى سيؤدى إلى دعم السلام ونموه، وملمحة إلى تفوقها الاقتصادى والتكنولوجى والإدارى.

(جـ) كما عرض الفلسطينيون مشروعات بإجمالى ٦ مليار دولار، وفيها مصنع للصلب، ومشروع لنقل مياه الضفة الغربية إلى قطاع غزة بالاضافة إلى دعوة الدول إلى مساعدة السلطة الفلسطينية فى إعادةإنماء المنطقة.

(د)وضمت مشروعات الأردن دراسة تبلغ ٣ر٥ مليار دولار، إلى جانب مبالغ مماثلة لتمويل مشروعات وبرامج تنمية كبيرة للقطاع الخاص من بينها مد قناة لنقل مياه من البحر الأحمر إلى البحر الميت.

(هـ) كما طرحت المغرب مشروعات تتكلف ٨ مليار دولار .

(و) وعرضت قطر والبحرين مشروعات تبلغ مليارات من الدولارات، وأبرز مشروعاتها هو نقل الغاز عبر السعودية إلى إسرائيل والبحر الأبيض.

(ز) وكان أبرز المشروعات الشاملة لخدمة المنطقة ما أعلن عنه وزير التجارة الأمريكى من أنشطة، وماتم تدارسه فى المؤتمر عن إنشاء بنك التنمية الإقليمى للشرق الأوسط برأسمال حوالى

٥ مليارات دولار أمريكى ليتم من خلاله إقامة تعاون اقتصادى في المنطقة.

٢ ـ أبرز النتائج :

(أ) أجمع المشاركون فى المؤتمر على عقد القمة القادمة فى القاهرة، وكانت الأردن بمبادرة من الملك حسين تدفع إلى عقد القمة فى قطر، وبرر العاهل الأردنى ذلك بأن الدار البيضاء (١٩٩٤) عقدت فى الغرب من المنطقة، وقمة عام (١٩٩٥) عقدت فى المنتصف ولذا تعقد القمة القادمة فى قطر التى عبرت عن رغبتها فى ذلك واستخدم الملك حسين نفوذه كمضيف ومنسق.

إلا أن مصر التفت حول هذا القرار، وأتفقت مع قطر على التنازل، وأسقط فى يد الأردن وأسرع مليكها بإعلان الانعقاد القادم فى القاهرة حفظاً لماء الوجه.

(ب) وأتفق على إنشاء ثلاث مؤسسات اقتصادية هى :

ـ بنك التنمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

ـ ومجلس السياحة الإقليمى.

ـ ومجلس رجال الأعمال.

(جـ) ودعا بيان «عمان» إلى ضرورة الاسراع بعملية السلام فى الشرق الأوسط، وعلى أمل أن يتم التوصل إلى سلام بين إسرائيل وكل من سوريا ولبنان.

(د) وأتفق أعضاء المؤتمر على أن يقوم بنك التنمية، المشار إليه، إلى دعم تنمية القطاع الخاص ومشاريع البيئة التحتية الإقليمية وتوفير منتدى يعمل على تعزيز أواصر التعاون الأقتصادى الإقليمى.

(هـ) كما تم الاتفاق على الافتتاح الرسمى للأمانة العامة التنفيذية للقمة الاقتصادية ومقرها الرباط والتى تعمل على تعزيز أواصر الشراكة بين القطاعين العام والخاص وتكثيف اللقاءات وتبادل المعلومات وتعزيز استثمارات القطاع الخاص فى المنطقة.

(و) كما قررت مجموعة العمل المنبثقة عن مفاوضات السلام المتعددة الأطراف اقامة الأمانة العامة للجنة المتابعة لمجموعة العمل الإقليمية للتنمية الاقتصادية كمؤسسة إقليمية اقتصادية دائمة ومقرها عمان.

(ز) وأبرز المشاركون تأييدهم لعملية السلام التى بدأت فى مدريد وأهمية تحقيق السلام الشامل ورحبوا بتوقيع اتفاقية الحكم الذاتى بين إسرائيل والفلسطينيين.

- كما أشادوا بالتقدم الذى أحرز بتوقيع معاهدة السلام بين الأردن وإسرائيل.

(ح) ورحبت القمة بالقرار الذى اتخذ بعقد المؤتمر الوزارى حول المساعدات الاقتصادية للفلسطينيين فى باريس فى شهر ديسمبر القادم.

(ط) كما ألحت القمة على ضرورة توسيع دائرة السلام باستكمال اتفاقيات السلام بين إسرائيل وكل من سوريا ولبنان في أقرب وقت.

(ى) ورحبت القمة باتجاه دول المنطقة لرفع المقاطعة عن إسرائيل، وطالبوا ببذل المزيد من الجهود لانهاء كافة أشكال المقاطعة.

(ك) وأكد ممثلو القطاع الخاص عزمهم على متابعة تنفيذ الاتفاقات التى تم التوصل إليها، وأعلن مسؤولو الحكومة - عن الذين حضروا القمة - عن إستعدادهم لدعم أنشطة القطاع الخاص.

(ل) كما رحب المشاركون بالاجراءات التى اتخذها الأطراف الإقليمية من أجل انفتاح اقتصادى والأنضمام للاقتصاد العالمى.

(م) كما أتفق على أن تكون القمة بعد القادمة عام ١٩٩٧ في قطر.

* * *

ثالثا : القوى المعارضة لاتجاهات المؤتمر :

(أ) نشرت مؤخرا صحيفة «يديعوت احرونوت» الإسرائيلية خريطة لشبكة الطرق الدولية عبر إسرائيل، وصفتها بأنها خريطة السلام الحديث بالشرق الأوسط، ثم أيدتها صحيفة معاريف بالقول بأن المفاوضات التى أشتركت فيها إسرائيل والأردن والفلسطينيون درست انشاء طرق جديدة : طريق القاهرة غزة ، الإسماعيلية ونيتسا ناكوخ، ليلتقى مع الطريق من إيلات (إسرائيل) والعقبة (الأردن) إلى لبنان، ويفرع من طريق إلى

ميناء أشدود، وطريق إلى ميناء حيفا، وأخيرا طريق يربط عمان بميناء أشدود. وستتولى أوروبا واليابان التمويل. وتشييد كوبرى الفردان عبر قناة السويس وبهذا يتم ربط المغرب بالشرق من السلوم إلى شمال سيناء ليصب في شبكة الطرق الحديثة بالأراضى الإسرائيلية، ومنها إلى لبنان وسوريا والأردن والخليج والسعودية، ثم إلى العراق وتركيا وأوروبا، وإلى الجمهوريات الآسيوية الإسلامية.

- وهذا يعنى نهاية الموانى المصرية، وعلى مصر أن تكتفى بالسياحة ومرور السفن فى قناة السويس.

- وكل المشروعات الإسرائيلية - الأردنية تؤدى إلى زحزحة محاور الثقل والعمل شرق قناة السويس.

(ب) كما يتخوف التيارين القومى والإسلامى من أن تتحول الآليات والنظام الشرق أوسطى الجديد إلى بديل عن النظام العربى وهو تخوف وارد.لأن الصدام واضح بين الفكرتين ومحاولة إسرائيل والولايات المتحدة الضغط على دول عربية للتعاون الوثيق مع إسرائيل خارج النظام العربى وعلى حسابه هى محاولة واضحة وناجحة. ومثال ذلك الأردن وقطر والبحرين والبقية تأتى.

(جـ) كما عبر بعض المعارضين عن فكرة أن إسرائيل بهذا المشروع الشرق أوسطى، الذى بدأ فى كازا بلانكا ونما فى عمان، تسعى إلى بناء أمنها فى الظروف الجديدة فى المنطقة، على أساس من الهيمنة والتفوق مستندة إلى صداقة خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية، وبترسانة من الأسلحة النووية، وتفوق عسكرى وتكنولوجى إدارى واضح.

(د) كما يبرز البعض وجهة النظر المصرية الرسمية المتخوفة التى ترى أن التعاون الاقتصادى الحقيقى لا يأتى إلا عبر خطوات متعددة أبرزها :

* انسحاب إسرائيل من كل الأراضى العربية.

* السير قدما فى إقامة الدولة الفلسطينية.

** إزالة أسلحة الدمار الشامل من المنطقة.

- وهى خطوات لم تقدم إسرائيل حتى الآن على السير فيها، بل تدعو إلى التعاون الاقتصادى أولا ثم تأتى بقية الخطوات.

(هـ) إن المؤتمر عقد فى ظل تمزق عربى واضح وهرولة من عدد من الدول العربية نحو التطبيع والتعامل مع إسرائيل، دون النظر إلى إنهاء المشكلات المعلقة.

- وفى المقابل هناك تنسيق أمريكى - إسرائيلى كامل يهيئ المنطقة إلى وضع جديد.

(و) وتروج فكرة إلى أن إسرائيل - ومن ورائها أمريكا - فشلت فى هزيمة وتطويع العرب بالحرب التدخل، فلجأت إلى تفكيك العالم العربى عن طريق التعاون الاقتصادى وربط مصالح الدول العربية منفردة بإسرائيل تحت المظلة الأمريكية.

(ز) واستطرادا من النقطة السابقة، تراهن الولايات المتحدة وإسرائيل على أن تشابك المصالح الاقتصادية - فى الإطار المخطط لها - بين إسرائيل وأمريكا من جهة، والدول العربية

كل على حده من ناحية أخرى يؤدى إلى أمر واقع يعد أقوى من كل الأتفاقيات ويرقى إلى مرتبة الأستعمار الجديد دون اللجوء إلى القوة العسكرية.

(ح) إن هدف المخطط كله ـ الشرق أوسطى ـ هو أن تتحمل دول المنطقة تكاليف تنمية ورفاهية إسرائيل بدلا من الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة أن أمريكا أصبحت أكبر دولة مدينة فى العالم، وتحاول إصلاح اقتصادياتها هى الأخرى.

(ط) إن النظام الشرق أوسطى يقطع الطريق على إقامة أية سوق عربية أو تنمية عربية فى إطار النظام العربى وهو أمر يعنى موت الجامعة العربية ونهاية النظام العربى.

رابعا : وجهات نظر متفائلة:

(أ) من الآراء المتفائلة، القول بأن السبيل السليم أمام العرب ليس المقاطعة والهرب، لأنها أساليب جربها العرب وفشلت، أما الأسلوب الأمثل فهو الحضور والمشاركة والقتال على موائد التفاوض دفاعا عن الحلم العربى، وتحجيما للحلم الإسرائيلى لكى يظل فى حجمه الجغرافى والتاريخى الطبيعى بالقياس للحجم العربى الكبير.

ـ وفى هذا الإطار يمكن القول أن قمة عمان نجحت، وأن الدول العربية نجحت.

ـ ويدعم هذا النجاح بلا شك قطع الطريق على إسرائيل حتى لا تستفيد من الصراع العربى ـ العربى.

(ب) ورأى آخر مؤداه أن المنطقة فى ظل السلام ستشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة، وهى تحولات لن تقتصر على الدول العربية وحدها بل ستشمل إسرائيل، وتؤدى إلى استرخاء أمنى كامل فى الشرق الأوسط وهو أمر يعنى نجاح مؤتمر عمان.

(جـ) كما أن إسرائيل بحجمها المعروف وحتى بتفوقها التكنولوجى والإدارى والعسكرى لا تستطيع أن تسيطر على الأمة العربية التى تمتلك البترول وقناة السويس والأنهر العربية الكبرى، ومنها نهر النيل، وثروتها البشرية المتنامية، وثرواتها الطبيعية فإن اتجاه التعاون والاسترخاء فى المنطقة هو على المدى الطويل فى صالح الأمة العربية.

(د) ورأى آخر يقول: إن المؤتمر يمكن أن يكون صيحة تحذير للدول العربية، فتحاول تدعيم علاقاتها الاقتصادية والسياسية، وبذلك تكون الأمة العربية قد وجدت بداية حقيقية ليقظتها وتستبعد بعض أساليب التعامل التى لا تتفق مع العصر الجديد، مثل الخصام والعنف وتجاهل المشكلات.

(هـ) ومن الآراء المتفائلة قول ولى عهد الأردن ورئيس المؤتمر: «إن القمة نجحت فى تقديم المنطقة كأقليم متكامل يملك طاقات هائلة تحتاج إلى دعم دولى لاستغلالها فى إطار مؤسس جماعى ويوفر الفرصة للمساهمة فى خلق شرق أوسط جديد مفعم بالأمل والطموحات كنهاية لرحلة طويلة من المعاناة التى سببتها صراعات السنوات الماضية».

- كما أكد أن القمة استأصلت الشك من النفوس واستبدلته باليقين، وهناك حقيقة ماثلة تقول: إن هذه المظاهرة الاقتصادية عززت الاقتناع بأن هذه النافذة الأقليمية ستشكل موطنا للاستثمار والتكامل الاقتصادى مما يعود بالفائدة على شعوب المنطقة بشكل مباشر وغير مباشر.

خامسا: نظرة على المستقبل:

(أ) يمكن القول أن القطار، الشرق - أوسطى،قد تحرك وأخذ يكتسب سرعة بفعل عوامل متعددة ولايمكن إيقافه فى الوقت الراهن، وأبرز هذه العوامل :

** الانفرادية الأمريكية بشئون العالم.

** التفوق الإسرائيلى، السياسى والاقتصادى والعسكرى والإدارى والتكنولوجى، وهو تفوق لايمكنها من الهيمنة، ولكنها تستند إلى مقوماتها، بالإضافة إلى مقومات الحليف الاستراتيجى الأمريكى.

** التشتت العربى وصعوبة المصالحة.

** الهرولة العربية التى تتصور - من خلال دول الهرولة - أن هناك مكاسب من وراء التعامل مع إسرائيل وأمريكا، لابد من اللحاق بها على طريقة الكراسى الموسيقية، وجوهر اللعبة أن الموسيقى إذا توقفت فلن تجد بعض الدول كراسى لتجلس عليها فتخرج من اللعبة .

** ضعف الجامعة العربية نتيجة ميثاقها الذى ينص على الاجماع فى اتخاذ القرار.

(ب) إذن القطار قد تحرك ومن الصعب الوقوف فى طريقه لأن هذا يعنى الانتحار، ولذلك يقول بعض العقلاء بأساليب جديدة للمقاومة ومنها :

ـ القتال على موائد المفاوضات للإستفادة من المواقف، وهو أمر صعب فى ظل التشتت العربى.

ـ العمل على تكوين تكتلات اقتصادية لمواجهة المحاور التى تزمع إسرائيل إقامتها ومن ذلك تشجيع تكتل مصرى سودانى ليبى، وتجمع آخر لبنانى سورى عراقى، وتجمع ثالث مغربى، بالإضافة إلى التجمع الخليجى، وربط هذه التجمعات بسوق عربية واحدة، وهذا الاقتراح بدوره يحتاج إلى مصالحات وترتيبات طويلة.

(جـ) وقطار الشرق أوسطية سيكون قويا حول إسرائيل التى ستهيمن بالقطع على الأردن، وتضطر السلطة الفلسطينية لأن تعمل من خلالها، كما ستعمد إلى تفكيك دول الخليج، وبدأت فعلا بذلك فأقنعت قطر والبحرين بالتعاون.

(د) وفعالية هذا القطار وسرعته تتوقف على الموقف المصرى، فإن استجابت مصر ودخلت إلى عجلة الإدارة الإسرائيلية ـ الأمريكية فإن القطار سيكون قد استكمل قوته وأصبح لا يقاوم، وبعد هذا تتساقط بقية الدول العربية كأوراق الخريف.

ـ إذن الموقف المصرى هو المحك، وهو موقف صعب لأسباب متعددة منها :

- المعونات التى تتلقاها مصر من الولايات المتحدة.

- الإرهاب الداخلى الذى يشكل نقطة ضعف لحاجة مصر إلى التنسيق الخارجى.

- ولأن مصر لاتريد أن تتهم بمعاداة السلام إذا تقاعست عن الدوران مع عجلة التنمية الشرق أوسطية.

(هـ) وهناك بادرة تدل على أن مصر لن تقاوم هذا القطار وهى أنها عملت على أن يكون مقر بنك التنمية للمنطقة مقره القاهرة، واستماتت من أجل ذلك، كما أنها قدمت مشروعات بأكثر من ٢٥ مليار دولار، بالإضافة إلى كوبرى الفردان فوق قناة السويس يربط المنطقة شرقا وغربا، كما أن مصر جاهدت ليكون عقد المؤتمر القادم عام (١٩٩٦) بالقاهرة.

(و) إذن نحن أمام قرار مصرى بالقتال داخل التجمع الشرق أوسطى لمنع استبعاد مصر من مكاسب التنمية الإقليمية ولتحول دون هيمنة إسرائيل على التجمع الإقليمى الجديد ومنع سقوط النظام العربى.

(ز) هل تنجح مصر فى ذلك ؟ أم أنها ستتحول إلى مجرد راكب فى سبنسة قطار الشرق أوسطية ؟

الموضوعات المقدمة من إسرائيل
عن الشرق الأوسط وشرق المتوسط
في مؤتمر عمان ١٩٩٥ .

أولا : المقدمة وحصر شامل :

١ـ الشرق الأوسط الجديد :ـ

(أ) نحو عصر جديد :

إن منطقة الشرق الأوسط وشرق المتوسط تحتوى على أهم جانب من تراث وذكريات الإنسانية، كما تعد أيضا مستنقعا للخلافات بين قاطنيها. وقد أرسى حجر الأساس الأول للحضارة الغربية (المدنية) هنا، ومن هذه المنطقة انبعثت شرارة التوحيد التى أنارت ظلام العالم. وقد وضع موسى وحامورابى أسس الحكومات الشرعية (١)، وظهرت تعاليم أنبياء إسرائيل فى المنطقة، وتبعهم بعد

(١) هذا ما ورد بالنص فى التقرير الإسرائيلى المقدم لمؤتمر عمان، ومنه يتبين سوء نية إسرائيل ـ عن قصد ـ إذ أن الحقيقة أن مصر كانت أول من عرفت الحكومة المركزية فى التاريخ، وأن التوحيد أنبثق من ربوعها فى عهد أخناتون.

ذلك مؤسسو الديانات التوحيدية الثلاث موسى والمسيح ومحمد. ومن الهلال الخصيب الذى يمتد من جنوب آسيا حتى إفريقيا وعلى ضفاف النيل، بدأ الإنسان فى تطوير الطبيعة لخدمة حاجاته.

وقد لعبت منطقة الشرق الأوسط وشرق المتوسط منذ القدم دورا رئيسيا لصالح كل الشعوب، بسبب طرق التجارة العالمية التى تمر بها الأستقرار الإمبراطوريات العظيمة التى قامت فيها إلى أن اضمحلت.

إن التنمية الاقتصادية والاجتماعية هى العامل الحاسم للاستقرار الدائم فى هذا الاقليم، حيث نجد ٦٠ ٪ من موارد بترول العالم مركزه فى هذا الإقليم بما فى ذلك الخليج الفارسى. ولهذا الاقليم أيضا قدرات تسويقية هائلة لأن تركيبه وثراؤه ينشئان فرصا ضخمة، كما أن استقرار الإقليم يضع حدا لتهديد السلام الإقليمى والدولى.

إلا أن المشكلة الكبرى هى أعباء التسلح التى تلتهم الاستثمارات الضخمة، وبذلك تسود اعتبارات الأمن على حساب الأهداف الاجتماعية، مما يؤدى إلى الفقر والبؤس وهى أمور بدورها تؤدى إلى التعصب والأصولية والتحرك الدينى المزيف.

فى الماضى كانت علاقات الشعوب تقوم على عوامل كمية « quantitative» مثل مساحة المنطقة والموارد الطبيعية وعدد السكان والموقع. وقد تنافست الدول للحصول على هذه الموارد، وأدى ذلك إلى العداء الذى فتح الطريق إلى النزاع المسلح، ويمكن القول إلى أن المنتصر يحقق أصول مادية وقد يتصور أنه حقق هدفه، وفى الواقع

يكون المنتصر قد فتح الطريق أمام جولة جديدة فى دائرة مغلقة، ولهذا وجب أن تتغير الإستراتيجيات لكسر هذه الحلقة المفرغة.

ومع نهاية القرن العشرين بدأت علاقات الدول تأخذ بعدا كيفيا «qualitative» فازداد الاهتمام بالتقدم العلمى، وبسرعة المواصلات وبنظم جمع المعلومات، وبالتعليم العالى وتنمية الذكاء المكتسب، والتكنولوجيا الرفيعة ودعم البيئة، ودعم الظروف التى تؤدى إلى انتاج الثروة فى جو من الاستقرار، وبرزت بذلك هذه العناصر بوصفها مكونات للقوة المعاصرة ومال الميزان فى اتجاه الاقتصاد أكثر من القوة العسكرية لأن الجيوش قد تقهر أو تنتصر عسكريا فى معركة أو أكثر ولكنها لا يمكن أن تستمر فى ذلك دون القوة الاقتصادية، وهنا أصبحت الأهداف العسكرية وحدها لا قيمة لها مالم تضعف من اقتصاد الخصم أوتثرى من اقتصاد المهاجم.

ويجب أن نعترف بالصعوبات المتزايدة للاحتفاظ بالجيش الكبير، وهو أمر للأسف لا يزال من حقائق الواقع فى المنطقة، لتحييد الأعداء المحتملين فى غيبة السلام.

إن نفقات الأسلحة والأنظمة والمعدات العسكرية قد وصلت إلى عنان السماء، وتعوق القدرات الوطنية عن مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية الهامة.

هذه الأسس العامة تنطبق أيضا على إسرائيل والدول العربية، فالقدر قد أخذنا من عالم الصراع الإقليمى إلى عالم التحدى الاقتصادى وفى اتجاه فرص جديدة خلقتها البشرية بتقدمها الذكى.

(ب) التكامل الاقتصادى الإقليمى :

إن مشكلات هذا الإقليم «الشرق الأوسط وشرق المتوسط» لا يمكن أن تحل عن طريق دولِ المنطقة منفردة، أو حتى على أساس ثنائى أو متعدد - إن التنظيم الإقليمى هو مفتاح السلام والأمن - إلا أن هذا التغيير لن يحدث بعصا سحرية بل يتطلب ثورة فى الفكر، إن هدفنا النهائى هو خلق تجمع إقليمى يضم شعوب المنطقة وله سوق مشتركة وهيئات مركزية منتخبة على غرار المجموعة الأوروبية.

إن فكرة الاقتصاد الإقليمى يتطلب إقامة تجمع للشعوب خطوة خطوة، مع أن شعوب أوروبا الغربية كنَّت كل منها كراهية عميقة الجذور للأخرى استمرت قرونا طويلة وأطول مما استغرقه النزاع العربى الإسرائيلى، فإنها لم تستبعد حق الجار فى البقاء .

بل علينا أن نتخذ الخطوة الأولى فى اتجاه برنامج للتعاون وله ثلاث مستويات :

● المستوى الأول يتضمن مشروعات ثنائية أو متعددة .

● والمحور الثانى يتطلب إتحادا دوليا «كونسورتيوم» لتنفيذ المشروعات التى تحتاج إلى استثمارات ضخمة وإشراف من دول المنطقة ومن خارجها، ومن أمثلة هذه المشروعات، قناة البحر الأحمر - البحر الميت.

= والمستوى الثالث يشتمل على سياسة تضمن تحرك المجموعة الإقليمية مع نمو تدريجى للمؤسسات الرسمية.

إن عصرنا يشهد وجود إتجاهين متضادين أولهما، القومية المتعصبة، وثانيهما: الجماعات الإقليمية فوق القومية، « ulntanation» وفى الدول التى يسود فيها الإتجاه الأول نجد القلاقل والفوضى بينما نجد رعاية لحاجات الإنسان وأوضاع الإستقرار والرخاء وحقوق الإنسان فى الدول التى يسود فيها الإتجاه الثانى. وإن تجمع دول أوروبا أبرز مثال على ذلك.

وللتغلب على مشكلات اقليم الشرق الأوسط ومن أجل تحقيق الأهداف المرجوة نتصور أن الإقليم محكوم بأربعة أحزمة اقتصادية وسياسية:

- الحزام الأول هو التسلح : حيث تتحمل شعوب المنطقة حوالى ٦٠ بليون «٦٠ ألف مليون» دولار سنويا، فإذا خفضنا هذا الصرف إلى النصف، سنجد معنا موارد نقدية هائلة لتنمية كل الإقليم دون أن نضر بالأمن القومى لكل دولة على حده.

- الحزام الثانى هو المياه، واستخدامها والتكنولوجيا الحيوية ومحاربة التصحر وذلك بغرض تحويل الإقليم إلى رقعة خضراء من أجل وفرة فى الطعام لسكان الإقليم.

- والحزام الثالث، هو النقل والمواصلات وبنيتها الأساسية.

- والحزام الرابع هو السياحة، وهى صناعة هامة يمكنها فى زمن قصير أن تدر أرباحا وأن تخلق فرص عمل كبيرة، ولاسيما أن أجدادنا قد ساعدونا فى بناء المعابد والأهرامات والقلاع والمجارى المائية والقنوات، وهى أمور تعد مزايا سياحية فائقة

بالإضافة إلى أن السياحة لها قيمة سياسية عظيمة لأنها تتطلب الاستقرار والهدوء، بالاضافة إلى أن نمو صناعة السياحة يؤدى إلى دعم الاستقرار والأمن نتيجة تأثيراته الاقتصادية.

إن العالم يتجه إلى التكتلات الاقتصادية، ونلمح ذلك فى أوروبا وفى أمريكا وفى شرق آسيا، ولهذا، فإن التنظيم الإقليمى لا مناص عنه فى الشرق الأوسط وشرق المتوسط أيضا، حيث نبعث المدنية الغربية. كما أن التنظيم الإقليمى يؤدى إلى سياسة دولية جديدة، وقد أصبح السوق أهم من الدول منفردة، ومناخ المنافسة أكثر أهمية من الحدود القديمة.

٢ - دور القطاع الخاص :

(أ) عملية السلام والقطاع الخاص:

يكمل السلام والتنمية الاقتصادية بعضهما البعض، لأن التعاون الاقتصادى يدعم عملية السلام بإتاحة فرص الاستقرار وتدعيم الالتزام المشترك بين الأعضاء.

وفى كل الأحوال فإن السلام حيوى نظرا لوجود فرص تنمية اقتصادية حقيقية فى المنطقة، وهو - أى سلام - أمر يزيد فرص جذب رؤوس الأموال العامة والخاصة من الخارج.

وأهمية القطاع الخاص فى عملية التنمية الاقتصادية فى المنطقة تنبع من أنه أكثر قدرة من القطاع العام على تحقيق النتائج وخاصة أن المصادر التقليدية للتمويل أخذت تنضب.

(ب) مساهمة القطاع الخاص فى تمويل وإدارة البنية الأساسية.

إن الاهتمام بدور القطاع الخاص فى تمويل وإدارة مشروعات البنية الأساسية يستند إلى عدة عوامل :

- تزايد الاقتناع بأن القطاع الخاص يقوم بالعمل أفضل من القطاع العام، لأنه يخفض من تكلفة الإنشاءات ويوفر الوقت ويحقق كفاءة عالية فى الأداء.
- تضاؤل مصادر التمويل الخارجية والوطنية.
- إن القطاع الخاص يقدم ميزة تنافسية أمام هيئات القطاع العام فيتحسن أداؤها.
- تنوع أساليب مساهمة القطاع الخاص فى التمويل تتيح مرونة واضحة فى سوق المال.

ومع رغبة القطاع الخاص فى العمل فإن هناك عوائق تواجهه منها إحتمالات المصادرة وتغير القوانين، وفشل الحكومات فى تنفيذ تعهداتها، وضوابط العملة المحلية التى قد تعوق تحويل العائدات إلى الخارج وأيضا إحتمالات التأميم.

(جـ) آليات تشجيع وتسهيل عمل القطاع الخاص :

- تطويع المشاكل السياسية وذلك بإمكانية أن تسير عملية التعاون الاقتصادى بالمنطقة جنبا إلى جنب مع عملية السلام دون أن تنتظر إتمام إجراءاتها، ويمكن للحكومات أن تتعامل مع المعارضة بأن تعلن أن المشروعات المشتركة تتم فى إطار تجريبى.

- كما أن تفكيك القطاع العام إلى قطاعات فرعية يسهل عملية دخول القطاع الخاص فى عملية التنمية الاقتصادية .
- كما أن تخفيف المخاطر غير التجارية يؤدى إلى طمأنة المستثمرين من القطاع الخاص. ومثال ذلك أن تصدر الحكومة خطاب ضمان يغطى جزء من المدفوعات مقدما، وأيضا ضمان التحكيم الدولى.
- القضاء على مخاطر القطع الأجنبى «بالنسبة للعملة» حيث أن معظم مشروعات البنية الأساسية تغل عائدا بالعملة المحلية، وبالنسبة للمستثمر الأجنبى هناك عدة مشاكل أبرزها: هل تتحول عائدات المشروع إلى عملة أجنبية من أجل خدمة الدين ومواجهة المصروفات الأخرى؟ وهل يتم حماية هذه العائدات فى مواجهة احتمالات تخفيض سعر العملة المحلية؟ ويمكن للحكومات أن تطمئن المستثمر الأجنبى عبر خطوات متعددة، أبرزها أن يكون العائد من المشروع بالعملة الأجنبية أو قابل للتحويل للخارج.

(د) تمويل مشروعات القطاع الخاص :-

يعتمد التمويل الجيد لمشروعات القطاع الخاص على قدرة الحكومة المستقبلة للمشروعات على تخفيض المخاطر أمام مثل هذه المشروعات وهناك عدد من الملاحظات أبرزها :-

- هناك الدور الذى تلعبه الحكومات فى هذا الصدد : مثل تحقيق الإستقرار وفتح التعامل فى العملة الأجنبية وتنمية سوق المال الوطنى.

• ونلاحظ أن السياحة تمكن القطاع الخاص من لعب دور هام وتعد بذلك مثالا لإستثمارات القطاع الخاص.

وفى مجال النقل نجد مثالا آخر مثل الإسهام فى بناء الطرق والسكك الحديدية والمطارات، كذلك يمكن للقطاع الخاص أن يوجه نشاطه فى إنتاج الطاقة الكهربائية والشمسية وفى استخراج البترول، وفى مجال الزراعة يتنامى دور القطاع الخاص فى عمليات التوزيع للمنتجات الزراعية.

٣ ـ الاستثمار فى ظل السلام :

(أ) مسح عام:

* إن نجاح عملية السلام تتوقف على عاملين :

الأول: أن تؤدى الخطوات التى تبذل إلى نتائج عملية ملموسة وفى وقت معقول، بمعنى أن تلمس شعوب المنطقة إنخفاض ملامح العداء وعدم الثقة، وبزوغ جو جديد يدعم الآمال المعلقة على السلام، ولذلك فإن الحوار لابد وأن يستمر وأن تعمد الأطراف إلى تجسيد حلول وسط.

والثانى: ضرورة البدء فى عملية التعاون الإقليمى التى تقوم على التصدى للتحديات المشتركة من أجل الوصول إلى حلول مناسبة. ومثال ذلك مشكلات المياه واللاجئين والتنمية الاقتصادية ونزع السلاح ومشكلات البيئة، بحيث يثبت أن السلام يخدم مصالح كل شعوب المنطقة.

* إن رؤيتنا للمنطقة تتلخص فيما يلى :-

- حدود مفتوحة.

- تعاون اقتصادى من أجل النمو الاقتصادى.

- حرية انتقال الأشخاص والسلع والخدمات عبر الحدود.

* ونتصور قيام شبكة من التعاون فى المنطقة على النحو التالى :-

- بنية أساسية للطرق السريعة.

- مهابط للطائرات.

- وطرق ملاحية.

- وخط أنابيب للمياه.

- شبكات كهرباء تصل الشرق بالغرب فى المنطقة، ومن الشمال إلى الجنوب.

- وقيام آليات تشاور، ودراسة جدوى للمشروعات.

- أن يعيش سكان المنطقة متحررين من كل الصعاب ومن الإبعاد والطرد ومن القهر السياسى والتهديد بالعنف والإرهاب.

- أن يكون من حق سكان المنطقة السفر والاتجار وإقامة مشروعات مشتركة، وأن ينعموا معاً بخيرات المنطقة.

* وهذا هو أكبر ضمان للسلام الدائم.

*ومع أستمرار التقدم والتنمية الإقليمية يتدعم الأستقرار السياسى فى كل المنطقة، وهو أمر يؤدى إلى نزع السلاح ووجود توازن فى

التسلح، ومن ثم تصبح المنطقة منزوعة السلاح النووى وأسلحة الدمار الشامل الأخرى.

* إن التعاون الكامل بين سكان الأقليم سوف يؤدى إلى دراسة المشاكل الأقتصادية من أجل التوصل إلى حلول لها ومثالاً لذلك مشكلة إختلاف مستويات النمو الأقتصادى فى كل دولة، وكذلك الأخطار الناتجة عن الأنفجار السكانى والأستقطاب الاجتماعى وهما مشكلتين تسببان عدم الأستقرار.

* ومن أجل دعم التعاون الاقليمى لابد من إزالة العقبات مثل:

ـ الحواجز المصطنعة ـ المقاطعة العربية ـ ندرة المياه.

(ب) كيف نستخدم السلام فى دفع التنمية :

هناك عدد من الاحتمالات أبرزها:

- السلام يؤدى إلى تخفيض المنصرف على السلاح، وهو أمر يوفرملايين الدولارات للتنمية.

- السلام يقضى على الحواجز المصطنعة ويوسع رقعة الأتصالات عبر الحدود.

- وكذلك يؤدى إلى جذب الأستثمارات من الخارج.

- كما يدعم من مشروعات التنمية الأساسية المشتركة بين دول المنطقة.

- ويؤدى إلى امكانية وجود شبكة كهرباء إقليمية تدعم من الأنتاج وتوفر فى التكلفة.

ـ كما أن السلام يؤدى إلى تحقيق شبكة مواصلات وطرق تعمل على تخفيض تكلفة الأنتاج والتوزيع.

٤ ـ مصادر الأستثمار والتمويل:

(أ) دراسة أوجه الأستثمار:

* لبناء منطقة شرق أوسط وشرق المتوسط جديدة يلزم وجود قدر كبير من الأستثمارات الدولية ولذلك على دول المنطقة أن تستعد بالدراسات وبناء الثقة للمرحلة الجديدة.

* وحتى الأن فقد قيدت أقتصاديات المنطقة بعاملين رئيسيين هما:

ـ نفقات الدفاع كبيرة جداً.

ـ والحدود بين الدول مغلقة.

والسلام بداية سوف يغير من هذين العاملين لصالح المنطقة.

* وبطبيعة الحال فإن الدول المتقدمة تهتم بهذه المنطقة، وعلى سبيل المثال تقدم الوايات المتحدة معظم معوناتها لدول المنطقة وهى ـ أى أمريكا ـ قائدة فى عملية السلام، كما أن دول المجموعة الأوروبية تهتم بشكل خاص بالمنطقة نظرا للصلات التجارية والثقافية والسياسية بين دول أوروبا ودول المنطقة، كما تظهر اليابان أهتماما متزايدا بالمنطقة، ولها مشروعات هامه فى هذا الصدد مرتبطة بالسياحة والبيئة.

* ومع ذلك فإن الأتفاقيات السياسية وقرارات حكومات المنطقة ليست كافية بالرغم من وجود تصورات لقيام شركات للقطاع

الخاص تستخدم رؤوس أموال (أمريكية - أوروبية - أسيوية - عربية وإسرائيلية) وهذا الخط من المشاركة فى الأستثمار ينتظر أن يدر عائدا مثاليا وضخما على المنطقة بالأضافة إلى الفائدة السياسية.

* المهم أن العالم لديه أموالا أكثر مما يحوز من أفكار ومشروعات ولذا يمكن لرؤوس الأموال الأجنبية أن تجد الكثير فى المنطقة، وهو أمر يساعد أصحاب رؤوس الأموال، ويسهم فى دفع عملية التنمية فى المنطقة.

* وبالرغم من إمكانية الحصول على الاستثمارات من المؤسسات العالمية الدولية، مثل البنك الدولى وبنك الأستثمار الأوروبى والبنوك الفردية، إلا أن الأفضل هو قيام بنك يقوم خصيصاً لتنمية المنطقة، بمعنى أن البداية يمكن أن يقوم بها شركاء السلام فى المنطقة حتى الآن وهم: إسرائيل والأردن والفلسطينين ومصر بأنشاء مؤسستهم التمويلية.

(ب) ثلاث طرق لتصنيف رأس المال

الأول: أن تجمع الأموال من المنطقة نفسها، ويتم تخفيض التسلح، وهو أمر يوفر أكثر من ٢٠ ألف مليون دولار سنويا لأعباء التنمية فى المنطقة، كما يمكن أن تساهم دول المنطقة بنسبة ١٪ من دخلها للتنمية الإقليمية.

الثانى: عن طريق إسهام المؤسسات الدولية عن طريق الأستثمار الخاص.

الثالث: عن طريق المعونات المباشرة.

٥ ـ المتطلبات المالية وطرق تمويل المشروعات:

(أ) تحديد المشروعات:

- وهذا يعنى تحويل الأفكار والأمانى إلى مشروعات محددة، عن طريق دراسات الجدوى، وعن طريقها يمكن تحديد الموارد والمعدات والقوى العاملة ومتطلبات التمويل.
- كما يمكن التعرف على فوائد المشروع قبل التنفيذ.
- ومن المهم إيراد فرص الاستثمار الجديدة وتحديد الأولويات وصياغة نهائية للمشروعات ووضع جدول زمنى واقعى لتنفيذها.

(ب) آليات التمويل الإقليمية:

- المقترح هو إقامة آلية التمويل الإقليمية لدفع عملية التنمية فى المنطقة.
- وأبرز مهام هذا البنك الإقليمى هى:-
- استخدام رأسماله والأموال المجمعه من أسواق المال ومن المصادر المتاحه الأخرى لدفع التنمية بالمنطقة.
- تمويل مشروعات تنمية البنية الأساسية فى المنطقة.
- يدعم ويساند الإستثمار الخاص عندما يكون رأس المال الخاص غير متاح بشروط معقولة.
- تقديم معونه فنية للتحضير ولتمويل وتنفيذ خطط ومشروعات التنمية.

- تقديم تسهيلات التمويل التجارى وخاصة للتصدير، والضمانات المتصلة بالتجارة.

- لجذب الإستثمارات الخارجية والمعونات للاستثمار العام فى مشروعات البنية الأساسية التى لاتدر عائدا.

(جـ) طرق تمويل المشروعات: ـ

- وأبرز طرق التمويل هو ما يطلق عليه التمويل الذاتى للمشروع Project financing وهو من أكثر الطرق فاعلية فى مجال التمويل بالنسبة للمشروعات الضخمة التى تحتاج إلى تمويل كبير ومتعدد الأطراف وتعتمد أصلا على الموارد المحققة من مشروع معين التى تستخدم فى مواجهة التكاليف المطلوبة مثل فائدة رأس المال وخدمة الدين.

(د) المتطلبات المالية:

- ومتطلبات تمويل المشروعات سيتم عرضها فى فصل لاحق بالدراسة.

- إلا أن التقديرات المبدئية للاستثمارات اللازمة بمشروعات التعاون الإقليمى فى المنطقة فى فترة الخمس إلى عشر سنوات القادمة تبلغ حوالى من ١٨ ـ ٢٧ ألف مليون دولار.

- ومما لاشك فيه أن خطة عامة «Master Plan» تلزم لتنمية الإقليم فى عصر السلام.

- وستحدد الخطة الأولويات وجدوى المشروعات وطرق تنفيذها.

٦ ـ حصر خيارات التنمية والمشروعات: ـ

(أ) المياه:

حددت الدراسة تكلفة مشروعات المياه بمبلغ (٩٠٠٠ تسعة آلاف) مليون دولار.

●وقسمت مشروعات المياه إلى سبعة أقسام هي: ـ

١ ـ المشروعات على نهر الأردن، أبرزها مشروع نقل المياه إلى عمان (٣٥٠ مليون دولار) وتخزين المياه في نهر الأردن (١٥٠ مليون دولار)، وتحلية ينابيع مياه البحر الجليل للأردن (١٠٠ مليون دولار).

٢ ـ مشروعات إدارة المياه وأبرزها مشروعات حفظ المياه ومنع التلوث (ألف مليون دولار).

٣ ـ مشروعات المياه السطحية والعميقة في وادي (ARAVA) بين إسرائيل والأردن وتبلغ حوالي (٢٠٠ مليون دولار).

٤ ـ استخدام مياه الصرف، وأبرزها مشروعات في وادي نهر الأردن وتستفيد منه أيضا الأردن والسلطة الفلسطينية بتكلفة حوالي (١٥٠٠ مليون دولار).

٥ ـ مشروعات تحلية المياه متوسطة الملوحة تبلغ حوالي (٢٢٠ مليون دولار) في وادي الأردن والبحر الميت ووادي (ARAVA).

٦ ـ مشروعات تحلية مياه البحر لإسرائيل والأردن وفلسطين وتبلغ حوالى (٢٨٠٠ مليون دولار) ومشروعات إضافية فى العقبة ـ إيلات ـ طابا ـ حوالى (١٥٠ مليون دولار) وفى غزة (٣٢٠ مليون دولار).

٧ ـ مشروعات أخرى لتنمية المياه، وأبرزها قناة البحر الميت، بحوالى (٤٠٠٠ مليون دولار)، واستيراد المياه من تركيا [١] بحوالى (٥٠٠ مليون دولار).

(ب) الزراعة:

وخصص لمشروعاتها حوالى (٣٧٥ مليون دولار)، وأبرزها مناطق تجارة الحاصلات الزراعية بتكلفة حوالى (١٠٠ مليون دولار)، ومزارع نموذجية تجريبية بحوالى (٣٥ مليون دولار) فى مناطق نهر الأردن والسلطة الفلسطينية.

(جـ) مكافحة التصحر :

استغلال الصحراء بتكلفة حوالى (٥٠٠ مليون دولار) فى مناطق نهر الأردن وسيناء.

(د) السياحة :

بتكلفة كلية حوالى (٢٠٠٠ مليون دولار) فى مناطق خليج العقبة وإيلات وشرق المتوسط، فى مصر وغزة.

---

(١) من الملاحظ أن تركيا أقامت سدودا فى شرقها لتخزين مياه دجلة والفرات، مما أثار تخوف واحتجاج العراق وسوريا.

(هـ) الحدائق :

بتكلفة حوالى (٥٠٠ مليون دولار) فى مناطق وادى نهر الأردن وخليج العقبة - إيلات - وشرق المتوسط (مصر وغزة)، وفى أرض السلطة الفلسطينية.

(و) النقل :

وهى مشروعات تتكلف أربعة آلاف مليون دولار، فى مناطق العقبة - إيلات، وفى المناطق الشمالية فى لبنان وسوريا وشمال إسرائيل وسيناء وفى مصر وغزة.

(ز) الطاقة :

بتكلفة (٦٠٠٠ مليون دولار) فى مناطق سيناء ومصر وغزة والعقبة - إيلات وفى وادى نهر الأردن والضفة الغربية، وأبرز هذه المشروعات الاستيراد من قطر (قد يقصد الغاز) بمبلغ (٤٠٠٠ مليون دولار) وخط أنابيب غاز من مصر إلى غزة إلى أشدود بتكلفة (٨٠٠٠ مليون دولار) وشبكة كهرباء للمنطقة بتكلفة (٦٠٠ مليون دولار).

(ح) المواصلات السلكية واللاسلكية :

وهى مشروعات تصل تكلفتها إلى (١٠٠٠ مليون دولار) ، فى مناطق وادى نهر الأردن وأرض السلطة الفلسطينية ومصر وغزة والعقبة - وإيلات، وتتضمن شبكة تليفونات، ومد كابلات عامة بالمنطقة، وإتصالات الأقمار وبث الإذاعة والتليفزيون فى وادى الأردن وأرض السلطة الفلسطينية.

(ط) مشروعات التسهيلات والتجارة والصناعة :

بتكلفة (١٠٠٠مليون دولار) في مناطق العقبة - إيلات ووادى نهر الأردن، وفى المناطق الشمالية (لبنان - سوريا - وشمال إسرائيل) وفى غزة ومصر، وهى مشروعات تتصل بالبنية الأساسية لتنمية التجارة وإقامة مراكز التجارة.

(ى) مشروعات تنمية الموارد البشرية :

وتبلغ مائتى مليون دولار. ومنها ترويج التكنولوجيا والعناية بالعلوم، ومراكز التكنولوجيا المعملية والتعليم بالمراسلة، والتعليم الفنى والتأهيل المهنى وتدريب الموظفين العموميين، وكلها مشروعات فى منطقة وادى نهر الأردن.

(ك) الصحة العامة :

وهى مشروعات بتكلفة (٣٠٠مليون دولار) وتتصل بالصرف الصحى والنفايات الصلبة، وأيضا برقابة الأوبئة وتسهيلات الرعاية الصحية وتدريب العاملين فى المجال الصحى والقيام بالأبحاث الطبية المشتركة.

(ل) مشروعات البيئة :

فى مناطق وادى نهر الأردن والعقبة - إيلات ، وغزة ومصر بتكلفة (٥٠٠مليون دولار) وتتضمن مشروعات الإدارة الخاصة بحفظ البيئة فى وادى نهر الأردن وفى خليج العقبة وفى شواطئ غزة ومصر، ومشروعات أخرى تتصل بالمحميات الحيوانية ومحميات الطيور.

(م) وقد أوردت الدراسة كشف بالقطاعات وعدد المشروعات والقيمة الإجمالية لكل قطاع على النحو التالى :ـ

مسلسل	القطاع	عدد المشروعات فى كل قطاع	الاستثمارات مليون دولار
١	المياه	٢٨	٩٠٠٠
٢	الزراعة	١٣	٤٠٠
٣	محاربة التصحر	١٢	٥٠٠
٤	السياحة	٣١	٢٠٠٠
٥	الحدائق	٥	٣٠٠
٦	النقل	٢٢	٤٠٠٠
٧	الطاقة	١٨	٦٠٠٠
٨	المواصلات السلكية واللاسلكية	٢٢	١٠٠٠
٩	التسهيلات والتجارة والصناعة	١٦	٥٠٠
١٠	الموارد البشرية	١٥	٢٠٠
١١	الصحة العامة	٢٠	٣٠٠٠
١٢	البيئة	١٦	٥٠٠
	الجملة	٢١٨	٢٤٧٠٠

٧ ـ خصائص منطقة الشرق الأوسط ـ شرق المتوسط:

(أ) التركيب والإمكانات الاقتصادية ـ الأقليمية:

١ـ الموقف الاقتصادى العام:

* والنظرة هذه توضح الإمكانات الاقتصادية فى المنطقة والتى تشمل هنا : إسرائيل ـ السلطة الفلسطينية ـ مصر ـ الأردن ـ سوريا ـ لبنان ـ والسعودية.

* ويتضح من دراسة الجدول الذى يحتوى على عدد سكان كل من الدول السابقة الإشارة إليها، وكذا دخل الفرد بالدولار الأمريكى

فى عام ١٩٩٢ ، يتضح أن عدد السكان لهذه المجموعة حوالى ١٠٠ مليون، ودخل الفرد فى المتوسط ٢٤٦٠ دولار إلا أن هذا المتوسط لايعكس الحقيقة نظراً لتفاوت النمو الاقتصادى فنجد دخل الفرد فى إسرائيل ١٢٤٣٠ دولار أمريكى أكثر من خمس مرات، من متوسط دخل الفرد فى المنطقة، وتأتى السعودية بعد إسرائيل بمبلغ ٧٠٧٠ دولار أمريكى للفرد والسلطة الفلسطينية ١٦٤٠ ، ومصر ٦٣٠ وباقى الدول أكثر من ١٠٠٠ دولار للفرد.

* وفى عام ١٩٩٢ كان الناتج المحلى الاجمالى فى المنطقة /٢٤٤ ألف مليون دولار أمريكى، ويمثل ١٣ ٪ من الناتج المحلى لألمانيا الاتحادية (١٩٢٦ بليون عام ١٩٩٢).
* والسعودية حققت حوالى نصف هذا الناتج (حوالى ١١٩ بليون)، وإسرائيل حققت أكثر من الربع (٦٦بليون) ومصر ١٥ ٪ (٣٣بليون).
* أما عن معدل نمو الناتج المحلى الاجمالى فى الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩٢ فنجد لبنان ٧ر١٢ ٪، والسلطة الفلسطينية ٨ر٩ ٪ والسعودية ٨ر٥ ، وإسرائيل ٧ر٤ ٪ وسوريا ٦ر٤ ٪ ومصر ٢ ٪.

٢- قطاع الصناعة :

أما عن مساهمة قطاع الصناعة فى تكوين الناتج المحلى الإجمالى (بالأسعار الجارية) فجاءت إسرائيل ٨ر٢١ ٪، والأردن ٣ر١٥ ٪ ، ومصر ١٥ ٪ ، ولبنان ٤ر١٤ ٪، والسلطة الفلسطينية ٨ر٥ والسعودية ٩ر٦ ٪، وسوريا ٢ر٤ ٪.

*وإذا رجعنا إلى أرقام الناتج المحلى الإجمالى الخاص بالانتاج الصناعى نجد الآتى :

- إسرائيل ٧ر١٤٢٧٥ مليون دولار أمريكى، ٢٧٨٨ «نصيب الفرد بالدولار».

ـ السعودية ٦ر ٧٩٥٦ مليون دولار أمرريكى، ٤٨٨«نصيب الفرد بالدولار».

- مصر ٠ر٤٤٣٥ مليون دولار أمريكى، ٨١«نصيب الفرد بالدولار».

ـ الأردن ٦ر٦٢٦ مليون دولار أمريكى، ١٦٥«نصيب الفرد بالدولار».

ـ سوريا ٤ر٥٦٩ مليون دولار أمريكى، ٤٤«نصيب الفرد بالدولار».

ـ لبنان ١ر٥٩٢ مليون دولار أمريكى، ١٤٣«نصيب الفرد بالدولار».

ـ فلسطين ١ر١٧١ مليون دولار أمريكى ١٠٢«نصيب الفرد بالدولار»

٣- قطاع الزراعة:

نجد مساهمة الزراعة فى الناتج القومى المحلى على النحو التالى :-

ـ سوريا ٢٩ ٪ ـ مصر ٢ر١٨ ٪

ـ فلسطين ١ر١٧ ٪ ـ الأردن ٣ر٧ ٪

ـ لبنان ٧ر٦ ٪ ـ لسعودية ٢ ر٦

ـ إسرائيل ٣ر٣ ٪

* وعن قيمة الناتج القومى المحلى ومتوسط انتاج الفرد فى الزراعة نجد الصورة على النحو التالى :-

- السعودية تأتى أول القائمة ٣ر٧١٨٢ مليون دولار ومتوسط الفرد ٤٤١ دولار.

- ثم مصر ١ر٦٠٦٦ مليون دولار ومتوسط «نصيب الفرد بالدولار». ١١١ دولار

- وسوريا ٨ر٤٠٨٠ مليون دولار ومتوسط «نصيب الفرد بالدولار». ٣١٦دولار.

- وإسرائيل ٧ر٢١٣٤دولار ومتوسط «نصيب الفرد بالدولار». ٤١٧ دولار .

- وفلسطين ٦ر٣٤٣ ومتوسط «نصيب الفرد بالدولار». ٢٠٤ دولار.

- والأردن ١ر٣٠٠ ومتوسط «نصيب الفرد بالدولار». ٧٩ دولار.

- ولبنان ر٢٤٤ ومتوسط «نصيب الفرد بالدولار». ٦٦ دولار.

* مع العلم بأن مصر غير مكتفية من الحبوب، والسعودية زاد انتاجها الزراعى عن الإنتاج المصرى وأصبحت مصدرة للحبوب رغم أن عدد سكانها أقل من ثلث عدد سكان مصر.

*وتتصف المنطقة بشكل عام بأنها مستوردة للمواد الغذائية.

٤ـ تأثير الدولة على الاقتصاد:

* يلاحظ أن تدخل الدولة كبير ومتنوع وخاصة فى مجال ضبط حركة السوق وانتاج السلع فى إطار القطاع العام.

* ومع ذلك فإن مدى التدخل يتراوح من دولة لأخرى، فمثلا يزيد التدخل فى سوريا ويقل فى مصر والسعودية.

* وتحاول الأردن وإسرائيل أن تزيد من الاتجاه نحو الخصخصة وإقلال تدخل الدولة.

(ب) الصلات الاقتصادية الإقليمية والدولية:

١ - التركيب والامكانية المتصلة بالتعاون.

إن طريق المنطقة إلى نمو اقتصادى دائم يقوم على :

- السلام - ونمو الثقة المتبادلة - والتعاون الإقليمى

* وهناك ستة عوامل فى صالح التعاون الإقليمى وهى

١ - صغر حجم الدول من حيث السكان والقوة الشرائية وحجم السوق.

٢ - تنوع الموارد الطبيعية.

٣ - الطبيعة التكميلية للإنتاج الصناعى.

٤ - الموارد المشتركة المتصلة بالتاريخ والدين والحضارة

٥ - التلاصق الجغرافى لدول المنطقة (القرب).

٦ - الاتجاه فى العالم إلى تكوين تكتلات أقتصادية إقليمية.

٢- صلات التجارة الخارجية القائمة :

* يتبين من الاحصاءات ما يلى :

*أن دول المنطقة تستورد أكثر مما تصدر.

- هناك علاقات تجارية مع أوروبا بحوالى ٣٠٪ - ٦٠ للصادرات

المتوجهة إلى أوروبا ،وحوالى ٥٠ ٪ من الواردات تأتى من أوروبا ويأتى بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية من ١٠ ـ ٢٠ ٪ واليابان نسبة بسيطة.

* إن التجارة الإقليمية، أى بين دول المنطقة، ضئيلة ففى حالة الصادرات ١٠ ـ ١٥ ٪ وفى حالة الواردات من ٢ ـ ٦ ٪.

*والتعاون الإقليمى الذى يسير قدما مع التنمية الإقليمية فى ظل السلام يغير من الصورة السابقة.

ثانيا: خيارات التنمية الإقليمية [1]:

١ ـ حوض وادى الأردن: ـ

(أ) نظرة عامة:

١ ـ التكوين الطبيعى والمناخ :

إن فالق وادى الأردن هو جزء من فالق كبير يمتد من سوريا إلى البحر الأحمر ويستمر إلى قسم كبير من شرق إفريقيا.

* وسكان هذه المنطقة هم: السوريون والفلسطينيون والإسرائيليون والأردنيون.
* وفى أقصى الجنوب لفالق وادى الأردن، نجد مصر والمملكة العربية السعودية.
* ومنطقة وادى الأردن موضوع الدراسة هنا يمتد من جنوب بحيرة طبرية (بحر الجليل) إلى خليج العقبة / إيلات وتشمل المناطق التالية :ـ

---

(١) من واقع التقرير الإسرائيلى المقدم لمؤتمر عمان.

ـ وادى نهر الأردن جنوب بحر الجليل حتى البحر الميت.

ـ البحر الميت وميوله (جرف) الوعرة الجنوبية والشمالية.

ـ جنوب البحر الميت إلى مسافة حوالى ٤٠ كم.

ـ وادى عـربة (ARAVA) القحل فى اتجاه الجنوب وسواحل البحر الأحمر حتى مدينتى العقبة وإيلات.

* وقسم كبير من فالق وادى الأردن تحت مستوى البحر بما فى ذلك البحر الميت، حيث سطحه فى أدنى مستوى على سطح الأرض فى حوالى ٤٠٨ متر تحت مستوى سطح البحر.

* وأضخم موارد الفالق هى مياه الأنهار والأعماق، ومع ذلك توجد كمية كبيرة من المياه الجوفية نصف المالحة.

* المناخ حار بوجه عام معظم العام، مع ضباب كثيف فى الصيف، وصقيع لمدة قصيرة فى الشمال، وتقل كميات المياه كلما اتجهنا جنوبا.

٢ ـ الأهمية التاريخية :

*منذ القدم لعب وادى نهر الأردن دوره كمعبر بين سواحل البحر الأحمر والتجمعات البشرية فى الشمال على طول ساحل المتوسط، وكذلك بين مصر والهلال الخصيب وغزة وشبه الجزيرة العربية (طريق التوابل القديم).

* ولقد لعبت المنطقة دورا هاما فى ثراء وقوة الممالك القديمة، وايضا إبان عهد الإمبراطورية الرومانية.

* كما كان دور وادى نهر الأردن هاما إبان المدنية العربية الإسلامية وأثناء فترة المماليك.

* ولعدة عقود لم تستخدم الامكانات الاقتصادية التاريخية لمنطقة الفالق (الأخدود)، بسبب العداء واغلاق الحدود. وهى أمور عوقت من نمو التجارة والسياحة وتبادل الأفكار.

*كما أدى أزدواج التسهيلات مثل الموانى والطرق إلى فقدان قسم كبير من التكاليف كان يمكن أن توجه ناحية تنمية أقليمية شاملة.

٣ ـ الأنشطة الاقتصادية الحالية.

* إن الاقتصاد الحالى لوادى نهر الأردن يدور حول الزراعة بالرى ومزارع الأسماك فى المنطقة شمال البحر الميت.

* وفى المنطقة أسفل البحر الميت نجد النشاط السياحى والسياحة الصحية، واستخراج المعدان من البحر الميت، وزراعة متخصصة محدودة والرى اليدوى.

* ونجد فى مدينتى العقبة وإيلات نشاطات صناعية ونقل وسياحة.

٤ ـ الفائدة النسبية وقيود الموارد:

إن مزايا المنطقة تقدم أساسا لتنمية عالية فى مجال النقل، واستخراج المعادن، والسياحة والزراعة المتقدمة، ومزارع الأسماك كما أن المناخ الجيد بالمنطقة يقدم مزايا للتوطن وللزراعة المتقدمة، لأن المناخ يسمح بزراعة محاصيل خاصة، وزراعة سمكية واعدة، وسياحة على مدار العام.

* ومع ذلك فإن من أهم معوقات التنمية فى المنطقة هى :-

- نقص المياه اللازمة للزراعة.
- عدم ربط شبكات الطرق بالمنطقة.
- الآثار الضارة لإغلاق الحدود بين دول المنطقة.
- عدم ربط شبكات الطرق بالمنطقة بعضها ببعض.
- الافتقار إلى مركز بحثى مركزى بالمنطقة لخدمة الزراعة وأوجه النشاط الأخرى.

(ب) التنمية حسب القطاعات :-

* قدمت إسرائيل والأردن وغيرهما من الجهات المعنية مقترحات بشأن التنمية المتكاملة فى وادى نهر الأردن، هذه المقترحات تدرس جيدا قبل أقرار تنفيذها.

١ - إدارة المياه :

* إن إسرائيل والأردن ستحتاج إلى مزيد من المياه لسد حاجة السكان ولغير ذلك من أغراض الزراعة والصناعة.

* ويلاحظ ندرة المياه فى المنطقة ووجود كميات كبيرة مالحة ونصف مالحة.

* والتعاون فى مجال إدارة المياه يتطلب مايلى :-

- قياس مصادر المياه الجارية والسطحية ومياه الأعماق.
- حسن استخدام المياه الجوفية.

ـ حسن استخدام مياه الفيضان والصرف الصحى.

ـ التحلية لمتطلبات الصناعة المحلية فى منطقة العقبة وإيلات.

ـ إدارة وإنشاء مراكز كبيرة لمعالجة مياه الصرف فى منطقة العقبة وإيلات.

ـ استخدام التكنولوجيا الحديثة فى إدارة المياه (حسن الاستخدام ـ والتدوير).

٢ ـ الزراعة ومزارع الأسماك :

* هناك إحتمالات واعدة لتطوير الزراعة بالمنطقة على أساس شامل، نظراً لميزة الجو والمياه والتربة. إلا أن التنمية المنفردة فى شرق أو غرب نهر الأردن تؤدى إلى الأقلال من تلك المزايا وعدم الاستفادة الكاملة من تعاون المنطقة ككل للأستفادة من الأسواق ومن البحوث العلمية والتقنية الموحدة.

* وهناك عدد من الأنشطة الصالحة للتنمية المشتركة منها :

ـ الزراعة التجريبية للصحراء مع استخدام التكنولوجيا الحديثة.

ـ المزارع السمكية التجريبية مع استخدام التكنولجيا الحديثة.

ـ تبادل الخبرة حول الإنتاج الفردى والتعاونى والبحث العلمى.

ـ تنمية منطقة تجارة حرة تقوم بالتغليف وتشييد البنية الأساسية لخدمة التجارة.

ـ بحوث مشتركة لحماية البيئة البحرية فى البحر الأحمر.

٣ـ السياحة :

* السياحة فى كل من إسرائيل والأردن ستدعم بفتح الحدود بين البلدين.

* والأنشطة المشتركة يمكن أن تتضمن :ـ

ـ تسهيل عبور الحدود مع وجود رقابة فعالة على الجوازات ودعم وسائل الاتصالات والانتقال.

ـ دعم برنامج مشترك لتسويق السياحة بين البلدين.

ـ دراسة مشروعات مشتركة فى مجال النقل والإعاشة.

ـ دعم مشروعات مشتركة لإنشاء حدائق دولية على البحر الميت تتضمن معالم تاريخية وأثرية.

ـ التنسيق لاستخدام البنية الأساسية الموجودة والمتاحة للسياحة ودراسة التوسعات المستقبلية وخاصة فى مناطق العقبة وإيلات والبحر الميت.

ـ إنشاء منتزه حضارى خاص باخدود (فالق) وادى الأردن يظهر تراث المنطقة.

٤ ـ الحفاظ على الطبيعة والميراث الحضارى:

فى إطار السلام وبعد فتح الحدود فإن التعاون مطلوب لإدارة الميراث الطبيعى والحضارى فى وادى نهر الأردن، ويتضمن التعاون مايلى:ـ

ـ حصر تقييم الثروات الطبيعية والحضارية فى المنطقة.

ـ حماية البيئة فى المناطق الساحلية على العقبة وإيلات .

ـ الحفاظ على المحميات الطبيعية.

ـ تبادل المعلومات وتدريب العاملين فى هذا المجال.

٥ ـ تعاون فى مجال النقل والتجارة :

*إن فتح الحدود سيكون له تأثير ايجابى على التجارة والسياحة.

* وهناك مشروعات تدرسها كل من إسرائيل والأردن لتسهيل النقل، مثل إقامة الكبارى وإنشاء الطرق وإقامة مراكز تسهيلات التجارة.

٦ ـ الطاقة:

* وتشمل هذه الفقرة التعاون فى عدة مجالات :ـ

ـ إقامة شبكة ربط كهربائى بين دول المنطقة (اسرائيل ـ الأردن).

ـ وشبكة ضغط عالى تشمل إسرائيل والأردن ومصر والعراق وسوريا وتركيا.

ـ قناة البحر الميت ـ البحر الأحمر، ستولد طاقة هيدروليكية.

ـ مد خطوط أنابيب البترول والغاز.

ـ البحث عن البترول فى إسرائيل والأردن.

ـ توليد الطاقة الشمسية وخاصة فى منطقة البحر الميت ووادى عربة.

٧ ـ المواصلات السلكية واللاسلكية :

* إن التنمية فى هذا المجال تخدم الصناعة والسياحة فى منطقة وادى نهر الأردن.

* وتشمل التنمية أيضا التعاون فى مجال البث الإذاعى والتليفزيونى.

٨ ـ الصناعة والموارد المعدنية :

* إن البحر الميت يقدم مصدرا هاما لتطوير ونمو الصناعة فى المنطقة، وخاصة لامكاناته المعدنية.

* ويضاف إلى ذلك تنمية صناعة المواد الغذائية.

٩ـ تنمية الموارد البشرية :

*تنمية العنصر البشرى هو العنصر الرئيس فى مجالات التنمية.

*وهناك مجالات للتعاون فى هذا المجال. ومنها تنمية القدرات البشرية فى مجالات، السياحة والزراعة والحفاظ على البيئة، والاهتمام بتعاون منطقتى العقبة ـ إيلات.

*والتعليم عنصر هام فى هذه التنمية فى اتجاه تزويج التعليم بالتكنولوجيا.

١٠ـ الصحة العامة.

* وأبرز أوجه التعاون هى، مجالات تسهيل العلاج الوقائى، وإقامة مراكز علاج على درجة عالية من الكفاءة.

١١ ـ البيئة :

*ونظراً لندرة المياه فى المنطقة فيجب الاهتمام بوسائل منع تلوث مصادره .

* مع العلم بأن الحفاظ على البيئة يدعم تنمية السياحة .

١٢ ـ قناة البحر الميت ـ البحر الأحمر:

*هذه القناة تعتبر مشروعا متكاملا للتنمية فى وادى نهر الأردن .

* وهذه القناة ستمكن من توليد الطاقة الهيدروليكية وإمكانية انتاج كميات من المياه الصالحة للشرب بتحلية مياه البحر وذلك باستخدام الفارق فى مستوى البحرين بـ ٤٠٠ متر.

* بالاضافة إلى تنمية السياحة وسياحة الصحراء ودعم المزارع السمكية.

٢ ـ خليج العقبة : ـ

(أ) نظرة عامة :

* خليج العقبة تحده إسرائيل والأردن ومصر والسعودية، ويعد أحد مراكز وصل القارتين الإفريقية والآسيوية، ويمتد خليج العقبة ١٨٠ كم من إيلات والعقبة، ويتصل بالبحر الأحمر عند مضايق تيران وأكبر فتحاته بمدى ٢٨ كم.

* والخليج به أكثر حدائق المرجان كثافة فى العالم، وكذلك نماذج من الحياة البحرية النادرة.

* وقد لعب الخليج دورا هاما إقتصاديا وسياسيا وتاريخيا وحضاريا،. فقد أقام الملك سليمان ميناء قرب ما تعرف الآن بإيلات، التى

لعبت دورا تجاريا كبيرا حينئذ.وإبان العصور الإغريقية والرومانية وعصر ما قبل الاسلام لعبت العقبة (وخليج السويس) دورا تجاريا هاما كطريق للتجارة بين مدن الهند والمتوسط، كما استخدم هذا الطريق ملوك الفرس وغيرهم من الممالك القديمة.

* وإبان العصر الإسلامى أصبحت الطرق البرية والبحرية حول الخليج هامة للحج والزيارة إلى مكة والمدينة.

* وخلال الحروب الصليبية أصبح خليج العقبة هاما للوصول إلى الأماكن المقدسة وإلى الهند.

* وأبرز معالم ومحطات المنطقة نجد :-

* إيلات فى إسرائيل.

* العقبة فى الأردن.

* وطابا وصحراء سيناء فى مصر.

(ب) التنمية بحسب القطاعات :-

١ - المياه :

* المنطقة تفتقد إلى مياه الشرب، وينتظر أن يتفاقم الموقف بزيادة استخدامات المياه مستقبلا.

= ولذلك يلزم إلى جانب التدابير الخاصة بكل الدول لترشيد المياه، ويلزم تعاون إقليمى على النحو التالى :

* إقامة مصنع إقليمى لتحلية المياه.

* إعادة تدوير مياه الصرف لأغراض الزراعة.

* إقامة وحدة تحلية للمياه نصف المالحة.

٢ ـ الزراعة:

= المنطقة شحيحة المياه، قاحلة التربة، والمناخ غير مثالى، الأمر الذى يعنى وجود مشكلة بالنسبة للإنتاج الزراعى.

* * وهنا تبين الدراسة أن موقع المنطقة مع التخطيط السليم تؤدى إلى نتائج إيجابية مع وجود الخيارات التالية:

* إقامة منطقة توزيع وتسويق زراعى حرة.

* إقامة مزارع تربية الأسماك.

* الزراعة البحرية.

* التعاون فى مجالات الأبحاث والتنمية وتبادل الخبرات التكنولوجية وخاصة فى مجال الزراعة المروية بأنواع مختلفة من المياه.

٣ ـ السياحة:

* أهم ميزة للمنطقة هى قيمتها السياحية بسبب موقعها المتميز وطبوغرافيتها الجميلة.

* وأهم خيارات التنمية هى :-

* منطقة سياحية خاصة فى العقبة وإيلات.

* مشروع ريفيرا البحر الأحمر.

* حديقة مرجانية دولية (إقليمية) تحت المياه بالخليج.

* سياحة اجتياز الصحراء.

* رحلات بحرية فى الخليج.

٤ ـ وسائل النقل : ـ

* إنشاء شبكة طرق فى المنطقة هو أمر حيوى لبناء منطقة متقدمة اقتصاديا.

* وهناك عدة خيارات فى هذا الصدد:ـ

الطرق :

* طريق يربط ممر عين نيتافيم إلى ممر العقبة.

* طريق يربط العقبة ـ إيلات ـ طابا.

***السكك الحديدية :**

= خط يربط موانى البحر الأحمر والمتوسط مع العقبة وإيلات.

= خط بين البحر الميت والبحر الأحمر.

***خطوط ملاحية:**

ـ معدية (فيرى) تربط نويبع ـ إيلات ـ العقبة ـ شرم الشيخ، وإن أمكن ميناءا على الشاطئ السعودى.

= خطوط ملاحية بين دول المنطقة.

= ميناء مشترك للعقبة وإيلات.

***الطرق الجوية :**

= تسهيلات جوية مشتركة لإيلات والعقبة.

٥ ـ الطاقة :

* ترى إسرائيل فى منطقة العقبة مجالا لنقل البترول والغاز من دول الخليج إلى المتوسط، وهناك عدة خيارات بالنسبة للطاقة فى المنطقة:

** مشروع لتصبح المنطقة الشمالية فى الخليج ملتقى شبكات الكهرباء فى المنطقة.

* ضخ كميات من المياه من الخليج (فى التخزين) لتوليد الكهرباء (مفهوم من ذلك توجهها إلى البحر الميت للاستفادة من فارق المستوى).

* مشروع لتوليد الطاقة الشمسية، والأبحاث المتصلة بها.

* نقل البترول والغاز من الخليج إلى إيلات.

= مشروع قناة البحر الميت ـ البحر الأحمر لتوليد الكهرباء وتحلية المياه.

٦ ـ المواصلات السلكية واللاسلكية : ـ

* وأبرز المشروعات هى : ـ

* كابل (سلك) خط عبر الدول الأربع.

* شبكة يقوم بها القطاع الخاص.

* نظم تليفونية إقليمية.

* نظم تليفونية بالأقمار الصناعية.

* الإتصال من العقبة ـ إيلات، بقمر إقليمى.

٧ ـ التسهيلات والتجارة والصناعة :

وأبرز المشروعات .

* مناطق اقتصادية خاصة.

ـ مناطق صناعية حرة.

ـ مناطق مرور عبر الحدود.

٨ ـ الموارد البشرية :

* وأبرز مشروعاتها :ـ

ـ مراكز علمية ومعملية.

ـ تدريب المدرسين.

ـ تنمية الأجهزة اللغوية باللغة العربية.

ـ دعم التعليم بالمراسلة.

ـ دعم التعليم الفنى والتدريب المهنى.

ـ الإدارة المشتركة للمعاهد التعليمية.

٩ ـ الصحة العامة :ـ

* للحفاظ على سلامة سكان الاقليم، ونظرا لوجود بعض الأوبئة نجد أمامنا عدة مشروعات:

* معالجة وإدارة مشتركة للعادم (النفايات) الصلبة فى خليج العقبة.

* مركز للرقابة على الأمراض.

* مركز لإدارة الأزمات.

* تدريب العاملين فى مجال الصحة.

* جمعية لمحاربة السرطان فى الإقليم.

١٠ ـ البيئة :

* وأبرز مشروعاتها :ـ

ـ إدارة البيئة فى الخليج.

ـ سياسة طوارئ إقليمية لمنع الحوادث والتعامل مع الكوارث.

(جـ) التطبيق ـ الحاجة إلى تنمية إقليمية فى منطقة. طابا ـ العقبة ـ إيلات :ـ

* حتى تصبح التنمية فعالة فى الإطار الإقليمى وبمشاركة الدول الثلاثة المطلة على خليج العقبة وهى :ـ مصر ـ الأردن ـ إسرائيل

هناك العديد من الأفكار والمقترحات فى هذا الصدد وأبرزها ثمانية :ـ

١ ـ دراسة حسن استخدام الأراضى.

٢ ـ حسن إدارة المياه ومياه الصرف.

٣ ـ الحفاظ على البيئة.

٤ ـ الوصول إلى استراتيجية تسويق مشتركة.

٥ ـ تشكيل مجموعة إقليمية حرفية.

٦ ـ تشكيل مجموعة مختصة بتقديم التسهيلات.

٧ ـ شبكة إقليمية للإتصالات السلكية واللاسلكية.

٨ ـ منطقة تجارة حرة.

* وتنفيذ هذه الأفكار أو المقترحات، يقتضى مزيد من الدراسة والتعرف على الجدوى وإقامة البنية الأساسية اللازمة ثم يبدأ التنفيذ.

٣ ـ جنوب شرق المتوسط

(أ) نظرة عامة :

*هذه المنطقة تمتد من السهل الساحلى الجنوبى فى إسرائيل إلى قناة السويس فى مصر وتشمل المنطقة :ـ

* الساحل الجنوبى لإسرائيل.

* منطقة السلطة الفلسطينية.

* شمال سيناء.

* والطرف الغربى لقناة السويس.

* وتضم هذه المنطقة أيضا المدن الرئيسية مثل :ـ

ـ بورسعيد	ـ أشدود
ـ أشكلون	ـ غزة
ـ العريش	ـ ورفح المصرية

* وفى إطار السلام فإن المنطقة تحوز إمكانات التقدم والتنمية فى المجالات والخيارات المتعددة التى سبق الإشارة إليها فى الفصل السابق (قطاعات التنمية).

وصف عام ونظرة تاريخية: ـ

* إن المتوسط بحر شبه مغلق تتم تغذيته من الأطلنطى من خلال مضيق جبل طارق، إلا أنه لا يعوض كفايته بتدفق المياه الجديدة، وهو ما جعل مياه البحر والشواطئ شديدة الملوحة.

* ومياه المتوسط دافئة والأمواج خفيفة والمناخ بوجه عام معتدل، وهى أمور تعطى ميزة خاصة للمنطقة بالرغم من تزايد مشكلات التلوث بسبب انغلاق البحر أمام تدفق المياه الجديدة.

= هذا بالإضافة إلى الموقع المتميز الفريد مما يعطى ميزة خاصة للنقل والسياحة.

(ب) التنمية حسب القطاعات : ـ

١ ـ السياحة : ـ

* وتتلخص خيارات التنمية الإقليمية هنا فيما يلى :ـ

ـ الرحلات البحرية فى المتوسط.

ـ إنشاء ريفيرا المتوسط، تمتد من العريش إلى أشكلون، وتشمل الفنادق والقرى السياحية والمطاعم ومراكز التسويق والقرى السياحية البحرية وغيرها.

٢ ـ النقل : ـ

* بسبب الموقع المتميز فإن خيارات التنمية فى المنطقة تتركز فيما يلى :ـ

ـ خط حديد القاهرة ـ غزة ـ أشدود.

* طريق سريع ساحلى بين بورسعيد ـ الإسماعيلية ـ غزة ، ويتصل بمشروع الطريق السريع الذى يربط المدن على طول فالق وادى الأردن عبر إسرائيل إلى لبنان وإلى سوريا شمالا.

= خط ملاحى إقليمى.

٣ ـ المواصلات السلكية واللاسلكية :ـ

وتتضمن.

* كابل تحت البحر على طول ساحل المتوسط للمنطقة ليصل مصر والسلطة الفلسطينية وإسرائيل ولبنان وسوريا وتركيا وشمال إفريقيا.

= شبكة تليفونات خلوية (Cellular) إقليمية.

٤ ـ الطاقة :ـ

= بسبب اهتمام المنطقة بالطاقة للحاجة إليها، ولعظم مخزون الغاز فى مصر والاهتمام بوسائل نقل البترول والغاز فإن خيارات التنمية تتركز فى :ـ

ـ خطوط أنابيب الغاز من مصر إلى السلطة الفلسطينية وإلى إسرائيل.

ـ منفذ إلى المتوسط للبترول والغاز من السعودية ومنطقة الخليج.

ـ اكتشاف البترول فى السواحل.

ـ تنمية خط أنابيب سوميد.

٥ ـ البيئة :ـ خيارات التنمية :

* إدارة مشتركة للبيئة فى المنطقة للحفاظ على الحياة الطبيعية للإنسان والحيوان والطيور.

* الحفاظ على البيئة فى البحر مع وجود خطة طوارئ وكوارث.

** الحفاظ على الشواطئ الرملية والكثبان.

* الحفاظ على محميات فى المناطق ذات الأهمية البيئية والعلمية والتاريخية والأركيولوجية والحضارية والتعليمية.

٦ ـ الزراعة :

ـ طبيعة المنطقة القاحلة ومناخها الصحراوى تتطلب نوعا خاصا من الزراعة وأهم الخيارات :ـ

ـ صوبات لزراعة المحاصيل الشتوية.

ـ المزارع السمكية فى البحر وعلى الأرض.

ـ صيد الأسماك.

ـ حماية النبات.

ـ محاربة التصحر.

ـــ مزارع تجريبية إقليمية للمزارع السمكية، واستخدام المياه المالحة فى الزراعة.

٧ ـ التسهيلات ـ التجارة ـ الصناعة :ـ

* التنمية الصناعية هامة جدا للقضاء على البطالة ونظرا للموقع الجغرافى المتميز فإن خيارات التنمية فى هذا الصدد :ـ

ـ منطقة إسرائيلية ـ فلسطينية مشتركة للتصنيع فى شمال قطاع غزة.

ـ منطقة تصنيع مشتركة فى جنوب قطاع غزة بمشاركة فلسطين ـ مصر ـ وإسرائيل.

ـ توسيع المنطقة الصناعية فى EREZ.

٨ ـ **الموارد البشرية** : خيارات التنمية.

ـ مراكز علمية تكنولوجية معملية

ـ تدريب المدرسين والمدراء.

ـ تنمية البرامج ونظم التشغيل باللغة العربية.

ـ تعليم الكبار.

*التعليم الفنى والتدريب المهنى.

٩ ـ **الصحة العامة** :ـ

* وتتصل هذه النقطة بالأخطار الوبائية والمرضية التى يتعرض لها الإقليم وخيارات التنمية هى :ـ

ـ جمع النفايات الصلبة ومعاملتها.

ـ تدريب الأفراد.

ـ مركز إقليمى متوسط لمراقبة الأمراض.

ـ مستشفيات عامة ووحدات صحية بالقرى.

ـ تنظيم إقليمى لزرع الأعضاء.

ـ مراكز البحث والتدريب الإقليمية.

ثالثا :خيارت التنمية حسب القطاعات : [1]

خيارات تنمية المياه [2]

(أ) الاستثمار فى المياه والمشروعات المتصلة بها : ـ

= كثير من دول المنطقة تعتبر المياه سلعا نادرة، إذ أن إسرائيل وسوريا والأردن والضفة الغربية والسلطة الفلسطينية يستخدمون كل الموارد المتاحة.

= وفى سنوات الجفاف يزيد الاستخدام السنوى على الموارد التقليدية للمياه.

= الدراسات تبين عجزا فى كميات المياه فى الخمسين سنة المقبلة لكثير من دول المنطقة وهذا العجز يزداد باستمرار.

= ولمواجهة أزمة المياه لابد من تحسين إدارة كل من الطلب والعرض وسيكون على المنطقة أن تستثمر مابين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ مليون دولار فى مشروعات مائية فى العقدين القادمين.

---

(١) من واقع التقرير الإسرائيلى المقدم لمؤتمر عمان.

(٢) من وجهة نظر إسرائيل.

= ولمعالجة الأزمة جذريا يجب تخصيص حوالى ١٠ آلاف مليون دولار فى السنوات العشر القادمة.

= وسيكون على دول أن تستخدم تدابير متعددة منها توظيف التكنولوجيا واستخدام مياه الصرف وتحلية مياه البحر، ومعاملة المياه نصف المالحة وإستيراد المياه.

(ب) استراتيجية تنمية مصادر المياه :ـ

= إن معالجة الطلب فقط لن تكفى لمواجهة الأزمة، لأن تزايد سكان الإقليم (إسرائيل ـ فلسطين ـ والأردن) سيعمد إلى مضاعفة الأزمة.

= ولذا وجب التوصل إلى استراتيجية لتنمية مصادر المياه تتضمن :ـ

*إدارة الطلب على المياه، ومن ذلك خفض الاستهلاك.

*مقارنة المشروعات المختلفة بالنسبة لتكلفتها.

= ويعتبر الإفراط فى استخدام الموارد الطبيعية (الإحتياطى) من المياه الحالية خيارا خاطئا.

= ولذلك نجد أمامنا نوعين من البدائل هما :ـ

النوع الأول :ـ

*تحسين سبل نقل وتوزيع المياه.

*حسن استخدام مياه الفيضانات الزائدة.

*زيادة كمية الأمطار.

* استخدام موارد المياه الجوفية التى لم تكتشف بعد.

والنوع الثانى :-

*استخدام مياه الصرف فى الصناعة والزراعة .

*تحلية المياه نصف المالحة (Brackish).

*تحلية مياه البحر.

*إستيراد المياه من المنطقة.

(جـ) إدارة موارد المياه/ القطاعين العام والخاص :-

= اتضح من التجربة أنه يحسن فصل سياسة تخطيط وتنظيم المياه عن مسئوليات التشغيل للحصول على نتائج أفضل.

= وفى كثير من الدول فإن القطاعين العام والخاص يعملان فى مجال إنتاج وتوزيع المياه، والقطاع الخاص فى هذا المجال أكثر قدرة من حيث اكتشاف أفضل الطرق الفنية وخفض التكاليف.

= وهناك أكثر من أسلوب بالنسبة للقطاع الخاص، يتصل بالاشتراك وملكية وإدارة تسهيلات وخدمات المياه ومنها :-

* نموذج إقامة - إدارة - نقل (BOT)

(Build operate - transfer)

بمعنى أن يقوم القطاع الخاص بالإنشاء والإدارة، وبعد مرحلة متفق عليها يقوم بتسليم المشروع للقطاع العام. ومثال ذلك فى

مشروعات الرى ومشروعات تسهيلات الصناعة ووحدات معالجة مياه الصرف.

* ونموذج (BOO) (Build Operate - own)

أى إقامة وإدارة وملكية المشروع، أما دور الحكومة فيقتصر على الرقابة.

* الإمتياز (Concession) بمقتضاه تقوم الحكومة بالإنشاء ثم تعطى إمتياز الإدارة للقطاع الخاص.

(د) الظروف الإقليمية :ـ

= منطقة الشرق الأوسط، وشرق المتوسط ،تعتبر من أكثر المناطق جدبا (جافة وقاحلة) فى العالم، فمعظم الأراضى من مراكش إلى العراق صحراوات تفتقر إلى المياه اللازمة لحياة السكان والزراعة، ولهذا فإن السكان يتجمعون حول الأنهار وفى المناطق الساحلية.

= وإذا كانت المساحة الكلية ١٠٠ فإن أرض المحاصيل ٤ ٪ والمراعى ٢٠ ٪ والغابات ٢ ٪ والصحراء ٧٤ ٪.

(هـ) الطلب على المياه (نظرة عامة) :

= إن الطلب على المياه فى المنطقة يتركز أساسا على الزراعة، مابين ٥٠ ـ ٩٠ ٪ من إجمالى الطلب الحالى، وستكون الأزمة أكبر بتزايد السكان، وينتظر أن يزيد الطلب فى أوائل القرن ٢١ بنسبة ٣٠ ٪.

= وسيزداد طلب إسرائيل والسلطة الفلسطينية فى الاستخدامات المتعددة من ٢١١٢ مليون متر مكعب عام ٢٠٠٠ إلى ٤١١٣ مليون مكعب عام ٢٠٤٠ .

= واحتياجات مصر عام ١٩٨٥ بلغت حوالى ٦٠ ألف مليون م٣، وفى عام ٢٠٣٠ ستبلغ حوالى ١١٣ ألف مليون م٣ من مجموع احتياجات الدول السبع موضوع الدراسة، والتى تبلغ عام ٢٠٣٠ حوالى ١٥٠ بليون م٣ (١٥٠ ألف مليون) مياه، أى حوالى ٧٥٪ من احتياجات الدول السبع مجتمعة وهى، مصر وسوريا، والضفة وغزة والأردن ولبنان وسوريا والسعودية.

= ويلى مصر التى تحصل على ٧٥٪ من إحتياجات المياه تأتى سوريا بنسبة ١٠٪، ثم السعودية بنسبة ٩٪.

= أما الأردن تعانى عجزا إذ أن طلبها للمياه عام ١٩٩٥ (١٢٤٣ مليون م٣ مياه) لكل الاستخدامات بعجز يبلغ ٥٤٣ مليون م٣، ويصل العجز عام ٢٠١٠ إلى حوالى ٧٠٠ مليون م٣.

●● الإنشاءات المائية فى وادى الأردن :-

(أ) نظرة عامة:

= نهر اليرموك يمثل إحتياجا مائيا هاما لكل من الأردن وإسرائيل وسوريا، ويتم تخزين مياه الشتاء خلف السدود وفى بحيرة طبرية لاستخدامها فى الصيف، وهذه المياه أقل من احتياجات دول المنطقة.

= وهناك كمية كبيرة من المياه تحتاج إلى مشروعات لإعادة استخدامها أو استخدامها فى الزراعة ومنها :-

*المياه المالحة.

*مياه الصرف الزراعى (الرى).

*مياه الصرف الصحى.

*المياه من المجارى والعيون المائية.

*المياه نصف المالحة Brackish.

(ب) إدارة المياه وفق معاهدة السلام :

= معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن عام ١٩٩٤ نظمت توزيع وتخزين المياه للبلدين.

(جـ) قناة الملك عبد الله .

= على نهر اليرموك شيدت قناة الملك عبد الله فى مجرى ثم نفق فى إتجاه الأراضى الأردنية بغرض التخزين والرى.

= وقد دعمت إتفاقية السلام بين البلدين - إسرائيل والأردن - هذه القناة بقناة أخرى مغذية.

(د) التخزين على نهر الأردن:

= كما اتفقت إسرائيل والأردن على إنشاء خزانات على النهر لمصلحة البلدين وتم ذلك فى إطار إتفاقية السلام عام ١٩٩٤ .

(هـ) سبل نقل المياه:

= وتعالج سبل نقل المياه عن طريق القنوات والأنابيب.

(و) تحلية مياه ينابيع بحر الجليل:

= تعالج تحلية مياه ينابيع بحر الجليل (طبرية)من أجل إمداد الأردن بمزيد من المياه ولاقلال ملوحة بحر الجليل المهم كمورد لإسرائيل.

●● مشروعات إدارة المياه :

= تعالج الحفاظ على المياه - وزيادة فعالية مياه الرى.

●● إدارة نوعية المياه ومنع التلوث:

= تعالج تحسين نوعية مياه الشرب فى قطاع غزة.

●● المياه السطحية ومياه الأعماق:

= وتعالج موضوع الطبقات الحاملة للمياه فى وادى عربة، ومياه الفيضان فى نفس الوادى.

●●استخدام مياه الصرف:

= قامت الحاجة لهذا الاستخدام نظرا لندرة المياه فى المنطقة، وللتقدم التكنولوجى ولزيادة عدد السكان.

= وهذا الاستخدام له فوائد مثل :-

= القضاء على مشاكل الصرف.

= تمنع التلوث فى الأرض وفى الماء.

= تزيد إمكانات استخدام المياه.

●● مشروعات التحلية : ـ

= التحلية تمثل الأمل على المدى الطويل فى منطقة يشح فيها الماء وتزداد الحاجة إليه بمرور الزمن.

= وتستمد التحلية مادتها من :ـ

= تحلية المياه نصف المالحة Brachish.

= سحب المياه من المتوسط ومن البحر الأحمر.

●● مشروعات إضافية لتنمية المياه : ـ

= وأبرزها مشروع يجمع إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية ومصر (الأربعة) لإستيراد المياه من تركيا.

= ويتم النقل بواسطة السفن (تاتنكرز) الضخمة أو عن طريق نوع من الحاويات Medusa cantaineres أو بالأنابيب.

خيارات التنمية الزراعية [١] :

(أ) مسح عام :

= إن مصلحة شعوب المنطقة، زراعة المحاصيل التى تتفق مع الظروف المناخية الخاصة (أى أن المناخ ميزه) .

= ونظرا للمساحات الشاسعة من الصحارى ولندرة المياه يجب استخدام وسائل تكنولوجية خاصة.

---

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

= كما يجب استخدام الموقع المتميز المطل فى أجزاء منه على بحار ومحيطات المتوسط والأطلنطى والهندى والخليج، لتسهيل التسويق.

= ويمكن لدول المنطقة التعاون فى مجالات شتى أبرزها :-

* مناطق زراعية حرة.

* مزارع نموذجية للإنتاج ونقل التكنولوجيا.

* تنمية زراعة وتصنيع الزيتون.

* حماية النبات ومكافحة الآفات.

** معالجة الثروة الحيوانية ضد الأمراض.

* خط ساخن لمواجهة الكوارث.

*تدريب الأفراد.

*مجالات التقنية الحديثة مثل الهندسة الوراثية (الجينية).

= كما يمكن التعاون فى إطار «الأبحاث والتنمية» R& D فى المجالات التالية :-

*إنتاج أنواع متميزة من الحيوانات.

*إقلال خسائر مابعد المحصول بالاستعانة بوسائل التخزين والمحافظة على المحصول.

*المزارع السمكية وصيد الأسماك.

*بنك للجينات (الهندسية الوراثية).

(ب) مناطق التجارة الزراعية :-

= وهذه المناطق يمكن أن تنشأ فى عدة منافذ على الحدود لتقديم تسهيلات التجارة للحاصلات الزراعية.

= وخدماتها تشمل:

* تقديم الخدمات للمزارعين مثل البذور والشتلات والتجهيزات الميكانيكية، تجهيزات الرى، والمخصبات.

*مصانع التغليف من أجل التصدير

*مصانع تعليب وتجهيز ومعاملة المواد الغذائية (تحويلية)

*خدمات الوسطاء والسماسرة.

*تسهيلات التحميل والتفريغ.

*توطين العاملين فى هذا المجال.

*مراكز صيانة المعدات والأجهزة الزراعية.

(جـ) المزارع ومحطات التجارب :-

= والغرض الأساسى هنا تنمية الزراعة فى المناطق القاحلة لمواجهة الحاجات المحلية وحاجة التصدير.

= وأبرز التجارب المطلوبة هى، فى مجالات الرى، والثروة الحيوانية، وتخزين المحاصيل، والمزارع السمكية، ومنتجات الألبان.

= وقد بدأ التعاون بين إسرائيل ومصر عام ١٩٨٠ فى إطار معاهدة السلام .

*مشروع تجريبى لتوفير مياه الرى فى مدينة بالقرب من طنطا،
*وطرق جديدة للرى على طريق القاهرة ـ الإسكندرية الصحراوى عام ١٩٨٢ .

*وعدة مشروعات لتحسين الرى والحاصلات، برعاية برنامج الشرق الأوسط للتعاون (MERC)، والمعونة الأمريكية (U.S. AID) .

*ومشروع آخر للتعاون فى إطار البحث والتنمية (R & D) فى مزرعة حكومية فى مريوط ويمثل تعاون الباحثين من البلدين لحل المشكلات المثارة.

*بالإضافة إلى مشروعات زراعية أخرى.

(د) تنمية زراعة وتصنيع الزيتون:

= أصبح الزيتون من أهم المواد الغذائية فى دول البحر الأبيض المتوسط.

= إن ٩٥٪ من إنتاج الزيتون العالمى يتركز فى حوض البحر الأبيض ويصدر حوالى $\frac{1}{4}$ إنتاج (الزيت) والباقى يستخدم محليا.

= وفى مصر تنمو زراعة الزيتون وأصبحت الآن حوالى ٢٥٫٠٠٠ هكتار (حوالى ٥٠٫٠٠٠ فدان) بطاقة إنتاج زيوت حوالى ٤٠٠٠ طن مترى يعيش عليها أكثر من مليون مصرى.

= وفى إسرائيل يزرع ١٥٫٠٠٠ هكتار، يعيش عليها حوالى ٢٥٪ معظمهم من القطاع العربى.

= وتنمية زراعة الزيتون يزيد من الإنتاجية والنوعية.

(هـ) دورات التدريب والاستشارات الفنية:

= فى إطار التعاون المقترح يتم عقد دورات تدريب زراعى فى كل من إسرائيل والأردن ومصر وفلسطين (PA) .

= وستكون الموضوعات عن الرى وزراعة الخضراوات والمحاصيل ذات العائد المرتفع، وتربية الحيوان، وصناعة الألبان، والتسويق.

(و) المنتجات الزراعية المصنعة :

= بالنسبة للزيتون والخراف والماعز والجبن ستكون أولوية الاستيراد لإسرائيل من الأردن وستمر السلع بدون رسوم جمركية، وستحدد الأردن المواد الغذائية المصنعة وغيرها من احتياجاتها لاستيرادها من إسرائيل.

= كما ستشجع إسرائيل السلطة الفلسطينية لاستيراد حاجتها من هذه المنتجات من الأردن بدون رسوم جمركية.

= كما سيتم التعاون فى مجالات تصدير المنتجات الزراعية وخاصة الزهور، مع تحرك السلعة بدون حواجز جمركية.

(ز) حماية النبات :-

* وأبرز أوجه هذه الحماية يكون:

* ضد الأمراض من الفطريات الدقيقة.

* وضد الحشرات.

* وضد الطيور والحيوانات.

* وهناك عناية خاصة بمكافحة الجراد الصحراوى.

= ويوجد اتجاه حديث بإقلال الاعتماد على المبيدات الحشرية والإستعاضة عنها بالمكافحة البيولوجية، وذلك بالاستعانة بكائنات بيولوجية عدوه للفطريات والحشرات وتقوم بقتلها.

(ح) العلم البيطرى :

وأبرز أوجه التعاون هو تبادل المعلومات والتدريب.

(ط) خط ساخن مشترك للتحذير من الكوارث:

وهو أمر يؤدى إلى تلافى الخسائر الناجمة عن الأعاصير والفيضانات والحشرات.

(ى) تربية الحيوان :

وهو ميدان للتعاون يؤدى إلى التعرف على أفضل الأنواع المناسبة لظروف الإقليم ولإمكانات التسويق.

(ك) وهناك التعاون فى مجال تخفيض خسائر مابعد الحصاد، ويتصل ذلك بتقنية التعامل مع السلعة الطازجة وحفظ الحبوب.

(ل) وأيضا هناك تعاون فعال مثمر فى مجال بنك جينات النبات وذلك لتحسين نوعيات الحبوب والبقول المنتجة محليا.

(م) كما أن هناك تعاون مثمر فى مجال استنباط محاصيل جديدة مثل التى تتحمل ملوحة المياه.

(ن) الزراعة البحرية والمزارع السمكية :

وهو مجال تعاون هام نظرا لإرتفاع أسعار الأسماك والمحاصيل البحرية، والمزارع السمكية تقدم حلا دائما لهذه المشكلة.

٣ ـ محاربة التصحر واكتساب الصحراء (١) :ـ

١ ـ محاربة التصحر :ـ

(أ) اتفقت إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية على خطة موحدة فى هذا الصدد تتضمن :ـ

* مقترحات لإعداد قاعدة بيانات عن البيئة للمنطقة (التى تهم الأطراف الثلاثة).

*البرامج والخطط والمشروعات المستقبلية فى هذا الصدد.

(ب) وتشمل الدراسة التكاليف المطلوبة وآليات التمويل والمؤسسات المتصلة بهذا الشأن.

(جـ)وقد إقترحت لجنة الجهات الثلاثة المعنية رسم خطة تفصيلية تحقق الأهداف التالية :ـ

* إعداد قاعدة معلومات عن البيئة بخرائط تفصيلية.

*إعداد دليل يضم أسماء الخبراء والمؤسسات المعنية بها.

*إعداد التعليمات والإرشادات لتقييم أخطار التصحر المحتملة نتيجة إستخدام الأراضى الآن ومستقبلا.

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

٢ ـ البيانات الإقليمية والبحوث حول التصحر :ـ

= وهذه البيـانات تكون على مستوى الإقليم كله فى الشرق الأوسط وشرق المتوسط ،مزودة بمسح شامل مع إيجاد التسهيلات البحثية المطلوبة.

= وهناك بعض الأمثلة على محاربة التصحر:

* الإستعانة بنظم الرى الحديثة.

*إستخدام طرق معاملة المياه ونظم الطاقة الشمسية.

*زراعة المحاصيل الصحراوية.

* نشر الغابات.

* ـ إدارة مشروعات أراضى رعى لمنع التصحر.

٣ ـ زراعة الأشجار وتنمية المراعى:

= وهى تقنية تكافح تدهور الأرض وتصحرها وتقوم مناطق ظل صالحة لإقامة الإنسان والحيوان.

٤ ـ زراعة الغابات والحدائق بأشجار تتحمل ملوحة المياه :ـ

= وهناك نظم خاصة بزراعة النبات فى المناطق شحيحة المياه والخاصة بنباتات تتحمل الجفاف والملوحة، ويتضمن ذلك :ـ

*إقامة مزارع للنباتات المقترحة والجديدة فى مختلف أنحاء وأجواء المنطقة (نشاط تجريبى).

*البحث عن نوعيات من النباتات لهذا الغرض.

*التعريف بالإدارة ونوع التنمية فى مثل هذه الزراعات.

*عمل تجارب لاستخدام الزراعة بالمياه المالحة وفى الأراضى ذات الملوحة.

٥ ـ نظم تنمية المزارع المتكاملة للأعشاب والحبوب، وتربية الحيوان :ـ

= وهى نظم تؤدى إلى انتاج الحبوب والإنتاج الحيوانى من الخراف والماعز، وهى نظم تم استخدامها وتطويرها فى إسرائيل ويمكن نقلها إلى بقية المنطقة.

٦ ـ مزرعة إسرائيلية ـ أردنية ـ مشتركة :ـ

= وهى مزرعة مقترحة تجريبية بحثية يتركز نشاطها فيما يلى :ـ

*تربية الحيوان والديك الرومى.

*صناعة منتجات الألبان.

*المزارع السمكية (الزراعة البحرية).

*مزرعة ترانزيت مشتركة لإنتاج محاصيل وسلع تسوق فى دول الخليج، وتشمل مناطق تخزين وثلاجات ومراكز رقابة على الجودة.

*مركز بحث متقدم فى المجالات الزراعية الجديدة.

٧ ـ محصول المناطق القاحلة :ـ

= تم التعرف على نبات يسمى Jojoba يزرع فى صحراء سنورا المكسيكية، وبذوره تحتوى على زيت شمعى عالى الكفاءة فى

تشحيم الآلات تحت الضغط الشدى،د كما تستخدم فى صناعة أدوات التجميل.

٨ - أشجار صالحة للزراعة فى الصحراء :-

= والنمـوذج هنا هو شـجـرة ARGAN (أرجـان) التى تنمـو فى جـو قـاحل شـحيح المياه وفـى التربـة المالحـة، وهى شجـرة مـوطنهـا الأصلى مراكش، والزيت المسـتـخـرج من الثمرة يغل ٨٠٪ من زيوت غير مشبعة إلى درجة كبيرة وهو مفيد غذائيا (غير مشبع بمعنى زيوت حميدة).

= كما يستخدم الزيت فى صناعة التجميل وكوقود للقناديل المحلية.

= وبعض أجزاء النبات يتغذى عليها الحيوان (الماعز والخراف).

٩ - إستخدام المياه المالحة للزراعة فى الصحراء :-

= هناك طبقـات صـخـرية عـديدة حـاملة للمـيـاه المالحـة وتمتـد فى المنطقة من مراكش إلى السعودية.

= وفى منطقـة النجف فى إسـرائيل يتـراوح مـسـتـوى الملوحـة بين ٣٠٠٠ - ٦٠٠٠ وحده فى المليون.

=ومعرفة كيفية إستخدام هذه المياه فى الزراعة يمثل تحديا تنمويا، وخـاصـة إذا عـرفنا أنه تروى الآن عـدد من المحـاصـيل بـالميـاه المالحة ومنها :-

* القطن	*القمح
* الذرة	*الطماطم
* البطيخ	*وعدد من المحاصيل الثانوية

= والبحوث الحديثة تركز على إمكانية رى المحاصيل التالية بالمياه المالحة وهى :-

*عشب برمودا. *البطاطس.

*العنب. *الزيتون.

= ومع ذلك لا زالت هناك حاجة إلى أبحاث أكثر تطورا فى هذا الصدد.

١٠- نظم تثبيت كثبان الرمال :-

= إن كثبان الرمال فى شرق المتوسط تعد من معالم المنطقة.

= ومع ذلك فإن تحريك الرياح للكثبان يسبب مشاكل كثيرة للزراعة وللمدن.

= ويمكن إستخدام عادم المياه (الصرف) المعالج من المدن لرى مثل هذه الكثبان لتثبيتها.

١١ - مكافحة ذبابة المتوسط (ذبابة الفاكهة) :-

= وهذه الذبابة من أخطر حشرات الفاكهة، ويمكن مكافحتها بعدة طرق :-

*تدريب الأفراد.

*التوعية العامة.

*تنظيم وإدارة وتنسيق المعلومات.

*إستخدام نظام البحوث والتنمية R & D.

*إصطياد الذباب.

*المكافحة فى المناطق الحضرية.

*المكافحة عن طريق الطعم.

*نشر الذكور من الذباب العقيم

*الحجر الزراعى.

*حسن إدارة المكافحة.

*خطة طوارئ مع ظهور الذباب.

١٢ ـ مزرعة جمال مشتركة :ـ

= مع وجود خبرات إقليمية فى التعامل مع الجمال وفهمها نفسيا، يمكن إقامة مزرعة مشتركة لتربية الجمال لأغراض متعددة:

*جمال الركوب وخاصة السياحة.

*جمال السباق وهى رياضة مفضلة فى عدد من دول المنطقة وجاذبة للسياحة.

*جمال منتجة للألبان، وهى منتجات غنية بالفيتامينات ولها خصائص مكونات كمضاد حيوى Amtiliotic.

*وتستخدم البان الجمال فى التغذية وفى صناعة مواد التجميل.

الخيارات المتاحة لتنمية السياحة[1]:

(أ) السلام واحتمالات انتعاش السياحة:

١ - مقدمة

تتسم منطقة الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط بسمات متماثلة، من حيث طبيعتها وعبر حدودها الوطنية، سواء من الناحية الجيولوجية أو المناخية، وكذلك الحيوانية والنباتية فضلا عن المواقع التاريخية القديمة والمعاصرة .. لقد اعتبرت السياحة بمثابة مصدر هام لجذب العملة الأجنبية للعديد من بلدان هذه المنطقة، وعلى الرغم من ذلك فإن هناك قدرا كبيرا من النواحى السياحية لايزال يفتقر إلى التطوير والتنمية.

إن البحر الميت هو كيان طبيعى قائم بذاته، وهو يتطلب تخطيطا سليما ومتوازنا من كافة الأطراف المعنية .. كما أن ساحل البحر الأحمر قد حبته الطبيعة بمناظر خلابة ومزايا مناخية وجغرافية وتاريخية يمكن أن تجعل منه منتجعا سياحيا دوليا من الطراز الأول.. ويمكنه جذب قطاعات كبيرة من سائحى أوروبا ومختلف دول العالم.

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

إن سواحل إسرائيل ومصر والحكم الذاتى الفلسطينى المطلة على البحر المتوسط تعد أيضا من المناطق الرئيسية التى تحتاج إلى تنمية سياحية، وذلك لما تتمتع به من شواطئ من رملية جميلة يحدها النخيل .. وهناك أيضا منطقة تحتاج إلى تنمية سياحية وهى المنطقة الواقعة شمال إسرائيل لما تتمتع به من خضرة وطبيعة جبلية. إن تنمية هذه المناطق المتاخمة للحدود يمكن أن تضفى مزيدا من الجاذبية على المنطقة بأسرها وذلك باعتبارها منتجعا سياحيا.

لقد أعتمدت خطط تنمية المناطق السياحية فى البحر الميت، وسواحل البحر الأحمر، والمنطقة الواقعة على الحدود الشمالية لإسرائيل على مفهوم أن مناطق الحدود مغلقة .. وفضلا عن ذلك فإن المنازعات والتوتر فى هذه المنطقة بالنسبة للأراضى العقارية، خاصة تلك المستخدمة فى الصناعة، وما يتبعها من الحفاظ على البيئة .. كل هذه العوامل أدت إلى الحد من تنمية البنية الأساسية للمشاريع السياحية.

وقد شرعت إسرائيل فى الاستفادة من البحر الميت فى مشاريع سياحة المصايف والاستجمام .. وعلى مدى العشرين سنة الماضية كان منحنى الطلب من الجانب الإسرائيلى يظهر مؤشرات مرتفعة.

وذلك على الرغم من أن هذا الطلب بالغ الحساسية بالنسبة للتطورات السياسية التى تشهدها المنطقة.

إن الاستقرار السياسى الذى جاء محصلة للتوجهات الجديدة نحو السلام وتدفق وتنوع الكثافة السكانية واقتحامها للأنشطة عبر الحدود سوف يؤدى على الأرجح إلى زيادة الطلب سواء من حيث عدد الغرف المطلوبة أو عدد الليالى السياحية فى المنطقة.

ومنذ ديسمبر ١٩٩٤ تقلد الفلسطينيون زمام السلطة بالنسبة للسياحة فى غزة والضفة الغربية.

إن إيجاد نوع من التعاون الاقليمى فى التنمية السياحية فى المنطقة بأسرها سوف يعود بالفائدة على إسرائيل والحكم الذاتى الفلسطينى والأردن ومصر وربما السعودية.

إن المنفعة المتبادلة يمكن تحقيقها من خلال جذب مزيد من أعداد السائحين إلى المنطقة مع توفير خدمات سياحية متنوعة ومتميزة، وهذا يتيح لكل دولة أن تستفيد من مزاياها النسبية، وفى الوقت نفسه تخفض من النفقات المتعلقة بالبنية الأساسية والخدمات، وذلك من خلال إيجاد أنظمة مشتركة ومؤثرة بين هذه الدول وبعضها.

إن سواحل البحر الأحمر والمنطقة الصحراوية المتاخمة لها قد حان الوقت لتنميتها سياحيا كمناطق للاستجمام والغوص والسياحة الصحراوية، ويجب أن تتم هذه التنمية من خلال إطار عمل شامل ومتكامل يعتمد أساسا على المواقع السياحية الصغيرة ومتوسطة الحجم بحيث تنتشر على إمتداد ساحل البحر، وبالإضافة إلى ذلك يتعين إنشاء مراكز تابعة للبلديات تغطى كافة الاحتياجات التجارية والطبية والشئون المالية والمصرفية وأماكن الترفيه.

إن هذه التنمية السياحية الشاملة وما سوف يستتبعها من نمو سكانى، سوف تجعل من المحتم القيام بتنمية للبنية الأساسية من مشاريع الكهرباء والمياه وخدمة الموانئ والمطارات والصرف

الصحى ووسائل الإتصالات وكذلك امتداد خدمات البنية الأساسية إلى المناطق الصحراوية النائية.

إن جميع البلاد الواقعة على خليج العقبة سوف يتعين عليها الاهتمام بتطوير الخدمات المالية والتجارية والصحية وكذلك القوى العاملة، وذلك للاهتمام بالأنشطة السياحية والكثافة السكانية التى تقطن هذه المناطق.

٢- آخر التطورات السياحية بالنسبة لإسرائيل ومصر والأردن.

لقد طرأت على السياحة تطورات متلاحقة فى كل من إسرائيل ومصر والأردن .. فقد بلغ عدد السائحين القادمين إلى إسرائيل فى عام ١٩٩٤ حوالى ١٧ر٢ مليون سائح أى خمسة أضعاف السائحين الذين زاروها فى عام ١٩٧٠، وقد أنفقوا ٣٥ر٢ بليون دولار.

وقد حصلت مصر من السياحة على ٥٢ر١ بليون دولار فى عام ١٩٩٣ بينما كان نصيب الأردن ٨٣٦ مليون دولار.

وقد لوحظ أن تنمية الصناعة الفندقية فى إسرائيل لم تواكب النمو المتزايد فى عدد السائحين، فلقد كانت هناك ٣٥ ألف غرفة فى جميع فنادق إسرائيل وذلك بنهاية عام ١٩٩٤ (وهذا يعادل مرتين ونصف عدد الغرف فى عام ١٩٧٠) وكانت نسبة الإشغال تبلغ ٦٧٪.

وبحلول عام ١٩٩٣ كان عدد الغرف فى مصر ٥٦ ألفا، وكان متوسط نسبة الإشغال ٦٠ ٪، بينما بلغ عدد الغرف فى الأردن ٧٧٠٠ غرفة بحلول عام ١٩٩٣ وكانت نسبة الأشغال ٤٧ ٪.

إن عمليـة السلام سوف تجلب مزيدا من النشاط السيـاحى لكل من مـصـر وإسـرائيل والأردن، وربما أيضـا بعض الدول العـربيـة الأخرى، وهناك المزيد من النشاط السياحى إذا ما أستعدت الحكومات جيدا وكذلك القائمين على صناعة الفنادق والطيران، وهذا يتوقف أيضا على الظروف التى تساعد على جذب المزيد من السائحين.

ويتعين على هذه الدول معـرفة مزيد من التفاصيل عن عدد العـرب المقيـمين فى آسيـا وشـمـال إفـريقيا ومـدى وصـول الأفـواج السياحية إليهم من أوروبا وأمريكا.

٣ ـ تحديد أهداف ومبادئ التعاون:

هناك مجالات عديدة للتعاون فى مجال التنمية السياحية :

ـ تعاون شامل فى التخطيط المادى والاقتصادى.

ـ تعاون فى إدارة صفقات المجموعات السياحية المتخصصة فى التسويق المشترك سواء من حيث الخدمات أو وسائل الجذب وذلك بتنسيق برامج للزيارة أو الإقامة من خلال عبور الحدود.

ـ التعاون فى تشغيل المنشآت المشتركة.

ـ تكثيف مناطق الإعاشة فى مناطق التنمية السياحية القائمة، والتى يعتزم إنشائها، وذلك للحفاظ على قدر الإمكان على البيئة وعدم تضررها من مشاريع التنمية السياحية.

جدول رقم (١)

عدد الغرف السياحية فى إسرائيل

منذ عام ١٩٧٠ حتى نهاية عام ١٩٩٤

المنطقة	الغرف ١٩٧٠	الغرف ١٩٩٤	اشغال الغرف ١٩٩٤	النسبة المئوية من اجمالى ١٩٩٤	التغير فى عدد الغرف ١٩٧٠ ـ ١٩٩٤
القدس وتلال يهودا	٣٥٣٥	٨٠٤٠	٦٠٪	٢٤٪	١٣٠
البحر المتوسط	٧٢٢٣	١٠٣١١	٥٨٪	٣١٪	٤٣
إيلات*	٥٤٢	٦٠٧٥	٧٨٪	١٨٪	١١١١٠
الخليل	٢٢٠٤	٥٥٣٣	٦١٪	١٧٪	١٥٠
البحر الميت	٦٧٩	٢١٤٥	٧٣٪	٦ر٥٪	٢٢٠
واراد وبئر سبع فنادق أخرى	٩١٧	١٤٠٦		٤ر٦٪	١٥٠
الإجمالى	١٥١٠٠	٣٣٥١٠	٦٥٪	١٠٠٪	١٢٠

المصدر: المكتب المركزى ـ وزراة السياحة.

* إيلات : شاملة فندق طابا حتى مارس ١٩٨٩ قبل عودتها إلى مصر .

جدول رقم (٢)

مقارنة بين السياحة فى مصر وإسرائيل والأردن فى عام ١٩٩٣ .

	مصر	اسرائيل	الأردن
عدد السائحين (بالمليون)	١١٢ر٢	٦٢٠ر١	٧٦٥
متوسط عدد الليالى السياحية	٨	٨ر١٧	٨ر٤
عدد الليالى فى كل بلد (بالمليون)	٩ر١٦	٨ر٢٨	٧ر٣
اجمالى العائد السياحى (مليون دولار)	٣٣٢ر١	١١٠ر٢	٥٦٣
متوسط انفاق السائح	٦١٥	١٢٩	٦٤٤
متوسط تكلفة الليلة السياحية	٧٧	٧٢	١٣٣
عدد الغرف المتوفرة (بالألف)	٥٦	٥ر٣٢	٧ر٧
عدد الليالى السياحية فى الفنادق	١ر١٥	٣ر٨	-
نسبة الاشغال	٦٠	٦٧	٤٧

المصدر : منظمة السياحة العالمية.

التعاون يتوف على الالتزام بالمبادئ الآتية :

- وضع خطط وبرامج سياحية تركز على الأصول السياحية القائمة فى البلدان المعنية (يجب تشجيع السياحة على أسس موضوعية بعيدا عن النزعة القومية) .

- فتح الحدود أمام السائحين.

- الحفاظ على البيئة.

- تركيز مناطق الإعاشة فى المناطق السياحية التى تمت تنميتها بالفعل وذلك من أجل الحفاظ على قدر الإمكان على المحميات الطبيعية التى يحتمل أن تكون مواقع سياحية.

٤ - تأثير السلام والتعاون على الازدهار السياحى:

إن احتمالات ازدهار السياحة على ضوء انتشار السلام فى المنطقة ينبع من ثلاثة مصادر رئيسية :

- حالة السلام وتخفيف حدة التوتر سوف تترك أثرها المباشر على رواج السياحة أكثر من أى قطاع إقتصادى آخر فى المنطقة.

- منذ آلاف السنين كانت منطقة الشرق الأوسط تربط ما بين الشرق والغرب .. وقد ترك هذا الرابط أثره فى الطرق والممرات وكثير من المواقع فى هذه المنطقة .. وقد انفصمت عرى هذه الرابطة بسبب إغلاق الحدود الدولية وبالتالى فقدت هذه المنطقة ما كانت تتصف به من مواصفات بيئية ومعمارية وتاريخية .. وبمجرد توقيع إتفاقية السلام بين الأردن وإسرائيل تواصلت هذه الاستمرارية مرة أخرى، وبالتالى يجب أن تعود هذه المنطقة إلى ما كانت عليه كمنطقة جذب وكذلك مواقعها السياحية.

- إن التعاون المشترك بين الدول المعنية سيعمل كأساس للمشاريع طويلة الأجل وما ستدره من عائد اقتصادى .. وهذا التعاون سوف يترك أثره الإيجابى على المنطقة بأسرها .. إن المردود الاقتصادى الناجم عن هذه المشاريع لايمكن حصره.

٥ ـ تصورات السلام والتعاون

إن التعاون يمكن تحقيقه فى عدة مستويات مختلفة :

- إن فتح جميع نقاط الحدود سوف يعيد منطقة الشرق الأوسط إلى وضعها السابق كشريان يربط بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، وسوف يسمح بحرية المرور للسائحين والحجاج (من مصر على سبيل المثال إلى إسرائيل، والسلطة الفلسطينية والأردن وإلى السعودية، أو من خلال إسرائيل إلى سوريا ولبنان).

- إن التعاون الثنائى ومتعدد الأطراف بين مؤسسات السياحة الدولية سوف يمهد الطريق للاستكمال الناجح لمشاريع البنية الأساسية، والتى ستعود بالنفع على شعوب المنطقة .. ومثال ذلك التعاون بين إيلات والعقبة وشمال سيناء، وذلك فى المجالات المتعلقة بالسفر بحرا وجوا، واستقرار مستوى البحر اليمت، وإنشاء مشاريع وأنظمة لنقل المياه عبر مختلف بلاد الشرق الأوسط.

- ايجاد تعاون متعدد الأطراف فى المشاريع الأقليمية، مثل تنمية منطقة سياحية تشبه الريفيرا بين إسرائيل والأردن ومصر والسعودية على امتداد ساحل البحر الأحمر، وهذه المنطقة سوف تجذب أنظار العالم كمنطقة استجمام رئيسية.

وفى هذه المرحلة نتوجه بصورة أساسية إلى مزيد من التعاون فى فتح الحدود وإقامة المشاريع المشتركة.. إن مشاريع البنية الأساسية والقومية إذا أخذت أبعادا خارجية سوف تعطى مردودا اقتصاديا أفضل.

٦- إنشاء منظمة إقليمية للسياحة:

إن حلول السلام سوف يمكن دول المنطقة من القيام بعملية التسويق السياحى بطرق جديدة، بالاضافة إلى الوسائل الموجودة بالفعل.

إن السياحة الإقليمية يمكن أن تستهدف مجموعات معينة من السائحين تبحث عن التنوع السياحى الثقافى والترفيهى .. ويمكن تشجيع الصفقات السياحية على أسس موضوعية وبعيدا عن التوجهات القومية وذلك فى سبيل جذب مصدر جديد من المصادر السياحية.

إن سائحى الشرق الأقصى على سبيل المثال يمكن إغراؤهم للقيام برحلات طويلة إذا ما تأكدوا من تنويع البرنامج السياحى بحيث يستحق القيام بالرحلة. إن منظمة السياحة الإقليمية يمكن أن تساعد فى تنسيق هذه الأعمال عبر المنطقة بأسرها، وتستطيع كذلك جذب الاستثمارات الخارجية فى مجال السياحة، كما تتولى تسويق الرحلات والبرامج السياحية، كما تسهم فى تسهيل عملية الانتقال بين دولة وأخرى داخل المنطقة، والإشراف على توفير الفنادق والمنتجعات السياحية بالنسبة للتعاون مع شركات السياحة فى الخارج. ويمكن أيضا أن تقوم هذه المنظمة بالتنسيق بالنسبة للتعامل مع شركات السياحة فى الخارج.

ويمكن أيضا أن تقوم هذه المنظمة بالتنسيق بالنسبة للرحلات الجوية وطائرات نقل المجموعات السياحية داخل المنطقة وإلى بلاد السائحين.

ويقـدر البنك الدولى أن التـمـويل اللازم لمثل هذا النوع من المشاريع يبلغ مليون دولار.

(ب) الأمـاكن السـيـاحـيـة الرئيـسـيـة فى منطقـة الشـرق الأوسط وشرق البحر المتوسط.

إن المواقع والخـرائط تعنى أن منطقـة الشـرق الأوسط زاخـرة بالمواقع السـيـاحـيـة وتبـشـر بنهـضـة سـيـاحـيـة ضـخـمـة. إن الطرق المرسومة سوف تتحدد على ضوء طبيعة العلاقات بين دول المنطقة .. وكـذلك على ضـوء أهمـيـة هذه المـواقع والطرق بالنسـبـة لمخـتلف المجمـوعـات السـيـاحـيـة وعلى ضوء البـلاد القادمين منهـا وطبـيـعـة الموسم والتكلفة وغير ذلك من العوامل.

وفـيمـا يلى بعض المواقع التى تم تصنيفـهـا وفقـا للاعـتبـارات الآتية:

- التـراث الحـضـارى شـامـلا الطرق التـاريخـيـة مـثل درب الحج المصرى.
- مواقع الجذب السياحى ستصنف وفقا لمستوياتها المختلفة.

١ ـ التراث الثقافى والحضارى للشرق الأوسط :

إن منطقـة الشـرق الأوسط وشـرق البـحـر المتوسط تمثل منطقـة جـذب سيـاحـى هام بالنسبـة للسائحين المهـتمين بالتـاريخ والعمـارة .. إن فتح الحـدود بين دول المنطقـة سـوف يزيـد من عـدد وحـجم المواقـع التـى يمكن زيـارتهـا فى مـرة واحـدة وبالتـالى سـيـعـزز من اقـتـصـاديات المنطقة.

إن المواقع التاريخية الرئيسية فى شرق البحر المتوسط تقع على امتداد أربع مناطق جغرافية متحاذية وهى: السهل الساحلى، وسلسلة الجبال العربية، ووادى الأردن، وسلسلة الجبال الشرقية.

وبالنسبة لمصر توجد جميع المناطق السياحية الرئيسية على امتداد نهر النيل .. بينما تقع هذه المناطق فى العراق على امتداد نهرى دجلة والفرات.

إن هذه المواقع تم اختيارها على أساس أهميتها النسبية من ناحية، وعلى قدر جهود الحفاظ عليها من ناحية أخرى..

وقد تم تصنيفها وفقا للعصور التاريخية المختلفة :

(أ) عصور ما قبل التاريخ.

(ب) الحضارات الكبرى المبكرة.

(جـ) العصر الكلاسيكى.

(د) العصر الإسلامى.

(هـ) العصر المملوكى ـ الصليبى.

(و) العصر الحديث.

٢ ـ أهم مناطق الجذب السياحى فى منطقة الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط:

تتميز هذه المنطقة بصفات فريدة سواء من حيث تعدد أماكن الجذب السياحى، أو من حيث موقعها المتميز باعتبارها جسرا يربط

بين القارات .. ولهذه المزايا النسبية تعتبر منطقة جذب سياحى .. وهناك أنواع متعددة من السياحة تتوافر بهذه المنطقة يمكن حصرها فيما يلى :

(أ) سياحة المزارات والآثار.

(ب) سياحة الاستجمام على الشواطئ.

(جـ) السياحة الصحراوية.

(د) السياحة العلاجية.

(هـ) السياحة الشتوية.

(و) سياحة الغوص.

(ذ) سياحة مشاهد الطيور البرية.

(ح) سياحة الرياضيات الهوائية.

(ط) سياحة مشاهدة الظواهر الطبيعية.

٣ - برامج إقليمية مشتركة لزيارة المعالم الشهيرة والجولات السياحية :

يمكن وضع إسرائيل وسوريا والأردن والسلطة الفلسطينية ومصر والسعودية مجتمعة على قائمة زيارات خاصة بالمعالم اليهودية والمسيحية والإسلامية ، حيث من المستطاع إدخال توليفة من الزيارات، وقضاء العطلات للمواقع التاريخية والأثرية والدينية فى برامج مشتركة لعدة بلاد تشمل خيارات شتى مثل:

- برامج مشتركة لزيارة مواقع يهودية، كالمواقع التوراتية فى إسرائيل والأردن ومصر ومناطق السلطة الفلسطينية وسوريا.

- زيارات الحجاج المسيحيين إلى إسرائيل والأردن ومصر ومناطق السلطة الفلسطينية وسوريا.

- زيارات للمواقع الإسلامية فى مكة والمدينة والقدس فى موسم الحج والعمرة.

- جولات مشتركة ذات موضوعات لها أهداف محددة يزور السياح خلالها، على سبيل المثال، مواقع الحملة الصليبية واقتفاء أثر الصليبيين وتتبع أطلال الأنباط ، والمدن العشر. DICAPOLIS CITIES.

٤. برامج مشتركة لرحلات جوية وبحرية فى خليجى العقبة والسويس:

من الممكن عرض برنامج تتراوح مدته ما بين عشرة أيام وأسبوعين يتضمن رحلات جوية وبحرية لكافة المواقع الهامة فى المنطقة.

ويقترح أن تبدأ الجولة من إيلات أو العقبة، ومن القدس أو عمان، على أن تشمل على الأنشطة الآتية:

- رحلة طيران من إيلات / العقبة إلى القدس أو عمان لزيارة البحر الميت ووادى الأردن وبحيرة طبرية والعودة.

- رحلة ذهاب وعودة من إيلات / العقبة إلى البتراء ووادى الروم، تشتمل على جولة بالمنطاد فوق هذه المناطق.

ـ رحلة بحرية من إيلات / العقبة بمحاذاة شواطئ خليج العقبة إلى شرم الشيخ وعلى طول خليج السويس، جولة فى سانت كاترين فى سيناء والعودة.

ـ يمكن خلال الرحلة البحرية فى خليج السويس زيارة الأقصر وأسوان والقاهرة والأهرام.

(جـ) التعاون بين إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية:

التعاون بين إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية فى مجال السياحة فى إطار التعاون الثلاثى والإقليمى، أمر ممكن على المستويات التالية:

ـ تنظيم برامج رحلات مشتركة هدفها الأساسى الحجاج وتكون فيها بيت لحم وأريحا (أديرة التعميد) نقاط الجذب الأساسية. ويمكن ادخال مواقع أخرى مثل : الخليل وسباستيا وهيروديون.

ـ التعاون فى تحديث البنية الأساسية للسياحة فى قطاع غزة بما فى ذلك بناء فنادق ومطاعم وتقديم خدمات النقل.

ـ مشروعات سياحية ثلاثية فى الجزء الشمالى من البحر الميت.

ـ تدريب الأفراد فى القطاع السياحى بالسلطة الفلسطينية.

(د) ريفيرا البحر الأحمر:

إن المنطقة المحيطة بخليج العقبة تعد بحق واحدة من أجمل الجنان الصحراوية فى العالم، فثمة خصائص تجعلها مقصدا فريدا

للسياح من الداخل والخارج تتمثل فى شواطئها الرملية ومياهها الهادئة وشعابها المرجانية الوافرة التى يسهل الوصول إليها ومناظر جبالها المهيبة.

والبحر الأحمر مقصد سياحى أساسى لاجتذاب سياحة قضاء العطلات الأجنبية، ولم تستغل بعد الإمكانات الكامنة لهذه المنطقة. إن ساحل البحر الأحمر فى شبه جزيرة سيناء يضم توليفة نادرة من المزايا الطبيعية: شواطئ رملية ونظيفة، مناخ دافئ وجاف، مياه رائقة وهادئة،مناظر صحراوية مثيرة وجو من العزلة والسكون. وإلى جانب ذلك ، فإن الشعاب المرجانية الوفيرة على طول الساحل مازالت مصونة إلى حد كبير، على حين تعد المنطقة واحدة من مواقع الغوص الرئيسية فى العالم، ونظراً لقرب العديد من هذه الشعاب المرجانية من الشاطئ، فإن بمقدور الذين لا يعرفون الغوص أن يتمتعوا بعجائب البحر الأحمر دون أن يكونوا سباحين ماهرين أو ينفقون من أموالهم الشئ الكثير على الأنشطة البحرية.

إن السلام فى المنطقة يحمل معه فرصة استكشاف آفاق جديدة جغرافيا واقتصاديا فى وقت واحد، والتعاون فى خليج العقبة يحمل فى طياته إمكانية تقليل بل ومحو التعارض بين التنمية والطبيعة على وجه العموم، وبين التنمية الصناعية والتنمية السياحية على وجه الخصوص. ومن بين الحلول المقترحة فى هذا الصدد: إنشاء ميناء أردنى/ إسرائيلى مشترك. والأستخدام المشترك لتسهيلات المطارات الأردنية، وتحويل النقل البحرى الأردنى إلى موانئ البحر المتوسط، وإقامة صلات بحرية بين إسرائيل ومصر والأردن،

وتعاون وثيق ورقابة صارمة فيما يتعلق بالحماية البيئية (بخصوص البحر والصحراء فى المقام الأول)، واستخدام مشترك للمنشآت الصناعية والتعاون فى جعل البنية الأساسية للسياحة وما يرتبط بها من خدمات أفضل ما تكون.

إن كل ما سلف ذكره يستلزم تخطيطا كليا للبحر الأحمر عن طريق تنمية واسعة ومحكومة لإمكانات المنطقة كمقصد سياحى.

ويمكن من خلال التعاون تحديد وإيجاد إطار عمل للتنمية يساعد المنطقة على أن تنافس بنجاح منتجعات أخرى فى العالم. إن منطقة التنمية الجديدة - ريفيرا البحر الأحمر - ستمتد على طول البحر الأحمر من مضايق تيران إلى إيلات والعقبة وستنتفع من اقتصاد كل من إسرائيل ومصر والأردن والسعودية.

وستربط هذه المنطقة المناطق الصحراوية لسيناء والنقب بسواحل سيناء والسلطة الفلسطينية وإسرائيل على البحر المتوسط، وعن طريق هذه المناطق البعيدة يمكن تقديم أنشطة وعناصر جذب تخدم سياحة العطلات والسياحة الثقافية، وتستكمل الأنشطة الخاصة بالسياحة البحرية على سواحل البحر الأحمر.

إن مشروع ريفيرا البحر الأحمر سيتألف من سلسلة مشروعات لتنمية أقاليم مختلفة على الساحل، ومن أمثلة ذلك : إقامة مركز خاص لخدمات الطوارئ والانقاذ والعلاج الطبى (يضم غرفة لإزالة الضغط للغواصين)، وحديقة صحراوية عالمية، ومحمية طبيعية تحت الماء للدول الثلاث، ويمكن أن يربط النقل بالمعديات والرحلات البحرية نقاطا مختلفة على ساحل البحر الأحمر ليقدم بذلك أسلوبا آخر للتواصل عبر الحدود الدولية.

وفيما يلى بعض المشروعات المتصورة فى إطار ريفيرا البحر الأحمر :

- بنية أساسية للسياحة : فنادق، قرى سياحية بيوت سياحية، مراكز اجتماعات ، مطاعم، مراكز تسوق، خدمات مصرفية، متاحف.

- ميناء يخدم إيلات والعقبة وطابا.

- مرسى بحرى يخدم خليج العقبة/ إيلات.

- منتزه على الطريق من العقبة إلى إيلات.

- نقل بالمعديات يربط إسرائيل والأردن ومصر والسعودية.

- رحلات للغوص والسباحة تحت الماء، ورحلات تحت الماء فى غواصات صغيرة لمشاهدة الكائنات البحرية والشعاب المرجانية.

- رحلات بحرية فى البحر الأحمر وعبور الحدود البحرية للزوارق الخفيفة وهواة الألواح الشراعية.

- مركز خاص لخدمات الطوارئ والإنقاذ والعلاج الطبى يشمل إدارة مشتركة لغرفة إزالة الضغط لتقديم علاج سريع فى حوادث الغوص.

- محميات طبيعية قومية ودولية فوق الماء وتحت الماء.

إيلات : تعد مركزا سياحيا فى الوقت الحالى فى خليج العقبة وإقليم شمال سيناء. وكانت المدينة تضم ٧٦٠٠ غرفة فندقية فى يوليو ١٩٩٥، وتمت الموافقة على إضافة ٦١٠٠ غرفة جديدة.

سـينـاء : تركز عملية اقامة المنشآت الفندقية فى شرم الشيخ التى تتمتع بإمكانات للتنمية مناظرة لإيلات. وقد ركزت التنمية الحكومية على شرم الشيخ تاركة الشريط الساحلى فى وسط وشمال سيناء لمنشآت صغيرة تتفاوت مستوياتها من حيث الفخامة، وحتى ١٩٩٤ تم إنشاء ٢٠٠٠ غرفة فندقية على مستويات مختلفة فى شبه جزيرة سيناء، وهناك أربعة آلاف غرفة أخرى فى مرحلة البناء أو التخطيط.

العـقـبـة : يصل عدد الغرف الفندقية فى العقبة حاليا إلى ١٠٥٤ غرفة. وقد أعدت هيئة منطقة العقبة خطة أساسية لإقامة منتجع سياحى هام فى العقبة على مدى السنوات العشر المقبلة. ويركز مشروع التنمية السياحية للعقبة على ثلاث مناطق للتنمية: رأس اليمرية فى الشمال، وقرية قابوس السياحية فى الوسط، وملعب للجولف ومنتجع ومدينة للملاهى فى الجنوب. وقد وافقت هيئة منطقة العقبة على المرحلة الأولى من المشروع. وتتضمن بناء أكثر من ٣٠٠٠ غرفة فندقية، وألف منزل سياحى. ويبلغ إجمالى الاستثمارات فى البنية الأساسية والمشروع السياحى ما يقدر بخمسمائة مليون دولار.

ويبدو من المعقول أن نفترض أن تنمية إيلات والعقبة وطابا تخضع أساسا لمؤشرات فى جانب الطلب. وعلى ذلك، فإن خصائص السياحة فى إيلات تماثل خصائص السياحة فى البحر الأحمر، وتصور تنمية السياحة فى إيلات بوضوح تام العناصر التى تؤثر على السياحة فى البحر الأحمر.

إن تأثير السلام والحدود المفتوحة لا يمكن تحديده كمياً بصورة ملائمة بمجرد امتداد الاتجاهات التى سادت من قبل، فإن تحليلها يتطلب بحثا قائما على تجزئة أسواق السياحة المقصودة. ويبدو من حيث التقدير الأولى أن الوضع السياسى الجديد يمكن أن يؤدى إلى زيادة ٢٠٪ كحد أقصى فى الطلب السياحى.

ويبين الجدول رقم ٣ التقديرات فى ظل الاقتراحات السابقة.

تقدير الطلب المعتدل المحمتل

السنة	إجمالى الغرف (١)	إجمالى الليالى (٢)	تقدير اجمالى الزائرين	تقدير اجمالى الزائرين لإسرائيل	تقدير اجمالى السائحين (٣)	تقدير اجمالى السائحين الأوربيين
١٩٩٥	١٢٠٠٠	٤٥٥٤ر٩	١٣٤٠ر٠	٨٠٥ر٤	٥٣٤ر٧	٤٤٥ر٦
٢٠٠٠	١٤٠٠٠	٥٢٧٤ر٨	١٥٤٩ر٠	٩٢١ر٢	٦٢٧ر٨	٥٢٣ر٢
٢٠٠٥	١٦٠٠٠	٦٠٠٥ر٦	١٧٦١ر٥	١٠٤٠ر٤	٧٢٠ر٩	٦٠٠ر٨
٢٠١٠	١٨٠٠٠	٦٧٤٧ر٧	١٩٧٧ر٩	١١٦٣ر٨	٨١٤ر١	٦٧٦ر٤

ملاحظات:

١ ـ بافتراض متوسط ٥ر١ ليلة للغرفة ونسبة إشغال ٧٠٪

٢ ـ بافتراض إقامة ٤ ليالى للسائح العادى و٣ ليالى للإسرائيلى العادى، وفقا للمتوسط فى إيلات فى الثمانينات.

٣ ـ بافتراض أن نسبة السائحين غير الأوروبيين ستظل ثابتة.

المصدر : أنظر خطة التنمية السياحية فى النقب ١٩٩٢/١٩٩٧ إدارة التنمية السياحية فى النقب ١٩٩٢ .

وسوف تتطلب تنمية السياحة توجيه استثمارات إلى تحلية المياه وتطوير مصادر الطاقة ومعالجة الصرف والنقل ومنشآت وتسهيلات لعبور الحدود.

علاوة على هذا، فإن حماية النظام البيئى للبحر الأحمر يمثل شاغلا رئيسيا اجتذب اهتمام منظمات محلية ودولية فى وقت واحد.

ومن المهم ألا يغيب عن بالنا أن التعارض بين التنمية الصناعية والحفاظ على البيئة الطبيعية والسياحية التى تعتمد عليها ليس أمرا جديدا. وهذا التعارض يجب معالجته من جانب جميع الدول المعنية هنا.

(هـ) خليج العقبة وخليج السويس - منطقة شواطئ سيناء:

تضم شبه جزيرة سيناء ثروة من المزايا الطبيعية والمناظر الخلابة، أعظمها خط الساحل بشواطئه الرملية النظيفة ومناخه الدافئ الجاف ومياهه الرائعة الهادئة وشعابه المرجانية الرائعة ومناظر الصحراء البديعة وجو العزلة والسكون. وتتركز عملية إقامة أماكن الاقامة السياحية فى شرم الشيخ التى لديها طاقة كافية للتنمية تناظر تلك التى تتمتع بها إيلات. وقد تركزت جهود التنمية الحكومية على شرم الشيخ تاركة الشريط الساحلى فى وسط وشمال سيناء ١٩٩٤

لمنشآت صغيرة متفاوتة المستوى. ولم يكن هناك فى سيناء حتى ١٩٩٤ سوى ٢٠٠٠ غرفة فندقية، لكن المنطقة تتمتع بإمكانات سياحية مهمة فى عدة مجالات هى :

- سياحة الصحارى عبر الحدود: تمثل منطقة سيناء وعربا والنقب ووادى روم، واحدة من أجمل المناطق الصحراوية فى العالم بما تضم من جبال مهيبة ترتفع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ووديان عميقة وظواهر جيولوجية فريدة. ومما يلائم طبيعة هذه المنطقة رحلات التجوال والرحلات بعربات الجيب فى الصحراء.

- بينما تتمتع منطقة شمال سيناء بوجود الكثبان الرملية والواحات وهى ما تمثل بدورها عنصر جذب سياحى.

- إن سياحة الصحارى تجمع بين الجولات السياحية التقليدية وسياحة البيئة، ويتخللها احساس بالمغامرة والخيال، إنها تأخذ السائح بعيدا عن العمران لتمكينه من إكتشاف المناظر الصحراوية فى سيارات الجيب. وعربات الفان المجهزة للإقامة أو على ظهور الخيل.

- وتمثل الجمال فى منطقة الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط، وسيلة انتقال تجعل الرحلة فى الصحراء تجربة فريدة للسائحين من القارات الأخرى.

ولا شك أن النجاح الذى تحقق مؤخرا فى مناطق مثل: سيدونا ووادى الآثار فى أريزونا شاهد على تزايد الإقبال على سياحة الصحارى.

وعلى الرغم من أن إدخال زيارة المعالم السياحية الشهيرة فى البرنامج أمر يجعله أكثر غنى وتنوعا. إلا أن التركيز هنا هو على التجربة لا على مجرد المشاهدة أو معرفة شئ عن مناظر الصحراء. ويمكن أن تشتمل الرحلات على عناصر من الفلكلور أو الظواهر الطبيعية (نبات الصحراء، هجرة الطير، ظهور مذنب فى المنطقة) أو أحداث خاصة (سباق العربات الخفيفة على الكثبان)، ولعل المبيت فى مخيمات البدو أن يقدم مثالا آخر على الفكرة.

سياحة العطلات: تشتهر شواطئ سيناء وخاصة البحر الأحمر وخليج العقبة / إيلات برمالها الناعمة وبالقدرة على الاستحمام فى المياه طوال العام.

الغطس: تتمتع شواطئ خليج العقبة/ إيلات فى منطقة سيناء بشعاب مرجانية غنية ومتنوعة تعد الأجمل من نوعها فى العالم.

التعرف على البدو: تقيم فى المنطقة قبائل من البدو، ما زالت تحافظ على نمط حياتها القائم على الترحال الذى يمثل عنصرا سياحيا جاذبا.

المواقع التاريخية: على الرغم من عدم وجود مواقع تاريخية فى سيناء، فإن هناك طرقا تاريخية تقطع هذه المنطقة يمكن أن تكون أساسا لجولات سياحية على طرق الرحلات مثل طريق البحر ودرب الحج المصرى.

على خُطى موسى: يبدأ هذا الطريق من صعيد مصر ويواصل سيره عبر سيناء (سانت كاترين) والأردن إلى أريحا (منطقة السلطة الفلسطينية) وإسرائيل وينتهى فى القدس.

(و) جنوب وادى غور الأردن :

من الممكن تطوير السياحة حول طرق معينة للرحلات وأنشطة وأفكار لقضاء العطلات مثل طريق النبيذ فى أوروبا.

وسوف تيسر الحدود المفتوحة إقامة سلسلة متصلة من المشاهد الطبيعية الخلابة ومناطق الحيوانات والنبات حيث يمكن أن يبدأ السائح عطلته فى بلد معين وينهيها فى بلد آخر، أو يقضى ليلته فى بلد ما ويزور مواقع سياحية فى بلدان أخرى دون قيود.

إن مفهوم الحدود المفتوحة دون قيود سيكون قيد الدراسة فى الترتيبات الكلية فى المنطقة لانتقال الأفراد ورأس المال والسلع. ومن الأوفق إعطاء الانتقالات السياحية اعتباراً خاصاً.

وفى منطقة عربا يمكن إضافة مواقع الجذب الأثرية الممتدة من «الحديثة» إلى العقبة. فثمة مناطق جذب سياحية كثيرة منها: وادى خنزيره، ووادى حسا، ووادى فيفا، ونظم الرى فى هذه المناطق، ومناجم النحاس، ونقاط حدودية من عصر الأنباط فى وادى عربا وغيرها.

وينبغى أيضا إدراك أهمية التنمية المتكاملة لوادى غور الأردن والإحتمال القوى لربط البحر الأحمر بالبحر الميت. ولا شك أن أقامة برك لتخزين المياه على الطريق سيكون خير عون للسياحة.

١ - منطقة عربا :

تمثل منطقة عربا (سهل صحراوى بين إسرائيل والأردن) فى الوقت الحالى نقطة وصل بين ثلاث مواقع سياحية فى إقليم النقب، وتشمل:

ـ ريفييرا البحر الأحمر : التى تبلغ إمكانات تنميتها من حيث الطاقة الإيوائية نحو ١٦ ألف غرفة فندقية، والمنطقة المحيطة بالبحر الميت وتبلغ إمكانات تنميتها إيوائيا ستة آلاف غرفة. ومنطقة ميتسبى رامون والنقب الوسطى التى تبلغ امكانات تنميتها ١٥٠٠ غرفة.

ولكل من هذه المناطق خصائص ومزايا محددة. وينصب التركيز فى إيلات والبحر الأحمر على سياحة المنتجعات مع اتجاه خاص إلى البحر والصحراء، بينما ينصرف التركيز فى المنطقة المحيطة بالبحر الميت على الساحة العلاجية وسياحة الاستشفاء (بعيون المياه المعدنية) وسياحة العطلات. فى حين تركز منطقة النقب الوسطى على السياحة الصحراوية وتتميز بطبيعة خلابة وهدوء ومناخ من العزلة والسكون يختلف كثيرا عن الجو السائد فى المنتجعات السياحية التقليدية.

أما إمكانات الطلب على منطقة عربا فى الوقت الحالى فترتبط بهذه المواقع السياحية التى هى مجرد ممر يصل بينها.

ولا شك أن التغيير فى وضع الحدود التى تمر بمنطقة عربا لتصبح حدودا مفتوحة تقطعها طرق سريعة دولية (متخطية للحدود القومية) من شأنه أن يعزز إمكانات التنمية السياحية فى المنطقة.

وبمقدور منطقة عربا باعتبارها طريقا موصلا إلى نقاط سياحية جنوباً وشرقاً، وباعتبارها مقصدا سياحيا فى حد ذاتها أن تجتذب المجموعات الآتية:

- زوار هدفهم التجوال فى المنطقة لفترة تزيد عن يوم واحد، ومن ثم يبيتون ليلة فى بيوت الشباب والمدارس وبيوت الضيافة والغرف المفروشة وغيرها.

- زوار عابرون فى الطريق إلى مواقع سياحية بعيدة ـ مثل البحر الميت والأحمر والبتراء ووسط شبه جزيرة سيناء. الجدول رقم ٤ يلخص التقديرات بأعداد السياح والزوار الإسرائيليين فى رحلات اليوم الواحد والجولات، وتتضمن كذلك الإقامة لليلة فى النقب.

الجدول رقم ٤

تقديرات بأعداد الزوار السائحين فى النقب

(بالآلاف)

السنة	زوار فى رحلات قصيرة	زوار لليلة واحدة	اجمالى الزوار والسائحين
١٩٩١	٨٠٩ر٥	٣٥١ر٤	١١٦٠ر٩
١٩٩٥	٩٣١ر٦	٤٤٠ر٥	١٣٧٢ر١
٢٠٠٠	٦٦٩ر٦	٤٨٣ر١	١٤٤٩ر٢
٢٠٠٥	٩٩٩ر٥	٥٢٧ر٤	١٥٢٩ر٩

المصدر : خطة تنمية السياحة فى النقب ١٩٩٢ ـ ١٩٩٧ إدارة التنمية السياحية فى النقب، ديسمبر ١٩٩٢ .

بالإضافة إلى ذلك، يمكن إقامة مشروعات مشتركة فى طرق المنطقة على نقاط التقاطع بين الدول كما هو الحال فى الطرفين الشمالى والجنوبى للبحر الميت.

٢- طريق التوابل:

يقوم هذا الطريق التاريخى والأثرى على أساس الطريق القديم الممتد من شرق آسيا. ويحد هذا الطريق ميتسبى رامون فى إسرائيل، والبتراء فى الأردن، وسيناء فى مصر.

وينبغى أن تشمل تنمية هذه المنطقة إقامة حديقة دولية تتصل بشبكة من الطرق الداخلية الصالحة لعربات الجيب والعربات الصحراوية والجمال والخيول والحمير.

وإلى جانب الحديقة سيقام على الطريق موتيلات على مستوى عال، ومخيمات للضيافة ومعسكرات للمبيت ودورات مياه ومنشآت بغرض العلاج والاستجمام، مثل آبار حارة وعيون للمياه المعدنية. ومن الممكن أيضا إقامة مواقع ترفيهية للتنقيب عن الآثار حول أطلال مدن وقلاع الأنباط القديمة تحت إشراف علماء وخبراء فى الآثار، وللسائحين أن يشتركوا فى فريق التنقيب.

أما بالنسبة لتفاصيل الأفكار المقترحة بعاليه وكذلك تأثيرها على البيئة فيتعين على الأطراف المعنية دراستها فيما بينهما.

٣- طريق الطبيعة :

يقوم هذا الطريق على المحميات الطبيعية:

- عين الجدى، الذى يتصل بطريق بحرى عبر البحر الميت ووادى مجيب.

- فوهة رامون، محمية شزاف، هازيفات ، محمية دانا.

ـ عين نطافيم ، تيما ، عمودى عمرام، الوادى الأحمر ، وادى القمر.

ـ أكتوفوت ، فيورد ، وادى طميل.

٤ ـ طريق الحج :

يمثل طريق قافلة الحج الإسلامى من مصر إلى الحجاز مشروعا ملائما. فالامتداد الجغرافى لهذا الطريق ـ درب الحج المصرى ـ كان يبلغ نحو ١٢٠٠ كيلومتر، ويمر عبر أربع دول (مصر وإسرائيل والأردن والسعودية) ولأسباب إدارية (خاصة بالنقل والمؤن) تم تقسيمه إلى أربعة أجزاء متساوية: القاهرة/العقبة، العقبة/العزلان، العزلان/ينبع (النخل)، ينبع/مكة.

وسوف يتضح أن من مصلحة الدول الإسلامية الثلاث علاوة على إسرائيل (بالنظر إلى العدد الكبير من المسلمين من سكانها) أن تساند هذا المشروع المتعدد الجنسيات بما له من دلالات دينية واقتصادية تتعلق بالمستقبل القريب للمنطقة.

وعلى ضوء هذا، يمكن ضم الطريق كوحدة أثرية ودينية وتاريخية مترابطة.

٥ ـ طرق أخرى :

هناك طرق أخرى توضح الإمكانات الكامنة فى الربط بين المواقع على جانبى الحدود الأردنية الإسرائيلية، حيث يمكن إقامة عدة أنشطة صحراوية حولها تتمثل فى الآتى:

ـ رحلات للتجوال للتعرف على جيولوجية المنطقة وحيواناتها ونباتها.

ـ الانزلاق من فوق المنحدرات والانزلاق الهوائى.

ـ رحلات على ظهور الجمال والحمير.

ـ رحلات بمنطاد الهواء الساخن.

ـ هبوط بالطائرات فى مواقع مختلفة على جانبى الحدود.

٥ ـ خيارات تنمية المتنزهات والحدائق (١) :

(أ) عام:

= إن إقامة وتنمية الحدائق الدولية (الإقليمية) يتطلب تضافر جهود حكومات المنطقة، لأن إنشاء وتنمية وإدارة هذه الحدائق والمتنزهات الدولية يستلزم تعاون قطاعات عديدة منها، السياحة والنقل والمواصلات والطاقة والبيئة وغيرها من القطاعات.

= وإقامة هذه الحدائق على مناطق الحدود يسهل العمل المشترك بالنسبة لحماية البيئة والمناطق الطبيعية وهى أمور تتصل بحماية التراث.

= وبتقدم عملية السلام فى المنطقة فإن الحدائق تؤدى إلى مزيد من التعاون فى مجالات أخرى.

(ب) البحر الميت: (أكثر المناطق إنخفاضا على سطح الأرض).

١ ـ البحر الميت هو بحيرة بها ميزة جغرافية خاصة نظرا لكونها أكثر منطقة إنخفاضا على سطح الأرض.

---

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

= يضاف إلى ذلك طاقاتها المعدنية، وعزلتها وظروفها المناخية المتميزة.

= والبحر الميت والصحراء المتاخمة تعد من المناطق المفضلة لزوار إسرائيل.

= كما أن مناطق الجذب السياحى فى المنطقة متنوعة وتتضمن :ـ

* المناطق التاريخية.

* إمكانات العلاج الطبى (الطبيعى).

* سياحة الصحراء.

٢ ـ وإمكانيات البحر الميت تشترك فيها ثلاث وحدات سياسية هى إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية ولذا وجب تنمية وإستغلال طاقات المنطقة إقليميا وليس بشكل منفرد.

(جـ) حدائق التراث الحضارى فى فالق (أخدود) وادى الأردن:

١ ـ نظرا لمشاركة الجهات الثلاث، إسرائيل ، والأردن والسلطة الفلسطينية فى إمكانات المنطقة جغرافيا وتاريخيا وحضاريا، فهناك إقتراح بتخصيص منطقة لإقامة حديقة للتراث.

= والحديقة ستشمل التخطيط والإدارة والصيانة للموارد الطبيعية والحضارية، وستشكل أساسا لتنمية السياحة فى المنطقة كلها.

٢ ـ وهناك صلة بين نهر الأردن وبين معالم التراث الحضارى حوله، لأن أول تواجد للإنسان فى المنطقة كان فى وادى نهر الأردن.

(د) الحدائق فى خليج العقبة:

١ ـ على بعد أقل من ٥٠ كم من رأس خليج العقبة تلتقى كل من الأردن وإسرائيل ومصر والسعودية.

٢ ـ ولهذه المنطقة أهمية خاصة نظرا:ـ

* لخصائصها البيولوجية ـ الجغرافية.

* ولأنها تمثل بحرا شبه مغلق.

* ولموقعها الإستراتيجى.

ـ لكل ذلك أصبحت المنطقة مركز جذب لإنشاء الموانىء والمصانع، ومراكز الترفيه والسياحة والعلوم والتعليم بشكل سوف يسهم فى تحديد مستقبل المنطقة كلها.

ـ كما أن المنطقة تتمتع بمياه عميقة ومناخ خاص وحدائق المرجان تحت المياه، وهو ما يمثل جذبا سياحيا كبيرا.

٣ ـ وإتجاه السلام يدعم إتجاه التعاون من أجل تنمية هذه المنطقة إقليميا، ويبدأ بإنشاء حديقة بحرية على البحر الأحمر بمشاركة إسرائيل والأردن.

(هـ) ريڤيرا شرق المتوسط:

١ ـ إن الكثبان الرملية على شواطىء جنوب إسرائيل والسلطة الفلسطينية وسيناء تعد كنوزاً طبيعية يجب الحفاظ عليها وأفضل، وسيلة لذلك هو، تحديد مناطقها وإعلانها محميات طبيعية وحدائق.

٢ ـ وهناك مشروع لحديقة من هذا النوع فى الطريق إلى التنفيذ على الساحل الجنوبى لإسرائيل وتمتد فى مساحة ١٥٠٠ دونم وسيتضمن المشروع:

* مركز لإقامة الزوار. * مركز ترفيهى على الرمال.

* إقامة المخيمات * ركوب الجمال والبغال والخيول.

* وسبل مواصلات مناسبة داخل الحديقة.

٣ ـ ويمكن الإقتداء بهذا النموذج فى مناطق أخرى على طول شواطىء المتوسط.

(و) والتعاون بين هيئات الحدائق فى إسرائيل والسلطة الفلسطينية والأردن:

= ويتم هذا التعاون خاصة فى المناطق التالية:ـ

* منطقة أريحا.

* منطقة البحر الميت

* منطقة أخدود (فالق) نهر الأردن.

٦ ـ خيارات تنمية النقل [١]:

(أ) عام:

إن خيارات تنمية النقل تتضمن:

* مشروعات النقل البرى.

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

* مشروعات النقل البحرى.

* مشروعات النقل الجوى.

= وتنمية نظام نقل إقليمى هو أحد شروط تنمية المنطقة إقتصاديا.

= ويمكن إستخدام الموقع الجغرافى المتميز فى هذا الصدد لتحقيق المنافع، نظرا لأن المنطقة تمثل ملتقى القارات فى العالم.

= وهذه المشروعات الإقليمية للنقل تؤدى إلى تنمية التجارة والسياحة والصناعة وغيرها من القطاعات.

(ب) تنمية شبكة طرق:

= وهى طرق تربط إسرائيل ومصر والأردن والسلطة الفسلطينية، وقد تمت مناقشة تحويل مثل هذه المشروعات فى مواضع سابقة.

= وأبرز الطرق البرية موضع الدراسة هى:

١ - طريق العقبة - إيلات بدفع:

*من إسرائيل والأردن والولايات المتحدة الأمريكية وفق معاهدة السلام فى يونيو ١٩٩١ .

* كما اتفقت الأطراف المعنية فى واشنطن (إبان توقيع المعاهدة) على ضرورة إقامة طريق يربط بين الأردن وإسرائيل ومصر ويعتبر طريق العقبة إيلات ضرورى لربط مصر بشبكة الطرق هذه.

* كما تستفيد السلطة الفلسطينية بهذا الطريق بربط غزة به، مستفيدة من الطريق بين مصر وإسرائيل والأردن والسعودية.

٢ ـ الممر المركزى :

وهو طريق سريع يربط تركيا وسوريا ولبنان وإسرائيل والسلطة الفلسطينية والأردن (العقبة) ثم مصر والعربية السعودية. ويمر هذا الطريق داخل إسرائيل على الطريق رقم ٩٠ الذى يبدأ من إيلات وطريق عربه إلى البحر الميت، وعلى طول نهر الأردن ويمر شرق بحر الجليل ويستمر إلى الشمال من كريات شمونا ومتولا عبر الحدود اللبنانية.

٣ ـ طرق الممرات فى سيناء :

= وهذه الطرق تربط القاهرة ـ غزة ـ عمان ـ العقبة، وفى مرحلة تالية تصل الضفة الغربية بأحد الممرات من الجنوب.

= وأبرز هذه الطرق :ـ

*الطريق السريع على ساحل المتوسط من الإسماعيلية إلى العريش (مصر) إلى السلطة الفلسطينية (غزة)، ثم تتصل بالطرق الإسرائيلية القائمة.

*الطريق المركزى الذى يربط بين كرك وسافى إلى نتزانا، ثم الإسماعيلية .

*الطريق الجنوبى يربط السويس بطابا بعين نتافيم، ويمر خارج إيلات والعقبة وإنهاء إلى مدينة العقبة.

٤ ـ ربط الشرق والغرب عن طريق أخدود وادى نهر الأردن:

= وهو الطريق من حيفا إلى إربد عن طريق كوبرى الشيخ حسين ثم يستمر شرقا.

٥ ـ وكل ذلك يستلزم كبارى على نهر الأردن.

(جـ) تنمية شبكة مواصلات إقليمية (السكك الحديدية):

١ ـ تم بناء شبكة سكك حديد واسعة فى الشرق الأوسط فى بداية هذا القرن ربطت، تركيا وسوريا والعراق والأردن ولبنان وفلسطين (تحت الإنتداب) ومصر والسعودية، وقد أدى النزاع الإقليمى وتراجع التنمية الاقتصادية فى هذا الصدد بسبب أوضاع التجزئة إلى أنهيار هذه الشبكة.

= إن آفاق السلام تغير من هذا الواقع وتتطلب تحديث شبكة سكك حددد إقليمية.

= ونتيجة المباحثات المتعددة الأطراف بين الإتحاد الأوروبى، وإسرائيل والأردن ومصر والسلطة الفلسطينية، فقد تقرر إعداد خطة متكاملة لشبكة السكك الحديدية الإقليمية.

= وشبكة المواصلات المقترحة ستكون جزءا من نظام سكك حديد المنطقة كلها وسيتم الإتصال بين الأردن وموانى المتوسط وبين إسرائيل والخليج وشرق أسيا.

٢ ـ وهناك مشروعات مقترحة:

* وصلة سكك حديد بين موانى البحر الأحمر (العقبة وإيلات) والمتوسط (أشدود وغزة) يمر بمنطقة جنوب البحر الميت.

*خط يربط بين حيفا والمفرق إلى عمان، لربط الأردن وإسرائيل ويصل إلى دول أخرى بالمنطقة.

* خط يربط بين إسرائيل وسوريا بين حيفا ودمشق.

* خط يربط بين البحر الأحمر وموانى المتوسط عن طريق البحر الميت.

(د) تنمية مشروعات النقل البحرى:

١ ـ معظم موانى الشرق الأوسط غير مستغلة بشكل كامل الآن، وآفاق السلام ستؤدى إلى إيجاد تنمية تكاملية لهذه الموانى القريبة من بعضها على النحو التالى:

* ميناء حيفا تشتمل على تسهيلات حديثة فى نقل السلع ومتصلة بوسائل النقل البرى، وهى لذلك مهيئة للتخصص فى نقل البضائع بالحاويات من شمال الأردن والسلطة الفلسطينية وأجزاء من سوريا.

* وميناء أشدود يمكن أن تتخصص فى تداول السلع الضخمة وتخدم أيضا غزة (السلطة الفلسطينية).

* وميناء بيروت يمكن أن تتعامل مع تجارة الترانزيت.

* وتقوم اللاذقية بخدمة معظم التجارة السورية.

٢ ـ وهناك خطوط سفن النقل بين دول الإقليم مثل:

* العبارات (معديات) بين نويبع والعقبة (مصر والأردن).

* ومن الطبيعى أن تمتد هذه الخدمة لتشمل إيلات وطابا وميناء سعودى، وهو أمر يسهل أنشطة السياحة بين هذه الدول.

* طريق بحرى يربط أشدود - أشكليون - غزة - والعريش، وإلى ميناء رشيد وبور سعيد والإسكندرية.

* وأيضا طرق بحرية بين إسرائيل والساحل الفلسطينى إلى بورسعيد والسويس وإلى شواطئ البحر الأحمر.

* وأخيرا خط ملاحى (تدعيم) بين حيفا وموانى لبنان وسوريا.

(هـ) تنمية مشروعات النقل الجوى:

= بخلاف الخطوط الجوية مع مصر والأردن، فلا توجد خطوط تربط إسرائيل بالدول العربية الأخرى.

= والتعاون الجدى الذى تتيحه فرص السلام يعود على الجميع بالنفع.

= وهناك مشروعات لتنمية المطارات فى منطقة العقبة - إيلات ويتضمن ذلك مطار رأس النقب فى مصر (سيناء).

= وحجم التعامل فى نقل الركاب والسياحة لا يتحمل وجود أربعة مطارات فى المنطقة هى:

* مطار إيلات (إسرائيل).

* مطار أوفدا على بعد ٦٠كم من إيلات (إسرائيل).

* مطار العقبة على بعد ١٥ كم من العقبة، وعلى بعد ٣كم من مطار إسرائيلى مخطط فى عين أفرونا.

* مطار رأس النقب على بعد ١٧ كم شمال شرق إيلات.

= وقد اقترحت مصر تنمية مطار رأس النقب بتكاليف حوالى ١٠٠ مليون دولار.

= وإسرائيل والأردن يتفقان حول مشروع مطار مشترك بينهما.

(و) إنشاء مراكز أرصاد جوية للتنبؤ الجوى فى المدى القصير:

= كثير من الأنشطة الإقتصادية والإجتماعية يعتمد على حالة الجو، وليس لدى دول المنطقة القدرة المالية والعلمية والتقنية لإنشاء مركز كفء للأرصاد الجوية، ولهذا يلزم إقامة هذا المركز من خلال تنظيم إقليمى.

= ويلزم هذا المركز ما يلى:

* نظام كمبيوتر سوبر (١٢ مليون دولار).

* مجموعة عمل (أفراد) بكفاءات فنية وعلمية وإدارية بحوالى ٢٠ فرد، مرتب كل منهم حوال ٣٠,٠٠٠ دولار بتكلفة إجمالية ٦٠٠,٠٠٠ دولار أمريكى سنويا.

(جـ) ويمكن للمركز أن يقام فى معهد الأرصاد الجوية فى إسرائيل الموجود فى بيت داجان جنوب شرقى تل أبيب.

٧ - خيارات تنمية الطاقة [١] :

(أ) عام:

(١) من وجهة نظر إسرائيل

ـ التعاون فى مجال الطاقة يتضمن مشروعات خاصة بالطاقة وبعلم الأرض.

ـــ وتدعيم التعاون بالمشروعات المشتركة تؤدى إلى نتائج باهرة منها:

* خلق أساس البنية الأساسية اللازمة للتنمية الاقتصادية التى تؤدى إلى امكانية استيطان الصحراء.

* دفع التنمية الاقتصادية وتدعيم الأمكانات التى تؤدى إلى نمو إقتصادى حقيقى.

* يدعم علاقات السلام والأستقرار فى الإقليم.

* الحفاظ على البيئة فى المنطقة.

* رفع المستوى التكنولوجى ومستوى الحياة لكل سكان المنطقة.

* خلق فرص أسد ـار جديدة بالمنطقة.

(ب) الأمداد بالطاقة وإنشاء شبكة مشتركة بالإقليم.

١ ـ وأبرز المشروعات هنا من حيث الفائدة للجميع هو ربط شبكات الكهرباء بالإقليم بعضها بالبعض.

ـ وحوالى عام ١٩٩٠ وقعت كل من تركيا والعراق وسوريا والأردن ومصر اتفاقا (قبل أزمة احتلال الكويت) لربط شبكاتها بنهاية القرن.

ـ ومع تقدم عملية السلام اقترح الخبراء من إسرائيل ومصر والأردن والسلطة الفلسطينية ربط شبكات هذه الدول. وقد تدعم

هذا الاتفاق عن طريق المفاوضات المتعددة بمظلة مؤتمر مدريد عام ١٩٩٣ .

* وهذا الربط يخفض التكاليف ويقلل الفاقد.

* والمشروع الآن فى طور إتمام الدراسة والتخطيط.

٢ ـ والموقف الحالى من حيث انتاج الطاقة الكهربائية هو:

* نظام اسرائيل اقيم بقدرة ٦٣٧٠ ميجاوات، وهناك محطات جديدة بطاقة ٣٥٠ (م.و)، وأخرى ٥٥٠ (م.و)، ١١٥ (م.و). وينتظر عام ٢٠٠٠ أن تصل الطاقة إلى ١٠٠٠٠ (م.و) بينما ينتظر أن يكون أقصى طلب هو ٧٩١٠ (م.و).

* الضفة الغربية وغزة (السلطة الفلسطينية) تتم التغذية من المحطات الإسرائيلية، والطلب الكلى ٢٥٠ (م.و)، وإقامة محطة طاقة فلسطينية هو تحت الدراسة من السلطة الفلسطينية.

* والأردن ينتج عام ١٩٩٥ ، ١١٠٧ (م.و). وتتوقع هيئة الكهرباء الأردنية أن حاجات التوسع عام ٢٠٠٠ تبين أن الأردن ستحتاج إلى إضافة ٥٠٠ (م.و).

* أما قدرات مصر عام ١٩٩٣ فكانت ١٢٠٩٠ (م.و).

* أما سوريا فلها مصادر من البترول والغاز والطاقة المائية. وطاقتها التوليدية الآن تبلغ ٣٥٥٥ (م.و).

* وأخيرا نجد لبنان بسبب الحرب الأهلية الطويلة قد قننت توزيع الطاقة إلى حين إعادة انشاء محطاتها. وتحتاج لبنان إلى حوال ١٥٠٠ (م.و) مع العلم بأن نصف هذا القدر هو المتاح حاليا.

٣ - وابرز منافع ربط الشبكات هى:

* يتيح إبطال بعض المحطات الصغيرة بوصفها أحتياطى.

* الحصول على مزيد من الطاقة عند الحاجة الملحة إليها.

* الاقلال من الفاقد.

٤ ـ ويتكلف مشروع الربط بين السلطة الفلسطينية والأردن ومصر وإسرائيل حوالى ٣٠٠ مليون دولار.

٥ ـ كما يمكن الربط على الطريق الساحلى للمتوسط مما يفيد اسرائيل والسلطة الفلسطينية ومصر.

٦ ـ كما أن هناك امكانية وفائدة للربط عند النهاية الشمالية لخليج العقبة ليتم الربط بين شبكات مصر وإسرائيل والأردن والسعودية.

٧ ـ وأيضا يتم الربط بين اسرائيل والأردن والضفة الغربية (إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية).

٨ ـ كما يجب بحث دعم تقنية الربط عن طريق خطوط توصيل بين بلدين أو ثلاثة عن طريق ما يسمى بـ (Radial Network) وهو أمر يقلل من الفاقد. وعموما يجب مقارنة تكاليف وفوائد كل تقنية.

٩ ـ ونظام ربط الشبكات فى الإقليم لابد من دعمه باقامة الشبكة الخاصة بكل من الضفة وغزة (السلطة الفلسطينية).

١٠ـ وهناك مشروع إقامة مزرعة رياح فى جنوب منطقة عربة لأستفادة إسرائيل والأردن بطاقة حوالى ١٠٠ (م.و) وخاصة أن المنطقة بالقرب من البحر الأحمر تتميز بالرياح الشديدة.

– والمنافع الأخرى للمشروع هو منع التلوث والأنتاج الزراعى، واستخراج المياه الجوفية، والأنتاج الصناعى.

– والتكلفة المطلوبة للمزرعة (بعدد ٢٥٠ مولد) تبلغ حوالى ٨٥ مليون دولار توزع بين ١٥ مليون للبنية الأساسية و٧٠ مليون للمعدات.

١١ ـ ونظرا لسعر الطاقة الرخيص فى السعودية يمكن توليد الكهرباء فى السعودية ونقلها عن طريق الأردن إلى مصر وإسرائيل وسوريا ولبنان.

(جـ) تدفق البترول:

١ ـ منطقة الشرق الأوسط وشرق المتوسط، أبرز مناطق أنتاج البترول فى العالم، إذ تحوز $\frac{٢}{٣}$ احتياطات البترول فى العالم، وتتركز فى: السعودية ـ الكويت ـ الامارات ـ ايران ـ العراق ـ ولدى سوريا ومصر جزء من الأحتياطى وتصدران النفط فى الوقت الحالى. وفى باقى المنطقة لا توجد احتياطيات استراتيجية مكتشفة حتى الآن.

ـ ومعظم البترول ينقل عن طريق البحر ويمكن اقلال التكاليف إذا نقل بترول الخليج عبر خطوط الأنابيب بدلا من التانكرز (ناقلات البترول).

٢ ــ وهناك أكثر من خط أنابيب الآن ونصفها فقط يعمل وهى:

*T.A.P. تعبر السعودية ـ الأردن ـ سوريا ـ والجولان.

* خط ينبع، يمر من السعودية وينتهى فى البحر الأحمر.

*خط إيلات ـ اشكيلون بطاقة حوالى ٤٥ مليون طن سنويا، وينقل الخام المشترى من مصر ومن إيلات إلى المصافى، ويمكن زيادة كفاءة الخط إلى ٦٠ مليون طن فى العام.

* خط من العراق ولا يعمل لأسباب تاريخية وسياسية.

٣ ــ النقل بالانابيب الآن ومستقبلا يمكن مناقشته على النحو التالى:

* من المحتمل استمرار بعض الشركات فى نقل الخام عبر قناة السويس.

* كمية كبيرة من الخام إلى شمال أمريكا، سيتم نقله بناقلات البترول.

* احتمال انخفاض الطلب على الخام مستقبلا لسبب أو لآخر.

٤ ــ ومع ذلك فهناك عدة مشروعات لتدعيم خطوط انابيب البترول الحالية وإنشاء الجديد منها.

(د) خطوط أنابيب الغاز:

ــ تزداد الحاجة إلى استخدام الغاز لمواجهة حاجة السكان والصناعة وخاصة فى دول حوض المتوسط.

- وفى إسرائيل فإن انتاج الغاز لا يذكر، وهى تحتاج بشكل متزايد لهذه الطاقة، وخاصة بسبب النمو الأقتصادى وأرتفاع مستوى معيشة السكان.

- ويوجد بمصر إحتياطيات غاز ضخمة ومستمرة، وقد انتجت عام ١٩٩٣ ، ٩ مليون طن استخدمت فى الأستهلاك المحلى، نظرا لان سياسة مصر هى إحلال الغاز محليا محل البترول بهدف تصدير الأخير.

- وبسبب الأسواق المحتملة فى إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية فإن قدرة مصر التصديرية فى الغاز ستنمو.

- ومن المشروعات المقترحة، خط انابيب للغاز من بورسعيد إلى غزة، ومن هناك إلى حيفا وفى المستقبل يمكن الاستمرار إلى لبنان وتركيا.

- وأحتياطى الغاز للمشروع يظهر من ٦-٧ ترليون قدم٣ .

- وقد أظهرت دراسة للبنك الدولى أن مشروع نقل الغاز من مصر وقطر هو مشروع مجزى.

- وتكاليف الخط وتسهيلات التخزين تبلغ ١٣٠٠ مليون دولار، تتحمل مصر منها ٥٠٠ مليون وإسرائيل ٨٠٠ مليون.

- كما يمكن نقل الغاز من قطر إلى اسرائيل بعد تسييله.

- ومشروع آخر لنقل الغاز من السعودية إلى إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية.

- وأهميـة الـغاز أنه يدخل فى صناعـة الأمونيـا لأنتاج المخـصبـات الزراعية.

(هـ) التعاون فى علوم الأرض (الچيولوچيا)

ويتضمن ذلك:

* التعاون فى مجال الموارد الطبيعية والمعادن.
* والبحوث السيسمولوجية.
* وفى علوم رسم الخرائط والتضاريس.
* وتعيين أماكن المياه الجوفية فى الصحراء.
* اكتشاف الغاز والبترول.
* والأبحاث المختصة بالبحار والمحيطات.

(و) استغلال البترول:

(أ) حسب التقديرات الأخيرة يوجد فى إسرائيل حوالى ١٢ بليون طن من الزيت الحـجـرى وحـوالى ٤٠ بليـون طن فى الأردن، وهذا الزيت يعتبر فقيرا بالنسبة للزيت الخام من مناطق أخرى لأنه يحتوى على حوالى ١٠ - ٢٠٪ من المواد الأصلية.

- إلا أن هذه الكمية ضخمة بحيث تسد حاجة الأستهلاك المحلى لمدة طويلة.

(ب) ولا تزال تقنية استخدام الزيت الحجرى قاصرة حتى الآن، ومع ذلك يمكن لأسـرائيل والأردن التـعـاون من أجل حل هذه المشكلة.

(ز) الطاقة الشمسية:

- فى المستقبل (١٠ - ١٥ سنة) سيكون الاتجاه نحو الطاقة الشمسية فى الشرق الأوسط وشرق المتوسط وأوروبا بسبب:

* البترول سيصبح سلعة نادرة.

* السلبيات البيئية لاستخدام البترول.

- والدراسات تستمر الآن لتدعيم تكنولوجية تخزين الطاقة الشمسية، عند نجاحها ستتحقق ثورة فى عالم الطاقة، وهو أمر يفتح آفاقا أمام المنطقة نظرا لمزاياها المناخية.

(ح) إقامة مركز معلومات عن الطاقة وترشيدها

- وهناك تفكير فى إقامة المركز المزود بالكمبيوتر وبالمعلومات عن الانتاج والأستهلاك وموارد الطاقة واحتياطياتها.

- وهذا المركز يدعم البحث العلمى والتكنولوجى ويسهم فى تنمية موارد الطاقة.

٨ - خيارات تنمية الإتصالات السلكية واللاسلكية (١):

(أ) خلفية:

١ - شهد العالم فى السنوات الأخيرة ثورة فى مجال الإتصالات السلكية واللاسلكية، ويقدر أن حوالى ٥٠ ألف مليون دولار سيتم إنفاقها سنويا على نطاق العالم خلال الخمس سنوات القادمة لتنمية نظم إتصال جديدة. ومع ذلك لم تستعد كثير من دول

---

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

المنطقـة لظروف السـوق الجـديدة، وبذلك لم يظهـر تأثيـر قـدرة الإتصالات بعد فى أجهزة الإتصـال بمنطقة الشـرق الأوسط وشرق المتوسط.

ـ هذا بالإضافة إلى أن معظم خطوط الاتصال التليفونية فى المنطقة «رقمية» وليست «خلوية» أى تحتاج إلى تحديث.

ـ ونظرة مقارنة على الإحصاءات تبين أن:

* مصر لديها عام ١٩٩٢ حوالى ٢,٢ مليون خط ونصيب كل ١٠٠ فرد ٣,٩ خظ

*وإسرائيل ١,٨ مليون خط ونصيب كل ١٠٠ فرد ٣٥,٥ خط.

* والسعودية ١,٦ مليون خط ونصيب كل ١٠٠ فرد ٩,٨ خط

ـ أمـا دول المنطقـة الأخرى فـإن شبكاتها أقل، نظرا لمحدودية عـدد السكان، ويمكن إيراد نصيب كل ١٠٠ فرد للتعرف على مستوى المعيشة فنجد:ـ

* أعلى نصيب كل ١٠٠ فرد فى إسرائيل وهو ٣٥,٥ خط.

* يلى ذلك دولة الإمارات ٣٢,٤ خط.

* يلى ذلك دولة قطر ٢٣,٤ خط.

* يلى ذلك دولة البحرين ٢١,٢ خط.

* يلى ذلك دولة الكويت ١٧,٥ خط.

* يلى ذلك دولة السعودية ٩,٨ خط.

* يلى ذلك سلطنة عمان ٧,٩ خط.

* يلى ذلك دولة الأردن ٦,٥ خط.

٢ ـ وتنمية الإتصالات فى المنطقة تتضمن:

* ربط المنطقة بأوروبا والعالم عبر الأقمار الصناعية وبالكابلات تحت مياه البحر.

* ربط دول المنطقة بكابلات تحت المياه وكابلات أرضية.

* إستخدام النظم «الخلوية» للتغلب على تحديات البنية الأساسية.

* ربط المنطقة بمركز المعلومات العالمى.

* تشكيل لجنة تنسيقية إقليمية دائمة لتدعيم وتحديث التعاون الإقليمى فى هذا الصدد.

(ب) الإتصالات بين شبكات التليفون فى الإقليم:

ـ كان أول تعاون فى هذا الصدد بين إسرائيل والأردن بفتح الإتصال التليفونى المباشر بين البلدين ورسم خطة الشبكة الموحدة فى الإقليم.

(جـ) الخطوط المؤجرة والشبكات الخاصة:

ـ الخطوط المؤجرة عبر الحدود والشبكات الخاصة سيكون لها دور فى حياة الإقليم الإقتصادية والإجتماعية.

= كما يمكن التفكير فى إنشاء مراكز التزويد بالمعلومات فى مرحلة لاحقة بما فى ذلك إمكانية الوصول إلى شبكة المعلومات الإسرائيلية.

- والجهات (فى كل بلد) التى تحتاج إلى خطوط مؤجرة هى:

* مناطق الوصول الحدودية.

* سلطات المطار.

* البوليس.

* خدمات الطوارئ فى إطار المساعدات المتبادلة.

* المراكز الصناعية والمصانع المتقدمة ومراكز التجارة الكبرى.

(د) الكابلات:

١ ـ مد الكابلات ثنائيا:

* من المفيد وجود كابل (خط) يربط بين إسرائيل والأردن ومصر فى مناطق الحدود.

* ووجود وصلة بين البنية الأساسية للإتصالات فى كل بلد.

* وهناك فكرة وجود كابل لوادى نهر الأردن، يبدأ من بحر الجليل مارا بالبحر الميت وصولا إلى إيلات على خليج العقبة.

٢ ـ كما يجب الاهتمام بالبنية الأساسية لكابل مخصص للاتصالات الدولية عن طريق :-

*الاستخدام المشترك لكابل تحت المياه

* إقامة كابل مشترك لخدمة أربعة دول هى: الأردن ومصر وإسرائيل والسعودية، يمر فى حوض البحر الأحمر (كابل أرضى) يخدم أغراض السياحة والاتصالات العامة والتعاون الاقتصادى.

* الانضمام إلى كابل الاتصالات الدولية تحت سطح البحر الأحمر (بواسطة الأردن ومصر وإسرائيل).

* وإنشاء كابل تحت المياه إلى سواحل المتوسط.

٣ـ كما يمكن التعاون فى مجال خدمات الفيديو والإعلام بايجاد، قنوات إقليمية تبث البرامج الترفيهية والإخبارية.

ـ ويتفرع عن هذا نظم التعليم بالفيديو.

ـ وأيضا نظم العلاج والجراحة بقنوات التليفزيون الخاصة.

٤ ـ ويمكن الاستفادة من نظام (I.S.D.N)

(Integrated Services Digital Network)

التى يمكن أن تتصل وتستفيد من مركز وادى نهر الأردن، وهذه الخدمة تقدم بالصورة والصوت والمرجع بالفيديو وهذا النظام يتيح خفض التكاليف والفعالية والسرعة.

(هـ) اتصالات الأقمار الفضائية :

١ ـ فى السنوات الأخيرة زاد استخدام الاتصالات عبر الأقمار الصناعية التى تعد مستقلة عن الشبكات الأرضية، لأنها قادرة

على نقل الإشارات من كل الأنواع على مساحة واسعة، مع قدرتها أيضا من البث من نقطة إلى أخرى فى نفس الوقت.

- وتفيد الأقمار الصناعية فى الإتصالات بالمناطق النائية وبنقل البث التليفزيونى المحلى إلى آفاق دولية وإقليمية.

٢ - ولتحقيق هذا الهدف يجب التعاون إقليميا لإقامة محطات أرضية، سوف تخدم أيضا من خلال الأقمار فى مجالات أرضية منخفضة (L.E.O) أى Law Earth Orbit.

٣ - والتسهيلات السابق الإشارة إليها ستدعم نظم إقامة المراكز المحلية للإتصالات حيث تمكنها من الاتصال بمراكز المعلومات الدولية وبالبنوك والأجهزة والهيئات الأخرى.

(و) خدمات التليفون الخلوية : Cellular وخدمات الترقيم

- هذه الخدمات تتقدم بسرعة فى كل أنحاء العالم وفى السنوات القادمة ستلعب دورا هاما فى مجال الأعمال والسياحة.

- وقد بدأت المنطقة فعلا فى دراسة إمكانية الإستفادة من تطوير هذه الخدمات.

(ز) البث الإذاعى والتليفزيونى:

١ - خدمات الإذاعة والتليفزيون تؤثر على عدد كبير من المستقبلين فى الدول الأخرى المجاورة، وبهذا تزيل الحاجز الإجتماعى والسيكولوجى.

٢ ـ والتعاون فى هذا المجال يتضمن :ـ

*منع الشوشرة.

*بث إقليمى مشترك.

*بث إعلانى إقليمى يعمل على تنمية الاقتصاد والسياحة الإقليمية.

*انتاج برامج مشتركة.

*حماية حقوق التأليف والإبداع.

(ح) قاعدة معلومات إقليمية :ـ

ـ وهذا الأمر يساعد فى تدعيم الصلات بين مواطنى الدول المختلفة فى الإقليم ويدعم من الاستثمار والسياحة.

ـ وتزود هذه القواعد بنظم كمبيوتر.

ـ وتستفيد من هذه النظم:ـ

*مراكز الإعاشة والترفيه مثل الفنادق.

*مراكز تسهيلات النقل وجداولها الزمنية.

*مراكز الأعمال القائمة والمشروعات المقترحة.

*السلطات المحلية عن أنشطتها، وخاصة منح التراخيص وساعات العمل.

*اللوائح الجمركية وإجراءات عبور الحدود وبيان العملات الأجنبية إلخ ...

(ط) التنسيق حول الترددات :-

ـ هنا لابد من التنسيق بين الترددات فى الإقليم من أجل دعم التعاون فى مجالات الاتصالات وهو أمر يقوم به وزراء الاتصال فى كل بلد.

(ى) التنظيم والترخيص :-

= الأنشطة الخاصة بالاتصالات يلزمها إتفاق واضح من الدول بشأن أسلوب تنفيذها ومنح التراخيص لمستخدمى التسهيلات وهى أمور تقتضى تعديل فى اللوائح والقوانين فى دول المنطقة.

٩ ـ التسهيلات والتجارة والصناعة (١) :

(أ) عام :

*إن التنمية الإقليمية تنجح فى حالة تواجد نظام إقليمى يتيح حرية الانتقال والعبور.

*ونمو التعاون والمشروعات الإقليمية المشتركة يؤدى إلى تعبيد الطرق أمام مزيد من الاستثمارات الأجنبية.

(ب) التجارة الإقليمية والخارجية :

ـ هناك سمات مشتركة للتجارة فى دول المنطقة منها :

*معظم دول المنطقة تستورد أكثر مما تصدر، والعجز التجارى بعوض من خلال قطاعات الخدمات التحويلات المالية الدولية.

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

*يشكل الأتحاد الأوروبى الشريك التجارى الأكبر إذ يمد المنطقة بحوالى ٥٠٪ من وارداتها، ويشترى حوالى من ٣٠ ـ ٦٠٪ من صادراتها.

*التجارة الإقليمية (بين دول المنطقة أو الإقليم) فى السلع المختلفة متدنية إذ تمثل من ١٠ ـ ١٥٪ من الصادرات وحوالى من ٢ ـ ٦٪ من الواردات.

*وتسود التجارة الإقليمية تبادل الحاصلات الزراعية.

*التجارة بين إسرائيل والدول العربية المجاورة تمثل بداية للتنمية التجارية فى الإقليم.

(جـ) مراكز التسهيلات التجارية :

١ ـ مراكز التسهيلات التجارية تقام لتسهيل تدفق التجارة، والتعاون الإقليمى ضرورة، يمكن تحقيقها من خلال:

* إنشاء مراكز التفريغ والشحن.

* ومراكز التخزين والتبريد.

* ومراكز التعبئة.

* ومجمعات خدمات الجمارك مثل التخليص.

* وتوحيد المستندات الجمركية.

* تنسيق توحيد ساعات العمل على الحدود.

** توحيد تولون الشحن.

* الاعتراف المتبادل ببوالص التأمين.

٢ ـ وسيؤدى دعم التسهيلات السابقة إلى تحقيق مزايا عدة منها :

* دعم روح التعاون فى الإقليم.

* تخفيض مدة الرحلة وزيادة انتاجية السائق والعربة.

* نشر المنافسة العادلة بين شركات النقل.

* تمهيد الطريق أمام تعاون أكبر فى مجالات محاصيل الزراعة وصيد الأسماك وغيرها.

* زيادة معدل تدفق السياحة.

٣ ـ ومن أبرز تسهيلات التجارة والتنمية الاقتصادية فى المنطقة: إقامة منطقة تجارة مشتركة فى منطقة (العقبة ـ إيلات) ويمكن أن تمتد إلى مصر والسعودية.

٤ ـ كما يمكن إقامة المراكز التجارية والتجمعات الصناعية فى مناطق حدودية قرب محاور العبور.

٥ ـ وهناك اهتمام خاص لإقامة التجمعات الصناعية الخاصة بالسلطة الفلسطينية حتى تتمكن من إقامة كيانها الاقتصادى فى المستقبل.

(د) ـ التصنيع الزراعى :

١ ـ نظرا لأن أراضى الأقليم قاحلة أو قليلة العائد، فإن الزراعة فى إسرائيل قد تمكنت من ادماج التكنولوجيا مع الزراعة، وهو ما

أحدث طفرة فى الإنتاج والتنوع الزراعى بسبب الاستعانة بالمعدات والنظم الحديثة وخاصة فى مجال الرى.

٢ ـ وفى هذا المجال نذكر الطرق التالية :

* الرى بالتنقيط والرش.

* استخدام الكمبيوتر فى الزراعة، الإدارة الزراعية.

* التغذية الأتوماتيكية للحيوان والدواجن.

* استخراج الزيت من النبات من أجل الصناعة الغذائية.

* استخراج الزيوت والبروتين من فضلات اللحوم غير الصالحة للأكل.

* تدوير العام الزراعى فى تغذية الحيوان والطيور.

* تصميم وتصنيع الآلات والمعدات والمواد وغيرها من المدخلات فى زراعة المحاصيل الغذائية والصناعة التحويلية المتصلة بها.

(هـ) التعاون فى تنمية استخراج المعادن من البحر الميت.

١ ـ إن البحر الميت هو من أغنى المناطق بالفوسفات والبوتاس والبروميد والمغنسيوم وغير ذلك من المعادن.

ـ وقد استثمرت كل من إسرائيل والأردن مبالغ كبيرة فى هذا المجال.

٢ - ويمكن التعاون الأقليمى فى هذا الصدد فى إطار البحوث والتنمية (R and D) تتصل بالتسهيلات التالية :-

* مشروعات مشتركة لنقل الخام إلى مينائى العقبة وإيلات.

*إقامة سدود مشتركة ضد أخطار الفيضان.

* مشروع مشترك لتصنيع البوتاس.

* مركز مشترك لتسويق السلع المصنعة.

*التعاون الإسرائيلى - الأردنى فى مجال البحوث والتنمية (RandD) لتصنيع منتجات جديدة ومستحضرات التجميل من مستخرجات البحر الميت.

(و) تسهيلات تجارية مشتركة على البحر الميت:

١ - الهدف الأول هنا هو إنشاء ميناء وطريق (ممر) حديدى (كوريدور) لتخفيض تكاليف النقل السطحى، وربط مناطق الانتاج بموانى التصدير فى العقبة وإيلات وحيفا وأشدود.

- ولذا تسير الدولتان (الأردن وإسرائيل) فى اجراءات إقامة ميناء حر على طول الممر الحديدى.

٢ - وأبرز عناصر المشروع هو خط حديدى يربط العقبة وإيلات بمناطق الأنتاج فى البحر الميت.

- وربط هذا الخط الحديدى بالشبكات القائمة فى البلدين.

- أن يخدم هذا الممر الحديدى كل من الأردن وإسرائيل.

٣ ـ المزايا الاقتصادية للمشروع :

ـ تخفيض نفقات واردات إسرائيل والأردن لاستخدام الخط الجديد في ايصال السلع إلى مراكز الاستهلاك.

ـ استخدام الخط الجديد فى نقل صادرات البلدين إلى موانى التصدير.

ـ زيادة كفاءة مينائى إيلات والعقبة.

ـ دعم التنمية الاقتصادية فى وادى عربة.

١٠ ـ خيارات تنمية الموارد البشرية (١) :

(أ) عام:

ـ أن التعليم يقوم بدور هام فى مجال التنمية فى المنطقة.

ـ وفعالية التعليم تكمن فى مدى وفائها بحاجات المستقبل.

ـ مع العلم بأن حاجات التعليم فى عصر المعلومات تختلف عنها فى عصر بعد التصنيع ولهذا يلزم الآن ترويج التعليم بالتكنولوجيا.

(ب) دمج التعليم بالتكنولوجيا :

ويتم ذلك عن طريق :ـ

* اتباع نظام البحوث والتنمية (R andD)

* قيام معهد للتعليم التجريبى (PRototype)

* مع رسم صورة لمدرسة المستقبل.

* وأن يخدم التعليم الصناعات الهندسية.

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

(جـ) المراكز المعملية العلمية والتكنولوجية:

- ومن المقترحات اقامة مراكز علمية وتكنولوجية فى كل بلد بالمنطقة. يشمل معمل كمبيوتر ومعامل للعلوم الطبيعية والتكنولوجيا، وهذه المعامل تخدم مختلف مدارس المناطق لدفع عجلة دراسات العلوم والتكنولوجيا بأقل التكاليف.

- وهذا الأمر يتطلب بنية أساسية، وأفراد مدربين وبرامج وأجهزة تعليم متطورة.

(د) تنمية البرامج والأنظمة التعليمية : (Soft Ware)

- وهذا يعنى أن يم إدماج فعال للكمبيوتر مع البرامج المطلوبة للنظام التعليمى الخاص، ويتضمن ذلك أن تكون البرامج مدرجة بلغة التعليم.

- كما يتطلب الأمر دعم التدريب المهنى فيما يختص بالأنظمة والبرامج وتطويرها.

(هـ) تدريب المعلمين :

- وهذا الأمر يتطلب تعاونا دوليا - إقليميا من أجل تدريب المعلم وخاصة فيما يتصل بدمج الكمبيوتر فى نظم التعليم بالمدارس.

(و) التعليم بالمراسلة (بالأجهزة) : (Distanca I)

- إن التعليم بالمراسلة (عن بعد) يسبق ادماج الكمبيوتر بالتعليم، وقد استعانت به استراليا فى المناطق الزراعية النائية.

ـ كما يستخدم فى استمرار تعليم الكبار.

ـ وفى عصر الكمبيوتر يتم تزويد الدارس ببرامج مفصلة على الكمبيوتر بالصوت والصورة.

ـ وفى المنطقة تصلح هذه الطريقة فى مناطق السلطة الفلسطينية وفى غيرها من المناطق.

ـ كما يمكن استخدام الأقمار الصناعية فى نظام التعليم بالمراسلة وذلك بايصال المعلم بالطالب عن طريق الأقمار.

ـ ويمكن استخدام الأقمار الصناعية فى التعليم بمشروع مشترك بين إسرائيل ـ والسلطة الفلسطينية والأردن ومصر.

(ز) التعليم الفنى والتدريب المهنى:

*التعليم الفنى والمهنى لم يأخذ حظه بعد فى المنطقة سواء فى المدارس الثانوية أو المعاهد.

*والمعاهد الدراسية يمكن أن تخدم فى مجالات الاقتصاد المختلفة مثل :

* المدارس الزراعية.

* التعليم الصناعى مثلا فى النسيج والبناء.

* مدارس الفندقة.

ـ ولمواجهة حاجة التنمية المتزايدة يمكن ضخ برامج تدريب فى المدارس الثانوية والمعاهد العالية وبعد التخرج فى مجالات خاصة مثل :

** تكنولوجيا الزراعة.

* السياحة.

* البناء والنسيج.

* إدارة موارد المياه.

* الاتصالات السلكية واللاسلكية والكمبيوتر

(ح) تنمية الموارد البشرية - الموظفين العموميين :

- إن تدريب وتعـيين الأفـراد فى المشـروعـات يجب أن يواكب التخطيط الاقتصادى.

- وفى هذا الصدد نجد اقتراحا بإقامة مركز تنمية إقليمى حكومى لتدريب الموظفين الحكوميين.

- كما يتطلب الأمر وجود بنك معلومات عن الأفراد والمشروعات ومختلف البيانات التى تدعم عملية التنمية الإقليمية.

(ط) المعهد الأردنى - الإسرائيلى للدراسات العلمية والبيئية :

- ومن أبرز أوجه التعاون فى مجال التعليم هو إقامة معاهدة تعليمية بإدارة مشتركة.

- وقد تم الاتفاق بين الأردن وإسرائيل على مشروع مشترك لإقامة معهد على حدود إيلات - العقبة، وهذا المعهد سيركز على الدراسات العلمية والبيئية من أجل تدعيم التعليم الفنى فى المنطقة.

ـ وهذا المعهد يخدم كملتقى إسرائيلى ـ أردنى ـ فلسطينى وغيرهم من الأفراد فى الدول المجاورة للتعليم والعمل معا.

خيارات تنمية الصحة العامة (١) :

(أ) عام :

ـ تحسنت الظروف الصحية فى المنطقة فى العقود السابقة تحسنا ملحوظا، ومع ذلك تزداد الحاجة إلى التركيز على مقاومة الأوبئة والأمراض المستعصية.

ـ والتعاون بين دول المنطقة فى الإطار الإقليمى يجعل هذه المقاومة أكثر فعالية وخاصة فى مجالات :

*مكافحة الأمراض التى تنتقل بالاتصال.

*والأمراض التى تنتقل من الحيوان إلى الإنسان.

*والحفاظ على موارد المياه نظيفة.

*ودعم برامج الرعاية والتسهيلات الصحية.

*والرقابة والعناية والعلاج الصحى لمحدودى الدخل.

(ب) الحياة الصحية : (Sanitation)

الصرف الصحى والتخلص من النفايات الصلبة :

١ ـ إن الحياة الصحية هى مفتاح الصحة العامة (Pullic Health) لأن خمسة من ستة أسباب رئيسية للمرض فى المنطقة تعود

---

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

إلى نقل المياه وخاصة أمراض الإسهال أبرز مسببات وفاة الأطفال بالاضافة إلى مياه الصرف والفضلات بأنواعها.

٢ ـ ونظرة عامة على البيان الإحصائى للظروف الصحية العامة فى المنطقة تتضح الصورة التالية دون حاجة إلى شرح :ـ

البلد	متوسط العمر ١٩٩٢	وفاة الأطفال أقل من ٥ سنوات لكل ١٠٠ مولود ١٩٩٢	الأطفال المولودين بوزن أقل من المتوسط ١٩٩٢	السكان المزودين بمياه صحية ١٩٨٨ ١٩٩١	٪ السكان المتمتعين برعاية صحية ١٩٨٥ ١٩٩٢
الجزائر	٦٦	٧٢	٩	٦٨	٨٨
مصر	٦١	٥٥	١٠	٩٠	–
إسرائيل	٧٦	١١	٧	١٠٠	١٠٠
الأردن	٦٨	٣٠	٧	٩٩	٩٧
لبنان	٦٨	٤٣	١٠	٩٢	٩٥
المغرب	٦٣	٦١	٩	٥٦	٧٠
سوريا	٦٧	٤٠	١١	٧٤	٨٣
تونس	٦٨	٣٨	٨	٩٩	٩٠
تركيا	٦٧	٨٧	٨	٧٨	–

٣ ـ وهناك مشروع لجمع الفضلات الصلبة ومعالجتها فى غزة

٤ ـ وبرنامج خمس سنوات لتحسين جمع النفايات الصلبة ومعالجتها فى الضفة الغربية حتى يتم الإبقاء على المياه الجوفية صحية.

٥ ـ وهناك برامج لتدريب التنمية من السلطة الفلسطينية على الرعاية الصحية العامة.

(هـ) الرقابة على الأمراض:

ويتم ذلك إقليميا عبر إجراءات متعددة منها :-

١ ـ إنشاء مركز متوسط للرقابة على الأمراض فى المنطقة كلها، ويضم شبكة إتصالات بين الدول الأعضاء، وعقد الندوات والمؤتمرات الدولية، ومزود بقاعدة معلومات كمبيوترية ويمكن أن يقام فى بلد متوسط جغرافيا مثل قبرص.

٢ ـ إنهاء الأمراض التى خضعت للتحصين (الأمصال) وبدأت تقاومها مثل: شلل الأطفال والجديرى والدفتريا والتيتانوس وغيرها من الأمراض المعدية

٣ ـ ويجب توجيه الاهتمام لمواجهة مرض الكَلِبْ.

٤ ـ ومحاربة انتشار مرض البروسيلا (فى الحيوانات) إلى الإنسان وينتشر عن طريق الألبان غير المبسترة.

٥ ـ مكافحة مرض (Leishmamia) الذى ينتشر عن طريق ذبابة الرمال أو «زهرة أريحا».

٦ ـ مكافحة مرض (Thalassemia) وهو مرض إختلال الدم، ويصيب الشعوب فى البحر الأبيض المتوسط ويوجد تسجيل وتتبع لحاملى المرض فى إسرائيل والسلطة الفلسطينية، ويمكن نشره إلى بقية دول المنطقة.

(د) التسهيلات الأولية للرعاية الصحية:

ويشمل ذلك برامج مشروعات :

١ ـ إقامة وحدات صحية فى غزة والضفة الغربية.

٢ ـ إقامة غرف للرعاية الصحية فى الريف.

(هـ) مستشفيات إضافية :

ويتضمن ذلك :

١ ـ إقامة وحدات صحية على الحدود، يمكن أن تخدم العابرين بالاضافة إلى المناطق المجاورة على الجانبين.

٢ ـ وإقامة مركز لإدارة الأزمات.

٣ ـ والاشتراك فى برنامج تعاونى لعلاج الأمراض المستعصية والخطيرة مثل السرطان بالتعاون فى مجال التكنولوجيا الطبية.

(و) تدريب العمالة الطبية :

ويتم ذلك عبر :

١ ـ دورات تدريب عامة متخصصة .

٢ ـ إقامة مركز إقليمى لاستخدام الأجهزة الطبية الخاصة.

٣ ـ تدعيم برنامج التعليم والتدريب عن بعد للأطباء.

(ز) بحوث طبية مشتركة :

وذلك عن طريق :

١ ـ إقامة جمعية الشرق الأوسط للسرطان

٢ ـ إقامة مركز بحوث وتدريب للصحة العامة.

٣ ـ وإقامة مركز أبحاث إقليمى لأمراض البحر الأبيض المتوسط (ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام).

١٢ ـ خيارات تنمية البيئة (١) :

(أ) عام

ـــ ويتصل خيار تنمية البيئة بشكل عام بالتنمية الاقتصادية، لأن أهداف التنمية الاقتصادية لا تتوافق دائما مع أهداف تنمية البيئة وحمايتها. كما تتصل السياحة بتنمية البيئة وحمايتها.

(ب) إصلاح ورفع مستوى نهر الأردن:

١ ـ النهر يمثل أهمية دينية لكل من المسيحيين واليهود، ولذا يلزم تعاون الجهات الثلاث فى هذا الصدد، أى إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية.

ـ والموقف الحالى لنهر الأردن سليم لأن الصناعة ليست كثيفة حوله، ولأن المنطقة كانت لمدة طويلة معزولة أمنيا بسبب الصراع فى المنطقة.

٢ ـ ونهر الأردن يمر عبر حدود كل من، إسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية، ولذا يمثل أهمية تعاونية خاصة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية وخاصة فى مجال وجود محميات

---

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

طبيعية لحماية المناطق الطبيعية والتاريخية والحضارية، وفى نفس الوقت تسهيل أعمال الزراعة والسياحة وغيرهما.

٣ ـ ونظرا لصب مياه غير عذبة، ومياه صرف فى النهر فإن المياه فى بعض أقسامه فقيرة ولذا يلزم برنامج لضمان استمرار تدفق مياه النهر النقية والمعالجة.

٤ ـ وبالإضافة إلى حماية البيئة فى نهر الأردن ومشروعاتها، يتجه الأهتمام أيضا إلى نواحى أخرى منها :ـ

* مكافحة الذباب فى وادى الأردن والبحر الميت.

* تخفيض استخدام المبيدات (الضارة) فى الوادى.

(جـ) خطة عمل للتنمية البيئية فى خليج العقبة:

١ ـ فى إطار معاهدة السلام فقد اتفقت إسرائيل والأردن عام ١٩٩٤ على التعاون فى مجال تنمية البيئة فى خليج العقبة.

٢ ـ وهناك مشروع متكامل فى هذا الصدد يضاف إلى الإجراءات التى اتخذتها كل من مصر واليمن لحماية البيئة فى البحر الأحمر وأبرز جوانب هذا المشروع هو :ـ

* صياغة القوانين واللوائح وتنفيذها، الخاصة بإدارة حماية البيئة.

* مواجهة مخاطر التلوث البترولى للحفاظ على الثروات المرجانية.

* صياغة مبادئ إرشادية لتنمية المناطق الساحلية.

* دراسة تأثير صب مياه الصرف الصحى على نوعية المياه الجوفية.

*وإقامة لجنة مشتركة لإدارة البيئة فى خليج العقبة.

(د) إدارة التنمية البيئية لشواطئ شرق المتوسط:

١ ـ على طول شواطئ شرق المتوسط نجد أن الموارد المائية والأرضية متصلة بعضها بالبعض. لأن استخدامات الأراضى والرى والأنشطة الصناعية وتنمية السياحة وغير ذلك، يؤثر على نوعية البنية الساحلية والمياه الساحلية، وعلى النبات والحيوان، وعلى الحياة والمناظر الطبيعية والبيئية البحرية.

ـ ويمكن للجهات الثلاث : إسرائيل ومصر والسلطة الفلسطينية، أن تتعاون لحسن إدارة السواحل وهو تعاون أثمر فى مناطق أخرى من العالم.

٢ ـ ويمكن للتعاون أن يثمر عن طريق :

* عمل برنامج مشترك لمنع التلوث البحرى.

* وبرنامج طوارئ لمواجهة وصول الفضلات الكيماوية والبترولية إلى موانئ بورسعيد وغزة وأشدود.

* ولايجاد وسائل مراقبة تحديد التلوث البرى والبحرى والجوى، وكذلك بقايا المخصبات (النترات) التى تخترق التربة ومياه البحر.

٣ ـ وهناك تفكير أيضا فى تعاون إقليمى لمنع تحرك كثبان الرمل بفعل الهواء والحفاظ عليها بوصفها معالم طبيعية وسياحية ويمكن الحفاظ على الكثبان باستخدام مياه الصرف بعد معالجتها لزراعة نباتات تثبت من هذه الكثبان.

(هـ) التعاون فى مجال محميات الحيوانات :

وذلك عن طريق :

* حماية الأنواع النادرة المهددة بالأنقراض مثل: الفهود والجوارح والحبارى والحيوانات ذات الحوافز مثل والغزلان والماعز الجبلى.
* وجمع المعلومات عن الأنواع النادرة من الحيوانات والطيور النادرة (المنقرضة).
* حماية ورعاية الطيور المهاجرة ودراسة تحركاتها ومتطلباتها.

(و) حدائق الإقليم:

١ ـ بعد مرحلة السلام فى المنطقة تمت إقامة عدد من الحدائق الإقليمية (الدولية) ويتطلب ذلك تعاون دول المنطقة.

٢ ـ ومن هذه الحدائق الدولية التى أقيمت أو المقترحة :

*حديقة التراث الحضارى فى أخدود وادى نهر الأردن.

*أكثر الحدائق انخفاضا على الأرض فى منطقة البحر الميت.

*حديقة الشعب المرجانية البحرية الدولية فى خليج العقبة

*حدائق الكثبان الرملية على طول سواحل شرق المتوسط.

(ز) مشروعات حماية المياه من التلوث ومشروعات تدوير مياه الصرف:

ويشمل ذلك :-

* مشروع معالجة مياه الصرف في القسم الأعلى من وادى الأردن (تعاون إسرائيل والأردن).

* مشروع دعم المصارف الصحية ومعالجتها في غزة، يؤدى إلى سلامة المياه الجوفية ومنع تلوث المتوسط.

* معالجة مياه الصرف الصحى في منطقة : العقبة - إيلات - طابا.

(ح) التأثير البيئى لزراعة الصحراء ومحاربة التصحر:

- إن الحفاظ على البيئة الصحراوية يمكن تحقيقه بالتعاون الإقليمى (مشروعات مشتركة) خاصة في موضوعات زراعة النباتات المقاومة للعطش وتنمية زراعة الصحراء واستخدام المياه المالحة.

(ط) مركز دعم التنمية المستمرة فى الإقليم:

١ - إن فكرة التنمية المستمرة أثيرت أول مرة من خلال لجنة الأمم المتحدة لتنمية البيئة عام ١٩٨٧، وطورت ودرست من خلال «قمة الأرض» فى «ريودى جانيرو» عام ١٩٩٢ .

٢ - وهناك اقتراح بإنشاء مركز للشرق الأوسط لدفع التنمية المستمرة أى المتدفقة دون عوائق، بمعنى أن يكون النمو مضطرا.

١٣ ـ القنوات إلى البحر الميت [1] :

(أ) عام :

١ ـ هناك إمكانية من توليد الطاقة الهيدوليكية باستغلال فارق الأرتفاع بين البحر الأحمر وبين البحر الميت، والفارق حوالى ٤٠٠م، وذلك لإنتاج الكهرباء والماء.

ـ والتقديرات تقول بأن إنشاء قناة، تربط بين المتوسط أو البحر الأحمر بالبحر الميت، ستؤدى إلى توليد طاقة كهربائية وفيرة، ويمكن بذلك زيادة موارد المياه بحوالى ٦٠٠ ـ ٨٠٠ مليون م٣ من تحلية المياه سنويا.

٢ ـ وقد أدى مناخ السلام إلى إعادة التفكير فى المشروعات السابقة فى هذا الصدد.

ـ ورغم تعدد اقتراحات طريق القناة الموصلة بين البحرين، فإن الاقتراح البارز، هو إنشاء قناة ـ نفق ـ تمتد ١١٣ كم من غزة وتجتاز جنوب بير سبع وتنتهى قرب الشاطئ الجنوبى للبحر الميت. وهذا الطريق هو أكثرها إمكانية للتنفيذ من زاوية استغلال الطاقة المائية وأيضا أقل تكلفة.

ـ وفى البداية سيتم ضخ المزيد من ماء المتوسط أكثر من مقدرة البحر الميت على التبخر، وهو أمر يرفع منسوب البحر الميت (٣٩٣)، وخلال مدة ١٥ سنة سيتم ضخ حوالى ١٧٥٠ مليون م٣ من مياه المتوسط سنويا إلى البحر الميت.

---

(١) من وجهة نظر إسرائيل.

ـ وبعد وصول البحر الميت إلى المستوى المستهدف (الثابت) سينخفض الضخ من المتوسط إلى ١٢٠٠ مليون م٣ سنويا، وبذا يبقى مستوى البحر الميت ثابتا وهذه العملية ستمكن المشروع الهيدروكهربى أن يولد طاقة كهربية، أو يؤدى إلى تحلية مياه لعدة عقود.

ـ والتمويل المطلوب هنا هو ٥ر٣ بليون (٣٥٠٠مليون) دولار.

٣ ـ وهناك بديل شمالى يتضمن طريقتين هما :

*قناة من حيفا.

*أو قناة من هاديرا Hadera، والتى تتكلف حوالى ٧ر٣ بليون دولار (٣٧٠٠ مليون)

(ب) قناة البحر الأحمر ـ البحر الميت:

١ ـ وهناك مشروعين فى هذا الصدد أحدهما، تدرسه إسرائيل، والآخر الأردن ويهدف كل مشروع إلى :

* توليد الكهرباء.

* تحلية المياه باستخدام الطاقة الكهربائية المولدة.

* زراعة وادى عربة وتنميته بشكل مشترك لفائدة كل من إسرائيل والأردن.

* تنمية السياحة.

٢ ـ ومع ذلك فإن هذا الطريق أطول من طريق غزة البحر الميت كما أنه أكثر كلفة ويخشى معه من التأثير على المياه الجوفية.

(جـ) تأثير القناة المقترحة على البحر الميت:

١ ـ إن كثافة مياه البحر المقترح ضخها تبلغ (١٠٢٨ر١) وهى أقرب للماء العذب منها إلى مياه البحر الميت التى تبلغ كثافتها (١٢٣٥ر١) ولهذا يكون هناك مياه فى الجزء العلوى من البحر الميت تتدفق ثم تتبخر مع بقاء المياه الأصلية للبحر الميت أسفلها بخصائصها شديدة الملوحة ودرجة حرارتها المختلفة.

ـ دفع تدفق مياه البحر المتوسط (أو الأحمر) واستمرار عملية التبخر فإن كثافة المياه على السطح تتناقص والبخر يتزايد، وهنا يمكن ضخ المياه من البحر الميت من عمق ٦٠م إلى (برك) الملاحات وهذه المياه تحتوى على نسبة معقولة من البوتاسيوم وهو أمر يتصل بهذه الصناعة.

٢ ـ وهناك أثر آخر إذ أن المياه من البحر الأبيض المتوسط تحتوى على نسبة عالية من السلفات، بينما تحتوى مياه البحر الميت على نسبة عالية من الكالسيوم وتزوج هذين المعدنيين بشروط خاصة يؤدى إلى وجود الجبس التى إن استمرت مدة طويلة تؤدى إلى نتائج سلبية على البحر الميت وهو أمر لا يزال قيد البحث.

تحليل ونقد للرؤية الإسرائيلية للشرق الأوسط
من خلال دراستها إلى مؤتمرى كازابلانكا وعمان.

تمهيد :

= إن الدراسة السياسية ـ الاجتماعية ـ الاقتصادية التى قدمتها إسرائيل فى مؤتمر عمان (أكتوبر/ ٩٥) تحت عنوان (خيارات التنمية من أجل التعاون فى منطقة الشرق الأوسط وشرق المتوسط ١٩٩٦) هى نفسها الدراسة التى قدمتها فى مؤتمر كازا بلانكا فى عام ١٩٩٤، مع تعديلات وإضافات تتفق والظروف الراهنة.

= وقد اشتملت هذه الدراسة على رؤية إسرائيل للشرق الأوسط وهى رؤية يمكن تلمسها من القراءة المباشرة ومن إستنباط مايقال بين السطور.

= وقد اشتملت الدراسة على رؤية شاملة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، لأنها تعبر عن رؤية استراتيجية لإسرائيل.

= وقد يكون من المفيد أن نناقش هذه الدراسة على مستويين:

* الأول: بإيراد ملاحظات على ما جاء بفصول الدراسة بشكل متتابع.

* والمستوى الثانى أن نلقى نظرة عامة على الرؤية الإسرائيلية.

المستوى الأول : (يتضمن ملاحظات جزئية)

١ - وأول ملاحظة :

يدركها الدارس ترد على العنوان وهو:-

«خيارات التنمية من أجل التعاون فى منطقة الشرق الأوسط وشرق المتوسط». وهنا نجد إسرائيل تفصل منطقة الشرق الأوسط بمواصفات تتفق ومصالحها، فنجد منطقة تمتد من جنوب إسرائيل وتستمر على طول الساحل وتتضمن جنوب إسرائيل، ومنطقة السلطة الفلسطينية، وشمال سيناء حتى الضفة الغربية لقناة السويس، وتتضمن مدن وموانى رئيسية مثل بورسعيد وأشدود وأشيكيلون وغزة والعريش ورفح المصرية.

- وهذه المنطقة تتضمن ثلاث دول هى إسرائيل والسلطة الفلسطينية ومصر.

- وعندما تطل على التقسيم الداخلى، نجد منطقة أخرى، تقدم موضوعا للتعاون الإقليمى، وهى منطقة خليج العقبة وتتضمن إسرائيل والأردن ومصر والسعودية - إن أمكن - ويلاحظ أن إسرائيل قاسم مشترك فى هذا التقسيم.

- ثم نجد منطقة ثالثة أسمتها إسرائيل منطقة فالق أو أخدود وادى الأردن، ويتضمن إسرائيل وسوريا والسلطة الفلسطينية والأردن، وفى الطرف الجنوبى للمنطقة يتصل الأخدود بمصر والسعودية.

- ويلاحظ هنا أيضا أن إسرائيل تعتبر قاسما مشتركا.

- ومع التعمق فى الدراسة نجد تقسيمات فرعية أخرى تعتبر إسرائيل فى القلب منها، وهو أمر يعنى نزعة نحو السيطرة والقيادة والرغبة فى القيام بدور المنسق.

٢ - الملاحظة الثانية :

نجدها فى مقدمة الدراسة التى استغرقت حوالى ٤٠ صفحة، والتى تعد أهم قسم فى الدراسة، حيث عرضتها الدراسة تحت تقسيم «القسم الأول» ضمن ثلاثة أقسام رئيسية.

(أ) وقد أكدت الدراسة الإسرائيلية أن المنطقة كانت مهد الديانات الرئيسية الثلاثة اليهودية والمسيحيين والإسلام، وهى إشارة ذكية خاصة بالدعاوى التاريخية والحضارية لإسرائيل.

(ب) وأشارت المقدمة إلى الصيغة المطلوبة لرفاهية الإقليم فى دائرة مترابطة على النحو التالى :-

- ضرورة التعاون الإقليمى إقتصاديا واجتماعيا، وهو أمر لا يتأتى إلا بتدعيم اتجاه السلام، وأيضا تخفيض نفقات التسلح ليسهل توجيهها ناحية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهى أمور تؤدى كلها إلى استقرار المنطقة وهى ظاهرة تسهم بدورها فى دعم اتجاهات السلام والتنمية ونزع السلاح ومنها السلاح النووى.

ـ والموقف الإيجابى المرتبط بالسلام والاستقرار بالمنطقة يقوم على قاعدة أو عملية ديمقراطية، وقيامها مشروط بالقضاء على الفقر والجهل ـ وهما يمثلان مهد الأصولية ـ وهو أمر له دلالة وإشارة (رغم أن الدراسة لم تحدد صراحة) إلى الأصولية الإسلامية بل والأصولية القومية، لأن تشكيل مستقبل المنطقة وفق التصور الإسرائيلى يناقض تصور الأصولية الإسلامية والقومية لمستقبل المنطقة.

٣ ـ الملاحظة الثالثة:

إن المقدمة أيضا تعبر عن إقتناع إسرائيل بأن العلاقات الكمية مثل، المساحة والموارد وعدد السكان إلخ، لم تعد بنفس الأهمية الآن، لأن البعد الكيفى اكتسب أهمية، ويقصد به التقدم العلمى بشكل عام وجو الاستقرار. بالإضافة إلى أن المنتصر فى أى نزاع يمكن أن يسيطر على العوامل المادية ولكنه يفتح الطريق أمام جولة جديدة من النزاع فى حلقة مفرعة لأن المنتصر لايستطيع أن يسيطر على العوامل الكيفية.

ـ وهنا نجد أن إسرائيل قد تبينت فشل العدوان والتوسع وأنها لن تحقق الاستقرار والسلام بمجرد التفوق العسكرى.

٤ ـ الملاحظة الرابعة ـ (من المقدمة)

= وترى إسرائيل أن حل مشكلات دول المنطقة لن تتأتى منفردا أو ثنائيا، بل لابد من قيام تنظيم إقليمى يضم دول المنطقة التى تكون منها سوقها المشترك وآلياتها، وهو أمر يتطلب ثورة فى الفكر والإستناد إلى تنظيم إقليمى فوق القومية لأن الإتجاه القومى متعصب ويؤدى إلى القلاقل والفوضى.

= وهنا نلمح التخوف الإسرائيل من القومية العربية لأن تحرك إسرائيل فى وجود هذه القومية يعتبر صعبا وضئيل التأثير، ولكنه بالقضاء على الفكر القومى يمكن قيام شرق أوسط جديد بعلاقات منافع مشتركة وعلاقات مادية بعيدا عن تراكمات الفكر القومى.

٥ ـ الملاحظة الخامسة :ـ (من المقدمة أيضا)

= وقد أكدت الدراسة الإسرائيلية، واهتمت بأربعة نقاط حددتها :

* مشكلة التسلح حيث تنفق المنطقة حوالى ٦٠ ألف مليون دولار (٦٠ بليون) يمكن أن يخصص نصفها للتنمية.
* ندرة المياه فى المنطقة ويلزم لذلك استخدام تكنولوجيا تحلية مياه البحر وتدوير مخلفات الصرف.
* والمشكلة الثالثة تكمن فى ضرورة استكمال البنية الأساسية فى مجال النقل، لأن البنية ضرورية من أجل حرية انتقال السلع والأشخاص والأموال.

= وقد أبرزت الدراسة مجال السياحة كأبرز مجال فى التنمية نظرا لإمكانات الإقليم تاريخيا ودينيا وجغرافيا وطبيعيا.

٦ ـ الملاحظة السادسة :

= تؤكد الدراسة على أهمية ودور القطاع الخاص فى مجال التنمية الإقليمية، وضرورة فك القطاع العام ومعالجة المشكلات المتراكمة، مثل مشكلات العملة والتدخل الحكومى وهو دور يخدم رؤية إسرائيل الاقتصادية الثلاثية على النحو التالى :ـ

(أ) حدود مفتوحة.

(ب) تعاون اقتصادى إقليمى.

(جـ) حرية انتقال الأشخاص والسلع والخدمات عبر الحدود.

= وكل ما سبق يخلق سوق شرق أوسطية، سيكون لإسرائيل بطبيعة الحال دور فعال وقائد فيها نظرا لما حققته من إنجازات اقتصادية وعلمية وعسكرية.

٧ ـ الملاحظة السابعة : (التسلح والسلاح النووى)

= إن إسرائيل حددت أسلوب نزع أسلحة الدمار الشامل ويسبق ذلك فى تصورها :ـ

(أ) تدعيم السلام.

(ب) إستمرار التقدم والتنمية الاقتصادية.

(جـ) تدعيم الاستقرار السياسى فى المنطقة تبعا لذلك.

(د) وكل هذا يؤدى إلى نزع السلاح ووجود توازن فى التسلح.

(هـ) ومن ثم (وفق التعبير الإسرائيلى) تصبح المنطقة منزوعة أسلحة الدمار الشامل .

٨ ـ الملاحظة الثامنة : ـ

= إن إسرائيل قد حددت عوامل إضافية من أجل النمو الاقتصادى والتعاون الإقليمى المتوازن ودعم السلام والاستقرار فيما يلى :ـ

(أ) معالجة الأنفجار السكانى وهو أمر لا شك يضايق إسرائيل رغم إنتصاراتها العسكرية، لأن إستمرار النمو السكانى العربى يهدد فى التصور الإسرائيلى الأمن والأستقرار فى المنطقة.

(ب) ومكافحة الاستقطاب الاجتماعى، وتقصد الدراسة التطرف الأصولى الإسلامى والقومى.

(جـ) ضرورة إزالة الحواجز المصطنعة (الحدود).

(د) وإلغاء المقاطعة العربية.

(هـ) والتصدى لندرة المياه فى المنطقة.

٩ ـ الملاحظة التاسعة: ـ

ترتبط بمصادر الاستثمار والتمويل وهو أمر هام من أجل تحقيق التنمية الإقليمية المنشودة. وترى إسرائيل أن السلام يجذب رؤوس الأموال للمنطقة، وخاصة أن المنطقة تحوز إمكانات ضخمة أمام الإستثمار.

= وحددت الدراسة الإسرائيلية المتطلبات المالية بحوالى من ١٨ ـ ٢٧ بليون (ألف مليون) دولار فى فترة من ٥ ـ ١٠ سنوات قادمة.

= ويلزم لذلك خطة كاملة لتحديد الأولويات وجدوى المشروعات وطرق تنفيذها.

= ولم تستبعد الدراسة المدخرات فى المنطقة ذاتها والأموال التى تتوفر نتيجة الحد من التسلح.

١٠ ـ الملاحظة العاشرة :

إن الدراسة الإسرائيلية اهتمت بتحديد أولويات وخيارات التنمية الإقليمية فى ١٢ بند هى :ـ

١ ـ المياه. ٢ ـ الزراعة.

٣ ـ السياحة. ٤ ـ النقل.

٥ ـ الطاقة ٦ ـ المواصلات السلكية واللاسلكية.

٧ ـ الموارد البشرية ٨ ـ التسهيلات والتجارة والصناعة.

٩ ـ الصحة العامة ١٠ـ البيئة بما فى ذلك الحدائق الدولية(١).

١١ ـ محاربة التصحر والعمل على استصلاح الصحراء والحفاظ على مظاهر الحضارة. ١٢ ـ القنوات.

= وهى خيارات تبين الأولوية الإسرائيلية وأولها المياه، وقد حددت الدراسة مبلغ ٩٠٠٠ مليون دولار لمشروعاتها، أى أكثر من المبالغ المخصصة للمشروعات جميعا).

= كما تعبر عن شبكة من المصالح، تربط مصالح دول الإقليم فى كل نواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية وهو أمر يتلخص فى النهاية فى كلمة (التطبيع الكامل)، وإحلال الفكر الاقتصادى محل الفكر القومى.

١١ ـ الملاحظة الحادية عشر :ـ

= تبدو من الدراسة صورة اقتصادية ـ اجتماعية ـ حرصت إسرائيل على إبرازها ومؤداها :ـ

(١) حدائق شاسعة مقترح إقامتها بين الدول بدلا من الحدود المسلحة.

(أ) فى مجال الناتج المحلى الإجمالى فى المنطقة (ضمت الدراسة سبع دول فقط) تبين أن عدد سكان الدول السبع ١٠٠ مليون حققوا عام ١٩٩٢ حوالى ٢٤٤ بليون (ألف مليون) دولار كان نصيب مصر فيه ١٥ ٪ (عدد سكان حوالى ٥٥ مليون)، والسعودية ٥٠٪ من الناتج (السكان حوالى ١٧ مليون)، وإسرائيل حققت أكثر من ٢٥ ٪ (بعدد سكان حوالى ٥ مليون) وبقية المجموع سوريا والأردن ولبنان والسلطة الفلسطينية الباقى حوالى ١٠ ٪ (بعدد السكان حوالى ٢٢ مليون).

(ب) أما عن متوسط دخل الفرد، فنجد تفاوتا كبيرا، فالمتوسط بالمنطقة ٢٤٦٠ دولار ولكن دخل الفرد فى إسرائيل ١٢٫٤٣٠ دولار وفى السعودية ٧٠٧٠ وفى مصر ٦٣٠ دولار.

(جـ) ومؤشرات الزراعة والصناعة والتعليم والرعاية الصحية وغيرها، يبين مدى التفوق الإسرائيلى ومدى الفقر العربى عامة والمصرى خاصة.

١٢ ـ الملاحظة الثانية عشر :

نجدها فى القسم الثانى ويحمل عنوان «خيارات التنمية الإقليمية» ويتضمن ثلاث فصول يتعرض الفصل الأول منها لحوض وادى الأردن وهى منطقة شحيحة المياه وتحوز إمكانات ضخمة فى السياحة، وقد خططت إسرائيل لتنمية هذه المنطقة بالاشتراك مع الأردن والسلطة الفلسطينية، وقدمت بشأنها إسرائيل العديد من المشروعات وهو أمر سيؤدى على المدى الطويل أو المتوسط إلى ربط مصالح الوحدات السياسية وشعوب المنطقة بعضها ببعض.

١٣ ـ الملاحظة الثالثة عشر :

موضعها الفصل الثانى بعنوان «خليج العقبة» الذى تحده إسرائيل والأردن ومصر السعودية، وقد أفردت إسرائيل لمنطقة العقبة مشروعات فى كثافة خاصة بينها وبين الأردن، ثم فتحت المجال أمام مصر بشكل محدود، وأعلنت عن إمكانية إنضمام السعودية إلى المشروعات المقترحة. ونلاحظ هنا أيضا أن إسرائيل تصنف المناطق بحيث تصبح هى اللاعب الرئيسى بها.

١٤ ـ الملاحظة الرابعة عشر:

وترد على الفصل الثالث وجاء بعنوان «شرق المتوسط» ويمتد من جنوب إسرائيل إلى قناة السويس.

- وقد عرضت إسرائيل مشروعات تستفيد من الموقع الجغرافى المتميز بمشاركة ٣ وحدات سياسية هى: إسرائيل ومصر والسلطة الفلسطينية.
- وقد اهتمت إسرائيل بتنمية الطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية وبمد خط غاز من مصر إلى إسرائيل عبر أراضى السلطة الفلسطينية.

١٥ـ الملاحظة الخامسة عشر :

التى ترد إبتداء من القسم الثالث، نجدها فى الفصل الرابع عن «خيارات تنمية المياه» إذ تقرر إسرائيل فى دراستها أن كثير من دول المنطقة تعتبر المياه سلعة نادرة، فنجد كل من إسرائيل وسوريا

والأردن والسلطة الفلسطينية تستخدم كل موارد المياه المتاحة وتجابه عجزا مستمرا ومتزايدا على مر السنين، وخاصة نتيجة زيادة السكان وتدعيم الصناعة والأنشطة الاقتصادية الأخرى.

ـ ويتخوف عدد كبير من المراقبين من أن النزاعات القادمة فى المنطقة ستكون حول المياه والسيطرة على منابعها. ولعل النظرة التوسعية الإسرائيلية التى رسمت داخل الكنيست خريطة إسرائيل الكبرى وكتبت عليها الجملة التى عبرت عن الخطة التوسعية لقادة الحركة الصهيونية «من النيل إلى الفرات» لعل هذه النظرة كانت تضع فى الاعتبار فيها كل موارد المياه فى النيل والفرات.

= وقد أدت ندرة المياه إلى اهتمام إسرائيل بمشروعات تحلية مياه البحر، والبحث عن نباتات وأشجار تتحمل ملوحة الماء وطول فترة الجفاف، وهى مشروعات تقدمها للبحث المشترك مع كل من الأردن والسلطة الفلسطينية.

١٦ ـ الملاحظة السادسة عشر:

نجدها فى الفصل السابع الذى يتحدث عن «خيارات التنمية السياحية»، فقد أكدت الدراسة أن حجم السياحة إلى إسرائيل قد زاد بفضل السلام.

ـ فقد وصل إسرائيل عام ١٩٩٤/ ١٧ر٢ مليون سائح، وزاد بزيادة خمس مرات عن عام ١٩٧٠، حصلت إسرائيل من ورائهم على ٢٣٥٠ مليون دولار (٣٥ر٢ بليون).

ـ وهذه الصورة تبين أن السلام جاء لمصلحة إسرائيل ويمكن أن تأتى لمصلحة غيرها من الدول العربية الأخرى أيضا.

- ومع ذلك فإن تدعيم السلام سيؤدى أيضا إلى جذب السياحة من مصر ومن لبنان ناحية إسرائيل نظرا للمغريات المتعددة التى تقدمها إسرائيل للسائح العربى والتى إن تعارضت مع تقاليد الدول العربية لا تتعارض مع التقاليد الإسرائيلية.

١٧ - الملاحظة السابعة عشر:

ترد على الفصل التاسع من الدراسة عن خيارات تنمية النقل: فيلاحظ أن إسرائيل مهتمة إهتماما واضحا بالطرق والمشروعات التى تقدمت بها، تشير إلى طرق من شمال أفريقيا عبر قناة السويس إلى سيناء على الساحل، ثم عبر منطقة السلطة الفلسطينية لتنضم إلى شبكة الطرق. وقلب هذه الشبكة فى إسرائيل وتتجه الطرق شمالا وجنوبا وشرقا وغربا.

- كذلك اهتمت إسرائيل بدعم الخطوط البحرية والجوية الإقليمية وكل ذلك لخدمة التنمية الإقليمية، وأبرزها السياحة والتجارة ولخدمة أهداف إسرائيل فى سهولة انتقال السلع والأشخاص والأموال.

١٨ - الملاحظة الثامنة عشر:

خاصة بتنمية الطاقة فى المنطقة، وتهتم إسرائيل بذلك اهتماما بالغا لأنها دولة تحتاج إلى استيراد البترول وتبحث عن طاقة رخيصة لتحلية مياه البحر والمياه لنصف مالحة من مصادر المياه الأرضية.

- وتركز إسرائيل على ضرورة ربط شبكات الكهرباء فى المنطقة كلها.

- كما قدمت مشروعات لمد أنابيب الغاز من كل من مصر وقطر إلى إسرائيل وإلى غيرها من دول المنطقة.

- وألمحت إلى إمكانية نقل البترول السعودى عبر الأراضى الإسرائيلية.

- على أن أبرز المشاريع لإنتاج الطاقة هو مشروع شق قناة من البحر المتوسط (أو الأحمر) إلى البحر الميت، والإستفادة من فارق المستوى (٤٠٠م).

١٩ ـ الملاحظة التاسعة عشر:

- ولعل أبرز مجال تصول فيه إسرائيل وتجول هو مجال الإتصالات السلكية واللاسلكية ومجال المعلومات والكمبيوتر. ولهذا تعد إسرائيل نفسها لتكون مركزا لتقديم هذه السلع والخدمات مع استمرار ودعم عملية السلام وهو مجال يدر أرباحا طائلة.

٢٠ ـ والملحوظة الأخيرة :

- هى عن القناة المقترحة بربط البحر (الأبيض أو الأحمر) بالبحر الميت بقناة تستفيد من فارق المستوى (٤٠٠م) إذ أن مستوى سطح البحر الميت يقل عن مستوى سطح البحر (٤٠٠م).

- ومشروع قناة البحر الميت الذى يخدم فى مجال توليد الكهرباء لم يصل إلى مرحلة التنفيذ، بل لا يزال فى مرحلة الدراسة، لأن هناك عدد من العوائق أبرزها: ضرورة التعرف على تأثير ضخ مياه البحر بكميات كبيرة إلى البحر الميت على المياه الجوفية بالمنطقة وتأثير القناة على الأوضاع الجيولوجية العامة.

المستوى الثانى :

نظرة عامة:

أولا : أهداف إسرائيل:

إن أهداف إسرائيل تتتابع فى خطوات تؤدى فى النهاية إلى الهدف الأكبر أو الأساسى.

١ ـ وأول هذه الأهداف هو إنهاء النزاع فى المنطقة، أى تحقيق السلام بالمفهوم السياسى بأقل التكاليف، وتؤكد على الجملة الأخيرة بأقل التكاليف.

ـ وإنهاء النزاع نفسه يتم على مراحل بدأت بالمرحلة الأولى بكامب دافيد، والثانية بالاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى، والثالثة بالإتفاق مع الأردن والبقية تأتى.

٢ ـ والهدف الثانى لإسرائيل هو تحقيق الاستقرار فى المنطقة، لأن إتفاقيات السلام وحدها لا تضمن الإستقرار.

ـ وأمام دعم الإستقرار عدة معوقات أبرزها:

(أ) معارضة الأصولية الإسلامية للسلام الإسرائيلى بمعنى السلام غير الكامل.

(ب) معارضة الأصولية القومية، ومنها الناصريين ، للسلام ـ الإستسلامى.

(جـ) مقاومة الشعوب لتنمية العلاقات مع إسرائيل بسبب تاريخ العدوان والوحشية الإسرائيلية.

(د) تزايد عدد السكان فى الدول العربية بسبب التخلف ولأسباب دينية.

(هـ) غلق الحدود بين الدول فى المنطقة وهو نمط اعتادت عليه الإدارة فى المنطقة.

(و) صعوبة إنتقال الأشخاص والأموال عبر الحدود.

(ز) إستمرار التسلح فى المنطقة مع اتجاه العالم إلى الخفض ثم نزع السلاح.

(ح) غياب النمط الديمقراطى للنظم القائمة فى المنطقة، والديمقراطية تعد عاصما أمام مفاجآت النظم السياسية الشمولية.

(ط) تفشى الفقر والجهل فى المنطقة (التخلف العام) والقضاء عليهما يمثل ضرورة ملحة (وفق التصور الإسرائيلى فى الدراسة) لأنهما يمثلان مهد الأصولية (أى الأرض التى تترعرع فيها الأصولية وتنمو).

(ى) استمرار الوعى القومى فى دول المنطقة وترى إسرائيل أن القومية تعنى التطرف والعنف والإضطراب، أما النظام فوق القومى (supper , National) فهو يتيح التنمية والإستقرار والتفاهم.

(ك) ندرة المياه بالمنطقة وهو أمر يؤدى إلى النزاع وعدم الإستقرار فى المستقبل، إن لم توظف التكنولوجيا فى مشروعات عملاقة إقليمية لإيجاد حل جذرى وشامل ودائم لهذه المشكلة.

(ل) إستمرار الإحتكار النووى لإسرائيل، وهى ورقة فى التصور الإسرائيلى تحتفظ بها حتى يتحقق السلام الكامل والإستقرار فى المنطقة ونزع السلاح وعندئذ يقوم برنامج إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل.

٣ ـ والهدف الثالث لإسرائيل هو التنمية الاقتصادية ـ الاجتماعية.

(أ) وقد عرضت إسرائيل فى دراستها مشروعات فى أكثر من ١٢ مجالا بدءا بالمياه وإنتهاء بقناة البحر الميت.

(ب) وقسمت إسرائيل الشرق الأوسط إلى عدة مناطق فى مجالات التنمية بحيث أصبحت إسرائيل قاسما مشتركا فى هذه المناطق وذلك بهدف التفتيت ثم التجميع، والتفتيت هو للدول العربية، والجمع يتم عن طريق إسرائيل وهو أمر واضح فى مجال إنشاء الطرق الحديدية وأنابيب البترول والغاز والسياحة والمراكز المتخصصة.

(جـ) وقد اهتمت إسرائيل بالبعد الإجتماعى فى التنمية ومن ذلك التعليم والتدريب المهنى والصحة العامة.

٤ ـ والهدف الرابع والأخير فى هذه المرحلة هو التطبيع الكامل. لأن الإجراءات السابق الإشارة إليها فى الأهداف والقضاء أو تذليل الصعوبات أمام الإستقرار، كل ذلك يؤدى إلى التطبيع الكامل.

ـ والتطبيع يعنى القبول الإسرائيلى فى المنطقة بشكل طبيعى وإقامة علاقات معها دون معوقات أو حساسيات تاريخية أو دينية.

ثانيا : مقومات التطبيع الكامل :ـ

١ ـ إن التطبيع هو المحطة الأخيرة فى الفترة الحالية، وهو هدف إسرائيلى وأمريكى فى نفس الوقت، لأن الولايات المتحدة الأمريكية تدفع هى الأخرى فى إتجاه هذا التطبيع وتضعه شرطا لمعوناتها وعلاقاتها المتميزة.

ـ والتطبيع فى النهاية يطلق إمكانات إسرائيل من عقالها، ويتيح لها توظيف طاقاتها التكنولوجية والعلمية والإدارية والمالية لتحقيق نمو وفوائض لا تتحقق لها فى زمن المقاطعة العربية والحروب وعدم الإستقرار.

ـ كما يتيح التطبيع فرصة أمام الولايات المتحدة لتسكين أوضاع المنطقة وقطع المعونات المالية عنها مع استمرار حصولها على وضع متميز فى الأسواق الشرق أوسطية.

٢ ـ إلا أن التطبيع الكامل تلزمه أدوات أو مقومات حتى يتحقق بالشكل المطلوب ومن ذلك :ـ

رابعاً : ربط المنطقة بشبكة مشروعات اقتصادية واجتماعية :

(أ) واحدة تؤدى إلى قيام علاقات متميزة جديدة تنهى أوضاع المنطقة السابقة وتؤدى إلى قيام مفهوم شرق ـ أوسطى بديلا عن الصيغة العربية.

(ب) القضاء على معوقات الاستقرار السابق الإشارة إليها: ،وهو أمر يستلزم وقتا وجهدا ومالا .

(جـ) ضرورة خلق عدو أو أعداء مشتركين، وقد وجدت الولايات المتحدة وإسرائيل فى الإرهاب الضالة المنشودة ـ دون أن تسمية الإرهاب الإسلامى ـ حتى لا تستفز دول المنطقة وهنا يتم حشد الطاقات وتوجيه الضربات إلى العدو المشترك، وقد جاء إغتيال رابين رئيس وزراء إسرائيل على يد إرهابى وأصولى يهودى ليدعم هذا الإتجاه.

(د) وهناك عدو آخر هو القومية التى تعوق من نمو المنطقة وتغذى التطرف والإرهاب وتؤدى إلى عدم الإستقرار.

(هـ) ويضاف عدو آخر وهو الأنفجار السكانى.

(و) وندرة المياه.

ثالثا :ـ الفارق بين التصور والتنفيذ :ـ

١ ـ ويبقى الآن أن نعيد قراءة ما ذكر، لنتبين أن هناك فارقا بين التصور المعروض وبين الممكن أو مجال التنفيذ.

لأن إسرائيل تتناقض فى خطواتها، فهى تريد السلام والإستقرار وتحتفظ فى نفس الوقت بأسلحة الدمار الشامل، ودول أخرى عربية تريد السلام والإستقرار، التطبيع إلا أنها لن توافق على التطبيع مع إسرائيل التى تمتلك سلاحا نوويا تهدد به وتبتز دول المنطقة. وإسرائيل تتصور أنها لاتزال تعيش فى محيط معادى ولذا تريد الإحتفاظ بورقة السلاح النووى حتى تطمئن وهذا هو موقف أو صيغة يصعب إيجاد مخرج لها، لأن بناء الثقة يستلزم إزالة الأسلحة النووية وإلا عمدت دولة عربية إلى محاولة الإستحواذ على سلاح

نووى أو كيماوى ردا على التهديد الإسرائيلى، وهنا ندخل إلى حلقة مفزعة ونعود من حيث أتينا.

٢ ـ هذا بالإضافة إلى أن إسرائيل قد عرضت مشروعاتها لتنمية المنطقة بشكل يبين رغبتها فى الإستحواذ على أكبر قدر من المنفعة وهو أمر يتناقض مع رغبتها فى التطبيع الكامل.

٣ ـ ويضاف أيضا هنا العقبة الكبرى وهى القدس، إذ أن الشعوب الإسلامية لن تتسامح فى هذه النقطة وإسرائيل متصلبة حيالها وعليها إن أرادت التطبيع فعلا أن تصل إلى حل تفاوضى فى شأن هذه المشكلة.

٤ ـ ونجد هناك أيضا شوكة قاتلة فى جسد التطبيع وهو، إصرار إسرائيل على استمرار بقاء المستوطنات فى الأرض المحتلة حتى بعد تقرير المصير وهو أمر يعد قنبلة موقوتة ستؤدى إلى الصدام فى المستقبل القريب وخاصة أن أسلوب المستوطنات هو أسلوب إستعمارى إستيطانى يتنافى مع رغبة إسرائيل فى السلام والتطبيع.

٥ ـ وأخيرا هناك صعوبة أخرى، وهى أن التطبيع يتطلب وقتا وصبرا وثقة ولا يتم بعصا سحرية أو بعدد من المشروعات لأن التطبيع يتصل أساسا بعلاقات معنوية بين البشر.

رابعا : ـ خلاصة :

ـ وأخيرا لا يمكن اعتبار الملاحظات السابقة بمثابة نظرة يائسة، بل يعد تحذيرا لأن التطبيع ممكن فى ظل علاقات عادلة ومنصفة وعلى أساس من الثقة.

- والمناخ الدولى العام فى الوقت الراهن مواتٍ ومجند لعملية السلام والاستقرار والتطبيع.

- والمناخ الداخلى فى إسرائيل رغم التطرف والإرهاب اليهودى الأصولى يدعم التوجه نحو الاستقرار وخاصة أن إسرائيل فقدت دورها كذراع رادعة للولايات المتحدة بعد السقوط السوفييتى ولأنها تبينت أن الحل العسكرى لن يخدم إستقرارها وأن التوسع غير مقبول دوليا.

القسم الرابع عشر

المشاكل التى تواجه عملية السلام الشرق أوسطية

الفصل الأول

وضع القدس «لب القضية الفلسطينية»

الفصل الثاني

المأزق السورى الإسرائيلى والإنسحاب من الجولان ولبنان.

الفصل الثالث

أهمية اخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل

- القدس
- المشكلة السورية اللبنانية
- إخلاء المنطقة من السلاح النووى.

تعتبر هذه المسائل الثلاث هى العقبات الرئيسية التى تتطلب الحل حتى يمكن اقتحام السلام.

وما لم توجد الحلول الكفيلة بتخطى هذه العقبات الكؤود بما يرضى كافة الأطراف، فعلينا الا نبنى الآمال على كثبان من الرمال.

الفصل الأول

وضع القدس

«لب القضية الفسطينية»

أولاً: وضع القدس:

١ ـ تنفرد القدس عن بقية مدن العالم بمكانتها الروحية والتارخية والحضارية ، وقد انتقلت السيادة على القدس بعد تطورات تاريخية إلى الدولة العثمانية فى عهد سليم الأول عام ١٥١٧م. وقد وقعت الدولة العثمانية على معاهدات بسبب التسامح الدينى، أو الضغط الدولى، الذى استغل ضعف الدولة العثمانية، منحت بموجبها بعض الدول الأوروبية حق حماية أماكنها المقدسة مع ما يحمله هذا من امتيازات خاصة، وهو أمر أدى إلى تغلغل النفوذ الأوروبى فى أنحاء الأمبراطورية العثمانية بما فيها فلسطين.

وقد شجعت الدول الأوروبية اليهود على تملك الأراضى فى فلسطين منذ عام ١٨٣٠م، وقد تنبه محمد على الكبير حين كانت فلسطين تحت الإدارة المصرية (١٨٣١ ـ ١٨٤١) إلى خطر هذه التحركات اليهودية فأصدر أمرا بمنع اليهود من تملك الأراضى.

٢ - وبعد قيام الحرب العالمية الأولى نجح زعماء الصهيونية فى الحصول على وعد بلفور فى نوفمبر ١٩١٧، الذى يعد باقامة وطن لليهود فى فلسطين.

وفى ديسمبر ١٩١٧ تمكنت القوات البريطانية من احتلال القدس ثم بقية فلسطين عام ١٩١٨ .

وفى عام ١٩٢٢ أصدرت عصبة الأمم صك انتداب بريطانيا على فلسطين، وبهذا اكتملت جوانب التسهيلات التى تمكن الحركة الصهيونية من تحويل الحكم إلى ركيزة ومن ثم إلى دولة.

٣ - وفى نوفمبر ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بتقسيم فلسطين إلى دولتين، احداهما عربية والأخرى يهودية، على أن تكون القدس كيانا منفصلا ويخضع لإدارة دولية.

وكان من نتائج حرب ١٩٤٨ أن تمكنت إسرائيل من احتلال القدس الجديدة، ومساحتها أكبر بكثير من مساحة القدس القديمة، كما احتلت مساحة من أراضى فلسطين تفوق ماحدده لها قرار التقسيم. وتبقى للعرب الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس القديمة (الشرقية). كما احتفظت إسرائيل بموجب اتفاقية وقعتها مع الأردن فى يوليو ١٩٤٨ بمستشفى الهدايا والجامعة العربية، وهى من المنشآت داخل القدس الشرقية وبذلك أصبحت القدس مقسمة نتيجة لحرب ١٩٤٨ .

وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارين يؤكدان تدويل القدس، الأول فى ديسمبر ١٩٤٨ والثانى فى ديسمبر ١٩٤٩ .

وقد تحدت إسرائيل كعادتها القرارات الدولية وأصدرت ردا على قرارات الأمم المتحدة، قرارها فى ١٩٤٩/١٢/١١ بجعل

القدس عاصمتها الرسمية بدلا من تل أبيب، ووافق الكنيست على إعلان القدس عاصمة دائمة لإسرائيل فى ١٩٥٠/١/٢٣ .

وفى ١٩٥٠/٤/٥ أقر مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة الصيغة النهائية لدستور القدس، ودعا كلا من إسرائيل والأردن إلى التعاون من أجل تنفيذ هذا النظام، إلا أن الأردن أعلنت فى ١٩٥٠/٤/٢٤ بعد موافقة البرلمان وتصديق الملك عبد الله ضم الضفة الغربية بما فيها القدس القديمة إلى المملكة الأردنية.

وبعد هذه التطورات من جانب كل من إسرائيل والأردن عرضت قضية القدس على الجمعية العامة ونوقش مشروع التدويل الذى ظل ينتظر التنفيذ.

٤ ـ وبعد حرب عام ١٩٦٧ تمكنت إسرائيل من احتلال القدس العربية (الشرقية) يوم ١٩٦٧/٦/٧ . ثم احتلت باقى أنحاء الضفة وغزة وأصبحت فلسطين كلها بذلك تحت سيطرة إسرائيل، وهو أمر مكنها من إزالة الأحياء العربية ومصادرة أراضيها وإقامة أحياء سكنية يهودية والأستمرار فى إقامة المستوطنات بها من أجل تغيير هويتها.

ثم اكتملت حلقة العدوان بقيام الكنيست فى ١٩٨٠/٧/٣٠ باصدار قانون اعتبر القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.

٥ ـ وقد رفضت مصر محاولة طمس هوية القدس، وأعلنت أنها جزء لا يتجزأ (القدس الشرقية) من الضفة الغربية المحتلة، وقد أيدت الأمم المتحدة ذلك فى العديد من قراراتها.

وترى الولايات المتحدة وفق البيان الذى ألقاه السفير الأمريكى «آرثر جولد برج» أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى يوليو ١٩٦٧، وما أكده السفير الأمريكى «تشارلز بوست» أمام مجلس الأمن فى يوليو ١٩٦٩، أن القدس الشرقية هى منطقة محتلة تخضع لقانون الاحتلال الحربى، ولا يجوز لإسرائيل إدخال تغييرات عليها.

ولا تختلف مواقف الدول العربية والإسلامية عن موقف مصر وموقف الولايات المتحدة من حيث الجوهر.

٦ - وقد كان وضع مدينة القدس بمثابة عقبة فى المفاوضات الرامية إلى تحقيق اتفاق النوايا الفلسطينى الإسرائيلى، الذى عرف باتفاق «غزة أريحا»، واتفق الطرفان على تأجيل مناقشة مستقبل القدس إلى مرحلة لاحقة.

أما معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية فقد أشارت إلى وضع متميز للأردن فى رعاية الأماكن المقدسة فى القدس، وهو أمر أثار معارضة وهجوم الفصائل الفلسطينية ومنها حكومة الرئيس ياسر عرفات.

٧ - وتحولت مشكلة القدس إلى قنبلة موقوتة تهدد السلام برمته فى الشرق الأوسط ومن ذلك أن :

(أ) الملك حسين يتصور أن له دورا دينيا فى رعاية القدس، وقد حصل على إشارة بذلك فى معاهدته مع إسرائيل.

(ب) والرئيس ياسر عرفات أعلن غاضبا أن موضوع القدس يخص الفلسطينيون وحدهم، وأن القدس الشرقية هى عاصمة الدولة الفلسطينية المرتقبة.

(جـ) والملك الحسن الثانى وهو رئيس لجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامى له علاقاته الوثيقة بالقيادة الإسرائيلية لم يتصور أنه يمكن تجاوز دوره فى هذا الصدد.

(د) وملك السعودية مع ماهو معروف من تنافس تاريخى بين العائلتين السعودية والهاشمية، لم يرحب بإعلان واشنطن الذى أعطى العاهل الأردنى وضعا متميزا فى القدس وخاصة أن ملك السعودية يلقب بخادم الحرمين ويرفض التخلى عن التزامه بحماية المسجد الأقصى واستعادة القدس.

٨ ـ ومع ذلك ستبقى مشكلة القدس معلقة ولن يحلها إلا تطلع إسرائيل للإستفادة اقتصاديا من ثروات الدول العربية، وهنا ستضطر للتنازل بشأن القدس، وخاصة أن القدس تحكمها قرارات دولية صادرة عن الأمم المتحدة.

تعقيب

أوضح عقد التسعينيات بعد زوال الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفييتى، أن قرارات الأمم المحدة العديدة الصادرة بإدانة إسرائيل أصبح من الممكن تعديلها وتبديلها حسب اهواء القوة العظمى الوحيدة فى العالم الآن وهى الولايات المتحدة الأمريكية، التى دائما ما تخضع لضغط الصهيونية العالمية ووفق أهوائها ومصالحها. وكان أول مثال صارخ على ذلك هو تبديل القرار الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى السبعينيات باعتبار الصهيونية شكل من أشكال العنصرية، حيث تم إلغاء هذا القرار فى عهد الرئيس «بوش».

وقد جاء الدور الآن على قرارات الأمم المتحدة الصادرة فى شأن مدينة القدس. حيث مهد الرئيس «كلنتون» لتعديل قرارات الأمم المتحدة الصادرة فى هذا الصدد. والاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ،وقد وافق «الكونجرس» على نقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس ضاربا بذلك عرض الحائط بكافة القرارات والمواثيق الدولية الصادرة فى هذا الخصوص.

ثانيا: أزمة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس :

١ ـ قرار النقل :

(أ) بعد أن كانت الولايات المتحدة تتلاشى تغيير وضع القدس حتى لا تصطدم بقرارات الأمم المتحدة، فاجأ «الكونجرس» الأمريكى العالم أجمع بقرار نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

= وقد توصل المجلس إلى صيغة تجنب استخدام فيتو رئاسى، من الرئيس «كلينتون» ضد مشروع القانون الذى ظهر فى ١٩٩٥/١٠/٢٤ وهو أمر أدى إلى إقراره بما يشبه الإجماع.

= وقد نص القرار على أن يتم نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس قبل ٣١ مايو ١٩٩٩، والسماح للرئيس الأمريكى ـ باتفاق الأعضاء ـ بوقف النقل لفترة محددة لإعتبارات تتعلق بالأمن القومى.

(ب) ويتفق الموعد المحدد لنقل السفارة الأمريكية مع إنتهاء الفترة الإنتقالية للحكم الذاتى الفلسطينى ومدتها خمس سنوات.

(جـ) وقد أعلن الرئيس الأمريكى «كلينتون» معارضته لهذا التشريع مؤكدا أنه لن يوقع القانون، وأكد أنه سيستخدم سلطاته الدستورية لتعليق إجراءات نقل السفارة إلى القدس.

= وذكر أن صدور التشريع فى هذه المرحلة الحاسمة من المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية يعد خطأ فادحا، وأن هذه الخطوة قد تعرقل عملية السلام.

= كما أكدت الإدارة الأمريكية رفضها أن تصبح عملية السلام فى الشرق الأوسط رهينة بقرارات الكونجرس حول القدس ووقف المساعدات للسلطة الفلسطينية.

٢ ـ مقاومة القرار :

(أ) أوضحنا من قبل أن الرئيس كلينتون قد قاوم فرض القرار لأنه يضر بعملية السلام.

(ب) وعلق وزير الخارجية المصرى بأن القرار لم يكن له أى داع نظرا لتأثيره البالغ على إتجاهات السلام، لأن القدس لاتزال موضوعا مفتوحا للمفاوضات ،ومع ذلك فالقانون بصيغته الراهنة قد لا يؤدى بالضرورة إلى نقل السفارة.

(جـ) وأكد السفير الفلسطينى فى القاهرة أنه لابد من موقف حازم من جانب الإدارة الأمريكية، التى يفترض أنها راعى عملية السلام.

= ووصف القرار بالعدوان الواضح على مسيرة السلام والتحيز لأحد الأطراف وإساءة بالغة للمسلمين والمسيحيين فى العالم.

= وأن المطلوب فوراً أن ترد كل البرلمانات العربية، والاتحاد البرلماني العربي، وجميع النقابات والمؤسسات والأحزاب العربية على هذا الأمر لإيقاف تنفيذه قبل أن يضر بعملية السلام.

(د) وأدانت السعودية الخطوة الأمريكية، وأكد ولى العهد السعودى أن القدس مدينة عربية إسلامية، ولا يحق لإسرائيل إتخاذ القدس عاصمة لها أو القيام بإجراءات تغيير معالم المدينة المقدسة.

– ودعا ولى العهد السعودى بالمجتمع الدولى إلى عدم الأعتراف باجراءات إسرائيل التى تتعارض مع قرارات مجلس الأمن باعتبار القدس جزءا لا يتجزأ من الأراضى العربية المحتلة.

(هـ) وقد توالى صدور قرارات الرفض من الدول والمؤسسات العربية ومنها مجلس الشورى المصرى، والنقابات المصرية، والجامعات والهيئات المختلفة فى الوطن العربى، ومن الأزهر الشريف، ومن قداسة البابا شنودة، ومن الدول الإسلامية والأوروبية.

(و) وقد دعا الكثيرون إلى تحرك الجامعة العربية وآلية القمة العربية، إلا أن شيئا لم يتبلور حتى الآن رغم خطورة الموقف.

٣ ـ الهدف من القرار:

تم إرجاع قرار الكونجرس الأمريكى إلى عدة عوامل أبرزها :

(أ) تأكيد التأييد الأمريكى لإسرائيل وحتى تعرف الأطراف العربية ذلك ومن الآن.

(ب) أن القرار ورقة انتخابية من الحزب الجمهورى ضد الحزب الديمقراطى.

(جـ) تقديم تنازل للشعب الإسرائيلى للأستمرار فى عملية السلام.

٤ ـ نتائج القرار:

ويمكن اجمال أبرز النتائج المتوقعة فيما يلى :

(أ) الاضرار ولو جزئيا بعملية السلام فى الشرق الأوسط.

(ب) الإنهاء على ما تبقى من المصداقية الأمريكية.

(جـ) تزايد قوة حزب العمل الإسرائيلى.

(د) تزايد قوة التطرف الإسلامى.

ألم يحن الوقت بعد لأن يستيقظ العرب والمسلمون قبل فوات الأوان ويدركوا أن الثقة بالولايات المتحدة مغالى فيها ـ وأن إسرائيل ماهى إلا عصا التهديد والتأديب التى تستعملها الولايات المتحدة ضد الشعوب العربية والإسلامية.

الفصل الثانى

المأزق السوري الإسرائيلي
والانسحاب من الجولان ولبنان

١ـ استمرار التشدد السوري إبان كامب دافيد:

(أ) بعد حرب ١٩٧٣ اتخذت مصر ـ السادات مسارا يتجه نحو التسوية السلمية تحت المظلة الأمريكية، وانتهت الجهود الشاقة الطويلة إلى عقد إتفاقيتى كامب دافيد عام ١٩٧٨، وإتفاقية سلام منفرد مع إسرائيل عام ١٩٧٩ .

= ورفضت سوريا الموافقة على إطار وأسلوب كامب دافيد واستمرت على موقف الرفض متمسكة بضرورة أن يكون السلام شاملا وعادلا، واستندت سوريا فى هذا الموقف المتشدد إلى تأييد الأتحاد السوفييتى وعلى إمداداته العسكرية، وشكلت مع عدد من الدول العربية جبهة رافضة لكامب دافيد، وأنتهى الأمر بعزلة مصر السياسية.

(ب) وقد حاولت الولايات المتحدة أن تشجع سوريا على انتهاج طريق مصر والتفاوض مع إسرائيل وتمت عدة لقاءات بين

الرؤساء الأمريكيين وبين الرئيس حافظ الأسد، فقد اجتمع الرئيس السورى بالرئيس الأمريكى «نيكسون» فى دمشق عام ١٩٧٤، والرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» فى جنيف عام ١٩٧٧، ومع الرئيس بوش فى جنيف عام ١٩٩٠ .

(جـ) وقد استغلت إسرائيل المواقف كعادتها، فقامت فى ديسمبر ١٩٨١ بضم الجولان السورية إلى إسرائيل، وهو أمر لم توافق عليه الولايات المتحدة، وأدى بالمجتمع الدولى ممثلا فى مجلس الأمن والجمعية العامة إلى شجب هذا الضم واعتباره إجراءا غير قانونى، ومطالبة إسرائيل بالعدول عنه.

٢ - وصيغة مدريد (أكتوبر ١٩٩١) :

(أ) أدى إنهيار الأتحاد السوفييتى عام ١٩٩١، وتوقف الدعم الروسى إلى سوريا، والضغوط التى تعرضت لها سوريا من جانب عدد من الدول العربية وخاصة مصر، وإعلان الولايات المتحدة عن الإيمان بالحل العادل والشامل، كل ذلك أدى إلى اقتناع سوريا بالمشاركة فى مؤتمر السلام فى مدريد فى أكتوبر ١٩٩١ تحت رعاية كل من الولايات المتحدة والأتحاد السوفييتى (روسيا فيما بعد).

(ب) وقد أدى التعنت الإسرائيلى وعدم إعلانها عن الموافقة على مبدأ الأرض مقابل السلام والمراوغة التى مارسها المفاوض الإسرائيلى على مدى عامين، أدى ذلك إلى قيام سوريا بايقاف مفاوضاتها فى واشنطن مع إسرائيل.

(جـ) وكان قد اتضح أن صيغة مدريد تؤدى إلى دروب جانبية مؤداها حلول منفردة مع كل جانب عربى، لأن المعروف أن إسرائيل تقيم مفاوضاتها على عدة أسس منها :

١ ـ الحل المنفرد حتى لاتعطى قوة للمجتمع العربى.

٢ ـ الحصول على مكاسب أولا قبل تقديم تنازلاتها.

٣ ـ جعل عملية الإنسحاب شاقة باطالة زمن الإنسحاب وربطه بجداول زمنية وشروط مجحفة.

٤ ـ المراوغة من خلال إطالة المفاوضات الإجرائية.

٥ ـ التهديد دائما بكل ماتملكه من أدوات.

(د) وقد صدقت مخاوف المفاوض العربى، لأن إسرائيل عمدت إلى المفاوضات السرية المنفردة مع الفلسطينيين أولا ثم أخيرا مع الأردن، وهو أمر أدى إلى زيادة الصلابة السورية ... وقد اتهمت سوريا الفلسطينيين والأردنيين بالعمل المنفرد وإهمال التنسيق العربى المتفق عليه ويمكن إسرائيل من الإنفراد بكل دولة على حدة.

٣ ـ أهمية الموقف السورى :

(أ) وتأتى أهمية سوريا لتحقيق الأمن فى الشرق الأوسط بسبب دورها الأقليمى المعترف به، والذى أدى بكثير من السياسيين إلى القبول بأنه لا سلام بدون سوريا.

(ب) وأيضا لتعاظم قوتها العسكرية كما وكيفا، بعد أن تمكنت من الحصول على صفقة أسلحة منها الصواريخ من كل من الصين وكوريا، بعد نضوب المعين الروسى.

(جـ) ولأن سويا تمتلك حدودا طويلة نسبيا مع إسرائيل ومع لبنان، تجعل إسرائيل متخوفة من المقاومة جنوبا (حزب الله) وشمالا من الجولان.

(د) ولأن سوريا تمكنت من استقطاب المقاومة الفلسطينية والعربية الرافضة لصيغة مدريد، وهى جماعات توجه ضربات موجعة ومشتتة لقوى إسرائيل.

(هـ) بالإضافة إلى أن سوريا حققت معدل نمو معجزة عام ١٩٩٢، بلغ حوالى ١٠٪ ، وهو ثانى معدل نمو تحققه دولة فى العالم بعد الصين التى حققت فى نفس العام معدل ١٢٪ .

(و) ويزيد من أهمية سوريا الآن أنه لم يبق على الساحة إلا سوريا لضمان استمرار مسيرة السلام، وخاصة أن لبنان رفض معاهدة منفردة مع إسرائيل، أى أنه يلتزم بالتنسيق مع سوريا، وبدون سوريا لايمكن تدشين السلام بل قد يصبح الأمر بداية تقابل جديدة فى الشرق الأوسط يضيع كل ماتم بناءه فى السنوات الأخيرة.

٤ - اختلاف الرؤى :

(أ) وتختلف رؤية الجانب الإسرائيلى عن رؤية الجانب السورى بطبيعة الحال، فالجانب الإسرائيلى يتصور :

●● اتفاق إعلان مبادئ.

●● وإعلان بداية تطبيع العلاقات بشكل شامل.

●● وجدول زمنى طويل (٨ سنوات) للانسحاب التدريجى على مراحل وكل مرحلة تتطلب تنازلا سورياً.

●● وتواجد رقابى دولى.

●● وضمانات من الأمم المتحدة.

(ب) فيما تتصور سوريا وبحق :

●● أنها أعلنت قبولها بالحل السلمى من خلال التفاوض وتحت رعاية كل من الولايات المتحدة وروسيا (صيغة مدريد).

●● وأنها تتمسك بما جاء بالقرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة التى قررت صيغة عدم جواز اكتساب الأراضى بالقوة ومن أن الأرض مقابل السلام.

●● وأنها لاتقبل الانسحاب على فترة زمنية طويلة بل يكفى عام واحد لإتمام الانسحاب.

٥ ـ المأزق :

(أ) وحتى أواخر عام ١٩٩٤ لايزال وزير الخارجية الأمريكى يقوم برحلات مكوكية بوصفه ساعى بريد، وهذا هو المأزق الأمريكى لأن أمريكا وفق صيغة مدريد هى راعية وشريك كامل لتحقيق السلام.

(ب) وبدأت بالمنطقة بوادر تحركات قد تضر باتجاه السلام، مثل الهجمات على المصالح والرعايا الإسرائيليين فى أنجلترا، والأرجنتين وتلميح بل وتصريح الولايات المتحدة وإسرائيل بأن إيران خلف هذه الأعمال، وأن سوريا صديقة لحزب الله ولإيران فى محاولة لإبتزاز سوريا.

(جـ) وفى الوقت الذى تم فيه إنجاز أصعب مراحل التفاوض مع المنظمة ومع الأردن ،لاتزال إسرائيل تتلكآ بالنسبة لسوريا وتقوم بتصريحات مستفزة مثل التنازلات التى ستقدمها فى الجولان، وكأن الجولان أرض إسرائيلية، ودعوتها إلى سوريا لبدء مفاوضات سرية ... إلخ وهذه هى المناورات.

(د) وتبقى سوريا صامدة مصرة على موقفها.

(هـ) والمأزق ليس سوريا أو إسرائيليا أو أمريكياً بل هو مأزق الشرعية الدولية، لأنه كيف يمكن للعالم من حشد مجلس الأمن لضرب العراق، ثم للحصول على موافقة غزو هاييتى، ولا يتحرك لإزالة احتلال دولة عضو بالأمم المتحدة لأراضى دول أعضاء أخرى؟

٦ ـ التطورات الأخيرة :

(أ) هاجمت سوريا بشكل أو بآخر إسراع الأردن وغيرها لإقامة سلام منفرد، على أساس أن هذا الأمر يضر بالحقوق العربية ككل.

(ب) وحول تصريحات إسحاق رابين بالنسبة لتأجير الأراضى، صرح الرئيس حافظ الأسد فى ١٨/١٠/٩٤ فى القاهرة، بأن

أرض سوريا لها وحدها وأنه من الكفر الحديث عن تأجير الأراضى، وأن سوريا لن تؤجر أرضها لإسرائيل.

(جـ) وأضاف الرئيس الأسد أن سوريا وإسرائيل لا تزالان فى مرحلة الأستطلاع بشأن الجدول الزمنى للإنسحاب من الجولان، وأكد أن سوريا تريد سلاما ولكنها لا تريد عرقلة جهود الأطراف الأخرى.

(د) وفى معرض حديثة إبان زيارة الرئيس «كلينتون» إلى سوريا أكد الرئيس الأسد أن سوريا ستوافق على قيام علاقات طبيعية كاملة مع إسرائيل مقابل الإنسحاب الكامل من الجولان وجنوب لبنان «ويلاحظ أهمية إيراد موضوع الإنسحاب من لبنان هنا».

(هـ) وذكر الرئيس كلينتون فى ختام زيارته إلى سوريا أنه لا ينبغى تحقيق الأمن على حساب الآخرين وأنه مقتنع بأن الرئيس الأسد أصبح أكثر قربا للتوصل إلى إتفاق مع إسرائيل.

(و) ومع ذلك لم يحدث تقدم ملموس فى إطار زيارة الرئيس كلينتون للمنطقة رغم اعتراف كلينون صراحة باستحالة تحقيق السلام الشامل دون سوريا، بالنظر إلى أهمية دورها الأقليمى.

الفصل الثالث

أهمية إخلاء منطقة الشرق الأوسط
من أسلحة الدمار الشامل

تمهيد

= مشكلة الشرق الأوسط لاتتصل بالتهديد العسكرى لطرف أو لآخر، بل أصبحت كل المشكلات الفرعية تتجمع لتصب فى مسار واحد متكامل يستهدف أمن واستقرار ورخاء المنطقة على أسس عادلة ودائمة.

= وقد قبلت الدول العربية كل اتجاهات السلام، بل وتحرص على استمرار الدفعة، نحو منطقة ذات أوضاع مختلفة عن أوضاع المواجهة.

= ويبقى أن تتخلى إسرائيل عن أطماعها وممارساتها، ويتعين عليها أن تحل كل المشاكل المتبقية للوصول بالمنطقة إلى الهدف المنشود. ونعنى بذلك أوضاع الأمن المستتب والاستقرار والرخاء الذى تستفيد منه كل دول وشعوب المنطقة.

= وعلى هذا تنتظر الدول العربية من إسرائيل ومن مؤيديها الوفاء بالالتزامات التالية:

(أ) تنفيذ كافة بنود الاتفاقية الفلسطينية الإسرائيلية، تنفيذا كاملا وبحسن النية المطلوب، دون وضع العراقيل مثل التسويف والأستمرار فى بناء المستوطنات، واتخاذ إجراءات قمعية ضد السكان العرب.

(ب) إنهاء الاحتلال الإسرائيلى لجنوب لبنان.

(جـ) إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للجولان السورية.

(د) اتخاذ الخطوة الضرورية لطمأنة الدول العربية، وابعاد شبح التهديد النووى عنها ،بالموافقة على التوقيع على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية وصولا إلى اتفاق لإخلاء منطقة الشرق الأوسط من كل أسلحة الدمار الشامل.

(هـ) التخلى عن أحلام السيطرة والتوسع والهيمنة وصولا إلى تحقيق التعاون والرخاء بين دول المنطقة.

أولا :تطور السلاح النووى الإسرائيلى.

١ ـ من الأمور المؤكدة أن إسرائيل تمتلك أسلحة نووية منذ عقد الستينيات، وهو أمر كشفته تقارير سياسية متعددة.

٢ ـ وقد أعيد تأكيد هذه المعلومة فى السبعينيات عندما أجرت إسرائيل تجربة نووية فى جنوب أفريقيا، ورصدتها الولايات المتحدة، ومع ذلك التزمت الولايات المتحدة الصمت تجاه هذا الأمر الذى يهدد منطقة حيوية مثل الشرق الأوسط نظرا لأهمية الحليف الإسرائيلى فى إطار الاستراتيجية الكونية الأمريكية لمحاربة واحتواء الاتحاد السوفييتى.

٣ ـ وفى ١٩٨٦/١٠/٥ كشف تقرير صحفى للصنداى تايمز البريطانية عن أسرار مصنع قائم تحت الأرض لإنتاج الأسلحة النووية فى إسرائيل فى صحراء النقب، والذى يقوم منذ حوالى عام ١٩٦٦ بانتاج الرؤوس النووية بطاقة تكفى لتدمير مدن بأكملها.

٤ ـ وقد دعم ذلك الشهادة التى أدلى بها «مردخاى فانوفو» عام ١٩٨٦، وهو إسرائيلى كان يعمل فى مجال الطاقة النووية فى بلاده لمدة عشر سنوات فى ميناء حاخون المحصن تحت الأرض فى مفاعل ديمونة وهى مؤسسة الأبحاث النووية الإسرائيلية.

وقد تثبت الخبراء وقتئذ ـ بعد شهادته بأن إسرائيل لا تمتلك القنبلة النووية فحسب بل أنها أصبحت قوة نووية رئيسية.

٥ ـ وتأتى إسرائيل بعد ذلك فى المرتبة السادسة للقوة النووية فى العالم، بعد كل من الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين.

– وهى تمتلك ترسانة نووية أكبر مما تملكه دول الهند وباكستان وجنوب أفريقيا.

٦ ـ وقد بدأت إسرائيل التفكير منذ اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ فى التوصل إلى أسلحة تجعلها متقدمة على العالم العربى أجمع ثم العالم الإسلامى فيما بعد.

– وقد اهتم قادة إسرائيل مثل «بن جوريون» بدعم الأبحاث النووية فى إطار التفكير الأستراتيجى الذى أشرنا، إليه ضمانا للبقاء

والتفوق. وشجعهم على ذلك اكتشاف اليورانيوم فى فوسفات صحراء النقب، فبعثوا العديد من اليهود إلى جامعات الدول المتقدمة ليكونوا فيما بعد ركيزة التقنية النووية فى إسرائيل.

٧ - وقد تأسست لجنة الطاقة الذرية فى إسرائيل فى يونيو ١٩٥٢ وتبعت وزارة الدفاع الإسرائيلية، وكانت مهمتها الإشراف على النشاط النووى الذى انتهى فى الخمسينيات بتأسيس مفاعل أبحاث نووى فى الجامعة العبرية فى القدس المحتلة وفى معهد وايزمان .. وقد تزعم المشروع عالم الكيمياء العضوية المعروف «أرنست دافيد برجمان» اليهودى والألمانى الأصل إبان زعامة «بن جوريون» . وتوليه رئاسة الوزارة الإسرائيلية ووزارة الدفاع فى الفترة ١٩٤٨ - ١٩٦٣ .

- وقد شارك «بن جوريون» وبرجام، مدير وزارة الدفاع الإسرائيلية الشاب «شيمون بيريز» الذى تولى منصبه عام ١٩٥٣ وهو فى الثلاثين من عمره.

- وكان برجمان مهتما فى الأساس بالأستخدام السلمى للطاقة النووية لتوليد الكهرباء، ولكنه فى نفس الوقت وظف كل الجهود لدعم القدرات الإسرائيلية لصنع القنبلة الذرية.

٨ - وقد بدأ التعاون النووى الإسرائيلى مع فرنسا فى الخمسينيات، ودعم العلماء الإسرائيليون برنامج الطاقة النووية الفرنسية حيث تمكنت فرنسا من تفجير قنبلتها النووية عام ١٩٦٠ ، وكان خبراء الكمبيوتر الذين عملوا فى المشروع الفرنسى من اليهود الإسرائيليين.

٩ ـ وكان تفكير «بن جوريون» يقوم على أساس أن اليهود فى موقف أضعف استراتيجيا من العرب، وأنهم فقدوا روح الأقدام ويمكن أن يتعرضوا لإبادة جماعية على أيدى العرب، وهنا عمد إلى الخيار النووى رغم معارضة كثير من السياسيين الإسرائيليين، وكان من أبرز المؤيدين لموقف بن جورريون هو «شيمون بيريز».

- ويظهر موقف بيريز واضحا عندما اجتمع بالمسئولين الفرنسيين عام ١٩٥٦ فى (سيفر) لمناقشة خطة العدوان الثلاثى على مصر وهنا طرح فكرة تزويد إسرائيل بمفاعل أبحاث نووى فرنسى، وأنتهى الأمر بتوقيع اتفاق بين البلدين فى أكتوبر ١٩٥٧ يتضمن تزويد إسرائيل بمفاعل أبحاث قدرته ٢٤ ميجا واط.

- كما وافقت فرنسا على تزويد إسرائيل بمصنع لفصل اليورانيوم وهكذا بدأ مفاعل ديمونة العمل فعلا عام ١٩٥٨ .

- وتخوفا من الآثار السلبية لهذا المشروع أصر الجنرال «ديجول» عند تولية السلطة أن تعلن إسرائيل عن وجود المشروع النووى وأن تسمح بالتفتيش الدولى، إلا أن مجهودات «بيريز» أسفرت عن اتفاق مع فرنسا عن الإعلان عن مفاعل ديمونة والتأكيد بأنه مخصص للأغراض السلمية وهو أمر مكن من استمرار المساعدات الفنية بل وزيادتها.

١٠ ـ وفى عام ١٩٦٠ عبرت واشنطن عن قلقها من النشاط الذرى الإسرائيلى، وطالبت بمراقبة مفاعل ديمونة، ورفضت إسرائيل هذا الطلب، ثم وافقت عام ١٩٦١ على اتمام زيارة واحدة، ثم

نجح الرئيس كيندى فى إقناع إسرائيل عام ١٩٦٣ بالموافقة على زيارة أمريكية للمفاعل مرة واحدة كل عام.

- ثم أعلنت إسرائيل تأكيدها بأنها لن تتبنى استراتيجية نووية فى مواجهاتها العسكرية مع الدول العربية، وإنما ستعمد إلى استخدام الأسلحة التقليدية وعلى سياسة الهجوم (الحرب الوقائية) فى ردع الدول العربية إذا شعرت بتغيير الميزان الاستراتيجى لصالح العرب.

كما تضمنت الاستراتيجية الإسرائيلية خيارا نوويا مؤداه إمكان إنتاج سلاح نووى فى حالة الضرورة، بمعنى أن إسرائيل لن تكون البادئة فى إدخال السلاح النووى إلى منطقة الشرق الأوسط.

- ومثال على هذه الاستراتيجية أنه إبان أزمة عام ١٩٦٧ (إغلاق مضايق تيران وسحب قوات الأمم المتحدة من الأراضى المصرية) كانت القنبلة النووية فى حالة إنذار فى مجال العمليات.

١١ - وقد حاولت إسرائيل إستمرار إنكار امتلاكها للسلاح النووى ويعود ذلك لعدة أسباب أبرزها :-

(أ) أن العرب فى ذلك الوقت لم يكونوا مهيئين لتصديق ادعاء الردع النووى.

(ب) وأن هذا السلاح كان مقيدا من الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة بأنه سلاح الفرصة الأخيرة.

(جـ) وأن الأعـتـراف بالتـفـوق النووى يسلب إسـرائيل حـجـجـهـا الإعلامية بأنها الجانب الأضعف.

(د) كما يقضى على دعاوى إسرائيل السلامية.

(هـ) كمـا أن الإعلان قد يدفع العـرب إلى إمـتلاك السلاح النووى بمساعدة السوفييت أو غيرهم.

(و) وأخيرا لاقتناع إسرائيل بأن السلاح النووى غير صالح لمنطقة الشرق الأوسط نظرا لمحدودية المساحة ولأنه سيصيب إسرائيل كما يصيب غيرها.

١٢ ـ ومع تدعـيم العـلاقات الإسـرائيليـة الأمـريكيـة توقـفت الولايات المتـحـدة عن الضغط عـلى إسرائيل فى المجـال النووى، ويرى بعض المراقبين أن هذا الأمر قد يعكس اطمئنان مجرد رادع لن يسـتـخـدم، وربما أعطت الـولايات المتـحـدة الضـوء الأخـضـر لإسرائيل لضرب أى مفاعل عـربى قبل إتمامه، مثل ما حدث مع العراق، وتهديد إسرائيل بضرب القدرات النووية الباكستانية أو الليبيـة أو الإيرانية لأن إسرائيل ربطت بين العالميين العربى والإسلامى لأغراض دعائية.

١٣ ـ وكـمـا نجـحـت سياسـة الإنكار الإسـرائيلى فى امـتـلاك السـلاح النووى السابق، بحـصـول إسرائيل على مكاسب واضـحـة ، فقد عـدلت إسرائيل من أسلوبهـا واتجـهـت ـ بطريق غـيـر علنـى أو مـبـاشـر ـ إلى إثارة مـخـاوف العـالمين العربـى والإسـلامى من التقدم التقنى النووى الإسرائيلى مستهدفة من وراء ذلك تحـقيق ما يلى:

(أ) مواجهة الضغوط الغربية متعللة بالتهديد العربى والإسلامى.

(ب) الحصول على مزيد من الدعم التكنولوجى والاقتصادى.

(جـ) تحقيق تعاون الدول الغربية لضرب القدرات العسكرية العربية والإسلامية، وهو أمر تحقق مع المفاعل العراقى، ومع ضرب القدرات العراقية الفائقة إبان عاصفة الصحراء، وفى التعامل حاليا مع ما يثار عن القدرات النووية الإيرانية.

(د) وإثارة الرعب النووى الإيرانى يحقق تخوف دول الخليج، ومن ثم استجابتها للمخططات الإسرائيلية والأمريكية.

١٤ ـ وأخيرا نجد من المفيد عرض سريع لقدرات إسرائيل العسكرية النووية فقد توصل خبراء المتابعة الأستراتيجية إلى تقدير قوة إسرائيل النووية على النحو التالى :ـ

(أ) حوالى ٣٠ (ثلاثون) قنبلة زنة ٨ كجم من البلوتونيوم.

(ب) عددا من الرؤوس النووية (قنابل) يتراوح عددها ما بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ قنبلة من النوع الصغير الذى لا يتجاوز زنته ٥ر٢ كجم .

(جـ) وتستطيع إسرائيل أن تضيف ثلاث قنابل سنويا ابتداء من عام ١٩٨٦ . (د) بالإضافة إلى أن السلاح النووى الإسرائيلى أصبح فى متناول إسرائيل من ناحية الاستخدام، وتعنى بذلك وسائل النقل التى توفرها لها الطائرات القادرة على حمل السلاح النووى من طراز أف / ١٥، اف/ ٤ وغيره.

والجدير بالذكر أن أف/ ١٥ قادرة على حمل قنبلتين نوويتين إلى مسافة تزيد على خمسة آلاف كيلو متر، بإعادة التزود بالوقود جوا، بالإضافة إلى أنباء عن حصول إسرائيل على أعداد من طائرات أف/ ١٦ الأكثر تطورا.

(هـ) كما تمتلك عدة أنواع من الصواريخ البلاستيكية ومنها «لانس» قصير المدى الذى يمكن تزويده برأس نووى تكتيكى إلى مسافة ١٢٠ كم ،والصاروخ جيركو / ١ ومداه ٥٠٠ كم ،وجيريكو /٢ ومداه ١٥٠٠ كم .

(و) كما تمتلك إسرائيل أسلحة مدفعية متطورة.

(ز) وأنواعا متطورة من الألغام النووية.

(ح) كما تطور إسرائيل شبكة دفاع ضد الصواريخ البلاستيكية.

ثانيا : مواقف الأطراف المتعددة .

١ ـ الموقف الإسرائيلى:

(أ) هناك تناقض وتباعد بين مفهوم الأمن الإسرائيلى وبين الدعوة إلى ضبط التسلح ونزع السلاح النووى وإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل، وذلك لأن الفكر الإسرائيلى المغلف بمفهوم الأمن يفترض أن وجود دولة إسرائيل مهدد من جانب الدول العربية، وأنها لذلك محتاجة إلى تدعيم قدراتها العسكرية والحفاظ على تفوقها العسكرى ووجود رادع قوى يضمن لها الأمن.

- وهى فى هذا الصدد ترفض الاعتماد على مصدر واحد للدعم العسكرى والاقتصادى، وتصبح شديدة الحساسية بالنسبة لأى تدخل خارجى قد يضر بوضعها الأمنى حتى لو جاء هذا التدخل من أخلص حلفائها.

(ب) ولذلك أرتكز مفهوم الأمن الإسرائيلى على محاور عدة أبرزها :

●● الحفاظ على الأرض والتوسع فيها باستمرار رغم أن حرب أكتوبر أثبتت خطأ هذا التصور.

●● الحفاظ على زمام المبادرة، وهذا يتضمن اللجوء إلى الحرب الوقائية.

●● وإمتلاك قوة ردع كافية.

●● وعدم الميل إلى تقديم تنازلات إلى الدول العربية حتى لا يفسر هذا بأنه ضعف و يؤدى إلى إضعاف حلقات الأمن الإسرائيلية.

●● والأعتقاد الراسخ بأن العرب لن يلتزموا باتفاقيات معهم بسبب الطابع غير الديمقراطى للنظم العربية.

(جـ) واستكمالا للرؤى السابقة تضع إسرائيل قيودا وتصورات خاصة بالنسبة لضبط التسلح ونزع السلاح النووى وإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل ومنها :-

●● أن تتواكب عملية بناء الثقة فى المنطقة مع خطوات ضبط التسلح.

●● أن يكون التطبيع الكامل مع كل دول المنطقة شرطا أساسيا،

والتطبيع الكامل يعنى كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

●● أن يواكب كل ذلك قدر كبير من التفتيش والرقابة.

●● أن يسود السلام الحقيقى المنطقة كلها.

●● وأخيرا أضيفت رؤية جديدة إلى ذلك بأن يتم التعاون والقضاء على قوى الإرهاب فى العالمين العربى والإسلامى.

(د) وعموما تفضل إسرائيل بدلا من نظام منع الإنتشار النووى، أن تقوم الدول المعنية فى الشرق الأوسط بالأتفاق على نظام للمراقبة المتبادلة المباشرة كخطوة تسبق نزع السلاح لأن الإتفاق الإقليمى المباشر هو الذى تفضله إسرائيل عن أى إتفاق دولى.

(هـ) وأخيرا تطرح إسرائيل مشكلة وجود مخاطر أمنية جديدة فى المنطقة بدلا من معالجتها قبل نزع السلاح ومنها :-

●● عدم الاستقرار داخل النظام الأقليمى ويضم ذلك عدم استقرار النظم فى منطقة الشرق الأوسط.

●● الأعمال الإرهابية وخاصة الأصولية.

●● إمكانية النكوص عن حالة السلم.

(و) وقد عرضت إسرائيل على الدول العربية وأبرزها مصر عدة خطوات مبدئية قبل الدخول إلى ساحة نزع السلاح منها :-

●● التعاون الاقتصادى.

●● التفتيش المتبادل.

●● مقاومة الإرهاب.

– وهو أمر يعنى استمرار التفوق العسكرى الإسرائيلى وخاصة فى المجال النووى بما يهدد الأمن العربى ويجعل من إسرائيل مهيمنة إقليميا.

٢ ـ الموقف المصرى :

(أ) تحدد الموقف المصرى من قضايا منطقة الشرق الأوسط استنادا إلى عدة عوامل تؤكد بأن الأمن المصرى والأمن العربى أصبح مهددا، وأن الأتجاه إلى السلام فى المنطقة يتعثر يوما بعد يوم بسبب التصرفات الإسرائيلية.

– وعلى ذلك يتحدد الموقف المصرى وفق الظروف الموضوعية وليس من قبل رد الفعل.

– ويمكن رصد مرتكزات الموقف المصرى فيما يلى :-

●● الاتجاهات العدوانية للقادة فى إسرائيل وآخرها إعلان «اسحاق رابين» فى الكنيست بضرورة استعداد بلاده للحرب فى المدى المتوسط والبعيد، وهو أمر يعنى أن أتجاه السلام يعد أمرا تكتيكيا يمكن النكوص عنه وفق مشيئة الإسرائيليين . ويدل الإعلان على افتقاد الشعور بالمسئولية تجاه عملية السلام التى تقوم بدعمها باستمرار.

●● والمغالطات السياسية وافتعال الأزمات وهى أمور تدل على رفض التعايش ودعم مسيرة السلام، ومن ذلك توجيه القادة الإسرائيليين للأتهامات إلى مصر فى مناسبات متعددة منها، أن مصر مسئولة عن تراخى الدول الأفريقية فى إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، وهو أمر كانت تتوقعه إسرائيل بعد مؤتمر مدريد وأثر توقيع الاتفاقية مع الفلسطينيين عام ١٩٩٣ ومع الأردن عام ١٩٩٤، وتوجيه الأتهام إلى مصر مشيرة إلى أن اجتماع القمة الثلاثى بالأسكندرية بين كل من قادة مصر والسعودية وسوريا هو عملية تمحور ضد إسرائيل وضد عملية التطبيع.

●● وآخيراً موقف إسرائيل الرافض لاخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل وهو الاقتراح الذى أعلنه الرئيس مبارك كبادرة عملية لتدعيم السلام والدخول فى علاقات بناء الثقة والتعاون فى المنطقة.

وبدلا من الاستجابة لنداء العقل أعلن وزير الخارجية الإسرائيلية بيريز فى ١٩٩٥/١/١٣، بعد اجتماعه بوزراء خارجية مصر والأردن والولايات المتحدة فى واشنطن، بأن بلاده لن توقع معاهدة حظر الانتشار النووى رغم الخلافات الحادة التى ثارت مع مصر حول هذه المشكلة وذلك لأن هناك دولا فى المنطقة مثل إيران والعراق تدعو إلى تدمير إسرائيل.

وأضاف بيريز أن الولايات المتحدة لاتطالب بتغيير موقف إسرائيل المعارض للتوقيع.

وقد ألمحت الصحافة الأمريكية إلى أن بيريز، قد أتهم فى اجتماع مغلق مع وزيرى الخارجية المصرى والأمريكى، أتهم مصر بالعمل على تدمير عملية السلام، وأنه يتعين على مصر بدلا من حشد العالم العربى ضد الترسانة النووية الإسرائيلية أن توجه نظرها إلى القدرات النووية الإيرانية.

(ب) وقد أوضح الرئيس مبارك مرارا وعلنا رأى مصر حول مجمل ما أثارته إسرائيل :

●● فأكد أن مصر لاتشعر بالأمان فى ظل وجود ترسانة نووية فى إسرائيل دون تفتيش دولى.

●● وأن كل ما تريده مصر هو أن توقع إسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووى لأن استمرار هذا الوضع يهدد الأمن العربى.

●● وأوضح الرئيس مبارك أن الهجوم الإسرائيلى الإعلامى جاء مبكرا على مصر مدعيا وجود خط مصرى معاد لإسرائيل وهى بادرة تدل على أن إسرائيل تتقاعس وتسوف فى استكمال مسيرة السلام.

●● وعبر الرئيس عن دهشته من نظريات «اسحق رابين» الخاصة بعلاقات إسرائيل مع الدول الإفريقية.

●● وفى ١٨/٢/١٩٩٥ وجه الرئيس مبارك رسالة إلى ندوة مستقبل البحر المتوسط أعلن فيها، أن الشرق الأوسط يجتاز مرحلة تاريخية جديدة تنطوى على آمال تدفع عملية السلام، كما تنطوى على مخاطر تهدد المسيرة السلمية، وأكد ضرورة قيام

السلام على التزامات متساوية ومتكافئة بين الأطراف وأنه لا يمكن تصور سلام حقيقى بالمنطقة من خلال تعظيم القدرات العسكرية بأسلحة الدمار الشامل، ونادى بضرورة انسحاب إسرائيل من الجولان وجنوب لبنان وتأكيد حق جميع شعوب المنطقة فى العيش فى أمن وسلام.

(جـ) وهناك نقطة هامة يحسن إيرادها فى هذا المجال، وهو أن بعض الصحف الأمريكية - المتعاطفة مع إسرائيل - أخذت تحلل الموقف المصرى بالقول أنه بعد السلام أصبح دور مصر هامشيا، لأن الريادة ستكون بيد إسرائيل المتقدم اقتصاديا وتكنولوجيا، ولذلك أسرعت مصر بإثارة موضوع الترسانة النووية الإسرائيلية لتبطئ عملية التطبيع بين الدول العربية وإسرائيل وتخلق لنفسها - أو تستعيد - دور القيادة فى العالم العربى.

- والذى يتابع الأحداث، فى المنطقة يتبين اعتراف كل الأطراف بما فى ذلك إسرائيل والولايات المتحدة بأهمية الدور المصرى فى استكمال مسيرة السلام وفى تدعيم مشروعات التنمية الشاملة فى المنطقة.

- ولما كانت الترسانة النووية أمر حقيقى ومهدد للأمن المصرى فقد جاء إعلان الرئيس عن الموقف المصرى لافتا لأنظار العالم العربى الذى أسرع قادته بإعلان إيمانهم بحقيقة الموقف المصرى الذى يحرص على الأمن القومى العربى، وأكد وا وقوف الدول العربية معا فى مواجهة تهديد الترسانة النووية الإسرائيلية.

- ويبدو أن التعليق الصحفى الأمريكى كان مناورة لأثناء مصر عن مسارها، لأن هذا التعليق لم يحظ بقبول عام، وبدلا من ذلك تنامى الدور المصرى المدافع عن الأمن القومى العربى.

- وعموما فالدور القيادى المصرى لا يحتاج إلى تأكيد، لأنه قائم على حقائق التاريخ والحضارة والإمكانات، أما الدور الإسرائيلى فسيعود إلى حجمه متى انقطع الحبل السرى الذى يربطه بالأم الولايات المتحدة.

(٣) الموقف الأمريكى:

(أ) إذا حاولنا تحليل الموقف الأمريكى دخلنا إلى متاهة العلاقة الخاصة الأمريكية- الإسرائيلية وضمان الولايات المتحدة للتفوق الإسرائيلى فى المجالين التقليدى والنووى وعدم وضوح موقف الولايات المتحدة تماما، من مشكلتين رئيسيتين هما:

●● ضرورة توقيع إسرائيل على معاهدة حظر انتشار أسلحة الدمار الشامل .

●● الاستجابة إلى الإعلان الذى قدمه الرئيس مبارك بجعل منطقة الشرق الأوسط، خالية من أسلحة الدمار الشامل، مع ضرورة مشاركة إسرائيل.

(ب) وكل ما لدينا من تقارير صحفية بأن واشنطن حاولت الضغط على كل من مصر وإسرائيل للتوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، إلا أن إسرائيل رفضت وقاومت بالضغط على الولايات المتحدة للضغط على مصر للتوقيع إلا أن الموقف

المصرى ظل متمسكا بالحقوق الواضحة وبأنه لا يمكن أن يكال هنا بمكيالين وخاصة أن الأمن العربى معرض للخطر وفق المزاج الإسرائيلى.

(جـ) ونرد أن الإدارة الأمريكية بصدد عرض مقترحات وسط تمررها فى سرية كاملة، مؤداها أن تعطى إسرائيل وعدا بالتوقيع مستقبلا، أو تقوم ترتيبات ثنائية بينها وبين مصر مع ضمان الولايات المتحدة للتنفيذ على غرار اتفاقيتى كامب دافيد، وهى صيغ تؤدى جميعا إلى محاباة الموقف الإسرائيلى استمرارا للتحيز الأمريكى التاريخى منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، على أساس أن إسرائيل هى الحليف الحقيقى للولايات المتحدة وأن نظامها ديمقراطى غير متذبذب وأنه يمكن الاعتماد عليها مستقبلا فى تنفيذ الأهداف الأمريكية فى المنطقة.

(د) وقد نجحت إسرائيل فى اقناع الولايات المتحدة بأن أمنها معرض للخطر من قبل دول مجاورة مثل العراق وإيران.

(هـ) ويبقى المأزق الأمريكى واضح ويتمثل فيما يلى :ـ

- هل تريد الولايات المتحدة سلاما حقيقيا فى المنطقة؟
- هل تضحى بمصالحها فى العالم العربى من أجل محاباتها لإسرائيل.؟

هل تظل على الموقف اللا معقول سياسيا وقانونيا بالإلحاح على نزع السلاح النووى بينما هى تسمح لإسرائيل بالأمتلاك والتطور؟

وهو مأزق على الولايات المتحدة أن تخرج منه أو تظل أسيرته، وستكشف الأحداث القريبة أى الطريق تسلك.

٤ ـ حقائق النظام الدولى :

(أ) كانت مصر من الدول الأساسية التى ساهمت فى النقاش حول معاهدة منع الأنتشار النووى قبل عرضها للتوقيع عام ١٩٦٨ .

(ب) كما كانت من أوائل الدول التى وقعت على المعاهدة فى يونيو ١٩٦٨ وبدأ سريان المعاهدة فى أبريل ١٩٧٠، رغم أن التصديق على المعاهدة جاء فى عام ١٩٦٨ .

(جـ) وتضمن البند العاشر من المعاهدة اتجاهين رئيسيين هما :

●● أن الأنسحاب من المعاهدة يشترط وجود أحداث خطيرة قد قامت وتوثر على صلب هذه المعاهدة بما يمثل خطرا على المصالح العليا للدولة التى تنوى الأنسحاب، وأن تقوم هذه الدولة بإبلاغ جميع أطراف المعاهدة بهذا القرار، وكذلك مجلس الأمن، فى فترة لاتقل عن ثلاثة أشهر مقدما وأن يتضمن الابلاغ شرحا مفصلا للأحداث والدوافع.

●● والاتجاه الثانى يتعلق بتجديد المعاهدة ومدتها ٢٥ عاما منذ سريانها بالتصديق عليها، أى منذ أبريل ١٩٧٠، وتنص المادة العاشرة أن يعقد مؤتمر فى أبريل ١٩٩٥ ليقرر ما إذا كانت هذه المعاهدة تستمر بشكل نهائى أو تجدد إلى مدة أو مدد محددة، على أن يكون قرار هذا المؤتمر بأغلبية تصويت أطراف

المعاهدة، بمعنى أنه إذا توافر النصاب القانونى فأن المعاهدة تعد سارية المفعول وقائمة وملزمة لجميع أطرافها وعددهم ١٨٩ دولة.

(د) ويلاحظ أن فترة الـ ٢٥ عاما التى كانت فترة اختبار وتعرف وتعكس رؤية الدول الموقعة على المعاهدة، وقد وضحت خلال المدة السابقة عدة سلبيات أبرزها :-

●● أن الدول الخمس الكبرى (النووية) لم تنفذ ما جاء بالبند السادس من المعاهدة الذى يلزمها بأن تواصل جهودها لوقف سباق التسلح النووى ونزع هذه الأسلحة ثم التوصل فى النهاية إلى معاهدة عامة شاملة لنزع السلاح تحت إشراف دولى.

●● كما ظهرت سلبية أخرى بأن الولايات المتحدة وهى قائدة النظام الدولى الجديد ضغطت لدى دول كانت ضمن الاتحاد السوفييتى السابق لفك الترسانة النووية بل وتعويض هذه الدول ماليا، كما ضغطت ومعها المنظمة الدولية المختصة على كوريا الشمالية وأجبرتها على الاستجابة لمطلب عدم الدخول فى مجال إنتاج الأسلحة النووية، ولكنها فى حالة إسرائيل تقاعست ورفضت الضغط، وبدلا من ذلك أخذت تضغط على مصر لتوقع منفردة على تجديد المعاهدة.

●● كما فشل مجلس الأمن فى الوفاء بالتزاماته، ومنها قراره فى ١٩٦٨/٦/١٩ (رقم ٢٥٥) والذى ينص على :

تعهد مجلس الأمن باتخاذ خطوات عاجلة وفعالة ضد أى عدوان أو تهديد بعدوان نووى على الدول غير النووية. فما هو فاعل وإسرائيل لديها إمكانات نووية هائلة تهدد الأمن العربى ؟

(هـ) ويقول الدكتور مفيد شهاب: «عندما طرحت قضية مد سريان معاهدة عدم الانتشار النووى خلال عام ١٩٩٥ أعمالا لأحكام المادة العاشرة منها، فقد أعلنت مصر أنها لن توافق على مد سريان المعاهدة ما لم توقع عليها إسرائيل، على الرغم من أن مصر، تدرك جيدا أنها فى حكم المنضمة إليها فى مرحلتها الجديدة، إذا وافقت أغلبية الدول الأطراف على مدها، وأنها لاتنوى اتخاذ خطوة جادة لهذا الشأن فمصداقية مصر الدولية، وإيمانها الراسخ بالسلام ودورها فى جهود نزع السلاح، وبالتالى دعمها للمعاهدة من ثوابت السياسة الخارجية المصرية ... ومع ذلك فإن هذه المعاهدة من وجهة نظر مصر يجب أن تكون عالمية بحق، وبالتالى فإن مصر ليست ضد المعاهدة بأى حال لكنها ضد إستمرار الأوضاع المختلة التى ارتبطت بها، وضد السياسات الدولية المزدوجة التى لم تؤد إلى حماية الدول غير النووية المنضمة للمعاهدة ..... كما أن مصر لا يمكن أن تقبل استمرار معاملة إسرائيل معاملة متميزة على حسابها.»

تعقيب

وفى ظل النظام العالمى الجديد الذى تتسيده دولة واحدة - هى الولايات المتحدة الأمريكية - فقد كشفت هذه الدولة عن أهدافها وخططها والتى ترمى إلى حرمان دول العالم الثالث - وعلى الأخص الدول العربية والإسلامية - ليس فقط من الاستخدام العسكرى للذرة وإنما أيضا من الاستخدام السلمى لها - حتى تظل هذه الدول متخلفة عن ركب الحضارة والتطور.

ولقد كان من صالح الولايات المتحدة - وإسرائيل بالطبع - تمديد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية إلى أجل غير مسمى حتى تفرض على الدول العربية عدم إقامة مفاعلات نووية فى أراضيها حتى ولو كان للاستخدام السلمى، وحتى تظل إسرائيل هى الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تمتلك الأسلحة النووية بلا منافس - ولذلك عملت على الضغط بكافة السبل والوسائل على الدول العربية والأفريقية والأسيوية وغيرها من دول العالم الثالث فى تقبل هذا التمديد .... وقد نجحت فعلا فى مسعاها واستطاعت أن تفرز التجديد الدائم للمعاهدة بموافقة ١٠٤ دولة من مجموع الدول الموقعة على المعاهدة وعددها ١٧٨ دولة - بل أكثر من ذلك فقد استطاعت أن تجعل الاقتراع علنيا وليس سريا وأن تجهض مشروع القرار المقدم من الدول العربية والذى يقضى بانضمام إسرائيل إلى المعاهدة بل وعدم ذكرها بالاسم عند التعديل.

ومما لا شك فيه أن التوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وأن كان ملزما من الناحية الرسمية والسياسية - إلا أنه لن يمنع الدول التى لا تمتلك أسلحة نووية من محاولة امتلاكها وقد تسلك فى ذلك سبلا متعددة . ودليلنا فى ذلك أنه خلال سريان المعاهدة فى الخمس وعشرون سنة الماضية دخلت النادى الذرى دولا لم تكن تملك الأسلحة النووية كالهند وباكستان وكوريا الشمالية فضلا عن سعى دول أخرى لإمتلاكها كإيران والعراق.

القسم الخامس عشر

الإصلاح الاقتصادى فى أربعة عشر عاما

من عهد مبارك

(المنجزات والخطط المستقبلية)

من واقع تقرير الحكومة المصرية المقدم لمؤتمر عمان ١٩٩٥م

«باللغة الانجليزية»

تمهيد :

= على مدار ١٤ عاما من حكم مبارك (١٩٨١ - ١٩٩٥) اهتمت الحكومة بالسير قدما فى مجال الإصلاح الاقتصادى فى مختلف المجالات، ومن ذلك:-

١ - مجال النقل والمواصلات.

٢ - تنمية الكهرباء والطاقة.

٣ - البترول.

٤ - الزراعة.

٥ - الصناعة والتجاره.

٦ - السياحه.

٧ - الثقافة وحفظ التراث.

٨ - تنمية الموارد البشريه.

٩ - التكنولوجيا العاليه.

١٠ ـ المعلومات.

١١ ـ البيئة.

١٢ ـ البحث والتنمية.

١٣ ـ المياه.

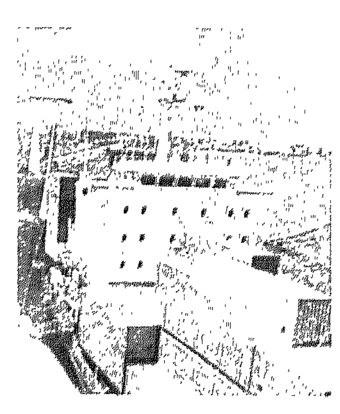
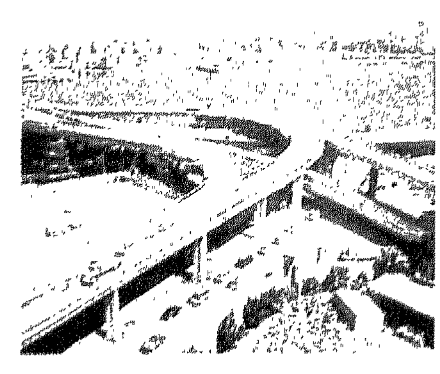
= وقد كان هذا الاهتمام بالإصلاح الأقتصادى تعبيرا عن رغبة مصر ـ مبارك فى دخول القرن الواحد والعشرين من باب التحديث والعصرية واللحاق بمستجدات العالم الحديث.

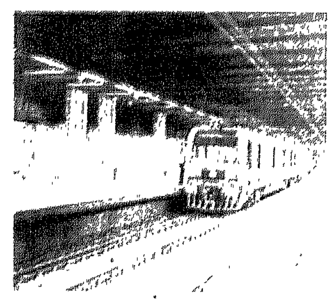
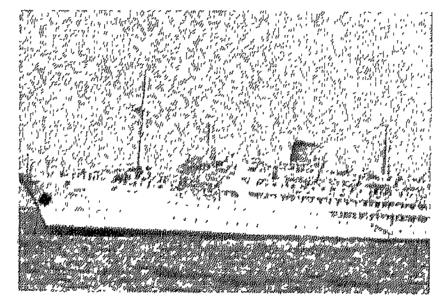
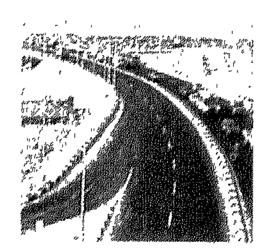
= وقد ظهر الأهتمام واضحا بالتركيز على البنية الأساسية فى مصر بوصفها عاملا هاماً فى مجال الإصلاح الاقتصادى.

= كما وضح هذا الإهتمام فى الخطط المستقبلية لمصر ـ مبارك والتى قدمتها فى دراسة مكثفه إلى المؤتمر الاقتصادى الإقليمى الذى عقد فى أكتوبر ١٩٩٥ فى عمان.

= وقد وضح من هذه الدراسة المستقبلية أن مصر لن تترك الساحة خالية أمام التحرك الاقتصادى الإسرائيلى، انطلاقا، من حقائق المنطقة وأولها قيادة مصر ودورها الرائد إستنادا إلى إمكاناتها السياسية والبشرية والمادية.

= ونلقي فيما يلى نظره سريعه على مجمل إهتمامات مصر ـ مبارك ومنجزاتها وخططها المستقبلية.

أولاً: فى مجال النقل والمواصلات

١ـ اهتمت الحكومة فى عهد مبارك بتنمية شبكه مواصلات بحرية وبرية وجوية. كما وضعت التصورات لربطها بالطرق الإقليمية، لأن ذلك هو أساس التوسع الاقتصادى والتعاون فى منطقة الشرق الأوسط، وتؤدى إلى سهولة إنتقال الأشخاص والسلع عبر الحدود وإلى إتساع السوق فى المنطقة.

ـ وهذا الاهتمام بالنقل والمواصلات يخدم قطاعات متعددة أبرزها السياحة والصناعة ويؤدى إلى قيام تنافس مرغوب، يؤدى بدوره إلى خفض التكاليف.

ـ وقد اهتمت مرحلة مبارك بتنمية وسائل النقل لأنها استوعبت متطلبات مرحلة ما بعد السلام، وعمدت إلى الاستفاده من عائداتها، وخاصة أن المنطقة إبان الحروب كانت ممزقة الأوصال، وتغير هذا الواقع بعد السلام لتجد المنطقة أمامها آفاقا واسعه فى مجال النقل والمواصلات.

(أ) الطرق السريعه والطرق العاديه:

= وقد وضح إهتمام مصر ـ مبارك فى هذا المجال بدراسات الجدوى

والتمهيد لإنشاء الطرق الهامة التالية، والتى قدمت كما قلنا إلى مؤتمر عمان/ ١٩٩٥:

(أ) الطريق الساحلى عبر سيناء على الساحل المتوسط.

(ب) - الطرق التى تعبر الممرات فى سيناء، فى إتجاه طرق الربط الأخرى فى منطقة السلطة الفلسطينية والأردن وإسرائيل

(جـ) طرق الممرات والتى تربط بين السويس ورأس النقب، وترتبط بالطرق الموصلة إلى منطقة خليج العقبة.

(د) الطريق الدائرى حول العقبة.

(هـ) الإسراع بإنهاء الطريق الساحلى فى شمال إفريقيا، والذى يربط الدول العربية فى الشمال بمصر وبآسيا.

(ب) السكك الحديدية:

* العمل على إعادة الحياة إلى الخط الحديدى الذى يتحرك من سملا حتى السلوم.

* الخط الحديدى بين الإسماعيلية ورفح.

(جـ) الكبارى والمعابر الأخرى:

* كوبرى عبر قناة السويس.

* إقامة جسر بين مصر والسعودية.

* إدارة حركة عبور السفن فى خليج السويس.

* تدعيم مركزى تحميل الحاويات فى كل من بورسعيد وموانئ العقبة.

(د) المطارات:

* توسيع وتنمية مطار رأس النقب ليصبح مطارا دوليا.

٢ - المشروعات:

وهى مشروعات قدمها الجانب المصرى فى المؤتمر الأقتصادى فى عمان (١٩٩٥) ونعرضها فى الجدول التالى:-

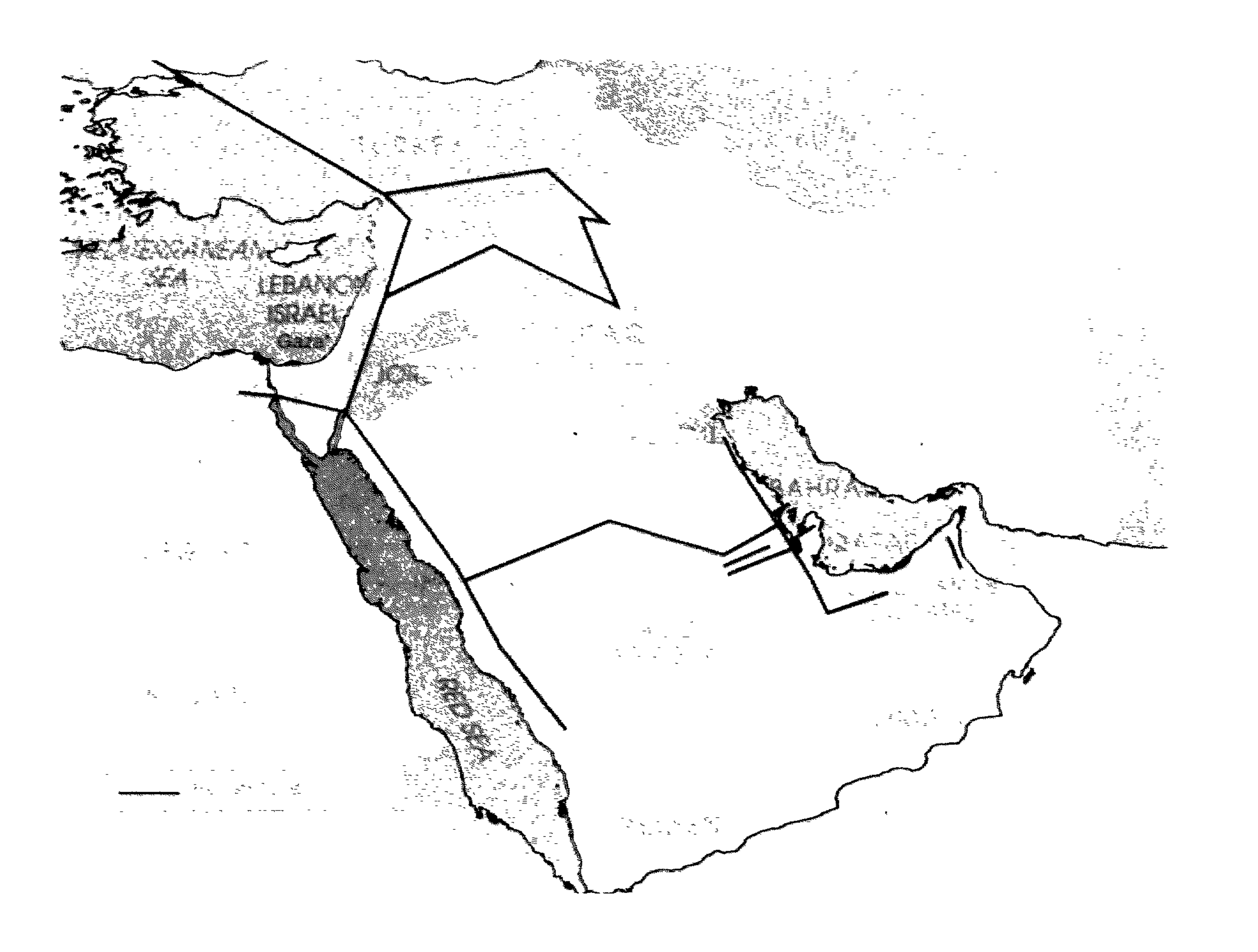
١٢ مشروع مصرى لتنمية منطقة الشرق الأوسط فى مجال النقل والمواصلات

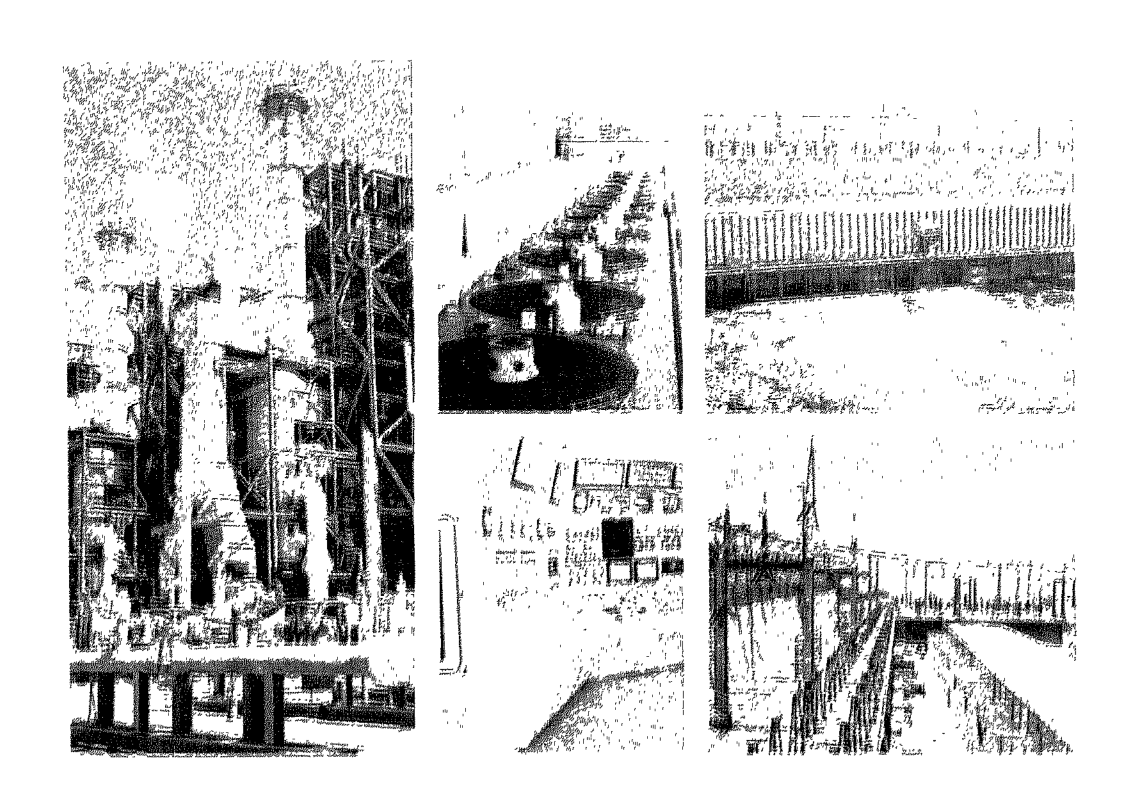
	طبيعة المشروع	هدف المشروع	المنتفعون بالمشروع	الشركاء	مدة المشروع	الموقف من المشروع	التكلفة التقديرية بالمليون دولار الأمريكى
١	**● طرق الممرات والساحل فى سيناء:** يبدأ الطريق من السويس إلى العريش ورفح وغزة ويافا وحيفا وبيروت وطرابلس وطرطوس واللاذقية وحلب إلى تركيا بطول إجمالى ١٢٠٠ كم.	إعادة بناء الطريق التاريخى لربط دول شرق المتوسط وأوروبا وشمال إفريقيا. ويغل عائدا إقتصاديا عاليا.	دول شمال إفريقيا مصر- فلسطين- إسرائيل- لبنان- وسوريا.	مصر وفلسطين وإسرائيل ولبنان وسوريا.	٢٫٥ سنة داخل مصر والمدة الكلية ٦ سنوات.	تم قبول المشروع من مجموعة العمل الكلية.	داخل مصر ٤٠ الكلية ٦٠٠
٢	**● ممرات سيناء والطريق المركزى:** تدعيم الطريق عبر الكوبرى المقترح فوق قناة السويس ويمتد إلى طابا وإلى الجفجافة وأبو عجيلة والعوجة وصولا إلى كوك والأردن وبطول إجمالى ٤٠٠ كم منها ٢٣٠ كم داخل الأراضى المصرية.	ربط مصر وإسرائيل والأردن وسوريا. إتاحة اتصال بين دول شمال أفريقيا ودول شرق المتوسط. تخفيض الضغط على الطريق الساحلى فى شرق المتوسط.	ـ دول شمال إفريقيا. ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن. ـ سوريا.	ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن.	٣ سنوات للقطاع المصرى	تم قبول المشروع من مجموعة العمل الإقليمية.	فى القطاع المصرى ٤٠
٣	**● الممرات فى سيناء والطريق الجنوبى:** إنشاء وتدعيم الطريق من نفق أحمد حمدى إلى الشط والتمد والنخل ثم رأس النقب بطول ٣٦٠ كم. ثم يتصل بالطريق الدائرى فى خليج العقبة. وموقع المشروع جنوب سيناء.	ربط دول غرب إفريقيا بإسرائيل والأردن والجزيرة العربية. ويعطى الطريق الدائرى إتصالا مكثفا بالمطارات الثلاثة فى شمال خليج العقبة. يسهل المشروع سبل نقل الحجاج. كما تستفيد غزة باستخدام الطريق على طول الحدود المصرية الإسرائيلية من رفح حتى طابا.	ـ دول شمال إفريقيا ـ مصر. إسرائيل. ـ الأردن. ـ السلطة الفلسطينية. ـ دول الخليج.	ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن.	٣ سنوات		٦٠
٤	**● طريق العقبة الدائرى:** ربط مصر وإسرائيل والأردن فى مسافة تزيد على ٦٠ كم.	توفير طريق إقليمى يربط مصر وإسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية، ويربط الدول العربية	ـ دول شمال إفريقيا. ـ مصر. ـ إسرائيل.	ـ مصر . ـ إسرائيل. ـ الأردن.	من ٢ إلى ٣ سنوات		١٠٠

	ومـــخطط له أن يكون طريق عبور دولى (ترانزيت) بإمكانية دخول محدودة	فى شمال إفريقيا بالجزيرة العربية ودول الخليج.	ـ الأردن. ـ السلطة الفلسطينية. ـ الجزيرة العربية. ـ دول الخليج العربى.				.
٥ـ	• **تطوير وإتمام الطريق الساحلى لشمال أفريقيا:** تطوير الطريق داخل ليـبـيـا وتونس والجزائر ومراكش. وسيتم تطوير مسافة ٥٥٦٤ كم من الطريق الذى يمتـد ٧٠٠٠ كم	اتمام الطريق الساحلى لشمـال إفـريقـيا بالطول المقتـرح من القاهرة (مصر) إلى العيون (فى مراكش). وربطه بشبكة الطرق الأوروبيـة عن طريق معـبر جبل طارق المقترح.	ـ دول شمال إفريقيا. ـ دول الشرق الأوسط.	ـ مصر. ـ ليبيا. ـ تونس. ـ الجزائر. ـ مراكش.	ست سنوات	انتـهت مصـر من إنشاء الطريق داخل أراضيها	٨٥٠
٦	• **إحياء خط سكك حديد سملا ـ السلوم:** إعادة تصميم الخط من سملا إلى السلوم. يتضمن المشروع أيضا القيام بالأعمال المدنية.	تحسين طرق السكك الحديدية للساحل الشمـالى بين مطروح وسملا. والامتداد فى المستقبل نحـو الغـرب للربط مع الدول العربية فى المغرب.	ـ مصر. ـ ودول الإقليم.		خمسون شهرا		٢٣٠
٧	• **مدخل حديدى بين الاسماعيلية ورفح:** إنشاء خط حديدى يربط بالخط الموجود فى مينائى الاسماعيلية وبو سعيد عبر قناة السويس عند الفـردان فى الجـانب الشـرقى على طول المتـوسط إلى رفح على طول مسافة حوالى ٢٢٥ كم.	إنشـاء خط حديدى فى سيناء للاسهام فى التنمية الإقتصادية والإجتماعية. والاتصـال بشبكة سكك حديد الدول المجاورة.	ـ مصر. ـ ودول الإقليم.		أربعون شهرا		٢٦٥ بما فى ذلك تكلفـة الكوبرى المطلوب عبر قناة السويس.
٨	•**الكوبرى عبـر قناة السويس:** إنشـاء كـوبرى مـعلق (بالكابلات) فوق القسم الشمالى	ربط آسيا بإفريقيا. كما يتصل بالكوبرى المقترح فى جبل طارق الذى يربط إفريقـيا وأوروبا.	ـ مصر. ـ دول شمال إفريقيا. ـ دول الخليج العربى. ـ السلطة الفلسطينية.	مصر تقوم وحدها بالمشروع	دراسة جدوى ١٨ شهرا. ثلاثة سنوات للتنفيذ.		١٩٠

	لقناة السويس يعلو ٧٠ مترا فوق سطح مياه القناة ليسمح بمرور السفن العملاقة.		- إسرائيل. - لبنان. - سوريا.				
٩	• **جسر بين مصر والسعودية:** إنشاء جسر بين مصر والسعودية من رأس نصرانى إلى رأس حميد بمسافة ١٥ر٦ كم. وهذا يتطلب إزدواج الطريق من الشط إلى رأس نصرانى ويؤدى إلى الجسر.	يربط الجسر قارتى آسيا وإفريقيا. وسيكون الجسر أقصر الطرق بين الجزيرة العربية ودول الخليج وبين دول شمال إفريقيا ومن ثم لأوروبا عبر جبل طارق.	- دول شمال إفريقيا. - مصر. - السعودية. - دول الخليج الأخرى.	- مصر - السعودية	خمس سنوات		٣٦٠٠
١٠	• **إدارة حركة عبور السفن فى خليج السويس:** شبكة رادار تغطى كل منطقة خليج السويس. شبكة اتصالات لربط وحدات نظام الإتصال.	تأمين الملاحة الإقليمية والدولية فى خليج السويس (فى الجنوب).			سنتان		٥٠
١١	• **تنمية مراكز تحميل الحاويات فى مينائى بورسعيد والأدبية:** إنشاء أرصفة متعددة الأغراض فى مركز الحاويات فى بورسعيد، ومركز حاويات مجهز بشكل كامل فى ميناء الأدبية.	خدمة حركة الحاويات فى المنطقة فى بورسعيد والأدبية على البحر الأحمر.			سنتان		٨٠
١٢	• **توسيع وتنمية المطار الدولى فى رأس النقب:** توسيع وتنمية المطار الحالى فى رأس النقب لخدمة السياحة فى	إقامة صالات استقبال الركاب (فى الأغلب دولية). إقامة منطقة حرة بالقرب من المطار .			من ٤ إلى ٥ سنوات	بدأ العمل بالمشروع	١٠٠

	المستقبل فى مصر والدول المجاورة. وتمت الموافقة على تنفيذ المشروع من حيث المبدأ. وستقام أكبر منطقة حرة فى المنطقة بالقرب من المطار.	تكملة كل التسهيلات والنظم الملاحية.					


LEBANON
ISRAEL
Gaza
RED SEA



ثانيا: الكهرباء والطاقة

١ ـ نظرة عامة:

= إن دول المنطقة تواجه تحديات فى مواجهة المتطلبات والحاجات المتزايدة للطاقة الكهربائية اللازمة للتنمية الاقتصادية والإجتماعية.

= وقد نمت طاقة مصر من الكهرباء بالتوازى مع إحتياجاتها من هذه الطاقة، وفى نفس الوقت أتاحت لنظام الطاقة أن يتصل بالنظم الأخرى إقليميا.

= ومنذ عام ١٩٨١ أخذ نظام توليد الكهرباء فى مصر ينمو بسرعة فزاد من 18 TWH عام ١٩٨١ . إلى 78 TWH عام ١٩٩٤ .

= وقد إنخفض الإعتماد على الـ Hydro - Power حيث ساهمت فى السبعينيات بإنتاج حوالى ٧٥٪، وانخفضت مساهمتها تدريجيا إلى ٢٠٪ عام ١٩٩٤ .

= وقد حل محلها استخدام الغاز الذى وصل استخدامه إلى ٨٠٪ من الانتاج الكهربى.

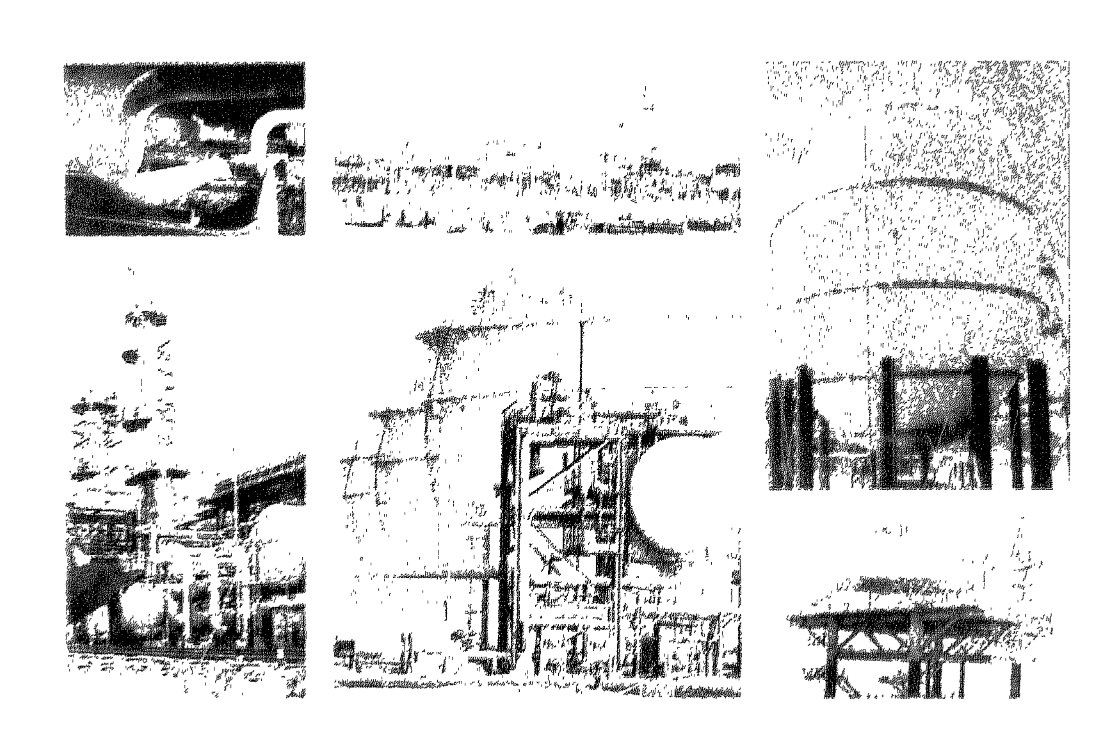
= وقد إهتمت مصر بإنشاءات تتيح الربط الكهربى الذى يقدم مزايا عديدة أبرزها:

- الوفر فى التكاليف الإنشائية والتشغيل.
- إعلاء إمكانية الإستجابة للطلب على الطاقة.
- تنوع استخدام الوقود.
- وهناك ستة مشروعات للربط الكهربائى الإقليمى قدمتها مصر تفصيليا.

مشروعات الربط الكهربائى الإقليمى

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	مدة المشروع	التكلفة التقديرية بمليون دولار أمريكى
١	● **الربط الكهربائى المصرى الأردنى:** – كابل أرضى ٤٠ كم من السويس إلى محطة عيون موسى – كابل أرضى ٢٥٠ كم من عيون موسى إلى طابا (يتحمل الجانب المصرى التكلفة) – كابل ١٣ كم تحت مياه خليج العقبة إلى الأردن (تكاليف مناصفة بين مصر والأردن) – كابل ١٠ كم من خليج العقبة إلى محطة العقبة (الأردن تتحمل التكلفة) – محطة فرعية بالعقبة (الأردن تتحمل التكلفة)	يتيح المشروع نقل الطاقة فى الإتجاهين. – يقلل من تكلفة التوليد على الجانبين. – الإسهام فى تنمية سيناء بإتاحة الطاقة للإنتاج والسياحة. – خلق فرص عمل جديدة. – والمنتفعون بالمشروع مصر ـ و الأردن	بدأ الإنشاء وينتهى عام ١٩٩٧	١٥٠
٢	● **الربط بين الدول الخمس:** – خط الربط المصــرى الأردنى يشكل المرحلة الأولى للربط بين مصر والعراق والأردن وسوريا وتركيا. – وخط بين السويس والعقبة وحلب فى سوريا وبيرسك فى تركيا – وسيزرى فى تركيا إلى كسك بالعراق. – وقائم بالعراق إلى دير الزور فى سوريا. – ومن قدرا فى سوريا إلى عمان فى الأردن.	– توفير الطاقة الاحتياطية. – إقلال هامش الإحتياطى فى كل بلد. – إقلال تكاليف الصيانة والتشغيل.	المرحلة الأولى ١٩٩٧ المرحلة الثانية ٢٠٠٢	٣٠٠ ، وكل دولة تتحمل تكلفة مايخصها
٣	● **الربط فى المشرق العربى (١٠ دول).** يضم دول : مصر والبحرين والأردن ولبنان وعمان وقطر والسعودية وسوريا، والإمارات واليمن. – يقوم على تنوع الوقود المستخدم.	– الاعتماد المتبادل على الطاقة يقلل الفاقد. – ويقلل هامش الإحتياطى. – يوفر دعما فى حالات الطوارئ لكل الأنظمة.	التشغيل بعد عام ٢٠٠٠	٢٥٠٠
٤	● **الربط فى المغرب العربى :** – ربط الأنظمة الكهربائية بين مصر وليبيا كمرحلة أولى. – وتضم المرحلة الثانية مصر وليبيا والجزائر وتونس ومراكش.	تنمية ساحل شمال إفريقيا بما فى ذلك السياحة ليبيا ـ مصر – دعم طوارئ فى حالة انخفاض القوى بين البلدين (مصر وليبيا) . يلاحظ أننا نشير إلى المرحلة الأولى.	١٩٩٧	٢٩٥ على مرحلتين

٥	**تجمع (Pool) الطاقة فى المتوسط:** – الربط (المشروع السابق) بين مصر والأردن وسوريا وتركيا، ومشروع ربط المغرب العربى يمثلان مرحلة هامة من هذا التجمع المتوسطى. – ويتم الربط من المشروع الأول من تركيا إلى أوروبا والمشروع الثانى (فى المغرب) ومن مراكش إلى أسبانيا ومن تونس إلى صقلية فى إيطاليا.	– تربط آسيا بأوروبا. – وإفريقيا بأوروبا. – مع المزايا الأخرى المشار إليها فى المشاريع السابقة.		
٦	**● ربط شبكات الكهرباء فى الشرق الأوسط:** – ربط الشبكات فى كل من مصر والأردن وإسرائيل والسلطة الفلسطينية.	دعم السلام والتنمية فى الشرق الأوسط. – تحقيق الفوائد التى تغلها مثل هذه المشروعات من حيث إقلال التكلفة ودعم احتياطى الطوارئ.	تحت الدراسة	



ثالثا : البترول

١ ـ نظرة عامة:

(أ) يختص الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ٧٠٪ من احتياطى البترول فى العام، ومع ذلك فإن بعض دول المنطقة تعانى من ندرة الخام أو من انخفاض الموارد البترولية، والتعاون فى مجال البترول مهم للمنطقة كلها.

(ب) وهناك بعض مشروعات التعاون فى هذا المجال بين مصر ودول المنطقة، ومن ذلك مشروع مصفاة النفط فى «ميدور»، وأهمية هذه المشروعات تعود إلى عدة عوامل أبرزها :

●● أهمية خام البترول فى الوقت الحاضر.

●● تواجد الخام فى مصر والمنطقة.

●● اتساع سوق الطلب على البترول.

●● انخفاض تكلفة نقل الخام.

●● الحوافز الايجابية التى قدمتها مصر للاستثمار فى البترول.

●● إن مشروعات البترول تجذب أهتمام القطاع الخاص:

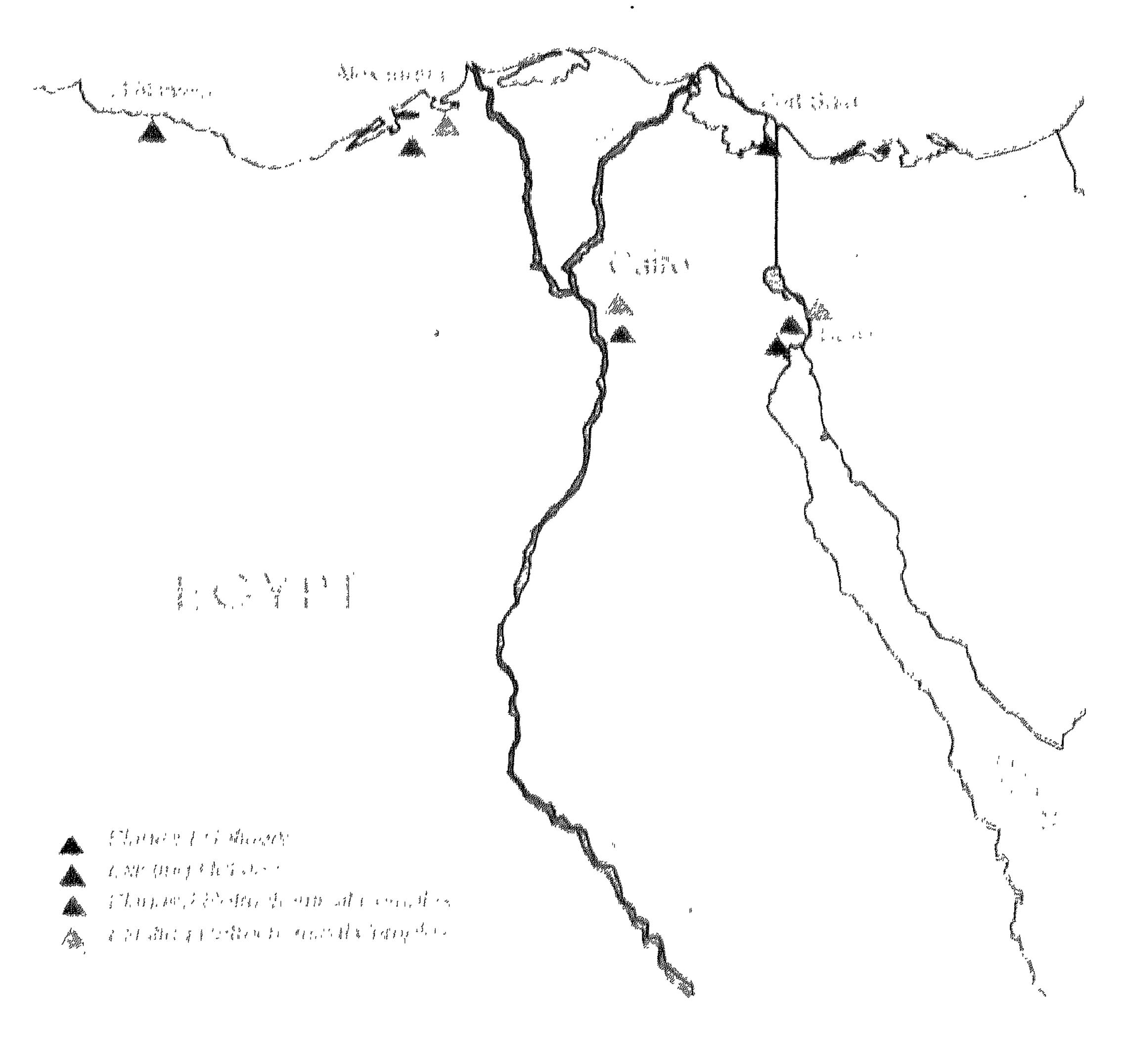
٢ ـ المشروعات :

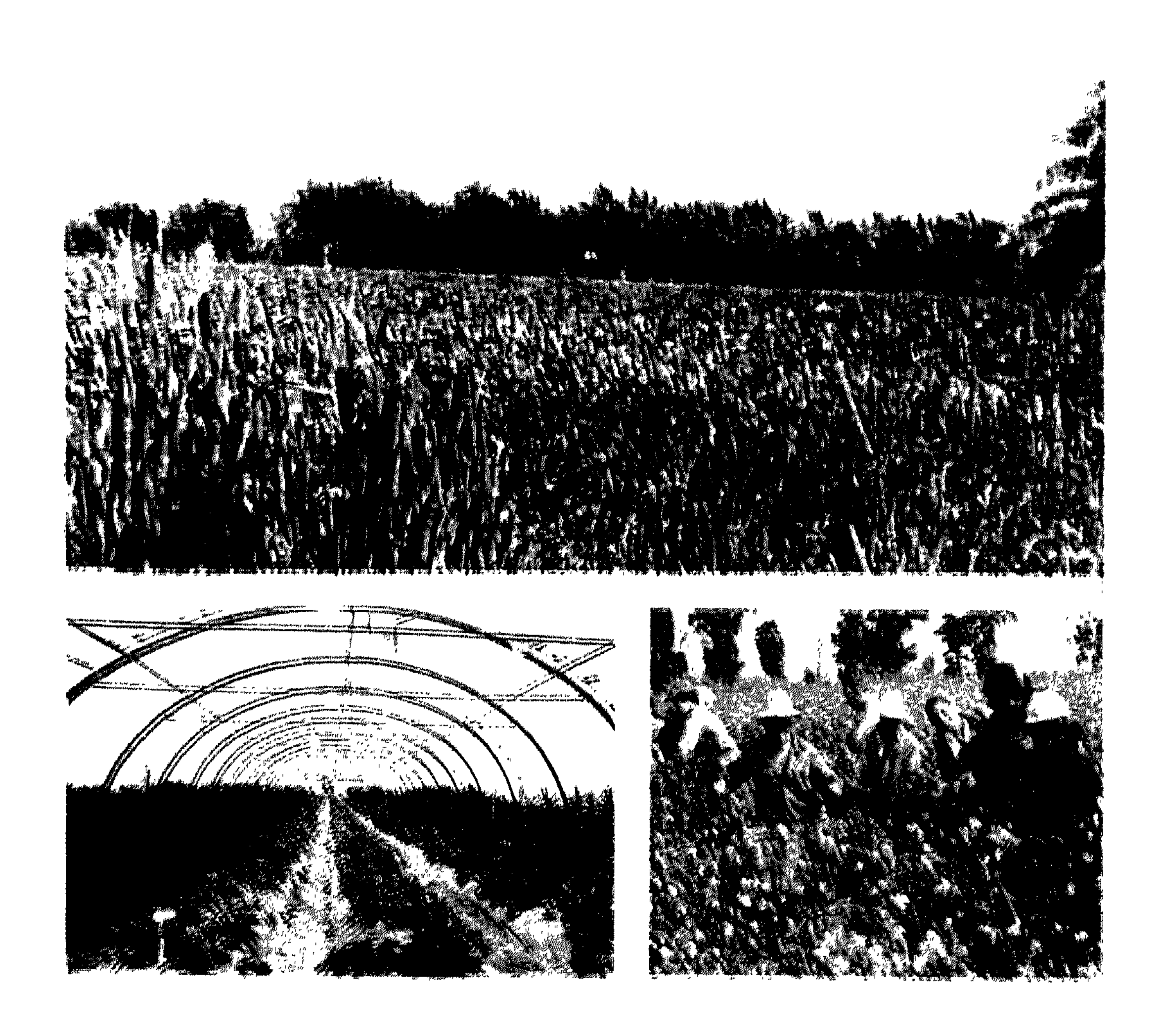
وهناك ستة مشروعات قدمتها مصر عام ١٩٩٥ لدعم التعاون الأقليمى فى الشرق الأوسط.

مشروعات البترول

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
١	• **مصفاة شمال خليج السويس:** طاقة المصفاة ١٠٠ ألف برميل يومياً. يتم الأمداد بالخام من السويس ومن سيناء. انتاج كل المنتجات الرئيسية البترولية.	• سهولة تسويق الخام ومنتجاته • دعم التعاون الأقليمى	١٢٠٠ مليون دولار أمريكى	٤ سنوات
٢	• **مصفاة النفط فى بورسعيد:** طاقة المصفاة ٨٠ ألف برميل يومياً. إمداد الخام سيتم من خليج السويس ومن سيناء. انتاج كل المنتجات الرئيسية للخام.	نفس أهداف المشروع الأول	١٠٠٠ مليون دولار أمريكى	٤ سنوات
٣	• **وحدات تكسير البترول:** (التحويل إلى مركبات ابسط بالتسخين أو الضغط) توجد الوحدات فى منطقة السويس والقاهرة والأسكندرية . طاقة المشروع من ٣٠ ألف إلى ٤٠ ألف برميل يوميا لكل وحدة. وانتاج مواد فائقة الجودة من الغاز ووقود النفاثات والكيروسين.		٥٠٠ مليون دولار لكل وحدة	٣ سنوات
٤	• **وحدات زيادة نقاء الجازولين (الخالى من الرصاص):** أماكن الوحدات فى السويس والقاهرة والأسكندرية. طاقة الوحدة من ١٠٠٠ / ١٥٠٠ برميل يوميا. الأمداد من المناطق الثلاثة.	ـ للوفاء بحاجة السوق المحلية من هذه النوعية من الجازولين. ـ تصدير الفائض للدول المتاخمة. ـ حماية البيئة ومنع التلوث.	١٠٠ مليون دولار أمريكى لكل وحدة	١٫٥ سنة
٥	• **مجمع شرق العلمين للبتروكيماويات (على شاطئ المتوسط):** طاقة انتاجية ٣٠٠ ألف طن سنويا من الاثلين.	ـ انتاج كل أنواع البتروكيماويات مثل ب . ف . س والبواثلين	٢٠٠٠ مليون دولار أمريكى	٤ سنوات

	وتوسع لتصل إلى ٤٢٠ ألف طن سنوياً من الأثلين.	والبوليبروفيلين والاثيلين والجليكول والبوليسترين وبوتادين والمطاط والبوتانو والاكتانول		
٦	● **مصفاة نفط الشرق الأوسط (ميدور)** الحكان الأسكندرية. ينتج أعلى أنواع المنتجات البترولية. بطاقة ٥ مليون طن سنوياً.		١٠٠٠ مليون دولار أمريكى	تحت الانشاء


Cairo
EGYPT



رابعاً : الزراعة :

١ - نظرة عامة :

(أ) فى عــام ٢٠٣٠ ينتظر أن يصل عــدد سكان الشــرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى حوالى ٤٥٥ مليون نسمة.

(ب) إلا أن متطلبات المياه ومنها الزراعة ليست كافية لمواجـهة حـاجات السكان المتزايدة، وهو أمـر يستدعى استـخدام طرق تكنولوجية خاصة لتحلية مياه البحر وانتاج حاصلات زراعية ذات عائد مرتفع.

(جـ) وهناك ميـزة الموقع الذى تتمـتع به المنطقة فلها اتصال بالمحيطات والبحار (الأطلنطى والمتوسط والأحمر والهندى) وهو مايتيح الأتصال بمختلف الأسواق لتصريف المنتجات الزراعية.

(د) ويمكن للتعاون الأقليمى أن يستفيد من عدة عوامل أبرزها :-

- توافر الموارد الطبيعية.

- توافر التكنولوجيا الزراعية.
- وتوافر الخبرة الأدارية التسويقية.

(هـ) وأبرز مجالات التعاون هى :

- انشاء بنك الجينات الزراعية.
- تقنية زراعة الأراضى القاحلة فى مصر.
- معالجة واستخدام مياه الصرف.
- إقامة مناطق حرة للتسويق الزراعى، ومراكز متخصصة فى النقل والتعبئة والتسويق وغيرها من الخدمات.

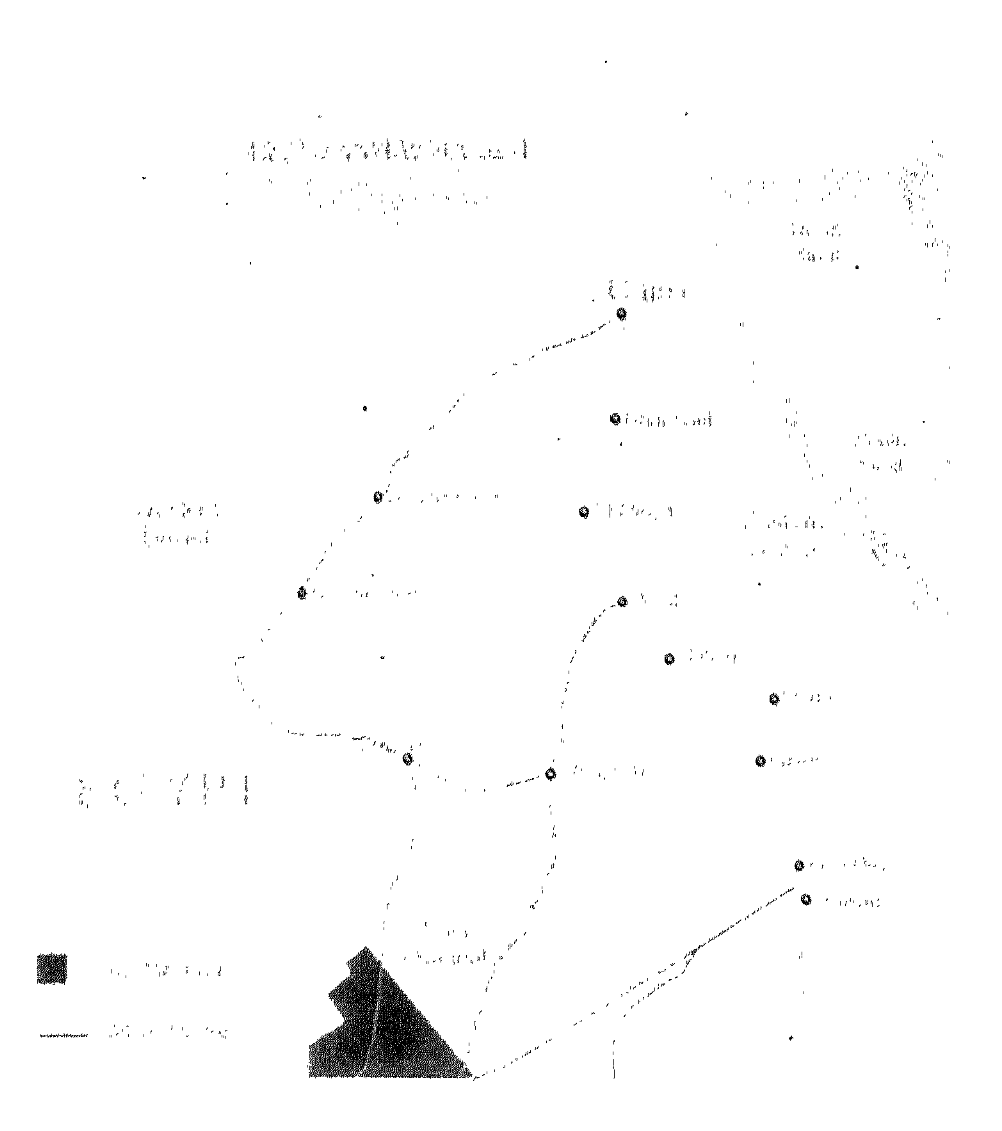
٢ ـ المشروعات :

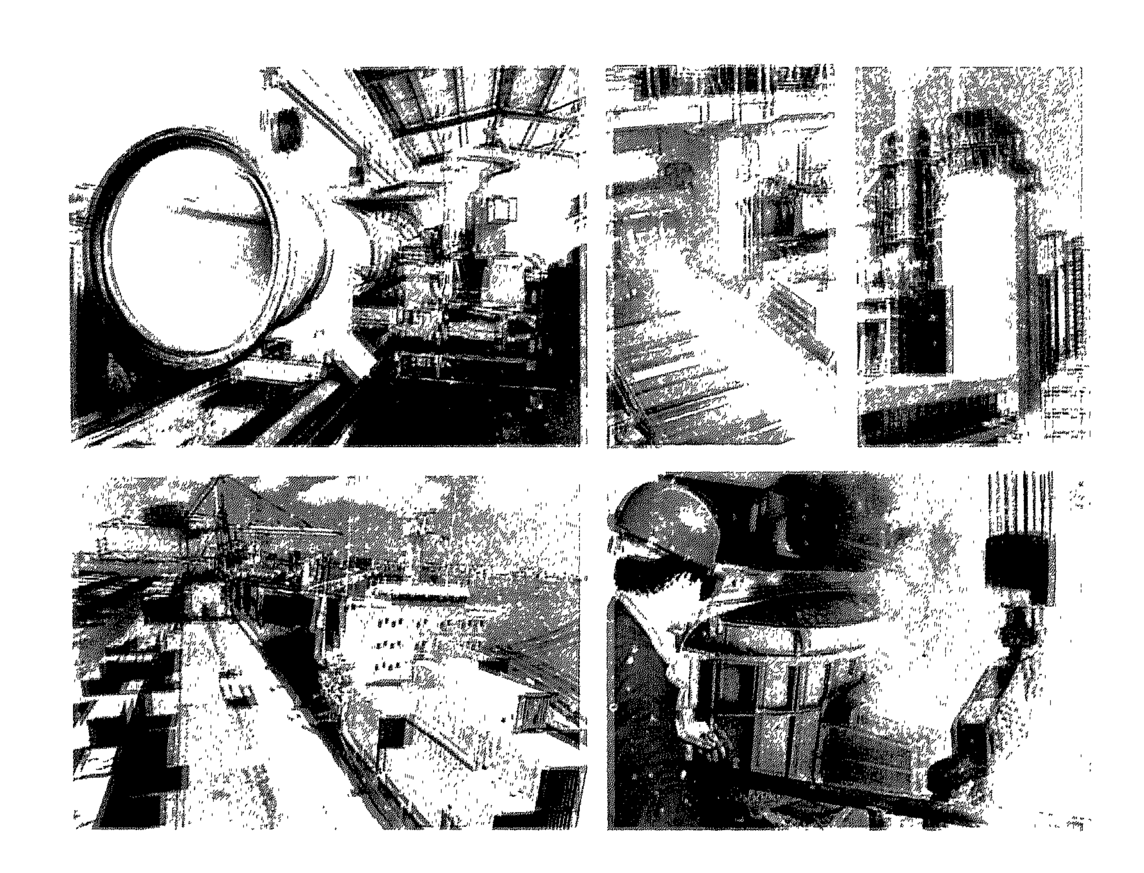
وهناك ستة مشروعات قدمتها مصر فى هذا الصدد.

مشروعات الزراعة

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
١	• **مشروع بنك الجينات الوطنى فى مصر (الحفظ والمعامل) :** ـ مقر المشروع مركز البحوث الزراعية وزارة الزراعة القاهرة. ـ استنباط محاصيل جديدة ذات انتاجية عالية. ـ ولايقاف فقد مواد جينية هامة. ـ الحفاظ على النباتات البرية.	ـ رفع كفاءة المحاصيل القائمة والجديدة. ـ الحفاظ على الجيينات الموجودة. ـ التنسيق بين مراكز البحث الوطنية والمراكز الدولية.	٣ مليون دولار أمريكى بخلاف المزارع	٣ سنوات
٢	• **جمع الجيرميلازم (بغرض الحفاظ والاستخدام) :** ـ جمع الجير ميلازم Germplasm للنباتات منها الخضروات والحبوب والبصل والثوم وغيرها. وهذا الجمع يخدم عملية الزراعة فى الأراضى المالحة والشحيحة المياه والتى تزرع على المطر أو تتعرض لحرارة عالية.	جمع وتصنيف الجيرمويلازم. ـ الحفاظ على هذه الموارد واستخدامها. ـ تبادل المعلومات مع المراكز الأقليمية والدولية.		
٣	• **معالجة مياه الصرف:** ـ يقوم المشروع على الاستخدام الآمن للمخلفات. ـ ويدرس المشروع تأثير المخلفات الصلبة المعدنية على التربة وعلى التأثير على النبات وعلى دورة الطعام. ـ والمشروع لايزال قيد البحث.	ـ زراعة بعض الأشجار فى مناطق البدو وعلى طول المناطق الصحراوية على ساحل المتوسط. ـ اعتماد المناطق القاحلة على الذات فى الزراعة والتغذية.	حوالى نصف مليون دولار أمريكى	٣ سنوات
٤	• تأثير التصحر على المناطق المزروعة فى مصر: أولا، التصحر يعنى استبعاد بعض الأراضى من الأنتاج الزراعى بسبب الملوحة الزائدة فى الأرض والتجريف أو بسبب الرياح أو الرمال أو البناء الأسكانى. ـ وكل ماسبق هو تحت الدراسة فى إطار هذا المشروع	ـ حسن إدارة الأراضى والمياه لمكافحة التصحر فى مناطق الرى والأمطار فى مصر ـ دراسة مختلف أسباب التصحر وتأثيرها على الأراضى الزراعية.	٣مليون دولار أمريكى	٤ سنوات

٥	• **التنمية الزراعية فى شرق العوينات:** ـ تشغل منطقة شرق العوينات الجزء الجنوبى من الصحراء المصرية على بعد ٣٥٠ كم من بحيرة ناصر ٤٠٠ كم جنوب واحة الداخلة. ـ والانتاج الزراعى فى شرق العوينات يمثل مفتاح التنمية والأستقرار فى المنطقة وتعتمد على مصادر المياه من الآبار الجوفية بكثرة فى المنطقة من الصخور الحاملة للمياه. ـ والمسح العلمى بين امكانية زراعة أربعة عشر مليون فدان تمثل مستقبلا واعدا للتنمية والانطلاق.	ـ ومن سمات المنطقة بعدها عن الوادى وبهذا يمكن زراعتها بأصناف متعددة وحماية تقائها وحمايتها من الآفات. ـ كما أن الظروف المناخية تسهل الزراعة من أجل التصدير. ـ وتتيح المنطقة اقامة حديقة حيوانات طبيعية (محمية) هامة لأغراض السياحة	تم صرف ٣٠ مليون دولار أمريكى على البنية الأساسية والباقى يغطيه المستثمرون	بدأت مزرعة عام ١٩٧٨ ومشروع عام ١٩٨٨ ومشروع أخر عام ١٩٩٣
٦	• **مراكز التسويق الزراعى:** ـ تحسين التسويق الزراعى لزيادة اسهام الزراعة فى الناتج المحلى الاجمالى ورفع مستوى معيشة المزارع. ـ ويهتم المشروع بخدمات التسويق ومعلومات السوق الخارجى وتحسين وسائل النقل والتغليف والتخزين.	ـ تدريب الأفراد على التسويق الخارجى ـ بناء قاعدة معلومات عن السوق	١٠ مليون دولار أمريكى	





خامساً : الصناعة والتجارة

١ ـ نظرة عامة :

(أ) إن الصناعة والتجارة تحدد مستقبل المنطقة وتساعد على إحداث طفرة فى التنمية فى هذين المجالين دخول المنطقة إلى عصر السلام والاستقرار.

(ب) ويمكن لمناطق التجارة الحرة أن تقوم بدور هام لدفع التجارة بين دول المنطقة.

(جـ) وفى معظم دول المنطقة فإن الصناعة تسهم بأقل من ٢٠ ٪ من الناتج المحلى الإجمالى وهى نسبة أقل من المطلوب (المطلوب أكثر من ٣٠ ٪)

(د) والمرغوب أن يركز القطاع الصناعى على الإنتاج التكاملى وعلى الصناعات ذات المردود المرتفع بالدخول بشكل مكثف فى مجال التصدير.

(هـ) ولقد ركز الجانب المصرى مشروعاته عن المنطقة للتنمية فى سيناء والمناطق المتاخمة.

٢ ـ المشروعات :

وهناك تسعة مشروعات تدور حول المجالات التالية:

●● إنتاج مواد البناء .

●● صناعة تجهيز المواد الغذائية والأسماك.

●● الغزل والنسيج والملابس الجاهزة.

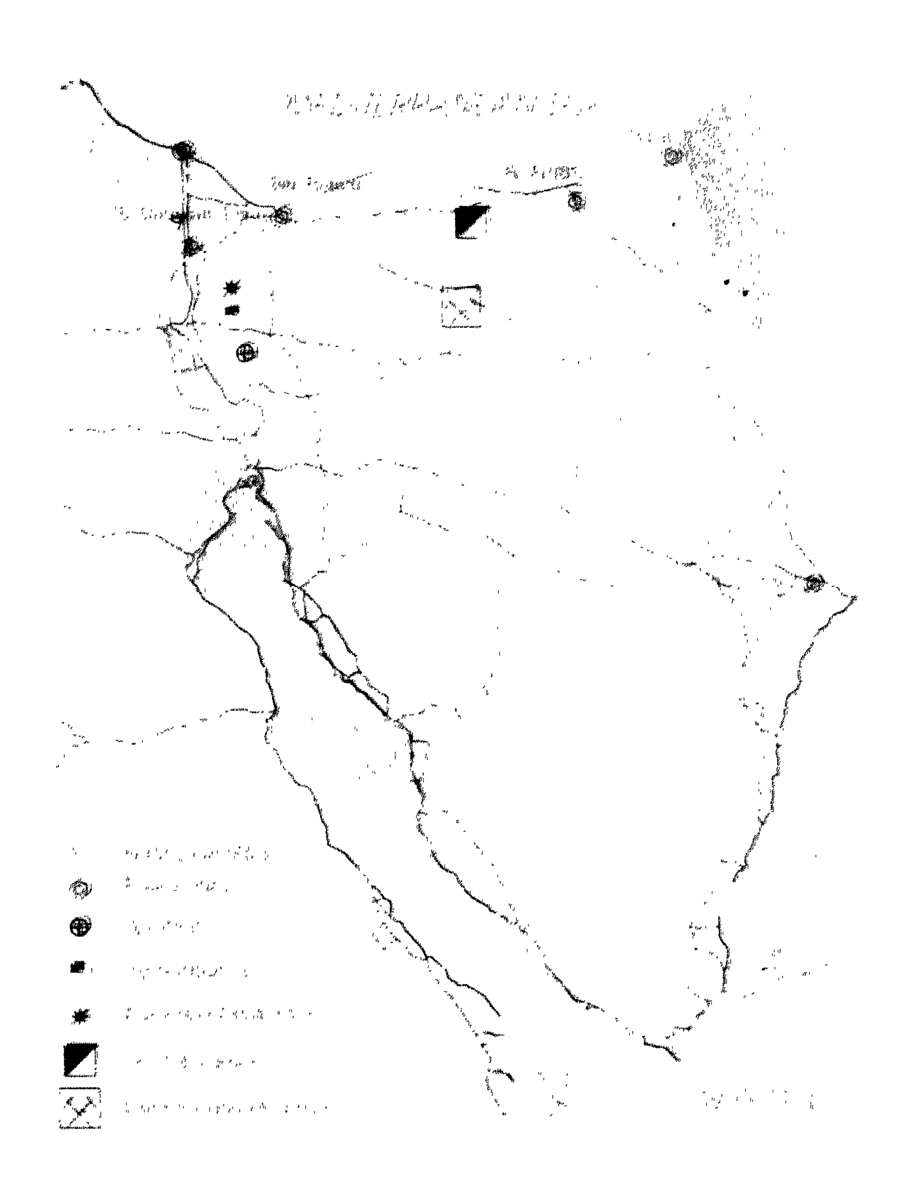
●● التصنيع الزراعى.

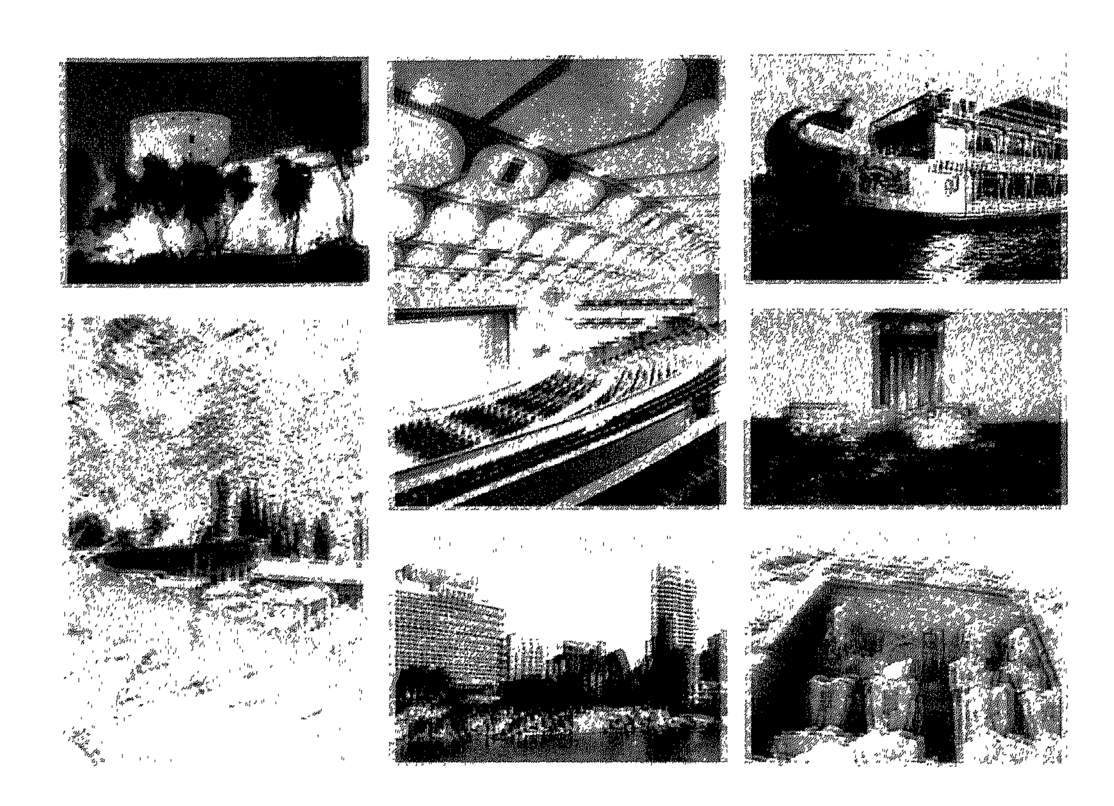
●● إنتاج البوليستر والبوليبروفيلين.

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
١	• **إقامة المناطق الحرة:** - إقامة مناطق حرة فى أماكن محددة مختارة تخدم قواعد لإنطلاق التجارة بين دول المنطقة. - وستكون هذه المناطق جاذبة للإستثمارات. - وهناك ستة مناطق حرة مقترحة. - منطقة العريش ـ القنطرة ـ بير العبد ـ النقب ـ رفح ـ بورسعيد.	- الاستفادة من مزايا مثلث مصر ـ فلسطين إسرائيل، ومثلث مصر ـ الأردن ـ إسرائيل وخاصة لتوافر العمال الزراعيين الرخيصة وتوفر المعلومات والموارد المالية. - زيادة فرص التبادل والاستثمار لدول المنطقة. - تسهيل تبادل السلع والخدمات.	/	/
٢	• **تنمية شمال خليج السويس:** - إقامة مراكز تسهيلات الانتاج والخدمات لخدمة الدول المحيطة فى مجالات التصدير. - العمل همزة وصل بين افريقيا ودول الخليج العربى من جانب، وبين هذه المناطق وبين أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان من جانب آخر. - ومراكز التسهيلات تقام فى السويس الجديدة وعتاقة والأدبية وشمال العين السخنة ورأس سدره وشمال عيون موسى.	- له مزايا وطنية وإقليمية. - خلق مراكز تنمية إقليمية. - تقديم التسهيلات فى النقل والمعلومات والعمالةوالتسويق للمستثمرين.	/	١٠ سنوات للمراحل المختلفة
٣	• **إنتاج مواد البناء:** - تتميز منطقة المغارة ٧٠ كم جنوب العريش، وهى منطقة غنية بالموارد الطبيعية مثل الفحم والرمال الخاصة والرخام والمياه السطحية والجوفية. - وعمل شبكة لربطها بالإسماعيلية والعريش وغيرها من مناطق سيناء. - كما تتميز المنطقة بقربها من المنطقة الصناعية فى بير العبد.	- مساعدة منطقة سيناء لتصبح معتمدة ذاتيا. - خلق فرص عمل جديدة. - يؤدى إلى قيام صناعات أخرى قريبة.	٧٥٠ مليون دولار أمريكى لأربعة قطاعات إنتاجية	/

٤	● **الصناعة الغذائية والأسماك:** – إعادة رسم خريطة سيناء، مثلا بوجود ٤٠٠٠٠٠ فدان للزراعة فى سيناء تغل محاصيل نقدية. – وهناك بحيرة البردويل ذات الإنتاج الوفير من الأسماك للتصدير لأوروبا.	ـ بناء وحدات تصنعية للسلع الغذائية والأسماك تخصص للتصدير. ـ إتاحة فرص عمل جديدة فى سيناء.	١٣٠ مليون دولار أمريكى	
٥	● **مجمع غزل ونسيج وملابس جاهزة :** – يقع المشروع فى المنطقة الحرة الجديدة على قناة السويس. –مجمع للغزل والنسيج والملابس الجاهزة والجوارب والمناشف وغيرها.		١١٠ مليون دولار أمريكى	
٦	● **مشروع للتصنيع الزراعى (فى مصر) :** – يشمل استصلاح ٥٠ ألف فدان وتزرع بالخضراوات والفواكه وفقا للتقنية الحديثة. – ويشتمل المشروع على سبل التعبئة والتبريد والمعالجة وإعداد المنتجات الغذائية. – وهو مشروع موجه للتصدير		٩٥ مليون دولار أمريكى	
٧	● **إنتاج البوليستر :** – يقع المشروع فى المنطقة الحرة الجديدة على قناة السويس. ـ وينتج البوليستر القطن وبوليستر الصوف – حجم الإنتاج من ١٥٠ ـ ٢٠٠ طن يوميا –ويوجد سوق كافية محليا وللتصدير.		١١٠ مليون دولار أمريكى	

٨	● إنتاج البوليبروبيلين بوليمير: Poly Propyleme Polymers = يقع المشروع فى منطقة العامرية الحرة بالأسكندرية = طاقة الإنتاج ١٢٠ ألف طن مترى سنويا.		١٣٠ مليون دولار أمريكى	
٩	● مشروع تنمية تكامل المصانع الصغيرة المتوسطة فى سيناء: = يساهم المشروع فى سرعة تنمية سيناء بخلق فرص عمل جديدة وهو أمر يجذب العمالة من مناطق أخرى كثيفة السكان فى مصر. = وكل مشروع فرعى سيحتاج من ٣ ـ ٥ مليون دولار إستثمار. ـ وأبرز مجالات الاستثمار فى هذا الصدد :ـ * استخراج المعادن. * قطع الرخام. * طحن المعادن . * نقل المعادن والرخام. * ورش الصيانة . * وحدات أنتاج الطعام. * تعليب المواد الغذائية. * مصنع تعبئة المياه المعدنية. * تربية الدواجن حول المراكز السكانية. *مجمعات خدمات. * خدمات السياح . * فنادق صغيرة. *خدمات السياح	ـ اتاحة الفرصة للمستثمرين الذين يفضلون المشروعات الصغيرة والمتوسطة. ـ إتاحة فرص عمل جديدة ونقل السكان من مناطق الكثافة العالية إلى سيناء. ـ ويستفيد من المشروع حوالى ٥٠٠٠٠٠ شخص	١٠٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات





سادساً: السياحة:

١ ـ نظرة عامة :

(أ) تعد السياحة مجالا واعدا فى إطار التعاون الإقليمى، لأن كل دولة فى المنطقة لديها مكاناتها السياحية من مواقع تاريخية ومناطق جذب سياحى معروفة، وكان عدد السياح عام ١٩٩٣ فى بعض دول المنطقة على النحو التالى:-

مصر	إسرائيل	مراكش	سوريا	
٥ر٢	٩ر١	٤ر١	٩ر١	مليون

(ب) ومصر تعمل على تنمية قدراتها السياحية وتهتم لذلك بالحفاظ على بيئة نظيفة ورعاية كنوزها التاريخية.

(جـ) وفى المنتظر أن يبلغ عدد سياح العالم عام ٢٠٠٠، ٦٠٠ مليون سائح، وستقدم صناعة نقل الركاب وأمتعتهم (السياحة) ٧ ترليون دولار أمريكى بمثابة ناتج إجمالى عالمى، ويشتغل بها ٣٠٠ مليون نسمة والتساؤل هو كم ستجنى دول المنطقة من وراء هذه الأنشطة من خلال التعاون بينها.

(د) ولصناعة السياحة فوائد عدة فهى:-

** تحقق عمله صعبة.

** تخلق فرص عمل جديدة.

** تسهم فى التنمية الإقتصادية العامة.

** تتيح مستوى معيشة مرتفع.

** تحقق تبادلا فى الأفكار، وتسهم فى نمو التفاهم المشترك لشعوب العالم وتدعم من إتجاهات السلام.

** وتشجع على مقاومة التلوث البيئى.

٢ـ المشروعات: ـ

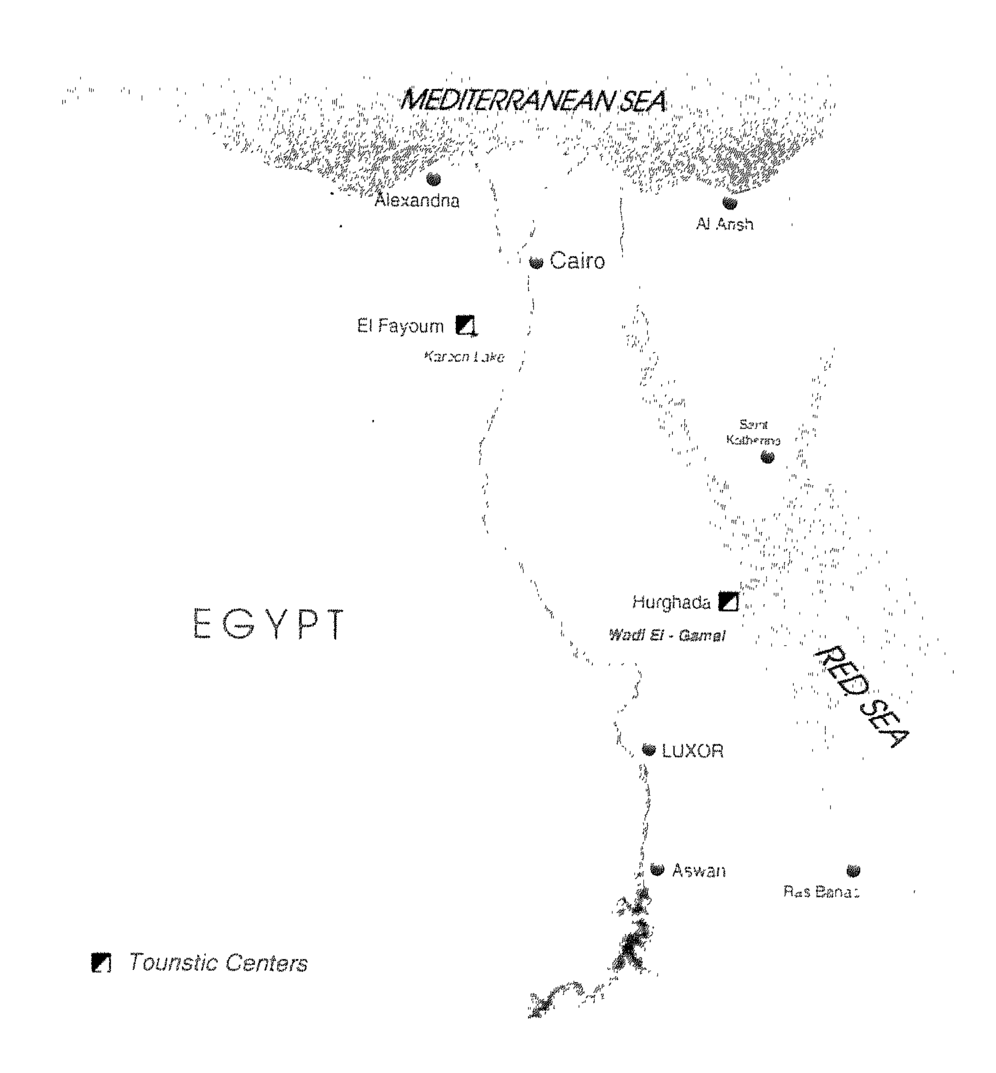
وقد اقترحت مصر ستة مشروعات عن التعاون فى المجال السياحى الاقليمى.

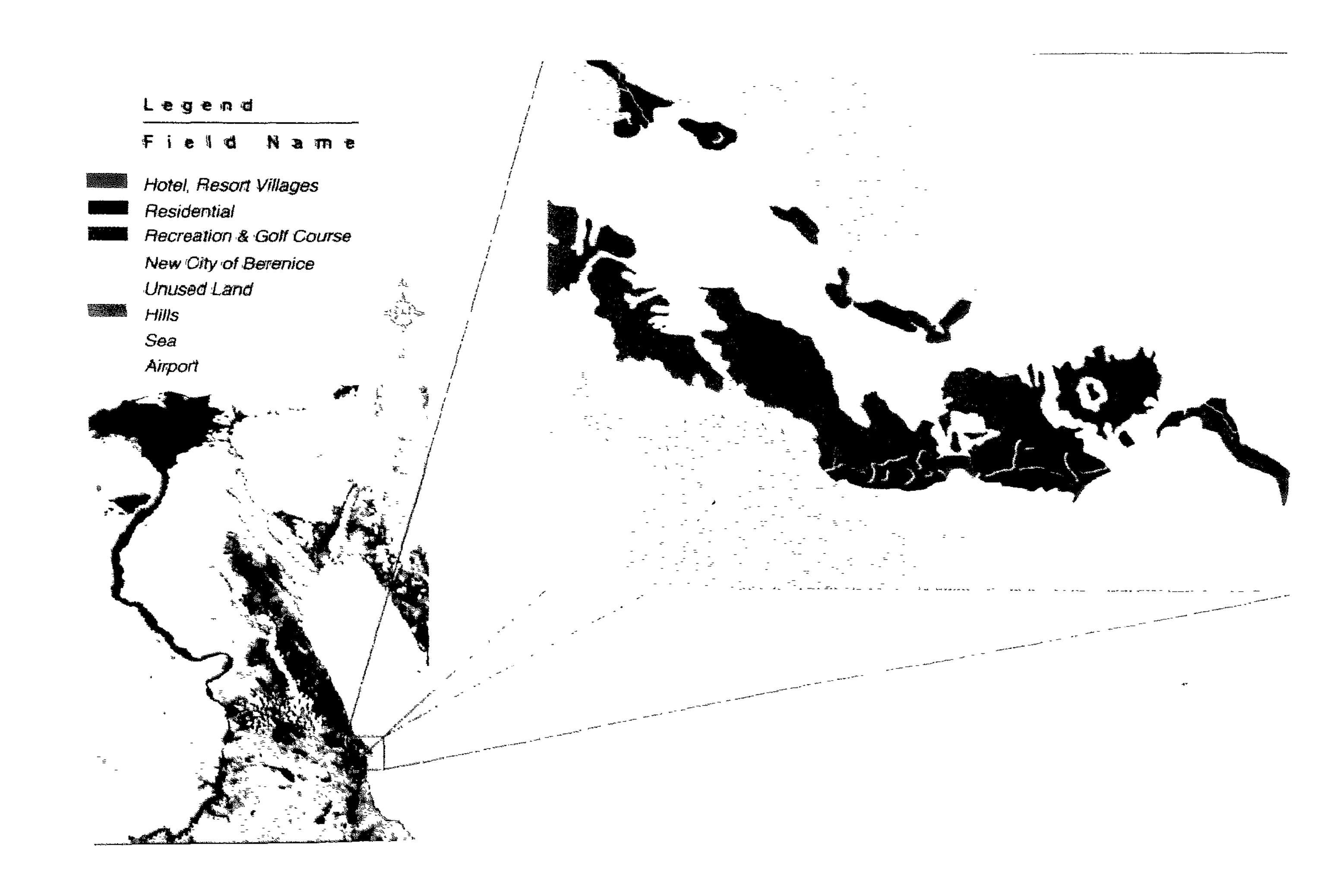
مشروعات السياحة

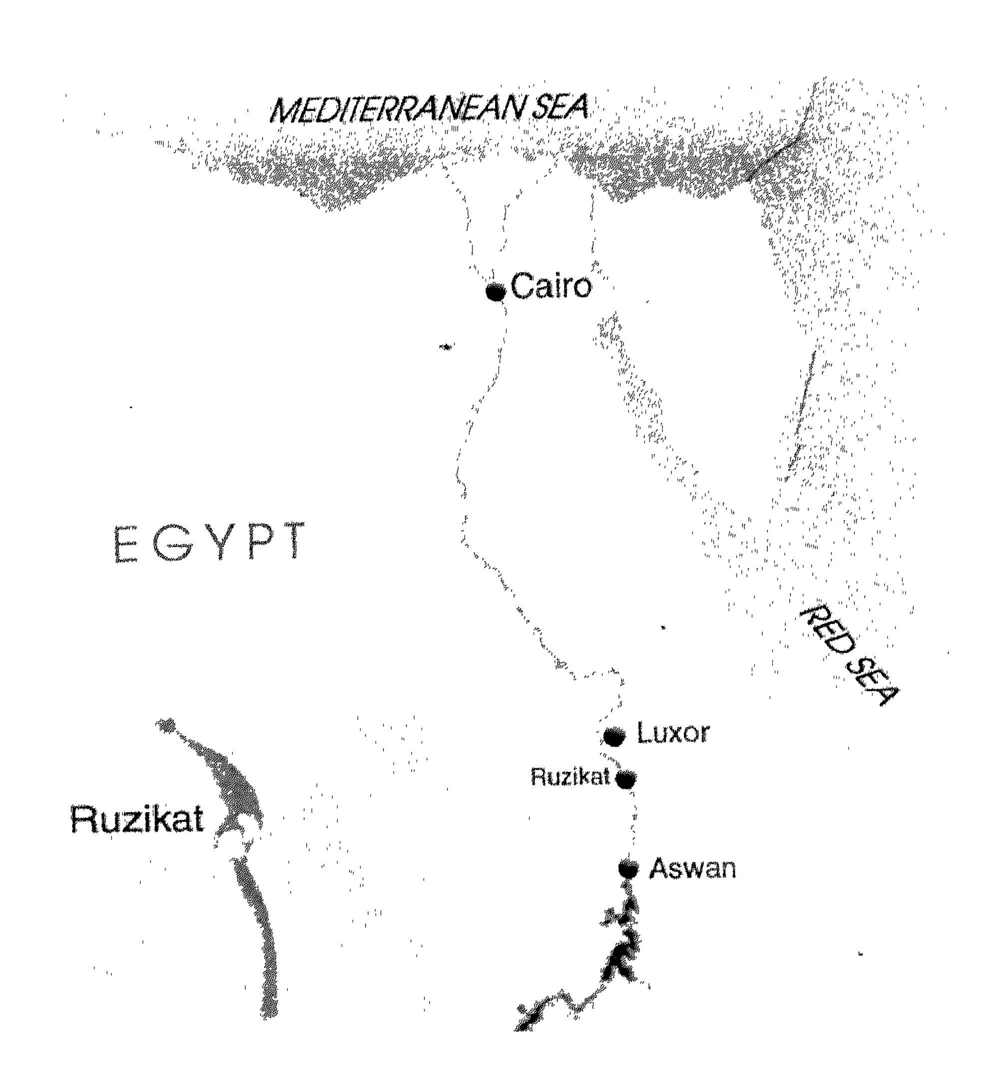
مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المدة
١	**● ريفيرا البحر الأحمر : (فى خليج العقبة) :** ـ منطقة البحر الأحمر تتمتع بميزة سياحية كبيرة فالمياه هادئة والرمال نظيفة ناعمة والشمس مشرقة دائما والصخور (الشعب المرجانية) لانظير لها، والجبال غير ملوثة. ـ وقد وضعت خطة تنمية ريفيرا البحر الأحمر وتشمل بناء الطرق والفنادق ومراكز الخدمة ورعاية المناطق ذات الجذب السياحى فى الخليج. ـ وفى مصر تبدأ المنطقة من جنوب طابا إلى رأس محمد. ـ وزودت المنطقة (فى الخطة) بمراكز خدمات متنوعة ومتقدمة.	ـ زيادة عدد قرى وإمكانات القرى السياحية والفنادق فى العقبة، وقد بدأت مصر تشييد الفنادق. ـ تنمية منطقة مركزية خضراء فى المنطقة الجنوبية من الخليج (٦٤ فدان أرض جولف + ١٠٥ فدان حدائق) ـ إنشاء مرسى لليخوت تسع من ٢٠٠ ـ ٣٠٠ يخت. التعاون بين دول المنطقة فى رابطة الغواصين وإقامة أكاديمية بحرية للأحياء والمرجان، وأجهزة إدارة السياحة وإدارة ملاعب الجولف وإدارة الجذب السياحى من شمال أمريكا وآسيا وأوروبا.	/	/
٢	**● مركز وادى الجمل ـ البحر الأحمر :** ـ يقع وادى الجمل على ساحل البحر الأحمر ويشغل مساحة ٢٧٢ كم وتتميز مسافة ٤٨ كم ساحل رملى وإمتدادها الأرض منطقة الغردقة/ شيلاتين ويقع وادى الجمل على مسافة ٥٠ كم من مرسى العلم وبها البنية الأساسية المطلوبة.		٢٧٤٣ مليون دولار أمريكى	
٣	**● منتجع رأس بنياس (برنيس) ٧٩٥ كم جنوب شرق القاهرة على البحر الأحمر :** ـ مخطط لبرنيس أن تكون منتجعا دوليا عند رأس بنياس حيث توجد شبه جزيرة على الساحل المصرى، ويمتد المنتجع ٤٢ كم على البحر الأحمر، ٦٣ كم على (خليج رأس بنياس) ويصلح منتجعا خلال الفصول الأربعة. ـ والمنتجع يتمتع بالمناخ المناسب والشعب المرجانية وصيد الأسماك			

	ويبعد ٣٥٦ كم جنوب شرق الأقصر، ٢٧٢ كم شرق أسوان، ٤٦٠ كم من جده، ٢٤١ كم عبر البحر الأحمر من ينبع بالسعودية.		١٢٠٠ مليون دولار أمريكى	
٤	● **مركز الفيوم السياحى ـ شمال بحيرة قارون :** ـ يشغل المركز حوالى ٨٠٠٠ فدان منها ٢٣٥ محمية، ويطل المركز على بحيرة قارون ويحظى بشاطئ رملى يمتد لأكثر من ١٢ كم بعرض ما بين ٢ ـ ٣ كم. ـ ويصله بالقاهرة طريق سريع ويشمل على : * موتيلات *فيلات مميزة * اسكان للسياحة * مساحات خضراء *كومبكلى فندقى * مراكز خدمات * شواطئ * أنشطة رياضية * متنزهات ترفيهية * بنية أساسية شاملة		١٢٩٨ مليون دولار أمريكى منها ١٢٠٠ للبنية الأساسية	
٥	● **تنمية الأنشطة السياحية على جزر النهر:** ـ يقع المشروع على جزيرة الرزيقات على النيل ١٨ كم جنوب الأقصر. ـ وجزر النيل تتميز بالخضرة الدائمة وتختلف عن المناطق الرملية. ـ وبعد السد العالى وإختفاء بعض الجزر توجد عدد ١١ جزيرة بين أسوان وسوهاج وقد تم اختيار الرزيقات كأفضل جزيرة. ـ والجزيرة ٢٫٥ كم طول وعرض حوالى ٤٢٥ متر مساحتها حوالى ٢٣٠ فدان.			

	ـ ويتم الوصول إليها بالسفن والفلايك. ـ ومخطط للجزيرة :ـ * ملعب جولف * مركز خدمات * فنادق وكازينوهات * قرية مصرية * بنية أساسية كاملة * منطقة مخازن	ـ تقديم خدمات ترفيهية ورياضية للسياح ـ الاهتمام برياضة الجولف وركوب الخيل. ـ أن يكون المنتجع نقيا وبعيدا عن التلوث.	٢٣ مليون دولار أمريكى	
٦	• مركز طابا للصناعة الحرفية : ـ يقع المشروع فى الجزء الشرقى من خليج العقبة (فى مصر) ـ إتاحة الخدمات والتدريب للمجتمع المحلى لكى ينظم شئونه وأعماله ويعتمد على ذاته. ـ خلق فرص عمل للبدو. ـ تشجيع المجتمع المحلى على انتاج مواد فائقة الدقة والقيمة مثل السيراميك والبرودريه والسجاد اليدوى والمجوهرات وأشغال الزجاج ومنتجات الصوف للتسويق المحلى والعالمى.	ـ إتاحة فرص عمل جديدة. ـ تنشيط السياحة بالمنطقة. ـ دفع والحفاظ على التراث الحضارى. ـ تشجيع الحرفيين من (الجنسين) لإقامة مشروعاتهم على أساس مهنى من خلال فهم كامل لتسويق منتجاتهم . ـ تدعيم مركز المرأة وإتاحة العمل المناسب لها.	٣ مليون دولار أمريكى	


MEDITERRANEAN SEA
Alexandria
Al Arish
Cairo
El Fayoum
Hurghada
Wadi El - Gamal
EGYPT
RED SEA
LUXOR
Aswan
Ras Banas
Touristic Centers


Legend
Field Name
Hotel, Resort Villages
Residential
Recreation & Golf Course
New City of Berenice
Unused Land
Hills
Sea
Airport


MEDITERRANEAN SEA
Cairo
EGYPT
RED SEA
Luxor
Ruzikat
Aswan
Ruzikat



سابعاً: الثقافة وحفظ التراث:

١ ـ نظرة عامة :

(أ) إن التراث الحضارى فى المنطقة غنى ومتنوع، فالمنطقة هى مهد الحضارة بمنجزات بشرية، فى الفن والمعمار والفلك والطب والهندسة والرياضيات والفلسفة وغيرها.

(ب) وحفظ هذا التراث من الأهمية الفائقة ليس للمنطقة وحدها بل أيضا للعالم أجمع.

٢ ـ المشروعات:

ـ وقد عرضت مصر مقترحات لمواجهة هذا التحدى ومنها:ـ

١ ـ أكبر متحف فى العالم

٢ ـ مشروع معلومات عن التراث الحضارى.

٣ ـ مركز أقليمى للحفاظ على التراث واحيائه.

٤ ـ ادارة موقع (بانوراما) لمجتمع تراثى حضارى.

مشروعات الثقافة وحفظ التراث

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
١	● **مشروع وادى الحضارة الأقليمى:** (أ) - أقامة مجمع متاحف وتسهيلات تغطى كل عصور التاريخ، ويمكن الأستعانه بالتكنولوجيا الحديثة للوصول إلى مستوى عال من الدقة فى بث المعلومات مما يجعل المجمع منبعا لخبرات ترفيهية وتعليمية للزوار. (ب) - وستكون هناك وسيلة أتصال متاحة بين المتاحف على المستويات الوطنية والأقليمية والدولية وهو أمر يؤدى إلى زيادة عدد زوار المتاحف. (جـ) - وسيتم بناء مجمع من عشرين متحفا وحوله: ـ مركز للحرف اليدوية . ـ متحف أطفال. ـ مركز بحوث حضارى وتعليمى أقليمى. ـ مركز إعلامى وفنى لإعادة إنتاج نماذج حضارية. ـ مركز نشر وتوثيق. ـ شبكة حديثة إعلامية وشبكة أتصالات لاسلكية. ـ مجمع خدمات يضم مسرح ومكتبة وكافتيريا ومطاعم وفنادق ومتنزهات ومتحف مفتوح (غير مغطى).	ـ عرض وحفظ التراث المجمع فى المنطقة. ـ إتاحة منبر للتعليم. ـ جذب مجموعات سياحية لم تكن تعنى من قبل بزيارة المتاحف التقليدية. ـ تحقيق مشروع تاريخى رمزى يعد مصدر فخر لدول الأقليم. ـ دعم وتنمية السياحة التقليدية. ـ خلق مزيد من فرص العمل.	٥ مليون دولار للدولة ٣٥٠ مليون دولار للمشروع	
٢ تابع (٢)	● **المشروع الأقليمى الإعلامى للتراث الحضارى:** (أ) وضع الأساس لحفظ التراث فى الأقليم فى مجالات المعمار والفلك والعلم والدين والفلسفة وغيرها، ويمكن الأستعانه فى هذا الصدد بالأصدارات الإعلامية لدول المنطقة وتبادل المعلومات فى الأقليم. ـ كما يمكن تزويج استخدامات التكنولوجيا الحديثة مع الحضارة. (ب) ويمكن الوصول إلى هذا الغرض بإقامة:ـ ـ نظم متاحف المعلومات	(أ) اتاحة الفرص للهيئات الثقافية فى المنطقة لحسن ادارة المجموعات والكنوز الثقافية. (ب) الأتصال بالمراكز والمتاحف الأخرى فى الأقليم والعالم لنشر وتسلم المعلومات. (جـ) دعم السياحة. (د) دعم الأهداف التعليمية.	٢٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات

	ـ نظام النشرات الأقليمى. ـ نظام معلومات عن المواقع الاركيولوجية (الحفائر).			
٣	● **المركز الأقليمى للحفظ والأحياء (التراث):** (أ) ـ أقامة مركز أقليمى لحفظ واحياء الآثار وكنوز التراث الحضارى لجنوب وشرق المتوسط وذلك بمسح وجرد موارد الأقليم الحضارية. (ب) والمركز سيكون مزودا بمعدات لأحياء وترميم الآثار. (جـ) ويتضمن ذلك أيضا تدريب مكثف لهذا الغرض.	(أ) حفظ مواد التراث الحضارى للأقليم للآجيال القادمة لتكون مفيدة فى مجالات السياحة. (ب) دعم قدرة المنطقة على الحفاظ على التراث وإحيائه. (جـ) اتاحة فهرس (كتالوج) للموارد الحضارية والتراث. (د) ترميم مواقع الآثار	٣٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات
٤	● **مشروع ادارة موقع مجمع التراث الحضارى:** (أ) جمع البيانات عن سمات الموقع. (ب) وعمل مسح ودراسات للمخاطر التى يتعرض لها الموقع. (جـ) رسم السياسات العامة للتمويل والاحياء والترميم. (د) تدريب الأفراد لأغراض المشروع. (هـ) الأهتما م بنقاء البيئة حتى لاتضار المواقع التاريخية.	(أ) الحفاظ على موارد التراث الحضارى للمنطقة للاجيال القادمة والأستفادة منها فى السياحة وغيرها. (ب) ادارة مجمع لمواقع التراث الحضارى. (جـ) دعم عائدات السياحة.	١٥ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات



ثامناً : تنمية الموارد البشرية:

١ ـ نظرة عامة :

(أ) إن تنمية الموارد البشرية هى مفتاح التنمية الإقليمية والنمو القومى. وللوصول إلى الأهداف المرجوه يجب على مصر ودول الإقليم الأخرى رسم وتنفيذ إستراتيجيات التنمية والتى تقوم على التعليم والتنمية المهنية.

(ب) وتقترح مصر برنامجين، ويقوم الأول والثانى بإستخدام مراكز التدريب المصرية لتدريب الأفراد من دول المنطقة فى كل المجالات، والبرنامج الثانى بالإضافة إلى ما سبق يستثمر فى مستقبل المنطقة.

(جـ) وتعد مصر واحده من أغنى البلاد فى المنطقة فى الموارد البشرية بفضل عدد خريجى الجامعه وخريجى المدارس الثانوية والفنية (حاملى الدبلومات) والذى يبلغ ٨ر١٣ مليون فرد.

ـ ورغم هذا العدد الضخم من المتعلمين هناك حاجة إلى الخبرات المهنية فى قطاعات مختاره من سوق العمالة لأمداد صناعات

معينة ومنها التقنية الزراعية الحديثة والتكنولوجيا الحديثة وصيد الأسماك وصباغة النسيج وتصميم الملابس وفن البيع والتسويق وتنمية الصناعات الحرفية وصناعة البناء والتشييد.

(د) ونظرا لزيادة الإستثمارات فى هذه المجالات فإن المنطقة تحتاج إلى عمالة فنية عالية التدريب.

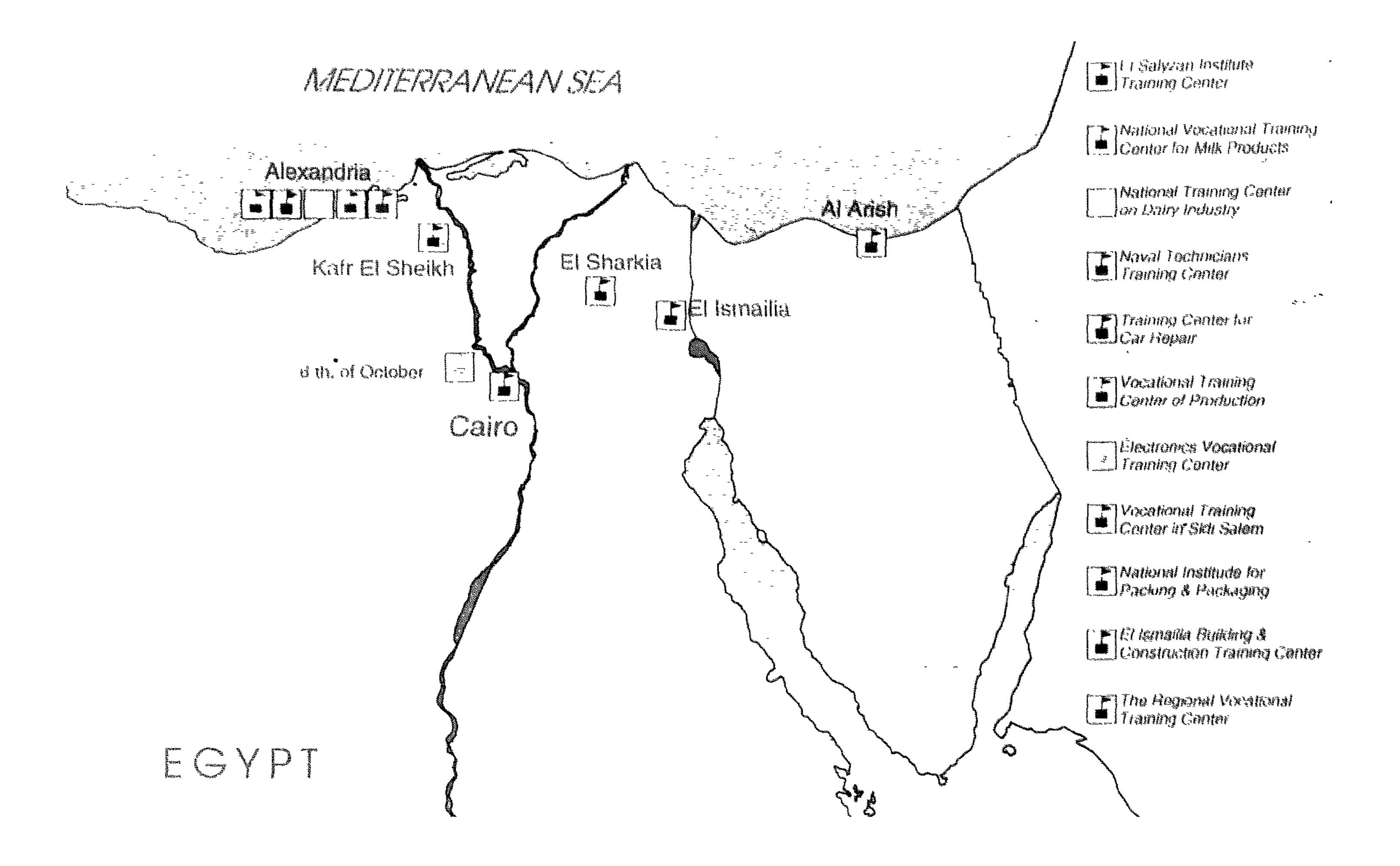
وبسبب حجم السكان وأعداد الخريجين فإن مصر تشعر أن الإستثمار المكثف فى مجال تنمية الموارد البشرية من خلال إنشاء مراكز التدريب الإقليمية سيكون له مردود كبير ويسهم فى دعم الرخاء والسلام فى المنطقة.

٢ ـ المشروعات

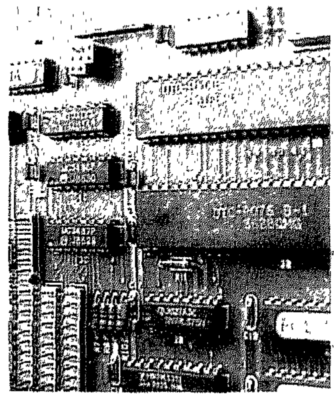
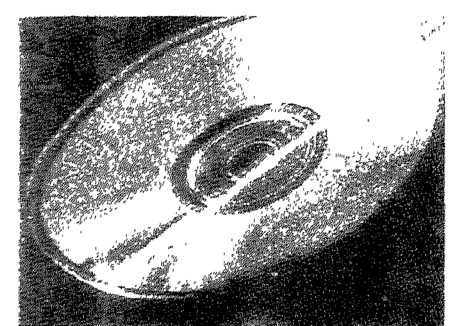
وهناك العديد من المشروعات فى هذا الصدد أهمها المشروع موضع الإشارة هنا عن تطوير ودفع مراكز التدريب المهنى القائمة فى مصر.

مشروعات تنمية الموارد البشرية

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع
١	● **مشروع تطوير مراكز التدريب المهنى القائمة فى مصر :** (أ) تطوير مراكز التدريب القائمة فى المجالات التالية : * الاتصالات اللاسلكية. * مكافحة الحريق. * المسح الأرضى. * البيع والتسويق. * الميكانيكا. * صناعة النسيج. * البناء والتشييد. * صناعة الصلب. * الطباعة. * الصحة. * البحرية. * وسائل النقل. * تشغيل المعدات الثقيلة. * البترول والصناعات البتروكيماوية. * الرى. * ميكنة الزراعة. * توليد الطاقة الكهربية. * الطرق والكبارى. (ب) تزويد المراكز بالمدربين والمعدات ووسائل الإيضاح والمبانى اللازمة.	(أ) رفع كفاءة وتدريب العمال والخريجين العاطلين. (ب) تطوير مراكز التدريب الحالية وتحديثها. (جـ) تطوير التدريب ليواكب المتطلبات المحلية والدولية. (د) دفع التدريب العملى. (هـ) إقامة مجلس معتمد لمنح شهادات ورخص العمال المدربين.



MEDITERRANEAN SEA
Alexandria
Kafr El Sheikh
El Sharkia
El Ismailia
Al Arish
of October
Cairo
EGYPT
Salyzan Institute Training Center
National Vocational Training Center for Milk Products
National Training Center on Dairy Industry
Naval Technicians Training Center
Training Center for Car Repair
Vocational Training Center of Production
Electronics Vocational Training Center
Vocational Training Center in Sidi Salem
National Institute for Packing & Packaging
El Ismailia Building & Construction Training Center
The Regional Vocational Training Center


تاسعاً: التكنولوجيا العالية:

١ ـ نظرة عامة :

(أ) التكنولوجيا العالية High Tech هو مصطلح يعنى عدداً من الأنشطة التكنولوجية مثل: الألكترونيات، وصناعة معدات وبرامج الكمبيوتر، وصناعة الروبوت، والتصميم والصناعة بالاستعانة بالكمبيوتر، والمعدات البصرية، ومعدات الإتصالات، وتقنية الجينات الحيوية وغيرها من المستحدثات.

(ب) والتكنولوجيا العالية يمكن أن تخدم الإسراع بالتنمية الأقتصادية ـ الأجتماعية فى الأقليم.

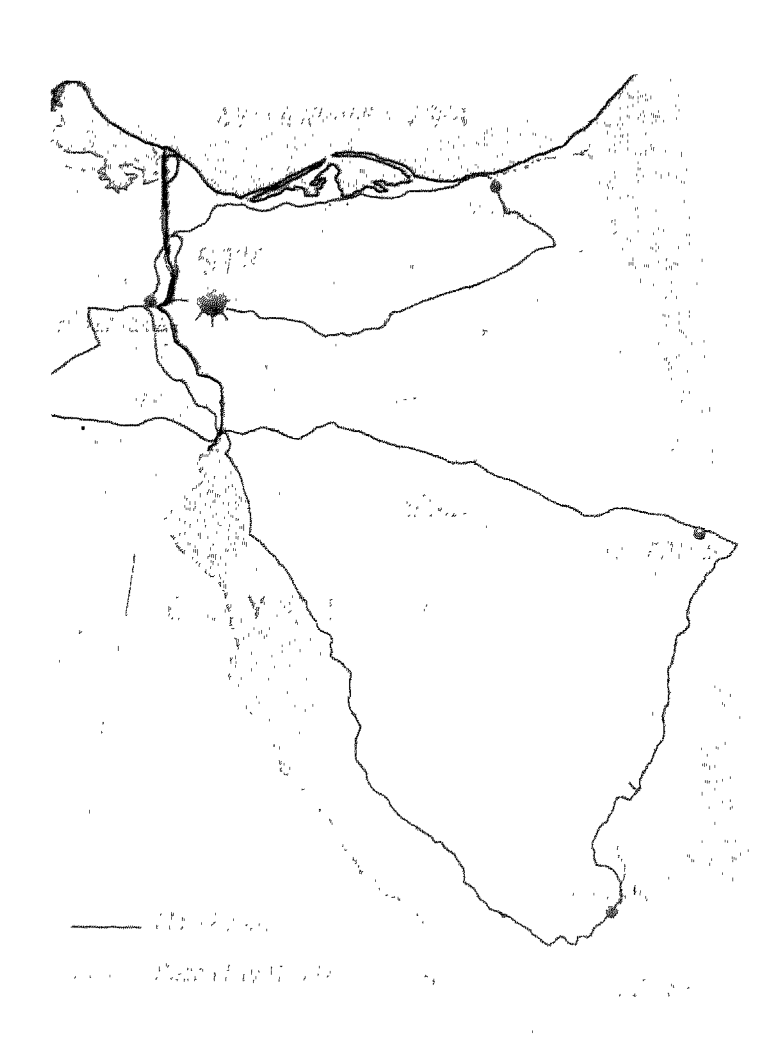
(جـ) وتقترح مصر تخطى بعض المراحل والقفز للحاق بالتقدم التكنولوجى والتنافس، بمعنى تضييق الفجوة التى تفصل دول المنطقة بالعالم المتقدم.

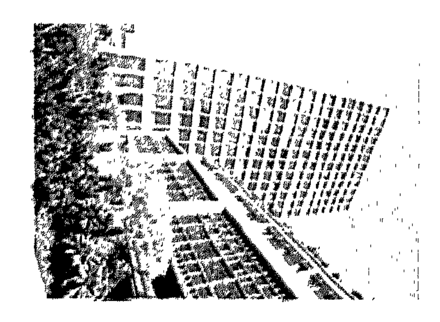
٢ ـ المشروعات:

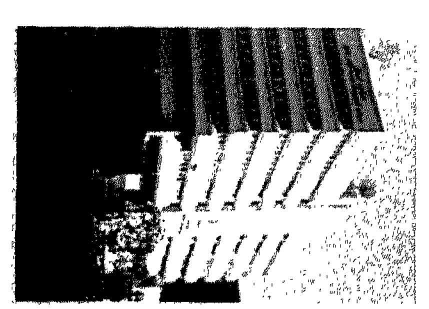
قدمت مصر مشروعا فى هذا الصدد بالقرب من الاسماعيلية.

مشروعات التكنولوجيا العالية

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
١	● **مشروع وادى التكنولوجيا فى سيناء بالإسماعيلية:** (أ) قدمت مصر حوافز استثمارية تتلخص فيمايلي:- ١ ـ اعفاءات من الضرائب والرسوم. ٢ـ تقديم البنية الأساسية الخاصة بالاتصالات اللاسلكية والطاقة والمياه. ٣ ـ تسهيلات استثمارية مثل أراض مجانية وتسهيل اجراءات الترخيص. ٤ ـ تقديم التسهيلات الفنية والعالمية من خلال الجامعات ومراكز البحوث. ٥ ـ تقديم التسهيلات فى مجالات التدريب الفنى. ٦ ـ تقديم التسهيلات التجارية قرب الموقع من القاهرة وميناتى بورسعيد والسويس وعلى الطريق السريع للشرق الأوسط. ٧ ـ وتقديم مركز دولى للمؤتمرات واتصالات بالأقمار الصناعية ومعارض دولية وتسهيلات تخزين. ٨ ـ كما قدمت تسهيلات فى مجالات البيئة بتوفير مناطق خضراء حول المشروع المقترح وأراضى للمساكن والملاعب والمدارس والفنادق والمستشفيات. (ب) ويغطى المشروع المجالات السابق سردها فى «نظرة عامة». (جـ) وقد بدأت الأعمال فى المشروع فعلا عام ١٩٩٥	(أ) تسهيل قيام صناعات قائمة على التكنولوجيا العالية لدفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى دول المنطقة. (ب) تحقيق عائد للأقليم حوالى ٥ر١٠ بليون دولار أمريكى (١٠٥٠٠ مليون) يكون نصيب مصر منها ٢٥٠٠ مليون دولار (أى حوالى الربع). (جـ) تحقيق تنمية تكنولوجية مشتركة فى المنطقة بالاستعانة بالقاعدة التكنولوجية الموجودة بالمنطقة والاستثمارات الأجنبية والكفاءات التكنولوجية الماهرة فى الأقليم. (د) تطوير قاعدة التدريب العالى والخدمات المرتكزة على أسس تكنولوجية عالية. (هـ) تحقيق أفضل النتائج بالتزاوج بين : *الصناعة والأعمال. * مراكز البحوث. * الجامعات.	٢٠٠ مليون دولار	٤ سنوات













عاشراً: المعلومات (قناة المعلومات الإقليمية) :

١ ـ نظرة عامة :

(أ) تعتبر نظم الاتصالات اللاسلكية الرقمية المتاحة والخدمات الإعلامية من أسس النمو الاقتصادى الإقليمى.

– ومن الأهمية للمنطقة أيضا أن يتم تشييد البنية الأساسية والقدرة الاقتصادية، ووضع استراتيجية تشييد البنية الأساسية اللازمة لنظام معلومات إقليمى.

– وقناة المعلومات الإقليمية تشتمل على برامج ومشروعات تمكن الأقليم من القفز إلى عصر المعلومات، وتمكن دول المنطقة من مزاياها التنافسية والخاصة.

– وقناة المعلومات الإقليمية تتيح مايلى:

●● تجميع دول المنطقة (التقريب بينها)

●● وتجميع منظمات المنطقة معا.

●● وتجميع القيمة المضافة لشعوب ومشروعات المنطقة.

(ب) وقد سارت مصر شوطا لإقامة قناة معلوماتها الوطنية بالأهتمام بالبنية الأساسية وبنية المعلومات، وفى عام ١٩٩٤ أقامت مصر نظامـهـا الوطنى لقناة المعلومـات لدعم نموها الاقـتـصـادى الاجتماعى وتضمن ذلك :

●● شركة خاصة لشبكة المعلومات.

●● شبكة معلومات تجارية.

●● وشبكة عماله.

●● وشبكة تعليم.

●● وشبكة ثقافية.

●● وشبكة محافظات.

(جـ) وكانت الخطوة الأولى من أجل تحقيق التكامل والتنسيق والدعم لبرامج تكنولوجيا المعلومات على المستوى الإقليمى، هى إقامة المركز الاقليمى لتكنولوجيا المعلومات ولهندسة أنظمة التشغيل (RITSEC) فى القاهرة فى يناير ١٩٩٢ .

(د) وقد حققت هذه الإنجازات نتائج ملموسة فى مجال البنية الأساسية وبنية المعلومات فى اتجاه إنشاء قناة المعلومات الإقليمية.

٢ ـ المشروعات :

ولدعم إنشاء قناة المعلومات الإقليمية اقترحت مصر برنامجين وتسعة مشروعات، ثلاثة للبرنامج الأول، وستة للثانى.

(أ) البـرنامج الأول: قناة الاتصـالات الاقليـمـيـة لتـحـسين وسـائل الاتصال وبنيتها الأساسية ويتضمن :-

●● تحسين وتطوير البنية الأساسية للإتصالات الإقليمية.

●● إنشاء وحدات ربط (للإتصالات) إقليمية.

●● إنشاء شبكة خدمات أساسية إقليمية.

(ب) البرنامج الثانى : شبكات القيمة المضافة.

- من أجل تحسين وتنفيذ القيمة المضافة لخدمات المعلومات يشتمل مشروعات البرنامج الثانى إنشاء الشبكات التالية :

●● شبكة معلومات إقليمية تجارية.

●● شبكة معلومات إقليمية تشريعية.

●● شبكة معلومات إقليمية للعلوم والتكنولوجيا.

●● شبكة معلومات إقليمية عن الصحة.

●● شبكة معلومات إقليمية عن السياحة.

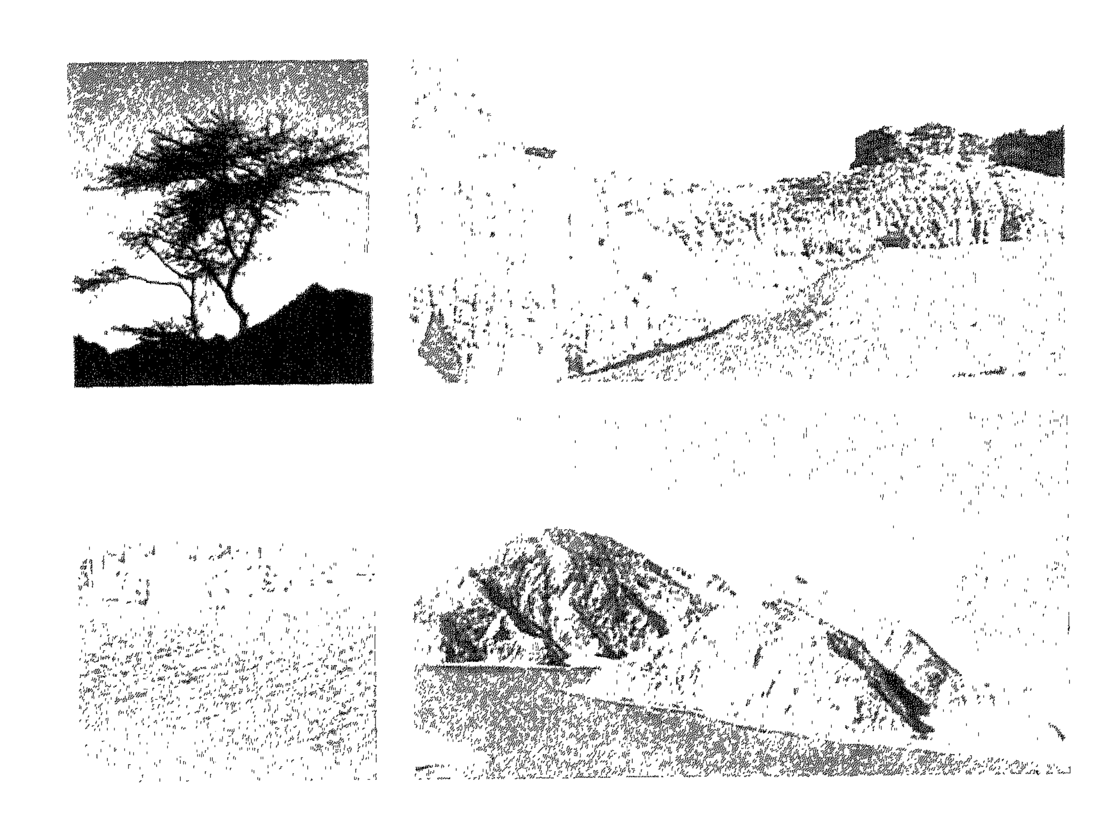
مشروعات قناة المعلومات الاقليمية
«البرنامج الأول»

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المدة
١	**البرنامج الأول : قناة الاتصالات الإقليمية وتشمل ثلاث مشروعات** ● **تطوير بنية أساسية للإتصالات الإقليمية :** طبيعة المشروع :ـ (أ) إقامة بنية أساسية مادية فعالة للاتصالات على المستويين الوطنى والإقليمى (ب) إقامة نظام للتنسيق وتحديد الرسوم والأسعار بالتعاون مع اتحاد الإتصالات الدولية وعربسات وغيرها من الهيئات الوطنية للإتصالات والبث. (جـ) إنشاء نظام وصل حديث (بين الأجهزة المحلية).	(أ) دعم التعاون الإقليمى فى مجال البنية الأساسية للاتصالات. (ب) إتاحة شبكة إتصالات حديثة ويعتمد عليها. (جـ) إقامة بنية أساسية مادية كقاعدة لشبكة الخدمات القائمة على الأسس الفنية والقيمة المضافة.	٨٥ مليون دولار على مرحلتين	٤ سنوات
٢	● **إقامة وصلة إقليمية :** (أ) الإنطلاق من نتائج المشروع الأول لإقامة وصلة إقليمية لنقل مواد البث السمعية والبصرية والمعلوماتية بين دول الإقليم. (ب) إقامة شبكة إتصالات إقليمية حديثة بما فى ذلك إنشاء وصل فقط (عقد) تقاطع X. 25 وإطار متاول ISDN ومحولات ATM لتحقيق النقل من الصوت إلى بيانات المعلومات. (جـ) وإقامة مدخل (Gateway) إلى حامل معلومات الإتصالات الدولية مثل تليكوم البريطانى وتليسكوم الفرنسى، وهكذا لنقل بيانات الاتصالات على المستوى الدولى أيضا.	(أ) تقديم خطة خدمات الوصل والتحويل فى المنطقة. (ب) لتقديم نظام إتصال رقمى مباشر بين دول المنطقة. (جـ) إقامة وصلة لازمة بين التليفونات وبين شبكة إتصالات المعلومات فى مختلف دول المنطقة. (د) إتاحة مدخل وتسهيلات عبور بين المنطقة وبين مختلف دول العالم.	٣٥ مليون دولار أمريكى على مرحلتين	٥ سنوات
٣	● **إنشاء تسهيلات (خدمات) الشبكة الأساسية :ـ** (أ) شبكة خدمات أساسية على المستويين المحلى والإقليمى، والإستعانة بالمشروعين السابقين من أجل بث إتصالات المعلومات وأعواد السمعية والبصرية وتقديم خدمات الدخول إلى الشبكات المتعددة. (ب) كما يتضمن إنشاء الخدمات الإقليمية الأساسية مثل البريد الإلكترونى ونظم تسليم الرسائل وخدمات الدليل وغيرها.	(أ) تجميع دول المنطقة الكترونيا. (ب) تقديم مدخل إلى الشبكات الدولية.	٤ مليون دولار أمريكى لكل دولة، ٢٠ مليون دولار للتسهيلات الإقليمية	٣ سنوات

مشروعات قناة المعلومات الاقليمية
البرنامج الثانى

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المدة
١	**البرنامج الثانى : شبكات القيمة المضافة ، ويشتمل على ست مشروعات :** ● **شبكة المعلومات التجارية الإقليمية :** (أ) تقديم خدمات شبكة معلومات للقيمة المضافة لرجال الأعمال والمنظمات من أجل دفع قدرة الإقليم التنافسية فى مجالى التجارة والاستثمار. (ب) إتاحة معلومات حديثة ودقيقة لمجتمع الإقليم عن : * فرص التجارة * فرص الاستثمار * الأسواق والسلع * اللوائح والإجراءات * تحليل المخاطر * المؤشرات الإقتصادية * المؤشرات المالية.	(أ) دفع عملية التجارة والاستثمار. (ب) تشكيل مجموعة اقتصادية إقليمية قادرة على فتح آفاق للإقليم فى مجال الأعمال والتجارة الدولية. (جـ) إستفادة كل دولة من خدمات المشروع.	٢٠ مليون دولار أمريكى	٣٠ شهر
٢	● **شبكة المعلومات التشريعية الإقليمية :** (أ) لدعم التنسيق والتعاون وتنميط الإجراءات والتشريعات إقليميا عن طريق تبادل وفتح الطريق ونشر وتبادل المعلومات عن التشريعات والإجراءات. (ب) وينشئ المشروع وصلات للشبكة فى الدول المشتركة لخدمة القطاع الخاص ومصالح الحكومة والمحامين والهيئات التشريعية وهيئات التعاون الإقليمى.	(أ) دعم التنسيق والتعاون الإقليمى. (ب) خلق وتطوير نظام معلومات تشريعى وطنى. (جـ) تلافى الإزدواجية فى الجهود.	٢٤ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات
٣ ٤	● **شبكة المعلومات العلمية والتكنولوجية الإقليمية :** (أ) يعمل أداة لتجميع الموارد البشرية والفكرية الإقليمية للإسهام فى جهود البحوث والتنمية فى الإقليم. (ب) اتاحة مجال للعلماء والباحثين للعمل وتبادل الآراء عبر تسهيلات حديثة باستخدام الخدمات الأساسية للشبكة.	(أ) الجمع بين فرق البحوث فى الإقليم. (ب) إتاحة منبر تكنولوجى لإستخدام المعلومات المجمعة والبحوث وتطبيقاتها (جـ) إنشاء ذاكرة إقليمية.	١٠ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات

٤	● **شبكة المعلومات البيئية الإقليمية :** (أ) إتاحة البنية المعلوماتية الأساسية لإدارة وتنسيق شئون البيئة. (ب) تقدم وصلات بالشبكات المحلية يستفاد منها إقليميا عن المعلومات الجغرافية أو البيئية ومركز توثيق. (جـ) تقديم معلومات عن المياه والهواء والضوضاء ومصادر التلوث.	(أ) تسهيل التنسيق والإدارة الإقليمية وتتبع الإهتمامات البيئية. (ب) دفع وتنشيط المعلومات عن القطاعات الحيوية من أجل التنمية المستمرة فى الإقليم. (جـ) تحسين مستوى الحياة فى الإقليم.	٦ مليون دولار أمريكى لكل دولة	٥ سنوات
٥	● **شبكة المعلومات الصحية الإقليمية :** (أ) لانجاز مستوى عال من الرعاية الصحية بالإستفادة من تكنولوجيا المعلومات بالشبكة. (ب) خدمة المرضى والأطباء وغيرهم.	(أ) خلق قاعدة معلومات عن المراكز الصحية الخاصة والعامة وعن الأطباء. (ب) ربط الشبكات الوطنية والإقليمية بالشبكات العالمية. (جـ) دعم التعاون عن بعد. (د) تقديم وسائل وطرق جديدة للتعلم والتدريب للأطباء.	٦ مليون دولار أمريكى لكل دولة	٥ سنوات
٦	● **شبكة المعلومات السياحية الإقليمية :** (أ) إقامة ودفع قاعدة معلومات وتسهيلات وخدمات لدعم السياحة ووكلائها والفنادق وشركات الطيران والنقل. (ب) مساعدة المسافرين والسياح فى خططهم. (جـ) إتاحة مجال لأعمال صناعة السياحة.	(أ) إستفادة السياحة الإقليمية. (ب) يستفيد السياح والمسافرون من مرونة وسهولة التخطيط المتاح عبر الشبكة.	٢ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات



حادى عشر: البيئة:

١ ـ نظرة عامة :

(أ) إن الأرض تواجه مشاكل كونية ضخمة، وتعنى بذلك أساسا حماية البيئة وهى مشكلة تتطور بسرعة وسرعان ماسيكون لها آثارها الخطيرة.

(ب) إن حماية البيئة قد أصبحت تحديا رئيسيا لكل دولة فى العالم ولذا يجب حشد كل الطاقات الوطنية والإقليمية لايجاد حلول لمشاكل البيئة.

(جـ) وقد اهتمت مصر بهذه المشكلة كجزء هام من خططها الوطنية والإقليمية.

(د) وهناك مبادئ أساسية فى هذا الصدد أبرزها :ـ

* الإستخدام الأمثل المستمر لمكونات البيئة.

* مشاركة عادلة فى المنافع.

* رغبة صادقة وتعاون أوثق بين دول المنطقة.

* إدارة فعالة للموارد المتناقصة الإقليمية.

(هـ) وهناك مبدأ أساسى مفاده: أن حماية بيئة الأض هو اهتمام كل من يعيش فوقها.

٢ ـ المشروعات :

وهناك تسعة مشروعات متقدمة فى هذا الصدد.

مشروعات البيئة

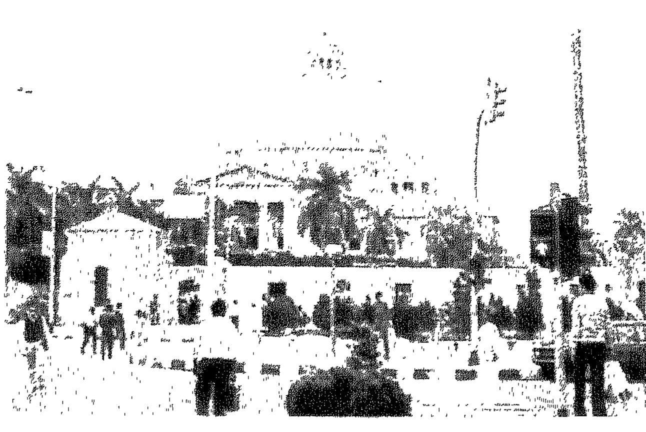
مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المدة
١	● **التصنيع المشترك لمعدات ومكونات معالجة مياه الصرف فى دول جنوب وشرق المتوسط:** (أ) التصنيع المشترك للمعدات والمكونات اللازمة لهذا القطاع والتى لم تقم دول المنطقة بتصنيعها بالاستعانة بتكنولوجيا المنطقة. ـ وسيتم إختيار دولة أو أكثر من دول المنطقة للإنتاج الكبير لتغطية إحتياجات دول المنطقة ولغرض التصدير. (ب) وسيتم الإستعانة بخبرات واستثمارات دول المنطقة.	(أ) توفير كمية كبيرة من العملة الصعبة كانت دول المنطقة تنفقها لإستيراد هذه المعدات والمكونات. (ب) دفع عجلة الصناعة بشكل عام وخاصة باستخدام التكنولوجيا المتقدمة.	من ٤٠ ـ ١٠٠ مليون دولار أمريكى	/
٢	● **تطوير وتنفيذ خطة عمل للتنمية المستمرة فى المنطقة الساحلية بالبحر الأبيض المتوسط:** (أ) المناطق الساحلية للمتوسط تتعرض لضغوط مستمرة بسبب زيادة عدد السكان وزيادة معدل التنمية، وهذا هو الوضع فى دولة مثل مصرحيث يزيد عدد سكان الحضر بنسبة ٥٪ والزيادة العامة السنوية ٤ر٢٪ . (ب) وخطة العمل تخدم أساسا رسم السياسات وإدارة المناطق الساحلية. (جـ) والمشروع يتصل بشكل وثيق بالمعلومات عن المناطق البحرية والساحلية . (د) ويهتم أساسا برسم وتنفيذ خطة عمل للتنمية المستمرة فى المستقبل بالنسبة للمناطق البحرية والساحلية فى المتوسط.	(أ) استفادة المنطقة من المشروع من خلال دفع عجلة خطة العمل وتنفيذها فى اتجاه التنمية المستمرة للمنطقة موضع البحث.	٢ مليون دولار للمرحلة الأولى وتكلفة المرحلة الثانية تعتمد على إنجاز الأولى	ينفذ على مرحلتين الأولى تستغرق سنة واحدة
٣	● **إقامة نظام معلومات متكامل ورائد للمناطق البحرية والساحلية:** (أ) من أهم عوامل ضبط وإدارة البيئة هو القدرة على تخزين وحصر وتحليل البيانات التى توجد الآن مبعثرة وغير منتظمة. (ب) وفى المقام الأول سيتم تنمية قاعدة معلومات فى كل دولة من الدول الأربعة التى تشتمل على معلومات بشأن الموارد البحرية	(أ) دفع وتسهيل الوصول إلى المعلومات الفنية المخزنية لإستخدامها بواسطة متخذى القرار والباحثين وغيرهم. (ب) أن يكون المشروع منطلقا لصالح الدول الأخرى بالمنطقة.	١٢ مليون دولار أمريكى	عامين على مرحلتين

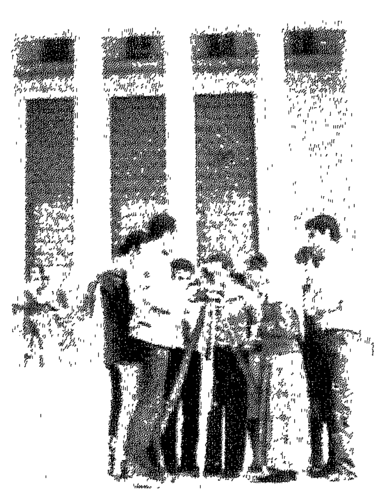
	والساحلية وغيها من معلومات هامة أمام أجهزة الرقابة وضبط وإدارة شئون البيئة ومنع التلوث. (جـ) ويشتمل المشروع على تنمية نظام أجهزة التشغيل اللازمة لقاعدة المعلومات والأجهزة المطلوبة مثل الكمبيوتر.			
٤	● برنامج الشرق الأوسط لتكنولوجيا التحلية :- (أ) الشرق الأوسط يعد من أكثر المناطق ندرة فى موارد المياه العذبة وستزداد مشكلة نقص المياه فى المستقبل القريب بسبب عوامل ثلاثة هى :- ـ زيادة عدد السكان بشكل لم تعهده المنطقة من قبل. ـ تزايد معدل التنمية الاقتصادية. ـ وعدم تجدد الطبقات الحاملة للمياه. (ب) والاتجاه الحديث لمعالجة هذه المشكلة يتركز فى :- ـ ترشيد إستهلاك المياه . ـ إعادة إستخدام المياه (التدوير) ـ وحصاد المطر. (جـ) ومع ذلك فلا زالت المشكلة ملحة، ولذلك يجب بحث الطرق الأخرى التى تحقق موارد إضافية من المياه العذبة مثل المطر الصناعى والتحلية، والمشروع المعروض الآن يركز على التحلية وتدعيم التعاون من أجل هذا الهدف. (د)ويركز المشروع التعاونى بين دول المنطة على مايلى :- ـ برنامج بحوث مشترك . مشروعات تجريبية. ـ برنامج للتصنيع المشترك للمعدات. ـ التدريب والمعلومات.	(أ) تخفيض تكلفة وحدة التحلية. (ب) إنهاء الضغط على موارد المياه العذبة فى المنطقة.	٤٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات على خمس مراحل

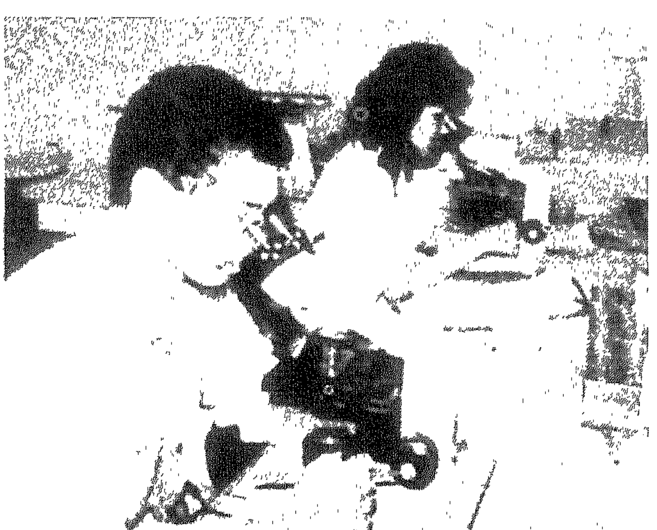
٥	● **برنامج تخضير مناطق المتوسط :** (أ) الدول فى جنوب وشرق المتوسط تتسم بمعدل ناتج قومى إجمالى منخفض وندره فى مياه الأمطار وأراضى اقل خصوبة ومعدل نمو عالى للسكان أكثر من الدول فى الشمال، هذا بالإضافة إلى مشاكل تحرك الرمال وتكون كثبانها . (ب) وأهم مايركز عليه المشروع :- ـ إقامة أحزمة خضراء فى مناطق مختارة ـ إستخراج المياه الجوفية زراعة الغابات فى المناطق القاحلة: ـ تثبيت كثبان الرمال بالزراعة.	(أ) حماية الأراضى الزراعية بالأحزمة الخضراء. (ب) إكتساب مزيد من الخبرة فى مجالات استخراج المياه وإصطياد المطر واستخدام مياه الصرف.	١٠٠ مليون دولار أمريكى	٦ سنوات
٦	● **البرنامج الأقليمى للتعامل مع تسرب البترول :** (أ) يتعرض البحر الأبيض المتوسط إلى أعلى كثافة للقطران بالمقارنة بالبحار الأخرى. وقد شهد المتوسط عددا من الحوادث التى خلفت بقعا للزيت. (ب) وقد اتخذت عدة دول فى المنطقة التدابير اللازمة للإقلال أو منع تلوث مياه البحر وخاصة لخدمة السياحة. (جـ) ويرتكز المشروع على :- ـ أهمية المعونة الفنية لمحاربة تسرب البترول وإمكانية تبادل المعلومات والخبرات فى هذا الصدد. ـ والاهتمام بالتدريب على التخطيط والعمل والصيانة لمكونات برنامج المكافحة. ـ وتدبير المعدات اللازمة للإتصالات والإستشعار والتحليل.	(أ) وجود برنامج للتعامل مع المشكلة. (ب) توفير الإمكانات الخاصة بمسح واستشعار وتحليل ومكافحة التسرب.	٦٠ مليون دولار أمريكى	٤ سنوات على ثلاث مراحل
٧	● **إقامة تسهيلات إستقبال العادم البترولى والعادم الصلب فى موانى المتوسط:** (أ) بعد التصديق على إتفاقية منع التلوث من السفن فإن الدول	(أ) منع التلوث من عادم السفن ومن منصات البترول فى البحر.	٦٠ مليون دولار أمريكى	٥ر١ سنة على مرحلتين

	الموقعة عليها مطلوب منها الوفاء بعدة إلتزامات منها توفير تسهيلات إستقبال العادم البترولى والعادم الصلب من السفن فى موانى المتوسط وبدون هذه التسهيلات تعمد السفن إلى إفراغ عوادمها أعلى البحار قبل الدخول إلى الموانى. (ب) والمشروع يتضمن إنشاء مستقبلات وتسهيلات لمعالجة العادم بنوعيه فى موانى المتوسط التى تفتقر حاليا لهذه التسهيلات.			
٨	● **برنامج نقل وتطوير تكنولوجيا معالجة مياه الصرف منخفض التكاليف إلى المناطق الزراعية فى دول المتوسط.** (أ) إقامة مشروعات رائدة فى عديد من المناطق الزراعية فى الدول المطلة على ساحل جنوب وشرق المتوسط لإختيار ما يناسبها من حيث التكلفة. (ب) وكل مشروع يغطى مساحة يقطنهامن ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ مواطن تمثل أغلبية المجتمعات على الساحل.	(أ) قيام وعى فنى واجتماعى واقتصادى فى الدول التسع المستفيدة وخاصة عن المستوى الصحى الجديد فى المناطق الزراعية. (ب) زيادة أعداد المدربين على مثل هذه المشروعات. (جـ) إستيعاب عمالة جديدة فى هذه المشروعات.	٣٨ر٧ مليون دولار أمريكى على ثلاث مراحل	/
٩	● **مشروع رائد (تجريبى) للطاقة المتجددة :.** (أ) نظرا لتوسع دول المنطقة فى استهلاك الطاقة من المصدر التقليدى ـ البترول ـ فهناك حاجة إلى استخدام مصادر أخرى للطاقة وخاصة المتجددة المتوفرة بالمنطقة وخاصة: ـ طاقة الرياح. ـ الطاقة الشمسية. ـ والبيوجاز (الغاز الحيوى) وتكنولوجيا البيوجاز لها منافع متعددة، توليد الطاقة وإنتاج مخصبات عضوية. (ب) ونظرا لتزايد استصلاح الصحراء فى مصر فإن تكنولوجيا البيوجاز تصبح مفيدة للتجمعات الاستصلاحية فى الصحراء.	(أ) زيادة قدرة توليد الطاقة من مصادر غير تقليدية. (ب) تزويد القرى النائية بالطاقة (بيوجاز) (جـ) انخفاض تكاليف توليد الطاقة.	لمزرعة الرياح ٨ مليون دولار أمريكى على مرحلتين	/









ثانى عشر: البحث والتنمية:

١ ـ نظرة عامة :

(أ) البحث والتنمية من المجالات المحتملة للتعاون بين دول المنطقة لأن كل دولة لديها ثروة من الباحثين والعلماء الذين يمكنهم الإسهام فى تنمية وتطور الإقليم.

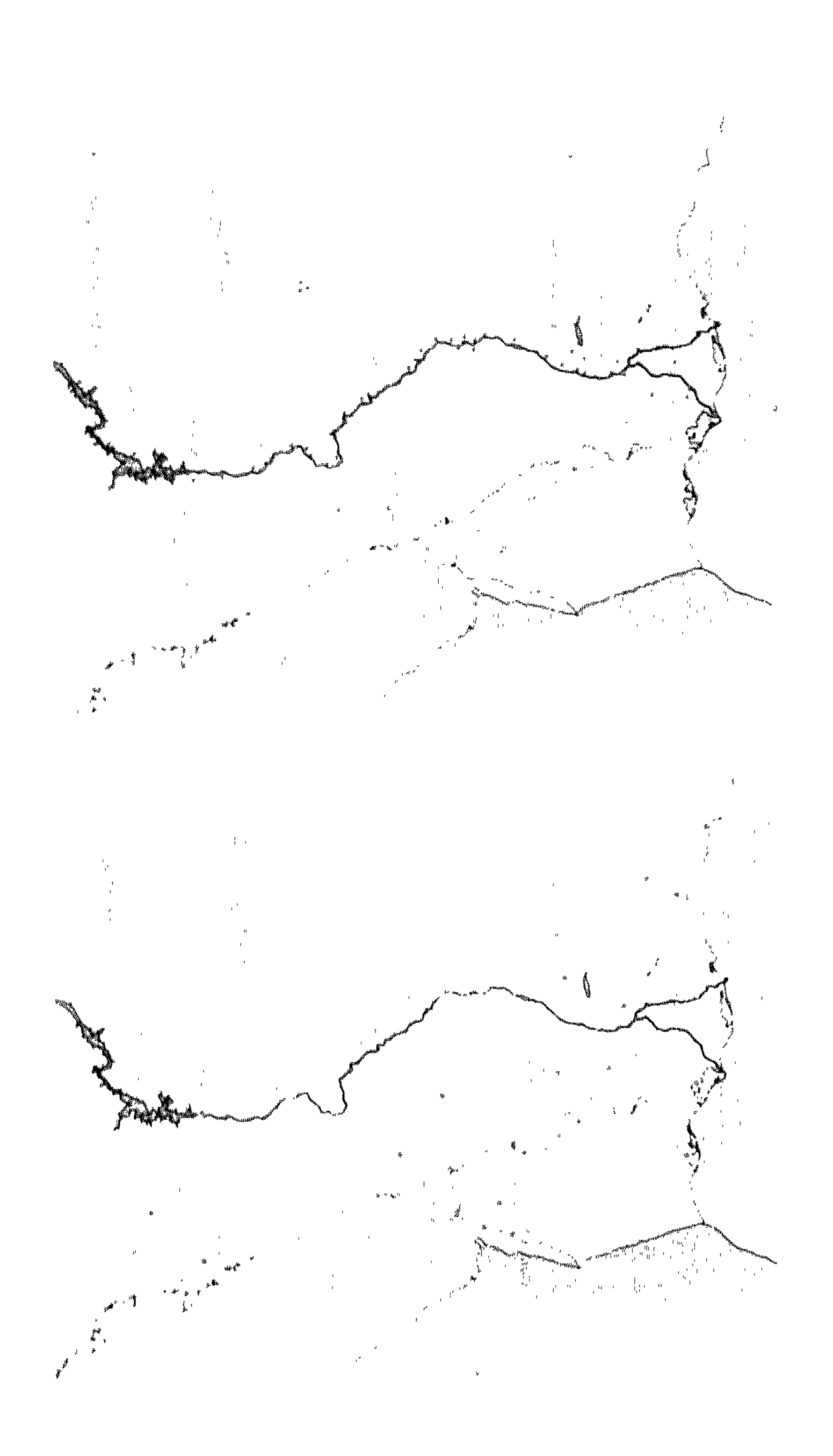
(ب) إن تشجيع الباحثين والبحث العلمى والإستفادة من إمكانات المعاهد القائمة وإستكشاف آفاق جديدة للنمو الاقتصادى يشكل أولوية للإقليم.

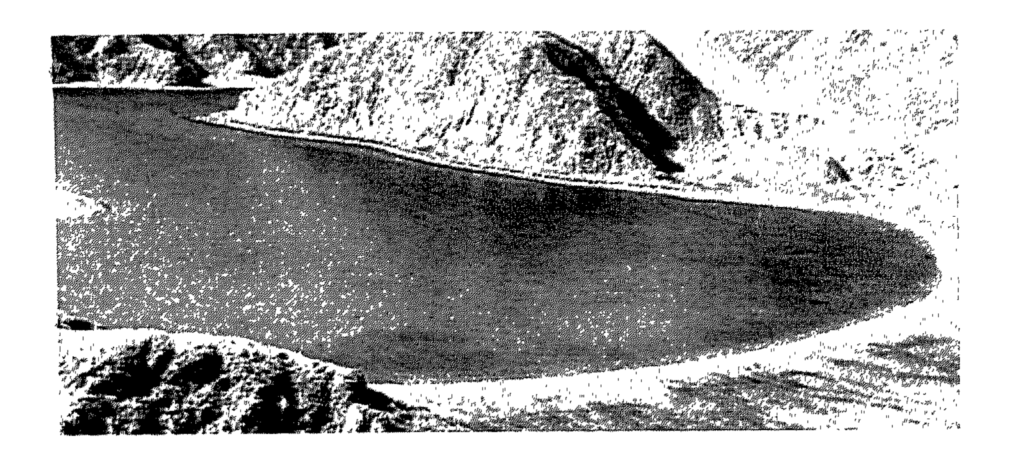
٢ ـ المشروعات : ـ

فى هذا الصدد قدمت مصر مشروعين يستهدفان رعاية ودفع عجلة البحث العلمى وتشجيع العلماء واستفادة دول المنطقة من هذا الإتجاه.

مشروعات البحث والتنمية

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المدة
١	● **إقامة مركز إقليمى للإستشارة الفنية والإختراعات التكنلوجية:** (أ) المركز المقترح يشتمل على مقار رئيسية تتيح الدخول إلى وحدات الشبكة لمختلف الأعضاء وترتبط الشبكة بالمؤسسات الدولية المماثلة. (ب) وسيقوم المركز على نظام كمبيوتر متكامل لحسن ودقة الاستخدام من قبل الدول المشاركة. (جـ) وفى مصر أنشئ الصندوق الفنى - التكنولوجى - الإستشارى للدراسات والبحوث التابع لوزارة البحث العلمى، وفق الخطوط السابق الإشارة إليها عام ١٩٨٨ وعمل بكفاءة منذ ذلك الوقت وهو مايمكن إعتباره ركيزه هامة للمشروع موضوع البحث.	(أ) حسن استخدام خبرات العلم والتكنولوجيا محليا وإقليميا. (ب) تقديم خدمات ودراسات وإستشارات ومعلومات فنية وتكنولوجية لمشروعات التطوير والتنمية والدارسين. (جـ) توفير تدريب فى هذه المجالات.	٣٠٠٠٠٠ دولار أمريكى	المرحلة الأولى سنة واحدة والمرحلة الثانية تقدر فيما بعد
٢	● **جمعية الشرق الأوسط للسرطان :** (أ) عقد مجموعة من العلماء والباحثين اجتماعا على هامش المؤتمر الدولى للسرطان الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٩٤ بحثوا فيه إمكانية التعاون الإقليمى فى هذا الصدد، واشتملت المجموعة على مصريين وإسرائيليين وفلسطينيين، وأنضم إلى المجموعة ضيوف من الباحثين الأمريكيين. (ب) واتفقت المجموعة على أن الوقت مناسب للتعاون الإقليمى فى مجال مكافحة السرطان واتفق على تسمية المنظمة الجديدة «جمعية الشرق الأوسط للسرطان» وهى مفتوحة لإنضمام كل دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. (ج) وتهتم الجمعية بمكافحة المرض والاتصال بمراكز السرطان الأخرى وبالمنظمات الأقليمية. (د) وسيكون مركز الجمعية المعهد القومى للسرطان بالقاهرة	(أ) تحسين سبل مكافحة المرض فى الأقليم بالتعرف على أنماطه وأسبابه واللجوء إلى كل من الوقاية والعلاج.	٤ مليون دولار أمريكى بواقع ١٫٣٣ مليون لكل دولة	٤ سنوات





: المياه :

الثالث عشر

١ ـ نظرة عامة :

(أ) المياه هى القيمة والمورد الثمين لكل الشعوب

(ب) وقد اقترحت مصر ثلاثة مجالات للتعاون على المستوى الإقليمى هى :ـ

●● تحلية المياه.

●● السحب (حصاد السحب)

●● البحث والتدريب.

(جـ) وتحلية المياه تعد الخيار الرئيسى كحل طويل الأمد لمواجهة ندرة المياه بالمنطقة وهذا الحل يتطلب وجود مصادر طاقة يعتمد عليها .

(د) وتقترح مصر موقعين لبناء محطات تحلية مياه البحر فى طابا والعريش، لأن طابا قريبة من مينائى إيلات والعقبة، والعريش قريبة من غزة.

(هـ) وهناك مشروع آخر وهو إقامة المركز الإقليمى لبحوث مصادر المياه.

٢ ـ المشروعات :

اقترحت مصر فى هذا الصدد أربعة مشروعات إقليمية.

مشروعات المياه

مسلسل	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المدة
١	● **محطة طابا لتحلية مياه البحر الأحمر :** (أ) يقع المشروع فى مدينة طابا فى محافظة جنوب سيناء. ـ ويتم إنشاء محطة تقطير لمياه البحر الأحمر بطاقة ٦٠٠٠٠ م٣ يوميا كما يشتمل على ثلاثة مخارج عبر ثلاثة أنابيب ومضخة تقويه على كل أنبوبة متجهة للدول الثلاث المشتركة : مصر والأردن وإسرائيل. (ب) ويستفيد من المشروع سكان ميناء العقبة بالأردن، ومحافظة جنوب سيناء فى مصر، وميناء إيلات فى إسرائيل.	(أ) تزويد كل من مصر وإسرائيل والأردن بمياه عذبة نقية صالحة للشرب لمواجهة حاجة ٥٠٠٠٠ نسمة من السكان فى كل من المناطق الثلاث.	٢٠٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات
٢	● **محطة غزة لتقطير وتحلية مياه المتوسط :** (أ) يقع المشروع فى مدينة غزة على ساحل المتوسط ويتضمن إقامة محطة تقطير وتحلية لمياه البحر المتوسط بطاقة ٦٠٠٠٠ م٣ يوميا. (ب) ويكون للمحطة ثلاثة أنابيب مخارج ـ كل مخرج عليه طلمبة تقوية متجهة إلى كل دولة مشاركة فى المنطقة وهى: مصر وإسرائيل والسلطة الفلسطينية.	(أ) إمداد مصر وإسرائيل وغزة بمياه الشرب لمواجهة حاجات ٥٠٠٠ نسمة لكل مشترك أى فى غزة ومحافظة شمال سيناء (مصر) ويافا فى إسرائيل.	٢٠٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات
٣	● **مركز الشرق الأوسط الاقليمى لبحوث موارد المياه .** (أ) أقيم المركز المصرى لبحوث المياه التابع لوزارة الأشغال والموارد المائية المصرية عام ١٩٧٥ وبهذا قدمت مصر المثل بالإهتمام بالبحوث لمعالجة مشكلات المياه.	(أ)أن يصبح المركز المصرى انطلاقا لهذا المشروع بكوادره ودارسيه وعلمائه وبياناته وخبرته. (ب) القيام ببحوث مشتركة مع الدول الأخرى وتقديم التدريب والاستشارة وتسهيلات المركز المصرى.	٣٠ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات
٤	● **إنشاء المركز الإقليمى للتدريب وبحوث المياه:** (أ) أقامت وزارة الأشغال وموارد المياه المصرية مركزا للتدريب لإدارة موارد المياه فى المجالات التالية : ـ تصميم وإنشاء طرق الرى. ـ إدارة وصيانة نظم الرى والصرف. ـ دراسات فى الإدارة والمالية عن نظم الرى والصرف. ـ دراسات تدريبية على الأعمال الميكانيكية والكهربائية فى محطات الضخ.	(أ) تطوير قدرات مركز تدريب بحوث المياه الحالية فى مصر ليخدم كمركز إقليمى يقدم التدريب والمشورة لدول المنطقة. (ب) وسيقوم المشروع على الموجود من البنية الأساسية والإمكانات والخبرات المتاحة بالمركز ومقره السادس من أكتوبر.	٥ مليون دولار أمريكى سنويا للنشاط الإقليمى	

خاتمة

عرضنا لجهود مصر فى مجال التعاون الإقليمى وتحديث المنطقة للدخول إلى القرن الواحد والعشرين بقدرات عالية وتنافسيه

- وقد استند هذا الجهد والتطور إلى الربط دائما بين الثنائى: التنمية والبحوث.

- وقد قدمت مصر كما رأينا عددا من المشروعات لخدمة التنمية والتعاون والتحديث فى الإقليم نحصرها فيما يلى:-

القطاع	عدد المشروعات
النقل	١٢
الكهرباء والطاقة	٦
البترول	٦
الزراعة	٦
الصناعة والتجارة	٩
السياحة	٦

الثقافة وحفظ التراث	٤
تنمية الموارد البشرية	١١
التكنولوجيا العالية	١
المعلومات	٩
البيئة	٩
البحوث والتنمية	٢
المياه	٤
مجموع	٨٥

- وترى مصر أن هذه المشروعات إذ حسن تنفيذها وحظيت بالتعاون الإقليمى المطلوب تؤدى إلى :-

- مزيد من فرص العمل وفتح آفاق جديدة لرفع مستوى المعيشة.
- تخفيض مستوى الفقر (بشكل عام ونسبيا).
- تقليل ثم القضاء على مختلف مناحى معاناة الشعوب بالمنطقة.
- الوصول إلى مستوى معيشة يسد الفجوات بين مختلف مستويات المنطقة، ثم يتطلع إلى مستوى معيشى متقديم.
- إستفادة الصناعة والأعمال من القيمة المضافة اقتصاديا وإجتماعيا للشعوب.

- كما تربط مصر دائما بين تعميق السلام الحقيقى فى المنطقة وبين دفع عجلة التنمية الإقتصادية والإجتماعية بحيث تفى التنمية بحاجات وآمال شعوب المنطقة جميعا دون تفرقة.

● كما أكدت مصر أنه فى ظل المرحلة الحالية والسلام المنشود فى الإقليم فإن دور الحكومات يجب أن يتركز على دفع وتشجيع القطاع الخاص وذلك بإشاعة مناخ يشجع قطاع الأعمال الخاص وبإتاحة البنية الأساسية اللآزمة لحسن أداء هذا القطاع.

● وتركز مصر على أن الاقليم (الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) يحوز ميزتين هامتين إلى جانب المزايا الأخرى وهما:-

- الميزة التنافسية داخل الإقليم وخارجه.

- الظروف التى تدعم الإقتصاد التكاملى.

● ونظرا لأن مصر هى أول من تبين أهمية السلام، ولعبت دورا رائدا فى دفع عجلة السلام الدائم والشامل والعادل فى المنطقة على أساس المبدأ الذى أقرته الأمم المتحدة (الأرض مقابل السلام)،

ولذلك يقوم السلام على ثلاث مبادئ أساسية:-

- التسوية السياسية.

- ضبط التسلح وتأكيد الأمن الإقليمى.

- التعاون الإقتصادى الإقليمى.

● وهذا التعاون بين دول المنطقة لن يتم إلا فى إطار مبادئ خاصة هى:-

- إن علاقات دول المنطقة يجب أن تحكمها قواعد القانون الدولى.

- إن السلام والأمن الشاملين يجب أن يتمتع بهما كل دول المنطقة.

- يجب تخفيض التفاوت الإقتصادى بين دول الإقليم.

- قيام تعاون وتنمية، وتعاون إقتصادى عادل بين الأطراف.
- دفع تكامل الإقليم نحو السوق العالمية.
- دفع وتنشيط دور القطاع الخاص بكل دول الإقليم.
- إن روح الشفافية والإخلاص يجب أن يسودا التعاون فى المنطقة.

وعن إستراتيجية مصر للنمو والتطور الاقتصادى فى المنطقة فإنها تقوم على ثمان مبادئ هى:-

- التكامل مع مستويات الإقتصاد الدولى من خلال زيادة الفرص وتوفير العمل ورفع الإنتاجية وإستخدام التكنولوجيا العاليه وغيرها.
- دفع وتشجيع القطاع الخاص بتخفيض النشاط الحكومى وبناء مناخ جديد.
- بناء مجتمعات حديثة بتوسيع وتنمية البنية الأساسية المادية لجذب الاستثمارات الخاصة.
- رسم أهداف طموحه عملية فى المجالين الإجتماعى والإقتصادى.
- أن تكون تنمية الموارد البشرية مفتاحا للتقدم بشكل عام.
- إبرام اتفاقيات تجارة جديدة من أجل دعم الصادرات.
- تحقيق إقتصاد قائم على المعلومات حيث يكون للتكنولوجيا والقدرات الفكرية مكانا لهما.
- تعميق دور مصر ومشاركتها فى الجهود العالمية لحماية البيئة.
- أما عن مشروعات التعاون الإقليمية فترى مصر أن أبرزها فيما يلى:-

- مشروعات البنية الأساسية لأهميتها.

- المشروعات الزراعية والسياحية.

- مشروعات التنمية التكنولوجية.

- المشروعات التى تساهم فى تحقيق التنمية المستمرة.

- مشروعات البنية الأساسية والبنية الإعلامية.

- وهذا التصو الذى عرضناه يؤدى إلى دعم السلام وإلى قيام تعاون إقليمى عادل ومتميز للجميع.

ونقصد بالنظرة الختامية الوضع الحالى بالنسبة للسلام والتعاون، أو التوتر وانعدام الثقة فى الشرق الأوسط، ويمكن تلخيصها فيما يلى:

١ - بالنسبة للعلاقات المصرية - الإسرائيلية لا يزال معظم التطبيع مجمدا على الصعيد الرسمى، أما الصعيد الشعبى فقد حدث اختراق لا يذكر فى قطاع المثقفين، وخاصة الكتاب والفنانين، واقتصرت مجالات التطبيع العريض فى بعض مجالات الزراعة.

- ولا تزال مصر تتحرك لإنهاء الجمود على الجبهة السورية، وبطء الحركة بالنسبة لإتمام خطوات الحكم الذاتى الفلسطينى.

٢ - وعلى صعيد العلاقات الفلسطينية - الإسرائيلية نجحت إسرائيل فى مجالات ثلاثة :

(أ) الأول ، تجميد إمكانات النمو الفلسطينى اقتصاديا وسياسيا، وذلك بعدم التعاون الاقتصادى الفعال وبطء الحركة فى مجال تدعيم خطوات الحكم الذاتى.

(ب) دفع فصائل الحركة الفلسطينية نحو الصدام المسلح والدموى، وهو ما حدث فى ١٨/١١/١٩٩٤ ، ويدخل التاريخ بوصفه اليوم الأسود الدامى الثانى بعد أحداث إيلول الأسود فى سبتمبر ١٩٧٠ .

(جـ) محاولة الإجهاز على صورة القوتين الفلسطينيتين الرئيسيتين : عرفات «فتح» من جهة ، و«حماس والجهاد» من جهة أخرى.

٣ ـ على المسار الأردنى ، وافقت الأردن على إقامة علاقات دبلوماسية فورا مع إسرائيل، وتم تعيين السفير الإسرائيلى لدى عمان، ونشطت التطبيعات العملية بين الطرفين بسرعة تلفت نظر البصير.

٤ ـ التكتل الخليجى : فقد استجاب لضرورات العصر أمام الأنفرادية والحماية الأمريكية، وضغطها فى إتجاه التطبيع. ومع ذلك يمكن القول : إن التكتل السداسى الخليجى قد خرج من مجال التأثير فى قضية الشرق الأوسط، إلى مجال الدفاع عن النفس فى مواجهة الأخطار المحتملة من مربع الرعب المتمثل فى احتمال تجدد الخطر العراقى، واحتمال أىّ مد جديد للثورة الإيرانية، وتهديد الأصولية الإسلامية المتزايد فى داخل الجزيرة العربية، وشبح الاستنزاف المالى والاقتصادى الذى بدأ بحروب الخليج المتتابعة وبانخفاض عائدات البترول، وباحتمال وجود بدائل للبترول فى المستقبل القريب.

٥ ـ على المسار السورى : كانت المفاجأة بعد وضوح الوضع الفلسطينى والتسليم الأردنى، وبإعلان «إسحاق رابين»، إبان

زيارته لواشنطن فى أواخر نوفمبر ١٩٩٤، بأن إسرائيل لن تكون قادرة على دفع الثمن المطلوب للسلام مع سوريا، وهذا يعنى، عند تفسير هذا التصريح أن على سوريا أن تقبل بما هو معروض عليها، وهذا يعنى أيضا، تجميد المباحثات على المسار السورى مع مايحمله هذا بين طياته من مخاطر على مجمل أوضاع السلام فى المنطقة.

وإن كنا نلاحظ الحركة الجديدة على هذا المسار، ونرجو أن تكون فى اتجاه السلام العادل الذى يصون الحقوق العربية.

٦ - وأخيرا وليس بآخر : نجد أمامنا تقرير الميزان العسكرى السنوى الذى يصدره المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن، والتحليل الذى قدمه للوضع فى الشرق الأوسط، وأبرز ما جاء به، أن إسرائيل تملك مائة صاروخ برؤوس نووية، وأن الناتج القومى لإسرائيل وصل إلى حوالى ٧٠ ألف مليون دولار عام ١٩٩٣، ووصل دخل الفرد إلى حوالى ١٣ ألف دولار سنويا، ووصل معدل التضخم بها إلى حوالى ٣ر١١٪ عام ١٩٩٣، وبلغت ميزانية الدفاع لعام ١٩٩٤ ، ٢ر٧ ألف مليون دولار، وتصل المساعدات الأمريكية إلى ثلاثة آلاف مليون دولار.

هذا فى الوقت الذى ضُربت فيه قدرات العالم العربى ممثلا فى القدرات العراقية الاقتصادية والعسكرية من خلال حرب الخليج الأولى، والثانية عاصفة الصحراء.

وختاما:

* لايمكن إعتبار الملاحظات السابقة بمثابة نظرة يائسة، بل تعد تحذيرا لأن التطبيع ممكن فى ظل علاقات عادلة ومنصفة وعلى أساس من الثقة.

*والمناخ الدولى العام فى الوقت الراهن مواتٍ ومجند لعملية السلام والاستقرار والتطبيع.

*والمناخ الداخلى فى إسرائيل، رغم التطرف والإرهاب اليهودى الأصولى، يدعم التوجه نحو الاستقرار وخاصة أن إسرائيل تبينت أن الحل العسكرى لن يخدم استقرارها وأن التوسع غير مقبول دوليا.

*وأترك للقارئ العزيز أن يمعن النظر فى دقائق هذه الصورة وأبعادها، وبقع الضوء والظلال فيها، ليستخلص بنفسه ما يمكن أن تنذر به من احتمالات، أو ما تبشر به من إمكانات تحقيق السلام الدائم العادل.

وعلى الله قصد السبيل.

نظرة ختامية

مازالت موجات الأحداث تتوالى فى تدفقها دون انقطاع، ورياح التغيير تتابع فى هبوبها دون هوادة، فما تكاد إحدى الموجات ينتهى مدها حتى تأتى فى أعقابها أخرى؛ حاملة ملامح جديدة تضيف إلى كل حدث سابق ملمحاً يؤكد أن عالمنا فى طريقه إلى مخاض من نوع غير مألوف.

وليس من اليسير التنبؤ القاطع بما ستكون عليه صورة العالم فى الأعوام القادمة التى سيختتم بها القرن العشرون حياته الحافلة بالتطورات التى لم يشهدها قرن آخر على مدى أحقاب التاريخ.

ولكننا نستطيع أن نمسك بإرادتنا لنصنع لأنفسنا رؤية قومية، نستقرأ من خلالها نتائج سلوكنا فى الماضى، ونمعن النظر فى الحاضر، ونستشرف بها آفاق المستقبل، مع ضرورة إدراك الأبعاد على المدى القريب والمدى المتوسط والمدى البعيد، إذ لدينا من الخبرات والخبراء ما نستطيع بها وبهم أن نستوعب الفوارق بين الممكن والمستحيل، وما يمكن أن نحققه فى المدى المنظور على أقل تقدير.

ومن هنا كان اهتمام هذه الموسوعة أن تضرب فى أعماق الزمان للتعرف على جذور بعض المشكلات التى واجهتنا، وبعض العقبات التى أثرت على خطانا، وعلى علاقتنا ببعض الفرقاء، سواء فى الجوار القريب، أو البعيد، أو فى بعض أركان العالم الشاسع المليئ بالصراع، والمضطرب بعوامل التقدم فى جانب، والمزدحم بأسباب التخلف والتراجع فى جانب آخر.

وعلى الرغم من إدراكنا لحقيقة ما تعرضنا له ـ منذ نصف قرن أو يزيد ـ مما افقدنا كثيرا من المزايا والمقومات، بمعرفة بعض القوى ذات التأثير العالمى على مجريات الأمور فإننا لانسعى إلى الصراع مع قوى بعينها، ولا نرغب فى الشقاق مع آخرين، ولكننا نسعى إلى حقنا فى ألا تقتلع جذورنا من أصولها، وألانتخلى عن ذاتيتنا، وألا نفقد مصالحنا التى تأثرت؛ بسبب بعض المتغيرات، إلى حد يستدعى يقظة تناسب ما يتكالب علينا من أحداث، وإلى عزيمة لا تفلها الضغوط.

وحين نسعى إلى ذلك، فإننا على يقين من أن قياداتنا الواعية تدرك أكثر مما ندركه، وتستوعب من القواعد الحاكمه للأمور أكثر مما نستوعب، أن الآمال التى تراودنا أو تلوح لنا؛ لها فى فكر القيادة وفى تصميمها وعزيمتها ما سيدفع بها إلى دنيا الواقع وإلى مجال التطبيق. وفى هذا ما يغنينا عن الافاضة والشروح. وبهذا اليقين نلقى نظرة ختامية على بعض الملامح البارزة من حولنا، مع ايماننا بأن كلاً منها معرضٌ للتغيير حتى قبل أن يجف هذا المداد، وكل ما نرجوه أن يكون التغيير إلى الأفضل وإلى خير ما ندعو وما نريد.

المراجع العربية

(١) الأتفاق الثانى لفصل القوات على الجبهة المصرية، القاهرة، هيئة الاستعلامات، د. ت.

(٢) إسرائيل الكبرى، الدكتور أسعد رزق، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨ .

(٣) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى . الدكتور أسعد رزق.

(٤) إسرائيل ١٩٨٥؛ أحداث ومواقف. إعداد رضا سليمان.

(٥) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر. الدكتور محمد عبد العزيز ربيع.

(٦) إسرائيل ١٩٨٤ .

(٧) الإخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل. حسين كروم.

(٨) الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائقية دكتور يونان لبيب رزق.

(٩) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى ـ مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(١٠) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله.

(١١) انعكاسات حرب أكتوبر على إطار الوفاق الدولى. جمال مرسى بدر. القاهرة، السياسة الدولية ، يناير ١٩٧٤ .

(١٢) البحث عن الذات. أنور السادات، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٨ .

(١٣) تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبرى، القاهرة، دار المعارف.

(١٤) التاريخ السرى لحرب إسرائيل . ميشيل بار زدهار.

(١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية. المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين. ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦ .

(١٦) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل. وزارة الخارجية المصرية.

(١٧) تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية. هاشم الدجانى، مجلة الوحدة، يناير ١٩٩٢ .

(١٨) التغيرات الاجتماعية داخل إسرائيل. السيد ياسين، القاهرة، السياسية الدولية، يناير ١٩٧٤ .

(١٩) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى.

(٢٠) التفسير الكبير، للفخر الرازى، طـ ٣ .

(٢١) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.

(٢٢) الحرب التى شنها السادات، ادوارد شيهاب. القاهرة، السياسة الدولية، ١٩٧٤ .

(٢٣) حقيقة إسرائيل، اللواء الركن محمود شيت خطاب، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧ .

(٢٤) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل. م. ص. سيجال، ترجمة وتعليق د. حسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧ .

(٢٥) الدبلوماسية الصهيونية. الدكتور فايز صايغ، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٧ .

(٢٦) الدعم الاقتصادى للمعركة، فهمى هويدى. القاهرة، السياسة الدولية، يناير ١٩٧٤ .

(٢٧) دقت أجراس السلام. عبد المنعم شميس.

(٢٨) دلالة الحائرين. موسى ميمون - عرضه بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢ .

(٢٩) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢ .

(٣٠) السادات رجل الحرب ... ورجل السلام، موسى بدوى.

(٣١) سلاح البترول وقواعد القانون الدولى. جعفر عبد السلام، القاهرة، السياسة الدولية، يناير ١٩٧٤ .

(٣٢) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وأخرين.

(٣٣) السلام الصعب. فوميل لبيب.

(٣٤) السلام الضائع فى كامب دافيد. محمد إبراهيم كامل.

(٣٥) السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الإسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب دافيد. محمود عبد الغفار.

(٣٦) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة . نصار علمية.

(٣٧) الشرق الأدنى القديم؛ جـ ١ «مصر والعراق» عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٧ .

(٣٨) الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط. اسماعيل صبرى مقلد، الكويت، ذات السلاسل للطبع، ١٩٨٦ .

(٣٩) ضغوط الحرب على الاقتصاد الإسرائيلى. نبيل صباغ. القاهرة، السياسة الدولية، يناير ١٩٧٤ .

(٤٠) الطريق إلى السلام، مدريد. صلاح منتصر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩١ .

(٤١) العرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلى. مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٤٢) عند مفترق الطريق - حرب أكتوبر ماذا حدث فيها، وماذا حدث بعدها. محمد حسنين هيكل.

(٤٣) الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٤٤) الفكر الدينى الإسرائيلى. حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥ .

(٤٥) الفن القصصى فى القرآن. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١ .

(٤٦) قاموس الكتاب المقدس - بطرس عبد الملك واخرون. بيروت، ١٩٦٤ .

(٤٧) قاموس الناصرية. صلاح زكى أحمد، القاهرة، دار المستقبل العربى، ١٩٨٥ .

(٤٨) القرآن الكريم.

(٤٩) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.

(٥٠) قصص الأنبياء. ابن كثير. القاهرة.

(٥١) قصص الأنبياء. أحمد الثعالبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤ .

(٥٢) قصص القرآن. عبد الوهاب النجار، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٦ .

(٥٣) القصص القرآنى. عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥ .

(٥٤) قنطرة الشر إسرائيل؛ طريق الامبريالية إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٥٥) كامب دافيد بعد ١٠ سنوات. وليام ـ ب كوانق.

(٥٦) الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٥٧) الماباى الحزب الحاكم فى إسرائيل. ابراهيم العابد، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦ .

(٥٨)ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منير الريس

(٥٩) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرين توثيق وتحليل علمى. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٦٠) المجابهة فى ميدان النفط. صلاح منتصر، القاهرة، السياسة الدولية، يناير ١٩٧٤ .

(٦١) محاربون ومفاوضون. كمال حسن على.

(٦٢) المدخل إلى سياسة إسرائيل الخارجية. سيد نوفل.

(٦٣) مصر وأمريكا ـ عرض تاريخى لتطور العلاقات المصرية الأمريكية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٦٤) مصر والصراع العربى الإسرائيلى.

(٦٥) مصر والعرب وإسرائيل فى الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٦٦) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. أبو المحاسن عصفور ـ دار النهضة

(٦٧) معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وملحقاتها، والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

(٦٨) معاهدة السلام العربية الإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط. ابراهيم محمد العنانى.

(٦٩) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهر ستانى، مكتبة الأنجلو ، القاهرة، ١٩٧٧ .

(٧٠) المناظرة بين بطرس غالى وموشى ديان، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية. اسامة الغزالى حرب.

(٧١) المنظمة الصهيونية العالمية. اسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧ .

(٧٢) مؤتمر كامب دافيد .. رؤية علمية. عبد العزيز سليمان فؤاد وأخرين.

(٧٣) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر. د. عبد العظيم رمضان.

(٧٤) الموقف الأمريكى تجاه العالم العربى، جون بادو، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات. كتب مترجمة ٩٦٢ .

(٧٥) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة بإقامة ترتيبات انتقالية للضفة وغزة، وزارة الخارجية المصرية.

(٧٦) نصر بلا حرب، ريتشارد نيكسون، إعداد وتقديم المشير أبو غزالة، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨ .

(٧٧) نظرية الأمن القومى الإسرائيلى، اللواء الركن يوسف كعوش، القاهرة، السياسة الدولية، يناير ١٩٧٦ .

(٧٨) النفط العربى وأزمة الطاقة فى العالم. حربى محمد، بغداد، دار الثورة، ١٩٧٤ .

(٧٩) الوجود الإسرائيلى والعربى فى إفريقيا. محبات أمام الشرابى.

(٨٠) وعليكم السلام. محمود عوض.

(٨١) الولايات المتحدة والمشرق العربى. أحمد عبد الرحيم مصطفى. الكويت، عالم المعرفة، ١٩٧٨ .

(٨٢) اليوميات الفلسطينية مجلد ٤،٥ . من ١/٦/١٩٧٦ إلى ,٣١/١٢/١٩٧٦

(٨٣) اليوميات الفلسطينية مجلد ٧ من ١/٧/٦٧ إلى ٣١/١٢/١٩٦٧ .

المراجع الأجنبية

1- The Road to Camp David. U. S. Negotiation Strategy towards the Arab– Israeli Conflict. Thomas Parken.

2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.

3 - The Commanders. Bop Woodward.

4- Present at the Creation, "My years in the State Department".Dean Acheson.

5 - Herzil. Amos Elon.

6 - Israel's Secret Wars. I an Blak& Benny Morr.

7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litrinoff.

8 - Zionism and the Arabs, 1882-1948. (Astudy of Ideology).Yosef Gorny.

9 - Ben- Gurion. Robert St. John.

10- Ben- Gurion and the Palestinian Arabs from Peace to War.Shabtal Tereth.

11- Ben- Gurion "The Burning Ground" 1986- 1948.Shabtal Tereth.

12- Ben- Gurion (Apolitical Biograbhy).Maurice Edelman.

13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.

14- Suze The Twice- fough War (Ahistory).Kennet Love.

15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.

16 - Israel: Year of Challenge.

17- Ben- Gurion looks back.

18- The Arab Brycott of Israel.

19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.

20 - Israeli Pitnetion. The Promise of Peace Economic Cooperation Between.Arab, Ruth. W.

21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.

22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.

23 - Decisions in Israeles Forign Policy. Aronse, Shloms.

24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foriegn Policy. Brecher, Michael.

25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.

26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.

27 - Negotiating for Peace in the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.

28 - Egypt- Israeil.Fahmy Ismail.

29- The United States and Israel. Sacher, Morley.

30 - The Palestinian proplem and U. S. Policy. Reich, Bernard.

31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.

32- Politicial Ideologesof israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.

33 - Ideogical Change in Israil Micihigan State University. Any-onovsky, aoron.

34 - The Government of the State of Israeil, Twayne Pulishers INC, New Yourk 1963. Arayan; Alan.

35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.

36 - Ben- Gurion Looks back (talks withe Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biograbhy of Ben-Gurion Arthur Barmer Limited, London 1966.

38- Badi Joseph. The Covernment of Israel Twayne Publishers Inc. New York 1963.

39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.

40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.

41- Ben Curion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical libary, New York, 1954.

42- Bernestien, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.

43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israeal Random House, New York 1967.

44- Gooke, Hedley V. Israeal: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.

45- Dayan, Moshe. Diary of the Siniai Cammpaing English Translation by George Weidenfield and Nicolson Ltd London, 1966.

46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whititlesey Housse, New York, 1950.

47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.

48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.

49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.

50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc New York 1950.

52- Learsi, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.

53- Desmond Donnlly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-1963 New York: St. Martin's.

54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington, D.C.U.S. Government Printing office) Vol. III, p. 20 I.

55- Foreign Relatiions of the United States, 1942 (Washington, D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.

56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV, pp 841. 42.

57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3) pp; 909-10.

58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C. U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.

59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington; D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.

60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Printing Office, 1949.

61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princetion University Press 1949) p, VIII.

62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52. 53.

63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.

64- Current Development in United States Foreign Policy (Washington, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp. 4,5.

65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Columbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

66- Michael Howard and Robert Hunter, Israël and the Arab World' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.

67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.

68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.

69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.

70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.

71- Ceorge Livet- les Cuerres de Religion 2a, edicao Paris, 1966.

72- Ceorges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.

73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay-(France)- pg. 200.

74- Cecile Morrision - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.

75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.

76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.

77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.

78- Idem, idem, pg. 19.

79- Idem, idem, pg 24.

80- Idem, idem, pg 26.

81- Idem, idem, pg 29.

82- Idem, idem, pg 30.

83 - Studies in the social History of Modern Egypt. Baer, G., Chicago and London: The Univ. Of Chicago Press, 1968

84 - Poputation and Society im the Arab East, Baer, G. , London: Routledge and Kegan Paul, 1964.

85- The Arab World Today. Berger, M. N. Y., Anehor Books, 1964.

86 - The Foreign Policy System of Israel, Brecher, M., London, Oxford University Press, 1972.

87- Réflexions sur l' avenir d' Israél Friedlanders, Paris: Editions du seuil, 1969.

88- Marx's Concept of man, Froman, E., New York: F. Uncar Publishing co, 1970.

89- Gilsenan, M.' Through a glass darkly images of the Middle East conflict, in Masan, (H) (editor), Reflections on the Middle East, Paris, Mouton, 1970.

90- A dictionary of the Social Sciences, Gould and Kolb, London, Tavistok Publications, 1964.

91 - Arab attitudes to Israel, Harbaki, Y., Jerusalem: Israel universities Press, 1972.

92- The Arabs, Hottinger, A. , Thames, 1963.

93 - Khatchadorian, H., The mask and the Face: A study of Make ` Believe in Middle East Society, in: Middle East Forum, 1961.

94- La Sociologie en U. R. S. S., Moscou: Editions de Progrés, 1966.

95- The Arab mind, Patai, R., New York: Charles Scribner,s sons, 1973.

96- Dictionary of Anthropology, Winichk, C., Iowa, 1958.

97- Terry, J., Israel's Policy Toward The Arab States, in : Abu Lughod, (I), (editor), The TransFormation of Palestine, Evanston, Northwesterr Univ. Press, 1971.

98 -The American Soldier, Stouffer, S. A.Et AL., Prin ceton: Princeton University Press, Vol. I, 1949.

99- Egypt,s Perspective: Regional Economie Development and Cooperarion The Middle East / North Africa Economic Conference Amman. Jordon 29 ` 31 Oktober 1995.

100 - Government of Israel Deve I opment Options For Cooperation

The Middle East / East Mediteranean Region 1996 (Version IV Auyust 1995)

Bibliography:

1- David Sling, Shimon Peres, Intervews, London, 1972.

2- Aaron'S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman-Bras sey's intemational Defense publishers, New York 1990.

3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglò-Israel sociation, 1957.

4- Herzi Diaries, Vol. I.

5- Dr. Fayez Sayegh, The Zioist Diplomacy, Research, Center, P.L.O. Beirut, 1969.

6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.

7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London. 1952.

8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.

9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.

10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.

11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford University press, 1972.

12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government of Israel, Year Book, 1952.

13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.

14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, Internationol politics and Forign policy, 1969.

15- Chaim Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon

Books, New York, 1969.

16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Challenge.

17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a Paleastinian State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.

18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.

20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.

21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.

22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and translted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987.

2- The New Times, May, 15, 1990.

3- The Jewish Observer, August 25. 1987.

4- The New Outlook, August/ September, 1985.

5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeli Foreign Policy.

6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.

7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.

8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.

9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.

10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.

11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?

12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.

13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

14- Bernstein, Marver, H., The Politics of Israel, Princeton, Princeton University Press, 1957.

15- Cooke, Hedley Vicars, Israel, a Blessing and a Curse, London, Stevens, 1960.

16- Gordon, A. D., Selected Essays, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestine, 1938).

17- Government of Israel, Corernment Yearbook, 1953- 1954.

18- Government of Israel, Statisical Abstact, 1964.

19- Hadwin; Arnold, politics in Israel, London, Anglo - American Association, 1960.

20- Kerem Moshe, The Kibbutz, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.

21- Kraines, Oscar, Gorernment and Politics in Israel, Boston, Houghton Mifflin, 1961.

22- Lillienthal, A. What Price Israel, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.

23- New Outlook, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.

24- Peretz, Don, The Middle East Today, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.

25- Seligman, Lester, G. Leadershib in a New Nation, Athzrton Press, New York, 1964.

26- Who's Who (Israel)

27- Zweig, Ferdynand, The Israel Worker, Sharon Books New York, 1959.

28- Dead- Line Date of World Affairs, New York 1948-1966.

29- Keesings Contemporary Archires, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standerd Jewish Encyclopedia.

الفهرس

القسم الثالث :

المتغيرات الدولية فى التسعينيات وتأثيرها على الأوضاع العالمية .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/٣٨٨٤
J.S.B.N- 977 -01 - 4744 - 3

تصميم الغلاف : ماجدة السيد

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



السفير الدكتور/ حسين شريف

* حاصل على ليسانس فى القانون ـ ودكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.
* إلتحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢ وعمل بالاتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل. وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.
* مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

* وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
* مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
* النواحى الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
* التحدى اليابانى فى التسعينات.
* السياسة الخارجية الأمريكية ـ اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان)
* المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ـ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ق م ـ ١٩٩٥م (أربعة أجزاء)
* له مقالات عديدة فى السياسة الدولية.
* حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.

ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.

ووسام الرافدين من العراق.

ووسام وكزويرودى سول من البرازيل.